يوليو (تموز) ١٩٩٢ - محرَّم ١٤١٣

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest July '92 N° 164

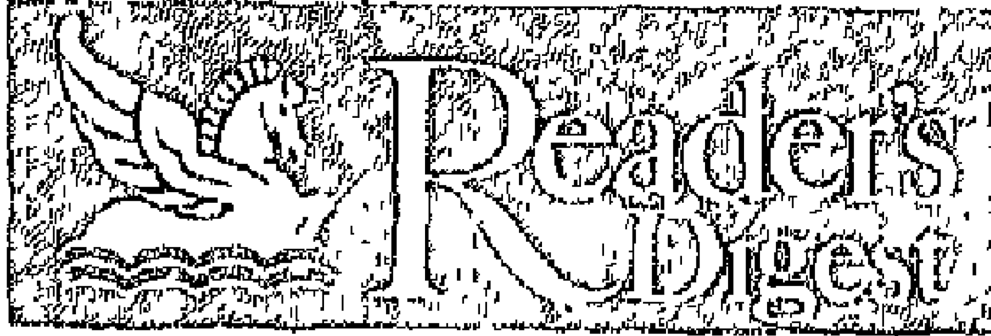
أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

عصر ما بعد الشيوعية
(ص ٢١)

الزواج لغة مشتركة!
(ص ٩)

فضيحة إيدز في فرنسا
(ص ٤٠)

الجريمة الكاملة
(ص ١٠٥)



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد.
أمانة التحرير: لورا نفاع، عائدة الموسوي.
الاشتراكات: فريال علاف
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس.
الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
التحرير والادارة: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.
الهاتف: ٣٤١٥٩٧ / ٣٧٠٥٧٥(١).
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤(٠١). التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان.
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، البوشرية – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.



AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE.
Tel. (1) 341597 / 370575.
Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O. Box 11-688, Beirut, Lebanon. Telex 43283 PRESSE LE.
Fax (1) 864572. Tel. (1) 216058/327484.
Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.



لبنان	١٥٠٠ ليرة.
سورية	٧٥ ليرة.
الأردن	١ دينار.
الكويت	١ دينار.
الامارات العربية المتحدة	١٠ دراهم.
قطر	١٠ ريالات.
البحرين	١ دينار.
السعودية	١٢ ريالاً
مصر	٢ جنيه.
السودان	١ جنيه.
ليبيا	٥٠٠ درهم.
الجمهورية اليمنية	٢٥ ريالاً
مسقط	١ ريال
قبرص	١،٥ جنيه.
تونس	١ دينار
المغرب	١٠ دراهم.
الجزائر	٧ دنانير.
انكلترا	١،٥ جنيه.
اليونان	٤٠٠ دراخما.
كندا وأميركا الشمالية	٢،٥ دولار.

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث توملنسون.
مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس.   المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) وفي الصينية والروسية والهنغارية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.



- كل فنان بدأ هاوياً.

رالف والدو إمرسون، كاتب وشاعر امريكي

- قد يكون الثناء أفضل مزاياك ما لم تكن أنت موضوعه.

ا.ب.

- لا يمكن أي انسان أن يكون لوقت طويل ذا وجهين، واحد لنفسه وآخر للبشر، الا ويربكه في النهاية أيهما هو الحقيقي.

ن.هـ.

- الفرق كبير بين عبارتي "صحيح تقريباً" و"صحيح تماماً."

هـ.ب.

- تاريخ البشرية هو تاريخ الافكار.

ل.ف.م.

- ما يحتاج اليه العالم هو مزيد من الحب وقليل من الاعمال المكتبية.

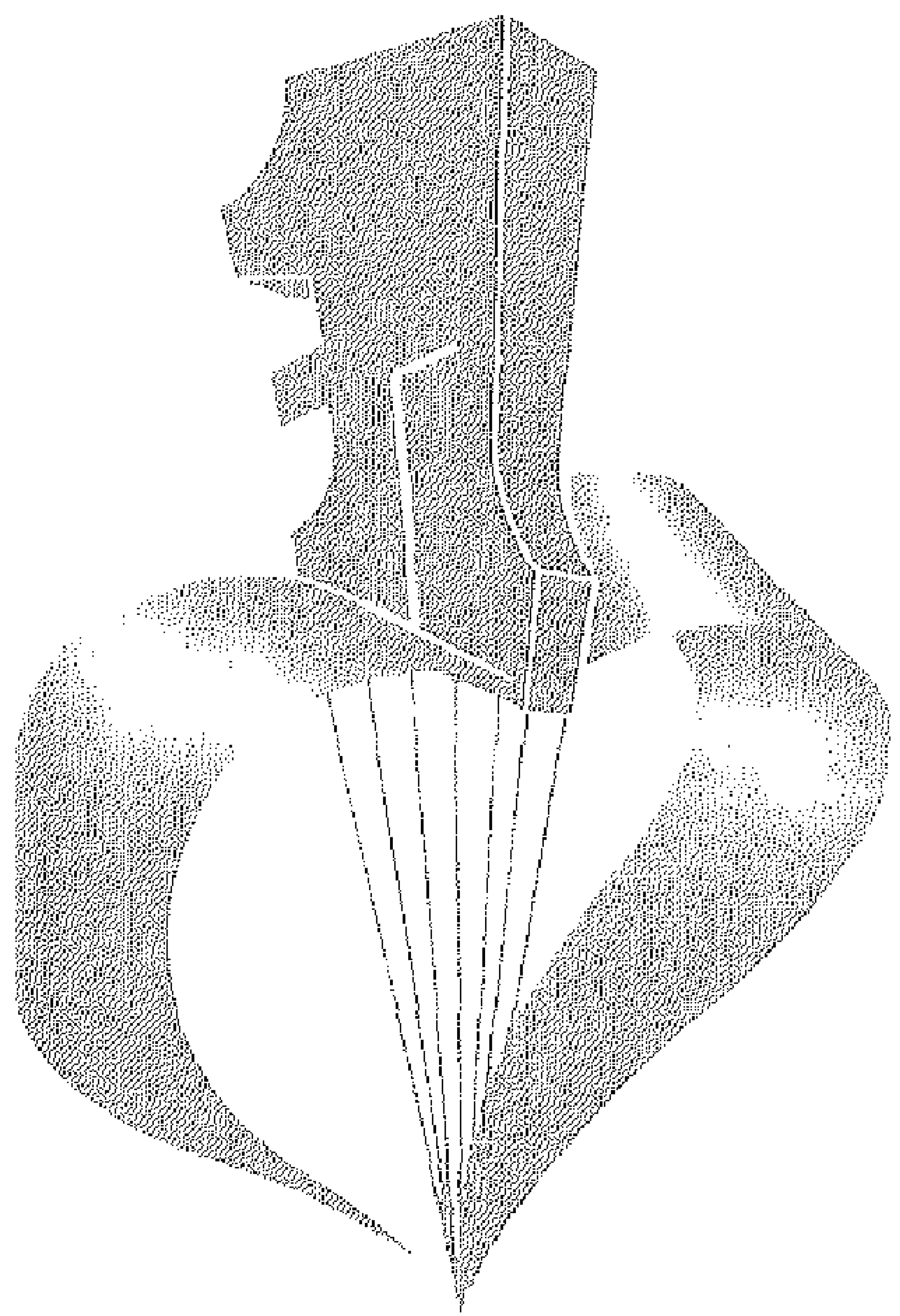
ب.ب.

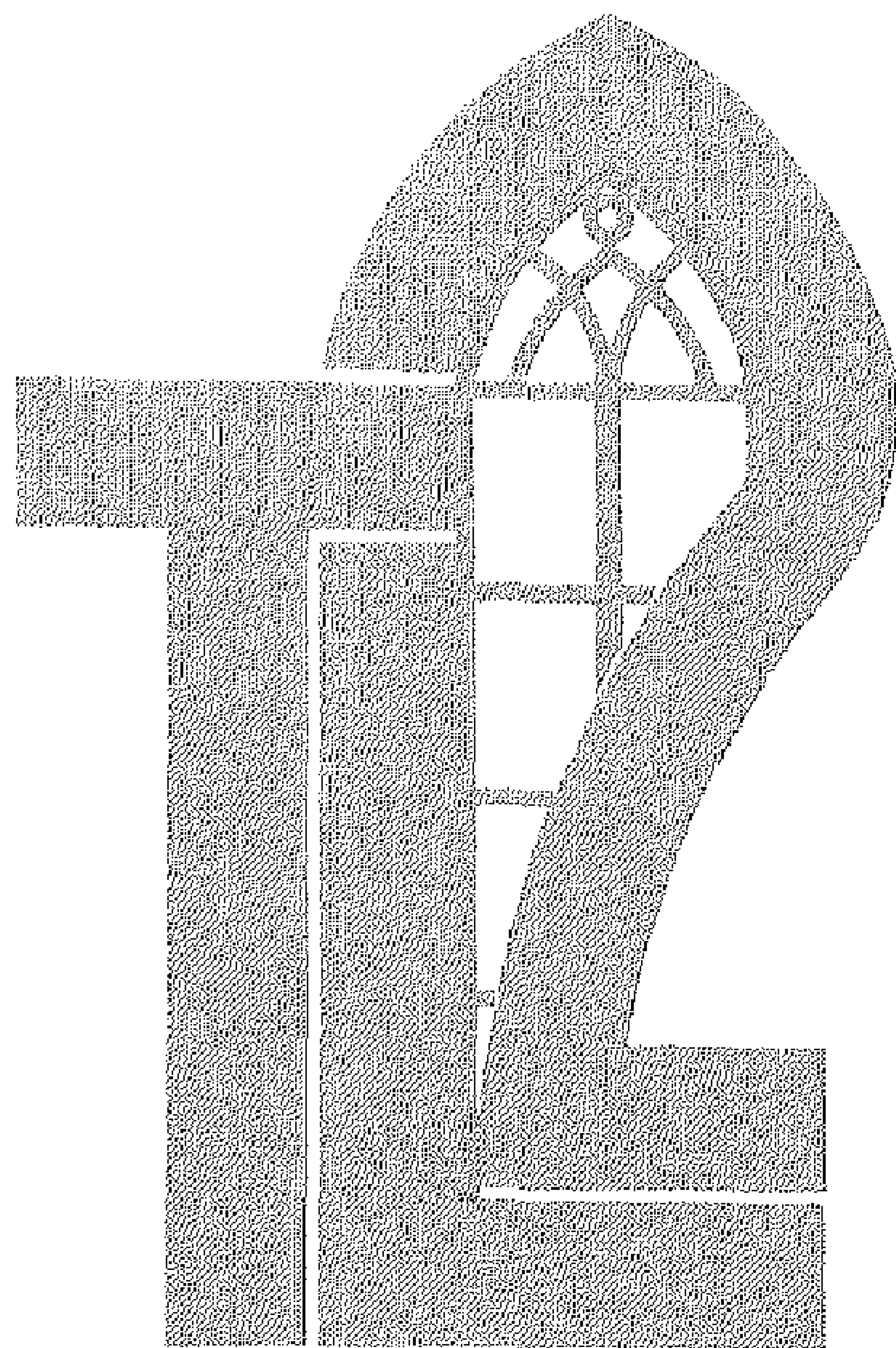
- قد تضطرون الى خوض معركة غير مرة لربحها.

مارغريت تاتشر، رئيسة الوزراء البريطانية السابقة

- اذا رغبتم في أن يتحسن أولادكم، فدعوهم يسمعون الكلام الجميل الذي تقولونه عنهم للآخرين.

هـ.ج.





شو ما حبيت
معك بكل بيت

تلفزيون كل لبنان

سيّارتي صديقتي

توطدت بيننا علاقة بدائية وثيقة كتلك التي تنشأ بين الخيل وسوّاسها

لي ذات ثانية لا تختلف عن الأولى إلا قليلا. انها آلة نزقة غريبة الأطوار اسمها "إم جي." والحقيقة أن اسمها الكامل هو"ام جي بي ماركة ٤"* وقد صنعت في العام ١٩٧٧.

وإن يكن أصابها بعض الاهتراء الظاهر على هيكلها الخمري من خلال بقع خفيفة من الصدأ، الا أن هذا الهيكل متين، وفرشها الجلدي الأسود في حال ممتازة، ونغم محركها رائع حين يكون مزاجها صافيا. ومن حين الى آخر تفرغ بطاريتها وتحتاج الى شحن، ومن منا لا تحتاج بطاريته الى مثل ذلك؟

لكَم اندفعت حبيبتي المفعمة بالحيوية في طرق الريف المتعرجة مدندنة وهي تطوي المنعطفات، حتى اذا بلغت منبسطا شرع عادمها يقرقع. وما إن نقترب من المنزل ونتوقف في المدخل حتى نتنفس كلتانا الصعداء ونطلق زفرة ارتياح كأننا نجونا من خطر محيق.

وهي تأبى أن تعود الى السير ما لم يحضر حبيبها الميكانيكي نك فيتلمسها برفق وحنان ويهمس لها عبارات عذبة تافهة غير عابىء بي. فهو يحبها، أما هي فتثيره وتمتنع عليه. وأنا من يدفع ثمن علاقتهما المشبوبة.

شاهدتها للمرة الاولى جاثمة في فناء للسيارات



(*) MGB Mark IV

ILLUSTRATION: WILLIAM HOSNER

المستعملة، كئيبة، بائسة، كقطة صغيرة سُلخت عن أمها واحتُجزت في قفص. كلتانا كانت تجاوزت سن الشباب، وقد حفل هيكلانا بالانبعاجات. كانت هي تفتقر الى مضخة وقود، وأحزمة، وإطارات، ومرأب دافيء. فشغفت بها ولم تُجدِ معي محاولات مدير مصرف التسليف لاقناعي بالبحث عن وسيلة نقل أخرى اكثر ملاءمة ولياقة. ولكن، ماذا يعرف مديرو المصارف عن القضاء والقدر وعن الذات الثانية؟ لذا حضنتها بشغف وأخذتها معي الى منزلي.

مرت فترة قبل أن تتسنى لاحدانا معرفة الأخرى معرفة حميمة. تريثتُ لأني أردت أن تنشأ بيننا رابطة صداقة بدائية وثيقة كتلك التي تنشأ بين الخيل الاصائل وسوّاسها. أردت ألاّ يمسها أحد سواي.

وثمة أمر آخر هو أني أؤثر قيادتها حافية لكي تستجيب لأخف لمسة من أصابع قدمي. هذا ما أُسرّ به الى الجميع. أما الحقيقة فهي أني، بعدما جهّزها نك باطارات جديدة، بتُ عاجزة عن شراء حذاء.

ثم امتدّ عجزي الى ملابسي، فأحجمت عن ارتداء الثياب الأنيقة فيما أنا جالسة وراء المقود ومقبض ناقل السرعة. وقد أصاب أحد أصدقائي حين قال لي: "أنت لا تركبين هذه السيارة، أنت تلبسينها."

وبفضل نك أضفت الى قاموس مفرداتي اللغوية أسماء ميكانيكية جديدة.

لطالما ذهبت وسيارتي في رحلات مثيرة كتلك الرحلة الى الجبال حيث وجدنا أنفسنا، بعد تسلق منعطفات حادة، في قمة الجبل نتيجة خطأ في قراءة الخريطة.

لكن خطأنا تحول مغامرة فريدة نعمنا خلالها بالنسيم العليل الذي راح يعبث بشعرنا فيما حملت إلينا الريح عطر الصنوبر والشربين. ورحت أتأمل من علُ طريق الجبل المعبدة السوداء الصاعدة متلوية كأفعى. وخالجنا شيء من الفخر ونحن نرى المتنزهين في الحافلات السياحية الكبيرة يرشقوننا بنظرات الحسد وهم ينحدرون الى الوادي عبر المنعطفات الخطرة التي تسلقناها ووجوههم مشدودة متجهمة مكبّلة بالرعب.

سألني جاري البارحة ما اذا كنت حوّلت سيارتي حوضاً للنبات، فأجبته: "لا، قطعاً." والواقع أن في نيتي أن أجري لها عملية تجميل خفيفة وأن أصلح بعض أجزائها لأعيد اليها رونقاً ونفحة من شبابها الذاوي. وربما زنّرت جانبيها بخط ذهبي.

في أي حال، هي تستحق كل العناء. فلكم سُررت وأنا أقودها في شوارع المدن والقرى حين أسمع أحدهم يهتف بي: "هاي، يا سيدة، سيارتكِ عظيمة،" فأبتسم وأجيب: "شكراً، إنها حقاً كذلك."

بالمناسبة، هل ذكرت أن نك يركب دراجة هوائية؟

بيفرلي كريتون ■

Reader's Digest
المختار
يوليو (تموز) ١٩٩٢
محرَّم ١٤١٣
السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

دعامة الزواج لغة مشتركة واحترام متبادل

يتحدث الرجال والنساء بـ"لغتين" مختلفتين تؤديان بهم الى نزاعات حادة

التفتت المرأة الى زوجها وسألته: "هل ترغب في التوقف لتناول فنجان قهوة؟"

فأجابها بصدق: "لا، شكراً." ولذا لم يوقف السيارة.

النتيجة؟ انزعجت الزوجة التي كانت راغبة في التوقف وتناول فنجان قهوة، لأنها أحست أن زوجها لم يبال برغبتها. أما الزوج فاكتأب عندما لاحظ غضب زوجته. فلماذا لم تقل له بصراحة ماذا كانت تريد.

لم يلاحظ الزوج أن زوجته كانت تسعى بسؤالها الى تداول الامر معه، لا الى جواب فوري. ولم تدرك المرأة، من جهتها، أن زوجها كان يسعى الى التعبير عما يفضله، لا الى فرض رأيه. عندما يفسر رجل وامرأة حديثاً واحداً بطريقتين متضاربتين، فلا عجب في أن يجدا

انفسهما يتراشقان اتهامات غاضبة.

درستُ، بصفتي خبيرة لغويَّة، كيف تختلف طرق المحادثة بين الرجال والنساء. نحن، طبعاً، لا نستطيع تصنيف "كل الرجال" ولا "كل النساء" فئتين محددتين، فالافراد يتباينون كثيراً. لكن الابحاث تظهر أن حالات سوء التفاهم العبثية التي تنتاب علاقاتنا، يمكن تفسيرها جزئياً بموجب قواعد مختلفة يعتمدها الرجال والنساء غالباً في أحاديثهم.

كلما كتبت أو تحدثت في هذا الموضوع، أجد أناساً يخبرونني عن مدى ارتياحهم الى معرفتهم أن ما نسبوه سابقاً الى اخفاق شخصي هو، في الواقع، أمر شائع.

ان معرفة الموجات المختلفة التي اعتادها الرجال والنساء في أحاديثهم تساعدنا في طرح الملامة والتحادث بصدق.

وهذه بعض أكثر نواحي النزاع شيوعاً:

مكانة أم دعم؟ يترعرع الرجال غالباً في عالم يكون فيه التخاطب تبارياً إما لتحقيق الغلبة وإما لمنع الآخرين من التحكُّم. أما التحادث بالنسبة الى كثير من النساء فنهج يتبعنه عادة لتبادل التعاطف والدعم. وقد خَبِرتُ ذلك بنفسي عندما كنت وزوجي نعمل في مدينتين مختلفتين. كنت أسمع من الناس تعليقات مثل: "هذا أمر صعب" و"كيف تستطيعين احتمال الوضع؟" وكنت أقبل تعاطفهم.

أما زوجي فكان يردّ باستياء معتبراً أن لوضعنا حسنات كثيرة، لأن عملنا في الحقل الاكاديمي يتيح لنا قضاء عطل نهاية الاسبوع والاجازات الطويلة معاً.

كان كل ما قاله زوجي صحيحاً، لكنني لم أفهم مغزى كلامه الا بعدما فسَّر لي أن





تلك التعليقات تعني ضمناً: "زواجك ليس ناجحاً. أنا متفوق عليكَ لاني وزوجتي استطعنا تفادي سوء طالعكما." ولم يكن يخطر ببالي أن الرجال أيضاً يتقنون فن التباهي.

والآن أدرك أن زوجي كان، ببساطة، يتعامل مع العالم كما يفعل رجال كثيرون: كمكان يحاول الناس فيه اكتساب مكانة مرموقة والحفاظ عليها. أما أنا فكنت أتعامل مع العالم كما تفعل كثيرات: كشبكة علاقات يسعى الناس فيها الى نيل قبول الآخرين.

استقلالية أم علاقات حميمة؟ لما كان تفكير المرأة يتركز في أحيان كثيرة على الالفة والدعم فانها تكافح للحفاظ على علاقات حميمة. أما الرجل، المهتم أبداً بمكانته، فينزع الى التركيز على تحقيق استقلاليته. وهذه السمات قد تقود الرجل والمرأة الى رؤى مختلفة كلياً لحال واحدة.

عندما تلقّى جون مكالمة من صديق قديم في المدرسة الثانوية، دعاه الى قضاء عطلة نهاية الاسبوع في داره. وفي المساء أخبر زوجته ليندا بأمر الدعوة.

استاءت ليندا، اذ كيف يأخذ جون قراراً كهذا قبل تداوله واياها؟ فهي لا تعامله بهذه الطريقة. لذا سألته: "لماذا لم تخبر صديقك بأن عليك بحث الامر مع زوجتك؟"

أجابها جون "أأقول له انني أحتاج الى اذن من زوجتي؟"

يعتبر جون أن مراجعة زوجته تعني انتقاصاً من حريته وتجعله يشعر كطفل أو كتابع. أما ليندا فيسرُّها أن تقول لاصدقائها: "عليَّ مراجعة جون." كما يسعدها اظهار مدى ارتباط حياتها بحياة زوجها.

نصح أم تعاطف؟ خضعتْ هلن لجراحة استئصال ورم غير خبيث من ثديها. وعندما أسرَّت الى زوجها مارك أنها تحس بالاسى لان الجرح شوه استدارة نهدها، أجابها: "يمكنك اللجوء الى جراحة تجميلية."

أزعجها تعليقه فاحتجت قائلة: "يؤسفني اشمئزازك من منظري، لكنني لن أجري جراحة أخرى."

فأجابها مارك حائراً وقد حزَّ الالم في نفسه: "لكنني لا أعبأ بمنظر الجرح."

فسألته: "إذاً لماذا تطلب مني اللجوء الى جراحة تجميلية؟"

فأجابها: "لانك أنت منزعجة من منظره!"

أحست هلن أنها تصرفت بغباء. لقد كان مارك رائعاً في وقوفه الى جانبها طوال الوقت، فكيف تسمح لنفسها بأن تثور في وجهه الآن؟

نشأت المشكلة من اختلاف في الرؤية. فالشكوى من أمر ما هي، لمعظم الرجال، بمثابة تحدّ لايجاد حل. لقد ظن مارك أنه يطمئن زوجته ويريحها باقتراحه حلا لمشكلة الجرح. لكن المرأة تسعى، غالبا، الى دعم عاطفي وليس الى حلول.

اطلاع أم جرح مشاعر؟ شاهدتُ في أحد أفلام الرسوم المتحركة رجلا يفضّ صحيفة ويسأل زوجته: "هل لديك ما تقولينه قبل أن أبدأ القراءة؟" فلم تجبه زوجته لانها، كما نعلم، لم يكن لديها ما تقوله، لكنها حتما ستفكر في قول ما لحظة يبدأ زوجها القراءة.

تضحكنا هذه الرسوم المتحركة، لاننا نرى فيها اختباراتنا الشخصية. لكن ما لا يضحك هو أن نساء كثيرات يحسسن بغبن عندما لا يحادثهن أزواجهن، كما أن رجالا كثيرين يحسون باحباط عندما يلاحظون أن زوجاتهم أصبن بخيبة من دون أن يروا سببا لذلك.

أخبرتني ربيكا، وهي امرأة سعيدة في زواجها، أن ندرة حديث زوجها ستيوارت تضايقها. فهو، حين تبوح له بأفكارها يصغي بصمت، وعندما تسأله فيمَ يفكر يجيبها: "لا شيء."

اعتادت ربيكا، طوال حياتها، ترجمة مشاعرها كلاماً تقوله لاصحابها وأقاربها. فذلك، بالنسبة اليها، دليل ارتباط واهتمام. لكن ستيوارت، كمعظم الرجال، يعتبر الكلام وسيلة لنقل المعلومات. وهو اعتاد طوال حياته عدم الافصاح عن أفكاره العميقة.

مع ذلك، ينزع معظم الرجال في المناسبات الاجتماعية الى سرد قصص ونوادر للاستئثار بالاهتمام. كما يستخدمون الحديث وسيلة لجذب الانظار وللترفيه في آن. وهذا يؤدي الى جرح شعور الزوجة لان زوجها يخبر من تعتبرهم غرباء أمورا أخفاها عنها.

لتفادي هذا النوع من سوء الفهم في امكان الرجل والمرأة أن يعدّلا مواقفهما. فتحترم المرأة، مثلا، رغبة زوجها في قراءة الصحف من دون أن ترى في ذلك نبذا لها. ويتفهم الرجل رغبة زوجته في محادثته من دون أن يعتبر ذلك تدخلا في شؤونه.

اوامر أم اقتراحات؟ كثيرا ما تبدأ ديانا عباراتها بكلمة "دعنا"، كأن تقول: "دعنا نوقف السيارة هناك" أو "دعنا نغسل أيدينا قبل الغداء." وهذا يغضب زوجها نات لانه يفسر كلمة "دعنا" الاستهلالية على أنها أوامر. فهو، كمعظم الرجال، يرفض أن يملي عليه أحد ما يفعل. أما ديانا فتعتبر ذلك مجرد اقتراح، لا أمرا. وهي، كمعظم النساء، تتحاشى المواجهة وتصوغ طلباتها بشكل مقترحات وليس بشكل أوامر. وما أسلوبها هذا الا طريقة لجعل الآخرين ينفذون رغبتها ولكن بعد الحصول على موافقتهم.

هذه الطريقة تؤدي الى نتائج عكسية مع بعض الرجال، ومنهم نات. فحين يتصورون أن أحداً يجرّهم، على نحو غير مباشر، الى فعل أمر ما، يحسون أنهم موضع استغلال، وتكون ردود فعلهم عدائية أكثر مما لو كان الطلب مباشراً.

نزاع أم تسوية؟ في محاولة لتحاشي الشجار، يمتنع بعض النساء عن معارضة ارادة الآخرين علنا. ولكن هناك

حالات توجب على المرأة التمسك بموقفها على رغم احتمال نشوب نزاع.

أصيبت دورا بسلسلة خيبات سببتها السيارات المستعملة التي كانت تقودها. كانت هي التي تنتقل الى عملها في السيارة، لكن زوجها هاك كان هو الذي يختار السيارة. وكان هاك يسعى دائماً الى سيارات "مشوِّقة" من دون التأكد من صلاحها. وبعدما كادت دورا تُقتل في حادث حين خانتها كوابح السيارة، راح الزوجان يبحثان عن سيارة أخرى.

كانت دورا راغبة في شراء سيارة حديثة الطراز من احدى صديقاتها، بينما تركّز اهتمام هاك على سيارة سباق عمرها ١٥ سنة. وكانت دورا في السابق، "تنحني" أمام رغبات زوجها. لكنها، هذه المرة، اشترت سيارة في حال جيدة وان تكن "مملة" وتأهبت لمواجهة غضب هاك. ولدهشتها، لم يفه زوجها بكلمة تأنيب واحدة. وعندما أخبرته لاحقاً ما كانت تتوقعه منه، هزىء من مخاوفها قائلا ان هذا ما كان عليها فعله منذ البداية، خصوصاً أنها فعلت ما اعتقدته صوابا.

لقد اكتشفت دورا أن قليلا من المعارضة لا يقتل. وفي الوقت ذاته، يستطيع الرجال الذين اعتادوا المعارضة تعديل أساليبهم لتجنب المواجهات ما أمكن.

عندما لا نرى اختلاف الاساليب على حقيقته، نتوصل في بعض الاوقات الى استنتاجات غير محقة من نوع: "أنت غير منطقي" و"أنت اناني" و"أنت لا تهتم بي." لكننا متى أحطنا بالاختلاف القائم بين أسلوبي الرجل والمرأة، تصبح فرصنا لكبح النزاعات أفضل وأقوى. ان معرفة الطريقة التي يتبعها الفريق الآخر في الحديث هي قفزة عبر هوة الاتصال بين الرجل والمرأة، وخطوة عملاقة نحو تفاهم حقيقي.

ديبرا تانن ■

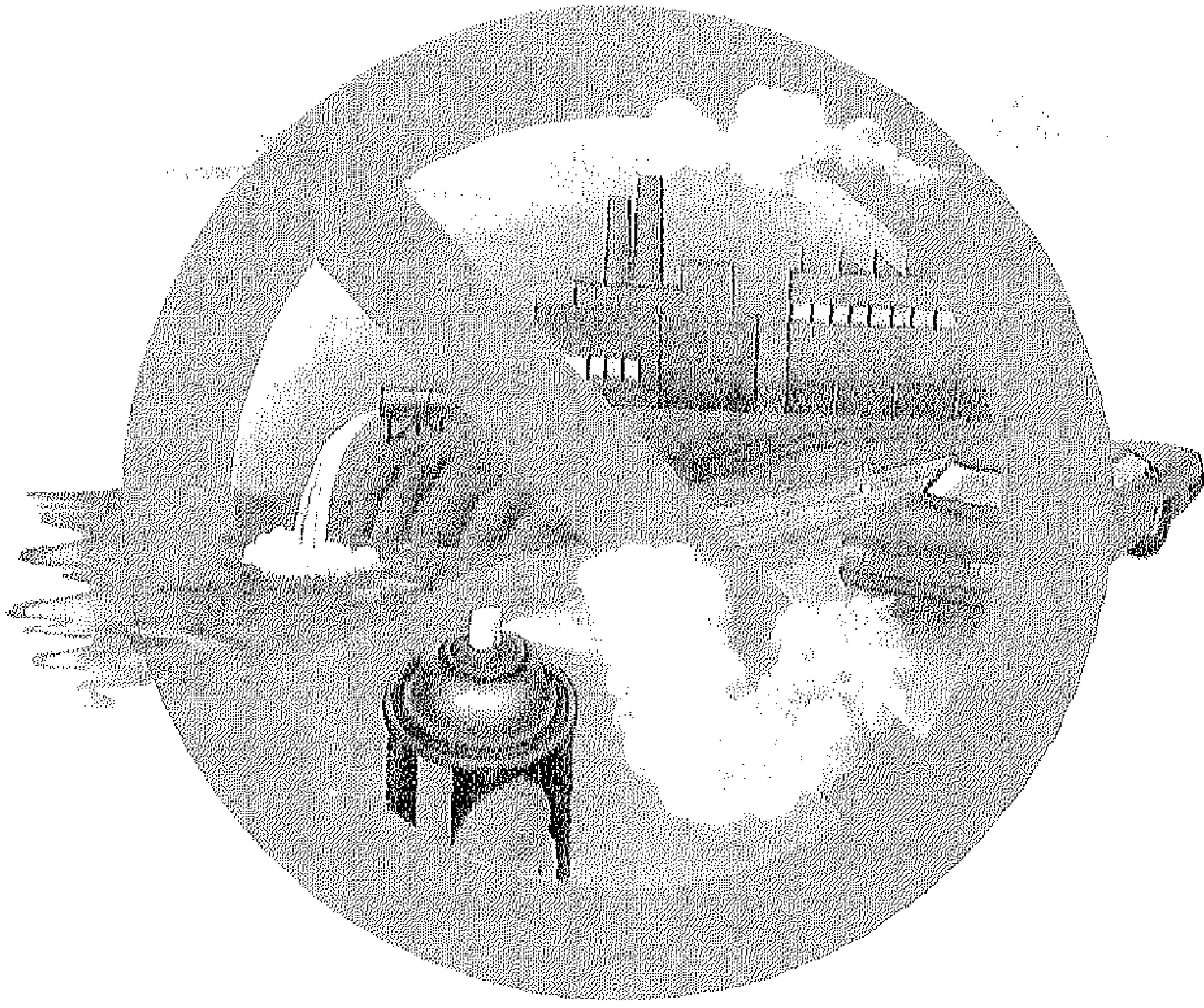


حس الفكاهة

تقول الفنانة كارول تشانينغ: "كان الصف الابتدائي الرابع نقطة تحوّل بالنسبة اليّ. فقد رُشحتُ امينة سر لمجلس الطلاب، وارتقيت المنصّة لأطلب الى التلاميذ ان يصوّتوا لي. لكنني في قرارتي لم اجد سبباً واحداً يدفعهم الى ذلك. فتفتقت لي فكرة طريفة، فعمدت الى تقليد حركات المديرة ثم حركات معلمة العلوم. وفي النهاية قلّدتُ حركات أجمل بنات صفنا."

وتضيف: "اجتاح الضحك القاعة وعمها هرج ومرج، لكنني شعرت باستحسان التلاميذ إياي وبنشوة القدرة على الاتصال بالناس عن منصة. وأدركت أننا كلّنا متشابهون، فالحركات التي لاحظتها لدى المعلمة لاحظوها هم أيضاً. والامور نفسها تضحكنا جميعاً. ومنذ ذلك اليوم عرفت تماماً الى أين انا سائرة."

غ.ب.



ثورة الخُضْر

تنادي "الجماعات الخُضْر" بعالم أكثر نظافة وأوفر صحة. وجاءت "قمة الارض" تتويجاً للجهود الرامية الى الحد من التلوث. فماذا تفعل المصانع الغربية للمساهمة في هذه الجهود؟

دأب مصنع الورق التابع لشركة "آلار" في وسط فرنسا على صب المياه الملوّثة في مجرى نهر اللوار الصغير. لكن المسؤولين عنه قرروا عام ١٩٨٧ القيام بحملة تنظيف واسعة، فاتصلوا لهذا الغرض بمؤسسة "ديغريمون" المختصة بتنقية مياه الشفة ومعالجة تلوّث المياه الصناعية. وهكذا، أنشأت هذه المؤسسة محطة خاصة بالمصنع بلغت كلفتها عشرة ملايين فرنك فرنسي (نحو ١،٨ مليون دولار). واليوم، يشاهد عدد كبير من صيادي الاسماك وهم يلقون صنانيرهم بالقرب من مصنع الورق دونما حذر، فيما أخذت مؤسسة "ديغريمون" تشهد اتّساع سوقها على نحو يعود عليها بالربح الوفير.

يقول جان كلود جاكار رئيس دائرة التسويق في المؤسسة: "في فرنسا

وحدها عشرون مصنعاً للورق يحتاج كل منها الى محطة من هذا النوع."

أما بالنسبة الى شركة "ألار" فقد كان المردود معنوياً أكثر منه مادياً. ويؤكّد رينيه لاشامبر المدير التقني للشركة أن "هذا المشروع لا يدرّ علينا أرباحاً طائلة، ولكن حسبنا أننا نعير النهر اهتماماً."

وهكذا، نرى في أنحاء أوروبا الغربية شركات مثل "ألار" و"ديغريمون" عقدت العزم وأوجدت الوسيلة الكفيلة بالحد من التخريب البيئي. ويعود ذلك جزئياً الى الضغط الذي تمارسه "الجماعات الخضر" والحكومات الوطنية والمجموعة الاوروبية التي وضعت للسوق الموحدة برنامجاً متطوراً مقروناً بمعايير جديدة صارمة لمحاربة التلوث في أنحاء القارة الاوروبية. والى ذلك، ازداد على نحو ملحوظ عدد المؤسسات الصناعية التي ترى أن حماية البيئة تؤدي الى توفير مادي وتقوي المنافسة. وفي هذا الصدد يقول جورج وينتر مؤلف كتاب "التجارة والبيئة"[١]: "لقد ولّت تلك الأيام حين كان مديرو المؤسسات يستطيعون تجاهل البيئة. في المستقبل، لن تتمكن الشركات من جني أرباح إضافية ما لم تنجح في تأمين إدارة سليمة تعنى بالبيئة."

أما السبب الرئيسي فبسيط وواضح، ذلك أن "الأخضر" رائج، إذ أظهرت استطلاعات الرأي عام ١٩٩٠ أن ٦٧ في المئة من الهولنديين و٨٢ في المئة من الالمان الغربيين يأخذون في الاعتبار تأثير السلع في البيئة لدى تسوّقهم. كما أظهرت دراسة أخرى أُجريت في العام نفسه أن نصف المستهلكين البريطانيين يختارون سلعة معينة من دون غيرها لأسباب تتعلق بحماية البيئة، وهذه النسبة هي ثلاثة أضعاف النسبة المسجّلة قبل سنتين.

من هنا، يدرك المديرون في أنحاء العالم أهمية الأمر. ففي العام ١٩٩٠ أجرى "المعهد الدولي لانماء الادارة" في سويسرا مسحاً شمل مئة مدير تنفيذي أجمع ٧٩ منهم على أنهم في صدد القيام باستثمارات ضخمة من أجل تطوير منتجات شركاتهم بحيث يصبح في الامكان تحليلها أو إتلافها بيولوجياً او إعادة تصنيعها. كذلك، نجد أن ثمة معاهد رئيسية لادارة الاعمال في أوروبا أدخلت في مناهجها مقررات تعليمية جديدة حول إدارة البيئة.

حتى خبراء الأسهم التجارية أصبحوا يعون الشؤون المتعلقة بالبيئة. فقد أظهر استطلاع أجرته "مؤسسة جايمس كابل وشركاه" للبورصة في لندن عام ١٩٩٠، ان ٣٨ في المئة من المديرين الماليين يأخذون في الاعتبار تأثير منتجات شركاتهم في البيئة عندما يضعون خططاً للاستثمار. ويقول روجر هاردمان خبير الأسهم في شركة "كابل": "إن أسهم الخُضر – أي الشركات التي تعنى بمعالجة النفايات – تقدّمت غيرها من الاسهم في سوق القطع اللندنية بنسبة ٧٠ في المئة منذ العام ١٩٨٧."

---

(١) Business and the Environment

حماية الاخضر. إن الأثر الذي خلّفه ردّ فعل المؤسسات كان ملحوظا فعلا، إذ ورد في تقرير "برنامج الأمم المتحدة للبيئة" أن المعدل العام لانتشار غاز ثاني أوكسيد الكبريت تدنى في غضون السنين العشر الأخيرة في ١٧ دولة أوروبية من أصل ٢٧، وقد انخفض بنسبة ٥٥ في المئة في أسوج (السويد) و٤١ في المئة في فرنسا. فالصناعات الكيميائية في فرنسا زادت انتاجها بنسبة ٢٥ في المئة خلال المدة ذاتها، بينما انخفض التلوث الى النصف. كذلك أدّى اعتماد الوسائل التقنية الحديثة الى خفض استهلاك المياه في مصانع الورق من ١٨٠ الى ٧٠ متراً مكعبا للطن الواحد من العجينة الورقية. وتقول جاكلين ألوازي دو لاردوريل مديرة مكتب الصناعة والبيئة في "برنامج الأمم المتحدة للبيئة": "إن معدلات إعادة التصنيع تزداد في كثير من الدول المتقدمة، فيما تنخفض نسبة استهلاك الطاقة. وبذلك تتحسّن نوعية الهواء في المدن."

لقد أخذت روح التعاون من أجل البيئة تؤثر في جميع القطاعات. فشركة "كوكا كولا" تروّج لاستعمال عُلب قابلة لاعادة التصنيع في أنحاء العالم. وفي الولايات المتحدة بالذات أبدلت مطاعم "ماكدونالد" عُلب الهمبرغر المصنوعة من مادة البوليستيرين بأخرى ورقية قابلة لاعادة التصنيع. وتوقفت الشركة الفرنسية الكبرى لمستحضرات التجميل "لوريال" عن استعمال غازات الكلوروفلوروكربون في مستحضرات ازالة العرق لأنها تتلف طبقة الأوزون، وقد بلغت تكاليف هذا المشروع مئتي مليون فرنك فرنسي (نحو ٣٦ مليون دولار) على مدى عشر سنين من الأبحاث. كما أنفق مسلخ دو كوستر في بلجيكا ٢٧ مليون فرنك بلجيكي (نحو ٩٠٠ ألف دولار) لانشاء محطة جديدة لمعالجة المياه.

ويعتمد تجار البيع بالتجزئة (القطاعي) حماية "الاخضر" أساسا في خياراتهم. ففي العام ١٩٩١ أعلمت شركة "تنغلمان" الالمانية التي تملك عدداً من المخازن الكبرى جميع مموّنيها أن عليهم التأكد من أن جميع منتجاتهم ومعلّباتهم التي تحوي مادة السلولوز هي خالية تماماً من مادة الكلورين. وفي الدانمرك عمدت شركة "إرما" التي تملك سلسلة من متاجر السوبرماركت الى ازالة جميع المواد الخطرة عن رفوفها. أما "ميغرو" كبرى شركات البيع بالتجزئة في سويسرا فطورت برنامج كمبيوتر يراقب "التوازن البيئي" بتسجيل نسبة التلوث في الهواء والماء والتربة التي تسببها عملية توضيب السلع في جميع مراحلها، من الانتاج الى الاتلاف. وحين تكون النتيجة دون المستوى المطلوب، تتوقف السوبرماركت عن بيع السلعة المعنية.

ومنذ ١٩٨٨، بدأت شركتان بريطانيتان تملكان سلسلة من السوبرماركت وهما "تيسكو" و"سينزبوري" التنافس في تسويق

منتجات "تحمي الاخضرار." فوصفت تيسكو نفسها بـ"المخزن الأكثر خضرة." وتبنّت سينزبوري شعار "المخزن الأكثر خضرة على الاطلاق،" ثم أطلقت تشكيلة من المستحضرات المنزلية تحت شعار "حماية الأخضر" وبينها مساحيق تنظيف تحوي مواد نباتية بدلا من المواد الكيميائية. ويقول مايك ساموبل من شركة سينزبوري: "إن الاهتمام البيئي بُعد آخر أُضيف الى قطاع العمل."

كما أن بعض الصناعات الاوروبية التي اعتبرت في ما مضى أعداء للبيئة بدأت تظهر اليوم بمظهر المواطن الأشدّ حرصاً على حماية "الأخضر." ففي العام ١٩٩١ عمدت كبرى شركات الصناعة الكيميائية في ألمانيا، وبينها "هوكست" و"باير" و"هانكل" و"باسف"، الى توظيف أكثر من ملياري مارك (نحو ١،٢ مليار دولار) لحماية البيئة. وكانت "سيبا جيجي"، كبرى الشركات الكيميائية في سويسرا، عمدت في السنة السابقة الى رفع موازنة مكافحة التلوث لديها الى ١،٣ مليار فرنك سويسري (نحو ٩٠٠ مليون دولار). وقد صُرف جزء من هذا المبلغ على مشروع فريد عبر الحدود هو محطة لمعالجة النفايات في مصنع لشركة "سيبا جيجي" على نهر الراين في غرنزاك بألمانيا. وتتولى هذه المحطة معالجة النفايات السائلة المستخرجة ليس فقط من الوحدة الصناعية العاملة في غرنزاك وانما أيضاً من وحدتين للشركة عاملتين على الضفة المقابلة لنهر الراين في سويسرا. في المقابل، تُرسل غرنزاك نفاياتها الصلبة والمحلولات الملوّثة الى المحطتين في سويسرا حيث يتمّ تحويلها رماداً. يقول ورنر روتفايلر مدير "وحدة التعاون في سبيل الامان والبيئة": "يجب على الشركات الكبيرة مثل سيبا جيجي أن تعبّد الطريق لحلول دولية كهذه لمشكلات البيئة."

مصممة للتفكيك! تأتي طمأنة الجمهور في رأس سلم الاولويات. وقد عمد هانس رودولف هيتز رئيس مختبر حماية البيئة في محطة "سيبا" الكيميائية في بال بسويسرا، الى توزيع ما سمّاه "أكياس النتانة." فعندما يشمّ المواطنون رائحة كريهة في الهواء، يملأون الأكياس البلاستيكية ويحضرونها الى محطة "سيبا" للاختبار. ويقول هيتز: "لقد جمع الناس كثيراً من الروائح الغريبة. وحين كان يتبين لنا أنها تنبعث من مصانعنا، كنا نعمد الى إزالة السبب أو، عند الضرورة، الى وقف الانتاج."

وتعلمت مصانع السيارات الدروس ذاتها، إذ تُعتبر السيارات مسؤولة عن ٤٢ في المئة من غازات أوكسيد النيتروجين التي تنتشر في أجواء القارة الاوروبية، اضافة الى الهيدروكربونات الوسخة وأول أوكسيد الكربون. وعملا بتوجيهات المجموعة الاوروبية، يجب أن تكون كل السيارات الجديدة، بدءاً من صيف

١٩٩٢، مجهّزة تقنياً بمحوّلات تخفض مستوى هذه المواد الملوِّثة. وفي انتظار ذلك، تمكّنت شركة "فولكسفاغن" من تطوير محرّك ديزل جديد من طراز "توربو" يستهلك كمية من الوقود أقل بنسبة ٣٠ في المئة من المحركات التقليدية وتنبعث منه كمية من غاز أول أوكسيد الكربون أقل ٢٠ في المئة من تلك. ويقول المتحدث باسم الشركة ديتمار فريتشه: "إن محركات الديزل هي أكثر نظافة وأقل كلفة من تلك التي تسيَّر بالوقود العادي (الغازولين)."

وتُعتبر شركتا "فولكسفاغن" و"ب.م.ف." رائدتين من حيث استخدامهما تقنيات بالغة التطور في اعادة تصنيع سياراتهما مما ألغى الحاجة الى "مقابر" السيارات القديمة. فقد أنشئت محطة اختبارية في منطقة لير حيث تستعاد أجزاء من البلاستيك والزجاج، وحتى الطلاء، من بعض نماذج سيارات "فولكسفاغن." وقررت الشركة أن تفتتح في أواخر ١٩٩٢ معملا للطلاء لا تُستخدم فيه المحلولات الكيميائية أبداً بل تبدل بطلاءات يعتمد في تركيبها الماء.

ويهدف برنامج "التصميم للتفكيك" لدى شركة "ب.م.ف." الى تبسيط الاجزاء والمواد بحيث يمكن تفكيك السيارات وإعادة استعمالها. وهكذا يمكن فصل هيكل الطراز «Z1» ذي المقعدين والمصنوع كلياً من البلاستيك عن الهيكل المعدني في مدة تراوح بين ٢٠ و٣٠ دقيقة.

ولكن يبدو أن بعض الشركات تجعل من موضوع الاهتمام بالبيئة وسيلة لبيع منتجاتها لا لتغييرها، إذ يقول بيتر لانغ متذمّراً، وهو أحد مؤسسي "شركة المسح البيئي" في بريطانيا: "تروِّج بعض الشركات أن منتجاتها مؤاتية للبيئة، بينما هي ليست كذلك." وفي غياب القوانين الموحَّدة للتأكد من صلاح المنتجات، يدعم لانغ الاقتراح الذي تقدّمت به المجموعة الاوروبية عام ١٩٩١ والقاضي باستخدام ملصق خاص بحماية "الأخضر" يكون شكله مشابها لذاك المعتمد في المانيا، بحيث لا يُسمح للشركات بوضع هذا الرمز على منتجاتها الّا بعد فحصها لدى "الوكالة البيئية الاتحادية."

التكنولوجيا النظيفة. قد تكون الجهود التي تُبذل من أجل حماية البيئة مكلفة في بادىء الأمر، ولكن ثُبت أن عدداً كبيراً من تدابير الحد من التلوّث أدى فعلا الى خفض كلفة الانتاج. ففي أسوج، مثلا، عمدت شركة لتركيب المصابيح الكهربائية عام ١٩٨٩ الى إبدال دهاناتها المحتوية على محاليل سامة بأخرى في شكل مسحوق غير سام، فوفّرت ٢،٣ مليون كورون (نحو ٤٠٠ ألف دولار) وألغت بالتالي مئتي طن سنوياً من المحلول السام الذي كان يلوّث الهواء. كما خفضت "شركة البرق والهاتف الامريكية" المصاريف السنوية بمقدار ستة ملايين دولار بالتوقف عن انتاج

شبكات تحتوي على غازات الكلوروفلوروكربون الضارّة بطبقة الاوزون في مصانعها في الولايات المتحدة وسنغافورة. ويقول جون ستويفورد الاستاذ في كلية لندن لادارة الأعمال: "غالباً ما تؤدي الاستثمارات الهادفة الى حماية البيئة الى تحقيق أرباح كبرى."

من جهة أخرى، أصبحت تدابير التوفير وتنقية البيئة تجارة قائمة بذاتها. فقد نشأ في أرجاء القارة الاوروبية جيل جديد من "متعهدي حماية البيئة." ففي العام ١٩٩٠ أسس فال أولداكر وبيتر لانغ، وهما من "الحزب الأخضر" في بريطانيا، مؤسسة "الاستطلاع البيئي" التي تزوّد الشركات نصائح حول طرق تفادي انتاج المواد الملوّثة. قبل ثلاث سنوات كان في بريطانيا نحو ٨٠ مستشاراً لشؤون البيئة، أما اليوم فهناك نحو ٥٠٠. ويقول أولداكر شارحاً الامر: "ترغب الشركات في تعزيز حمايتها للبيئة، لكنها غالبا تجهل الوسائل. لذلك نطلعها نحن على ما ينبغي فعله."

لقد تمكّنت شركات أوروبية عدة من الاستمرار في عملها لأن منتجاتها تكفل حماية البيئة. ففي الدانمرك، مثلاً، استطاعت شركة "فالد هنريكسن" لآلات النسيج أن تتفوّق على شركة آسيوية منافسة اذ تمكّنت من صنع آلة للصباغ تقلّل كثيراً من كمية المياه الملوّثة التي تنساب من مصانع النسيج.

وفي أنحاء أوروبا، يسعى المتعهدون الى استنباط طرق جديدة للحد من التلوّث. ففي العام ١٩٨٨، بعد عشر سنين من الأبحاث التي كلّفت ثلاثين مليار لير (نحو ٢٦ مليون دولار) توصلت شركة "مونتيديسون" الكيميائية في إيطاليا الى إبدال مادة الأسبستوس الخطرة التي تُستخدم لتدعيم الاسمنت في البناء. فقد تمكّن علماء "مونتيديسون" من إنتاج شبكة من ألياف البوليبروبيلين أطلق عليها اسم "ريتيفلكس" تؤمّن لمواد البناء قوة مماثلة لتلك التي تؤمنها مادة الأسبستوس، لكنها لا تحتوي على ألياف خطرة.

وتأمل الشركة أن يبلغ حجم مبيعاتها عشرة مليارات لير (نحو ٩ ملايين دولار) في السنة. ويقرّ رافاييلو تومانيلي المدير العام في الشركة: "كان اهتمام رجال الاعمال الايطاليين بالبيئة ضئيلا جداً، أما الآن فنحن نستثمر أموالنا في التكنولوجيا النظيفة."

وفي بلجيكا، تمكن مهندسو شركة "تريكو لانظمة الطاقة" من تصميم مجموعة من الطواحين الهوائية السهلة التشغيل والصيانة، بيعت في بضع عشرة دولة نامية في أنحاء العالم. وتبلغ كلفة طاحونة "توربووييند" ٦٤٠ الف فرنك بلجيكي (نحو ١٩ ألف دولار) فقط، وتولّد عشرة كيلوواط من الكهرباء خالية من التلوّث. ويقول فيكتور دي فاغتر منسّق فرع الطاقة المتجددة في "تريكو": "نتوقع لطواحين الهواء - وأفعلها ينتج نحو ٣٠٠٠ كيلوواط في الساعة - أن

تلبي عشرة في المئة من حاجات أوروبا الكهربائية بحلول السنة ٢٠٣٠."

ورد في تقرير "برنامج الامم المتحدة للبيئة" أن الادوات المنزلية والتجارية تستهلك ثلث الطاقة في العالم، وهي مسؤولة عن ١٦ في المئة من كميات غاز ثاني أوكسيد الكربون التي هي من صنع الانسان. وفي سبيل التخفيف من هذين الواقعين عمدت مجموعة "كراتير" التي تضم مهندسين معماريين ومدنيين وباحثين من كلية هندسة العمارة في غرينوبل بفرنسا، الى إحياء بناء الجدران الترابية. وتُبنى هذه الجدران من دون أن ينتج منها أي تلوّث. وهي تؤمّن عزلا جيداً مما يعني توفيراً هائلا في استخدام الطاقة، وفي ذلك تفوق واضح على الجدران التقليدية الصلبة. ففي بلدة ليل دابو التي تبعد سبعين كيلومتراً من شمال شرق غرينوبل تمّ بناء ٦٣ منزلا باستعمال التراب ومداميك التراب المضغوط وخليط من التراب والقش. وقد نافست، بتكاليفها المنخفضة، أبنية الصلب، مما حدا أوبير غيبيو مدير مجموعة "كراتير" على القول: "أحياناً تأتي فُضلى أفكارنا للمستقبل من الماضي."

الى فترة غير بعيدة، كان اللوم كله يقع على أرباب العمل لجنيهم الارباح من طريق التلويث.

أما اليوم، فالكسب المادي لم يعد يتعارض وهدف التوصل الى عالم أنظف. ويقول جون إلكينغتون أحد مؤلفي كتاب "دليل المستهلك الاخضر"[٢]: "يتنامى اعتبار المشاريع جزءاً من الحل." فنحن جميعا نرغب في عالم أكثر نظافة وأوفر صحة. وها إن مزيداً من المؤسسات يساهم في معركة الخُضْر على التلوث.

وليم إشيكسون ■

(٢) Green Consumer Guide



ضمير الكاتب

يُروى أن نادين غورديمر الفائزة بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٩١ نشرت قصتها القصيرة الاولى "غُد غداً" حين كانت في الخامسة عشرة من عمرها. وكانت متأثرة بالاجحاف الفاضح والتمييز العنصري اللاحقين بالسود في جنوب افريقيا.

وتقول الأديبة التي تبلغ اليوم الثامنة والستين من العمر: "لم ألقَ أينما ذهبتُ رحمةً للسود. حتى صفوف الرقص كان ممنوعاً عليهم ارتيادها. وقد أثّر ذلك فيَّ كثيراً وبدأت أتساءل عن السبب."

لمست غورديمر في بيتها موقفين متناقضين حيال وضع السود: لامبالاة وشفقة. فوالدها ينتمي الى طبقة المهاجرين الفقراء الذين سرَّهم أن يروا ثمّة أحداً أدنى منهم مرتبة في السلّم الاجتماعي. أمّا والدتها فكان يقلقها وضع السود، لكنها قامت بكثير من الاعمال الخيريّة لأجلهم.

وتقول الأديبة إن الكتابة صارت رد فعلها الطبيعي على مواجهة المشاكل والفوضى.

إ.ف.

عصر ما بعد الشيوعية

١. حماية الديموقراطية في روسيا

طوال أكثر من أربعة عقود، سيطر على سياسات الغرب الخارجية هاجس اتحاد سوفييتي قوي وتوسعي النزعة، فكان احتواء أطماعه التوسعية الهدف المركزي والنشاط الاهم لادارة الولايات المتحدة منذ عهد هاري ترومان مروراً بعهد رونالد ريغان.

وفجأة تغيَّر الوضع، سلمياً، بسرعة، وعلى نحو رائع. فاستعادت شعوب أوروبا الشرقية، ومن بعدها شعوب الاتحاد السوفييتي السابق، السيطرة على مقدراتها القومية، فيما وقفت القوات السوفييتية المسلَّحة موقف المتفرج. وبدلاً من مماحكات لا تنتهي حول خطوات صغيرة تدريجية، طار بوريس يلتسين الى نيويورك وواشنطن وباريس وبون معلناً قيام روسيا حليفة وصديقة، عارضاً التعاون، طالباً المعونة، قائداً لثورة ديموقراطية حقيقية.

لكن الحكومات الغربية لم تتحرك بسرعة ولا بسخاء كما كان يجدر بها لوضع ترتيبات دولية تدعم الديموقراطيات الجديدة. وقاومت المجموعة الاوروبية مساعي بولونيا والمجر (هنغاريا) وتشيكوسلوفاكيا لترسيخ تعاون اقتصادي وسياسي أوثق، كما عارضت الولايات المتحدة فتح باب عضوية حلف شمال الاطلسي أو توسيع نطاق ضماناتها الأمنية لتشمل دول أوروبا الشرقية التي تحولت الى الديموقراطية.

لا يكفي أن تخفض الولايات المتحدة ودول الغرب قواتها المسلحة أو أن تجري خفضاً ملحوظاً في ترسانة الاسلحة وفي الموازنات الدفاعية أو أن تساعد في تفكيك الترسانة النووية التي كانت للاتحاد السوفييتي السابق. فالمبادرة المهمة والملحَّة هي فتح أبواب المؤسسات الغربية أمام روسيا

والديموقراطيات الجديدة الأخرى. أما اذا كانت المجموعة الاوروبية غير راغبة في فتح أسواقها أمام المنتجات الشرقية، واذا تعذر اجراء ترتيبات أمنية من خلال حلف شمال الاطلسي، فسيكون من الضروري توسيع هذه الأطر وتجديدها.

ويجب أن تكون حماية الديموقراطية في روسيا الهدف المركزي للسياسة الخارجية الغربية وأولى أولوياتها. إن دعم مؤسسات الحرية في أوروبا الشرقية هو اليوم مهم مثلما كانت حماية الديموقراطيات في أوروبا الغربية مهمة عام ١٩٤٧. ولكن، على رغم المساعدات التي وُعد بها في ابريل (نيسان) الماضي والبالغ مجموعها ٢٤ مليار دولار، لم نشهد أي رد فعل غربي تمكن مقارنته بـ"مبدأ ترومان" أو بحلف شمال الاطلسي أو بالسوق المشتركة.

المشكلة دقيقة، لأن شمولية الانهيار السوفييتي لا سابقة لها في التاريخ. ولكن ثمة سوء فهم واسع النطاق لحجم هذه المشكلة وطبيعتها. لقد تحدث المحلّلون الغربيون طويلاً عن نموذج سوفييتي للتنمية، وبالغت وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية في تقدير قوة الاقتصاد السوفييتي، أما الحقيقة القائمة فكانت مختلفة جداً: فقراً يعمّ أوساط الشعب باستثناء قلة من قمة النخبة، وظروفاً معيشية بدائية، وخدمات طبية غير وافية، هي كلها نتيجة عقود من إهمال حاجات الناس لمصلحة الصناعة العسكرية.

واليوم يكتب بعض "الخبراء" تحليلات تُظهر كأن المتاجر الفارغة من السلع وأسواق اللحم الخالية من اللحم والمستشفيات المفتقرة الى المضادات الحيوية والابر المعقمة، هي وليدة سياسة بوريس يلتسين الاقتصادية وصعوبات التحول عن الاشتراكية. والواقع أن هذه المصاعب هي النتائج الحتمية لأداء المؤسسات الاشتراكية الجاري تفكيكها.

إنني لا أشك في أن دول الاتحاد السوفييتي السابق وأوروبا الشرقية ستجد طريقها الى نمو وازدهار اقتصاديين اذا ما أُتيح لها الوقت والحرية. لكن السؤال هو: كم من الوقت والحرية سيتسنَّيان لهذه الدول قبل أن يوقف الفاشستيون الذين لم يعودوا يطيقون انتظاراً مسيرة التجربة الديموقراطية؟

يبقى هذا السؤال ملحاً بالنسبة الى روسيا خصوصاً، التي تبقى – ولا يجوز أن ننسى ذلك – قوة عسكرية عظمى.

ليس في مقدور أي حاكم فاشستي أن يعيد حجم الدولة السوفييتية وقوتها. إلاّ أن قيام روسيا توسعية قد يهدد استقلال الجمهوريات الجديدة ويقوض آمالها بالسلام، كما أن اعادة الديكتاتورية الى روسيا يمكن أن تحرم الشعب الروسي حكمه الذاتي ثانية وتحدّ من زخم فكرة الديموقراطية وانتشارها.

ربما تكون العواصم الغربية أبدت اهتماما زائداً ببقاء ميخائيل غورباتشيف في السلطة، حتى بعدما بدا التحول

الديموقراطي محتوماً. لكن الأمر الأكيد هو أن هذه العواصم لا تبدي اهتماماً كبيراً بمصير أول رئيس منتخب في روسيا. الا أن بوريس يلتسين أثبت أنه زعيم ديموقراطي حاذق وملتزم مبادىء مجتمع حر واقتصاد حر، وأهم من كل ذلك، صداقة مع الغرب.

لقد أظهر، بقراراته وأفعاله، رغبته في السلام والحرية. والآن حان دور الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان لتظهر رغبتها في إفساح مجال داخل تنظيماتها وأسواقها للديموقراطيات الجديدة والأنظمة الاقتصادية الناشئة. فمن الضروري أن يثبت الغرب قدرة فائقة على الاستجابة للفرص الرائعة مثلما أثبت في الماضي قدرته على جبه التهديدات.

جين كيركباتريك ■

شغلت الكاتبة منصب المندوب الدائم للولايات المتحدة في منظمة الامم المتحدة بين ١٩٨١ و١٩٨٥.

٢. فتح آفاق أوروبية جديدة

تخيّل أنك في أمريكا قبل قرن ونصف قرن، في العام ١٨٤٢. في ذلك الوقت كان حوالى ثلث الارض التي نسمّيها الولايات المتحدة انتظم في إطار دولة. فجأة ينفتح الباب أمام الثلثين الآخرين.

سيصل أول قطار للمهاجرين الى أوريغون في العام المقبل، قبيل وصول الدفعة الكبيرة الاولى الى كاليفورنيا بعد سنة. وسوف يستوعب الاتحاد أراضي تكساس بعد ثلاث سنوات. وبعد العربات تأتي القطارات، وقريبا يبدأ مسح أول خط حديد عبر القارة. وما بدأ قطرة استحال طوفاناً.

واليوم، يواجه الثلث الاوروبي الذي انتظم في اطار المجموعة الاوروبية احتمالا مفاجئاً كهذا. فقد شُرّع الباب على المدى الاوروبي الاوسع في الشرق، لأن صاحب المفتاح الذي أبقى الباب مغلقاً الى الآن سقط. إنها أيام الرواد بالنسبة الى أوروبا... اذا شاء الاوروبيون ذلك.

من المؤكد أن الآفاق الاوروبية الجديدة لن تكون مفتوحة لموجات من المستوطنين ورعاة البقر والمزارعين الذين يحلّون لاستلاب الأرض. فالأوروبيون المتوقع ذهابهم الى الشرق هم مصرفيون واداريون وتقنيون ووكلاء تجاريون يعملون بموجب عقود، وسوف يعود معظمهم الى بلدانهم حالما ينهون الأعمال التي تعاقدوا لانجازها. لن يكونوا مستعمرين، لانهم لن يخلّفوا مستعمرات وراءهم. والواقع أن فتح باب الشرق هو فرصة سانحة للعالم الغربي كي ينشر أفكاره التي كسبت الحرب الباردة في مناطق جديدة واسعة. ومن هذه الافكار: نظام سياسة يجعل الحاكم رهن ارادة

المحكوم، ونظام اقتصاد يعطي على رغم عيوبه نتائج أفضل من أي نظام بديل معروف.

ان الاتجاه الحالي السائد في أوساط بيروقراطيي المجموعة الاوروبية هو أن المحادثات في شأن الانضمام الى المجموعة، حتى بالنسبة الى الدول الثلاث المفضّلة في العالم الشيوعي السابق وهي بولونيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا، لا يمكن أن تبدأ قبل أربع سنوات أو خمس.

فماذا يحصل في أثناء ذلك؟

لقد وعدت المجموعة الاوروبية حديثاً بأن تستورد مزيداً من منتجات الدول الثلاث المفضّلة. غير أن هذا الكرم المشروط لا يشمل، ويا للأسف، المواد الغذائية التي تحسن هذه الدول تصديرها أكثر من أي شيء آخر. فالمجموعة ستسمح فقط لقطرات اضافية قليلة من المنتجات الزراعية بالتسرب من هذه الدول الى أسواقها على مدى السنوات الخمس المقبلة.

إن تغيير وجه الثلثين الشرقيين من أوروبا يتطلب استجابة أكثر فاعلية مما نشهده الآن، ومن الضروري أن تحترم هذه الاستجابة الواقع الاقتصادي. فلن يجدي، مثلاً، انشاء صندوق لدعم استقرار عملة شيوعية سابقة ما لم تتمكن الحكومة التي تدير تلك العملة من إحكام سيطرتها على مصادرها المالية، لأن التضخم الناجم عن فلتان هذه السيطرة سيمتصّ إمكانات الصندوق فتبقى العملة غير مستقرة، ويكون ذلك كله هدراً للجهود ولأموال المتبرعين الاصدقاء.

وعلى الأوروبيين ألّا ينسوا احتمال بقاء بعض الحكام الطغاة في آسيا وافريقيا خلال السنوات القليلة المقبلة، مما يتطلب من أوروبا إرصاد مال كاف للدفاع عن النفس، بما في ذلك خطط دفاعية تؤمنها سياسات مساعدات حكيمة لمناطق من العالم قد تتعرض، في غياب هذه المساعدات، لخطر الانزلاق في أنظمة ديكتاتورية.

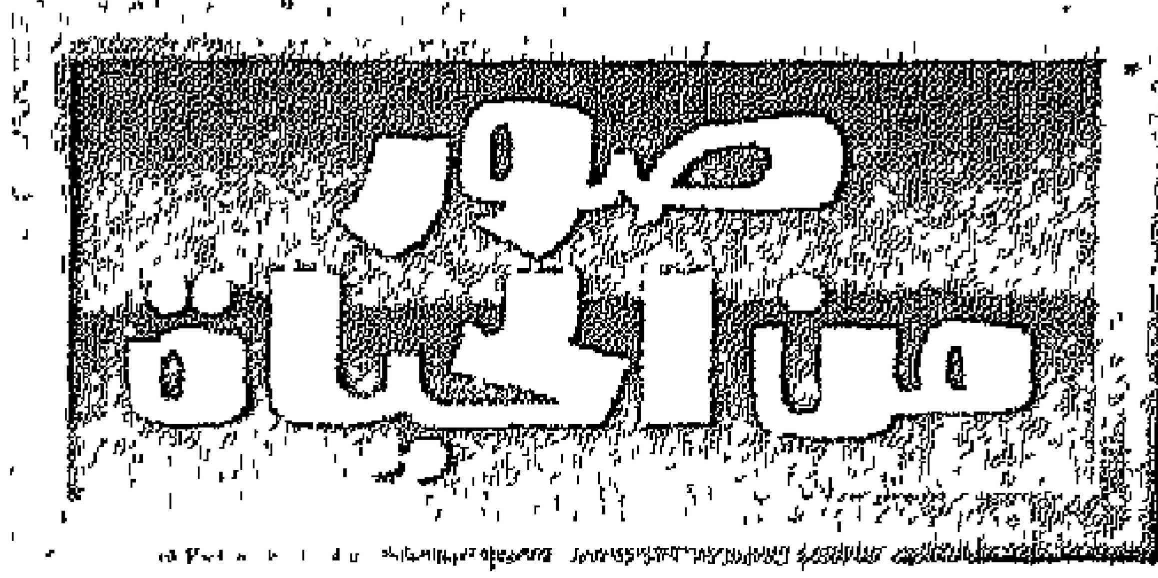
سوف تتلقى المحفظة الاوروبية دعوات للانفاق من خارج أوروبا.

لذلك لا يمكن أن تتولى أوروبا وحدها فتح الآفاق الاوروبية الجديدة. فالمساعدة في اقامة اقتصادات الاسواق الحرة داخل الثلثين الشرقيين من أوروبا تستلزم تعبئة موارد هائلة مادية وفكرية، وهذه مهمة لن تتمكن أوروبا من القيام بها من دون تعاون الولايات المتحدة.

لكن المبادرة الأولى يجب أن تصدر عن أبناء الطرف الغربي من أوروبا. فلا بدّ لهم من فتح بصيرتهم الناعسة ليتصوروا ما يمكن أن تكونه أوروبا بعد جيل أو جيلين: مكاناً يصل فيه الازدهار الديموقراطي الى أعمق أعماق سيبيريا. واذا كانت التعددية نجحت في التمدد غرباً في أمريكا، فهي قادرة على التمدد شرقاً في أوروبا.

بريان بريدام ■

الكاتب محرر مساعد في مجلة "ذي ايكونومست" الاسبوعية البريطانية



أم متفرغة

■ لم يكن سهلاً عليّ أن أوفق بين واجباتي المنزلية والزوجية وتربية اولادي الاربعة وعملي التطوعي الذي يستنفد وقتي. واذا بي افاجأ ذات يوم بمدير مدرسة ابنتي يتصل بي ليعرض عليّ مقعداً في لجنة الأهل. فلم أستطع رفض هذا المنصب الذي يؤهلني لخدمة التلاميذ.

وحين عادت ابنتي من المدرسة بادرتني: "أمي، هل عيّنكِ المدير في لجنة الأهل؟" سألتها كيف عرفت بالموضوع فأجابت: "لقد دخل المدير علينا وسألنا مَنْ من امهاتنا تعمل. وكنت الوحيدة التي رفعت يدها."

ج.س.

لغة الازواج

■ عثرتُ بعد لأي على بقعة خالية أوقف فيها سيارتي أمام مركز تجاري كبير. واذ توجهت الى هناك رأيتُ سيارة أخرى مقبلة على مهل. ولما كانت أقرب مني الى المكان فقد نظرتُ الى سائقها نظرة تعني: "هل تريد أن توقف سيارتك هنا؟" فجاءني ردّه صعباً جداً، اذ هزّ رأسه نافياً، ثم أشار اليّ، فالى البقعة الخالية، فالى نفسه، فالى ساعته، فالى المخزن. وفي الختام عبس ورفع يديه الى السماء وهزّ كتفيه.

أوقفتُ سيارتي في البقعة ثم مضيتُ الى الرجل لأتاكد من انه غير راغب في الموقف. فقال لي: "لا بدّ انك أعزب. فلو كنتَ متزوجاً لفهمت الاشارات العالمية التي تخاطب بها سائقاً بمعنى: اذهب واوقف سيّارتك فانا أنتظر زوجتي."

ج.ل.

مكالمة غريبة

■ رن جرس الهاتف، فرفعتُ السماعة، واذا برجل لا أعرفه يبدأ الحديث الي بحماسة منقطعة النظير وكأنني صديق قديم. أوضحتُ له أن الرقم الذي طلبه خطأ، فاعتذر بنبرة خائبة. لكنّه أضاف بصوت يخالطه بعض رجاء: "على كل حال، أتودّ أن تعرف ما حدث معي؟"

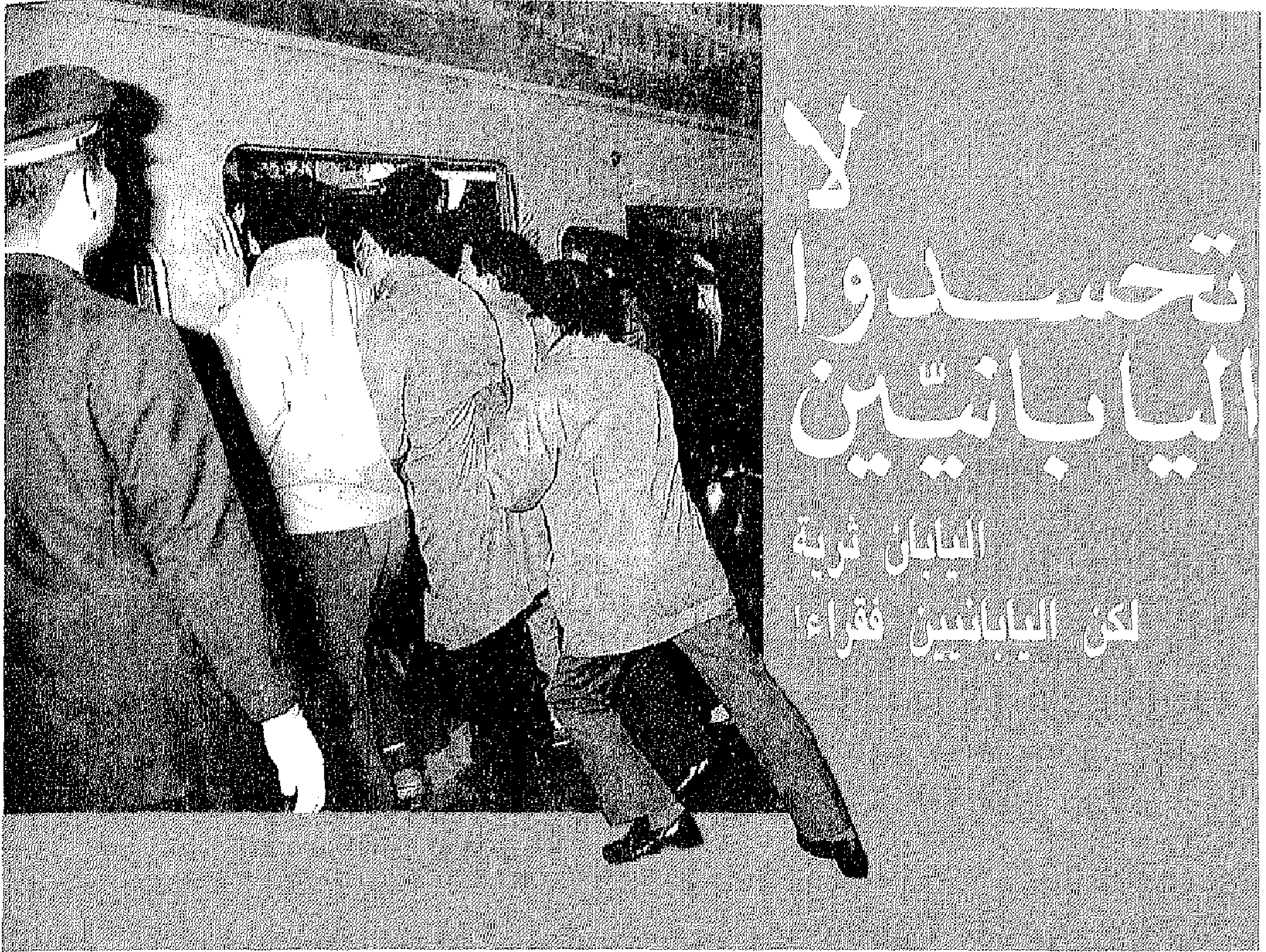
د.د.

الرياضة النسائية

■ أهدت الي زوجتي قسيمة اشتراك في ناد رياضي. فشكرتُها وسألتها عما اذا كانت هي أيضاً تود الانتساب الى ناد لتحسين لياقتها البدنيّة.

اجابت: "أنت تمزح. لن ادخل اي نادٍ قبل أن أخسر خمسة كيلوغرامات من وزني."

م.غ.



تسير القطارات في اليابان في مواعيد محددة. وتمتاز شبكة المترو[1] بالدقة والامان. وتزدان البلاد بطرق نظيفة وتتصدر العالم في مجالات التكنولوجيا وصناعة السيارات والآلات الالكترونية التي تعتبر من عجائب العالم الحديث. وتمتلك الشركات اليابانية حصصاً وافرة من مركز "روكفلر" ودار "تيفاني" للمجوهرات في نيويورك، فضلاً عن ٤٥ في المئة من العقارات الفخمة في المنطقة المالية من الوسط التجاري في لوس انجلس.

لقد صنع اليابانيون معجزة اقتصادية. وتلك كانت الناحية المشرقة من المعجزة اليابانية. ولكن على رغم أن الدخل الفردي الياباني هو من أعلى الدخول في العالم، فان اليابانيين يشعرون بالاحباط والخيبة من معيشتهم التي لم يطرأ عليها أي تحسين. فالشقق السكنية ضيقة وباهظة الثمن. والتنقلات اليومية طويلة وشاقة. والأيام تتعاقب مملة ومضنية ضمن جدران مكاتب كئيبة. وقد أطلقت الحكومة اليابانية على هذا الوضع تسمية "مفارقة الازدهار": يابان ثرية ويابانيون فقراء.

ومن شأن الوضع المعيشي إحباط عزائم كثيرين. فالزوجان مياكاوا، مثلاً، يعيشان في غرب طوكيو في منطقة تسكنها غالبية من الطبقة الوسطى.

(١) المترو شبكة قطارات نفقية تحت مدينة ما.

ويكسبان معاً نحو ستة ملايين ين سنوياً (نحو ٤٦ ألف دولار). أما شقتهما فتبعد مسافة ٧٥ دقيقة في السيارة عن وسط طوكيو، وتتألف من مطبخ خصصت فيه زاوية للأكل، وغرفة نوم ومكتب وحمام. ويبلغ عرض كل من غرفة النوم والمكتب مترين ونصف متر فقط. وتبلغ المساحة الاجمالية للشقة حوالى ٤٢ متراً مربعاً. ويهزأ اليابانيون من منازلهم ويسمونها "أقفاص الأرانب."

يدفع آل مياكاوا مئة ألف ين (٧٧٥ دولاراً) في الشهر بدل ايجار، الى ١١٥ دولاراً لايقاف سيارتهما - التي يملكانها منذ ست سنوات - أمام المبنى. كما يدفعان ١١٣ دولاراً في الشهر بدل خدمات، فضلاً عن "مقدَّم" ايجار لأربعة أشهر دفعاه ضماناً على أن يسترجعا نصف قيمته فقط عندما ينتقلان الى شقة أخرى.

وهذه الشقق قد لا تتضمن سخانة ماء وغسالة ومجففة وبراداً وفرناً ومكيف هواء وتدفئة مركزية (لذا يستعمل آل مياكاوا في الشتاء سخانات تدفيء قسماً من الشقة). ومع ذلك يصنف الوكلاء العقاريون شققاً كهذه في خانة "القصور."

ولا يتوقع آل مياكاوا أن يمتلكا منزلاً في يوم من الأيام، وهذا حلم يراود كل ياباني. ويبلغ متوسط ثمن شقة مساحتها ٧٥ متراً مربعاً في طوكيو نحو ٤٤٠ ألف دولار. وأظهرت دراسة أجراها مصرف اليابان عام ١٩٧٨ أن ٣٢ في المئة من المواطنين صرحوا بأنهم يدخرون مالاً لشراء منازل. وقد انخفض هذا الرقم الى ١٩ في المئة عام ١٩٨٨.

لكن الاذلال الاعظم الذي يتلقاه اليابانيون في حياتهم اليومية هو التنقل. اذ تكتظ القطارات خلال ساعات الزحمة وتستوعب نحو ٢٥٠ في المئة من طاقتها، حتى ليخيل الى ركابها أنهم معلقون وسط الحشود وأقدامهم لا تطأ الارض. وقطارات المترو ليست أفضل حالاً، إذ يعمد موظفون معاونون فيها الى "كبس" الركاب الى الداخل ليتمكنوا من إقفال الأبواب. ويشتكي الركاب من أنهم يعانون جسدياً ونفسياً خلال تجاربهم اليومية، ويصلون الى مراكز عملهم منهكين. (هناك شراب صحي رائج في أوساط العمال في طوكيو يدعى "الاسترداد" ويحتوي على كافيين وأحد مشتقات النيكوتين والفيتامين ب ١.)

وبين ذهاب واياب يقاسي اليابانيون الأمرين خلال يوم عمل هو من أطول أيام العمل في البلدان المتقدمة. قد يصل موظفو المكاتب في الثامنة والنصف صباحاً ويمضون نهارهم الى طاولاتهم حتى الثامنة مساءً، أو أكثر. والاختلاطات الاجتماعية بين الزملاء بعد ساعات العمل عادة يمارسها الموظفون. واذا طالت الرحلات اليومية فليس مستغرباً أن يعودوا الى منازلهم قرابة منتصف الليل. ويألف اليابانيون تمضية عطل نهاية الأسبوع في العمل. وثمة أغنية يابانية تعدد أيام الاسبوع: "الاثنين، الاثنين،



الثلثاء، الاربعاء، الخميس، الجمعة، الجمعة.»[٢]

ويفيد عمال كثيرون من برامج "مساكن الشركة" الذي يتبناه نحو ٩٦ في المئة من الشركات اليابانية. وظروف السكن نموذجية في شركة "شينساكو سيتو" التي تملك في شرق طوكيو مصنعاً لطلي قطع الآلات بالكروم:

على مقربة من ردهة الطعام صف من الغرف يبلغ عرض كل منها مترين ونصف متر وطولها ثلاثة أمتار ونصف متر. الجدران مكسوة بألواح من قشرة الخشب، والارض مفروشة بسجاد ملطخ. واستعيض عن مكيف الهواء بنافذة منزلقة زججت ببلاستيك مموج.

وفي الجانب الآخر من الردهة غرفة تسلية يستريح فيها العمال على الأرض بعد تمضية ساعات في لعب الورق (الكوتشينة) أو الـ "ماه - جونغ." وتطفح منفضة كبيرة بأعقاب سجائر.

وتقع الغرفة التي يجلس فيها الرجال ويدخنون فوق راقود الطلي حيث تبرك تشكيلة من الموادالكيميائية على الارض.

يدفع العمال في "سيتو" ٩٣٠ دولاراً فقط بدل ايجار سنوياً. وبما أن أسعار الطعام محدودة، فهم قادرون على ادخار معظم دخلهم السنوي الذي يصل الى ٢٤ ألف دولار.

ومع ذلك انخفض معدل الادخار الوطني في السنوات الاخيرة بعدما كان مدعاة فخر وتبجح. وتفيد المؤشرات أن اليابانيين باتوا نزاعين الى الاسراف والتبذير. ويقول الناقد الاجتماعي شويشي كاتو: "لايستطيع الناس شراء منازل، لذا تحولوا الى شراء أشياء أخرى."

وهكذا توقف سيارات فخمة أمام شقق متواضعة في طوكيو.

(٢) في اليابانية: "غيتسو، غيتسو، كا، سوي، موكو، كين، كين."

وهنا أيضاً تبرز مفارقة الازدهار الياباني. يقول كاتو: "اقتناء السيارات هو، في معظمه، إرضاء لرغبة نفسية، اذ لا طرق في اليابان." ففي البلاد ٣٥٠٠ كيلومتر فقط من الطرق السريعة.

ومع توافر قرابة ٣٣ مليون سيارة ركاب في اليابان أصبح السير شبه عالق. ويكاد يستحيل ايقاف سيارة في طوكيو. وكثيرون من الذين يتنقلون في سياراتهم يغادرون منازلهم في الخامسة صباحاً ويشاهدون وهم يوقفون سياراتهم على الطرق ليغفوا قليلاً أو ليتناولوا طعام الفطور من أكياس ورق قبل أن تفتح المؤسسات أبوابها.

وعبارة "سياحة" داخل البلاد تكاد تخلو من معنى. فالرحلة القصيرة من طوكيو الى شاطىء البحر الذي يبعد ١٠٠ كيلومتر قد تستغرق ست ساعات خلال عطلة نهاية الاسبوع.

ومع تقلص آمال اليابانيين في حلول للمشكلة، يتوقع المرء صيحة احتجاج عارمة. لكن أمراً كهذا لم يحدث. والحركات الشعبية غير معروفة عملياً في اليابان. لكن الحكومة تخشى أن ينفذ الاحباط الى المجتمع، فبزوال حافز امتلاك المنازل قد لا يستمر اليابانيون في التضحية والعمل الشاق لدفع عجلة الاقتصاد.

وقد استعملت كلمة "مانوك" اليابانية لوصف الوضع. ويشرح مدير في شركة اعلانات مضمون الكلمة: "انها تعني أننا نفتقر الى ثلاثة أمور: الوقت، والفسحة، والحياة الخاصة. الوقت بسبب ساعات العمل الطوال وغياب أوقات الفراغ، والفسحة لأننا نعيش في أقفاص أرانب، والحياة الخاصة لاننا نمضي معظم أوقاتنا مع الزملاء والزبائن."

لكن كلمة "مانوك" تتضمن معنى مزدوجاً لاذعاً، ويضيف المدير: "انها المرادف الياباني لكلمة "أحمق"، فنحن حمقى لأننا نعيش من دون هذه العناصر الثلاثة."

يفتخر اليابانيون بانجازاتهم الاقتصادية. لكن هذا الفخر لم يعد كافيا لكثيرين، إذ يتساءلون لماذا لم تترجم ثروة الامة تحسينات في نوعية الحياة اليومية. ويقول شويشي كاتو: "كان العيش في حال طوارىء مقبولا خلال السنوات القليلة التي تلت الحرب العالمية الثانية، لكنها لم تعد مقبولة بعد ٤٠ سنة وبعد تحقيق هذا الازدهار."

جيف شير ■

سواسية

سئل الكاتب المسرحي مارسيل أشار يوماً عن أحب أعماله اليه، فأجاب: "أحب أطفالي كلهم بالمقدار نفسه. فماذا تقول عني إن أنكرتُ أحد أبنائي لانه أعمى أو لانه رسب في صفه؟"

ج.ل.

كيف أصبح التدخين عادة مقبولة في مجتمعنا!

اليكم نبأ من المستقبل البعيد:

أكدت اكتشافات أثرية في كوكب الأرض إحدى أغرب عادات البشر القدامى. فخلال أوائل العصر البلاستيكي (١٨٠٠ – ٢٠٠٠ ميلادية) كان النساء والرجال يشعلون أنابيب ورقية فيها حبيبات من عشبة التبغ الضارة التي تحوي عنصراً فاعلا يدعى النيكوتين، وهو مادة زيتية فتاكة تكفي قطرات قليلة منها على اللسان للتسبب في موت فوري. وبعد اشعال الأنابيب كانوا يتنشقون الدخان المتصاعد منها ويملأون به رئاتهم.

لم يسبق أن تجذرت مادة سامة الى هذا الحد في حضارة من الحضارات، على رغم أن مدخنين كثيرين تمنوا لو لم يتعاطوها، ومنهم من حاول الاقلاع عنها. ففي أواخر القرن العشرين، مثلا، كان الأمريكيون ينفقون نحو ٤٢ مليار دولار سنويا على السجائر التي كانت تقتل كل سنة أعدادا منهم تفوق ستة أضعاف عدد الذين قضوا في حرب فيتنام. كما لم يسبق أن ظهر في تاريخ الكون مثل هذا التناقض الفاضح بين المعرفة والسلوك.

من المفيد تتبع قصة هذه العادة العجيبة:

١٤٩٢ – لاحظ اثنان من بحارة كريستوفر كولومبوس هما رودريغو دي يريز ولويس دي توريس، أن سكان كوبا الاصليين يشعلون أوراق تبغ مجففة ويتنشقون دخانها. فحذا دي يريز حذوهم وأصبح أول مدخن أوروبي. ولما عاد الى إسبانيا ذعر جيرانه لدى رؤيتهم الدخان يتصاعد من فمه، وظنوا أن الشيطان تملّكه، فكان أن حكمت عليه "محكمة التفتيش"[1] بالسجن.

١٥١٨ – رأى مستكشفون اسبان أن أبناء الازتيك والمايا[2] يدخنون التبغ

---

(١) Inquisition. وهي محكمة نشطت خصوصا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وكانت مهمتها اكتشاف الهراطقة ومعاقبتهم.

(٢) الازتيك والمايا سكان شبه جزيرة يوكاتان قبل عهد كولومبوس.

في قصب مجوف، فأرادوا تقليدهم. وكانت تلك أول سيجارة تستجدى.

١٥٦٠ - كان جان نيكو سفيراً لفرنسا في البرتغال. فأرسل التبغ الى بلاده كعلاج لأمراض عدة. (بعد مئات السنين أطلق الكيميائيون اسم "نيكوتين" على المادة السامة المحتواة في أوراق التبغ.)

١٦١٢ - زرع جون رولف أول محصول تجاري للتبغ في العالم، في جايمستاون بولاية فرجينيا.

١٧٧٦ - انتزع البريطانيون نيويورك من جورج واشنطن، فأطلق هذا نداء ناشد فيه مساعدة جيشه. ومما جاء في النداء: "إن لم تتمكنوا من إرسال مال، أرسلوا تبغاً."

١٨٤٣ - بدأت ادارة حصر التبغ الفرنسية تصنيع الپاپاليتس الاسبانية. (وهذا اسم ابتكره المتسولون في اشبيلية الذين كانوا يلفون ذرور العطوس (السعوط) وأعقاب السيجار في ورق ويدخنونها.) وأطلقت الادارة على هذه اللفافات اسماً فرنسياً هو "سيغاريت."[٣]

١٨٨١ - أُصدرت براءة اختراع لآلة تلف السجائر وتستطيع انتاج نحو ١٢٠ ألف سيجارة يومياً. وكانت السجائر قبل ذلك تلف باليد. وبحلول العام ١٩٠٠ بلغ عدد ماركات السجائر نحو ١٦٠.

١٩١٦ - أنزلت شركة التبغ الأمريكية سجائر "لاكي سترايك" التي روج لها أشهر المغنّين. وعندما تحدّى أحدهم مغني الاوبرا الايطالي الشهير جيوفاني مارتينلي سائلا اياه عن صحة ادعائه في أحد الاعلانات أن سجائر "لاكي" لم تضر بحنجرته، أجاب: "وكيف لها أن تضر بحنجرتي وأنا لم أدخن قط؟"

١٩٢٤ - نشرت مجلة "ريدرز دايجست" مقالا رائدا بعنوان "هل يؤذي التبغ الجسم البشري؟"[٤] فكان الأول في سلسلة مقالات بلغت المئة تناولت موضوع التدخين والصحة على امتداد السنوات الثماني والستين التي تلت. ومن عناوينها: "رعب سرطان الرئة" و"اختر علبة مشاكل" و"السرطان في علبة" و"هل تمانع إن سببت لك السرطان؟"

١٩٢٧ - كتب الطبيب البريطاني ف. أ. تيلكوت في مجلة "لانسيت" الطبية أن الغالبية الساحقة من المصابين بسرطان الرئة الذين عاينهم أو علم بهم كانوا من المدخنين.

١٩٣٠ - اعترفت السلطات الطبية الأمريكية رسميا بأن سرطان الرئة، الذي

(٣) cigarettes اي سجائر.
(٤) Does Tobacco Injure the Human Body?

كان نادراً حتى سنوات قليلة خلت، بات يشكل فئة مَرَضية مستقلة.

١٩٣٦ – بدأت المجلات الامريكية نشر إعلانات على صفحات كاملة تبرز مزاعم صحية من نوع "الأطباء يدخنون سجائر كامل أكثر من غيرها." ولما كانت سجائر "كامل" تحتل المرتبة الاولى، فقد كان ممكناً أن تنسب هذه المزاعم الى أي قطاع مهني.

١٩٣٨ – درس ريموند بيرل أستاذ علم الاحياء في جامعة جونز هوبكينز عينة مؤلفة من ٦٨١٣ شخصاً، وخَلُص الى أن ٦٦ في المئة من غير المدخنين يتجاوزون السن الستين في مقابل ٤٦ في المئة فقط من المدخنين بكثافة. وفي تلك الاثناء روجت الاعلانات لسجائر "كامل" مدعية أنها تخفف التعب وتساعد على الهضم. كما ادعت سجائر "كول" أنها تقي من الزكام، في حين فاخرت سجائر "أولد غولد" بأن حمولة شاحنة منها لا تسبب سعلة واحدة.

١٩٤١ – أعلن الرئيس الامريكي فرنكلين روزفلت خلال الحرب العالمية الثانية أن التبغ محصول ضروري، وأعفي مزارعوه من أداء الخدمة العسكرية.

١٩٤٧ – احدى أنجح الاغاني هذه السنة في الولايات المتحدة أغنية "دخن! دخن! دخن هذه السيجارة!"[٥] التي سجلها تكس وليمس وجاء فيها: "دخنت طوال حياتي ولم أمت بعد."

١٩٤٨ – ورد في نشرة الجمعية الطبية الامريكية: "من وجهة نظر نفسانية، الكلام المؤيد للتدخين كوسيلة للهرب من التوتر والاجهاد هو أقوى من الكلام المناهض له."

١٩٥٣ – ظهر رونالد ريغان[٦] في إعلان نشرته إحدى المجلات وقد تدلت من بين شفتيه سيجارة "تشسترفيلد" وهو يقول: "انها لا تخلِّف مذاقاً كريهاً." وروَّج للسجائر مشاهير آخرون بينهم المغني بيري كومو والمضيف التلفزيوني إد سوليفان والكوميدي بوب هوب والمغني بينغ كروسبي.

١٩٥٤ – أفادت جمعية السرطان الأمريكية خلال المؤتمر السنوي الذي عقدته الجمعية الطبية الامريكية، أن معدل الوفيات بالسرطان بين المدخنين الذكور يفوق معدل الوفيات بالسرطان لدى غير المدخنين بنسبة ٧٥ في المئة. وقد نوقشت هذه النتائج في غرفة عابقة بالدخان.

١٩٥٥ – حظرت لجنة التجارة الامريكية ذكر مزاعم صحية في اعلانات السجائر.

(٥) Smoke! Smoke! Smoke! That Cigarette

(٦) كان ممثلا آنذاك.

١٩٥٧ – أعلن فريق دراسي شكلته معاهد الصحة والسرطان وجمعية السرطان وجمعية القلب في الولايات المتحدة، وبوضوح للمرة الاولى، أن ثمة علاقة سببية مباشرة بين تدخين السجائر وسرطان الرئة.

توفي الممثل همفري بوغارت عن ٥٧ عاما، وهو الذي أضفت أفلامه على السيجارة ميزة الرجل العنيف. وهو قضى من جراء سرطان في الحنجرة.

١٩٦٤ – أقلع لاعب الغولف أرنولد بالمر عن التدخين متخليا عن مبلغ ١٠ آلاف دولار سنوياً كان يتقاضاه في مقابل رمي سيجارة "إل إم" على العشب والتقاطها لاحقاً لأخذ نشقة بعد تسديد ضربة صائبة. لكن وزنه ازداد تسعة كيلوغرامات خلال ستة أشهر، فعاد الى التدخين.

١٩٦٥ – بلغت مبيعات السجائر في الولايات المتحدة ٥٢٩ مليار علبة أي أكثر من نصف علبة يومياً لكل مواطن تخطى الثامنة عشرة.

توفي المغني نات كينغ كول عن ٤٥ عاما، وهو الذي كان يدخن السجائر خلال إنشاده أغنيات شعبية عاطفية. وقد قضى بداء سرطان الرئة.

١٩٦٦ – بدأت علب السجائر في الولايات المتحدة تحمل عبارة "تنبيه، قد تكون السجائر مضرة بصحتكم."

١٩٦٩ – توفي السيناتور الأمريكي ايفريت ديركسن بعيد خضوعه لجراحة سرطان الرئة. ومما قاله قبيل وفاته: "لقد أخذوا مني سجائري!"

١٩٧١ – حُظرت اعلانات السجائر في الراديو والتلفزيون. وأصبح القانون ساريا ابتداء من منتصف ليل ١ يناير (كانون الثاني) كيما تتمكن شركات التبغ من تمرير إعلاناتها خلال مباريات كرة القدم التي أقيمت يوم عيد رأس السنة. كما رُفع مستوى التنبيه المدون على علب السجائر ليتضمن أن التدخين "خَطِر."

١٩٧٣ – أُلزمت شركات الطيران فصل المسافرين المدخنين عن غير المدخنين في رحلاتها الداخلية.

١٩٨٣ – أفادت التقديرات أن الوفيات المرتبطة بالتدخين تجاوزت ٣٠٠ ألف سنويا.

توفي آرثر غودفري على أثر إصابته باحتقان الرئتين.

١٩٨٦ – أفاد رئيس دائرة الصحة العامة[٧] إيفريت كوب أن غير المدخنين يواجهون أخطارا صحية جدية بتعرضهم لدخان سجائر الآخرين.

١٩٨٨ – قضت محكمة اتحادية في نيوارك للمرة الاولى بأن صانعي السجائر

(٧) U.S. Surgeon General

هم مسؤولون قانونا عن وفاة مدخّن. وحكمت بمبلغ ٤٠٠ ألف دولار تعويضا لزوج روز تشيبولوني التي قضت عام ١٩٨٤ وهي في الثامنة والخمسين من عمرها بسبب سرطان الرئة. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ نقضت محكمة استئناف الحكم، لكن العائلة واصلت معركتها ورفعت القضية الى مجلس القضاء الاعلى. وينتظر صدور الحكم في يوليو (تموز) ١٩٩٢.

١٩٨٩ – أفاد رئيس دائرة الصحة العامة أن التدخين يودي بحياة ٣٩٠ ألف أمريكيٍ سنويا، وأن الذكور الذين يدخنونَ باعتدال معرضون للموت بسرطان الرئة بنسبة أكثر ١٥ ضعفا من غير المدخنين.

١٩٩٠ – أفادت هيئة استشارية من العلماء أن الدخان الذي يتنشقه غير المدخنين هو مسبب للسرطان. فردّ معهد التبغ الامريكي بأن "التحليل الاحصائي الوارد في التقرير مغلوط." وصرحت رئيسة دائرة الصحة العامة أنطونيا نوفيلو أن ١٢٦ ألف أمريكية يمتن سنويا من جراء اختلالات مرتبطة بالتدخين، وأن ٣٥٠٠ طفل يموتون سنوياً لأن أمهاتهم دخنَّ خلال فترة الحمل.

بحلول العقد الأخير من القرن العشرين، دانت الحكومة الامريكية استعمال التبغ وحظرت تعاطيه في الأماكن العامة، وفي الوقت نفسه منحت قروضا لانتاجه وشجعت تصديره.

أفاد قطاع انتاج التبغ أنه يؤمن وظائف لنحو ٢،٣ مليون أمريكي، وهذا رقم لم يشمل الأطباء وعمال المستشفيات ورجال الاطفاء وأصحاب المصابغ والاختصاصيين بعلاج مشاكل التنفس وأصحاب الصيدليات وحفاري القبور الذين نشطت أعمالهم بفضل هذه الصناعة.

وليم إسنبرغ ■



طوارىء!

كثيراً ما يضيق قسم الطوارىء في المستشفى حيث اعمل بالوافدين الكثر. لذا قرّر الأطباء اعتماد خطة انتقائية بحيث يعالجون الاصابات الاكثر خطورة اولا ثم ينتقلون الى غيرها. لكن هذه الطريقة لم تلغِ همهمات التذمّر بين المرضى الذين كان بعضهم ينتظر ساعات قبل معالجته.

وذات يوم بلغت الاصابات رقما قياسيا. وفجاة دخل قسم الطوارىء شرطي قال للطبيب المناوب: "آسف لهذا الازعاج يا دكتور، لكننا تلقينا نداء استغاثة من غرفة الانتظار هنا."

ج.ك.

الوظيفة وراء الباب

هل تهمّ باجراء مقابلة لطلب وظيفة؟ سوف تطرح عليك أسئلة أساسية فهاك أجوبة محكمة عنها

مرّ جيم داي بظروف عصيبة اذ وجد نفسه، وهو في الرابعة والاربعين من عمره، بلا وظيفة ولديه ابنان في الجامعة وثالث على وشك دخولها. وبعدما صرفته شركته في عملية "شد حزام" قابل نحو مئتي شخص باحثا عن وظيفة إدارية أخرى. وأخيرا، عندما دخل مبنى شركة كبرى للزجاج لمقابلة مدير قسم التوظيف فيها، بدا مبتسما وواثقا بنفسه، إذ اطمأن هذه المرة الى أن لديه استراتيجية تكفل له نيل المركز.

وكان داي حضّر لهذه المقابلة بوضعه لائحة بالأسئلة التي ظلت تتكرر قبلا في مقابلاته الفاشلة، ثم طلب من صديق له أن يطرح عليه هذه الأسئلة أمام آلة تصوير فيديو، وأعاد بث الشريط، وراح يراقب نفسه متسائلاً: "هل أوظف هذا الرجل؟ لا." فهو رأى نفسه جالسا متجهم الوجه مكتوفا، كتلميذ استدعي الى مكتب المدير. وما توهّمه ثقة بالنفس كان أقرب الى التكبر والوقاحة.

بعد مشاهدة الشريط تكرارا أدرك داي أنه صار جاهزا. ولم تمض أيام على مقابلته مدير التوظيف في شركة الزجاج حتى عين نائبا لرئيس الشركة.

هذه المقاربة التي ساعدت جيم داي في التغلب على مشكلة البطالة في منتصف العمر، تصلح لآخرين في سوق تضيق فيها مجالات التوظف. وتقول آن وينستوك نائبة رئيس شركة "دريك بيم



PHOTO: ERNEST COPPOLINO

وموررين" وهي كبرى شركات التوظيف التي تعنى بتوجيه الموظفين المصروفين الى أساليب العثور على وظائف: "عليك، ببساطة، أن تظهر نقاط القوة لديك." وتضيف ايفلين ديفيس وهي مستشارة توظيف في مدينة كنساس: "في وسع أي شخص تقريبا أن يتعلم كيف يجري مقابلة ناجحة. قد لا تكون مندوب مبيعات، لكنك تتمتع بميزة كبرى، فأنت قد تعرف السلعة أكثر مما يعرفها أي شخص آخر."

تتلخص أي مقابلة ناجحة، من ضمن مقابلات يجريها مرشحون ذوو مؤهلات متساوية، بالاجابة الصحيحة عن الاسئلة المناسبة.

لقد تحدثنا مع أشخاص يجرون مثل هذه المقابلات، وحددنا ثمانية أسئلة رئيسية يطرحونها دائما بمعنى أو بآخر:

١ • من أنت في الواقع؟

هذا ما يرمي اليه من يجري معك مقابلة عندما يبادرك بالسؤال: "حدثني عن نفسك." ويكون هو دوّن ما اذا كنت وصلت في الوقت المحدد وكنت حسن الهندام. احرص على أن تترك كلماتك الأولى انطباعا حسنا. يمكنك الكلام باختصار، في دقيقتين، عن ثقافتك وخبرتك المهنية، ثم الانتقال الى الحديث عن الأسباب التي تجعلك أهلا للوظيفة المطلوبة.

عليك أن تضمِّن حديثك عبارات مميزة بحيث يعلق في الذهن. قال أحد الناجحين للمدير الذي قابله: "اني تخرجت في جامعة مغمورة، ولكن انظر الى ترقياتي خلال عشر سنين." لقد أظهر رده مدى ذكائه وطموحه واجتهاده وساعده في التقدم على منافسيه المتخرجين في أرقى الجامعات.

لا تموِّه الحقائق. حاوَل مرشَّح قوي لمنصب نائب رئيس شركة اخفاء سنه الحقيقية بتقديم تاريخ تخرجه في الجامعة خمس سنوات. لكن محاولته أن يبدو في الثانية والخمسين، وليس في السابعة والخمسين، أعطت نتيجة عكسية عندما تحقق مُقابله من مراحل دراسته. فاستُبعد للحال لعدم استقامته.

٢ • لماذا تبحث عن عمل؟

إن من يجري معك المقابلة سيكون متربصا لمعرفة أسباب صرفك، ومتنبها لأي محاولة خداع. فكن صريحا وسريعا. وتحذرك وينستوك: "إياك والاطالة أكثر من دقيقة والا انتهيت." ولا تشح نظرك عن محدثك، تماما كما فعل جيم داي حين أجاب عن هذا السؤال ضاحكا: "كنت ضحية مشروع خفض للموظفين أعددته بنفسي." والجواب البسيط والصريح يفي بالغرض كذلك: "كانت لي خلافات مبدئية مع مجموعة جديدة من المديرين." وثمة توضيح آخر يلقى تفهما سريعا: "عهد الي في وظيفة غير تلك التي وظفت من أجلها."

يقول توماس فاي المتمرس في إجراء مقابلات: "حتى إن طردت من عملك،

يبقى الجواب الافضل هو الاصدق. فمحاولات خفض الموازنات عمَّت العالم، ولم يعد الصرف يحمل السمة التي كان يحملها في السابق. كما لم تعد الرغبة في تغيير الوظيفة تكرارا أمراً مستهجنا."

٣ • ما الذي تستطيعه من أجلنا؟

إن من يطرح هذا السؤال يرمي الى التحقق من مدى اطلاعك على أوضاع شركته. ففي استطلاع شمل ٣٢٠ مدير توظيف أجراه فكتور لندكويست مدير التوظيف في جامعة نورث وسترن، تبين له أن "نقص المعلومات حول الشركة المعنية ومنتجاتها، الى الادعاء والغرور وضعف التعبير، أسباب رئيسية لرفض المتقدمين."

وتقول جانيت سانسون مديرة قسم الطاقات البشرية لدى شركة "جنرال الكتريك": "ان عدم التحضير للمقابلة ينم عن لامبالاة المرشح وافتقاره الى الدُربة والانضباط."

من السهل التحري عن رب عمل محتمل. وتوصي مارغريت فيلان الباحثة في ميدان توظيف مديرين قادرين: "استكشف المكتبات واعثر على المراجع اللازمة واقرأ واقرأ واقرأ." وقد يزودك أمناء المكتبات تقارير سنوية وكتيبات وربما معطيات كمبيوتر عن أرباب عمل.

٤ • ما هي قدراتك؟

هل تتمتع بحيوية عالية؟ بالحماسة؟ بالجدية؟ بالتصميم؟ بالنضج؟ بالذكاء العملي؟ بانجاز العمل المنوط بك؟ بالحزم؟ تقول باتريشيا كويل نائبة رئيس مجموعة مصرفية في نيوانغلند: "اننا نبحث عن كل هذه المواصفات." ادعم أقوالك بأمثلة ملموسة مأخوذة من واقع العمل أو من المدرسة: "لقد بعتُ بطاقات لمسرحية المدرسة أكثر مما باع أي تلميذ آخر." هذا برهان جيد يقدمه تلميذ تخرج حديثا في المدرسة الثانوية.

لا تقل: "أستطيع انجاز أي عمل تريدون." لأن من يجري المقابلة ينتظر إجابة محددة. ولكن لا تضيِّق آفاقك. يقول طوني نابهولز مدير التوظيف في شركة تأمين: "نحن لا نريد أناسا يكونون مجرد بائعين أو منظمي طلبات أو مسوقين، بل يجب أن يظهروا أيضا إلماما بالكمبيوتر وقدرة على الاتصال بالآخرين، وهاتان مهارتان تساعدانهم على التقدم."

يقول بارت هولوهان وهو مدير توظيف مرموق: "ان رغبة المديرين في انجاز الكثير بمن تيسر قضت على عصر الاختصاص. والذين يجرون مقابلات ينتظرون من الموظف الجديد أن يتكيف والعالم المتغير. وهذا تحول جذري عما كانت الحال في الثمانينات، يوم كان مبرمج الكمبيوتر سيداً مطلقا."

٥ • ما هي نقاط ضعفك؟

للتحقق من صدق المتقدم الى الوظيفة واستقامته واتزانه، غالباً ما يواجهه مدير التوظيف روبرت هيدريك بالسؤال الآتي: "أخبرني عن واحدة من تجاربك

الفاشلة." ان جوابا خاطئا مثل "لا أتذكر أيا منها" ينم عن نفسية أنانية غير واقعية لا تقر بامكان الفشل. من جهة أخرى، توصي وينستوك بعدم الاسترسال في ذكر النواقص.

أما الاجابة "الآمنة" فتكمن في ذكر الضعف الناتج من الافراط في استعمال القوة، كالقول مثلاً: "يسيء بعضهم فهم حزمي، ويعتبرون أنه يدل على نفاد صبر. لكني بت الآن أنتبه الى طريقتي في التعبير."

حاول دائما أن تظهر أنك أفدت من أخطائك: حصل أحد طلاب الهندسة على منحة دراسية، لكنه كاد يطرد من الجامعة بعدما أمضى سنته الأولى في السهرات والحفلات. وفي سنة التخرج قابل مديري توظيف كثيرين موضحا لهم طريقته في النجاح: "لقد عوضت ما فاتني بفضل العناد الذي احتجت اليه للتغلب على منافسي. وها انا الآن أنال أعلى العلامات." فانهالت عليه عقود العمل.

٦ • أي نوع من المديرين تحبذ؟

تجنب الاجابة الوقحة: "المدير الذي أراه مرة في السنة." ولا تنتقد مديرك السابق. إن من يقابلك يسعى الى تلمس احتمال وقوع خلافات مع مديرك العتيد.

اليك مواصفات المدير المثالي كما حددها مدير توظيف ناجح: "انه قائد كفي أستطيع التتلمذ على يديه، يتيح لي الفرص ويوجهني وينتقدني عندما أخطىء."

٧ • ما أبرز إنجازاتك؟

يأبى بعض المديرين توظيف شخص عاجز عن ذكر إنجاز واحد بارز. دوّن الانجازات التي تفتخر بها والتي حققتها في كل من السنوات الخمس الاخيرة، وادعمها بالارقام متى أمكن لاظهار أهميتها: "لقد نظمت حملة تبرعات جمعت ٢٣٤ ألف دولار، أي بزيادة ١٠ في المئة عن أي حملة سابقة." أو: "ادخلت تقنية التنضيد الطباعي على الكمبيوتر، فوفرت على شركتي ٨٢ ألف دولار في السنة."

٨ • ما هو الأجر الذي تتوقعه؟

لا تأتِ على ذكر الأجر في المقابلة الاولى، فسوف يتطرق رب العمل المحتمل الى هذا الموضوع في المقابلة الثانية أو الثالثة قبل أن يقدم اليك عرضه. أما اذا لمست إصراراً على هذا الحديث فلا تعطِ رقما بخسا يدل على نقص في ثقتك بما تستحق. ولا تقترح رقما مرتفعاً جداً، فقد تخسر العرض. الافضل أن تعطي مجالا. قل مثلا: "اني أتوقع أجراً يراوح بين كذا وكذا."

توقع، الى هذه الاسئلة الثمانية الحاسمة، محاولات أخرى لامتحانك. فقد يصف لك محدثك مشكلة حاصلة في العمل ويسألك كيف تحلها. وللمحدثين أيضا طرق متنوعة في اختبار استقامتك. فمايكل ميلر نائب رئيس شركة كبرى يلقي أحيانا بالطعم الآتي: "درجت الشركات

في بعض البلدان على دفع رُشاوى للحصول على عقود عمل. فهل أنت قادر على ذلك؟" ليس هناك سوى جواب واحد صحيح: "القوانين والاخلاق تحرم الرشوة. لا، لست قادراً على ذلك."

وغالبا ما تنتهي المقابلات بالسؤال الآتي: "هل تود الحديث عن موضوع آخر لم نتطرق اليه؟" وهذا هو الوقت المناسب للاستفهام عن طبيعة العمل وعن توقعات المدير وأسباب شغور المنصب. ومن شأن الأسئلة الذكية أن تخلف أثراً طيبا وتذكر محدثك بأنك، أنت أيضا، يجب أن تكون راضيا.

وفي الختام لخص العناصر التي تجعلك صالحا للوظيفة. فبعد التدرب على اقتناص الوظائف، لا بد أن يسهل عليك ابداء الرأي الصحيح الذي يساعدك في الحصول على وظيفة متفوقاً على مرشحين أقل استعداداً للمقابلات.

دونالد وديانا ستروتزل ■



ظاهرة كونورز

في بداية دورة الولايات المتحدة المفتوحة لكرة المضرب عام ١٩٩١، كان اللاعب "العجوز" جيمي كونورز مصنفا في المرتبة المئة والرابعة والسبعين في الترتيب العالمي. وفي ختام الدورة كان في التاسعة والثلاثين من عمره ومحتلاً المرتبة السادسة والستين ومذهلاً الامّة باسرها.

واستغرقت مباراة العودة ضدّ باتريك ماكنرو اربع ساعات ونصف ساعة لتنتهي في الساعة ١،٣٥ فجراً.

ويوم عيد ميلاده خاض كونورز مباراة ماراتونية اخرى دامت اربع ساعات و٤١ دقيقة وغلب فيها آرون كريكشتاين. وإذ جُنَّ الجمهور وعلت الهتافات قال كونورز متظاهراً بالاندهاش: "لا اعرف ماذا اتوقع من نفسي بعد. تخيلوا انني استطيع ان اهزم هؤلاء الشباب!"

لكن هذا اللاعب الذي فاز في خمس دورات مفتوحة سابقة خسر امام جيم كورير في الدور النصف النهائي. لكن ما تعنيه اللعبة حقا بالنسبة الى كونورز امر جلي، فقد قيل له مرّة إن اللاعب بيت سامبراس، الذي خسر في أولى جولات مباراة دفاعه عن لقبه، قال معبراً عن ارتياحه: "لقد أزيح ثقل كبير عن كاهلي." فعلّق كونورز على ذلك قائلاً: "لقد عشت من اجل ان اكون بطل دورة الولايات المتحدة المفتوحة. واذا كان بعضهم يشعر بالارتياح في الخسارة، فهو ليس على ما يرام."

ك.ك.

تحمل لافتة متجر لبيع سلاح الصيد اسم "تاجر البندقية." ("تاجر البندقية" عنوان مسرحية لشكسبير.)

م.ب.

تقرير خاص

فضيحة في فرنسا:

دم ملوث ينشر الايدز

علم الاطباء الفرنسيون أن مخزون الدم في البلاد ملوث بفيروس الايدز. لكنهم لم يحركوا ساكناً

ذات ليلة من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٤، فيما عازف البيانو جان بيرون غارفانوف (٤٥ عاماً) يقدم عرضاً في حفلة منزلية أقامها الدكتور جان بيار آلان رئيس قسم الابحاث في "المركز الوطني لنقل الدم" في باريس، التقط خلال فترات الاستراحة نتفاً من أحاديث مثيرة للقلق تبادلها ضيوف لهم علاقة بالمركز. سمع أحدهم يقول: "إنها لفوضى عارمة، ولا بد أن تؤول الى مشاكل كبيرة." وتناهت الى مسمعه كلمة "تلوث" غير مرة.

أقلقت هذه الاحاديث بيرون غارفانوف لأنه كان مصاباً بالنزف الوراثي[١] ويحتاج تكراراً الى عمليات نقل دم. فبدأ مراسلة السلطات الطبية والمسؤولين عن الصحة العامة في فرنسا سائلا عن سلامة مخزون الدم المتوافر للمصابين بالنزف الوراثي. وهو داوم مراسلاته سبع سنوات، حتى انفجرت "المشكلة" التي جرى تداولها في تلك الحفلة مؤدية الى فضيحة طبيةٍ كبرى. واكتشف الرأي العام كيف تلقّى مئات المصابين بالنزف الوراثي وضحايا الحوادث ومرضى المستشفيات في فرنسا مشتقات دموية كان الاطباء يعرفون – أو كان عليهم أن

(١) Hemophilia

تقرير خاص

يعرفوا – أنها ملوثة بفيروس نقص المناعة البشرية «HIV».[٢]

يحتل المصابون بالنزف الوراثي حيزاً ضيقاً في نطاق كارثة الايدز[٣] العالمية المتوقع أن تصيب ٤٠ مليون شخص بنهاية هذا القرن. وقد ابتلى هذا الداء في فرنسا نحو ١٢٠٠ مصاب بالنزف الوراثي قضى منهم أكثر من مئتين الى الآن. لكن ما يثير المشاعر حقاً هو أن مَنْ طاولتهم الاصابة يمثلون نحو نصف مجموع المصابين بالنزف الوراثي في هذا البلد. وليس من مجموعة بشرية أخرى ضربها فيروس HIV بمثل هذه الكثافة.

لا تقلقوا! النزف الوراثي مرض نادر يمنع الدم من التخثر، أدى عبر التاريخ الى اعاقة ضحاياه أو موتهم نتيجة جروح أصابتهم. وكان متوسط عمرهم لا يزيد على ٢٠ عاماً. كما كانت طرق المعالجة المتوافرة تسبب آلاما شديدة ووهنا.

يقول جان فرنسوا د.[٤]: "كل ما أذكره عن طفولتي هو صراخي من الالم طوال ليالٍ وساقي مشدودة برباط لوقف نزف في رُكبتي، واحتجازي سنوات مع أطفال آخرين في مبانٍ لا فرح فيها حيث لم يسمح لنا باللّعب خارجاً لئلا نؤذي أنفسنا."

ويذكر بيرون غارفانوف يوم أصيب برعاف وهو لمّا يزل طفلا في بلغاريا. وقد عاده الطبيب وقتئذ وهز كتفيه مشيراً الى السماء كأنه يقول: "انك ذاهب الى هناك." لكن عمّة ذكية أنقذت الطفل بطمره في الثلج الذي أدت برودته الشديدة الى وقف النزف.

تحسنت طرق معالجة المصابين بالنزف الوراثي في الستينات. لكن التطور الذي اعتُبر فتحا جديداً حصل في السبعينات عندما صار في الامكان تركيز بلازما الدم في جرعات صغيرة يستطيع المصابون حقنها في أوردتهم فيصبح دمهم قابلا للتخثر طبيعيا ليومٍ أو يومين. كما يمكن خزن هذه المركّزات في البرادات وحملها في حقائب صغيرة. وبذلك أصبح في وسع المصابين بالنزف الوراثي عيش حياة طبيعية.

ولكن في يونيو (حزيران) ١٩٨١ كشف أطباء في لوس انجلس أعراض عدوى غامضة سميت رسميا بعد ١٨ شهراً "إيدز." وكان المصابون بالنزف الوراثي يعرفون أن مركّزات البلازما تُستحضر في أحواض تحوي دماء متبرعين قد يصل عددهم الى ٥٠٠٠، ويكفي أن يكون أحدهم مصابا بفيروس نقص المناعة البشرية حتى يصبح الترياق سما قاتلا.

وفي فرنسا، استشار المصابون بالنزف الوراثي أطباءهم وقد انتابهم

(٢) Human Immunodeficiency virus

(٣) Acquired Immunodeficiency syndrome «AIDS» اي داء نقص المناعة المكتسب.

(٤) بعض الاسماء مستعار احتراما لسرّية المرضى.

القلق. لكن الاطباء حاروا في أمرهم وراجعوا خبراء قال معظمهم إن الامر لا يدعو الى القلق. وقد عمد البروفسور جان برنار، وهو مرجع عالمي بارز في مضمار الدم، الى إبلاغ الجمعية الفرنسية لمرضى النزف الوراثي في يونيو (حزيران) ١٩٨٣، أن خطر الاصابة بالايدز من جراء تلقي مشتقات دموية هو اقل من خطر الاصابة بالتهاب الكبد. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣ أعلن البروفسور جان ديكو مدير مركز نقل الدم في تولوز: "ان التبرع بالدم في بلدنا يتم مجاناً،[5] لذلك يبدو أن ليس ثمة متبرعون يشكلون خطراً."

وأضاف الخبراء أنه، حتى في حال تسرب بعض الدم الذي يحمل فيروس HIV، فالامر لا يدعو الى القلق. وأشارت دراسة أعدتها دائرة الصحة العامة عام ١٩٨٤ الى أن واحداً فقط من كل عشرة مصابين بفيروس HIV تعرض خلال السنوات الخمس السابقة للاصابة بالايدز. وبقي رئيس الدائرة البروفسور جاك روحتي سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥ يؤكد أن الايدز "ليس مشكلة صحية كبرى." وكان الايدز حتى ذلك التاريخ يُعتبر مرضاً يصيب فئات هامشية مثل الشاذين ومدمني المخدرات.

تأخير وإهمال. استمر الاطباء في وصف مركزات البلازما لمرضاهم.

كان جوفري ديبوا طفلا ذكيا نشطا مصابا بالنزف الوراثي. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥، وكان في منتصف عامه السادس، أصيب بجرح في ساقه. فحقنه الاطباء في المستشفى محتوى أربع قوارير من مركزات البلازما المستخلصة من دم عشرين متبرعاً فقط. وتتذكر أمه: "لم يتفوه أحد بكلمة عن أي خطر محتمل." لكنها اكتشفت بعد سنة أن جوفري أصيب بالعدوى.

كانت المواقف التي اعتمدها الخبراء الفرنسيون مبهمة ومحيِّرة، خصوصاً لأن المجلات الطبية بدأت تشير منذ العام ١٩٨٣ الى أن الايدز ينتشر عالمياً. وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٣ أوصى خبراء المجلس الاوروبي الاطباء بتوخي الحذر لدى وصف مركزات بلازما مستخلصة من أحواض كبيرة يمكن أن تحتوي على دم ملوث. ومع الوقت ارتفعت النسب المئوية المقدَّرة لحاملي فيروس HIV الذين يموتون بسبب تحوله الى الايدز. فازداد قلق الاطباء.

كذلك ازداد قلق بيرون غارفانوف عندما رأى أن رسائله البسيطة المتسائلة لم تلقَ أي اهتمام. فبدأ توجيه أسئلة الى السلطات الطبية حول الخطوات المتخذة لحماية المصابين بالنزف الوراثي من الايدز. وعندما قوبل باجابات مراوغة كتب

(٥) اشارة الى الممارسة المنتشرة في دول اخرى حيث يبيع مدمنو المخدرات دماءهم للحصول على نقود.

مزيداً من الرسائل (نحو ٦٠٠ خلال السنة الاولى وجهها الى أطباء ووزراء وعلماء).

وفي مستشفيين في باريس، كشفت فحوص مخبرية أجريت أوائل العام ١٩٨٥ أن الوضع قائم فعلاً. وفي ١٢ مارس (آذار) أشارت مذكرة داخلية موجهة الى دائرة الصحة الى أن "من المحتمل أن تكون كل مشتقات الدم المستجمعة من متبرعين باريسيين ملوثة." وفي ٧ مايو (أيار) أعلن الدكتور ميشال غاريتا مدير المركز الوطني لنقل الدم أن نحو ٥٠ في المئة من المصابين بالنزف الوراثي الفرنسيين أصبحوا يحملون فيروس نقص المناعة البشرية HIV. وفي ٢٩ مايو (أيار) قال لمساعديه: "إن كل مخزوننا من مشتقات الدم ملوث."

ولم تكن فرنسا وحيدة في هذا المضمار. ففي ألمانيا ابتُلي نحو ١٥٠٠ مريض بالنزف الوراثي بعدوى نتيجة تلقيهم مشتقات دم ملوثة، وتشير المصادر الرسمية الى وفاة ١٨٠ منهم بسبب الايدز، فيما تقدر جمعية المصابين بالنزف الوراثي أن الرقم الصحيح هو في حدود ٣٠٠. وفي الدانمرك أظهرت الفحوص أن أكثر من ربع المصابين بالنزف الوراثي يحملون الفيروس، وقد مات منهم عشرون بسبب الايدز. وفي النمسا طاول الفيروس نحو ١٠٠ شخص من أصل نحو ٧٠٠ مصاب بالنزف.

في هذه الدول وغيرها كان ممكناً انقاذ كثيرين لو اتخذت القرارات المناسبة في الوقت المناسب.

ومعظم هذا التأخير، سواء في فرنسا أو في بلدان أخرى، مرده الى الشك العلمي. إلا أن المسؤولين الفرنسيين تباطأوا لأن التحرك السريع كان سيكلف أموالاً طائلة. وقد شرح الدكتور جاك رو الامر بعد ست سنوات قائلاً: "تضاربت الآراء بين محذر من حصول كارثة وقائل بأن الامر ليس ملحاً. ولاسباب مالية، ظن وزراء في الحكومة أن من مصلحتهم الأخذ بالرأي الثاني."

ضحايا بريئة. منذ اليوم الاول لاكتشاف فيروس نقص المناعة عام ١٩٨٣ والمختبرات في أنحاء العالم جاهدة لتطوير فحوص موثوقة. وكانت أولى الفحوص التي وضعت في التداول من تحضير "مختبرات أبوت" في شمال شيكاغو، وعُرضت على السلطات الفرنسية في فبراير (شباط) ١٩٨٥. ويظهر أن لا شيء وقف في طريق اجازة استعمالها الفوري سوى فحوص فرنسية منافسة طورتها مؤسسة "دياغنوستيك باستور." لذلك اعتمدت السلطات ما سماه الدكتور روبير نتر مدير مختبر الصحة الوطنية "تأجيلاً" في رسالة وجهها في ١٥ مارس (آذار).

وفي ٩ مايو (أيار) أشير في اجتماع حكومي عالي المستوى رأسه البروفسور فرنسوا غرو المستشار العلمي لرئيس الوزراء، الى احتمال أن تؤدي الموافقة الفورية على فحوص "أبوت" الى الحؤول دون تسويق فحوص "باستور." فتم تأجيل القرار ثانية. وأخيراً مُنحت "باستور" اجازة لتسويق فحوصها في ٢١ يونيو (حزيران). وفي ٢٤ يوليو (تموز) نالت "أبوت" ترخيصاً مماثلاً.

وبدأ في ١ أغسطس (آب) فحص دم المتبرعين على نحو منتظم.

بيد أن أفضل الفحوص يبقى غير مضمون النتائج، اذ يتعذر اكتشاف فيروس نقص المناعة في الدم قبل نحو ١٢ أسبوعاً من حصول العدوى. لذلك كان من الضروري قتل الفيروس في مشتقات الدم لمنع التلوث. ومن الطرق الناجعة تسخين مخزون البلازما الى ما فوق ٥٠ درجة مئوية. وكانت مؤسسة "ترافينول هايلاند" الامريكية أبلغت الى المركز الوطني الفرنسي لنقل الدم في ١٠ مايو (أيار) ١٩٨٣ أنها بدأت تسخين كل مشتقات الدم لديها. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ أوصت "مراكز مراقبة الامراض" في أتلنتا بولاية جورجيا الامريكية، وهي أحد أهم المراجع في هذا الحقل، الاطباء بضرورة استخدام مشتقات الدم المسخنة على هذا النحو.

كان على السلطات الفرنسية اتخاذ قرار سريع. إلا أن المختبرات الفرنسية السبعة المسؤولة عن خدمات نقل الدم كانت غير مهيأة لانتاج ما يكفي من مشتقات الدم المسخنة قبل مضي أشهر. وكان استيراد هذه المشتقات مكلفاً. والى ذلك، ما العمل بمخزون وافر من المشتقات الملوثة في نحو ١٦٠ مركزاً فرنسياً لنقل الدم منتشرة في أنحاء البلاد وفي برادات المصابين بالنزف الوراثي؟

في ٢٩ مايو (أيار) أبلغ غاريتا الى مساعديه أن عملية استعادة المشتقات الملوثة ووقف استخدامها ستؤدي الى عواقب اقتصادية وخيمة، وأعلن أنه سيطلب مشورة المسؤولين الحكوميين المعنيين. وفي ٣ يونيو (حزيران) وجه رسالة الى الدكتور روبير نتر في مختبر الصحة العامة الذي انتظر بدوره ١٤ يونيو (حزيران) لرفعها الى الدكتور جاك رو في دائرة الصحة. لكن هذا أخبره أن المسألة تتطلب بحثاً مفصّلا في اجتماع لكبار المسؤولين تقرر عقده في ٢٠ يونيو (حزيران).

وافق المجتمعون على تقرير كان غاريتا أعده في اليوم السابق يوصي ببدء استخدام المشتقات المسخنة تدريجاً وبأسرع ما يمكن. وحدد التقرير أن توزيع المشتقات غير المعالجة سيستمر خلال "مرحلة انتقالية." وفي ٢٦ يونيو (حزيران) أعلنت مذكرة داخلية في

المركز الوطني لنقل الدم أن توزيع المشتقات غير المعالجة سيبقى "الاجراء المتبع إلا في حالات خاصة" حتى نفادها.

عمدت بعض المراكز المحلية، في مدينة ليل مثلا، الى معالجة مشتقات الدم المتوافرة لديها بالتسخين، ورفضت توزيع مشتقات ملوثة. الا أن توزيع هذه المشتقات، التي كان الاطباء يعرفون أنها ملوثة، على المصابين بالنزف الوراثي استمر في كل مكان آخر من فرنسا حتى ١ أكتوبر (تشرين الاول). ولن يُعرف أبداً عدد الذين تلقوا فيروس نقص المناعة خلال تلك الفترة، وإن يكن مؤكداً أن العدد الاجمالي هو بالمئات.

أصبحت حياة المصابين بالنزف الوراثي، التي كانت مشرقة لسنوات خلت، قاتمة أكثر من أي وقت مضى. يقول بيار ج.: "كنت في ما مضى أتفحص جسمي قلقا كل صباح آملا ألا أكتشف دلائل نزف تحت الجلد. أما الآن فأتساءل مذعوراً مع كل عطسة أو بثرة أو ألم، عما اذا كان ذلك بداية معاناة طويلة أخسر خلالها من وزني ومن نشاطي وأفقد ذاكرتي اذا كنت محظوظاً."

أما الاسوأ من ذلك فهو الوحدة: عندما اكتشف كريستيان فوكونييه أنه مصاب بفيروس نقص المناعة، تخلت عنه خطيبته وبات زملاؤه يتحاشونه في مركز البريد حيث يعمل. تقول والدته: "عندما لازم المنزل اعتنيت به أنا. ولم يأت لزيارتنا سوى قلة من الاقارب والاصدقاء. لكن جمهرة كبيرة حضرت الجنازة لاحقا."

كان خوف الناس اللامنطقي من الايدز يلاحق المصابين بالنزف الوراثي. تقول ماري ف. التي تعيش في منطقة وادي اللوار: "الخوف يتبعك أينما حللت." وكان زوجها أصيب بالعدوى في العام ١٩٨٥ عندما تلقى دماً على أثر جرح أصابه. وتضيف ماري حزينة: "عندما توفي من جراء الايدز، أخبرْنا الناس أن السبب كان ورماً سرطانياً في الدماغ. لكن الحقيقة تسربت أخيراً، فحاول البعض منع أطفالنا من دخول المدرسة."

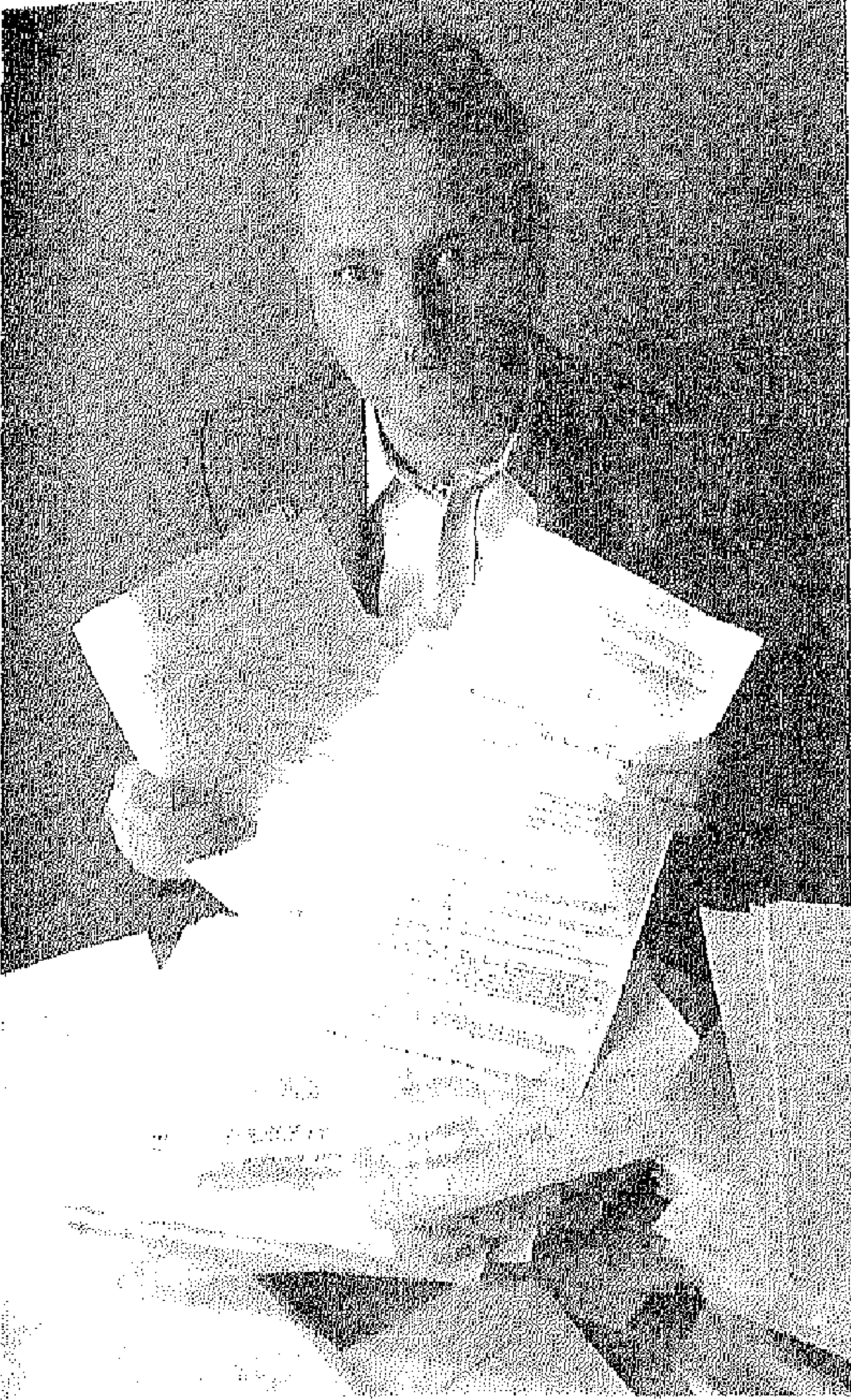
رسالة مغرضة. كان معظم الضحايا، الى وقت قريب، يفترضون أن حظهم العاثر هو نتيجة حادث لم يكن في الامكان تفاديه. وحده بيرون غارفانوف شكّك باكراً واشتمَّ في الامر رائحة جريمة. وعندما لم ترد عليه إجابات مقنعة عن رسائله الاولى عمد وشقيقه كريستيان[٦] الى طبع ١١٨٨٤ رسالة على الآلة الكاتبة بين أواخر ١٩٨٤ و١٩٩٠، وأرسلاها بالبريد بكلفة بلغت نحو ١٠٠ ألف فرنك فرنسي (نحو ١٧ ألف دولار) من دون أي دعم. تقول زوجته: "كان وحده. ولم يشأ أحد الاستماع إليه."

(٦) توفي كريستيان في ١٩ فبراير (شباط) ١٩٩٢ نتيجة اصابته بالايدز.

كما لم يظن أحد أن له أملا في اثبات دعواه. وأخبره أحد الاطباء عام ١٩٨٥: "لن تنجز شيئا أبدا، فالقضية طويت." وأقدم مجهولون على اشعال النار في شقته مرتين، كما أبلغت إليه الشرطة أن مَنْ يكتب رسائل تهديد ينتهي في السجن.

ولم ينج بيرون حتى من ازدراء زملائه المصابين. لذلك، حين رفضت الجمعية الفرنسية للمصابين بالنزف الوراثي اطلاعه على لائحة أعضائها، لجأ الى وضع إعلان في نشرتها الشهرية بهدف ترتيب سجل خاص به، محددا أن كل الارباح ستعود الى الجمعية. وهكذا أصبح على اتصال مع قراء النشرة وأصدقائهم الذين زادت قصصهم من شكوكه. كذلك فعلت وثائق أرسلها مناصرون مجهولون في الادارة الحكومية. وبحلول ١٩٨٦ استطاع بيرون تنظيم مجموعة من الانصار رفع هو وعشرون منهم عام ١٩٨٨ دعاوى قضائية ضد مسؤولين حكوميين يتولون توزيع مركّزات الدم.

وفي العام ١٩٨٩ تلقى المصابون بالنزف الوراثي الفرنسيون الذين ثبتت اصابتهم بفيروس نقص المناعة رسالة موقعة من ممثلي قطاع خدمات نقل الدم وجمعية المصابين بالنزف الوراثي وشركات التأمين تعرض على كل منهم تعويضا ماليا – نحو ١٠٠ ألف فرنك – بشرط التخلي عن حقهم في رفع دعاوى قضائية. فثارت ثائرة كثيرين منهم، لكنهم لم يستطيعوا الرفض. ومن هؤلاء كريستيان فوكونييه المصاب بشلل في ركبته الذي احتاج الى المبلغ لشراء سيارة مزودة غيار تروس أوتوماتيكيا. تقول والدته: "كان المبلغ زهيدا، وكان الطلب أن نتنازل عن حقوقنا إقرارا واضحا بالذنب. أما الان وقد توفي ابني فسوف أرفع دعوى."



جان بيرون غارفانوف.

PHOTO: F. DURAND / SIPA PRESS

خطأ فظيع. أخيرا، في السنة التالية، بدأت جمعية المصابين بالنزف الوراثي اجراءات قانونية تجمّع بنتيجتها أكثر من ٤٠٠ دعوى رفعتها ضحايا مشتقات الدم الملوثة. وفي ٢٥ ابريل (نيسان) ١٩٩١ نشرت مجلة أسبوعية[٧] سجلا سريا لوقائع اجتماع مايو (أيار) ١٩٨٥ الذي أعلن الدكتور غاريتا خلاله أن "كل مخزوننا من مشتقات الدم ملوث." وسرعان ما حذت حذوها صحف أخرى. وفي ٣ يونيو (حزيران) دان وزير الصحة برونو دوربييه ما دعاه "هجوما اعلاميا افترائيا." لكن غاريتا استقال من منصبه فجأة، كما اعترف دوربييه بعد تسعة أيام من موجة تساؤلات غاضبة بحصول "خطأ فظيع في تقويم الامور اقترفه المجتمع العلمي كلا."

وفي سبتمبر (أيلول)، بتكليف من الحكومة، أعد ميشال لوكاس – وهو موظف في دوائر الخدمة المدنية عُرف باستقامته – تقريرا كشف عمليات توانٍ ورشوة مخزية. وفي أكتوبر (تشرين الاول) دين غاريتا – وجان بيار آلان لاحقا – بتهمة السماح بتوزيع مشتقات طبية خطرة، فيما دين نترورو بتهم أخف. وفي ديسمبر (كانون الاول) قضت محكمة في باريس بتعويض أحد المصابين بالنزف الوراثي الذين أثبتت الفحوص اصابتهم بفيروس نقص المناعة مبلغ مليوني فرنك (نحو ٣٥٠ ألف دولار) عن الاضرار التي لحقت به. وأشارت حيثيات الحكم الى أن الدولة تتحمل وحدها كامل مسؤولية اصابته. وفي الشهر ذاته وافق البرلمان على دفع تعويضات لكل من أصيب بفيروس نقص المناعة بسبب تلقيه دما أو مشتقات دم ملوثة. وقد بدأ دفع هذه التعويضات في ابريل (نيسان) ١٩٩٢.

يقول بيرون غارفانوف: "لربما تعلمنا دروسا مهمة من هذه الكارثة، أولها أن حياة البشر أغلى من الموازنات ومن مصالح الدول. اذ عندما يُنظر الى البشر كأرقام احصائية، يصبح من السهل التضحية بهم في مقابل حصة في السوق أو لاثبات وفرة في سجلات المركز الوطني لنقل الدم. لذلك، من الضروري دائما وضع حياة البشر في المقام الاول."

أما الدرس الثاني فهو أن هذه الفضيحة تحمل تذكيرا للحكومات وللمواطنين في كل مكان بأن على السلطات، عندما تواجه خيارات صعبة، أن تقوِّم أولوياتها وتتخذ القرارات المناسبة من دون ابطاء. وعلى الشعب، عندما يواجه محاولات تعمية من مسؤولين، أن يقرع جدار الصمت بقوة الى أن تبين الحقيقة. اذ لا وجود لمجتمع آمن أو عادل من غير هذه اليقظة.

روبرت فرنيك ■

ترجمة فواز خوري

(٧) L'Evénement du jeudi

تحية إكبار
الى رياضيين أخيار
جسّدوا...

روح الألعاب الأولمبيّة



كريستي ياماغوشي

سيول. أودع الامريكي كارل لويس الميدالية الذهبية التي أحرزها عام ١٩٨٤ في سباق المئة متر، بين يدي والده المتوفى. وعاهد أمه التي تملّكها الذهول: "لا تقلقي، سأحصل على أخرى."

بعد سنة شارك لويس في دورة الالعاب الاولمبية للعام ١٩٨٨. وتنافس في نهائي سباق المئة متر والكندي بن جونسون حامل الرقم القياسي العالمي.

في منتصف السباق كان جونسون يتقدم لويس متراً ونصف متر، لكن هذا أيقن أنه يستطيع اللحاق به. غير أن جونسون ظل محافظاً على تقدمه بعد اجتياز ثمانين متراً. فقال لويس في سره: "لقد انتهى أمري يا أبي." وإذ عبر جونسون خط النهاية نظر الى لويس الذي كان خلفه ورفع ذراعه اليمنى في الهواء.

استشاط لويس غضباً اذ لاحظ عضلات جونسون المنتفخة وعينيه اللتين شابهما اصفرار، وهذان دليلان على تعاطي الستيرويدات. وصرح لويس في وقت لاحق: "لم أفز بالميدالية، لكنني كنت

مدينا لأبي بالتصرف بشهامة وكرامة." وهو بعد السباق مد يده مصافحا جونسون وغادر الحلبة.

أُعلن في وقت لاحق أن الفحوص أثبتت أن جونسون تناول الستيرويدات الابتنائية.[1] فجرد من ميداليته. وأعطيت الذهبية الى لويس.

ديفيد والشنسكي

في "الكتاب الكامل للالعاب الاولمبية"

قفزة رائعة

برلين. بدا جيسي أوينز واثقا من فوزه في مباراة القفز الطويل في أولمبياد ١٩٣٦. وكان سجل في العام السابق رقما قياسيا (صمد طوال ٢٥ سنة) إذ قفز ٨ أمتار و١٣ سنتيمتراً. وفيما كان متوجها الى الحلبة شاهد ألمانيا طويل القامة أشقر الشعر أزرق العينين يتمرن على القفز مسافة ثمانية أمتار. فانقبض صدره إذ لمح الرغبة النازية الجامحة في إثبات تفوق العرق الآري... ولاسيما على السود.

في المحاولة الاولى، كان أوينز مهملا اذ قفز عن بعد سنتيمترات من لوح الانطلاق. وحداه انزعاجه على مخالفة قوانين المباراة في القفزة الثانية. وباتت أي مخالفة أخرى تهدد باقصائه.

عندئذ اقترب منه الالماني معرفا بنفسه: لوز لونغ. وقال له ملمحا الى القفزتين السابقتين: "يجب أن تكون قادراً على تحديد المسافة وأنت مغمض العينين."

للحظات وجيزة تبادل ابن المزارع الأسود أطراف الحديث مع النموذج الابيض للرجولة النازية. ثم تقدم لونغ باقتراح: بما أن المسافة المؤهِّلة للاشتراك هي ٧ أمتار و١٥ سنتيمتراً، فلماذا لا ترسم علامة قبل بضعة سنتيمترات من لوح الانطلاق ويكون القفز من هناك مضمونا؟ وهذا ما كان، إذ رسم أوينز علامة وقفز وتأهل بسهولة. وسجل في المباريات النهائية رقما قياسيا أولمبيا وفاز بميدالية ذهبية ثانية من أربع ميداليات. وكان لوز لونغ أول مهنئيه على مرأى من أدولف هتلر.

لم يلتقِ اللاعبان ثانية، ولقي لونغ حتفه خلال الحرب العالمية الثانية. وكتب أوينز بعد فترة: "لو أذيب كل ما أملك من ميداليات وكؤوس لما شكل قشرة تغطي الصداقة الذهبية الخالصة التي أحسستها نحو لوز لونغ."

ديفيد والشنسكي

في "الكتاب الكامل للالعاب الاولمبية"

مروءة

سيول. كانت مباراة الابحار ماضية في بوسان في ٢٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ وسط رياح عاتية. فجأة انقلب أحد المراكب وفيه اثنان من فريق سنغافورة هما جوزف شان وشو هير.

كان الكندي لورنس لوميو يبحر وحيداً ضمن مباراة أخرى عندما رأى البحارين يتخبطان في الماء. فأسرع لانقاذ شان

(١) Anabolic steroids

الذي كان ينوء تحت ثقل سترة الابحار وقد أنهكه التيار القوي. ولما انتهى من انقاذ هير كان تأخر كثيراً في سباقه.

منح الحكام لوميو جائزة المرتبة الثانية التي كان يحتلها قبل توقفه للمساعدة. كما منحته اللجنة الدولية للألعاب الاولمبية جائزة خاصة لبسالته. ويعلق لوميو محاولا الانتقاص من أهمية صنيعه: "إن المبدأ الأول في الابحار هو إنقاذ من هم في ورطة."

باد غرينسبان

في "باريد"

لحظة اعتزاز

البرفيل. عندما دخلت اليابان الحرب العالمية الثانية حدثت في الولايات المتحدة موجة "هستيريا" أدت الى احتجاز نحو ١١٠ آلاف ياباني أمريكي عام ١٩٤٢ في مخيمات اعتقال. وولدت كارول دوي في أحد هذه المخيمات، وهي يابانية أمريكية من الجيل الثالث.

بعد سنوات تزوجت كارول رجلا أمضى هو أيضا فترة في المخيمات. وعندما ولدت ابنتهما كريستي لاحظا أن قدميها ملتويتان بحيث تواجه أصابع الواحدة أصابع الأخرى. فصممت كارول على فعل كل ما يلزم لمساعدة طفلتها على السير الطبيعي. واضطرت طوال أربع سنوات الى تأمين أحذية طبية لتصحيح قدميها. ومع بلوغ الطفلة السادسة من العمر بدأت تسير طبيعيا، لكن كارول لم تكن راضية. وتقول: "أردتها أن تمارس نشاطاً يرغمها على استعمال قدميها." فاختارت الابنة التزحلق الفني على الجليد.

بعد فترة باتت الابنة تلح على أمها لتسمح لها بتمضية مزيد من الوقت على الحلبة التي كانت ترفض مغادرتها قبل إتقان حركة معينة. وسرعان ما أصبحت كارول تنهض في الرابعة فجراً لاصطحاب ابنتها الى التمارين.

وبعد انقضاء خمس عشرة سنة مثّلت الشابة كريستي ياماغوشي بلادها في اولمبياد ١٩٩٢.

وإذ ارتفع علم الولايات المتحدة خلال حفلة توزيع الميداليات، راقبت كارول وزوجها جيم ابنتهما كريستي وهي تقلّد ميدالية ذهبية. فغمرهما شعور بالاعتزاز لا يوصف.

كيث ا. وايت

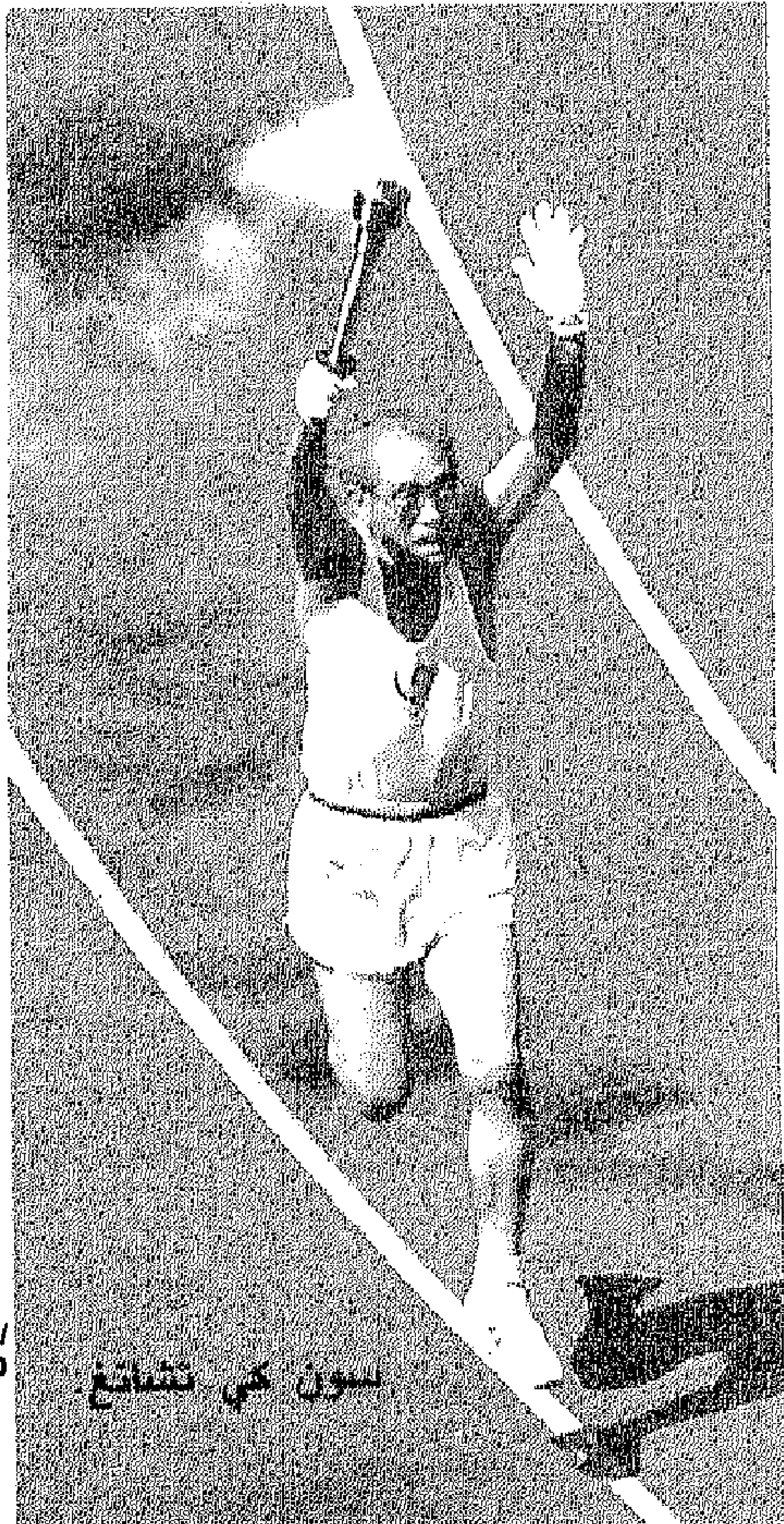


PHOTO: © HEINZ KLUETMEIER / SPORTS ILLUSTRATED

سون كي تشانغ

قمة الشهامة

إنسبروك. كان الايطاليان أوجينيو مونتي وسيرجيو سيوربيـز متقدمين أشواطا في سباق المزلجة المزدوجة[٢] في أولمبياد ١٩٦٤. وفيما كانا ينتظران الجولة الثانية، سيطـر اليأس على البريطانيين طوني ناش وروبن ديكسون. فقد انكسر برغي كبير في محور مزلجتهما بعد جولتهما الاولى المثيرة، وبات انسحابهما مؤكداً. لكن مونتي الذي كان أنهى الجولة الثانية بادر الى نزع برغي من مزلجته وقدمه الى ناش. فكانت النتيجة هزيمة غير متوقعة، اذ فاز الفريق البريطاني بالميدالية الذهبيـة. وحل مونتي، صاحب الروح الرياضية، في المرتبة الثالثة.

وبعد أربع سنوات قاد مونتي مزلجة مزدوجة ومزلجة رباعية الى انتصارين أولمبيين.

باد غرينسبان

في "باريد"

تصميم في الألم

طوكيو. رامي القرص الأمريكي آل أورتر هو الرياضي الاوحد في التاريخ الذي أحرز أربعة انتصارات في أربع دورات متعاقبة للالعاب الاولمبية. لكن الانتصار الأهم بالنسبة اليه هو الذي حققه في طوكيو عام ١٩٦٤ خلال سعيه الى الفوز الثالث.

فقبل أسبوع من المباريات أصيب أورتر بمزق في قفصه الصدري. وأمره طبيب الفريق بلزوم الراحة أي – بمعنى آخر – الخروج من المباريات. لكن أورتر حضر الى المباريات النهائية ملتفا بضمادات وأكياس ثلج مصمماً على المشاركة.

كان يحق لكل مشترك في المباراة النهائية ست رميات، على أن يحدَّد الرابح وفقاً لأطول رمية. وبعد أربع جولات انتابت أورتر آلام مبرحة، فقرر أن تكون رميته الخامسة الأخيرة. وما إن استدار ورمى القرص حتى انهار متلوياً من الألم. وعندما أُعلنت مسافة الرمية تبين أن أورتر سجل رقماً أولمبيا قياسيا جديداً عجز أيٌ من منافسيه عن تخطيه.

وعلّق أورتر على الحدث لاحقاً: "لو كنت في مباراة أخرى لانسحبت. لكنني أضحي بالغالي والرخيص في الالعاب الاولمبية."

باد غرينسبان

في "باريد"

نصر حزين

سيول. استعمرت اليابان كوريا عام ١٩١٠ وشنَّت حملة شعواء للقضاء على الحضارة الكورية. فأصبح العَدْو أحد السبل القليلة التي يستطيع بها الكوريون منافسة اليابانيين المكروهين.

وكان سون كي تشانغ عداء شابا تمرن كثيراً على ضفاف نهر يالو واضعا الرمل في سرواله والحجار على ظهره أثناء

(٢) Two-man bobsled. ويكون في كل مزلجة فريق من رَجُلين.

العدو. لكنه أدرك أن الطريقة الوحيدة للفوز هي الاشتراك تحت راية الامبراطورية اليابانية. وفي العام ١٩٣٦ تفوق سون في المباريات اليابانية التي أجريت للتأهيل الاولمبي لسباق الماراتون. فأرسلته السلطات اليابانية على مضض الى برلين.

أعطي سون اسماً يابانياً هو كيتي سون. لكنه كان دائما يوقع اسمه الكوري.

فاز سون في السباق في وقت قياسي. ولدى ارتفاع العلم الياباني خلال حفلة توزيع الميداليات أحنى رأسه احتجاجاً.

لكن الاحتفال الحقيقي بالنسبة الى سون حدث في افتتاح الالعاب الاولمبية عام ١٩٨٨، عندما دخل هذا العدّاء الملعب المدرَّج في سيول حاملا الشعلة الاولمبية. كان في السادسة والسبعين من عمره. واغرورقت عيون المتفرجين بالدموع فيما راح يعدو حول الحلبة مفعماً بالسعادة والاعتزاز بنفسه وببلاده.

رون فيمرايت

في "سبورتس إلوستريتد"

يد أخرى

لندن. كارولي تاكاكس رقيب مجري (هنغاري) كاد يلقى حتفه قبل عشر سنين من افتتاح أولمبياد ١٩٤٨ عندما انفجرت قنبلة في يده اليمنى فسحقتها كليا.

لكن تاكاكس لم يستسلم، وتمرن على الرماية بيده اليسرى، وأصبح بعد سنة عضواً في الفريق المجري بطل العالم في الرماية بالمسدس. وفاز بميدالية ذهبية في مباراة "الرماية السريعة بالمسدس" في أولمبياد ١٩٤٨ في لندن.

ديفيد والشنسكي

في "الكتاب الكامل للالعاب الاولمبية"

ميدالية الصداقة

برلين. في العاشرة والنصف من مساء ٥ أغسطس (آب) بعد ١٢ ساعة على بدء نهائيات القفز العالي بالعصا (الزانة) كان ٣٠ ألف مشاهد لا يزالون محتشدين في ملعب برلين المضاء على رغم البرد والرذاذ المتساقط. وأخيراً حُسمت المنافسة المثيرة بين اليابانيين والامريكيين فحلّ الامريكي ارل ميدوز في المرتبة الاولى والامريكي وليم سيفتون في المرتبة الرابعة. لكن اليابانيَّين شوهبي نيشيدا وسو أوي لم يتوصلا، على رغم محاولاتهما المتكررة، الى حَسْم من منهما يحتل المرتبة الثانية ومن يحتل المرتبة الثالثة. وأخيراً اضطر الحكام الى وقف المباراة وحسم النتيجة بالقرعة. فحلّ نيشيدا ثانيا وأوي ثالثا.

لم يقبل الاثنان بالحل. ولما عادا الى اليابان طلبا من صائغ أن يقسم ميداليتيهما أنصافا ويصهر الأنصاف. فحصل كل منهما على ميدالية نصفها فضي ونصفها برونزي.

لقي أوي حتفه خلال الحرب العالمية الثانية. وقدمت زوجته "ميدالية الصداقة" الى متحف تشيتشيبونوميا في

الملعب الوطني. وما زال نيشيدا حياً يرزق، وهو قدم ميداليته الى ملعب كيميديرا في واكاياما.

عن "الكتاب الكامل للالعاب الاولمبية"

عربيان

لوس انجلس. خلال أولمبياد ١٩٨٤ حل الاردني باسل الكيلاني أخيراً في الشوط الأول من سباق المضمار والميدان لمسافة عشرة آلاف متر، مسجلا ٣٠ دقيقة و٤٣،٥٤ ثانية. فصفق له الحضور تشجيعا. فمع أن الكيلاني حل أخيراً، الا أنه وصل بفارق ٣،٥ دقائق فقط عن الرقم القياسي العالمي.

ظل هذا التقدير للجهد الفردي سائداً طوال هذه الدورة الاولمبية المميَّزة، وبلغ ذروته في سباق الفروسية ضمن المباراة الخماسية.[٣] فقد امتطى المصري أحمد ناصر حصانه وانطلق، فأسقطه هذا أرضاً في القفزة الثانية. فشهق الجمهور. لكن ناصر نفض الغبار عن ملابسه وامتطى الحصان مجدداً، فأوقعه هذا ثانية. لكن الفارس المصري لم ييأس، وأكمل السباق على رغم سقطة ثالثة ومئات نقاط العقاب التي أنزلت به. ووقف الحضور لناصر وصفقوا له مهللين. ولم يعرف أحد أنه كان يعاني آلاما في ظهره قبل بدء المباراة الخماسية.

ديفيد والشنسكي

في "الكتاب الكامل للالعاب الاولمبية"

(٣) Pentathlon. وفيها يشترك المتباري في خمس مسابقات مختلفة.



شرطي مخالف

انا شرطي سير. ذات ليلة اوقفتُ سائقاً تجاوز السرعة القصوى. وبعدما اخذت أوراقه الثبوتية، عدت الى سيارة الدورية لأكتب محضر مخالفة. وعندما انتهيت من الكتابة خرجت من السيارة واقفلتها ناسياً مفاتيحها في الداخل. وللحال ادركت المأزق الذي وقعت فيه: انا على الطريق العامة خارج سيارة مقفلة تُطلق انوار الطوارىء.

لكنّ اللحظة الأكثر احراجاً كانت تنتظرني عندما توجهت الى السيارة المخالفة وناولت السائق بطاقة الضبط ثم سألته أن يوصلني الى المخفر.

ا.م.

أجيال التلفزيون

كان حفيدي ابن الخامسة يمضي عطلة عندي. جلسنا في المساء نشاهد الرسوم المتحركة على التلفزيون. فبدت الاثارة واضحة على وجهه، ثم هتف فجأة: "تلفزيونك رائع يا جدتي! ان تلفزيون والدي لا يعرض سوى مباريات كرة القدم."

ج.س.

رجل أبيض من جنوب افريقيا
يسعى الى ردم هوة خلفتها عقود من التفرقة

رجل أبيض في منزل أسوَد

استيقظت لا أدري أين أنا. أجلت النظر حولي، فرأيت الى جانبيَّ حائطين من الحديد المموَّج كدت أطاولهما بيدي. وغطت الحائطَ الثالث خزانة يعلوها جهاز ستيريو وبعض حقائب وكتب. وعلى مسافة سنتيمترات من قائمة السرير فاصل من الورق المقوّى انبعثت من جانبه الآخر رائحة قهوة طازجة.

ثم تذكرت... إني أمضي عطلة نهاية الاسبوع مع عائلة في سويتو لأرى وأشم وأحس وأتذوق طعم الحياة في الجانب الآخر من جمهورية جنوب افريقيا التي مزقها التمييز العنصري على مدى عشرات السنين.

أزحت ستاراً رقيقاً وخرجت متعثراً، فلاقاني مضيفاي نوا وبريسيلا موكون بسيل من الترحيب الحار. وكانا جالسين الى طاولة على الجانب الآخر من الفاصل الذي يقسم الكوخ شطرين، واحداً للطعام والجلوس والطبخ وآخر للنوم. وكانا حذراني في الليلة السابقة من أنهما اعتادا الاستيقاظ باكراً. لكن اليوم عطلة، والساعة لم تتجاوز السادسة صباحاً، ومع ذلك نهضا باكراً ورتبا الكوخ والفراش الذي ناما عليه تحت الطاولة على أرض اسمنتية مغطاة بمشمَّع، فيما نمت أنا على سريرهما المزدوج في الشطر الآخر من الكوخ. وكان نوا أصرَّ على موقفه في الليلة السابقة: "أبداً، لا تجادل، فأنت ضيفنا، ونحن اعتدنا النوم على الارض."

أما ولداهما، سينثيا (١٥ عاما) وماكبث (٩ أعوام) فأمضيا الليلة لدى أقارب في الجوار.

سرت عبر الفناء الترابي الفاصل بين الكوخ ومنزل شقيقة نوا، وهو بيت قرميدي من أربع غرف يشبه بيوت اللعب ويُستخدم مقهى في الوقت نفسه. اتجهت الى الحمام الصغير في زاوية المنزل، فلم أجد مقعداً في المرحاض القذر المصنوع من البورسلين. وهذا ليس غريبا، اذ إن هذا الحمّام الوحيد يخدم عشرة مقيمين وأكثر من مئة زبون. وكانت صفحات دليل هاتف قديم من كيب تاون تُستعمل كورق تواليت.

خرجت من الحجيرة فطالعتني حنفية قريبة وضعت رأسي تحت مائها البارد. فجأة أحسست لكمة تحبب قوية على كتفي: كان نوا بطل ملاكمة أيام الدراسة، واتسمت تصرفاته بالصراحة كما لكمة يمناه. وها هو الآن، في السادسة والخمسين، قصير القامة مكتنز البنية يتحلى بالمرح وبضحكة عريضة. سمعته خلفي يقول: "وليم، ما رأيك بحمام الآن؟ الماء جاهز."

لم يجدِ اعتراضي وتأكيدي أني اغتسلت لتوي، اذ قال نوا بحزم: "لا يكفي الاغتسال بماء بارد." ثم راح يشرح لي، أنا الوافد الجديد، أولى حقائق الحياة في أكواخ البؤس. قال مشيراً الى إبطيه: "أنت تعرق فتستخدم مزيل روائح. لكن الهواء قذر، فتنسد مسامك، وسرعان ما يصيبك طفح جلدي."

انفجر نوا ضاحكاً عندما لاحظ ارتباكي، وأعادني الى داخل الكوخ. وفي غرفة النوم وجدت طاسا من الماء الساخن ومنشفة وصابونا، فانتظرني نوا حتى رآني أخلع ثيابي، ثم تركني بمفردي. وهكذا تلقيت أول درس بسيط في فن البقاء منذ دخولي مجاهل مدينة سويتو.

عميان ومبصرون. كنت امضي عطلة نهاية الاسبوع في سويتو كجزء من زيارات جماعية تنظمها حركة "كوينونيا"[1] الهادفة الى ازالة الحواجز العرقية في جنوب افريقيا. و"كوينونيا" كلمة اغريقية الاصل تعني "الزمالة." وهذا بالضبط ما قصده مؤسسها الدكتور نكو سميث الذي كان على مدى ١٦ عاما جزءاً من الحركة الافريقانية البيضاء بصفته عضواً في "برودربوند"[2] وأستاذاً للاهوت في جامعة ستلنبوش. لكنه استعفى من وظيفته المريحة عام ١٩٨١ وعاد الى ممارسة مهماته الانسانية. قال لي: "أدركت فجأة أني فقدت الاتصال بواقع الحياة في جنوب افريقيا، اذ ليس لدى البيض – ولاسيما الافريقانيين – أي فكرة عما يحسه السود أو ما يفكرون فيه أو كيف يعيشون."

عقد سميث العزم على تغيير هذا الواقع. فكُلِّف الاهتمام برعية ماميلودي، وهي بلدة غبراء قرب بريتوريا يقطنها نحو ٣٠٠ ألف من السود.

في عامه الاول، دعا اثنين من جيرانه

(١) Koinonia
(٢) Broederbond جمعية سياسية افريقانية تسعى الى تحقيق الاستقلال وارساء قوة الدولة العنصرية.

البيض في ضاحية مايرزبارك في بريتوريا، التي تقطنها عائلات ميسورة من الطبقة الوسطى، لتناول الطعام مع اثنين من أفراد رعيته السود في ماميلودي. ويذكر: "بدا الامر بالنسبة الى الرجلين الابيضين كأنه انتقال من قارة الى أخرى، مع أن الرحلة لا تستغرق أكثر من دقائق. وهما اعتقدا أنهما لا بد سيتعرضان للذبح على أيدي السود."

ولم تمضِ أشهر حتى انضم الى البرنامج أكثر من ٥٠٠ أبيض أخذوا يشاركون السود في الطعام في بلدات قرب بريتوريا، ويشاهدون أحوال جيرانهم المعيشية البائسة. لكن سميث أحس أنه ما زال يريد أن يكون أكثر قربا من رعيته. وفي العام ١٩٨٥، تصدرت الصحفَ أخبارُ انتقاله وزوجته العالمة النفسانية هيلينا للعيش في ماميلودي، لكونهما أول أبيضين يقطنان في بلدة للسود.

يقول سميث: "علمتني هذه التجربة مدى ما يستطيع البيض معرفته عن السود بالعيش في وسطهم. خُيل إلي كأنما ثمة حائط زجاجي يفصل البيض عن السود ويسمح بالرؤية من جانب واحد، فيرى السود من خلاله لانهم يفدون الى بيوت البيض للعمل، أما البيض فعميان لا يرون."

أدت هذه التجربة الى حصول أول "لقاء" حقيقي في ابريل (نيسان) ١٩٨٦ عندما أمضى ١٧٦ مواطناً أبيض عطلة نهاية الاسبوع في ماميلودي. أما اليوم، فلدى حركة "كوينونيا" سبعة مكاتب اقليمية تتعاون ومجموعات مختلفة المذاهب في أنحاء البلاد. وخلال السنوات الست الفائتة أمضى أكثر من ٩٠٠ أبيض ليلة أو ليلتين في ضيافة عائلات من السود، يأكلون ويضحكون ويبكون وينامون ويصلّون معاً تحت سقف واحد.

صحن واحد. عندما سمعت بالبرنامج، قررت المشاركة فيه. وانضممت مساء يوم جمعة الى نحو ١٠٠ أبيض آخرين تجمعوا في قاعة في وسط جوهانسبرغ. ثم حُشرنا في حافلة أقلتنا مسافة ١٨ كيلومتراً الى مركز إيبلغنغ الاجتماعي في سويتو حيث تعرفت الى مضيفيَّ نوا وبريسيلا.

خرجنا من المركز الى الشارع



نوا وبريسيلا وابنتهما سينثيا وابنهما ماكبث.

الرئيسي السيىء الانارة. فقال نوا: "يجب أن توقف سيارة أجرَة." وكان المطر بدأ ينهمر ونحن قابعون ننتظر مع جماعة أخرى. ومرت بنا نحو عشر حافلات صغيرة "تاكسي" كانت مكتظة بعمال عائدين الى منازلهم. وأخيراً توقفت واحدة توافرت فيها بضعة مقاعد فارغة.

أحسست ونحن ننطلق مسرعين كأنما السائق في مهمة انتحارية. لكنه بدا قادراً على رؤية الاشياء في الظلام، فكان ينحرف متفاديا حفراً غائرة في الطريق، ويلتف حول منعطفات حادة تخلو من اشارات مرور. وكلما شاء الوقوف أو الابطاء أو الانعطاف يمنة أو يسرة، كان يكتفي باطلاق أضواء التحذير الجانبية ثم ينفذ ما يريد. وعندما التفت نوا اليّ ورأى الذعر مرتسماً على محياي قال لي: "لا تقلق، فنحن في سويتو نقود سياراتنا مهتدين بالتخاطر!" والواقع أن جميع سيارات الاجرة بدت كأنها متوافقة على نظام خفي مرمز.

كانت البيوت تصغر كلما تقدمنا، وتناقصت مصابيح الشوارع لتحل محلها أضواء كاشفة ثبتت على رؤوس أعمدة. فهتف نوا: "اننا نتجه الى عمق سويتو."

طلب نوا من السائق التوقف أمام مرأب ترك فيه سيارته. وبعد جهد أدار محركها، فانطلقنا في الظلام بمصباح أمامي وحيد. فقال نوا ضاحكا: "سيارتي غولة عوراء، مثل كثيرات في سويتو." وفعلا التقينا في طريقنا سيارات كثيرة متداعية كسيارتنا.

انعطف نوا بعد حين ودخل طريقاً فرعية، فأضاء نور السيارة كوخا صغيراً طوله خمسة أمتار وعلى كل جهة من بابه نافذتان. ولم تكن بريسيلا النحيفة الحيية تفوهت بكلمة، ففتحت الباب وأضاءت الداخل وقالت فخورة: "اهلا بك في بيتنا."

جلستُ ونوا الى طاولة نحتسي شرابا منعشا فيما راحت بريسيلا تعد طبقا من الرز والنقانق واليقطين. ولما انتهت غسلت صحنين موضحة أن "الغبار يدخل من الشقوق والجدران والسقف، ونحن مضطرون الى غسل كل شيء قبل استخدامه." ثم وضعت الطعام في الصحنين. فسألت عن السبب ظاناً أنهما ربما لا يملكان غيرهما.

فضحك نوا وفتح خزانة المطبخ ليريني عدداً من الصحون وقال: "لقد صادفنا بعض المشاكل في حياتنا الزوجية. وذات مرة قال لنا رجل جليل إن علينا أن نتشارك على نحو أوثق. لذلك بتنا نأكل دائماً من الصحن ذاته. فالمشاركة تجعل كلًّا منا أكثر مراعاة واهتماماً للآخر."

تلك الليلة، فيما كنت أطفىء شمعتي وآوي الى الفراش، سمعت نوا وبريسيلا يتلوان صلواتهما. وكانت غمغمات الساهرين في المقهى تتناهى الى سمعي. وتردد في الليل عواء أجش قاطعه نباح جرو صغير. وكانت السيارات تمر مسرعة قرب الكوخ، فيما راح أحد السكان يقطع كومة أخشاب بدت كأنها جدار غرفتي.

ومع ذلك غالبني النعاس، فاستغرقت في نوم عميق.

"إنك في أمان." في الصباح اغتسلت وعاد الى الانتعاش. ثم انضممت الى نوا وزوجته حيث جلسا في زاوية المطبخ. وفيما نحن نتناول طعام الفطور، أخبرني نوا كيف آل الى هذه الحال وبات يعيش في كوخ على أرض مشاع.

نشأ نوا في صوفيا تاون، وهي ناحية من جوهانسبرغ اعتُمدت لاحقا لسكنى البيض وغُيِّر اسمها ليصبح تريومف، أي النصر. ثم التحق بمدرسة سانت بيتر في روزيتنفيل التي كانت تعتبر أوكسفورد السود في جنوب افريقيا والتي خرَّجت قادة أمثال ديزموند توتو وهيو ماسكيلا. قال نوا بحرقة: "اضطررت الى ترك المدرسة لأننا عائلة فقيرة كنت فيها أحد ١٣ ولداً!"

أنهى نوا الصف التاسع (الصف الاخير قبل الشهادة الثانوية) في احدى مدارس سويتو. ثم عمل كاتبا في البلدية قبل أن ينتقل الى عمل تسويقي لدى شركة "باي – رايت" منحه نوعا من الاستقرار المادي. فتزوج بريسيلا وانتقل للسكن في أورلاندو في منزل من غرفتين مع عائلته النامية. يقول: "لكنني خسرت وظيفتي إبان الاضطرابات التي وقعت بعد ١٩٨٥، كما خسرت منزلي لانني بت عاجزاً عن دفع الايجار. لذلك طلبت من شقيقتي أن تسمح لي ببناء كوخ هنا."

فاجأني موقف نوا. فهو لم يكن يحس بمرارة لفقدانه وظيفته، وقال مفلسفا الامور: "كان لا بد من أن يقع البعض ضحايا المعاناة، بيد أنها معاناة ستقودنا الى الافضل في المدى البعيد."

بعد الانتهاء من طعام الفطور وتنظيف الصحون، طلب مني نوا الوقوف الى جانبه. ثم أحنى الزوجان رأسيهما وتلت بريسيلا صلاة بلغة سيسوتو طالبة من الله عز وجل أن يمنحنا البركة لذلك اليوم. ثم ركبنا سيارة نوا وانطلقنا عبر سويتو.

كان الجو قائظا بعد الظهر حين لجأت أنا ونوا الى مقهى شقيقته مارتا لارواء ظمأنا. فرحبت بنا مارتا سيبيجي وهي امرأة ضخمة ضحوكة، وقالت لي: "إن احتجت الى شيء أخبرني. انك في أمان هنا."

ارتميت متثاقلا في مقعد وطلبت شراباً. فتعمّد بعض الزبائن التقرب مني ومصافحتي. وقال أحدهم بعدما تولى نوا عملية التعريف: "اننا سعداء لوجودك بيننا." وسأل آخرون عن الغرض من زيارتي. وعندما أخبرتهم أني هنا لقضاء عطلة نهاية الاسبوع، بدت عليهم أمارات التعجب أولا، ثم السرور.

دموع تأثر. قرابة وقت العشاء انتقلنا الى منزل أقارب نوا المكلفين العناية بولديه. ولما كانت زيارتنا غير متوقعة، أحسست بالخجل لاستغلال عائلة يبدو عليها الفقر. فهمست في أذن نوا أن علينا الذهاب لشراء الطعام، لكنه رد همساً: "إن في ذلك إساءة اليهم. فاذا دعينا الى

العشاء فيجب أن نقبل الدعوة." وانتهى بنا الامر الى مشاركتهم في وجبة من البوتو باب (هريسة الذرة).

عدنا الى منزل نوا. في ليلتي الثانية هناك لم أسمع عواء كلاب ولا جلبة سيارات. وفي الصباح خرجنا بعد تناول الفطور للمشاركة في احتفال أقيم في مدرسة الحي الابتدائية. دخلنا قاعة الاحتفال ودعيت للجلوس الى طاولة المدرِّس، وجلس نوا الى جانبنا. وقد ضم الحقل ١٤ مدعواً أخذوا يصفقون ويتمايلون على صدح الموسيقى فيما راحت إمرأة عجوز متداعية تقرع طبلا كبيرا شُدَّ من جلد البقر.

في نهاية الاحتفال قدمني نوا الى الحاضرين وسألني إنْ كان لدي ما أقوله. فتمتمت: "شكرا لكم لأنكم قبلتموني بينكم." وكان هذا كل ما استطعته من خلال دموع التأثر.

حان ظهرا موعد عودتي الى المركز الاجتماعي لركوب الحافلة التي ستقل الزوار البيض الى جوهانسبرغ. وفي الطريق أشار نوا الى قاعة الجنازات حيث يعمل بدوام جزئي سائقا لعربة دفن الموتى في مقابل أجر ضئيل. واخبرني أن العمل كثير خلال عطل نهاية الاسبوع. فأدركت أنه ضحى بدُخله من أجل مرافقتي، وأحسست بالحرج. لكن نوا كان مرحا كعادته، فقال لي: "لقد استمتعت بضيافتك. علينا أن نبدأ من نقطة ما لنهدم جدار التمييز العنصري. من السخف أن ذلك استغرق كل هذا الوقت."

فلم أستطع الا الموافقة.

أدركت للمرة الاولى، وأنا في منزل نوا، أن حياتنا، بيضاً وسوداً، كانت على الدوام مترابطة على نحو لا يقبل فكاكاً. فالبيض، مع كل ثرواتهم المادية، أفقروا أنفسهم حضاريا بالقبوع في الجانب الاعمى من جدار التمييز العنصري. لقد بدأ الزجاج التشقق الآن، لكن ٤٥ سنة مرت عليّ قبل أن يتاح لي الجلوس الى طاولة عائلة سوداء متواضعة لأكتشف أن ما يجمعنا هو أكثر كثيراً مما يفرقنا.

عندما انطلقتْ حافلتنا من سويتو رأيتُ البيوت تتخذ معنى جديداً، وشعرت بأن ساكنيها بشر مثلي. فتملكني دوار، لكني أحسست أني مرتبط بأرضي أكثر من اي وقت مضى.

وليم باركر ■

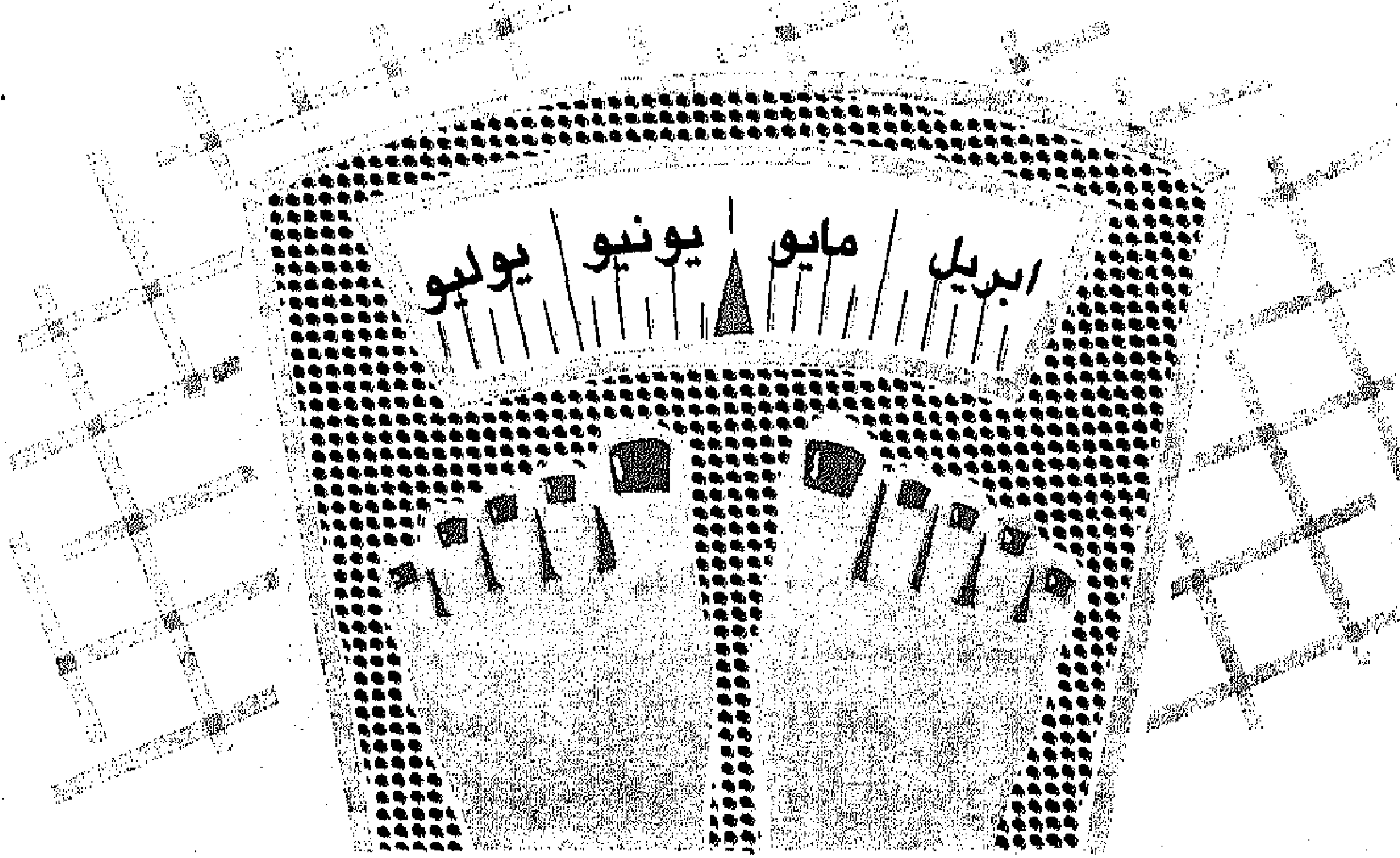


شد وجه

قالت سيدة لصديقتها: "لقد اجريت عملية شد لوجهي."
فتعجبت الصديقة: "حقا؟ لكني لا ألاحظ اي فرق."
فاوضحت لها متجهمة: "لقد عاد وارتخى عندما رأيت الفاتورة."

ش.ك.

يحلّ الصيف فنقف أمام المرآة ونتحسّر...
كيف سنبدو في بذلات السباحة؟



موعد مع النحافة

حين استهل الربيع تطلعت تيري فلارتي الى حالها فغلب عليها الاشمئزاز. لقد زاد وزنها ١٤ كيلوغراماً على ما كان في سني الدراسة، وها هي تكاد لبدانتها لا تستطيع ارتداء ملابسها.

تتذكر تيري: "نظرت الى نفسي في المرآة فرأيت امرأة بدينة قصيرة." في اليوم التالي باشرت تيري العمل على استعادة رشاقتها. فنظمت جدولاً يومياً للمشي، ثم بدأت تمارس رياضة الهرولة، وانضمت بعد ذلك الى ناد للصحة حيث باشرت تمارين منتظمة. خفّفت أكل شطائر الهمبرغر وأكثرت من أكل التفاح والجزر.

وما إن حلّ الصيف حتى كانت تيري أنقصت وزنها نحو تسعة كيلوغرامات. وواظبت على برنامجها هذا الى أن عادت نحيفة. وهي تقول: "خرجت الى السوق واشتريت بذلة سباحة مع أننا كنا في ديسمبر (كانون الاول)."

ILLUSTRATION: LISA HENDERLING

وها قد مضت ثلاث سنوات وما زال وزنها مستقراً على ٥٧ كيلوغراماً.

واجه أحد أطباء الأسنان مشكلة إنقاص الوزن عينها. فهو أراد الظهور بمظهر لائق في الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لتخرج صفه في الجامعة. فعمد الى اتّباع برنامج حمية وجدول تمارين قاسيين، فأنقص وزنه أكثر من عشرة كيلوغرامات. لكنه تهاون بعد الاحتفال، فاستعاد معظم ما فقد.

تقول ليليان تشونغ الاختصاصية بالتغذية واللياقة البدنية: "ان بذلة السباحة ولقاء الخريجين القدامى هما الحافزان الاكبران اللذان يحملان الناس على التخفيف من بدانتهم. فمع حلول الطقس الحار، ينظر كثيرون من رواد الشواطىء باستياء الى أجسادهم المترهّلة فيصمّمون على ممارسة الحمية والرياضة. ولكن، تضيف تشونغ، "لسوء الحظ، يستعيد ٩٠ في المئة ممن مارسوا الحمية معظم ما فقدوه من كيلوغرامات في غضون سنة واحدة."

مع ذلك، في استطاعتكم أنتم تحسين قوامكم هذا الصيف وبعده. ففي رأي كيلي برونل، أستاذة علم النفس وواضعة برنامج "تعلّم" لضبط الوزن، ثمة كثيرون من متبعي الحمية يعتمدون برنامجا ذاتيا لخفض الوزن. وتضيف برونل: "إن تصميمكم على خفض وزنكم بأنفسكم يمنحكم التزاما قويا وينمي ثقتكم بأنفسكم ويظهر لكم قدرتكم على تحقيق ما تنشدون."

فكل ما يلزم هو تخطيط صائب وحسن إدراك ومثابرة. وإليكم طرائق ناجعة تمكنكم من اكتساب الرشاقة وتحول نجاحكم الموقت نمط حياة:

ضعوا نصب عيونكم اهدافا واقعية.

يرى جوزف بسكاتلا الاختصاصي بالفيزيولوجيا[1] الرياضية ومؤلف كتاب "خيارات لقلب سليم"[2] أن كثيرين من الناس يؤمنون بأوزان "وهمية" فيحلمون بانقاص وزنهم ثمانية كيلوغرامات أو تسعة خلال شهر واحد أو بالوصول الى نحافة عارضات الازياء. ولكن من المعقول أن تنقصوا وزنكم نصف كيلوغرام في الأسبوع. وقد تتمكنون من خفضه ستة كيلوغرامات في ثلاثة أشهر وربما ١٨ كيلوغراما في تسعة أشهر.

وعليكم أن تأخذوا سجلّ عائلتكم في الاعتبار. يقول الدكتور ألبرت ستنكارد: "اذا كان والداك كلاهما بدينين، فالاحتمال هو ٨٠ في المئة أن تكون أنت بدينا." فهل يعني ذلك أن وارث البدانة لن يتمكن أبداً من إزالة الوزن الزائد؟

يجيب ستنكارد: "لا، لكن إنقاص الوزن يكون أكثر صعوبة." وتقترح كيلي برونل أن يسعى المرء الى إنقاص وزنه الى معدل مقبول يرتاح اليه، لا الى المستوى المثالي في لوائح الوزن.

تجنبوا وعوداً مثل: "لن أعود الى أكل

---

(١) الفيزيولوجيا علم وظائف الاعضاء.

(٢) Choices for a Healthy Heart

الحلوى أبداً." فهي تشعركم بالذنب والخيبة إن استسلمتم للاغراء وأخفقتم في احترامها. ركزوا على التغييرات الايجابية التي تحققونها.

ركزوا على برنامج طويل الأجل.

يتذكر مدير إحدى الشركات مسلسل "البدانة فالرشاقة فالبدانة" الذي كان يختبره كل سنة. كان في الصيف يمارس أنواع الرياضة، ثم يحل الخريف وتكثر الاحتفالات والاعياد وهي مناسبات للاكثار من أكل الحلوى، وما ينتصف الشتاء حتى يرتفع وزنه الى ٨٩ كيلوغراماً. ويتتابع المسلسل، فيعود صاحبنا الى الرياضة صيفاً فيهبط وزنه الى ٧٩ كيلوغراماً، وهكذا دواليك في حلقة مفرغة.

إن حمية "اليويو" (أي تناوب الهبوط والارتفاع باستمرار) هي ممارسة خطرة ومقلقة. فخلال الهبوط يخسر المرء الدهن والعضل معاً. وعندما يستعيد وزنه يكون معظم ما يستعيده دهناً. وكلما انخفض وزنه ثم استعاد ما فقده ازدادت نسبة الدهن في جسمه. وأولئك الذين يتكرر لديهم مسلسل الهبوط والارتفاع هم أكثر تعرضاً للاصابة بمرض القلب من البُدُن الذين لم ينقصوا وزنهم قط.

كلوا ببساطة وحكمة.

البطون المنتفخة والأفخاذ المكتنزة والدهن الكثيف الذي يلف الخصر ما هي إلا نتيجة استهلاك مقادير مفرطة من الوحدات الحرارية (الكالوري). فكل فائض من إحدى مجموعات الاغذية الثلاث – الدهن والكربوهيدرات والبروتيين – يتحول دهناً في الجسم. لكن الدهن يُختزن بسهولة أكبر. فالجسم يستهلك سبعة في المئة فقط من كل غرام من الدهن لاختزانه، فيما يستهلك ٢٥ في المئة لتحويل البروتيين والكربوهيدرات واختزانهما. وفي كل غرام من الدهن طاقة من خمس وحدات حرارية، أي أكثر من ضعفي الوحدات الكامنة في غرام من البروتيين أو الكربوهيدرات.

فاذا قصرتم الوحدات الحرارية التي تستمدونها من الدهن على ٣٠ في المئة، وقرنتم ذلك بالرياضة، فقد تنقصون السمنة الزائدة تدريجاً. ولكي تحسبوا بالغرامات الحد الاقصى الموصوف لكم من الدهن، اضربوا عدد الوحدات الحرارية في نظام الحمية في ٠،٣ واقسموا الحاصل على تسعة. فاذا أخذنا امرأة حُدّد استهلاكها بمقدار ١٢٠٠ وحدة حرارية يومياً، فيكون استهلاكها الاقصى من الدهن ٤٠ غراماً في اليوم.

ابدأوا بالامتناع عن الاكل بين الوجبات الرئيسية، وحاذروا الاطعمة السريعة المطهوّة بالدهن. آثروا السمك والدجاج المسلوخ، وتجنبوا الاكثار من اللحم المدهن. اشربوا الحليب الخالي من الدسم أو القليل الدسم بدلا من الحليب الكامل الدسم. وامتنعوا عن الحلوى بعد الطعام. ركّزوا على البطاطا واللبن المقشود بدلا من الزبدة أو

القشدة، وعلى المعكرونة الخالية من المرق الدسم. واذا كنتم تجهلون مقدار الدهن في أطعمتكم، فتعوّدوا قراءة المحتويات الملصقة على أوعية المواد الغذائية. وفي غياب الملصقات، اشتروا دليلاً غذائياً. أحصوا الوحدات الحرارية اذا أردتم. إن إحجامكم عن تناول ٣٥٠٠ وحدة حرارية تتناولونها عادة ينقص وزنكم نحو نصف كيلوغرام.

ولستم مضطرين الى التنازل كلياً عن مآكلكم المفضلة. راندي أكرسن صاحب مطعم لم يمنعه اتباع الحمية من طهو أطايب يسيل لها لعابه.

الرياضة! الرياضة!

لا يتعين عليكم الركض كما في سباق. فالتمرين العادي المنتظم يكفي. المشي السريع يحرق نحو ست وحدات حرارية في الدقيقة. واذا مشيتم نصف ساعة يومياً فانكم تحرقون بحلول نهاية السنة وحدات تعادل تسعة كيلوغرامات من الدهن.

يقول الخبير في الوقاية من الامراض بيتر وود إن للمشي الفاعلية ذاتها التي للهرولة. وتبين الدراسات أن الشخص الذي يمشي ستة كيلومترات يوميا يخسر من وزنه نحو ما يخسره ذلك الذي يركض ستة كيلومترات. ويضيف وود: "المهم هو أن تمارسوا النشاط الذي يلائمكم."

وثمة مكافأة اضافية للرياضة. فبعد التمرين الجسماني المنتظم (هرولة أو ركضاً) يظل المعدل الايضي الهجوعي[٣] للجسم خلال فترة الراحة مرتفعا لفترة تراوح بين ٢٠ و٣٠ دقيقة، محرقاً طاقة اكثر من المعتاد. ومع تمارين تنمية العضلات يزداد المعدل الايضي الهجوعي تدريجا مع الوقت، لأن هذه التمارين تقوّي العضل، والعضلات هي محركات الجسم التي تحرق الطاقة. يقول واين وستكوت المستشار في تنمية القوة البدنية: "كلما ازداد عضلك ازدادت الحاجة الى الطاقة التي تغذيه."

تكيّفوا ذهنياً.

كثيراً ما نأكل من غير وعي تقريباً، خصوصاً لدى جلوسنا أمام التلفزيون. ابدأوا ضبط وزنكم بتسجيل كل لقمة تأكلونها: كيف حُضِّر الطعام، وأين أكلتموه، ومع من، وكيف كان مزاجكم. ولا تنسوا الزبدة التي تمدّونها على الخبز والصلصة الدسمة التي تغمسون فيها. فالقائمة التي تدونونها قد تفتح عيونكم على مواقع العلّة فتكتشفون أنكم، حين تشعرون بالكآبة والاحباط، تقصدون علبة الحلوى أو الشوكولاتة، وحين يأتيكم ضيوف أعزاء تأكلون أكثر.

اعتمدوا قواعد جديدة لكبح هذه العادات الضارة. التزموا تناول الطعام في مكان واحد، الى الطاولة ذاتها، وبشوكة وسكين وملعقة. اسكبوا الطعام في صحون صغيرة كي تبدو الحصة أكبر. امضغوا جيداً وبتأنٍّ. لا تشتروا أطعمة مغرية.

---

(٣) Resting metabolic rate

التزموا هذا البرنامج، لأن شبح الأكل يظهر لكم مراراً كل يوم ويغريكم بالارتخاء. حصِّنوا أنفسكم ضد تلك اللحظات. تجنبوا المرور أمام الفرن في طريقكم الى المنزل. وخطِّطوا لما يجدر تناوله من طعام وشراب خلال الحفلة التي دعيتم اليها.

واذا استسلمتم للاغراء وتناولتم بعض الجيلاتي (أيس كريم) فلا بأس. فذلك لا يفسد كل شيء. يعتقد كثيرون بوجوب التزام الحمية تماماً أو عدم التزامها على الاطلاق. فاذا تناولوا قطعة حلوى قالوا لأنفسهم: "لقد أفسدت برنامج حميتي، فلا عليّ اذا تابعت الاكل وأشبعت نهمي." أما أنتم فأحجموا عن تناول مزيد من الحلوى وتابعوا برنامج الحمية في اليوم التالي. فان زلة واحدة لا تعني الفشل الكامل.

تذكروا تمضية فصل الصيف المقبل على الشاطىء. ولا تهملوا أجسامكم بحيث تعود مطلع الخريف الى الارتخاء والترهل. نظموا برنامج الحفاظ على وزنكم والتزموه طوال السنة. بهذه الطريقة تحتفظون برشاقتكم ليس في فصل الصيف هذا فحسب وانما في كل صيف وخريف وشتاء وربيع آتية.

ادوين كيستر جونيور
وسالي فالنتي كيستر ■



آباء وأبناء

كنت ماراً قرب مدرسة ابني ساعة الانصراف، فانتظرته لأقلّه معي الى البيت. مرت دقائق صمت ونحن في السيارة حاولت بعدها أن أفتح معه حديثاً، فسألته: "هل أمضيت نهاراً جيداً في المدرسة؟"

- نعم.

"ألديك فروض منزلية؟"

- كلا.

"يبدو انك قصصت شعرك."

- نعم.

"هذه محادثة أحادية الكلمات، أليس كذلك."

- بلى.

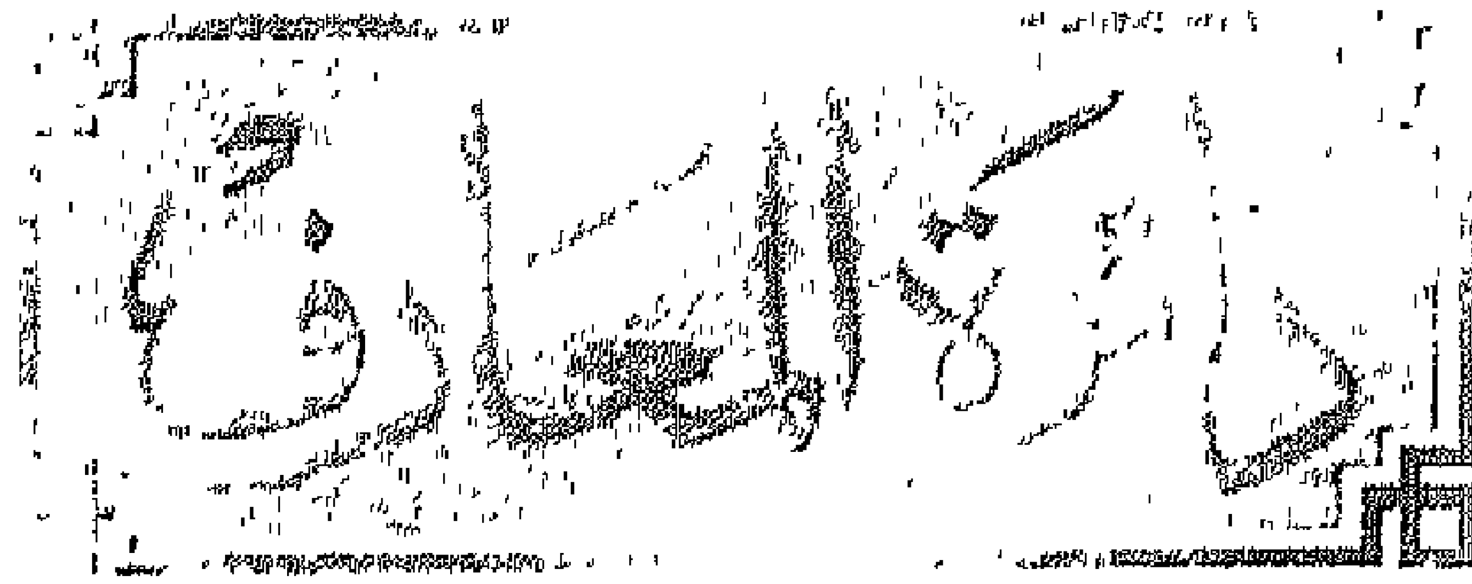
"هل تعرف معنى أحادية؟"

- نعم.

"أخبرني اذاً ما معناها." وضحكت في سري وأنا أفكر: عليه الآن أن يعطيني تفسيراً قاموسياً.

لكنه أجابني بابتسامة خبيثة: "واحد."

ف.ف.



انعم العرب النظر في خصائص الحيوان وتعمقوا في خصال البشر وخرجوا بتشبيهات واستعارات صائبة ضربوا بها المثل.
هنا بعض ما تناقلوه.

كتمان الأرْض. يُضرَب به المثل، كما قال ابن المعتزّ في الفصول القِصار: لا تَذكر الميتَ بسُوء فتكونَ الأرض أكتمَ عليه منك.

إطراق الشجاع. من أمثال العرب: أطرق اطراق الشجاع، اذا سكن وسكت. قال المتلمِّس:

فأطرقَ إطراقَ الشجاع ولو يرى
مساغاً لنابَيهِ الشجاعُ لَصَمَّما

ريّ الضب. يُضرَب به المثل، فيقال: أروَى من الضبّ، لأنه لا يشرب الماء أصلاً. وذلك أنه إذا عطش استقبل الريحَ فاتحاً فاهُ، فيكون ذلك ريّه. والعرب تقول في الشيء الممتنع: لا يكون ذلك حتى يَرِدَ الضَبُ، وفي تبعيد ما بين الجنسين: حتّى يؤلِّفَ بين الضبّ والنون.
ويُضرب المثل أيضاً بعقوق الضبّ. ومن عقوقها أنها تأكل أولادها، وذلك أن الضبّة إذا باضت حرَستْ بيضها، فإذا أخرجتْ اولادها ظنّتْها شيئاً يريد بيضها، فوثبت عليها فقتلتها وأكلتها.

صَيد ابن آوى. يُضرب مثلا لما يشقّ طلبُه ويصعب الظفَر به، فإذا وُجد لم يكن له طائل. قال الشاعر:

كان ابن آوى وهو صعب فإذا
ما صِيدَ يوما لا يُساوي خَرْدَله

بخل الكلب. يُضرَب مثلاً للبخيل، لأن الكلب إذا نال شيئاً لم يطعم منه، وإن رامَ انسانٌ انتزاعَ شيء من يده هرّشه.

ظلم الحيّة. العرب تقول ليس شيء أظلمَ من الحية، لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتا، وكلّ بيت قصدتْ نحوَه هرب منه أهله وخلُّوه لها فدخلته، واثقةً أن ذلك الساكن بين أمرَين: فإما أقام فصارَ طعاماً لها، وإما هرَب فصار البيتُ لها، فأقامت فيه ساعةٍ أو ليلةً.
ويُضرب المثل أيضا بلسان الحية تُشبَّه به القَدَم اللطيفة، كما قال بعض البُلغاء في وصف امرأة حسناء: لها صُدغ كالعقرب، وعُنُق كالابريق الفضة، وسُرة كمدْهُن العاج، وقَدَم كلسان الحية.

عضّ النملة. قال بعض الحلماء وهو يضرب المثل بما يُستهانُ ولا يُبالى به: ما عسى أن يكون عض النملة، وقرْص القَمْلة، ولَسْع النحلة، ووُقوع البقّة على النخلة، ونُباح الكلاب على السحاب! ومَا موقع الذُباب مِن ذي ناب!
ويُضرب المثَل أيضا بقوة النمل، لأن النملة تجرّ نواة التمرة وهي أضعافها وَزْنا.

ودعا رجل لبعض الملوك فقال: جعل الله جُرأتك جرأة ذُباب، وقوّتك قوةَ نملة، وكَيدَك كيدَ امرأة. فغضب الملك من قوله، فقال له. على رِسْلِك أيها الملك، إنه يَبلغ من جُرأة الذبابَ أن يقع على أنف الملك، ويَبلغ من قوة النملة أن تحمِل أضعافَ وَزنها، والفيلُ لا يستقل ببعض ذلك، ويبلُغ من كيد المرأة ما لا يبلغه دُهاةُ الرجال.

حُمق جَهيزة. من أمثالهم: أحمق من جَهيزة، وهي عِرْس الذئب، أي أليفته. ومن حُمقها أنها تَدَع ولدها وتُرضع ولدَ الضبع، كفعل النعامة ببيض غيرها.

قالوا: ويَشهد لما بين الضَبع والذئب من الألفة أن الضبع إذا صيدت أو قُتلت فإن الذئب يتكفّل بأولادها ويأتيها باللحم

جرأة الأسد. يتمثل بها حتى النساء والصبيان، لأن الأسد سيد السباع، كما أن العُقاب سيّد الطيور، والفرس سيّد الدواب، كما قال ابو الحسن المدائني: قال نصر بن سيار: كان عظماء الترك يقولون: ينبغي أن يكون في القائد العظيم القيادة عشر خصال من أخلاق الحيوان: جُرأة الأسد، وخَتْل الذئب، ورَوَغان الثعلب، وحملة الخنزير، وصبر الكلب على الجراحة، وتَحَنُّن الدجاجة، وسخاء الديك، وحذَر الغراب، وحراسة الكُركي، وهداية الحمام.

مرآة الغريبة. يضرب بها المثل، فيقال: أنْقَى من مرآة الغريبة، لأن المرأة الغريبة تتعهد مرآتها من الجلاء بما لا يتعهّد غيرها، وتتفقد من محاسن وجهها ما لا يتفقده سواها، فمرآتها أبداً مجلوة نقية.

جمل السِّقاية. يُضرَب مثلا في الامتهان، فيقال: ما هو إلا جَمَل السُّقْيا، وحمارُ الحوائج.

ولد الحمار. من أمثال العرب: أخلف من ولد الحمار، يريدون به البغل، لأنه لا يشبه أبَاه ولا أمه.

ويُضرب المثل أيضاً بصوف الحمار في العُسْرة والنكد، فيقال: أنْكَد من صوف الحمار. كما يُذكر صوف الكلب في القلة والعسرة، فيقال: أعسر من صوف الكلب.

جِلْد النَّمر. من أمثال العرب في المكاشَفة وإبراز صفحة العداوة قولهم. لبِس لهم جِلدَ النَّمر.

داء الظَّبْي. من امثال العرب عن أبي عمرو الشيباني في صحة الجسم قولُهم: داء الظَّبْي. قال: ومعناه ليس به داء كما أنّه لا داء بالظبي.

مِشْية السَّرطان. يُضرَب بها المثل في الإدبار ورجوع القَهْقَرى. وكان الخوارزمي إذا وصف راجعا إلى وراء قال: مِشْية السَّرطان، وكبَوْل الجمل إذْ يَرجِع الى خَلْف.

صحبة السَّفينة. تُضرب مثلا في الصُّحبة التي لا صداقة معها، وذلك أن الناس ربما تَصاحَبوا في السفينة ثم لا يتصادقون بعدَها. قال الشاعر:

من غاب عنكم نَسِيتموه
وروُحُه عندكم رَهينَه
أظُنُّكم في الوَفاء ممَّن
صحبتُه صحبة السَّفينَه

سِرّ الزُّجاجة. يُضرَب مَثَلا لما لا يُكتَمُ من الأسرار، لأن الزجاجة جوهر لا يُكتم فيه شيء لما في جِرْمه من الضياء.

وكَتَب ابنُ المعتز الى صديق له: أقلِل من فلان نَصيبَك، فإنه أنَمُّ مِن زجاجة على ما فيها.



جوهرة ميونيخ

الحديقة الانكليزية ينبوع بهجة في قلب العاصمة البافارية

تستقبل الحديقة الانكليزية في ميونيخ نحو عشرة ملايين شخص سنوياً يؤمونها من أنحاء العالم. وتمتد هذه الارض الفسيحة الخضراء في موازاة الضفة اليسرى لنهر ايزار – من وسط المدينة الى حدودها الشمالية – مسافة خمسة كيلومترات طولا و٨٠٠ متر عرضا. وهي تعتبر إحدى الحدائق العامة الأوسع والاقدم في العالم، إذ تضم مروجا تمتد على مساحة ٣٧٣ هكتاراً، وأودية صغيرة مشجرة وبحيرات وجداول، و٧٣ كيلومتراً من الممرات ودروب الخيل. ويقول عمدة ميونيخ جورج كرونافيتر: "أصبحت المناطق الخضراء المفتوحة عنصراً حيوياً في محيط مدينة كبيرة غزاها الاسمنت. الحديقة الانكليزية واحة طبيعية."

وهي أيضا منطقة استجمام لكل الاجيال ويمكن المرء السير في أنحائها أو الهرولة أو ركوب الدراجة أو استئجار

PHOTO: © OSSI BAUMEISTER / AGENTUR ANNE HAMANN

قارب تجذيف عند بحيرة كلينهيسيلوهر أو الاستراحة على أحد المقاعد الكثيرة.

وتتحول الحديقة شتاء أرض عجائب لهواة التزحلق على الجليد وممارسي رياضة التزلج. وتستقبل صيفا محبي "حمامات" الشمس الذين يحتلون مقاعدها المطلة على جدول شفابنغر.

وفي الحديقة ستة ملاعب للأولاد مجهزة بهياكل معدنية للتسلق وبأراجيح ومزالق ودوامة خيل[1] ذاع صيتها منذ العام ١٨٢٣. والدوامة الحالية ذات السقف الخشبي نسخة حديثة عن الأصلية بنيت قبل ٧٧ سنة، وهي فريدة لا لصناعتها الحرفية فحسب بل لتنوع مطاياها، من أيائل وجمال وزرافات وطيور نحام (فلامنغو) ومزالج وعربات مزخرفة، يركبها الأطفال في مقابل مارك واحد للرحلة.

وتمتد فوق جداول "شفابنغر" و"الجليد" و"الكولونيل ياغرمايستر" جسور كثيرة صنعت من الحجر والحديد والخشب يخالها المرء خيوطاً فضية منسابة في الحديقة المزدانة بنصب تذكارية متنوعة، من أشهرها هيكل مونوبتيروس الصغير بأعمدته العشرة الذي أنجز عام ١٨٣٧ ويعتبر جوهرة للهندسة المعمارية الكلاسيكية.

وفي القسم الشمالي من الحديقة مدرج طوله ٤٠ متراً وعرضه ٢٥ هو ثمرة مبادرة من مواطني ميونيخ. ففي أوائل الثمانينات قرر أعضاء نادٍ للممثلين الهواة بناء مدرج مطابق لذلك الذي كان قبلة أنظار رواد الحديقة قبل ٢٠٠ سنة. فجمعوا نحو مئة ألف مارك (نحو ٦٢ ألف دولار) وقدموا المسرح الجديد عام ١٩٨٥ هدية الى مقاطعة بافاريا. ويقول الممثل ستيفان تروبرغ أحد أفراد المجموعة: "قدمت فرقتنا المسرحية أعمالا مختلفة في المدرَّج، ولاقت نجاحا كبيراً. واستخدمته المدارس والفرق الموسيقية لنشاطاتها أيضاً."

انكليزية في ألمانيا. يتجلى جمال الحديقة الأخاذ في كل أنحائها، ولكن يبقى مكاني المفضل في وسط الجزء الجنوبي منها، حيث ترتفع الباغودا الصينية ببرجها الخشبي ذي الطبقات الأربع وأجراسها التي تزين سقوفها العلوية. وقد تأثر مهندسها المعماري جوزف فراي بباغودا حدائق كيو في لندن المؤلفة من تسع طبقات. وعندما احترق المبنى عام ١٩٤٤ في غارة جوية إبان الحرب العالمية الثانية، اعترى سكان ميونيخ أسى شديد حداهم على تأسيس جمعية لاعادة بنائه. وتحققت أمنيتهم عام ١٩٥٢.

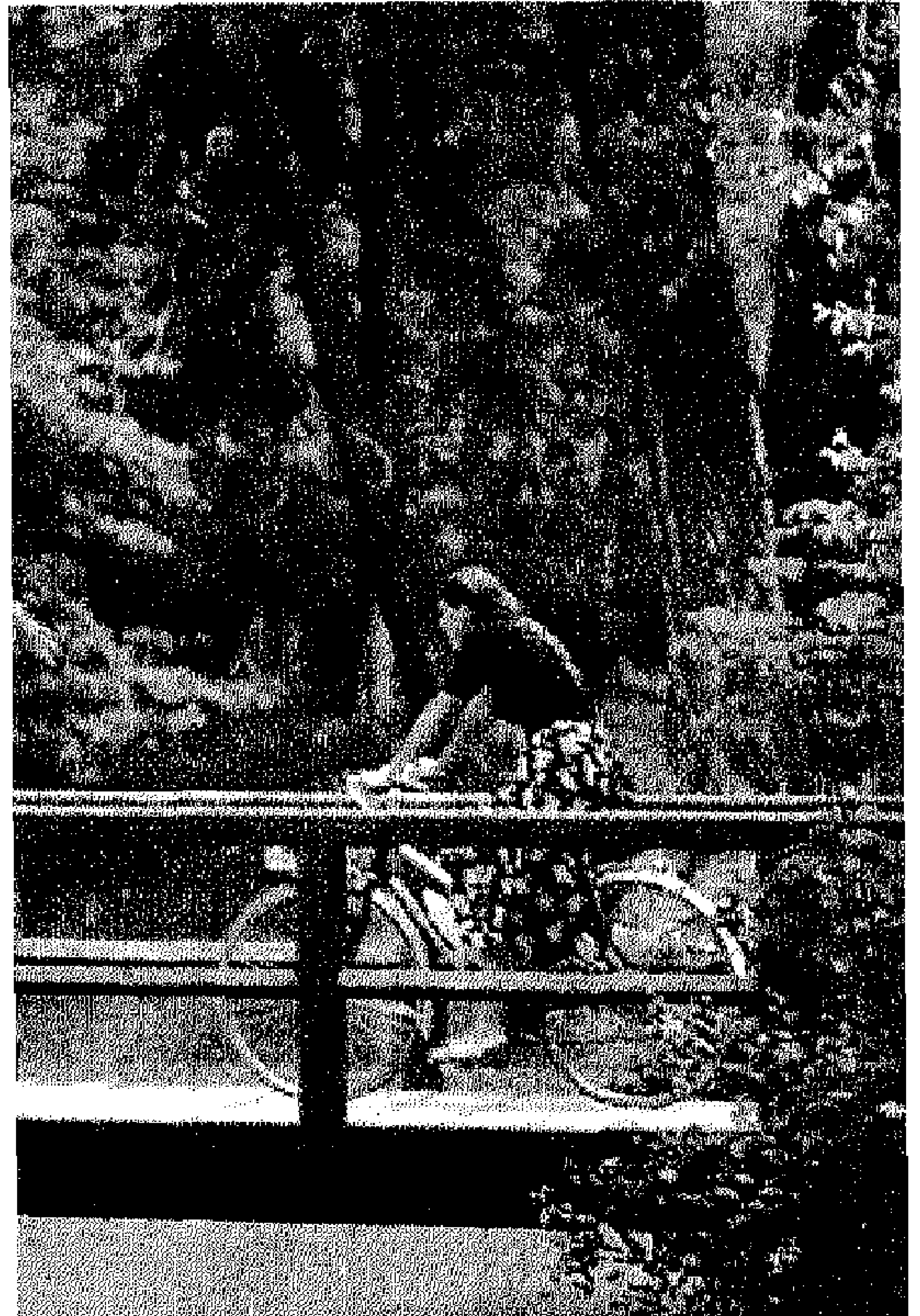
ويحيط بالباغودا أشهر "بستان شراب" في المانيا وهو أحد أربعة تضمها الحديقة. ومع أنه يتسع لنحو ٧٢٠٠ شخص، فقد يتعذر العثور على مقعد واحد خال في أمسيات الصيف الحارة. وتحت ظلال أشجار الكستناء تتجمع حشود مختلطة من طلاب الجامعة

(١) Carousel



© GUIDO MANGOLD / AGENTUR ANNE HAMANN

(فوق) مرح في "بستان الشراب."
(تحت) أحد الجسور الرومنطيقية في الحديقة.



المجاورة ومثقفي "الحي اللاتيني" في ميونيخ وبافاريين أصليين في ملابس تقليدية. هنا يلتقي الاصدقاء القدامى وتنشأ صداقات جديدة. وهنا تحيي فرقة موسيقية ثلاث حفلات أسبوعيا.

وتتوافر القهوة والمرطبات في البستان، كذلك تشكيلة غنية من المأكولات. لكن كثيرين يحضرون طعامهم معهم.

وصالة الشاي هي المكان المناسب للذين ينشدون مكانا هادئا بعيداً عن الضوضاء. وهي تقدمة من اليابان لمناسبة دورة الالعاب الاولمبية التي أقيمت في ميونيخ عام ١٩٧٢، وترمز الى السلام والتفاهم الدولي. وقد أقيمت عند طرف بركة وتعتبر نموذجا للهندسة

المعمارية اليابانية. و"حفلة الشاي" طقس قد يستغرق أربع ساعات، هدفه تدريب المشاركين على فضائل "التآلف والاحترام والطهارة والسكون."

ما هو التفسير المعقول لهذا المنظر الانكليزي و"صندوق العجائب" في قلب ميونيخ؟

لجلاء الأمر، اقصدوا الناحية الجنوبية - الشرقية من الحديقة حيث يرتفع نصب حجري يحمل تمثالا نصفيا من المرمر. وستعجبون أكثر، لأن مؤسس الحديقة أمريكي يدعى بنجامين طومسون أصبح لاحقا الكونت رامفورد.

جيش عامل. ولد طومسون عام ١٧٥٣ في وبرن من ولاية مساتشوستس الامريكية. وكان والده مزارعاً. تابع محاضرات في الفيزياء والطب في جامعة هارفرد. وعاش مع زوجته سارة في كونكورد من ولاية نيوهامشير. وفي سنوات الثورة الامريكية كان طومسون مواليا للملكية وعمل لحساب الاستخبارات البريطانية. وفي العام ١٧٨٤، وكان في الثلاثين من عمره، منحه الملك جورج الثالث لقب "فارس" جزاء لخدماته. وتقاعد برتبة كولونيل وخصص له نصف راتب مدى الحياة. لكن طموحه الجامح أبى عليه الاكتفاء بالعيش متقاعداً ميسوراً، فسافر الى المانيا وحصل على وظيفة في الجيش البافاري.

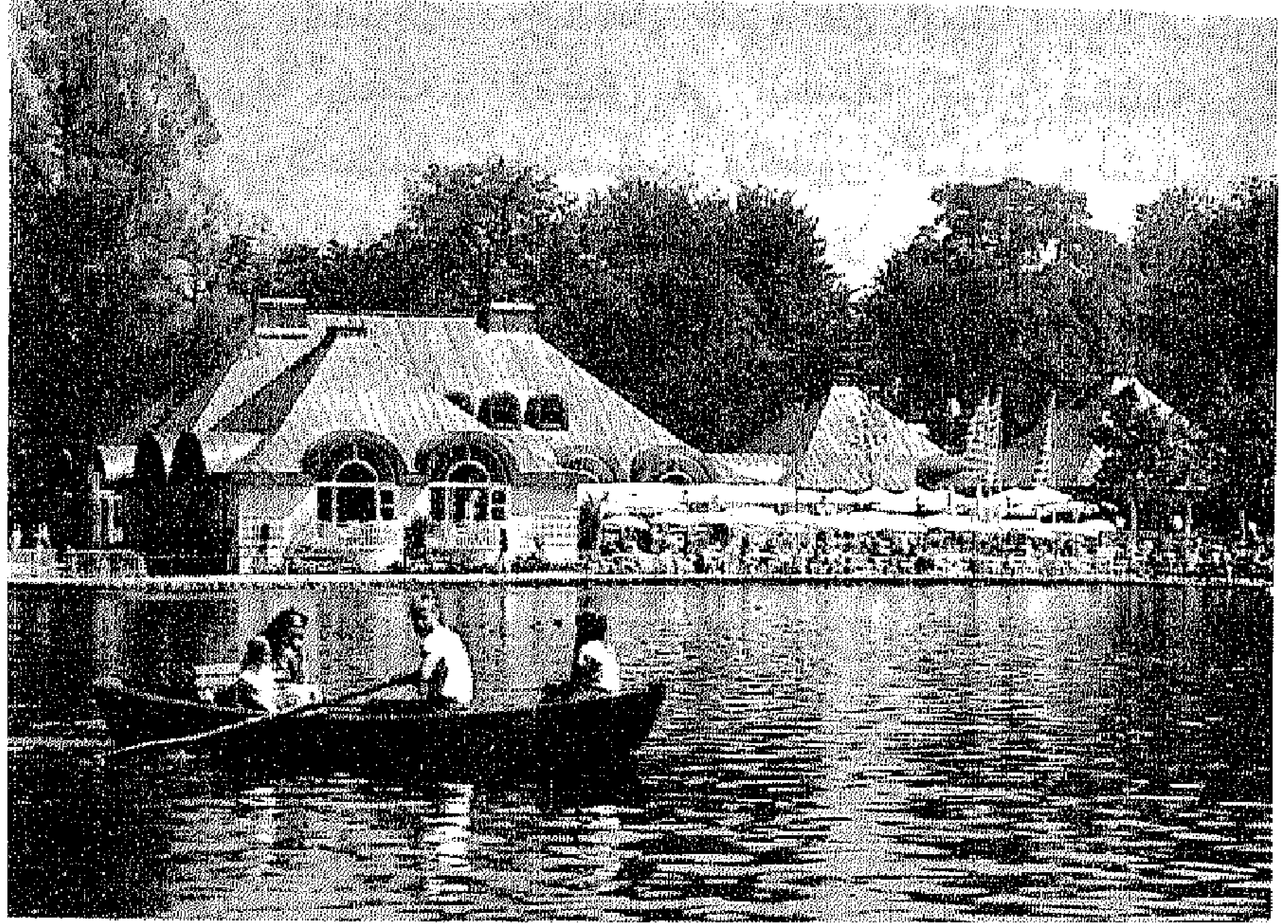
أكب طومسون على دراسة اللغة طوال السنوات الأربع التالية. ولمس التخلف



الباغودا الصينية التي أعيد بناؤها عام ١٩٥٢.

الذي تتخبط فيه بافاريا ومدى انغماس اقطاعييها وعسكرييها وادارتها المدنية في الانحطاط والكسل والفساد. واقترح في تقرير مفصل أعده عام ١٧٨٨ إجراء إصلاحات شاملة، خصوصاً في مؤسسة الجيش. وقد ترك هذا التقرير انطباعا قويا لدى كارل تيودور أمير بافاريا، فعين طومسون وزيراً للحرب والشرطة.

أقام طومسون حاميات عسكرية دائمة وأنشأ مدارس للجنود وعائلاتهم، وجعل قواته تعمل في شق الطرق واستصلاح الاراضي وزرع البطاطا. وسرعان ما درّت الصناعات العسكرية المتنوعة ايرادات كافية لدفع ثمن كل تجهيزات الجيش،



رحلة في زورق في بحيرة كلينهيسيلوهر، ويبدو "بيت البحيرة."

بدءاً بالثكن والبزات الجديدة وصولا الى رفع رواتب الجنود.

في فبراير (شباط) ١٧٨٩ وافق كارل تيودور على فكرة طومسون انشاء حديقة عسكرية واسعة. وشملت خططه منطقة زراعية فيها حدائق خضر وحقل تدريب لطلاب المدرسة الحربية ومنشآت أخرى. ووقع اختياره على مرج مستنقعي على الضفة اليسرى لنهر ايزار. وأيد كارل تيودور الاختيار بحماسة، وجنَّد طومسون فيلقا كاملا من الجيش لزرع التربة المستنقعية.

كونت رامفورد. ليس معلوما متى بدل طومسون رأيه وآثر انشاء حديقة عامة. لكن الفكرة صارت ملحة مع اندلاع الثورة الفرنسية واقتحام سجن الباستيل في ١٤ يوليو (تموز)، ذلك لأن طومسون أيقن أن الثورة لن تراود ذهن شعب حر في التنزه والترويح عن نفسه.

عُين مهندس البلاط فريدريك لودفيك فون سكيل مساعداً لطومسون. وكان فون سكيل زار بريطانيا في سبعينات القرن الثامن عشر حيث اطلع على المفهوم الحديث لهندسة المناظر هناك، الذي يستحسن ترك النباتات تنمو طبيعياً عوض تطويعها لرغبة الانسان، كما تعرّف الى فكرة تزيين الحدائق بهياكل وشلالات وجسور صغيرة.

في ٢٥ مايو (أيار) ١٧٩٠ دعا طومسون الامير كارل تيودور الى لقاء نظرة تمهيدية على الحديقة. فاذا بهما يتجولان في أرجائها طوال ثلاث ساعات. وما رآه الامير كان تحولا هو أقرب الى المعجزة. فقد زرعت الأراضي المستنقعية بالبرسيم والعشب وألوف

الاشجار. وشُقت فيها الطرق والممرات وعلت جداولها جسور مزخرفة جميلة. وجهزت مدرسة للطب البيطري لاستقبال ٣٢ طالبا. وكانت ورشة العمل على وشك الانتهاء في نادي الضباط الذي صار اليوم "قاعة رامفورد" وتستعمل حضانة للأطفال. وجاء في تقرير لصحيفة "بافاريا" ذلك الأسبوع أن المحطة الأهم في الزيارة كانت الباغودا الصينية. فقد اصطحب طومسون الامير الى الطبقة العليا لمشاهدة "منظر حر فوق كل الاشجار."

وانقضت سنتان أخريان قبل افتتاح الحديقة الانكليزية رسميا للجمهور. وهي لاقت للحال اقبالا كبيرا لسكان المدينة، كما حصدت اطراء وافرا من زوارها الأجانب. ومنح الامير كارل تيودور طومسون لقب "كونت رامفورد" عربون تقدير وامتنان، ورامفورد هو الاسم السابق لمدينة كونكورد الامريكية حيث عاش طومسون قبل مجيئه الى بافاريا.

حديقة "خاصة." فتنت الحديقة الانكليزية الناس طوال قرنين، ووسعت وازدادت رونقا. ويعجب زوارها اليوم بالحياة النباتية النادرة فيها التي تضم شقائق النعمان والسحلبيات (الاوركيديا) وفصائل كثيرة من الجنبات والاشجار. وتعيش في الحديقة أنواع مختلفة من العصافير والطيور المائية والسناجيب وأعداد لا تحصى من المناجذ[٢] التي تفضح أكوام التراب الكثيرة حضورها.

يقول الكاتب سبغي سومر وهو من ميونيخ: "اننا نحب حديقتنا ونحميها كما تحمي اللبؤة البافارية شبلها." والحقيقة أن كثيرين ينظرون اليها كأنها الحديقة الخاصة بمنازلهم. وكلما قطع الحرّاجون شجرة مريضة أو شذبوا بضعة أغصان انهالت الشكاوى على مكاتب الصحف المحلية والمراكز البلدية.

في صيف ١٩٨٩ دعت مدينة ميونيخ مواطنيها الى الاحتفال بالذكرى المئوية الثانية لانشاء الحديقة في "عيد ميلاد" يستمر سبعة عشر يوما. وافتتح المهرجان بموكب وعرض لمركبات تاريخية وبعزف سمفونية "الفصول" لهايدن. واقيمت احتفالات موسيقية وأدبية ورياضية وبرامج كثيرة للأطفال ومعارض فنية. وقدمت مقاطع مسرحية تناولت تاريخ الحديقة. وقدم عرض للألعاب النارية.

يقول العمدة كرونافيتر: "لا تزال الحديقة الانكليزية تجسد كل ما تصوره مؤسسها وأراد تحقيقه: حديقة لمتعة الجميع ومعلما وأثرا ثقافيا عظيما."

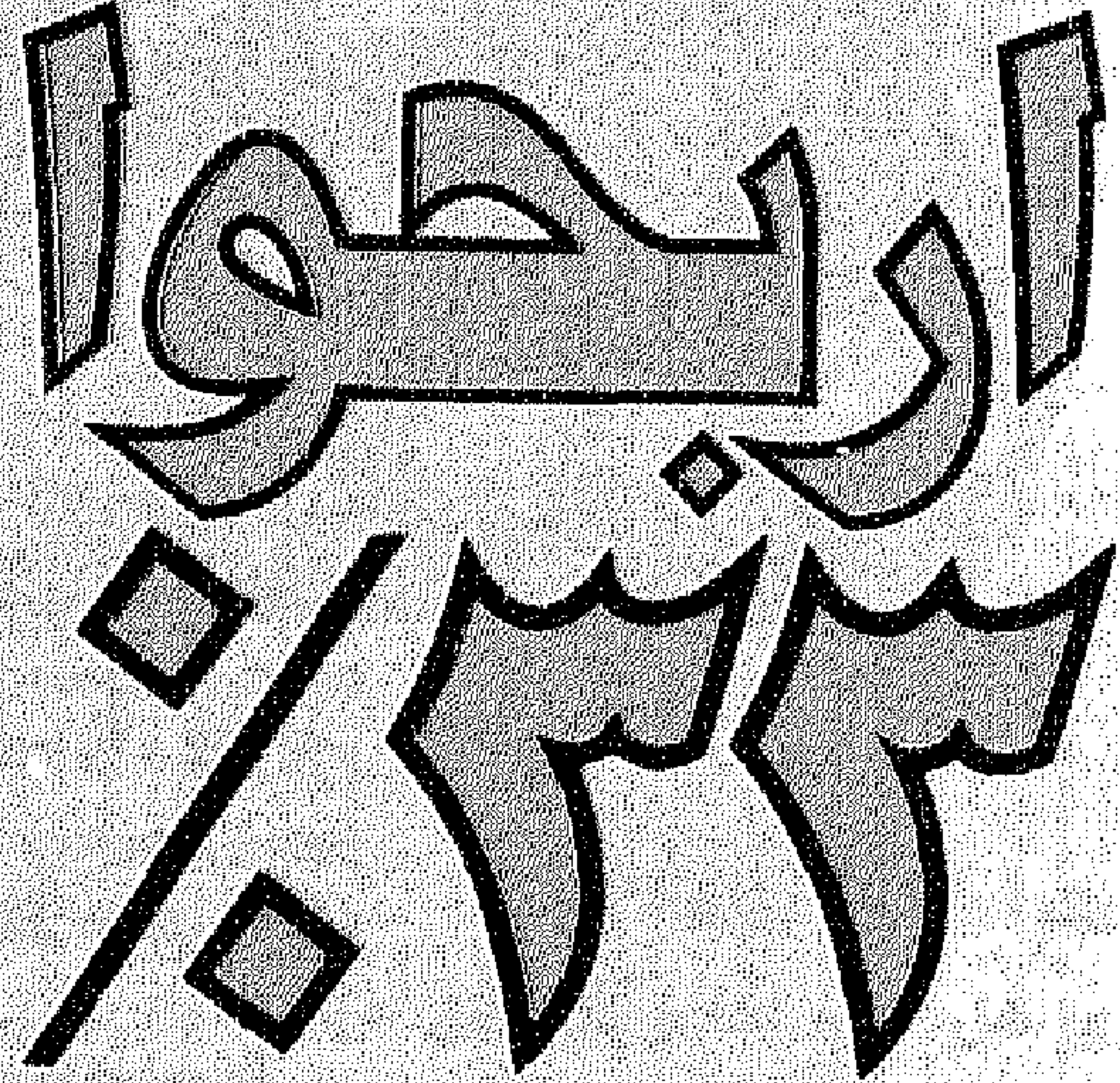
جون دورنبرغ ■

(٢) مناجذ جمع "جُلْذ" من غير لفظه وهو حيوان اعمى يعرف بالخلد.

قال الطبيب للمريض مغتاظا: "أخبرتك مئة مرة انني لا أعالج حالات فقدان الذاكرة!"

ك.ف.

المختار



يسر "المختار" ان تعرض
على المشتركين الجدد فيها
بين ١/١/١٩٩٢ و٣١/١٢/١٩٩٢،
اربعة اعداد اضافية مجانا
مع كل ١٢ عددا
فالمشترك لمدة سنة
(١٢ شهرا) يتلقى
١٦ عددا خلال ١٦ شهرا
اي انه يربح ٣٣٪
فكونوا من الرابحين

اذا اردتم ان تصلكم "المختار"
الى عنوانكم،
بادروا الى ملء
هذه القسيمة وارسلوها
مرفقة بشيك مسحوب
على مصرف في نيويورك
باسم "المختار من ريدرز دايجست"
بقيمة ٣٠ دولارا امريكيا،
وارسلوا القسيمة والشيك
بالبريد المضمون (المسجل)
الى احد العناوين المذكورة
خلف هذه القسيمة.

الاسم ______________________

____

العنوان ______________________

____

التاريخ ______________________

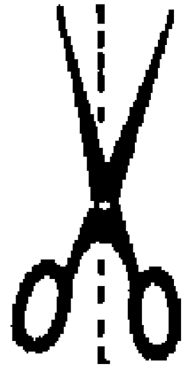
التوقيع ______________________

الـرجاء ارسـال القسيمـة والشيـك بـالبـريـد المسجـل (المضمـون) الى احد العناوين الآتية.

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut-Lebanon
(Telex 43321 ALBANK)

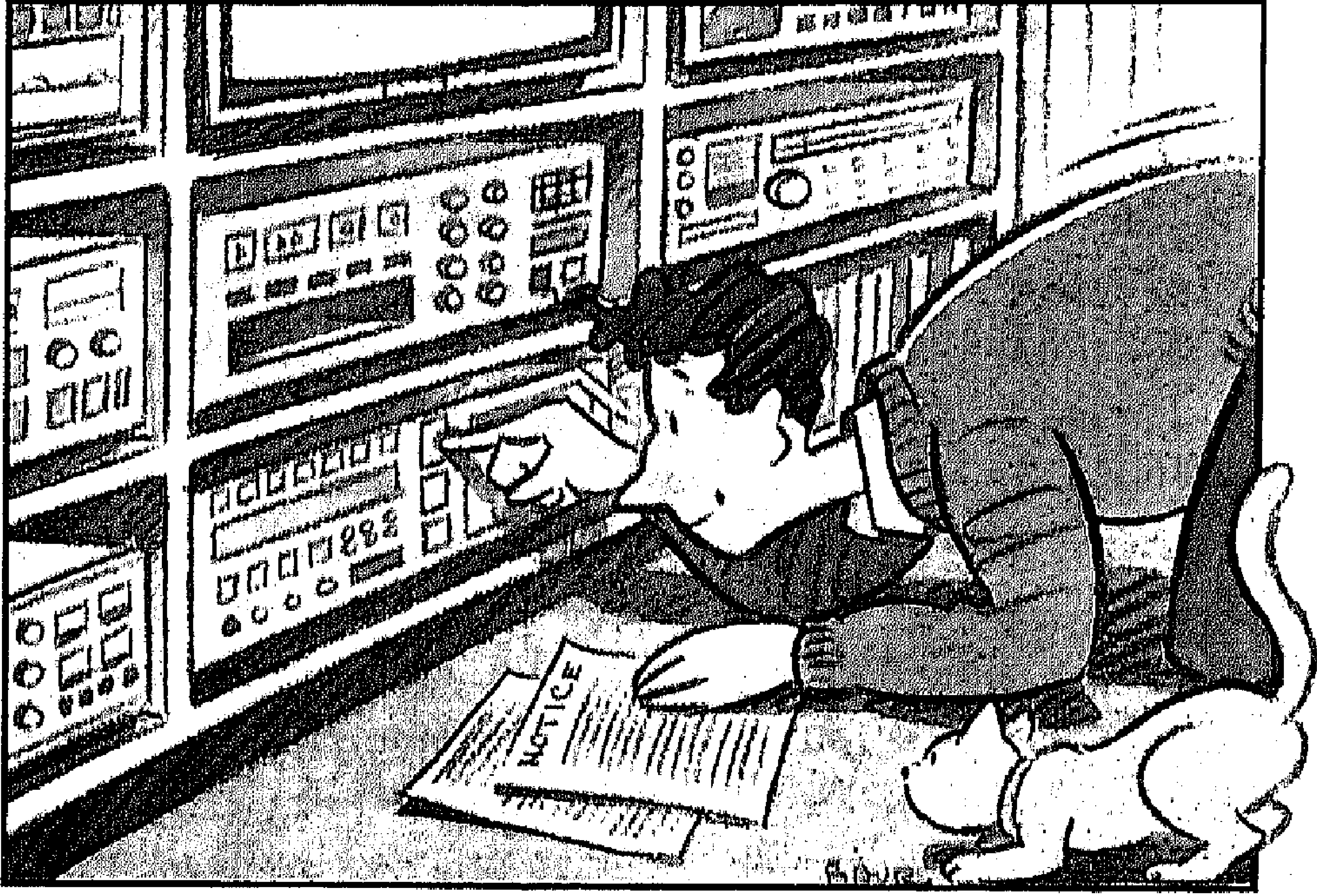
AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex International Courier
P.O.Box 3841, Deira-United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar, B.P. 819
94549 Orly Aerogare-France



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار"

هوس التلكنولوجيا



لا بد من أن لهذا المفتاح اللعين وظيفة ما!

"عفواً، ماذا قلت؟"

ترى هل هذه لغة بائدة من عهد ثمود أم صينية من زمن كونفوشيوس؟ ام انها لاتينية قديمة؟

تابع الخبير باصرار: "تخلص أولاً من هذا التلفزيون القديم واشتر جهازاً حقيقياً يتضمن أنظمة استقبال "في إتش إف / يو إتش إف"، وأنظمة ألوان "بال / سيكام" و"إن تي إس سي"، و"إن فيديو" و"فيا بيريتيل."[1] زوِّده مؤشر ذبذبات داخلياً[2] لاستقبال بث الأقمار الاصطناعية عبر هوائي قطعي مكافىء.[3] إخزن نحو ٥٠ قناة في ذاكرته. ولا تنسَ شراء أشرطة بيريتيل المتعددة الرؤوس، واستخدم واحداً منها لاستقبال برامج "إس فيديو واي سي"[4] من الكاميرا المسجلة، وواحداً لكل من الـ"إس – في إتش إس في سي آر" والـ"إتش ١٨."[5] بعد ذلك..."

---

(١) VHF / UHF, Pal / Secam, NTSC, In video, via Pertiel

(٢) Interband tuner

(٣) Parabolic antenna

(٤) S Video (Y / C)

(٥) S-VHS VCR, H18

مهلاً، مهلاً! أين تضع قابس محمصة الخبز الكهربائية؟

لقد صرنا نوظف أموالنا في ما يعصى على فهمنا وما لا نستعمله أبداً أو نستعمله جزئيا!

خلال مباريات دوري أوروبا في كرة القدم، رأيت ذات ليلة نفوساً متعطشة لمشاهدة كل المباريات، ومستعدة لتسجيل إحداها نقلاً عن القناة الاولى فيما تتابع مباراة أخرى على القناة الثانية وتحاول ربط القناتين بجهاز صوت "هاي فاي." فماذا ظهر على الشاشة؟ صور البث التجريبي ليس إلّا. حتى القنوات الثالثة والخامسة والسادسة خذلت الحضور. ولن أنسى في حياتي ذلك المشهد الرهيب لمجموعة من الرجال المحبطين الذين كُتب عليهم أن يتابعوا المباراة عبر المذياع.

ويوماً بعد يوم، تُذكرنا تساؤلاتنا وهلعنا بأن الشيطان موجود:

"لا بدّ من أن لذلك المفتاح اللعين وظيفة ما!"

"إنتبه، لا تعبث بهذا الزر، إنه مخصص للمحترفين."

"توقف، أرجوك، سوف تضيّع علينا مسلسل السيارة العجيبة!"

"اللعنة، للمرة الألف يمحو الفيديو البرنامج المسجل على الشريط!"

ألم أقل لك؟"

وفي الفراش مساء، قد يؤدي العبث بجهاز التحكم عن بُعد الى اطلاق شرارة كارثة. يهرع المتهورون حفاة الى كتيب التعليمات لمراجعة الشروح: "حدّد الرقم على مؤشر الأرقام (من ١ الى ٩٩) خلال عشر ثوان مستخدماً الزر المرقّم." فما النتيجة التي تتوقعها؟ انفجار الصمامات الكهربائية (الفيوز) وانقطاع التيار!

كيف تعمل هذه الأجهزة؟ كيف تصل الهاتف بجهاز الاجابة الآلية المسجِّلة الذي يعمل بالتحكم عن بعد؟ كيف تلغي وصله؟ كيف تعمل عصّارة الكيوي الرائعة تلك؟ يا الهي! وكيف نشغل كاميرا الفيديو الجديدة؟

أمامك عشرة أيام للانتقاء من بين خيارات أحلاها مرّ: أتبدل مكبرات الصوت في المسجلة ام تبدل الجهاز كلّه أم تبدل شقتك؟

وفي مواجهة ٢٣ برنامجاً في الغسالة الآلية، تتهرب أمهاتنا من مواجهة الواقع. تقول احداهن: "انني أستخدم البرنامجين الأول والثاني، ولا أمس البرامج الأخرى. فأنا لا أعرف شيئاً عنها، ولا أريد أن أعرف."

أعرف زوجين أنفقا بلا حساب في العام ١٩٨٠ لشراء أفضل غسالة آلية، ملكة بنات جنسها. ولكن بعدما استعانا بست خادمات وباثني عشر خبيراً في تشغيل الغسالات، وبعد إغراق المنزل غير مرة بالماء والصابون، رفعا العلم الأبيض مستسلمين. وتقول الزوجة: "إننا نستخدمها الآن كقطعة أثاث."

هذان الزوجان ينتميان الى فئة من الناس أقرّت بالهزيمة وبقصورها عن فهم هذه الاختراعات.

ثم، هناك الراضون بالحد الأدنى، وهم الفئة الاكثر عدداً. يعرف الواحد منهم حدوده فيتفادى مشاكل فونوغـراف الاسطوانات المدمَّجة (كومباكت ديسك). فهل سبق له أن سمع بالتسجيل المبرمج على الكمبيوتر؟ تطرف عيناه دهشة. ماذا عن الدارات الكهربائية المتوازية لتحويل القطاعات؟ كأن هذا الكلام ينزل عليه من الفضاء الخارجي! وقد شلّ معظم الأزرار الغامضة بواسطة شريط لاصق، فارتاح. حدِّثه عن برمجة موازنته أو مصاريف زوجته فيُغمى عليه. وماذا عن جهازه الـ"مينيتل فيديوتكس"؟[٦] انه رائـع للحصول على عنوان. هذا كل شيء... نقطة على السطر! وهو مستعد للموت قبل أن يستخدمه لحجز مقعدين في القطار السريع.

بكلام آخر، يستخدم هؤلاء الناس ١٠ في المئة - حسنا، ١٥ في المئة - من أداء جهاز دفعوا ثمنه كاملا.

العيّنة الأخيرة: المهووس. شخص يريد أن يفهم. وهو مستعدّ للتضحية بصحته وصحة كل من حوله لهذه الغاية. إنه، لنُسمِّ الاشياء بأسمائها، شخص مخبول.

سوف أعرض في هذا السياق لآخر إنجازات العقل البشـري: المغاسـل الجديدة التي استُخدمت للمرة الاولى في حمامات مطار أورلي. أين الحنفيات؟ لا حنفيات. الأزرار؟ عمَّ تتكلم! حسناً، الدواسات؟ جرّب ثانية!

وتنظر حولك باحثا عن عدسات تصوير لاعتقادك أنك وقعت في فخ "الكاميرا الخفية." لا كاميرات! عندئذٍ يهزّ الراضي بالحد الادنى رأسه ويخرج محبط العزيمة. أما المهووس فيثابر. يأخذ وقته. يتلمّس الابتكار. يتراجع الى الوراء. يعود الى المغسلة. يتردّد. يفكّر. وأخيراً، وجدتها! خلية كهرضوئية[٧] داخل فوهة الانبوب تفتح مجرى الماء.

يتّقد صاحبنا زهواً، وتضيء وجهه ابتسامة تواضع. إنه الذكي الأريب.

وقد فاته موعد إقلاع الطائرة!

إيف ستافريدس ■

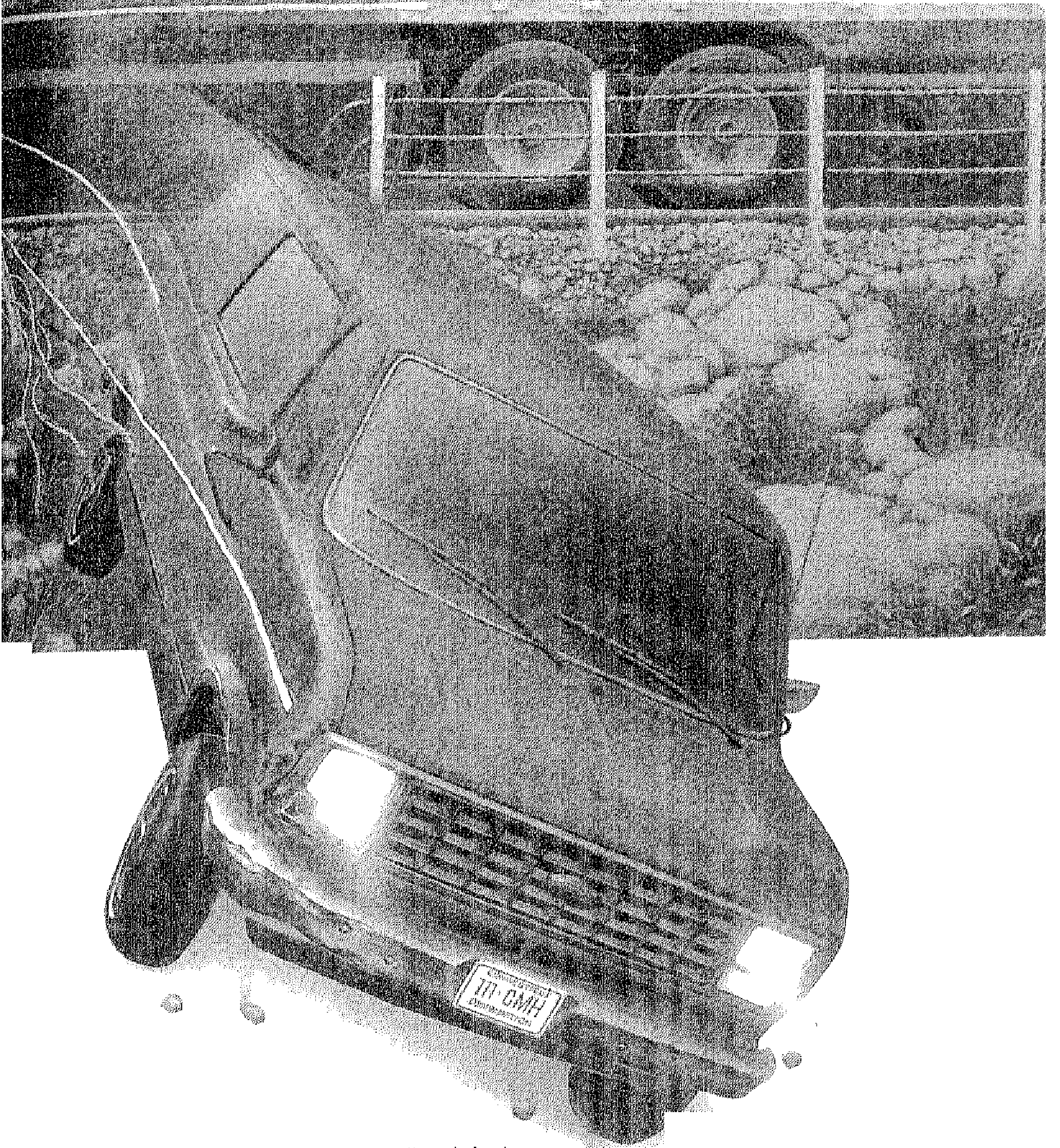
(٦) Minitel videotex
(٧) Photoelectric cell

أجمل فتاة

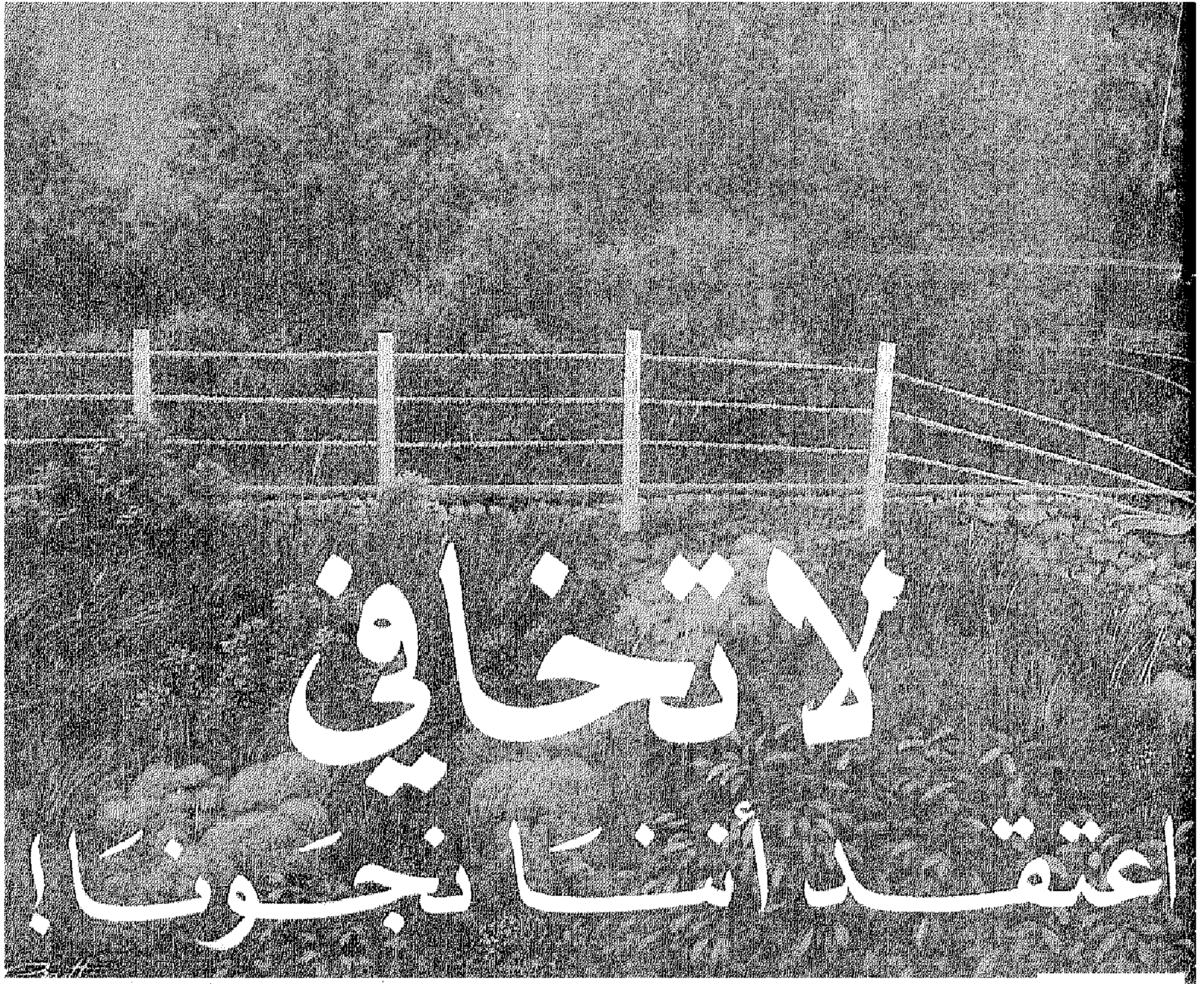
كنت أعدّ لحفلة غنائية في أحد دور العجزة. فهرع عدد منهم للترحيب بي، وخصني أحدهم باهتمام مميز وقادني الى قاعة النشاطات، ثم قال لي ونحن نسير في أحد الممرات. "انني سعيد حقاً لانك أتيت. انك أجمل فتاة مرت بنا في هذا المكان منذ زمان طويل." فشعرت بحرارة وزهو.

وقبيل بدء العرض رحت أوزع نصوص الاغاني على الحضور. واقتربت من المعجب بي لاعطيه نسخة، لكن جاره نصحني قائلا: "لا لزوم لذلك، انه أعمى."

ل ل.



صدمت سيارتها شاحنة مسرعة
فانقلبت الى الوادي حيث لا يمكن أن يراها أي سائق عابر



لا تخافي
اعتقد أننا نجونا!

انطلقت ليندا مايرز في الطريق الرئيسية المؤدية إلى كونتيكت. كانت عائدة إلى منزلها بعد نزهة مع أصدقاء في ١٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٩١. وفي الثانية بعد منتصف الليل أوقفت سيارتها الكبيرة المقفلة (ڤان) كي تتصل بخطيبها دونالد غور بواسطة هاتف السيارة لتعلمه أنها في طريق العودة.

ليندا في الاربعين من عمرها، وتعاني قصوراً يعجزها عن استخدام الهاتف في أثناء القيادة. فهي مصابة منذ طفولتها بسوء التغذية العضلي* وهذا مرض يضعف عضلات الجسم تدريجاً، لذا كان يتعين عليها أن تستجمع قوتها وتركيزها لتتناول الهاتف من موضعه تحت المقعد بجانبها. لكنها لم تكن تدع عجزها الجسدي يحول دون استمتاعها بالحياة.

قالت ليندا لكلبتها هوني التي كانت هاجعة ناعسة على المقعد بقربها: "سنصل الى البيت خلال خمس عشرة دقيقة." ثم أدارت جهاز الراديو وانطلقت في الطريق الرئيسية.

فجأة لمعت أضواء ساطعة في المرآة الجانبية، ودنت من مؤخر سيارة ليندا شاحنة كبيرة مسرعة تجرّ قطيرة مكشوفة. وعندما حاول السائق أن يتجاوز ليندا اصطدمت قطيرته بجانب سيارتها

(*) Muscular dystrophy

ILLUSTRATION: TRACY BRITT

دافعةً إيّاها نحو حاجز السلامة على جانب الطريق، فارتطمت به واخترقته. فصاحت ليندا: "هوني، إننا هالكتان،" فيما سيارتها تنزلق على المنحدر وتنقلب.

كانت ليندا أغفلت ربط حزام الأمان، فقُذِفت من مقعدها كأنها دمية من قماش. واصطدمت بالفاصل بين المقعدين، فشعرت بألم حاد في أسفل بطنها. ثم ضرب رأسها الزجاج الأمامي فحطمه وفقدت هي وعيها.

حين أفاقت كان العالم حولها غريباً يخيم عليه سكون مطبق. السيارة مستقرة على جنبها الايمن، وهي جالسة على النافذة اليمنى، والكلبة في حضنها تحدق اليها بعينين واسعتين، وإلى يسارها المقعد الجانبي الذي اقتُلع من مكانه. وقد علق كرسيها الكهربائي المدوْلب بين المقعد المقتلع وأرض السيارة التي أصبحت في وضع عمودي. كانت أنوار مصابيحها الامامية ضعيفة، ولاحت أمام ليندا مساحة كثيفة من الاشجار. وأشارت ساعة السيارة الى الثانية والثلث.

وكان غطاء فتحة السقف انزلق قليلاً، فتسرّب منها هواء قارس جعل ليندا ترتجف. ذلك لأنها لم تكن ترتدي سوى سترة خفيفة وقميص صيفي وسروال من القطن.

شعرت ليندا كأنها تلقّت ضربة عصا. تحسست جنبها لتحدد موضع الألم الذي كان ينخر أضلاعها. وفكرت: "هناك كسر." وأرعبتها الفكرة. كان فتات زجاج عالقاً في شعرها.

"أين نحن؟" حاولت استرجاع ما حدث، فتذكرت أنها انحرفت عن الطريق الرئيسية بعد مرورها بالمفترق الرقم ١٠ جنوب شرق مدينة هارتفورد. كانت تسمع هدير سيارة عابرة من وقت الى آخر، ولكن لم تكن لديها فكرة عن مدى بعدها عن الطريق الرئيسية.

ثم تذكرت الشاحنة والقطيرة المكشوفة وفكّرت: "لا بد أن السائق أدرك أنه صدمني. ولا بد أن يتوقف أو يتصل بالشرطة على الأقل." ولكن مع تقدم الوقت لم تعد ليندا تسمع سوى موسيقى خافتة منبعثة من الراديو وأزيز صراري الليل وخرير مياه منسابة على مقربة منها.

عندما يطلع الفجر. تذكرت ليندا هاتف السيارة. فوجدته عالقاً تحت دوّاستي الوقود والكابح فوق رأسها. سندت يدها اليمنى الضعيفة بيدها اليسرى والتقطت سماعة الهاتف ثم طلبت الرقم ٩١١. الخط مشغول. وهذا مستغرب. فقد سبق أن عملت في قسم الاتصالات في دائرة الشرطة، وكانت تعلم أن خطوط الطوارىء لا يجوز أن تكون مشغولة. فاتصلت بخطيبها لتجد خطه أيضاً مشغولاً.

والواقع أن ليندا أصبحت خارج مدى التقاط هوائيّ هاتفها. عندئذ لجأت إلى وسيلة أخرى. فقد كان دونالد ركّب في سيارتها جهازاً لاسلكياً مدنياً. أدارته، وكان مضبوطاً على الموجة ١٩ التي

PHOTO: © RICK TANGO

يستعملها سائقو الشاحنات. لم تسمع سوى أصوات متداخلة ومشوّشة. فنادت عبر الجهاز: "هنا واحد تسعة. إنني في وضع عشرة، ثلاثة وثلاثين." وهذا رمز حالة طارئة.

لم يبدُ أن أحداً سمع نداءها. فكرّرت: "هنا واحد تسعة..." ردّدتها ثلاث مرات ولم تلق جواباً. بعد ذلك تلاشت أنوار مصابيح سيارتها الأمامية وانقطع الاتصال بالجهاز. لقد فرغت بطارية السيارة، ففقد الهاتف والجهاز اللاسلكي مصدر طاقتهما.

اجتاحت ليندا موجة من اليأس. لكنها صممت على المقاومة، فهي كانت دائماً ممن يتقنون صراع البقاء. وكان الأطباء قدروا أنها لن تعيش أكثر من ستة عشر عاماً، وها هي الآن أكبر من ذلك كثيراً. وقد سعت دائماً الى أن تكون حياتها مليئة بالنشاط والامل والاصدقاء.

قالت في نفسها: "عندما يطلع الفجر، لا بدّ أن يشاهدنا أحدهم."

شدّت عزيمتها لتتحرر من جلستها المزعجة على النافذة. لكنها لم تقوَ على الحراك سنتيمتراً واحداً. فقد جعلها المرض حساسة للبرد. فنشدت الدفء لدى كلبتها هوني. ولكن ما إن حنت جسدها لتحتضن الكلبة حتى شعرت بألم يطعن قفصها الصدري. فأخذت تدعو بصوت مرتفع: "يا رب، دع أحدهم يعثر علي." ثم شرعت تغني لتطرد عنها الذعر. وهي ظلت بين صلاة وغناء حتى لاحت لها خيوط الفجر الأولى من بين الاشجار.

فكّرت: "قريباً تنشط حركة السير. أيعقل الا يرانا أحد؟"

قواعد الكهرباء. عندما انبلج نور الصباح أدركت ليندا أن أي حملة انقاذ لن تحصل ما لم تطلبها هي. فعقدت العزم في قرارة نفسها: "عليّ أن أجد سبيلا للخلاص من هنا، الآن!"

ونظرت مجدداً إلى الهاتف وجهاز اللاسلكي. "كل هذه التجهيزات وما من طاقة لتشغيلها!"

ثم تذكرت بطاريتين بقوة ١٢ فولتاً في علبة بلاستيكية تحت مقعد كرسيها الكهربائي. لم تكن ليندا تعرف شيئاً عن التوصيل الكهربائي، لكنها تصوّرت أن المطلوب لتشغيل أي أداة كهربائية هو وصل صحيح بمصدر الطاقة.

فسحبت سكيناً صغيرة من علاقة مفاتيحها، وانتزعت سلك الهاتف الذي كان مثبتاً في موضع ولاعة السجائر في السيارة. وبعدما قطعت منه القابس قشرت الغلاف البلاستيكي عن طرفي السلكين النحاسيين. لكنها كانت تحتاج إلى شريط لوصلهما بالبطاريتين.

مدّت ذراعها إلى أبعد مسافة ممكنة، وقصّت قطعة طولها ٦٠ سنتيمتراً من السلك الذي يصل جهاز اللاسلكي بمذياعه خلف مقعد السائق. ثم فصلت هذا السلك المزدوج خطين ووصلتهما بسلكَي الهاتف. وراحت تبحث عن علبة البطاريات. لقد سقطت من مكانها في الكرسي وعلقت بين ظهر الكرسي

ودواليبه. وكانت العلبة محكمة الاغلاق بواسطة شريط نايلون.

حنت ليندا جسمها بصعوبة وألم وأدخلت سكينها بين قضبان دولاب محاولة قطع الشريط. استغرقت العملية عشرين دقيقة. وحين انقطع الشريط نزعت الغطاء، فبانت لها البطاريتان. عندئذ استقامت في جلستها لتريح ساعدها وأضلاعها وهي تتمتم: "لم أعد أحتمل." كان الألم والظمأ يعذّبانها. لكنها أمرت نفسها: "هيا، تابعي العمل، فقد شارفت الانتهاء."

ثم انحنت ثانية ووصلت طرف أحد السلكين بأحد قطبي بطارية وثبتته. غير أنها لم تفلح في تثبيت السلك الثاني، فاضطرت الى البقاء ممسكة به بيدها اليسرى. ثم رفعت سمّاعة الهاتف الى أذنها بيدها اليمنى. لكنها لم تسمع هسيس حرارة. فحررت السلكين وعكست وصلهما وابتسمت حين سمعت هسيساً ضعيفاً في السماعة. فقالت لكلبتها هوني باعتزاز: "سوف ننجح."

ولكن عندما طلبت أرقاماً مختلفة لم تسمع سوى "توت توت" لخطوط مشغولة. فتملّكها الرعب، وعادت إلى الجهاز اللاسلكي قائلة: "إنه أملي الأخير!" وفي دقائق وصلته بالبطارية فبدأ يعمل. حينئذ أطلقت نداء استغاثة جديداً، فأتاها صوت رجل: "تابعي!"

فتابعت: "هنا ليندا. أحتاج إلى مساعدة. لقد انحرفت سيارتي عن الطريق الرئيسية. أنا الآن عالقة في



ليندا مايرز وكلبتها هوني.

أسفل الغابة على مقربة من المفترق الرقم ١٠. أنا وكلبتي مصابتان إصابات بالغة. الرجاء إحضار سيارة إسعاف. سنموت هنا."

وقبل أن يطفىء الرجل جهازه اللاسلكي سمعته ليندا يقول: "أشك في أمرها."

فقالت في سرّها: "انه لم يصدقني."

فأحياناً يُطلق أشخاص نداءات استغاثة كاذبة عبر الجهاز اللاسلكي فيستدرجون السائقين إلى منطقة منعزلة حيث يسلبونهم. لقد استمع إلى نداءات استغاثتها ستة سائقين من دون أن تلقى تجاوباً. ثم عاد إليها الأمل عندما سمعت الردّ السابع من امرأة. فنادتها متوسّلة: "إنني في حاجة إلى مساعدة. أنا أعاني ضعفاً في العضلات. وقد صُدِمت سيارتي الليلة الماضية وانحرفت عن الطريق الرئيسية. إني مصابة. أرجوكِ،

ساعديني." وبعدما أنهت كلامها سمعت المرأة تقول لشخص قربها: "تبدو تلك الفتاة كأنها حقاً في ورطة." لكنها، هي أيضاً، قطعت الاتصال.

فصاحت ليندا محاولة حبس دموعها: "لا يمكنني أن أصدّق ما يحدث." لقد سمع عدة أشخاص نداءاتها وظنوا أنها تكذب.

"هل أنتِ بخير؟" كان أرني باراديس البالغ من العمر ٣٦ عاما ينقل في شاحنته الضخمة حمولة من خردة الفولاذ، من هارتفورد إلى بروفيدانس. هو أيضاً سمع نداءات ليندا بشيء من الريبة ظاناً أنها من قبيل المزاح أو من صنع شخص أرعن. لكنه أطرق لبرهة، فبدت له المرأة يائسة حقاً، كأنها تحاول حبس دموعها.

أوقف باراديس شاحنته وعاد بها قليلاً إلى الوراء. فلاحظ أن جزءاً من حاجز السلامة على جانب الطريق قد تحطّم. فنظر إلى قعر الوادي ولم ير سوى أشجار وصخور. ثم نزل مسافة ٢٠٠ متر فلمح شيئاً يلمع في عمق الهوة وسط الأشجار. فتساءل: "ما هذا هناك؟"

عندما توقف باراديس عن التكلم مع ليندا عبر الجهاز، أفلتت هي السلك من يدها ظناً منها أنه سائق آخر يتخلى عنها. ثم سمعت صوت رجل يناديها من مكان ما: "يا سيّدة، هل أنتِ بخير؟"

شعرت ليندا بالسيارة تهتز. وانفتح باب السائق فوق رأسها، فرأت رجلا ذا شاربين يعتمر قبعة رياضية ويضع نظارات شمسية. خاطبها مطمئناً: "سيكون كل شيء على ما يرام."

فهمست لكلبتها غير مصدقة: "أعتقد أننا نجونا."

بعد دقائق وصلت سيارة شرطة وسيارة اسعاف. واستغرقت عملية اخراج ليندا من سيارتها ورفعها الى أعلى المنحدر نحو ساعتين. ثم أقلّتها طوافة الى مستشفى في هارتفورد.

وعندما حضر خطيبها وجدها ممدَّدة على نقّالة في غرفة الطوارىء وقد وُضع طوق حول رقبتها. أما وجهها فكان أصفر شاحباً كبشرة ميتة، وقد تخدشت يداها وغطت الرضوض جسدها. ولمّا التقت عيونهما أجهشت ليندا بالبكاء، فحاول دونالد تهدئتها قائلا: "لا تتكلمي." ثم انحنى وعانقها طويلا.

طالت معاناة ليندا بضعة أسابيع. كانت احدى أضلاعها مكسورة، وقد أصيبت بالتهاب في أذنيها ومثانتها نتيجة تعرضها للبرد.

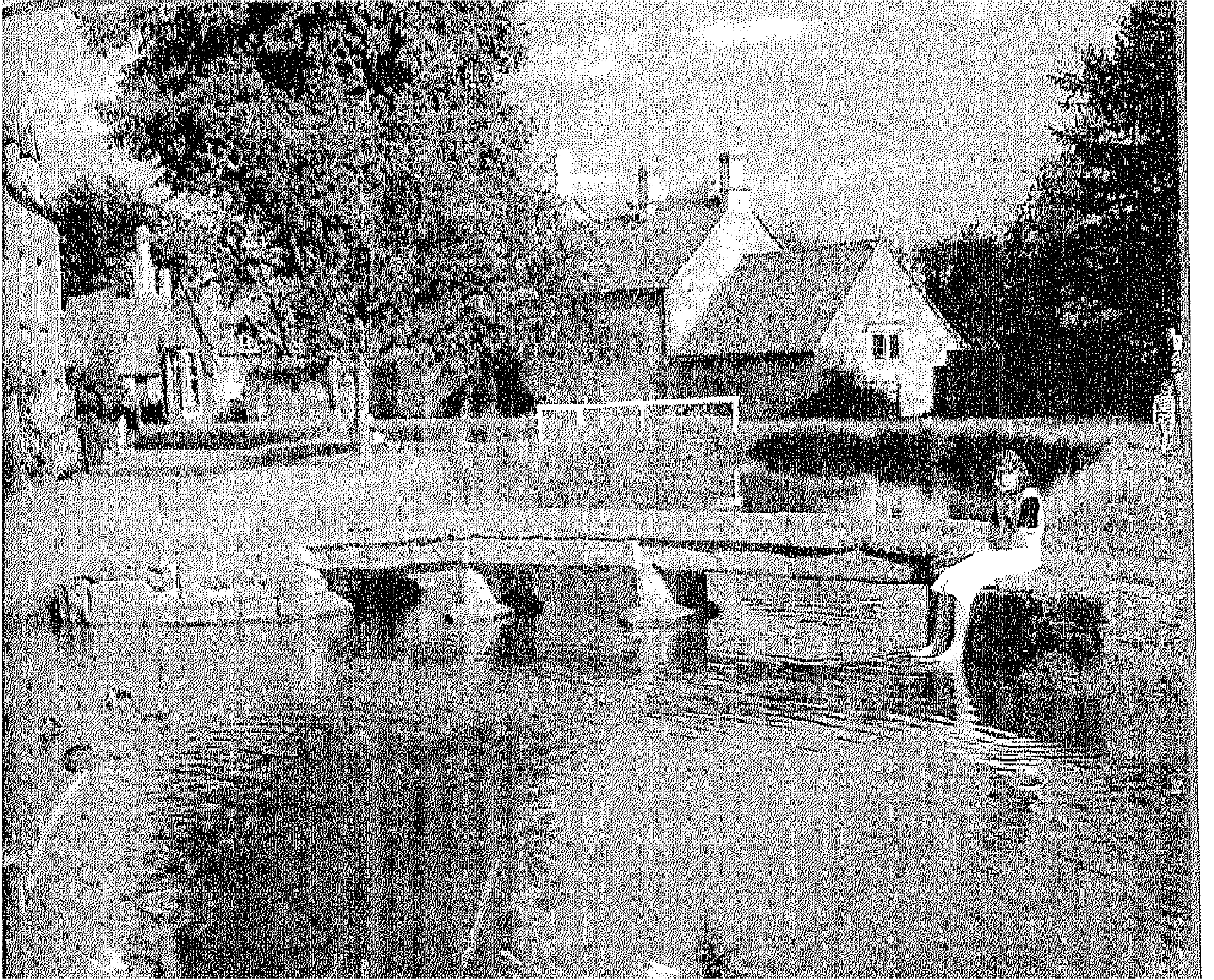
في نهاية أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩١ أبدلت ليندا سيارتها بتبرعات قدّمها اليها أشخاص سمعوا بمعاناتها. وهي الآن تدخر المال لتبتاع كرسياً كهربائياً متطوراً للمقعدين يبلغ ثمنه عشرة آلاف دولار.

ولم تتمكن الشرطة من تحديد هوية سائق الشاحنة الذي صدم ليندا.

ماري موراي ■

ترجمة د. نجوى نصر

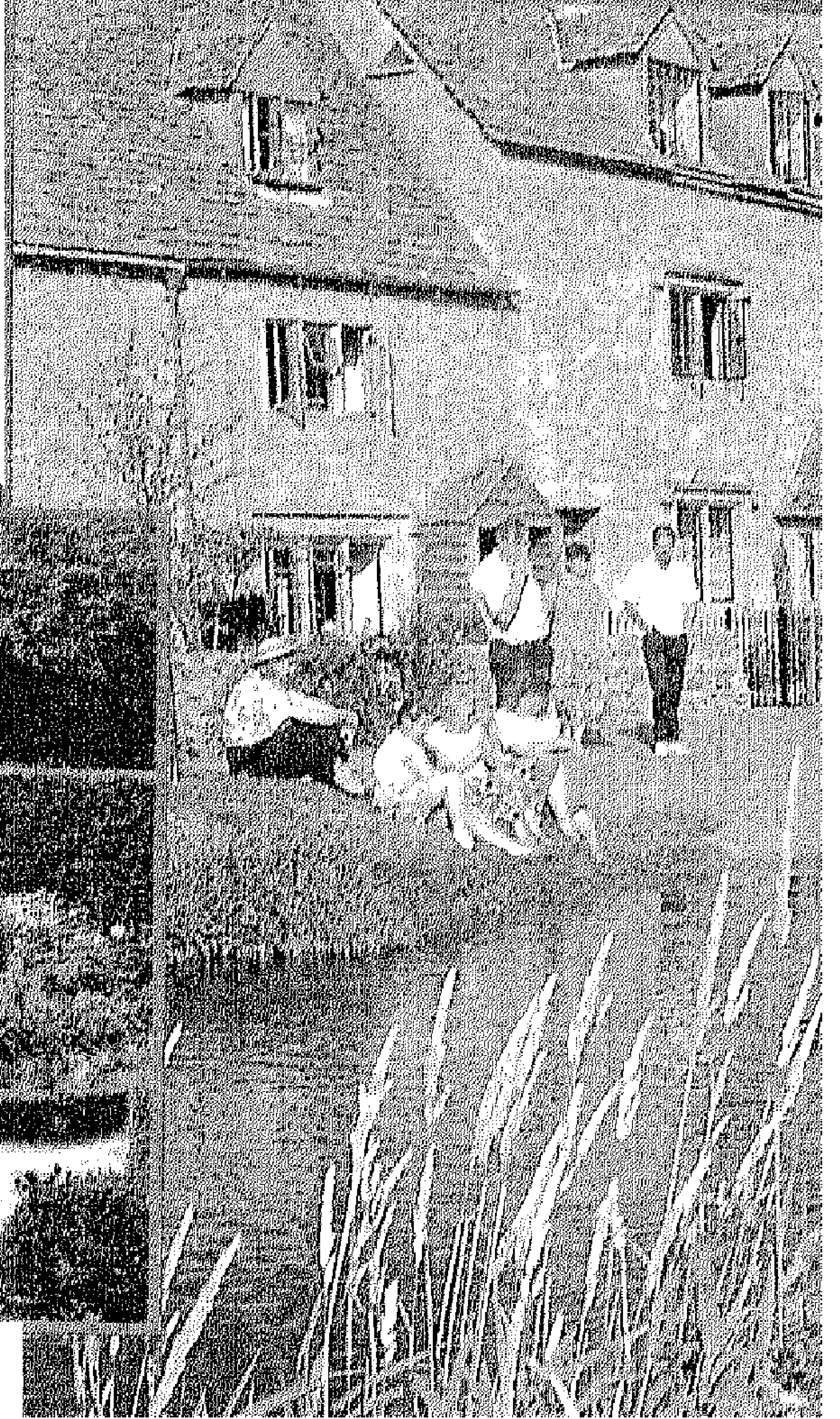
تلال تأسُر



مناظر خلابة في قلب بريطانيا حيث قلاع تاريخية وقصور وأناس طيبون

لم أعرف أبداً اسم تلك السيدة. كانت تعمل في فندق صغير مشيّد بحجر الكوتسوالد العسلي ويقع في واد أخضر خصب تعبره مياه نهر الكولن الصافية. كانت في منتصف الاربعينات من عمرها، وأخبزتني أنها لم تبتعد في حياتها عن

الألباب



تلك القرية حيث ولدت، بل إنها لم تشعر قط برغبة في ذلك.

بدا هذا الامر غير معقول بالنسبة الى زائر ضجر مثلي لا يعرف الهدوء والاستقرار. ولكن بعدما اكتشفتُ معالم المنطقة الريفية على فترات متقطعة امتدت نحو عشرين عاماً، أدركتُ لماذا لم تغادرها السيدة أبداً. فتلك البقعة الجميلة في قلب انكلترا تتمتع بتآلف ساكن مع ذاتها ومع حاضرها وماضيها.

تكوّنت تلك المنطقة في عصور غابرة بفعل زلازل عنيفة رفعت قاع بحر قديم وحولته جرفاً ضخماً من الكلس. وتترامى تلال كوتسوالد[1] على مسافة مئة كيلومتر

(الى اليمين) سكينة رعوية في قرية سلوتر.
(تحت) حديقة هيدكوت الريفية في غلوسترشاير قلب منطقة كوتسوالد.



في محاذاة غلوسترشاير، ثم تنبسط في أربع مقاطعات انكليزية أخرى. لقد أسبغ الحجر الكلسي الأوليتي[2] على هذه التلال طابعاً مميزاً. فالطبقة الصخرية السفلى شكّلت وهاداً واسعة مقفرة وتلالاً محدودبة متموّجة تختبىء على سفوحها

(١) Cotswold hills
(٢) Oolitic Limestone

قرى لم يطرأ على بعضها غير قليل من التغيير منذ العصور الوسطى. غياض من شجر الدردار والسنديان والدلب تنتشر في تلك الاراضي. وعلى مشارف التلال القديمة صفوف من شجر الزان تذكر بجحافل الرومان التي اجتاحت انكلترا سنة ٤٣ ميلادية. وقد نبتت في الحقول أزهار برّية من كل الانواع.

"أسود كوتسوالد." الكوتسوالد الكلسي حجر مثالي للبناء. فهو متوافر في طبقة ضحلة قريبة من سطح الأرض، ليِّن وسهل الاستعمال، لكنه يصبح صلبا لدى تعرّضه لتغيرات الطقس كما ثبت على مرّ العصور. وقد تركت أجيال من البنائين بصماتها فوق تلك الأراضي. فهناك القلاع التي تعود إلى العصر الحجري الحديث،[٣] والدارات الرومانية الفخمة، وكنائس القرون الوسطى، وكليات أوكسفورد، وأكواخ الرعاة وحظائر الماشية، وكلها بُنيَت بالحجر ذاته. ويبدو أن لون هذا الحجر يتغيّر بفعل تغيرات الضوء وتقلبات الأحوال الجوّية، متفاوتا بين الذهبي والعسلي والأصفر الشاحب والأصفر النقي والأصفر البرتقالي والبني الرملي والرمادي الضبابي. السطوح كلها من بلاط مشطور. وعلى مر السنين تكونت فوق البلاط طبقة من الطحلب الذهبي الذي يتلألأ تحت أشعة الشمس فيبدو كالبلّور.

لفظة "كوتسوالد" مشتقة من كلمتين أنكلو – سكسونيتين هما "كوت" بمعنى جظيرة من القصب لحفظ الأغنام في الشتاء و"والد" بمعنى تلال فسيحة متموّجة. فالكلمة اذاً تعني "تلال حظائر الأغنام."

عرفت المنطقة ذروة ازدهارها في القرون الوسطى. حينذاك أثرى تجار الصوف المحليون من خلال التجارة بجلود أغنام ضخمة كانت تسمى "أُسود كوتسوالد" وهي متحدرة من أغنام "لونغ وول" (الطويلة الصوف) التي جلبها الرومان بغية تأمين الألبسة الدافئة لجنودهم خلال فصل الشتاء القارس في بريطانيا. وما زالت الاغنام ترعى في هذه التلال، لكنها من نسل جديد يربى للحمه القليل الدهن لا لصوفه. غير أن "أسود كوتسوالد" تركت بصماتها في المنطقة إلى الأبد. فمن صوفها جنى اقطاعيو القرون الوسطى ثرواتهم الطائلة وبنوا القصور الفخمة و"كنائس الصوف" بالحجر الذهبي العسلي.

التاريخ في حجر. في أعالي تلة كريكلي ينقّب علماء الآثار عن بقايا قرية محصّنة تعود إلى العصر الحجري الحديث. عند المدخل ممرات متشابكة وأسوار عالية من الحجر والتراب. هنا عُثر على مئات من رؤوس السهام والمقاليع (النقافات) المنحوتة من حجار صوان. وهي شواهد على المعارك الرهيبة التي جرت في تلك القرية. واذ هبت ريح على التلة تهيّأ لي أنني أسمع صرخات

(٣) Neolithic Period

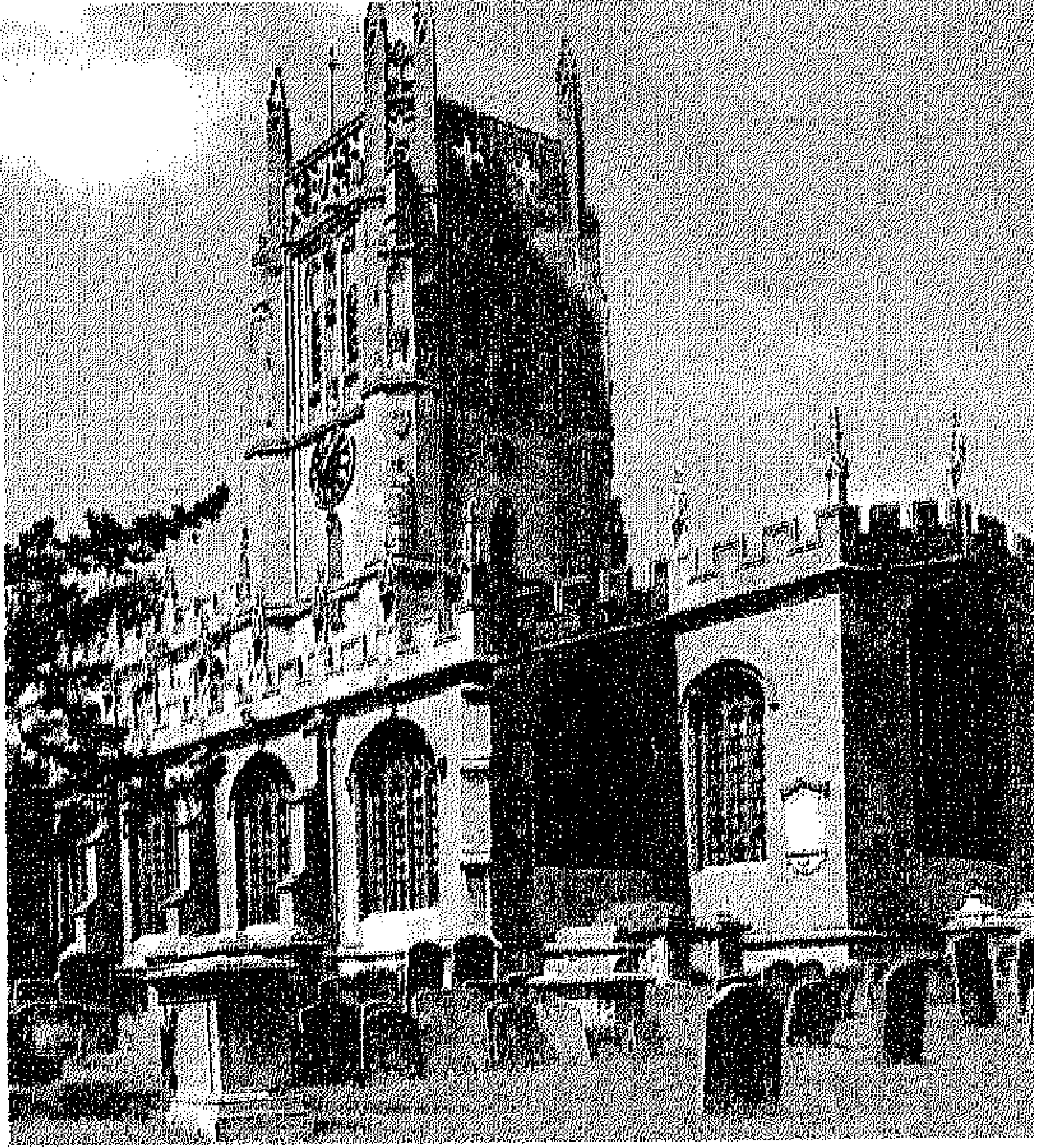
المحاربين المروّعة ونشيج الاولاد المتعلّقين بأهداب أمهاتهم في تلك المنازل الركيكة وهم يتعرضون لهجمات الغزاة المسلّحين بالأقواس القوية الذين اجتاحوا القرية وأضرموا فيها النار.

أما في قرية شيدوورث المجاورة فالآثار تذكّر بأشياء مفرحة. إنها أطلال قصر روماني بُني في منطقة حرجية رائعة. لقد عاش الرومان حياة مرفّهة. فكانوا يتّقون برد الشتاء بنظام تدفئة متطور أنشأوه تحت أرض الصرح لتوليد هواء ساخن. وكانت هناك غرف واسعة تحتوي على حمّامات تركية وحمّامات بخارية حيث يتصبب المستحمون عرقا قبل أن يغطسوا في مياه باردة. وهناك أيضا هيكل لحوريات الماء ونافورة تغذّيها مياه ينبوع. كما يضم القصر غرفة طعام فسيحة أرضها من الفسيفساء الغنية بالرسوم. أنصتوا، فلعلكم تسمعون أنغام المزامير والقيثارات.

فضلى الطرق للتعرف الى تلال كوتسوالد هي التجوال فيها على الأقدام. فهناك أكثر من ٢٥٠٠ كيلومتر من دروب الخيل وممرات المشاة المتشابكة التي ما زالت آثارها واضحة ("... إتبع الجدول حتى السنديانة التي ضربتها الصاعقة، حاذر الثور، وانحرف عبر المرعى حتى تصل الى بوابة القُبَل...") وللمتسلّق الشجاع هناك ١٥٠ كيلومترا في "طريق كوتسوالد" تقوده شمالاً من بلدة باث الرومانية والجورجية الرائعة على الجرف الى أعلى نقطة هناك، وهي قمة تلة كليف التي تعلو ٣٣٠ متراً، وتنتهي الى قاعة السوق اليعقوبية في تشيبينغ كامدن، بلدة تجارة الصوف القديمة وشعارها "التاريخ في حجر."

أما المتسلقون الذين لم تنقطع أنفاسهم فقد يتمكنون من الوصول إلى مقربة من تلة دوفر والاشتراك في "ألعاب كوتسوالد الاولمبية" الفريدة التي أسسها روبرت دوفر والتي تجرى في أسبوع العنصرة. بدأ هذا التقليد قرابة العام ١٦٠٠ ويتضمن المصارعة ورمي الرماح والمبارزة بالنبابيت والمبارزة بالركل حيث ينتعل المتنافسون أحذية ذات رؤوس معدنية حادة. وإذا استهجن الزائر مبارزة الركل هذه فما عليه سوى التوجه إلى تلة كوبر ومشاهدة احدى المباريات هناك حيث يدحْرَج قالبا جبن عملاقان، ويخاطر مواطنون أقوياء بحياتهم وبأطرافهم في محاولات يائسة لوقفهما. ويظل رجال الأسعاف متأهبين خلال هذه التسلية الشهيرة.

لقاءات مثيرة. أحب أن أتمشى في الممرات الخلفية كلما وددت مشاهدة الطبيعة الخلاّبة لتلال كوتسوالد في أبهى مناظرها. وأفضل أحياناً أن استكشف معالمها بالسيارة، فهي حافلة بالمفاجآت. ذات مرة، بينما كنت أقود سيارتي في ممر جميل قرب حديقة كولزبورن العامة، وجدت الطريق مسدودة بسرب من الحجال يضم مئات من هذه الطيور. لم أكن في عجلة من أمري، ولا هي كذلك





(فوق) مقبرة قرية فايرفورد.
(الى اليسار) رسوم ملونة على زجاج نافذة.

حسبما بدا لي. فتوقفنا ورحنا نتأمل بعضنا بعضاً بدهشة الى أن توصلنا أخيراً إلى افتراق ودّي. ومرة أخرى شاهدت ثعلباً يخرج من خلف سياج شجري وقد أطبق فكّيه على فريسة صغيرة. وفاجأتُ كثيراً من الأرانب البرية التي كانت تقفز مذعورة عبر الحقول.

وخلال بحثي عن طريق خلفية قرب قرية كينتون الصغيرة، وصلت إلى مفترق طرق حيث وجدت الى اليمين لافتة تحذِّر: "غير صالحة للسيّارات." فانعطفت يساراً نزولا في تلةٍ حرجية شديدة الانحدار. وكلما توغلتُ ضاقت الطريق وازدادت وعورة. وعند منعطف حاد بان لي نهر ويندراش عابراً الطريق. كانت تلك الوهاد الحرجية ساحرة هادئة تتسلل اليها خيوط الشمس من بين الاشجار.

قادتني الطرق الريفية إلى قرى كثيرة رائعة، منها قرية مايزردن المعروفة بمقهاها "ساعدا النجار."[٤] وقد أقيم موقف للسيارات حول شجرة جمّيز ضخمة على قارعة الطريق. وفي المتنزه الجميل الذي "يرحب بالمشاة الحذرين" شاهدت ستة جياد أصيلة تتدافع عبر المنحدرات.

وقادني معبر موحش آخر يطوِّق غابة هامبلبي إلى أحد أجمل المناظر الطبيعية في كوتسوالد. في ذلك الموقع تنتشر

(٤) The Carpenter's Pub

PHOTOS: WOODMANSTERNE

الحظائر فوق التلال المكلّلة بالغابات وتتداخل كتموّجات الحرير. رأيت أغناما ترعى في المروج الخضر، وحقلاً محروثة تلمع تحت أشعة الشمس، والريح تتلاعب على هواها بحقل ذرة. المكان هادىء، لكنه غير صامت. فالجو حيّ بتغريد الطيور وثغاء الخراف وحفيف الشجر. وتفوح رائحة عشب مجزوز. كم هو سعيد مزارع هذه التلال!

في المنطقة العليا تنحسر الغابات قليلاً. وفي قعر الوادي تستكين قرية وينشكومب السكسونية القديمة وفيها قصر سدلي ذو الجدران الصفراء الشاحبة وسط الحدائق الغنّاء حيث ترقد كاترين بار الزوجة السادسة للملك هنري الثامن.

خطيفة فالنتاين. لكل سائح في منطقة كوتسوالد قرية مفضلة. وإحدى القرى المفضّلة لدي سنوزهيل المعزولة في المرتفعات التي كانت تكسوها الثلوج في الزمان الغابر. هنا مجموعة من الأكواخ القديمة، بحدائقها الجميلة المسوَّرة، متشبثة بسفوح التلال. وتحتها مروج خلابة وحقول ذرة وغياض تشرف على وادي أفون. وعلى مدخل القرية قصر رومنسي من عهد أسرة تيودور دخلته عام ١٦٠٤ فتاة تُدعى آن بارسونز خطفها حبيبها من قلعة إلملي ليتزوجها سراً في منتصف ليلة عيد فالنتاين (عيد العشاق).

وفي العام ١٩١٩ اشترى قصر سنوزهيل مهندس معماري وشاعر وجامع تحف غريب الأطوار يدعى تشارلز ويد أراد أن يؤوي فيه مجموعته المدهشة الغريبة ومنها ساعات ودراجات قديمة ونماذج سفن وخزائن صينية تحوي أدراجا سرّية وبيوت دمى وعصي ومزامير ومصابيح فينيسيَّة وستة وعشرون محاربا يابانيا مرعبا في لباس الساموراي.[٥] وغصَّ القصر بكنز ضمّ نحو ١٥ الف قطعة.

عام ١٩٥١ تزوج ويد بعد حياة عازبة طويلة. لكن زوجته الفتيّة لم تكن مفتونة بمحاربي الساموراي، فما كان من زوجها إلا أن وهب قصره ومجموعته للمؤسسة الوطنية[٦] التي فتحت أبواب القصر للعموم.

أما المكان المفضل من القصر بالنسبة الى ويد – وإليّ أنا أيضا – فكان تلك العلّية الملأى بالألعاب التي احتفظ بمعظمها منذ طفولته. وهو يقول في كتاباته إن السماء السابعة (كما كان يدعو العلية) هي "فقط للأطفال قبل دخولهم المدرسة وقبل أن يقضي معلموهم على أثمن الكنوز قاطبة: المخيّلة."

كلما استكشفت معالم تلال كوتسوالد زادت قناعتي بأنني لن أتعرّف أبداً إلى جميع كنوزها. وكلما دغدغتني تلك الأفكار وجدتني منجذبا عائداً اليها مرة تلو أخرى.

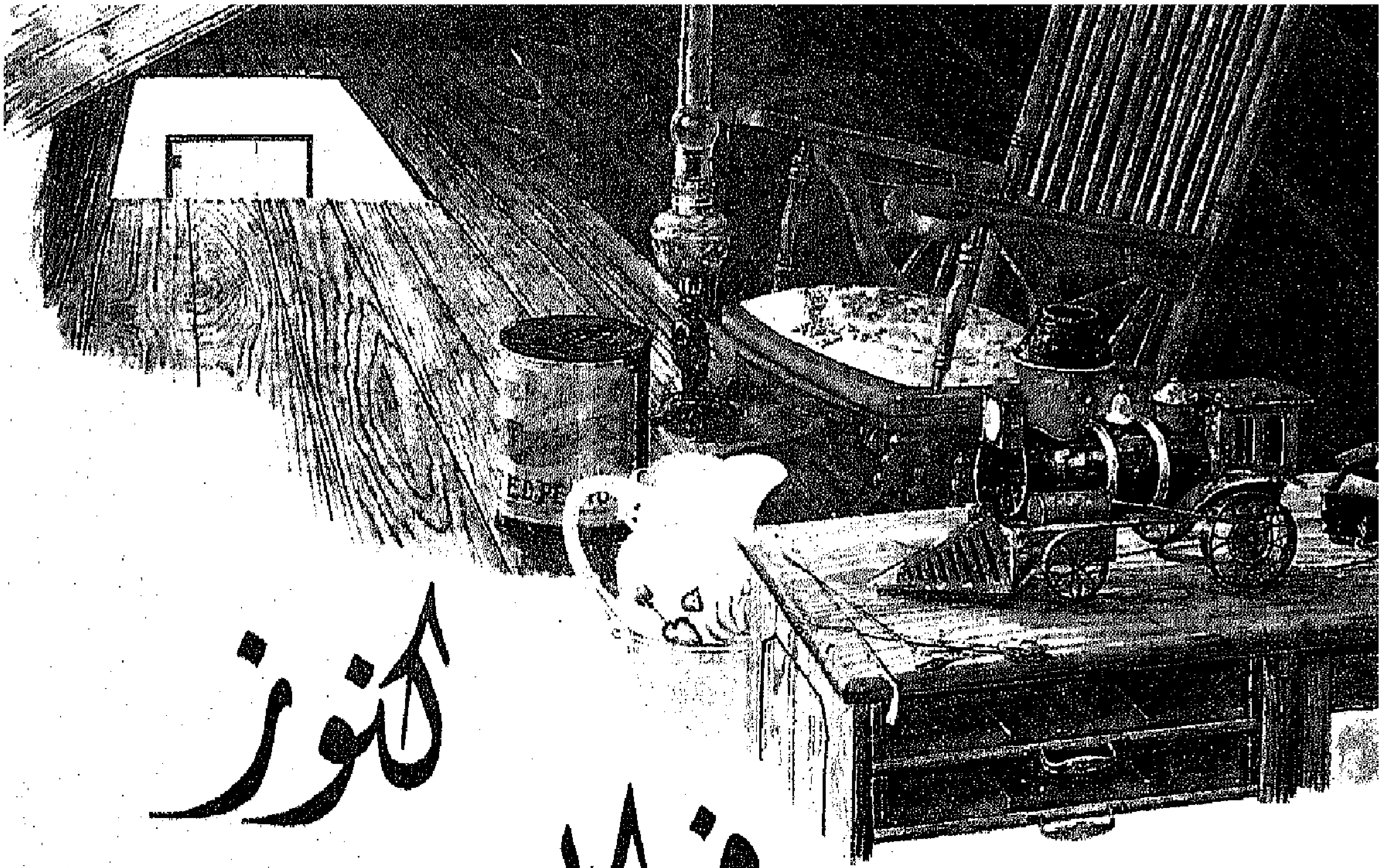
انها لعمري علاقة حب يائس.

تشارلز و. سميث ■

---

(٥) الساموراي محارب اريستوقراطي ياباني.

(٦) National Trust



كنوز في كل بيت

انتبهوا! لعل هذه الخردة التي ترمونها تساوي ثروة!

هُددت أرملة عجوز بالطرد من شقتها لعجزها عن شرائها. وفيما كانت جارتها تساعدها على حزم أمتعتها، عثرت على ٢٣ حصّالة نقود قديمة كان زوجها حفظها في خزانة. فزفّت اليها البشرى قائلة: "أظن أنك لم تعودي مرغمة على إخلاء الشقة." وكانت الجارة محقة في تقديرها إذ بيعت الحصّالات الى أحد هواة الجمع بثمن فاق حاجة الأرملة بألوف الدولارات.

هذه ليست قصة غريبة. والواقع أني ارتكبت في الماضي غلطة ساقتني لاحقاً الى تعاطي تجارة التحف القديمة. فقد اشتريت ذات يوم في مزاد ريفي أقيم في الاربعينات، ستة كراسي قديمة مصنوعة من خشب الماهوغاني الفاخر بمبلغ ١٢ دولاراً. صففتها على شرفة منزلي، واذ هممت بطلائها توقفت أمام البيت سيارة تقودها سيدة صاحت بي: "لا تلمسيها!" واشترتها مني بمئة دولار.

خرجتُ من هذه الصفقة مفعمة بالرضى، الى أن عرفت أن هذه الكراسي هي من صنع المصمم البريطاني الشهير

طوماس شيبندال وترقى الى القرن الثامن عشر، وأن السيدة باعتها لاحقاً بألف دولار. فأكببت عندئذ على دراسة التحف.

في قاموس التجار، تصنَّف هذه الكراسي وتلك الحصّالات في خانة البضاعة المهملة التي لا تعتبر ذات قيمة. ويمكن العثور عليها أينما كان: في علب المجوهرات، وفي العلّيات والاقبية، وفي أسواق الخردة والسلع المستعملة، وحتى في متاجر الأثريات. ولعلكم أنتم تملكون بعضاً منها في منازلكم. فابحثوا عن:

المجوهرات. يمكن العثور عليها في أماكن غير متوقعة. تأكدوا من أنكم تفحصتم جيداً علب الخياطة والأدراج بحثاً عن قلائد مكسورة وفردات أقراط. وعاينوا الملابس القديمة. فقد امتلكتُ مرة حجراً كريماً عثرت عليه مشكولا في فستان قديم اشتريته بربع دولار.

اشترى رجل خاتما مرصّعاً بحجر برّاق نبشه من بين حلى زائفة بخسة الثمن في متجر للخردة ودفع ثمنه دولارين. لكنه عرف من أحد الصاغة لاحقاً أن الحجر البراق هو زمردة لا يقل ثمنها عن ٣٥٠٠ دولار. ولعل التاجر خُدع بذهب الخاتم غير المدموغ، فالذهب القديم لم يكن يُدمغ أحيانا، وربما زالت عنه الدمغة مع الوقت.

كانت علب المجوهرات التي اشتريتها كتاجرة تحتوي غالبا على لآلىء، وكنت أخالها مزيّفة، الى أن جاءتني سيدة بريطانية أرادت شراء كل ما لدي منها. فتعلمت أخيراً كيف أتعرف الى اللآلىء الحقيقية: كنت أفرك الحجر بأسناني، فان أحسسته مبرغلا كالرمل اشتبهت في ان يكون حقيقيا، مما يوجب فحصه بالأشعة السينية (اكس). وهكذا عاينت كل اللآلىء التي كانت في حوزتي، وتبين لي أن كثيراً منها كان أصليا.

الأثاث. أثمن القطع هي تلك المصنوعة يدويا. فابحثوا في أثاثكم عن أوتاد خشبية ومسامير مطروقة باليد ومفاصل غير سوية وقواعد صلبة للأدراج ومزيج من الأخشاب في قطعة واحدة.

لا تتوقعوا أن يلفت التاجر انتباهكم الى قيمة تحفكم. فعندما عرضت امرأة قطع أثاث على أحد التجار، اشترى منها للحال أربعة كراس دفع ثمنها ٤٧٥ دولاراً. وقد شاهدت المرأة كراسيها لاحقاً معروضة للبيع ومعرّفاً عنها بأنها "أربعة كراس من طراز لويس السادس عشر، ثمنها ٣٥٠٠ دولار."

شعرت المرأة بأنها ضحية عملية غش واحتيال، لكن الصفقة كانت شريفة فعلا، إذ قدم التاجر عرضه ووافقت هي عليه. كان عليها أن تستفهم منه عن نوع الكراسي والى أي سنة ترقى وما قيمتها، وأن تأخذ عندئذ بمشورة ثانية.

الكتب والمجلات. باعت امرأة مقتنيات أمها الراحلة في مزاد، وبينها مجموعات كتب باعت كل خمسين منها بدولارين أو ثلاثة دولارات. وبعد أشهر

علمت أن مكتبة أمها كانت تحتوي على مطبوعات نادرة بينها كتاب يضم رسوماً للفنان الاسباني بابلو بيكاسو ويبلغ ثمنه ٢٥٠٠ دولار.

وليس من الضروري أن تكون الكتب قديمة لكي تكون قيّمة. فالطبعة الأولى من كتاب طُبعت منه نسخ محدودة ونفدت قد تساوي ١٥٠٠ دولار أو أكثر.

وغالباً ما يكون الطلب كبيراً للأعداد الأولى من المجلات. وقد شاهدت عروضاً بقيمة ألف دولار لعدد أكتوبر (تشرين الاول) ١٨٨٨ من مجلة "ناشونال جيوغرافيك." كما تباع النسخ القديمة من مجلة "لايف" و"ساترداي ايفننغ بوست" التي صمم نورمان روكويل غلافاتها بأسعار مرتفعة. وتراوح أسعار الكتب الهزلية القديمة بين عشرة دولارات ومئة دولار، وهي ليست أسعاراً مستغربة. كذلك، تباع الطبعة الاولى من "الرجل الوطواط" بنحو عشرة آلاف دولار.

اللوحات والصور المطبوعة (عن كليشيه). علمت أن زوجين باعا معظم أثاث منزلهما لأنهما لم يشاءا دفع ٤٠٠٠ دولار لشركة نقل الاثاث. وهما طلبا ١٠٠ دولار ثمناً للوحة ذات إطار مكسو بقشرة ذهب. ولحسن حظهما أن جارتهما لاحظت التوقيع على اللوحة، وتذكّرت إعلاناً في مجلة للتحف يعرض أثماناً عالية لشراء أعمال للرسام الفرنسي أدولف وليم بوغورو. وهكذا باع الزوجان اللوحة بعشرة آلاف دولار.

إن الاعمال الفنية الموقّعة (بما في ذلك الطباعات الحجرية وغيرها من الطباعات الأصلية) غالباً ما تكون قيّمة، لذلك ينبغي عرضها على خبير لفحصها والتحقق منها.

الدمى والألعاب. إن أي دمية صُنعت قبل عصر البلاستيك قد تكون قيِّمة. وتباع بيوت اللعب القديمة وأثاثها بأسعار باهظة.

فلا تهملوا نماذج القطارات والجنود وآلات الحرب المخزونة في أقبيتكم. وتلقى بطاقات البايسبول (كرة القاعدة) رواجاً كبيراً في الولايات المتحدة. ففي مزاد أقيم عام ١٩٩١ بيعت بطاقة عليها صورة اللاعب هونوس فاغنر وتعود الى العام ١٩١٠ بمبلغ ٤٥١ ألف دولار.

الخزف والزجاج. قد يستلزم وضع جدول بالخزفيات والزجاجيات مجلداً كاملا. في أحد المعاهد، تعرّف مخمِّن الى طاس يخص عائلة ميديتشي الايطالية العريقة ويرقى الى القرن السادس عشر، فباعه في مزاد بـ١٨٠ ألف دولار.

إن القطع القيمة التي يمكن جمعها تفوق كثيراً تلك التي ذكرتها، وتشمل قوارير وبطاقات بريدية وتوقيعات وشراشف وأدوات مطبخية وأشياء أخرى تباع بأسعار خيالية.

فان كنتم تملكون تحفاً قديمة وتظنون

أنها قيّمة، فابحثوا عنها في كتب المراجع أو استشيروا تاجر تحف. فغالبية التجار مستعدون لاعطائكم تقويماً شفهياً مجانياً.

إن أسرع طريقة لتحويل هذه الكنوز أموالا هي بيعها مباشرة الى أحد التجار في مقابل ثلث – أو نصف – ثمن بيعها بالتجزئة (القطاعي). وقد يكون مردودها أكبر إذا ما أُدرجت في قائمة مبيعات احدى صالات المزاد أو في الاعلانات المبوبة في المنشورات المتخصصة بالتحف، لأن هواة الجمع هم من قرائها النهمين وغالبا ما يدفعون أكثر من سواهم.

أما وقد عرفتم عما ينبغي أن تبحثوا، فلا ريب في أن "حفلة" تنظيف البيت السنوية ستصبح أكثر متعة ومنفعة مما في أي وقت مضى.

مارغريت آشوورث برونر ■



فهيمان

كنت أقلب صفحات كتاب في مكتبة كبرى. وكان بقربي رجلان يتناقشان في مضامين كتب مختلفة معروضة في الواجهات ويقسوان بالنقد على معظمها مما أثار فضولي فسألتهما رأيهما في الكتاب الذي كنت أحمله.

أجاب أحدهما: "انه رائع."

فسألته: "هل قرأته؟"

أجاب: "لا يا سيد، لقد كتبته."

ج.ف.

مريول السيد

دخلت سيدة متجراً وقالت للبائعة: "انني أرغب في ابدال المريول (المئزر) الذي اشتريته البارحة."

فقالت لها البائعة: "لكنه كان بقياسك تماماً."

فردت: "صحيح، لكنه ضيق قليلا على زوجي."

ف ب.

الاستاذ بابا

اشتهر أحد الاساتذة في الكلية بصعوبة تعامله وطلابه، ومع ذلك بدا أن ابننا جهاد لم يواجه أي مشاكل معه. عندما سألناه عن السبب أجاب: "الامر في منتهى البساطة، فهو يشبه أبي قليلا، ويمشي متثاقلا مثل أبي، ويعتبر مثله أن كل ما أفعله خطأ. فكأنني في بيتنا."

د.ك.

إنقاذ فيلة وقعت في جبّ



بعد نفوق معظم الفيلة في المحمية الافريقية وُلدت دغفلة كانت أمل جيل جديد فهل تغرق في الجبّ ويضيع الامل؟

كان العشب الجاف يتموج عبر السهول حتى سفح جبل كليمنجارو العظيم، وبدا أزرق اللون من بعيد. كنا نتجه الى تنزانيا عائدين الى محمية مانيارا حيث بدأت حياتنا بين الفيلة قبل اثنتين وعشرين سنة (عام ١٩٧٠).

اتبعنا طريقا مألوفة حتى وصلنا الى المنزل الذي كان بيتنا. وكان موجا في انتظارنا. إنه حارس في المحمية رافق زوجي ايان قبل عقدين. حيّانا بلغته مبتسما: "كاريبيو!" (أهلا وسهلا!) فلاحظت أنه ما زال يرتدي البزّة الخضراء ذاتها، لكن جسمه نحل قليلا وبانت على وجهه علامات الكبَر والحزن. لا ريب في أن تغييراً كبيراً حصل. فلطالما استخففنا بجمال هذا المكان، ولم نتصور أن معظم الفيلة التي عايشناها ستنفق على أيدي الصيادين الذين ينتهكون حرمة عالمها ويحولونها جماجم وعظاما وحلى عاجيّة.

وفي غيبتنا كبرت إبنتانا سابا ودودو.

صغيرة في ورطة. من بين الفيلة المئة الكبرى التي سكنت مانيارا في أيامنا بقيت واحدة فقط على قيد الحياة. إنها العجوز فيرغو. وكانت ترافقها أنثى أخرى أصغر سنا لم يبق لها سوى نابها اليسرى وتُدعى ماريدادي (أي الجميلة في اللغة السواحلية)، وفيلة أخرى سمّيناها بوتل براش.

ولدت بوتل براش عام ١٩٦٩ وشهدت إبادة عائلتها بكاملها ونجت بأعجوبة طوال ٢١ عاما من عمرها، ورزقت حديثا مولودتها الاولى وهي الدغفلة* الوحيدة في مانيارا كما أخبرتنا الباحثة ميلي رولينغ.

قررنا البحث عن الافيال القليلة المتبقية، فوجدناها مستظلة الشجر لاتقاء حرارة شمس ديسمبر (كانون الأول). وقد تحلقت حول فيرغو عائلة متفرقة من إناث يتيمات، ووقفت ماريدادي مع بوتل براش وقد نشأت بينهما روابط وثيقة. أما الدغفلة الصغيرة فكانت نائمة عند أقدامهما.

بعد حين، في طريق عودتنا الى المخيم، صادفنا بوتل براش ورفيقاتها مجدداً. كن يتدافعن ويتراشقن حول بقعة موحلة عميقة ألِفنها.

حدقت بمنظاري الى أعمدة من الأقدام والخراطيم، وركزت على كتلة صغيرة تتخبط في الوحل. فصُدمت عندما أدركت أن وليدة بوتل براش سقطت في الموحل ولم تستطع الخلاص.

تحلّقت الفيلة القلقة حول الدغفلة وعيونها تدمع أسى. كانت كل واحدة تحاول دفع الصغيرة بخرطومها أو بقدمها. وحاولت بوتل براش وفيرغو رفعها بخرطوميهما معا. لكن جميع المحاولات خابت.

كان ارتفاع الوليدة دون المتر ووزنها نحو ٤٠ كيلوغراما. وبدت خائرة القوى وقد غطت جسمها طبقة كثيفة من الوحل. كانت عالقة في ورطة لا مفرّ منها.

(*) الدغفل ولد الفيل.

صرخات متفجعة. "سيمبا!" هتف موجا معبّراً عن مخاوفنا. وأضاف: "ستأتي الأسُود، ولن يكون لها أمل بالنجاة."

كانت الشمس تغيب وراء التلال، فتعين علينا أن نفعل شيئا بسرعة. فهرعنا الى أقرب مركز لحراس المحمية. وهناك جمع موجا رجاله ولحقوا بنا الى المكان حاملين حبالا ورفوشا.

كانت بوتل براش وماريدادي تقفان قرب الدغفلة العالقة، فزجرناهما كي تبتعدا. وفي لمح البصر قفزت ميلي وايان وموجا والحراس الى الموحل. كانت الراحة النتنة لا تحتمل.

ربطوا قوائم الفيلة الصغيرة بحبالهم وراحوا يشدّون بكل قواهم. وبعد فترة خلناها ساعات خرجت الصغيرة الى اليابسة متعثرة.

فور تحريرها هـرع الجميع الى سياراتهم وابتعدوا عن المكان تحسباً لاحتمال عودة الأم القلقة. لكن الدغفلة ركضت محاولة اللحاق بسياراتنا. ففي غياب أمها، تعلّقت بنا. لكننا تابعنا انطلاقتنا. وعندما أيقنت عجزها عن إدراكنا توقفت كئيبة وراحت تنادي أمها.

توقفنا بدورنا، فلم نسمع أي صوت من الغابة المجاورة. فعدنا الى الدغفلة لحراستها تلك الليلة.

وعندما أسدل الليل ستاره وقفت الصغيرة قرب سيارة ميلي، وهي لاند روفر كانت ميلي أبقت محركها دائراً لمحاكاة هدير الفيلة وتهدئة الصغيرة.

مرت ساعة أخرى كانت الدغفلة خلالها تدور حول السيارة وتتوقف لتتكىء على الاطارات الدافئة وتُطلق صرخة رضيع آملة الحصول على حليب.

ثم طلع القمر، وبدت البحيرة فضية اللون وسط التلال المعتمة. فحملنا الدغفلة ووضعناها في اللاند روفر وذهبنا بها الى المنزل.

كان عمرها أسابيع قليلة، يغطّي جسدها شعر ناعم، ولها اذنان مستديرتان زهريتا اللون وخرطوم صغير. أطلقنا عليها اسم مادي ميلي (أي ميلي الموحلة).

لم يكن لدينا حليب، ولم نجرؤ على إعطائها أي شيء آخر غير الماء الذي كانت تشربه بلهفة. امتلأ المنزل برائحتها وخوارها المعبّر عن جوعها. فجهّزنا لها حائطاً من الفرش لتتكىء عليه، وقدم اليها ايان إبهامه لتمصّها وتهدأ. وحاول هو نفسه أن يسترق بضع لحظات من النوم وسط صرخاتها الطويلة المتفجعة التي تحطم القلوب.

"وجدتها!" استيقظنا باكراً ووضعنا مادي ميلي في سيارة ورحنا نبحث عن عائلتها. وتولى حراس في سيارة أخرى التفتيش عن آثار حديثة للفيلة فوق الرمال، وأبقينا السيارة التي تقلّ مادي ميلي قرب البقعة الموحلة حيث علقت. لكننا لم نعثر على بوتل براش وماريدادي.

كانت حياة الدغفلة المنهكة في خطر بعد صيام طال اثنتي عشرة ساعة، فهي لن تبقى على قيد الحياة طويلا من دون

حليب. لكنها ظلت واقفة على رغم كل شيء، رافضة النوم.

وبينما كنت عائدة الى البقعة الموحلة عبر طريق متعرّجة، صادفت مجموعة من الفيلة ترعى. كانت إحداها جامدة في مكانها وهي تأكل، وبدا خرطومها مرفوعاً بين أوراق الشجر. فغرت فمها فبان لسانها الزهري وأرومة نابها اليسرى. إنها ماريدادي! فأسرعت لاحضار مادي ميلي.

في أثناء ذلك كانت الدغفلة الصغيرة انهارت من الاعياء واستسلمت للنوم قرب السيارة.

ناديت سابا وميلي بأعلى صوتي: "لقد وجدت العائلة!" فملأتا السيارة بالوسائد ثم حملتا الصغيرة ووضعتاها في المؤخر. تولت ميلي القيادة بينما احتضنت سابا الدغفلة وضمتها الى صدرها.

وعندما وصلنا الى حيث رأيت العائلة لم نجد أي فيلة. لكن الدغفلة أحست على نحو ما أن عائلتها كانت هناك، فأخذت تصرخ بأعلى صوتها. فأوقفت ميلي السيارة وأنزلت الفيلة الصغيرة منها على أمها تراها، فيما قفزت سابا الى مقعد السائق وانطلقت ببطء مبتعدة عن المكان. وبعد لحظات قفزت ميلي الى المؤخر عبر الباب الخلفي المفتوح وصرخت: "أسرعي يا سابا."

أي مصير؟ حين شعرت الدغفلة بأن أمها بالتبني هجرتها، راحت تركض وراءها من دون أن تكفّ عن الصراخ.

كانت ميلي تصيح: "أسرعي! أسرعي!"

وعندما غابت السيارة عن نظر مادي ميلي أطلقت صرخة أخيرة تقطع الأوصال. فأوقفت سابا السيارة وراحت وميلي تراقبانها من بعيد والدموع تترقرق في عيونهما. ولم نلبث أن شاهدنا عائلة الفيلة تمدّ خراطيمها وتقترب لتضم صغيرتها الضائعة محاولة تهدئتها باطلاق صيحات مطمئنة، ثم رافقها الجميع الى مكان آمن بين الاشجار.

خلال الاشهر التالية كنا نشاهد مادي ميلي تنمو وتسمن وتقوى. وعندما رأيناها للمرة الاخيرة كانت تقف على ضفة بحيرة وخلفها صفّ زهري من طيور النحام (فلامنغو).

تمثل مادي ميلي جيلا جديداً من الفيلة. فهي الاولى تولد في مانيارا بعد العام ١٩٨٩ حين تم التوصل الى اتفاق عالمي يحظر تجارة العاج. لقد عقدنا عليها كل آمالنا المستقبلية، فهي رمز كل ما ناضلنا في سبيله.

وكثيراً ما نتساءل عما تخبىء لها الايام المقبلة. هل ستبقى على قيد الحياة وتتمتع بشيخوختها مثل فيرغو؟ أم ستُقتل على يد صياد متسلل يحولها سلعة للبيع فيصنع من قدمها مقعداً ومن أذنيها قفازاً ومن نابيها حجار شطرنج ومن طرف خرطومها مثقّلة للورق؟

أوريا دوغلاس هاملتون ■

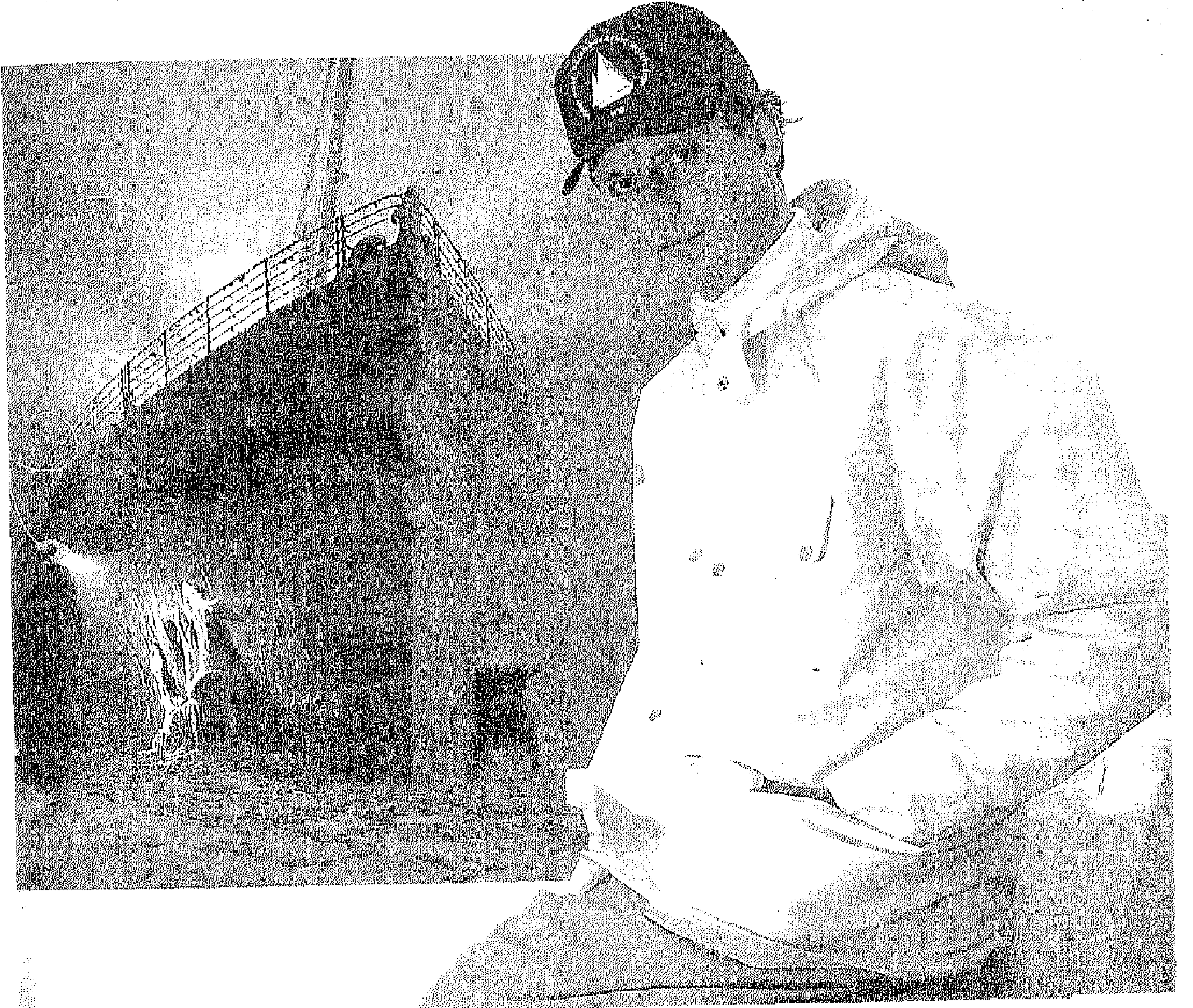
حققت الكاتبة وزوجها ايان شهرة عالمية لجهودهما الرامية الى انقاذ الفيلة من الانقراض.

رحّالة يجوب اعماق المحيطات كاشفاً أسرارها وعجائبها

أقحم روبرت بالارد جسمه الناحل داخل الغواصة الضيقة "ألفين" وانحدر فيها ببطء الى عمق ٣٨٠٠ متر في مياه المحيط الأطلسي. هناك التقطت أنوارها الساطعة تخوماً مظللة لهيكل سفينة عملاقة: "التيتانيك!" فطلب بالارد من الربان أن يوجه الغواصة في محاذاة جانب السفينة. فجأة ومض أمام عينيه سلك فولاذي بسماكة ستين سنتيمترا وأطبق باحكام على الغواصة فشلّ حركتها. كانت لحظة مروعة، إذ علق الرجلان على عمق نحو أربعة كيلومترات في منطقة لا تخاطر أي غواصة إنقاذ بالوصول اليها.

راح الربان يدفع "ألفين" برفق الى الأمام والى الوراء كأنه يحاول تحرير

مغامر في أعماق المحيطات



سيارة عالقة. وبعد برهة خالها الرجلان دهراً، اندفعت الغواصة طليقة.

يسترجع بالارد ذكرى تلك المواجهة الصغيرة مع الموت قبل ست سنوات فيقول: "على المرء أن يخاطر لكي يتعلم. والمخاطرات تبقى مخاطرات."

روبرت بالارد في الخمسين من عمره، لكن مظهره وتصرفاته توحي أنه أصغر من ذلك عشر سنين. عمل طوال ربع قرن في أعماق محيطات العالم، ربما أكثر من أي عالم بحري آخر. وهو مؤسس "مختبر الغوص العميق" في "مؤسسة وودز هول" لعلوم المحيطات في كيب كود بولاية مساتشوستس. ويهتم بنشاطات أخرى في مجالات كثيرة. فهو عالم بالمحيطات ومؤلّف ومربّ ومصمّم روبوت[1] مخصّص للاستعمال تحت سطح البحر. وإذا ما طُلب منه أن يصف نفسه بكلمة واحدة، فانه يجيب: "مستكشف."

القبطان نيمو. نشأ بالارد في سان دييغو بولاية كاليفورنيا، وعشق البحر منذ نعومة أظفاره... "مذ بدأتُ الكلام." كان يطوف بالشطآن ويراقب الحياة البحرية في مجمّعات مياه الجَزْر. وكان أبطاله من البحارة والرجال الجسورين أمثال القبطان كوك والأميرال بيرد والأميرال بيري،[2] وخصوصاً القبطان نيمو الخرافي بطل رواية جول فيرن الغرائبية "عشرون ألف فرسخ تحت سطح البحر." وهو يقول بين المزاح والجد: "ما زلت أحاول أن أكون القبطان نيمو."

وقفت عائلة بالارد الى جانبه تؤازره وتشجعه على تحقيق حلمه. وهي عائلة عصاميين. فوالده كان راعي بقر تلقّن العلوم بنفسه وغدا رئيس المهندسين في برنامج صواريخ "مينوتمان" الامريكي. إلا أن شقيقته الصغرى المتخلّفة عقليا كانت مصدر إلهامه الأساسي، إذ تساءل ذات يوم: "كيف أبدد أنا الفرص وهي لم تُتح لها فرصة واحدة؟"

أكبّ بالارد على دراسة العلوم في جامعة كاليفورنيا. ثم تخصص بفيزياء الأرض وعلوم المحيطات في جامعة هاواي. وكان يدرِّب الدلافين في متنزّه بحري ليسدد أقساطه الدراسية. والتحق بسلاح البحرية خلال دراسته الجامعية، فأُرسل بعد مدة الى وودز هول حيث التقى "آلفين" الآلة التي غيرت مجرى حياته.

في تلك الفترة كان علماء المحيطات "الجدِّيون" يعتبرون أن الآلات القابلة للعمل تحت الماء، على غرار "آلفين"، ليست سوى ألعاب مسلّية. لكن بالارد شعر بأن "آلفين" الزاخرة بآخر مبتكرات السونار والفيديو وغيرهما من الأجهزة الالكترونية الفائقة التطور، تنطوي على إمكانات باهرة. ويقول: "هناك في الأسفل مساحة هائلة من الأرض مغمورة بالمياه وتضم أعظم السلاسل الجبلية وأعمق

---

(١) الروبوت (robot) هو ما يعرف بالرجل الآلي.
(٢) جايمس كوك (١٧٢٨ - ١٧٧٩) ضابط بحري بريطاني. وريتشارد إفلين بيرد (١٨٨٨ - ١٩٥٧) ضابط بحري امريكي ومستكشف للقارة القطبية الجنوبية. وروبرت إدوين بيري (١٨٥٦ - ١٩٢٠) مستكشف امريكي للقارة القطبية الجنوبية.

PAINTING BY KEN MARSCHALL FROM «THE DISCOVERY OF THE TITANIC» BY DR. ROBERT BALLARD;
PHOTO (ROBERT BALLARD): © MICHAEL O'NEILL

الاودية واوسع السهول. فهل يعقل أن يعرف المرء عن القمر والمريخ أكثر مما يعرف عنها؟"

أراد بالارد العمل في أعمق أعماق المحيطات. وكل ما احتاج اليه شيء يبحث عنه.

كان العلماء في أوائل السبعينات يتناقشون في نظرية تدعى "التكتونية الشريحية"[٣] يزعم أنصارها أن قشرة الأرض هي "مرقّعة" من قطع عملاقة تتباعد في بعض الأماكن متيحة للباطن المصهور أن يتسيّل خارجا من أعماق الأرض.

أما بالارد فكان يرى وسيلة واحدة للتثبت من هذه النظرية، وهي النزول الى قاع المحيط ورسم خريطة للتصدعات هناك. فاقترح وزملاءه زيارة سلسلة جبلية تحت الماء يبلغ طولها ١٩ ألف كيلومتر وتدعى سلسلة الأطلسي الاوسط.[٤]

ولكن للحصول على التمويل المطلوب كان على الفريق أن يحظى بموافقة الزملاء العلماء الذين، بحسب قول بالارد، "ظنوا أننا مجانين." وخلال ندوة عُقدت في جامعة برنستون عام ١٩٧٢ قدَّم بالارد حججه وبراهينه لجدوى استخدام الغواصة. ولما انتهت محاضرته حذره أحد العلماء قائلا: "إن فشلتم فستحوَّل تلك الغواصة مشابك للورق."

ثبت فريق بالارد على موقفه. وفي العام ١٩٧٤ أُطلق "المشروع الفرنسي الامريكي لدراسة قاع المحيط الاوسط."

يتذكر بالارد يوم انزلقت "آلفين" فوق هوة يقلّ اتساعها عن متر ونصف متر، ولما سلّط أفراد الطاقم نوراً ساطعا على الأسفل ضاعت أشعته في جوف فجوة سوداء من عالم تحت الماء، فأدركوا عندئذ أنهم عثروا على صدع في الارض.

أمر بالارد بايقاف الغواصة على حافة الفجوة. وهو يذكر بحنين: "أردت أن أنظر اليها، فجلست هناك طوال ساعة."

بعد عدة رحلات الى قعر المحيط وضع الفريق خريطة أصبحت جزءاً أساسيا من البراهين المتنامية على حقيقة التكتونية الشريحية.

وفي السنوات التالية نزل بالارد الى قاع المحيط الهادئ قرب أرخبيل غالاباغوس، وساهم في العثور على ينابيع فائقة السخونة في الاعماق يؤمن الخبراء الآن بتأثيرها في كيمياء المحيط لأنها تنضح أطنانا من المياه المعدنية. وعلى مقربة منها، في رقعة مظلمة من القاع لا تبلغها أشعة الشمس، عثر على أشكال غريبة من الكائنات بينها بكتيريا (جراثيم) لا تعيش الا قبالة المياه المعدنية، وسرطانات عمياء ضخمة ناصعة البياض، ومحارات حمراء قانية في حجم كرات قدم.

كان العمل داخل "آلفين" مضنيا. فالمقصورة تتسع لثلاثة أشخاص، وهي رطبة وباردة وموضع الأرجل فيها أضيق

---

(٣) Plate tectonics. والتكتونية هي العملية التي تغير شكل قشرة الارض محدثة القارات والجبال.

(٤) Mid-Atlantic Ridge

منه في أي سيارة صغيرة. أما الوصول الى قاع المحيط فيستغرق ساعتين. وبعد ساعات من العمل يترتب على الطاقم أن يتحمل ملل رحلة العودة.

وكان الخطر ملازما للازعاج خلال هذه الرحلات. فذات مرة نجا بالارد من تماسّ كهربائي انبعث منه دخان فراح يتنشق من مخزون هواء الطوارىء وارتدى قناع الغطس لحماية عينيه من الدخان. ومرة أخرى ارتطمت غواصته بجنب بركان تحت سطح الماء. ومرة أخرى كان أحد زملائه داخل "آلفين" عندما حاولت سمكة من طائفة سيّاف البحر أن تدخل خطمها الحاد في إحدى كوى الغواصة فعلق هناك، واضطر الفريق الى العودة الى سطح الماء ومعه سمكة عالقة تهز ذيلها باهتياج. (ماذا حدث للسمكة؟ يجيب بالارد بابتسامة ماكرة: "أكلوها!")

تيتانيك وبسمارك. في مطلع الثمانينات راح بالارد يبحث عن تحديات جديدة. وركّز على استعمال الآلات ذات التحكّم من بعد عوض الغواصات التي تحمل طواقم. فجند لهذه الغاية فريقا من العلماء والمهندسين لتصميم مزالج للأعماق ذات أطر فولاذية ومزودة كاميرات، يمكن جرها بسلك على أرض المحيط.

وفيما عكف الفريق على صنع الروبوتات، استبد بروبرت بالارد هاجس تحديد موقع "التيتانيك." وفي العام ١٩٨٥ توصل من خلال دراساته الى تضييق رقعة البحث عن السفينة العملاقة وحصرها ضمن مئة وستين كيلومترا مربعا. عندئذٍ أنزل روبوتا من غواصته وراح يجره ذهابا وايابا ممشطا المنطقة. وبعد انقضاء ٥٦ يوما التُقطت أول رؤية لـ"التيتانيك" الغارقة من خلال عين الروبوت وهي كاميرا تلفزيونية. ويقول بالارد: "أذكر الأعمدة الخالية التي كانت تُربط اليها قوارب النجاة، وكانت آخر ما رآه ركاب كثيرون وهم يبحثون عن قارب."

في الصيف التالي عاد طاقم "آلفين" بصور جديدة: رأس دمية من البورسلين الأبيض، وفنجان قهوة سليم استقر في قاع المحيط.

وفي خطوة جديدة، شرع بالارد في البحث عن "بسمارك" التي قد تكون أرهب سفينة حربية صُمِّمت على الاطلاق، وقد أغرقها البريطانيون في مايو (أيار) ١٩٤١. كان هناك أربعة مواقع على الاقل اشتُبه في وجود السفينة فيها، لكنها جميعها أعمق من موقع "التيتانيك."

عام ١٩٨٨ انطلق بالارد وفريقه نحو شمال شرق الأطلسي للبحث عن السفينة، ومعهم الروبوت "أرغو" الذي يعمل تحت الماء والذي ساعد قبلا في العثور على "التيتانيك." وبعد أسابيع من البحث العقيم اضطروا الى العودة من حيث أتوا.

في الصيف التالي استأنف بالارد البحث وأنزل "أرغو" الى القاع مرةً ثانية. وبعد تمضية أيام في تصوير عديم الجدوى لسهول أعماق المحيط، قادت كاميرات "أرغو" الفريق الى كتلة ضخمة

اختاروا لكم

"فوكا" زجاجة مغناطيسية لمياه صحية

بدأ علم العلاج بالمغناطيس يغزو العالم في الاعوام الاخيرة خصوصاً في اوروبا وامريكا حيث من المنتظر ان يتبوأ علم العلاج بالمغناطيس في السنوات المقبلة مرتبة متقدمة في ميدان الصحة العامة.

وقد انتجت الزجاجة المغناطيسية "فوكا" بطريقة علمية مدروسة ومشحونة بواسطة جهاز الكتروني متطور كي تتلاءم مع كل مجموعة من الحالات الصحية. وقد اخضعت لتجارب علمية شملت مئات الاشخاص في لبنان والخارج حيث اعطت نتائج سليمة وناجحة من دون اية مضاعفات.

تباع الزجاجة فارغة وتعبأ بمياه الشفة العادية وتصبح المياه صالحة للشرب بعد خمس دقائق. ويمكن شرب ثلاث او اربع زجاجات في اليوم خصوصاً في الصباح. وتبدأ فاعليتها بالزوال بعد انقضاء ثلاثة اشهر على استعمالها.

(اعلانات "غرانت")

ايزوستار المشروب الرياضي

في مناسبة انزال المشروب الرياضي العالمي ISOSTAR الى الاسواق اللبنانية، اقامت شركة "نيو كوميت" (خليل فتال واولاده) استقبالا في "اليرزة كاونتري كلوب" حضره حشد من مختلف القطاعات التجارية والرياضية والاعلامية.

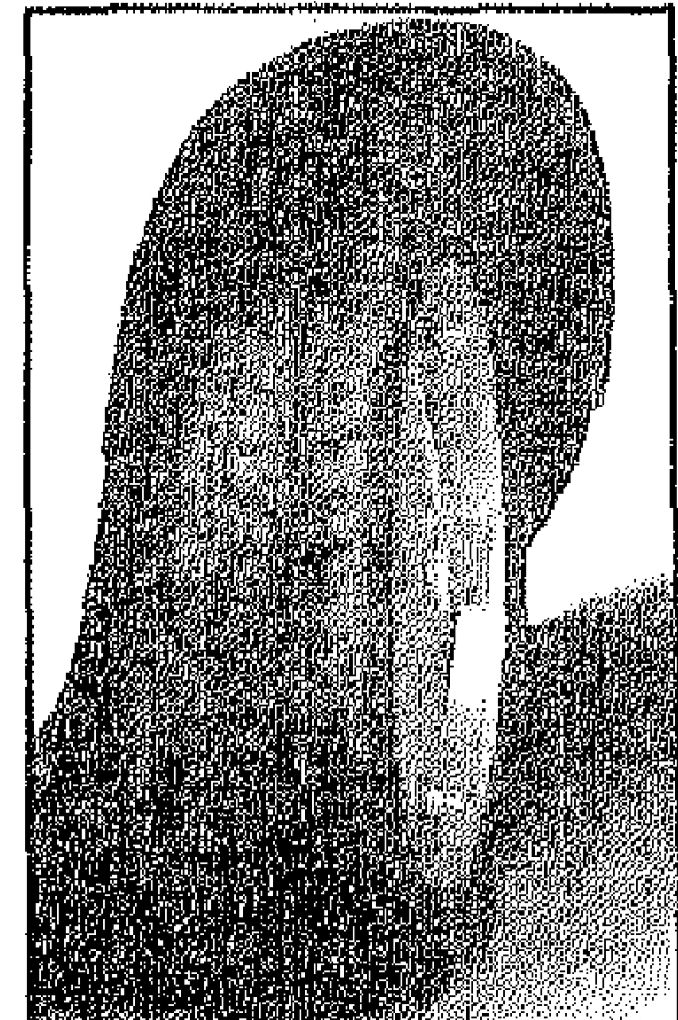
ISOSTAR تنتجه شركة WANDER LTD السويسرية وهو مشروب قاطع للعطش يمتصه الجسم في وقت قياسي ويعوض السوائل والاملاح المعدنية (الكترولايت) التي يفقدها الجسم بالجهد الرياضي او سواه ويزوده احتياطا من القوة لمتابعة المجهود.

ISOSTAR غزا الاسواق العالمية والعربية بنجاح كبير واعتمدته كبرى الفرق الرياضية كمشروب رسمي للاعبيها، لكنه لا يتوجه الى القطاع الرياضي فحسب بل الى الافراد الناشطين جسديا كافة.

ISOSTAR مكون من مواد طبيعية وهو متوافر في عبوات سعة ٤٥٠ ملل.

(اعلانات "انترماركتس")

اطارات COMP TIA



لا تتعجبوا لدى رؤيتكم سيارات الـ"بورش" مجهزة بإطارات BFGOODRICH'S COMP TIA TIRES ذات الاداء العالي. هذه المرة الأولى في تاريخ مصنعي السيارات الالمانية التي يختار فيها إطار أمريكي الصنع كتجهيز أساسي.

إطارات COMP TIA TIRES ستستعمل لسيارات "بورش" موديلات (٩١١، ٩١١ TURBO و٩٢٨. كذلك موديلات ٩٤٤ و٩٤٤ TURBO.

(اعلانات "بيهم")

تنشر "المختار" في هذه الصفحة اخباراً ومعلومات عن مواد تردها من اصحابها او وكلائها، وذلك على مسؤولية هؤلاء الكاملة.

من الفولاذ والى برج مدفع، ثم الى سفينة عملاقة رُسمت على مقدمها ومؤخرها صلبان معقوفة سوداء، شعار النازية. وهكذا انتهى البحث الذي دام سنتين.

صبي صغير. يصبّ بالارد اهتمامه حاليا على صفوف التدريس. فهو، كغيره من العلماء الامريكيين، قلق على مستوى المعرفة العلمية لدى أبناء أمته. ويقول في هذا الصدد: "علينا أن نشن حربا على الجهل. والطريقة الفضلى لذلك هي التعليم. أريد أن أطوِّع أشخاصا لدراسة العلوم، تماماً كما يطوع مدربٌ لاعبين لكرة السلة."

وهو تساءل في العام ١٩٨٧: "لماذا لا نقيم اتصالاً بين التلاميذ في الصفوف وأحد الروبوتات المستكشِفة؟"

وتحول الحلم حقيقة. ففي مايو (أيار) ١٩٩٠ راح تلميذ في الصف الابتدائي السابع في كنسينغتون بولاية ماريلاند يحرك روبوتا حول حطام سفينتين حربيتين أمريكيتين كانتا جاثمتين في قاع بحيرة أونتاريو منذ العام ١٨١٣. وبث قمر اصطناعي صورا تلفزيونية للسفينتين التقطتها صفوف المدارس في أنحاء الولايات المتحدة. وقد طور اساتذة العلوم منهجا دراسيا خاصا مستعينين بتقنية بالارد.

يقول زميله مايك ستيوارت الذي التقاه للمرة الاولى يوم كان يخطط لبعثة "التيتانيك": "إن آفاق بوب تتخطى المعقول، وغالبا ما يتجاوز الآخرين بتفكيره الى حدّ يسبب لهم الضياع."

ما زال بالارد يضج حماسة حين يتكلم على أحلامه وعلى عالم الأعماق الذي يغوص فيه ليحققها. ولم يفارقه انشداه الصبي الصغير الذي كان يطوف بشطآن سان دييغو باحثا في أحواض الجَزْر عن نِعَم لفظها البحر عند قدميه.

دوغ غار ■

خفف سيرك!

كان عمال البلدية يقيمون مخففات سرعة (مطبّات) في شوارع حينا، لكنهم تركوا شارعاً طويلا لم يقيموا فيه شيئاً. وعندما سألت أحدهم عن السبب، أشار الى مدرسة للبنات على جانب الطريق قائلا: "انها أفضل مخفف للسرعة!"

ر.ش.

خطوات في الغابة

في طريقنا الى الغابة لتمضية نهار عطلة، راح والدي يحاضر فينا حول مخاطر الادغال. وعندما انتهى قال له شقيقي الاصغر. "صف لنا يا أبي الخطوات التي نأخذها اذا رأينا أفعى." فردت والدتي بسرعة: "كبيرة وسريعة!"

ف.و.



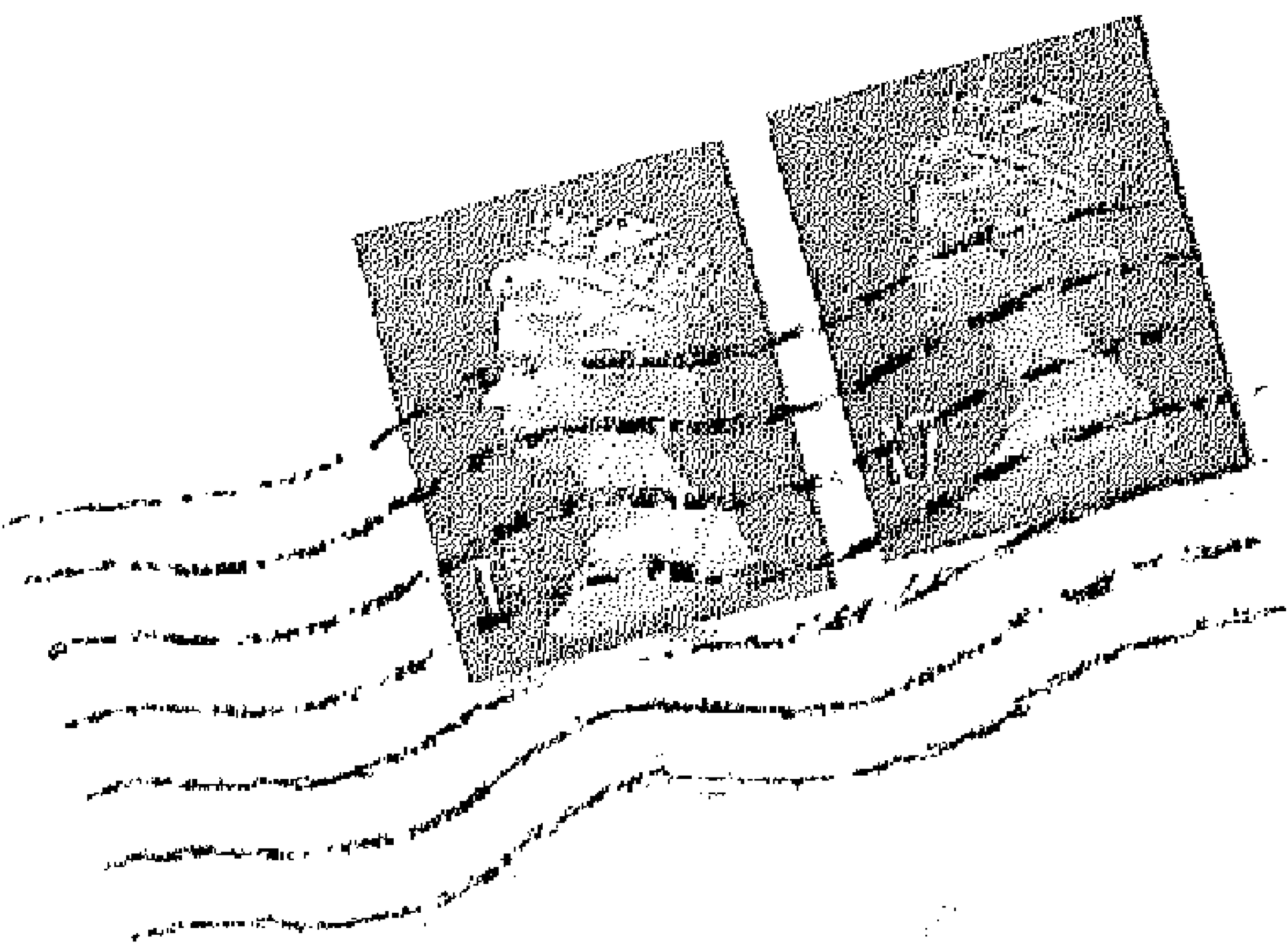
كتاب الشهر
الجريمة الكاملة
بقلم: ديفيد مولر

الجريمة الكاملة

بدأت الاحجية الرهيبة برسائل تهديد تطالب بدفع مبالغ نقدية. ثم ظهرت على رفوف المتاجر علب مسمّمة من طعام الكلاب. وذات يوم كانت احدى الامهات تلقم ابنتها طعاماً معلباً للاطفال، فلمحت في فمها قطعاً معدنية براقة من شفرة حلاقة، فراحت تلتقطها هلعة من فم الطفلة.

لقد نجح المبتز على الدوام في استباق خطوات الشرطة وجني المال وفق مخطط يقارب "الجريمة الكاملة" على نحو لم تشهده دائرة اسكوتلنديارد[1] في تاريخها. وتوسعت التحقيقات لتشمل دوائر شرطة ومصارف وأجهزة كمبيوتر، ووجد المحققون أنفسهم أمام أسئلة مربكة: من هو هذا المجنون؟ ومن اين له هذه القدرة الخارقة على استباق خطواتهم؟ وكم من الابرياء سيقعون في حبائله قبل أن يقع في قبضتهم... هذا إن وقع؟

هنا، استناداً الى سجلات اسكوتلنديارد، واحدة من أغرب جرائم التاريخ الحديث.



(١) اسكوتلنديارد هي دائرة المباحث في شرطة لندن.

أطل صباح ٣ أغسطس (آب) ١٩٨٨ مشمساً ودافئاً على بلدة ملتون موبري التي تبعد ١٥٠ كيلومتراً الى الشمال الغربي من مدينة لندن. واذ راح لزلي سيمنز، مدير شركة "بدغري بتفودز" لأطعمة الحيوانات، يتفحص الرزمة التي وضعتها سكرتيرته أمامه، شعر بقشعريرة تسري في بدنه.

فأمامه على المكتب علبة "بدغري تشام" من طعام الكلاب الذي تصنعه الشركة، والى جانبها رسالة تحذّر من أن العلبة لُوِّثت بمواد كيميائية "عالية السميَّة لا لون لها ولا رائحة... ولا سبيل لصاحب الحيوان المدلل الى اكتشافها قبل اطعامه منها."

وطالبت الرسالة بمبلغ ١٠٠ ألف جنيه استرليني (نحو ١٨٠ ألف دولار) سنوياً وعلى مدى خمس سنوات. وهددت بأنه "ما لم يسدَّد هذا المبلغ بحسب البرنامج المحدد، فستظهر على رفوف المتاجر في أنحاء بريطانيا كميات كبيرة من العلب المسممة."

لقد أَلِف كبار الصناعيين أعمال الابتزاز، لكن سيمنز شعر هذه المرة باختلاف الحال. ففي معظم مكائد الابتزاز حلقة ضعيفة تمثل في طريقة تسلم المال. إلا أن هذا المبتز طالب بإيداع المال حسابات مصرفية يحددها لاحقاً لكي يتمكن من سحبه بموجب بطاقات نقدية[٢] من ألوف ماكينات النقد الاوتوماتيكية[٣] المنتشرة في أنحاء البلاد.

واسترسل شارحا أنه فتح هذه الحسابات بأسماء مستعارة "قبل أمد بعيد" وأنه تلقى البطاقات النقدية وأرقام التعريف الشخصية[٤] بواسطة مكاتب تُعنى بتسلم بريد أشخاص لا عناوين دائمة لهم. وبما أن عدد الوافدين الى كل من هذه المكاتب يقارب الستين يومياً، فان تذكر الموظفين شخصاً زارهم قبل سنوات هو احتمال شبه معدوم.

فيا له من ذكي!

تابع المبتز في رسالته: "عندما توافق شركتكم على الدفع، ضعوا اعلاناً في باب رسائل القراء في صحيفة "دايلي تلغراف" بالنص الآتي: "ساندرا، عيداً سعيداً يا حبيبتي. المحب، جون." وانشروا هذا الاعلان في تاريخ اقصاه ١ سبتمبر (أيلول)."

لقد تداركت الرسالة جميع الاحتمالات. فراح سيمنز يتفكر في مضامينها. انه أمضى ٣٠ عاماً في شركة "بدغري" عمل خلالها لتطوير منتجاتها وتجميل صورتها. وهو يدرك أن تهديداً واحداً بالتسميم كفيل باسقاط المبيعات والاستغناء عن خدمات مئات العمال.

لذلك استدعى للحال لجنة طوارىء ضمَّت مدير المبيعات جون دايل ورئيس قسم

---

(٢) Cash cards. وهي بطاقات بلاستيكية مرقمة يولجها صاحبها في ماكينة خاصة فتخرج له مبلغاً نقدياً معيناً.

(٣) Automatic teller machines «ATM»

(٤) Personal identification numbers «PIN»

ILLUSTRATIONS: BILL SCHMIDT. PERSONAL ADS: COURTESY OF THE DAILY TELEGRAPH (LONDON)

الدعاية والاعلان وليم دونكان، ولفتهما الى ضرورة مراعاة السرية التامة في هذا الشأن. قال: "واضح أن علينا استدعاء رجال الشرطة. لكننا لا نستطيع لقياهم في مقر الشركة. فاذا علم الموظفون بالأمر وبدأوا الكلام، فسنجد أنفسنا هدفا لحملة مركزة من وسائل الاعلام."

في وقت لاحق من ذلك النهار قصد دايل ودونكان موقف سيارات أمام أحد المتاجر الكبرى لملاقاة المفوَّض ايان ليسي الذي يأتي ثانياً في تراتبية دائرة المباحث الجنائية في شرطة لسترشاير. وهو رجل رقيق البنية أشيب الشعر في الثانية والاربعين من عمره.

خلَّفت الرسالة أثرا عميقا في نفس ليسي، فتمتم معجباً: "انه لمحترف حقاً. فهو يبدو عالما بما سيجول في فكرنا. لا أجد في هذه الرسالة منطلقا نستند اليه. لربما بيَّنت التحليلات شيئا ما."

with all o… fondest love; Sally, Irene, Garth & the Grandchildren.

SANDRA, Happy birthday darling. Want to help, must talk, phone 0664 500065. Love John.

BALL nee ARMOUR MIRIAM BALL otherwise MARIE BAL… Nee

لكن فحص الرسالة وعلبة طعام الكلاب في مختبرات الشرطة لم يكشف شيئا. فالمواد الكيميائية جاءت مطابقة تماما لتحديدات المبتز، وقاتلة أيضا. أما الرسالة فمطبوعة على آلة كاتبة من نوع واسع الانتشار ومستنسخة على نحو لم يترك أي بصمات.

ولم يدَع المبتزّ مجالا للعثور على أي "بصمات" جينية (وراثية)، وهذه تقنية حديثة تعتمد تحليل تركيبة الحمض النووي DNA(٥) الذي يتفرد به كل شخص والذي يمكن استخراجه من الدم واللعاب والعرق وسواها من أجزاء الجسم البشري وإفرازاته. فبدلاً من لعق الطابع البريدي الملصق على غلاف الرسالة عمد المبتز الى بلِّه بالماء.

وبعد يومين التقى دايل ودونكان المفوَّض ليسي مجدداً، ونقلا اليه قرار الشركة عدم الخضوع لهذا الابتزاز.

قال ليسي: "علينا أن نواجه الواقع. نحن لا نملك ما يرشدنا الى المبتز. واذا كتب ثانية، فقد يتوجب علينا ايداع المال حساباته وتركه يسحبه. فتلك قد تكون فرصتنا الوحيدة للاتصال به. وإن أطلنا أمد الايداع فلا بد من أن يقع في خطأ ما."

أومأ ممثلا شركة "بدغري" موافقين، وقررا قبول التحدي اذا ما اتصل المبتز ثانية.

(٥) Deoxyribonucleic acid

في هذا الوقت كان ليسي نبّه دائرة اسكوتلنديارد في لندن ليُصار الى الابلاغ عن جميع حوادث الابتزاز وتلوث الاطعمة التي تسجلها دوائر الشرطة في جميع المقاطعات. وعلى رغم أن التحقيق بقي بمجمله ضمن صلاحية دائرة لستر فقد زار ليسي مقر اسكوتلنديارد في لندن للتشاور والمفوّض باتريك فليمنغ، وهذا رجل فارع الطول في السابعة والاربعين من عمره ذو عينين رماديتين يقظتين، وهو مسؤول عن الفريق الجنائي في شرطة المدينة الذي يشكل جزءاً من شبكة مباحث وطنية تتولى قضايا جرائم تتخطى نطاق عمل الشرطة المحلية.

قرر الرجلان عدم استعجال الامور نظراً الى أن الرسالة حددت الاول من سبتمبر (أيلول) موعداً نهائياً. وقال فليمنغ: "لندع القلق يتملكه. أجبروه على شراء الصحيفة كل يوم."

وفي ٣١ أغسطس (آب) اليوم الأخير قبل الموعد المحدد، وضع المحققان الاعلان المطلوب في الـ"دايلي تلغراف" وأضافا اليه رقم هاتف آملين استدراج المبتز. فجاء كالآتي: "ساندرا، عيداً سعيداً. أود المساعدة. يجب أن نتكلم. الهاتف ٥٠٠٠٦٥ — ٠٦٦٤. المحب، جون."

مراقبة ليلية

مضت خمسة أسابيع من دون جواب. فساور ايان ليسي أمل أن تكون القضية في حكم المنتهية، ورتّب اجتماعاً مع ممثلي "بدغري" في مقهى خارج بلدة ملتون موبري في ٧ أكتوبر (تشرين الاول). ولكن ما إن انفضّ الاجتماع، حتى تلقى دونكان مكالمة تدعوه الى الاتصال بمكتبه. وأُخبر أن الشركة تلقت من المبتز رسالة جاء فيها: "اطلعنا على ردكم. لن نكلمكم هاتفيا، فليس هناك ما نبحث فيه."

وفصّلت الرسالة أن الحسابات مودعة باسم جون وساندرا نورمان في ثلاثة مصارف مختلفة، وعلى الشركة ايداع ما مجموعه ١٠٠ ألف جنيه استرليني في موعد أقصاه ١ نوفمبر (تشرين الثاني) "وإلا بدأ تنفيذ التهديد السابق."

حاول ليسي مرة أخرى الافادة من عامل الوقت منتظراً ٢٨ أكتوبر (تشرين الاول) قبل ايداع مبلغ ٥٠٠٠ جنيه (نحو ٩٠٠٠ دولار) من أموال "بدغري" في اثنين من الحسابات الثلاثة. وبذلك اكتشف أمراً صغيراً اعتبره ضرباً من حسن الحظ: وحده حساب مصرف هاليفكس ظل مفتوحاً، أما المصرفان الآخران فقد أقفلا حسابي المبتز بعدما ضاقا ذرعاً بمراسلاته المرتجعة.

وفي ما عدا هذا التقدم اليسير ظل المبتز ممسكاً بمعظم الاوراق الرابحة، اذ ما زال في وسعه أن يسحب من حسابه في هاليفكس مبالغ تصل الى ٣٠٠ جنيه (نحو ٥٤٠

دولارا) يوميا من ١٠٦٦ ماكينة نقد منتشرة في أنحاء البلاد بحيث يستحيل على الشرطة وضعها تحت مراقبة دائمة.

وفي الساعة ٩،٢٩ من مساء ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ سحب المبتز أول ٣٠٠ جنيه من ماكينة نقد هاليفكس في بلدة ريدنغ البعيدة ٦٥ كيلومتراً من غرب لندن. وخلال الايام العشرة اللاحقة أجرى ثمانية سحوب أخرى من نقاط مختلفة في البلاد. واذ لم يكن لدى ليسي سبيل آخر لمواصلة الاتصال به، نصح شركة "بدغري" بايداع الحساب مبلغ ١١ الف جنيه استرليني (نحو ٢٠ ألف دولار) خلال الشهر اللاحق.

بعد فورة السحوب الاولية بدأ ثمة نمط يتشكل، اذ راح المبتز يستخدم مزيداً من ماكينات النقد في ناحية من بريطانيا تقع جنوب لندن وشرقها. فنظمت شرطة لسترشاير بالتعاون مع اسكوتلنديارد حملة مراقبة ليلية في مواقع منتقاة.

وتحدث ليسي الى مجموعة من رجال اسكوتلنديارد: "نحن واثقون بأن المبتز لن يستخدم بطاقته النقدية خلال ساعات العمل لأن الكمبيوتر سينذر موظفي هاليفكس على الفور. وهو، الى الآن، أجرى سحوبه في العشية. لذلك، اذا راقبنا ماكينات هاليفكس من ساعة اقفال المكاتب الى ساعة توقف الماكينات عن العمل في منتصف الليل، فسنحظى بفرصة جيدة للقبض على أحد ما."

ومتى وضع المبتز بطاقة السحب الرقمية في احدى ماكينات النقد، انكشف ذلك للحال لرجال الشرطة المرابطين في مصرف هاليفكس وأمكنهم الاتصال لاسلكيا بفرق المراقبة لضبط الساحب.

بدأ التنفيذ في ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) بهمّة ١٥٠ شرطيا توزعوا مجموعات ثلاثية (ومجموعة احتياط) قبعت تراقب ٤٩ ماكينة نقد في شرق لندن. لكن المبتز، عن غير قصد منه، سحب المال تلك الليلة من دونكستر البعيدة ٢٦٢ كيلومترا من شمال لندن حيث لم يرابط أي فريق مراقبة.

بعد أربع ليالٍ جلس ليسي في مقر اسكوتلنديارد يتابع العمليات هاتفيا كأنه صياد يتحين الفرص للانقضاض على طريدة. فبوجود كل هذه الفخاخ المنصوبة لا بد من أن تقع الطريدة في أحدها عاجلا أم آجلا.

رن جرس الهاتف، فالتقط السماعة وقلبه يتوثب ترقبا. قال له مكلمه: "انه يسحب... من بلاكبول."

لكن ليسي لعن حظه لأن بلاكبول تقع على الساحل شمال غرب انكلترا حيث لا فريق مراقبة. وللحال اتصل بشرطة بلاكبول طالبا تسجيل أرقام السيارات المغادرة مداخل المدينة ليصار الى تتبع أصحابها عبر مصلحة تسجيل السيارات والتحقيق مع أولئك الذين يقطنون في الجنوب الشرقي حول ما كانوا يفعلونه في بلاكبول تلك الليلة. الا أن

التحقيق لم يكشف أي أسماء مريبة.

وكان المبتز سحب ما مجموعه ٧٨٠٠ جنيه استرليني (نحو ١٤ ألف دولار). لكن ذلك لم يكفه. فكتب في ٥ ديسمبر (كانون الاول) رسالة الى شركة "بدغري" يطلب تعويم حسابيه الآخرين. وكان مراده واضحاً وهو أن يتوافر له خيار أوسع من ماكينات النقد.

جاء في الرسالة: "زاد المبلغ المطلوب الآن الى ٥٠ ألف جنيه استرليني (نحو ٩٠ ألف دولار) تودّع كلاً من الحسابات الثلاثة سنويا ولمدة خمس سنوات. ادفعوا ما عليكم وإلا فلن نتردد في وضع معلبات مسممة من صنف "بدغري تشام" في خمسة مخازن كبرى في أنحاء مختلفة من البلاد."

وتأكيداً لهذا التهديد، ظهرت في اليوم التالي أول علبة مسممة. واتصل مجهول بالشرطة مستخدماً رمز "روميو وجولييت" المشار اليه في رسائل المبتز، ليدلها الى مخزن وُضعت فيه علبة "بدغري تشام" تضمنت المواد الكيميائية القاتلة اياها التي استخدمت في العلبة المرسلة الى "بدغري" في أغسطس (آب) الفائت.

لعبة شنيعة

لجأ ليسي في خطوته التالية الى تتبع طريقة المبتز في فتح حساباته المصرفية. وتولى بات فليمنغ هذه المهمة وأحالها على الفريق الجنائي الاقليمي التابع لشرطة العاصمة في ضاحية باركنغسايد.

وسرعان ما أكبَّ على القضية ٢٤ رجل مباحث من شرطة باركنغسايد بامرة المفوَّض غافن روبرتسون، وهو رجل مرح الطباع عريض المنكبين في الحادية والاربعين من عمره. ومعروف عن فليمنغ وروبرتسون أنهما يعملان معاً بتوافق وانسجام، وقد كان والداهما قبلهما ضابطي شرطة.

اعتاد فريق روبرتسون مراقبة أنشطة المجرمين المعروفين، لكن مهمته هذه المرة تناولت التحقيق في جريمة ارتبكها "أشخاص مجهولون." وحاول أعضاء الفريق، مستعينين بخريطة في غرفة العمليات، تحديد المكان الذي يفترض أن يعتمده المبتز في خطوته التالية. وبلغت بهم الحماسة حد الرهان على ذلك. ففي كل صباح، كان كل منهم يضع ٥٠ بنساً (نحو ٩٠ سنتا) في قبعة ويخمن موقعا محتملا. وفي اليوم اللاحق يربح الاقرب في توقعه كامل المبلغ المتجمع. لكن الرقيب لن هيندز كان واحداً من كثيرين لم يستطيعوا مقاربة الربح ابداً. فقال: "ان تحديد الموقع الصحيح لشبيه باصابة نقطة وسط دائرة بسهم مريَّش وأنت مغمض العينين."

غير أن رسالة وردت في ١٥ ديسمبر (كانون الاول) أعادت الالحاحية الى عملهم.

ذلك لأن المبتز، وقد ضاره البطء الذي لازم ملء حساباته، طالب بزيادة المبلغ الى ٢٠٠ ألف جنيه استرليني (نحو ٣٦٠ ألف دولار) تدفع سنويا لمدة خمس سنوات لاحقة. قال: "كان عليكم التقيد بالموعد النهائي... نحن على استعداد لتلويث جميع أصنافكم تباعا."

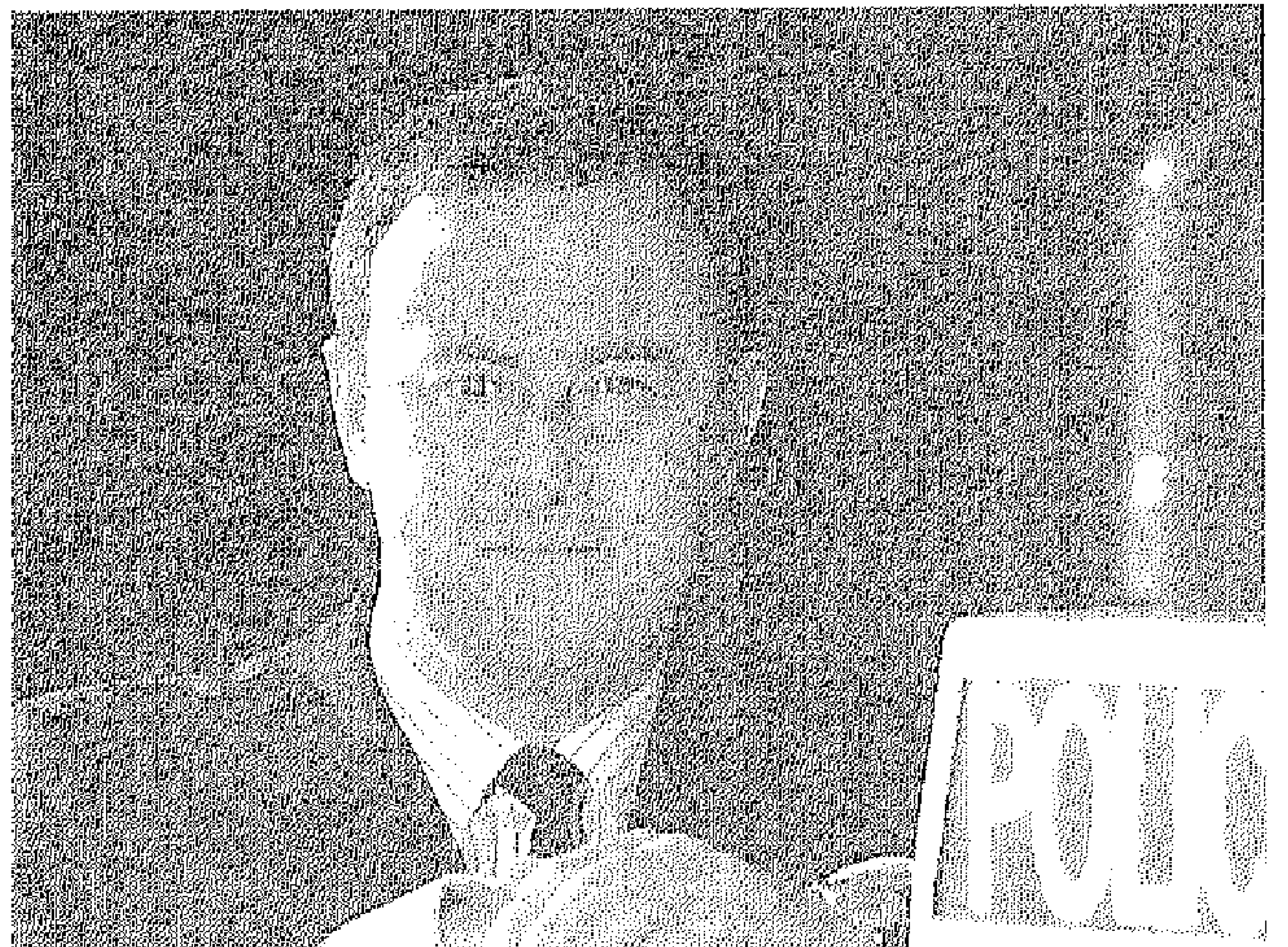
وفي اليومين اللاحقين تلقت الشرطة مكالمات هاتفية من مجهولين قادتها الى خمس علب أخرى من طعام الكلاب المسموم. وفي ١٩ ديسمبر (كانون الاول) أودعت "بدغري" حسابات المبتز ٨٠٠٠ جنيه استرليني (نحو ١٥ ألف دولار) نزولاً عند نصيحة الشرطة.

مرت بالمحققين لحظات شعروا فيها بأنهم على وشك الانقضاض على طريدتهم. فبمراجعة لوائح كمبيوتر هاليفكس بانت لهم أسماء وعناوين لأصحاب حسابات استخدموا ماكينات النقد قبل المبتز أو بعده مباشرة. فانتشر ١٢ شرطياً سرياً عبر البلاد محاولين استبيان أوصاف المبتز. وأخيراً حصلوا على بعض التفاصيل من شاهد عيان قال: "انه رجل يعتمر خوذة درّاج سوداء ويرتدي معطفا عسكرياً زيتي اللون يصل الى الردفين. وهو مربوع القامة طوله نحو ١٧٠ سنتيمتراً."



وكانت الشرطة ثبتت كاميرات فيديو قبالة عدة ماكينات نقد لتصوير كل من يسحب مالاً بعد ساعات الدوام. وسرعان ما ورد نبأ أحيا الامل في نفس ليسي، اذ جاءه شرطي يقول: "لقد التقطنا صورة الرجل على الفيديو." ولكن ما ان شاهد ليسي الصورة حتى تهاوت آماله. فوجه الرجل كان غير مرئي تحت مقدم الخوذة.

واذ خلت الساحة من دلائل أخرى، شرعت الشرطة في تنفيذ عملية مراقبة أوسع نطاقاً. وفي منتصف يناير (كانون الثاني) بدأ ٢٠٠٠ شرطي وفدوا من



المفوّض غافن روبرتسون.

PHOTOS: © IAN BRADSHWA

أنحاء بريطانيا مراقبة ٧٠٠ ماكينة نقد، أي نحو ثلاثة أرباع ماكينات هاليفكس الموزعة في أرجاء البلاد.

ولكن ما ان بدأت هذه العملية حتى عاد المبتز الى تغيير نمطه على نحو محيّر. وفي ١٨ يناير (كانون الثاني) سحب مبلغاً أخيراً لم يسحب غيره خلال الاسابيع الخمسة اللاحقة.

في تلك الاثناء واصل المبتز والشرطة لعبة "القط والفأر" الشنيعة. فانبرى رجال الشرطة وموظفو المخازن الكبرى لانزال علب مسمومة عن رفوف مخازن في خمس مدن بعد تلقي مكالمات من مجهول. وواصل المبتز تعديل مطالبه وقد أغضبه فشله في لفت الانظار. ونزولا عند نصيحة الشرطة، واصلت "بدغري" الدفع بمقدار يكفي لاستمرار اللعبة.

استحوذ الحديث عن القضية اهتمام محققي باركنغسايد حتى كاد يتحول موضوعاً للتندر. ومازح أحدهم الشرطي المتقاعد رودني ويتشلو قائلاً: "انها لا شك مهمة تحتاج الى دماغك الخارق." وكان ويتشلو ما زال يُطلب في المحاكم لعرض قرائن في قضايا عالقة من أيام عمله، وغالبا ما كان يزور دوائر الشرطة لجمع الوثائق والبينات.

وكان روبرتسون تواقاً للحصول على المساعدة من أي مصدر ممكن، فلجأ الى عقد جلسات متكررة مع فريقه ليتبين ما اذا توصل أحد العناصر الى أي دلائل أو قرائن جديدة. وبعد جلسة ليلية طويلة قال المفتش طوني درين برما: "انه مجرم عصري بكل معنى الكلمة. فهو لم يُقْدم على أي خطوة ناقصة."

طعام أطفال مسموم

أخذت القضية في ٢٠ مارس (آذار) ١٩٨٩ منحى يبعث على القشعريرة. ففي ذلك اليوم وصلت الى دائرة الشرطة في لستر رزمة داخلها علبة من طعام الاطفال الجاهز الذي تنتجه شركة "هاينز" ورسالة جاء فيها:

"بات جلياً أن ذيوع الامر يقتضي وقوع ضحية. لقد سممنا العينة المرفقة. ويتعذر شم الابخرة السامة وسط الرائحة الطبيعية لطعام الاطفال. إن تناول طفل ملعقة واحدة من هذا الطعام كفيل بارساله الى غرفة الطوارىء. وقد تطعم الأم طفلها معظم محتوى العلبة من دون أن تلاحظ شيئاً مريبا.

"سنترقب اعلانكم (الى ساندرا من بوب) في الزاوية المعتادة يوم ٢٧ مارس (آذار). فاذا لم يتضمن الاعلان ما مفاده أن مبلغ ١٠٠ ألف جنيه استرليني (نحو ١٨٠ ألف دولار) قيِّد في كل من الحسابات الثلاثة، فسوف نبدأ التنفيذ. ولن نتوقف حتى تسدد هاينز المبلغ المحدد."

جهز المدير العام في شركة "هاينز" فريقاً ادارياً من ثلاثة رجال لمواجهة التهديد، وكلف أحد أعضائه التنسيق مع الشرطة ومع موظفي "بدغري" الذين تابعوا القضية. لقد باتت شركة "هـ.ج. هاينز" هدف المبتز الرئيسي. ولما كان مقرها في غرب لندن، ونظراً الى اتساع نطاق التهديدات، قرّ الرأي على أن يتولى بات فليمنغ التحقيق في القضية بدلا من ايان ليسي وشرطة لستر.

جلس فليمنغ في مكتبه القائم في الطبقة الرابعة من مقر شرطة المدينة، وراجع مجمل التحقيقات مع غافن روبرتسون الذي انتقل من باركنغسايد ليساعده في القضية. كان في متناولهما بعض أفضل ما في العالم من أجهزة كمبيوتر ونظم معلومات ومعدات مراقبة وكل ما يلزم من دعم علمي وتحليل جنائي. ولكن هل يجدي كل ذلك؟

لم يصادف فليمنغ قضية كهذه طوال ٢٥ عاماً من عمله في دائرة المباحث الجنائية. كما لم يشهد في تحقيقاته، التي شملت نحو ٤٠ جريمة قتل وأعداداً لا تحصى من الجرائم الكبرى، قضية تماثلها صعوبة. فالمجرم لم يترك أي أثر أو دليل يمكن اقتفاؤه. رسائله مستنسخة، وانذاراته المحتواة في المعلّبات المسممة مخرَّمة على أشرطة بلاستيكية سوداء متوافرة بكثرة. وهو لم يترك بصمات ولا غير ذلك من الادلة الجنائية.

ازاء ذلك كله هتف فليمنغ غاضباً: "لقد نجح صديقنا حتى الآن في ابتزاز نحو ١٨ ألف جنيه استرليني (نحو ٣٢ ألف دولار) من الشركتين. ومع ذلك لم نتوصل الى أي أثر، وإن ضئيلاً، يدلنا على هويته، ولم نتقدم أي خطوة في مساعينا. علينا أن نحسِّن فرصنا بطريقة ما."

بُرمجت ماكينات هاليفكس بحيث تعلق فيها بطاقة المبتز عندما يسحب المال لاحقاً أملاً بالحصول على بصماته أو استفزازه للظهور على نحو ما. وفي الساعة ٩،٤٤ من ليل ٢٨ مارس (آذار) انزلقت البطاقة في احدى ماكينات النقد وعلقت. وحين فحصت تبين أن المبتز لم يترك عليها أي بصمات. ووجدت الشرطة نفسها مجدداً أمام طريق مسدود.

لم يمضِ أسبوع على ذلك حتى أعلن المبتز في رسالة الى مخفر شرطة لستر: "أجبرتمونا على وضع السموم على الرفوف... أنتم أوضحتم أنكم لا تودون الدفع. ونحن بدورنا نوضح لكم أن هاينز وبدغري ستخسران مبالغ تفوق كثيراً ما تتوخيان ادخاره."

كان روبرتسون يُعنى بحديقة منزله يوم السبت في ٨ ابريل (نيسان) عندما تلقى مكالمة هاتفية عاجلة من فليمنغ، قال له: "لدينا حالة تسميم طارئة أود أن تطّلع على تفاصيلها."

تحدثت السيدة جنيفر بوسون الى روبرتسون. فأخبرته أنها كانت تعدّ وجبة لكلابها،

فأفرغت في الوعاء علبة من طعام الاطفال الذي تنتجه "هاينز"، فاندلق بعضه على يدها وأحست كأنما شيء لسعها، وحتى بعد غسل يدها ظلت عليها بقعة حمراء ملتهبة.

كما اشتمت رائحة تشبه رائحة الامونيا (النشادر) وأحست وخزاً مؤلما في عينيها. واذ راحت تنقب في الوعاء بملعقة، وجدت دبوسين وشريطا بلاستيكيا أسود كتب عليه: "مواد مسمومة. في المتجر ثلاث علب أخرى من منتجات هاينز لا تحمل تحذيراً..."

سأل روبرتسون السيدة بوسون قبل انصرافه عن بقعة حمراء ظاهرة على خدها، فأخبرته أنها نجمت عن وضع يدها على خدها "بعد" غسلها من الطعام المسموم. وعندما التقى فليمنغ قال له: "تصور مدى تأثير هذه المواد في حنجرة طفل. اننا في صدد مهووس لا يرتدع عن أي أمر."

أكدت التحاليل الجنائية لاحقاً أن علبة الطعام الملوث احتوت على نحو ٣٠ غراماً من السم، أي ما يكفي قتل أكثر من ٢٠ طفلا.

أما الآتي فكان أعظم. ففي ١٦ أبريل (نيسان) جلست السيدة هيلين كوبوك تطعم طفلتها فكتوريا البالغة من العمر ١٨ شهراً. فلاحظت أن الطفلة تمضغ شيئا صلباً. فمدت يدها الى فمها وأخرجت منه قطعة من شفرة حلاقة. ثم لاحظت مرعوبة أن شظايا أخرى وقعت أرضاً عندما فتحت العلبة.

وللحال نقلت فكتوريا الى المستشفى حيث أظهرت الفحوص أنها لم تبتلع أيا من كسر الشفرة مع أن جرحاً ظهر في فمها. وبينت التحاليل المخبرية أن العلبة حوت ثماني شظايا ورسالة على شريط بلاستيكي جاء فيها: "في المتجر أيضاً منتجات مسممة من كتشاب وفاصولياء هاينز".

من يقتل أطفالنا؟

بعد هذين الحادثين أصدرت الشرطة تحذيراً بثتهما الاذاعة والصحافة المحليتان. وواجه فليمنغ قراراً مؤلماً: أيتوجب على الشرطة الآن بث انذار وطني شامل؟

إن فعلت فسوف تهبط مبيعات "هاينز" و"بدغري" وغيرهما من شركات المواد الغذائية على نحو مريع. وأخطر من ذلك ما قد يستتبع الاعلان من موجة تقليد تهدد بمزيد من الاذى وتغرق المحققين وتضعف فرص القبض على المبتز المراوغ.

بيد أن الاهتمام بالسلامة العامة ينبغي أن يأتي أولا.

عقد فليمنغ في ١٨ أبريل (نيسان) ١٩٨٩ مؤتمراً صحافيا في مقر اسكوتلنديارد أطلق فيه انذاراً بوجوب "التدقيق في المشتريات بعناية فائقة، فمن المحتمل أن تكون الملوثات مؤذية، الا أن كشفها ممكن بواسطة الشم والنظر."

ولم تمضِ أيام حتى سيطر الذعر على الناس. وتحدث أحد الوزراء في مجلس

العموم عن عزم الحكومة على مقاومة جميع المحاولات الرامية الى "ارهاب المستهلك." وراحت الصحف تنشر كل صباح صوراً لاطفال يُنقلون الى المستشفيات بعد تناولهم أطعمة لوثت بالزجاج والخشب والمعادن والدبابيس وشفرات الحلاقة بأيدي مجرمين شاؤوا تقليد المبتز. وتساءلت الصحافة بغضب: "مَنْ يحاول قتل أطفالنا؟"

خلال الاسابيع الثلاثة التي تلت المؤتمر الصحافي تحولت تحقيقات فليمنغ عن مجراها الاساسي نتيجة ١٣٠٠ حالة تسمم جديدة نُسِب معظمها الى مهووسين، كما نُسبت قلة منها الى انتهازيين أملوا ابتزاز شركات الاطعمة لكي تدفع لهم مبالغ فورية في مقابل سكوتهم عن "أضرار" ألحقوها بأنفسهم عمداً.

اشتد تذمر الناس والصحافيين والسياسيين وطالبوا باجراءات سريعة لمعالجة الوضع. فبلغ الضغط على فليمنغ أشده، فهو أب لأربعة أولاد، ويفهم حقاً قلق الآباء والامهات. لكن قلة من الرجال تستطيع ادارة التحقيقات بمثل ما له من مهارة ومؤهلات.

please call. A stin ...

JULIET · Very worried about the babies. Must talk privately. H.

MARY I have been faithful for ...

كان فليمنغ أحد أبرع مفاوضي شرطة العاصمة في قضايا الرهائن. وهو خضع على مدى سنوات لتدريبات صارمة لدى مكتب التحقيقات الاتحادي «FBI»[٦] في كوانتيكو بولاية فرجينيا الامريكية، وشارك في بضع عشرة قضية كبرى شملت رهائن. وهو يفهم تماما عملية الاخذ والرد المستهلكة للوقت التي يتطلبها دفع المجرم الى ارتكاب أخطاء أو اغواؤه للتحاور والشرطة. لكنه في هذه القضية وجد نفسه مضطراً الى التعامل والمجرم من دون أي اتصال مباشر ومن خلال ماكينات النقد ورسائل التهديد والاعلانات.

في نهاية المطاف تدبر فليمنغ مع روبرتسون خطة ركزت على "هاينز." قال فليمنغ: "سنحاول اجراء اتصال مع المبتز مدَّعين أننا نمثل هاينز. من السهل أن تبدو هاينز قلقة لما لحقها من خسائر ومستعدة لعقد صفقة خِفْية عن الشرطة."

وضع الرجلان اعلاناً في زاوية رسائل القراء في صحيفة "دايلي تلغراف" مستخدمين أحد رموز المبتز: "جولييت، انا قلق على الاطفال. علينا أن نتحدث شخصياً. هـ."

نُشر الاعلان مرتين قبل أن تعضّ السمكة الطعم. وفي رسالة موجهة الى رئيس جهاز أمن "هاينز" في ١٧ أبريل (نيسان) أشار المبتز الى زاوية رسائل القراء

(٦) Federal Bureau of Investigation

مضيفا: "لا تعلموا الشرطة بأنكم تلقيتم هذه الرسالة... إنْ أردتم محادثتنا سراً، قيدوا المبالغ في الحسابات واجعلوها في متناولنا. عندئذ فقط نصبح على استعداد للدخول معكم (وليس مع الشرطة) في حوار خاص."

لكن الامل باتصال مباشر بددته رسالة أخرى تلقتها "هاينز" في ٢٥ مايو (أيار) وجاء فيها: "نحن على وشك العودة بروح ثأرية... فلئن كنا سنحاكم بجريمة قتل، فحري بنا أن نستحق المحاكمة. لكننا على ثقة بأننا لن نُمسَك أبداً. ان موت طفل آخر لن يغير الاحصاءات كثيراً، لكنه سيضمن أن أحداً لن يتجاهلنا بعد الآن."

أضافت الرسالة أن على شركة "هاينز"، تحاشياً لدمارها، فتح ثمانية حسابات مصرفية بأسماء حددها المبتز، وايداعها مبلغ ٥٠ ألف جنيه استرليني (نحو ٩٠ ألف دولار) وارسال البطاقات النقدية وأرقام التعريف الشخصية الى ثمانية مكاتب بريدية.

راعت "هاينز" أصول "السرية التامة" في تنفيذ طلبات المبتز مع ابقاء الشرطة مطلعة على كل تفصيل. وبعد فتح الحسابات المطلوبة وأيداع مبلغ ١٩ ألف جنيه استرليني (نحو ٣٤ ألف دولار) وارسال البطاقات النقدية، نشرت الشرطة اعلانا آخر جاء فيه: "ماريان، جعلنا المنزل جاهزاً لاستقبالك. أرجوك العودة. المحب، أرنولد."

اكثر من حظ

نظمت الشرطة في ١٩ يونيو (حزيران) حملة مراقبة معقدة ومكلفة في نطاق العناوين البريدية الثمانية التي حددها المبتز والتي توزع أربعة منها في لندن والبقية في أنحاء البلاد.

لكن شيئاً لم يحدث. وكان ذلك غريباً مما جعل فليمنغ يجهر بالشك الذي خامره طويلا وبات قناعة راسخة لديه. فسأل روبرتسون: "أتعتقد أن بيننا مخبراً؟ كيف تفسر ابتعاد المجرم كلما اقتربنا منه؟ لا أعتقد أن للحظ دوراً في كل ما يحصل."

فأسرَّ روبرتسون بما ساوره هو أيضاً: "وكيف نكشف المخبر بيننا؟ هناك ٢٩ ألف رجل في شرطة العاصمة و١٨٠٠ في شرطة لستر ونحو ٢٠ ألف مدني يعملون في قوّتي الشرطة هاتين. واذا ما أضفنا اليهم العاملين في بدغري وهاينز والمصارف ممن قد تتناهى اليهم معلومات عن عملياتنا، فسنغدو في صدد نحو ١٠٠ ألف شخص. فكيف نستطيع اخفاء الامر عن هذه الاعداد الهائلة؟"

في ذلك الوقت لم يتبقَّ لدى الرجلين خيار سوى المضي في العملية ومواصلة الضغط. ولو احتاجا الى ما يذكّرهما بقساوة ندّهما لما وجدا أفضل مما حدث في ٢٩ يونيو (حزيران). ففي ذلك اليوم، فيما كانت السيدة لين برادبري في مطبخها تحرك مرقة من منتجات "هاينز"، وجدت في المقلاة قطعا من شفرة حلاقة، ولاحظت أن

WN&LYVM.

GRATEFUL THANKS to SHJ and St Jude. Please continue. CG.

MARIAN - We have made the home ready for you. Please come back. Love Arnold.

MAUREEN - Congratulations on reaching the "Life Begins" stage. My

المرقة ترغي وتزبد على نحو لم تألفه. كان السم الذي حوته قويا بحيث ذوَّب بطانة المقلاة.

فأضيف التقرير عن هذا الحادث الى سيل من التقارير التي أغرقت مكاتب اسكوتلنديارد حيث أكب ٢٥ موظفا على تلقيم أجهزة الكمبيوتر تفاصيل افادات الضحايا وشهود ماكينات النقد ورجال المباحث وموظفي المتاجر وتقنيي المختبرات. وفي نهاية التحقيق اختزن الكمبيوتر المسمى "هولمز" معطيات تضمنت نحو ٢٠ ألف اسم لشهود وضحايا ومشبوهين و٨٠٠٠ رقم للوحات سيارات.

واذ تفحَّص روبرتسون خرائط سحوب المبتز لاحظ أنه في تاريخ ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ استخدم احدى ماكينات نقد هاليفكس في بلدة ابريستويث الواقعة على ساحل ويلز. وفي ما عدا ذلك كانت جميع سحوبه قريبة من الطرق الرئيسية. فتساءل: "ما سبب انعطافه مسافة تستغرق ساعتين ونصف ساعة الى تلال ويلز؟ هل يقطن هناك؟ أم إنه قصد هذا المكان لسبب معين؟"

أبرزت التحقيقات دليلين جديدين. ففي ليل ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) عُقد في ابريستويث مؤتمر لموظفي مصلحة الهاتف في بريطانيا تزامن ومجيء فريق تلفزيوني لتصوير مهرجان خيري. فهل من الجائز أن يكون أحد المشاركين في هذين الحدثين تسلل الى ماكينة النقد؟ لم يجد المحققان بدأ من التدقيق في أسماء عشرات الاشخاص للتحقق مما اذا كانت لهم سجلات اجرامية ومما اذا كانت تحركاتهم خلال الاسابيع المنصرمة مطابقة لتحركات المبتز.

ولم يمضِ وقت قصير حتى تلقى روبرتسون من الرقيب هيو ماكدويل مكالمة هاتفية خفق لها قلبه: "أعتقد أننا حققنا نجاحا باهرا." واذ سأله عما حدث أخبره هذا أن مصادفة سعيدة حدثت. فقد كانت الشرطة تراقب مشبوهين في تعمُّد حرائق، فسجلت أرقام لوحات السيارات الداخلة ابريستويث والخارجة منها ليل ١٨ نوفمبر.

دقق المحققون في أرقام ألوف السيارات لدى مصلحة تسجيل السيارات لمعرفة أصحابها. ثم دققوا فيها ثانية لدى كمبيوتر الشرطة لمعرفة ما اذا كان أي من هذه السيارات مفقوداً أو مسروقاً. وأخيراً لجأوا الى تلقيم الكمبيوتر "هولمز" النتائج المتوافرة لتحديد أي تطابق بين أسماء الاشخاص وأرقام السيارات المسجلة وتلك المختزنة في ذاكرته.

ولكن لم يتضح أي تطابق.

وفيما التدقيق جار واجهت الشرطة عقدة أخرى محيرة. ففي الساعة ٥،٤٠ من عصر ١٨ يناير (كانونً الثاني) ١٩٨٩ سحب المبتز ٣٠٠ جنيه استرليني (نحو ٥٤٠ دولارا) من ماكينة نقد قرب دوفر، ولم يُقْدم بعد ذلك على سحب أي مبلغ حتى ٢٨ فبراير (شباط). فهل يكون ركب تلك الليلة معدِّية أقلته بحراً الى أوروبا حيث أمضى خمسة أسابيع؟

تكدست على طاولات اسكوتلنديارد في الايام اللاحقة أكوام من بيانات السفن تُظهر أرقام السيارات المنقولة بحراً بين ١٨ و١٩ يناير (كانون الثاني). وجاب رجال المباحث أنحاء بريطانيا لمقابلة أصحاب هذه السيارات. ولُقِّم الكمبيوتر أكداساً من الافادات. لكن "هولمز" لم يتمكن من مطابقة أي رقم بين تحقيقات دوفر وابريستويث.

شرطي فاسد

أصبح التحقيق في قضية الاطعمة المسممة في مصاف أكبر التحقيقات الاجرامية التي شهدتها بريطانيا. وغالباً ما كان روبرتسون وفليمنغ يقضيان فترة الغداء سائرين في حديقة سانت جايمس القريبة هرباً من أكوام الاوراق ومن المكالمات الهاتفية المتواصلة، ولكي يتسنى لهما التفكير عميقاً في تعقيدات القضية.

قال روبرتسون لزميله: "أنت تدرك أننا لم نتوصل الى أي جديد عن المجرم يزيد على ما بدأنا به قبل تسعة أشهر. حتى أننا لا نعلم ما اذا كنا نتعامل مع مجرم فرد أو مع عصابة."

فرد فليمنغ: "يخيل الي أنه مجرم فرد. فاصرار الرسائل على الاشارة الى عصابة ما يجعلك ترتاب في أن كاتبها قد يكون وحيداً. انه يبالغ في المحاولة."

وكان ثمة امر آخر دعم افتراض فليمنغ. ففي نهاية ابريل (نيسان) قر الرأي على تخصيص مكافأة مالية لمن يقدم معلومات تؤدي الى القبض على المبتز. وارتأى فليمنغ أن تكون المكافأة سخية "فلعلها تغري أحد أفراد العصابة الهامشيين."

بعد تداول الامر أعلن تخصيص مكافأة مقدارها ١٠٠ ألف جنيه استرليني (نحو ١٨٠ ألف دولار). لكن أحداً لم يستجب. فاستنتج فليمنغ أنه يطارد مجرماً منحرفاً يعمل وحيداً.

وفيما الرجلان يسيران يوماً في حديقة سانت جايمس طالعت روبرتسون رائحة الحشائش المجزوزة حديثاً، فخالجته رغبة مفاجئة في اللعب بالكرة مع ولديه في حديقة منزله. فهل من وظيفة تستحق تفويت هذا المقدار من الحياة العائلية؟ بن في التاسعة من عمره، وستيفن في السابعة. ولكم تاق الى أن يكون معهما يشهد نموهما عن كثب ويعيش تطلعاتهما.

كان روبرتسون نزّاعاً الى الحياة الاجتماعية. وغالباً ما كان زملاؤه رجال الشرطة يزورونه في بيته. وقبل بضعة أسابيع زاره زميله المتقاعد رودني ويتشلو سائقاً سيارة "بيجو" حمراء جديدة وأهدى الى الصبيين مجموعة من ألعاب الكمبيوتر لم يعد يستعملها. فارتاح روبرتسون لأن ولديه لن يتذمرا من الضجر بعد الآن.

مر صيف ١٩٨٩ من دون أن تسفر التحقيقات عن جديد. وتواصلت عمليات التسميم، كما استمرت مراقبة المكاتب البريدية الثمانية من غير جدوى. فاشتدت الضغوط مجدداً على فليمنغ، خصوصاً لأن كلفة عمليات المراقبة بلغت نحو مليون جنيه استرليني (نحو ١،٨ مليون دولار).

بيد أن الخامس من سبتمبر (أيلول) حمل حدثاً حوّل مسار التحقيق. ففي ذلك اليوم اطّلع فليمنغ على رسالة جديدة تلقتها شركة "هاينز" كانت استجابة متأخرة لعرض مكافأة المئة ألف جنيه المعلنة في أبريل (نيسان). وتبيَّن أن الرسالة لم تكن مطبوعة على الآلة الكاتبة مباشرة، بل منسوخة على الـ"ستنسل" وفيها أخطاء املائية عدة، ولم تكن في مستوى الاسلوب الكتابي الذي اعتمده المبتز في رسائله.

ادَّعى كاتبها أنه يعرف الاشخاص الذين يسربون المعلومات الى المبتز. إلا أنه لم يشأ الافصاح عن الاسماء لأن أصحابها هم "من رجال الشرطة الفاسدين."

الا أن ما أدهش فليمنغ كان معرفة كاتب الرسالة بما استخدمته الشرطة من عبارات مرمزة وتفاصيل لا سبيل الى الاطلاع عليها إلا لأعضاء فريق التحقيق أو أحد المقربين اليهم. وهذا بالتحديد ما جعل المبتز قادراً على سَبْق الشرطة خطوة واحدة.

وعندما تأكد فليمنغ من أن عدد موظفي "هاينز" المطلعين على الرسالة لا يتجاوز الثلاثة، كالم روبرتسون هاتفياً من مقر الشركة وقال له: "ينبغي أن نتحدث خارج المكتب."

التقى الرجلان في حدائق كنسنغتون وراحا يتداولان امر الرسالة. كان السؤال الاول الذي طالعهما: هل كاتب الرسالة رجل أم امرأة؟ وسرعان ما لاحظا تفاصيل كثيرة توحي أن الرسالة وردت من صديقة للمبتز لم يعجبها ما هو حاصل، خصوصاً لأنها تضمنت: "لا أريد أن يموت أحد."

بيد أن الرسالة حملت مطالب مالية، مبيِّنة أن حسابين فتحا في مصرفين باسمي ايان ونينا فوكس وينبغي "ايداعهما بعض المال كيما أستطيع اخباركم المزيد... أنا لن ألتقيكم ولن ألتقي الشرطة... اتصلوا بي باستخدام عبارة: من تشارلي الى دون."

فجأة جمد فليمنغ في سيره وقال: "ماذا لو كان المبتز والمخبر شخصاً واحداً؟"

في اليوم التالي قال فليمنغ لمساعده روبرتسون: "علينا الاستمرار في نشاطنا العادي وإلا علم المبتز أن هاينز اتصلت بالشرطة. مهما حصل فيجب أن يبدو الامر

كأن هاينز تعقد صفقة من وراء ظهرنا."

اعتمد فليمنغ خطة لم يطلع عليها سوى روبرتسون ورئيسه المفوض المساعد سيمون كروشو. ثم قال لمساعده: "سنسحب الرسالة الاخيرة من التداول العادي. وسنتأكد من أنها لن تصل الى مقر اسكوتلنديارد." وقر الرأي على ايداع المال، كما هو محدد، حسابَي ووليتش والاقاليم المحلية، وتنفيذ عملية مراقبة مستقلة.

عملية أجينكور

للحفاظ على سرية الخطة الجديدة التي أُطلق عليها اسم "عملية أجينكور"[٧] كان لزاما تنفيذها بعيداً عن اسكوتلنديارد. فاختار فليمنغ لذلك مقر وولتش في ضاحية بكسليهيث المتاخمة لمدينة لندن، وبرمج الكمبيوتر على نحو يتيح الحصول على معلومات فورية عن أي سحوب تتم من حسابي ايان ونينا فوكس. ولتجهيز العملية بالرجال، اختار فليمنغ وروبرتسون شرطيَّين من فريق المباحث كانا غائبين ولا يمكن أن يكونا مسؤولين عن تسريب معلومات حديثة العهد، هما الرقيبان هيو ماكدويل ولين هيندن.

ولتنفيذ عمليات المراقبة قرر فليمنغ استخدام رجال يعملون عادة في جمع معلومات عن المنظمات الارهابية، لعلمه أن السرية ستكون بالنسبة اليهم شأنا فطريا واستحواذيا.

ولضمان أمن "عملية أجينكور" كان من الضروري تزويدها نظام اتصال لاسلكيا مستقلا بذبذبات لا تستخدمها أي دائرة شرطة أخرى. وأمَّن فليمنغ لفرق المراقبة أجهزة اتصال راديو[٨] تصلهم مباشرة بمركز المراقبة في بكسليهيث وتنبههم لدى استعمال بطاقات ايان ونينا فوكس في أي من ماكينات النقد.

وفيما العمل جار لاعداد "عملية أجينكور" أودعت الشرطة حسابي ايان ونينا فوكس في وولتش والمقاطعات المحلية مبلغ ٢٠٠٠ جنيه استرليني (نحو ٣٦٠٠ دولار) من شركة "هاينز." وفي ١٢ سبتمبر (أيلول) وضعت الشركة اعلانا في زاوية رسائل القراء في الـ"دايلي تلغراف" مستخدمة العبارة المرمزة التي اقترحها المبتز: "تشارلي، أنا موافق. سأمدك ببعض العون في أقرب فرصة. أرجو الآن أن تساعدني. دون." وهذا يعني: أخبرني الآن مَنْ هم المتورطون في المؤامرة.

ولم ينقض اليوم التالي حتى سحب المخبر مبلغ ٢٥٠ جنيها (نحو ٤٥٠ دولارا). لكنه بعث في ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ برسالة ثانية أفادت أنه سيكشف اسم رجل

(٧) نسبة الى النصر الذي حققته بريطانيا على فرنسا عام ١٤١٥.
(٨) Radio pagers

الشرطة الفاسد في الرسالة اللاحقة، وطالبت بمزيد من المال. واذ لم يكن هناك من خيار آخر فقد أودع مبلغ ١٧ ألف جنيه (نحو ٣١ ألف دولار) حسابي ايان ونينا فوكس.

لاحظ فليمنغ أن جميع السحوب تقريبا بقيت في نطاق الشرحة نفسها من جنوب انكلترا وشرقها على رغم وجود ٣٠٠٠ ماكينة نقد في أنحاء البلاد. كما تم معظمها في وقت متقدم من الليل. كان واضحاً أن المجرم لم يأخذ في الحسبان امكان حصول عملية توقع به.

Philip da...ng. X.

CHARLIE. Agreed. Will provide some help soonest. Now help me. Dawn.

...ARS Jer...

واصل المحققون تتبع خطى المبتز. وقابلوا جميع الذين تزامنت سحوبهم وسحوبه. فزعم لهم أحد الشهود أن للرجل شعراً أسود يغطي ياقته، وأن طوله يقارب ١٧٠ سنتيمتراً، وأنه يعتمر خوذة درّاج. أما الجديد فهو أن لون الخوذة أصبح أبيض وسخا لا أسود.

وفي رسالة لاحقة سمّى المخبر "رجل شرطة فاسداً" هو مفتش سابق امضى سنوات كثيرة من خدمته في شرق لندن. وبعد تحقيقات مضنية استنتج فليمنغ أن لا علاقة للرجل بالقضية. وعزز هذا الزعم الكاذب قناعته بأن المبتز والمخبر شخص واحد.

في تلك الاثناء أخذت سحوب المتهم تضيق نطاقاً، وبقي أكثرها ضمن قطاع سهل البلوغ من حزام الطرق الذي يطوّق مدينة لندن. فعلق فليمنغ على ذلك قائلا: "اعتقد أنه ينحو الى التكاسل." وقرر ترك السحوب تتواصل خلال أكتوبر (تشرين الاول) كيما يتسنى له تبيّن نمطها بوضوح.

يوم عاد الرجلان الى تجوالهما في حديقة سانت جايمس سمع روبرتسون أوراق الشجر تتكسر تحت قدميه. لقد ولى الصيف ولمّا يتسنَّ له قضاء وقت يذكر مع ولديه.

بات فليمنغ على أهبة لنصب فخه. فاتصل روبرتسون بزميليه ماكدويل وهيندز في منزليهما وطلب منهما لقياه في أحد المقاهي من غير أن يخبرهما المزيد. ولما وصلا قال لهما: "لقد دأبنا على مراقبة المكاتب البريدية الثمانية منذ يونيو (حزيران)، إلا أن عمليتنا الاولى باءت بالفشل. علمنا ذلك من رسالة بعث بها مخبر يجوز أن يكون هو المبتز."

وطلب روبرتسون من الرجلين الالتحاق بمقر ووليتش في بكسليهيث من دون اثارة شبهات. فعمد ماكدويل في الصباح التالي الى طلب اجازة مرضية، فيما استأذن هيندز رؤساءه الغياب بحجة اصابة زوجته بمرض خطير.

أكب فليمنغ على دراسة نمط السحوب النقدية الاخيرة. وحدد ماكينات النقد الاكثر احتمالاً أن يلجأ اليها المبتز ليصار الى وضعها تحت المراقبة. فاختار ١٥ ماكينة توزعت في قوس امتد عبر شمال لندن وشرقها. وقدّر أن فرص الايقاع بالمجرم، الذي لم يستخدم أي ماكينة مرتين، ستزاد مع الوقت اذا استمرت مراقبة هذه الماكينات.

تطلبت مراقبة الماكينات الخمس عشرة ٣٠ شرطياً أُطلعوا في مقر اسكوتلنديارد على آخر المعلومات الواردة من الشهود. كما عُيِّن لكل ماكينة رمز ثلاثي الحروف، مثل «AAA» لمنطقة مسويل هيل و «BBB» لمنطقة ادمونتون. ورابط ماكدويل وهيندز في مركز مراقبة في بكسليهيث يتيح لهما تنبيه جميع فرق المراقبة في آن الى موقع المشتبه فيه.

جلس ماكدويل وهيندز قبالة شاشة مراقبة متصلة بكمبيوتر ووليتش المركزي. وتناوبا ضمن فترات من ٣٠ دقيقة على مراقبة الشاشة ومتابعة بيانات فرق المراقبة.

ما إن ألقم المشتبه فيه الرقم الرابع في بطاقة تعريفه ليل ١٣ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ حتى تراءى موقعه على الشاشة. فصاح ماكدويل: "بكسليهيث!"

فهتف هيندز: "لا فريق لنا هناك."

بكسليهيث؟ تبادل الرجلان النظرات. انهما في بكسليهيث! قفزا من مقعديهما وهبطا السلالم، ثم طويا شارع برودواي بكسليهيث راكضين مسافة ٣٠٠ متر الى ماكينة النقد وأنفاسهما تكاد تنقطع. لكن أحداً لم يكن هناك.

فعادا ذاهلين الى مركز المراقبة متحسرين لتفويتهما أهم فرصة في حياتهما المهنية، ألا وهي القبض على المجرم الذي طالت قضيته سنة كاملة. وبثّا الى فرق المراقبة التي كانت لا تزال قابعة في مواقعها رسالة بسيطة تضمنت «ZZZ» وهذا يعني أن المشتبه فيه أجرى سحبه تلك الليلة من ماكينة نقد غير مراقبة، وأنّ جميع الفرق تستطيع ترك مواقعها والعودة الى المنازل.

"هيا اخرج من السيارة"

مرت الليالي وعناصر فرق المراقبة يتلقون الرسالة اياها «ZZZ» فيعودون الى منازلهم خائبين.

ولم تكن بداية ليل ١٩ أكتوبر (تشرين الاول) أفضل حالاً. ففي الثامنة مساء، فيما كان ماكدويل وهيندز جالسين قبالة الكمبيوتر، انطفأت الشاشة. فحاولا اعادة تشغيلها مستخدمين جميع المفاتيح وأزرار التحويل. ولم يمضِ وقت قصير حتى تبين لهما أن عمالاً في ورشة بجانب مقر ووليتش قطعا سلك الكمبيوتر المركزي مما أدى الى توقف الاتصالات بجميع ماكينات النقد في أنحاء الجزر البريطانية.

على رغم ذلك لم تُسحب فرق المراقبة من مواقعها تحسباً لعودة الكمبيوتر الى العمل فجأة. ومرت الساعات. وما كاد الليل ينتصف حتى انصرف روبرتسون الى منزله بعد عمل مرهق دام ١٧ ساعة متواصلة.

في تلك الاثناء كان الشرطيان مارك كيرتون وستيف دونيلي أوقفا سيارتهما في جانب مظلم من موقف للسيارات في شمال لندن، وجلسا داخلها والريح تعصف بها وتهزها، منتظرين أن تطالعهما شاشتهما برسالة تنذرهما باقتراب المشتبه فيه من ماكينة النقد القائمة عند المنعطف.

بُعيد منتصف الليل أقبلت سيارة "بيجو" حمراء وتوقفت على بعد ٥٠ متراً منهما. فتمتم دونيلي: "من تراه يأتي الى هنا في مثل هذه الساعة؟"

اعتدل الشرطيان في جلستهما. كان الرجل يتناول شيئاً ما من المقعد بجانبه. خوذة درّاج بيضاء! خرج الرجل من سيارته وهو يعتمر الخوذة، فهمس كيرتون: "ما حاجة سائق سيارة الى خوذة دراج؟"

وللحال هرع الشرطيان خارجاً وتتبعا الرجل الى أن توقف عند ماكينة النقد القريبة وأخذ يضغط الازرار. لكنه ما لبث أن استدار مبتعداً خالي الوفاض، اذ كانت الماكينة ما زالت غير عاملة.

أكمل المحققان سيرهما متجاوزين الرجل وحاملين زجاجتين فارغتين كأنهما شابان خارجان من أحد المقاهي. ولم تمضِ لحظات حتى استدارا عائدين الى موقف السيارات ليجدا الرجل جالساً خلف مقود سيارته وقد خلع خوذته. فتقدم منه كيرتون فاتحاً باب السيارة، ثم ابرز له بطاقته آمراً: "لا تحرك يديك قيد أنملة عن المقود. قل لي ما حاجتك الى خوذة؟"

ارتسمت على وجه الرجل البدين الملتحي أمارات الدهشة والارتباك. وأجاب أخيراً: "إني استعمل الخوذة لدرء البلل."

فأمسك كيرتون بمعصميه وصاح فيه: "هيا اخرج من السيارة! سنفتشك."

ولدى تفتيش أولى جيوبه عثر دونيلي على بطاقة نقد. واذ تفحصها تحت ضوء الشارع تبين له أنها باسم ايان ونينا فوكس.

وبعدما استكمل البحث في جيوبه الاخرى قال له: "اني أقبض عليك بتهمة الابتزاز."

فرد الرجل متملقا: "رويداً، أنا أفهم ما تعنيه، لكني بريء." وفيما الشرطيان يكبلانه بالاصفاد انهار مغمى عليه.

سمع روبرتسون رنين الهاتف وهو يوقف سيارته أمام منزله قبيل الاولى بعد منتصف الليل. فهرع الى السماعة ليطالعه صوت ماكدويل: "أظنهم قبضوا على

مشبوه"، مضيفاً أنه تلقى مكالمة من دائرة الشرطة في شمال لندن أفادته أن ثمة موقوفاً نُقل الى المخفر المحلي.

اتصل روبرتسون بالمخفر فأخبره الرقيب المناوب: "لدينا رجل يدعي أنه شرطي سابق وأنه خدم في فريق الجنايات الاقليمي. اسمه رودني ويتشلو."

ويتشلو؟ الرجل الذي دعاه روبرتسون الى العشاء في منزله؟ الرجل الذي تعرف اليه ولداه وأحباه؟ أخيراً اكتملت الصورة وانجلى الالتباس. فالرجل هو من الزوار الدائمين لمقر فريق الجنايات في باركنغسايد، ولا يحتاج الى طرح أسئلة ليتبين مجريات الامور.

شعر روبرتسون بقشعريرة تسري في كيانه وتجمد أوصاله. فاتصل برئيسه فليمنغ وتواعدا على اللقاء في مخفر بادنغتون غرين حيث احتجز ويتشلو. وفي الساعة ٤،٢٠ صباحا باشرا أغرب مقابلة أجرياها في حياتهما المهنية. وفيما تولى فليمنغ طرح معظم الاسئلة حملق روبرتسون في وجه زميله القديم كأنه يراه للمرة الأولى: اللحية السوداء التي وخطها الشيب، والعينان الزرقاوان الباردتان.

لماذا؟

[illegible]

تشبث ويتشلو بروايته خلال ثلاث ساعات من التحقيق المتواصل من دون أن يعترف بأي ذنب. ادعى أنه مجرد وسيط تلقى خمسة آلاف جنيه استرليني (نحو تسعة آلاف دولار) للحلول مكان المخبر. لكنه رفض تسمية المخبر مدعياً أنه قطع له وعداً بألا يفصح عن اسمه. وهو قَبِل القيام بهذا العمل بعد تردد آملاً كشف المبتز، تحدوه رغبة جامحة في مساعدة الشرطة لاماطة اللثام عن المجرم الشنيع.

تضمنت رواية ويتشلو تناقضات واضحة. وعندما أُعيد الى زنزانته هز روبرتسون رأسه قائلا: "أكاد لا أصدق ما يجري، ولكن لا شك في أنه هو الفاعل."

وفي وقت لاحق من صباح ٢٠ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ مثل ويتشلو أمام القاضي الذي حكم بسجنه احتياطاً ريثما تجرى محاكمته.

ولدى تفتيش منزل ويتشلو اكتشفت الشرطة سموماً ومعدات لتلويث الاطعمة وكسراً من شفرات الحلاقة التي كادت تقضي على الطفلة فكتوريا كوبوك. وهم وجدوا أيضاً ايصالات ماكينات النقد العائدة الى حساب جون وساندرا نورمان.

وباستجواب صديقة سابقة اكتشفت الشرطة الآلة الكاتبة التي استخدمها ويتشلو لطبع بعض رسائل الابتزاز من دون علم صديقته.

وعثروا في منزل صديقة أخرى على آلة كاتبة مخرَّمة من النوع المستخدم في طبع أولى رسائل الابتزاز الموجهة الى شركة "بدغري."


رودني ويتشلو في الطريق الى السجن.

وعندما علمت الشرطة أن ويتشلو استخدم هاتفا نقالاً، استطاعت جمع أدلة تدينه بعدما زودتها شركة الهاتف جميع الارقام الهاتفية التي طلبها ومواقع هذه المكالمات ومواقيتها. فجاءت جميعها مطابقة لسحوب المبتز في الامكنة والازمنة اياها.

لكن تباينا ظهر في دفاع ويتشلو إبان محاكمته التي بدأت في ٨ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠، اذ لجأ الى اتهام غافن روبرتسون بأنه العقل المدبر للمؤامرة. كان ذلك دفاعاً يائساً خلط فيه ويتشلو الاكاذيب بواقع زيارته الاخيرة منزل روبرتسون حين أوصل ألعاب الكمبيوتر الى الصبيين. وفي نهاية المحاكمة التي استغرقت ١٠ أسابيع واختتمت في ١٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٠، وُجد ويتشلو مذنبا بـ١١ تهمة من أصل ١٦ تناولت الابتزاز وتسميم الاطعمة والتهديد بالقتل ومحاولة اقتناء المال بالاحتيال.

وقدِّر أن أفعاله أدت بمصنعي المعلَّبات الى اتلاف نحو ١٠٠ مليون علبة طعام تبلغ قيمتها ببيع التجزئة (القطاعي) ٣٢ مليون جنيه استرليني (نحو ٥٨ مليون دولار). ومن أصل ٣،٧٥ ملايين جنيه (نحو ٦،٧ ملايين دولار) حاول ويتشلو ابتزازها من "هاينز" و"بدغري" بموجب ١٨ رسالة تهديد، حصل على ٣٢ ألف جنيه (نحو ٥٨ ألف دولار) لم يتم استردادها. وهو ينفذ حالياً حكماً بالسجن لمدة ١٧ عاماً. وهو منبوذ من بقية السجناء لكونه شرطيا سابقا، كما أنه يلقى منهم معاملة عدائية خصوصاً لأن جريمته استهدفت الاطفال. وأفادت تقارير أنه تعرض لأعمال عنف مما أوجب وضعه في جناح خاص بالسجناء المهدَّدين.

وكانت لهذه القضية التي شغلت اسكوتلنديارد مضاعفات واسعة النطاق أدت بشركتي "هاينز" و"بدغري" وغيرهما الى وضع خطط سريعة لانزال منتجات موضَّبة على نحو يسهل معه كشف أي تلاعب. كما أدت بالمصارف الى التشدد في اجراءات فتح الحسابات واشتراط الحضور شخصيا وتقديم بطاقة هوية أو جواز سفر.

لماذا أقدم ويتشلو على فعلته؟ هذا سؤال لا تمكن الاجابة عليه تخمينا لأنه لم يعترف بذنبه قط.

تخرَّج ويتشلو بامتياز في كلية الشرطة. واعتبره غافن روبرتسون، الذي كان أحد آخر رؤسائه، محققاً كفياً ومتفوقاً ذهنياً على أترابه في نواح كثيرة. الا أنه بقي أعزب على رغم بلوغه الثانية والاربعين من عمره. وكان منطويا على نفسه فلم ينسجم وصفوة رجال المباحث الذين عمل معهم والذين تميزوا برجولة بينة. عاش مع أمه الارملة، ونادرا ما كان يشارك زملاءه في المرح واللهو بعد ساعات الدوام مفضلا مجالسة الكمبيوتر الذي استحوذ عليه.

عندما استذكر روبرتسون أحداث السنة التي عمل خلالها مع ويتشلو، تذكر خيبة كانت تتنامى في نفس الرجل تشبه الاحباط الذي يصيب المرء متى أحس أنه لا ينال ما يستحقه من تقدير. فأدرك روبرتسون متأخراً مصدر تلك العنجهية الفكرية التي كانت تبهج ويتشلو كلما بزَّ زملاءه السابقين حيلة ودهاء.

ويستعيد روبرتسون بمرارة ذكرى يوم تقاعد ويتشلو من الخدمة قبل الاوان لاصابته بالربو، أي يوم دعاه الى تناول طعام العشاء في منزله ليشكره على السنوات الثلاث عشرة التي أمضاها في الخدمة في شرطة العاصمة التابعة لدائرة اسكوتلنديارد. ففي ذلك اليوم بالذات، ٣ أغسطس (آب) ١٩٨٨، بعث ويتشلو بأولى رسائل الابتزاز الى "بدغري."

ويذكر روبرتسون أيضاً ما حدث في مارس (آذار) ١٩٨٧ بُعيد تبوُّئه مركز المسؤولية في باركنغسايد. كانت اسكوتلنديارد في تلك الآونة أصدرت قراراً بخفض ساعات العمل الاضافية على نحو لم يرضِ فريقه الجنائي. فاتصل به ويتشلو في ساعة متقدمة من الليل وأصر على مقابلته فوراً. فقال له روبرتسون: "اذا كان الامر خطيراً فتعال الى منزلي." وعندما وصل ويتشلو أخبر روبرتسون أن الفريق ذهب الى أحد المقاهي لتداول موضوع ساعات العمل الاضافية.

تناهى الحديث الى مسمع جيني زوجة روبرتسون، فقالت لزوجها لاحقا: "انه لأمر غريب. ما الذي يحمل أيا كان على المجيء الى هنا لمجرد سرد أقاويل عن زملائه؟ احترس من هذا الرجل."

فهز روبرتسون كتفيه وسرعان ما نسي الموضوع كليا.

لكن بذور جريمة ويتشلو كانت في الواقع منثورة قبل هذه الامسية بوقت طويل. ففي السنة السابقة، في يوليو (تموز) ١٩٨٦، التحق ويتشلو بدورة دراسية حول مراقبة المشبوهين اطلع خلالها على تفاصيل سرية لجريمة تلويث اطعمة لا تختلف عما أقدم عليه هو. وعلى رغم أن تلك القضية انتهت بالقبض على المجرم، فقد استبدت به فكرة

تنفيذ جريمة مماثلة لا تشوبها شائبة.

فعمد خلال الاشهر الثلاثة اللاحقة الى فتح الحسابات السرية التي يتعذر تتبعها باسم جون وساندرا نورمان. ولم يكتفِ بذلك، بل شرع، بمساعدة صديق صحافي، في وضع مسودة كتاب عن أساليب ارتكاب الجريمة الكاملة.

ولئن هو نفذ ما ورد في هذا الكتاب من نصائح، فلقد غدا، كما استنتج فليمنغ، "مبالغاً في الثقة بالنفس وكسولا لا يرعوي عن تنفيذ جريمته في موقع قريب من مكان اقامته. ومثل كثيرين سبقوه، وقع أخيراً في فخ عجرفته وخيلائه."

ديفيد مولر ■

ترجمة فريد شديد



مكالمة تاريخية

كان السناتور الامريكي هاريس ووفورد مساعداً في الحملة الانتخابيّة للرئيس الامريكي الراحل جون كينيدي عام ١٩٦٠. وبفضله اجريت عامذاك احدى اشهر المكالمات الهاتفيّة في تاريخ الولايات المتحدة، جامعة اسمين طَبَعا ذلك العقد الحافل بالاضطرابات هما جون كينيدي ومارتن لوثر كينغ.

حين أوقف كينغ لمحاولته إلغاء التمييز العنصري داخل مخزن في ولاية جورجيا، وغُلّت يداه بالاصفاد وسيق الى السجن، حضّ ووفورد صهرَ كينيدي سارجنت شرايفر على إقناع المرشح الرئاسي بالاتصال بزوجة كينغ كوريتا سكوت. وكان إظهار التعاطف مع كينغ يهدد بخسارة كثير من الاصوات الانتخابيّة في الجنوب، لكن كينيدي لم يتردّد، بل اتصل بزوجة كينغ المنادي بالحقوق المدنية وقال لها: "لا بد أنّ الأمر شاق عليكِ. اذا كان في مقدوري تقديم اي مساعدة، فلا تترددي في الاتصال بي."

وكالنار في الهشيم، سرى في اوساط السود أن كينيدي اظهر شجاعة في مساندة صراعهم. واحدثت هذه المكالمة التي "هندسها" ووفورد اثراً عميقاً في حملة كينيدي الانتخابيّة وفي حركة كينغ الاصلاحية.

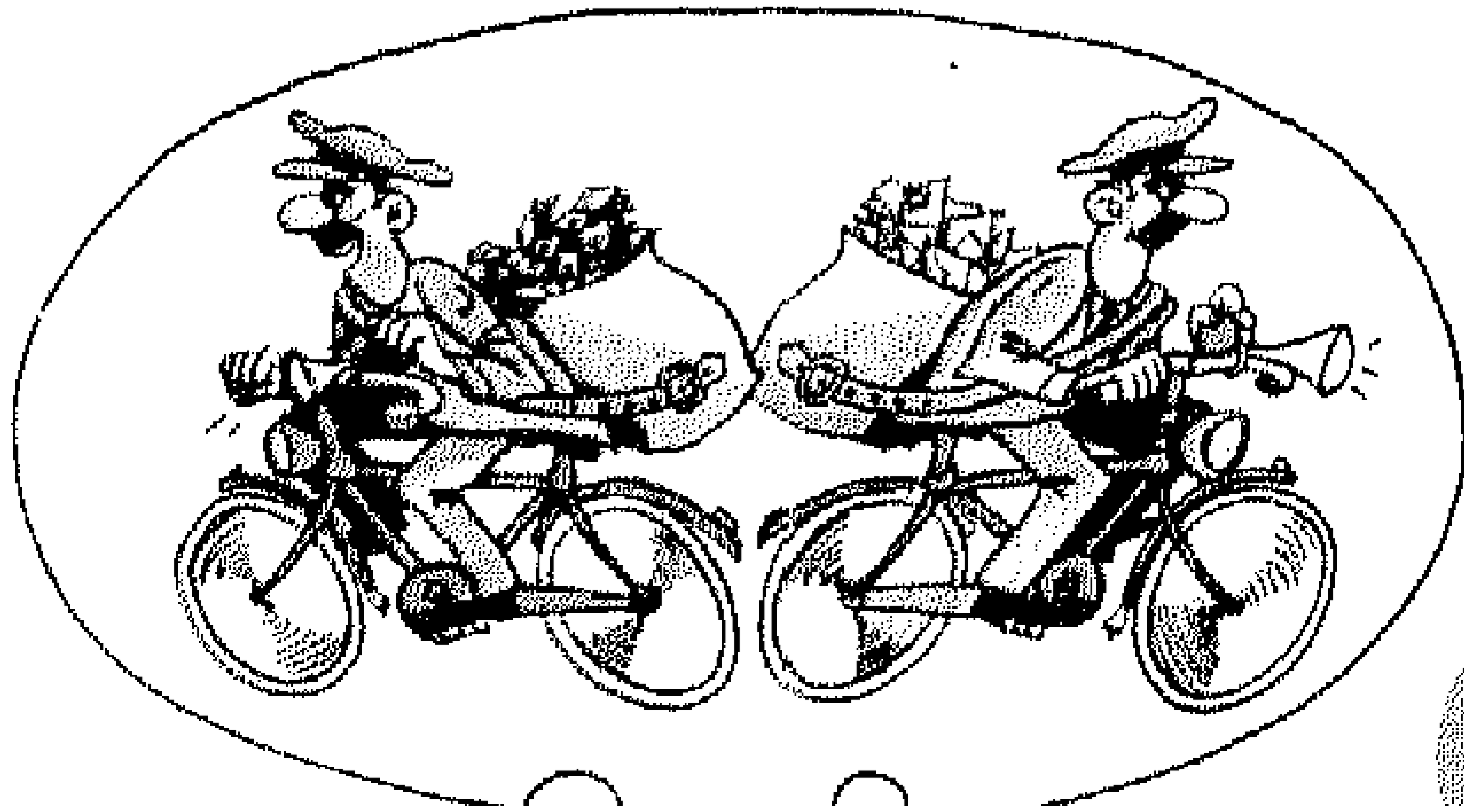
ك.م.

الممثل الحق

اعشق الافراط في الافلام كما في الحياة. احب المأساة كما الملهاة. احب الذهاب الى اقصى الحدود وإن بدا ذلك سخيفاً ومضحكاً، واذا كان سخيفاً ومضحكاً كان افضل. التمثيل الحق ليس القيام بحركات وتأدية حوار فحسب. انه الازعاج ايضاً والاثارة، وكذلك العودة الى التكيف. انا لا أؤمن بشيء اسمه "ناموس التمثيل." على المرء أن يرى الاحداث ويحسها ويحياها، ثم يروح يمثلها.

جيرار دوبارديو، ممثل فرنسي

اكتب واربح





هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية
أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى
وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت.
شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان



"الحديقة" - زيتية للفنان الامريكي توماس كورنيل، ١٩٨٩

اغسطس/سبتمبر ١٩٩٢ - صفر/ربيع الاول ١٤١٣

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest Aug/Sept '92 N° 165-166

أوسع المجلات انتشاراً في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً

مشاغبو الملاعب
(ص ٥٨)

دعائم الزواج السعيد
(ص ١٧)

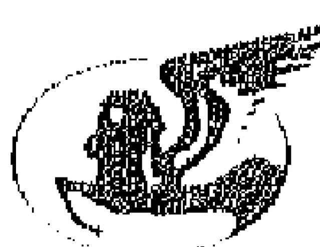
المطالبون بالعروش في الشرق
(ص ١١)

لمن هذه الجمجمة؟

المختار من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد.
أمانة التحرير: لورا نفاع، عائدة الموسوي.
الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.
الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس.
الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
التحرير والادارة: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.
الهاتف: ٣٤١٥٩٧ / ٣٧٠٥٧٥(١).
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. المكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤(٠١). التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان.
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، البوشرية – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE.
Tel. (1) 341597 / 370575.
Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O. Box 11-688, Beirut, Lebanon. Telex 43283 PRESSE LE.
Fax (1) 864572. Tel. (1) 216058/327484.



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

لبنان	١٥٠٠ ليرة
سورية	٧٥ ليرة
الأردن	١ دينار
الكويت	١ دينار
الامارات العربية المتحدة	١٠ دراهم
قطر	١٠ ريالات
البحرين	١ دينار
السعودية	١٢ ريالاً
مصر	٢ جنيه
السودان	١ جنيه
ليبيا	٥٠٠ درهم
الجمهورية اليمنية	٢٥ ريالاً
مسقط	١ ريال
قبرص	١.٥ جنيه
تونس	١ دينار
المغرب	١٠ دراهم
الجزائر	٧ دنانير
انكلترا	١.٥ جنيه
اليونان	٤٠٠ دراخما
كندا واميركا الشمالية	٢.٥ دولار

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية
رئيس التحرير: كنيث توملنسون.
مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

افعال حميدة

هل خطر ببالك مرة أن تضع قطعة نقود في عدّاد موقف لتنقذ صاحب السيارة الموقفة من محضر مخالفة؟

أوقفت امرأة سيارتها الحمراء أمام كشك رسم العبور على جسر "باي" بين سان فرنسيسكو وأوكلاند. وقالت للجابي مبتسمة: "سأدفع الرسم المتوجّب عليّ وعلى السيارات الست خلفي."

وحين دنا السائقون الستة من الكشك، كل بدوره حاملا بيده المبلغ اللازم، بادرهم الجابي: "لقد دفعت السيدة التي سبقتكم كل الرسوم. أتمنى لكم يوما سعيدا."

كانت المرأة قرأت عبارة أُلصقت على ثلاجة صديقتها: "افعلوا حسنات عفوية وأعمالا جميلة حمقاء." فأعجبت بفحوى العبارة وسارعت الى تدوينها.

وقرأت جودي فورمان العبارة إياها مطبوعة على جدار مستودع يبعد ١٢٠ كيلومتراً عن بيتها في سان فرنسيسكو. ولما عجزت عن تذكرها لاحقاً، قطعت المسافة من جديد عائدة الى حيث قرأتها، فدونتها بحذافيرها.

تقول جودي معلّلة أسباب تذييلها كل رسائلها بهذه العبارة: "لقد لمست فيها جمالا لا يصدق، كأنها رسالة من فوق."

وأُعجب بها زوجها فرنك أيضاً، وهو

مدرِّس، فألصقها على جدار غرفة الصف الابتدائي السابع حيث تتعلم ابنتي. وأنا بدوري أدرجت هذه العبارة في الزاوية التي أحرِّرها في الصحيفة المحلية معترفة بأنها تعجبني إلا أنني أجهل مصدرها ومعناها الحقيقي.

وبعد يومين تلقيت رسالة من الكاتبة آن هربرت (٤٠ عاماً) تخبرني فيها أنها دوّنت العبارة على فوطة في مطعم. وأضافت: "المقصود هو: إذا كنت تؤمن بوجوب الاستزادة من شيء ما، فافعله أنت، عفوياً. فاللطف يتغذى من ذاته، مثل العنف."

انتشرت الرسالة وظهرت على الملصقات والجدران والبطاقات الشخصية، وراجت معها فكرة "العصابات الطيبة." قد يضع عابر سبيل قطعة نقود في عدّاد موقف للسيارات، فيخلِّص صاحب السيارة الموقفة من محضر مخالفة. وقد يتوجه جمع من الاشخاص بالدلاء والمماسح الى منزل قديم فينظفونه ويرتبونه على مرأى أصحابه المسنين الذين تتملّكهم الدهشة. وقد تعتمل النخوة في سيدة تكنس فناء بيتها فتعمد الى كنس فناء جارتها أيضاً.

وتتفشى الأعمال الصالحة العفوية، فنرى رجلا يبذر النرجس على طول الطريق، ومجهولا يجوب الطرق جامعاً النفايات في عربة، وتلميذاً يمحو الكتابات عن مقاعد الحديقة العامة. هذه علامات فوضى ايجابية وفتنة لطيفة وشغب ناعم.

يقال إن المرء لا يسعه أن يبتسم من دون أن تروِّح الابتسامة عن نفسه. ولكن لا يسعه كذلك أن يأتي عملا لطيفاً وعفوياً من دون أن يشعر بأن مشاكله الخاصة خفّت لأن العالم صار أفضل قليلا مما كان.

كما لا يمكن أن يتلقى المرء عملا طيبا كهذا من دون أن تصيبه صدمة ممتعة. فان كنت من الذين دُفع عنهم رسم عبور الجسر، فالله أعلم بما ستفعله بدورك للآخرين. ذلك لان "العصابات الطيبة" هي كالثورات، تبدأ ببطء، وبفعلة واحدة. فتلكن هذه فعلتك أنت.

أدير لارا ■

طالب محتاج

تلقت المساعدة الاجتماعية في احدى الجامعات اتصالا هاتفياً من تلميذ يطلب معونة ماديّة لعجزه عن تسديد قسطه كاملا. فأكّدت له انها سترسل اليه الاستمارة في الغد، وأضافت: "انني لا أسمعك بوضوح، هل تتصل من مكان بعيد؟"

اجابها: "لا، انا استعمل هاتف سيّارتي."

م.ك.

BELIEVE IT OR NOT ...but it's true! Indeed!

NOW US$ 396,991,935 TO BE WON!

A new winning schedule including 2 jackpots per week: 2x US$ 645,161 — an incredible chance!

4 out of every 10 tickets are winners!

NEW!

Our TOP PRIZES now: $ 3.870,967!

Every Friday 2x $ 645,161 PLUS 20x $ 64,516 for 26 weeks!

Almost every second number wins... in the famous German "Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie". The 89th Lottery starts on September 25, 1992 with the fantastic prize money of $396,991,935! That is something you surely can rely on, as it is all guaranteed by the German Government! So don't miss your big win this time. 26 drawings with 1x $3.87 million, 1x $3.225 million, 1x $2.58 million, 1x $1.935 million, 1x $1.29 million, 47x $645,161 and 520x $64,516! Plus thousands of prizes worth up to $51,612! Order your ticket(s) on the coupon below. Within days you will receive the ticket(s), as well as the relevant rules and regulations.

Your winning chances: Playing 1 ticket number = 40,1% Playing the 5/4-Combi = 92,8%

Don't miss your big win this time ... ...enter the 89th North-West German State Lottery. Send payment with your order or pay after receipt of your statement of account by cheque or travellers' cheque, bank transfer, or cash via registered air mail (at your own risk) or by credit card. And remember... **The bigger your stake, the bigger your win!** Prices, including charges for air mail postage and the Official Winning Lists, to be understood for the whole lottery — 26 drawings, one drawing per week.

Please fill in the number of tickets you want to order.

▼		DM	US $*	£*
	1/1 ticket	927,00	598.50	331.50
	1/2 ticket	490.00	316.00	175.00
	1/4 ticket	267,50	172.50	95.50
	5/4 combi	1.137,00	734.00	406.50

*Rate of exchange may vary. Amounts are calculated: $1.00 = DM 1.55/ £1.00 = DM 2 80

Correspondence only possible in German or English! 9803

Answer In German ☐ In English ☐ Mail ticket to: Mr. ☐ Mrs. ☐ **Please print in block letters.**

First name: ______________________

Surname: ______________________

Street/No.: ______________________ P.O.Box: __________

City, Country, Post Code: ______________________

Charge to my Visa ☐ American Express ☐ Diners ☐ Euro/MasterCard ☐

Expiration Date: Month ________ Year ________ Signature X ________

Valid only where legal.

SERVICE WORLDWIDE HERZOG Lotterie-Einnahme Hans Herzog

State licensed Lottery Agent **HANS HERZOG** Grützmühlenweg 46 W-2000 Hamburg 63 Germany

Reader's Digest
المختار
اغسطس (اب) ١٩٩٢
صفر ١٤١٣
السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

اعلموا أن ما نأكله
ينعكس جلياً في مظهرنا وقوامنا

الغذاء الصّحيح مَصْدَر الشبَاب الدائِم

هل صحيح أن ينبوع الشباب الدائم ليس سوى أسطورة من نسج الخيال؟

في اعتقاد كثير من خبراء التغذية أن ذلك ليس أسطورة تماماً. ويقول الدكتور كنيث كوبر رئيس المركز الحيهوائي في دالاس: "أن تشيخ سريعاً أو تشيخ ببطء أمر عائد اليك." ويوافقه في ذلك جيفري بلومبرغ المدير المساعد لمركز أبحاث التغذية المختصة بالشيخوخة في جامعة تافتس في بوسطن، إذ يقول: "تدل الأبحاث على أن كثيراً من حالات الهبوط في وظائف الاعضاء عائد، كما يبدو، الى عوامل بيئية كالغذاء والتمرين أكثر منه الى الشيخوخة."

وبحسب الدكتور كنيث كوبر فإن السمنة هي أحد الاسباب الرئيسية في تعجيل الشيخوخة. وهو يقول: "إذا نقص وزنك، توقف عن التدخين واتبع التمارين. ففي إمكانك ان تبطىء مسيرة الشيخوخة وأن تُحدث، في فترة قصيرة نسبيا، تغييرات مثيرة في هيئتك."

وفي تجربة مدير المبيعات في احدى شركات توزيع أجهزة الكمبيوتر مثال حي على ذلك. فهو في السابعة والثلاثين من

PHOTO: C.D. DEGNAN / WESTLIGHT



العمر، فارع القوام، وكان معظم حياته بديناً جداً. ثم وعى خطورة مظهره، فساوره القلق من أن تنعكس بدانته سلباً على مستقبل حياته العملية، وكان يقول: "سئمت اعتقاد الناس أني أكبر سناً من أخي، وهو يكبرني بتسع سنوات. ثم إن رجال الاعمال حين يرونك سميناً يتبادر الى أذهانهم أنك تفتقر الى الالتزام والانضباط."

لذا صمم صاحبنا على تغيير مظهره. فدخل أحد المستشفيات حيث خضع لبرنامج حمية دقيق أسقط من بدانته أكثر من ٣٠ كيلوغراماً.

وهو يقول الآن: "أشعر، وأبدو، كأنني صغرت عشر سنين."

أما كلاريس ماك وليمس (٨٢ عاماً) وهي ربة عمل متقاعدة، فتبدو بلون بشرتها وسرعة خاطرها كأنها أصغر من عمرها سنوات كثيرة. وهي تتباهى قائلة: "يعتقد معظم الناس أني في الستينات."

وتعترف كلاريس بأن للوراثة دوراً في هيئتها، لكنها تعتقد أن الغذاء عامل مهم. وهي ترى أن "لا أهمية للتأثير الايجابي الذي تحدثه جينات الوراثة ما لم تتناولوا الطعام الصحيح وتعتنوا بأنفسكم. فإذا أردتم أن تكونوا حسني المظهر والقوام، فتمتعوا بقسط وافر من الراحة، وتمرّنوا يومياً، وليكن معظم طعامكم من الفاكهة والخضر النيئة، ودعوا القلق جانباً."

يقول بلومبرغ: "هناك بالتأكيد صلة بين التغذية الصحيحة والسلوك الايجابي من جهة وتحسن نوعية الحياة من جهة أخرى. فالناس، بانتقائهم الغذاء الصحي، يستطيعون التأثير في ما يحدث لأجسادهم."

الجلد. انه الموضع الذي تظهر فيه علامات الشيخوخة على أوضح وجه. فمع تراوح وزنك بين الهبوط والارتفاع، يتمدد الجلد في دورة الارتفاع لكنه لا ينكمش كلياً الى حجمه الاصلي في دورة الهبوط التالية، مما يسبّب فيه ارتخاء.

ان اعتماد برنامج حمية منطو على نقص شديد في المغذّيات قد يؤدي الى اضطرابات في الجلد تؤثر كثيراً في هيئة

الشخص. وقياساً على ذلك، فان الحمية التي تعتمد مقداراً وافراً من المغذّيات قد تؤدي، في اعتقاد خبراء كثيرين، الى مظهر طافح بالحيوية والنشاط.

الزنك والفيتامين "أ" مهمان للبشرة الطبيعية الصحية. فالزنك يساعد الجلد على إصلاح ذاته، والفيتامين "أ" يساعد في الحفاظ على ليونة الجلد ومنع الجفاف وطرح الخلايا الميتة. وتتوافر مادة الزنك في مصادر مثل لحم البقر والبيض وثمار البحر، فيما تزخر الخضر الرخصة المورقة الخضراء بالـ"بيتا كاروتين" الذي يحوله الجسم الى الفيتامين "أ." أما الاطعمة الأخرى التي تحتوي على بيتا كاروتين فتشمل الجزر والشمام والقرع والبطاطا الحلوة والفلفل الاحمر الحلو والمشمش والمانغا.

ويساعد الفيتامين "ج" (C) في تحسين إمداد الجلد بالدم وفي تكون الكولاجين، البروتيين الليفي الذي يلي سطح الجلد مباشرة ويكسبه مظهراً ناعماً. ونجده بكثرة في الليمون الحامض وعصيره والكرنب (الملفوف) والقنّبيط والبازلاء والفلفل الاحمر والاخضر والبروكولي (ضرب من القنبيط) والبطاطا البيضاء والحلوة والطماطم (البندورة) والبطيخ على أنواعه والشمّام.

ثم إن الخضر الطازجة هي مصادر ممتازة غنية بالمغذيات التي تحافظ على الجلد. وعموماً، كلما زادت درجة اخضرارها حفلت بالمغذيات القوية.

ولطريقة تحضير الطعام أهميتها أيضاً. فكلما طالت فترة طهو الخضر تعاظمت خسارتها للفيتامينات وقلّت فاعليتها. لا تنقعي الخضر في الماء عند غسلها لئلا تخسر الفيتامينات القابلة للذوبان في الماء مثل الفيتامين "ج."

ويوصي بلومبرغ أيضا بشرب ما بين ستة وثمانية أكواب يوميا من الماء أو غيره من السوائل للحفاظ على ماوية الجلد والأنسجة الأخرى. ويضيف: "ان ذلك مهم خصوصاً للمسنين الذين يواجهون خطر جفاف أجسادهم بسبب هبوط شعورهم بالعطش مع تقدمهم في العمر."

أما القهوة والكولا والشاي فليست من الوصفات المفضّلة لاحتوائها على مادة الكافيين المدرّة للبول والتي تسبّب خسارة الماء.

الشعر. يأتي الشعر الصحي اللامع في المرتبة الثانية، بعد الجلد النابض بالحياة، مساهما في جعل المرء يبدو أصغر سناً وأكثر حيوية. ومع ذلك فان كثيرين يسيئون العناية بشعورهم بتناولهم أغذية غير متوازنة.

صممت موظفة في الثالثة والثلاثين من عمرها على انقاص وزنها بسرعة. فاعتمدت برنامج حمية هَوَسياً قاسياً غنياً بالألياف ومشبعاً لكنه قليل البروتيين. وبعد ثلاثة أشهر فقدت كثيراً من وزنها... والكثير من شعرها أيضاً.

ويشاهد طبيب الجلد ديفيد الكك حالات كثيرة مماثلة. فعندما تفتقر

الأطعمة الى الاحماض الأمينية، وهي الكتل البنيوية للبروتيين، ينحلّ البروتيين الذي يحويه الجسم فيزداد سقوط الشعر.

ويوضح الدكتور الكك أن خلايا الشعر والجلد هي في تناسخ مستمر، لذلك فهي شديدة الحساسية تجاه نقص المغذيات. والاطعمة الغنية بالأحماض الأمينية تشمل اللحوم والبيض والحليب والحبوب والخضر. إنما يجب أن نتذكر أن الجسم لا يستطيع اختزان البروتيين، لذلك يتعين على المرء ان يتناول الاطعمة الغنية بالبروتيين يوميا. وبرعاية الدكتور الكك، عادت الموظفة الى تناول وجبات مغذّية متوازنة، فعاد شعرها الى طبيعته في غضون ثمانية أشهر.

نظام المناعة. تعرف الفيتامينات "هـ" (E) و "ج" وبيتا كاروتين بأنها مضادة للتأكسد، وتُعتبر مكافحة قوية ضد المرض، وفي امكانها إبطاء عدد من العلل المرتبطة بالشيخوخة أو تفاديها.

وثمة دلائل على أن الشيخوخة وهبوط المناعة قد يكونان ناتجين جزئياً من تلف الخلايا الذي تسببه المركّبات السامة المعروفة بـ"الاصوليات الحرة."* ويبدو أن مضادات التأكسد تعاكس – أو تعطّل – فاعلية هذه المواد في مهاجمة الخلايا السليمة، وبذلك تجنِّب الجسم بعض التلف. فالأطعمة التي تحتوي على بعض من هذه المغذيات ترتبط – بحسب العلم لا بحسب الاسطورة – بالوقاية من امراض القلب والسرطان والسكتة (الفالج) والسدّ (الماء الازرق) وبقدرة الجسم على تفادي الأمراض المُعْدية.

فالتغذية الصحيحة ضرورية للحفاظ على مظهر صحي فتيّ ونشط، والتوازن هو مفتاح التغذية الجيدة. يجب أن تشكل البروتيينات نحو ١٠ في المئة من طاقتك الحرارية اليومية، وألّا تزيد الدهون على ٣٠ في المئة منها، على أن يأتي معظم رصيد الوحدات الحرارية المستهلكة من الكربوهيدرات المركّبة.

فهل نستطيع حقاً إبطاء تأثيرات التقدم في السن بايلاء التغذية اهتماماً أكبر وأدق؟

يقول بلومبرغ: "ما زال لدينا الكثير لنتعلّمه، ولكن ثمة مزيد من الدلائل على أن الجواب هو نعم."

وليم م. هندريكس ■

ترجمة الياس عقل

(*) Free radicals . وهي، في الفيزياء، ذرات تفاعلية تحوي واحدا او اكثر من الالكترونات غير المزدوجة.

الرفق بالحشرات

أنف بطبعي سحق الحشرات، لذا أعمد الى مغلّف ارشدها به الى النافذة فتطير خارجاً. وذات يوم راح ابني يراقبني وانا احاول عبثا طرد نحلة عن الزجاج، فقال لي: "اعتقد يا ماما أن من الاسهل عليكِ أن تكتبي للنحلة عبارة: المخرج من هنا."

ا.س.

المطالبون بالعروش في أوروبا الشرقية

بعد انهيار الشيوعية عادت أحلام العودة تدغدغ مخيلة الملوك المنفيين من بلدانهم في أوروبا الشرقية. فمن منهم يعود؟

أسقطت الشيوعية عروشهم في أوروبا الشرقية وأحكمت قبضتها الحديد على ممالكهم طوال أربعين سنة. أما اليوم، وقد أصبح الحكم الشيوعي من الماضي، فقد نشط الملوك في منفاهم في جنيف ومدريد ولندن وباريس وتحركوا على أمل العودة.

تقلبت حظوظ الأسر المالكة الاوروبية الشرقية خلال العامين المنصرمين. فالاتحاد السوفييتي زال من الوجود، وما كان يُعرف باسم يوغوسلافيا انهار شر انهيار. ولعل أبناء هذه الأسر يودون الاعتقاد بامكان تجنيب بلغاريا ورومانيا مصيراً مماثلا من خلال إرساء قواعد حكم ملكي دستوري. فالآمال ما زالت حيّة في الأوساط الملكية حيث تربط أواصر القربى الجميع بعضهم ببعض وبالملكة فكتوريا، نتيجة ترتيبات الزواج التي عقدت في القرن التاسع عشر.

ولتحقيق العودة، فإن ملك رومانيا ميشال وملك بلغاريا سيمون الثاني وولي عهد يوغوسلافيا الامير ألكسندر ووارث عرش روسيا الغراندوق فلاديمير،[1] الذين تربط بينهم عرى قربى بعيدة، يعوّلون

---

(١) توفي في مايو (ايار) ١٩٩٢.

على حنين شعوبهم الى الأيام الغابرة وعلى المــرارة من سنــوات الحكم الشيوعي.

الأمير ألكسندر

ولي عهد يوغوسلافيا الأمير ألكسندر هو الأكثر تحمّساً لفكرة الملكية. انه في الثامنة والاربعين من عمره ويعيش في لندن مع زوجته اليونانية وأولاده الثلاثة من زواجه السابق. وقد خيل اليه في السنة الماضية أنه الوحيد القادر على إبعاد كأس التشرذم عن بلاده، فاقترح فكرة الملكية الدستورية المتمثلة في شخصه رمزاً للوحدة اليوغوسلافية.

ولمّا عاد الى موطنه في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١ لقي ترحيباً حاراً واستُقبل بحفاوة عند ضريح جده. ويتذكر الامير ألكسندر وقائع زيارته: "لم أكن أتوقع حضور هذه الأعداد الغفيرة. كان الناس يتدافعون الى السيارة بحماسة وحرارة والسعادة تشع من أعينهم، حتى إنني خشيت أن تتهمني السلطات بالتسبب في أعمال شغب." وهتف كثيرون لابنه البكر ووارثه الامير بيتر البالغ من العمر آنذاك أحد عشر عاماً والدموع تنهمر على وجناتهم وهم يغنّون: "إبقَ، إبقَ."

كانت تلك المرة الاولى تطأ قدما ولي العهد أرض يوغوسلافيا منذ ولادته في الغرفة الرقم ٢١٢ في فندق كلاريدج في لندن (وتكريماً للحدث اعتُبر الفندق ملكية يوغوسلافية بطلب من ملك بريطانيا آنذاك جورج السادس.) لكنها كانت المرة الاخيرة أيضاً اذ زالت يوغوسلافيا بتركيبتها القديمة من الوجود.

كان ألكسندر صرف النظر فعلا عن فكرة العودة الى موطنه. لكن هذه الفكرة عادت تراوده عام ١٩٨٩ عندما بدأ العالم يشهد انهيار الشيوعية. وبعد سنة أوقف نشاطاته كمستشار تجاري بهدف الترويج لملكيــة ديموقــراطية دستــوريــة في يوغوسلافيا. وكان يستقبل زواره في مكتبه في بارك لين في لندن حيث علّق صورة لوالده الراحل الملك بطرس الثاني الذي كان شكل حكومة منفى في لندن بعدما احتلت دول المحور يوغوسلافيا. وبعد الحرب العالمية الثانية ألغى نظام تيتو الشيوعي الملكية في البلاد، وأمضت العائلة السنوات الثلاثين التالية في ترحال بين أوروبا والولايات المتحدة.

انتسب ألكسندر الى مدارس داخلية في سويسرا وبريطانيا، ثم التحق بأكاديمية عسكرية في الولايات المتحدة. واستقبله عمه الأمير توميسلاف، الشقيق الأصغر للملك بطرس الثاني، في مزرعة التفاح التي يملكها في مقاطعة ساسكس البريطانية وشجعه على الالتحاق بفيلق الرمّاحة الملكي البريطاني.

بعد زيارته يوغوسلافيا تلاشى حلمه بالقيام بدور وسيط مع اندلاع الحرب التي زرعت الشقاق وفرقت البلاد. ويقول: "أود أن تُرسى أسس الديموقراطية الآن في يوغوسلافيا. إلاّ أن القادة ينزعون الى تغليب القومية، وخصــوصاً القــومية

بوجهها السلبي." وهو يسلّم باستحالة عودته ملكاً على يوغوسلافيا كاملة، لكنه لم يتخلَّ عن طرح الملكية الدستورية التي ما زالت تشكل، في نظره، الضمان الافضل لحل دائم يشمل ما تبقى من البلاد. وعندما يُسأل عما إذا كان ينوي العودة يجيب: "كل شيء محتمل."

أما الأمير توميسلاف فيرى وجوب عدول ألكسندر عن المحاولة، "فالوقت ليس ملائماً الآن لأخذ قرار في شأن إعادة الملكية."

الملك سيمون الثاني

"ليس الآن" هي النصيحة ذاتها التي أُسديت الى نسيب ملكي آخر هو ملك بلغاريا سيمون الثاني البالغ من العمر ٥٥ عاماً والذي اعتلى العرش في صوفيا وهو طفل لمدة ثلاث سنوات. يعيش سيمون اليوم في مدريد، وهو رجل أعمال يستخدم اسم العائلة "كوبورغ" عوضاً عن لقبه الملكي.

كل ما في فيلا الملك السابق يوحي تقاليد عائلية لا تزال تُحمل على محمل الجد. فبهو المدخل مزدان بصور الأسلاف. وعلى الطاولة في مكتب الملك السابق صورة موقعة لملك اسبانيا خوان كارلوس. فكأن هذه الدار بمحتوياتها تحضّ الملك على التحلي بالصبر وعدم الاستسلام لليأس. إلّا أن الملك سيمون يتوخى الحذر في ما يتعلق بالاحتمالات المتوافرة ويقول: "أنا لا أجد في العودة الآن أي فائدة للبلاد أو لي شخصياً."

لم تكن بلغاريا يوماً مكاناً صالحاً لحمل الصولجان مذ تولى أول ملوك هذه السلالة العرش قبل أكثر من مئة عام. وقد اضطر الملك بوريس الثالث والد سيمون الى التزلف لهتلر خلال الحرب العالمية الثانية. وهو توفي فجأة إثر استدعائه الى مقر الفوهرر[٢] في المعسكر الشرقي في أغسطس (آب) ١٩٤٣. كما أُعدم الامير كيريل عم سيمون في الأول من فبراير (شباط) ١٩٤٥ مع أوصياء آخرين حكموا باسم الملك القاصر بعدما طرد الشيوعيون الألمان من البلاد. ثم ألغى النظام الشيوعي الجديد الملكية، وتلاعب بنتائج استفتاء أجري عام ١٩٤٦ لاقرار الالغاء، وأرغم سيمون ووالدته على الهرب الى مصر قبل أن يحطّا الرحال في اسبانيا عام ١٩٥١.

يرى الملك سيمون أن المسرحية السياسية في وطنه ستستمر الى النهاية، ويضيف شاكياً: "نحن مصنفون دولةً أوروبية شرقية من الدرجة الثانية." ولا يخفي الملك امتعاضه من الانتخابات الرئاسية الاخيرة التي اشترطت أن يكون المرشحون عاشوا في البلاد خلال السنوات الخمس الماضية، وكأن هذا الشرط وُضع خصوصاً لاقصائه. ويضيف: "لعلهم أسدوا إليّ خدمة، فلو ترشحت للانتخابات لادعى أعدائي أني مستعد لفعل أي شيء في سبيل العودة الى السلطة. ولو تمنّعت لزعموا أنني رجعي أرفض الخضوع للانتخابات."

(٢) الفوهرر لقب هتلر.

اعترف أحد الديبلوماسيين البلغار بأن الملك سيمون يتمتع كفرد بجاذبية أكبر من تلك التي تتحلّى بها الملكية كمؤسسة. وقبل الانتخابات التشريعية في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١ حضّ الملك الناخبين البلغار على دعم المعارضة ضد الشيوعيين الذين باتوا يسمون أنفسهم "الحزب الاشتراكي البلغاري." وقد فازت المعارضة بفارق بسيط.

في غضون ذلك، يبقى الملك على اتصال بسياسيين في بلغاريا. وهو يعتقد أن وقت العودة سيحين "بعد سنوات، عندما لا أعود أثير مشاعر الناس."

الملك ميشال

العودة المبكرة هي الخطأ الذي ارتكبه ملك رومانيا ميشال. وفي الفيلا المريحة الواقعة عى الهضاب المشرفة على بحيرة جنيف، يبدو الملك رابط الجأش قانعاً بالهزيمة. إلّا أن المنفى نال منه أكثر مما نال من ملك بلغاريا. فقد كان ميشال في السادسة والعشرين من عمره عندما أرغمه الشيوعيون عام ١٩٤٧ على التخلي عن العرش ومغادرة البلاد من دون أن يأخذ معه شيئاً. وهو اليوم في السبعين. عمل لفترة مزارعاً في بريطانيا حيث رحب به أقاربه الملكيون، ثم انتقل الى سويسرا عام ١٩٥٦ حيث عاد الى الطيران الذي كان مولعاً به بعدما تعلمه ومارسه خلال الحرب العالمية الثانية. وحصل على وظيفة في حقل الكترونيات الطيران في جنيف، ثم عمل لدى أحد سماسرة البورصة. أما اتصاله الوحيد برومانيا فاقتصر طوال أربعة عقود على إرسال التمنيات في أعياد رأس السنة واجراء مقابلات في بعض المناسبات مع محطات «BBC» و"راديو أوروبا الحرة" و"صوت أمريكا."

بعد سنة على اعدام نيكولاي تشاوشيسكو في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٩، توجهت الأميرة مارغريتا ابنة الملك ميشال الكبرى وخليفته الى رومانيا لاستطلاع الأجواء ومقابلة رئيس الوزراء آنذاك بيتري رومان. ويتذكر الملك السابق: "سألته مارغريتا صراحة عما اذا كانت الأبواب موصدة في وجهي، فأجابها إنها ليست كذلك، لكن القرار النهائي عائد إليّ. فقلت حسناً، أنا آت."

وصل الملك ميشال والملكة آن الى رومانيا يوم عيد الميلاد عام ١٩٩٠ على متن طائرة مستأجرة، حاملين جوازَيْ سفر دانمركيين قدمتهما اليهما الحكومة الدانمركية وأقرباؤهما الملكيون في كوبنهاغن كبادرة لطف وكياسة. ويروي الملك ميشال: "استقبلنا آمر المطار استقبالا لائقا." كما هتف لهما موظفو المطار. ثم نُقلا في سيارة الى بوخارست للتشاور مع أحد المسؤولين. وأكملا طريقهما الى ضريح جد الملك.

ويضيف الملك ميشال: "قبل وصولنا الى بوخارست بنحو مئة متر زُعم أن حادثا وقع، وسدت الطريق شاحنة وسيارات أجرة وسيارات شرطة. فاشتبهت في أن ثمة أمراً يدبَّر. ثم قيل لنا

إننا دخلنا البلاد بطريقة غير مشروعة، وصوّب مسلّحون رشاشاتهم الى السيارة وأرادوا اصطحابنا الى المطار عبر طريق فرعية، فرفضت." وفي الفجر رُحِّل الزوجان الملكيان على متن طائرة تابعة لسلاح الجو الروماني.

عاد الملك ميشال الى رومانيا في زيارة لاحقة في ابريل (نيسان) ١٩٩٢ ولقي استقبالا حاراً. ولكن يبقى السؤال قائماً: هل يستطيع العودة نهائيا الى بلاده؟

أجاب: "إن رغبتي في العودة لن تموت أبداً." وفي تلك اللحظة دخلت عليه زوجته بتقرير عن آخر تحركات الرئيس الروماني ايون ايلييسكو.

لكن احتمالات العودة لا تزال غامضة على غرار حق الوراثة في العائلة الملكية الرومانية. ذلك لان للملك خمس بنات وليس له أبناء، ويقضي التقليد الملكي بحق الذكور وحدهم في ارتقاء العرش. وفي العام ١٩٥٥ انبرى شقيق للملك ميشال من أبيه، هو ثمرة زواج سابق للملك كارول برومانية من عامة الشعب، معلنا نفسه ولياً للعهد. واعترفت المحاكم الفرنسية بحقه. واليوم، يطالب ابنه بول هوهنزولرن بالعرش، مما جعل الملك ميشال يعلّق على الأمر قائلا: "لقد شوّش القضية."

الغراندوق فلاديمير

كان الغراندوق فلاديمير أوفر حظاً إذ أمضى أوقاتا سعيدة عندما زار سانت بطرسبرغ في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١ إثر دعوة تلقاها من عمدة المدينة أناتولي سوبتشيك بصفته أقرب أنسباء نقولا الثاني آخر قياصرة روسيا. وكانت هذه المرّة الاولى يطأ فلاديمير أرض روسيا. فنعم لأيام بالشعبية، ووقف على شرفة قصر جده ملوّحا للجماهير الغفيرة المحتشدة كما كان يفعل أسلافه على شرفة القصر الشتوي. كان الوضع بالنسبة اليه "نعمة رؤية بلادي قبل رحيلي عن هذه الدنيا." وقد خلفت الزيارة أثرا عميقا في نفسه.

في شقته الصغيرة الواقعة في الطبقة الرابعة من أحد المباني الباريسية والمطلة على ساحة الكونكورد، راح فلاديمير (٧٤ عاما) ذو العينين الخضراوين والحاجبين الكثيفين يقلّب صفحات برنامج تلك الرحلة. وتزخر قاعة الاستقبال في شقته بتذكارات شتى: صور للقيصر وأيقونات وطرائف أخرى من زمن بدا كأنه ولّى الى غير رجعة.

قال فلاديمير: "لم تكن الحياة سهلة على والديَّ. فالنفائس التي أتيا بها من روسيا لم تكن لتدوم."

قبل الحرب العالمية الثانية عمل فترة قصيرة في مصنع للمعدات الزراعية في بريطانيا "لأختبر كيف تكون حياة عامل عادي." وأضاف أنه، في ما عدا امتلاكه أراضي في بريتاني، لم يزاول أي عمل منذ ذلك الوقت باستثناء "البقاء على اتصال بالمهاجرين الروس."

قال: "لم أفقد الأمل بالعودة يوما،" على رغم أن الامل بدا شبه معدوم

أحياناً. لكن الدعوة وصلت أخيراً، وكانت ضرورية "لأنني أرفض طلب تأشيرة دخول لزيارة وطني."

لكن الغراندوق فلاديمير لم يُستدعَ ليحكم، بل ليثبت صلة بالماضي الروسي ما قبل الثورة وببلد وشعب فقدا الامان. وقد توفي في مايو (أيار) ١٩٩٢، وهو يرقد الآن في ضريح عائلة رومانوف في سانت بطرسبرغ تنفيذاً لوصيته الاخيرة. ولعل حفيده جورج البالغ من العمر ١١ عاماً يحظى بحظ أوفر في الحكم على رغم وجود منافس واحد على الاقل يطالب بعرش الاباطرة هو نسيبه الامير نقولا رومانوفسكي الذي وُلد من زواج الامير رومان بامرأة من العامة مما يفقده حق الوراثة. وقد أكد فلاديمير: "هو ليس أميراً لروسيا. وأنا لا أود أن أفرض نفسي اطلاقا. ولكن إن طلبت مني المساعدة فلن أتأخر."

بيدَ أنّ الأمر في الواقع لا يتعدى مجرد الرغبة أو الامنية. فاسترجاع عرش أمر جَلَل يتطلب حظاً وبعض دهاء. ووحده ملك بلغاريا من بين ملوك أوروبا الشرقية يبدو مؤهلا للافادة من الوضع.

ويستمد جميع المطالبين بالعروش أمل العودة من مَثَل ملك اسبانيا خوان كارلوس. ولكن غاب عنهم أن فرنشيسكو فرنكو اختاره خلفاً له رئيساً للدولة، وأنه اضطر الى الانتظار ٢١ سنة قبل اعتلائه العرش.

يقول هارولد بروكس بيكر الخبير في الألقاب البريطانية: "إذا أراد بلد ما استرجاع مليكه، فقد تحذو بلدان أخرى حذوه. ولكن يجب أن يتم ذلك في المستقبل القريب وإلّا ضاع كل شيء الى الأبد."

كريغ ر. ويتني ■
ترجمة مايا باسيل



المعلِّم قاس

كان معلِّم القيادة يجد دائماً خطأ ينتقدني عليه لدى تشغيلي محرّك السيارة. فقررت مرة ألا أدع له فرصة ليفعل. فضبطت مقعدي والمرآة الخلفية وجهّزت معشق التروس وحللت الكابح اليدوي ثم ضغطت دواسة الوقود. لكن السيارة بقيت ساكنة في مكانها. فتنحنح المعلِّم قليلا وسألني: "حسناً، متى تنوين إدارة المحرك؟"

ج.م.ب.

صاحبة قضية

تقدمت تلميذة بطلب لمنحة جامعية. ولما سئلت عن هدفها من الدراسة أجابت: "أريد أن اتخصص بعلم البيئة لكي أعيد الكائنات المنقرضة الى الوجود."

ر.ن.

دعائم الزواج السعيد

ثمانية قواسم مشتركة بين معظم الازواج السعداء

أحب مراقبة الأزواج الراقصين في حفلات الأعراس، اذ لا بد غالباً من وجود زوجين مسنين يبدعان في الرقص معاً.

ترى من هم هؤلاء النجوم السعداء جداً في زواجهم؟ وكيف ظلت الحياة تطيب لهم الى هذا الحد؟

ما هو سرُّهم؟

قابلت مئة من هؤلاء الأزواج، من أنحاء مختلفة، وقد راوحت أعمارهم بين العشرين والثمانين. بعضهم متزوج منذ سبع سنوات فقط وبعضهم منذ خمس وخمسين. وبصرف النظر عن طول المدة، ترددت على مسامعي أمور متشابهة، خيوط مشتركة حافظت على نجاح هذه الزيجات، وأهمها الخصائص الثماني الآتية:

١. يشعر الزوجان السعيدان براحة معاً منذ البداية.

هناك نظرية تقليدية تقول بأن "الحب الناضج" ينمو ويتطوَّر ببطء مع مرور الزمن. لكن معظم الأزواج الذين تحدثت اليهم أفادوا أنهم اختبروا من فورهم صلة مدهشة، اذ شعروا بعلاقة جارفة تربطهم وبقيم مشتركة تجمعهم. في بعض الأحيان كان توافقهم جنسيا، وفي أحيان



ILLUSTRATION: © DARLENE MCELROY / STOCKWORKS

أخرى كان عاطفيا، وغالبا ما كان مزيجا من الاثنين.

تتضمن هذه العلاقة توازنا دقيقا بين الصداقة المبنية على التشابه، والغرام المبني على الاختلاف. ان هذا "التوتر" يصنع الزواج المفعم بالحيوية ويحفظه.

اقترحت احدى الزوجات وجهة نظر مشوقة: ان الزواج السعيد ينشأ بين شخصين متعاكسي الشخصية ومتشابهي الخلفية. زوج هذه السيدة متفائل دائما، أما هي فدائمة التشاؤم. لكنهما ينتميان الى الخلفية العرقية والدينية ذاتها. جذبتها قوته وجذبه ضعفها. هذا التباين في شخصيتيهما هو ما يتكلم عنه المتزوجون عندما يسمّون شريكهم "نصفهم الآخر."

٢ يتشارك الزوجان السعيدان في أعمالهما الروتينية وفي أحلامهما.

يحضِّر أحد الزوجين قهوة الصباح فيما يرتِّب الآخر السرير. ثم يقرأان الصحيفة معاً فيما يتناولان طعام الفطور. بمثل هذه الطريقة حافظ جميع الأزواج الذين تحدثت اليهم على زواجهم. الأعمال الروتينية لا تولِّد السعادة بذاتها، لكنها تغرس الثقة في الوجود الطبيعي للزواج.

انطلاقا من هذه الراحة اليومية، ينتقل الزوجان السعيدان الى مجال أعمق ألا وهو عالم الأحلام المشتركة، حيث يجتهدان مثلا ليمتلكا مزرعة أو شركة خاصة. فسعيهما معاً لتحقيق حلمهما، أيا يكن هذا الحلم، يوقد علاقتهما ويؤججها.

٣ الزوجان السعيدان لا يحقدان.

كثير من الأزواج الذين قابلتهم لا يتشاجرون الا نادراً. ولكن حين ينشأ خلاف بينهما فانهما قد ينفجران غاضبين، وسرعان ما تهدأ ثورة غضبهما فيتابعان حياتهما كالمعتاد.

ان المقدرة على حل المشاكل هي القاسم المشترك في حياة جميع هؤلاء الأزواج. أما طريقة حل النزاعات فمتنوعة جداً. ففي حين يحرص زوجان على ألا يأويا الى الفراش في حال من الغضب، يذكر آخران أنهما في هذه الحال يفضلان النوم لأنه يبدد غضبهما. هناك أزواج يصيحون، وهناك من يعبسون. هناك أزواج يفضلون معالجة خلافاتهم حالما تظهر، بينما يتركها آخرون بضعة أيام ريثما يجدون الوقت المناسب لمعالجتها.

قابلت زوجين طوَّرا نظاما فريداً لتفادي خلافات قد تنشأ بينهما حين يعملان معاً على مشاريع خاصة. فعندما يتكلم أحدهما بنبرة مثيرة للغضب يصرخ الآخر: "استفزاز!" وبعد الصرخة الثالثة يتوجب على المستفزّ أن يدفع غرامة نقدية.

وعندما تحتدم المعركة بينهما على رغم كل محاولاتهما، يعمد أحدهما الى مغادرة الغرفة. وتعترف الزوجة قائلة:

"إن خرج أي منا، فلا نلبث أن نلتقي بعد خمس دقائق من دون حاجة الى الاعتذار، لأن مجرد وجودنا معاً يغمرنا بالفرح."

يدرك هذان الزوجان سر نجاحهما، وكثيراً ما يخرج الواحد منهما من الغرفة عن قصد.

٤ الزوجان السعيدان يرجوان الافضل.

عندما يضع الزوجان نصب أعينهما كل ما هو حق وجيِّد عند الآخر، يزدهر زواجهما وينمو. هذا لا يعني أن على كليهما أن يكونا من المتفائلين. والواقع أن أحد الزوجين، في كثير من الحالات التي درستها، كان قلقاً سريع الغضب كئيباً باستمرار، لكن الزواج صمد على رغم هذه الطباع لأن الشريك المكتئب لم يكن يوجِّه أفكاره السوداوية نحو شريكه. وعلى رغم القلق والغضب والحزن التي يخفيها الزوج المضطرب، فقد حافظ كل منهما على ثقته بالآخر.

ان للتوقعات الايجابية قوة عظيمة. فالمتزوجون الذين تحدثت اليهم تعلموا أن يروا الأفضل وأن ينمّوا الأفضل وأن يتوقعوا الأفضل لدى شريك حياتهم. ووجدت أن هذه "الواقعية المشرقة" هي ما يميز الزيجات الناجحة. فعندما نحب شخصاً فانما نحبه، الى حد ما، لاننا نرى الأفضل الذي فينا في عينيه. هذا ما يفعله الشريكان السعيدان، فكل منهما يعكس صورة الآخر الحقيقية ولكن بجاذبية أكبر.

٥ يتعلم الزوجان السعيدان كيف يتغيران.

معظم الاشخاص الذين قابلتهم أقرّوا بأنهم تغيَّروا جذريا منذ بداية زواجهم. وجميعهم شعروا بأن تغيُّرهم كان نحو الأفضل، وأكَّد شركاؤهم هذا الامر.

ان هذه الحقائق توفر الأمل للذين يئسوا من حدوث أي تغيير جذري في حياتهم الزوجية. ومن المدهش أن نلاحظ أن عدداً كبيراً من الأزواج السعداء عانوا، في وقت ما، أزمة في علاقتهم. نحو ربعهم فكَّر في ترك الشريك. ومنهم من وضَّب أمتعته ورحل. لكن زواجهم صمد، وازدهر، وهذا يعود الى أن أحد الزوجين، أو كليهما، قرَّر أن يغيِّر ما كان فيه مسبباً للخلافات.

على سبيل المثال، كان أحد الأزواج مقامراً. وبعد وقت طويل أدرك أن ادمانه هذا يبعد عنه زوجته وأولاده. وعندما "نضج" أخذ قراراً بأن عائلته هي أولى أولوياته وصمَّم على ترك المقامرة.

ليس بالفكرة الجيدة أن يقدم أحدهم على الزواج آملا أن يتغير شريكه. لكن الناس، في الواقع، قابلون للتغيير، بل هم متغيرون لامحالة. والزواج الناجح يساعدهم على أن يتغيَّروا نحو الأفضل.

٦ الأزواج السعداء يقدِّرون أهمية الجنس.

كثيراً ما نسمع أن الزواج الناجح ليس مؤسساً على الجنس فحسب، بل هو مرتكز على الصداقة والاحترام والالتزام،

تلك الخصائص التي تثبت عندما يفتر الحب والغرام. ومع ذلك، فكثيراً ما تختبىء خلف المظهر الخارجي الهادىء للزواج علاقة جنسية قوية نابضة بالحياة.

وصف أحد الأزواج زوجته بأنها "أجمل امرأة في البلاد." أن يرى المرء زوجته هكذا يعني أن يراها امرأة أولا وآخراً. ان حبهما في جوهره جنسي أيا يكن تواتر لقاءاتهما الجنسية وقوتها.

بالنسبة الى معظم الأزواج الذين قابلتهم، ليس الاخلاص هو ما يجعل الزواج سعيداً، بل هو ما يجعله ممكناً. فالاخلاص الزوجي هو الـ"طبعا" أو الشرط الأساسي لنجاح العلاقة. وعندما سألت هؤلاء الازواج السعداء عن رأيهم في الموضوع أجاب معظمهم موافقا بتأكيد: "نعم!" أو "دائماً!" فان مفهوم الزواج "المتساهل" الذي يحتمل وجود علاقات عاطفية هامشية لا يعجبهم كما أنه بالنسبة اليهم غير منطقي على الاطلاق.

٧. لا يتصارع الزوجان السعيدان من أجل السيطرة.

بعدما بلغ بعض الأزواج الذين قابلتهم أواخر الاربعينات من عمرهم، لم يكونوا يتنافسون من أجل السيطرة، وإن سبق أن فعلوا. كانت تحصل بينهم خلافات، ولكن لم يكن موضوعها السلطة ولا المركز. ولاحظتُ أن معظم الأزواج المسنين توزعوا العمل في شبابهم بالطريقة التقليدية، أي بحسب جنسهم، وذلك في ما يتعلق بأمور كالاعتناء بالاطفال وجني المال. لكن هذا التوزيع لم يكن يزعجهم. فبصرف النظر عما يساهم به كل زوج من أعمال، فان الجهد الذي يبذله يعتبر بالأهمية ذاتها.

تظهر هذه المساواة بين الأزواج السعداء واضحة وجلية في طريقة معالجة أمورهم المالية. فقد صرّح كل زوجين سعيدين، بلا استثناء، أن المال هو لهما وليس له أو لها. لم يكن لديهما أي صراع للسيطرة على الأمور المالية.

٨. يقول الزوجان السعيدان إن الشريك هو أفضل صديق.

هذا ما قاله كل زوجين سعيدين عفوياً. وهم أرادوا بعبارة "أفضل صديق" ما يعنيه أي منا عندما يتحدث عن أفضل صديق من جنسه. هؤلاء الأزواج والزوجات، ببساطة، أحبوا بعضهم بعضاً أكثر مما أحبوا أي شخص آخر، وصرفوا أوقاتاً طويلة في التحدث معاً والعمل داخل المنزل وممارسة هواياتهم المشتركة. فمهما أرادوا عمله في حياتهم أرادوا أن يعملوه معاً.

من ناحية أخرى، يدعم الأزواج السعداء بعضهم بعضاً ويثق بعضهم ببعض... حتى عندما يظن أحدهما أن الآخر على خطأ.

تحدثت الى زوجة أمضت خمسة عشر عاماً مساعدة اجتماعية، وحين شعرت بأنها تحتاج الى "ما هو أكثر" أعلنت أنها تريد ترك وظيفتها. خشي زوجها أن

تقترف غلطة اذا فعلت، لكنه صمم على دعمها أيا يكن قرارها. باشرت الزوجة مهنة جديدة وحصلت على شهادة دكتوراه في علم الاجتماع. وهي اليوم أستاذة جامعية.

في هذا المثال، تمتعت الزوجة بحرية مطلقة في اختيار طريقها وأهدافها. وهي كانت تدرك تماماً أن حب زوجها واحترامه كانا من غير قيد أو شرط، سواء أفهم قرارها أم لم يفهمه.

يؤكد بعض الخبراء أن الحب الرومنطيقي هو بطبيعته وهمي، أي انه صورة مثالية لحقيقة مشوَّهة. لكن الأزواج الذين تحدثتُ اليهم حافظوا على نظرة مثالية رائعة الى أزواجهم لمدة طويلة وعلى نحو لافت. فبعد عشر سنين أو عشرين سنة أو ثلاثين أو أربعين، نراهم لا يزالون يشعرون بإثارة عميقة تجاه أزواجهم.

الا أنهم لا يعتبرون أنفسهم حالات استثنائية. فكثيرون منهم، بل معظمهم، يعرفون أزواجا آخرين سعداء مثلهم. والحقيقة أنني شعرت بأن حياة قليلين منهم تختلف كليا عن سائر الناس. لذا، وعلى رغم ارتفاع احصاءات الطلاق في السنوات الأخيرة، فإن مثلهم يؤكد لنا أن السعادة في الحب هي حقيقة واقعية وهدف ممكن التحقيق.

كاترين جونسون ■



آباء وأبناء

اضطرني صف المحاسبة المسائي الى التخلّف عن مباريات ابني الرياضية. وذات مساء تلقى استاذنا اتصالاً خاصاً، فاستأذن ثم رجع بعد قليل ليخبرنا أن الاتصال كان من ابنه الذي عاد الى البيت من مباراة كرة السلة.

فسألتُه: "وهل خسر فريقه ام ربح؟"

أجاب: "لقد خسروا."

فصحتُ: "عظيم! هذا يعني أن فريق ابني قد ربح!"

ب.د.

مجنون!

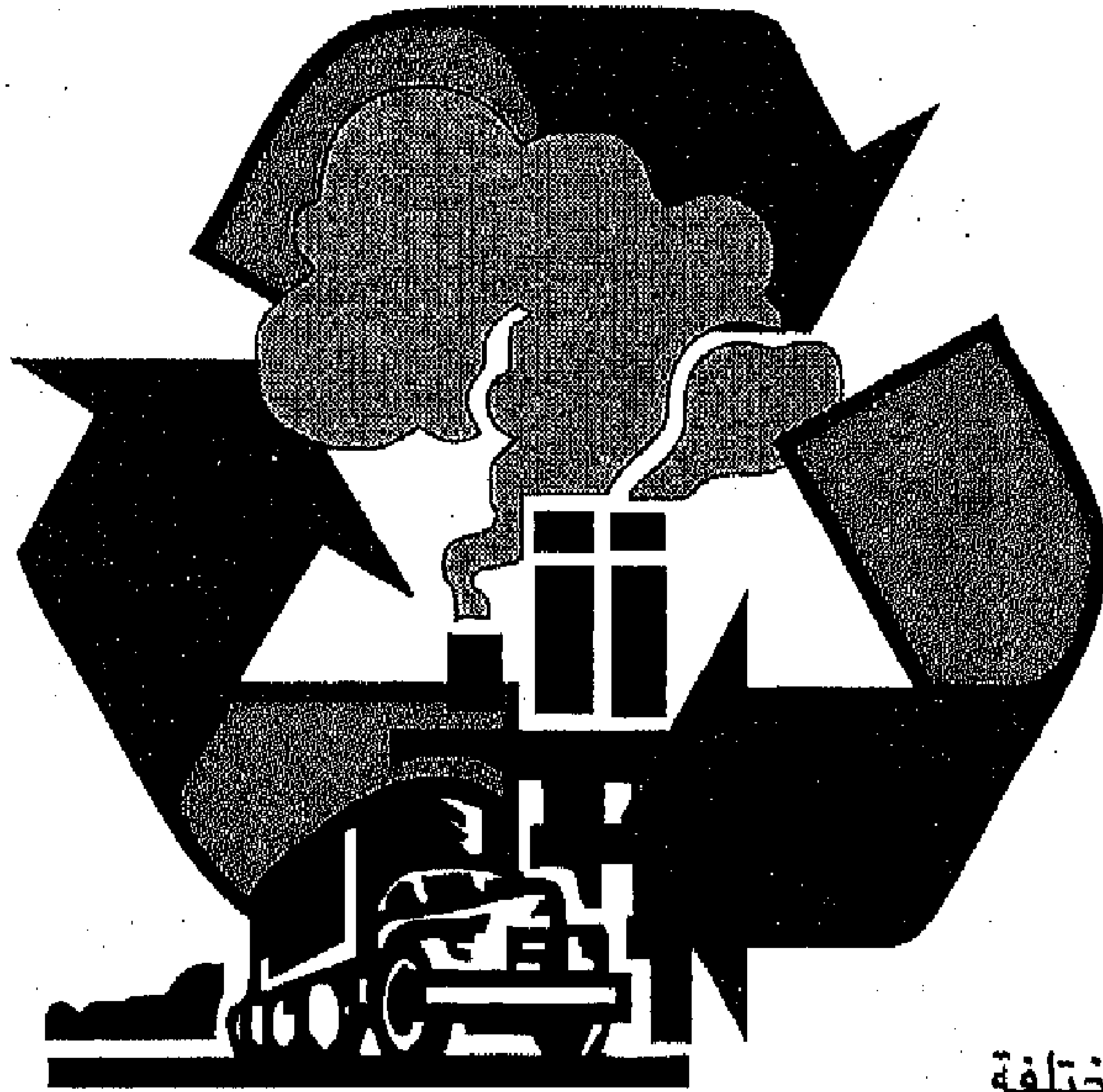
جارنا سعيد رجل رصين هادىء الطباع. دعي مرة الى حفلة للاطفال، فقرر أن يشارك بكلّيته في بهجة المناسبة. فتقدم من مدخل المبنى المقصود، وما إن سمع صخب الاحتفال حتى ارتمى على الارض وزحف الى الداخل وهو يصيح مقلداً أصوات الحيوانات. وكم كان خجله عظيماً حين التفت حوله فرأى مجموعة من الرجال يحملقون فيه مشدوهين.

كانت الحفلة في الشقة المجاورة.

م.ل.

لا تصدقوا كل ما يقال عن تلوث البيئة

دليل للمستهلك لا يتفق تماماً ونصائح حماة البيئة "الخُضْر"



حفلت السنوات الأخيرة بمئات النصائح أسدتها مجموعات بيئية مختلفة لمساعدة الناس على أن يكونوا "أنصاراً صالحين للبيئة." إلا أن هذه النصائح، وإن تكن مسداة عن حسن نية، هي مبنية غالباً على أساس القبول بمعتقدات لا يرقى اليها شك، من نوع "إن اعادة تدوير النفايات[1] مفيدة." ولكن، من المنظار الشامل للبيئة، كثيراً ما تخطىء هذه النصائح. وأولئك الذين يعملون بموجبها قد ينتهي بهم الأمر الى الاضرار بالبيئة أكثر مما لو هم تجاهلوها.

هنا خمس من الخرافات الشائعة:

التوضيب ضارّ

هذه الفكرة متبنّاة على نطاق واسع لدى المستهلكين القلقين على البيئة، لكنها ليست حقيقة ملزمة يقتضي الأخذ بها. فالتوضيب قد يجنبنا في الواقع بعض أنواع النفايات.

حين يعالَج الطعام ويُعلَّب ويوضَّب في الولايات المتحدة مثلا، غالبا ما تستخدم الفضلات الجانبية الناتجة من المعالجة،

(١) اعادة تدوير النفايات (recycling) تعني "تكريرها" او معالجتها صناعيا بهدف اعادة استعمالها.

CONDENSED FROM «A CONSUMER'S GUIDE TO ENVIRONMENTAL MYTHS AND REALITIES» BY LYNN SCARLETT, PUBLISHED BY THE NATIONAL CENTER FOR POLICY ANALYSIS, DALLAS, TEXAS.
THIS MATERIAL ALSO APPEARED IN CONSUMERS' RESEARCH (JANUARY '92). ILLUSTRATION: CHRIS SPOLLEN

كالقشور واللحاء، وقوداً أو علفاً أو لغاية اقتصادية مفيدة أخرى. أما في المكسيك مثلا، حيث التوضيب غير شائع، فتتحول تلك الفضلات الجانبية نفايات. وبحسب دراسة أجريت في جامعة أريزونا، تطرح العائلة المكسيكية المتوسطة ثلاثة أضعاف نفايات الطعام التي تطرحها مثيلتها الامريكية، ويقدَّر ذلك بنحو ٧٢٥ غراماً يومياً للعائلة الواحدة.

والتوضيب الصحيح يخفِّف التلف. فعلى سبيل المثال، توضيب الوجبات الخفيفة ضمن طبقات من المعدن والبلاستيك يحفظها طازجة زهاء ستة أشهر ويتيح لشركة "كيبلر" توزيعها في أنحاء البلاد دونما حاجة الى فرع لمعملها في كل مدينة. مثل هذا التوضيب يوفر استهلاك الوقود ويلبي حاجات المستهلك.

إعادة التدوير نافعة دائماً

يمكن، مبدئيا، إعادة تدوير معظم النفايات من الحديد والصلب والالمنيوم والزجاج والورق وحتى الاطارات. وعمليا، تُعتمد إعادة التدوير في حالات كثيرة. ففي كل سنة يعاد في الولايات المتحدة تدوير ٥٠ مليون طن من خردة الحديد والصلب و١٦ مليوناً من الاطارات المطاطية. كما يعاد تدوير نصف علب الالمنيوم وربع أوعية الشراب الزجاجية والبلاستيكية.

ولكن، هل إن تطبيق اعادة التدوير على نطاق عالمي هو بالضرورة أفضل للبيئة؟ الجواب هو لا.

إن لاعادة التدوير تأثيرات جانبية في البيئة. فنقل النفايات من الشارع لاعادة تدويرها يوجب زيادة في استهلاك الوقود تنجم عنها زيادة في تلوث الهواء. وبعض أنظمة النقل هذه يستخدم مقادير كبيرة من الطاقة فيخلّف كميات كبيرة من المياه الوسخة.

لنأخذ مثلا إعادة تدوير الورق. فأنصارها يعتبرون أن كل طن من ورق الصحف "المكرَّر" يوفر قطع ١٧ شجرة. بيد أن العدد الأكبر من الاشجار المعدّة لصنع الورق مغروس خصوصا لهذه الغاية. فاذا قلَّ صنع الورق من لحاء الشجر، قلَّ عدد الأشجار التي يغرسها المستثمرون للتجارة. وبحسب دراسة أجرتها منظمة "موارد للمستقبل"[٢] وهي مؤسسة أبحاث في مدينة واشنطن، فان التأثير الواقعي النهائي لبرامج اعادة التدوير قد يكون، على المستوى العالمي، انخفاضاً في غرس الاشجار وتقلصاً للمساحات المزروعة.

المنتجات غير القابلة للانحلال الحيوي ضارة

قيل للمستهلكين إن كل شيء ينحلّ طبيعيا[٣] هو جيد وكل شيء لا ينحل طبيعيا هو ضارّ. لكن مُعظم حُفَر النفايات[٤] الحديثة تُسَدّ لاحقاً مما يحول دون انحلال أي شيء حيوياً.

---

(٢) Resources for the Future

(٣) Biodegradable

(٤) Landfills . وهذه حفر ترمى فيها النفايات وتُطمر حين تمتلىء.

المنتجات القابلة للانحلال، اذا تم التخلص منها بطريقة غير صحيحة، قد ترشح مواد كيميائية خطرة في المجمّعات المائية، فيما لا تسبّب المنتجات غير القابلة للانحلال الحيوي هذه المشكلة غالبا.

المنتجات التي ترمى بعد الاستعمال ضارّة

اليكم مثلين على الاخطاء في هذه الفكرة:

استهدف بعض أنصار البيئة عُلب العصير فعزوا اليها المساهمة في ازدياد النفايات. وسها عن بالهم أن نقل الزجاجات الفارغة يحتاج الى شاحنات أكثر من تلك التي تؤمن نقل العلب الفارغة مما يزيد استهلاك الوقود وتلوّث الهواء. والى ذلك، فان المواد المعقّمة والموضّبة لا تحتاج الى تبريد فتوفر في استهلاك الطاقة.

وثمة من يستنكر استخدام حفاضات الاطفال التي ترمى بعد الاستعمال. الا أن غسل الحفاضات القماشية يستهلك من الماء ستة أضعاف ما تستهلكه الحفاضات التي ترمى. ولهذا الامر أهمية كبرى في مناطق حيث تتوافر مساحات خالية لطمر النفايات وحيث المياه شحيحة. ان سكان هذه المناطق، اذا فضلوا حفاضات القماش على رغم ما يستلزمه غسلها من كميات مياه، قد يجهلون أنهم بذلك لا يخدمون بيئتهم.

البلاستيك ضارّ

ان الأوعية المفضلة لدى أنصار البيئة "الخُضْر" هي تلك المصنوعة من الالمنيوم، تليها الأوعية الزجاجية، وأخيراً البلاستيكية، علماً أن صنع البلاستيك يحتاج الى أقل مقدار من الطاقة بين الاوعية التي لا يعاد تدويرها، بحسب أبحاث منظمة "كاليفورنيا فيوتشرز."[٥]

وقد باشرت البلديات في مدن عدة حظر بعض السلع البلاستيكية تبعاً للافتراض القائل بأن لها مساهمة كبرى في مشاكل النفايات. أما في الواقع، فان حجم المواد البلاستيكية لا يشكل سوى ثمانية في المئة من النفايات الجامدة.

الموضبات البلاستيكية هي أخف وزناً وأكثر فاعلية من أصناف أخرى كثيرة.

في ألمانيا، أجرت منظمة الأبحاث "فرباكن أوني كونستستوف" تجارب لمعرفة التأثيرات الناجمة عن إزالة كل الموضبات البلاستيكية من البلاد، فتبين لها أن استهلاك الطاقة سيتضاعف، وسيزداد وزن النفايات الصلبة بنسبة ٤٠٤ في المئة.

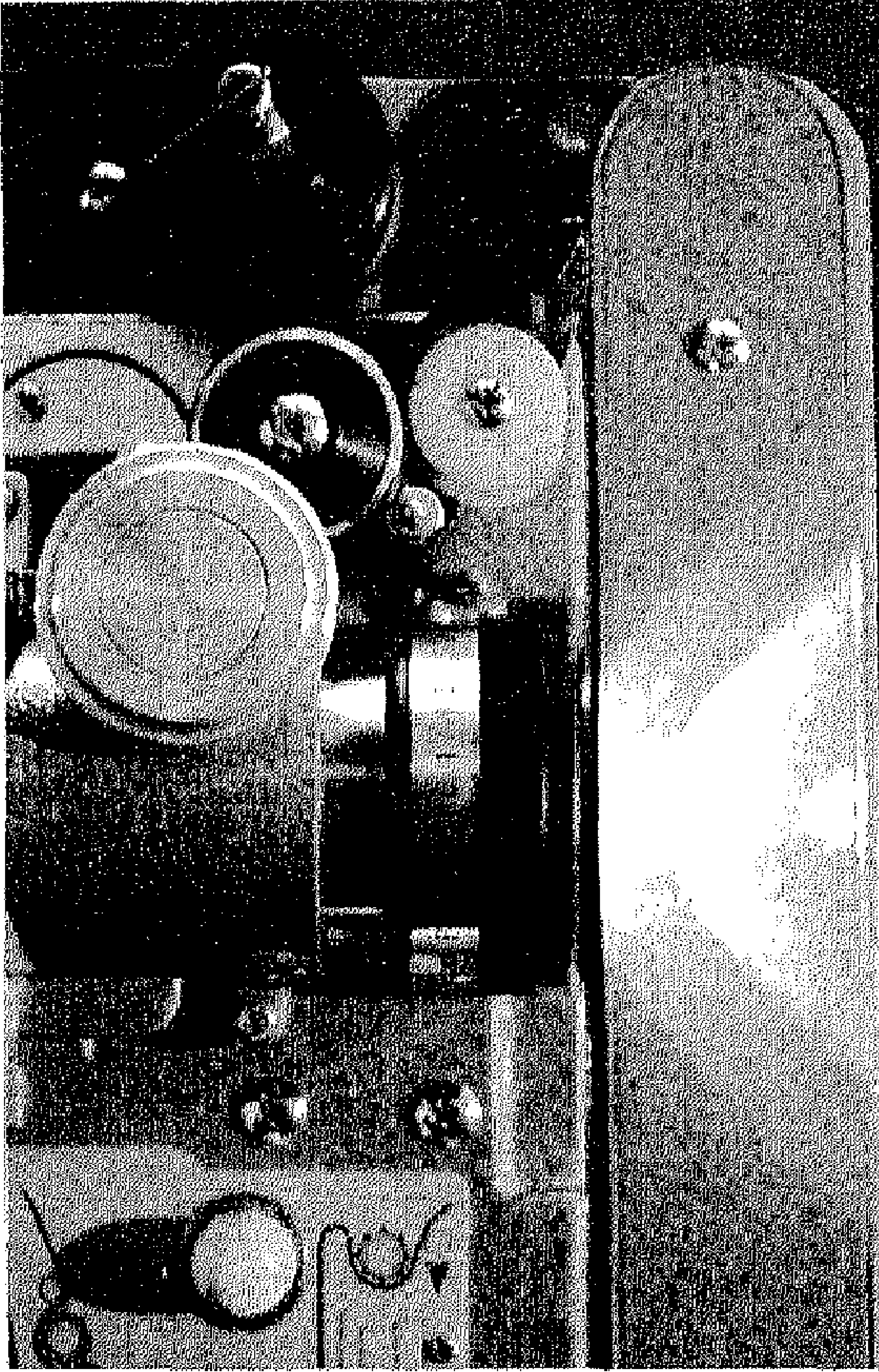
حين نسعى الى حماية البيئة، يجدر بنا أن نتطلع أبعد من القواعد "البسيطة" التي قد تضر أكثر مما تنفع.

لين سكارليت ■

(٥) California Futures

ليست قوة الصحافي حقه في توجيه أسئلة، وانما حقه في المطالبة باجوبة.

م.ك.



أربعة أفلام اعتبر أسياد هوليوود انتاجها ضرباً من المجازفة لكنها سرعان ما اكتسحت شبابيك التذاكر في أنحاء العالم

روائع سينمائية

كان روكي بالبوا يمشي متهادياً أمام ملهى "يوبوز" على زاوية أحد الشوارع في جنوب مدينة فيلادلفيا، عندما بلغ مسامعه صوت فتاة تكيل الشتائم. فناداها: "ماري، هل علّمك هؤلاء الشبان التفوّه بكلام كهذا؟"

وَرَدَ هذا النص في فيلم "روكي"[١] الذي كتبه سيلفستر ستالون ومثّل دور البطولة فيه.

ثم انتزع روكي لفافة من بين أصابع ماري ورافقها الى منزلها وهو ينصحها: "التدخين يسبّب اصفرار أسنانك ويجعل رائحة فمك نتنة كالقمامة. ولا أحد يحب القمامة."

يقول مخرج الفيلم جون أفيلدسن إن المنتجين والمموّلين "كرهوا هذا المشهد" وطالبوه بالتخلص منه. أما هو فأجابهم: "إنها لشخصية غير عادية تلك التي تهتم بفتاة تتفوّه بكلمات بذيئة. وهذا هو البطل المثالي، إنه لطيف مع الاولاد."

عندما انتج فيلم "روكي" عام ١٩٧٦ قال فيه المخرج فرانك كابرا الحائز ثلاث جوائز أوسكار ومخرج فيلم "إنها حياة مدهشة"[٢]: "هذا أفضل فيلم أنتج خلال السنين العشر المنصرمة. وذلك المشهد الذي يرافق فيه روكي الفتاة الى منزلها هو أفضل مشاهد الفيلم. فالمنتجون يعتقدون أنهم ليسوا في حاجة الى مشاهد كهذه لأنها تخلو من الحركة والاثارة. فليس ثمة مَن يتعرّض للضرب

(١) Rocky

(٢) It's a Wonderful Life

PHOTO: © GILL C. KENNY / THE IMAGE BANK

مثلاً. ولكن في هذا المشهد بالذات يقع الجمهور في حب روكي. ومنذ تلك اللحظة يبدأ بالتهليل لكل ما يفعله."

عام ١٩٧٦ حاز "روكي" جائزة أوسكار لأفضل فيلم وجائزة أوسكار لأفضل مخرج، ولم يزل واحداً من أكثر الأفلام شعبية في تاريخ السينما.

فلماذا تحقق بعض الافلام نجاحات غير متوقعة؟

اليكم حكاية أربعة أفلام حقق كل منها نجاحاً خارقاً، على كل المستويات، مع أن أسياد هوليوود كانوا يعتبرون خلال مراحل إنتاجها أن الاستثمار التجاري فيها ضرب من المجازفة. ولكن مما لا شك فيه ان منتجي الأفلام في هذه الأيام سينتفعون من دراسة هذه النماذج عن كثب ليكتشفوا من خلالها ما يطمح الجمهور فعلا الى مشاهدته.

"روكي." كان سيلفستر ستالون ممثلا عاطلا عن العمل، فقرّر أن يبتكر بطلا "للانسان العادي." وذات يوم كان يحضر مباراة في الملاكمة راح فيها البطل العالمي محمد علي كلاي يكيل ضربات متتالية لملاكم مغمور يُدعى تشاك وبنر. وأخيراً سدد كلاي الى منافسه الضربة القاضية، لكن وبنر كان تمكّن من متابعة المباراة حتى آخر أشواطها، أي الجولة الخامسة عشرة، فكسب احترام المعجبين وأوحى الى ستالون شخصية بطله.

عندئذ ابتاع ستالون كتابا عن فن الكتابة السينمائية، وابتدع قصة "الجواد الايطالي"[٣] التي تدور أحداثها حول ملاكم مبتدىء من فيلادلفيا تسنح له فرصة الاشتراك في مباراة للملاكمة ضد أحد أبطال هذه اللعبة. غير أن ما يجهله البطل الشهير هو أن منافسه روكي يستمدّ قوته من حبه لأدريان، الفتاة الخجولة التي تعمل في محل لبيع الحيوانات الاليفة. وتمكّن ستالون من أن يملي على زوجته النص النهائي لسيناريو الفيلم خلال ثلاثة أيام ونصف يوم فقط. ثم أنطلق محاولا تسويقه. فأبدى المخرجون اهتماماً بالقصة واقترحوا لدور البطولة أسماء نجوم كبار أمثال وارن بيتي وبرت رينولدز وجايمس كان. لكن ستالون كان يطمح الى أن يجعل "روكي" منه هو نجماً عالمياً. وعلى رغم انه كان أنفق وزوجته كل مدّخراتهما، وأنهما كانا ينتظران مولوداً، فقد رفض ستالون مبلغ ٢٦٥ الف دولار عرضها عليه مخرجون رفضوا أن يسندوا اليه دور البطولة.

أخيراً وافق المنتجان إروين وينكلر وروبرت تشارتوف على أن يؤدي ستالون دور روكي، بشرط اكتفائه بمبلغ ٧٥ ألف دولار إضافة الى عشرة في المئة من الارباح، إن لم تتخط موازنة الفيلم المليون دولار. ونجح أفيلدسن في إخراج الفيلم بكلفة لم تتجاوز ٩٦٠ الف دولار. وكان أخرج عام ١٩٧٣ فيلم "خلّص النمر"[٤] الذي حاز فيه الممثل جاك ليمون

(٣) The Italian Stallion
(٤) Save the Tiger

جائزة أوسكار لأفضل ممثل. وعلى مرّ السنين حقق فيلم "روكي" أرباحا فاقت كلفته بستين ضعفاً، وهو لا يزال يتصدّر لائحة "فارايتي"[٥] لأشهر مئة فيلم استناداً الى عائدات شبابيك التذاكر. زد على ذلك أن روكي بالبوا تابع مسيرة الملاكمة الشريفة في أربعة أفلام أخرى حاصداً ما يزيد على ربع مليار دولار.

فلا غرابة اذاً في أن يقول أفيلدسن إنه سمع روايات كثيرة من أناس أوحى الفيلم اليهم أنهم قادرون على "الصمود حتى الجولة الاخيرة."

ففي العام ١٩٧٧ حلّ أفيلدسن ضيفاً، بدور "المهرّج"، على "سيرك رينغلنغ وبارنوم وبايلي." فتقدمت منه بهلوانة هوائية تدعى دولي جاكوبز لتعرب له عن شكرها قائلة: "لقد منحني روكي الشجاعة لكي أتمرن ساعات طويلة على الحلقات الرومانية[٦] قبل أن أتقدم بطلب لتأدية عرضي الاول. كما منحني أملا وثقة بقدرتي على هذا العمل."

وبعد سنة واحدة على عرضها الأول أطلقت مجلة "نيوزويك" على دولي جاكوبز لقب "ملكة الحلقات."

"عربات النار."

كان المنتج البريطاني ديفيد بوتنام استأجر منزلا مفروشاً في لوس انجلس عام ١٩٧٦. وفيما هو يبحث مرة عن كتاب يتصفّحه لفت نظره كتاب "تاريخ موثوق للألعاب الاولمبية"[٧] للكاتب بيل هنري. فراح يطالعه الى أن وقعت عيناه على العبارة



الآتية حول الألعاب الاولمبية التي أجريت في باريس عام ١٩٢٤: "كانت المفاجأة الكبرى فوز أ. هـ. ليديل الطالب الاسكوتلندي المتديّن المتقوّس الساقين الذي منعه التزامه بالتقاليد من المشاركة في سباق المئة متر لأنه كان مقرراً ليوم أحد. فهو فاز في سباق الاربعمئة متر مسجلا رقما قياسياً."

فقال بوتنام في سرّه: "هذه شخصية لفيلم سينمائي عظيم. فهي تناضل من أجل قضية أكبر منها وتقدّم الواجب العقائدي على النجاح الدنيوي."

استعان بوتنام بالكاتب كولين ويلاند والمخرج هيو هدسون الذي كان أخرج أفلاماً وثائقية فحسب. وتضافرت جهود الثلاثة لانتاج فيلم "عربات النار"[٨] الذي يبرز القيم الأخلاقية العالمية.

أدى دور إريك ليديل في الفيلم ممثل اسكوتلندي من ادنبره يدعى أيان تشارلسون. كما أدى الممثل الايرلندي بن

---

(٥) Variety's list

(٦) الحلقات الرومانية حلقات كبيرة متدلية يستعملها البهلوان للقيام بالقفزات الهوائية.

(٧) An Approved History of the Olympic Games

(٨) Chariots of Fire

كروس دور هارولد ابرهام العدّاء الذي فاز في سباق المئة متر الذي امتنع ليديل عن الاشتراك فيه.

عندما تقدّم بوتنام من شركة "كولومبيا" للانتاج السينمائي عارضاً نص الفيلم، رفضته الشركة رفضاً قاطعاً. لكنه تمكّن من جمع المال اللازم لانتاج الفيلم، والبالغ ٥،٥ ملايين دولار، حصل على نصفه من شركة "فوكس للقرن العشرين" في مقابل حقوق التوزيع في الخارج بينما قدّم النصف الآخر دودي فايد إبن أحد أقطاب الشحن البحري في مصر. ولكن بعد الانتهاء من انتاج الفيلم قررت شركة "فوكس" عدم شراء حقوق التوزيع داخل الولايات المتحدة.

وحقق فيلم "عربات النار" نجاحاً باهراً. وقال فيه الناقد السينمائي النيويوركي ركس ريد: "إنه واحد من أفضل الأفلام التي صُنعت حتى الآن. فهو يتقصّى الحقائق الكونية بعمق ويعبّر عن مشاعر تعتبرها المعايير الحديثة المتهكّمة بالية."

وإلى ذلك، كان الفيلم من أهم العوامل التي أهّلت بوتنام لمنصب رئيس شركة "كولومبيا." وهو جاء برسالة الرفض التي كان تلقّاها من الشركة عندما عرض عليها قبلاً إنتاج الفيلم، وعلقها ضمن إطار على أحد جدران مكتبه.

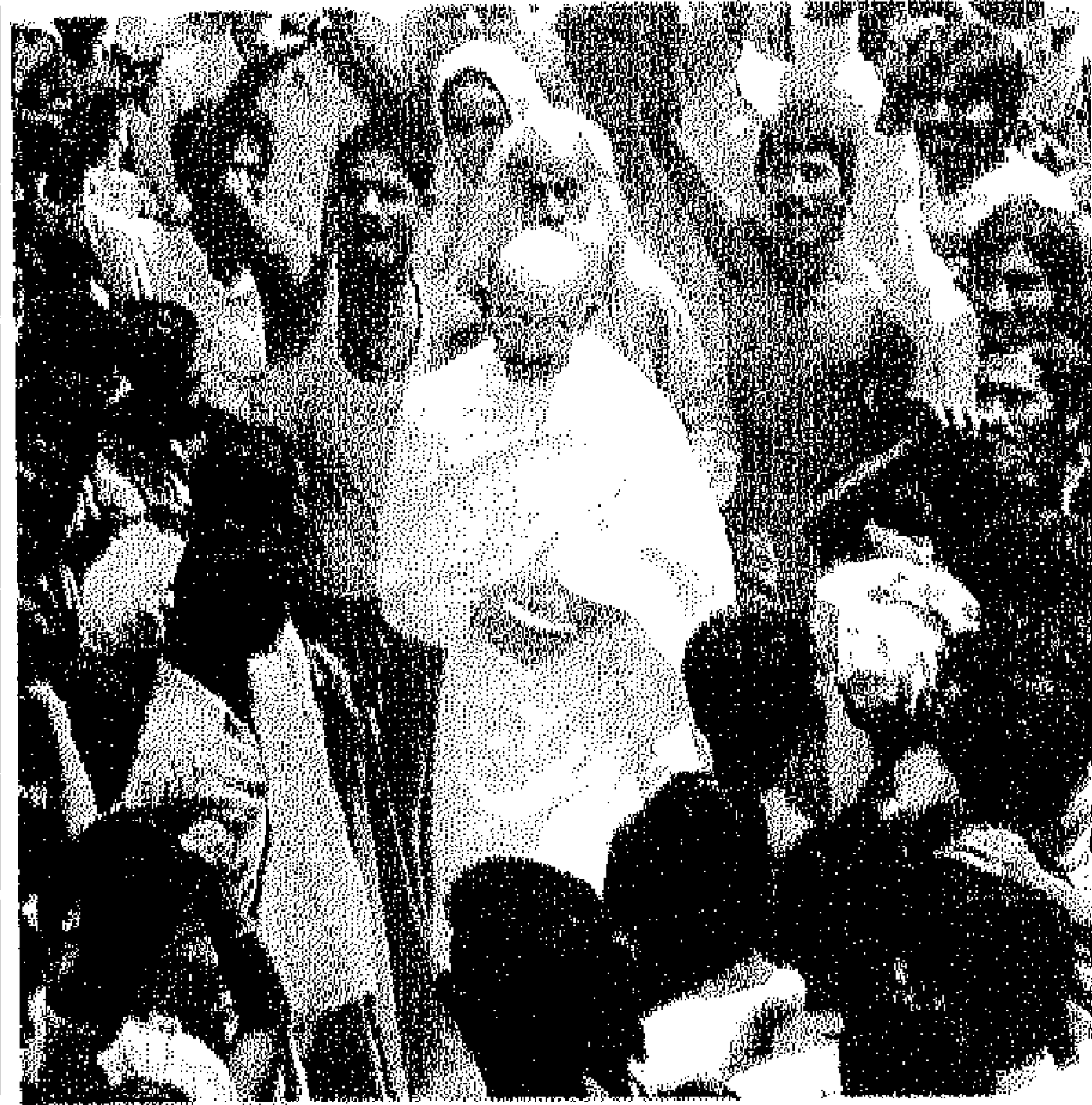
"غاندي." كان المهاتما[9] غاندي صائماً عن الطعام احتجاجاً على المجازر التي ارتكبت بعد إعلان التقسيم الذي أدّى عام ١٩٤٧ إلى قيام دولتي الهند الهندوسية والباكستان الاسلامية. وإذا بمواطن هندوسي يتقدّم منه مرتبكاً معترفاً بذنب كبير اقترفه: "لقد قتلتُ ولداً!" مضيفاً: "سحقتُ جمجمته بالحائط."

فسأله المهاتما: "لماذا؟"

فرد الرجل: "قتلوا ولدي. المسلمون قتلوا ولدي."

فقال له غاندي: "إنني أعرف طريقاً للخلاص من جهنم. أعثُرْ على ولد صغير قُتلت أمه وأبوه. واعتنِ بتربيته كأنه ولدك أنت. ولكن احرص على أن يكون الولد مسلماً وعلى أن تكون تربيته إسلامية."

فخرّ الوالد المفجوع المثقل بالذنب على ركبتيه وبكى عند قدمي غاندي.



عام ١٩٦٦ كان الهاجس الوحيد لريتشارد أتنبورو، الممثل البريطاني الناجح، أن يصنع فيلماً حول غاندي الذي

(٩) "مهاتما" كلمة سنسكريتية تعني"ذا الروح الكبيرة" وهي لقب موهانداس كرمشند غاندي.

PHOTO: © PHOTOFEST

لم يكفّ يوماً عن الايمان باللاعنف. وقال أتنبورو لأحد الصحافيين: "إن حياة هذا الرجل تشوقني، كذلك القيم التي كان يدافع عنها. لقد ضقت ذرعاً بأفلام هذه الايام. فكلها مملة، تافهة، غير هادفة."

الا أن فيلماً عن عملية اغتيال غاندي كان أنتج عام ١٩٦٢ بعنوان "تسع ساعات الى راما"[١٠] ولاقى فشلاً ذريعاً في تحقيق ربح مادي. فكان ردّ الاستوديوات الكبرى على عرض أتنبورو: "لا أحد يأبه لفيلم عن رجل يلتحف ملاءة."

وعلى مرّ السنين رفض أتنبورو تمثيل أربعين دوراً سينمائياً، كما رفض اثني عشر عرض إخراج لأنه كان يسعى الى تحقيق هدفه. حتى أنه لم يقبل منصب مدير مشارك للمسرح الوطني البريطاني لأن "هذا يعني التخلي عن غاندي الى الأبد."

وأخيراً تأمّن له المال من خارج القطاع السينمائي. فسافر الى بومباي عام ١٩٨١ ليخرج ملحمته.

تغطّي أحداث الفيلم نصف قرن من الصراع الهندي في ثلاث ساعات وثماني دقائق. وأدى دور غاندي الممثل بن كينغزلي البالغ من العمر ٣٧ عاماً، وهو من قدامى "فرقة شكسبير الملكية" في بريطانيا. مثّل كينغزلي حياة غاندي بين ١٨٩٤ و١٩٤٨، أي منذ كان الزعيم الهندي في السن الخامسة والعشرين محامياً تلقّى علومه في لندن وتعرّض للطرد من مقصورة الدرجة الأولى في أحد قطارات أفريقيا الجنوبية، وحتى اغتياله على يد هندوسي متعصب وهو في طريقه لتأدية صلاة المساء في نيودلهي. كان كل مشهد من الفيلم يعبّر عن معتقدات غاندي: "عندما يتملّكني اليأس، أتذكّر أنه، على مرّ التاريخ، كانت طريق الحق والحب وحدها الرابحة في النهاية. كان هناك طغاة وقتلة بدوا لفترة كأنهم لا يُقهرون. لكنهم في النهاية كانوا دائما يسقطون... دائماً."

وعندما قصد أتنبورو لوس انجلس عارضاً فيلمه على كبار الموزّعين، قال لصحيفة "نيويورك تايمز": "ان الشركات التي رفضت انتاج الفيلم في السنوات العشرين المنصرمة تتسابق اليوم للحصول عليه."

وقبل توزيع جوائز الاوسكار كان فيلم "غاندي" حصد من شبابيك التذاكر في الولايات المتحدة وحدها ٣٨ مليون دولار. وعندما حاز ثمانية أوسكارات، بينها أوسكار أفضل مخرج لأتنبورو وأوسكار أفضل ممثل لكينغزلي وأوسكار أفضل فيلم للعام ١٩٨٢، أعلنته "نيويورك تايمز" نفسها "حَدَثاً لا يفوَّت."

"سائق الآنسة ديزي." عام ١٩٨٩ كانت الجماهير تصفق وتهلّل لسيدة عجوز هي الآنسة ديزي ورثان (مثلت دورها جسيكا تاندي) وسائقها الزنجي هوك كولبرن (مورغان فريمان) اللذين ربطتهما صداقة في الجنوب

(١٠) Nine Hours to Rama



الامريكي بين الخمسينات والستينات من هذا القرن حين كان التمييز العنصري على أشدّه.

ولكن قبل سنتين من إنتاج الفيلم حاول المنتج ريتشارد زانوك وزوجته ليلي إقناع كبرى استوديوات هوليوود بإنتاج فيلم "سائق الآنسة ديزي"[١١] فكانا يُجبهان دائماً برفض قاطع.

قال لي زانوك: "كانوا يريدون ممثلاً مثل طوم كروز وأحداثاً صاخبة كسباقات السيارات، في حين أن فيلم ديزي يخلو من الاسماء الكبيرة والأحداث الصاخبة."

ولكن لماذا كان هاجس زانوك وزوجته إنتاج فيلم يؤكد الجميع حتمية اخفاقه؟

يجيب زانوك: "لأن فيه قلباً، شيئاً يحس كل فرد أنه معنيّ به. وفي غالب الاحيان لا يأخذ منتجو الافلام مشاعر الناس في الاعتبار. لقد سمعت ألوف الناس في أرجاء البلاد يتكلّمون بلسان واحد: "إننا لا نجد فيلماً يستأهل أن نشاهده." وهم يعنون أنهم يهتمون بمضمون الفيلم أكثر من اهتمامهم بالنجوم المتألّقة فيه وبأحداثه المتهورة."

ولكي يتمكن زانوك وزوجته من إنتاج فيلم "سائق الآنسة ديزي" قَبلا بنصف المبلغ الذي كان مرصداً له، أي نصف ١٥ مليون دولار.

ويقرّ زانوك: "أمضيت معظم وقتي محاولاً إقناع الناس كم نحن فقراء. وكانت إحدى حججي أن فيلماً كهذا لا بدّ أن يستمر عرضه إلى ما لانهاية. قلت لصاحب أحد متاجر المواد الغذائية: اسمح لنا بأن نصوّر مخزنك، وعندما ينتج الفيلم على كاسيت فيديو ففي إمكانك أن تدعو جميع أصدقائك وتريهم المشهد الذي يظهر فيه مخزنك، وهكذا تعرض مشهد المخزن على الناس الى الأبد!"

ويضيف زانوك: "عندما كنا في صدد انتاج الفيلم، كانت هذه الافكار مجرد أهواء وأمنيات. ولكن بعدما فزنا بالاوسكار سألني صاحب ذلك المتجر: "كيف كنت على يقين من أن ذلك سيحصل؟"

لقد حصل ذلك فعلاً لأن فيلم "سائق الآنسة ديزي" يدور حول شخصيتين مدهشتين هما ديزي والسائق هوك الذي تحمّل بكرامة إجحاف تلك السيدة وتعاليها، وهي ما انفكت تقول لابنها وقد قاربت التسعين من عمرها: "لم أكن

---
(١١) Driving Miss Daisy

PHOTO: © GAMMA / LIAISON

مجحفة في حياتي، وأنت تعرف ذلك."

نشاهد في الفيلم بداية التحوّل في موقف ديزي مع هبوب عاصفة جليدية أدّت الى انقطاع التيار الكهربائي عن مدينة أتلنتا في ولاية جورجيا. ويتمكّن هوك بصعوبة بالغة من الوصول الى منزل ديزي عبر الطرق المغطاة بالجليد، فيقول لها: "فكرت في أن موقدك تعطل حتماً وأن لا بدّ لك من تناول قهوتك الصباحية."

وفي نهاية الفيلم تمسك ديزي بيد السائق الاسود وتعترف له: "إنك أفضل صديق لي. فعلا. فعلا."

ويظهر فيلم "سائق الآنسة ديزي" على لائحة "فارايتي." وقد حازت جسيكا تاندي جائزة أوسكار لأفضل ممثلة عن دورها في هذا الفيلم. كذلك رُشح للجائزة كل من مورغان فريمان ودان أكرويد الذي مثل دور ابن ديزي.

يقول فريمان: "عندما كنت صغيراً كنت أطمح الى أن أصبح نجماً سينمائياً. وفي وقت من الاوقات بدأت أفكر: لا، النجومية لا، لا تساوي شيئاً، أنا أريد أن أغيّر مواقف الناس. أريد صنع أفلام تُصلحنا. أريد أن أكون قوة شافية."

ويضيف: "لي رهان كبير على المستقبل. وأعتقد أن أفلاما مثل سائق الآنسة ديزي ستحقق آمالي. إني أردد دائماً على مسامع أولادي وأحفادي أن قوة الارادة وحدها تصنع الامور العظيمة."

يقول افيلدسن: "الأفلام العظيمة تضم شخصيات عظيمة تنصر قضايا أكبر منها هي القيم الصالحة."

والواقع أن هذه الافلام الاربعة التي حازت تنويه النقاد وحققت أرباحاً مادية كبيرة ونالت شهرة عالمية واسعة، تدور جميعها حول قيم عامة تعكس الخير الجوهري في نفوس الناس. وهذه القيم هي: العمل الجاهد واحترام الذات وحب العائلة والاصدقاء والمجتمع والايمان بالله عز وجل، وخصوصاً في عصر كهذا حيث يدور كثير من الأفلام حول العنف المتهوّر والمشاهد الفاضحة. لذا نرى الجمهور يتلقف بلهفة الافلام التي تخلو من هذين العنصرين. وفي رأي المخرج الهوليوودي مارك ريديل أننا "نرى في هذه الافلام كيف يستطيع الفرد وحده أن يؤثر في حياته وفي حياة الآخرين."

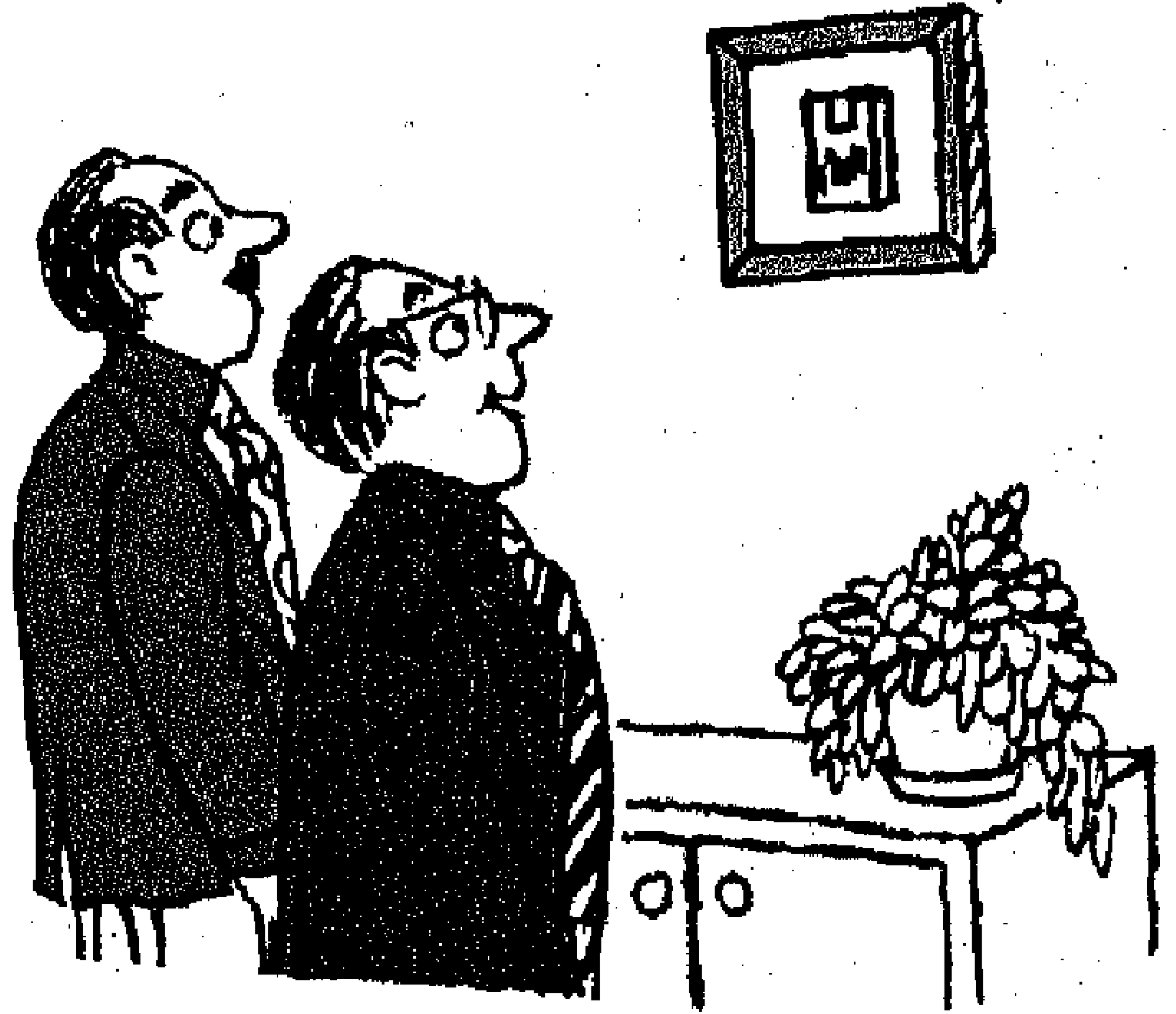
وهذه الأفلام تمنحنا الأمل أيضاً. يقول مورغان فريمان: "لا تستطيع أن تبيع الناس يأساً. فلن يشتروه، لأنهم يحصلون عليه مجاناً."

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١ أُقيمت صلاة لراحة نفس فرانك كابرا. وفي كلمة تأبين قدّم أفيلدسن فكرة إضافية عن سبب إنتاج الأفلام العظيمة، فقال: "من الرسائل التي تبثّها أن أفراداً عاديين قادرون على القيام بأعمال خارقة. ونحن لا ننفك نعود لسماع تلك الرسالة، نعود لننهل من بئر المياه الصالحة."

جون كالهين ■

يُفتّح الليل الازهار بصمت، ويدع للنهار ان يتلقى الشكر. طاغور

ممنوع التدخين



"هذه آخر علبة سجائر دخنتها."

J.G. FARRIS



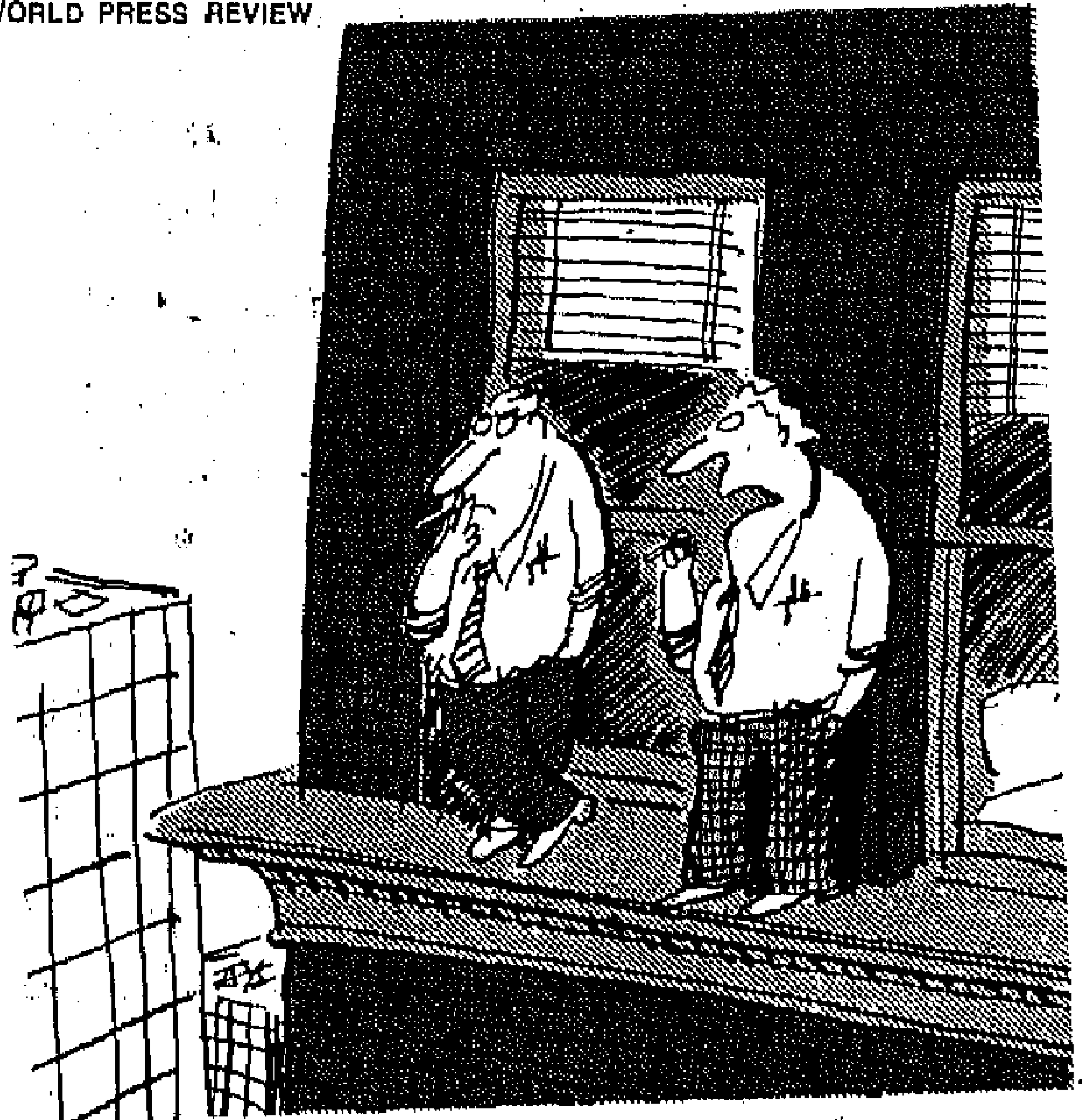
بدون تعليق.

HOLTZ / SUDDEUTSCHE ZEITUNG / MUNICH IN WORLD PRESS REVIEW



"هذا هو عالم مارلبورو!"

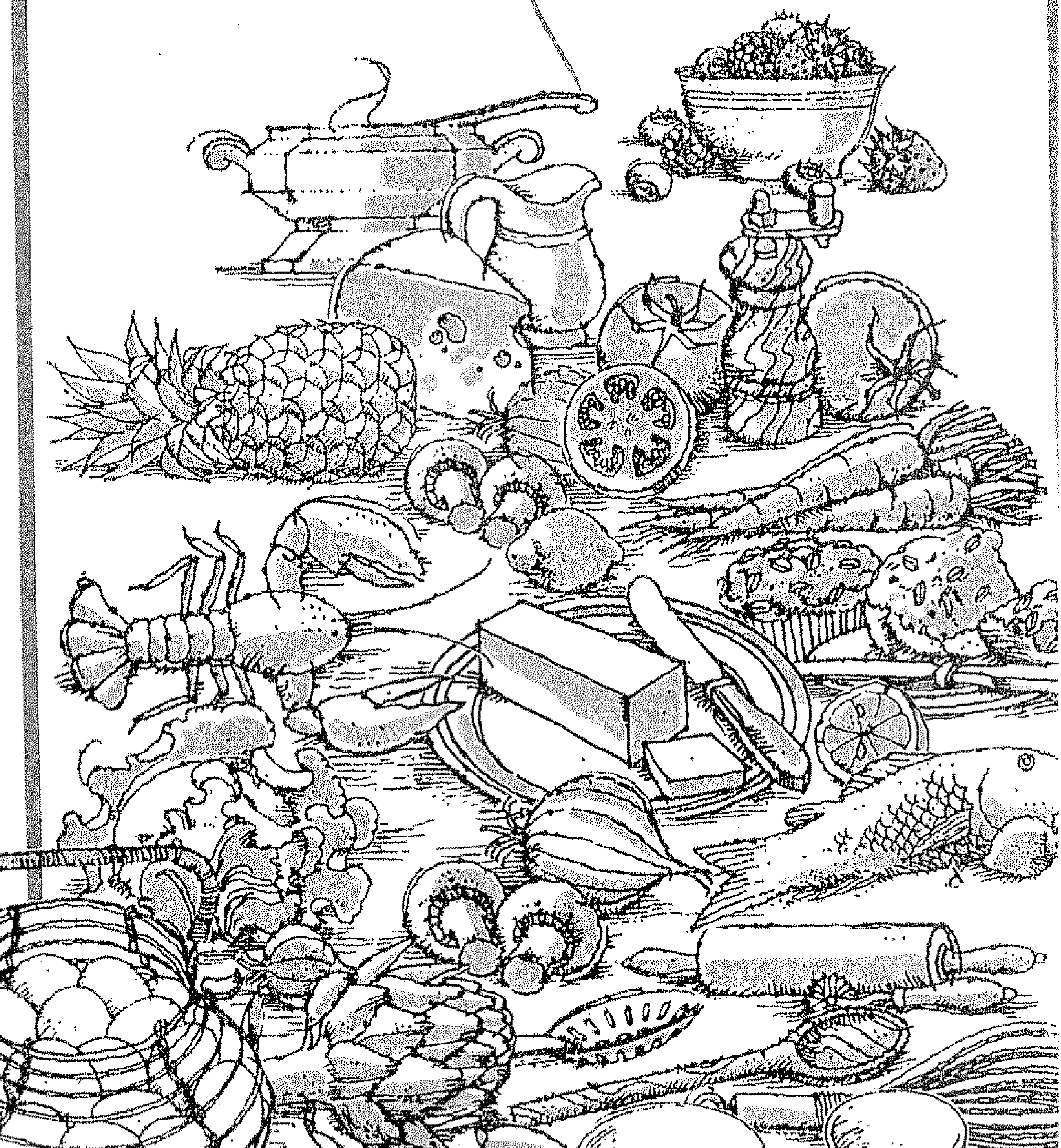
TOPPIX, TRIBUNE MEDIA SERVICES



"لا نزال أفضل حالا من غيرنا، فهناك شركات كثيرة حظرت التدخين كليا."

STAYSKAL, TRIBUNE MEDIA SERVICES

اخترنا لكم



فاجعلوا من تحبّون بهديّة لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار) كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد وذكرى الزواج وعيد الحب...

فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟

فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٩٢/١/١ و١٩٩٢/١٢/٣١ فما عليكم الا ملء القسيمة بخط واضح باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العناوين الآتية:

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165 Beirut-Lebanon
(Telex 43321 ALBANK)

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب ٧١٦٥-١١٣ بيروت - لبنان

AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex International Courier
P.O.Box 3841,
Deira-United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar, B.P. 819
94549 Orly Aerogare-France

مع اخلص تمنياتنا

اسم المهدى اليه ____________

____

عنوانه ____________

____

المناسبة وتاريخها ____________

توقيع المهدي ____________

الى كم كوب من الماء يحتاج المرء يومياً ؟

☐ ٢ اكواب ☐ ١٢ كوب ☐ ٣٠ كوب

اي بلد هو المنتج لشراب تانغ ؟

☐ فرنسا ☐ انكلترا ☐ الولايات المتحدة

ما هي الفاكهة الاكثر شهرة في لبنان ؟

☐ التفاح ☐ الليمون ☐ العنب

كم كوب عصير يصنع مرطبان تانغ ٧٥٠غ (الكوب يساوي ٢٥٠ ملل)

☐ ٢٤ ☐ ٣٥ ☐ ٥٠

تقدر حاجة الانسان العادي من الفيتامين "ج" "C" بـ ٥٠ مليغراما يوميا يمكن الحصول عليها بتناول كوب واحد من عصير تانغ او :

☐ ٥٠غ برتقال ☐ ١٠٠غ برتقال ☐ ٢٠٠غ برتقال

ما هي عدد نكهات تانغ ؟ عددها

☐ ٤ نكهات ☐ ٦ نكهات ☐ ١٠ نكهات

ما هو البلد الاول في انتاج المانغا ؟

☐ الهند ☐ روسيا ☐ مصر

ما هو عدد الوحدات الحرارية في كوب واحد من شراب تانغ بدون سكر؟

☐ ١ وحدة ☐ ٦ وحدات ☐ ١٢ وحدة

اي من هذه المكملات الغذائية اكثر فاعلية ؟

☐ الفيتامينات الطبيعية ☐ الفيتامينات الاصطناعية ☐ للنوعين فاعلية متساوية

ما هي اول شركة عالمية التي اخترعت بودرة عصير تانغ ؟

☐ يونيليفر ☐ بروكتر و غامبل ☐ جنرال فودز

ما هو البلد الاول في انتاج الليمون ؟

☐ اليابان ☐ المملكة البريطانية ☐ الولايات المتحدة

ما هو اكبر بلد من حيث عدد السكان ؟

☐ الاتحاد السوفياتي ☐ الهند ☐ الصين

<u>شروط المسابقة</u>

. املا القسيمة بالاجوبة الصحيحة

.تسلّم القسائم بعد ملئها، مرفقة بـ ١٠ غلافات تانغ الى احد المراكز التالية:

بيروت: × شركة جدع اخوان ، شارع كليمنصو ، بناية المريسي ، هـ: ٣٥١٢٠٧

× شركة جدع اخوان ، ذوق مكايل ، تجاه مستودع صنين

× شركة بيمو غروب للاعلان والتسويق ، الاشرفية شارع مطران مسرّه بناية باسيلا

الجنوب : ×شركة كاديس خليفة ، مفرق الغازية قرب محطة غدار للمحروقات ، هـ: ٢٦٠ / ٣١ / ٨٦٢٠.

الشمال :×مؤسسة ميشال لطيف . طرابلس ، شارع شفيق كرامي ، بناية قباني ، هـ : ٣٣ / ٤٣٢٠ / ٦٠.

" ان كل مشترك اجاب اجابة صحيحة ولم يحالفه الحظ في السحب ، يحصل على جائزة ترضية"

يجري السحب في ٢٠ تشرين الثاني على شاشة التلفزيون.

ما مجموع الوحدات الحرارية التي يحتاج اليها الجسم العادي يوميا ؟

☐ ١٥٠٠ وحدة ☐ ٢٠٠٠ وحدة ☐ ٣٠٠٠ وحدة

ما هي الفاكهة التي تحتوي على اكبر نسبة من الفيتامينات ؟

☐ الدراق ☐ الليمون ☐ الكيوي

كم حجم يوجد من تانغ نكهة البرتقال ؟

☐ ٢ ☐ ٣ ☐ ٤

كم وحدة حرارية يحوي كأس من شراب تانغ ١٩٠ ملل. ؟

☐ ٣٠ ☐ ٦٠ ☐ ٩٠

في اي نوع من الرياضة يستهلك الجسم العادي عدد اكبر من الوحدات الحرارية في الساعة ؟

☐ الركض ☐ رياضة الايروبيك ☐ السباحة

ما هو البلد الاول في تصدير فاكهة الاناناس ؟

☐ السويد ☐ غوديلوب ☐ جزر تاهيتي

اي من هذه المنتوجات تابعة للشركة التي تنتج شراب تانغ ؟

☐ جلو ☐ دريم ويب ☐ ماكسويل هاوس

ما هي كمية الدسم الموجودة في كوب (١٩٠ ملل.) من شراب تانغ ؟

☐ ٣٠ ☐ صفر ☐ ٩٠

ما الذي يسبب سوء التغذية ؟

☐ قلة الغذاء ☐ رداءة نوعية الغذاء ☐ المرض

ما هي المنطقة الفرنسية الاكثر شهرة في انتاج الفريز ؟

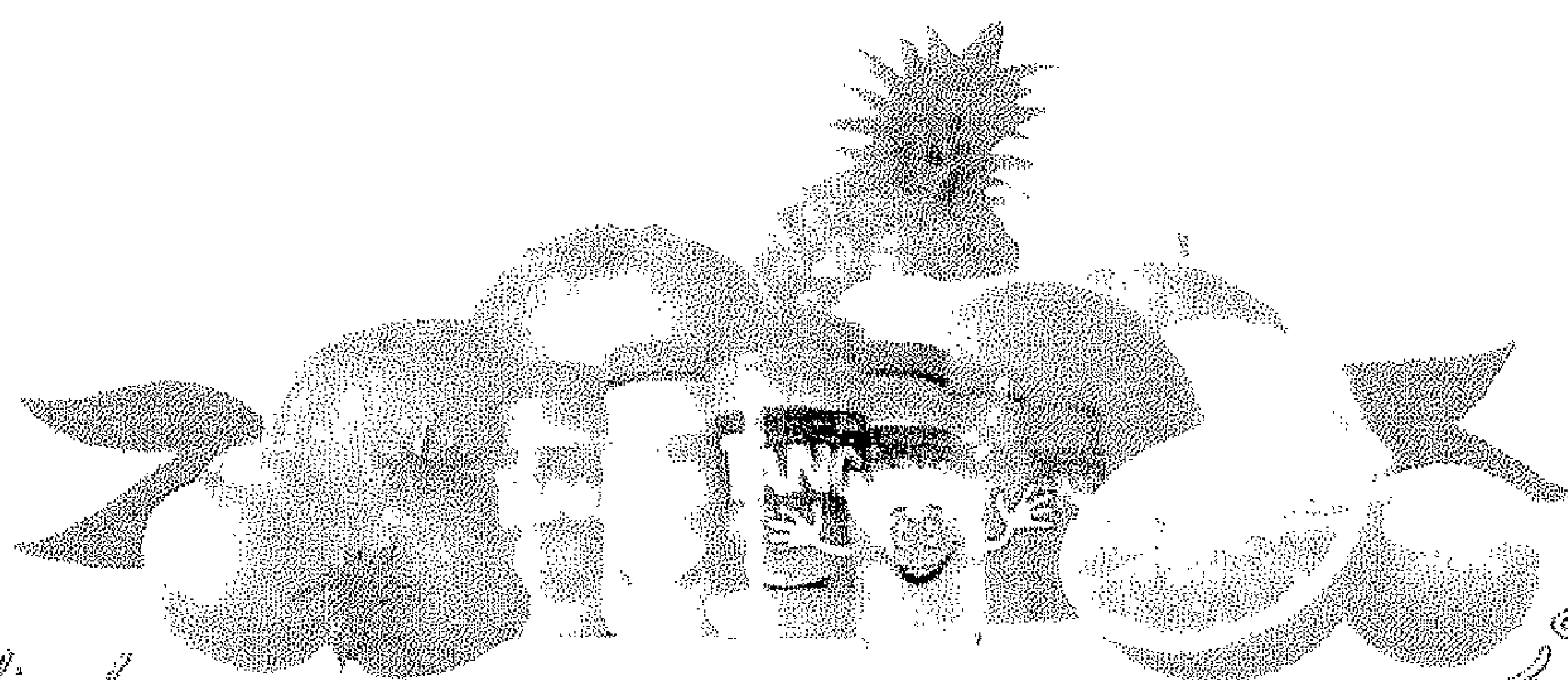
☐ الالزاس ☐ الاكيتان ☐ اللوار

كم يشكل الماء من وزن جسم الانسان تقريبا ؟

☐ الربع ☐ الثلث ☐ الثلثين

كم مرّة توجد كلمة تانغ بالاجنبية على مجمع تانغ ٧٥٠ غ ؟

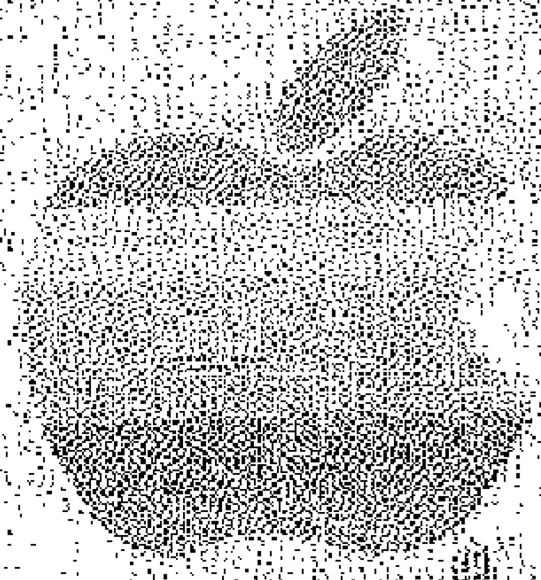
☐ ٢ ☐ ٥ ☐ ٦



Catch the fruity feeling!

اكتشف احساس الفاكهة!

جوائز مسابقة تانغ القيّمة



Apple Computer

٣ كمبيوتر "Apple Macintoch classic"

SEIKO

٦ ساعات سايكو "PILOT WATCH"

٥ ساعات سايكو "SPORT TECK"

٢٠ ساعة سايكو "DIGITAL"

SHARP

(جيتكو الوكلاء الحصريّون)

١ تلفزيون ٢٠ إنش

١ ڤيـديـو

٢ ستيريو "DOUBLE CASSETTE + COMPACT DISC"

١٠ واكمن "WALKMAN"

الاسم

العنوان

هاتف

الاسم :

العنوان :

هاتف :

احفظ هذه القسيمة فقط

الاسم :

العنوان :

هاتف :

كوسا مع الفطر بالعجين

المقادير

كوب من الدقيق.

١½ كوب ونصف الكوب من الماء الدافىء.

ملعقة طعام من الزيت.

ملعقة صغيرة من حبوب الخميرة.

رشة ملح ورشة فلفل حرّيف.

الحشو

١/٢ كوب من الكوسا المفروم بحجم حبة البندق.

١/٢ كوب من الفطر المعلّب او الطازج المفروم فرما خشنا.

ملعقة طعام من البقدونس المفروم فرما ناعما.

شرائح بصلة صغيرة.

رشة بهار ورشة قرفة ورشة ملح.

الطريقة

- تنثر حبوب الخميرة فوق نصف كوب من الماء الدافىء وتترك جانباً مدة ٥ دقائق حتى ينتفخ المزيج.
- يضاف مزيج الخميرة والزيت وبقية الماء إلى الدقيق والملح ويخفق العجين ثم يغطى ويترك في مكان دافىء حتى يتضاعف حجمه.
- يخلط الكوسا والبصل والفطر والبقدونس والتوابل جيداً ويترك جانبياً.
- يخفق العجين مرة أخرى بعد أن يتضاعف حجمه.
- تملأ قدر بالزيت إلى نصفها وتوضع على النار المتوسطة الحرارة.
- تزال شرائح البصل من بين الخضر وتضاف هذه إلى العجين.
- عندما يحمى الزيت جيداً تملأ ملعقة صغيرة بخليط العجين والكوسا والفطر وتصب في الزيت بانتباه.
- تحرك وتقلب كرات العجين بالخضر حتى يصبح لونها ذهبياً.
- ترفع الكرات من الزيت بملعقة كثيرة الثقوب وتوضع فوق ورق أبيض كي يمتص الزيت الفائض.
- تقدم كرات العجين ساخنة.

(الكمية لـ ٨ اشخاص)

ملاحظة: إذا كان الفطر طازجاً ينقع بماء فيه عصير ليمونة حامضة مدة نصف ساعة ثم يجفف ويفرم بحسب الطلب.

الدجاج مع الرز

المقادير

دجاجة واحدة وزنها كيلوغرام ونصف كيلو.

١/٤ كوب من السمن.

١/٢ كوب من البصل المفروم.

فصا ثوم مهروسان.

بندورة واحدة كبيرة.

٣ أكواب من الماء الساخن.

كوب من الرز غير المطبوخ.

ملعقة طعام من البقدونس المفروم.

٢ ملعقتان صغيرتان من الملح.

١/٢ ملعقة صغيرة من الفلفل الأحمر.

١/٤ ملعقة صغيرة من البهار.

١/٤ ملعقة صغيرة من العصفر.

ورقة غار.

الطريقة

- تُفرَّغ الدجاجة ثم تقطَّع قطعاً أو أقساماً مُرتَّبة. ثم تغسل وتجفف.
- توضع مقلاة كبيرة على نار متوسطة ويضاف إليها السمنُ والبصل والثوم وتقلّب المواد جيداً حتى يذبل البصل.
- يرفع البصل بملعقة كثيرة الثقوب ويوضع جانباً.
- تضاف قطع الدجاج السمينة أولاً إلى المقلاة ثم تضاف القطع الباقية عندما تبدأ القطع السابقة بالاحمرار وتقلّب القطع حتى تحمرَّ جميع جوانبها.
- في هذه الأثناء تغسل البندورة وتفرم فرماً خشناً.
- تضاف قطع البندورة والبصل والبقدونس والتوابل إلى قطع الدجاج المحمَّرة في المقلاة.
- يضاف الماء الساخن إلى خليط الدجاج والبندورة وعندما يغلي الخليط، يضاف الرز إلى الدجاج.
- تغطى المقلاة وتترك على نار هادئة مدة ٤٥-٦٠ دقيقة أو حتى تصبح قطع الدجاج طريّة عندما توخز بالشوكة.

(الكمية لـ ٦ أشخاص)

الرز بالزبيب واللوز

المقادير

٢ كوبا رز.

١/٢ ملعقة صغيرة من كل من حب

الهال المطحون، الزعفران، البهار، والقرفة.
بصلة مفرومة فرماً ناعماً.
أوقية لحم ضأن، مفرومة.
١/٢ كوب زبيب.
٣ أكواب من خلاصة الدجاج أو خلاصة اللحم.
١/٢ كوب سمن أو زيت.
١/٢ كوب لوز مقشر ومفلوق نصفين.
...ة صغيرة من الملح.

الطريقة

- يغسل الرز عدة مرات وينقع بالماء الدافىء.
- يلوّح اللوز بالسمن حتى يصبح ذهبي اللون.
- يرفع اللوز من السمن ويضاف البصل المفروم ويحرك على النار حتى يذبل.
- يضاف اللحم المفروم إلى البصل ويحرك على النار مدة ٥ دقائق. ثم تضاف البهارات والملح والزبيب إلى اللحم ويحرك.
- يضاف خلاصة الدجاج إلى اللحم وتوضع على النار ليغلي المزيج.
- يصفى الرز ويضاف إلى المرق ويحرك.
- بعد ٥ دقائق يحرك خليط الرز بالشوكة ويغطى ويترك على النار الخفيفة مدة ٣٠ دقيقة.

(الكمية لـ ٤ أشخاص)

عجة الأرضي شوكي (خرشوف)

المقادير

٤ أربع دوائر مقشرة من الأرضي شوكي (معلّبة).
١/٤ ربع كوب من الزبدة.
٦ بيضات.
٣ ثلاث ملاعق طعام من الحليب.
٣ ثلاث ملاعق طعام من الجبن المبشور (غروبير).
ملعقة صغيرة من الملح، رشة بهار، رشة فلفل أسود.

الطريقة

- تقسم دوائر الأرضي شوكي قطعاً صغيرة ثم توضع في قدر وتضاف إليها ملعقتا طعام من الزبدة.
- توضع القدر على النار وتحرك الأرضي شوكي على النار المتوسطة مدة ٥ دقائق.
- يخفق البيض والحليب والملح والبهارات مدة دقيقة.
- توضع ملعقتا طعام من الزبدة في مقلاة قطرها ٣٥ سنتيمتراً وتوضع على النار حتى تحمى الزبدة.
- يصب البيض المخفوق في المقلاة وبعد دقيقة تخفّف النار تحت المقلاة وتترك حتى يجمد الخليط من جميع الجهات.
- تصف قطع الأرضي شوكي على مساحة نصف العجة ثم يطوى النصف الآخر من البيض على النصف الأول حتى يغطي الأرضي شوكي ثم تسكب في طبق وتقدم حالاً.

(الكمية لـ ٣ أشخاص)

الرز بالخضر والجبن

المقادير

١/٤ كوب سمن أو زيت.
بصلتان كبيرتان مقطعتان شرائح.
فصّان من الثوم.
١/٢ كيلو بندورة مقطعة شرائح.
كوب رز طويل (امريكي).
كوب بازيلا.
١/٤ كوب من الكرافس المفروم.
١/٢ كوب من الجزر المفروم.
١/٢ ملعقة طعام من الملح.
١/٢ ملعقة صغيرة من كل من حب الهال المطحون، القرفة، الفلفل، الزعفران ورشة كركم (عقدة صفراء).
١/٢ كوب بقدونس مفروم فرماً ناعماً.
٢ كوبان من شرائح الجبن الأصفر Cheddar

الطريقة

- يلوّح البصل بالسمن على نار خفيفة مدة ٥ دقائق ثم يضاف إليه الثوم المفروم والبندورة والكرافس والجزر، ويحرك الخليط على النار الخفيفة مدة ١٠ دقائق أخرى.
- يضاف الملح والتوابل إلى الخضر ويحرك الخليط.
- يضاف الرز المغسول والبازيلا والبقدونس إلى خليط الخضر ويحرك بشوكة كبيرة ويغطى.
- يترك الخليط على نار خفيفة مدة نصف ساعة.
- يضاف البقدونس والجبن إلى الخليط ويحرك بانتباه بشوكة كبيرة.
- يسكب الرز في طبق كبير ويقدم ساخناً مع طبق الدجاج أو اللحم.

(الكمية لـ ٣ اشخاص)

ملوخية بالدجاج (مصرية)

المقادير

١/٢ كيلو من أوراق الملوخية.
دجاجة واحدة متوسطة الحجم (وزنها كيلوغرام).
١/٤ كيلو من لحم الضأن (الموزات) مع بعض العظام.
١٠ أكواب من الماء.
ملعقة طعام من الملح.
٢ باقتان من الكزبرة الخضراء.
ملعقة طعام من الكزبرة اليابسة الناعمة.
١/٢ كوب سمن أو زبدة.
٢ رؤوس ثوم مقشرة.
بصلة واحدة.
١/٢ ملعقة صغيرة من القرفة.
رشة فلفل أسود.
ملعقتا طعام من عصير الليمون الحامض.

الطريقة

- تنظف الدجاجة من الريش الناعم والوبر.
- يفرغ داخل الدجاجة من القوانص وتقطع بحسب الطلب.
- تغسل الدجاجة المقطعة وتوضع في قدر من اللحم والعظام والبصلة.
- يضاف الماء إلى اللحم والدجاج ويوضع القدر على النار حتى يغلي الماء. عندها تزال زفرة اللحم أو الزبد عن سطح المرق، ويغطى القدر ويترك على نار خفيفة مدة ساعة.
- تغسل أوراق الملوخية وتصفى وتجفف الأوراق بوضعها فوق قطعة قماش كبيرة في الهواء الطلق.
- تفرم أوراق الملوخية الجافة فرماً ناعماً بسكين معقوف خاص.
- تفرم الكزبرة الخضراء فرماً ناعماً وتغسل وتصفى ثم يقشر الثوم وتدق نصف كمية الثوم مع الكزبرة اليابسة، والنصف الباقي يضاف إلى اللحم كي ينضج معه.
- يوضع السمن في مقلاة على نار متوسطة الحرارة وتضاف الكزبرة الخضراء والثوم المدقوق مع الكزبرة اليابسة إلى السمن وتحرك المواد على النار حتى تذبل الكزبرة الخضراء.
- عندما ينضج اللحم والدجاج يصفى المرق ويوضع اللحم والدجاج جانباً وتنزع العظام من الدجاجة.
- يوضع المرق في القدر على نار متوسطة الحرارة وتضاف إليه قطع اللحم وخليط الكزبرة والثوم وعصير الحامض والملوخية المفرومة والملح.
- تترك الملوخية مدة ٥ دقائق على النار بعد أن تغلي حتى لا يسودّ لونها.
- يرتب لحم الدجاج في طبق ويقدم مع الملوخية الساخنة والرز إلى جانب بصلة مفرومة في كوب من الخل.

(الكمية لـ ٧ اشخاص)

الرز مع الكاري

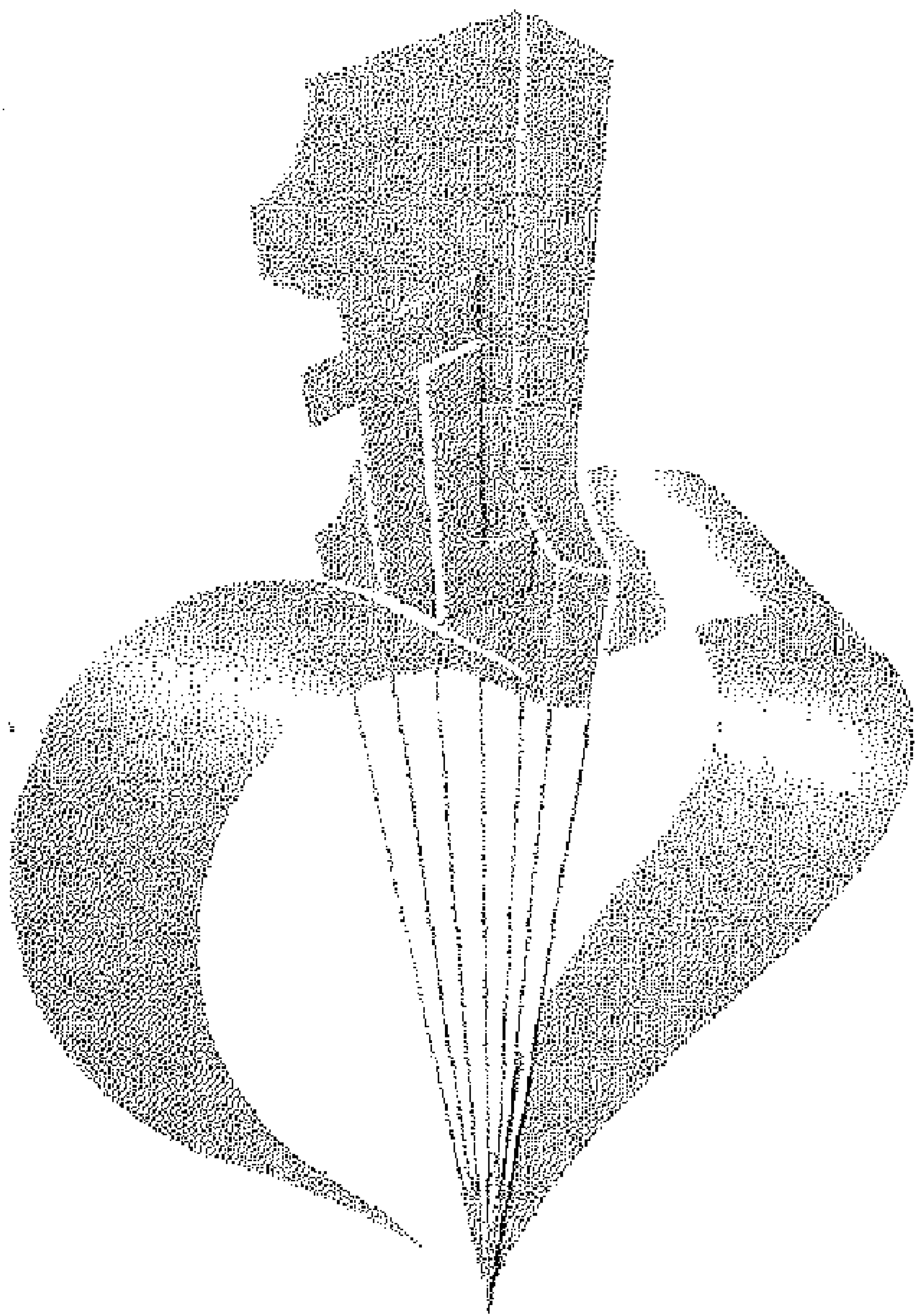
المقادير

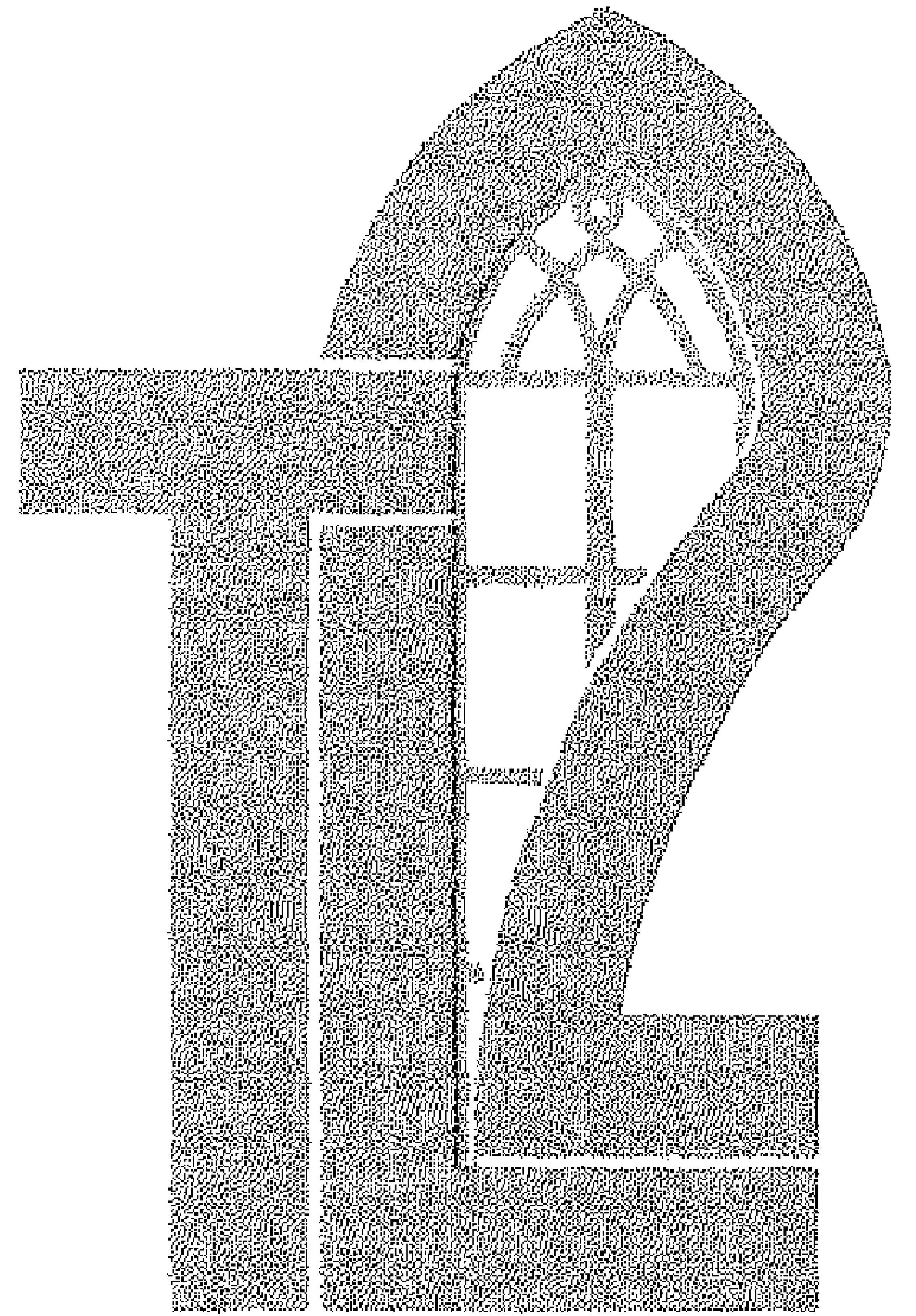
كوب رز طويل (أميريكي).
٢ كوبا ماء.
بصلتان مفرومتان فرماً ناعماً.
١/٢ كوب زيت أو زبدة.
ملعقة طعام من الكاري.
١/٢ كوب من البندورة المفرومة فرماً ناعماً.
ملح وبهار بحسب الرغبة.
كوب من حبوب البازيلا (البسلة).
١/٢ كوب فليفلة حلوة مفرومة فرماً ناعماً.

الطريقة

- يوضع الزيت أو الزبدة في القدر ويلوّح البصل والفليفلة المفرومة على نار متوسطة الحرارة مدة ٥ دقائق.
- تضاف البندورة المفرومة إلى البصل وتحرك مع البصل على النار مدة ٥ دقائق أخرى.
- يضاف الماء والملح والتوابل والكاري إلى البصل والبندورة والفليفلة.
- يغسل الرز ويصفى ويضاف مع البازيلا إلى خليط البصل ويحرك.
- تغطى القدر وتترك على نار متوسطة الحرارة مدة ١٠ دقائق، ثم تخفف الحرارة وتترك القدر على النار مدة ٤٥ دقيقة.
- يحرك الرز بالكاري بشوكة كبيرة ويقدم ساخناً مع طبق الدجاج أو اللحم.

(الكمية لـ ٣ اشخاص)





حساء الفاصوليا البيضاء

المقادير

٧ أكواب ماء للنقع.
٢١/٢ كوبان وثلث الكوب من حبوب الفاصوليا الصغيرة.
٧ أكواب ماء.
ملعقتان صغيرتان من الملح.
٢ اوقيتان من اللحم مع العظم.
رشة فلفل أسود ورشة قرفة.
٣ حبات بطاطا متوسطة الحجم مسلوقة ومفرومة.
٣ بصلات مفرومة فرما ناعما.
٢ ملعقتا طعام من البقدونس المفروم.
فص من الثوم.
عصير ليمونة واحدة.

طريقة

تنقى الفاصوليا من الأوساخ وتغسل وتصفى.
يوضع ٧ أكواب من الماء في قدر محكمة الغطاء وعندما يغلي الماء تضاف حبوب الفاصوليا الى الماء بالتدريج حتى لا يبرد الماء وتغطى القدر جيداً.
تترك الفاصوليا تغلي على النار مدة ٣ دقائق ثم ترفع عن النار وتترك القدر مغطاة مدة ساعتين او تنقع أثناء الليل بالماء الساخن.
تصفى الفاصوليا وتوضع في القدر ويضاف اليها ٧ أكواب من الماء.
يضاف اللحم والعظم والفلفل الى الفاصوليا وعندما يغلي الماء تزال زفرة اللحم بملعقة كثيرة الثقوب ثم تغطى القدر وتترك على النار الخفيفة مدة ساعتين.

- يضاف البصل والبطاطا المسلوقة والملح والثوم وعصير الحامض الى القدر ثم تغطى وتترك على النار الخفيفة مدة ساعة أخرى.
- يزال العظم ويقطع اللحم الى قطع صغيرة ثم تضاف التوابل الى الحساء ويقدم حالا.

(الكمية تكفي ١٠ أشخاص)

صدر الدجاج المحمّر بالكعك

المقادير

٤ صدور دجاج، مسلوخ جلدها ومنزوعة عظامها.
١/٤ كوب من الزبدة.
ملعقة طعام من البقدونس المفروم.
ملعقة صغيرة من الصعتر الأخضر المفروم.
فصان من الثوم، مهروسان.
عصير نصف ليمونة.
نصف ليمونة مبشورة.
ملح وبهار.
دقيق.
بيضة واحدة، مخفوقة.
٣/٤ كوب من الكعك المطحون.
زيت للقلي.
ليمونة واحدة مقطعة أرباعا.

الطريقة

- توضع صدور الدجاج بين ورقتين من الورق المشمّع وتدقّ بمطرقة اللحم حتى تصبح مسطحة ورفيعة.
- تُنعَم الزبدة بواسطة ملعقة في وعاء صغير ثم تضاف اليها الأعشاب والثوم وقشر الحامض والتوابل وملعقة صغيرة فقط من عصير الليمون الحامض وتخلط المواد جيداً.
- تهيأ الزبدة على شكل مستطيل ثم توضع في الثلاجة حتى تجمد.
- تقطع الزبدة الجامدة الى ٤ أقسام ويوضع كل قسم في منتصف كل قطعة من قطع الصدر المسطحة.
- تلف كل قطعة حول الزبدة وتطوى جوانبها بحيث تغلّف الزبدة تماماً. ثم تثبت كل قطعة بعود أسنان.
- تُغطى كل قطعة من الدجاج بعد لفّها بالدقيق ثم تغمس بالبيض وأخيراً تغمس بالكعك وتوضع على طبق في الثلاجة مدة ساعة على الاقل.
- يسخن الزيت جيداً ثم تقلى صدور الدجاج في الزيت مدة ٧ دقائق أو حتى تصبح ذهبية اللون.
- تُصفى جيداً ثم تنقل الى طبق دافيء.
- تزيّن بالبقدونس وشرائح الليمون.

(الكمية تكفي ٤ أشخاص)

عن "الف وباء الطبخ الموسع" لصدوف كمال وسبما عثمان ١٩٩١ - بيروت

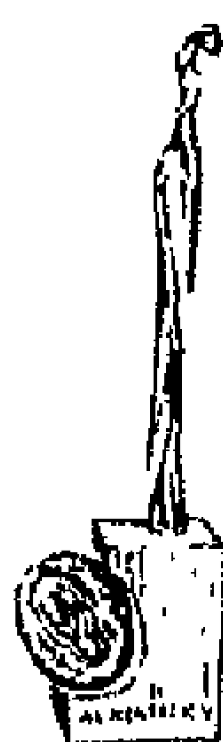
معكم من اكثر من ربع قرن

محمصة الرفاعي اسم اصبح مرادفا لأطيب النقولات والمكسرات اللبنانية منذ اكثر من نصف قرن.

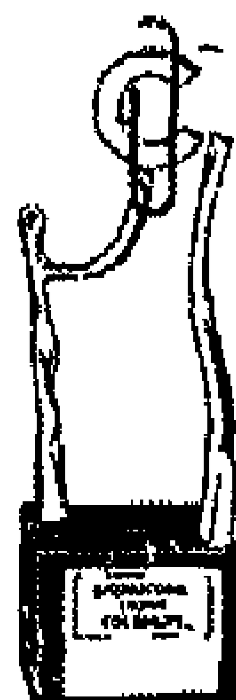
واليوم، بعد هذه المدة الطويلة من الاهتمام بصناعة المحمصات والمكسرات، استطاعت شركة محمصة الرفاعي غزو الاسواق العربية والعالمية وفي شكل ملفت للنظر وذلك بحصولها على اكثر من ميدالية وجائزة للجودة في التصنيع والنوعية المميزة. وهي لا تعتمد على الاسواق المحلية في المواد الاولية وانما نسبة الاستيراد من بلاد المنشأ تتجاوز الـ٧٥ ٪ من الصين وايران واميركا وتركيا.

في العام ١٩٩٠ في مدريد حازت محمصة الرفاعي جائزة الجودة والنوعية كذلك في ميامي اميركا عام ١٩٩١ وفي فرنسا كانت هناك جائزة في العام نفسه في انتظار محمصة الرفاعي لانتاجها المميز واللذيذ.

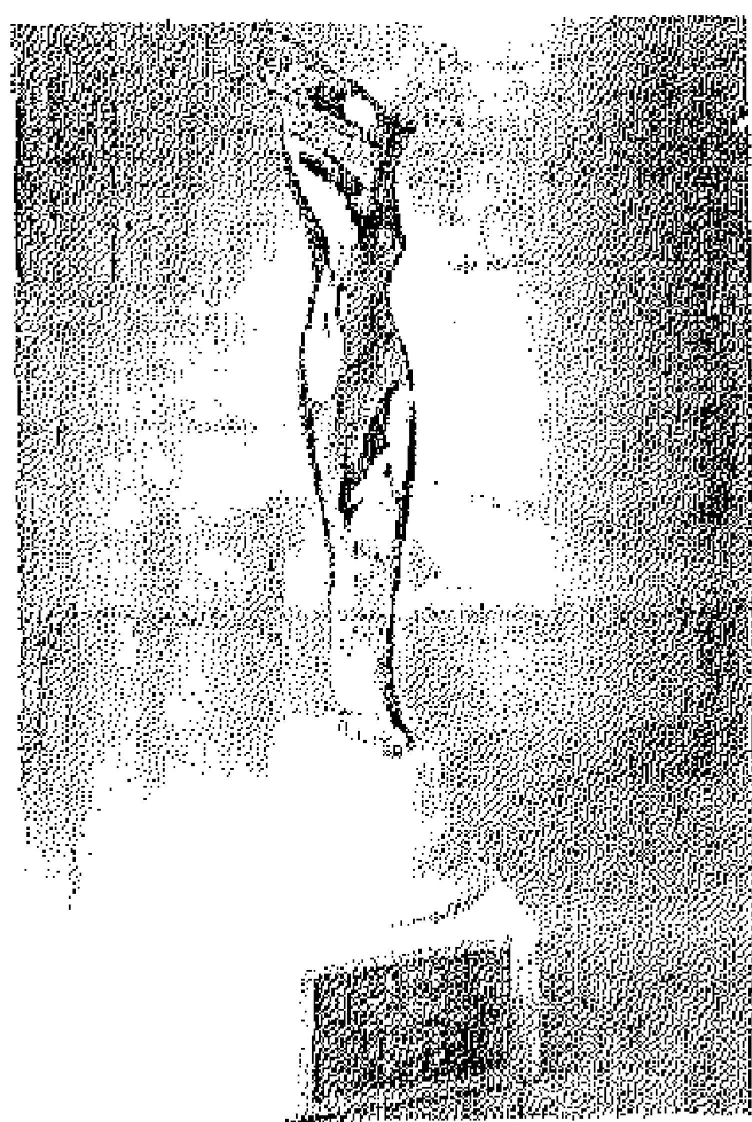
ولقد شاركت المحمصة في الكثير من المعارض المحلية والعالمية وكان الاعجاب والتقدير يرافقان منتوجاتها ان من حيث التصنيع او نوعية المكسرات



الجائزة الاولى



الجائزة الثانية



الجائزة الثالثة

ولمحمصة الرفاعي اليوم جناح خاص في الـ"آ.ب.ث." ضبيه كذلك في مطار بيروت الدولي. ولها اكثر من وكيل ومركز للبيع والتسويق في العالم العربي والعالم. اما ما ميز محمصة الرفاعي وجعلها تصل الى هذا الحد من الشهرة، فثلاث: النوعية وطريقة التحميص والتعبئة والتغليف. فهي اول من علب المكسرات وانزلها الى الاسواق في لبنان والشرق الاوسط لتحافظ على نوعيتها مدة طويلة. وهي استنبطت انواعا عدة من المحمصات لم تكن معروفة من قبل، كاللوز المدخن والجزر المحمص والمملح وغيرها.

وقد اصبحت اصنافها المبتكرة حديثا مع صنف الـ"كري كري" الذي انزلته الى الاسواق قبل اكثر من ربع قرن – اصبحت اساسية في المهنة.

بعد كل هذا الجهد فان الصعوبات، لا التشجيع من الدولة، هي السائدة: غلاء الفيول، غياب الكهرباء، سكوت الهاتف الدائم الخ...

(اعلانات "بيروت")

أفضل الطرق لتربية الأولاد

كيف تحتفظين بهدوئك عندما يدفعك أولادك الى الجنون؟

اقتحمت المرأة غرفة الجلوس في منزلها لترتاح بعد يوم عمل شاق، فتعثرت بلعبة ملقاة على الارض. التمعت عيناها غضبا وهي تحملق في ابنها ذي السنوات السبع الجالس على الارض سعيداً محاطا بألعابه: جنود من البلاستيك، قطع بناء لاشكال مختلفة، أقلام تلوين، سيارات، فتات كعك.

فجأة تفجر غضبها.

صرخت: "تبا! لماذا يبدو هذا البيت دائماً وكأن اعصاراً ضربه؟" ومن دون أن تعبأ باحتجاجات ابنها راحت تحشو الالعاب في كيس قمامة ألقته في فتحة مرمى النفايات فيما الصبي ينتحب صارخاً: "أنا لا أحبك!"

عندما روت المرأة الحادث في احدى الحلقات الاستشارية التي أديرها والتي يحضرها آباء وأمهات، بدت قلَّة من الحاضرين مصدومة. فلا أحد يعرف أكثر من الاهل كيف أن الاطفال أنفسهم الذين يملأون البيت حرارة ومرحاً ونشاطاً وابداعا يمكنهم كذلك أن يسببوا السخط وثورات الغضب. ومفتاح غضب الاهل قد يكون أي شيء: من طفل لا يحضر لدى



مناداته الى مراهق يتحدى القوانين والانظمة.

غالباً ما يخجل الاهل لاحقاً، مستغربين كيف ثار غضبهم لمجرد أن طفلا رفض تناول وجبة من اللوبياء. وأنا أؤكد لهم أن الغضب أمر طبيعي، ولكن يبقى السؤال: كيف للاهل المملوئين حباً أن يعبروا عن استيائهم وأن يحلّوا النزاعات من دون اذية أطفالهم أو المساس بكرامتهم؟

لا أجوبة مطلقة عن هذا السؤال. لكنني من خلال عملي مع ألوف الاهلين توصلت الى بعض الطرق العملية الناجعة. وهنا خطوط عريضة لسبع منها قد تساعد الام في احلال السلام في منزلها:

١. حددي أولوياتك. على الاهل أن يقرروا، عند إرسائهم قواعد السلوك، ما هو مهم فعلا لعائلتهم. اسألي نفسك: هل ستكون لهذا الامر أهمية بعد أسبوع؟ هل يستأهل العراكَ خلاف في الرأي حول تناول المعكرونة غداءً أو ارتداء جينز بركبتين ممزقتين؟

قد يساعدك أيضا إعداد لائحتين: واحدة للقواعد التي لا تحتمل نقاشا وأخرى للقواعد المرنة التي يمكن ثنيها عند الضرورة.

يجد الاهل صعوبة في تقبل هذا الاقتراح، فيسأل أحدهم: "ألا يجب أن تكون كل القواعد غير قابلة للنقاش؟ ألن يستغل أولادي استعدادي لثني بعض القواعد؟"

أبداً. ان إفهام الاولاد أن بعض القواعد قابل للنقاش يجعلهم أكثر ميلا الى التعاون في الحالات الاخرى. ان قسطاً بسيطا من الحرية يؤدي دورا كبيراً في تنمية الشعور بالمسؤولية.

٢. انسحبي أو انتظري. ان الغضب الخارج على السيطرة مرعب. أخبرتني أم مرة أنها لمحت وجهها في المرآة مصادفة بينما كانت تزعق في وجه طفلها، فصدمها ما رأته، وهي قالت لي: "طالعتني امرأة وحشية التوَتْ قسمات وجهها. وفكرت: يا الهي! أهذه أنا؟"

اننا نقول - أو نفعل - أموراً نندم عليها عندما لا يأتينا رد فعل سوى الغضب. لهذا السبب، من الجدير تذكّر كلمتين هما: الانسحاب والانتظار. ففي لحظة غضب يكون الانسحاب. الموقت أو الصمت آمَن ردود الفعل أحياناً.

عندما طلبت أم من ابنها، وهو في الثامنة، أن يهتم بفروضه، وأطفأت جهاز التلفزيون، دفعها الولد بعيداً عن الجهاز وأعاد تشغيله.

رفعت الام يدها وقد تملكها الغضب، لكنها توقفت وقالت لابنها: "انني مستاءة في هذه اللحظة الى حد أنني سأخرج من هذه الغرفة." وفي وقت لاحق اعتذر الصبي.

يخشى بعض الاهلين أن يبدو

الانسحاب او الانتظار استسلاماً. لكن قلة من الاولاد تنظر الى الامر كأنه انتصار. ان تلك الام التي انسحبت من الغرفة لم تترك لابنها مجالا للشك في أنه تخطى حدوده. وهي لو صفعته لصعب عليها إقناعه لاحقاً بأن الضرب والدفع أمران غير مسموح بهما. قد يكون الانسحاب وسيلة فاعلة لاظهار مدى الجدية التي تأخذين بها الامور. والرائع في الصمت هو أنك لن تضطري الى سحبه لاحقاً.

٣. تخيَّري ألفاظك. لا تنتقدي. واذا اضطررت الى الكلام وأنت لا تزالين غاضبة، فتحاشي عبارات المخاطب، فهي قد تجرح. واستخدمي عبارات "الأنا" التي لا تسيء الى كرامة الطفل. حين تكونين غاضبة، من الافضل أن تقولي "انني مستاءة" لا "أنت سيىء." الاساس هنا هو أن تقولي ما تشعرين به بدلا من اطلاق أحكام تتعلق بأخلاق أولادك.

يكره الاولاد الاوامر الاستبدادية. وكيف نلومهم؟ قال لي ابني مرة: "كلما طلبت مني أن أعمل شيئاً تحدوني الرغبة على عمل خلافه." وهذا ما كان يفعله بالضبط، ومن الطبيعي عندئذ أن أصاب أنا بنوبة غضب.

يمكنكِ، بدلا من أن تقولي: "لماذا ثيابك مرمية على الارض؟ كيف تقبل أن تكون قذراً الى هذا الحد؟" أن تقولي: "الثياب التي لا توضع في سلة الغسيل لن تغسل!"

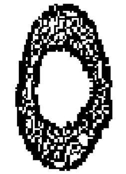
ان الاولاد ميالون أكثر الى التعاون اذا بدت عباراتك حيادية بدلا من ملاحظات انتقادية لتصرفاتهم.

٤. اختصري القول. ثارت أم من معارفي وجن جنونها عندما شغَّل ابنها جهاز الكمبيوتر الجديد في المنزل، وهذا أمر يعرف هو أنه ممنوع. أخبرته كم هي غاضبة، وأنه أفسد ترتيب غرفة الجلوس ولم يرجع علبة الحليب الى البراد ونسي إطعام الكلب. وفي نهاية عاصفة التقريع هذه وصل الولد الى حال حادة من الارتباك والقهر.

يصمّ معظم الاولاد آذانهم بعد سماع الجملة الاولى، وينقطع اتصالهم السمعي بأمهاتهم، فاذا تكلمتِ باختصار كانت لرسالتك فرصة أفضل للوصول الى هدفها.

واحذري الشروح المطوّلة. أعرف كثيراً من الاهلين الذين يفترضون أن أبناءهم جاهزون لدخول كلية الحقوق وهم في السن الخامسة. انهم الاهل الذين يحلمون بأنهم اذا أعطوا أطفالهم تفسيرات كافية فسوف يتوقف هؤلاء عن طلب ما كانوا يريدونه. هذا حديث خرافة. فللاطفال متسع من الوقت ليلعبوا لعبة القط والفأر في محاولة لانهاكك. لا تلقي محاضرة على طفلة اذا هي سألت: "لماذا لا أستطيع؟" اسأليها بدلا من

ذلك: "لماذا في رأيك؟" أو استخدمي النكتة: "هل تريدين جوابي الذي يستغرق دقيقتين أم ذلك الذي يستغرق ساعة؟"

 . ابقي في الحاضر. سمحت أم لابنها البالغ من العمر ١٤ عاما بالبقاء في عمله المسائي في مطعم بشرط أن ينهي فروضه المدرسية فور عودته من المدرسة. سمعت يوما صدح موسيقى في غرفة ابنها، فسألته عما يفعل. هز الفتى كتفيه بلامبالاة قائلا إن فروضه قليلة. فراحت أمه تحاضر فيه: "كان علي أن أعرف أنك لن تحترم تعهداتك." كرّت كلماتها حادة لاذعة، وفي نهاية المحاضرة كانت اتهمته بأنه مقصر في كل مواضيع دراسته، وختمت بترداد نغمة: "على هذا المعدل لن تستطيع أكثر من تسليم طلبات الاطعمة للمنازل عملا تعتاش منه."

اعترفت المرأة في وقت لاحق بأنها كانت غير محقة. وهي قالت: "توصلت خلال دقائق الى اصدار اتهامات تتعلق بالسنوات العشرين الآتية من عمره. وطبعا اتسم رد فعله باشمئزاز كلي."

لا تطلعي بتكهنات كارثية جارحة. ابقي في الحاضر.

 . ضعي أفكارك على الورق. خذي وقتك لكتابة أفكارك بدلا من نطقها. فمن الصعب البقاء في ثورة غضب وانت تحضرين ورقة وتبحثين عن قلم وتجلسين عارضة ما ترغبين في قوله. ثم إن الاولاد يأخذون كلماتنا المكتوبة على محمل الجد ويتأثرون بها عاطفيا. وقد تفتح الكلمة الباب على علاقات أوثق.

اشتكى ناطور بناية الى أم سلوكَ ولدها. كانت الام على وشك الصراخ في ابنها، لكنها عدلت وكتبت اليه:

"ولدي الحبيب،

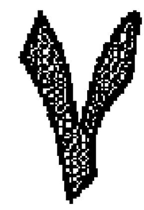
"لقد رآك الناطور تلعب في الرواق. وعندما طلب منك التوقف أجبته بوقاحة.

"هذه الكلمات هي للتذكير، فأنا وأبوك فخوران بأن يكون لنا ابن مثلك. ونتوقع منك أن تخاطب الناس دائما بتهذيب ولياقة.

"اذا واجهتك اي مشكلة، فلا تتأخر في بحثها مع أبيك أو معي. أحبك،

ماما."

اعتذر الصبي من الناطور ومن أمه. ولم يأخذ موقفا دفاعيا معاندا، لان الرسالة عبرت عن ثقة بأنه يستطيع أن يكون أفضل، بدلا من انتقاد مسلكه.

 . استعيدي مشاعر الود. لا مفر لنا نحن الاهلين من أن نفقد أعصابنا أحيانا. ولكن ليس ضروريا ان يكون ذلك نهاية العالم، فالاهل والاطفال على السواء يرغبون في أن تسود بينهم مشاعر الود والتفاهم حتى عندما تعنف النزاعات. ولذا فمن المهم جدا أن تسارعي الى المصالحة حالما تهدأ الامور.

بعدما ألقت تلك الام ألعاب ابنها في فتحة مرمى النفايات، أدركت أنها عاقبته لا لافساده ترتيب غرفة الجلوس وانما لكل شيء مزعج حصل لها ذلك النهار. وهي اعتذرت اليه، ثم أمضت قرابة ساعتين تفتش بين أكياس القمامة في مرمى البناية حتى وجدت الالعاب.

قد يخشى بعض الاهل أن يؤدي الاعتذار الى فقدان سلطتهم. لكنه في الحقيقة يظهر احتراماً لمشاعر الولد. كما أن الاهل، باعتذارهم، يعلّمون أولادهم أن كل انسان معرض للخطأ وأن لا غضاضة في الاعتراف به.

هناك طرق كثيرة للمصالحة. في بعض الاحيان تكون ضمة مع عبارة "الماما تحبك" كافية. وفي أحيان أخرى، وخصوصاً مع الاولاد الاكبر سناً، قد يتطلب الامر حديثاً أطول يمكن أن يبدأ بملاحظة مفتوحة مثل: "لقد مر علينا نهار صعب اليوم، أليس كذلك؟"

ليست هذه الطرق مؤكدة النجاح، ومع ذلك قد يساعد الاهلَ أن يعرفوا أن جعبتهم لا تخلو من الحيلة. ومع أن الامومة هي مسألة خطيرة، الا أننا نأخذها أحياناً بجدية تتخطى حدود المعقول. وقد لا يترك لنا عبء المسؤوليات متسعاً للفرح بوجودنا مع أولادنا.

اذا عرفنا كيف نخفف من المواجهات الغاضبة مع أولادنا فسيمكننا أن نقدر ما فيهم من روعة وعفوية.

نانسي سامالين وكاثرين ويتني ■



عابرون

ان الاهتمام الذي نبديه حيال الاشخاص الذين نصادفهم في معارج حياتنا، كرفاق المدرسة وسعاة البريد والميكانيكيين والجيران، يضاهي في عمقه واهميته إحساسنا بالحبّ او بالصداقة. هذا التعاطف هو ما يحملنا على الاكتراث للبشر والتآلف مع كل من يمر في سبلنا، فنقدّر قيمة الناس حق تقدير وننتهي بان نحبّهم على رغم انّهم لم "يُفصَّلوا" على قياسنا.

ك.ر.

زلة لسان

دعت زوجتي صديقتها سميرة الى العشاء. وخلال تناول الطعام انكسرت شوكة سميرة في يدها، فقلت لها مطمئناً: "لا تقلقي، فهي من طاقم مائدة رخيص الثمن."

فالتفتت اليّ زوجتي وصاحت: "عزيزي، هذا الطاقم هو هديّة سميرة لمناسبة زواجنا!"

و.م.



PHOTO: COURTESY OF THE PRESS ROOM OF THE SOCIAL DEMOCRATIC PARTY

كافاكو "طائر" نادر من البرتغال

من أستاذ جامعي الى سياسي بارع شغوف بالمطالعة أنعش اقتصاد بلاده وأكسب شعبه ثقة بالنفس ورؤية مستقبلية جديدة

خلال الأيام التي سبقت مقابلتي رئيس وزراء البرتغال أنيبال كافاكو سيلفا، تلقيت ملاحظات كثيرة مجانية عنه. قال لي وزير سابق محذراً: "إنه لا يحب الصحافيين." ونصحني أحد خصومه التقليديين: "لن ينظر اليك عيناً بعين." أما فضلى النصائح فأسداها إليّ رجل أعمال قال: "تأكد من وصولك باكراً."

كافاكو رجل لا يضيع الوقت، كأنه يحمل ساعة في رأسه. وقد أصيبت البرتغال كلها بعدوى إلحاحه. ففي جوار

فونته دي بوليكيمي، مسقط رأس كافاكو في اقليم الغارف في جنوب البرتغال، تعمل رافعات ضخمة على شق طريق رئيسية جديدة. وفي مطار لشبونة الناشط يضع العمال اللمسات الاخيرة على مبنى جديد لاستقبال المسافرين تعتمد فيه آخر مبتكرات التكنولوجيا العالية. وفي العاصمة تعمل آلات مزج الاسمنت حتى ساعات متقدمة من الليل فيما تنهمك فرق البنائين في تشييد فنادق وأبنية مكاتب فخمة. وعلى ضفة نهر التاغوس، حيث رست في القرن السادس عشر سفن شراعية ضخمة محملة بالحرير والتوابل، يرفرف اليوم علم المجموعة الاوروبية بنجومه الزرق فوق مركز للمؤتمرات بلغت تكاليفه ٣٠ مليار إسكودو (٢٠٠ مليون دولار) وقد تم افتتاحه في يناير (كانون الثاني) ١٩٩٢ لمناسبة تولي البرتغال رئاسة المجموعة الاوروبية.

أغنياء وفقراء. عندما أصبح كافاكو رئيساً للوزراء عام ١٩٨٥، اعتبرت قلة من المراقبين أن له أملا في الصمود في منصبه وإتمام ولايته. وهو نفسه أخبرني: "قالوا إنني شديد الحساسية للانتقاد، وعديم الصبر في شأن الاصلاح، وإنني سأستعفي خلال ستة أشهر." وها قد انقضت ست سنوات ومضت جولتان انتخابيتان وما زال كافاكو في منصبه. وهو رئيس الوزراء الوحيد المنتخَب ديموقراطيا الذي يحكم مثل هذه المدة في تاريخ البرتغال.

تحت حكم كافاكو، يشهد اقتصاد البرتغال الذي كان راكداً لمدة طويلة تقدماً أسرع من تقدم الاقتصاد الألماني. ونسبة البطالة في البرتغال أدنى منها في أي دولة أخرى من دول المجموعة الاوروبية ما عدا دوقية اللوكسمبور الصغيرة. وبين ١٩٨٦ و١٩٩٠ كانت الاستثمارات الخارجية المباشرة في البرتغال تتضاعف كل سنتين بحيث بلغت في العام ١٩٩١ ٣٠٠ مليار إسكودو (ملياري دولار). وكان المسؤولون في "منظمة التعاون والتنمية الاقتصاديين"[1] ومقرها باريس يعتقدون أن لا رجاء من الاقتصاد البرتغالي وأن الأمر أشبه بوضع مياه في سلة. أما الآن فقد تبدلت نظرة المنظمة وصارت تُثني على السياسة الاقتصادية لهذا البلد. وقال لي خبير اقتصادي من المنظمة مختص بشؤون البرتغال: "منذ تولي كافاكو السلطة وهم على الدرب الصحيح."

عام ١٩٨٦ انضمت البرتغال الى المجموعة الاوروبية. وهي تتلقى من بروكسل (بلجيكا) سنوياً نحو ٢٦٠ مليار اسكودو (١،٨ مليار دولار) معظمها هبات "إنمائية" للمساعدة على إعادة إعمار البنية التحتية. وبفضل ذلك وصلت الكهرباء والهاتف الى قرى نائية وشُقت طرق رئيسية اخترقت المناطق الريفية. وتمتد الطريق القديمة N1 ذات الخطين مسافة ٣٣٠ كيلومتراً بين لشبونة وبورتو،

(١) Organization for Economic Cooperation and Development (OECD).

وكان اجتيازها يستغرق خمس ساعات كابوسيَّة محفوفة بالمخاطر بسبب كثافة سير الشاحنات والسائقين المهووسين بالسرعة الذين ينطلقون على هواهم. أما اليوم، وبفضل دعم المجموعة الاوروبية، فقد صار في الامكان قطع المسافة في ساعتين ونصف ساعة على طريق من أربعة خطوط.

هذا الازدهار المتنامي حوَّل البرتغاليين من مقتصدين الى مبذرين. ففي البرتغال اليوم ١،٨ مليون سيارة، أي بمعدل أكثر من سيارة واحدة لكل ستة أشخاص. وفي العام ١٩٩٠ ارتفعت نسبة بيع السيارات تسعة في المئة. وعمدت بعض الشركات الى مكافأة عمالها بعلاوات لا تخضع لضريبة في شكل بطاقات اعتماد محدودة الاستعمال. وفي المركز التجاري الضخم "أموريراس" الذي يقع في وسط لشبونة ويضم ٣٦٠ متجراً وعشر دور للسينما و٤٢ مقهى ومطعماً، راقبتُ سيدات أنيقات مصففات الشعر مرتديات معاطف من الفراء، وهنّ يعبرن من أمام طاولتي حاملات أكياساً موسومة بشعارات أفخم المتاجر.

ولكن، في مقابل هذا الاستهلاك الواضح، ما زالت هناك بقاع فقر مقلقة. ففي الطريق من مطار لشبونة، مررنا ببلدة فقيرة قذرة من أكواخ التنك تذكّر بأن البرتغال ما زالت تضم أحياء بؤس. وفي العام ١٩٩١ أعدَّت "المنظمة الدولية لمكافحة الرق" ومركزها لندن تقريراً ورد فيه أن نحو ٢٠٠ ألف ولد في البرتغال يعملون مدداً تراوح بين ٨ ساعات و١٤ ساعة يوميا في مقابل أجر لا يزيد على ٧٦٠٠ إسكودو (٥٠ دولاراً) في الاسبوع. وخلال عبوري الطريق الرئيسية الى بورتو، رأيت مشهداً كأنه من القرون الوسطى: فلّاح متعب مربوط مع حماره بنير وهما يجرّان محراثاً، والزوجة ممسكة اللجام بتعب باد.

مع ذلك يؤكد فاسكو غراسا مندوب الجناح البرتغالي في "معرض اشبيلية ٩٢": "هناك تفاؤل جديد، فقد بدأ البرتغاليون ينفتحون على العالم. وذلك بفضل كافاكو، إنه يجعل الناس يثقون ببلادهم."

نقطتا تحوُّل. الى الشرق من مفترق بوليكيمي على طريق الغارف الرئيسية محطة "موبيل" للوقود معروفة بأنها "أشهر محطة للوقود في البرتغال." يدير المحطة تيودورو سيلفا البالغ من العمر ٧٩ عاماً والذي ما زال يعمل ثماني ساعات يومياً سبعة أيام في الاسبوع. وهو لم يتجاوز في دراسته الصف الابتدائي الرابع، لكنه تمكن من إرسال أبنائه الثلاثة وابنته الى الجامعة. أما ابنه الثاني فهو اليوم رئيس وزراء البرتغال.

نادراً ما كان المال متوافراً لدى سيلفا، لكنه يقول متذكراً: "كنت دائماً أوفر بعض المال للتعليم." وسارت الأمور على ما يرام الى أن بلغ أنيبال الرابعة عشرة من عمره وتفتحت عيناه على الصبايا. وعندما أحضر سجل علاماته لنهاية السنة

كان راسبا في خمس مواد. وهو ما زال يذكر غضب والده العارم عندما قرأ السجل. ذلك الصيف، بدلا من تمضية العطلة في اللهو والتسكع على الشاطىء، أجبره أبوه على العمل في حقول الذرة التي يملكها جده، فكان ذلك درسا قاسياً له. وهو يقول: "أدركت عندئذ أنني إذا لم أجتهد في الدراسة فسأمضي بقية حياتي عاملا في الحقول. ومذذاك أصبحت الاول في صفي."

التحق كافاكو بالجامعة التقنية في لشبونة حيث تخصص بالعلوم المالية. وواجه كثيراً من الصعاب في تلك المرحلة التي يصفها بأنها كانت "حياة مليئة بالمغامرات، لكن خواتيمها كانت دائما سعيدة."

خلال الحرب الاستعمارية مع الموزامبيق كانت البرتغال في حاجة ماسة الى ضباط، فأجبر كافاكو على ترك الجامعة والالتحاق بالجيش برتبة ملازم أول. لكن النهاية انطوت أيضاً على سعادة مزدوجة، إذ عُيّن كافاكو مسؤولا عن وحدة غير قتالية، فانتهز الفرصة وجعل من رحلته شهر عسل. كانت عروسه ماريا ألفيس دي سيلفا (وهي ليست من أقربائه) طالبة جامعية تتابع تخصصا بالأدبين الالماني والانكليزي. وكانت فقيرة مثله.

أما نقطة التحوّل التالية في حياته فكانت في ٢٥ أبريل (نيسان) ١٩٧٤ حين أطاح انقلاب عسكري الحكم الديكتاتوري الذي استمر ٤٢ سنة بدءاً بعهد أنطونيو سالازار الذي جاء الشيوعيون بعده فأمموا أهم القطاعات الاقتصادية في البلاد. وكان كافاكو عاد من لندن قبل خمسة أيام برفقة زوجته وولديه حاملا شهادة دكتوراه في الاقتصاد من جامعة يورك. ولم يكن انتهى بعد من ترتيب أمتعته حين "غرق الوسط الاكاديمي في فوضى عارمة، وكان الطلاب يطردون أساتذتهم." أخيراً وفّق الى وظيفة أستاذ للاقتصاد في الجامعة الكاثوليكية في لشبونة.

تلك السنة انتسب كافاكو الى الحزب الديموقراطي الاجتماعي، وهو من خط اليمين الوسط، وفاز في الانتخابات النيابية عام ١٩٨٠. وتولى حقيبة وزارة المال لسنة واحدة. وفي مايو (أيار) ١٩٨٥، وكان مديراً لمصرف البرتغال وأستاذاً في جامعة لشبونة الجديدة، قرر أن يحضر المؤتمر السنوي للحزب الديموقراطي الاجتماعي المنعقد في فيغيرا دا فوز شمال لشبونة. ولاحظ في أثناء المؤتمر أن الحزب في فوضى عارمة ويفتقر الى توجّه واضح وقيادة قوية. فألقى خطاباً موضوعياً دعا فيه بعزم الى رص الصفوف ووضع خطوط عريضة لاستراتيجية مستقبلية واضحة. فأنصت المندوبون اليه بصمت كلي. وفي اليوم التالي انتُخب كافاكو رئيسا للحزب. وكان ردُّه: "لم أنتمِ يوماً الى جناح في الحزب ضد آخر، فلا تنتظروا مني أن أمارس لعبة القصور، لأني أجهلها، ولا رغبة لي في تعلمها."

أكثرية مطلقة. عام ١٩٨٥ فاز الحزب الديموقراطي الاجتماعي في الانتخابات بأكثرية ضئيلة، فوجد كافاكو نفسه رئيساً للوزراء في حكومة تمثل الأقلية. لكنه نفّذ أقواله على الفور، فحضّ وزراءه على اعتماد أسلوب فاعل في العمل قوامه: "كلام أقلّ، خداع أقلّ، عمل أكثر." ورفض بازدراء عدة "صفقات" جاءته من المعارضة، وعمل جاهداً لتنفيذ برنامج للاصلاح والتخصيص[٢] شمل مئات الشركات البرتغالية التي كانت الدولة تملكها. غير أن معارضيه تصدوا لبرامجه الاصلاحية عندما عُرضت على البرلمان. فراقبهم كافاكو ببرودة أعصاب لأن شعبيته كانت تزداد يوماً بعد يوم. ولكن بعد ثمانية عشر شهراً سقطت حكومته إذ حجبت عنها الثقة لدى مثولها أمام البرلمان. فما كان منه إلّا أن حمل قضيته الى ناخبيه.

عام ١٩٨٧ قاد كافاكو حملة انتخابية نموذجية. فدرّبه بعض أشهر الممثلين في البرتغال لاتقان فن الوقوف على المنبر وإلقاء الخطب، كما ساعدته كونتيسة في اختيار ملابسه. واهتم كافاكو بأدق التفاصيل، حتى انه اختار بنفسه اللون البرتقالي المناسب رمزاً للحزب يوحي أشعة الشمس وأمل الشباب. ولم يكن فوزه الساحق في الانتخابات أمراً مفاجئاً، إذ نال ٥٠،٢ في المئة من الاصوات وحصل على الاكثرية المطلقة في البرلمان.

وهكذا عاد كافاكو الى العمل بزخم جديد. وبتحريك منه، جرى تعديل الدستور فشطبت منه عبارات ماركسية مثل "يجب أن تسير البرتغال على طريق الاشتراكية." كما أحدث تغييرات شاملة في قوانين العمل داعيا الى إتقان التكنولوجيات الجديدة. وفي العام ١٩٨٩ أطلق برنامجاً للتخصيص، لكنه واجه صعوبات أعاقت تنفيذه، منها مطالبة مالكي الشركات السابقين بتعويضات، والهبوط في سوق الاسهم المالية، واندلاع حرب الخليج. ومع ذلك انتقلت ثلاث عشرة شركة الى الملكية الخاصة في غضون ثلاث سنوات، مما جعل قرابة ربع مليون شخص مالكي أسهم، وغذى الخزينة بنحو ٣٤٥ مليار إسكودو (٢،٣ مليار دولار) ذهبت كلها لتسديد الدين العام المتأخر.

ونجح كافاكو بسرعة في مصادقة رجال الاعمال والشركات المتعددة الجنسية. فقد أخبرني ارهارد سبرانغر مدير شركة "جنرال موتورز" في البرتغال، التي تجمّع سيارات في مصنع خارج لشبونة: "يبدي كافاكو تعاطفا مع مشاكل الشركات الكبرى. فهو يعلم ان البرتغال تحتاج اليها." وقد أثمرت رعاية كافاكو للتكتلات الصناعية فوائد جمة على الصعيد السياسي. ففي أثناء خوضه الانتخابات في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١ أعلنت شركتا "فورد" و"فولكسفاغن" استعدادهما لبناء مصنع مشترك في سيتوبال تبلغ كلفته ٢،٨ مليار

(٢) Privatization . وهو عكس التاميم.

دولار ويؤدي الى استحداث ٤٧٠٠ وظيفة جديدة.

والواقع أن الحملة الانتخابية التي خاضها كافاكو عام ١٩٩١ كانت تحفة تكتيكية. فخلال الأسابيع الأخيرة الحاسمة من الحملة، أُنجزت طرق رئيسية جديدة وأُقيمت جسور وارتفعت أبنية شاهقة بسرعة أُعجوبية. وأخيراً، عندما أظهرت استطلاعات الرأي أن الاشتراكيين المعارضين للحزب الديموقراطي الاجتماعي يتأخرون عنه بفارق بسيط، هدد كافاكو بالانسحاب ما لم يحصل من جديد على الاكثرية المطلقة. ولما انجلت النتائج اتضح أن كافاكو نال أكثر من نصف مجموع الأصوات، وستة من أصل كل عشرة مقاعد في المجلس النيابي. وهكذا أُعيد انتخابه لولاية أخرى مدتها أربع سنوات.

طائر نادر. ان السر في هذه العلاقة الحميمة بين كافاكو وناخبيه يكمن في الأسلوب كما في المضمون. فهو رئيس وزراء انطلق من الطبقة الوسطى، منتصب القامة طويلها (١٨٣ سنتيمتراً)، بهي الطلعة، أسود الشعر، وقد غزا بعض الشيب صدغيه فأضفى على ملامحه أناقة مميزة. وحتى خصومه يقرون بأنه كفي ومستقيم.

كافاكو طائر نادر من نوعه، فهو سياسي يمقت كل أدوات السياسة. هواياته قليلة. ملابسه بسيطة وغير باهظة الثمن. يغيظه تربيت الاكتاف وتقبيل الاطفال كما تغيظه الغرف العابقة بالدخان، والدردشة الحميمة مع الغرباء. نادراً ما يحضر جلسات البرلمان، لأنه يجد في ثرثرة المشترعين مضيعة للوقت. ويقول: "السياسة، بالنسبة إليّ، ليست لعبة. إن لها معنى واحداً هو الاجراءات العملية وإمكان القيام بما يخدم مصلحة البلاد."

إن الأشهر الستة المنصرمة التي أمضتها البرتغال في الرئاسة الدورية للمجموعة الاوروبية منحت كافاكو فرصة ذهبية لتأمين استمرار المساعدات لبلاده، لأن أمامه كثيراً من الانجازات التي تنتظر التحقيق. فالدخل الفردي السنوي في البرتغال، البالغ ٥٧٥٠ دولاراً، هو الأدنى بين دول المجموعة الاوروبية باستثناء اليونان. ومعدل التضخم فيها هو الأعلى اذ يبلغ ١٠،٢ في المئة. وصناعة النسيج والأحذية التي تعتبر من مرافق التصدير الرئيسية تعاني وضعاً عسيراً ينذر بكارثة اذ تواجه منافسة كبيرة من الخارج. وعلى رغم أن واحداً من كل خمسة عمال برتغاليين يعمل في الزراعة، فان البرتغال تستورد نحو نصف حاجاتها الغذائية لأن المزارع البرتغالية هي الأقل إنتاجاً في أوروبا الغربية.

وتبقى البيروقراطية المتفشية في البرتغال عائقاً أساسياً في وجه المزارعين ورجال الاعمال على السواء. وقد روى لي أحد رجال الأعمال الاجانب قصته. فهو أراد تأسيس مصلحة يستثمر

فيها ملايين الدولارات، فكان عليه لأجل ذلك أن يقدم المستندات ذاتها الى ١٧ وكالة حكومية. وفي النهاية قيل له إن الارقام المالية التي قدَّمها قد تخطاها الزمن، فقال معلقاً: "طبعاً تخطاها الزمن، فهي قبعت على مكاتبهم سنتين."

الحلول ليست سهلة،. ولكن يبقى كافاكو واثقاً من مستقبل البرتغال ضمن أوروبا الموحدة، ويصرّ على القول: "لقد تغير البرتغاليون. اكتسبوا ثقة بالنفس، وأصبحوا قادرين على المجازفة والمنافسة، وفي امكانهم أن ينتصروا."

وقليلون في البرتغال يجرؤون على الرهان ضده.

تشارلز بارميتر ■

ترجمة د. نجوى نصر



ضرائب

كنت اتكلم على الضرائب امام ابني الصغير. فسالني: "ولماذا تحتاج الحكومة الى اموال الضرائب؟"

ففسرت له أن هذه الأموال تذهب الى بناء المدارس وشقّ الطرق ودفع رواتب الموظفين.

فتساءل مدهوشا: "ولكن الا تملك الحكومة آلة لطبع النقود؟"

ر.ك.

سائقة جديدة

رافقت صديقتي الحديثة العهد بالقيادة في جولة بسيارتها. وكان يبدو عليها بعض الارتباك. وصلنا الى جسر رُفعت في اوله لافتة تحظر عبور الآليات التي يفوق وزنها ثلاثة اطنان. فأوقفت صديقتي السيارة وسالتني مرتبكة: "كم وزنِك بالضبط؟"

م. ف.

قرد في البيت

دخل قرد صغير قبو منزلنا في افريقيا. فطارده زوجي لاخراجه قبل أن يعثر عليه كلبنا. لكن الحيوان الخائف ظل يفرّ من زوجي حتى وقع اخيراً في بركة السباحة.

ذهبتُ اتفقد زوجي، فوجدته ممسكاً مجفف الشعر وماضياً في تجفيف فرو القرد الصغير قبل أن يعيده الى الغابة.

ش.ر.

اقرأوا هذه الارشادات، فقد تفيدكم كثيراً

أدير شركة صناعية تضمّ ٣٥٠ موظفا. وغالباً ما آخذ على عاتقي مهمة مقابلة طالبي الوظائف وتعيينهم. ويسرّني خصوصا التحدّث الى المرشحين لوظيفة مندوب مبيعات لأنهم صلتنا بالزبائن.

جاءني شاب تخرّج حديثا في الجامعة، طالبا وظيفة مندوب مبيعات. سألته كيف استعدّ للمقابلة، فأجاب إنّه قرأ عنا. سألته ما إذا كان اتصل بأيّ موظف في شركتنا مُستعلِماً. فأجاب نفياً.

هل حاول الاتصال بأحد مورِّدينا أو زبائننا؟ كان جوابه سلبيا. هل استعلم لدى جامعته عما اذا كان أحد خريجيها قد عمل في شركتنا؟ وهل حاول إجراء مقابلة وهمية تجريبية مع أحد أصدقائه؟ وهل بحث في المكتبات عن مقالات صحافية تتعلق بنا؟ وهل استبق المقابلة بكتابة رسالة الينا يقدّم فيها نفسه ويشرح لماذا يعتقد أنه أهل للوظيفة؟ وهل سيرسل الينا خلال أربع وعشرين ساعة، أو ربما باليد

تخلّوا عن أوهامكم قبل أن تطلبوا وظيفة



مباشرة، رسالة يشير فيها الى حماسته للعمل لدينا؟ كان جوابه عن كل هذه الاسئلة نفياً قاطعاً!

بقي في ذهني سؤال واحد: "كيف سيستعدّ هذا الشخص لمقابلة أحد زبائننا اذا ما أسندت إليه الوظيفة؟"

لكنني كنت أعرف الجواب.

المبادىء الأساسية التي تؤدي الى الحصول على وظيفة هي في رأيي أربعة:

١. استعدوا للفوز. يقول الموسيقيون: "إذا تغيب موسيقي يوماً واحداً عن التمارين، فسيلاحظ هو الفرق. واذا تغيب يومين، فالنقاد سيلاحظون الفرق. أما إذا تغيب ثلاثة أيام، فان الجمهور كله سيلاحظ الفرق!"

حين نشاهد موسيقياً عالمياً أو رياضياً بارزاً، فنحن لا نرى سنين التمارين الطويلة التي أوصلته الى ما هو عليه. والمتفوقون في مضمار الرياضة موهوبون حقاً، لكنهم أيضاً أول الواصلين الى الملعب وآخر المغادرين. وهذا ينطبق على كل أنواع النشاطات البشرية. فاذا شئتم الحصول على وظيفة فعليكم الاستعداد للفوز بها.

لم يعد الحصول على وظيفة تجربة يمرّ بها الانسان مرة واحدة في حياته. فالخبراء يعتقدون أن خرّيجي الجامعات في أيامنا قد يواجهون تغيير عشر وظائف خلال حياتهم. قد يبدو الأمر كأنه جبل من الضغوط يُثقِل كواهلهم. ولكن إذا استعدّ المرء لمقابلته جيداً، فان الآخرين هم الذين سيتحملون أعباء هذا الضغط.

من البديهيات أنكم لن تحظوا بكل وظيفة تسعون اليها، لكن الوقت الذي يقتضيه الاعداد الجيد للمقابلة لن يكون أطول من الوقت الذي يستغرقه التسكّع المتكرر على أبواب الشركات من دون تحضير. وفرص النجاح بعد الاستعداد الجيّد هي من دون شك أكبر كثيراً.

٢. لا تتوقفوا عن التعلُّم. لعبتُ أخيراً مباراة في كرة المضرب لفئة زوجيّ الرجال، وكان شريكي عجوزاً في التسعين. توقعت خسارة أكيدة، لكن نتيجة المباراة جاءت لمصلحتنا إذ سحقنا خصمينا في مجموعتين (٦ – ١، ١ – ٦). وفيما كنا نتبادل أماكننا لبدء المجموعة الثالثة قال لي العجوز: "هل تمانع إذا لعبتُ في الجهة الخلفية؟ إنها نقطة ضعفي وأودّ تحسينها."

يا للمثال الرائع يضربه لي رجل لم يتوقف يوماً عن التعلّم. وقد فزنا في هذه المجموعة أيضاً (٦ – ١).

وفيما كنا خارجَين من الملعب ابتسم شريكي التسعيني وقال: "أعتقد أنك تود أن تعرف أن تصنيفي هو الأول في زوجي الرجال بين لاعبي فئتي، أي من هُم فوق الخامسة والثمانين." لم يكن الرجل يفكر في السن "التسعين" ولا حتى في فئة "الخامسة والثمانين" بل في ترتيبه "الأول."

لا ريب في أنكم ستصلون الى نتيجة مماثلة إذا ما ركّزتم على تحسين نقاط

اعتقادات خاطئة

يقول رئيس إحدى شركات التوظيف إن القبول بالاعتقادات الشائعة يؤدي حتما الى ضياع الوظيفة. ويورد أمثلة على ذلك:

الاعتقاد: إذا لم تجدوا مجالا للعمل في اختصاصكم، فانتقلوا الى مهنة أخرى.
الحقيقة: هذا أسوأ الحلول، لأنكم عندئذ ستنافسون خبراء في حقل اختصاصهم ولن تحصلوا حتى على راتبكم القديم.
الاعتقاد: طالبوا بأجر منخفض، فهذا سيجذب أرباب العمل.
الحقيقة: الذين يقنعون بأجور منخفضة غير مرغوب فيهم، وربّ العمل لن يختاركم ما لم يعتبركم من المتفوقين.
الاعتقاد: من الصعب أن تحظوا بوظيفة إذا تجاوزتم الخمسين.
الحقيقة: فُرَص الذين تجاوزوا الخمسين توازي فُرَص الشباب، فأرباب العمل يرَوْن فيهم أصحاب خبرة.
الاعتقاد: بادروا إلى إثارة موضوع الراتب خلال المقابلة الأولى.
الحقيقة: هذه أسرع طريقة لخسارة الوظيفة. فربّ العمل سيعتبركم مهتمين بأنفسكم أكثر من اهتمامكم بشركته.
الاعتقاد: أنسب المواعيد للمقابلات هي بين التاسعة صباحا والخامسة بعد الظهر خلال أيام العمل.
الحقيقة: كثيرا ما يكون أرباب العمل حاضرين قبل ساعات الدوام وبعدها. فاذا قابلتم رب العمل خارج أوقات الدوام الرسمي فانه سيستمع اليكم من دون إزعاج أو إلهاء.

جايمس تشالنجر، في "نيويورك تايمز"

ضعفكم وتطوير مهاراتكم. ولا بد من الاستمرار في التعلّم طوال الحياة حتى تتمكنوا من منافسة الآخرين.

٣. ثقوا بأنفسكم حتى حين لا يثق بكم أحد. هل تتذكرون أسطورة اجتياز مسافة الميل (١٦١٠ كيلومترات) في أربع دقائق؟ لقد دأب الرياضيون على المحاولة مئات السنين، وقرروا في النهاية أن الامر مستحيل لأنه يتجاوز قدرة الجسم البشريّ.

لكنّ عداء أثبت خطأ هذا الرأي. ثم توالت المعجزات. فلم تكد تمضي أسابيع على اجتياز روجر بانيستر ميلا في أقل من أربع دقائق حتى جاء جون لاندي وحطم رقم بانيستر بفارق ثانيتين. ومنذ ذلك الوقت حطم نحو ٨٠٠ عدّاء الرقم الأسطورة.

قبل سنوات جرّبنا، أنا وابنتي، أن نشارك في ماراتون نيويورك.[1] انطلق ٢٣ ألف عداء وصل منهم ٢١٢٤٤ الى خط النهاية. وفاز بالمرتبة الأولى كينيّ وصل في ساعتين و١١ دقيقة وثانية واحدة،

(١) الماراتون سباق للمسافات الطويلة.

فيما وصل المتسابق الأخير، وكان رجلا أبتر الساقين من قدامى المحاربين في فيتنام، بعد ثلاثة أيام و٩ ساعات و٣٧ دقيقة مجتازاً مسافة ٤٢ كيلومتراً. حين تخطيته مع ابنتي اثناء دقائق السباق الأولى، وجدنا الشجاعة للاستمرار حتى النهاية.

لا تدعوا أحداً يثبط عزيمتكم على بلوغ أهدافكم. من قال إن التحدي الماثل أمامكم هو أصعب من أن تواجهوه بكدّكم ومثابرتكم؟ الهدف ليس سوى حلم قابل للتحقيق.

٤. اسعوا الى التميُّز. كنتُ أعتقد أنّ غالبية سائقي سيارات الأجرة في نيويورك غير ودودين الى حد الفظاظة أحياناً، وأنّ معظم سياراتهم قذرة ومجهزة بصفائح واقية من الرصاص تفصل السائق عن الركاب. أخيراً ركبت إحداها من المطار. كانت في منتهى النظافة، وغير مصفحة ضد الرصاص، وانبعثت من مذياعها موسيقى أخّاذة. طلبتُ من السائق أن يوصلني الى الفندق، فابتسم وقال: "أهلا، اسمي ويلي." ثم قدّم اليّ مطبوعة يتعهد فيها أنه سيوصلني الى مقصدي بقيادة سلسة ومن دون تأخير. حين انطلقنا، ناولني رزمة من الصحف قائلا: "تفضّل، خذ منها ما تشاء." ثم دعاني الى تناول بعض الفاكهة من السلّة الموضوعة على المقعد الخلفي. وأشار الى هاتف السيارة قائلا إن المكالمة لن تكلفني سوى دولار واحد عن كلّ دقيقة.

لم أتمالك نفسي من سؤاله: "كم مضى عليك في هذه المهنة؟"

أجاب: "ثلاث سنوات أو أربع."

سألتُه من جديد: "عُذْرا لتطفّلي، لكن كم تربح من البقشيش[٢]؟"

أجاب متباهيا: "ما بين ١٢ و١٤ ألف دولار في السنة."

لا يُدرك هذا الرجل أنه أصبح مثالي الاعلى. فَهو أثبت بالبرهان أنّ في امكان المرء تحويل الامور والصعاب لمصلحته.

كان أحد الأثرياء مسافراً في طائرته الخاصة في يوم شتاء عاصف وقد أُغلقت مدارج المطار دون الطائرات الضخمة. فنظر من نوافذ طائرته الى أرض المطار الخالية وقال لمرافقيه: "انظروا، لا آثار عجلات على الثلج أمامنا."

ما زال هذا الرجل الفاحش الثراء يبتهج إذا حلّ أول في مضمار ما!

هذه هي أسرار النجاح: استعدّوا للفوز، لا تتوقّفوا عن التعلّم، ثقوا بأنفسكم حتى حين لا يثق بكم أحد، إسعوا الى التميز ثم امضوا واتركوا آثاركم في الثلج.

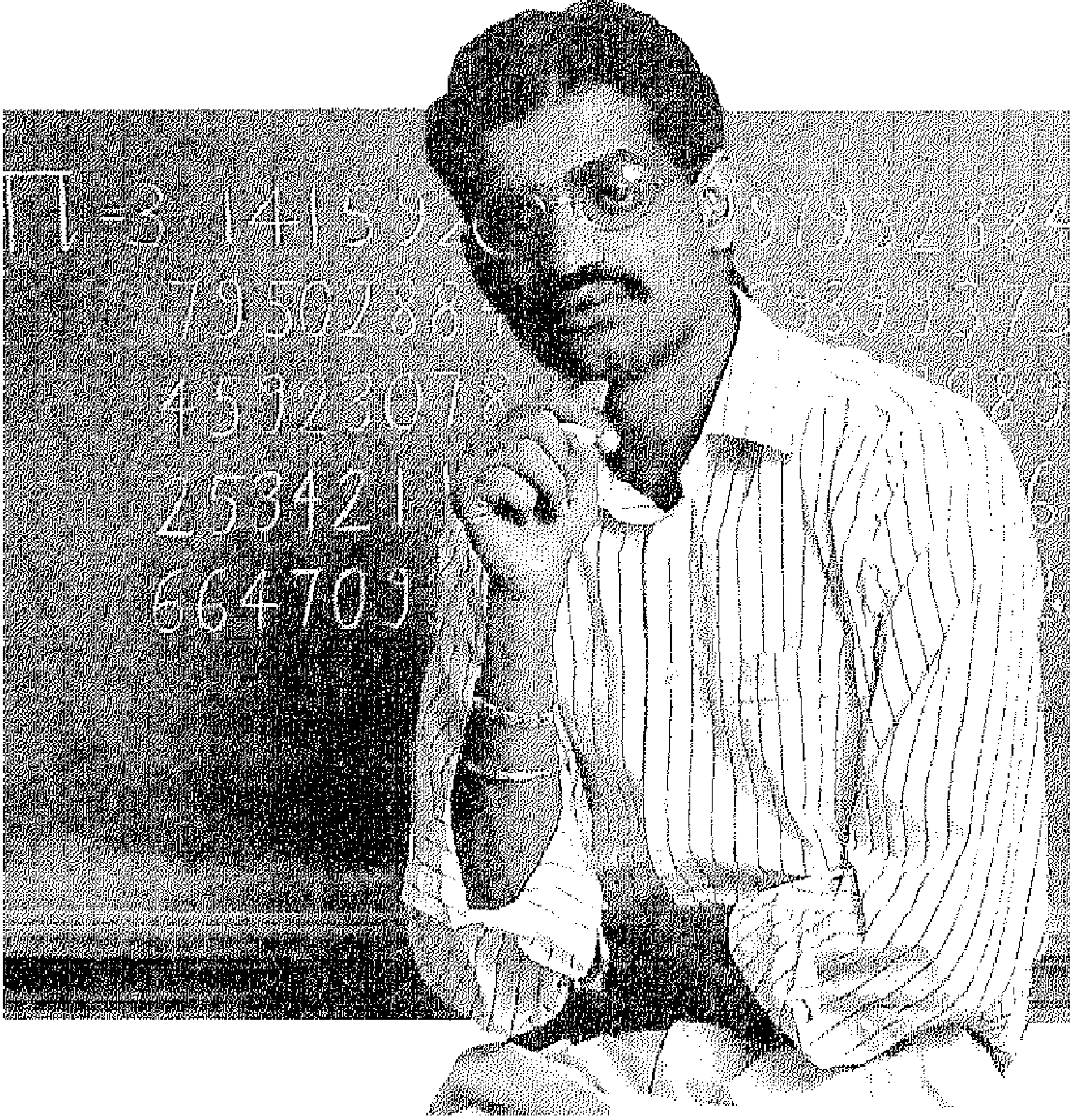
هارفي ب. ماكي ■

الكاتب صاحب شركة "ماكي" للمغلفات في مينيابوليس ومؤلف الكتاب الرائج "اسبح مع القرش من غير ان تؤكل حيا"

---

(٢) البقشيش هو الاكرامية الشخصية الزائدة على الاجر.

الحب والعمل والمعرفة ينابيع حياتنا، ويجب ان تتحكم بها ايضا. و.ر.



ظاهرة طبيعية فذة تستظهر عشرات ألوف الأرقام كشربة ماء

ذاكرة جبّارة

بعد مقابلة مستفيضة مع راجان ماهاديفان، وبعدما تلا من الذاكرة الارقام الثلاثين الأولى من حاصل جمع حسابي يدعى "ثابت يولر"[1]، وبعدما تذكر رقم مقعده على متن طائرة "الرحلة ١٠٧" الخاصة بالخطوط الجوية الهندية من بومباي الى نيويورك يوم ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٨٠، وبعدما كرر أرقام هواتف مكاتب الحجز لسبع شركات طيران، وبعدما تبسَّم مكتئبا لصعوبة استذكار الرقم الـ٣١٨١٢ من الرمز "باي" - بعد كل هذا قال لي إنه يود لقائي ثانية وطلب رقم هاتفي.

مددت يدي الى جيبي لأناوله بطاقتي الشخصية، لكنه بادرني قائلا: "لا حاجة الى ذلك. قل لي فقط ما هو الرقم."

طبعا، ما كان عليّ سوى تلاوة الرقم. كيف لا وأنا أمام ظاهرة طبيعية حية هي حلم كل باحِث في علم النفس، تجسدت في واحد من أبرز مستظهري الارقام في تاريخ العلم.

تلوْتُ رقم الهاتف، فأصغى ماهاديفان بانتباه ثم أغمض عينيه لبضع ثوان وغاب في التفكير وهو يترجح في كرسيه.

وعندما "عاد" الى العالم أطلق ابتسامته الودودة واستظهر رقم الهاتف عكسيا ثم صحيحا وقال بابتهاج: "من

(١) Euler's constant

السهل تذكر هذا الرقم. انه من عشرة اعداد فقط. وأوله ٦٢٣ وهو يذكرني برقم أفوغادرو[٢] وهو، كما تعلم، ثابت الثقل الذري. لن أنسى هذا الرقم أبداً."

قد يبدو هذا الوعد مبتذلا لو لم ينطق به راجان سرينيفازان ماهاديفان صاحب الذاكرة النادرة الجبارة ذات القدرات الفذة.

مدهش منذ صباه. يبدو ماهاديفان نموذجا لطلاب السنة الاخيرة في دائرة علم النفس وهو يتجول على مهل في حرم جامعة ولاية كانساس مرتديا قميصاً رياضياً وسروالا قديما مهلهلا. هذا الهندي المهذار شاب في الثالثة والثلاثين من العمر يعيش في شقة تسودها الفوضى ويقضي أمسياته في مقهى يلتقي فيه طلاب جامعة ولاية كانساس.

ماهاديفان ابن جراح هندي، أدهش أصدقاءه وهو صبي باستظهاره، مثلاً، الجدول الكامل لمواقيت محطة قطارات مدينة كالكوتا. ولما لم يكن هناك ما يجنيه من هذه الاستعراضات، كتب الى محرري كتاب "غينيس"´ للارقام القياسية العالمية. فاقترحوا عليه أن يركز تمارينه على الرمز "باي" وهو الحرف الـ١٦ في الابجدية اليونانية الذي يمثل نسبة محيط الدائرة الى قطرها. وقد تعلَّم معظمنا أن هذا الرقم هو ٣،١٤. والواقع أن الامتداد العِشري لهذا الرقم يطول الى ما لانهاية من غير نمط معلوم. لذلك فإن استذكار "باي" هو الامتحان الأمثل للذاكرة.

وفي ٥ يوليو (تموز) ١٩٨١ مَثَّل ماهاديفان في قاعة مكتظة في مانغالور وراح يتلو أرقام الرمز "باي" واجتاز بيسر المقطع الأول المؤلف من ٧٦٨ رقماً. وبعد تلاوة عشرة آلاف رقم توقف لتناول شراب منعش ثم تابع تلاوة الارقام مدى ثلاث ساعات و٤٩ دقيقة. واستطاع تلاوة ٣١٨١١ رقماً من قيمة "باي" من دون أدنى خطأ.

أما لماذا توقف عند هذا الحد فيشرح ماهاديفان الأمر بنفسه: "لقد نسيت. أنا دائماً أنسى الرقم الـ٣١٨١٢ وأتعثر به على الدوام."

في أي حال، أكسبه الاستذكار الى الرقم الـ٣١٨١١ المركز الذي يستحقه في كتاب "غينيس" ومنحه الرضى الذاتي بتحقيق رقم قياسي عالمي.

يقول: "يسألني الناس: يا راجان، لماذا تريد أن تحفظ غيبا ثلاثين ألف رقم من باي؟ فأجيبهم: إنها الرغبة في جبه التحديات."

ينسى الوجوه! غدت ذاكرة ماهاديفان حقلا لابحاث علماء النفس. وهو حاليا موضوع دراسة خصص لها "المعهد الوطني للصحة العقلية" في الولايات المتحدة مبلغ ١٥٧ ألف دولار وهدفها اكتناه سر قدرة راجان الفذة.

والواقع أن العلماء حاولوا منذ القدم

(٢) Avogadro's number

فهم آلية الذاكرة التي بقيت الى اليوم من الألغاز. اذ كيف يستجمع الدماغ حقيقة ما ووجهاً ما وشذاً ما بحيث تبقى في المتناول وقابلة للاستعادة بعد دقائق أو بعد عشرات السنين.

ويحاول الباحثون تحديد ما اذا كانت الذاكرة شبكة واحدة أو أن لكل فرد أصنافاً متباينة من الذاكرة تتميز بقدرات مختلفة. وعلى سبيل المثال، يتمتع ماهاديفان بذاكرة غير عادية بالنسبة الى الارقام، لكنه يبدو أقل من عادي في تذكر الوجوه. حتى انه ينسى أحياناً أين وضع مفاتيحه.

ومن الاسئلة الأخرى الملحَّة: كيف تستجيب بعض أنواع الذاكرة فوراً أو تتطلب هنيهات من الاجهاد الفكري؟ ويتقصَّى بعض الباحثين هذه التساؤلات باجراء بحوث على اشخاص عاديين، فيما ينحو آخرون الى تفحص ذاكرات جبارة كذاكرة راجان ماهاديفان.

أُخضع ماهاديفان لدراسات مكثفة مذ وطئت قدماه أرض الولايات المتحدة في العام ١٩٨٠. يقول: "ذهبت الى شيكاغو ومكثت في الغرفة ١٠٩ في فندق "كونراد هيلتون"! آسف! آسف! كان الرقم ١٤٠٩. وقد بلغت فاتورة الحساب ١٠٩ دولارات. هناك حضرت المؤتمر الدولي لليوغا والتأمل، وهناك استظهرت الاعداد العشرة الآلاف الأولى من الرمز باي."

وفي العام ١٩٨٧ دخل الطالب الجامعي الشاب الناحل مكتب الاستاذ تشارلز طومسون في جامعة ولاية كانساس. وكان هذا الاستاذ دأب منذ سنوات على فحص ذاكرة متطوعين. يقول طومسون: "أبدى راجان رغبة في العمل في دراسات الذاكرة. ولما سألته عن أنواع الذاكرة التي يريد دراستها قال: ذاكرتي."

عجائب. طلبتُ من راجان إظهار قدراته. قال: "لمَ لا تكتب على اللوح شبكة من ستة أرقام أفقية في ستة أرقام عمودية، عشوائياً."

وعندما فعلتُ حدَّق الى الارقام الستة والثلاثين بتركيز قوي. وبعد دقيقتين محوت الارقام فيما وقف راجان وهو مستغرق في تفكير عميق.

وأخيراً بدأ يستظهر الأرقام، صفاً صفاً، بلكنته الهندية:

٧	٦	٤	١	١	١
٤	٢	١	٣	٨	٧
٩	٧	٢	٠	٨	١
٣	٥	٤	٧	١	٦
٥	٥	٦	١	٩	٣
٩	٨	٧	٦	٢	٣

رددها كما كانت من دون أي خطأ. كذلك استظهرها عكسياً. ثم استجاب من دون أدنى خطأ عندما طلبت منه تلاوة الارقام العمودية والقطرية.

قال راجان: "تتراءى لي أحياناً بعض ترابطات فكرية. مثلاً، الرقم ١١١ يذكرني بـ"نلسون" وهي مجموعة النقاط المحرزة

في لعبة الكريكيت. وأرى هنا الرقم ٣١٢ فيخطر لي أنه رمز الهاتف لمدينة شيكاغو. أما الرقم ١٧٤٥ فأربطه بالرقم ٣٩ لأن بن فرنكلين كان في التاسعة والثلاثين عام ١٧٤٥."

ثم انتقلنا الى اختبارات أخرى مستعملين أرقاما مختلفة. وبعد أربع ساعات، وفيما كنا نتناول طعام الغداء، نظر اليّ راجان مجفلا وقال بحماسة: "كيف لم الاحظ ذلك قبلا؟ في العمود الايسر من شبكة الأرقام الستة والثلاثين هناك الاعداد ١٧ و١٦ و٣٣. حسنا، ١٧ زائد ١٦ تساوي ٣٣!"

ذاكرات في التاريخ. بعض المشاهير من أصحاب الذاكرات الفذة نجحوا أكثر من ماهاديفان في ما خص الكلمات، إذ تمكن الشاعر البريطاني جون ميلتون (١٦٠٨ – ١٦٧٤) من استظهار كميات مذهلة من الشعر الكلاسيكي. وفي العصور الحديثة استطاع القائد الموسيقي آرتورو توسكانيني (١٨٦٧ – ١٩٥٧) استظهار موسيقى أكثر من مئة أوبرا مع كلماتها، إضافة الى نغمات كل آلة موسيقية في نحو ٢٥٠ عملا سيمفونيا.

وذات أمسية في مدينة سانت لويس، قبل دقائق من رفع الستارة، اقترب من توسكانيني عازف مزمار مضطرب وقال: "يا مايسترو، لقد انكسر المفتاح الأدنى في مزماري."

وهنا وقف توسكانيني صامتا لبضع دقائق ثم طمأن عازف المزمار: "لا تقلق، فليست هناك نغمة لذلك المفتاح من المزمار في أي معزوفة تتضمنها حفلة الليلة."

ويعتبر الروسي شريشفسكي صاحب احدى أقوى الذاكرات التي سجلها التاريخ، اذ كان بمقدوره أن يتذكر حرفيا جميع المحادثات التي شارك فيها طوال حياته. يقول ماهاديفان: "خلافا لشريشفسكي، أنا أنسى. وأعتقد أن النسيان صحي جداً لأن عقولنا تكتظ بأشياء كثيرة لا حاجة اليها."

وعلى رغم ذلك هناك أشياء يود راجان أن يتذكرها، مثل الرمز "باي." ففي العام ١٩٨٧ استطاع ياباني استظهار ٤٠ ألف رقم من "باي" فحلّ مكان ماهاديفان في كتاب "غينيس." ويعتقد راجان المصمم على استعادة مكانته أن عليه حفظ ١٠٠ ألف رقم لنيل مركز ثابت. لذلك فهو مكب على الدراسة لتحقيق هذه الغاية، ويعتبر عمله هذا "ممتعا."

وذات ليلة فيما كان يستظهر القسم المحبب اليه من أرقام "باي" الواقعة بين المرتبة ٢٩٠١ والمرتبة ٣٠٠٠، قال لي: "اني أحب هذه الأعداد المئة." ثم أغمض عينيه وانصرف مستظهراً الأرقام بحماسة منقطعة النظير:

بدأ يتلو الارقام بسرعة[٣]: ٩١٨ ١١ ٩١١

(٣) الاعداد تكتب من اليسار الى اليمين، اما هنا فترتيبها من اليمين الى اليسار كما تلاها راجان ماهاديفان.

٣٩٧ ٥٩٩ ٦٠٢ ١٤١ ٦٩"، ثم الارقام: "٣٦ ٢٤ ٨٢ ٧٤٥ ٤٤٠ ٦٠ ٧٣٤ ١٥٤ ٣٢ ٨١٧ ٢٩١ ٩٩٩٧١ ١٩٣٨٠ ٩١٩٥١ ٥ ١٦ ١٨ –" وهنا توقف لحظة مفكراً بجهد ثم عاد يتلو: "٧٦٤ ٤١٥ ٩٦٢ ٣٢١ ٤٧٩ ٩٠٤٩٨ ٧٠ ٨١ ٤٦ ٤٩ ٣٢ ٩١ ١٦."

حينذاك لم أعد أعجب كيف يتلو هذه الأرقام بطريقة صحيحة، ولا كيف يفتح عينيه عائداً من حيث كان وابتسامته العريضة تلتمع في وجهه.

يقول راجان فرحا: "لا أدري لماذا أحب هذه الاعداد كل هذا الحب. انها كامرأة تحبها من النظرة الاولى، لا لسبب معلوم."

ت.ر.ريد ■



كلام المحامين

يزعجني في عملي سكرتيرة في مكتب محاماة ان يعمد المحامي الى الاستعاضة عن الكلمات البسيطة السهلة بحذلقة لغوية لا طائل فيها.

بعثتُ مرّة برسالة الى احد الموكِّلين أملاها عليّ المحامي، وفيها: "الرجاء ان تتفضل بالحضور الى مكتبي لنتمكن من تنفيذ الأعمال التوثيقيّة الضروريّة."

فاتصل بي الموكل وسالني: "هل تعني رسالتكم ان عليّ الحضور لتوقيع بعض الاوراق؟"

ك. د.

كسلانة

اتصلت هناء بوالدتها من الجامعة وقالت لها بصوتٍ مضطرب: "لم احسن الاجابة في امتحان الاقتصاد!"

فردّت والدتها مشجعة: "لا بأس، فليس غريباً أن يفشل الطالب في مادة ما."

فقالت هناء باكية: "لكنني كنتُ انوي ان افشل في مادّة الكيمياء!"

ك.ب.

سرّ الراصد

ادهشتني قدرة جارنا على رصد حال الطقس، اذ كثيراً ما كان يتوقع هطول الأمطار في يوم صاف، فما تلبث السماء ان تتلبد بالغيوم ويهطل المطر.

سالته يوماً عن سر قدرته، فاجابني: "الامر بسيط. فكلما رويتُ حديقتي تمطر السماء."

م.م.

صفقة غريبة

بين جمّال حاذق ورحّالة شهير

صديقي محمد تاجد سجاد

ذهبت قبل سنين في رحلة الى مدينة هرات القديمة في أفغانستان، ونزلت في فندق عتيق ذي أرضية ترابية. وما إن أويت الى غرفتي حتى دخل عليّ رجل ناحل باسم الثغر أسود الشعر طويله، وطرح على الارض نحو ثلاثين سجادة عجمية من أجمل ما رأت عيناي.

كانت التصاميم غاية في الروعة، تنقل الى الناظر عبر حبكات متداخلة آيات قرآنية ضمن رسوم هندسية تناغي العين. أما الألوان فزاهية متألقة تجمع بين الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق.

اعتقدت أن الرجل يعمل في الفندق، لكنه ناولني قصاصة ورق كُتب عليها بقلم رصاص: "محمد زكير، تاجر سجاد، هرات."

فصرخت محتجا: "لا، لا، لا أريد سجاداً!"

فأجابني بابتسامة صامدة: "سأتركها هنا، فتدرسها وتتعلم أن تحبها."

وقبل أن أنطق كلمة احتجاج أخرى أمسك لجام جمله ومشى.

عاد زائري تلك الليلة وأخذ يسامرني تحت نور مصباح خافت. أخيراً سألني: "هل رأت عيناك أجمل من هذه السجادات؟ هذه من صديقي في مشهد، وهاتان من بخارى، وهذه من سمرقند."

وفي اليوم التالي زارني ظهراً وقال: "ميتشنر اسم الماني على ما أظن؟" وعندما صححت معلوماته أضاف: "قد تبدو ثلاث سجادات أو أربع أو خمس رائعة في بيتك في بنسلفانيا."

– لكني لست في حاجة الى سجاد هناك. أنا لا أريدها، فعلا.

"ألن تبدو جميلة في بنسلفانيا؟" وأزاح السجادات الظاهرة وكشف أخرى تحتها تزخر بالروائع: "السجادة البيضاء والذهبية التي أعجبتك هي بستمئة دولار." ولما سمع تأوهي أخفاها ببراعة تحت سجادات أخرى أصغر حجما.

"آه، يا سيد ميتشنر، لك ذوق رفيع. فهذه السجادة مصنوعة في الصين من الحرير والصوف. انظر الى هذه العقد الصغيرة جداً." وتلا على مسامعي درسا في صناعة السجاد من حيث التصاميم وتنوع العقد والألوان الباهرة، فكان الاستماع اليه مثيراً.

في اليوم الثالث تناول الشاي معي وراح يسقط دفاعاتي واحداً تلو آخر: "لا تستطيع أن تأخذها معك؟ سأرسلها اليك. الجمل هنا، والسفينة في كراتشي، والقطار في نيويورك، والشاحنة تنقلها الى منزلك في بنسلفانيا."

ثم أطلعني على دفتر ضمَّنه عناوين زبائن من أنحاء العالم، فلاحظت صفقات تمت في مدن بعيدة مثل مشهد في ايران وبخارى في أزبكستان. وبدا واضحاً أن الرجل تنقّل باستمرار مع جمله المحمل. وهو ألصق الى جانب العناوين رسائل من الزبائن تثبت وصول السجادات الى مالكيها الجدد.

"سيد ميتشنر، يمكنني اعطاؤك هذه السجادات الأربع بسعر خاص، أربعمئة وخمسين دولاراً، وأنا متأكد من أنها ستكون صفقة العمر."

– لكني لا أملك دولارات أمريكية.

وللحال راح يتلو علي العملات الأخرى التي يقبل بها: البريطانية والهندية والايرانية والباكستانية والافغانية... فقاطعته: "يا محمد، يا صديقي، أنا لا أملك مالا من أي عملة."

فصاح: "أعرف، أعرف، لكنك رجل أمين، سأقبل شيكاً منك."

فأعلمته وقد تملكني الانزعاج: "لكني لا أحمل دفتر شيكات."

فقال: "أنا أصدقك. ارسم لي واحداً."

وأعطاني قصاصة ورق عادية، فاذا بي أرسم شيكاً للمرة الاولى في حياتي. ناولته لمحمد زكير، فطوى السجادات الاربع التي باعني إيّاها ووضعها تحت إبطه وامتطى جمله ورحل.

لدى عودتي الى بنسلفانيا بدأت أتلقى مجموعة من الرسائل جاء في أولاها: "أنا عميل شحن في اسطنبول. وصلت باخرة تحمل صندوقاً كبيراً مرسلا اليك. سأشحنه فور تسلمي حوالة منك بقيمة ١٩،٥٠ دولاراً أمريكياً."

تلقيت على مدى ثلاث سنوات سيلا من الرسائل المبعوثة من كراتشي واسطنبول وتريسته ومرسيليا من غير أن يتجاوز المبلغ المطلوب يوماً عتبة العشرين دولاراً، بحيث كنت أتشجع وأقول: "حسناً، لقد دفعت الكثير حتى الآن، وأستطيع التضحية بمبلغ صغير أيضاً."

ثم بدأت أتلقى مجموعة أخرى من الرسائل:

"أنا سفير ايطاليا في كابول. كنت في هرات قبل أيام فصادفت تاجر سجاد أطلعني على الشيك الرائع الذي أعطيته إياه. وسألني إذا كان الشيك سيُدفع إن هو جيَّره، فأكدت له ذلك. ولما سألته لماذا لم يقبضه بعد أجابني: "السيد ميتشنر حسن السمعة وأنا أبرز هذا الشيك لكثيرين من أمثالك فيشترون مني سجاداً."

تلقيت هذه الرسائل من مسافرين فرنسيين وتجار هنود ومستكشفين انكليز ومن أناس مختلفين قادهم الترحال الى ذلك الفندق القديم في هرات.

وصلت السجادات أخيراً كما وعدني محمد زكير، ومعها وثائق شحن كثيرة كأنها كنوز من متحف. كما أعيد الشيك إليّ بعدما استُعمل لأغراض دعائية طوال خمس سنوات.

أحب هذه السجادات الرائعة، وأنا سعيد بامتلاكها. لكني أكثر سعادة بذكرياتي مع ذلك التاجر الأمين الذي تحاذق طوال أربعة أيام لاقناعي بشرائها.

جايمس ميتشنر ■

نظرة عراك

استدعي أحد الشبان الى التجنيد. وكان عليه ان يخضع لفحص عيون. فسأله الطبيب: "هل يمكنك ان تميّز هذه الحروف على اللوحة؟"

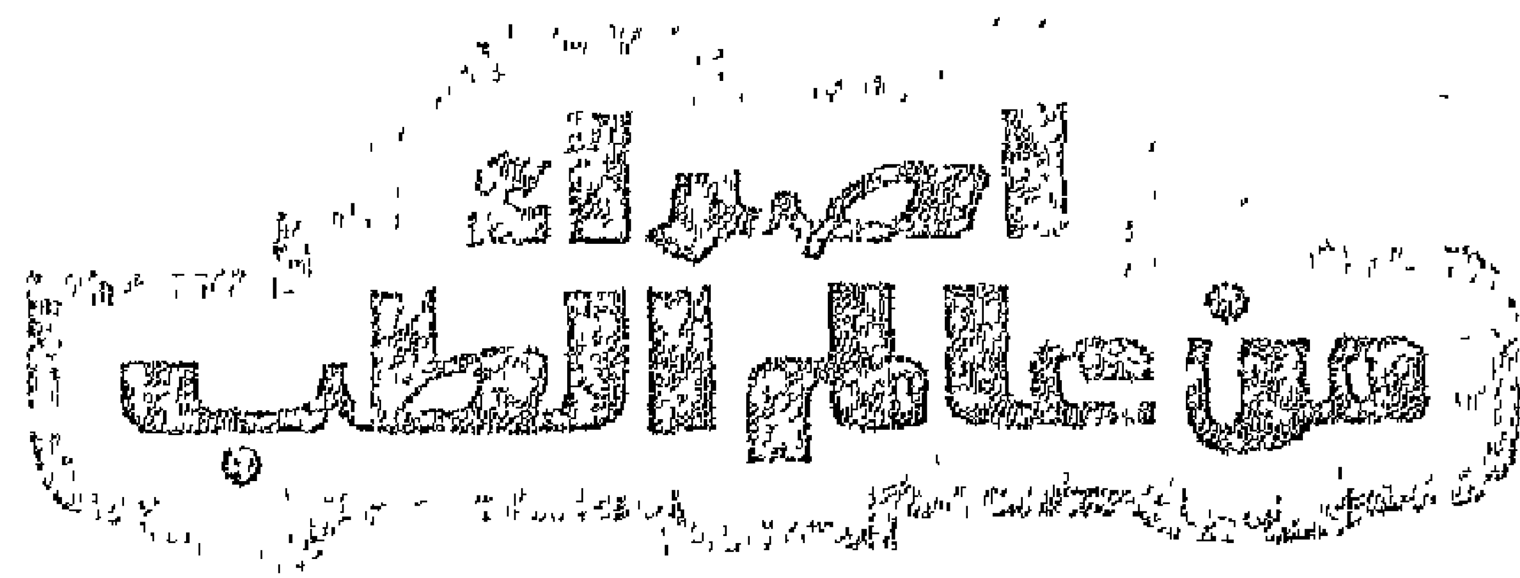
اجاب: "ليس من هذه المسافة يا دكتور."

– واذا اقتربتَ الى هذه المسافة؟

"أيضاً لا".

وظل الطبيب يقرّب الشاب من اللوحة حتى نجح في قراءة الحروف من مسافة نصف متر. فقال له الطبيب: "جيّد جداً. يمكن إلحاقك بكتيبة القتال بالايدي."

أ.س.



علاج الاجنّة

■ أصبح في مقدور الاطباء أن يكتشفوا مرضاً نادراً وقاتلا يصيب الغدّة الدرقية في عنق الجنين، ويعالجوه قبل الولادة، باستعمال أساليب جديدة في أخذ عيّنات من دم الأجنّة وادخال الادوية مباشرة عبر الرحم.

وفي تقرير حديث نشر في مجلة "نيو انغلند الطبية" تحدث أطباء من جامعة فلوريدا عن تقنية "أخذ عيّنات من الدم عبر الحبل السرّي والجلد" استخدموها لتحديد سبب تضخم الغدّة الدرقية في جنين في أسبوعه الخامس والثلاثين.

وقد تم الفحص قبل الولادة من طريق سحب الدم بابرة تُغرز في بطن الأم وتخرقه الى الحبل السري للجنين.

واذ بيَّن الفحص أن الغدّة الدرقية لدى الجنين متضخمة وغير ناشطة بسبب عقاقير تناولتها الأم ابتكر الاطباء طريقة لايصال هرمون الدرقية الناقص الى الجنين. فغرزوا ابرة في رحم الام وحقنوا الدواء عبرها مباشرة في السائل النخطي الذي يحيط بالجنين. وقد تلقّت الام هذا العلاج لثلاثة أسابيع، ووضعت طفلة مكتملة الصحة.

ويقول الدكتور دوغلاس ريتشاردز أستاذ الجراحة النسائية والتوليد: "ان أخذ عيّنات دم من الحبل السرّي، وحقن عقاقير داخل الرحم، يؤمنان فرصاً جديدة لمعالجة الأجنّة. ويمكننا الآن معالجة مشاكل نادرة، ولكن خطيرة، كتضخُّم الغدة الدرقية وفقر الدم لدى الجنين، وتحسين فرص ولادة طبيعية لأطفال أصحاء."

نشرة "ذي سنتر"

تحدثوا الى مرضاكم!

■ يحرص بعض الأطباء على كتابة وصفات وطلب اجراء احدث الفحوص لمرضاهم، لكنهم يغفلون بعض المبادىء الطبيّة، كالتحدث اليهم مثلاً.

وزع باحثون في جامعة هارفرد استمارات على ٥٠١ طبيب طالبين منهم تحديد نوعيّة الأسئلة التي يطرحونها على مريض ونوع العلاج الذي يصفونه له. والمريض رجل مصاب بالام في المعدة، وقد اظهر الفحص التهاباً في المعدة وعدم وجود قرحة.

وعلى رغم تشجيع الاطباء على طلب معلومات اضافية عن المريض، فقد رد ثلثهم بأنهم لن يطرحوا مزيداً من الاسئلة وسيكتفون بوصف عقاقير.

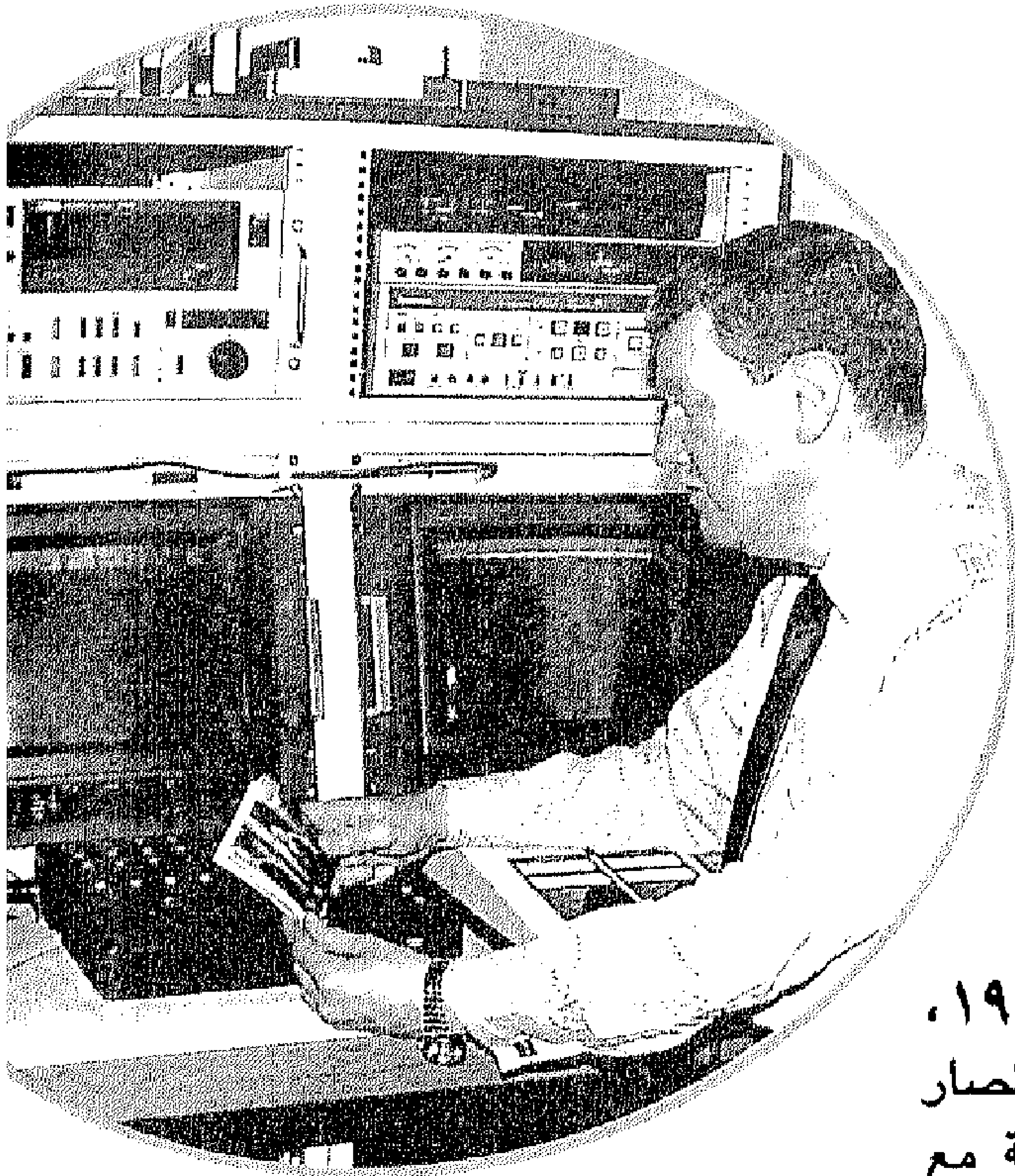
ولو دقق هؤلاء في حالة مريضهم لوجدوا أنه يتناول الاسبيرين بانتظام ويفرط في الكحول ويدخن بكثرة، وأنه فقد ابنه حديثاً. وهذه كلها عوامل قد تساهم في مشكلة المريض.

ويقول الدكتور دنيال ايفريت الذي شارك في وضع الدراسة: "لكن الاسبيرين هو السبب الابرز. والعلاج الأنجع هو نصح المريض بالتوقف عن تناول الاسبيرين."

ويضيف ايفريت: "ان طرح أسئلة على المريض والاستماع الى ما يقوله قد يكونان اهم من أي فحص متطوّر."

مجلة "هيلث"

مشاغبو الملاعب



يونيو (حزيران) ١٩٨٨، شتوتغارت، ألمانيا. اشتبك أنصار كرة القدم الانكليز في معارك عنيفة مع شبان ألمان وايرلنديين بعد خسارة فريقهم أمام فريق ايرلندا بصفر في مقابل هدف واحد في مباريات بطولة أوروبا. ثم انتقلوا الى دوسلدورف والى هزيمة أخرى أمام هولندا، فانطلقوا مع أنصار آخرين في ثورة هياج يحطّمون النوافذ ويقلبون السيارات مسبّبين أضراراً بقيمة ١٠٠ ألف جنيه استرليني (نحو ١٩٠ ألف دولار).

وانفجر العنف من جديد بعد ثلاثة أيام في فرنكفورت، حيث تقابل الفريقان الانكليزي والسوفييتي. واستخدم المشاغبون الانكليز قنابل غاز مسيل للدموع كما أثاروا أنصار منافسيهم بتأدية التحية النازية. وفي نهاية الاسبوع كان أكثر من ٢٥٠ شخصاً من مناصري الفريق الانكليزي اعتُقلوا على أيدي الشرطة.

سبتمبر (أيلول) ١٩٩١. بمفارقة عجيبة، وخلافاً للفوضى التي حدثت قبل ثلاث سنوات، مرت مباراة بين ألمانيا وانكلترا في ومبلي دونما حادث يذكر. ويعود معظم الفضل في ذلك الى "وحدة الاستخبارات الجنائية الوطنية لكرة القدم"[١] التي شُكلت عشية اضطرابات ١٩٨٨ لتنسيق المعلومات حول أعمال الشغب في الملاعب.

---

(١) National Criminal Intelligence Service Football Unit

PHOTOS: NATIONAL FOOTBALL INTELLIGENCE UNIT

لطالما تعالت الاصوات الشاكية في عناوين الصحف البريطانية ضد عنف أنصار كرة القدم الانكليز، وخصوصا خلال المباريات التي تجرى خارج البلاد. ولطالما هبّ الجمهور الانكليزي، الملسوع بالخجل والعار اللذين جلبتهما هذه التصرفات المخزية على بلده، مطالباً حكومته باتخاذ الاجراءات المناسبة. فكان من نتائج ذلك تشكيل فرقة بادارة الشرطة سُمّيت "وحدة الاستخبارات الجنائية الوطنية لكرة القدم" وأدى نجاحها في مكافحة المشاغبين الى استعادة جزء كبير من الكبرياء الانكليزية الجريحة.

المفوض ادريان ابليبي يطابق صورة مشاغب على تسجيل فيديو.



وساهم العمل الميداني في وأد المشاكل في مهدها. إذ كانت الوحدة، بالتنسيق مع الشرطة الألمانية، حصلت على صور فوتوغرافية للعناصر الأشدّ خطراً بين مناصري الفريق الألماني، كما وصل عدد من خبراء الشرطة الألمانية الى بريطانيا قبل يومين من المباراة.

تأكدت أجهزة المراقبة الالمانية من أن العناصر الخطرة بين المشاغبين المعروفين لديها سوف تعبر الى بريطانيا بحراً لتتجمع في مقهى "ذا غلوب" في ماريلبون. فلاحقت الشرطة المشاغبين فيما هم يحاولون الانتقال من لندن في القطارات والحافلات الصغيرة، وأوقفت ٣٢ منهم للاستجواب في محطة فكتوريا، كما دهمت مقهى "ذا غلوب" حيث أوقفت عشرين آخرين قبل بدء المباراة بخمس ساعات. ووجهت في ما بعد الى ١٤ عنصراً تهمة حيازة أسلحة خطرة تشمل سكاكين ومرشات غازات كيميائية وشفرات حلاقة.

وفي الملعب، عمل خبراء الشرطة المستقدَمون من مناطق الشغب المعروفة في بريطانيا، مراقبين على بوابات الدخول الدوّارة محذّرين العناصر المشبوهة التي حُدّدت هويات معظمها بفضل صور فوتوغرافية أمنتها وحدة الاستخبارات. كما التقطوا جهاراً صوراً لبعض المشاغبين المعروفين لمزيد من التهويل ولاضفاء الجدية على الانذار ولتحديث المعلومات في كمبيوتر الوحدة. فمرّت المباراة من دون شغب يذكر.

معرض الاشرار. تجمع الوحدة معلوماتها من نحو مئة شرطي مكلفين هذه المهمة في أنحاء بريطانيا، ثم توزّعها على قوات الامن الأخرى. والسلاح الرئيسي للوحدة نظام توثيق معلوماتي ذو تقنية عالية تحتوي ذاكرته على صور مأخوذة من أشرطة فيديو وصور عادية وقصاصات صحف.

وهكذا يصبح التعرف الى المشاغبين المحتملين أكثر سهولة. وهو صعب جداً عند الاكتفاء بأوصاف منقولة عن شهود غير خبيرين. وتؤمّن الصور في المحكمة دليلا لا يدحض مع استبعاد إمكان ارتباك شهود الادعاء في مواجهة استجواب قاس من محامي الدفاع. ويتم تحديث الأرشيف[٢] باستمرار لاضافة أسماء مشاغبين جدد أو لالغاء أسماء من لم يثبت اشتراكهم في أعمال شغب خلال الموسم الكروي السابق.

أطلعني المفتش براين درو، وهو جالس أمام شاشتي مرقاب مزدوج في مقر قيادة وحدة الاستخبارات المطل على نهر التيمز في لندن، كيف يمكنه أن يستخرج معلومات تفصيلية عن نحو ٦٥٠٠ شاب (و١١ شابة فقط) مصنّفة تحت عدد هائل من الأبواب، بدءاً بالنادي الذي يناصرونه وصولا الى لهجتهم والوان شعورهم. والمفتش درو هو الرجل الثاني في وحدة الاستخبارات الجنائية لكرة القدم.

---

(٢) الارشيف هو مجموع السجلات والمحفوظات في مؤسسة ما.

فبادرته: "هب أن رجلا دفعني أرضاً ولا أذكر عنه سوى أنه يحمل وشم صورة أفعى على ذراعه..."

وقبل أن أنهي عبارتي أفادنا جهاز الكمبيوتر أن هناك ٤٢ شخصا يحملون وشما كهذا وأسماؤهم مدرجة في اللائحة. أين وقع الحادث؟ وخلال أي مباراة؟ في غضون ثوانٍ ظهرت على الشاشة صورة الفاعل المحتمل مع وصف كامل له على جهاز فيديو موصول بالكمبيوتر.

على مقربة منا جلس ضابط التحري فيل ريان وأخذ يشغل نظاما سينمائيا على الفيديو. فأشرطة الفيديو تصل تباعاً من مباريات كرة القدم في أنحاء بريطانيا بعد أن يسجّلها مصورون من الشرطة يجولون بين المتفرجين، أو بواسطة كاميرات ثابتة تغطي كل الملعب.

مراقبة عن كثب. يستطيع ريان أن يلحظ مخالفات لم يلحظها حتى حامل الكاميرا عبر استخدام مفاتيح "تجميد الحركة" أو "السرعة البطيئة" أو "عزل الصورة وتكبيرها." وما إن يتم التعرف الى المخالف حتى يوقف ويواجه بصور الفيديو دليلا ثم يدعى الى المثول أمام المحكمة.

ويصنف رئيس الوحدة الرقيب أدريان أبلبي أنصار الكرة الانكليز في ثلاث فئات. الغالبية الساحقة هي من المناصرين المسالمين التواقين الى التمتع بالرياضة. والفئة الثانية مشاكسة يتخذ أفرادها أماكنهم في مواجهة مناصري الخصم لسهولة تبادل الشتائم. وهذه الفئة سهلة الانقياد للفئة الثالثة، وهي مجموعة "المرتزقة" الموجودة في الملعب لممارسة العنف وإثارة الشغب فحسب، حتى إنها لا تتابع المباراة.

الكلفة بالأرقام. تُقدّر كلفة ضبط مشاغبي الملاعب بنحو ١٠ ملايين جنيه (١٩ مليون دولار) سنوياً. وقد يحتاج الأمر في مباريات تحتدّ فيها الخصومة الى ما يقرب من ألف شرطي.

ليس العنف جديداً على الملاعب الانكليزية. ويقول الرقيب أبلبي: "إننا نجد أمثلة قديمة على غزوات عنيفة وهجمات على الحكام واللاعبين ومعارك بين أنصار الفرق المتنافسة ترقى الى مئة سنة. لكن العنف تصاعد خلال السبعينات والثمانينات من هذا القرن، وتحضّر معظمه زُمر وعصابات إجرامية."

في ٢٩ مايو (أيار) ١٩٨٥ غزت مشاهد مروِّعة للعنف الكروي بيوت الملايين من مشاهدي التلفزيون في العالم على نحو مثير للاشمئزاز. فقبيل مباراة نهائي كأس أوروبا في ملعب هايسل في بلجيكا، هاجم أنصار فريق ليفربول الانكليزي أنصار منافسه الايطالي جوفنتوس. وانهار حائط ساحقاً تحته عشرات الايطاليين الذين كانوا يحاولون الهرب. وعندما استتبّ النظام تكشفت الحصيلة عن ٣٩ قتيلا، ٣٢ منهم ايطاليون، كما سقط ٧٠٠ جريح.

أثارت الكارثة موجة من الغضب العارم داخل بريطانيا وخارجها. فمُنعت كل الفرق الانكليزية من اللعب في أوروبا، وطالبت مارغريت تاتشر، رئيسة الوزراء آنذاك، بغضب وحزم، أندية كرة القدم الانكليزية بترتيب أوضاعها. وعُززت استخبارات الشرطة ومُنحت المحاكم صلاحية إصدار "أحكام استثنائية" تحظر على المشاغبين المعروفين حضور المباريات.

بدأت الشرطة المحلية ملاحقة المشاغبين. لكن المباريات الخارجية ظلّت مصدراً للمشاكل. وأخيراً، أدت الاضطرابات التي وقعت في ألمانيا عام ١٩٨٨ خلال مباريات بطولة أوروبا، الى حفز الحكومة البريطانية على استحداث وحدة استخبارات في مديرية الشرطة مختصة بمشاكل العنف الكروي.

حين بدأت الوحدة عملياتها في مارس (آذار) ١٩٩٠، كانت كارثة هيلزبورو التي قتل خلالها ٩٥ شخصاً من أنصار ليفربول سحقاً تحت الاقدام، قد هدّأت المشاغبين موقتاً. لكن أحداث مباراة ليدز – بورنماوث في ٥ مايو (أيار) ١٩٩٠ محت الشعور بالاطمئنان الى أن الاسوأ قد انقضى. وكانت الشرطة حذرت من إقامة المباراة في عطلة نهاية أسبوع عيد العمل. غير أن اتحاد كرة القدم تجاهل التحذير.

توافد أكثر من خمسة آلاف من أنصار فريق ليدز الى المنتجع الذي كان يغص بمواطنين قدموا لتمضية العطلة. وبدأت الفوضى في المساء الذي سبق المباراة، واستمرت خلال الليل اذ انطلق مئات من المشاغبين يغزون المقاهي ويحطمون واجهاتها ومحتوياتها مسبّبين أضراراً بمئات ألوف الجنيهات. ولكن لم يلحظ المشاغبون الشباب أن الواجهة البحرية كانت مجهزة بعشرات الكاميرات التلفزيونية التي تُستخدم عادة للتعرف الى مخالفين أقل شأناً، وأن مصورين جوّالين من الشرطة كانوا يسجلون الأحداث أيضاً.

طوال أسابيع لاحقة، عكف خبراء وحدة الاستخبارات على دراسة أشرطة الفيديو المسجلة جاهدين في التعرف الى المخالفين. وأوقف ١٣٩ شخصاً من أنصار فريق ليدز قُبض على معظمهم بعد عودتهم الى منازلهم معتقدين أنهم نجوا بفعلتهم.

ثمار المعرفة. واجهت الوحدة بعد اضطرابات بورنماوث احدى كبرى مهماتها وهي منع المشاغبين بين نحو ١٠ آلاف من أنصار الفريق الانكليزي من إلحاق العار بأنفسهم وببلدهم خلال مباريات كأس العالم التي كانت ستجرى ذلك الصيف في ايطاليا.

قبل بدء مباريات كأس العالم، كشفت معلومات يصفها أبلبي بأنها "عمل روتيني" (ليخفي بتواضع ما كان نظام مراقبة بالغ الفاعلية) أن نحو ٩٠ شخصاً من أشرس المشاغبين يعتزمون السفر الى تونس لتعطيل مباراة ودية بين فريقي

انكلترا وتونس في ٢ يونيو (حزيران). ويقـول أبلبي: "علمنا أنهم ينـوون استخدام العنف ضد أنصار الفريق المضيف، وكان ذلك بمثابة النفير المنذر بأن عجلة الأحداث تتحرك في اتجاه كأس العالم."

التقط أعضاء من الوحدة علانية صوراً لقرابة ٢٠٠ من المشاغبين المعروفين لدى وصولهم الى مطار هيثرو. وحذّروهم أن يحسنوا التصرف في تونس. كما وجه اليهم تحذير جديد لدى وصولهم الى تونس من طريق شرطيين آخرين في الوحدة كانوا في رفقة الشرطة التونسية. ووُضعوا تحت المراقبة طوال فترة إقامتهم هناك. وخلال المباراة، عزلوا عن الأنصار الآخرين بحيث لم تحدث أي أعمال شغب. ثم نُقلوا بعد المباراة في طائرة أعادتهم الى بريطانيا بدلا من السماح لهم بالسفر جواً الى ايطاليا لحضور أول مباراة للفريق الانكليزي في سردينيا بعد أسبوع واحد.

في غياب أعنف المشاغبين، نجت دورة كأس العالم الى حد كبير من أعمال الشغب الانكليزية، مما أثّر ايجاباً في السماح للاندية الانكليزية بالعودة الى ملاعب أوروبا.

إن أنصار اللعبة العاديين الذين يكرهون أن يفسد الجانحون رياضتهم المحبَّبة يؤمّنون معظم المعلومات التي تخدم عمل الشرطة. وهم مدعوون الى الاتصال عبر خط هاتفي مباشر (٠٣٤٠ ٥ ٢٣٠ – ٠٧١) مخصص لهذا الغرض والادلاء بأي معلومات عن خطط يدبرها المشاغبون.

أخبرني باري غولدنغ، وهو ضابط في الوحدة، كيف أحبطت إخبارية عبر الخط المباشر خطط نحو ١٥٠ مشاغباً من أنصار فريق ميلوال في الموسم الكروي الفائت (١٩٩١ – ١٩٩٢). كانوا تواعدوا للقاء في محطة "ساري كايز" حيث ركبوا قطاراً وفي نيتهم شنّ هجوم على أنصار فريق وستهام في محطة بليستو التي تبعد ست محطات. لكن الشرطة، بفضل الاخبارية، راقبتهم في أثناء الرحلة وأبقت الطرفين منفصلين.

حَمَل نجاح الفرقة وحدات أخرى من الشرطة في أنحاء البلاد على طلب مساعدتها في حل جرائم. ففي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١ وجدت موظفة في مانشستر نفسها وجهاً لوجه مع لص ينفّذ عملية سطو مسلح، وأعطت الشرطة وصفاً تفصيليا له. واذ تزامنت عملية السطو ومباراة بين فريقي أرسنال ومانشستر يونايتـد، أرسلت شرطـة مانشستر أوصاف اللص الى مركز وحدة الاستخبارات حيث حدّد جهاز الكمبيوتر هويته بسرعة كاشفاً أنه أحد أنصار أرسنال ويعيش في لندن. بعد ذلك تعرفت الموظفة الى صورة اللص بين مجموعة صور أمنتها الوحدة.

كذلك تؤمّن الوحدة مساعدات في قمع اضطرابات لا علاقة لها بالكرة، مثلما فعلت في حادث التمرد في سجن سترينجويز في مانشستر وفي قضية زُمَر

اللصوص في كرنفال نوتنغ هيل في لندن. وقد عرض علي ريان مقاطع من تسجيل أحداث الكرنفال، هي في ذاتها مثال رائع على فاعلية الفيديو.

طالعتنا الشاشة بجمهور طيب مسالم يتحرك في الشارع كنهر هامد ثم ظهرت بوضوح، كحطام يطفو على سطح الماء، مجموعة من ثمانية أشخاص انتشر عناصرها وسط "المجرى" الرئيسي وأحاطوا بامرأة أخذوا يدفعونها ويجرونها لتقع أرضاً. وفي ثوان انتزعوا منها قلادتها وساعتها ومجوهرات أخرى ثم اختفوا وسط الجمهور.

اكتشفَت عين ريان المدرّبة ٢٢ اعتداء في غضون أربع دقائق ونصف دقيقة من تسجيل الفيديو، كان ضحاياها رجال فقدوا حافظات نقودهم ونساء فقدن مجوهراتهن. وساعدت صور الفيديو لاحقاً على اقتياد عشرة من لصوص الكرنفال الى المحكمة.

بعدما شهدت ألمانيا نجاح وحدة الاستخبارات الجنائية البريطانية لكرة القدم، أنشأت بدورها وحدة مماثلة.

من الثابت أن تقدماً ملحوظاً في مكافحة الشغب الكروي قد تحقق، إذ انخفضت الاعتقالات خلال موسم ١٩٩٠ – ١٩٩١ بنسبة ٣١ في المئة، ولا يشمل هذا الرقم الاعتقالات الاخرى المتعلقة بمباريات كرة القدم التي حصلت خارج الملاعب. ويبدي الرقيب أبلبي تفاؤلا حذراً: "لقد أثبتنا القيمة الهائلة للتنسيق المكثف بين وحدات الشرطة وفاعلية استخدام المعلومات الاستخبارية. وأنا واثق بأن الوضع سيستمر في التحسن شرط ألا تخف يقظتنا."

فيل سيدي ■



إنذار شرطي

اوقف الشرطي سائقا وبدأ ينظم محضر ضبط في حقه لتهوّره في السرعة. فاحتج السائق قائلا: "الا يحق لي بانذار قبل المحضر؟"

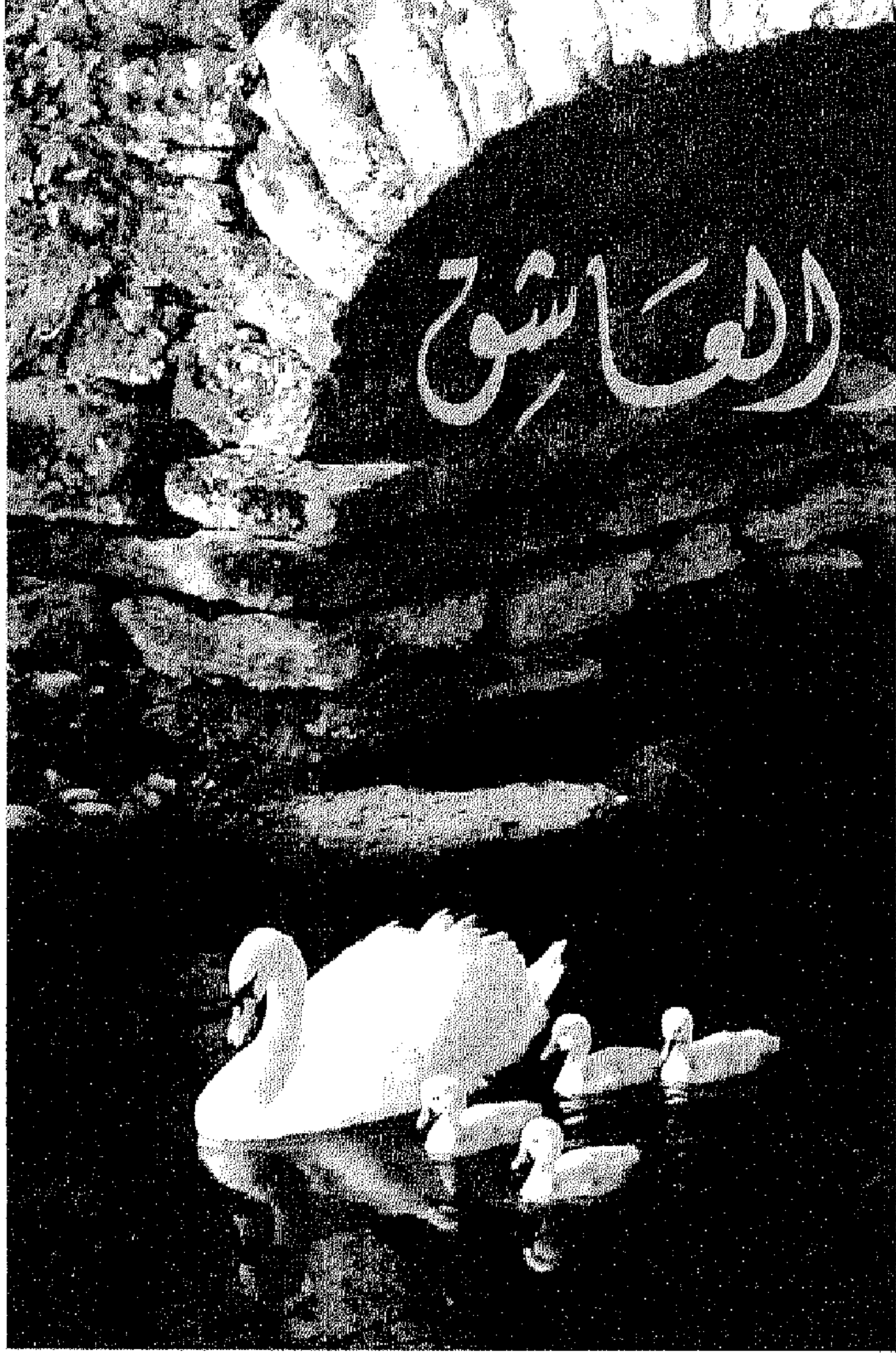
أجابه الشرطي: "طبعاً، اليك الانذار: اذا لم تتقيّد بقوانين السير في المرة المقبلة، فسأنظم في حقك محضراً اخر."

د.ك.

حمام ضائع

فقد أحد مربّي الحمام عشرة طيور في أحد السباقات. وعاد أحدها بعد سبع سنوات الى وكنه القديم وحول قائمته بطاقة كُتب عليها: "شكراً جزيلاً، فقد افدنا من حمامتك في استيلاد كثير من الحمائم الأصيلة."

صحيفة "ديلي تلغراف"



الأوز العاشق

بديعة الجمال، مخلصة، عاشقة رومنسية لا تفتر جذوة غرامها

كان زوجان من الاوز[1] منهمكين في بناء عش على "جزيرة" صغيرة في البحيرة قرب بيتنا، فرحنا نراقبهما بوقاحة بواسطة منظار. كان الذكر يأتي بالاعشاب من البحيرة الى الانثى العاملة بدقة وحنان في بناء عش بيضوي قارب طوله متراً ونصف متر.

وكان رجل من هواة الاوز واقفاً بجانبي فقال: "سيعودان الى هذا البيت كل سنة."

فتذكرت عبارة قرأتها للروائية نورا إفرون: "اذا أردت زواجاً أحادياً فتزوج إوزة."

كان زوجا الاوز من النوع الكبير، يناهز علوهما مع امتداد العنق ١٢٠ سنتيمتراً. وتساءلت: تُرى كم عمرهما؟ فهذا أمر تصعب معرفته، لأن طيور الاوز تبدأ التزاوج باكراً، في السن الثالثة أحياناً، وقد تعيش ٤٠ سنة. إلّا أنها تظل، وهي

(١) Swan . وهو التَمّ او الاوز العراقي.

في الثلاثين، بيضاء وقوية كما كانت في الخامسة من عمرها.

انسجم الزوجان في العمل حتى اكتمل العش، فنفضت الانثى ريشها وجثمت فيه. واذا بأحد الخبراء الواقفين معنا يقول: "الآن ستضع بيضها." وكان الذكر أنجز عمله وراح يتبختر مزهواً حول زوجته حارساً إياها من المعتدين.

رقصة الحب. راقبت على مرّ السنين أعداداً كبيرة من الاوز تنساب مختالة على صفحة المياه في البحيرة المجاورة، برؤوسها الشامخة وأعناقها البديعة المحنيّة، كأنها أسطول تتهادى مراكبه ناشرة أشرعتها السامقة الرائعة البيضاء.

يقول علماء الطيور إن منطقتي هي "موطن نموذجي صغير للاوز." لذا اشتريت عدداً كبيراً من الكتب لأتضلّع من دراسة عالم الاوز.

اوزنا من النوع الابكم،[٢] وهو أحد ثمانية أجناس تستوطن كل القارات باستثناء افريقيا وأنتارتيكا (قارة القطب الجنوبي). وهي أليفة جداً. كان الزوجان في بحيرتنا يسبحان الى الضفة لتناول فتات الطعام من أيدي المشاهدين، مع أن الكتب المختصة بالطيور حذرتني من إطعام الاوز خبزاً موضحة أن طعامه يجب أن يقتصر على حشيشة الانقليس البحرية وخضر أخرى. لكن إوزّنا كان يلتهم فتات خبز جيراننا بشهية تفوق شهيته في أكل الخضر.

ان طيور الاوز ليست مميّزة من حيث الطعام، لكنها بالتأكيد من "العشاق الرومنسيين." فبعد حفلة غزل استعراضية شائقة يطارد فيها الذكر الانثى في أنحاء البحيرة، تغطس الانثى في الماء وتبقي رأسها ممدوداً شامخاً. وفيما يتم التزاوج تطلق زفرة طويلة. ثم يطفوان وينتصبان متواجهين، ويتلامسان صدراً وخدوداً، ويطلقان شخرة ختامية. ولا يبدو أن "حرارة" الاوز تخبو مع تراكم السنين. ففي السن الخامسة والعشرين، وبعد انجاب نحو مئة صوص، تظل جذوة العشق متقدة ويبقى نشاط الزوجين على حاله لا يعتريه كلل وكأنهما في شباب دائم.

بعد ذلك يباشر الزوجان بناء عشهما، وهي المرحلة التي بدأتُ بها هنا الحديث عن الاوز. وتدريجاً، يرتفع العش أعلى من نصف متر، فيظهر كومة بشعة من العيدان والحشيش وغيرها من النباتات المائية. لكنه في الواقع آية في البناء، ناعم، مرن، ينفذ اليه الماء ويبقى مع ذلك طافياً.

لاحظت أن الانثى وضعت في محضنتها الجديدة نصف دزينة من البيض، وأن الزوجين يستعدّان لفترة حضانة تقارب خمسة أسابيع.

وقد تحتّم على الذكر الذي تولى الحراسة التصدي للحيوانات المفترسة كالراكون والثعلب والنورس الضخم، فضلا عن البشر المتطفلين الذين

(٢) Mute swan

يجوسون خلسة ابتغاء صيد غير مشروع. والاوز بطبيعته لطيف المزاج، إلا أن الذكر اذا أثير وهو يحرس العش يتحول مقاتلا شرساً يستطيع بضربة من جناحه القوي أن يقتل حيواناً صغيراً.

واذا كان الذكر في العش حين يبدأ البيض التفقيس، فانه ينسحب تاركاً للزوجة تأدية واجبات الامومة. فالأم تساعد الصغار على النقف وتلتقط كِسَر البيض وترميها خارج العش.

أغنية الاوز. شاهدنا أربعة مواليد تخرج من البيض، ثم ما لبثت أن استقامت مترنحة داخل العش بزغبها الناعم بلون الصوف الطبيعي. وبعد بضعة أيام كانت هذه الطيور الحديثة المولد تتهادى متلمسة حافة الماء، فخوَّضت فيه وشرعت تخفق وتجذّف بأجنحتها الصغيرة. ولزمت الأم عشها الى أن انطلق آخر الفراخ الى الماء.

وما لبثت العائلة أن انتظمت في خط مستقيم وانسابت سابحة عبر البحيرة فيما تولى الذكر المراقبة والحراسة في المؤخر. وكلما خرج أحد الفراخ عن الخط وبخه الوالد وأعاده الى حيث ينبغي أن يكون. أما اذا تعب فانه يتسلق ظهر والده ليستريح. لكنه اذا سقط نال منه توبيخا شديداً.

كانت العائلة أليفة الى حد أن الزوجين، لم يترددا في اصطحاب فراخهما الى الضفة لالتقاط فتات الطعام. وكانا يزاحمانها على كل كسرة تُلقى في الماء، وهكذا تعلَّم الصغار درساً في النضال وحماية النفس.

لقد تبين لي أن الاوز الابكم لم يكن أبكم أبداً وقت الأكل، بل كان يهدل ويقوقىء ويشخر. وفي وسعه أيضاً أن يهسّ ويدمدم ويهدر ويصيح عالياً حين يشعر بخطر.

أما الجزء الاكثر إثارة في سيرورة التعلم لدى الاوز فهو المتعلّق بالطيران. فقد مرّت بضعة أشهر من دون أن تتلقّى الفراخ أي تدريب على التحليق. وحين نمت وقويت أجنحتها أخذت تراقب والديها وهما يحلقان، فحاولت محاكاتهما. نجحت بادىء الأمر في الارتفاع قليلا والطيران مسافة لا تتجاوز ١٥ متراً، ثم خارت قواها وسقطت في الماء. ولكن، شيئاً فشيئاً، تعلمت التحليق عالياً والانطلاق مسافات بعيدة.

بدأت الفراخ، وهي ما زالت في زغب الفتوة الأسمر الضارب الى الصفرة، تتخذ وضعاً مهيباً بأعناق مقوَّسة ومناقير مثنية، وتنزلق برشاقة ونعومة على سطح البحيرة.

ولعل الخرافة الخالدة لهذه الطيور هي "أغنية الاوز" الشجية المثيرة لطائر اوز يحتضر. وفيما كان سقراط يهمّ بجرع السم القاتل، قال لتلاميذه المكتئبين حوله: "لا أعتقد أن الاوز يغنّي حين يكون حزيناً." لكن الواقع، ويا للأسف، هو أن طائر الاوز المحتضر قد يزفر من رغاماه الطويلة زفرة أخيرة واحدة قبل أن يموت، "بيد أن الرومنسية التي تطبع أنشودة

الإوز ساعة الاحتضار ما هي إلّا مجرد خرافة" كما يقول فريدريك سيبلي.
ولسوء الحظ، أعطى ذكر اوزّنا البرهان على صحة نظرية سيبلي، إذ ضلَّ مرة واجتاز الطريق العامة حيث صدمته سيارة فنفق للحال من غير أن يطلق حتى صرخة وداع. وظلت زوجته المفجوعة تحرس جيفته حتى أزيلت من المكان. بعد ذلك بقيت في العش ترعى فراخها وتعلمها حتى الخريف.

وذات يوم ارتحلت جميعها.
في الربيع التالي ارتقبت عودة الأرملة، الّا أن العش بقي خالياً، ولا أحد يعلم ما حلّ بها. ربما تكون، بعدما نمت فراخها ورحلت عنها في العام الفائت، وقعت على زوج آخر تنشىء معه عائلة جديدة.
وكم أتمنى لو تتاح لي فرصة مشاهدتهما.

أ.ب.س. ويبل ■



سرّ الورد

احتفلت بلدة غراس في جنوب فرنسا بمعرضها السنوي العشرين للورود. وبدت كل الورود جميلة، لكنها كانت تفتقد شيئاً ما، عطرها. فبعضها كان من دون عطر، والبعض الآخر لم تفُح منه سوى رائحة تكاد لا تُشَمّ. فقد ركّز منتجو الورود اهتمامهم على مظهر ازهارهم الى حد انّهم حرموها احدى صفاتها الأكثر جاذبيّة، الاريج.
ولم تتحمّل إحدى السيدات المسنّات هذا الواقع الأليم، فتشمّمت بعض ورود المعرض بازدراء، ثم ذهبت الى حديقة مجاورة وجدت فيها شجيرة ورد نمت على سجيتها منذ سنوات، فصاحت: "هذه وردة لها عطر الورود."
وللحال انفرط عقد المتحلّقين حول ورود المعرض ليتشكّل من جديد حول الشجيرة البريّة يتشمّمون ورودها باعجاب.

مجلة "نيو ساينتست"

رأيان أفضل من واحد

قصدتُ طبيبي في استشارة، فبشّرني بوجوب اجراء جراحة بسيطة. لكنني ترددت في القرار، وسالته عن امكان اخذ راي ثانٍ.
فاجاب: "ولِمَ لا؟ عد اليّ غداً، وسأكرّر لك ما قلتُه اليوم."

ب.ل.

شهر عسل طويل

مضت على زواج عجوزين خمسون سنة. وذات يوم تشاجرا، فكتب العجوز الى زوجته الكلمة الآتية: "أرجو يا عزيزتي ان نؤجل هذا النقاش الى ما بعد شهر العسل."

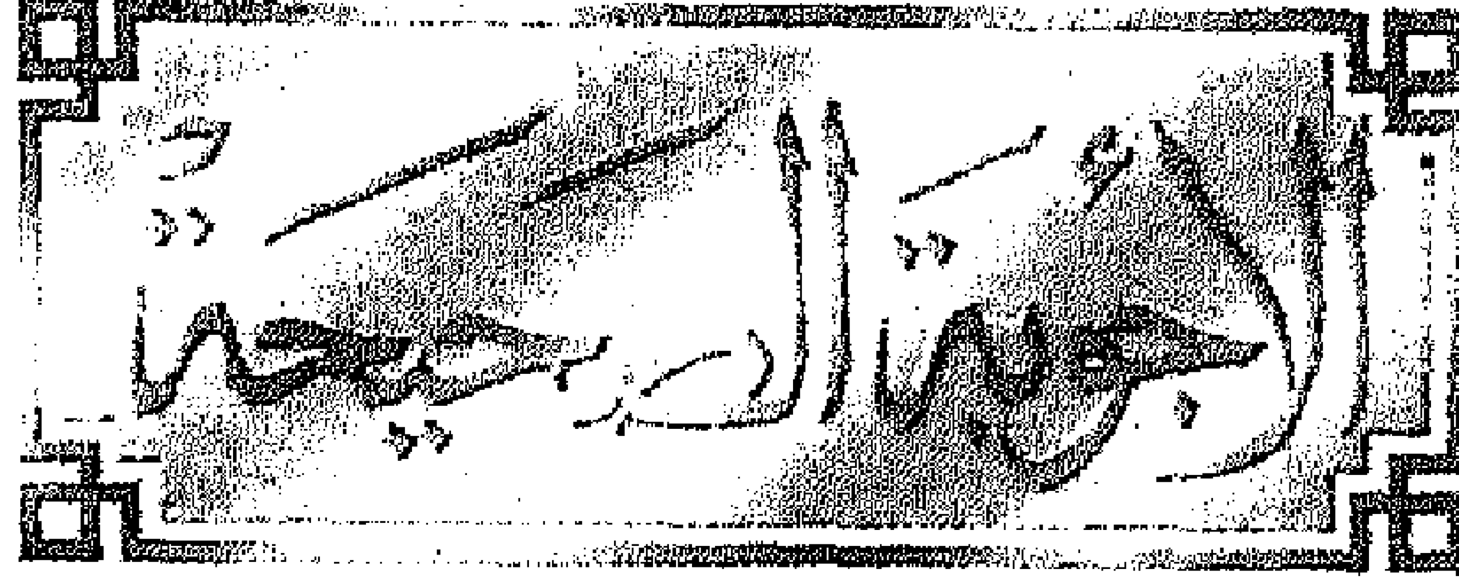
د.ر.

دائرة المعارف

مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٦ - ١٩٢٤) أحد أعلام الكتابة في مصر. عالج مواضيع اجتماعية ودعا الى إنصاف المرأة ليرقى معها المجتمع. له "النظرات" و"العبَرات" ومقالات كثيرة وترجمات.

هنا كلمات وردت في كتابات المنفلوطي. وقد وُضع أمام كل منها أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء انْ يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **مَدارك**: حواس - مقاتل - ذوو قربى - مرابط خيل.
٢. **زُقاق**: عثرة - وعاء ماء - صوت الصوص - طريق ضيقة.
٣. **سكرة الموت**: غفوته - صحوته - شدته وغشيته - أوله.
٤. **ذُبالة**: قمامة - فتيلة - شحوب - ضفيرة شعر.
٥. **سَفَك**: صبَّ - فتل وقطع - جرح - قتل.
٦. **ترسَّم**: تظاهر - جانَب الشر - لبس ثيابه - تأمَّل.
٧. **سُعود**: نجوم - مباسم - جرود - يُمن.
٨. **غضا**: من الشجر - حياء - ضباب - طائر ليلي.
٩. **نِدّ**: عدوّ - مثل ونظير - عَرَق - غصن طري.
١٠. **فاقة**: دابَّة - بثرة ملتهبة - حاجة وفقر - نسيان.
١١. **غُشية**: تعطُّل الاحساس - أمسية - ضحكة - مرَّة.
١٢. **ثوب قشيب**: جديد نظيف - مقصَّب - حرير - بال.
١٣. **تنغَّص**: شرق بالماء - تكدَّر - نَعِم - تشنَّج.
١٤. **وعثاء**: صحراء - تراب - طريق - مشقة وتعب.
١٥. **سائمة**: ضجر - مناحة - ماشية راعية - محيًا.
١٦. **أطرق**: أجفل - حدَّق - نظر الى الارض - خجل.
١٧. **لألاء**: عناد - كثرة كلام - لؤلؤ - ضوء.
١٨. **رَتَع**: ركض - أقام وتنعَّم - ركل - حمل.
١٩. **ضراعة**: سِعة عيش - ذل وضعف - لبن - سمنة.
٢٠. **أزجى**: غنّى - ضحك - ساق ودفع - أعطى بلا حساب.
٢١. **ذلاقة**: وقاحة - سقوط - نشاط - حدة لسان.
٢٢. **أرزاء**: مصائب - أملاك - أكوام حجار - أعوان.
٢٣. **نظرة شَزْر**: نظرة حنان - نظرة غضب - نظرة حب - نظرة خيبة.
٢٤. **غريرة**: حسناء - طفلة - يتيمة - شابة لا خبرة لها.
٢٥. **سوابق**: أيام - أسلاف - أولى خيل الحلبة - غيوم.



١. **المدارك والمدركات**: الحواس وهي خمس. مدارك الشرع: مواضع طلب الاحكام حيث يُستدلّ بالنصوص.
٢. **الزُقاق**: الطريق الضيقة. جمعها أزقة وزُقّان.
٣. **سكرة الموت**: شدته وغشيته.
٤. **الذُبالة**: الفتيلة. الذّبْلة: البعرة. الذوابل: الرماح.
٥. **سَفَك الماء أو الدم**: صبّه. رجل مِسْفَك: كثير الكلام.
٦. **ترسَّم الدار**: تأملها ونظر الى رسومها. والشيء: تذكره.
٧. **السُعود**: اليُمن ونقيض النحوس. مسعود: سعيد.
٨. **الغضا**: شجر من الاثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمنا طويلا لا ينطفىء. وهو من أجود الوقود عند العرب.
٩. **النِدّ**: المِثْل والنظير. أيضا: عود يُبخّر به. جمعها أنداد.
١٠. **الفاقة**: الحاجة والفقر.
١١. **الغَشْية**: تعطل القوى والاحساس لضعف القلب من جوع أو نحوه.
١٢. **الثوب القشيب**: الجديد والنظيف.
١٣. **تنغّص العيش**: تكدَّر. النُغصة: ما يمنع من تتميم المراد.
١٤. **الوعثاء**: المشقة والتعب. أيضا: كل صفة مكروهة. يقال "ركب الوعثاء" أي أذنب.
١٥. **السائمة**: الماشية والابل الراعية.
١٦. **أطرق**: أرخى عينيه ناظراً الى الارض. أيضا: سكت ولم يتكلم.
١٧. **لألاء السراج**: ضوءه. واللألاء أيضا الفرح التام وبائع اللؤلؤ.
١٨. **رَتَع في المكان**: أقام وتنعَّم وأكل وشرب في خصب وسعة ورغد، فهو راتع.
١٩. **الضراعة**: الذل والضعف.
٢٠. **أزجى**: ساق ودفع برفق. أزجى الامرَ: أخّره.
٢١. **الذلاقة**: حدة اللسان وسرعة المنطق. يقال "لسان ذلق طلق." وأحرف الذلاقة ستة: الباء والفاء والميم واللام والراء والنون.
٢٢. **الأرزاء**: المصائب العظيمة.
٢٣. **نظرة شَزْر**: نظرة من جانب العين مع إعراض أو غضب.
٢٤. **الغريرة**: الشابة التي لا خبرة لها. أيضا: المغرورة.
٢٥. **السوابِق**: أولى خيل الحلبة. ويقال لها أيضا المجلّية.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٤ - ٢٠: جيد جداً

٩ - ١٣: مقبول

فنّان أحبّ الحياة


BIBLIOTHEQUE NATIONALE, PARIS

قالت نيكول تابييه دو سيليران وهي تجول معي حول قصر دو بوسك بالقرب من بلدة ألبي الفرنسية، حيث أمضى هنري دو تولوز لوتريك مونفا، ابن عم جدّها، سنوات من طفولته: "لم يحظَ أحد بطفولة أسعد من تلك التي حظي بها هنري." فالغرف الجميلة وغنائم الصيد التذكارية والريف البري لم يطرأ عليها منذ ١٢٥ سنة سوى قليل من التغيير، وكل شيء هنا يذكر بالأيام السعيدة التي عاشها هنري في نشأته محاطاً بوالديه وأعمامه وعماته وأبنائهم والممرضات والخدم والسوّاس.

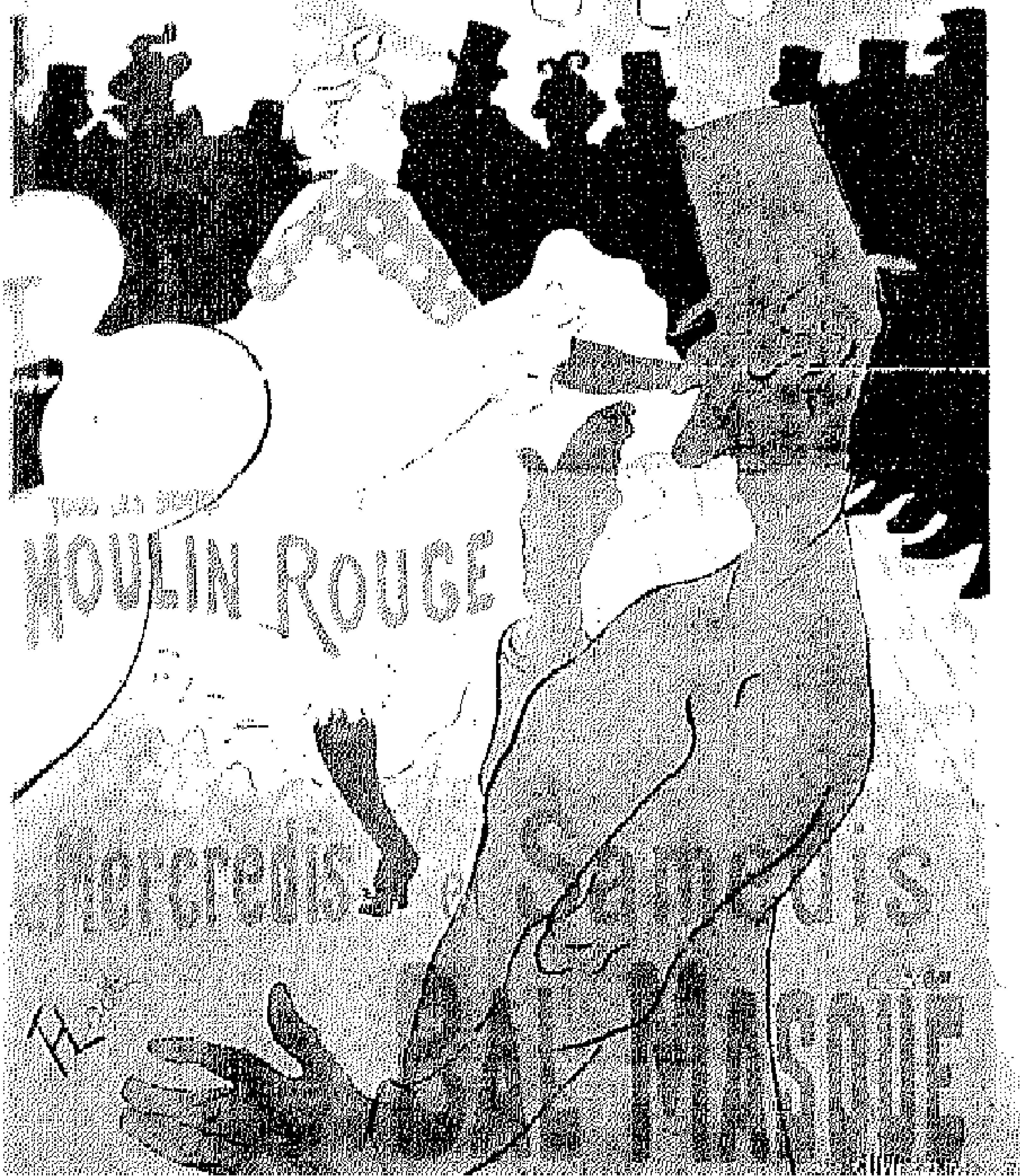
لم يكن نموه سريعاً، لكنه كان مفعماً بالحيوية، مقداماً وعطوفاً. وكان الكل يدعونه "الجوهرة الصغيرة." فهو كان يروي لبقية الاولاد في القصر قصصاً وقت النوم، كما كان يكتب مسرحيات ويمثل الادوار الرئيسية فيها ويتميز بقدرته على أن يفتن الجميع، أكانوا فلاحين أم أنسباء أريستوقراطيين. وعلّمه أبوه ألفونس المولع بالصيد ركوب الخيل منذ الصغر، فما لبث هنري أن شرع ينظم

أولاد أعمامه وعماته الكثيرين في فيالق من الخيالة ويصدر اليهم أوامر بالتحرك والدفاع والهجوم.

كان في دراسته تلميذاً مجتهداً مهذباً يملأ هوامش صفحات كتبه برسوم كلاب وطيور ومزارعين وجنود ممن أجروا مناورات في الجوار. وما زالت رسومه الفحمية تشاهَد على الجدران الجصية في بستان البرتقال في القصر.

في الطبقة الثانية من القصر جدار كان يقف اليه الاولاد مرة في السنة لقياس طول كل منهم. فتُرسم خطوط تبيِّن

LAUROS GIRAUDON / MUSEE TOULOUSE — LATREC AT ALBI



ملصق الـ"مولان روج" (١٨٩٠).

لدى مقارنتها مقدار نموهم من سنة الى سنة. ويمكن المرء أن يتتبّع نمو ابنَيْ عم هنري راوول وغبريال حتى بلوغهما سن الرشد، إلا أن نمو هنري توقف عندما بلغ طوله ١٥٢ سنتيمتراً في الخامسة عشرة من عمره.

الحب الضائع. اعتقد الاطباء ان تأخر نمو هنري عائد الى كسر في عظم فخذه. وبدا لهم أن الكسر في طريق الشفاء.

ملصق لصديق لوتريك المغني أريستيد بروان (١٨٩٢).







ملصق للراقصة
جان أفريل (١٨٩٩).
(تحت) تولوز لوتريك
مع مدير الـ"مولان روج."

ولكن بعد ١٥ شهراً سقط هنري في حفرة فأصيب بكسر ثان لم تنفع في شفائه لا المعالجات ولا التدليكات ولا الجبيرة الجصية. وعلى أثر ذلك تبين لوالديه أن ابنهما يعاني اعاقة في نمو نصف جسده الأسفل في حين ينمو نصفه الأعلى نمواً طبيعياً، وأنه سيمشي بقية حياته معاقاً برجلين ضامرتين مقزَّمتين. لقد كان هنري ضحية داء يُعرف حالياً باسم "بيكنوديزوستوسيس"[١] لم يكن له دواء شاف في السبعينات من القرن الماضي.

تظل عظام ساقي المصاب بهذا المرض عرضة للكسر ولا تنمو طبيعياً بمقدار نموها لدى المراهقين الاصحاء. والى ذلك، تخشوشن ملامح الوجه وتثخن الشفتان.

لم يتذمر هنري مرة بل صمم على أن

(١) Pyknodysostosis

يعيش حياته التي خطّها له القدر بكامل زخمها وعطائها. فخلّت مئات الرسائل التي كتبها من أي تعبير مكبوت عن المرارة التي لا بدّ أنه كان يعانيها. وذات مرة زارته ابنة عمه جان دارمنياك فيما كان ممدداً في سريره يتلقى إحدى معالجاته العقيمة. فسرّه حضورها، لكنه كتب: "لم أتجرأ على التطلع اليها لأنها جميلة فارعة وأنا لست وسيماً ولا طويل القامة."

شغف لوتريك بالفن فأكبّ عليه بنهم تعويضاً عن الفراغ الذي خلّفه غياب الكلاب والجياد والصبايا الفاتنات مثل جان دارمنياك التي لن تصبح أبداً شريكة حياته. فأكمل علومه الثانوية وراح يملأ أوقات فراغه برسم كل ما يثير اهتمامه.

في السن السابعة عشرة قصد باريس للدراسة على أيدي رسامين بارزين. وكان بين زملائه في الدراسة هولندي متقلّب المزاج يدعى فان غوغ. وأصبح لوتريك زعيماً للطلاب ينظم ألعابهم الهزلية وحفلاتهم الراقصة.

ظلّ هنري ثلاث سنوات يجهد في تلقّن أصول الفن. وفي السن العشرين انتقل من شقة أمه الفخمة واستقر مع أصدقائه في حي مونمارتر[2] المتواضع والمثير في آن. وما لبث أن استأجر محترفاً (استديو) تمهيداً لشق طريقه في العالم.

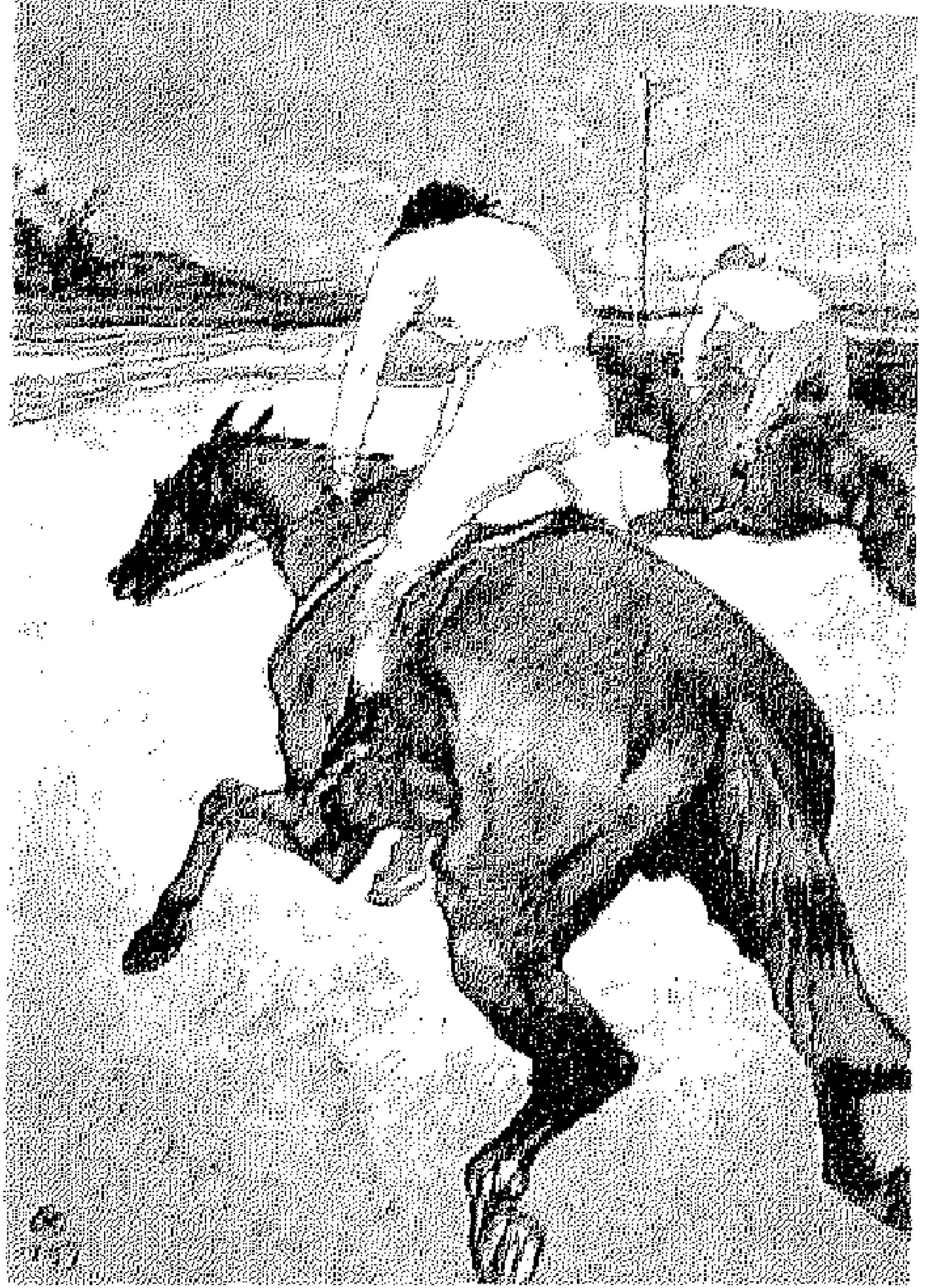
" آه! الحياة! " في الرابعة والعشرين من عمره كان لوتريك طوّر أسلوباً فريداً جعل منه لاحقاً أحد كبار الفنانين في رسم الاشياء حية "متحركة." وكان يتمتم حين يجلس للرسم: "آه! الحياة، الحياة!" ولا يلبث أن يرسم بلمسات سريعة من ريشته صورة حية لحصان جامح أو لراقصة تضرب الأرض بقدميها أو لرجل بدين يرمق حسناء. كان يقول: "الشكل هو كل ما في الفن." وثابر مركّزاً على الأشكال من غير أن يهتم كثيراً لخلفية الصورة.

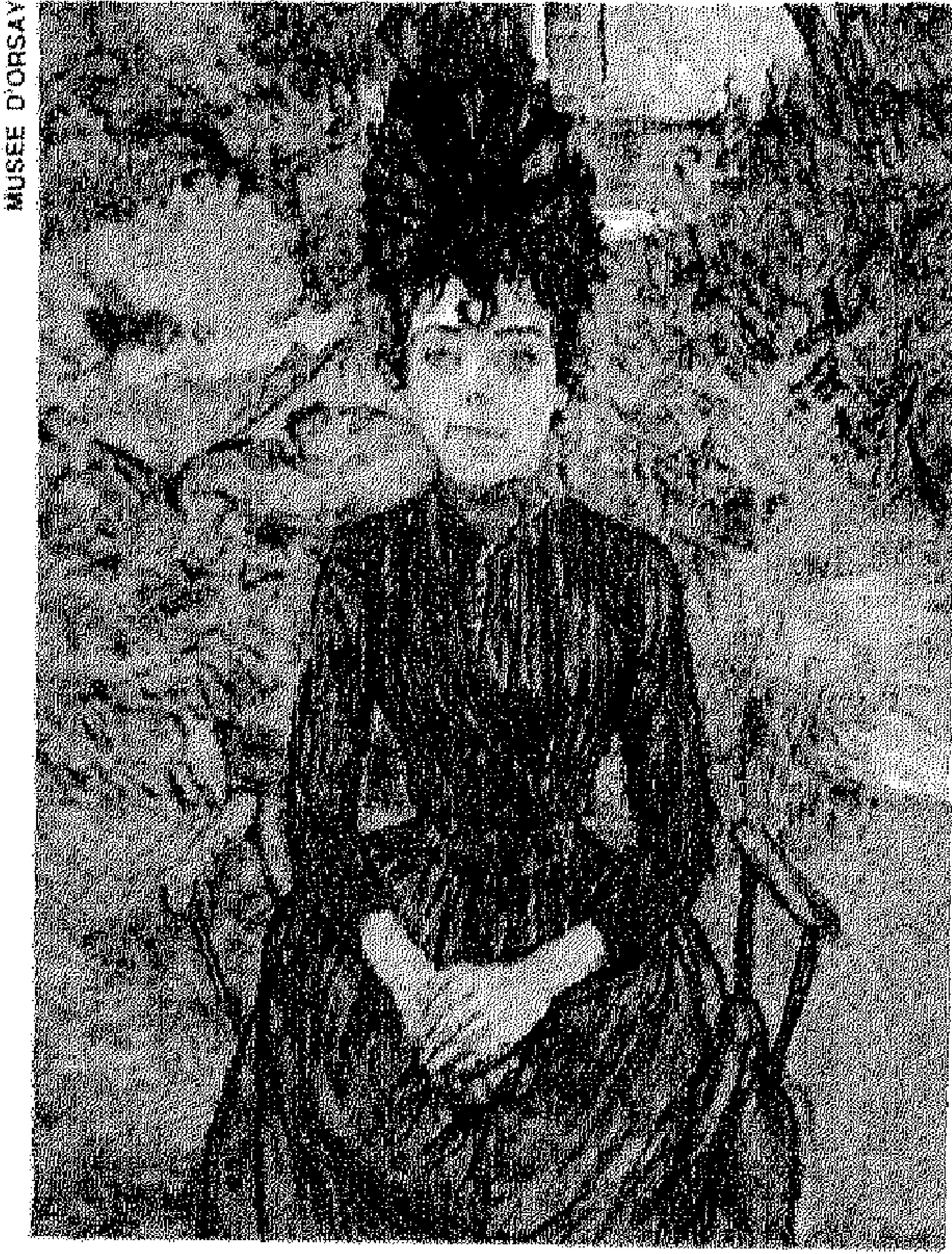
عام ١٨٩١ كان لوتريك باع بعضاً من رسومه الساخرة الى الصحف، لكنه لم يكن بلغ بعد درجة اليقين في نجاحه والثقة بأنه ليس فاشلا في كل شيء. وحدث أن طلب اليه شارل زدلر أن يرسم ملصقاً دعائياً لحانته "الطاحونة الحمراء"[3] الملهى الباريسي الصاخب الشهير حيث كان يطيب لهنري تمضية لياليه.

وُزع الملصق في أنحاء باريس وأُلصق على جوانب عربات جياد طافت في كل شوارع المدينة. لم يكن الجمهور شاهد شيئاً كهذا من قبل. وقال الناقد الفني فرنسيس جوردان إنه استشفّ مطلع عصر جديد في عالم الفن. أخذ الناس يتدافعون أفواجاً الى "الطاحونة الحمراء" تحفزهم جزئياً تلك الصورة الرائعة التي شاهدوها في الملصق. وهم ما زالوا يتدافعون الى هناك بعد انقضاء مئة سنة.

كان لوتريك من خلال ذلك الرسم

(٢) مونمارتر حي في باريس تقطنه غالبية من الفنانين.
(٣) Moulin rouge





(فوق) لوحة "الفارس."
(الى اليسار) جوستين ديول في "امراة جالسة في حديقة."

العبقري الفريد رائد فن الاعلام الحديث. وقد أنتج بعد ذلك نحو ثلاثين ملصقاً تشيد بكفايات أصدقائه أمثال المغني أريستيد بروان والراقصة جان أفريل، أو بمجلات وكتب، أو بمصور أو صانع أثاث أو صانع سلاسل دراجات هوائية. وهي تبدو كلها كأنها صُممت عفوياً ومن دون عناء. لكن الحقيقة هي أن لوتريك أمعن في دراستها وبذل جهداً كبيراً في اختبار تصاميمها التخطيطية قبل أن يختار الضوء المناسب والصورة المعبّرة التي عانقت خياله وأراد إبرازها حية في اللوحة النهائية. ان بعض لوحات لوتريك الشهيرة التي يجدها المرء معروضة في المتاحف العالمية، من سان باولو الى موسكو، كانت في الواقع تصاميم أو رسوماً إعدادية لتلك الملصقات الدعائية.

وبما أن كثيراً من لوحاته يصوّر حياة الليل في باريس، فقد راجت حوله إشاعات نسبت اليه الانغماس في الملذات مع الاشقياء والقتلة والبغايا ورسم لوحات رائعة في جو من التهتك. لكن لوتريك كان أبعد ما يكون عن ذلك الوصف. فقد كان يجالس أصدقاء والده من رجال الطبقة الراقية ويحادثهم بثقة وارتياح كما لو كان يتناول عشاء مع عماته المتزمتات. وكان مثقفاً يجيد التحدث عن الفن مع زملائه الرسامين وعن الجياد مع حوذي البارون دو روتشيلد، كما يجيد ممارسة الالعاب اللغوية الحاذقة مع كتّاب مشهورين.

عمر سريع. كان لوتريك باحثاً وناقداً يتطلّع حوله باستمرار علّه يقع على شيء ينقله رسماً مفعماً بالحيوية. وهو اصطحب صديقاً ست مرات لمشاهدة أوبريت "شيلبريك" من بطولة الممثلة مارسيل لندر، مما أثار دهشة ذلك الصديق. غير أن هذه الدهشة زالت بعد شهرين حين كشف لوتريك إحدى لوحاته الرئيسية: "مارسيل لندر في رقصة البوليرو في أوبريت شيلبريك."

وعندما قدم ابن عمه غبريال الى باريس لدراسة الطب، طلب منه لوتريك اذناً بدخول غرفة العمليات ليتسنّى له رسم جراح شهير مكبّ على اجراء جراحة. وهو لم يفقد شغفه بالجياد أبداً وإن لم يعد قادراً على ركوبها. لذا كان يمضي أياماً في حلبات السباق يرسم الفرسان وجيادهم.

كان العمل الدؤوب الدائم هم لوتريك، ذلك الرجل الصغير الملتحي القصير النظر الذي يحدق الى الناس والاشياء من خلال نظارتين على مقدّم أنفه. وكان نتاجه الفني هائلاً اذ بلغ ما أنجزه خلال حياته المهنية التي دامت أقل من ٢٠ عاماً أكثر من ٥٠٠ لوحة وأكثر من ٣٥٠ ملصقاً وطبعة حجرية[٤] وما يزيد على ٥٠٠ رسم وصورة. ومع ذلك كله تسنى له وقت لابتكار تصاميم لغلافات الكتب وتصاوير ملوّنة للرسم على الزجاج ومشاهد مسرحية وقوائم طعام للمطاعم موضّحة برسوم. ثم إن كثيراً من رسائله وثائق تدلّ على أعمال ناشطة اذ تدور حول التفاوض على تحديد عمولات وتكاليف وحضّ النقاد على إعادة النظر في معروضاته.

قال عنه صديقه أرسين ألكسندر: "كان في عجلة من أمره كأنه يريد أن يختصر حياته فيعيش عمراً سريعاً زاخراً ويرحل بأسرع ما يمكن. وهو لم يحتمل تصور العيش حتى الشيخوخة."

ما يُحتجز يموت. في الصيف اعتاد لوتريك أن يستجم على شاطىء البحر في قصر والدته "شاتو دو مالروميه" بالقرب من بوردو. ولكن لدى رجوعه الى باريس كان يعود الى نهج العمل الشاق كمن يستعجل نهايته. وفي مارس (آذار) ١٨٩٩ أصيب بانهيار عصبي نُقل على أثره الى مصح للأمراض العقلية بايعاز من أمه. واعتقد الاطباء أنه فقد عقله. لكن لوتريك لم يطق حجز حريته، وكتب الى والده: "أنا محتجز. وكل ما يُحتجز يموت."

ولكي يتسنى له الخلاص من سجنه طلب من صديقه ومساعده موريس جوايان تزويده حبراً وقلماً وورقاً. ثم أخذ يرسم، مستعيناً بذاكرته وحدها، سلسلة من الصور الفذة لمهرجي سيرك ومروّضين وفرسان. فأطلقه الاطباء.

في ابريل (نيسان) ١٩٠١ عاد الى باريس بعد اقامة طويلة في بوردو ومالروميه. وفي هذه المرحلة قال جوايان: "رأيناه ناحلاً، واهناً، منقبض الصدر،

(٤) Lithograph

مثقلا بالأسى والكآبة، لا يذوق الطعام إلا نادراً. لكنه ظل نيِّر العقل صافي التفكير، تشرق قسمات وجهه بومضات خاطفة من الحيوية. فأنجز أعمالا كان بدأها قبل سنوات، ورسم بضع لوحات لأصدقاء قدامى، وزار للمرة الأخيرة حلبات سباق الخيل والملاهي التي اعتاد ارتيادها. وفي أغسطس (آب)، بعد انهيار عصبي ثانٍ، عاد الى مالروميه حيث اعتنت به أمه. وحاول الاستمرار في الرسم، لكنه بات عاجزاً لا يقوى إلّا على التمدّد في كرسي طويل. ثم اشتدت عليه وطأة العلل الكثيرة التي ابتلي بها، فمات بين ذراعي أمه قبل بضعة أسابيع من عيد ميلاده السابع والثلاثين."

لم ينتمِ لوتريك الى أي مدرسة في الفن، ولم يكن له أتباع. لكن الجمهور افتتن بذلك الرجل الذي قال فيه الناقد البريطاني دوغلاس كوبر إنه "إحدى أبرز الشخصيات وأكثرها إدهاشا وجاذبية في تاريخ الفن." كما قال في أعماله إنها نتاج عبقري نابض بالحيوية والنشاط.

ووهبت أمه "المكتبة الوطنية" في فرنسا مجموعة رائعة من طبعاته الحجرية، كما ضغطت على سلطات بلدة ألبي لتحويل القصر القديم هناك الى "متحف تولوز لوتريك" الذي وهبته رسوماً فنية عدة. ويضم المتحف اليوم ٢١٥ لوحة ونحو ٤٠٠ عمل فني آخر، وهو يأتي في المرتبة الثانية بين المتاحف الريفية من جهة عدد الزائرين.

وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١ افتتح معرض كبير لأعمال لوتريك في "غاليري هيوارد" في لندن. ثم انتقل المعرض في فبراير (شباط) ١٩٩٢ الى "غران باليه" في باريس. وقال ريتشارد طومسن أحد منظمي هذا المعرض: "غايتنا إبراز غنى فن لوتريك ونواحيه الابداعية الكثيرة التي لا تصدّق."

وتتوهج جدران المعرض برسوم فتيات وفتيان وسوّاس وجراحين وعملاء بورصة ومهرجي سيرك، وهي تهمس للزائرين: "آه! الحياة، الحياة!"

روبرت فرنيك ■

مصارف في الصحراء

في صحراء ثار في الهند مندوبو مصارف يركبون الجمال ويلتقون السياح فيبدّلون العملات الاجنبية ويصرفون الشيكات السياحية.

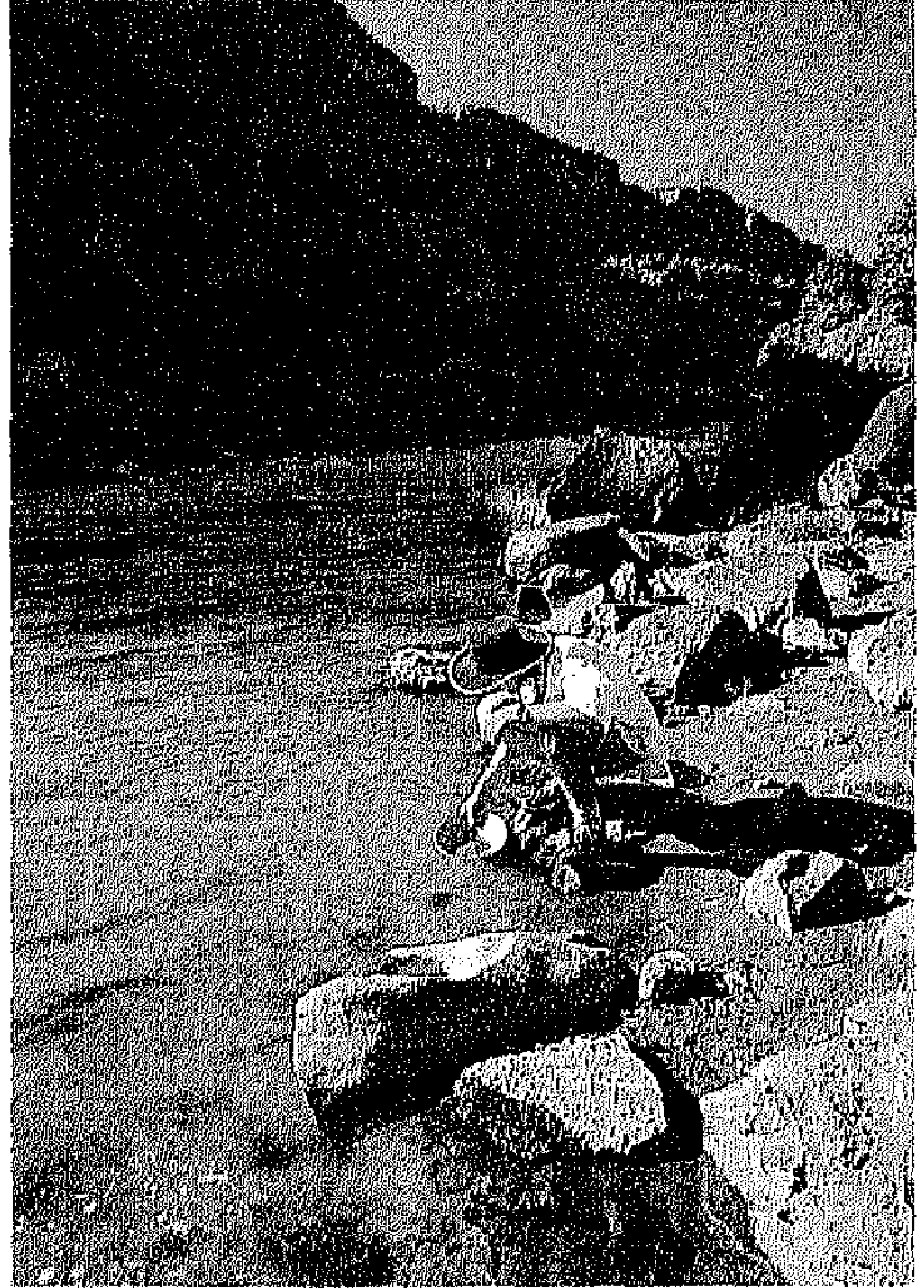
وقد أدت الجمال دور مصارف في الصحراء زمناً طويلا. وحتى وقت قريب كان يتعذر الوصول الى بعض فروع مصرفَيْ "بيكانير" و"جايبور" الا على الجمال. وكان مديرو هذه الفروع يذهبون الى أعمالهم راكبين ظهورها.

ولاقت أعمال الصيرفة الرائدة هذه نجاحاً كبيراً أدى الى وضع خطط لتوسيعها في سبيل خدمة القرى النائية المنتشرة في صحراء ثار.

ج.غ.

موئل الهنود الحُمْر

أهلا بكم في أرضِ السماء الصافية والمناظر الخلابة موئل قبائل الهنود الحمر



ابن الكاتبة يبحث عن الذهب قرب ملتقى نهري ريد ريفر وريو غراندي.
(الى اليسار) غراند كانيون ناشونال بارك كما يبدو من الحافة الجنوبية.


هتف ابني البالغ من العمر ستة عشر عاماً: "آه يا أمي، ليتني أجد ذهباً!" كان يقف عند ملتقى نهري ريو غراندي (النهر العظيم) وريد ريفر (النهر الاحمر) في شمال ولاية نيومكسيكو.

قبل أكثر من قرن، عثر المنقبون على ألوف الأونصات من الذهب الخام البراق وسط رمل الأنهر والجداول في ولاية نيومكسيكو. والآن يأمل ابني أن يجد شذرات صفراء في قعر المقلاة المخصصة لفصل الذهب عن الرمل.

بقي وليم منهمكاً في التنقيب ساعات طويلة، مالئاً المقلاة مرة تلوَ أخرى رمالاً ووحولاً يخضّها بتأن ويبحث فيها عن الذهب. لكن الحظ لم يحالفه. أخيراً ضحك وقال: "إنه لممتع حقاً أن نكون هنا في هذه البرية. الذهب لم يعد يهمني."

فعلا. فالذهب الحقيقي بالنسبة اليه وإليّ والى ألوف غيرنا هو منطقة الجنوب الغربي ذاتها.

PHOTOS: EDUARDO FUSS



تبلغ مساحة هذه المنطقة حوالى ١،٠٢ مليون كيلومتر مربع، وتضم كامل ولايتي أريزونا ونيومكسيكو وجزءاً كبيراً من غرب ولاية تكساس وشرق ولاية كاليفورنيا وجنوب ولاية كولورادو وجنوب ولاية يوتاه وجنوب ولاية نيفادا. ولعلّ الطبيعة لم تنظُم في أي مكان آخر من العالم شِعراً مرئياً كهذا، من كثبان الرمل المتموّجة على امتداد أربع صحارى (موهافي وسونورا وتشيهواهوا والحوض العظيم) الى الاودية السحيقة والمروج الزاهرة. هنا، في عالم السماء الصافية والمسافات الشاسعة، نلمح عظاءات مقرَّنة كأنها ديناصورات صغيرة تنعم بأشعة الشمس. ونلتقي عصفوراً يدرج على الأرض، إنه طائر الجوّاب الذي يطارد الأفعى المجلجلة ويلتهمها. وتعلو فوق الجميع نباتات الصبّار العملاقة التي تبدو مزهرة مرتين في السنة: مرّة أزهاراً بيضاء ومرة ثماراً حمراء.

العجوز الكئيب. على مر العصور، كان الجنوب الغربي الامريكي مقراً للبويبلو وغيرهم من الهنود وللمستوطنين الأسبان ولرعاة البقر وللقتلة المأجورين. وفي الأزمنة الحديثة انتقل للسكن في هذه المنطقة أكثر من مليون نسمة خلال العقد المنصرم وحده، منجذبين الى المناخ المعتدل والطبيعة الخلابة ونمط الحياة البطيء.

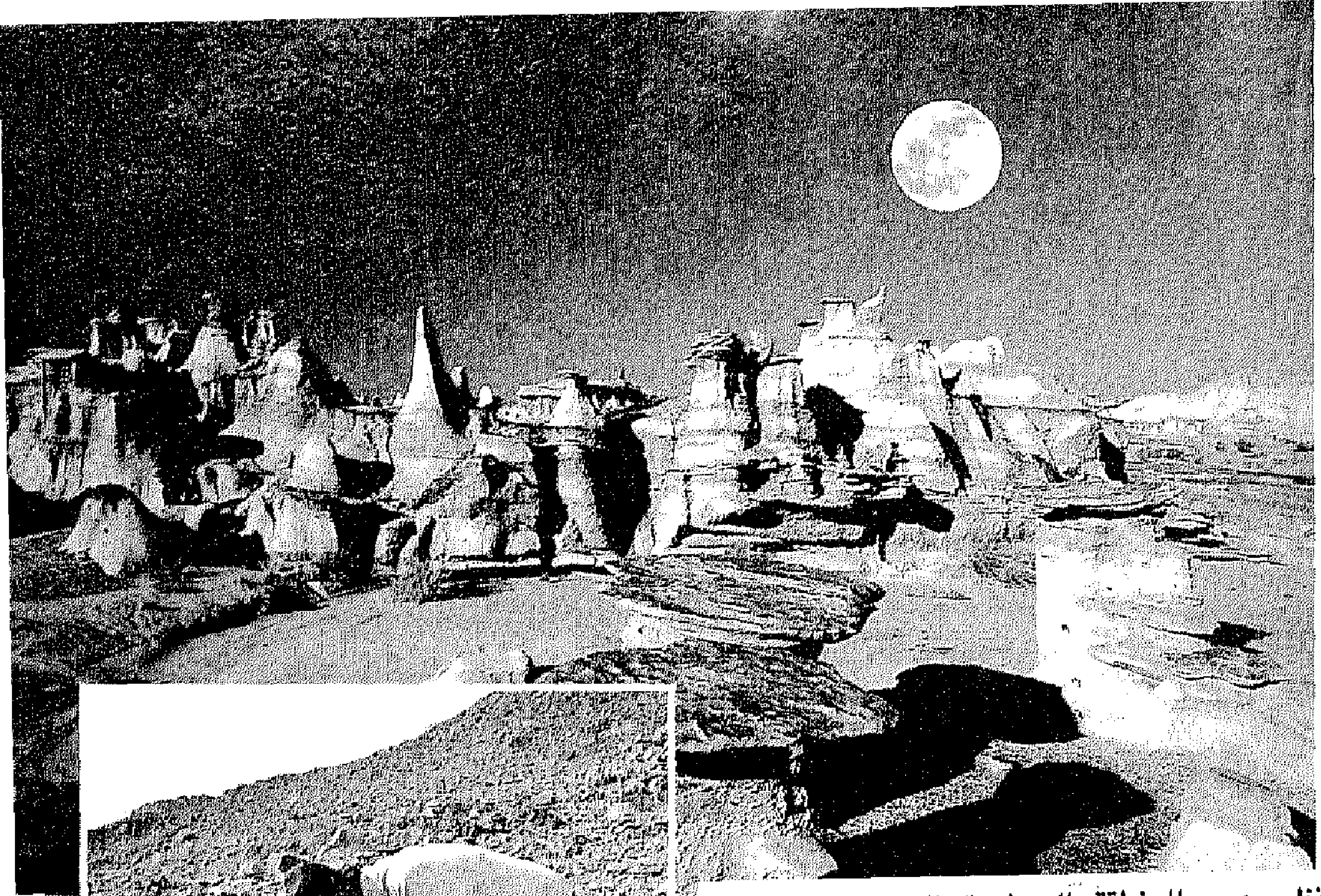
بدأت علاقتي العاطفية بالجنوب الغربي في أواخر الأربعينات من هذا القرن عندما انتقل أبي، وهو بنّاء، الى العمل في صحراء موهافي. وذات يوم، وكنت في الرابعة من عمري، ذهبت مع عائلتي في رحلة تخييم الى الحافة الشمالية لوادي غراند كانيون (الوادي العظيم). وعند الأصيل نظرت من الحافة الى تحت، فاكتشفت أعمق واد يمكن أن يتصوّره الخيال وكأنه شريطة شَعر عملاقة تتموّج في الهواء. ورحت أتأمل جدرانه بألوانها الأرجوانية والحمراء والصفراء الشبيهة بقوس قزح، فأدركت أننا في مكان مسحور.

تلك الليلة، سمعت عواء الذئاب للمرة الأولى. إنها مطربات الجنوب الغربي. يبدأ واحدها غناء شجياً، فيتبعه آخر، فآخر، إلى أن تكتمل الجوقة في سيمفونية ليل تضيئه النجوم. ثم تسكت الأصوات تدريجاً، الواحد تلو الآخر، ويسود سكون الليل من جديد.

حملت أغنية الذئاب في قلبي حيثما حللت في السنوات اللاحقة، واعدة نفسي بأن أعود يوما وأسكن في الجنوب الغربي. ولكن مرت الأيام وتلاشى الحلم.

وفي العام ١٩٨٠ أخذت إجازة من مدرستي لمدة سنة، ووضعت كل مقتنياتي في سيارتي متذكرة وعد الطفولة، وتوجهت رأساً إلى مدينة سانتافيه في ولاية نيومكسيكو. وهناك قررت البقاء من غير أن ألتفت إلى الوراء.

تقع سانتافيه على سلسلة تلال منخفضة حيث هضبة واسعة تلتقي عندها سلسلة جبال سانغري دي





منظر مهيب للمنطقة الصخرية القاحلة في برية بيستي شمال غرب ولاية نيومكسيكو.
وفي الصورة الدخيلة، عالم الآثار بوما جونسون يشير إلى نقوش في الصخور على جانب الممر الأثري.

كريستو. وهي ترتفع ٢١٠٠ متر. أبنيتها من اللبن ذات سقوف مسطحة، وقد اشتهرت بهوائها النقي وباحتضانها معالم حضارات مختلفة. ولها شهرة عالمية كمركز للفنون. في العام ١٩٤٧ زارتها الكاتبة الفرنسية سيمون دو بوفوار وقالت إنها عالم سحري ذكّرها بأفريقيا من جهة، وبالريف الفرنسي من جهة أخرى. وقارنها رحّالة آخرون بأماكن شديدة الاختلاف مثل أفغانستان والأرجنتين والصين وأسبانيا.

أما بالنسبة إلي، فخير ما يمثل سانتافيه على اختلاف وجوهها هو العيد السنوي الذي يُحتفل به في أوائل شهر سبتمبر (أيلول). تبدأ الاحتفالات عند غسق اليوم الأول في متنزه فورت مارسي حيث يُحرق "زوزوبرا"، أو العجوز الكئيب، وهو رمز يعلو أربعة عشر متراً ويُصنع من النسيج الأبيض والورق والأسلاك الشبكية والخشب ويرمز تقليدياً الى الهموم والأحزان المتراكمة خلال سنة. ومع بدء الاحتفال يصرخ

المحتشـدون: "أحرقـوه! أحرقـوه!" وبانتهاء آخر أغنية يلوح زوزوبرا بذراعيه ويمزق أنينه ونواحه حجاب الليل. ثم يأتي راقص النار بلباسه الأحمر ويلوّح أمام العملاق بمشعل متوهج. فجأة تنطلق شرارة تُضرم النار في العجوز الكئيب. فتستحيل عيناه السوداوان حمراوين وتنطلق منهما مفرقعات نارية. ثم تنفرج شفتاه الحمراوان فتنبعث من فمه ألسنة لهب. أما أنفه الكبير المنتفخ الذي يحجب وجه الرجل الشرير، فسرعان ما يسودّ لونه ويختفي.

وفي اليومين التاليين يتابع سكان سانتافيه الاحتفالات بمسيرات وقورة وعروض مرحة وتمثيليات فولكلورية.

الزوايا الاربع. عام ١٩٢٥، عندما زار عالم النفس السويسري ك.غ. يونغ قرية تاوس الهندية الامريكية بالقرب من سانتافيه، جلس مع زعيم هندي يُدعى ماونتين لايك (بحيرة الجبل) قرب نهر ريو دل بويبلو دي تاوس الذي يقسم سكان القرية جماعتين: جماعة الصيف، وجماعة الشتاء. يومذاك، قال الزعيم الهندي بصراحة للمفكر الكبير إن شعبه يعتبر جميع أفراد العرق الأبيض مجانين.

فسأله يونغ مندهشاً: "ولماذا؟"

أجاب: "لأنهم يقولون إنهم يفكرون برؤوسهم."

فرد السويسري: "طبعاً، وبماذا تفكرون أنتم؟"

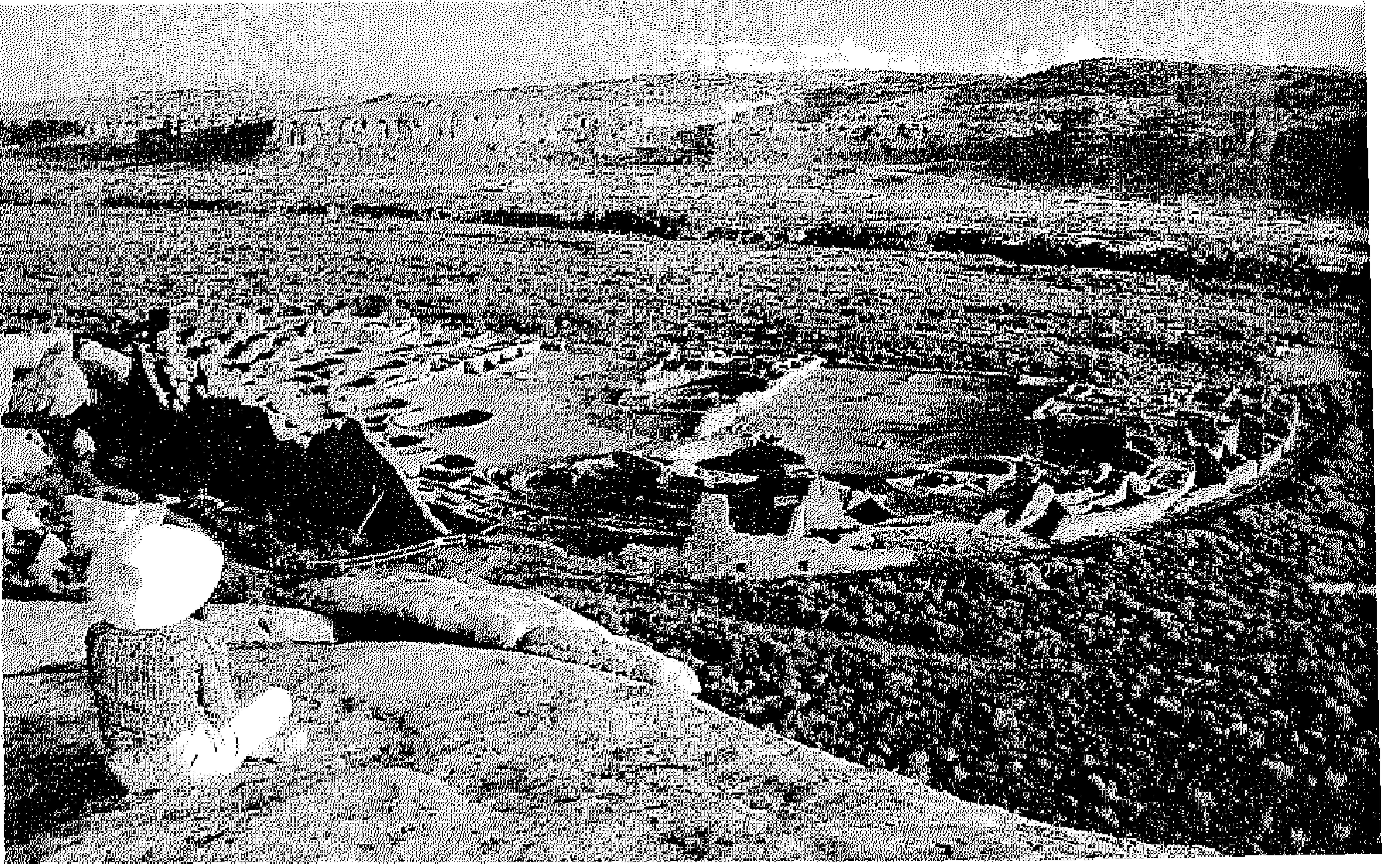
أجاب ماونتين لايك: "نحن نفكر هنا،" مشيراً إلى قلبه. وقد ساعد هذا الحوار البسيط يونغ على إدراك محدودية الفكر الغربي الذي يحكّم العقل على حساب العاطفة.

فهل تغيّرت هذه المعتقدات القديمة عند الهنود؟

أسرَّ إلي موظف حكومي من هنود البويبلو أن بعض المطبِّبين البويبلو ما زالوا يعتقدون أنهم ملزمون مدى الحياة بواجب قديم يحتّم عليهم عدم مفارقة جماعتهم بين الغروب والشروق. وذات يوم سمعت ولداً هندياً في الرابعة من عمره يسأل جدّه وهو يسير ممسكا يده: "جدي، هل نحن من جماعة الصيف أم من جماعة الشتاء؟"

وما زال الزائر يسمع سكان سانتافيه يتكلمون لغات هندية محلية منها التيوا والتووا والكرسان والنافاهو. كما لا يزال ألوف من سكان شمال ولاية نيومكسيكو يتكلمون لهجات اسبانية قديمة. ويخفي هذا التنوّع اللغوي حقيقة ثابتة هي أن سانتافيه ليست واحدة من تلك المدن النموذجية في الولايات المتحدة التي تشبه وعاء تذوب فيه كل الفوارق. وكما يقول الروائي المؤرخ أورلاندو روميرو: "نحن أشبه بطبق سلَطة، حيث الطماطم (البندورة) تبقى طماطم والخس خساً والخيار خياراً، لكنها كلها في انسجام تام."

ومن الأماكن الأخرى المفضّلة لديّ في الجنوب الغربي منطقة "الزوايا الأربع" الواقعة شمال غرب سانتافيه



قرى حجرية، بينها بويبلو بونيتو، في متنزه تشاكو الثقافي التاريخي.

حيث تلتقي أربع ولايات هي يوتاه وكولورادو ونيومكسيكو وأريزونا. ففي تلك الهضاب الحمراء والأودية الخفية يقيم أناس يسمون أنفسهم "الداينه"* أي الشعب، وهم من النافاهو. منازل النافاهو متعددة الاضلاع، وأبوابها تفتح في اتجاه الشرق كي يتسنى لسكانها استقبال شروق الشمس بأغنية الفجر التقليدية، وفي أحد مقاطعها: "الجمال حولي، وبه أهيم. إنني على الدرب الجميل، وبه أهيم."

هنا أيضاً مرتفع شيبروك المتكوّن من حمم بركانية وسط سهل يحمل اسما بلغة النافاهو هو "تسي بيت آ يي" أي الصخرة المجنحة. وما زال رواة هذه القبائل يزعمون أن "تسي بيت آ يي" كان في الزمان القديم طائراً عملاقا يركب "الشعب" ظهره فيطير به من أرض ما وراء شمس الصيف الغاربة إلى منطقة الزوايا الأربع.

آثار هندية. قبل نحو ستة قرون نزحت قبائل النافاهو الى الجنوب الغربي، فوجدت أطلالا صخرية لمئات القرى والمدن وأطلقت على سكانها الراحلين إسم "أناسازي" أي القدماء.

عاش الأناسازي منتشرين في منطقة الزوايا الأربع. وبنوا أروع مساكنهم ابان ازدهار حضارتهم بين العام ١٠٠٠ والعام ١٣٠٠. بعض آثارهم ما زال محفوظاً في متنزه ميزا فيردي ومتنزه تشاكو الثقافي

(*) Dineh

التاريخي. وفي تشاكو أكثر من اثنتي عشرة قرية حجرية قديمة متعنقدة على امتداد قعر واد غير عميق، ومن بينها قرية بويبلو بونيتو بأزقتها المتداخلة وأبنيتها التي يعادل ارتفاعها خمس طبقات، وكان يقيم فيها نحو ألف شخص.

ومن أروع بقاع الزوايا الأربع برّية بيستي التي تعرفها قلة من الناس. تبلغ مساحتها ١٦٠٠ هكتار ويعني اسمها بلغة النافاهو "أرض التأكلات الكثيرة." فكيفما تنظر في تلك البرية ترَ أعمدة حجرية ونصباً مختلفة الاشكال. وعلى قمة عمود من الوحول الجافة حجر أبيض يشبه طائراً كبيراً جاثماً ويعتبره الأهلون جالب نحس.

في تلك البقعة، يمكن لمسافر يحمل كمية كبيرة من مياه الشرب أن يسير أياماً من دون أن يلتقي شخصاً واحداً.

وأحب أيضاً صحراء سونورا في جنوب ولاية أريزونا، موطن قبيلة الاودهام وغيرها من قبائل الهنود الحمر الذين استوطنوا هذا المكان قروناً عدة. ذات يوم، جلت في الجزء الغربي من الصحراء برفقة بوما جونسون عالم الآثار المسؤول عن مكتب إدارة المنطقة. سرنا في ممر عميق استُحدث وسط صخر صواني سريع الانكسار. قال لي بوما: "لقد شهد هذا الممر من المشاة أكثر من أي ممر آخر في الجنوب الغربي. فقد عبره المستكشفون الاسبان الأوائل والمنقّبون عن الذهب. لكنهم تأخروا جميعاً، لأن الهنود سلكوه قبلهم بخمسة آلاف سنة."

سرنا، وبوما يتفحّص جانبي الممر. فجأة جثم قرب كومة حجار مستديرة وناداني قائلاً: "انظري، هذه إشارات هندية قديمة. فعندما كان الهنود يبدأون مسيرتهم في الصباح، كان أحد أفراد المجموعة يلتقط حجراً يحمله معه. وعندما يدركهم الليل كانوا ينصبون مخيماً جديداً، فيضع رفيقهم الحجر في مقام يشيدونه هناك."

وصلنا إلى بقعة وجدنا فيها قطعاً مبعثرة من المرو (الكوارتز) الابيض. فشرح لي بوما الامر: "هذه كسّارة. فقد كان الهنود القدماء يقطعون حجار المرو لاعتقادهم أنها تحمل قوة خاصة تنتقل إلى الانسان الذي يكسِّرها." وعلى أحد جانبي الممر وجدنا بقعة مستديرة خالية من الحجار. تلك كانت مخصصة للصلاة. وأراني بوما أيضاً بعض أدوات حجرية قديمة وأماكن مخصصة لحلقات الرقص وأشكالا غريبة شبيهة بالانسان والحيوان منقوشة في الأرض.

وإلى الشمال من صحراء سونورا يمتد الغراند كانيون مسافة ٤٤٦ كيلومتراً بعمق ١،٦ كيلومتر. وكلما عدت الى هذا الوادي العظيم بصخوره الملوّنة وتموّجات ظلاله اللامتناهية، أشعر بازدياد قوة سحره عليّ وعلى نحو أربعة ملايين زائر يفدون إليه كل عام.

ذات يوم، بينما كنت واقفة على الحافة الجنوبية استمتع بمنظر الوادي المتعدد الطبقات والنتوءات الشاهقة ضمنه، سمعت امرأة انكليزية تتأوه قربي قائلة:

"لا أدري أين أنظر!" فذكرتني بملاحظة أبداها زائر انكليزي آخر هو الكاتب ج.ب. بريستلي في أحد مؤلفاته عام ١٩٣٥ حيث قال: "يكفي أن تتذكر أن الغراند كانيون ما زال حيث هو، فينتعش فؤادك."

قرية هندية. كنت سمعت حكايات كثيرة عن الهافاسوباي وهي قبيلة هندية من أربعمئة شخص لا تزال تقطن في طرف ناءٍ من قعر الوادي. ويمكن الوصول إلى قريتها سوباي إما بالطوافة وإما على متون الخيل واما سيراً على الأقدام.

بُعيد الفجر، بدأت ورفيقي هبوط تلة هوالاباي التي تبعد مسافة أربع ساعات في السيارة من المدخل الجنوبي الرئيسي للغراند كانيون. تبدأ الدرب الى القرية بسلسلة ممرات ضيقة متعرجة شديدة الانحدار، ثم تجتاز وادياً عريضاً لتتوارى وسط غدير صغير. وترتفع على الجانبين صخور كلسية بيضاء. وكنا كلما توغلنا في عمق الوادي نلج وادياً متداخلا في واد آخر. ولاحظنا مياهاً هنا وهناك تقطر من الصخور لتولّد جنائن مصغّرة معلّقة.

فجأة لاحت لنا القرية. فصادفنا رجلا يمتطي حصاناً ويعلّم ولديه فن اقتناص الحيوانات بحبل ذي أنشوطة. كانت حبالهم الجلدية تلوّح في الهواء بحركات دائرية لتستقر حول أغصان شجرة متداعية. واصل الرجل اعطاء تعليماته متجاهلا وجودنا، وكان يخاطب ولديه بلغة أجداده ذات الأصوات الحلقية.

مرة أخرى كشف لي الجنوب الغربي حقيقة جديدة.

عدنا الى الحافة الجنوبية. وهناك راقبنا الغراند كانيون لاحقاً بكل تغيّراته، من الظلال الكثيفة عند الفجر الى التوقّد الزهري عند الغروب. وحين سمعت عواء ذئب يدعو إلى سهرة الغناء، شعرت بأن دائرة حياتي اكتملت.

ما زلت أحب الجنوب الغربي. وأقدر كثيراً ذلك الشعور بالترابط الذي تكوّن لدى الناس هناك بين الحاضر والماضي والمستقبل. أما أفضل ما في الأمر فهو أنني على يقين من أن هناك دائماً مفاجآت جديدة وألغازاً جديدة وعوالم جديدة تنتظر أن أستكشفها.

سوزان حازن هاموند ■

مهندس في إطار

تخرّجتُ في الجامعة مجازاً في الهندسة. وكانت الوظائف نادرة، لكني عثرتُ على عمل كبائع في مركز تجاري كبير. وذات يوم حضرت امّي أحد اقسام المركز لتشتري أُطراً تضع داخلها صور حفلة تخرّجي. ويبدو أنها نسيت احدى الصور على الصندوق، فتعرّف اليها احد الموظفين. وحين قصدتُ العمل في الصباح التالي فوجئت بتهاني الزملاء وبالصورة المنسيّة داخل إطار فاخر مع كلمة: "تهانينا لزميلنا العزيز على شهادته في الهندسة."

ك.ك.

كمبيوتريون

يتعرف معظمنا الى الكمبيوتر في موقع العمل. وهذا ما حدث في حقل الصحافة. دخلنا، نحن المحررين، مكاتبنا ذات يوم واكتشفنا أن آلاتنا الطابعة القديمة البطيئة أُبدلت بأجهزة كمبيوتر أنيقة فاعلة تطالعنا من لوحة مفاتيحها كلمات غامضة مروِّعة مثل «BREAK» و «NUM LOCK».

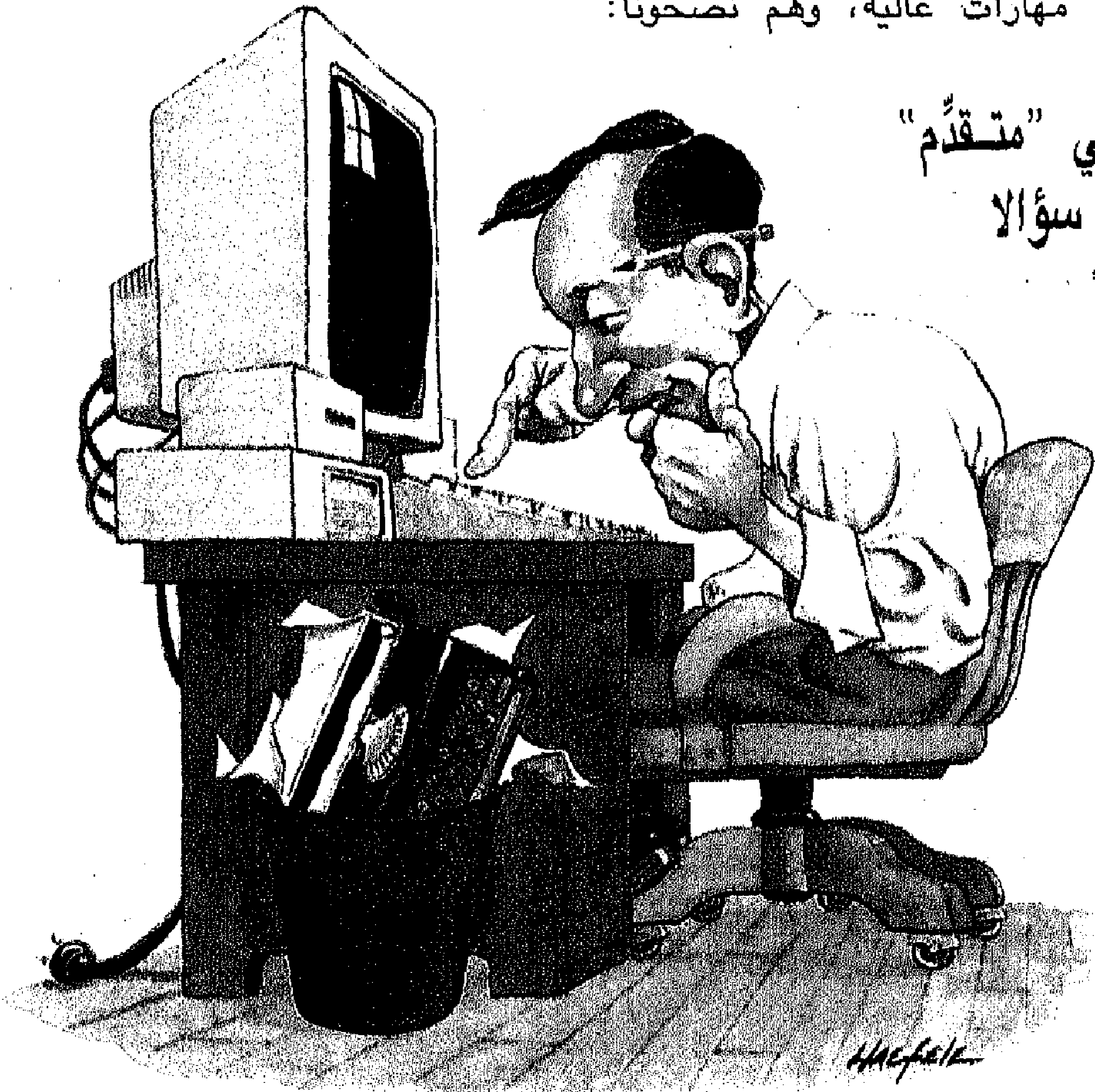
لحسن الحظ، كان مدربونا محترفين يمتلكون مهارات عالية، وهم نصحونا:

"عليكم قبل استخدام نظام ASCII بطريقة الـ macro أن تنسقوا نظام الـ RAM."

وكنا، نحن المحررين، حذرين في البدء. لكننا اكتشفنا بعد ١٧٥ أسبوعاً فقط من التدريب أننا نستطيع، بدل الكتابة على الورق التقليدي العتيق الطران، تأليف مقالات مطوَّلة على الشاشة وإرسالها بكبسة زر الى... كوكب زمبار.

وتعلو صرخة: "أين ذهبت مقالتي بحق السماء؟" لنكتشف كل مرة أن ضياع النصوص هو خطأ منا. فنحن على

صحافي "متقدِّم" يطرح سؤالا مصيرياً



الدوام نرتكب أخطاء سخيفة في معالجة البيانات، كنسيان ربط الذاكرة الجامعة ونظام بيوس التشغيلي ونظام الفيديو في الذاكرة المخبئية.

لكننا اعتدنا النمط الجديد تدريجا. وها نحن اليوم نستخدم أنظمة عالية التقنية تبلغ كلفة الواحد منها بضعة ملايين من الدولارات لأداء أعمال حيوية لبقاء المجتمعات الحرة... مثل تبادل الرسائل الشخصية.

ادخل مكاتب أي صحيفة تعتمد "لغة العصر" وسوف ترى صحافيين ينقرون مفاتيح أجهزتهم وعلى وجوههم ملامح جدية توحي أنهم يحررون مقالات مهمة عن أحداث أفغانستان مثلا، وهم في الحقيقة يتبادلون النكات حول ما قاله الفيل للنملة.

في السابق كان هؤلاء مضطرين الى تناقل نكاتهم بقصاصات ورق.

من الطبيعي أن تنشأ بعض المشاكل. فلا بد أنك قرأت عن "الفيروسات" التي تلتقطها أجهزة الكمبيوتر عندما تترك من دون غطاء في غرف باردة. وهذا سيىء، لانك اذا كنت تعمل على جهاز مصاب فسوف يصدر من حين الى آخر "عطسات" الكترونية لا ترى بالعين المجردة، فيغمرك رذاذ من مليارات الجراثيم الالكترونية المتناهية في الصغر التي تدعى «bytes» تخترق دماغك وتحولك أحمق مع الوقت.

وهذا بالضبط ما يحدث لي. فأنا أجلس الى جهاز الكمبيوتر المنزلي لأكتب مقالة جدية عن السياسة الخارجية مثلا، فأجدني خرجت بالعبارة الآتية: "نظراً الى التغيرات الخطيرة في المناخ الجيو-سياسي العالمي، آن الوقت للتبريج بورق الشدة (الكوتشينة)." وجهاز الكمبيوتر لدي يحوي برنامجا للتبصير* صممه بلا شك مبرمج ياباني في محاولة لتخريب اقتصادات الدول الاخرى. كنت في ما مضى أعتبر التبصير لعبة مملة، لكنني صرت الآن، وقد امتلأ رأسي بالجراثيم الكمبيوترية، أمضي ساعات منقلا أوراق شدّة الكترونية محدقاً الى الشاشة بتعابير كالتي على وجه سمكة بوري، فيما يتابع الكمبيوتر عطسه وقذفي برذاذ جديد من الجراثيم.

لا شك في أن الكمبيوتر هو أهم اختراع في تاريخ البشرية. ولذا أنصحك بحرارة: اذا لم يكن لديك كمبيوتر في منزلك بعد فاحصل على واحد، فمن دونه لن تستطيع أبدأ معرفة أجوبة بعض الاسئلة الوثيقة الصلة بحياتك، وخصوصاً: ماذا قال الفيل للنملة حين التقاها في مقهى؟ والجواب هو: "آعااا!!"

مهلا، مهلا، لا بد أن هناك مشكلة في لوحة المفاتيح! فلاحاول وصل هذا السلك...

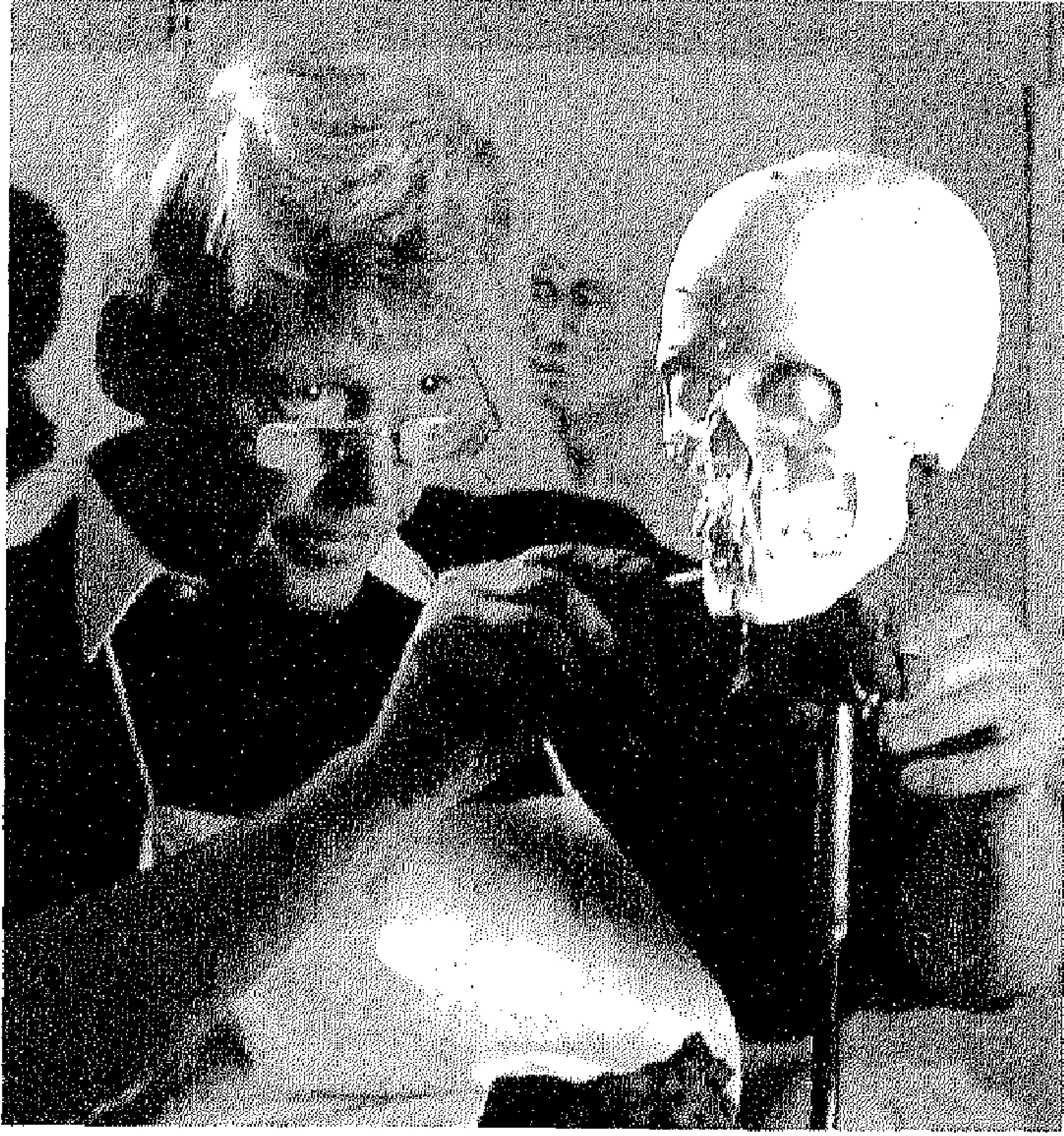
"خطأ! خطأ! خطأ! لقد محوت كل الملفات!"

أشعر أحيانا برغبة في سكب قهوتي الغالية في أحشاء الكمبيوتر والتلذذ بسماع صراخه.

ديف باري ■

(*) التبصير رؤية البخت، وهو من خزعبلات المشعوذين.

لمن هذه الجمجمة؟



من هو صاحب الهيكل العظمي المدفون؟
أحجية مروعة تحدّت مهارة خبير في اعادة تشكيل الوجوه

في بلدة كارديف في مقاطعة ويلز البريطانية شارع مغمور اسمه "فيتزامون إمبانكمنت" تصطف على جانب منه مبانٍ عتيقة. ويتهادى نهر على جانبه الآخر.

يضم المبنى الرقم ٢٩ ثلاث طبقات، وقد بقيت واجهته منذ يونيو (حزيران) ١٩٨٩ محجوبة عن الانظار بسقالة بناء، فيما انصرف العمال الى تحويل غرفه وقاعاته شققاً سكنية.

في ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩١ تبيّن للعمال أن الخندق الذي حفروه عبر الحديقة ليس عميقاً كفاية لمد مجرور جديد. فقرروا تعميقه أكثر.

فجأة اصطدم رفش بشيء بدا كبير الحجم ولينا على نحو غريب. فنفض العمال التراب بأيديهم، وسحبوا من الثلم الموحل حزمة مستطيلة. فكوا عن الحزمة سلكاً كهربائياً أسود لُف حولها، ثم بسطوا سجادة ملفوفة ليجدوا داخلها هيكلا عظمياً بشرياً.

في الرابعة والنصف عصراً غطي الخندق بخيمة بلاستيكية وضُرب حول المنزل نطاق أمني ووقف رجال شرطة على البوابة الرئيسية الخضراء للمبنى الرقم ٢٩. في تلك الاثناء، كان مفوض الشرطة جون وليمس وبضعة عشر رجلا يجوبون المبنى والحديقة بحثاً عن أدلة.

كشف أطباء التشريح على الهيكل العظمي، وأجريت فحوص مخبرية للبقايا، فلم تنجح محاولات تحديد هوية صاحبها. كانت الانسجة اللينة تحللت، وإن تكن بعض ثياب بقيت عالقة على العظام. وكان حول الجمجمة كتلة شعر أشقر وقرطان مذهبان.

بدأت الشرطة، باشراف المحقق نيل ايفانز، جمع معلومات عن الجثة المجهولة، في عملية مضنية شملت مجموعة غريبة من الأدلة الجنائية وإفادات الخبراء.

تقفّي الاثر. كان أول هؤلاء الخبراء أستاذ الباثولوجيا (علم الامراض) برنارد نايت. فخلُص الى أن الهيكل العظمي هو لفتاة في منتصف مرحلة المراهقة، طولها نحو ١٦٥ سنتيمتراً. فعقد وليمس العزم على تحديد هويتها قائلا: "انها لمأساة أن تدفن هذه الفتاة من دون اسم."

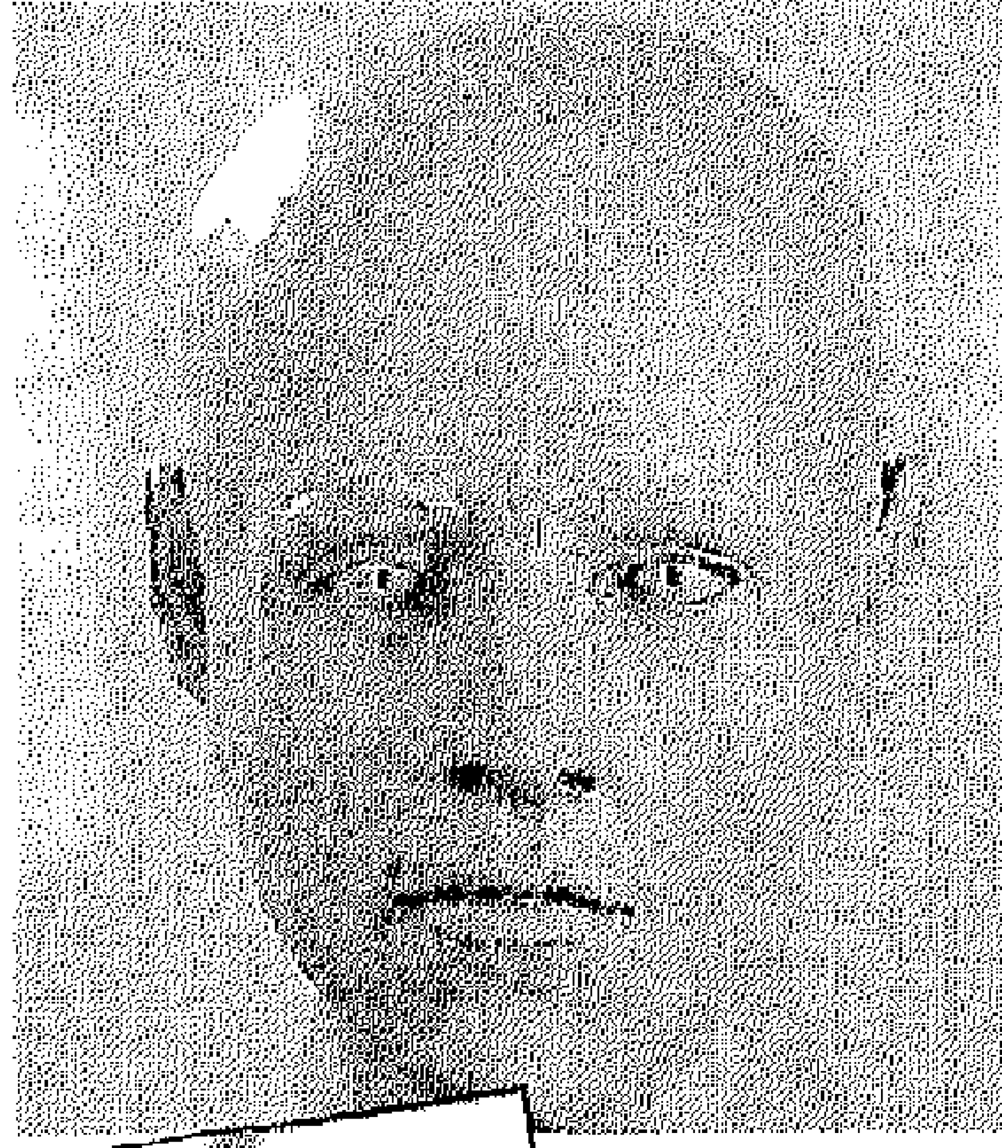
قدَّرت الشرطة، مستدلّة بالاسماء التجارية على بقايا الثياب، ان الفتاة قضت خلال السنوات التسع السابقة. إلا أن نحو ٧٠٠ شخص عاشوا في المبنى الرقم ٢٩ والمبنى المجاور، اللذين كانا متصلين بين ١٩٨٠ وأواخر ١٩٨٩، يتذكر أحد هناك فتاة شقراء معيَّنة.

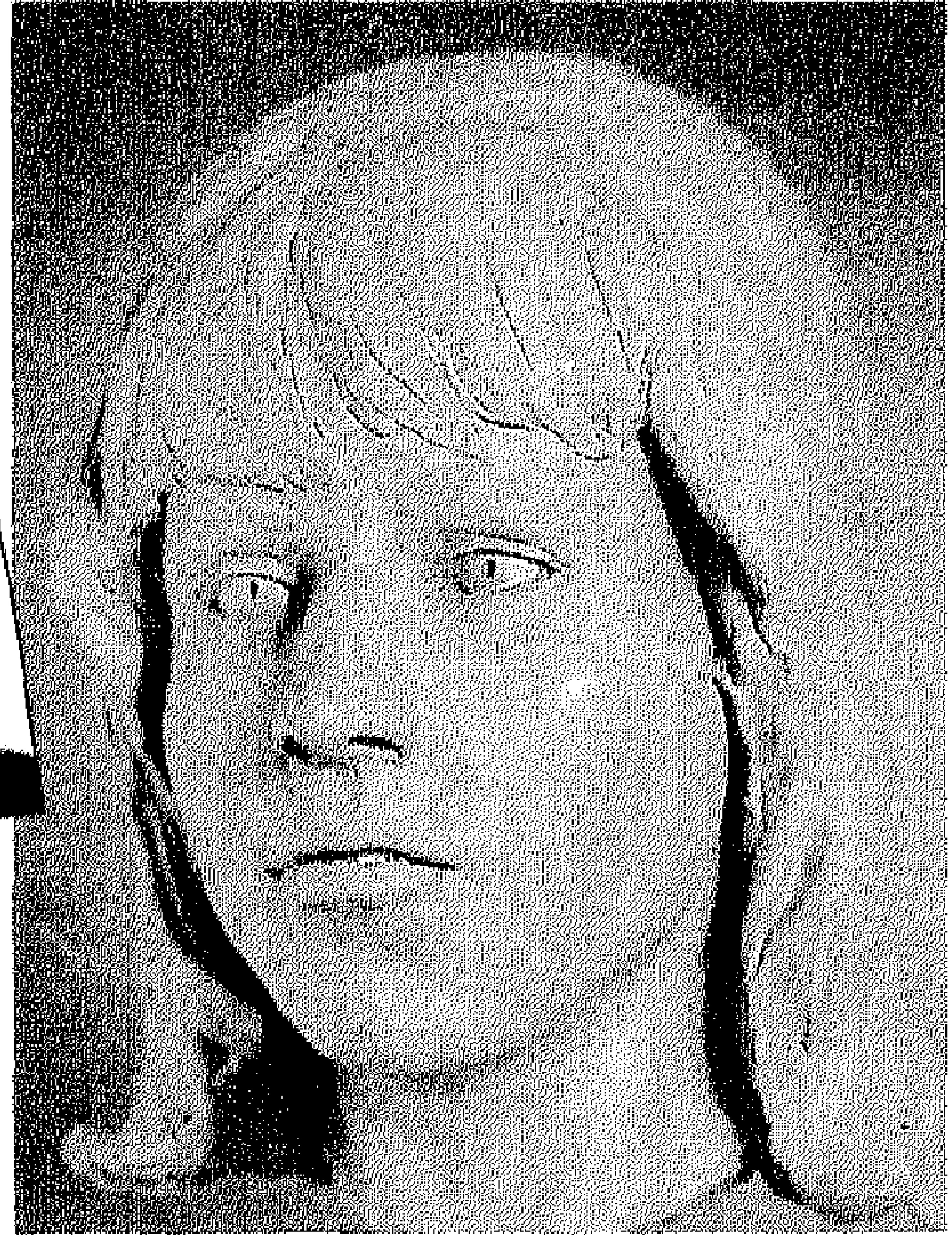
في اليوم الذي تلا الاكتشاف، نقلت الشرطة الجمجمة الى ديفيد ويتيكر وهو مستشار في طب الاسنان الجنائي لدى الحكومة البريطانية. فصوَّر الفك بالاشعة السينية (إكس) ليتبين مدى نمو الجذور. ولمزيد من التدقيق، اقتلع إحدى الاسنان وحزَّها طولياً، فتأكد له أن الفتاة توفيت وعمرها خمس عشرة سنة ونصف سنة.

بعد ذلك، أخذت الشرطة الجمجمة الى اختصاصيين بالانثروبولوجيا (علم الانسان) في "متحف التاريخ" في لندن، وهما كريستوفر سترنغر وتيا موليسون. فألقما مقاييس الجمجمة ذاكرة كمبيوتر تحوي معلومات عن ٢٥٠٠ نوع من الجماجم من أنحاء العالم. فخلُصا الى أنها لفتاة بيضاء، كما استنتجا من شكل الجمجمة والاسنان الكبيرة أن من غير المحتمل أن تكون من أصل بريطاني صرف.

في تلك الاثناء، أكبّ عالم الحشرات زكريا إرزنكليوغلو من جامعة كامبردج على مقارنة الحشرات التي وجدت بين العظام بتلك القاطنة في التربة المحيطة. فوجد خادرات* كثيرة من ذباب الفوريد المسمى "ذباب التوابيت" لقدرته على التسلل عبر الصناديق الخشبية المطمورة، وقدر أن حضورها يعني أن الانسجة اللينة استُهلكت خلال ثلاث

(*) الخادرة (pupa) حشرة في الطور الانتقالي بين اليرقانة والحشرة الكاملة، وتكون عادة ضمن غلاف يخفيها

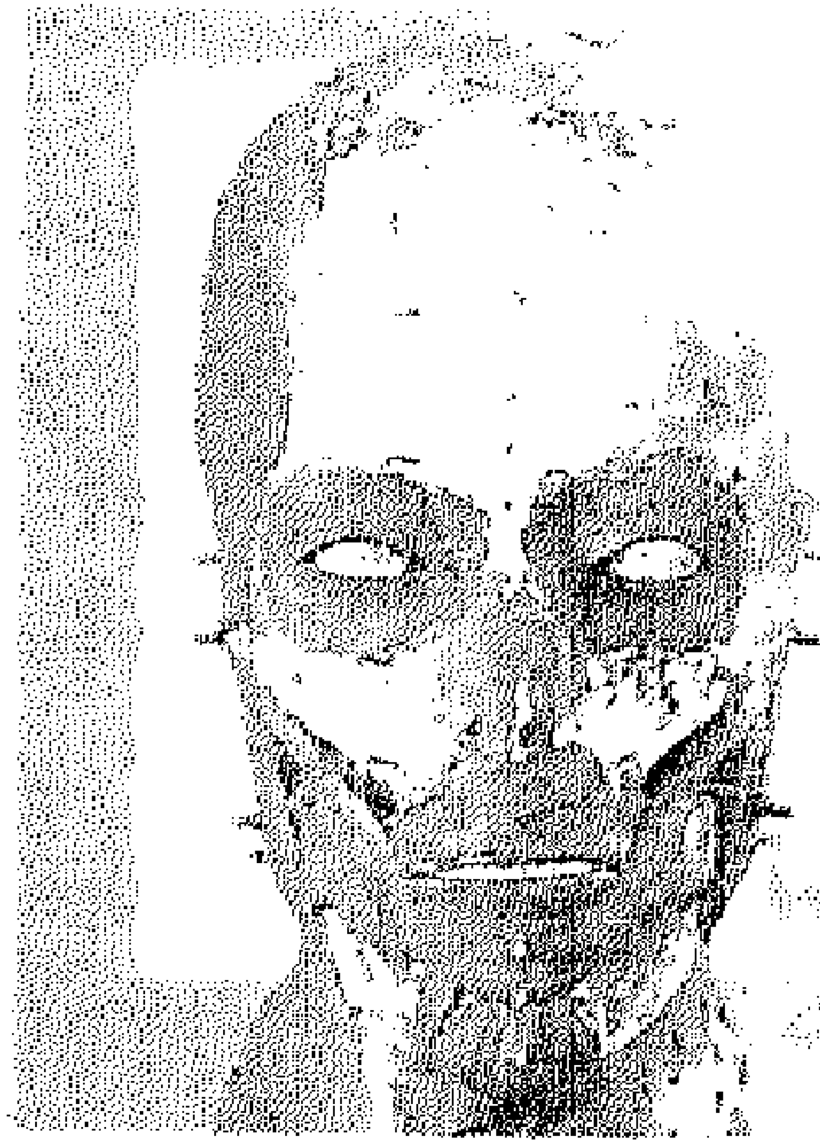
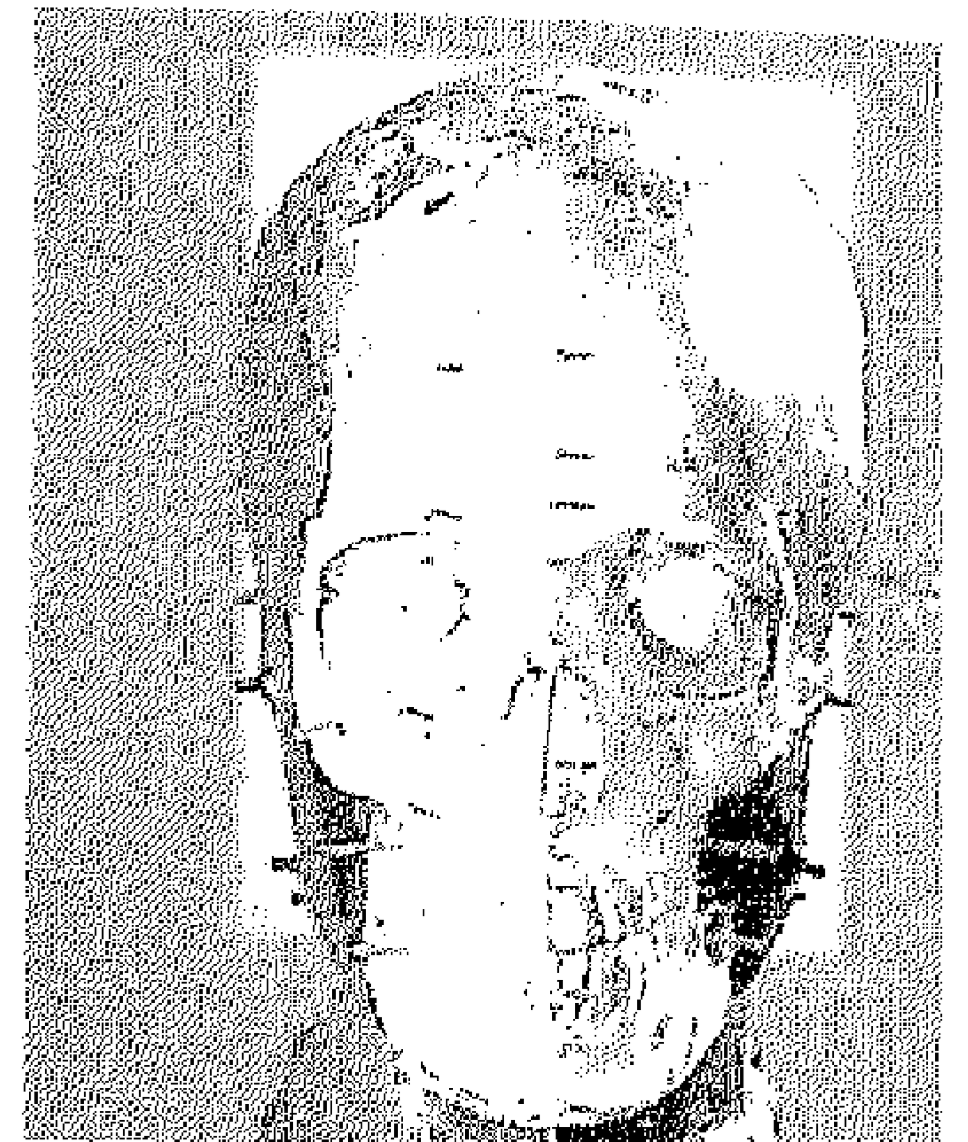
فوق: مراحل إعادة تشكيل الجمجمة، وقد وزعت الشرطة صورة الشكل النهائي (الى اليمين). أسفل اليسار: صورة كارين التي أرسلت الى الشرطة. والى اليمين: الوجه الذي شكّله نيف، بعد اعادة ترتيب للشعر. والشبه واضح ومدهش.

سنوات. كما وجد قمل خشب اجتذبه الفطر النامي على العظام.

استنتج إرزنكليوغلو أن الفتاة دفنت قبل خمس سنوات على الاقل.

تذكر الرقيب رون آشبي العضو في فريق وليمس مقالا عن خبير استطاع، بالعمل على جمجمة، اعادة تشكيل وجه رجل أصيب بحروق بالغة. فعاد الى ذلك المقال واتصل بريتشارد نيف، وهو فنان طبي في الثالثة والخمسين من عمره يعمل في جامعة مانشستر.

"عودة الى الحياة." اشتهر نيف بقدرته على اعادة تشكيل وجوه الجثث المنبوشة من الحفريات الاثرية، ومنها مومياءان مصريتان توصّل عام ١٩٧٣ الى اعادة تكوين وجهيهما بعد فك أربطتهما في متحف مانشستر. كما توصّل، استناداً الى الجمجمة فقط، الى

اعادة تشكيل وجهي فيليب الثاني المقدوني (والد الاسكندر) والملك ميداس حاكم فريجيا القديمة في آسيا الصغرى.

في الواقع، ليس هناك مَن يضاهي خبرة نيف ومهارته في هذا المضمار. فمعرفته في علم التشريح وتبصره في بنية الوجه البشري علمان اكتسبهما في مدرسة الفنون وبمراقبته عمليات تشريح في مستشفيات لندن ومانشستر.

نقلت الشرطة جمجمة الفتاة الى مختبر نيف في ١٤ ديسمبر (كانون الاول). ويبدو المختبر، بما اصطفَّ فيه من جماجم بشرية مسبوكة من البلاستيك وفق كل المقاييس والاوصاف، كأنه قبو عالم مجنون. وفي الغرفة التي يخلد اليها نيف لتناول الشاي، يتدلى هيكل عظمي يهتز مقعقعاً كلما لامسه قاصداً ملء فنجانه. أما الجدران فمغطاة بصور وجوه "أعادها الى الحياة."

عمد نيف أولا الى تصوير الجمجمة بالأشعة السينية بحثاً عن بينات غير مألوفة، لكنه لم يجد شيئاً من ذلك. ثم صنع نسخة بلاستيكية مطابقة للجمجمة. وفي ١٨ ديسمبر (كانون الاول) استعدَّ لمباشرة العملية الدقيقة والمروعة الهادفة الى تحويلها وجهاً بشرياً.

جلس نيف، والجمجمة قابعة في حضنه، وأخذ يفكر في أسلوبه الذي يعتمد ابتناء الانسجة اللينة عضلة عضلة ويتيح للوجه الانبثاق من سطح الجمجمة خارجاً. ثم راح يقلب صفحات كتاب حوى رسوماً تشريحية.

تستند عملية اعادة التشكيل الى علاقة معروفة بين الوجه وكفاف الجمجمة (محيطها). أما الكثافة فتحدَّد استناداً الى عوامل كالعمر والجنس والعرق. كما تحدد أدق التفاصيل وفق مجموعة مقاييس متعارف عليها.

يقول نيف: "تنبغي معرفة الحقائق الاساسية. فعمر الفتاة خمس عشرة سنة ونصف سنة، وهذا يعني أن وجهها كان مرناً وصحتها جيدة على الارجح. لذلك لا يمكن أن تكون الحياة تركت آثار السنين على محياها."

بدأ نيف العمل بحفر ثقوب صغيرة في ٢١ موضعاً استراتيجياً من الجمجمة المنسوخة تناولت ملامح مثل الصدغين والجبين والشفتين والفكين والذقن.

وأدخل في الثقوب عيداناً خشبية تشبه عيدان أسنان متفاوتة الطول، بهدف مباشرة عملية ابتناء الانسجة اللينة في هذه المواضع. ثم قاس عرض الجمجمة بمسماك وراح يحفر ثقوباً في مركزي العينين لجعلهما "مفعمتين بالحياة" كما قال. أما الشفتان فلا يمكن تحديدهما الا افتراضاً في فضلى الحالات، لأن الجمجمة لا تقيم دليلا على شكلهما. كذلك الانف الذي يعتبر الجزء الاكثر غموضاً، اذ ليس ثمة علم يستطيع استبيان شكله.

ومتى تمت تغطية الجمجمة بالطين، تبدأ الخطوة التالية التي تتناول "أنسنة" الوجه. لقد أراد نيف تحقيق تشابه يتعرف اليه شخص ما.

بعيد الثالثة من عصر اليوم التالي انتهى نيف من تشكيل وجه الفتاة. فهرع رجال الشرطة بعد ٢٠ دقيقة لأخذ صور، ثم غادروا ومعهم الجمجمة الاصلية.

عقد وليمس مؤتمراً صحافياً وزع خلاله صوراً لوجه الفتاة كما صاغه نيف عُرضت على شاشات التلفزيون ونشرت في الصحف في انحاء بريطانيا. ثم عمم ملصقاً سأل فيه الناس: "هل تعرفون هذه الفتاة؟"

لم يمضِ يومان حتى اتصل بالشرطة عامل اجتماعي من بلدة كارديف قائلا إن تلك هي صورة كارين برايس التي هربت من دار للرعاية.

واتصل آخرون عارضين أسماء فتيات مفقودات تبين أنهن جميعاً على قيد الحياة... باستثناء كارين برايس. وفي الشهر التالي عثرت الشرطة على سجلّ كارين في محفوظات أحد أطباء الاسنان في كارديف، فحوِّل السجلّ الى ديفيد ويتيكر الذي كان أول من كشف على أسنانها. وبعد مقارنة السجل بما تضمنه تقريره، لم يبق لديه شك في أن تلك هي جمجمة كارين برايس.

في غضون ذلك اتصلت عاملة اجتماعية من بلدة ساوث غلامورغن في ويلز مفيدة أن تلك هي صورة كارين برايس، وأن كارين كانت في عهدة دائرتها. وسرعان ما عُثر في الملفات على صورة فوتوغرافية للفتاة.

قورنت الصورة بالجمجمة المحفوظة في مستشفى وايتشابل بلندن. وتولى الطبيب الجنائي بيتر فانيزس اجراء مطابقة الكترونية بين الصورة والجمجمة على شاشة فيديو، فتبين له أنهما متطابقتان.

كادت تُنسى. ولدت كارين برايس في كارديف في ٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٥ من جذور ويلزية وقبرصية يونانية وإسبانية وأمريكية.

وتوحي صور عائلتها عيشة هانئة. الا أن والديها تطلقا عام ١٩٧٢، وتزوج كلاهما ثانية. وكان لهما ابنان وابنتان. فعاشت كارين مع والدها مايكل برايس الى العام ١٩٧٥ حين وُضعت في عهد مصلحة الرعاية الاجتماعية في ساوث غلامورغن. فعاشت طوال السنوات الست اللاحقة في دار للرعاية.

وكان والدها يزورها أحياناً. أما والدتها أنيتا فلم تزرها الا لماماً، لكنها تذكرت زيارتها الاخيرة، اذ حصل بينهما جدل حاد هربت كارين على أثره الى الشارع.

وفي السنة التالية نُقلت كارين الى دار أخرى. إلا أنها هربت ثانية. وبمرور السنوات نُسيت تماماً.

بعد التعرف الى الجثة أفادت الشرطة من آراء الخبراء لتضييق الزمن المفترض لوفاة صاحبتها الى فترة تراوح بين يوليو (تموز) ١٩٨١ حين هربت من دار الرعاية الثانية وأبريل (نيسان) ١٩٨٢.

وحقق وليمس أمنيته بالا تدفن الفتاة من دون اسم. فعندما سمحت الشرطة للعائلة بتسلم الجثة، ووريت كارين الثرى في جنازة لائقة.

يقول وليمس: "انها لمأساة أن تذهب كارين الى كارديف لتموت هناك. ولولا اضطرار العمال الى تعميق الخندق لما وجد لها أثر."

ولولا عملية اعادة تشكيل الوجه المذهلة التي تولاها الدكتور ريتشارد نيف لما عُرف مصيرها ابداً.

في ١٥ فبراير (شباط) ١٩٩٠ عرضت شبكة «BBC» التلفزيونية عملية اعادة تشكيل وجه كارين وحضّت الجمهور على المساعدة في معرفة قاتلها. وفي تلك الليلة اتصل مشاهد قاد الشرطة الى شخص اسمه إدريس وهو مجرم من كارديف. وبعد يومين في التحقيق انهار ادريس واعترف بأنه حضر مقتل كارين.

تعرف ادريس الى كارين في المدرسة. وسرعان ما التقيا في كارديف بعد هربها من دار الرعاية، وكان وقتئذ في السادسة عشرة من عمره، فأقنعها بممارسة البغاء. وذات مساء من صيف ١٩٨١ اصطحبها الى شقة في الطبقة السفلى من المبنى الرقم ٢٩ يقيم فيها صديقه آلن تشارلتون الذي كان في الحادية والعشرين من عمره. فحصل شجار بين كارين وتشارلتون، وعمد هذا مع ادريس الى ضربها، ثم خنقاها. وبعد ذلك دفناها في الحديقة الخلفية.

وبعد عشر سنين من تنفيذ الجريمة قبضت الشرطة على تشارلتون في منزله في جنوب غرب بريطانيا. وفي فبراير (شباط) ١٩٩٢ حوكم هو وادريس، ودينا استناداً الى قرائن جنائية دامغة وشهادة صديقة لكارين كان عمرها ١٣ عاماً وقد شهدت الجريمة. وحكم على تشارلتون بالسجن المؤبد. أما ادريس فاحتجز احتياطاً لأنه كان دون السن الثامنة عشرة يوم تنفيذ الجريمة. وقد استأنف المتهمان الحكم.

أميت روي ■

الكتّاب مجموعة غريبة من البشر تحقق السعادة لنفسها ولقرائها من طريق وصف التعاسة.

ك.ر.

قصة من واقع الحياة

علق المزارع في دوامة هادرة
جذبته الى قاع انبوب تصريف وكسّرت عظامه
فهل يستطيع الخروج وطلب النجدة؟

الدّوامة الزرقاء

كان نك لومانجينو يدندن لحناً وهو يضع سائلاً مقاوماً للجليد* في محرك شاحنته الصغيرة. بدا ذلك سخيفاً في يوم أحد دافىء من شهر نوفمبر (تشرين الثاني). لكن نشرة الأحوال الجوية توقعت موجة من الصقيع والثلج في منتصف الأسبوع التالي.

لومانجينو رجل في الخمسين من العمر دائم الانشغال. فهو يُعنى بمزرعة أهله في شينفيو شرق ولاية نيويورك التي تبلغ مساحتها ٨٠ هكتاراً، إلى اهتمامه بمنزله في ميلبروك على بعد حوالى ١٥٠ كيلومتراً جنوباً. كان نك في ما مضى أستاذاً للفنون في مدرسة ثانوية ومدرباً على المصارعة، وقد حافظ على لياقته البدنية وعضلاته القوية.

قرابة الحادية عشرة والنصف قبل الظهر انتهى نك من تجهيز عربات المزرعة واعدادها لفصل الشتاء. وكان العرق يتصبب منه على رغم انه كان عاري الصدر ولا يرتدي سوى سروال قصير.

انطلق نك، ومعه كلبته ليدي، عبر الحقول لتفقّد البرك الثلاث المتصلة بعضها ببعض والتي تروي المزرعة. وكان راقب طوال فصل الصيف قندساً منهمكاً في جمع العيدان، وساوره قلق من أن يكون ذلك أدى إلى انسداد مصرف المياه الفائضة، وهو أنبوب يبلغ قطره ٧٥ سنتيمتراً يُستخدم لتقنية فائض المياه تحت سد ترابي الى مجرى في الاسفل.

(*) Antifreeze

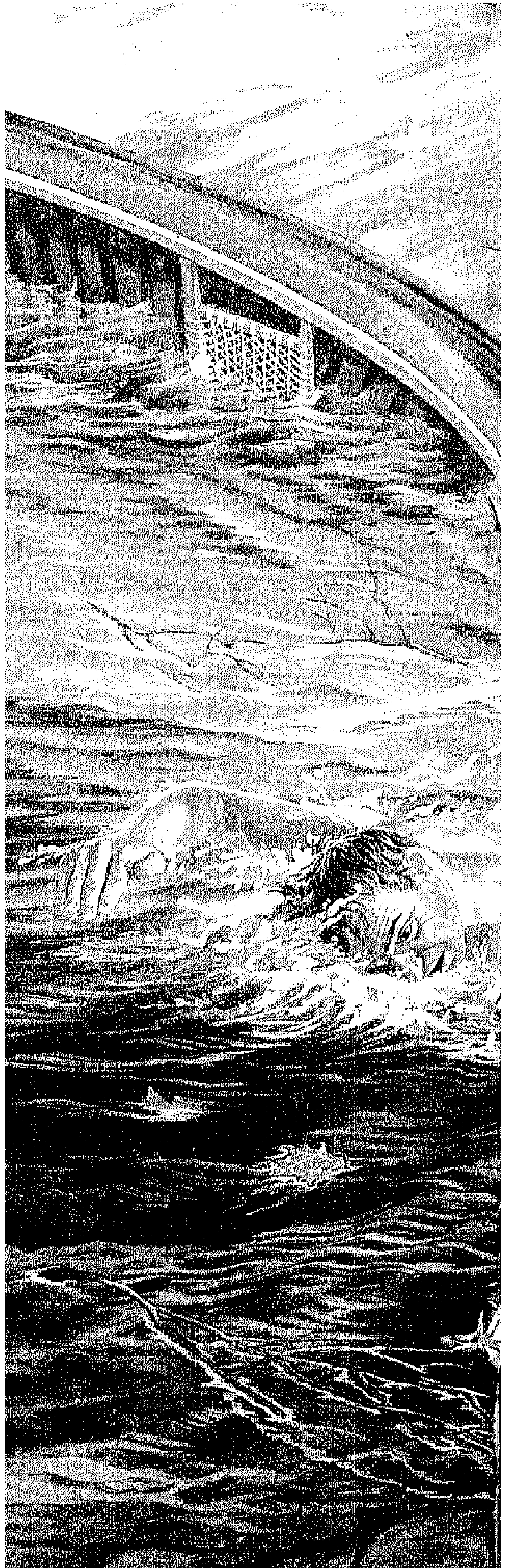


ILLUSTRATION: DAN BURR

بدت البركتان الأوليان صافيتين، لكن المياه كانت تفيض من أعلى البركة الثالثة مما شكل ضغطا كبيرا على السد. فتعين على نك أن ينظف أنبوب التصريف وإلا انهار السد.

عاد إلى مخزن المزرعة حيث حمّل شاحنته قاربا صغيراً ورجع إلى البركة. ترك كلبته على الضفة وانطلق يجذّف قاربه نحو كومة الاغصان حيث تفيض المياه. فوجد الكومة أكبر مما توقع.

دوّامة مرعبة. بدأ نك يدفع كومة الأغصان بقضيب حديد محاولا تخفيف الضغط عن السد. وحين تراءت له على سطح الماء فوهة أنبوب بشكل قمع، قفل عائداً الى الضفة مطمئناً. وما إن ابتعد حوالى عشرين متراً حتى سمع صوت امتصاص رهيبا، كأن مغسلة ضخمة تُفرغ مياهها. ورأى أوراق الشجر والاقذار الطافية تجتاز قاربه بسرعة منجرفة من خلفه. فالتفت وراءه، وإذا به يرى الأنبوب يبتلع كومة كبيرة من الأغصان. وخلال ثوان تحولت الفوهة الصغيرة دوّامة هادرة. ثم لاحظ كلبته ليدي تثب بعصبية على حافة البركة، فصرخ بها: "ابقي حيث أنتِ!" وبسرعة خاطفة سُحب قاربه إلى الوراء وراح يدور الى أن علق فوق الدوّامة حيث وجد نك أمامه فوهة سوداء هادرة.

استجمع قواه وحاول التمسك بحافة أنبوب التصريف مستعيناً بالمجذاف. فنجح في الافلات من التيار وحاول الابتعاد. ولكن على مسافة أقل من خمسة أمتار من الضفة شعر مجدداً بأن القارب يتراجع في اتجاه الدوامة.

سيطر الذعر على نك فقفز إلى الماء محاولا السباحة. لكن التيار جذبه نحو الفوهة مثل مغناطيس. وفي لحظة شعر بجسده يمر فوق الأنبوب مسحوباً بقدميه أولاً. ولكن، قبل أن تبتلعه الفوهة، مدّ يده في المياه المثلجة وأمسك بفوهة الأنبوب. وسحب رجليه الى أعلى ببطء، فأصبح معلّقاً فوق فوهة الدوّامة كسرطان، وجهه الى أسفل، ممسكاً الأنبوب بأصابع يديه وأصابع قدميه.

بقي نك متشبثاً بكل قوته يقاوم المياه التي حاولت جرّه من قدميه فيما التيار ينطلق تحت ذقنه بعنف كما تنطلق المياه من خرطوم إطفاء. وأخذ يحض نفسه على الثبات في مكانه آملاً أن يخفّ الضغط عليه اذا انخفض منسوب المياه في البركة.

فجأة انكسرت الحافة الاسمنتية، فغطس نك في الانبوب مرتطما بجوانبه التي كانت من الفولاذ المموّج. كانت المياه المتدفقة داخل الأنبوب تسوط ذراعيه وساقيه. وفي لحظة خاطفة ارتطم بقاعدة الأنبوب. وصارع لكي يعوم، فنجح بأعجوبة قاذفا الماء من فمه.

يد جبّارة. وقف نك على قعر الأنبوب العمودي البالغ طوله ثلاثة أمتار. وكان وراءه أنبوب أفقي طوله ثمانية أمتار يمتد تحت السد ويفرغ مياهه في المجرى

تحت. وفيما ارتفع مستوى المياه حوله استنتج أن الاقذار قد تكون سدّت الأنبوب الأفقي.

نظر نك إلى أعلى، فلمح وسط المياه المنهمرة عليه قرصاً أزرق من سماء صافية. واستغرب أن يكون النهار لمّا يزل جميلاً.

بدأ مستوى المياه ينخفض. فظنّ نك أن الانسداد انفرج مما سمح بالتصريف. ثم عادت المياه ترتفع وبلغت وسطه، فصدره، فكتفيه.

أسند نك ظهره إلى جدار الأنبوب وثبت قدميه على الجانب المقابل محاولاً، بقوته العضلية، التسلق في عكس تيار المياه الهادرة. ولشدة برودة المياه شعر كأن جلد ظهره يُسلخ عنه. وأفلتت قبضته، فوقع مجدداً وارتطم بقعر الأنبوب. فراودته رغبة طاغية في الصراخ.

فجأة شعر كأنما يد جبارة تسحبه نحو منفذ الأنبوب الأفقي. الانسداد ينفرج!

أسند قدميه بقوة إلى جانبي الأنبوب وأخذ يصارع بكل قواه مرتعباً من هاجس أن يبتلعه ذلك الأنبوب الطويل. وصلّى: "يا رب، ساعدني في اجتياز هذا الأنبوب، وأنا أتكفل بالبقية."

كان الضغط لا يُحتمل، وشعر نك بقدميه تنزلقان. فضغط بقوة أكبر على جانبي الأنبوب بينما تيار المياه المثلّجة يضرب رأسه وكتفيه بعنف.

أفلتت قدماه وراح جسمه يرتطم بجانبي الأنبوب حتى كادت رئتاه تنفجران. وبعد برهة وجد نفسه مستلقياً على أرض صخرية وسط سيل جارف من المياه بعمق ستين سنتيمتراً. لقد قُذف من الأنبوب مسافة عشرين متراً ووقع على حافة صخرية تعلو بضعة أمتار عن فوهة المجرى.

عظم مكسور. هتف نك في نفسه مندهشاً: "أنا حيّ! أنا حيّ!" لكنه كان لا يزال بعيداً جداً عن الأمان. فمشى متعثراً متمسكاً بالصخور شاقاً طريقه بحذر الى حافة المياه، وهناك التقط جذر شجرة بيده اليسرى.

عندئذ فقط أدرك أن خطباً ما حصل لذراعه اليمنى. لقد انفكت كتفه! مدّ ذراعه المصابة الى أعلى وتمسك بشجيرة. ثم خفض جسده محاولاً إعادة المفصل الى مكانه، فنجح جزئياً. وعلى رغم حدة الالم أصبح قادراً على فتح يده اليمنى وقبضها.

جلس نك ليرتاح قليلا. وفيما هو ينفض ما علق على صدره ورجليه ضربت يده شيئاً ما حين رآه ارتبك ارتباكاً شديداً. فقد كان عظم فخذه اليسرى ناتئاً من جلده فوق الركبة تماما. فحدّق اليه مذعوراً. كان لون العظم أبيض وطرفه مسنناً. ولم يكن نك شعر بالكسر، إذ لا بد أن تكون المياه المثلجة خدّرته. في تلك اللحظة أدرك أنه لن يتمكن من الخروج من الماء والعودة سيراً إلى المزرعة.

تطلع نك إلى أعلى فرأى غيوماً رمادية تمتدّ من الجنوب الغربي. وكانت درجة

الحرارة تهبط بسرعة. فصرخ بأعلى صوته مستغيثا، الاّ أن صوته تلاشى وسط هدير المياه. وفي أي حال، مَن كان هناك ليسمعه؟

استلقى على ظهره في الماء تعسا مرتجفاً. وراح يفكر في أن من المحتمل جداً أن ينزلق فيبتلعه المجرى. وضجّ صوت في رأسه: "لا! إن كنت رجلاً صلبا حقا ففي استطاعتك الخروج من هذا المأزق!"

أستجمع نك شجاعته وحاول التمسّك بالغصن. فمزّقه ألم مبرِّح. لكنه صرّ بأسنانه وخرج من الماء مستعينا بيده اليسرى السليمة. مرت لحظة كاد يغمى عليه، لكنه لم يلبث أن أصبح في أمان على الأرض الجافة.

"لماذا تعذب نفسك؟" كان نك يقطع المسافة الى بيت المزرعة في ست دقائق مشيا. أما الآن، فقد بدت الامتار الاربعمئة أطول من الطريق الى القمر.

في البدء حاول أن يزحف متسلقاً التلة، لكن طرف العظم المسنن كان يعوقه ويصطدم بالصخور. فتوقف قليلا ليمسح التراب وأوراق الشجر عن جرحه.. ثم تجاهل الألم المبرح ودفع العظم الناتىء داخل اللحم بسبّابته اليسرى. فشعر بدوار. وقال في سرِّه: "اصمد يا رجل!" فإن أغميَ عليه مات في العراء.

التقط غصنا ساقطا طوله نحو متر. فحلّ شريط حذائه وربط الغصن إلى ساقه اليسرى كجبيرة. وراح يتسلّق التلة خلفيا، دافعا برجله اليمنى ورافعا جسده بيده اليسرى.

كان تخطّي الأخاديد والحجار عملية شاقة. وكان نك يقيس تقدمه بالسنتيمترات. حاول مرارا ان يرتاح، لكن جلده بدأ يزرق بفعل البرد، وكلما أسند ظهره مزق الألم جانبه الأيسر. وسمع صوتاً هامساً في أذنه: "لماذا تعذّب نفسك؟ لماذا لا تستلقي وتستريح؟"

لكنه صاح: "لا! تابع سيرك يا رجل! فقد قطعت وعداً على نفسك بأنك إن أخرجك الله من الأنبوب فستتكفل بالبقية. الآن يجب أن تفي بوعدك!" وتابع تسلقه خلفيا على رغم ألمه.

سدت طريقه شجيرات علّيق. فلمس أحد أغصانها فوخزت الأشواك يده. وتساءل: هل يمكنه أن يتخطى هذا الشرك؟ ولكن، هل يكون وخز الأشواك أكثر إيلاماً من ساقه المحطّمة؟

تصلّب نك واقتحم أجمة العلّيق، فمزّقت أشواكها جسده العاري. وبعدما قطع مسافة خمسة عشر متراً وخرج منها، بدا كأنما زمرة من الهررة البرّية قد هاجمته.

رعب جديد. مضت ساعة من العذاب بلغ نك بعدها أعلى التلة قاطعاً حوالى خمسين متراً. وتساءل عن كمية الدم التي نزفها، وكم تبقى لديه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

كانت شاحنته متوقفة في المرج المنبسط أمامه على بعد ستين متراً. اذا

تمكن من الوصول إليها فسيقودها إلى المنزل ويطلب النجدة بالهاتف.

تابع نك تحركه البطيء خلفيا. وبعد عشرين دقيقة وصل إلى شاحنته، فشعر بغبطة لا توصف. ولما حاول التقاط مسكة الباب تذكر أن الشاحنة ليست أوتوماتيكية، مما يعني أنه لن يقدر أبداً على قيادتها بكتف مخلوعة وساق مكسورة!

حاول نك لجم رعبه المتنامي. وكان في الجهة الاخرى من المرج سور حجري وخلفه طريق حصباء. لم يبقَ أمامه سوى هذا الخيار.

اشتدّ هبوب الريح، فأخذت أسنانه تصطكّ وراح يرتجف من البرد، لكنه تابع تحركه. بلغ الحائط بعد نصف ساعة، وكان يعلو نحو متر.

"يا الهي، ألن ينتهي هذا الأمر أبداً؟"

راح نك يزحف في محاذاة الحائط إلى أن وجد فيه ثغرة، فخرج منها فيما الحجار والاشواك تمزّق جسده. وبعد دقائق كان على الطريق.

تابع كفاحه بعزيمة متجددة. وبعدما اجتاز منعطفاً لاح له بيت المزرعة على بعد حوالى ستين متراً. أخيراً!

توجه نك نحو العشب الندي في الساحة الأمامية قرب المشوى الحجري. فجلس هناك يغالبه دوار. ثم لمح شاحنة صغيرة على التلة التي انحدر عنها فلم يصدّق عينيه. لكنه لم يقوَ على الصراخ. وفكر: "يجب أن يروني!"

اتجهت الشاحنة نحوه ببطء وتوقّفت على بعد ستة أمتار منه وقفز منها رجلان. فقد كان باتريك فيتزباتريك وروبرت بلومر في رحلة لصيد الطيور صبيحة ذلك الأحد. وفي طريق عودتهما قرابة الثالثة بعد الظهر مرّا بشاحنة نك في الحقل فلاحظا أن بابها الخلفي مفتوح.

ثم رأى فيتزباتريك قارباً منقلباً عائماً قرب أنبوب التصريف. فعاد هو وبلومر عبر الطريق الحصباء، وبعد المنعطف شاهدا نك عاري الصدر يلوّح لهما بيد واحدة.

كانت الحرارة تدنت إلى خمس درجات مئوية، وكان نك ممتقعاً يرتجف من البرد وقد مزقت صدره وذراعيه وقدميه جروح حمر متقاطعة كأنه جُلِدَ بالسياط. فخلع فيتزباتريك سترته ولفّه بها.

في المستشفى عالج الاطباء نك لومانجينو من الصدمة. واضطروا الى اعطائه ليتراً من الدم. وقوّموا كتفه وجبروا عظمة فخذه المحطمة وثبتوا فيها قضيباً معدنياً وبراغي. وقال له الدكتور بول كونيغ مدير قسم الطوارىء إن تجربته هي أغرب صراع للبقاء صادفه منذ عشر سنين. وأضاف: "كأنك ولدت من جديد."

وبعد ثلاثة عشر يوماً عاد نك إلى منزله. ولم يتعافَ كليا إلّا بعد ستة أشهر.

يقول: "يدعونني الناس بطلا، لكني لست سوى رجل حاول البقاء على قيد الحياة. الله منحني تلك الفرصة، والآن حان دوري لأُعطي شيئاً في المقابل."

وليم ديرفيلد ■

صور من الحياة

قوس قزح

■ تسرب بعض الزيت من سيارتي الى أرض الموقف أمام المنزل، ولمع تحت ضوء الشمس متلألئاً بعدة الوان. فهرع حفيدي الى الداخل صائحا: "تعال يا جدي وانظر الى قوس قزح ميت في طريق بيتنا."

ي.ج.

ميكانيك

■ كم أودّ سماع هذه العبارات من ميكانيكي:

"ثمن هذه القطعة أقل كثيراً مما توقعت."

"لم أرَ أحداً ينتبه لسيارته كما تفعل أنت."

"إن إصلاح هذا العطل يكلّف أقلّ في مرأب آخر."

"كل ما في الأمر أن برغياً كان مرتخياً. لن آخذ منك شيئاً."

د.غ.

بعض الشفاء في صوتها

■ اتصل ابني من الجامعة ذات مساء وقال لي بصوت مخنوق: "ماما، انا مصاب بزكام شديد، واعتقد أن حرارتي مرتفعة، فماذا افعل؟"

أجبته: "اكثِر من شرب السوائل، واخلد الى الراحة."

ثم أضفت: "لكنك طالب في السنة الثالثة في كلية الطبّ، ويفترض بك معرفة هذه الأمور."

قال: "أعرف يا ماما، لكنني أردت سماعها منكِ أنتِ."

ج.ل.

سامي يعرف

■ احتجت مرة الى سيارتنا الجيب للذهاب الى السوق، اذ كان زوجي أخذ سيارتي الصغيرة. ولم اكن أجيد قيادة الجيب، فاتصلت بزوجي لأسأله عن بعض الامور. فقال لي: "خذي الجيب، لا بأس، لكن إحدى عجلاته فارغة، فانفخيها. وعلّمني طريقة استعمال المنفخ الكهربائي وأنهى حديثه قائلا: "اذا احتجتِ الى شيء، فدعي سامي يساعدكِ، فهو يعرف ماذا يفعل."

ثم اتصل العم عزيز، والد زوجي، فسألته عن المنفخ لمزيد من الفهم، ففسّر لي ما عليّ أن افعل وأضاف: "سيساعدكِ سامي اذا ما احتجتِ الى شيء."

سامي ابني، وعمره خمس سنوات.

ر.ب.

اقرأ لي يا بابا

■ كنت اقرأ قصة لابني قبل أن ينام. واذ لاحظت أن النعاس يغالبه وضعت الكتاب جانباً وهممتُ بالخروج، فسمعته يقول: "لا تتوقف عن القراءة يا بابا، فأذناي تسهران أكثر من عينيّ أحياناً."

ب.غ.

كتاب الشهر

امرأة خارقة

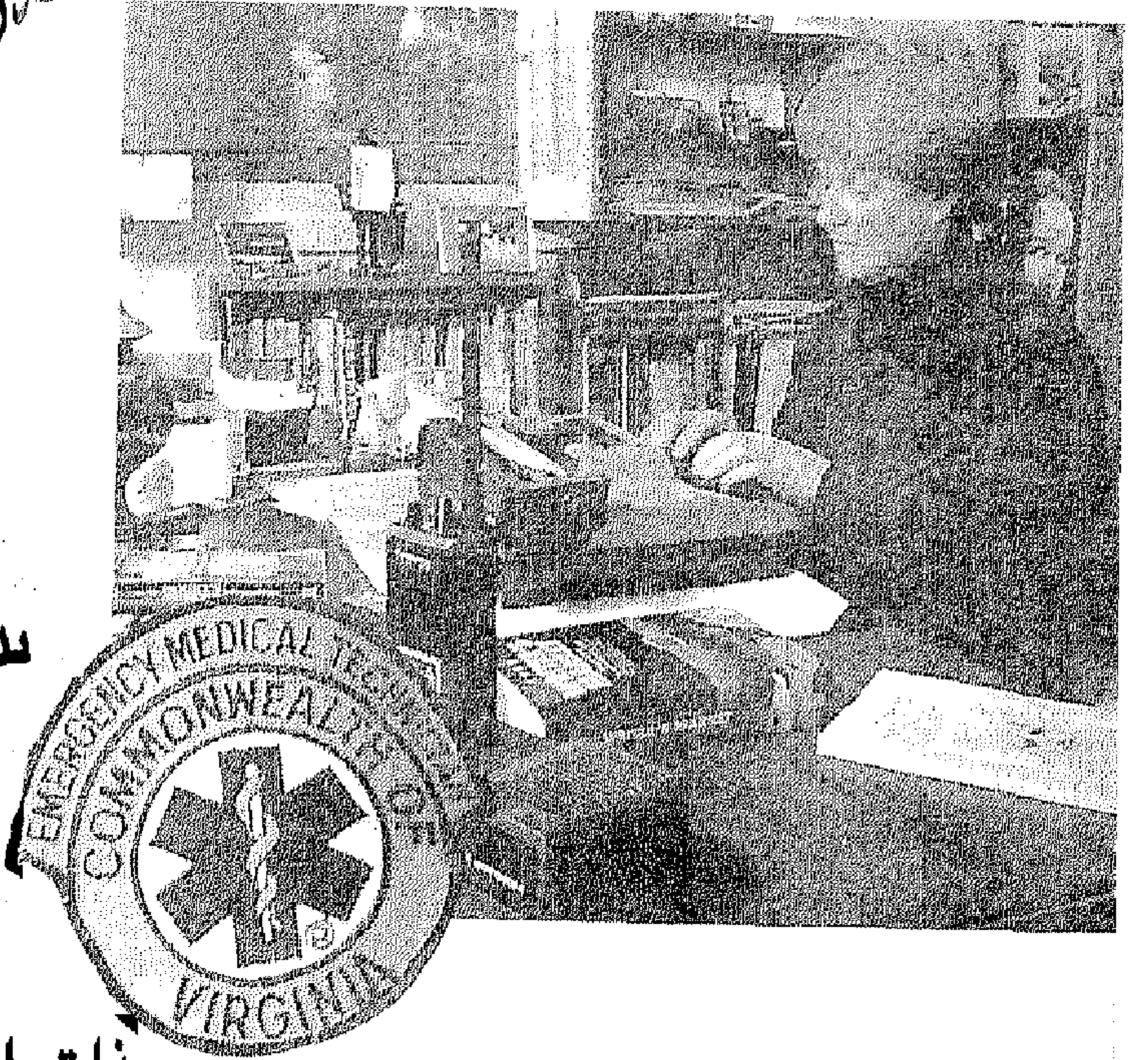
ملخص من كتاب "خلف الأضواء والصفّارات"

بقلم بات أيفي

امرأة خارقة

كانت حياة بات أيفي غنية كأم وربة بيت، لكنها ظلت في داخلها تفتقد شيئاً ما. كانت تحس أنها تأخذ أكثر مما تعطي.

درست بات البدائل المتاحة: كانت في السابق مدرِّسة، لذا تستطيع العودة الى التدريس. ولكن في امكانها أيضاً أن تجرب شيئاً آخر. وقد أتى ذلك "الشيء" دعوة للانضمام الى فرقة الانقاذ المحلية.



بدا الخيار غير طبيعي بالنسبة الى امرأة لا تطيق مرأى الدم ولا صوت سيارة اسعاف. ومع ذلك وجدت بات نفسها ذات ليلة عضواً في فريق مساعدين طبيين للطوارىء يعملون بسرعة وخفة فيعالجون عظاماً مكسورة وأجساماً مدماة، باذلين وسعهم في سباق مرير مع الموت.

طارت السيارة حوالى ١٥ متراً في الهواء قبل أن تحط مهشمة في الغابة، جنبها الايسر متكىء على شجرة وأبوابها عالقة يتعذر فتحها. وكان السائق دُفع الى المقعد الخلفي بفعل الصدمة وبدأ يفقد وعيه.

قال ماركوس والاس أحد عناصر فريق الانقاذ: "يجب أن يدخل أحدنا السيارة. بات، هل يمكنك التسلق الى الداخل؟"

فأجبت: "سأحاول." واذ مشينا أنا وجو برودريك عبر الشجيرات والاعشاب الى

الجانب الآخر من السيارة سألته: "لماذا لا يسألك أحد أن تقوم بهذا العمل؟"
رمق جو بنيتي النحيفة وقامتي التي لا تتجاوز ١٦٠ سنتيمترا وربت كتفي قائلا: "من النافع أحيانا أن يكون المرء طويلا."
أنارت الاضواء الكاشفة موقع الحادث. وتفحص جو الشجرة التي اتكأت السيارة عليها ثم ضغط الصندوق بقوة. وعندما تأكد له أن الحطام مستقر ساعدني في التسلق داخل السيارة.
عندما يعلق شخص في سيارة بعد حادث اصطدام، يدخل اليه أحد أعضاء الفريق لتضميد جروحه وجبر عظامه ومراقبة خفقان قلبه وتثبيت حقنة قطّارة للسوائل والادوية عبر الاوردة، ولتهدئته وتخفيف جزعه عندما تصخب حوله المعدات المستخدمة في إخراجه.
كان مجال الحركة داخل السيارة لا يتجاوز ٦٠ سنتيمتراً، وكان من الصعب علي حفظ توازني، فرحت انزلق نحو السائق الذي بدا في أوائل العشرينات من عمره، وكان واضحا أنه تناول كحولا.
قلت له: "أنا بات، وأنا هنا لمساعدتك."
فرد دافعا اياي الى زاوية المقعد: "أخرجيني من هنا."
مد عنصر من فريق الاطفاء رأسه داخل السيارة وقال: "سنضطر الى اقتلاع هذا الباب." كان يعني أن الفريق سيستخدم آلة ذات فكّين[1] تنهش المعدن وتقطعه ويمدها بالطاقة مولّد خاص.
فقلت له: "أعرف ذلك."
سألني: "هل أنت بخير؟"
فأجبته: "نعم، حتى الآن."
أدخل الرجال قماشا مشمّعا لحمايتنا من الزجاج المتناثر والشظايا المعدنية، فسحبته حتى غطانا، وأحطت السائق بذراعي مسندة مؤخر رأسه الى وجهي. كنت أحس دمه الحار اللزج على خدّي وجبهتي. وهو حاول جاهداً التملص من قبضتي فيما حاولت أنا احكامها. لكنه كان أقوى مني. لم يكن لدي متسع للحركة، وكانت رجلاي المثنيتان تحت جسمي تتشنجان، واثقلت رائحة الكحول الممتزجة برائحة الدم وطأة الجو داخل السيارة.
أفلت الرجل فجأة وجلس منتصبا، ثم راح يتلفت حواليه يائسا وصرخ: "يجب أن أخرج من هنا!"
ناديت المنقذين وقد انتقلت الي عدوى رهاب الاحتجان، لكن أحداً لم يسمعني وسط

(١) تعرف باسمها التجاري «Jaws of Life» اي "فكّي الحياة."

ضجيج المولِّد. وأحسست دمي ينبض عنيفاً داخل أذني.

راح الشاب يئن عالياً ويضرب سقف السيارة بقبضتيه. فجلست أنا ساكنة وأغمضت عيني.

اقتلع الباب أخيرا وأطفىء المولد فتوقف السائق الجريح عن الحركة. فتحت عيني فطالعني وجه جو مكان الباب: "بات، هل تحتاجين الى شيء؟"

"الخروج من هنا!" كان ذلك كل ما استطعت قوله.

فور اخراج السائق من السيارة ووضعه في سيارة الاسعاف بدأت عنايتنا الطبية الحقيقية. كان مصاباً بنزف داخلي وقد انخفض ضغط دمه الى درجة خطرة. فغرزت في معصمه حقنة وريدية، ثم ألبسناه سروال Mast [٢] لدفع الدم من ساقيه صعوداً الى جسمه، فذلك يساعد في انقاذ حياة المرء اذا كان مصابا بنزف داخلي.

في منتصف الطريق الى المستشفى شرع المصاب يوجه الينا لكمات طائشة، فصرخت في السائق: "حاول أن تسرع أكثر." لم أخشَ أذية من لكماته الواهنة، لكنني خفت أن تفلت الانابيب المثبتة في أوردته. فربطنا يديه الى جانبي المحفة. لكن صراخه بلغ آذان العاملين في قسم الطوارىء في المستشفى لحظة وصولنا الى الموقف المخصص لسيارات الاسعاف.

دخلت غرفة حمّام في المستشفى لاحقا ونظرت الى المرآة. رفعت يدي مذعورة الى الجانب الايمن من رأسي وتحسست الدم والوحل على شعري الاشقر. غسلت وجهي، لكن ذلك لم يحسن مظهري كثيرا. كانت عيناي الزرقاوان محمرتين ومنتفختين. وأبرز الضوء الفلوري الابيض كل الخطوط والتجاعيد في وجهي، فبدوت أكبر كثيراً من أعوامي الاربعين.

قلت لنفسي: "لا جدوى!" وعدت الى غرفة الممرضات. فهتفت ممرضة كانت تراقبني في زيها الابيض النظيف: "لن أستطيع أبداً العمل في فرقة انقاذ!"

ابتسمت، فقبل سبع سنوات قلت الكلام عينه.

ذعر في منتصف الليل

لم يخطر ببالي أبداً أن أصبح مساعدة طبية للطوارىء،[٣] فقد حدث الامر مصادفة.

يقع بيتنا في "لايك أوف ذا وودز" وهي بلدة نموذجية بنيت قرب فريدريكسبرغ في ولاية فرجينيا. وكنت وزوجي ديفيد قررنا الانتقال اليها كيما تتاح لاولادنا ديف ومات وجنيفر أشجار يتسلقونها وبحيرة يمارسون فيها صيد السمك والتزلج المائي وركوب

---

(٢) Military Anti — shock trousers . وهو سروال خاص بالحماية من الصدمة.

(٣) Emergency Medical Technician

القوارب الشراعية وحيث تتاح لهم فسحة أكبر للنمو. كنت قائدة فرقة "أشبال" في فوج كشافة البلدة. وفي أحد اجتماعاتنا القت لو بوتر، العضو في فرقة متطوعي الانقاذ، محاضرة عن السلامة في الرياضات المائية. وهي قالت لي بعد المحاضرة: "أنت تلازمين البيت خلال النهار. ونحن في حاجة ماسة الى متطوعين يعملون في الفرقة نهاراً: لماذا لا تفكرين في الموضوع؟"

أجبتها: "لو، هذا شيء لا أستطيعه."

فردت مذعنة: "حسنا، لكنني لن أيأس من اقناعك."

وهي لم تيأس فعلا.

بعد مدة وجيزة دعينا الى حفلة شواء في العراء في مزرعة براين وليندا هول. بعد تناول العشاء انطلق ابني مات لاستكشاف المزرعة مع صديقه جوستين هول، وكلاهما في الثامنة. ونبهناهما أن يعودا قبل حلول الظلام.

في الثامنة والربع مساء انسدل حجاب من الغيوم محولا حمرة الشفق ظلمة. فعدنا الى بيت المزرعة فلم نجد مات وجوستين هناك. قال ديف: "ربما ذهبا الى مخزن الحبوب."

خرجت الى الظلمة ووقفت أصيخ السمع. كان الهدوء تاما. اتجهت ناحية المخزن وناديت: "مات! جوستين!" فلم يجبني أحد. سرت الى السياج حيث خرجا الى الغابة وناديت ثانية. صمت من جديد. فعدت الى المطبخ.

اقترح براين أنهما "ربما مختبئان." فردت زوجته: "أنت تعرف جيداً أنهما لن يفعلا ذلك." ونهضت عن الطاولة. فعدنا الى السياج ونادينا من جديد. وطاف زوجانا في المزرعة متوقفين للهتاف باسمي الصبيين. ثم ركبت أنا وليندا السيارة وانطلقنا في الطريق المحاذية للمزرعة، نتوقف بين حين وآخر لنخرج من السيارة وننادي الصبيين. لم نجد أثراً لهما، فعدنا بعد ساعة الى المنزل. لاقانا براين عند موقف السيارات قائلا: "لقد اتصلت بفرقة الانقاذ."

سألته: "ولماذا فرقة الانقاذ؟"

فرد: "بات، اننا في حاجة الى مساعدة." وطالعتني في صوته نبرة يأس، فانهمر الدمع من عينيّ. ونظرت الى الغابة المظلمة الممتدة حتى نهر رابيدان الذي تكثر في ضفافه العالية فجوات وصدوع تحجبها شجيرات عن المياه الصاخبة تحتها.

تناهى الى سمعي صوت صفارة انذار، فتلفتُّ ورأيت أضواء حمراء وامضة فيما سيارة الاسعاف تدور حول المنعطف. وسار ديفيد وبراين لملاقاة الاشخاص الذين خرجوا من السيارة.

اقتربت منهم مترددة، فرأيت بينهم جارنا جون بيري الذي رفع عينيه عن خريطة بين

يديه وحيّاني. ثم عرفت اثنين آخرين من أصدقائنا هرعا الي مبتسمين.

ووصلت امدادات اضافية من تجمعات سكنية قريبة. وبعدما تلقى العناصر تعليماتهم انقسموا مجموعات مع خرائط وأضواء كاشفة وأجهزة اتصال لاسلكية، وتحركوا نحو الغابة بحثا عن الصبيين.

لم ينقطع سيل الوافدين الذين وصلوا حاملين الطعام والقهوة. وتحركت فرق أخرى الى الغابة بعد ساعات فيما بدأت الفرق الاولى تعود. وفي الاولى والنصف بعد منتصف الليل أرسلت كلاب مدرَّبة للتفتيش. وفي الثالثة اتصل جون بيري لاسلكيا طالبا طوافات[٤] انقاذ من ريتشموند. وأعلمنا مع مطلع الفجر أن الطوافات جاهزة للمشاركة في عملية البحث.

عُثر على مات وجوستين في الساعة ٥،٥٥ فجراً على مسافة ١٥٠٠ متر من المزرعة مختبئين بين جذعي شجرتين بعدما توغلا في الغابة وتاها في الظلمة المفاجئة. وكان الصبيان سمعا أفراد فرق الانقاذ ينادونهما، لكن هؤلاء لم يسمعوا صراخهما.

خرج الصبيان من الغابة وتوجها الى البيت، فمزقت الهتافات سكون الليل.

أخبرني صديقنا إد لو بعد أيام أن العثور على أي انسان في الظلام هو شبه مستحيل في محيط كهذا.

فسألته مستغربة: "ولماذا تابعتم كلكم البحث؟"

فرد بالاستغراب عينه: "وهل تعتقدين أنه كان في امكاننا أن نترككم؟"

لقد طلبنا العون، فاستجاب هؤلاء، وكثيرون منهم أغراب عنا.

كتبت وديفيد رسالة شكر وقدَّمنا هبة متواضعة الى فرقة الانقاذ في "لايك اوف ذا وودز." ولكن كيف لعبارة شكر أن تفي هؤلاء الطيبين حقهم؟

متطوعة، ولكن...

في سبتمبر (أيلول) من ذلك العام التحقت صغيرتنا جنيفر بروضة الأطفال، فبدأت أفكر في طرق لتمضية الوقت الاضافي المتوافر لدي.

في اليوم الثالث أنهيت تنظيف البيت وترتيبه وهيأت برنامج الاجتماع التالي لفرقة الاشبال. ووقفت في المطبخ أصغي الى قدر السباغيتي تهسّ على الموقد، وسألت نفسي بصوت عال: "حسنا، ماذا بعد ذلك؟"

كان في استطاعتي العودة الى مهنة التعليم، فهذا ما تفعله غالبية المعلِّمات السابقات عندما يدخل أطفالهن المدارس. فهل يكفي ذلك؟ هل أنا أعطي بمقدار ما منحتنيه الحياة؟

(٤) الطوّافة طائرة مروحية (هليكوبتر).

"نحن في حاجة ماسة الى متطوعين." تذكرت ما قالته لي لو بوتر. كنت أجيد التعامل مع الناس... ما داموا لا ينزفون. وقد وصفني زوجي ديفيد بأنني "غير نافعة" في الطوارىء. وبدا تعبيره مسيئاً، لكنه كان على حق: فعندما عض كلب ديف الصغير وهو في الثانية من عمره، اكتفت الممرضة في غرفة الطوارىء بنظرة واحدة إلي قبل أن تطلب مني الخروج الى غرفة الانتظار فيما المسعفون يخيطون الجرح. وعندما كان مات في الخامسة ضربه صبي آخر بعصا، فغطى ديفيد الجرح بمنشفة قبل أن يهرع به الى قسم الطوارىء. وسألته في ما بعد: "لماذا غطيت الجرح؟ ألكي لا يرى مات الدم؟" فأجاب: "لا، بل لئلا تريه أنت!"

أجلت نظري في الغابة المحيطة بمنزلنا وفكرت في الاشخاص الذين أعطونا من أنفسهم ليلة أضعنا مات وجوستين.

ذهبت لاحضار جنيفر من روضة الاطفال. كانت ابتسامة عريضة تغطي وجهها عندما أوقفت السيارة أمام باب المبنى. سألتها: "هل ترغبين في تناول الآيس كريم؟"

فهتفت: "نعم! نعم!"

وفيما نحن نقترب من متجر المثلجات رأيت أضواء سيارة اسعاف متوقفة قرب سيارتين محطمتين. ولمحت لو منحنية على مصاب في محفة وهي تمسك بيديه وتحدثه.

قلت لطفلتي بصوت خافت: "جنيفر، انني أرغب في أن أقوم بعمل كهذا."

فردت: "رائع! هل أستطيع الآن أن أحصل على الآيس كريم؟"

عندما أخبرت ديفيد ذلك المساء بنيتي أن أصبح مساعدة طبية للطوارىء، سألني عما اذا كنت جادة في الامر. وأضاف مستغربا: "لكنك لا تطيقين مرأى الدم. ولا يمكنك تضميد جرح وأنت مغمضة العينين!"

أجبته: "لقد قبلت الخوف دائما على أنه جزء طبيعي مني لا أستطيع شيئا حياله. أعتقد أن في امكاني ان أعطي أكثر. أريد أن أكون شخصا أفضل وأن أنتقل الى مدى جديد في حياتي."

نظر ديفيد الي هنيهة ثم قال وقد رأى تصميمي: "عليك بها اذاً!"

باشرتُ وخمسة وعشرين شخصاً دورة "مساعد طبي للطوارىء." وبعد سبعة أشهر تخرَّج منا ١٦. كانت مضت علي ١٥ سنة لم أضطر خلالها الى حفظ معلومات أكثر تعقيداً من التعامل والاطفال. وفوق ذلك كنت أدرس الموضوع الذي طالما كرهته. ومع ذلك أثارت فيّ العودة الى مقاعد الدراسة احساسا لذيذاً، وكان من المثير حقاً أن أكتشف أن عقلي لا يزال قادراً على العمل.

دهشت لقلة ما أعرفه عن الجسم البشري. وكنت كلما ازددت معرفة رغبت في المزيد.

تلقينا تدريبا لثلاثة أسابيع في تقنية إنعاش القلب والرئتين.[٥] ثم خضعنا لامتحان قاس، ولآخر حول الاجراءات المعتمدة في حالات الاختناق أو انسداد المجاري الهوائية العليا. كان علينا، اذا ارتبنا في أن أحدهم يعاني حالة اختناق، أن نسأله: "هل تستطيع الكلام؟" فاذا أجاب فذلك يعني أن مجراه التنفسي مفتوح.

ذات مساء، بينما كنا نتسوق في أحد المجمعات التجارية، توقفت مع الاولاد لتناول الايس كريم. فسمعت رجلا الى طاولة مجاورة يسأل زوجته عما اذا كانت تعاني شيئا، وأحسست القلق في صوته. فقلت له: "اسألها هل تستطيع الكلام."

انتظرتُ مترقبة ريثما سألها. فسعلت المرأة ثم استدارت نحوي وهزت رأسها قائلة: "شكراً لك."

ابتسمتُ واستدرت الى أولادي، فرأيت ديف محمرّ الوجه محرجا لان أمه تصرفت هكذا في مكان عام.

في اليوم التالي قبل بداية الصف أخبرت المدرس بما حدث. وعندما بدأ الصف طلب مني أن أعيد روايتي. ولم أفهم لماذا اعتبر الامر مهماً.

حين انتهيت قال لنا المدرس: "الامر المهم هو أن بات لم تتردد في محاولة مساعدة تلك المرأة."

أعدت التفكير في ما قاله وأدركت أنه على حق. انني لم أتردد. للمرة الاولى في حياتي تتغلب معرفتي على خوفي.

كانت تلك الليلة نقطة البداية.

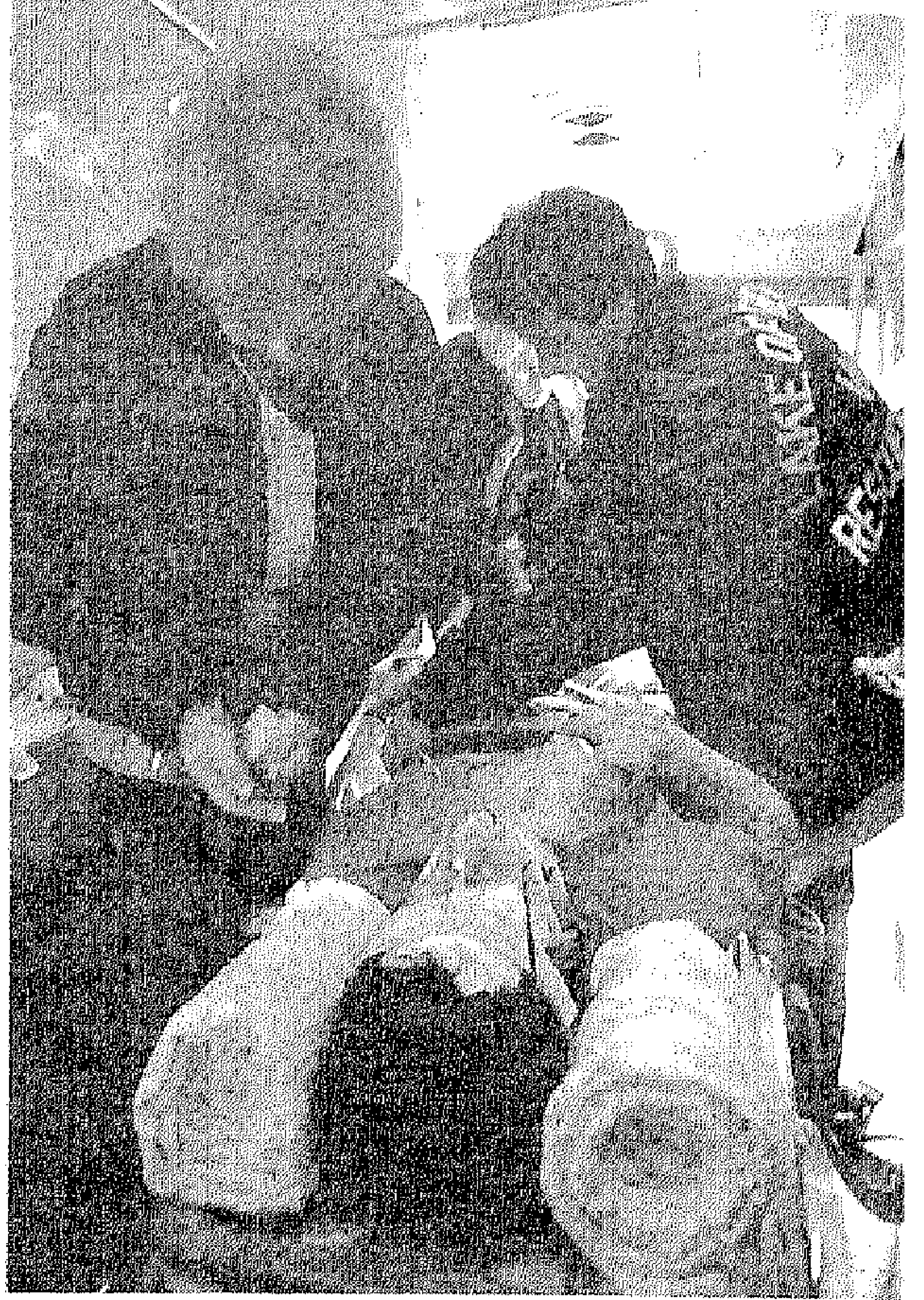
في أواخر مارس (آذار) أنهينا دراسة كل أجهزة الجسم. تعلمنا كيف نقيس الاشارات الحيوية للمصاب: النبض وضغط الدم والتنفس. وأحسست أنني مترعة بالمعلومات الطبية.

في ٢٧ مايو (أيار)، بعد تمضية نوبتين في قسم الطوارىء في أحد المستشفيات والمشاركة في بضع طلعات تدريبية مع فرقة الانقاذ واجتياز امتحان كتابي وآخر تطبيقي، أعلن مدربنا: "مبروك يا أصدقائي، انكم الآن مساعدون طبيون للطوارىء."

قبل نحو ٨٠ عاماً كان جوليان ستانلي وايز صبيا صغيراً عندما رأى قاربا ينقلب في نهر رونوكي في فرجينيا والرجلين اللذين كانا فيه يغرقان. كان هناك أناس على ضفة النهر، لكنهم عجزوا عن مد يد المساعدة اذ لم يكن لديهم قارب ولا حبال ولم يكن أي منهم سباحا قويا.

لم ينس وايز الاحساس بالعجز التام الذي غمره ذلك اليوم. وعندما شب قرر أن

(٥) Cardiopulmonary resuscitation



المطلوب هو فرقة من الرجال مدربة لانقاذ ضحايا حوادث مماثلة. فأسس في العام ١٩٢٨ أول فرقة من المتطوعين ضمت نشاطات الانقاذ والاغاثة والتدريب في جهاز منظّم واحد. وانتشرت الفكرة بسرعة، وأصبح هناك الآن نحو نصف مليون مساعد طبي للطوارىء حول العالم يتابعون ما بدأه جوليان وايز.

وتبدلت خدمات سيارات الاسعاف جذرياً عبر السنين. وباتت عمليات انقاذ حياة المصابين، التي كانت تتم في المستشفيات فقط، تجرى في موقع الحادث. وتضم فرق الانقاذ الآن خبراء في معالجة الصدمات العصبية وفي الحقن الوريدي، وفنيين مختصين بمعالجة المشاكل القلبية يمكنهم قراءة تخطيطات القلب ومعالجة ضحايا النوبات القلبية بالصدمات الكهربائية.

أحسست بالفخر عندما رأيت اسمي مدرجاً على لائحة فرقة "لايك اوف ذا وودز" كمساعدة طبية للطوارىء في سبتمبر (أيلول) ١٩٨١. وكانت الشكوك لا تزال تساورني حول مقدرتي، لكنني أيقنت أنني سوف أتحرك اذا ما سمعت النداء على جهاز الاتصال الذي أحمله.

كانت مهماتي القليلة الاولى بسيطة لحسن الحظ: صبي لسعته أفعى. شاب يعاني حساسية من لسعة نحلة. امرأة حطمت أسنانها الاصطناعية في حادث سيارة بسيط. ولم أواجه امتحاناً حقيقياً الا بعد أسبوعين. كنت أجلس مع ديفيد أمام التلفزيون عندما سمعت أزيز جهاز الاتصال.

كان النداء يتعلق بحالة طارئة ندعوها رمزا "١٠ – ٥٠": حادث سيارة. سمعت تحديد الموقع، وكان في الشارع المجاور. قفزت من مقعدي وقبلت ديفيد مودعة.

عندما وصلت الى موقع الحادث رأيت سيارة جارينا بوب وجويس غريم، وكلاهما مساعد طبي للطوارىء. لقد لبّيا النداء فورا. كما رأيت رجل شرطة يخرج من سيارة الدورية، فسألته: "أين الحادث؟"

أشار ناحية الاشجار. فسرت عبر الدغل، وهناك لمحت بوب وجويس. كانت جويس أدخلت ذراعها عبر النافذة الامامية لتسند امرأة في مقعد السائق، بينما سلّط زوجها ضوء مصباحه الكهربائي على المرأة.

أخبرتني جويس أن المرأة هي من سكان الحي، وأنها "كانت فاقدة الوعي عندما وصلنا، لكنها أفاقت قبل لحظات وقالت إن سائقاً أرعن أجبرها على الانحراف عن الطريق."

كانت جويس تضغط بيدها جرحاً عميقاً في رأس المرأة، فقالت لي: "بات، أمسكي برأسها، وسنحاول أنا وبوب فتح الباب."

مررت يدي برفق تحت يد جويس فأحسست رطوبة الدم اللزج الدافيء. ركعت لأتمكن من احكام قبضتي، فانغرزت شظايا زجاجية في ركبتيَّ. رأيت قدم المرأة اليسرى عالقة تحت دواسة الكابح، فقلت لها: "كلميني، كلميني."

كان واضحاً أن ساقها اليسرى مكسورة، فرحت أكلمها لئلا تتلاشى في اللاوعي من جديد.

لم يتمكن بوب غريم من فتح باب السيارة. وأخيراً وصلت فرقة الاطفاء وبدأ أفرادها العمل لاخراج المصابة، فيما تابعت أنا ترديد العبارة نفسها: "كلميني، كلميني."

"بات!" كان هذا كل ما قالته المرأة، لكنه كان كافياً. فجأة انخلع الباب وسقط بعيداً. ثم استخدم بوب عتلة واقتلع دواسة الكابح من أرض السيارة، فصرخت المرأة.

سرت قشعريرة في بدني، لكنني لم أتحرك بل تابعت الحديث بهدوء مع المرأة فيما أنا أراقب الآخرين يعملون بتأن وعناية وتصميم. كنت فخورة بهم، وبنفسي. كنا نعمل كفريق واحد.

ضمدنا رأس المرأة وثبتنا طوقاً طبياً حول عنقها، ثم جبرنا ساقها وقدمها وأنزلناها برفق الى محفة وحملناها الى النقالة. وانتهت بذلك مهمتي.

أحسست عندما وقفت ألماً في ظهري، وكانت يداي متصلبتين وقد غطاهما الدم. وفيما أنا أراقب سيارة الاسعاف تتحرك بالمصابة، اقتربت شاحنة القطر، فانكمشت لمرأى حطام السيارة مستغربة كيف أن المرأة لم تصب بما هو أسوأ.

تقدم مني آل بوتر زوج لو بوتر، وهو أيضاً مساعد طبي، وقال: "سمعت النبأ قبل لحظات. كيف حال المرأة؟"

أجبته: "لقد أصيبت بكسور في ساقها اليسرى ورسغ قدمها اليسرى وبجرح بالغ في رأسها."

وقف آل صامتاً للحظات ثم سألني: "هل هذا أول نداء ١٠ – ٥٠ تلبينه؟"
أجبته بعد تفكير: "أعتقد أنه أول نداء حقيقي."

سألني: "كيف تشعرين؟"

فهززت رأسي: "انني بخير." كنت أعتقد أنني سأصاب بحال ذعر أشد من هذه، لكن معرفتي أنني لست وحدي وأن زملائي يعملون الى جانبي مدتني بقوة لم أنتظرها.

الاصغاء

الحياة في الريف هادئة، وهي بالنسبة الى كثيرين حلم تحقق. لكنه لسوء الحظ حلم قد يتحول كابوساً اذا أصيب ساكن الريف بمرض أو بحادث. وعندما تكون الاصابة خطرة لا يتسنى وقت لنقل المصاب الى المستشفى. وهنا يأتي دور "بيغاسوس"[٦] الطوافة الطبية التابعة للمركز الطبي في جامعة فرجينيا.

استدعى فريقنا "بيغاسوس" للمرة الاولى لنقل مصاب في حادث زراعي. كان الرجل ينبش حفراً لتثبيت أعمدة عندما علق قميصه في تروس بريمة الحفر فجذبته الى المسننات الحادة في رأس البريمة الدائرة بسرعة فانغرزت في اللحم تحت ذراعه اليمنى ومزقته نتفاً.

كان الرجل واعياً لكن نبضه كان سريعاً جداً وضغطه منخفضاً جداً، وهذان مؤشرا صدمة. فطلبنا مساعدة "بيغاسوس." كانت أرض المزرعة المنبسطة مهبطاً مثالياً للطوافة، وسلّط رجال الاطفاء في الفريق أضواء على الارض ووقفوا جاهزين. توليت أنا مهمة الحقن الوريدي داخل سيارة الاسعاف فيما جلس جو برودريك وجين لودج يراقبان الاشارات الحيوية في المصاب وهما على اتصال لاسلكي بطاقم الطوافة.

صرخ جو: "ها هي!"

ما إن حطّت الطوافة حتى أسرع أفراد طاقمها الى سيارة الاسعاف. أعطيناهم تقريراً عن حال المصاب ثم نقلناه الى الطوافة.

كانت الطوافة آلة جميلة بيضاء عليها صورة حصان مجنح واسم "بيغاسوس" بأحرف كبيرة زرقاء. وأدركت وأنا أراقب أعضاء طاقم الطوافة يقلعون بالمصاب أنهم سيصلون الى المستشفى قبل أن ننهي نحن كتابة تقاريرنا، وأنهم سينقذون حياة المزارع.

كما أدركت أن العمل مع طاقم كهذا ليس لي، فقضاء ١٥ دقيقة فقط مع المصاب ليس كافياً.

لا يمكنني أن أعرف ما يحسه مرضانا تماما، لكنني أرى القلق والخوف في أعينهم، وأحسُّهما في أيديهم تمسك يديّ بقوة، وأسمعهما في كلماتهم، وأدركهما في صمتهم.

أعتقد أن عملية الشفاء تبدأ في سيارة الاسعاف وبالعناية التي يقدمها مطبّبو

(٦) بيغاسوس فرس اسطوري مجنّح.

حالات الطوارىء. فاذا عُنينا بالانسان كله، وليس فقط بالمرض أو بالاصابة، فاننا نكون ساهمنا أكثر كثيراً من مجرد خطوة أولى نحو السلامة.

تلقينا مرة نداء من امرأة في الحادية والثلاثين من عمرها تعاني من رفة قلب. وعندما أدخلناها سيارة الاسعاف، وصلتّها بمرقاب قلبي. كان التخطيط الكهربائي لقلبها طبيعيا، وكانت المرأة هادئة على المحفة ونحن نتجه الى المستشفى.

سألتها: "هل أنت مرتاحة؟"

كانت عيناها عسليتين كبيرتين، ولاحظت عندما نظرت اليَّ أنها كانت تبكي. وهي ردت قائلة: "نعم، أنا بخير."

لكنها لم تكن كذلك، اذ راحت تحدق بعينين فارغتين عبر النافذة الخلفية وهي تفتل خاتم زواجها بحركات عصبية.

طمأنتها: "سيكون كل شيء على ما يرام."

حولت حدقتيها ناحيتي وسألتني: "أصحيح ذلك؟"

قلت: "نعم."

فالتفتت الى جين لودج كأنها تطلب تأكيداً، فهزت جين رأسها. عندئذ تحدثت الينا. أخبرتنا أن زوجها هجرها، وأنها في غمرة يأسها تناولت حفنة من الحبوب المنومة.

قالت: "كنت مذعورة. ولكن لدي طفلة صغيرة، ولا أريد أن أموت."

استمعنا اليها لبعض الوقت، واخيراً سكنت يداها. وفي المستشفى أخبرتنا أنها جاهزة للعودة الى المنزل.

في النموذج المطلوب منا ملؤه عن كل مصاب، وجدنا تحت عبارة "المعالجة الاولية" فراغاً كافياً لنكتب: "الاصغاء." وفي فسحة بين "تثبيت العنق/العمود الفقري" و"الجبائر المستخدمة" أضفنا عبارة "إسعاف أولي نفسي."

أم ثكلى

لبينا ذات مساء نداء استغاثة من حريق منزلي. كانت التجربة مخيفة، حتى من بعد، فلا شيء في تدريبي حضّرني لما واجهت: الرائحة اللاذعة للدخان الكثيف الذي غطى لساني، والوقع المفاجىء للحرارة الخانقة، والمعرفة الرهيبة أن هناك طفلتين محتجزتين داخل المنزل.

كانتا شقيقتين في الثانية والخامسة من عمرهما، أفاقتا فجر ذلك الاحد الربيعي الرائع فأمضتا معظم النهار في الخارج. وقرابة السادسة مساء استعدتا للنوم، فتسلقتا السلم الى غرفتهما في الطبقة الثانية في منزلهما في المزرعة. غطتهما والدتهما وقبلتهما. وفي السادسة والربع كانتا تغطان في النوم.

كان لا يزال ثمة بعض من ضوء النهار، فخرج والد الطفلتين الى الحقل فيما راحت الوالدة تجمع الثياب عن حبل الغسيل. كان جورب صغرى الطفلتين في يدها عندما لمحت دخاناً يتسرب من نوافذ الرواق الخلفي. فصرخت تنادي زوجها.

وصل الزوج لحظة هشمت الحرارة زجاج نافذة المطبخ. غطت ألسنة اللهب الرواق الخلفي منتشرة بسرعة في الطبقة الارضية فسدت كل المداخل الى المنزل. وركض الزوجان الى بيت الجيران لطلب المساعدة.

في الطريق المؤدية الى المنزل المحترق رأينا الوهج الاحمر يضيء السماء.

"لا يمكن أن يكون هناك أطفال في المنزل." قلت ذلك بصوت عال لعل كلماتي تجعل ذلك حقيقة. اتصلت بسيارة الاطفاء أسأل أين نذهب. فجاء الرد: "اذهبا الى طرف الحقل، فالعائلة هناك."

انحرفنا يساراً وتوقفنا عندما رأينا رجل إطفاء، قال لنا: "الوالدان هناك، وقد ثكلا طفلتيهما. الام في حال سيئة ومن الافضل أن تهتما بها."

أخذ زميلي جون بيري عدته وانضم الى فريق الاطفاء وذهبت أنا الى حيث الام. كان أصدقاء نقلوها بعيداً عن الحريق لأنها حاولت مراراً الافلات ودخول المنزل لانقاذ طفلتيها.

كانت المرأة راكعة على حرام صوفي وقد جلس زوجها خلفها يربت ظهرها برقة فيما أمسكتها احدى صديقاتها من ذراعها. واذ أدارت وجهها ناحية المنزل رأيت انعكاس النار في عينيها.

أنّت المرأة: "طفلتاي! أريد طفلتيّ!" فشددت الصديقة قبضتها على ذراعها، لكن المرأة تملصت وحاولت الوقوف وهي تصرخ: "يجب أن أخرج طفلتيّ من المنزل."

التفت زوجها الى جار جلس قريباً، فهو لم يعد قادراً على استيعاب حزن زوجته إضافة الى ما يعانيه هو. فذهبتُ الى المرأة وأحطتها بذراعي.

ركعت بجانبها على الارض ويدي ثابتة على كتفها من دون أن أقول شيئاً. وأدرتها حتى أصبح ظهرها في مواجهة النار وضممتها الي.

أراحت المرأة رأسها على كتفي، وكنت أحس بكاءها قبل أن أسمعه. شعرت بقلبي يكاد ينفطر. ولا أدري كم من الوقت بقيت على تلك الحال. أخيراً حضرت زميلة لابلاغي أن فرقة الانقاذ ستنقل الوالدين الى المستشفى. وهي همست في أذني: "يجب أن نخرجهما من هنا قبل أن يعثر رجال الاطفاء على الجثتين."

لففت حراماً حول كتفي المرأة وساعدتها على النهوض، فسارت معي الى سيارة الاسعاف كأنها في منام. وما إن فتح الباب حتى حاولت الافلات صارخة: "لا! لا! لن أترك طفلتي!"

اضطررنا الى حملها الى سيارة الاسعاف. وسرت أنا عبر الحقل عائدة الى موقع الحريق. أخرجت قوارير أوكسيجين وماء شرب من السيارة وأعطيتها لرجال الاطفاء. وساعدت في تثبيت الانوار الكاشفة. لم يطل الامر بعد ذلك حتى انهار الجناح الايسر من المنزل. وكان رجال الاطفاء يتحركون كظلال موهنة تسير على غير هدى في دائرة الحرارة.

في الساعة ١١،٤٥ أبلغ جون الى فريق الانقاذ وجوب العودة الى المركز. وفي الساعة ١٢،٣٠ عُثر على جثتي الطفلتين، وعاد رجال الاطفاء التابعون لفرقة الانقاذ الى المركز في الساعة ١،١٤.

منذ ذلك الاحد البعيد قطعت ألوف الكيلومترات في سيارات اسعاف، وشهدت مآسي كثيرة، وتعرضت لآلام لا توصف، لكنني لم أشعر قط بعجز كالذي شعرت به تلك الليلة وأنا أحتضن تلك الأم الشابة بين ذراعي.

"من أنت يا هذا؟"

انني أهتم بكل مصاب. لكن الاهتمام لا يأتي سهلا عندما يتصل مريض في الثالثة صباحاً لألم في ظهره لازمه أسابيع، أو عندما يستغل أشخاص سيارة الاسعاف كسيارة أجرة.

هناك مثلا لاعبة الغولف التي أصابتها كرة في وجهها فسألتنا: "هل يمكن أن تعودوا لنقلي بعد أن أنهي المباراة؟ الاصابة مؤلمة لكنني لم أحصل من قبل على نتيجة جيدة كما في هذه المباراة!"

فيما نحن نتناول عشاءنا ذات ليلة بُثَّ عبر جهاز الاتصال نداء عن "فتى تناول كحولا ساماً يستخدم في التدليك." لم أكن في مناوبتي آنذاك، لكن الموقع كان قريبا، وأحسست أن علي أن أذهب.

عندما توقفت أمام المنزل قال لي شقيق الفتى: "لم أدرِ ماذا أفعل، فوالداي ليسا في المنزل."

قلت له: "لقد فعلت حسنا."

كان الفتى ممدأ في الحمام ورأسه محشور بين كرسي المرحاض والمغطس، وكان تنفسه ضعيفاً وسريعاً.

استدرت الى شقيقه وسألته: "ما كمية كحول التدليك التي تناولها؟"

فرد: "نحو نصف زجاجة. ويمكن أن يكون ابتلع بعض الحبوب."

– أي نوع من الحبوب؟

"لست أدري."



أجلسنا الفتى في كرسي في غرفة الاستقبال وهززت ذراعه، فأنّ وركل محاولا الافلات. في هذه اللحظة وصلت سيارة اسعاف وفيها بوب وجويس غريم.

هززت ذراع الفتى ثانية وقلت له: "افتح عينيك." فركل هو من جديد محاولا الافلات صائحاً: "كلا!"

أخرج بوب السماعة الطبية فيما أنا أخبره تفاصيل ما حدث، وتوجهت جويس الى الهاتف لطلب قسم معالجة التسمم في المستشفى.

أخبرت بوب: "يقول أخوه إنه ربما تناول بعض الحبوب. سوف أبحث لأرى ماذا عساه تناول."

بدأت البحث فيما خرج بوب لاحضار النموذج الخاص الذي نسيه في السيارة. لم أجد أي حبوب. وفجأة أتاني من غرفة الاستقبال صوت سقوط جسم على الارض، فركضت عائدة. كانت جويس واقفة قرب الهاتف وعيناها مثبتتان على الفتى الملقى على الارض بلا حراك.

دخل بوب في تلك اللحظة وسألها: "ماذا حدث؟"

فقالت: "كنت أدير له ظهري وأنا على الهاتف، ولم أسمعه يتحرك حتى هاجمني. لكنه أخطأني وسقط فاصطدم رأسه بالطاولة."

تفحص بوب رأس الفتى، فأنَّ هذا وفتح عينيه، ثم مد يده وأمسك بتلابيب بوب مهمهما: "من أنت يا هذا؟"

أمسكت بيده وانتزعت أصابعه عن سترة بوب، ثم مددت ذراعه ووضعت ركبتي بثبات على مرفقه. وفعل بوب مثلي بذراعه الاخرى.

ومثلما استيقظ الفتى فجأة، عاد فجأة الى حال اللاوعي، فقال بوب: "أعتقد أننا نحتاج الى مساعدة."

هرعت الى سيارة الاسعاف وناديت عبر الراديو: "من الفرقة ٢٩ الى لايك أوف ذا وودز. نحتاج الى مساعدة أمنية في موقع الحادث. الآن!"

ولم أتلقَّ جوابا.

عدت الى المنزل. كان الفتى عاد يئنُّ ويحرك ساقيه، فاستعدت وضعية "الركبة على المرفق." فتح الفتى عينيه ثم رفع رأسه وبصق في وجه بوب. كنت خائفة أن أتحرك وذراعه مشدودة تحت ركبتي.

سمعنا باب سيارة يغلق، وسرعان ما وصل دون تشيلز، رجل الامن التابع للفرقة، ووضع أصفاداً حول معصم الفتى. فاهتاج هذا وراح يركل ويبصق ويحاول تمزيق سترة بوب بأسنانه ونحن نقوده الى سيارة الاسعاف. رفعناه الى السيارة وجلس بوب على ساقيه وهو يراوح بين الوعي واللاوعي. وكان كلما استعاد وعيه يصبح عنيفا عدائيا يحاول التملص من قيوده.

سألت دون: "كيف علمت بالامر؟ فانت لم تجب عن ندائي."

قال: "أنا لم أسمعك. لكن كل أعضاء فريق الاطفاء وفرقة الانقاذ سمعوك. اذا لم أكن مخطئاً، فقد اتصل بيْ كل فرد منهم."

انه لشعور رائع!

قالت لي جويس معلِّقة: "تذكري الا تلبي نداء كهذا وتتحركي الى مسرح الحادث وحيدة أبداً."

فقلت محتجَّة: "ولكنني أعرف الفتى شخصيا!"

فردت: "قد تظنين ذلك." وأشارت الى الفتى الفاقد الوعي وأضافت متسائلة: "هل هذا هو الفتى الذي تعرفين؟"

أجبت: "كلا."

فقالت: "اذا لا تغامري مرة أخرى."

ذات نهار سبت في أغسطس (آب) كنت أنا وجين لودج وبزي أوتول وودي فوكس في الخدمة عندما بث نداء "١٠ – ٥٠" معلنا سقوط ضحايا على الطريق الرقم ٢٠. انطلقنا من المركز والنهار مشمس صاف لا يوحي أبدا ما كان ينتظرنا.

انعطفنا الى الطريق الرقم ٢٠ وعبرنا التلة الاولى وبلغنا قمة الثانية. هناك طالعني الحادث، فتمتمت: "يا الهي!"

أفادت التقارير الاخبارية لاحقا أن المرأة التي كانت تقود السيارة تجاوزت شاحنة "بيك أب" ثم تحولت عائدة الى المسار الايمن بحدة أفقدتها السيطرة على السيارة فانحرفت الى اليسار معترضة شاحنة صغيرة مقبلة في الاتجاه المعاكس.

كانت غيمة من البخار معلقة فوق الحطام. وأخبرني رجل شرطة عندما نزلت من سيارة الاسعاف: "إن المرأة في المقعد الامامي ميتة. وكان في الشاحنة ثلاثة أشخاص وفي السيارة راكبان آخران."

حملت جين عدة معالجة الصدمة واتجهت نحو الشاحنة فيما توجهت مع ودي الى السيارة.

كانت المرأة الشابة جالسة في المقعد الامامي وجبينها ملقى على غطاء المحرك الذي اخترق الزجاج الامامي. وكانت ذراعها اليسرى ممدودة. بحثت عن النبض. لا شيء. كان رأسها سليما لكن جسمها كان مسحوقا.

على الارض خارج السيارة تمدد فتى صغير، والى جانبه جلس أحد ركاب الشاحنة الثلاثة والدم يغطي وجهه وصدره. وكان رجل في المقعد الخلفي من السيارة عالقا في كومة من المعدن المحطم. انحنيت داخل السيارة. كان الرجل واعيا على رغم اصابته بجرح بالغ في رأسه وبأذى كبير في ساقه اليسرى.

ضمدت جرح رأسه ووضعت يدي على يده. تلفت حوله بذهول وارتباك فقلت له: "سنعمل على اخراجك من هنا." فهز رأسه.

تنقلت بسرعة من مصاب الى آخر أتفحص مجاري الهواء والتنفس والدورة الدموية. كان ذلك كل ما استطعته، اذ لم يكن هناك وقت لتقويم مؤشرات أخرى.

ضمدت جروح اثنين من ركاب الشاحنة، فيما وضعت جين وبزي الرجل الثالث برفق على محفة.

أسرعت الى الفتى، فأخبرني ودي: "الاشارات الحيوية جيدة، الا أنه يعاني آلاما حادة."

فقلت: "ابق معه."

وصلت وحدة ثانية من فرقتنا، فأشرت الى المصابين الجاهزين للنقل الى المستشفى.

بعدما نقل ودي وبزي الفتى الى سيارة الاسعاف، عدت الى الوالد.
سألني: "ماذا حدث؟ لقد كنت نائما."
أجبته: "لا أدري ما سبب الحادث، لكننا سنخرجك من السيارة."
نظر الي وقد غشى الخوف والألم عينيه وسألني: "أين طفلي؟"
أحسست كأني تجمدت في الزمان والمكان. طفل؟ أي طفل؟ يا الهي، أرجو أن يكون يقصد الفتى!
ردد الرجل: "طفلي! كان مع زوجتي."
لم يكن يقصد الفتى. ترى هل كان في امكانه رؤية الواجهة الامامية وغطاء المحرك حيث كان المقعد الامامي؟ أخذت يده بكلتا يدي وقلت له: "سوف أذهب لأسأل عن الطفل."

خرجت من السيارة فرأيت جون هاركنس وديك فيرغسون يقتربان مع المعدات التي تستخدم في فتح الابواب وتحرير الركاب. قلت لهما: "أعتقد أن هناك طفلا في المقعد الامامي."

فرد جون متنهدا بهدوء: "حسنا، سوف نرى."

عدت الى سيارة الاسعاف لافحص الفتى. كان في الثالثة عشرة من عمره... في عمر ابني مات. تطلع الي وأنا ألف رباط آلة فحص ضغط الدم حول ذراعه وقال: "أريد أمي."



أخبرته نصف الحقيقة: "هناك شخص آخر معها". وعندما سأل الوالد في وقت لاحق عن زوجته وطفله أعطيناه نصف الحقيقة إياه.

في هذا الوقت كان الباب قُصَّ عن بدن السيارة، فأخرجنا الوالد برفق الى محفة وألبسناه سروال Mast فيما تابع رجال الاطفاء تقطيع الجزء الامامي المسحوق من السيارة.

سمعت صوت معدن ينكسر، ورأيت قطعة من سروال قصير أخضر ومزقة من قميص مخطط. كانت الجثة الصغيرة متوارية في غمرة الحطام المعدني. لقد توفي الطفل ابن السنوات الخمس على الفور، مثل أمه.

كانت العائلة قريبة جدا من مقصدها: منزل جدَّين لا بد أنهما يقفان الآن قلقين

أمام النافذة. لقد انهار عالمهما، ولن تستطيع كل معارفنا الطبية وكل آلاتنا اللامعة تغيير هذه الحقيقة.

طعام محروق

كنا صامتين ونحن نقود السيارة عائدين. راقبني جون وأنا أترجل من سيارة الاسعاف شاعرة كأن اثقالا كبيرة تعلقت بجسمي. وبدا جون ايضا ينوء تحت وطأة الحزن.

دخلت المنزل وأبدلت ثيابي المدمّاة ووضعتها في حوض الغسيل وملأته ماءً بارداً. ثم خرجت الى بركة السباحة للقاء عائلتي. راقبتهم لدقائق من خارج السياج وهم يلعبون ويسبحون، وحمدت الله لانهم أحياء.

عبرت المسافة نحو ديفيد، فقال لي: "مرحبا، كان نهاراً سيئا، اليس كذلك؟ لقد رأينا الحطام."

وأحاطتني جنيفر بذراعيها، فضممتها بشدة. قالت لي: "هل كنت هناك يا أمي؟"

هززت برأسي: "نعم."

قالت: "رجل كان هناك أخبر أبي أن صبيا قد قتل. صبي صغير وامه. هل رأيت الحادث؟"



أجبتها: "لقد كانا ميتين عندما وصلنا، لكنني ضمدت جروح الوالد واعتنينا جيداً بالصبي الآخر."

مسّدت شعرها المبلل فقالت لي برقة: "ماما، هذا مخيف!"

قلت: "أعرف ذلك يا حبيبتي، فهو يخيفني أنا أيضاً."

وُضع الرجل وابنه في غرفة واحدة في المستشفى، وخرج الفتى بعد أسبوع.

كنت ذات يوم في المستشفى، فقصدت غرفة الوالد. قرعت الباب فسمعته يقول: "ادخل."

بدا مختلفا جداً، حليقاً، عيناه لامعتان صافيتان. نظر الي فأدركت أنه لم يتذكرني.

بادرني: "صباح الخير."

– كيف حالك؟

"بخير." وهز رأسه.

– وابنك؟

"لقد عاد الى المدرسة. انه يقيم مع والديّ ريثما أعود الى المنزل."

– ومتى يكون ذلك؟

مسّد ساقه المعلقة بالاثقال وقال مبتسماً: "ما إن تخرجني هذه الساق من هنا."

بادلته الابتسامة قائلة: "من الافضل أن أعود الى عملي."

فمد الي يده مصافحاً: "شكراً لزيارتك. جميل رؤية وجه جديد."

عدت لزيارته غير مرة. كانت زياراتي قصيرة تحدثنا خلالها عن مواضيع عادية. لكن أحدنا لم يفتح موضوع الزوجة أو الطفل. وفي نهاية زيارة بعد أسبوعين نهضت لأنصرف قائلة: "علي أن أعود الى قسم الطوارىء".

فسألني: "هل تعملين هناك؟ هل كنت هناك يوم أحضرونا؟"

لم أكن راغبة في اخباره أنصاف حقائق أخرى. فاعترفت: "أنا أحضرتك الى المستشفى. لقد أحضرتك فرقة الانقاذ التي أنا عضو فيها."

همس: "أنت أحضرتني ذلك اليوم؟" كان صوته خفيضاً مكبوتاً. وبعد برهة صمت ثقيلة أضاف: "كنا سنأخذ السيارة الصغيرة ذلك اليوم. لو فعلنا لقتلنا جميعنا."

تحدث متردداً في البداية، ثم بحرّية. كان صوته يعلو وكلامه يتدفق كأنه كان في انتظار أمر يعيده الى ذلك اليوم. وهو روى لي قصصاً عن عائلته، عن زوجته، عن الابن الذي فقده والابن الذي ما زال حياً. بقيت معه حتى أنهكه الحديث. وعندما أراح رأسه على الوسادة أخيراً كان يبتسم.

لم أره بعد ذلك، فقد غادر المستشفى في اليوم التالي وكانت زيارتي تلك زيارة وداع.

في الخامسة ذات مساء، وكنت قاربت الساعة الحادية عشرة في نوبة مدتها ١٢ ساعة، كان ديف ومات يلعبان في قبو المنزل وحاضنة الاطفال تشاهد برنامجا تلفزيونيا مع جنيفر. وكانت الحاضنة تأتي من المدرسة مع جنيفر في الايام التي تصادف مناوبتي المسائية.

فجأة بُثَّ نداء عبر جهاز الاتصال.

وجدنا المرأة الشابة، وهي مريضة بالسكّري، فاقدة الوعي على أرض غرفة الاستقبال في منزلها. كانت في حال صدمة بفعل الانسولين. وعندما حاولنا غرز ابرة في وريد معصمها لاعطائها جرعة قوية من الدكستروز، اكتشفنا أن أوردتها نحيفة جداً، فنقلناها بسرعة الى المستشفى.

وتعافت المرأة لاحقا، لكن المهمة لم تكن سهلة.

عندما عدت الى البيت في السابعة والنصف قابلتني نظرات غاضبة ورائحة طعام محروق. كانت قطعة الشواء سوداء.

سألني ديفيد لحظة فتحت الباب: "لماذا لم تضبطي موقِّت الفرن؟ ربما كان أحدنا سمع طنّاته."

قلت له: "كنت أعتزم ذلك، لكن النداء أتاني حالما وضعت قطعة اللحم في الفرن."

– النداء؟ ربما كان علينا أن نضع جهازاً للنداء في المنزل، فلربما احتجنا الى شيء.

"لست منصفاً في هذا يا ديفيد. أنا أناوب كل أربعة أيام، أي أقل من مرتين في الاسبوع. ولا تنس، لقد أحرقتُ طبخات كثيرة وأنا واقفة أمام الفرن!"

– هذا صحيح، كان نهاري أنا شاقاً.

سألني ديف: "ماما، اذا كانت مناوبتك تبدأ في السادسة صباحاً، فلماذا عدت الآن الى المنزل؟"

قلت موجهة كلامي الى الاثنين: "تنتهي مناوبتي في السادسة مساء. وهذا يعني أنني مضطرة الى تلبية النداء وإن أتى قبل السادسة بدقائق. لكل منكما أمور يعتبرها مهمة. حسناً، هذا أمر مهم بالنسبة الي."

كنت أفهم شعورهما، فقد كنت، حتى انضمامي الى فرقة الانقاذ، زوجة وأماً فحسب. كان كل فرد في عائلتي يرى فيَّ امتداداً لنفسه.

عندما انضممت الى فرقة الانقاذ، لم يكن هدفي أن أثبت شخصيتي كفرد. ومع ذلك كنت أكسب استقلالية أكبر مع الوقت. وتلاشى استياء عائلتي تدريجا، وكنت ألاحظ لدى أفرادها احساسا متناميا بالفخر بي. مرة سمعت جنيفر تقول لصديقة لها: "أمي تنقذ الناس." وهي كتبت على ورقة بخط متعثر في صفها الابتدائي الاول: "أمي عضو

في فرقة الانقاذ. انها تساعد الناس الذين يصابون في حوادث سيارات. كما تساعد المرضى. أمي مساعدة طبية للطوارىء. وسوف أصبح أنا مثلها."

وفي عيد الام أهدى الي ديف قصيدة بعنوان "أمي" تضمنت هذه الكلمات:

انها تمتلك العزم.

لقد صبَرتْ طويلا، لكنها أعلنت اخيرا: "أنا الآن رسميا مساعدة طبية للطوارىء، ومساعدة جيدة جداً."

انني فخور بها. لكنني لست مندهشا.

لانني أعرف أنها تستطيع برقتها أن تفعل ذلك.

أما مات فرسم سيارة اسعاف لوًنتها جنيفر. وأهدى الي ديفيد سماعة طبية.

خيارات خطرة

قيل لنا منذ البدء: "لا تصبحوا أرقاما احصائية." فكما في كل عمل يتضمن مخاطر أو مآسي، نحن ننزع الى الاعتقاد أن "ذلك لن يحدث لي." لكننا لسنا محصنين، نحن نخاطر أحيانا.

أتاني النداء ذات مساء أحد ممطر بارد في ابريل (نيسان): "هناك أشخاص عالقون على جسر تغمره المياه."

كانت وكيلة عقارات تعرض عقاراً على زوجين شابين، وكان الثلاثة يعبرون جسرا فوق قناة لتصريف مياه بحيرة ارتفع منسوبها حوالى ستة سنتيمترات بسبب المطر الذي انهمر في الليلة السابقة. استمرت المياه المضطربة في الارتفاع وهم يتقدمون على الجسر. وفي منتصف الطريق توقف محرك السيارة. فنزلت منها الوكيلة وتبعها الزوجان.

صرخت الوكيلة: "سأعبر الجسر مشياً وأطلب مساعدة." وما إن حطت بعيداً عن السيارة حتى قذفتها المياه عن الجسر وجرفتها حوالى ٢٥ متراً ثم القت بها على الضفة.

وصلنا في سيارة اسعاف ووراءنا شاحنة قطر تجر قارب انقاذ. طلب قائد المجموعة مساعدة من فريق الغطس، كما طلب شاحنة وسلَّم إطفاء ميكانيكية من بلدة مجاورة.

شكل ثمانية من أعضاء فرقتي الاطفاء والانقاذ "سلسلة بشرية" عبر جسر للمشاة يبعد ١٢ متراً عن جسر القناة لانقاذ الزوجين إن هما سقطا عن الجسر. وتطوع جون هاركنس، وهو رجل اطفاء محترف وعضو في فرقتنا، لمحاولة انقاذ فردية. فعبَرَ جسر المشاة وثبت حبلا عبر قناة التصريف.

وصل عمال حبل انقاذ بهذا الحبل وأوثقوه حول وسط جون الذي نزل الى الماء وبدأ

يتحرك ببطء ممسكاً الحبل باحكام. وهو كاد يسقط مرتين، لكنه تمكن أخيراً من الوصول الى الزوجين المحتجزين. تحدث اليهما ثم عاد وحيداً الى ضفة البحيرة. كانت العملية شديدة الخطورة، فالمياه القارسة البرودة أوهنت الزوجين مما سيضطر جون الى حملهما عبر الجسر.

وصلت شاحنة السلم الميكانيكية، فمد رجال الاطفاء السلم أفقيا حتى أصبح رأسها فوق السيارة.

بدأ جون، بوضعية القرفصاء، يتحرك ببطء على درجات السلم حاملا معه سترتي نجاة. وعندما بلغ السيارة نزل وساعد الزوجة على ارتداء السترة، ثم أصعدها برفق الى ظهر السيارة فالى السلم. وأجتاز الاطفائي سكوت كليمنتس السلم وساعدها على عبورها ببطء في اتجاه منطقة الامان. واذ بلغا منتصف المسافة عبر السلم كادت أسوأ مخاوفنا تتحقق، اذ بدأت السيارة تتحرك. لم تكن السلم مهيأة لحمل وزن اضافي، وواجه جون والزوج الشاب خطر الانجراف.

هتف جون: "أسرعا!"

فأسرع سكوت. وما إن أوصل المرأة سليمة حتى عاد ليحضر زوجها. وتبعهما جون عندما وصلا الى اليابسة.

في شهر سبتمبر (أيلول) ذاك تلقت فرقة الاطفاء والانقاذ في "لايك اوف ذا وودز" ميدالية الولاية السنوية. وتلقى جون هاركنس ميدالية "أعظم عمل بطولي في انقاذ حياة."

مرة أخرى دعينا الى تلبية نداء حيث "طبيعة الحادث غير معروفة." كنت دائماً أتضايق من نداءات كهذه. رأيت في الطريق أمامنا امرأة تلوح بمصباح كهربائي. فأنزلت زجاج النافذة وسألتها: "هل تستطيعين اعطاءنا أي معلومات عن المصاب؟"

فردت قائلة: "اننا في الواقع لا ندري. فقد قرع بابنا وقال إنه يسكن في شارعنا وإن لديه مسدساً..."

قاطعها جو برودريك: "كان يحمل مسدساً؟"

أجابت: "كلا، لديه مسدس في البيت، وهو قال انه يعتزم قتل نفسه. زوجي معه في بيتنا الآن. لقد قرع بابنا وطلب منا أن ندعو من يساعده."

سألها جو: "هل أنت متأكدة من أنه لا يحمل المسدس معه؟"

فردت: "انني متأكدة."

تنهدتُ ارتياحاً وقلت: "حسنا، فلنذهب."

مشينا الى المطبخ، فرأيت الرجل المسن أولا، والى جانبه جلس رجل شاب، فجلست بقربه قائلة: "اننا هنا لمساعدتك."

استدار الشاب نحوي فجأة وأحاط عنقي بذراعه ثم شبك يديه وشدني نحوه، لكنه أرخى قبضته ما إن تقدم جو نحوه، وشرع يبكي ملقيا رأسه على كتفي: "لا تدعوني أقتل نفسي!"

فطمأنته: "لن ندعك تفعل."

قال منتحبا: "يا الهي، لقد حشوت المسدس." واستقام فجأة وحدق الي. كانت عيناه لا تطرفان وفيهما نظرة متوحشة. طوى أصابع يده اليمنى في شكل مسدس لامس جبهتي، ثم حرك يده ببطء ناقلا سبابته الى صدغه، وقال: "لقد اقتربت هذه المسافة من الموت."

تشبث الرجل بي اذ سرنا في اتجاه سيارة الاسعاف ونقلناه الى مكتب الشريف.[7]

جلست في الاريكة. واستلقى هو ورأسه في حضني ويده ممسكة بمعصمي لامسا وجهي بيده الاخرى. قال: "لن تسمحي لهم بايذائي، أليس كذلك يا بات؟"

فطمأنته: "لا، لا تخف."

أغمض الشاب عينيه، وكنا ندرك جميعنا أنه سريع الاستثارة.

قال جو: "حسناً، سيصل معاون الشريف، فلنستعد للذهاب."

أمسك الشاب معصمي بكلتا يديه، وحدق الي هنيهة طويلة شاداً قبضته حتى آلمني. ثم سألني: "هل تذهبين معي يا بات؟"

التفتُّ الى جو متسائلة، فقال للشاب: "سأذهب أنا معك."

حوَّل الرجل نظره الى جو، فتوتر بدنه، ثم أرخى قبضته عن رسغي وانتصب جالسا وهو يقول: "شكراً لك يا بات، كنت غاية في اللطف."

ثم أخذوه بعيداً. نظرت الى جو واعترفت له: "لقد كنت مذعورة حقاً."

فرد قائلا: "أعرف ذلك. كان عليك ألا تسرعي في الدخول كما فعلت. كان عليك أن تتركيني أنا أجلس بجانبه."

قلت: "نحن نخاطر دائماً. في كل مرة ينطلق النداء أو نركب سيارة الاسعاف نكون في مواجهة خطر."

كان فريقي مناوباً يوم تلقينا النداء: "انتباه! استغاثة من منزل آل أورتيل."

كانت بيا أورتيل سيدة مفعمة بالحيوية دائمة الانشغال. وكانت محبة تعطي من وقتها وقدراتها للمؤسسات الخيرية ولفرقتنا. وهي مُنحت في العام ١٩٨١ ميدالية "لايك اوف ذا وودز" للخدمة العامة.

رافقتنا لو بوتر. وعندما وصلنا الى منزل آل أورتيل كانت غرفة بيا تعج بالاصدقاء

(٧) الشريف هو المسؤول الامني في بلدة امريكية.

وبأفراد آخرين من فرقة الانقاذ. كان تنفسها مجهداً وضغط دمها منخفضا قليلا. وضع بزي أوتول كمامة أوكسيجين على وجهها فيما أثبتت لو على صدرها أقطاب جهاز مراقبة القلب.

قالت بيا: "انني تعبة قليلا، هذا كل ما في الامر."

بدأت لو حقنها عبر الوريد، وكانت لطيفة هادئة مبتسمة، لكنني أحسست أن الامر لم يكن على ما يرام. وفي الطريق الى المستشفى كانت عيناي على لو. لم أعرف ماذا رأت على شاشة مرقاب القلب غير تلك الخطوط المتموجة.

تركنا بيا في غرفة الطوارىء في المستشفى. وهي أرسلت الي قبلة عبر الهواء، وتوفيت تلك الليلة.

لقد هببت لمساعدتها. لكنني أردت أن أفعل المزيد، أن أعرف ماذا قالت تلك الخطوط المتموجة. كان الوقت فات بالنسبة الى بيا أورتيل، ولكن سوف يكون هناك آخرون. واعتزمت الالتحاق بدورة "فنيّ قلب."

قالت لو: "أنا سعيدة لانك قررت ذلك."

فقلت: "انها الخطوة الاخيرة."

أروع إحساس

أخبرَنا الدكتور روبرت كرافتز في الليلة الاولى من الدورة: "سوف تساعدون في انقاذ الناس مستخدمين المهارات التي ستتعلمونها في هذا الصف. ستكونون أنتم الخيط الرفيع بين حياة المصاب وموته."

حضر ثلاثة وستون منا تلك الليلة، لكن سبعة وثلاثين فقط تقدموا الى الامتحان النهائي.

درسنا أجهزة الجسم كما فعلنا في دورة إعداد المساعدين الطبيين. ثم انتقلنا الى مراحل متقدمة في عملية الانقاذ: الحقن الوريدي، وخصائص الادوية وتأثيراتها، والاضطرابات القلبية. درست صفحات من التخطيطات القلبية حتى لم تعد بالنسبة الي مجرد خطوط متموجة.

بعد عشرة أشهر طويلة تقدمنا الى الامتحان النهائي. وأصبحت فنِّية قلب.

ولم يمض وقت طويل حتى بُث نداء يطلب فني قلب، فاستجبت. أوقفت سيارتي وقفزت الى مؤخر سيارة الاسعاف.

أفاد التقرير: "رجل في الثالثة والستين من عمره. ضعيف ومصاب بدوار."

كان مريضنا جالسا في أريكة في غرفة الاستقبال في منزله وقد بدا شاحباً، لكنه قال إنه يشعر بتحسن، وأضاف: "أعتقد أنكم تكبدتم عناء للاشيء."

كان ضغط دمه مرتفعا قليلا ونبضه ٧٢ في الدقيقة. وكانت تقلصات بطينية تظهر في غير أوانها [٨] من وقت الى آخر على شاشة المرقاب، وهذه التقلصات قد تتحول سكتة قلبية اذا ما تركت من دون علاج. فاتصلت بالمستشفى ناقلة المعلومات.

قالت الممرضة: "ابدأوا حقنه محلول دكستروز بتركيز ٥ في المئة. واذا واجهتم مشاكل عاودوا الاتصال بنا."

غادرنا المنزل بعد عشر دقائق وعيني ثابتة على المرقاب القلبي. لاحظت تقلصاً بطينياً في غير أوانه، ثم آخر، فسألت المريض: "كيف تشعر الآن يا سيدي؟"

فرك الرجل صدره وقال: "بعض الضيق فقط."

رأيت على الشاشة استجابة بطينية طبيعية، ثم تقلصا في غير أوانه، ثم تكراراً للاثنين. كان الرجل قريباً من حالة تعرف باسم "تاكيكارديا" [٩] وهي خفقان قلبي سريع جداً.

قلت: "كاثي، اضبطي تدفق الاوكسيجين على ستة ليترات." ثم رفعت سماعة الهاتف. كنا نواجه مأزقاً. اتصلت بالمستشفى ناقلة آخر المعلومات عن حال المريض وطلبت اذنا باستخدام العقار "ليدوكاين" لتنظيم نبضات القلب. وجاءني الجواب: "أعطيه ٧٥ مليغراماً من الليدوكاين، ثم محلولا بنسبة ٤:١ عبر الوريد."

فتحت صندوقة العقاقير، وأخذت كيساً من الليدوكاين وحقنته في الانبوب المثبت في وريد المريض. خلال دقائق أظهر المرقاب ايقاعا طبيعيا لخفقان القلب. وكان منظر المرقاب جميلا.

قال لي أستاذنا لاحقا: "هذا هو السر: العناية التي تسبق دخول المستشفى. هناك ننقذهم. هكذا ننقذهم."

كان نائب عمدة فريديريكسبرغ خطيب حفلة العشاء التي أقيمت لمناسبة تخرجنا. كان خطابه جيداً تخللته مقادير متناسبة من الوعظ والمزح. وفيما هو يقترب من نهاية كلمته، أزاح الاوراق من أمامه ونظر الينا.

قال بجدية: "أنتم تدركون أن القدرة على انقاذ حياة بشرية هي، بلا شك، أروع احساس يخالج الانسان."

وهي كذلك حقا.

انقشعت الغيوم للمرة الاولى منذ ستة أيام وبانت الشمس. كان نهاراً خريفياً رائعا، العصافير تغني والاطفال يلهون بأوراق الشجر المتساقطة.

---

(٨) Premature ventricular contractions (PVC)

(٩) Tachycardia

وفي طريق ضيقة كانت طفلة عمرها سنتان تلعب في فناء منزلها مع كلب صغير يركض أمامها وينحرف يمنة ويسرة. دخلت والدتها المنزل لبضع دقائق. واكتشف الكلب في هذه الاثناء أرنبا فطارده الى الغابة المحيطة بالمنزل. وتبعته الطفلة.

انطلقت النداءات من أجهزتنا في الاولى والنصف بعد الظهر: "انتباه! نداء الى أعضاء فرقة الاطفاء والانقاذ في لايك اوف ذا وودز. انتم مطلوبون للمساعدة في البحث عن طفلة صغيرة."

كانت بضع نساء واقفات في الفناء مع أطفالهن وقد تشبثن بهم على غير عادة. كن قد ساعدن في البحث الاولي.

سرت نحو المنزل، فناشدتني أم الطفلة: "أرجوكم، اعثروا عليها."

قلت لها: "سوف نفعل ذلك. لقد تاه ابني مرة..." والتقت عيوننا في لحظة تفهم متبادل فتابعتُ: "... وعثر عليه هؤلاء الناس." لم أقل لها إنه كان في الثامنة من عمره لا في الثانية، كما لم أخبرها أنه ظل تائها طوال الليل، فهي لم تكن تحتاج الى حقائق وانما الى رجاء. كانت تحتاج الى من يقول لها: "أنا أفهم ما تعانين،" ويعني ما يقول.

مشينا في الطريق الضيقة حتى انتهت في أخدود صغير غمرته أمطار أسبوع. أخبرنا أحد الجيران أنه فتش المنطقة خلف التلة، فعدنا لنفتش المنطقة بين المنزل ونهاية الطريق.

لم نجد شيئا، فعدنا الى المنزل وانقسمنا مجموعات تفصل بينها مسافات من أربعة أمتار. وقمنا بدورة كاملة في الغابة المحيطة بالمنزل. وبعد تمشيط المنطقة خرجنا من الغابة قرابة الرابعة عصرا. لم نجد أي أثر للطفلة.

لاحت الطوافات فوقنا، وراقبناها تنخفض محوّمة فوق منطقة ومنتقلة الى أخرى. تحلقنا في مجموعات نرتاح على مؤخرات الشاحنات، نتحدث ونصغي الى موجات راديو الشرطة.

لا أدري من قالها أولا، لكننا سمعنا أخيرا عبارة "لقد عثروا عليها!"

– هل هي بخير؟

"تبدو كذلك!"

بكاء الطفلة أرشد فرقة البحث اليها. وكانت مبللة من قدميها حتى خصرها.

وقف والدا الطفلة على مصطبة منزلهما. يا الهي، ما أجمل هذا النبأ! شاهدنا الرجل يحيط زوجته بذراعه وقد اتكأت هي عليه تبكي ورأسها مدفون في صدره. تبادلنا النظرات مبتسمين.

مسّدتُ شعر الطفلة الاشقر، ثم انزلقت يدي لتمسك يدها الصغيرة، فشدت عليها وابتسمت لي خجلة.

قالت لي الام وهي تحتضن طفلتها: "انني أدرك الآن ماذا شعرت عندما عثروا على ابنك."

تلك الليلة حضَّرتُ قالب حلوى بالكرز، كعكة مات المفضلة.

منذ ذلك اليوم المشهود قبل أكثر من عشر سنين، استجبت لاكثر من ٥٠٠ نداء، ٥٠٠ مريض ومصاب تلقوا عناية طارئة من فرقتي. وأنا أعمل اليوم مدربة لمساعدي الطوارىء الطبيين، فأدرسهم المهارات الضرورية للعناية الطبية الطارئة اضافة الى الاسعاف النفسي الاولي.

كانت سالي كيلي واحدة من طلابي، وهي لطيفة القول والمعشر. دخلت صفي في الليلة الاولى وأخبرتني أنها لا تريد شهادة مساعد طبي للطوارىء، "بل أريد الحصول على المعرفة فقط، فلا أظن انني قادرة على عمل ما تفعلون."

أجبتها: "أعتقد أنك تستطيعين."

جلست سالي في مؤخر الصف. وفيما كرَّت الأسابيع أخذت تنتقل تدريجا الى الامام. كنت أختبرها بين حين وآخر، وكانت تعرف الاجابات الصحيحة دائما. وهي حلَّت ثانية في الامتحان النهائي وانضمت الى فرقة الانقاذ في ابريل (نيسان) ١٩٨٩. وفي مايو (أيار) لبت نداءها الاول.

كان المريض يعاني سكتة دماغية (فالجا). قاست سالي نبضه وفحصت تنفسه وضغط دمه. وساعدت في حمل المحفة الى سيارة الاسعاف، كما أمسكت بيد المريض طوال الرحلة الى المستشفى. وجلست أنا في المقعد المقابل أراقبها. عندما نظرت الي ابتسمت، فرأيت في وجهها انعكاسا لذاتي قبل زمن طويل. كان الشك لا يزال باديأ في عينيها، لكن ابتسامتها كانت توحي ثقة.

لم يكن لدى سالي أي فكرة عما كان ينتظرها ذلك اليوم، كما لم يكن لدي أنا أي فكرة عما انتظرني في يومي الاول كمساعدة طبية للطوارىء. ومع ذلك، فلو قدر لي أن أعرف ماذا ينتظرني لرحبت به بحماسة وبذراعين مفتوحتين.

بات أيفي ■

ترجمة فواز خوري

فيلسوف في قطار

كان أحد الفلاسفة ينتظر في محطة حين توقف قطار في غير موعده المقرّر، فقفز اليه الفيلسوف ليفاجأ بالموظف يقول له: "آسف يا سيدي. عليك أن تنزل، فهذا القطار لا يتوقف هنا."

فرد الفيلسوف على الفور: "في هذه الحال، لا تقلق، فانا لست عليه."

ر.ف.



- لا وقت مناسباً لثلاثة: الموت والضريبة والولادة.

مارغريت ميتشل، روائية اميركية كاتبة "ذهب مع الريح"

- الآمال الكبيرة مفتاح كل شيء.

س.و.

- الذكرى حلم يأتي أمواجاً.

هـ.س.

- المدهش في الحمقى الشباب هو ان كثيرين منهم يعيشون ليصبحوا حمقى مسنين.

د.ل.

- اسأل مرتين، فذلك افضل من أن تضيع مرة.

مثل دانمركي

- لم يستأذن أحد في سلوك طريق النجاح.

د.د.ا.

- السر العجيب هو اننا كلما تشاركنا ازداد ما لدينا.

ل.ن.

- المال يبدِّل الناس بمقدار ما تتبادله الايدي.

ا.ب.

- افضل تجسيد لفكرة الهدوء قطة جاثمة.

جول رينار، كاتب فرنسي



"سمكات". - زيتية للفنان الامريكي كام مال، ١٩٨٤.

اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٢ - ربيع الثاني ١٤١٣

Reader's Digest
المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest October '92 N° 167

أوسع المجلات انتشاراً في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً

امي انقذتني من المخدرات

(ص ٨٣)

لخصر أنحف في ٣٠ يوماً

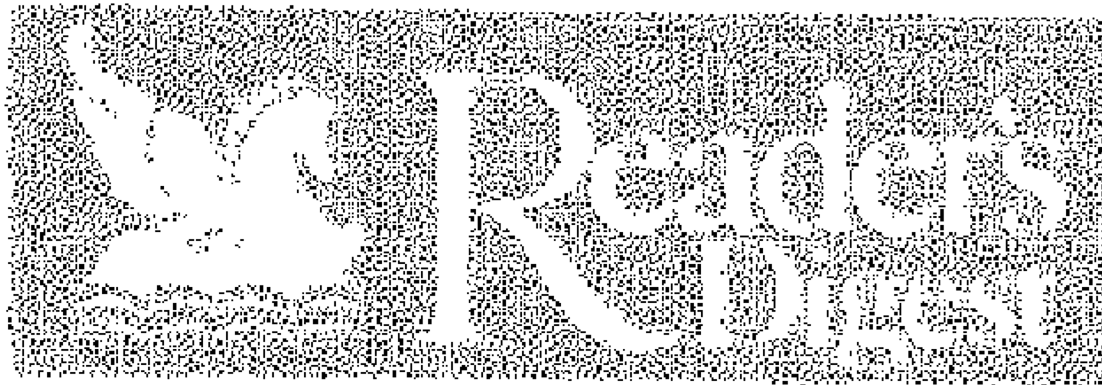
(ص ٢٩)

المافيا الروسية ترعب الغرب

(ص ٤٣)

متاحف تحت الأرض

(ص ١٠٦)



المختار
من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد.
امانة التحرير: لورا نفاع، عائدة الموسوي.
الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس.
الناشر: شركة "ابيراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
التحرير والادارة: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.
الهاتف: ٣٤١٥٩٧ / ٣٧٠٥٧٥(١).
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر. الهاتف ٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤(٠١). التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان.
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، البوشرية – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



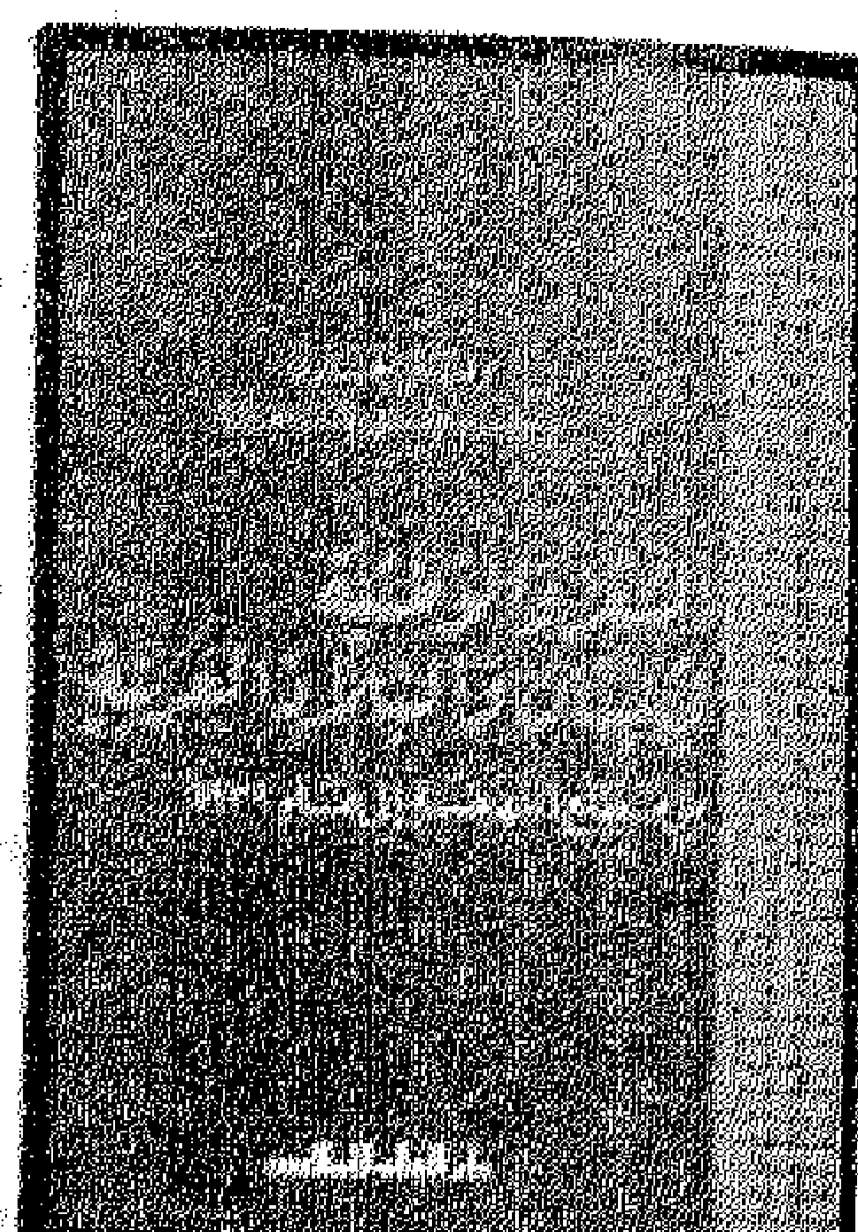
Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE.
Tel. (1) 341597 / 370575.
Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O. Box 11-688, Beirut, Lebanon. Telex 43283 PRESSE LE.
Fax (1) 864572. Tel. (1) 216058/327484.


Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

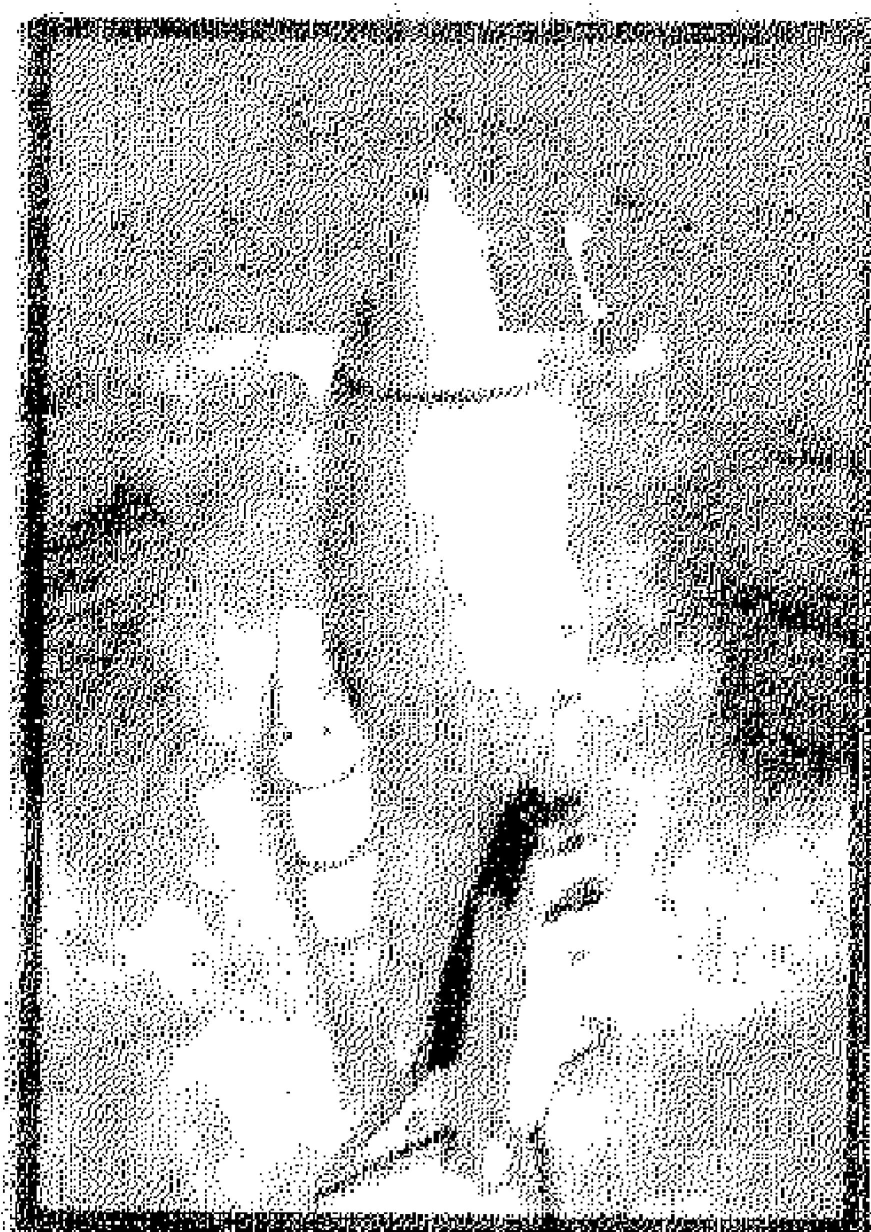
لبنان	١٥٠٠ ليرة
سورية	٧٥ ليرة
الأردن	١ دينار
الكويت	١ دينار
الإمارات العربية المتحدة	١٠ دراهم
قطر	١٠ ريالات
البحرين	١ دينار
السعودية	١٢ ريالا
مصر	٢ جنيه
السودان	١ جنيه
ليبيا	٥٠٠ درهم
الجمهورية اليمنية	٢٥ ريالا
مسقط	١ ريال
قبرص	١،٥ جنيه
تونس	١ دينار
المغرب	١٠ دراهم
الجزائر	٧ دنانير
انكلترا	١،٥ جنيه
اليونان	٤٠٠ دراخما
كندا واميركا الشمالية	٢،٥ دولار

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية
رئيس التحرير: كنيث توملنسون.
مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.







الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية

تأليف: الدكتور وليم الخازن

كتاب جديد يبحث في المعالم الوطنية في الشعر اللبناني خاصة، والشعر العربي عموماً، من مطلع النهضة إلى عام ١٩٣٩.

زمن الأمل والخيبة

تأليف: الرئيس الدكتور سليم الحص

أحدث كتاب للدكتور سليم الحص يعرض فيه قصة ممارسته المسؤولية في عهد الرئيس إلياس سركيس.

موسوعة المكوك الفضائي

تأليف: الأستاذ هنري ماتيوس

أول كتاب من نوعه باللغة العربية يتحدث فيه مؤلفه عن كل ما يخترق الفضاء من طائرات وصواريخ. وهو كتاب شائق ومفيد للغاية.

حكايات المساء

تأليف: السيدة فيروز بعلبكي

سلسلة قصصيّة موجّهة للأطفال من سنّ السابعة فما فوق. صدر منها ستة أجزاء، في كل منها أربع حكايات.

الحصان

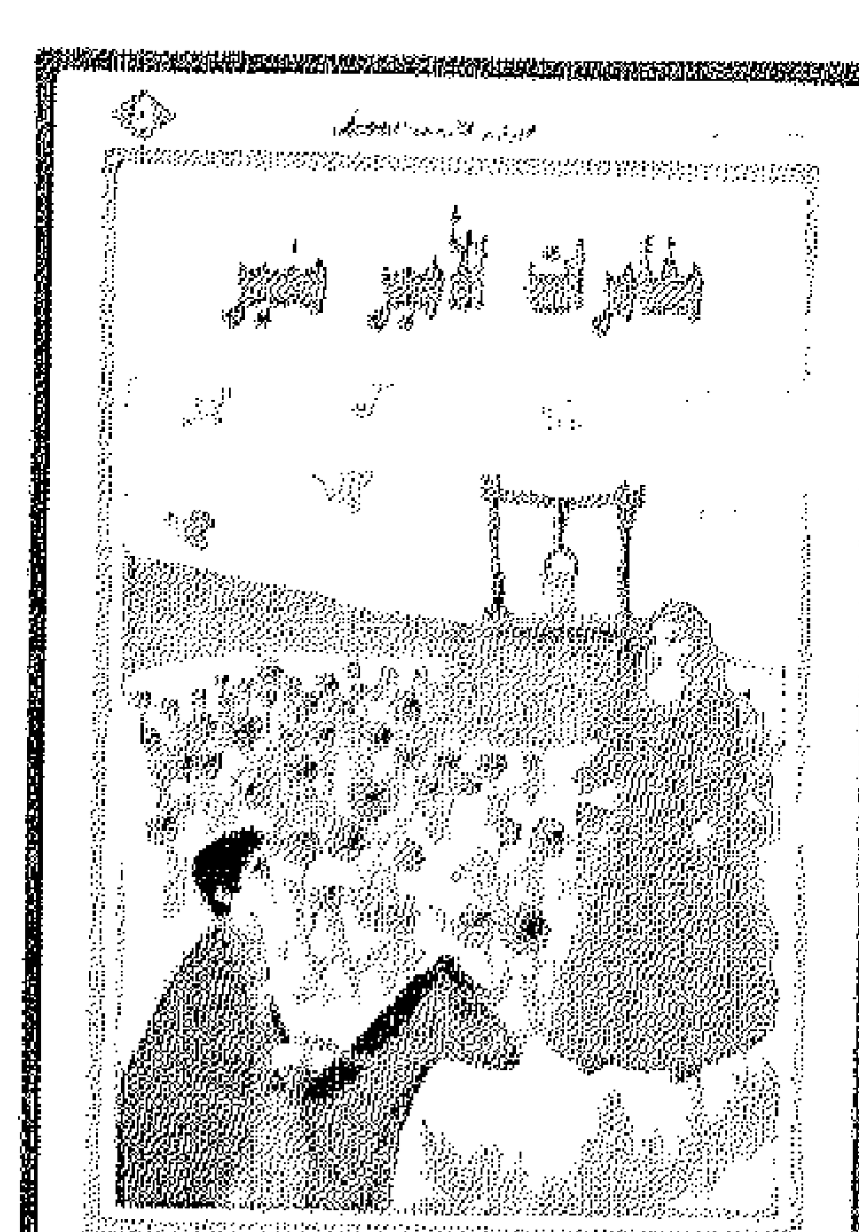
تأليف: المهندس قبلان غلوب

موسوعة كاملة تبحث في الخيول وأصولها وأجناسها، والعناية بها وبأمهارها، ويتحدث عن السلالات المختلفة للخيول.

الشنشار

تأليف: الدكتور وليم الخازن

مجموعة قصص من واقع الحياة. تتميّز بأسلوبها القصصي المتقن، وبدقّة التصوير والوصف وجمال التعبير.









عينا أبي

رحلة صبي يتيم الى عالم الرجال

مات أبي. فطفرتُ الى الغابة، الى أجمة علّيق معزولة عن بقية العالم. ولما جاء عمي باحثاً عني، دفنت وجهي عميقاً في الشوك جامداً كصخر. قلت لنفسي: "إختبيء طويلاً يا ولد، وسوف يعود العالم كما كان. سيتوقف عمك عن مناداتك، وسيعود أبوك الى البيت."

كان أبي مدرب طيران وربان طائرة للايجار. وعشنا أنا وأمي وأخي في خوف شحذته الصباحات الجليدية والاجواء الغائمة المطبقة. اذا تأخر في العودة وقفت أمي عند شباك المطبخ قلقة.

وذات يوم من سبتمبر (أيلول) ١٩٧٤ حدث ما كنا نخشاه: عطل فني تسبب في تحطم طائرة أبي ومقتله.

اختبأت في الغابة ساعات مفكراً: كيف تغيّر كل شيء فجأة؟ الصبي من دون أب يفقد نجمه الهادي في الحياة، فلا من يقوده في المعارج الغريبة بين الطفولة والرجولة. من يكتشف الاماكن المنسية؟ من يشعل نار المخيم؟ من...؟

أغمضت عيني بشدة متمنياً لو توقف الزمن.

وذات أحد، بعد شهر تقريباً، انتحى

PHOTO: © LYNN M. STONE / THE IMAGE BANK

بي كيث غليزون جانباً وقال: "إدي، ما رأيك في رحلة صيد السبت المقبل؟"

كان كيث مرشد الاولاد في بلدتنا، قامته منتصبة كرمح، ويتسم بالمرح وحب اللهو. وكان يعود من رحلات الصيد بقصص تفتننا. لقد كان ذلك الشاب بطلاً حقيقياً بالنسبة الى فتى في الثالثة عشرة من عمره فقد أباه قبل شهر.

لم أكن غريباً عن الصيد، اذ كنت أمضي أوقاتي بعد الظهر في الغابة خلف بيتنا ألاحق الارانب البرية والسناجب أصطادها بنقّافة (مقلاع) أو ببندقية ضغط. لكنني لم أشرد قطّ عن مرمى قرع جرس المطبخ. أما دعوة كيث فكانت الى رحلة صيد حقيقية!

قلت له متلعثماً: "أحب ذلك، طبعاً، ولكن..."

فقاطعني: "لكن ماذا؟ لا مجال للتردد، لقد استأذنتُ أمك. سأمر لاصطحابك في الخامسة." وأضاف مبتسماً: "أعني الخامسة صباحاً."

أفقت صباح السبت على صوت أمي. وتساءلت: ترى، بماذا تفكر وهي تسمح لابنها بمرافقة رجل تكاد لا تعرفه بدل الرجل الذي أحبته؟ أي حزن تقاسي وهي تقف هناك في الباب؟

هكذا بدأ أول أيام لا عد لها في الحقول. كنا نبحث عن جذع سنديانة ساقطة نجلس عليه ونزيل الاغصان من تحت أقدامنا. وما زلت أذكر كيث جالساً على الجذع دونما حراك تحيط بعينيه ظلال النعاس وتغطي وجهه شعيرات لحية قاسية لم يتسنَّ له حلقها في الصباح. ثم يشير فجأة الى الاشجار فوقنا فتتبعه عيناي.

"هناك ... في العقفة فوق الغصن الثاني... هل ترى تلك العقدة؟ ان لها عينين!"

كانت الغابات كتاباً مفتوحاً، وكان كيث معلمي. مرة انزلق أمامنا سنجاب على بساط من أوراق الشجر وتسلق شجرة. فهمس كيث: "راقب ما سوف يحدث." وعلّق معطف الصيد البني على شجيرة بارتفاع كتفيه وأضاف: "اتبعني بهدوء."

تحركنا خلسة الى جانب شجرة السنديان حيث كان السنجاب مسمَّراً وعيناه على معطف الصيد. كانت رمية سهلة. ومع أنني تعلمت لاحقاً أن صيادي سناجيب آخرين يستخدمون هذه الخدعة أحياناً، فقد آمنت وقتئذ بأنني أشهد إحدى عجائب الطبيعة.

كنا نسير معاً في صباح شتائي عندما ركع كيث قرب آثار في الثلج. قال لي: "انظر، مر ثعلب من هنا. انه يترك آثاراً أضيق من تلك التي تتركها الكلاب، وهو يسير في خط مستقيم. لاحِظْ كيف يضع قدماً أمام أخرى!"

درست الاثر: أربع أقدام متطاولة تتقدمها آثار مخالب. كان الاثر يمر عبر طريق زراعية محفَّرة ويلتفُّ حول أخدود صغير ليختفي في حقل. تتبعنا الاثر الى عش صغير حيث رأينا ثلجاً ملطخاً بالدم ومبعثراً نتيجة الصراع الذي حصل. وفيما نحن نغادر الحقل أحسست صلة

(التتمة في الصفحة ٨)

COMFORT SOCKS

الإكتشاف المدهش لجميع أنواع الحساسية والفطر في القدمين

ن الاحصاءات الأخيرة للمتخصصين في حقل الحساسية الجلدية تشير بأن ٨٠٪ فماذون
لمائة من سكان الشرق الاوسط يعانون من آلام ضعيفة في أرجلهم بسبب العارق الحار الذي
ولد في الأقدام أنواع كثيرة من الأمراض الجلدية، وكثيرون ممن يعانون هذه المشكلة يظنون
نها مجرد حكاك أو تشقق في جلد الرجلين وخاصة بين الأصابع.
يسارعون الى غسل أقدامهم علهم يجدون راحة، وتارة يستخدمون أنواع من المراهم
الأدوية. وجميعها بعد التجربة تراها غير نافعة لأن أصابع الأرجل هي في وضع ضعيف طيلة
لنهار داخل الحذاء، وفي كل مرة بعد الغسل واستخدام المراهم تجد راحة ربما لا تتعدى
ساعات الليل ولكن في اليوم التالي عندما تنتعل الحذاء تعود الى نفس المشكلة.
ن الاكتشاف الجديد لهذا النوع من الجوارب وجد حلاً نهائياً لهذه المشكلة المستعصية،
استخدام خيط قطن ١٠٠٪ للحياكة وفصل كل أصبع عن الآخر بواسطة تصميم خاص
مجرد تباعد الأصابع عن بعضها لا يجد الميكروب مكاناً للانتشار والتكاثر، ومن اليوم الأول
جد الفرق الكبير بين أن يرتدي المرء جوارباً عادية وبين أن يجرب هذا النوع الجديد،
النتيجة الفورية تكون راحة كاملة، منع أي رائحة كريهة في الأقدام، منع التعرق ومنع
لتشقق والاحمرار.
ميزاتها: صممت لتكون بدون قياسات اذ أنها تلبس من قياس رجل ٣٧ لغاية ٤٤.
الوانها تناسب جميع الملابس: منها رياضية لون أبيض مع خطين كحلي، ومنها
الوان تناسب الملبوسات الرجالية من أسود، كحلي، رمادي وبيج، ومنها للفتيات
بالوان زاهية، أزرق، زهر، أصفر، وأبيض.
يتقدم مؤسستنا فرصة لقارئي المختار، بامكانكم الآن إرسال هذه القسيمة على العنوان
التالي:

مؤسسة جوليانو ص.ب. ١٧٥٥٤٧ بيروت - لبنان

مع شيك مسحوب على نيويورك بمبلغ ١٨ دولار مع عنوانكم الكامل في أي بلد فنرسل لكم على
هذا العنوان ثلاث جوارب بالألوان التي تختارون.
سارعوا الآن واستفيدوا من هذه الفرصة، وهناك فرص لمن يرغبون أن يكونوا وكلاء توزيع
في البلدان العربية.

غريبة تربطني بالثعلب. ففي دورة الحياة في الطبيعة، ليس الانسان الا واحداً من صيادين كثر.

غطت رحلات صيدنا منطقة واسعة. واصطدنا دببةً وغزلانا. وراوحنا بين رحلات قصيرة لساعات ومغامرات امتدت أياماً. وأصبحتُ وجهاً مألوفاً في مخيمات الصيادين، فتى غريراً وسط مجموعة رجال لم يشتكوا يوماً من رفقته.

ومع الوقت أصبحت الغابات بقعة سكينة لا مهرباً. وتلاشى فزعي من الليل، ولم يعد كيث يسير معي داخل ظلمة الغابة الى حيث أتمكن من صيد طرائدي.

مرّت الايام، ولم نعد أنا وكيث نصطاد معاً. وتمتد اليوم مسافة ١٦٠ كيلومترا بين منزلي وذاك الرجل الذي علمني الصيد. لقد نشأتُ في الغابات، وتعلمت ألا أقوِّم نهاراً في الحقول بوزن عصفور في اليد، فهناك طرق أفضل للحكم على تلك الاوقات: صراخ البط في الغسق، تكسُّر الندى المتجلد تحت القدمين، لحظات قليلة تحبس الانفاس قبل أن تتلاشى ملامح ظبي أرقش من الذاكرة الى الابد.

كثيراً ما تساءلت عن ذلك الشيء المميز في الغابات الذي يحوّل ولداً الى رجل. ربما كان ذلك أن الغابات تغرينا باستكشاف عوالم جديدة غير مألوفة، أو تدعونا من حقول الطفولة المزهرة الى مسالك مظلمة غامضة، أو يقودنا اقتحام عالم جديد الى اقتحام عوالم أخرى.

بالنسبة الى معظم الصبية، يكون الأب "خريطة" مرشدة الى هذا العالم البري. لكن المسالك إياها تحمل اشارات أقل الى صبي فقد أباه، وتبدو الغابات كأنها موئل فزّاعات.

قد يكون كيث أنهى ما بدأه أبي فحسب، وربما كان مَعْلماً في طريق أوسع، سنديانةً راسخة عند مفترَق. لديه الآن صبي من صلبه. ولا أملك أن أمنع الصبي الصغير داخلي من الحسد على الايام التي سيمضيانها معاً في الغابات. سوف يشق كيث طريقه ثانية، متثاقلاً في الثلج، ليفتح عيني صبي آخر على عوالم برية جديدة. وسوف تنداح تموجات جديدة لذلك الحجر العتيق إذ يلقى في بركة أخرى.

أشك في أن أتمكن الآن من العثور على موطن السناجيب في الغابات التي كانت لنا يوماً. لكنني ما زلتُ، حين يشدّني إغراء الغابات الخريفية من مكتبي، أرى كيث غليزون واقفاً دونما حراك على جذع شجرة ساقطة. وما زلت أتابع نظرته المحدقة الى الاغصان بحثاً عن عينين مختبئتين هناك. أحياناً أرى ذلك السنجاب. وأحيانا أخرى أرى عيني صبي صغير ضائع. وفي بعض اللحظات المميزة، تطالعني عينا أبي.

إدي نكنز ■

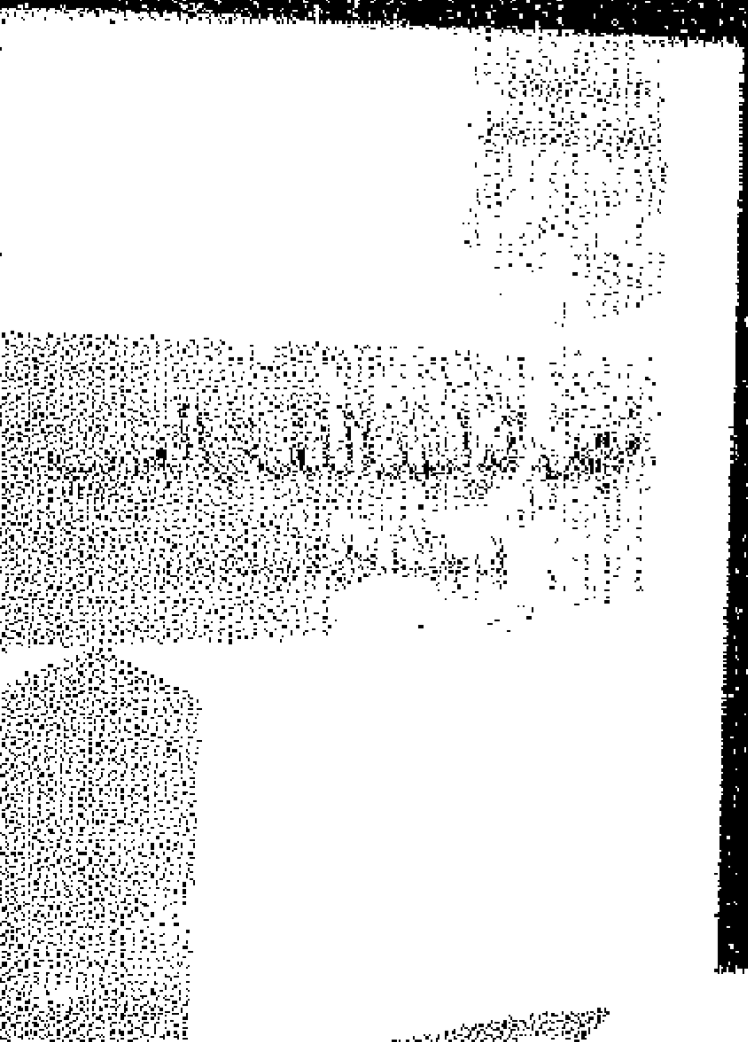
ترجمة فواز خوري

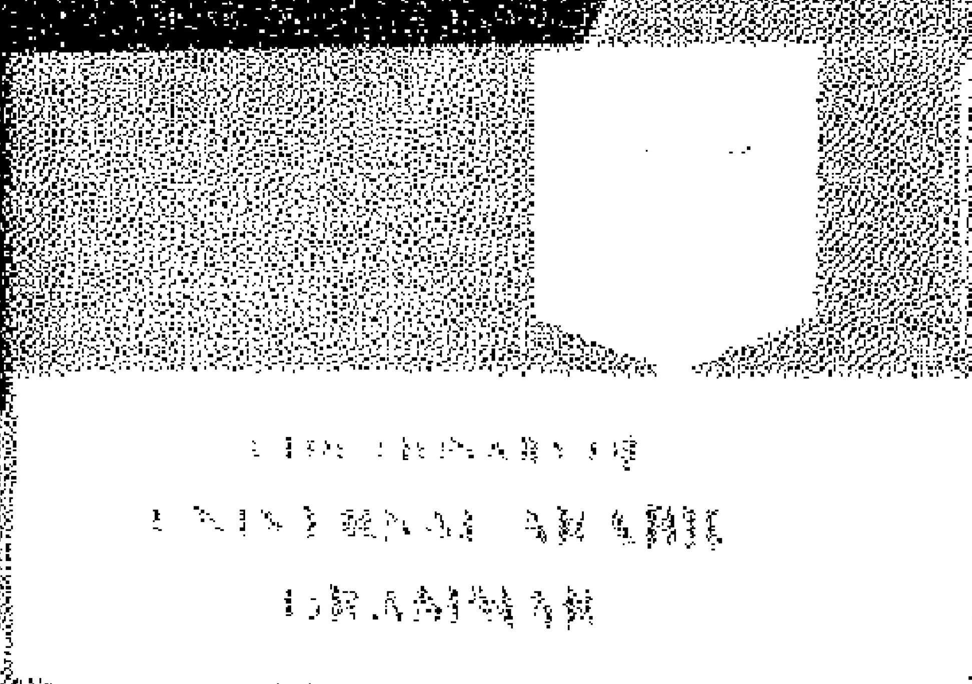
عليك ان تكون بجانب الطفل اليوم، حتى تبقى غداً في ذاكرته. ستفن كرايمر

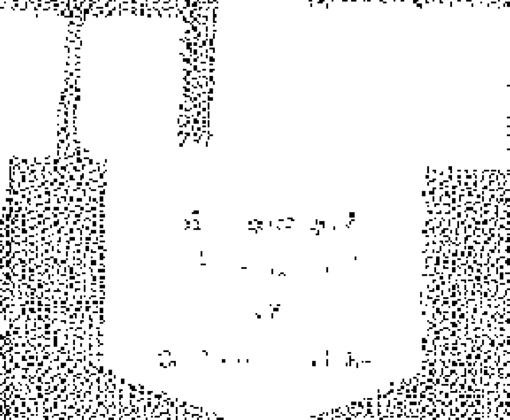
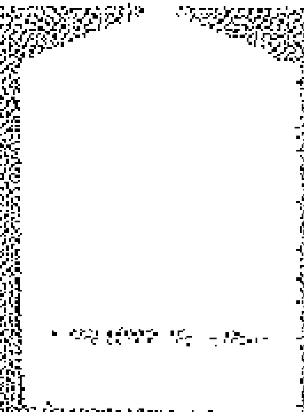
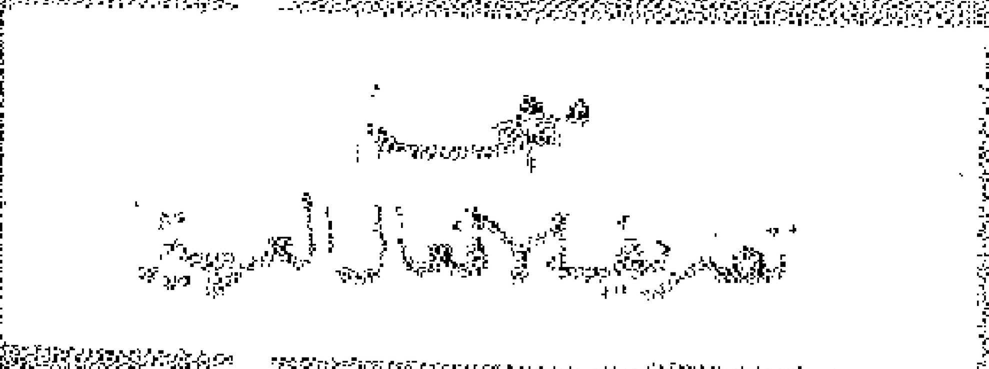
مَوسُوعَة الدّحداح في عِلم العَربيَّة

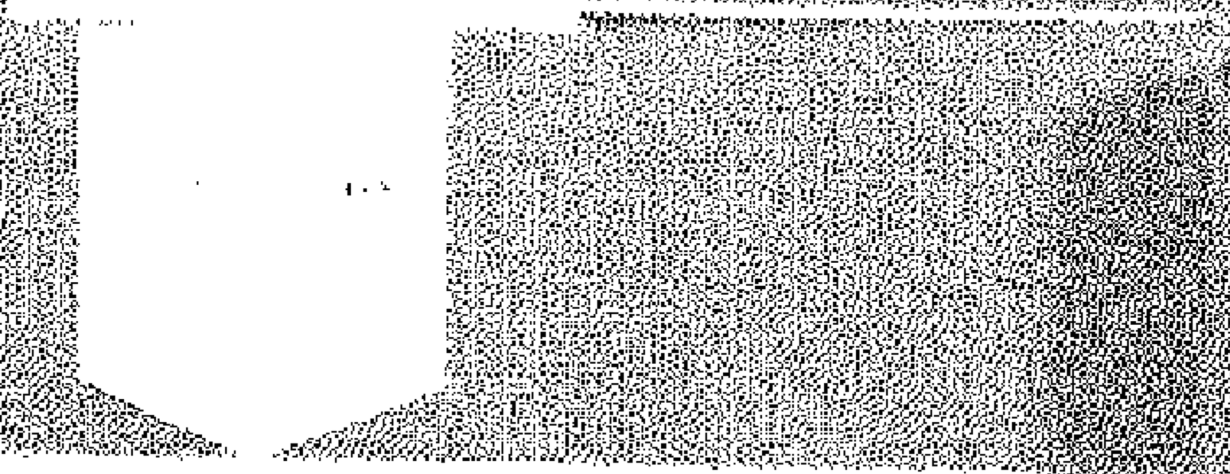
السفير أنطوان الدحداح

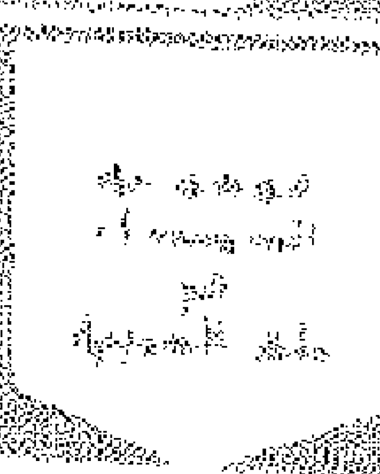
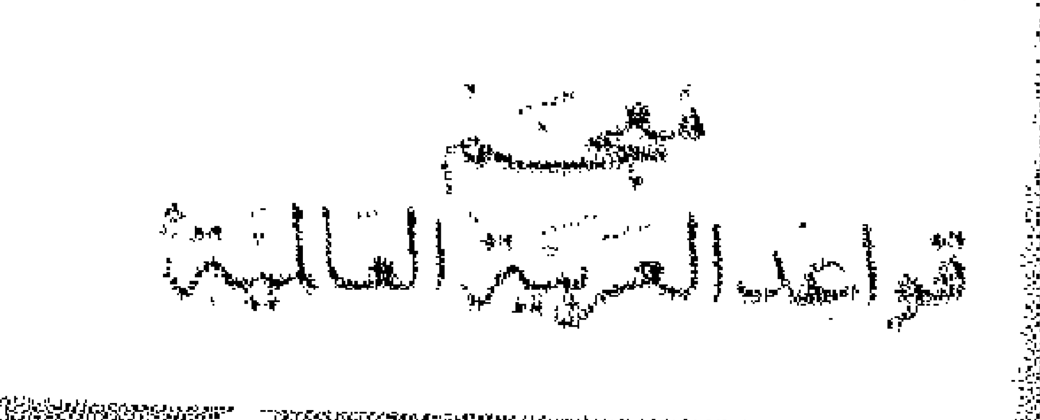
مكتبة لبنان

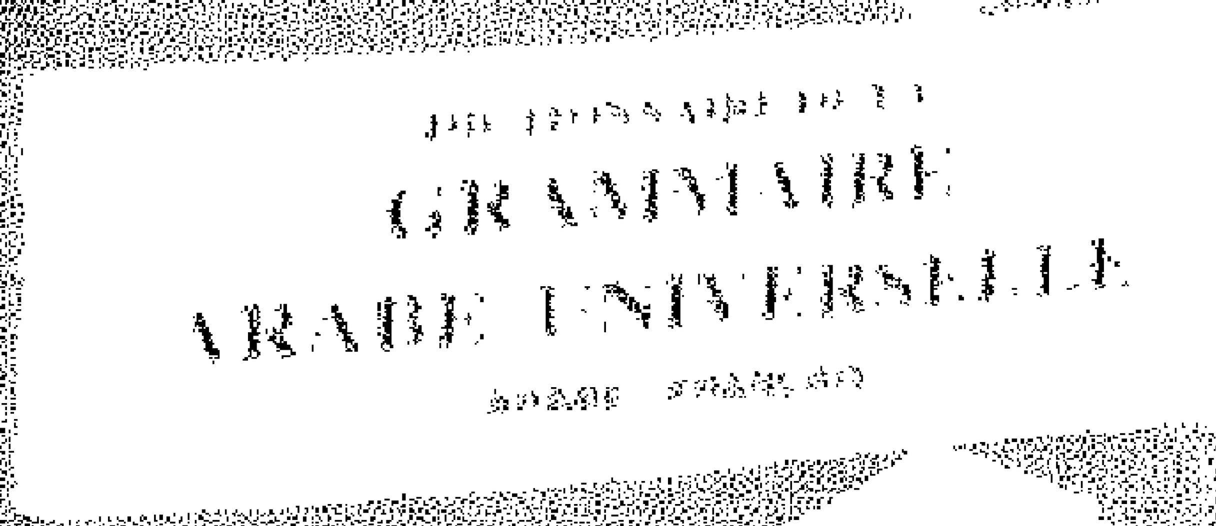


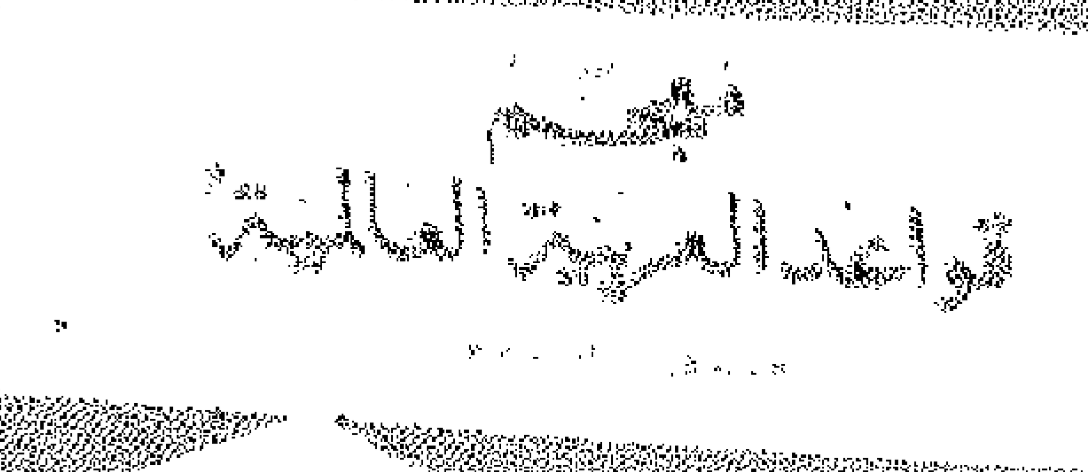


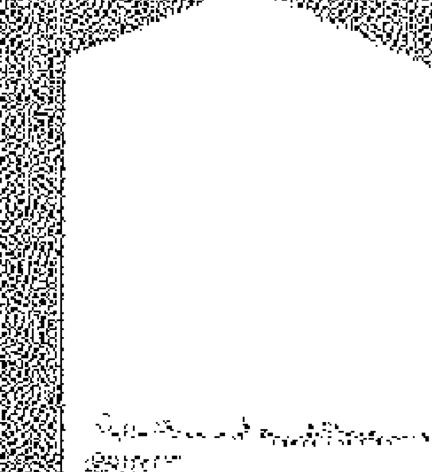
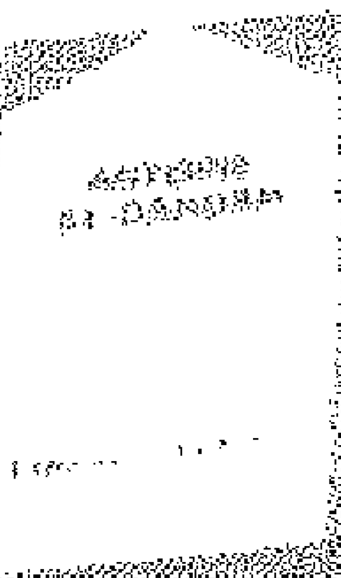
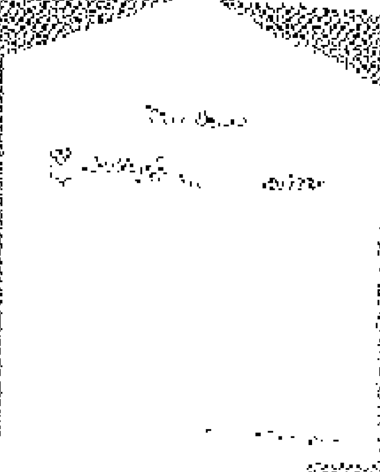
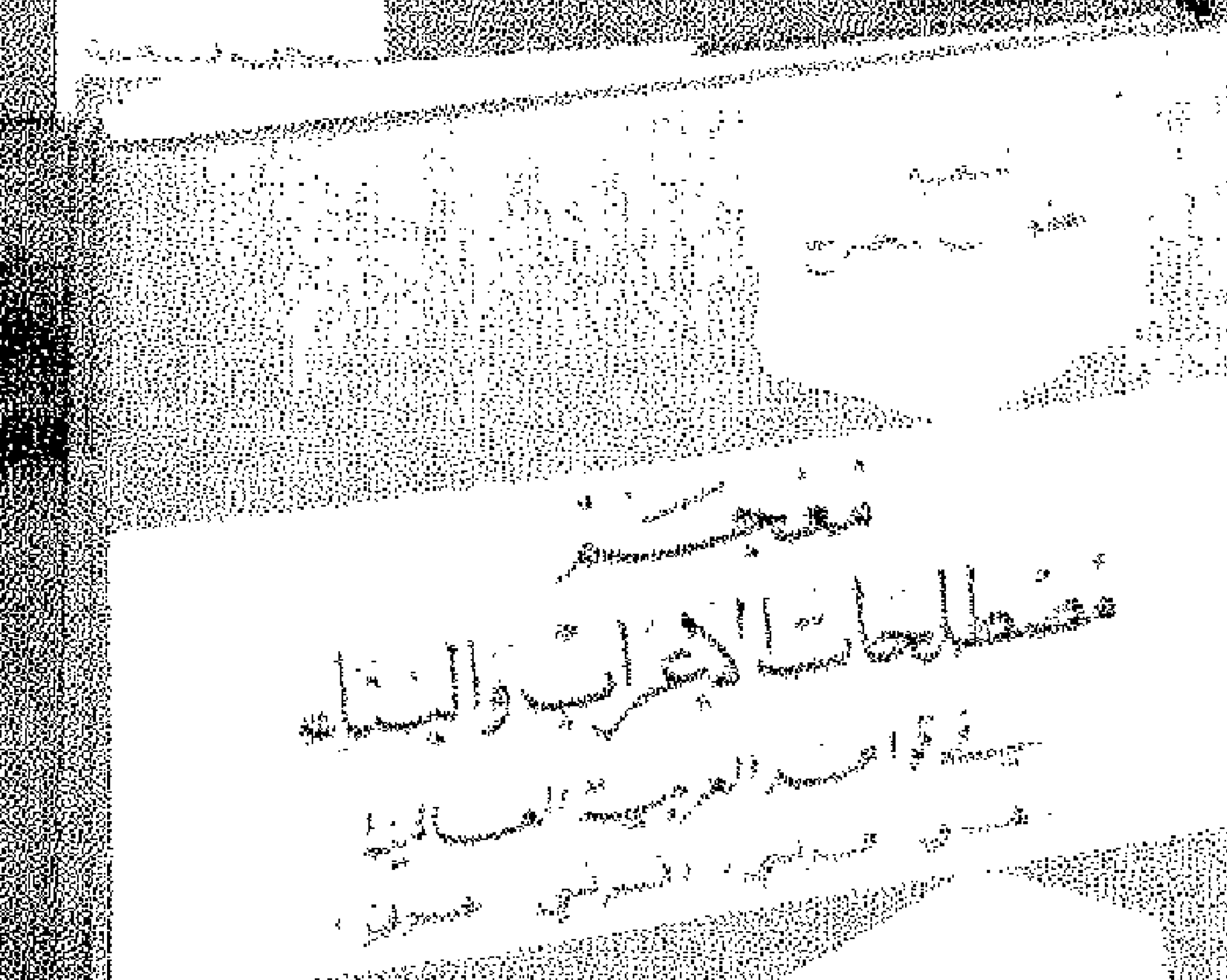




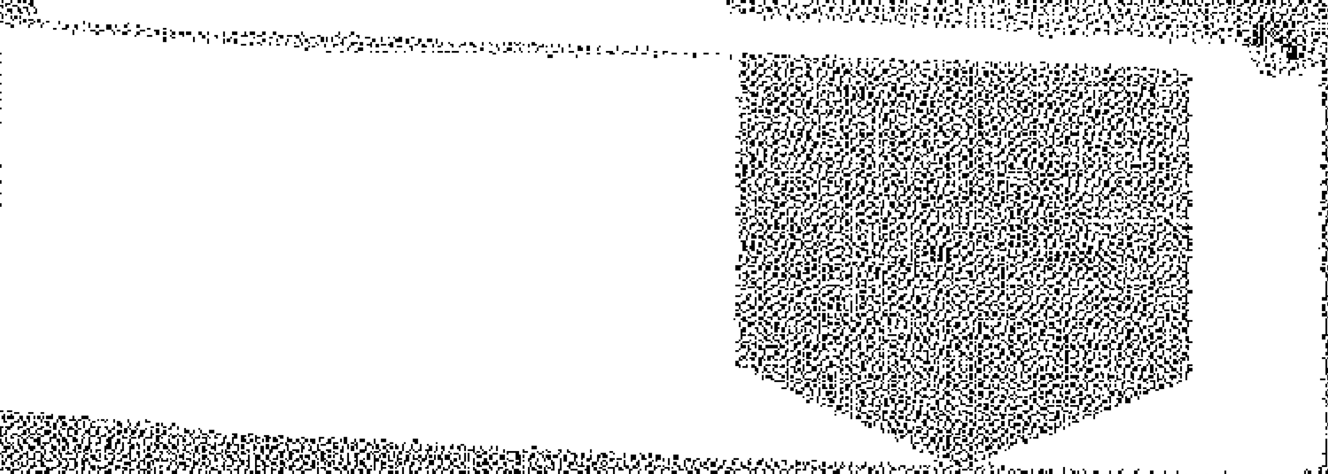
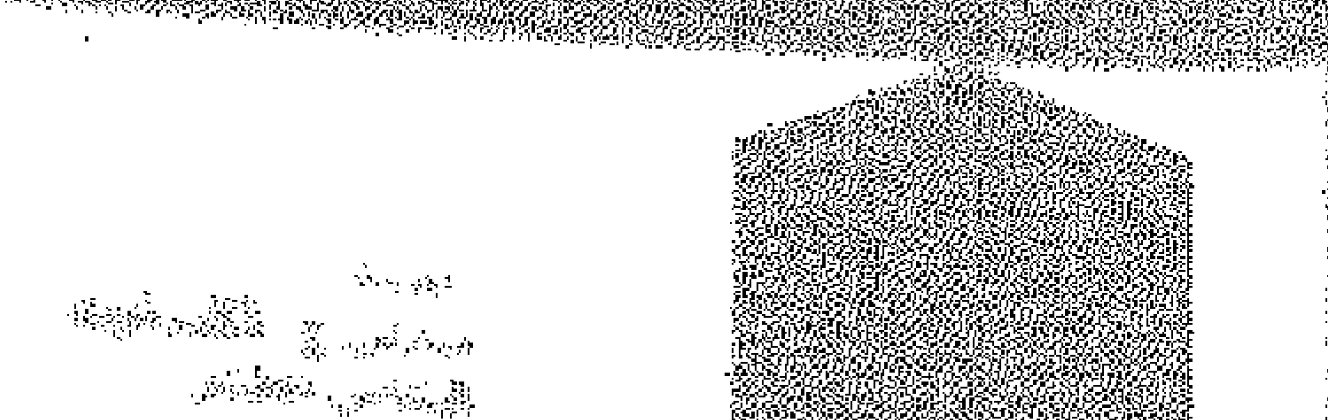






مكتبة العبيكان - الرياض

Reader's Digest
المختار
اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٢
ربيع الثاني ١٤١٣
السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

المغامرة طريق النجاح

لا تتقاعسوا عن المجازفة أحياناً فلزوم الامان قد يكون لعبة خاسرة

في الدور النصف النهائي لدورة ويمبلدون البريطانية الدولية في كرة المضرب عام ١٩٩٠، تنافست اليوغوسلافية مونيكا سيليش ابنة الستة عشر عاماً والامريكية زينة غاريسون. ومع تقدم المباراة بدا واضحاً أن خصم سيليش الالدّ لم يكن غاريسون بل هي نفسها.

قالت سيليش لاحقا والخيبة بادية عليها: "كانت المنافسة شديدة واكتفيت بالضربات المضمونة. حتى مع الارسال الثاني لزينة، وهو أخفّ عادة، كنت أخشى رد الكرة بالقوة الضرورية للفوز."

أما غاريسون فلم تلزم جانب الحذر، وهي تقول: "أقنعت نفسي بالسعي الى الفوز، فلا مجال للتردد، واذا أخطأت فاني أكون مدركة أنني حاولت."

رجحت كفة غاريسون وفازت بالارسال الأخير وبالشوط وبالمجموعة وبالمباراة وصعدت الى الدور النهائي.

تنصحنا الحكمة التقليدية بحفظ رؤوسنا لدى اشتداد الازمات، فبتنا نركز على الحد من خسائرنا بدل استغلال امكاناتنا. ويمكن، في هذه الحال، أن تكون النتائج كارثية، كما اكتشفت سيليش.

ان المجلّين في أي حقل يبلغون القمة بمواجهة أمور يخشونها. قال كاس داماتو مدرب الملاكمة الامريكي الشهير: "يشعر الابطال والجبناء بالخوف نفسه تماماً. والفارق الوحيد هو أن رد فعل الابطال يكون مختلفاً."

اذا كنتم نزّاعين الى تفادي المخاطر، فاليكم هذه النصائح الخمس لتساعدكم في نفح روح المغامرة الدفينة داخل كل منا.

١. **ثقوا بأحلامكم.** لا بد أنكم صادفتم جميعاً أشخاصاً متمرسين في الحياة يدّعون أنهم "رأوا كل شيء" ويسوقون اليكم أسباباً تحول دون القيام بعمل ولا تكادون تبدون رأياً حتى يبادروا الى "اخماد" فكرتكم الجريئة، مستشهدين بشخص أخفق اخفاقاً ذريعاً وهو يحاول تنفيذ فكرة مماثلة. وسيسعى هؤلاء "المنقذون" الى ثنيكم عن اهدار الوقت والطاقة والمعاناة في أي مغامرة جديدة.

يذكر مدير شركة أمريكية كبرى للطباعة حديثاً دار بينه وبين موظفة لديه تعمل في قسم المحاسبة كانت تتطلع الى أن تصبح رئيسة القسم أو أن تؤسس شركة خاصة بها. وهي لم تكن تهاب المغامرة على رغم أنها لم تكن أنهت دراستها الثانوية بعد ولا كانت الانكليزية لغتها الأم.

حذرها المدير الذي كان خبر "كل شيء": "انك تمتلكين مهارات جيدة في مسك الدفاتر، ولكن في ضوء مستواك العلمي عليك أن تتطلعي الى ما هو أكثر واقعية."

أغضبتها النصيحة فتركت العمل في الشركة وراحت تطارد حلمها.

ماذا تراها فعلت ؟ تولت مسك دفاتر شركات صغيرة لا يتقن أصحابها الانكليزية. وهي تملك حاليا خمسة مكاتب في كاليفورنيا.

والحقيقة أن لا أحد منا يعرف حدود طاقات الآخرين، خصوصاً اذا كانوا يملكون اندفاعا وحلما يمكنانهم من الصمود في وجه المصاعب.

تقول بربارة غروغان وهي رئيسة شركة انشاءات واستشارات في دنفر: "ان أهم ما تفعلونه حين تبدأون عملاً ما هو ألا تدعوا أصحاب اللاءات يصادرون أحلامكم. العالم مليء بالسلبيين الذين يحتفظون بألف سبب تحول دون تحقيق احلامكم، وهم على استعداد لاطلاعكم عليها بمجرد السؤال. كل ما عليكم أن تفعلوه هو أن تثقوا بقدراتكم وتحققوا أحلامكم."

٢. **اعتمدوا مبدأ الخطوات الصغيرة.** تعلمت قيمة هذا المبدأ عندما كنت مدرب تزلج أقود المبتدئين الى منحدر صعب. وكان هؤلاء اذ يصلون الى قمة المنحدر، يتطلعون نحو قعره مباشرة، فتبدو لهم النزلة شديدة الانحدار، فيتراجعون.

ولمساعدة طلابي في التغلب على

مخاوفهم، كنت أنصحهم بألا يفكروا في التزلج على المنحدر كله، بل يحاولوا الوصول الى المنعطف الاول فقط.

وقد حوَّل هذا أسلوب تركيزهم، فأخذوا يتطلعون الى ما يمكنهم فعله وليس الى ما يعجزون عنه. وبعد اعتمادهم هذه الوسيلة بضع مرات، باتوا يشعرون بثقة اكبر ويتزلجون على المنحدر بكامله من دون تشجيع مني.

ويمكنكم أنتم أن تسترشدوا بهذه المقاربة. حين تطرقون أمراً جديداً، لا تركزوا على العمل الذي أمامكم كله. خططوا لخطوة أولى تكونون واثقين بقدرتكم على انجازها، وستجدون أن عدداً كافياً من هذه الخطوات الصغيرة سيوصلكم في النهاية الى تحقيق هدفكم.

٣. اياكم وعبارة "أخشى أن..."

ننزع أحياناً، لدى مواجهتنا وضعاً جديداً، الى اعداد أنفسنا للاخفاق بصرف وقت طويل في توقع الاسوأ. أذكر حديثاً لي مع محامية متمرنة على وشك أن تبدأ الدفاع في أول قضية توكل اليها. وهي بدت متوترة جداً، فسألتها عن الانطباع الذي تريد أن تتركه لدى المحلفين، فأجابت: "أخشى أن أبدو قليلة الخبرة، صغيرة السن، ساذجة. أخشى أن يكتشفوا أن هذه هي قضيتي الاولى. أخشى أن..."

لقد وقعت هذه المحامية ضحية مجموعة خشيات، وهي شكل من تحديد الاهداف سلبياً.

أظهر بحث أجري في جامعة ستانفورد من ولاية كاليفورنيا أن الصورة الدماغية تستثير الجهاز العصبي تماماً كما يستثيره القيام بعمل ما. وللمثال، حين يقول لاعب الغولف لنفسه: "لا تقذف الكرة في الماء"، يرى ذهنه صورة كرة تسقط في الماء.

فقبل أن تضعوا أنفسكم في أي وضع ضاغط، ركزوا على ما تريدون أن يحدث فقط. سألتُ المحامية ثانية كيف ترغب في أن تبدو خلال مرافعتها الاولى، فأجابت: "أريد أن أبدو محترفة، واثقة بنفسي."

طلبت منها أن تتخيل صورة لما تعتقده مظهر الواثق بنفسه. فتضمنت الصورة تحركها بثقة داخل قاعة المحكمة، واستخدام تنقلها وحركات يديها على نحو مقنع، والنظر مباشرة الى عيون الشهود وأعضاء هيئة المحلفين، وجعل صوتها مسموعاً من منصة القاضي الى مدخل القاعة. وهي تصورت أيضاً مرافعة بارعة وحكماً لمصلحة موكلها. وقد ربحت قضيتها الاولى بعد أسابيع من هذا التمرين الاعدادي الايجابي.

٤. سنّوا قوانينكم الخاصة.

معظم الناجحين أشخاص خرجوا عن "القطيع" وتخطت عقولهم حدود التفكير التقليدية. أنهم يبدعون قواعد جديدة بدلا من محاولة تحسين القواعد القديمة.

عندما نجح جان – كلود كيلي في الوصول الى عضوية المنتخب الفرنسي للتزلج أوائل الستينات، كان أعد نفسه

أكثر من أي عضو آخر في الفريق ليكون الافضل. كان، مع انبلاج الفجر، يتسلق المنحدرات ركضاً على مزلاجيه، في حركة نشطة منهكة.

لكن أعضاء الفريق الآخرين كانوا يعملون بالجهد والوقت نفسهما، فأدرك كيلي غريزياً أن التدرب القاسي وحده لن يكون كافياً أبداً.

اذذاك بدأ كيلي تحدي النظريات الاساسية لتقنيات سباقات التزلج. فصار يجرب طريقة جديدة كل أسبوع علّه يجد وسيلة أفضل وأسرع لهبوط المنحدر. وأثمرت تجاربه أسلوباً جديداً مغايراً لتقنيات التزلج المعتمدة آنذاك. وتميز الاسلوب الجديد بتباعد الساقين (وليس ضمهما) لتوازن أفضل، و"الجلوس" الى الخلف (وليس الى الامام) عند المنعطفات. وهو استخدم عصي التزلج بطريقة خرجت عن المألوف، لدفع نفسه أثناء التزلج. وساعده الاسلوب "الثوري" الجديد على تقصير وقت السباق بنسبة مثيرة. وهو اقتنص عامي ١٩٦٦ و١٩٦٧ كل الجوائز الرئيسية في التزلج، كما حاز ثلاث ميداليات ذهبية في دورة الالعاب الاولمبية التي أقيمت في السنة التالية، مسجلاً رقماً قياسياً في سباقات التزلج لم يحطم بعد.

تعلم كيلي سراً مهماً يشاركه فيه كثير من المبدعين، وهو أن الابداع لا يحتاج الى عبقرية، بل الى استعداد لاعادة النظر في الطرق التي اعتاد الناس استخدامها.

٥. **تعلموا من اخطائكم.** أياً يكن المدى الذي تبلغونه في اعداد أنفسكم، فثمة أمر واحد أكيد: لا مفر من الاخطاء التي ترافق التجربة. ولا يمكن كاتباً أو مندوب مبيعات أو رياضياً أن يتفادى الاخطاء اذا دأب على تحدي قدراته.

ان خيبات الامل تسبق النجاح في كل دروب الحياة.

عندما أصبح جيم بيرك رئيس قسم جديد للمنتجات الجديدة في شركة "جونسون وجونسون" للمستحضرات الصحية والصيدلانية، كان أحد أولى مشاريعه انتاج مرهم جديد لصدر الطفل. ولاقى المرهم الجديد استقبالاً "بارداً" في الاسواق وتوقع بيرك أن يُطرد من عمله.

لكنه فوجىء، عندما استدعي الى مقابلة رئيس الشركة، بحرارة الاستقبال. سأله روبرت وود جونسون: "أأنت الرجل الذي كلّفنا كل ذلك المبلغ؟ حسناً، أريد فقط أن أهنئك. اذا كنت ترتكب أخطاء فذلك يعني أنك مستعد للمخاطرة، ولن ننمو نحن الا اذا كنت كذلك."

وقد واصل بيرك نشر هذا المبدأ عندما أصبح، هو نفسه، بعد سنوات رئيساً لشركة "جونسون وجونسون."

باعتناقكم مبدأ المخاطرة تحققون أكثر مما تظنون أنكم قادرون على تحقيقه، كما تحوّلون حياتكم مغامرة مثيرة تستحثكم وتكافئكم وتجدد شبابكم على الدوام.

روبرت ج. كريغل
ولويس باتلر ■



- ليس الناشط من يقول ان النهر قذر، بل من يسعى الى تنظيفه.

روس بيرو - رجل اعمال امريكي ومرشح سابق لرئاسة الجمهورية

- الحكمة هي الميزة التي توفر عليك الوقوع في مشاكل تحتاج الى الحكمة للتخلص منها.

دوغ لارسون - كاتب

- التفاؤل خيار فكري.

ديانا شنايدر

- اصعب ما علينا ان نتحمّله اثناء اتّباعنا حمية، هو عدم البوح بذلك.

جيرالد ناخمان في صحيفة سان فرنسيسكو كرونيكل

- من الصعب غالباً التمييز بين "الضربات القاسية" و"ضربات الحظ".

فريدريك فيليبس

- المعرفة هي القوة، شرط ان تعرف الشخص المناسب.

ايثل واطس مامفورد

- لن تُعتبر البسالة يوماً عتيقة الطراز.

وليم ميكبيس تاكيري

- الكسل هو الاستراحة قبل الاحساس بالتعب.

جول رونار

- يمكنك ان تبني عرشاً بواسطة الحراب، ولكن لا يمكنك الجلوس عليه طويلا.

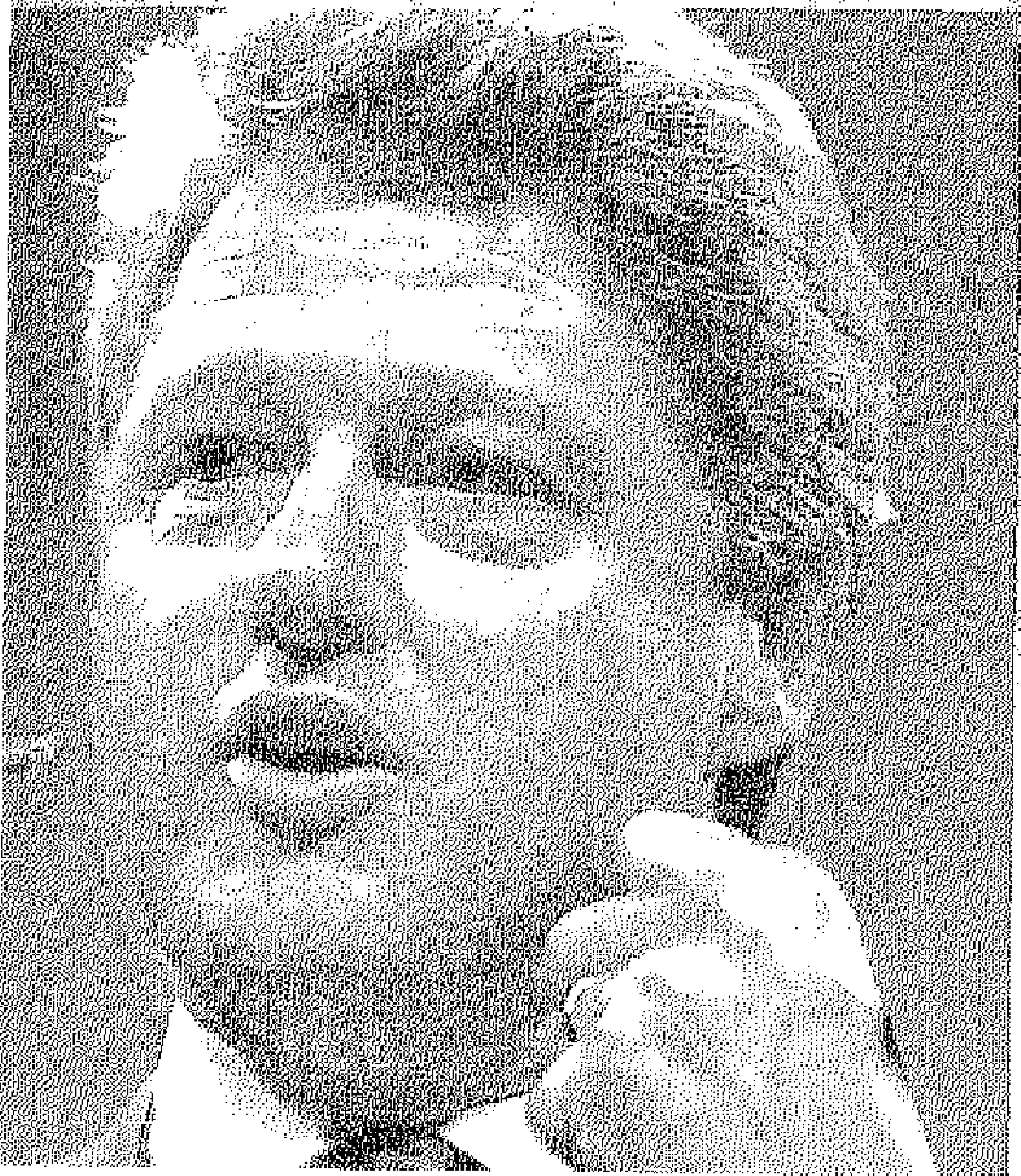
بوريس يلتسين

- احد اخطر الاخطاء البشرية هو نسيان امرىء ما يحاول انجازه.

نيتشه

خاص بالـ"ريدرز دايجست"

وجهاً لوجه
بوش - كلينتون
الزعامة والمستقبل



حوار المتنافسين: جورج بوش في مواجهة بيل كلينتون.

ماذا عن رؤيا الرئيس بوش المستقبلية؟هل شخصية الحاكم كلينتون هي المشكلة؟ ماذا عن تحديد ولاية اعضاء الكونغرس؟ وكلفة الضمان الصحي؟ والدعم الامريكي لروسيا؟ وقوانين الحماية التجارية؟ والحق في العمل؟

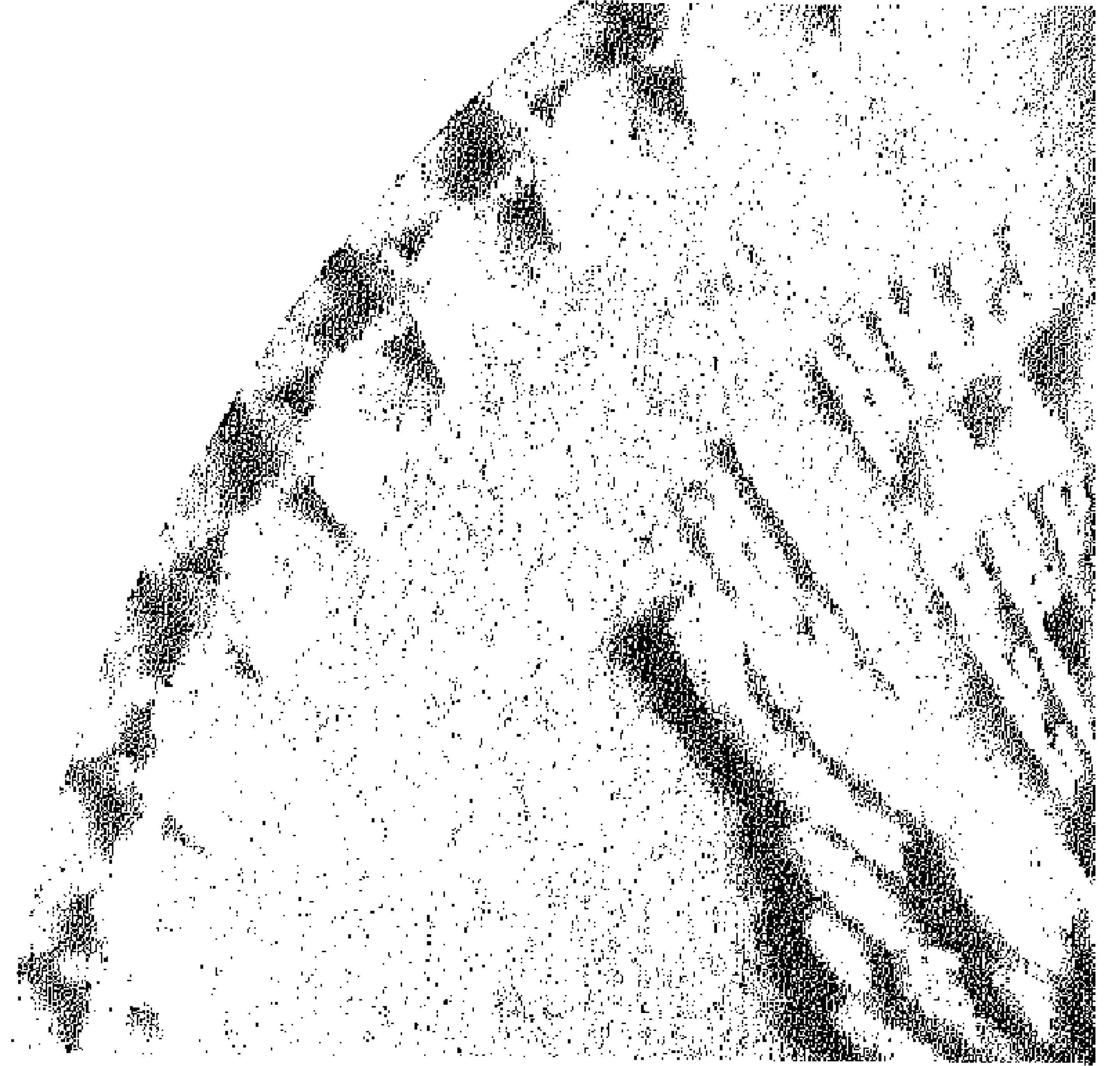
التقى محررون من الـ"ريدرز دايجست" مع المرشحين في مقابلتين منفصلتين وهذه خلاصة اجاباتهما عن هذه الاسئلة التي طرحت عليهما:

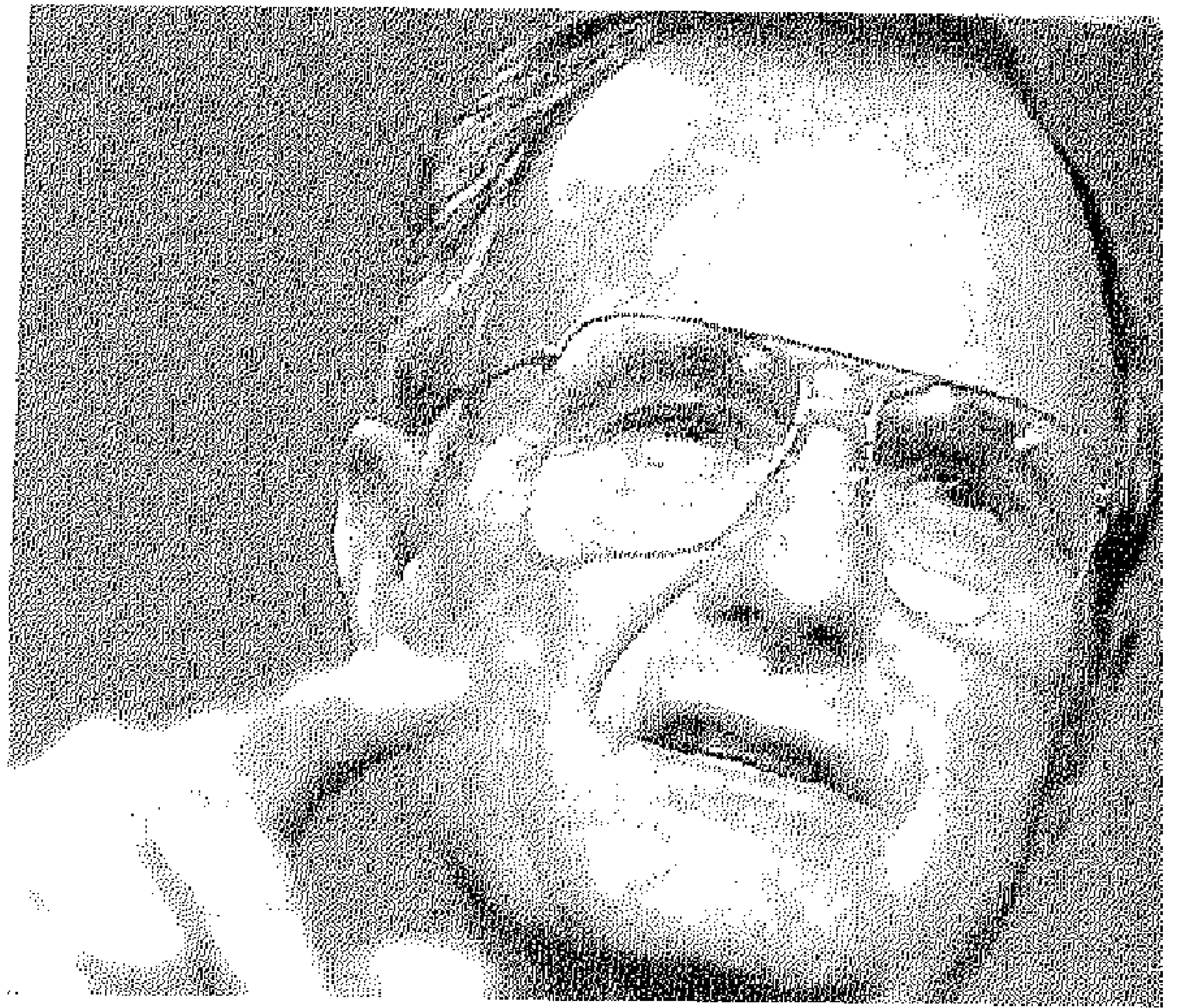
الاقل طوال فترة حكمه ونحن فعلنا ذلك مرة ايضاً. لكنني اضطررت الى استخدام حقي في نقض مشاريع زيادات ضريبية وسوف استمر في هذه السياسة، اما برنامج الحاكم كلينتون فيتضمن ضرائب جديدة بالاخص على المصالح الصغيرة. ان المصالح الصغيرة هي العمود الفقري لاقتصادنا وهي الامل في تعافٍ نشط للاقتصاد.

كما انني فخور بما انجزناه في مجال السياسة الخارجية. وعندما يهاجمني كلينتون على "تدليل" صدام حسين فانه مخطىء تماما. لقد جلس هو جانبا فيما كان عليّ انا ان اتخذ القرار الصعب حول الحرب والسلم، كما انضم الى الديموقراطيين في الكونغرس الذين وقفوا في وجهي في كل خطوة قائلين: "لنترك الحظر يفعل فعله." اما الآن فهو يدعي انه كان مع قرار الحرب.

لست متشائما بمستقبل امريكا واعتقد اننا نختلف في هذا الامر، على الاقل من خلال سماعي لخطاباته. يتحدثون عن بلد ينهار. لن يكون ذلك البلد الولايات المتحدة الامريكية! فنحن نتمتع بصادرات مزدهرة وانتاجية اكثر مما عرفناه في تاريخنا.

كلينتون: اعتقد ان الفارق الاهم هو انني ارى دور الحكومة في خلق مجتمع عالمي حديث. يؤمن الرئيس بوش باقتصاد القطارة، اي ان المهمة الرئيسية للحكومة الاتحادية هي المحافظة على معدل ضريبة منخفض على الشركات





رجلان وسياستان

□ **ما هي الفروقات بينك وبين منافسك؟**

بوش: لدينا فارق رئيسي في ما يتعلق بالمشكلة الاقتصادية. انا اعتقد ان الحل هو في تشجيع النمو الاقتصادي ولا احبذ زيادة الضرائب. لقد فرض كل رئيس امريكي زيادة الضرائب مرة واحدة على

الكبيرة ثم الابتعاد عن طريقها لتتخذ القرارات المتعلقة بالاستثمار والتي تدعم النمو الاقتصادي.

انني اؤمن بأن اقتصاد القطّارة قد فشل ولا اعتقد اننا نستطيع العودة الى اعتماد فلسفة الضرائب - الانفاق، انما يجب النظر الى كل سياسة، سواء اكانت تربوية ام ضريبية، من منظار وضع مصلحة الشعب اولا ورفع مستوى الافراد حتى يستطيع كل منهم ان ينال افضل فرصة ممكنة لتحقيق قدراته التي حباه الله اياها.

وعلينا، في نظري، ان نكون جبهة واحدة - حكومة ومؤسسات تجارية ويدا عاملة ومؤسسات تربوية - نعمل على الاستثمار والمراهنة على قدرة الاقتصاد على المنافسة في سوق عالمية شرسة. انني اؤمن بأن علينا ان نخلق نظرية جديدة للحكم.

□ هل يمكن، عموماً، خدمة الاقتصاد عبر تخفيف التدخل الحكومي او زيادته؟

كلينتون: في استطاعة الحكومة ان تقوم بعمل جيد عبر ارساء البيئة المناسبة والحوافز حيث تتمكن الشركات التجارية من خلق فرص عمل جديدة. في المانيا، مثلا، تتولى الحكومة ضبط نفقات العناية الصحية. اما نحن فلا نفعل ذلك وبهذا المعنى لا دور فعلياً للحكومة. من ناحية اخرى نحاول ان نتدخل بتفاصيل تقديم العناية الصحية للمواطنين بطريقة تجعلها اكثر بيروقراطية وكلفة وتتسبب في مضايقات كبيرة جدا لكثير من الاطباء والممرضات وخبراء العناية الصحية. انني ارغب في حكومة اكثر فاعلية ولكن اقل بيروقراطية.

بوش: عبر تخفيف التدخل الحكومي بلا شك بتقليص عدد القوانين وحفز الاستثمار من خلال النظام الضريبي وبخفض ما تأخذه الحكومة من جيب العامل ورجل الاعمال.

ان حفز النمو الاقتصادي يتم بواسطة منح الناس فرصا ضريبية: علاوات استثمار معفاة ضريبيا، قروض بقيمة ٥٠٠٠ دولار لمن يشتري منزلا للمرة الاولى، تعديل الضريبة على التوفير الفردي حتى يكون للناس مرونة اكثر في طريقة انفاق اموالهم من دون التعرض للعقوبات، خفض الضرائب على ارباح الرساميل مما يشجع على خلق فرص عمل جديدة ويحفز النمو الاقتصادي. كل هذه تعني تدخلا حكوميا اقل، وهنا ايضاً يكمن فرق رئيسي مع خصمي.

□ تشير استطلاعات الرأي الى قلق لدى الناخب الامريكي حول شخصية الحاكم كلينتون. هل من موجب لذلك؟

كلينتون: ابداً. على الشعب الا يقلق حول ما اذا كانت لدي قوة الشخصية لأكون رئيساً للجمهورية. لقد تعرضت شخصيتي امام الشعب الامريكي لهجوم

لا سابق له، كما كانت للشعب نظرة محدودة او خاطئة جداً عمن اكون وكيف عشت حياتي. لقد عشت حياة تسمح لي بتفهم معاناة الانسان الامريكي العادي والتعاطف معه، وقيمي هي قيم الغالبية العظمى من الشعب الامريكي.

بوش: دعوا الناخب يقرر بحرية موقفه من شخصيتي وشخصيته وسوف ابقى بعيدا عن مهاترات التجريح، لكنني اؤمن بأن موضوع الشخصية، في اطارها العام، هو موضوع الساعة وقد اختبرني الشعب على مدى سنوات.

رؤيا رئيس

□ تشير استطلاعات الرأي الى قلق الناخب حول انعدام الرؤيا لدى الرئيس. هل من موجب لذلك؟

بوش: ان الرؤيا لدي هي نفسها رؤيا الشعب، اكان ذلك يتعلق بالقيم العائلية او بتقليص الدور الحكومي، او بتحفيز التعافي الاقتصادي على نحو متعارض مع السماح للحكومة باختيار الرابحين والخاسرين في المجال الاقتصادي.

وعلى الناخبين ان ينظروا في ما عرضته من افكار واذا رغبوا في التغيير فليغيروا عندئذ المؤسسة الوحيدة التي لم تتغير منذ ٣٨ عاماً اي سيطرة الديموقراطيين على مجلس النواب.

كلينتون: لا شك في ذلك. يرى الرئيس ان البلاد لا تعاني مشاكل اساسية عميقة، اما انا فأرى اننا تعرضنا لخسارة مستمرة على مدى العشرين عاما الماضية. ان اعادة هذه البلاد الى مركز المنافسة والقوة وجعلها ملأى بالفرص ثانية تتطلب افكاراً حول دور الحكومة مختلفة جدا عن افكار الرئيس بوش.

□ في ما يأتي لائحة تتطلب اجوبة "نعم أو لا" لنساعد الامريكيين في فهم موقفيكما من بعض القضايا المطروحة. هل انت مع خفض نسبة الضرائب على ارباح الرساميل؟

بوش: نعم.

كلينتون: في حالات الاستثمارات المنتجة الطويلة الاجل فقط. علينا ان نمنح الحوافز للاستثمار اذا شئنا لها ان تخلق فرص عمل جديدة فعلاً.

□ هل توافق على قرار المحكمة العليا الاخير منع اقامة الصلوات في حفلات التخرج في المدارس الحكومية؟

كلينتون: لست متأكداً من انني اوافق. وينبغي النظر الى مسألة الصلاة في الاحتفالات العامة من زاوية كونها قسرية او جائرة في حق غير المتدينين، ولا اعتقد انها كذلك في الاحتفالات الشعبية العامة مثل حفلات التخرج، على الاقل في تسع مرات من عشر.

بوش: كلا.

□ **هل تناصر فكرة الصلاة الاختيارية في المدارس الحكومية؟**

بوش: انني أناصر هذه الفكرة بقوة. واذا كان مجلسا النواب والشيوخ يفتتحان جلساتهما بالصلاة - وهما في حاجة اليها - فلماذا لا يصح ذلك في المدارس الحكومية؟ ولكن مع قرار المحكمة العليا كما ورد اعتقد اننا في حاجة الى تعديل دستوري.

كلينتون: انني لا احبذ تعديلا دستوريا قد يخلق، في شكل ما، مناخا ضاغطا على الجماعات التي تخالفك في معتقداتك الدينية او على غير المتدينين. لا تنس ان لديك امة تتشكل الآن من ١٥٠ مجموعة عرقية واتنية مختلفة.

□ **هناك قانون اتحادي يسمح للولايات بسن قوانين تعطي العمال خارج الاتحادات العمالية الحق في العمل. هل تعتقد ان هذا القانون يجب ابطاله؟**

كلينتون: مشاعري نحوه مختلطة، فاذا وافق الكونغرس على ابطاله فسوف اوقع انا المرسوم، اما اذا شاءت منشأة ان تنضم الى الاتحاد، فعلى العمال غير الاعضاء في الاتحاد ان يدفعوا بعض المال في مقابل اي فوائد يحصلون عليها في رواتبهم وتعويضاتهم نتيجة للمفاوضات. وهذا ما يسمى التمثيل العمالي، واعتقد انه شرعي.

بوش: كلا.

□ **هل تحبذ فكرة تحديد ولاية اعضاء الكونغرس؟**

بوش: نعم.
كلينتون: كلا.





□ هل يمكن، او يجب، فعل اي شيء لتقليص العدد الهائل من الدعاوى القضائية في البلاد؟

كلينتون: هناك عدد من الاشياء يمكن فعلها: يجب ان تكون لدينا مجموعة من القواعد الارشادية حول ممارسة الطب كجزء من عملية اصلاح نظام الرعاية الصحية الوطني، ويفترض انه لا يمكن اتهام الاطباء الذين يعملون ضمن اطار هذه القواعد بالاهمال، وسوف يخفض هذا امكان اللجوء الى القضاء.

وما نحتاج اليه في كل ولاية هو آلية بديلة لحل النزاعات تشجع الافراد على السعي وراء طرق خارج المحاكم.

بوش: يرغب الشعب الامريكي في وضع حد للدعاوى القضائية المفرطة في الاثارة، وقد تقدمت باقتراحات متكررة من الكونغرس للحد من مثل هذه الدعاوى. اننا شعب يقاضي افراده بعضهم بعضا في شكل مفرط ويهتمون قليلا ببعضهم بعضاً.

احد المجالات التي يدرك الشعب الامريكي ابعادها بالفعل هو هذه الاتهامات المثيرة الى الاطباء بالتقصير المتعمد في اداء واجباتهم وهي قضايا تضاعف من كلفة الرعاية الصحية، وتقدر تكاليفها بين ٢٥ و٥٠ مليار دولار سنوياً.

لكن الكونغرس تقاعس عن التحرك لاقرار اقتراحاتي. ان "لوبي" محامي الدفاع يسيطر على زعامة الديموقراطيين في كل من المجلسين في الكونغرس، ويدعم هذا اللوبي منافسي. انهم اقوياء وذوو سلطة، يضخون اموالا كبيرة في

عملية الانتخاب وسوف اواجههم مرة واخرى حتى نتمكن من تحقيق مصالح الشعب الامريكي.

"حرب النجوم"

□ هل تحتاج الى الاستمرار في تطوير مبادرة الدفاع الاستراتيجي (ما اتفق على تسميته "حرب النجوم")؟

بوش: نعم. لقد ربحنا الحرب الباردة وماتت الشيوعية الامبريالية العدوانية واعتقد ان لا امل في احيائها. لكن التهديد لهذه البلاد يأتي من المجهول الذي لا يمكن التنبؤ به. فقد يحصل ديكتاتور في مكان ما على سلاح نووي ويهدد به الولايات المتحدة الامريكية، وافضل طريقة للوقاية هي نظام الدفاع الاستراتيجي. انه نظام يمكن تطويره بنجاح. واذا كانت صواريخ "باتريوت" قد ادت عملها بنجاح (في حرب الخليج) فان نظاما كهذا يمكن ان يكون فاعلا.

كلينتون: هناك بعض المنطق وراء استمرار البحث عن نظام دفاعي يعتمد الصواريخ التي تطلق من الارض، وسوف اوافق على تمويل مبادرة الدفاع الاستراتيجي ولكن على مستوى اقل مما تفعله ادارة الرئيس بوش.

كانت الطبعة الامريكية من الـ"ريدرز دايجست" نشرت في يوليو (تموز) نتائج استطلاع للرأي، على مستوى الامة، كشفت ما سمي "الفجوة العائلية." اذ اظهر الاستطلاع فوارق بارزة في الرأي حول القضايا الثقافية تتناول آراء وميولا للازواج الذين لديهم اطفال من جهة ولاولئك الذين لم ينجبوا اطفالا والعزاب ايضاً. وفي ما يأتي ثلاثة اسئلة وردت في الاستطلاع.

الام العاملة

□ اذا لم تكن هناك حاجة مالية توجب العمل، هل على الام التي لديها اطفال صغار السن ان تبقى في المنزل كل الوقت لتربية اطفالها؟

كلينتون: اعتقد ان العائلة هي التي يجب ان تقرر ما ينبغي فعله في هذا الشأن، ولكنني اعتقد كذلك بضرورة وجود مرحلة من توثيق العرى العائلية عندما يكون الاطفال صغارا. وهذا احد الاسباب التي تجعلني احبذ فكرة الاجازة الطبية للام ما دام هناك اعفاء للمصالح الصغيرة التي يمكن ان تنوء تحتها الام. انا لا اريد ان افرض آرائي على الآخرين. لم يكن لدينا خيار آخر في عائلتنا. فقد عملت والدتي وجدتي حتى بلغت انا الرابعة من عمري. لكنني لا ارى اني ملزم تقرير ايهما النموذج الافضل: المرأة العاملة ام المرأة المنصرفة الى تربية اولادها.

بوش: انني اوافق على ذلك مع ان الواضح ان الام لها الحق في ان يكون لديها مهنة. انني تقليدي في افكاري عندما يتعلق الامر بالعائلة، واحد الاسباب التي جعلت من عائلتنا عائلة قوية وثيقة العرى هو ان بربارة (زوجته) استطاعت ان تمنح اطفالنا الكثير من الحب والعناية

خلال سنوات تكونهم. أنني اؤمن بان بقاء المرأة في المنزل، اذا استطاعت، ورعاية اطفالها، ما لم تكن هناك حاجة ماسة الى العمل، يؤدي الى نتائج افضل.

الرعاية الصحية

□ ماذا يمكن عمله في ما يتعلق بكلفة الرعاية الصحية وبتوافرها؟

كلينتون: اننا ننفق الكثير الكثير على التأمين وعلى الادارة وعلى الاجراءات غير الضرورية، كذلك نحن ننفق الكثير الكثير بسبب القوانين الحكومية.

يجب ان نفرض اصلاحات في مجال التأمين لنقول لشركات التأمين انه لا يمكن منع التغطية عن الناس لانهم عانوا مشاكل صحية سابقا. يجب ان تتوافر لدينا شبكة اساسية من العيادات الصحية تؤمن الرعاية الاولية والوقائية في مدننا ومناطقنا الريفية. علينا ان نبسّط عملية فوترة النفقات جذرياً لنوفّر عشرات مليارات الدولارات، ومن ثم علينا ان نشجع الناس على الانضمام الى مجموعات رعاية صحية اوسع حيث لا حوافز مالية لاجراء عمليات بقطع النظر عما اذا كانت ضرورية أو لا. وسوف تمكننا هذه الامور، في رأيي، من تأمين نظام اساسي للرعاية الصحية لكل الامريكيين وتوفير الاموال التي ننفقها الآن.

بوش: توفر خطتي للرعاية الصحية التأمين للجميع عبر الائتمانات الضريبية ودمج الموارد التأمينية والتحكم باسعار الخدمات الصحية. اما الحاكم كلينتون فيدعم شيئا مماثلا لخطة مساتشوستس التي ادت بالاعمال الى الهرب من الولاية. انها سياسة غير مجدية وسوف تؤدي بالتكاليف الى الارتفاع الى حدود لم تعرفها من قبل.

من الافضل المراهنة على ما يمكن ان يفعل بدلا من محاولة جر الحكومة لتولّي كل الشؤون. وانا افضل البقاء بعيداً عن خطط تأميم الطبابة التي سوف تخفض نوعية الرعاية الصحية في الولايات المتحدة عموماً.

حرية التعليم

□ هل تحبذ برنامج اختيار المدرسة الذي يسمح للوالدين باستخدام الاعانات الحكومية لارسال اطفالهم الى اي مدرسة يختارون بما في ذلك المدارس الدينية والمدارس الخاصة؟

بوش: من دون ادنى شك. اننا في مرحلة تسويق مشروع قانون يسمح لاطفال افراد القوات المسلحة بفعل ذلك. انني اؤمن بان هذه السياسة لن تخفض مستوى التعليم الحكومي بل ستنمّيه.

عندما انهيت خدمتي العسكرية شاركت في مخطط للقوات المسلحة ولم يقل لي احد انني استطيع الالتحاق بجامعة حكومية فقط او جامعة خاصة فقط ولكن لا يحق لي الالتحاق بجامعة دينية. قالوا لي وقتها: يمكنك الذهاب حيث تشاء.

وقد ادت تلك السياسة الى ازدهار في كل الجامعات كما رفعت نوعية الجامعات الحكومية. اما الحاكم كلينتون فلا يحبذ الاختيار عندما يتعلق الامر بالمدارس الدينية مستشهدا بالمعارضة الدستورية. لماذا يصح مشروع القوات المسلحة في الجامعات ولا يصح في المدارس الابتدائية والثانوية؟

كلينتون: كلا. انني مع حرية اختيار المدرسة حيث يتمكن الاولياء من اختيار مدرسة حكومية بديلة، ولا احبذ استخدام الاعانات الحكومية في المدارس الخاصة لان هناك تفاوتا شاسعا بين المقاطعات ولانني اؤمن بان التعليم الرسمي يمكن ان يكون فاعلا اذا ما تم اصلاح نظام التعليم الرسمي.

□ هل على السيدة الاولى ان تلعب دوراً سياسياً في البيت الابيض؟

كلينتون: اذا ما انتخبت رئيسا للجمهورية فسوف اعمل لان يكون لزوجتي هيلاري دور ما، ان تكون صوت الطفولة الامريكية الحقيقي، وتحاول تغيير بعض من سياساتنا لرفع مستوى تربية الاطفال وتنمية روابط عائلية اقوى. فهي، بعد كل شيء، قد عملت لاكثر من ٢٠ عاما مع صندوق حماية الطفل وقلة امثالها في هذه البلاد ممن عملوا بهذا المقدار في هذا الحقل.

بوش: كلا، ليس في هذا البيت، فزوجتي بربارة وانا ندرك انني الرئيس المنتخب للولايات المتحدة وهي لم تحاول ان تحشر انفها في اجتماعات الحكومة. لقد انجزت بعض الاشياء النبيلة الرائعة من اجل بلدها في حقول شتى مثل مكافحة الامية والعناية بالاطفال وفي اظهار الحاجة الى مساعدة المبتلين بفيروس فقدان المناعة المكتسبة (الايدز) او الذين يعانون الفقر والبطالة والعجز، وهي لا تشعر بانها محرومة حقوقها لانها لا تتدخل في القرار حول كل قضية تشريع مطروحة امام الكونغرس.

حماية الاقتصاد

□ هل يقلقك الاتجاه العالمي نحو حماية الاقتصادات القومية؟

بوش: انه مصدر قلق ولكن الولايات المتحدة الامريكية لن تنحو هذا النحو. انني وراء معاهدة تجارة حرة بين دول امريكا الشمالية ومع المكسيك وكندا الامر الذي يصب في مصلحة شاغلي الوظائف من الامريكيين. ولقد تصاعدت صادراتنا الى المكسيك في شكل مثير واذا ما حصلنا على معاهدة تجارة حرة فسوف تنمو اكثر. كذلك ان مستوى المعيشة في المكسيك سيتحسن وسوف يكون المكسيكيون اقدر على مواجهة التزاماتهم البيئية. اما عندنا فسوف يتحسن الوضع بسبب الوظائف الجديدة. انني شديد التحمس بالنسبة الى النتائج المتوقعة.

ومن المهم كذلك ان ننهي جولة

المفاوضات في الاوروغواي حول الاتفاق العام للتجارة والتعريفات ولن نكون الخاسرين فنحن في حاجة الى حرية الوصول الى اسواق الدول الاخرى.

كلينتون: لقد استفاد العالم بوضوح من زيادة حجم التجارة الدولية، ومن الصعب على دولة غنية ان تصبح اغنى بغير القدرة على التصدير ومن المستحيل على الدول الفقيرة ان تتخلص من فقرها.

ولكننا لا نستطيع اتخاذ موقف متزمت، نظري مجرد. فما دمنا نمتلك النظام التجاري الاكثر انفتاحا بين كل الدول الكبرى، فيصبح الاحتمال اقوى في ان نخسر الكثير من الوظائف الصناعية من دون ان نتلقى تعويضات كافية. اننا نتمتع بفائض تجاري مع اوروبا، لكن الاوروبيين يقولون: "سوف نخلق اسواقاً اوروبية مغلقة، ولن تزيد نسبة السيارات المبيعة في اوروبا والمصنوعة في الخارج على ١٦ في المئة."

قد يكون عقد اتفاق تجاري سليم مع المكسيك ذا قيمة كبيرة جداً جداً ولكن يتوجب علينا صوغه بطريقة ترفع مستوى العمالة وقوانين حماية البيئة على الضفة الاخرى لنهر ريو غراندي، بدلا من تأمين فرص جديدة للرساميل للهرب الى حيث العمالة ارخص.

ماذا يحسم المعركة؟

□ ما هو العامل الذي سوف يقرر نتيجة هذه الانتخابات في النهاية؟

كلينتون: اعتقد انها سوف تكون سباقاً بين التغيير والخوف من التغيير، بين الامل والخوف عموماً وبين الافكار الجديدة وماضٍ اكثر استرخاء.

اذا قرر الشعب الامريكي ان علينا فعل الاشياء بطريقة مختلفة عما كانت خلال الاثنتي عشرة سنة الماضية فسوف يقترع عندها لمصلحة بيل كلينتون.

بوش: سوف نشهد الكثير من الشعارات الانتخابية الخطابية وسوف يكون لكل مرشح برنامج من ست نقاط او ثماني نقاط لحل هذه المشكلة او تلك.

ولكن الانتخابات لن يقررها في المحصلة النهائية هذا البرنامج او ذاك، انها سوف تكون: بمن يثق الشعب الامريكي ليعهد اليه في مسؤولية رئاسة الولايات المتحدة؟ سوف يتساءل الناس: مَنْ من المرشحين لديه الخبرة، وسوف استشهد انا بخبرتي في محاولة ارساء قواعد سلام عالمي وخفض الرعب النووي ومحاولة دفع الاقتصاد قدماً وتأييد الاشتراعات المناهضة للجريمة والبرامج الجديدة لاصلاح النظام الصحي. انني واثق من ان الشعب في النهاية سوف يضع ثقته بي لاربع سنوات أخر.

□ ماذا بعد، اذا كان هناك من بَعد، على الغرب ان يفعل لدعم الديموقراطية والاصلاحات الاقتصادية في روسيا وماذا يفترض بالرئيس بوريس يلتسين ان يفعل؟

بوش: لقد كان علي ان اكافح باقصى جهدي لاقناع الكونغرس بالموافقة على مشروع قانون دعم الحريات لمساعدة روسيا. انني ادعم الاصلاحات التي يقوم بها الرئيس يلتسين ليخلق في روسيا ليس مجرد اقتصاد سوق حرة موجهة فقط بل سوقا هائلة للمنتجات الامريكية. ان قانون دعم الحرية هو افضل دليل على نياتنا الحسنة والرئيس يلتسين ممتن جداً لذلك.

كلينتون: كنت على الدوام من المناصرين الاقوياء لمساعدة الاتحاد السوفييتي على تسهيل تنفيذ الاصلاحات الاقتصادية، وهذه مسألة نتفق عليها، الرئيس بوش وانا، اتفاقا كاملا.

العلاقات مع الصين

□ ما هي الخطوات التي يجب ان تتخذها الولايات المتحدة الامريكية لدعم دعاة الحقوق الانسانية والاصلاحات الديموقراطية في الصين؟

كلينتون: اعتقد انه كان علينا الا نجدد الاتفاقات التجارية مع الصين باعتبارها الدولة الاكثر رعاية من دون فحص دقيق. كان علينا ان نمنح الوضع التجاري المميز للقطاع الخاص في الصين ونحافظ على بعض الحظر على المصالح التي تملكها الدولة. انني ادرك ان هناك منحى في آسيا، اتبعته تايوان، لجعل التحرر الاقتصادي يسبق التحرر السياسي، ولكن ذلك يختلف عن السحق البربري لحقوق الانسان الذي شهدناه في الصين ويجب ان نكون اكثر حزما بازاء الصين، ولسوف اكون كذلك.

بوش: لا احد احس بالاساءة والغضب مما جرى من وحشية في ميدان تيانانمين اكثر مني، وقد اتخذنا الاجراءات المناسبة فَقُدْنا العالم في فرض قيود حظر على الصين، حققت بعض المكاسب وفرضت اطلاق بعض دعاة حقوق الانسان. ويتعاون المسؤولون الصينيون اكثر في موضوع تصدير تكنولوجيا الصواريخ ولكن امامهم طريقا طويلة في مسألة حقوق الانسان. ويجب ان نحتفظ بالقيود على الصين ولكن يجب، في الوقت نفسه، الا نقطع علاقاتنا معها بالغاء صفة الدولة الاكثر رعاية تجارياً. ان الفرصة الفضلى للاصلاح والتغيير في الصين هي دفع الاقتصاد الصيني الى النجاح بحيث تأتي معه الحريات السياسية.

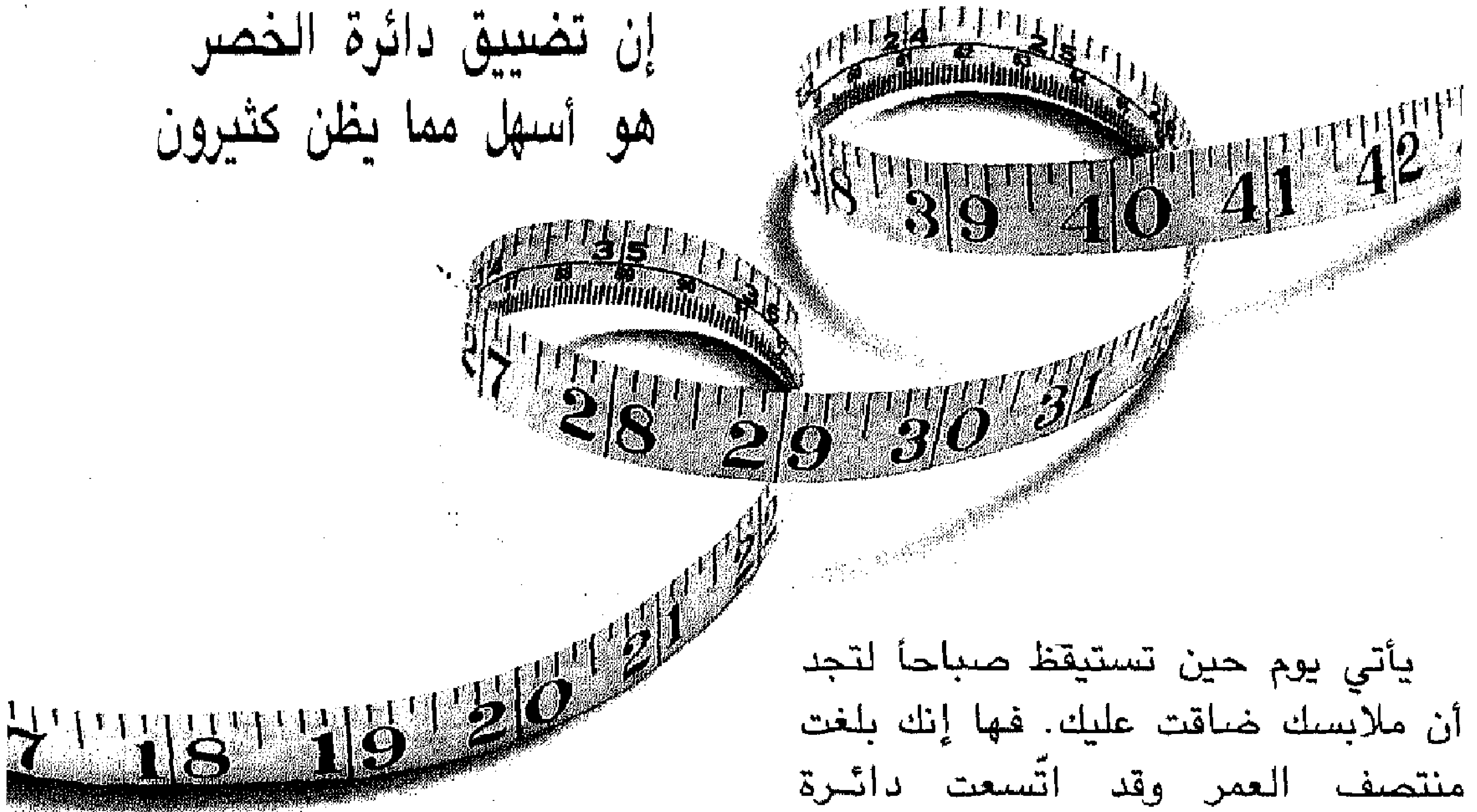
نظرية نسبية

سأل استاذ اللغة طلابه: من يستطيع اعطائي مثلاً على النسبية؟ فاجابه احد الطلاب: "ثلاث شعرات على الرأس قليلة نسبياً، لكن ثلاث شعرات في صحن حساء كثيرة نسبياً."

ل.ب.

لِخصرٍ أنحف في ٣٠ يومًا

إن تضييق دائرة الخصر هو أسهل مما يظن كثيرون



يأتي يوم حين تستيقظ صباحاً لتجد أن ملابسك ضاقت عليك. فها إنك بلغت منتصف العمر وقد اتّسعت دائـرة خصرك.

في نحو السن العشرين يأخذ معظم العضلات والاعضاء في التقلص، فتقلّ حاجة الجسم الى الوحدات الحرارية (الكالوري)، وفي الوقت ذاته يتباطأ الايض.* ويقول الدكتور روبرت كوشنر الخبير بالتغـذية وضبط الـوزن إن "المفارقة هي أنه، في حين تتضاءل الحاجة الى الطاقة الحرارية وعمليات الأيض، نجد معظم الناس يفرطون في الأكل ويخففون من تمارينهم." والحصيلة هي أن الشخص المتوسط العمر يزداد سمنة.

إلّا أن اتساع دائرة بطنك مع تقدمك في السن ليس أمراً يتعذّر تفاديه. فهنا، استناداً الى أحدث الأبحاث، السبل الفضلى لتنفيس ذلك الانتفاخ غير المرغوب فيه. ويتفق خبراء التغذية على

(*) . الايض (metabolism) هو مجموع التغيرات الكيميائية التي تؤمن الطاقة الضرورية للعمليات والنشاطات الحيوية في الجسم.

أن اتّباعها بدقة سيكسبك خصراً أنحف في فترة لا تزيد على ٣٠ يوماً.

مارس الرياضة بذكاء. ان التمرين الحيهوائي (ايروبيك) هو أساس الخطط الرامية الى حرق الدهن، لأن له الفضل الأكبر في حفز الأيض. وكل نشاط يرفع نبض القلب لمدة لا تقل عن ٣٠ دقيقة هو نشاط مناسب. والتمارين الفضلى تشمل التزلج وتسلّق السلالم والمشي السريع والركض وركوب الدراجة الهوائية.

يبدأ احتراق مخزون الدهن في غضون عشرين دقيقة من التمرين. وكلما ارتفع معدل نبض القلب وطالت فترة التمرين ازداد عدد الوحدات الحرارية المستهلكة. ويعتقد بعض الباحثين أن التمارين الحيهوائية يمكن أن تحرق وحدات حرارية بمعدل أسرع من العادة لمدة ٢٠ أو ٣٠ دقيقة بعد انتهاء التمرين.

أما أهم ميزات التمارين الحيهوائية فهي أنها، كما تدل الأبحاث الأخيرة، تخفض دهن البطن أولاً وبمعدل أسرع. وقد بيّنت دراسة برنامج حيهوائي مكثّف في جامعة واشنطن استغرقت ستة أشهر، أن الرجال الذين أجريت عليهم هذه الدراسة أنقصوا دهن خصورهم بنسبة ٢٠ في المئة، أي ما يقارب ضعفي ما فقدوه في سواعدهم وأرجلهم. والنتائج الفضلى تنجم عن التمارين الحيهوائية المشفوعة بتمارين رفع الاثقال. ففي دراسة لجامعة مساتشوستس استغرقت ١٦ أسبوعاً، تجاوز نقص وزن متّبعي الحمية الذين مارسوا التمارين الاضافية النقص الذي سُجّل لدى أولئك الذين مارسوا تمريناً واحداً.

إن رياضة رفع الأثقال تنمّي العضل. وكلما اكتنز عضلك ارتفع نشاط أيضك، وذلك ليس بعد التمرين فحسب وإنما على الدوام.

يقول المستشار الرياضي واين وستكوت: "اذا كسبت ما بين كيلوغرام وكيلوغرامين من العضل – وهو الكسب النموذجي الذي يوفره برنامج رفع الأثقال لمدة ثمانية أسابيع – ففي إمكانك أن تحرق عشرات الوحدات الحرارية الاضافية يومياً بمجرد قعودك وعدم اتيانك أي حركة."

كُلْ حسناً. الأمر واضح وفي منتهى البساطة: اذا استوعبت وحدات حرارية أكثر مما تحرق، فالفائض يُختزن مادة دهنية. لكن الأبحاث تدلّ على أن الوحدات الحرارية ليست كلها متساوية، والدهن هو سبب التباين.

فقد اكتشف الباحثون في جامعة كورنيل أن خفض الدهن يتيح لك إنقاص وزنك من دون اعتبار للوحدات الحرارية. وفي احدى الدراسات أجريت مقارنة بين مجموعتين: شملت الأولى أشخاصاً ذوي نسبة مرتفعة من الدهن حُدّد لهم ان يتناولوا يومياً ما يعادل ٢٠٠٠ وحدة حرارية فقط، وشملت المجموعة الثانية أشخاصاً ذوي نسبة متدنية من الدهن أُطلقت حريتهم في أكل ما يشتهون على

أن يلتزموا خفض استهلاك الدهن من النسبة التي يتناولها الشخص العادي والتي تولّد ٣٧ في المئة من الطاقة الحرارية الى نسبة تولّد ٣٠ في المئة أو أدنى كما يوصي الخبراء. وبعد ١١ أسبوعاً بيّنت الدراسة أن نقص الوزن عند أفراد مجموعة الدهن المنخفض بلغ ضعفي النقص لدى عناصر المجموعة المقابلة.

ولتحديد كمية الدهن التي تؤمن ما بين ٢٥ و٣٠ في المئة من طاقتك الحرارية اليومية، يتعين عليك أن تراقب طعامك بتسجيل عدد غرامات الدهن التي تحويها كل حصة، حسبما هو مدوّن على ملصقات السلع الغذائية، واحتساب مجموع ما تناولته من دهن في أثناء النهار. فالرجل العادي يستهلك نحو ٢٤٠٠ وحدة حرارية في اليوم، وتستهلك المرأة ١٩٠٠ وحدة. ومن أجل الحد من كمية الدهن بحيث تؤمن ٢٥ في المئة من مجموع الطاقة الحرارية، يجب ألا يزيد ما يأكله الرجل من الدهن يومياً على ٦٦ غراماً وما تتناوله المرأة على ٥٣ غراماً.

فبدلاً من الاكثار من الجبن واللحوم الدسمة، تناول الخضر والفواكه ومشتقات الحبوب مثل الخبز والمعكرونة. فالوحدات الحرارية المتولدة من الكربوهيدرات (السكر والنشاء) تحترق بسرعة أكثر من بقية الأطعمة، وليس من السهل تحويلها دهناً. والى ذلك، فأطعمة الكربوهيدرات قد تطلق هرمون الادرينالين الذي يستهلك مزيداً من الوحدات الحرارية.

يوصي الخبراء بالحصول من مواد الكربوهيدرات المركبة على ٢٥ في المئة من الطاقة الحرارية. وفي غداء مؤلف من المعكرونة وصلصة البندورة وخبز القمح الكامل والقنبيط واللبن ما يفي بالمرام.

ثمة سلاح سري واحد في الحرب المعلنة على السمنة، هو الماء. وبحسب الدكتور جورج بلاكبرن، فان ما يبدو في الغالب احساساً بالنهم الى الطعام ليس في الواقع الا نَهماً الى الماء. فاذا شربت الماء مراراً في أثناء النهار، خصوصاً لدى شعورك بالجوع، فيمكنك أن تتفادى الانغماس في التهام الطعام.

حين تقرر اتباع نظام حمية، تروَّ وفكر جيداً في ما أنت مقبل عليه، بذلك ينصح العالم النفساني السريري مايكل لوي. ويضيف: "كثيرة هي برامج الحمية الفَرْضيَّة. فاذا خططتَ بنفسك البرنامج الذي ستتبعه، ونظمتَ برنامج تمارينك، فان التزامك إياهما سيكون أفعل."

تذكّر أيضاً أن عليك، لكي تنقص نصف كيلوغرام من الدهن من وزنك، أن تحرق ٣٥٠٠ وحدة حرارية زيادة على ما تتناوله، وأن هذا النوع من الحرق لا يتم بسرعة. اذاً، لا تتصور أن في امكانك انقاص وزنك ١٠ كيلوغرامات خلال شهر واحد. فذلك بعيد جداً عن الواقع.

فما هو الواقع اذاً؟

قدِّر أولاً وزنك المناسب واجعله هدفك. فاذا كنت رجلاً، إنطلق من أساس ٤٧,٥ كيلوغراماً لقامة طولها ١٥٠ سنتيمتراً،

وأضف كيلوغراماً لكل سنتيمتر إضافي من الطول. وعلى النساء أن ينطلقن من ٤٤،٥ كيلوغراماً لـ ١٥٠ سنتيمتراً، وأن يضفن ٨٥٠ غراماً لكل سنتيمتر زائد. فاذا كان عليك ان تفقد خمسة كيلوغرامات أو ما دونها، ففي مقدورك تحقيق هدفك في غضون شهرين.

هنّئ نفسك حالما تظهر عليك بوادر النجاح. انما لا تحكم على نفسك بقسوة إن منيت بخيبة. وحتى إن انحرفت عشرين في المئة عن مسارك المقرّر، فإنك تكون حققت نجاحاً بنسبة ٨٠ في المئة. وذلك سبب وجيه للمثابرة.

وتبشّرك جوان هيسلن المؤلّفة المشاركة لكتاب "خطة غزو الدهن" بالآتي: "قد يتسنى لك أن ترتدي الملابس التي كانت بقياسك في السن الثامنة عشرة."

وما يزيد من أهمية الأمر أنه يعزى الى البطون الضخمة التسبّب في مرض القلب وارتفاع ضغط الدم والسكتة الدماغية (الفالج) وداء السكّري. شذّب دائرة خصرك فتبدو أكثر نحافة وتشعر بأنك في حال أفضل. والى ذلك، فإنك ستعيش، على الأرجح، عمراً مديداً.

ريتشارد لاليبرتي ■



علامات زيادة الوزن

دليلك الى ملاحظة الزيادة في وزنك:

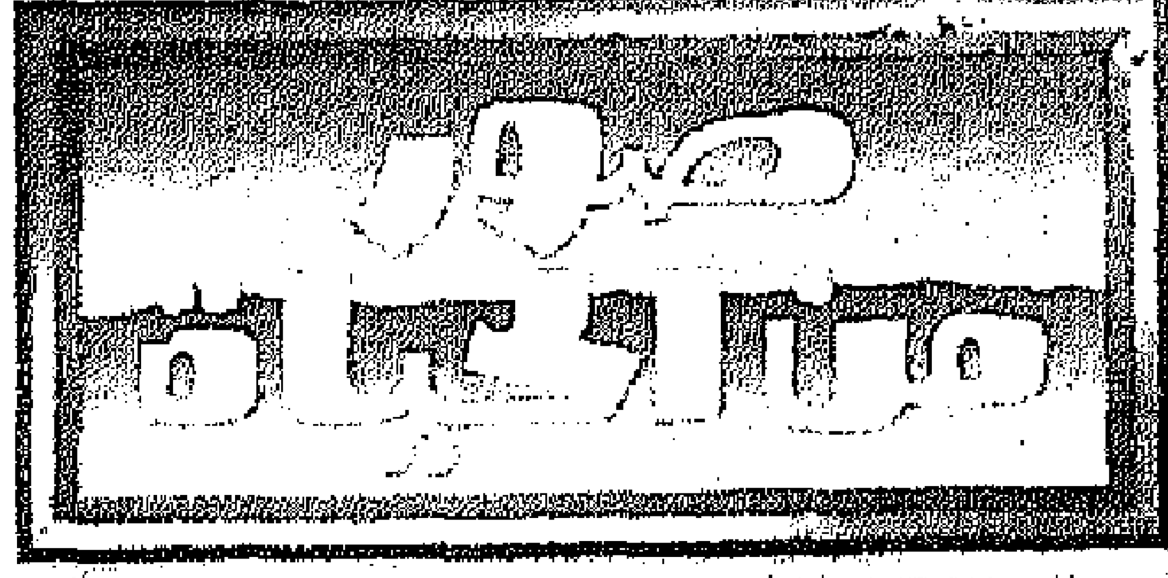
- **حين يبدو لك الاشخاص الذين تعتبرهم زائدي الوزن نحافاً.**
- **حين تهم بدخول مصعد يشغله ثلاثة، فيصيحون في وقت واحد: المصعد ملآن.**
- **حين يقول لك اصدقاؤك انك كنت تبدو لهم اطول.**
- **حين يمرّ بك سائق سيارة اجرة ويتجاهل وجودك.**
- **حين تضيق الخزانة باثوابك.**
- **حين يعرض عليك النادل لائحة الحلوى اولا.**
- **حين يقتضيك وقت اطول من المعهود لتنشيف جسمك بعد الاستحمام.**

ج.س.

طريقة لانقاص الوزن

نظم احد المستشفيات برنامجاً للحمية باهظ الكلفة. وفي نهايته، سئل المنتسبون عن افضل مراحل البرنامج فاجاب احدهم: "المال، المال. فقد كلّفني البرنامج ما كنت سأدفعه ثمناً للطعام، وهذا سبب خسارتي وزني."

هـ.ك.



شال الحرير

■ اعتدتُ ارتياد مطعم صغير في المدينة يقدّم اطباقاً شهيّة. وكان ابن صاحبة المطعم الشاب يجد لذّة في مجالستي والتحدّث الي لبضع دقائق قبل ان تأتي والدته حاملة اليّ الطبق الذي طلبته. وذات يوم لم يكن الشاب في المطعم، فتقدمت مني الأم مبتسمة تحمل علبة، فاسقط في يدي واعتقدتُ انها توهّمت ان ثمة علاقة عاطفية تربطني بابنها وحرت في ما سأقوله لها. ثم وضعت العلبة امامي وفتحتها واذا بشال حرير رائع، فاخذتُ نفساً طويلا ثم سألتها: "هذا لي؟" اجابت: "نعم، بعشرين دولاراً."

د.وو

الزوج اولا؟

■ تعمل ليلى زوجة الكاتب نبيل، في مكتب عقاري. وذات يوم تلقّت اتصالا من مستفسر عن بيت للبيع في جوار منزلها، فمضت تشرح له ميزاته ونوعية ساكني الجوار قالت: "هناك الجرّاح وطبيب الاسنان والرسام الشهير..." فهمس لها زوجها: "لا تنسي ان تذكري له الكاتب." فوضعت يدها على سماعة الهاتف وتطلعت الى زوجها متسائلة:

- ومن يكون الكاتب؟

ر.ا.

عرف السبب...

■ كان الطبيب النفسي يجيب، في لقاء اذاعي، عن اسئلة المستمعين حول تفسير الاحلام. فتلقى اتصالا من مستمع يقول انه لا ينفك "يبصر" في نومه كابوساً فيرى نفسه في بيت يحترق والحرارة تكاد تخنقه واللهب يكاد يطاوله. فاجابه الطبيب أن الاحلام غالباً ما ترمز الى نقاط تدور في حياة الانسان. وحاول ان يعرف هل الرجل يمرّ بفترة "حامية" او ربّما يعيش اجواء مشاحنة مع عائلته، فكان الجواب دائماً "لا". في النهاية سأله الطبيب: "ما هي مهنتك؟"

اجاب: "اطفائي".

ب.م.

ما كان فات

■ قال السائق المخالف، منفعلا، للشرطي الذي يناوله محضر الضبط: "الم ترَ سوى سيّارتي تنظم بها مخالفة حتى تكمل حصتك الشهرية المتوجبة من المحاضر؟"

فاجابه الشرطي بهدوء: "سيدي، لقد الغي مبدأ الحصص الشهرية، وبات في وسعنا ان ننظم محاضر قدر ما نشاء."

ك.هـ

لغز الاظافير الارجوانية

حيّر مرضه الاطباء. لكنه لم يكن يشكو من داء، بل كان يحتضر لسبب رهيب آخر

في ١٢ فبراير (شباط) ١٩٨٧ أدخل وليم لين غرفة الطوارىء في مستشفى غريفسند قرب لندن للمرة الثالثة في غضون شهر على أثر نوبات تقيؤ وإسهال ألمت به. وكان في الماضي يتمتع ببنية قوية، أما الآن فقد خسر ١٨ كيلوغراماً منذ شهر ونصف شهر، وتساقط شعره الفضي الكثيف خصلا وهزل جسمه وغارت وجنتاه.

ولما رآه الدكتور داني روتا يدخل عيادته مترنحا قال في نفسه: "هذا الرجل يحتضر." فمدّده على سرير للحال، ووصل به شبكة أنابيب وريدية تضخ اليه ليترات من السوائل التي فقدها. لكنه لاحظ رائحة عفونة تنبعث من نفَس لين. فأكب وزميله الدكتور شبير حيدر على العمل لمعرفة أسباب مرض لين.

وكانت غالبية الاحتمالات استُبعدت في وقت سابق. فعندما مرض لين للمرة الاولى في بداية يناير (كانون الثاني) اعتقد الأطباء أنه مصاب بجرثومة معوية. لكن الاختبارات أظهرت خلو جسمه منها. وخرج من المستشفى بعد أربعة أيام وقد زالت آلام معدته واستعاد شهيته وبدأ يسترجع الكيلوغرامات التي فقدها.

لكنه عاد الى المستشفى بعد أسبوعين، فآثر الأطباء إبقاءه فيه فترة أطول ريثما يتاح لهم التعرف أكثر الى حقيقة مرضه. فصوّروا امعاءه بالأشعة واستأصلوا أنسجة منها، فلم يظهر لهم أي أثر لالتهاب في غشاء القولون. فشكّوا في وجود حصى صفراوية أو مرض في الكبد أو تهيج في البنكرياس، لكنهم لم يعثروا على أي من هذه الاعتلالات. وعاد لين بعد أسبوعين الى منزله وهو يشعر بتمام العافية.

ولكن بعد أربعة أيام على عودته تدهورت صحته فأُدخل المستشفى للمرة الثالثة مما أوقع الأطباء في حيرة. وارتاب الدكتوران روتا وحيدر في أن يكون لين يحاول ايذاء نفسه لكي يأخذ إجازة مرضية أو ليحصل على تعويض من

شركة التأمين بحجة إصابته بعطل دائم. لكن لين بدا مرتبكاً مثلهما لا يعرف ما به.

لم يبق أمام الطبيبين سوى احتمالات ضئيلة. فاشتبه الدكتور روتا في امكان وجود ورم نادر في المعدة، لكن نتيجة فحص الدم جاءت سلبية. ثم مدتهما أظافير لين بمفتاح للغز. ففي مرحلة أولى، تكوّنت في قاعدتها خطوط أرجوانية، ثم أخذت تتساقط واحداً تلو آخر. بيد أن طبيب الجلد الذي استدعاه روتا عزا تساقط الاظفار الى التوتر الذي استبدّ بالرجل من جراء مرضه.

لقد استُنفدت كل الاحتمالات وأجريت جميع أنواع الفحوص. لكن الدكتور حيدر فكّر في احتمال أخير قد يكشف سر هذا المرض.

كان لين يتردد الى المستشفى والمرض ينهش جسمه على نحو مرعب. وكان في كل مرة يشفى بسرعة على رغم عدم قيام الأطباء بأي علاج يفسر تحسن حاله، فيعود الى بيته وقد استعاد شهيته، ويتناول وجبة أو وجبتين، ثم يتمرد جسمه من جديد.

في أثناء الجولة الصباحية على المرضى دخل الطبيبان حيدر وروتا غرفة لين الصغيرة وأغلقا الباب خلفهما، ثم بادره الدكتور حيدر سائلاً: "يا سيد لين، هل تظن أن أحداً يحاول تسميمك؟"

جلاء الحقيقة. السم هو الوسيلة الفضلى لاثارة الغثيان. يسهل إعطاؤه ويصعب اتقاؤه. كما أنه وسيلة خفية لارتكاب جريمة والابتعاد عن مسرحها لدى حصول الوفاة. واليوم، على رغم الطرق المتطورة لكشف ألوف من المواد الكيميائية في عينة صغيرة جداً، ما زالت بعض السموم مراوغة يتعذر كشفها اذ لا يتوافر لدى الاطباء "فحص للسموم" واحد وبسيط. وإن لم تتوافر دلائل لتضييق مضمار البحث يضطر الاطباء الى التمعن في دراسة لائحة مواد كيميائية محددة، وإن لم يوفقوا في العثور على ضالتهم عَدَلوا عن البحث.

عندما تطرق الدكتور حيدر الى موضوع الجريمة كانت عملية التشخيص بلغت حداً منافيا للعقل. وبعد نفاد كل الأسباب المحتملة فكر الطبيبان في ذلك الاحتمال المستبعد وغاصا في متاهات لا أول لها ولا آخر. ولكي يكونا على بيّنة من الوضع، أرسلا عيّنات من الدم والبول لتحليلها بهدف التحقق من وجود آثار زرنيخ أو ثاليوم فيها، وهما نوعان من السموم يسببان أعراضاً كتلك التي يعانيها لين. لكن التحاليل لم تفدهما.

وهزىء لين نفسه من فكرة تسميمه. فهو ليس ثرياً ولا أعداء له، وليس لأحد مصلحة في قتله. انه نجار كادح ورب عائلة، وعلى علاقة طيبة مع مطلقته، وقد عاش حياة هانئة مكرساً نفسه لرغاية أولاده الخمسة. كما لم يتعرض يوماً لمشاكل مع السلطات، وخطيبته التي يحبها امرأة عطوفة.

التقى لين ماري ماركي غرين في أواخر ١٩٨٣ ولم يفترقا منذ العام ١٩٨٥.

بدت غرين للطبيبين امرأة هادئة رصينة، لكنها في البيت مفعمة بالنشاط والمرح، تتولى أعمال التنظيف والمشتريات وتعدّ الطعام. ولما مرض لين لم تتأخر في اصطحابه الى الطبيب وعيادته كل يوم في المستشفى. وفي الفترات المتقطعة التي تخللت إقاماته المتكررة في المستشفى كانت تعتني به في المنزل. مع ذلك كان لكل الأطعمة التي تعدها مذاق كريه، حتى كأس الماء التي تقدّمها اليه. وقد تبرم لين من هذا الأمر صراحة قائلا: "إن مذاقها كالسم،" ظناً منه أن المياه ملوثة.

وفي مارس (آذار) ١٩٨٧، بعد إقامة لين الثالثة في المستشفى، حزمت غرين أمتعتها فجأة وغادرت المنزل. وعلّلت ذلك لاحقاً بأنها سئمت التفرغ لخدمته. وكان لين آنذاك مريضاً جداً، فلم يعترض على قرارها مدركاً أنه على وشك الموت. وقبع ينتظر النهاية.

إلّا أنه تمكن من النهوض في اليوم التالي وتناول بعض الطعام. ثم شعر بأنه أفضل حالا في اليومين التاليين ومشى أكثر من ١٥٠٠ متر.

بعد ثلاثة أسابيع على رحيل غرين تلقى لين رسالة من متجر محلي تنبئه بأن "زوجته" مدينة للمتجر بنحو ٣٤٠٠ دولار، فاعتقد أن ثمة خطأ ما، وراح يبحث عن دفتر التوفير في أرجاء البيت، فاكتشف عندئذ أنه مفقود. وانجلت له الحقيقة وعرف أن ماري كانت تدسّ له السم.

أين المجرمة؟ روى لين قصته للشرطة. ولكن لم يكن لديه ما يثبت صحتها سوى مرض مريب وحساب توفير خال، مما لا يشكل اثباتاً لمحاولة قتل. واكتفى الشرطي بتدوين التفاصيل ثم صرف لين.

قرر لين وشقيقه القيام ببعض التحريات. لكن أحداً من أصدقاء غرين لم يكن يعرف وجهتها. أخيراً نصح أحدهم شقيق لين بالبحث عن رجل يدعى جايمس هوبس.

لم يتعرف الدكتور روتا الى الرجل المعافى الذي دخل عليه في المستشفى وقد كسا شعر جميل رأسه ونضح وجهه عافية.

ولما انتهى لين من سرد قصته اتصل روتا بالشرطة قائلا: "يستحسن أن تأخذوا قصة هذا الرجل جدياً."

أوكلت قضية لين الى التحري الرقيب مايكل ألن الذي تقفى أثر هوبس وعرف منه أن ماري غرين اقتربت منه قبل سنة فيما كان جالساً على مقعد في السوق وأعطته بعض المال بشرط أن يتوجه الى متجر خاص ويشتري لها زجاجة صغيرة من مادة مضادة للصدأ تُستعمل لصقل الاواني المعدنية.

قصد ألن المتجر واشترى زجاجة من تلك المادة وأرسلها الى مختبر الشرطة حيث أظهرت التحاليل أن السائل يحتوي على الحمض السلنيومي* وهو نوع فتاك من السلنيوم. ووضع الاختصاصي بالسموم لائحة بالأعراض التي تسبّبها جرعة زائدة من السلنيوم: تساقط الشعر، الاسهال، الغثيان، نقص الوزن، تغير لون الأظافير وسقوطها. وكان السائل بلا رائحة، لكن السلنيوم الموجود فيه يترك في النَفس رائحة شبيهة برائحة الثوم فضلا عن مذاق كريه في الفم.

توافرت لدى ألن سلسلة من الاثباتات، وبات يعرف الحافز على القتل والوسيلة المستعملة. إلا أن غرين ظلت متوارية.

في ٣١ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ تلقى ألن اتصالا من شرطة هوف وهي مدينة ساحلية قريبة من برايتون في جنوب بريطانيا. فقبل فترة قصيرة وظف مجلس بلدية المدينة امرأة للعناية بالمراحيض العامة. ولما كان الاولاد يستعملون هذه المراحيض فقد تعيَّن النظر في السجل العدلي للموظفة. وكانت في سجل "ماري غرين" إشارة الى وجوب إخطار الرقيب ألن بمكانها.

توجه ألن في اليوم التالي الى هوف، واجتمع بالمرأة من دون أن يطلعها على هويته. ولما أخبرته أنها عاشت في غريفسند كشف لها أنه من رجال الشرطة وقبض عليها بتهمة التسميم بنيَّة القتل.

محظوظ. ظلت غرين بعد اعتقالها تدعي أنها بريئة وأن القضية ليست سوى كذبة ملفقة. فهي لم تسرق ولم تدفع أي فواتير ولم تتعرف الى جايمس هوبس ولم تسمع بالسلنيوم. كما أصرت على نفي ظهور أي أعراض على لين نتيجة تناوله الطعام الذي كانت تعدّه.

فكشف لها ألن طلب اعتماد مصرفي كتبته بخطها وقدمته باسم زوجة لين السابقة ودونت عليه تاريخ ميلادها هي، ورسالة مزورة بخط لين موجهة الى المصرف يطلب فيها ارسال دفتر شيكات الى بيته.

أخيراً اعترفت غرين بتهمتي السرقة والتزوير. لكنها استمرت في إنكار ضلوعها في أي جرم آخر. فرفعت القضية الى المحكمة.

لم تتمكن هيئة المحلفين من تجريم غرين بتهمة محاولة القتل على رغم اقتناع المحلفين بأنها دست السم. فهؤلاء بدوا مقتنعين بأنها تعمدت إنهاك لين ريثما تسلبه كل ما يملك. وصدر الحكم في النهاية بسجنها خمس سنوات.

ليزا ديفيس ■

(*) Selenious acid

الضحكة بين شخصين هي احيانا دليل حبّ ابلغ من ايّ دليل آخر.

اوسفالد ويند

عَيْنٌ عَرَفَتْ فَذَرَفَتْ

مثل عربي

دخلت "مطعم الصحة" وطلبت من النادل طعام الفطور: "من فضلك، أريد بيضتين مقليتين وجهاً وقفاً، وبطاطا مسلوقة ومقلية، وفطيرة بمربى التوت، وفنجان قهوة خالية من الكافيين، وعصير برتقال طازجاً."

فضضت الجريدة، وما إن بدأت قراءة العناوين حتى عاد النادل بالقهوة وقال لي: "تفضل يا سيدي، لكن الادارة تصر على أن نحذرك من أن استهلاك ثلاثة فناجين من القهوة أو أكثر في اليوم قد يزيد خطر إصابتك بسكتة دماغية (فالج) أو بسرطان المثانة. وهذه القهوة خالية من الكافيين، لذا تلزمني الادارة أن ألفت انتباهك الى أن عملية إزالة الكافيين قد تخلّف في حبة البن آثاراً لمواد مسببة للسرطان."

كنت فرغت من قراءة الصفحة الاولى عندما عاد النادل ومعه طعام الفطور. وبدأ محاضرته: "إن لم يكن البيض مقلياً جيداً فقد يحتوي على السلمونيلا، وهي



كائن حي يسبب التسمم بالطعام. ويحوي صفار البيض كمية كبيرة من الكولسترول، وهذه مادة تؤدي دوراً كبيراً في تصلب الشرايين وأمراض القلب. وتوصي جمعية جراحي القلب بعدم أكل أكثر من أربع بيضات في الاسبوع، خصوصاً في حال المدخنين والاشخاص الذين يزيد وزنهم أكثر من ٤،٥ كيلوغرامات على الوزن المعتدل."

هنا "بلعتُ" بطني.

واسترسل النادل في كلامه: "البطاطا من عائلة الباذنجانيات، وأي بقع مخضرَّة على قشرتها دليل على آثار سم قلوي يدعى "سولانين." وقد ورد في "دليل الطبيب" أن السولانين يسبب تقيؤاً وإسهالاً وغثياناً حاداً. لكن البطاطا التي طلبتها قشرت بعناية فائقة، وقد وافق بقّالنا على تحمل المسؤولية التي قد تتأتى عن تناولها.

"وتحتوي فطيرة التوت على طحين غني بالفيتامين وبيض وزبدة وتوت وذرور خبز (بيكنغ باودر).[١] لكنها خالية من الالياف. هنا يحذر معهد الدراسات الغذائية من أن الحمية الفقيرة بالألياف قد تزيد خطر الاصابة بسرطان المعدة والامعاء. كذلك يحذر مركز النقاء الحميوي من إمكان تلوث الطحين بمبيدات الفطر والقوارض واحتوائه على آثار من فطر الارغوت الذي قد يسبب هذياناً وتقلصات وتشنجات في الشرايين.

"والزبدة غنية بالكولسترول. وإن يكن أحد من أنسبائك الاقربين أصيب بنوبة قلبية، فان وزارة الصحة والخدمات الانسانية تلفت انتباهك الى أن طبيبك قد ينصحك بالحد من استهلاك الاطعمة الغنية بالكولسترول والدهون المشبعة.

"أخيراً، تحتوي ذرور الخَبْز على كبريت صوديوم الالومنيوم.[٢] ويسعى الباحثون الى تبيُّن علاقة محتملة بين الالومنيوم وداء ألزهايمر."[٣]

ثم التقط النادل ابريقاً وأضاف: "علي أن أنبهك أيضاً الى أن عصير البرتقال الطازج هذا حُضِّر في الواقع قبل السادسة صباحاً، والساعة الآن الثامنة والنصف. وقد رفعت الحكومة أخيراً دعوى على مطعمٍ الاكل المنزلي لزعمه أن العصير الذي حضِّر قبل ثلاث ساعات هو عصير طازج. وبانتظار صدور الحكم، أشار علينا المحامون بالحصول على تنازلٍ من كل زبون يطلب العصير."

فوقَّعت الوثيقة التي سلمني اياها، فثبت نسخة منها الى الفاتورة.

واذ امتدت يدي لتناول الكوب استمهلني قائلاً: "هناك أمر آخر، لقد وجدت مصلحة سلامة المستهلك أن أسنان الشوكة التي بين يديك حادة، لذا أرجو أن تتوخى الحذر في استعمالها."

وابتعد بعدما تمنى لي بنغمة مرحة: "هنيئاً!" فانصرفت الى فطوري، فاذا به قد برد.

جون ر. ألدن ■

---

(١) Baking powder

(٢) Sodium aluminum sulfate

(٣) الزهايمر داء يصيب المسنين غالبا ويسبب اعراضا شبيهة بالخرف.

ينضم ألوف المراهقين الى صفوف المدخنين كل يوم. فكيف تحمون أولادكم من الوقوع في الشرك؟

عندما التحق ابن أخي بمدرسته الجديدة، وكان في العاشرة من عمره، اكتشف بسرعة من هم الاولاد الاكثر شعبية هناك، وأراد أن يتمثل بهم. ولما سأله أحدهم إن كان يدخن، كذب وأجابه إنه يفعل. ثم انضم الى ولدين تحت جسر وتذوق سيجارتيه الاوليين.

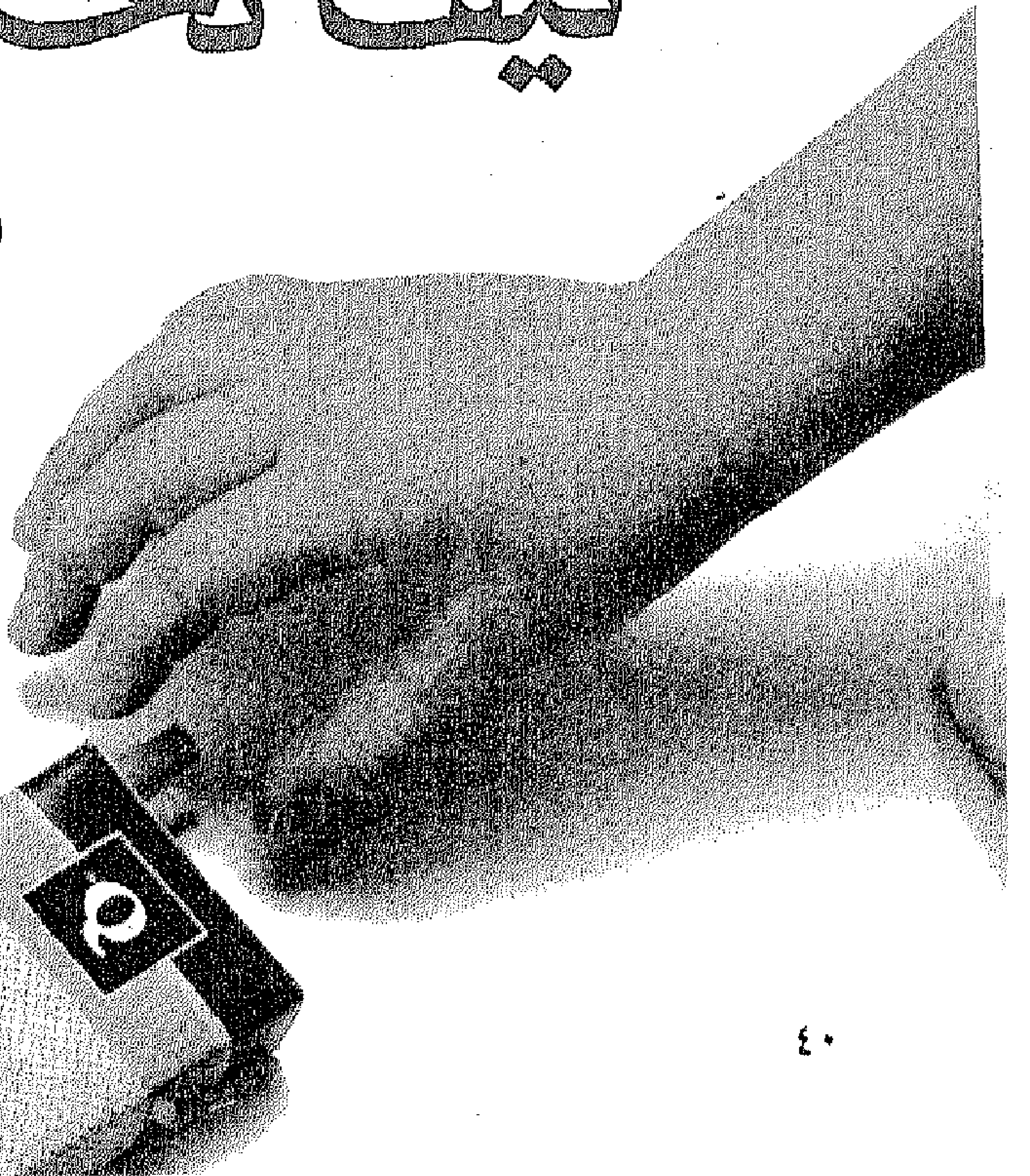
لكن الندم تأكّله في ما بعد بسبب فعلته، فاتصل بوالدته قائلاً: "أماه، حدث أمر فظيع، لقد ارتكبت حماقة فادحة وأنا لست راضيا عما فعلت."

إن الاساس الذي تضعونه كآباء أو أمهات قد يساعد في تقرير ما اذا كان ولدكم سيرفض تجربة تلك السيجارة الأولى، أو يتذوقها ويتوقف للحال، أو يبدأ مرحلة معاناة وعذاب بادمانه التدخين.

تقول زوجة أخي: "كان موقفنا في منتهى الوضوح بالنسبة الى ابننا. فلا أنا ولا والده من المدخنين، كما اننا لا نسمح بالتدخين في منزلنا."

وقد اتت جهودهما هذه بنتائج حسنة، فبعد تينك السيجارتين لم يُعدِ ابنهما الكرّة أبداً.

كيف تحمون أولادكم من شرك التدخين



CONDENSED FROM HEALTHY KIDS 4-10 (FALL '91), NEW YORK, N.Y.
PHOTO: ERNEST COPPOLINO

يبدأ الاولاد في السنوات الأولى من عمرهم تكوين القيم التي سترتكز عليها حياتهم. عندئذ يكون للأهل الدور الأهم والتأثير الأقوى. وتؤكد طبيبة الأطفال مارجوري هوغان أن على الأطفال أن يعلموا أن التدخين ضارّ بالصحة وهم بعد دون الرابعة من العمر. أما إذا انتظرنا بلوغهم سن المراهقة فقد يفوت الأوان.

فماذا يتوجب على الأهل فعله؟

كونوا قدوة صالحة.

يزيد احتمال التدخين أو مضغ التبغ ثلاث مرات اذا كان أحد الوالدين مدخناً. وتقول الدكتورة هوغان: "إذا طلبتم من ولدكم عدم التدخين ثم أشعلتم سيجارة، فإنكم تبعثون اليه برسالة مشوشة غير مفهومة." كما أنكم تعرضون صحته للخطر، إذ يُعتبر دخان السجائر أحد أسباب تلوث الهواء الأكثر انتشاراً وضرراً داخل المنازل. فالأطفال الذين يتنشقون دخان سجائر اهلهم يعانون نسباً عالية من امراض الاذن المزمنة وذات الرئة والوافدة الصدرية وإصابات أخرى في الجهاز التنفسي. كما تبين أن التنشق غير المباشر لدخان السجائر له علاقة بسرطان الرئة ويمكن ربطه بسرطان عنق الرحم والدماغ والغدة الدرقية والثدي وبأمراض القلب.

وإن أخفقتم في الاقلاع عن التدخين فلا تيأسوا، بل تابعوا المحاولة. فكثيرون ممن نجحوا في الاقلاع حاولوا ذلك غير مرة.

وفِّروا المعلومات الضرورية.

إن استهلاك التبغ في مجتمعنا الحاضر هو أهم سبب للوفاة يمكن تجنبه.

اشرحوا لأولادكم أن التدخين ومضغ التبغ يسببان السرطان. ونبِّهوهم الى النتائج السلبية القصيرة الأجل لتعاطي التبغ. يقول طبيب الاطفال الدكتور جوناثان كلاين: "إن الاصابة بسرطان الرئة في مرحلة البلوغ أمر بعيد الاجل وغير مهم بالنسبة الى مراهق. الا أنه سيتأثر أكثر عندما يسمع أن رائحة فمه ستصبح كريهة وعندئذ لن يرغب أحد في تقبيله."

الفتوا أولادكم أيضا الى النتائج القصيرة الأجل الآتية:

- لثياب المدخنين رائحة كريهة.
- تصفرّ أسنانهم وأظافرهم.
- يصبح نفسهم قصيراً.
- تضعف طاقتهم.

اشرحوا لهم مضار التدخين بتعابير يفهمونها. قولوا لهم، مثلاً، إن المال الذي ينفقه المدخن على السجائر كل أسبوع يشتري فطيرة كبيرة من البيتزا وبضعة أشرطة تسجيل.

على الأولاد أن يعلموا أيضا أن النيكوتين، وهو مركَّب شبه قلوي يسبب الادمان والتسمم، يجعل الاقلاع عن التدخين صعبا جداً.

أخيراً، ساعدوا الأولاد ليفهموا أن السجائر ليست إلا مدخلاً الى عالم المخدرات. فقد رُبط التدخين بتعاطي المخدرات لاحقا.

تدربوا على الاجابات.

على رغم كل جهودكم، فان موقف أولادكم من التدخين يبقى عرضة للتغيير عندما يصلون الى الصف الابتدائي الخامس. ففي هذه السن يحاول الاولاد أن ينسجموا مع أترابهم.

حاولوا أن تُفهموا أولادكم أن معظم الناس لا يدخنون، لذلك فالتدخين ليس بالطريقة المثلى للانسجام مع مجتمعنا. ويبدو أن الأولاد يغالون في تقدير عدد المدخنين.

يمكنكم أيضاً المساعدة بتعليم أولادكم كيف يتصرفون إذا ما قدمت إليهم سيجارة. ويلاحظ الدكتور كلاين أن الاحتمال كبير أن يرفض الولد تدخين سيجارة إذا كان جوابه حاضراً.

قبل كل شيء، وفروا لأولادكم وسائل إيجابية تشعرهم بأنهم راشدون ومستقلون. وتقترح إحدى الخبيرات تشجيعهم على الاشتراك في نشاطات رياضية وعلى تنمية هواياتهم.

تحركوا.

اكتشفوا ماذا تفعل ادارة مدرسة ولدكم لمنع التدخين. وشجعوا سياسة حظر التدخين على التلاميذ والمعلمين.

أخيراً، اطلبوا من طبيب الاطفال وطبيب الاسنان إرشاد ولدكم ومحادثته عن أضرار التدخين. فإن لكلمتهما أهمية بالنسبة اليه.

كلما تحركتم عملياً تعاظمت امكانات نجاحكم، بل ربما أنقذتم حياة أولادكم من خطر محدق.

مورا كريستوفر ■



من يفعل خيرا...

اصطحبتُ اولادي في نزهة بالسيارة ذات يوم. وفي الطريق، شاهدت امراة تقف محبطة الى جانب سيارتها. كانت احدى العجلات مثقوبة وهي عاجزة عن استبدالها، فساعدتها على ذلك ثم انطلقنا من جديد.

وفي طريق العودة لاحظتُ ان البخار يرتفع من غطاء محرّك سيارتي، فتوقفتُ جانباً واكتشفتُ ثقباً كبيراً في المشعاع. وما هي الا دقائق حتى وصل سائق شاحنة وسألني عن مشكلتي فاجبته ان شقيقي يعمل ميكانيكياً وقد اتصلتُ به وانا انتظر قدومه. وحين عرف السائق انه ستنقضي ساعة قبل وصول شقيقي، اصطحب اولادي الى مطعم وقدّم اليهم العشاء على نفقته ثم دعانا الى منزل احد اقربائه في الجوار. وحين وصل شقيقي، رافقه ليساعده في اصلاح السيارة. عند الانتهاء شكرت للرجل كرمه اللامحدود فقال: "لا عليكِ سيدتي، فقد شاهدتك هذا الصباح تساعدين تلك السيدة على استبدال عجلة سيارتها، ومن يفعل خيراً لا يجني الا الخير."

ج.م.

تنظيم رهيب يصدّر مجرمين عتاة الى دول العالم

المافيا الروسية تروع الغرب

في ١١ مايو (أيار) ١٩٩١، فيما كان المهاجر السوفييتي إميل بوزيرتسكي جالساً في أحد مطاعم برايتون بيتش في ولاية نيويورك، اقترب منه رجل مقنّع يرتدي ثياباً سوداء، وأخرج من مظلته مسدساً مزوداً كاتم صوت فأطلق النار مرتين على بوزيرتسكي من مسافة قريبة جداً، ثم أفرغ رصاصات أخرى في الجسد الهامد. وبعدما أنهى مهمته قفز الى سيارة كان سائقها ينتظره.

وفي ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٢ كان فياتشيسلاف ليوبارسكي، وهو مهاجر سوفييتي آخر، يتناول طعام العشاء في أحد مطاعم بروكلين في نيويورك مع زوجته وابنه فاديم. بعد ذلك ركبوا سيارتهم عائدين الى المنزل. وما إن نزلوا من السيارة أمام المدخل حتى برز رجل من الظل وأطلق بضع عشرة رصاصة من عيار ٩ مليمتر على الرجل وابنه، ثم أبدل "مشط" المسدس ببرودة أعصاب وأفرغ الذخيرة الثانية في جسد ليوبارسكي الأب.

وحدها السيدة ليوبارسكي نجت من وابل الرصاص.

وفي ٢٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٢ اعتقلت شرطة لوس انجلس مهاجرَين من الاتحاد السوفييتي السابق وهما يقطّعان أوصال رجل قتلاه. كان الاثنان أمضيا

سنوات في السجون السوفييتية ووصلا الى الولايات المتحدة قبل ثمانية أشهر.

ارتكبت هذه الجرائم الوحشية عناصر جيل جديد من المجرمين بدأ يغزو المجتمعات الغربية ويروعها. انهم أعضاء الـ"أورغانيزاتسيا" وهي تنظيم إجرامي سري ينطلق من روسيا ويُعتبر خطره اليوم من أسرع أخطار الجريمة المنظمة انتشاراً في العالم، إذ ينشط آلاف من أعضائه في الولايات المتحدة وأوروبا. واختصاصهم كل عمل إجرامي مجز مالياً، من تزوير عملات الى عقود لتنفيذ عمليات اغتيال. على أن أخطر نُذُر شرّهم أنهم متورطون في تجارة عناصر الأسلحة النووية يحصلون عليها من المخزون الاحتياطي في الاتحاد السوفييتي السابق.

أول الغيث. بدأت قصة تسلل هذه الجماعات الى الغرب في منتصف مرحلة الحرب الباردة، وتحديداً بعد ظهر ٨ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥ في مطار جون ف. كينيدي في نيويورك.

لم يُثْر ذاك الرجل اهتمام أحد عندما أنهى معاملات دخوله الولايات المتحدة. فهو أسمر البشرة، طوله ١٦٧ سنتيمتراً ووزنه ٦٣ كيلوغراماً، واسمه ايفسي أغرون. وكان واحداً من ٥٢٥٠ مهاجراً يهودياً سوفييتياً دخلوا الولايات المتحدة عام ١٩٧٥. وقد أخبر مفتشي دائرة الهجرة أنه صائغ في الثالثة والاربعين من العمر ومن مواليد لينينغراد. لكنه كان في الحقيقة مبتزاً وقاتلا محترفا من عناصر الدفعة الاولى من المجرمين المحترفين الذين أُطلقوا في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية. معظمهم اختارتهم الاستخبارات السوفييتية (ك.ج.ب.) بعناية من بين نزلاء السجون السوفييتية وأفراد عصابات الجريمة المنظمة التي كانت تنمو بسرعة هناك. وكانت الخطة تشمل تخليص البلاد من عتاة المجرمين، ومن ثم استخدامهم لافقاد الجاليات السوفييتية المهاجرة صدقيتها في مواطنها الجديدة، ولنهب خيرات المجتمعات الغربية.

استقر أغرون في قطاع برايتون بيتش المزدهر في بروكلين، وهو قطاع اختاره نحو ٢٠ ألف مهاجر سوفييتي لسكناهم. لم يبدّد أغرون وقته، هو المنظم البارع الذي قسَّت عوده وصقلت مواهبه سنون في السجون السوفييتية ومعسكرات الأشغال الشاقة، فشرع في تجنيد مجرمين ومزوّرين وفارضي "خوّات" محترفين كانوا يصلون الى الولايات المتحدة كل شهر.

عهد الارهاب. بحلول العام ١٩٨٠ كان جباة أغرون يبتزون أكثر من ٥٠ ألف دولار أسبوعياً على شكل خوات من رجال أعمال في برايتون بيتش. وكان من يتمنع عن الدفع يتعرض للضرب والتعذيب بالكهرباء، وأحيانا على يد أغرون نفسه. وهو تورط أيضا في شبكات الدعارة وألعاب القمار، فيما ساد عهد من الارهاب



ديفيد بوغاتين (الى اليمين) ومارات بالاغولا.

كل زاوية يقطنها مهاجرون سوفييت.

وغالباً ما كانت الشرطة تجد نفسها عاجزة عن التدخل. فقلة ضئيلة من المهاجرين اللاجئين كانت تتجرأ على إبلاغها عن جرائم وقعت. وليس ثمة من يجرؤ – والحال هذه – على التعرف الى الفاعلين. فالانتقام قد يكون وحشياً. ذات مرة طعنت زوجة أحد المتورطين حتى الموت، ثم اقتلع القاتل عينيها، بحسب عادة روسية قديمة، لاعتقاده أن صورته ارتسمت عليهما.

يقول بيتر غريننكو وهو تحرّ من بروكلين من أصل روسي: "لاحظنا أن المشكلة تتنامى، وقررنا التصدي لها. لكننا واجهنا اتحاداً من المجرمين فريداً في تكتمه وتراصّه، ثبت أن من الصعب اختراقه."

كانت الاجراءات القضائية تصطدم بتعقيدات كلما تمكن غريننكو أو أحد زملائه من القبض على أحد المشبوهين. فالشهود يرفضون الادلاء بإفاداتهم، وأفراد العصابة متمكنون من القانون الامريكي. وقد أُخلي أحد المشتبه فيهم في جريمة إشعال حريق بحجة أن حقوقه الدستورية تُليت عليه باللغة الروسية، وهو ادعى أنه لم يفهم ما قيل له لكونه مهاجراً من أوكرانيا. وأسرّ أغرون الى أحد معارفه: "إن الامريكيين حمقى."

شملت خطة أغرون توسيع نشاطاته وتنويعها، فأقام تحالفات مع زعماء حلقات اجرامية أخرى في أوساط جاليات المهاجرين السوفييت في مدن الولايات المتحدة وكندا. وتضمنت الاتفاقات، كما أشيع، تبادل تصريف المسروقات وجباة الخوات في محاولة لإرباك الشرطة وتخطي حدود سلطان الولايات.

"عرّاب" ناشىء. لم تكن كل نشاطات هذه العصابات إجرامية فحسب. فقد تسلل نحو مئتين من عملاء الـ"ك.ج.ب."

PHOTO OF BALAGULA: COURTESY NOVOYE RUSSKOYE SLOVO

ومخبريها الى الولايات المتحدة كمهاجرين يهود. عام ١٩٨٥، مثلاً، اعتقلت الشرطة نيكولاي أوغوردنيكوف وزوجته سفيتلانا في لوس انجلس مع عميل مكتب التحقيقات الاتحادي[1] المرتدّ ريتشارد ميلر الذي كان يمدّ الزوجين السوفييتيين بملفات سرية خاصة بالمكتب. وتبين أن نيكولاي أمضى مدة عشر سنين في معسكر للأشغال الشاقة لادانته بجرائم اغتصاب وسطو مسلح. وحكمت محكمة اتحادية أمريكية على سفيتلانا بالسجن مدة ١٨ سنة بتهمة التجسس، وعلى زوجها بثماني سنوات، فيما نال ميلر حكماً بعشرين سنة.

ويفيد ستانيسلاف ليفشنكو وهو ضابط سابق في جهاز الـ"ك.ج.ب." هرب الى الغرب: "لقد اعتاد الجهاز استخدام المجرمين. وكان هؤلاء يُزرعون في الغرب لتعاطي التزوير وزعزعة جاليات المهاجرين." كما كانت الأرباح المجنيّة من الجريمة المنظمة تساهم في تمويل عمليات الـ"ك.ج.ب." في الغرب.

في أثناء ذلك، أصبح أغرون "عرّابا"[2] لاتحاد عصابات مزدهرة من المهاجرين، تحيط به دائرة داخلية من نحو ٢٠ مساعداً وحارساً شخصياً. وقد اقترب نمط حياته من نمط حياة زعماء المافيا، فكان يعقد مجالسه في المطاعم ويستخدم سيارات الليموزين الفخمة في جولاته لجمع ريع نشاطاته الاجرامية، متوقفاً عند زوايا الشوارع ليوزع عطاياه على أتباعه. وسرعان ما انضم فعلا الى المافيا الايطالية في عملية دمج وتوسيع لشبكة من موزعي المحروقات في بروكلين ولونغ آيلند. وكان هؤلاء الموزعون يتلاعبون بدفاتر حساباتهم ليوهموا السلطات أن الضرائب التي تفرضها على المحروقات، وتبلغ نحو ٥٠ سنتاً على الغالون الواحد، قد دُفعت للدولة فيما هي في الواقع تدخل جيوبهم.

نهاية مجرم. فاقت التدفقات النقدية حدّ التصور. ففي غضون ستة أشهر من العام ١٩٨٤ حصد أغرون وشركاؤه ما يقارب ٤٥ مليون دولار. وبعد سنة واحدة قدر عملاء "القوة الضاربة ضد الجريمة المنظمة" أن موزعي أغرون وحُماتهم من المافيا يؤمّنون أو يتحكمون بثلث المحروقات التي توزع في مدينة نيويورك.

وفي ما بعد، اكتشفت وزارة العدل الامريكية عمليات مماثلة في ١٨ مدينة بين بنسلفانيا وكاليفورنيا، وقدّر مسؤولو الوزارة الخسائر الحكومية بمليارات الدولارات سنوياً.

بقي أغرون أبعد من أن يُطال، يحميه "دستور من الكتمان" محترم في أوساط المهاجرين ولا يمكن انتهاكه. لكن مسلحا مجهولا أطلق رصاصتين على رأس أغرون ذات صباح من شهر مايو (أيار) ١٩٨٥، فقُتل على الفور. وكالعادة، لم يسمع أحد أو يشاهد ما حدث.

---

(١) Federal Bureau of Investigation (FBI)

(٢) "العرّاب" لقب يطلق على الرأس المدبر لعصابات المافيا.

في أواخر الثمانينات، كان أكثر من ٢٠٠ ألف مهاجر سوفييتي يعيشون في الولايات المتحدة. ومع أن معظمهم كان يحترم القانون، فما زال من المستحيل معرفة من منهم ارتكب جرائم خطيرة في الاتحاد السوفييتي السابق، وكثيراً ما يتحول أرباب العمل الامريكيون ضحايا إذ يستخدمون مهاجرين محتاجين الى العمل. ففي نيويورك، مثلا، سُرق من "جاردينايا"، وهي شركة مجوهرات يملكها لاجئون مجريون (هنغاريون)، ذهب ومجوهرات بقيمة ٥٤ مليون دولار، والسبب أنها استخدمت عصابة من ٢٥ فرداً من لصوص برايتون بيتش.

الثلاثي الخطر. ما زالت برايتون بيتش الى اليوم مركز الاورغانيزاتسيا في أمريكا الشمالية. وقد تمكن خبراء الجريمة المحليون والاتحاديون من تحديد بضع عشرة من أهم عصابات هذا التنظيم، والتعرف الى قادتها (الباخاني) الذين يسيطرون على القسط الاكبر من العمليات الاجرامية المحلية والحاصلة بين الولايات. ويقدّر عدد الأعضاء العاملين في هذه العصابات بنحو ألف.

هنا ملخص عن ملفات ثلاثة من أخطر زعماء هذه العصابات:

● مارات بالاغولا. العمر: ٤٨ عاماً. مكان الولادة: مدينة أوديسا في جمهورية أوكرانيا السوفييتية الاشتراكية. المهنة السابقة: عميل في السوق السوداء، ولص.

يعتقد المحققون أن بالاغولا المعروف بلقب "الرجل الكبير" كان له دور رئيسي في عملية أغرون للتلاعب بسجلات ضرائب المحروقات. وقد فرّ من البلاد في خريف ١٩٨٦ ليتفادى تنفيذ حكم في حقّه أصدرته محكمة اتحادية بجريمة احتيال في بطاقات الائتمان. ثم اعتُقل في مطار فرنكفورت بعد سنتين، وهو يمضي الآن حكماً بالسجن سبع سنوات، كما يواجه ادعاءً جديداً من السلطات الاتحادية بتهمتي التآمر والاحتيال الضريبي. وتعتقد السلطات الأمنية أنه ما زال صاحب نفوذ في الاورغانيزاتسيا.

● ديفيد بوغاتين. العمر: ٤٧ عاماً. مكان الولادة: مدينة ساراتوف في جمهورية روسيا السوفييتية الاشتراكية الاتحادية. المهنة السابقة: سجين، مزوّر، مخبر معروف لدى الـ"ك.ج.ب."

دينَ بوغاتين، وهو من قدامى الجيش السوفييتي، بالتهرب من دفع الضرائب. فتملص من كفالة بقيمة ٥٠٠ ألف دولار وطار الى أوروبا هرباً من حكم اتحادي بالسجن، فاعتُقل من جديد في فيينا وأُخلي على رغم مذكرة استرداد قدمتها وزارة العدل الامريكية.

ظهر بوغاتين في بولونيا، وهي مركز رئيسي لتبييض النقود[٣] ولتبادلات السوق السوداء التي تجريها عصابات الجريمة

(٣) تبييض النقود (Laundering) يعني توظيف اموال من مصادر غير شرعية وتنقيلها بين مؤسسات مالية مختلفة لاخفاء مصادرها. واهم مصادر هذه الاموال المخدرات والعاب الميسر و"الرقيق الابيض" والتهرب من دفع الضرائب.



افيم لاسكين
(الى اليمين)
واريك روبن.

المنظمة في روسيا والولايات المتحدة. فأسس هناك مصرفه الخاص في مدينة لوبلين برأسمال مدفوع زاد على ١٠٠ مليون دولار. اعتُقل في فبراير (شباط) بناء على طلب الولايات المتحدة، وتم استرداده في ابريل (نيسان) وحُكم عليه بالسجن من سنتين الى ثماني سنوات وبغرامة مالية مقدارها ٣،١ ملايين دولار.

• مايكل سموشكيفيتش. العمر: ٤٦ عاماً. مكان الولادة: مدينة فيلنيوس في جمهورية ليتوانيا السوفييتية الاشتراكية. المهنة السابقة: عالم.

يُظنّ أن سموشكيفيتش هو من كبار زعماء الجريمة المنظمة في الساحل الغربي للولايات المتحدة، على رغم أنه غير مرتبط بتنظيم الاورغانيزاتسيا في برايتون بيتش. وهو كان هاجر الى نيويورك في ابريل (نيسان) ١٩٨١ حاملا أوراق لاجىء. ووجّه اليه اتهام بأنه كان، مع أخيه ديفيد، العقل المدبر لصفقة ضمان صحي بقيمة مليار دولار هي الكبرى في تاريخ الاحتيال في الولايات المتحدة. ومن اللافت أن القنصلية السوفييتية العامة في سان فرنسيسكو منحته جواز سفر في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨١، أي بعد أشهر قليلة على هجرته من الاتحاد السوفييتي، كما أنه يملك جواز سفر مكسيكيا صادراً في العام ١٩٨٨ وآخر اسرائيليا مصادقاً عليه في العام ١٩٩٠.

ربطت النيابة العامة بين سموشكيفيتش وعصابة من المهاجرين السوفييت في سانت لويس. وهو سافر تكراراً الى الاتحاد السوفييتي على رغم وضعه القانوني كمهاجر. ويؤكد الخبراء في شؤون الاستخبارات السوفييتية أن دخول الاتحاد السوفييتي والخروج منه بهذه السهولة غير ممكنين من دون موافقة الـ"ك.ج.ب." ويواجه سموشكيفيتش، الذي أحيل على المحاكمة في أكتوبر

PHOTOS: ENTERPRISE NEWS AND PICTURES — «NOVOYE RUSSKOYE SLOVO»

(تشرين الاول) ١٩٩٠، عقوبة قصوى بالسجن لأكثر من ١٥٠٠ سنة في حال إدانته.

إن هؤلاء المجرمين وتنظيماتهم، مع ما ينطوون عليه من خطورة، ليسوا سوى جزء بسيط من المشكلة. ذلك لأن إزالة آخر العوائق أمام حرية السفر بين الاتحاد السوفييتي السابق (مجموعة الدول المستقلة حالياً) والغرب تفتح الباب على مصراعيه أمام أعداد متنامية من المجرمين. ويقول العقيد المتقاعد جورج ويش الرئيس السابق لمديرية الشؤون السوفييتية في سلاح الجو الامريكي: "إن الفوضى الاقتصادية والفساد في روسي حوّلا البلد الى أكبر محضن لتفقيس عناصر الجريمة المنظمة في العالم. وما شاهدناه حتى الآن ليس الا أول الغيث."

تمكنت "المديرية الاتحادية لمكافحة المخدرات" في الولايات المتحدة من القضاء على عصابة لتهريب الهيرويين مؤلفة من ١٣ عضواً، تسعة منهم مهاجرون يمارسون نشاطهم انطلاقاً من مقرهم في برايتون بيتش. لكن المخدرات كانت تأتي جواً من جنوب شرق آسيا عبر فرصوفيا (بولونيا). أما الزبائن فهم موزّعو عصابات المافيا الايطالية.

كما علمت الشرطة في مدينتي نيويورك ولوس انجلس أن ثمة قتلة محترفين يُستقدمون من سيبيريا وأوكرانيا لتنفيذ عقود اغتيال في مدن أمريكية. وهم يصلون الى الولايات المتحدة من طريق ألمانيا عادة، حاملين سمات دخول بصفة رجال أعمال أو سياح، لكنهم لا يمكثون وقتاً أطول مما يحتاجون اليه لتنفيذ المهمات الموكلة اليهم. ويخشى بعض الأوساط العليمة أن يكون هؤلاء القتلة، الذين يتعذر اقتفاء آثارهم، برسم الاعارة لمجموعات الجريمة المنظمة.

كذلك وطّدت الاورغانيزاتسيا وجودها في مجموعة الدول الاوروبية الغربية. والاسوأ من ذلك أن صفوفها تضاعفت على نحو خطر بفضل الموجة الجديدة من المجرمين التي تدفقت منذ انهيار الستار الحديد. ويعمل كثير من هؤلاء بالتفاهم والتشاور مع المنظمات الام داخل الاتحاد السوفييتي السابق.

ومن نشاطاتهم أنهم حولوا الاتحاد السوفييتي السابق الى ما يعتبره بعض خبراء مكافحة الجريمة واحداً من أكبر مراكز تبييض النقود في العالم. وقد علم المحققون في أوروبا الغربية أخيراً أن مليارات الروبلات تُعرض للبيع على عصابات المخدرات في أمريكا الجنوبية وعلى مجرمين في الغرب يسعون الى تمويه أرباحهم غير المشروعة عبر السوق السوداء لتبادل العملات. ثم يعاد استخدام الروبلات لشراء معادن استراتيجية، مثل التيتانيوم، من مجموعة الدول المستقلة. وتموّه هذه المعادن على أنها "خردة" لتفادي قيود التصدير، ثم يعاد شحنها خارج البلاد وتباع في الاسواق العالمية.

وتدير العصابات الروسية وشريكاتها

في أوروبا الشرقية، اضافة الى عقود الاغتيال وتهريب المخدرات وسرقة الكنوز الفنية التي لا تقدّر بثمن، أكبر شبكة لسرقة السيارات في أوروبا. ففي العام ١٩٩٠ استوردت بولونيا ٣٠ ألف سيارة من دول أعضاء المجموعة الاوروبية، كانت ٢٠ في المئة منها على الأقل سُرقت في المانيا. وتُشحن السيارات الفخمة مباشرة الى ميناء أوديسا الاوكراني على البحر الاسود حيث ينتظرها شارون بينهم مسؤولون حكوميون ورجال شرطة من مجموعة الدول المستقلة.

وكان أفيم لاسكين (٥٢ عاما) - حتى اغتياله طعناً في ميونيخ في ٢٧ سبتمبر (أيلول) الماضي - زعيم الاورغانيزاتسيا في أوروبا الغربية. وهو من أتباع أغرون. وكان رياضياً سوفييتياً سابقاً قوي البنية، وصل الى المانيا الغربية عام ١٩٧٢ من طريق اسرائيل. اعتقل لاسكين أكثر من ٢٥ مرة على أيدي الشرطة في سبع دول أوروبية، بتهم تتدرج من السرقة وفرض الخوات الى الاتجار بالسلاح والمخدرات. لكنه دين مرة واحدة - في العام ١٩٨٦ - لكونه العقل المدبر لعملية تزوير عملات بقيمة ١٠٠ مليون دولار في برلين. والغريب في الامر أنه أمضى عامين فقط في السجن.

وفي بريطانيا، تمكن رجال التحري في وحدة مكافحة المخدرات الجوية من تعقب مجرم سوفييتي آخر واعتقاله. إنه إريك روبن، وهو مهاجر لاجيء في الرابعة والخمسين من عمره يعيش في برايتون بيتش، وقد أُتُّهم بأكبر عملية سطو مسلح في تاريخ بريطانيا: الاستيلاء على ٤٠ مليون جنيه استرليني (٧٦ مليون دولار) من مركز نايتسبريدج اللندني للتوفير في يوليو (تموز) ١٩٨٧. كان روبن شريكاً لأغرون، وقد تنقل من دون حرج بين الولايات المتحدة وبريطانيا حيث كان المحققون يشتبهون في أنه ارتكب عمليات سطو مسلحة على مدى ثلاث سنوات. وفي العام ١٩٨٨ هرب روبن من نيويورك الى إسرائيل عندما أدرك أنه ملاحق من شرطة اسكوتلنديارد، فاعتقل هناك واستردّته بريطانيا حيث حكم عليه في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٩١ بالسجن مدة ١٢ سنة.

زبائن نوويون. غير أن نهب خيرات المجتمعات الغربية يبدو غير ذي شأن بالمقارنة مع ما حدث في الاتحاد السوفييتي السابق، حيث الجريمة المنظمة نمط من أنماط العيش. إذ تستخدم الاورغانيزاتسيا هناك عشرات الملايين من المواطنين وتؤثّر في نحو نصف الناتج القومي الاجمالي للمنطقة.

وفيما يتراخى النظام وينتشر الفساد داخل الآلة العسكرية السوفييتية التي كانت جبارة في السابق، تحولت أحدث الاسلحة، كرشاشات الكلاشنيكوف الهجومية ومدافع الهاون وقاذفات القنابل والصواريخ المضادة للطائرات التي تُحمل على الكتف، ترسانة لقتلة الاورغانيزاتسيا وسماسرة السلاح

العالميين. بيد أن أكثر ما يثير هلع وكالات الأمن الغربية هو سهولة الوصول الى الترسانة النووية لمجموعة الدول المستقلة والتي تقدّر محتوياتها بثلاثين ألف رأس نووي.

يتوزع هذا المخزون النووي على أربع جمهوريات مستقلة، قاصرة بقدراتها الامنية عن منع سرقة هذه الأسلحة أو تهريبها الى زبائن تواقين الى امتلاك أسلحة نووية. وأخطر هذه الاسلحة رؤوس نووية تكتيكية وقذائف مدفعية نووية قد لا يتجاوز وزنها ٥٠ كيلوغراماً مما يسهل عملية نقلها.

وتنفي الولايات المتحدة وشركاؤها في حلف شمال الاطلسي علمها بأي مبيعات أو تسريبات لأسلحة نووية أو لمواد وعناصر صالحة للاستخدام في صنع أسلحة كهذه. لكن الصحافة البريطانية أفادت في ٢٤ يناير (كانون الثاني) أن ثلاثة رؤوس نووية بيعت الى ايران من مخزون جمهورية كزاخستان. وهذه الجمهورية التي تملك أكثر من ألفي رأس نووي، قرابة ١٥٠٠ منها استراتيجية، هي محط أنظار شاري السلاح الايرانيين.

ماذا عن الأسعار؟

"إنها تبدأ بخمسة ملايين دولار،" كما أفادنا سمسار سلاح يتّخذ أوروبا مقرّاً له.

في أثناء ذلك، صوّر فريق من التلفزيون الفرنسي سراً عميلا للاورغانيزاتسيا وهو يفاوض لتسليم كيلوغرام من اليورانيوم المخصّب الى محامي شركة غربية.

وفي فريبور في سويسرا أبرم أحد زعماء العصابات، يرافقه ضابط من الجيش الروسي في ثياب مدنية، صفقة لتسليم أربع شحنات إضافية من اليورانيوم زنة كل منها كيلوغرام واحد، بسعر اجمالي مقداره ٣،٥ ملايين دولار. أما الشارون فكانوا عملاء للرئيس العراقي صدام حسين. ويُعتقد أن واحدة على الأقل من العبوات المغلّفة بالرصاص وصلت الى موقع موقت في انتظار شحنها الى العراق.

قمة الاولويات. أصبح كشف تبادل الاسلحة النووية وعناصر تركيبها وتفكيكها الشغل الشاغل لأجهزة الاستخبارات الغربية، بما في ذلك مكتب التحقيق الاتحادي ووكالة الاستخبارات المركزية.[٤] لكن الحدود المفتوحة وقدرة المنظمات الاجرامية على رشوة السلطات العسكرية والحكومية في مجموعة الدول المستقلة، أوجدت ثغرات واسعة في دفاعات أحدث هذه الأجهزة.

والسؤال هو: ماذا يمكن عمله لجبه تهديد الاورغانيزاتسيا؟

● روسيا عضو في الانتربول، وكالة الشرطة الدولية ومقرّها مدينة ليون الفرنسية. لكن طلبات المعلومات من موسكو عن مجرمين اعتُقلوا في الغرب أو تسللوا اليه تبقى بلا جواب.

(٤) Central Intelligence Agency

يقول مفتش شرطة في فيزبادن في ألمانيا وعلامات الاحباط بادية عليه: "إننا نعطيهم كل ما نقدر عليه، لكننا لا نسمع من موسكو الا الصمت."

وحاليا، تمنح الدول الغربية جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق قروضاً بملايين الدولارات. ويمكنها أن تصرّ في المقابل على تبادل سريع وجدّي للمعلومات المتعلّقة بالنشاطات الاجرامية.

كما يمكن حكومات الولايات المتحدة وأوروبا أن تطالب بتحديث معاهدات استرداد المجرمين وحسن تطبيقها. فالولايات المتحدة لم تسترد من السلطات الروسية سوى محتال سوفييتي واحد دين في سانت لويس.

● تحسين اجراءات التدقيق في طلبات الهجرة المقدّمة من مواطني الاتحاد السوفييتي السابق ومن دول الكتلة الشرقية. وهي اجراءات كان يجب أن تتم قبل زمن طويل. وسيصل الى الولايات المتحدة هذه السنة (١٩٩٢) نحو ٤٠ ألف مهاجر من دول المجموعة المستقلة لم يخضع أي منهم لتدقيق في ماضيه.

والاسوأ من ذلك أن ليس ثمة اجراءات للتدقيق في سمات الدخول الموقتة. فكل ما يتطلبه منح هذه السمات "دعوة زيارة" من مواطن أمريكي موثّقة لدى الكاتب العدل. والواقع أن هذه الدعوات معروضة للبيع لدى أعضاء في الاورغانيزاتسيا في برايتون بيتش أو على رفوف مكاتب بعض مستشاري شؤون الهجرة العديمي الذمة.

لقد انتشرت الجريمة السوفييتية المنظمة كوباء في الولايات المتحدة وأوروبا. ويمكن تقدير كلفتها السنوية بمليارات الدولارات. لكنّ الأدهى هو أن دور الاورغانيزاتسيا في تجارة المواد المشعة والأسلحة النووية يهدّد الأمن العالمي.

وما لم تتخذ اجراءات سريعة وحاسمة على مستوى دولي، فسوف تصبح مؤامرة الاورغانيزاتسيا الرهيبة مظهراً دائماً من مظاهر الجريمة المنظمة أشد خطراً وأحدث تقنية مما سبقه.

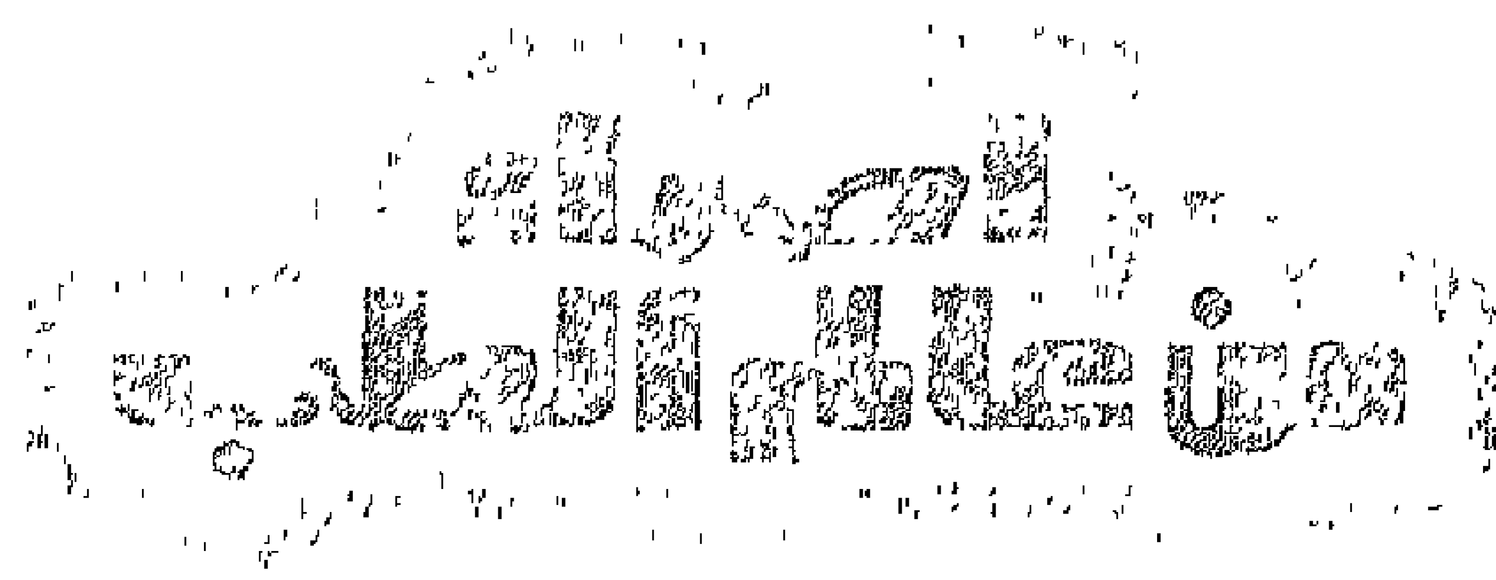
عندئذ يكون السيف سبق العذل.

ناثان أدامس ■

للصبر حدود

كنت اجري الامتحان العملي لقيادة السيارات والى جانبي المدرّب. واذ بسيارة تتجاوزني بسرعة من الجهة المخالفة. فحاولتُ ضبط اعصابي قدر المستطاع، عندئذ قال لي المدرّب: "لديك الكثير لتتعلمه، يا سيدي." وحين توقفتُ عند الاشارة الحمراء اتت سيّارة مسرعة من الخلف وصدمتْ واقي سيارتي فلجمتُ غضبي ولاحظت المدرّب يهزّ رأسه. وحين انطلقنا وثبت السيارة التي صدمتني من الخلف وتجاوزتني لتسير امامي بعد ذلك ببطء فتعوق انطلاقتي، وهنا عيل صبري فضغطتُ بوق سيارتي بكل قوتي فالتفت اليّ المدرب وقال: "الآن بدأتَ تتعلّم حقاً."

ل.ك.



اختبار يخفف
من اخطار السرطان

■ يقتل سرطان القولون والمعي المستقيم ٦٠ الف امريكي سنويا، ولكن يمكن لفحص يدعى "سغمويدوسكوبي" ان يخفف من خطر الموت بسرطان القولون والمعي المستقيم. وقد اظهرت ذلك دراسة اجريت حديثاً.

تتضمن عملية الفحص ادخال مقشاف مضاء عبر المعي المستقيم ليتمكن الاطباء من رؤية اي نمو غريب داخله. وقد بدات جمعية السرطان الامريكية ومؤسسة السرطان القومية اصدار توصيات بان يجرى لكل الذين تجاوزوا الخمسين من العمر مرة كل ثلاث الى خمس سنوات. ولما كان هذا الفحص يسبب مضايقة جسدية طفيفة، فان الكثيرين يتحاشون اجراءه. والدراسة المشار اليها هي اقوى دليل حتى الآن على ان الفحص يخفف نسبة الوفيات باكتشاف هذه الانواع البطيئة النمو من السرطان مبكراً حيث تسهل معالجتها.

وقارن الدكتور جو ف. سيلبي وزملاء له في قسم الابحاث في كايزر بيرمانتت في كاليفورنيا الشمالية سجلات ٢٦١ شخصا توفوا بسرطان القولون والمعي المستقيم من مجموعة قيد المراقبة تضم ٨٦٨ شخصا لا يعانون ايا من هذين النوعين، وجاءت النتائج لتثبت خفضا بنسبة ٥٩ الى ٧٠ في المئة في حالات الوفاة بسرطان القولون والمعي المستقيم بين الذين اجروا هذا الفحص.

رون وينسلو في "وول ستريت جورنال"

حلاقة للشرايين
بدلا من البالون!

■ تتوافر الآن لبعض المصابين بانسداد الشرايين عملية وعائية للقلب تستخدم تقنية حلاقة. وتتلخص العملية التي تستغرق بين ٣٠ و٦٠ دقيقة وتدعى "ازالة الانسداد التاجي الموجهة" بادخال انبوب قسطرة عبر الشريان الفخذي، ويوجّه الى الشريان التاجي حتى موقع الانسداد. وما ان يصل الانبوب الى الموقع حتى تبدا شفرة قاطعة داخل كبسولة في رأس الانبوب حلاقة الانسداد الى ذرات صغيرة، ثم تجمع هذه الذرات داخل الكبسولة وتزال. ويغادر المرضى المستشفى عادة في اليوم التالي.

يقول الدكتور كريستوفر ج. وايت من معهد اوشنر للقلب والشرايين في نيو اورليانز: "تقدّم العملية بديلا من عملية توسيع الشرايين بواسطة البالون، وهي افضل ما تكون للمصابين بانسداد في شريان واحد فقط، كما يمكن استخدامها لازالة الانسدادات في شرايين الذراعين والساقين."

مجلة "يو. اس. توداي"

ترى، هل حققت
هذه الحركة أهدافها؟

"المرأة الكاملة" وهم تبدّد!

سمعنا في المدة الاخيرة تصريحات مدهشة من بعض الداعيات الى تحرير المرأة. فقد اعترفت غلوريا ستاينم[1] في كتابها الأخير بأنها أغوت أحد الرجال بتمثيلها دور المرأة التي يريدها هو وأخفت شخصيتها الحقيقية. وأضافت: "عندما وقع في حبّي، اضطررت الى الاستمرار في إخفاء شخصيتي."

وفي حديث أجرته مجلة "تايم" مع جين فوندا،[2] سئلت الممثلة عن زوجها الجديد تد تورنر،[3] فأعلنت أعتزالها التمثيل في الوقت الحاضر مضيفة: "ليس تد ذلك الرجل الذي تستطيعين تركه والذهاب إلى عملك. فهو دائما في حاجة الى وجودك بقربه."

وقالت باربرا سترايسند[4] في مقابلة مع صحيفة "واشنطن بوست": "هناك جزء مني يدعم حركة تحرير المرأة ويدعو إلى استقلاليتها. ومع ذلك، فالامور لا تسير بالضرورة في هذا الاتجاه."

فماذا نستنتج من ذلك كله؟ هل يمكن أن تكون الحركة النسوية[5] كما نعرفها قد ولّت؟

أعتقد ذلك. فعلى غرار الشيوعية في الامبراطورية السوفييتية سابقاً، لم تعد الحركة ذات فائدة في وضعها الحاضر.

إن الذين نادوا بالحركة النسوية لم يكونوا صادقين تماما مع النساء، بل

(١) كاتبة ومحاضرة وواحدة من مؤسسي مجلة «Ms.»
(٢) ممثلة أمريكية ذات نشاط سياسي.
(٣) صاحب المحطة التلفزيونية الاخبارية CNN .
(٤) مغنية وممثلة ومخرجة سينمائية.
(٥) Feminism



كانوا منافقين. وكما أنكر الشيوعيون وجود الله وحق العبادة، كذلك أهملت قائدات الحركة النسوية الحاجات الجوهرية لأنصارهن. وفي الحقيقة، لم تفلح داعيات الحركة أبداً في الفصل بين مركز العمل وغرفة النوم.

كانت الحركة مصممة بعناد على تحقيق هدف المساواة في العمل الى حدّ أنها حاولت تنظيم تصرفات الناس الشخصية. وهنا واجهت أهم معضلاتها. فما يحدث الآن هو أن عدد النساء اللواتي يعلنَّ الانفصال عن الحركة يزداد يوماً بعد يوم.

قبل سنوات أصدرت بيتي فريدان[٦] كتاباً جريئاً يؤيد مفهوم الأمومة. وكانت كثيرات من دعاة الحركة النسوية أغفلن هذا المفهوم لاعتقادهن أن قضية إنجاب الاطفال لا تتماشى وسياسة الحركة. لذا تعرّضت فريدان لانتقادات متتالية من نساء كثيرات وجدن في الكتاب خروجا على جدول الأهداف الرئيسية.

بالنسبة الى معظم النساء، تأتي المساواة والعدالة في رأس سلّم الاولويات. لكن غالبية هؤلاء النساء يرفضن أن يتلقين توجيهات حول طريقة تدبر شؤون حياتهن الخاصة. فهن يشعرن بأنهن مخدوعات لأنهن لا يفلحن دائماً في العيش وفق سياسة الحركة، كما حصل لكل من ستاينم وفوندا وسترايسند وغيرهن. فاذا اتبعن نمطاً معيناً في حياتهن ونادين بغيره، أفلا يكون هذا فساداً؟

والآن، تدور شكوك حول قائدات الحركة النسوية مثلما دارت حول القادة الشيوعيين الذين كانوا يبشرون بالتقشف أمام رفقائهم ويشترون الكافيار من مخازن الحزب. هكذا هي حال قائدات الحركة النسوية. فانهن يخاطبن الأمهات علناً ويحرّضنهن على هجر أزواجهن والمطالبة بالاستقلال، بينما يرتدين سراً أثمن الملابس لارضاء رجالهن.

ولم تقدم قائدات الحركة أي تنازلات. فبدلا من مساعدة النساء في تحقيق حاجاتهن والوصول الى "المرأة الكاملة"، تصرّفن كأن في حياة المرأة جانباً واحداً فقط، وغفلن عن حقيقة وجود الزوج والاولاد. كانت الرسالة واضحة: "في استطاعتكن القيام بالمهمات كلها، أنظرن إلينا." لكن النساء اللواتي كافحن للتوفيق بين الأمور المختلفة فشلن في ذلك. وهكذا، فان تلك الأمثلة الزائفة التي صوّرت لهن أن حياتهن ستكون رائعة إن تسلّمن زمام الأمور وأهملن الرجال، قد آذتهن أكثر مما ساعدتهن. فصارت المرأة تخجل من القيام بدور الزوجة ومن قضاء دوام كامل في تأدية دور الام.

لقد ألحقت الحركة النسوية الأذى بنفسها وأصبحت هدفا سهلا لأعدائها، لأنها جعلت أموراً مهمة في الحياة تبدو تافهة، كما أهملت حقيقة ما يجري في قلوب النساء وفي عقولهن.

واليوم، يُنظر الى الحركة على أنها

---

(٦) كاتبة وقائدة للحركة النسوية «NOW» ورئيستها الاولى.

قضية هامشية، وغالبا ما تُصبغ بكره الرجال، وهذا ما لم تنفِهِ باتريشا آيرلاند إحدى قائداتها، مما حمل كثيرات على ترك الحركة.

لا يمكن أن ندعي أن الحركة ما زالت على صلة وثيقة بغالبية النساء. والحقيقة أن كثيرات أصبحن يجدن أنها حركة ضد الذكور، وضد الاولاد، وضد العائلة، وضد الانوثة. لذلك لا يردن علاقة بها.

لقد حقق بعض النساء، بفضل الحركة، تقدما جباراً في ميدان العمل. لا شك في ذلك. غير أن لمعظمنا أزواجاً وأبناء واخوة وآباء نحبهم، ونريدهم أن يؤيّدوا مطلب المساواة مثلنا. ولكن على القائدات الجديدات اللواتي سيتحدثن عن القضايا الأساسية التي تواجه النساء أن يتذكرن أننا لسنا في حاجة الى مَن يقول لنا من المسؤول عن غسل الصحون في منازلنا.

نحن في حاجة الى قائدات مثل بيتي فريدان، يعرضن لتلك الحاجات ويعالجنها في مواقفهن.

ذات يوم سألت إحدى صديقاتي ابنتها الطالبة الجامعية عن الحركة النسوية، فأجابتها أنها ليست من مؤيديها، لكنها تؤمن بأن ليس ثمة وظيفة لا يمكنها الحصول عليها، وليست ثمة مهنة لا تستطيع أن تطمح اليها.

هذا أمر يحق للحركة أن تفخر بتحقيقه. لكنه لا يكفي.

فالقائدات الجديدات، أيا يكنّ، لن ينجحن الا اذا اهتممن بالمسألة الاساسية: العامل الانساني.

سالي كوين ■



الام... ام، حتى في الجو

قام قبطان الطائرة بدعوة والديه المسافرين معه الى مقصورة القيادة، واخذ اثناء الرحلة يشير الى المناظر الجميلة تحتهم فقالت له والدته: "دعك من المناظر الجميلة، انتبه فقط الى اين تتوجه."

س.ض.

النسيان... نعمة!

كان يوسف مصاباً بآفة النسيان الدائم ويعجز عن تذكّر حتى عيد ميلاد زوجته وذكرى زواجهما. فاتفق مع بائع الزهور وزوّده التاريخين وطلب منه ان يرسل باقة باسمه في كل منهما. ومرّت الاشهر وزوجته مشدوهة بهذا الاهتمام الرائع، حتى جاء يوم دخل يوسف المنزل ولاحظ الزهور فسألها متعجباً: "يا للزهور الرائعة يا عزيزتي، من اين اشتريتها؟"

س.ت.

قصة من واقع الحياة

في مواجهة دب هائج

نزهة في الغابة تحولت صراعاً للنجاة من الانياب والمخالب القاتلة

سلك ديل جونسون وخطيبته روندا أندرسن دربا جبليّة ضيّقة تؤدي الى بحيرة تراوت في محمية "النهر الجليدي" في ولاية مونتانا. كان ذلك بعيد ظهر أحد أيّام أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩١ وقد تسللت أشعة الشمس عبر أغصان الاشجار المتشابكة.

سار ديل (٣١ عاما) على مهل متقدّما روندا (٢٧ عاما) وقال لها مشجّعا: "نكاد نصل."

كانت دردشة الخطيبين تنتهك صمت الغابة المطبق، إلاّ أنّهما استجابا في النهاية لدعوة السكون. وما كادا يقتربان من أحد المنعطفات حتى تسمّر ديل في مكانه، إذ شعر بحركة في الأجمة أمامه، تلتها زمجرة، ثم شاهد دبّين بنّيين يتجهان صوبه، فغار قلبه في صدره.

لمح ديل روندا تقفز خلف شجرة، لكن الرعب شلّ قدميه فلبث في مكانه بلا حراك فيما انقض الضاريان عليه وفروهما الكث يتموّج غضباً.

خطرت ببال الشاب فكرة واحدة: "إيّاك والهرب!" فأقل محاولة للفرار ستطلق في اثره دبّين يفوقانه سرعة وتجعل منه فريسة سهلة. فكّر في طريقة لخداع الوحشين، فراح يقفز في الهواء ويزعق ويلوّح بذراعيه آملاً أن يخيفهما. وللحال انعطف أحدهما وتوارى داخل الغابة. أما الآخر فأطبق على ديل الذي تناول غصنا ساقطاً وضرب به الدب على رأسه وهو لا يزال يصرخ.

تكسّر الغصن على رأس الدب، فارتد

ديل الى الوراء متكوّراً مثل طابة. ذلك لان حراس الغابات ينصحون الناس بأن يتخذوا وضعاً متكوراً اذا ما هاجمتهم الدببة، لأن هذا الوضع، في ظن الحرّاس، يؤكد للدب أنّه لا يواجه خطراً محدقاً.

أبقى ديل رأسه في التراب وحلَّ رباط حقيبة ظهره محاولا رفعها لحماية عنقه. وما لبث أن أحسّ بمخالب حادة تمزّق ظهره، لكنه فقد كل شعور بالألم وسط الصراخ. وحدها روندا المختبئة خلف الشجرة كانت تشاهد الصراع الرهيب الدائر أمامها.

"**إرحل بعيداً**!" كان ديل أوقف سيارته قبل ساعة وانطلق مع خطيبته في هذه الرحلة الى البحيرة التي تبعد أحد عشر كيلومتراً. وفي أول الدرب قرأا لافتة تنذرهما بأنهما يدخلان منطقة تقطنها الدببة. لكن هذا الواقع لم يكن غريباً عنهما، فهما من بلدة وايتفيش القريبة، ويدركان جيّداً أن الغابة موئل للدببة السوداء والبنّية.

إن الضجيج هو الحماية المثلى من مصادفة دبّ خطر. وكان من عادة ديل أن يعلّق بحقيبته ناقوساً صغيراً لمزيد من الأمان، الاّ أنّه نسيه يومذاك.

تطلّعت روندا الى ساعتها، إنها الأولى بعد الظهر. وتذكّرت أن الدببة تشاهَد غالباً في ساعات الصباح الباكر أو قبيل المغيب، فالظهيرة هي وقت القيلولة عندها. وهكذا اعتقد الخطيبان أن ليس ثمة ما يدعو الى القلق. فالدببة لا تقترب من البشر، ونادراً ما يبادر أحدها بالهجوم بلا سبب.

حين أبصرت روندا الدبّين أملت عليها غريزة الخوف أن تتسلّق شجرة للاحتماء. فبحثت مذعورة عن غصن ما، فلم تجد مطلبها. وشاهدت الدبّ يمزّق كتفي ديل ثم يطبق بفكيه الرهيبين على ذراعه اليسرى فيخلعها وأنيابه تنهش عظامها. ففكّرت: "إنه يفترسه، عليّ أن أفعل شيئاً."

ومرّت ببالها صورة كلب جيرانها الذي كشر عن أنيابه مزمجراً في وجهها ذات مرة حين كانت ترمي النفايات، فانتزعت صفيحة معدنية وحملتها أمامها تتقي هجومه، ثم صاحت به: "لا يا باستر، لا." فتراجع الكلب أمام نبرتها الآمرة.

نزعت روندا حقيبة ظهرها ورفعتها أمامها كدرع واقية ثم تقدّمت نحو الوحش العملاق صائحة: "ارحل بعيداً أيّها الدب." فأجفل الضاري وترك ذراع ديل ليلتفت الى مصدر الصوت. ولما رأى روندا انقضّ عليها، فتراجعت وهي ترى فكيه ينفرجان عن أنياب ضخمة، ولمحت مخالبه الصفراء التي يبلغ طولها نحو عشرة سنتيمترات. غاصت الانياب في حقيبتها فيما شرطت المخالب معصمها الأيمن فانبجس الدم من الجرح، وهوت على ركبتها صارخة من شدة الهلع.

أيقظ الصراخ ديل من ذهوله، فرأى خطيبته أمام الدب لا تفصل بينهما سوى

سنتيمترات قليلة، فأخذ يصيح بالدب لتحويل انتباهه. عندئذ أدار الحيوان رأسه وعاد ليهاجم غريمه الأول.

فصاح الشاب بخطيبته: "ارتمي ارضاً. لا أمل لدينا الا في التظاهر بالموت."

بعد لحظة ارتفع ديل في الهواء وقد أطبق فكا الدب على ردفيه فيما راحت المخالب الحادة تنهش كتفيه بوحشيّة. أفقده الخوف إحساسه بالألم، لكنه أدرك أن جسده تعرّض للتمزيق، وفكّر: "اذا لم يتوقف الدب فسأموت لا محالة."

ضربة على البطن. سمعت روندا خطيبها يطلب منها أن ترتمي أرضاً، لكنها لم تستطع أن تدعه وشأنه. فالتقطت حقيبتها الممزّقة وتقدّمت ثانية وهي تزعق للفت انتباه الدب. فشن الدب هجومه هذه المرّة مرتكزاً على قائمتيه الخلفيتين، فانتصب بمحاذاة الفتاة وأطلق مخالبه على عنقها، ثم أحكم فكّيه في أعلى ذراعها اليسرى فيما راحت أنيابه تهشّم عظامها.

استطاعت روندا أن تظل واقفة على قدميها وقد حلّ الغضب الشديد لديها محلّ الاحساس بالألم. ثم سدّدت بقبضتها ضربة محكمة الى بطن الحيوان، فقذفها أرضاً بعنف. وتوقّعت الفتاة أن يطبق عليها بفكّيه من جديد، لكن الدب وقع على قوائمه الأربع وانطلق هارباً بين الأشجار.

حاول ديل جاهداً النهوض عن الأرض. كانت ذراعه اليسرى محطمة عند المرفق وساعده مشقوقة حتى العظم. وأدرك، من إحساسه بألم ردفيه، أن أنياب الدب قضمت قطعاً من لحمه. أما روندا فنجحت في فكّ قميص مشدود الى وسطها وعصبت به معصمها. وكانت جروح عنقها وكتفها تنزف.

قال لها ديل: "يؤسفني أنني جررتك الى هذا الكابوس." وقطع على نفسه عهداً بأن يبذل قصارى جهده لئلا تنتهي حياتها هكذا على درب موحشة وسط الغابات. ثم أضاف: "علينا أن نعود الى السيّارة، لأن احداً لن يأتي لنجدتنا."

ألقت روندا حقيبتها فوق كتفها اليمنى السليمة وتقدّمت خطيبها في طريق العودة. لم تكن تنقصها ثقة بالنفس. فهي بدأت حياتها خادمة في فندق، ثم نادلة في مطعم، الى أن حصلت على وظيفة جيّدة كمخمّنة في مكتب عقاري. وكان اهتمامها في هذه اللحظة ينصب على ديل، فجروحه بالغة، وعليهما أن يسيرا مسافة خمسة كيلومترات. لكنها لم تشك أبداً في تصميمه وعزمه.

استطاع ديل خلال عشر سنين أن يفيد من شهادته في الالكترونيات التي نالها في مسقط رأسه بولاية أوريغون، فأصبح شريكاً في مؤسسة متخصصة بالتصوير الجوي بواسطة الكمبيوتر. ولما كان وشركاءه يبحثون عن بقعة يجمعون فيها بين عملهم وشغفهم بالرياضة، فقد



نقلوا مقرّ الشركة الى وادي فلاتهيد في مونتانا.

النجدة! لم يكفّ ديل السائر خلف روندا عن الصياح من أجل إخافة الدببة التي قد تحاول الاقتراب منهما. وازداد ألم ذراعه حدّة، ثم شعر برأسه يدور. وأيقن أن استسلامه للصدمة يعني النهاية حتماً، مدركاً من خبرته في تسلّق الجبال أنه بذل قصاراه للصمود.

فجأة رأت روندا الجرف الذي شاهدته في بداية رحلتهما، فتوسّمت خيراً. وما هي الا لحظات حتى بلغا السيّارة. كانت الساعة تشير الى الثانية والدقيقة الثانية والثلاثين. لقد انقضى نحو نصف ساعة على هجوم الدبّين.

قال ديل: "ما دمنا وصلنا الى هنا، فستكون المرحلة المقبلة أسهل." لكن قسمات وجهه نمّت على ألم مبرح. فعرفت روندا أن عليها هي أن تقود السيارة.

سحبت المفاتيح من حقيبتها ثم فتحت باب السيّارة وجلست خلف المقود وقالت: "أعتقد أن في امكاني أن أقود."

كانت ذراعها اليسرى عاجزة عن إمساك المقود عند تغيير السرعات، فتولّى ديل الجالس الى يمينها هذه المهمّة. وبذلت هي قصارى جهدها كي لا يأخذها الدوار فتنحرف عن الطريق.

بعد اجتياز عدّة كيلومترات وصلا الى بحيرة ماكدونالد. كانت المنطقة خالية في هذا الوقت من السنة، وكان منزل حارس البحيرة مقفلا. لكن ديل لمح كشك هاتف، فسأل روندا أن تتوجه نحوه.

طلب ديل رقم شرطة النجدة، وقال بصوت أجش: "نحن في حاجة الى المساعدة. لقد هاجمنا دب."

فدوّن عامل الهاتف موقعهما وبلّغ الامر للحال الى المسؤولين عن محمية النهر الجليدي. وما هي الا دقائق حتى لاقاهما الحارس لوغان تشارلز، ثم تبعته سيّارة شرطة تقلّ ممرّضة تولت حقنهما بالأمصال. وفي الثالثة والنصف كانا داخل سيّارة إسعاف في طريقهما الى المستشفى.

أمضيا ثمانية أيّام في المستشفى،

ILLUSTRATION: BRYANT EASTMAN

وخضع كلّ منهما لثلاث جراحات. وكان ديل، اضافة الى جروح ظهره وردفيه، يعاني كسراً في مرفق ذراعه اليسرى، فقد حطّم الدبّ قطعة من العظم وأجرى الاطبّاء جراحة رابعة لتقويمها. أمّا عضلة عضد روندا الأيسر فكانت مقطوعة تماماً. وعُثر على نثرات من أسنان الدب في عظمة ذراعها العليا، فيما حاد الجرح الذي شقه المخلب في عنقها ستة مليمترات فقط عن الوريد الوداجي.

"أنتِ أنقذت حياتي." في الليلة الثالثة التي أمضياها في المستشفى جلست روندا على سرير ديل وروت له كيف حاولت إبعاد الدبّ بحقيبتها. قالت: "اعتقدت أنه سيقتلك، وكان عليّ أن أفعل شيئاً."

فقال لها خطيبها بصوت عادت اليه العافية: "لم أدرك في تلك اللحظة لماذا تركني الدب. أنتِ أنقذتِ حياتي!"

لم تكن روندا تعي من قبل خطورة تعرض الانسان لهجوم دب شرس. لكنّ الحادث كشف لها ضعفها الجسدي، وجعلها تدرك حاجة المرء الى العيش وسط عائلة وأصدقاء يتبادل العون وإياهم في الملمّات.

عجزت روندا، وقد جبرت ذراعها، عن القيام بأبسط الأعمال المنزليّة. وذات يوم كانت تحاول أن تضفر شعرها الطويل بأصابع مرتجفة حين رن جرس الهاتف، وكان ديل على الطرف الآخر. كانت علاقتهما اكتسبت بعداً جديداً، وعرفا أنّ لهما من الحبّ المبنيّ على الاحترام أساساً صلباً لا يتزعزع.

قالت له: "لا يمكنني أن أضفر شعري، أعتقد أنني سأقصّه."

وتلت ذلك برهة صمت، علا بعدها صوت ديل: "تعالي، سوف أحضّر لك العشاء."

حين وصلت جلست في كرسي، وأخذ ديل يضفر شعرها برقة. كانت بادرته ألطف ما عرفت على الاطلاق.

بيتر مايكلمور ■

ترجمة أدونيس سالم

صدقوا او لا تصدقوا

احد المحاربين النيوزيلنديين الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية، زار جزيرة كريت اليونانية حيث حارب قبل خمسين سنة. وهناك استرجع ساعته التي فقدها في اثناء فراره من الجيش الألماني، فهو اصيب بعيد وصوله الى الجزيرة فنقله الأهالي الى الجبال وجرّدوه من كل ما يمكن ان يدلّ على هويته الحقيقية، حتى ساعة يده. وقد ذهل المحارب حين تقدم منه قروي عجوز واعاد اليه الساعة بعدما احتفظ بها طوال هذه السنين علّ صاحبها يعود يوماً.

عن "اوكلاند ستار"

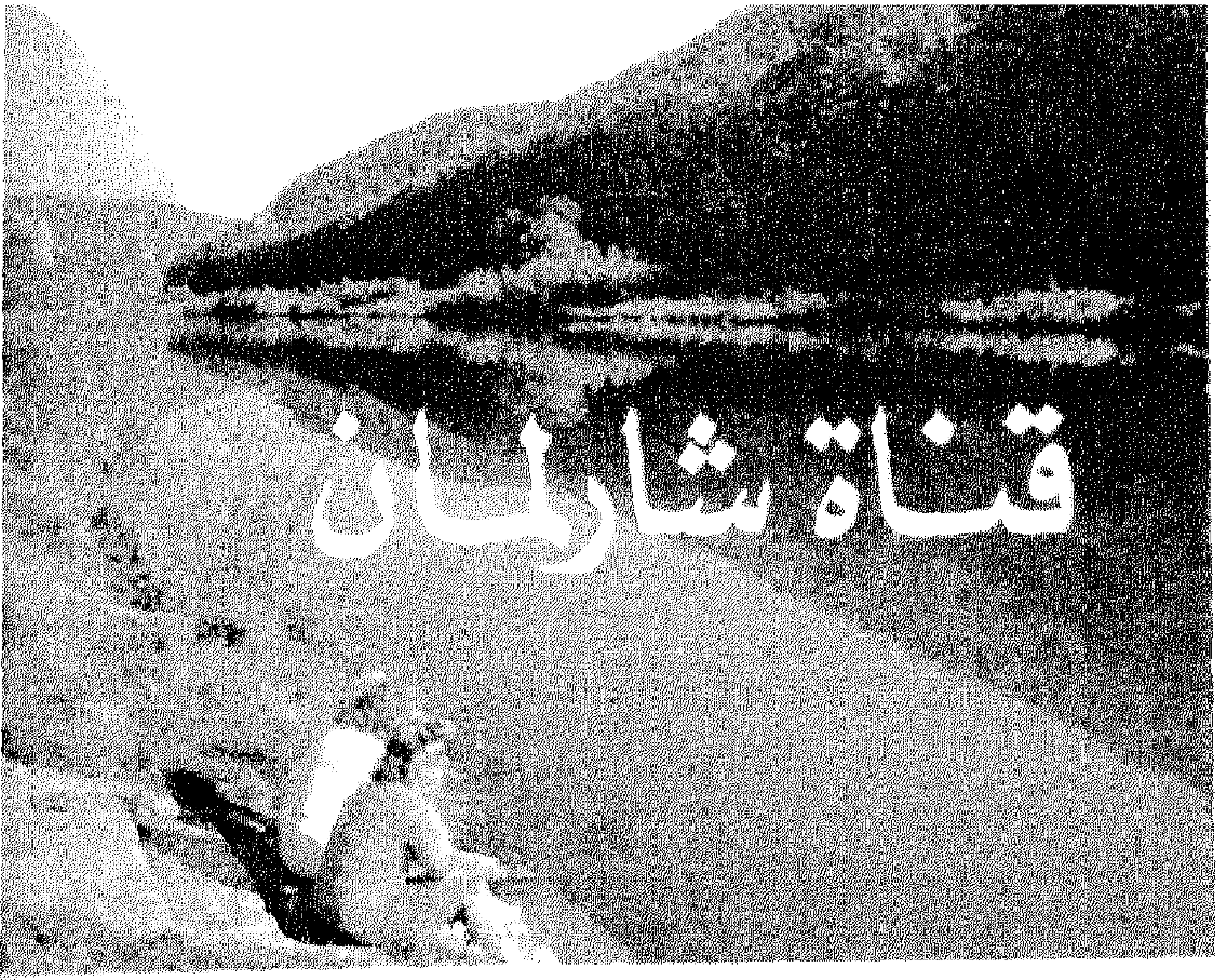


Peking Royal Jelly 2000/1000/500 mg

شهد ملكي طبيعي شديد الفعالية + عصارة اعشاب صحية صينية ثمينة + جنسنغ صيني وحشي في ٣٠ عبوة زجاجية × ١٠ مللتر

سر الطبيعة في الصحة والقوة والحيوية والشباب

- **اكسترا سوبر ـ مقوّي طبيعي** مذهل لكافة انظمة الجسم **الجسدية والعقلية والعصبية والجنسية.**
- ينشط ويغذّي ويقوّي ويفعّل عمل كافة خلايا واجهزة الجسم وذلك بأحتوائه كافة البروتيينات والڤيتامينات والحمضيات الامينية والانزيمات والعناصر الحيوية الطبيعية الاساسية التي يحتاجها الجسم من الطبيعة، وهذا ما يفسّر ميزاته الفريدة في **تجدد الشباب واطالة عهد الصبا ومحاربة وتأخير الشيخوخة** وقدراته الشفائية الهائلة لعدد لا يحصى من الاضطرابات الصحية.
- الفوائد **الصحية** الدائمة والاكيدة: بريق في العينين وجاذبية في المظهر ونضارة ونعومة وحيوية وليونة في الجلد (خصوصاً لدى السيدات) وتمتع فعلي بالصحة والقوة والحيوية والشباب والقدرة الجنسية المتفوقة والخصوبة والمناعة ضد الامراض والڤيروس وتحمل وازالة التعب.
- حائز على **٣ ميداليات ذهبية** كأفضل وافعل **غذاء ملكي** في العالم ومضمون من قبل وزارة الصحة الاسترالية. طبيعي مئة بالمئة **فلا تأثيرات جانبية اطلاقاً.** لجميع الاعمار ولكلا الجنسين.
- اطلبوه بالاسم من **الصيدليات ومراكز الأغذية الصحية**، ولا تقبلوا عنه بديلاً فلا بديل له.
- **الوكلاء العامون للشرق الاوسط وافريقيا والموزعون في لبنان: مؤسسة نظير حنا التجارية، ضبيه، لبنان، ت: ٤١٢٧٨٦ تلكس** Public 49140LE/49240LE **فاكس** 961-1-412786.



قناة شارلمان

شريط مائي جبار
يلف أوروبا من بحر الشمال الى البحر الاسود

قبل اثني عشر قرناً وقف أقوى رجل في أوروبا عند الفاصل المائي القاري وأمر رجاله بوصل نهرين عظيمين يتدفقان في اتجاهين متعاكسين: الراين الذي يصب في مياه بحر الشمال الباردة المضطربة، والدانوب الذي يصب في مياه البحر الاسود المطوقة التي تغسل شواطىء آسيا المجدبة. وكان هدفه من وصل روافد هذين النهرين العظيمين تجنيب أتباعه الابحار بمراكبهم الشراعية في المسلك الهلالي المحفوف بالاخطار عبر البحر الابيض المتوسط، وتوحيد مستجمعي أمطار القارة الكبيرين، وتمكين مراكبه من التنقل "براً" عبر أوروبا مروراً بالقناة المعتزم شقها في الارض التي أصبحت في ما بعد ألمانيا.

اختار مهندسو شارلمان في العام ٧٩٣ مكاناً حيث نهر ألتمول وهو رافد للدانوب يتدفق جنوباً شرقاً، ونهر سوابيان ريزات وهو رافد لنهر الماين الذي يصب في الراين، لا يتباعدان سوى كيلومترين. واستمر العمل الى أن بدأ هطول الامطار وانجرفت السدود التي أقامها العمال. وسرعان ما انهمرت

الامطار بشدة جعلت الوحول تنهار على العمال أسرع من قدرتهم على اعادة صبها فوق الضفة. فبدأ الرجال يغرقون في الوحول. وبعد شهرين عقيمين تخلى شارلمان عن المشروع.

ولكن بافتتاح قناة الماين - الدانوب هذا الشهر، وطولها ١٧١ كيلومتراً، يتم أخيراً تنفيذ أوامر شارلمان. ففي ٢٥ سبتمبر (أيلول) سيُقص شريط يمتد عبر العمود الفقري لأوروبا وستباشر المراكب ذرع المياه المشتركة جيئة وذهوباً. وبعد طول انتظار ستتمكن البوارج الكبيرة من الابحار انطلاقاً من مرفأ روتردام في بحر الشمال لتعبر القارة الى مرفأ سولينا الصغير في رومانيا على البحر الاسود.

وتحتل هذه القناة مركزاً وسطاً في ما يسمى "راين - ماين - دانوب فاسرستراس" أي الطريق المائية التي تمتد مسافة ٦٧٧ كيلومتراً من بلدة أشافنبرغ على نهر الماين الى حيث يدخل الدانوب النمسا. وبدلا من تسخير الجنود، تم شق الفاسرستراس بجهود مئات المهندسين وألوف العمال لدى "راين - ماين دونو" وهي شركة عامة تأسست عام ١٩٢١ ومقرها ميونيخ، وما نتاجها المشرِّف سوى معجزة عقود من العمل المضني الذي أولى البيئة عناية لا سابق لها. وتحتل قناة الماين - الدانوب وحدها، وهي التي تفوق قناة السويس طولا وتبلغ ضعفي طول قناة بناما، مرتبة تجعلها في مصاف أكبر المشاريع العامة في التاريخ.

هندسة فريدة. كانت القناة ستبقى محدودة الاستعمال لو لم يُجعل نهرا الماين والدانوب صالحين للملاحة على مدار السنة. وهذه مهمة استأثرت بجهود المهندسين والبنائين خلال العقود الأربعة الاولى من عمر شركة القناة. وقد بنى هؤلاء ٢٧ هَويساً[1] على نهر الماين، كما أقاموا حواجزَ تعمِّق تدفق النهر في جانب منه افساحاً لمرور السفن الكبيرة. وانتهى العمل بمشروع الماين عام ١٩٦٢. وفي الدانوب عمدت الشركة الى تخديد النهر وبناء خمسة هَويسات، وافتتحت الجزء النهائي عام ١٩٨٥.

أما قناة الماين - الدانوب فمزودة ١٦ هَويساً ضخماً. وانطلاقاً من مطلعها في بلدَة بامبرغ على الماين، تبدأ الانحدار مع نهر رغنيتز نزولا الى الفاصل القاري، ثم تواصل انحدارها عبر أنهار سولز وأوتمارنغ وألتمول، الى أن تبلغ الدانوب في بلدة كلهايم.

وتخفي المناظر الطبيعية تعقيدات منشآت القناة ولا تفشي الاشغال المذهلة التي تطلبها كل جزء منها. وكانت شركة القناة في البدء أوكلت الى نحو ١٠٠٠ متعهد أشغال في قطاعي التصميم والبناء رفع الوحول وتخديد الانهر حيث كانت ضحلة. ولطالما اضطرت الى بناء سدود موقتة على امتدادات كبيرة كيما تستطيع جرافاتها حفر قيعان المجاري. وما إن تم لها ذلك حتى باشرت عملية بناء

(١) الهويس مُغلَق يستخدم لرفع السفن او خفضها من مستوى الى آخر على جهتي قناة.

الهَويسات، وكان عرض أكبرها ١٢ متراً وعمقه ٢٥ متراً وطوله ١٩٠ متراً، بحيث استغرق انجاز كل منها نحو خمس سنوات. وعندما استكملت جميع الهَويسات استخدم العمال جرافات لرفع الاتربة فوق جوانبها، ثم زرعوا الاعشاب مغطين كل شيء ما عدا الأبواب والهَويسات وقمرة القيِّم عليها.

ويَزن كل من الابواب الفولاذية التي تنفتح وتنغلق لتفريغ الهَويسات أو ملئها، ٧٠ طناً. الا أنها دقيقة التوازن الى حد أن تحريكها لا يتطلب سوى محرك (موتور) صغير. وثمة مضخات ضخمة ومعقدة تتيح ملء هويس واحد بنحو ٧٠ الف متر مكعب من الماء خلال ١٨ دقيقة.

وحول بعض اجزاء القناة هَويسات توفير، أو سبارشلوسن، والى جانبها ثلاثة أحواض كبيرة مستطيلة توفر ٦٠ في المئة من المياه الناتجة من تفريغ الهَويس كيما يعاد استخدامها لدى مرور الباخرة أو البارجة التالية. أما أكثر ما يثير الاعجاب فهو انجاز هذه العملية دونما حاجة الى المضخات التي يستعاض عنها بتسخير قوى الجاذبية.

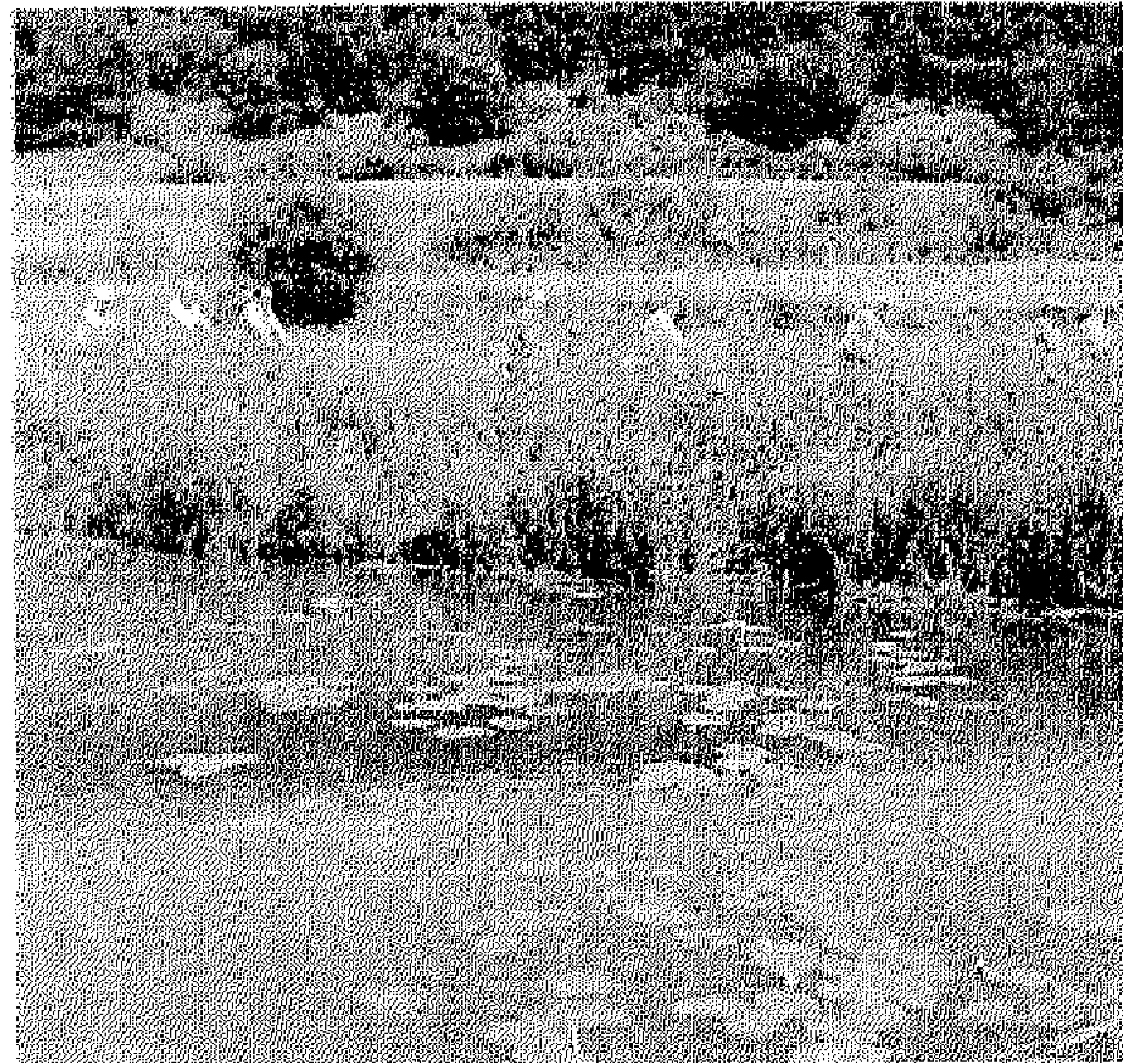
وعلى ثلاثة امتدادات من القناة وجد المهندسون أن من الاسهل اجتياز العقبات القائمة على الارض بالارتفاع فوقها. فلجأت شركة "راين – ماين دونو" في تخطي أنهار الزن والردنيتز والشفارزاش الى بناء ثلاثة معابر فَوْقيَّة وهي جسور ممدودة من تلة الى تلة حاملة أكثر من ٧٠ ألف طن من المياه في أغلفة فولاذية يبلغ طول الواحد منها ٢٢٠ متراً.

مرفأ بري! قلب المشروع النابض هو العاصمة الفرنكونية القديمة نورنبرغ التي بلغتها القناة قبل ٢٠ عاماً فحولتها مرفأ مزدهراً وهي البعيدة ١٠٠٠ كيلومتر عن بحر الشمال. وكان مخططو المدن بنوا فيها مرفأ داخلياً مساحته ٣٣٧ هكتاراً وطول أرصفته خمسة كيلومترات، تحول محطاً لنحو مليون طن من البضائع الواردة سنوياً من طول البلاد وعرضها، الامر الذي أحدث فرص عمل لنحو ٤٠٠٠ شخص. وعلى الواجهة المائية أيضاً مركز عصب القناة، وهو نظام مراقبة متطور يتحكم بكل هَويس ويراقب منسوب المياه ويتقفى كل سَفينة عابرة.

والى الجنوب من المدينة تعبر القناة النجود الفرنكونية صعوداً. وعلى مقربة من بلدة هيلبولتستاين تصل الى ذروتها مرتفعة ٤٠٦ أمتار عن سطح البحر.

وهنا أيضاً تبلغ القناة أقصى عمقها. وبدلا من ارتقاء التلال والهبوط عنها، وحؤولا دون اقامة مزيد من الهَويسات المستهلكة للوقت، قررت شركة "راين – ماين دونو" اختراق العمود الفقري للنجود الفرنكونية، فحفرت مجرى هائلا عمقه ٢٧ متراً وطوله ١٦ كيلومتراً امتد من بلدة هيلبولتستاين الى بلدة باشهاوزن وتطلَّب ازالة نحو ثمانية ملايين متر مكعب من الاتربة، وهذا رقم يفوق كثيراً ما يستوعبه هرم خوفو الكبير الذي يغطي خمسة هكتارات من الصحراء المصرية.

التمول ترحب بالقناة. BENDEL / SIPA



دراجون في وادي التمول. BERGMANN / MAURITIUS

ثروة بيئية. بدأت عملية تشييد الفاسرستراس عام ١٩٢٦، إلا أنها توقفت إبان الحرب العالمية الثانية، ثم استعادت زخمها في الخمسينات،

واستمرت من دون أن تلقى أي معارضة حتى السبعينات عندما توافد ذات سبت من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٧ نحو ألف من أنصار البيئة من أنحاء المانيا الى بلدة ريدنبرغ على ضفتي نهر ألتمول. وهم جابوا الشوارع منشدين أن المشروع سيدمر بيئة وادي ألتمول النفيسة، مطالبين بوقف العمل فيه.

وعلى مر السنوات الخمس التالية توافد صحافيو البيئة الى المنطقة وراحوا يكتبون عن وحش الاسمنت "العديم الاحساس" الذي سيبتلع الوادي، فكادوا

يتسببون في وقف العمل في القناة. بيد أن شخصين لا تآلف بينهما، أحدهما مهندس مناظر طبيعية مخلص لنهر ألتمول والآخر مهندس مخلص للقناة، وجدا مخرجاً من المأزق.

وكانت بذور التعاون بينهما نُثرت عام ١٩٧٢ عندما بدأ رينهارد غرب، وهو نورنبزغي أحمر اللحية مفعم بالنشاط، الاهتمام بمشروع وادي ألتمول حيث يتهادى النهر متلوياً بين التلال الحرجية والمنحدرات الصخرية الكلسية التي كانت موئلا لزهر الاوز ومالك الحزين الليلي النادرين ومئات الأجناس الاخرى. وعندما اكتشف رينهارد، وكان آنذاك في الثالثة والاربعين من عمره، أن "الشباب وألاتهم الكبيرة" يخططون لقلب معالم تلك المنطقة الريفية الرومانسية، أصابه الهلع لكونهم، كما يقول، "اعتزموا تقويم النهر وملء منعطفاته وروافده بحيث لن يبقى ثمة ما يقي الاسماك والضفادع والطيور من أمواج البارجات."

وهكذا حوَّل رينهارد حماسته الهائلة الى إنقاذ الألتمول، وبدأ وضع الأسس اللازمة لتحسين الحال. وفي تلك الأثناء كانت وزارة البيئة في بافاريا أمرت شركة "راين – ماين دونو" بوضع خطة بيئية صالحة للوادي. فلم تجد الشركة أفضل من رينهارد لتولي هذه المهمة.

ثمار صالحة. لكسب مزيد من التأييد، كشف رينهارد لرؤساء البلديات في منطقة ألتمول مدى تأثير الانشاءات في بلداتهم، وأقنعهم بوجوب تعديل مخططات الشركة. فعمد أربعة منهم، وقد أقلقهم الوضع، الى تأسيس جمعية جندوا لها رينهارد مستشاراً، ثم رفعوا القضية الى المسؤولين في بون. وفي العام ١٩٧٧ أصدرت وزارة البيئة قراراً قضى بتخصيص خمسة في المئة من موازنة "راين – ماين دونو" لحماية البيئة.

التقى رينهارد بصفته الرسمية مخططي مدن وعلماء ينتمون الى ١٥ فرعاً من العلوم، وقدم اليهم المشورة في شأن ما هو أفضل للاسماك والطيور والفراشات والحيوانات البرمائية... والناس. وقد تحدث عن تجربته قائلا: "عندما بدأتُ العمل مع شركة القناة، تنامى بيننا احترام متبادل. كانت السنوات الخمس الاولى حافلة بالشجار. أما السنوات الخمس عشرة التالية فكانت زاخرة بالتدارس والبحث."

ويعود بعض الفضل في تغيير الخطط الى شركة القناة التي أصغى مديروها، وخصوصاً مديرها الفني هانز سيدل، الى شجون المدافعين عن البيئة، وأمروا المخططين بالعودة الى طاولات الرسم. ويقول سيدل وهو في التاسعة والخمسين من عمره: "تعلمنا الكثير من السيد رينهارد، ويساورني اعتقاد أنه تعلم الكثير منا. فللمرة الاولى في المانيا تعمد شركة الى حماية البيئة وهي تبني قناة." ثم أطرق مفكراً كأنه يستعيد ذكرى معركة قديمة، وأضاف: "تستطيعون القول إننا كنا رواداً معاً."

القناة تشق طريقها عبر واد قرب اسينغ.
HEINZ TSCHANZ — HOFMANN / TRANSGLOBE AGENCY

أما ثمرات الجهود فواضحة، اذ بدلا من المعابر الفوقية باتت أجزاء القناة تمر عبر مروج خضراء، واكتست الضفاف نباتات طبيعية، وأخذ البط يتدافع وسط حزم القصب. ورحب سكان الوادي والنجود بجديدهم، وراحوا يبنون قبالة القناة بيوتا ذات سطوح حمراء. وتجتذب الممرات المغرية المتنزهين والدراجين، ويلقي صيادو الاسماك صنانيرهم في



الجسر الخشب القائم فوق القناة.
HB — VERLAG, HAMBURG

الماء الكريم. وفي ريدنبرغ يلاحظ رئيس البلدية مايكل شنايدر أن "القناة زادت عدد السياح، ولا بد من أن تأتي بالمزيد."

ويعدِّد سيدل منافع أخرى: "لقد جددنا الطرق وأقمنا ١٢٠ جسراً فوق القناة وبتنا نضخ المياه صعوداً عبر الفاصل القاري الى بافاريا التي تعاني نقصاً في المياه، كما زدنا المقادير الموزعة على المزارع وشركات المياه. والى الجنوب من نورنبرغ ملأنا ثلاثة مستجمعات ضخمة فحظي الناس ببحيرات لم يحلموا بمثلها."

أعمال مزدهرة. من مزايا الفاسرستراس اللافتة قدرتها على الاكتفاء الذاتي. ففي حين ضمنت شركة "راين – ماين دونو" عدم تحميل الناس مباشرة تكاليف المشروع البالغة ٦،٥ مليارات مارك (نحو ٤،٤ ملايين دولار بالسعر الحالي)، تعهدت حكومة بافاريا وجمهورية المانيا الاتحادية مد الشركة بالقروض وفق الحاجة. وفي تلك الاثناء بدأت "راين – ماين دونو" بيع الكهرباء المولدة بالطاقة المائية، وتستطيع محطاتها التي يديرها ٥٥ مولداً تربينياً اضاءة مدينة ميونيخ برمتها. وقد أتاح لها هذا الامر الاسراع في تسديد الديون المترتبة عليها للدولة. وتتوقع الشركة تسديد ديونها كاملة بحلول السنة ٢٠٥٠، موعد تسليم معامل توليد الطاقة الى حكومتي بافاريا والمانيا الاتحادية وتخلي الشركة عن اعمالها.

ولكن قبل حلول هذا الموعد ستزدهر الاعمال في الفاسرستراس لأن نقل البضائع بالطرق المائية هو أقل كلفة وجهداً من أي وسيلة أخرى. ومثال على ذلك بارجات الدفع الثنائية[٢]، وهي أحدث ما أضيف الى أساطيل الداخل في أوروبا وقادرة على نقل حمولات تبلغ ٣٣٠٠ طن أي ما يضاهي حمولة قطاري شحن، وبثلث الكلفة. وهي تستطيع نقل حمولة ١٠٠ شاحنة مقطورة من الوزن الثقيل، الامر الذي سيخفف كثيراً من الازدحام الحاصل في الطرق العامة في أوروبا.

ومن المتوقع أن يعبر الفاسرستراس خلال عامها الاول خمسة ملايين طن من البضائع، وهو رقم يُتوقع تضاعفه خلال ثماني سنوات. وأهم من ذلك كله افتتاح قناة الماين – الدانوب في الوقت المناسب لمساعدة بلدان أوروبا الشرقية على اعادة بناء اقتصادها.

وعلى رغم أن أعمال تشييد القناة انتهت، فما زال رينهارد يقود سيارته من نورنبرغ لمعاينة هَويس أو مرجة متاخمة للنهر. فبعد ٢٠ سنة من العمل المضني بات رينهارد متفائلا وإن بحذر. وهو يقول: "يجب أن تمتص القناة كثيراً من حركة المرور في الطرق العامة والسكك الحديد. وهي ستساعد البيئة وتعين شعوب أوروبا الشرقية على تحقيق الازدهار في وقت أسرع."

كنيث دانفورث ■

(٢) Two-Unit push barges

دائرة المعارف

تجمع مقالات "المختار" بين وضوح المعنى وأناقة المبنى. هنا كلمات اخترناها من الاعداد الاربعة الاخيرة. وقد وُضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسبا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **خزعبلات**: أحاديث باطلة – ألعاب – افكار – أحاجيّ.

٢. **غضاضة**: خوف – شباب – عداوة – ذلّة ومنقصة.

٣. **مأثرة**: خطوة – مكرمة – موضع الاثر – معركة.

٤. **براثن**: أنياب – أظافير – أصابع – قوائم.

٥. **موئل**: مرعى – ينبوع – قصر – ملجأ.

٦. **قيلولة**: نوم الظهيرة – قليل – إشاعة – طرفة.

٧. **مطهّم**: تامّ الحسن – أحمر اللون – أصيل – مدجّن.

٨. **معارج**: أساليب – سلالم ومصاعد – قواميس – أقدام.

٩. **سِجال**: لجام – توثيق – عراك – تيار.

١٠. **هَذَر**: نعاس – تبذير – سقطُ كلام – تأتأة.

١١. **تشدّق**: غصَّ – تفصَّح – تدلل – أكل بشراهة.

١٢. **شذرات**: نظرات – قطع ذهب – خواطر – عطور.

١٣. **إنداحَ**: انبسط – ترجَّح – صدح – انقاذ.

١٤. **أحابيل**: كلمات أخّاذة – حوامل – مصائد – حبال صغيرة.

١٥. **هشيم**: نار – رماد – قتيل – نبت يابس.

١٦. **وِزْر**: عون – حِمل ثقيل – حُكم – خاصرة.

١٧. **خنوع**: كسل – ظلم – خضوع وذل – خبث.

١٨. **إنقشعَ**: انكمش – انقطع – زال وانكشف – مات.

١٩. **مشادّة**: مغالبة – حديث – اجتهاد – غضب.

٢٠. **دبَّج**: كتب– أثنى وتزلَّف – كذب – نقش وزيَّن.

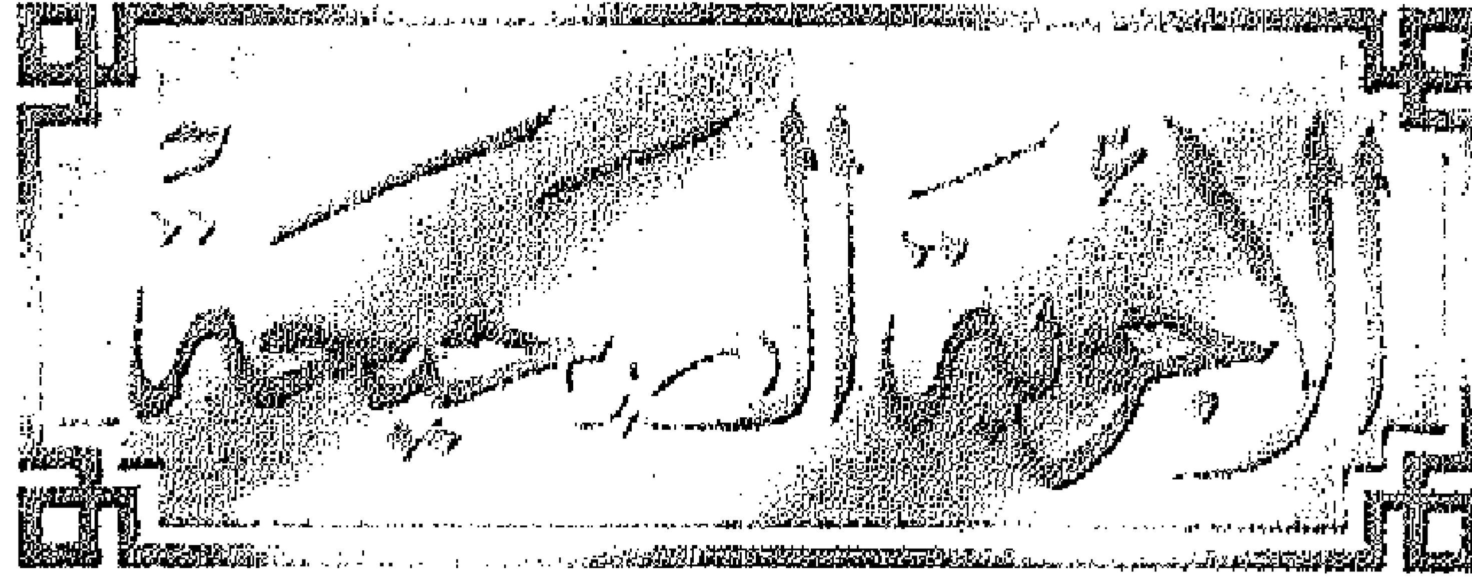
٢١. **أفّاق**: مشعوذ – ضارب في الافق – فقير – مجرم.

٢٢. **خضَّل**: حرك – لوَّن – بلَّ – عكر.

٢٣. **حذلقة**: ادعاء الحذق – فصاحة – ذكاء – ثرثرة.

٢٤. **موارية**: انعطاف – مخاتلة ودهاء – حسد – نميمة.

٢٥. **فطاحل**: أوائل – ذكور الجياد – أبطال – كبار.



١. **الخزعبلات**: الاحاديث المستظرفة الباطلة.
٢. **الغضاضة**: الذلّة والمنقصة. أيضاً: النضارة والطراوة.
٣. **المأثرة**: المكرمة المتوارثة والفعل الحميد. جمعها مآثر.
٤. **البُرْثُن**: هو من السباع والطير بمنزلة الاصبع من الانسان. جمعها براثن.
٥. **الموئل**: الملجأ.
٦. **القيلولة**: النوم أو الاستراحة في الظهيرة. القائلة: الظهيرة.
٧. **الجواد المطهَّم**: التامّ الحُسْن.
٨. **المعارج والمعاريج**: السلالم والمصاعد. واحدها مَعْرَج ومعراج.
٩. **السِجال**: التباري والتفاخر في جري أو قولِ شعر.
١٠. **الهَذَر**: سقطُ الكلام الذي لا يُعبأ به.
١١. **تشدَّق**: لوى شدقه للتفصُّح. تشدَّق بالكلام: توسَّع فيه من غير احتياط ولا احتراز.
١٢. **الشَذرات والشُذور**: قطع من الذهب تُلقط من معدنه. أيضاً: خرز يفصل به بين الجواهر المنظومة، واللؤلؤ الصغير. واحدتها شذرة.
١٣. **إنداح الشيء**: انبسط متسعاً. الدَوْح: البيت الضخم الكبير. الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة.
١٤. **الأحابيل**: المصائد. مفردها أُحبول وأُحبولة.
١٥. **الهشيم**: نبت يابس متكسِّر. يقال "صارت الارض هشيماً" أي يبس ما عليها من النبات والشجر.
١٦. **الوِزْر**: الحمل الثقيل. أيضاً: الاثم. أوزار الحَرب: أثقالها وآلاتها.
١٧. **الخُنوع**: الخضوع والذل. خَنَع به: غدره. خنَّعه: قطَّعه بالفأس.
١٨. **إنقشع السحابُ**: زال وانكشف. والليلُ: أدبر.
١٩. **المشادَّة**: المغالبة والمقاواة.
٢٠. **دبَّج تدبيجاً**: نقش وزيَّن وحسَّن. الديباج: الثوب الذي سداه ولحمته حرير.
٢١. **الأفَّاق**: الضارب في الافق مكتسباً.
٢٢. **خضَّل الشيء**: ندّاه وبلَّه. يقال "عيش خَضِل" أي ناعم طيِّب.
٢٣. **الحَذْلقة**: ادعاء الحذق. يقال "إنه يتحذلق في كلامه" أي يتظرَّف ويتكيَّس.
٢٤. **المواربة**: المخاتلة والدهاء.
٢٥. **فطاحل العلماء**: كبارهم.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول



٧ أعراض صحية لا تتجاهلوها

لا تتجاهلوا هذه التحذيرات البسيطة فقد تكون خطراً على حياتكم

كل مساء، كانت حرارة آن ك. ترتفع قليلاً بفعل الحمى، إلا أنها لم تتجاوز ٣٩ درجة مئوية. وكانت الحرارة تزول صباحاً، فتشعر آن بأن صحتها تسمح لها بالذهاب الى عملها.

لم تنحسر الحرارة على مدى ثلاثة أسابيع، فقصدت آن أخيراً طبيبتها الدكتورة كارول غارفي. وكانت غارفي تعلم أن آن، وعمرها عاماً، تشكو من خرير في القلب.[1] ومع أن هذه الحال لا تشكل أي خطر، فقد كان يتعيّن على آن أن تتناول مضادات حيوية (أنتيبيوتيك) قبل الشروع في معالجة أسنانها.

(1) Heart Murmur

PHOTO: © BOB PETERSON/FPG

حين ذكرت آن أنها، قبل أسبوع من ارتفاع حرارتها، قصدت طبيب الأسنان من دون أن تتناول مضادات حيوية، خشيت الدكتورة غارفي أن تكون ثمة صلة بين ارتفاع الحرارة وأسنان آن. وبيّنت فحوص الدم وجود التهاب جرثومي في صمام القلب سببه الظاهر انفلات جراثيم من فمها خلال معالجة أسنانها، وانسيابها في مجرى الدم وتجمعها في القلب.

واذا لم يعالج الالتهاب في الوقت المناسب فان الجراثيم تسبب تلفاً قد يحتّم إجراء جراحة قلب مفتوح وإبدال الصمام. وقد يكون الالتهاب قاتلاً.

عولجت آن في المستشفى شهراً كاملاً حقنت خلاله مضادات حيوية عبر الاوردة، فأبلّت واستعادت عافيتها كاملة.

في هذا الصدد، تُحذّر غارفي من أن "الحرارة الخفيفة المستمرة كالتي حلّت بآن قد تشير الى علل مختلفة تشمل داء هودجكنز[٢]. ولا يجوز تجاهل هذا المؤشر أبداً."

فإليكم ستة مؤشرات مبكرة ينصح خبراء صحيّون بارزون بوجوب التنبّه اليها:

العمى أو البكم لفترات وجيزة.

فيما كان طوم ج. (٥٤ عاما) يتكلم أمام جمع من وكلاء شركات التأمين، عميت عينه اليسرى فجأة وتلعثم. وما لبث أن استعاد نظره ونطقه وتابع خطابه.

برّر طوم اصابته هذه بأنها ناجمة عن "رهاب المنبر"، لكن طبيبه بدا قلقا، إذ أظهرت الفحوص انسداداً خطيراً في شريانه السباتي الأيمن. وكان أصيب بنوبة احتباس دم[٣] عارضة وهي برهة وجيزة يقصر الدم في أثنائها عن الوصول الى منطقة معيَّنة من الدماغ.

ويقدر بعض أطباء الأمراض العصبية أن ثلث الاشخاص الذين يتعرضون لنوبة احتباس دم يصابون لاحقا بسكتة دماغية (فالج). لكن السكتة تكون في الغالب عابرة سريعة لا يؤبه لها. والى فقد النظر أو النطق برهة وجيزة، تشمل الأعراض دواراً أو وخزاً أو خدراً أو وهناً في الأطراف أو عجزاً عن الفهم أو استخدام الكلمة الصحيحة عند النطق. وقد تقتصر نوبات احتباس الدم على ٣٠ ثانية أو تمتد ٢٤ ساعة.

بعد تعرض طوم للنوبة أجريت له جراحة وصحح الانسداد. ثم تابع برنامج حمية فقيراً بالدهن، ومارس الرياضة بانتظام وانقطع عن التدخين. وها هو بعد خمس سنوات ما زال يتمتع بصحة جيدة.

تغيرات في شامة.

تريسي م. (٣٢ عاما) سمراء جميلة لاحظت شامة صغيرة قاتمة في أعلى ساعدها سببت لها حكاكاً شبه دائم. وبعد أربعة أشهر أجرت فحصا مجهرياً فتبين أن الشامة كانت ميلانوما خبيثة[٤]. فاستأصل الدكتور ميرفن إلغارت جزءاً

(٢) Hodgkin's Disease
(٣) Transient Ischemic Attack
(٤) Malignant Melanoma. وهي بالعربية ورم قتامي خبيث.

عميقاً من النسيج حيث كانت الشامة. وأظهرت الفحوص أن الورم قد تجذر بعمق وهدد بالانتشار الى اجزاء أخرى من جسم تريسي. والميلانوما، إذا انتشرت، تكون في الغالب قاتلة.

والان، بعد سبع سنوات، لا تزال تريسي في صحة جيدة.

إن امتناع تريسي عن زيارة الطبيب باكراً ليس أمراً غير مألوف. وهذا الامتناع سبب جزئي في وفاة ألوف الناس كل سنة بالميلانوما الخبيثة. ففي المراحل الاولى من الاصابة تكون الميلانوما قابلة للشفاء في كل الحالات تقريباً بمجرد استئصال الشامة بجراحة بسيطة تجرى في عيادة الطبيب.

وهنا مؤشرات يجدر التنبه اليها:

□ عدم التناسق. ان "شامات" الميلانوما غير متناسقة في الشكل. فأحد نصفيها لا يماثل النصف الآخر.

□ تنافر الأطراف. الاطراف مثلّمة أو معقدة أو ضبابية.

□ اللون. ثمة درجات متفاوتة من الألوان، منها الأسمر والبنّي والاسود وخطوط مرقّشة حمراء وبيضاء وزرقاء.

□ القطر. يبلغ قطر ورم الميلانوما عادة ستة مليمترات أو أكثر، أي ما يقارب حجم ممحاة قلم رصاص. وكل زيادة على ذلك يجب اعتبارها مؤشر إنذار.

انتاب ماري ت.، وهي في أواخر الأربعينات من عمرها، سعال ظنته ناتجا من التهاب شُعبي. وظل السعال يتكرّر. وفي النهاية قصدت ماري طبيبها.

كان سعال ماري مزعجاً، كما أنه منعها من ممارسة هوايتها المحبّبة وهي الركض مسافات طويلة. وأظهرت فحوص سعة الرئتين أنها طبيعية. ولكن عند اجراء فحص خاص دقيق، تبيّن أن ماري مصابة بربو خفيف لم يشخص سابقاً.

ليس السعال الدائم عادة مؤشراً لمرض يهدد الحياة. ويكون سببه غالبا تقطراً مزمناً من مؤخر الانف. لكنه، كما يوضح الدكتور نورمن إدلمن المتخصص بأمراض الرئة، "قد يدلّ على انسداد أحد المجاري الهوائية أو على الربو أو على احتقان في القلب أو على سرطان الرئة."

ويقول الدكتور دانيال آين الاختصاصي بأمراض الحساسية: "إن مفتاح الحل ليس في تشخيصك الذاتي. فاذا استمر السعال أسبوعين أو أكثر، وفي غياب أي تفسير واضح كالاصابة بالزكام، إستشر طبيبك."

الحكاك المستمر.

بعد ثلاثة أشهر من زواج إفلين ر. (٢٢ عاماً) أصيبت بحكاك في ساعديها ورجليها تغلغل في جسمها الى حد أنها كادت تمزق جلدها لترتاح. ولم يظهر على بشرتها أي طفح. فلجأت الى مرهم الكالامين وتناولت هيستامينات مضادة وحقنا ضد الحساسية، فخف الحكاك لكنه لم يَزُل.

وبعد أشهر حملت إفلين وبدأت تشتكي من ضغط على صدرها وضيق في تنفسها. فطمأنها الاطباء الى أن السبب هو الحمل. لكن الأعراض لازمتها بعد الولادة. وفي النهاية أظهر فحص بالأشعة ورما في وسط صدرها بحجم ليمونة كبيرة. وبينت الفحوص أن الورم سببه داء هودجكنز.

قالت إفلين: "عرفت في وقت متأخر جداً أن الحكاك العميق الذي لازمني على مدى سنتين كان من أعراض داء هودجكنز. ولما شُخص مرضي كان بلغ مرحلة متقدمة بحيث لم يقدِّر لي الاطباء أن أبقى على قيد الحياة إلّا بنسبة ٢٠ في المئة."

لكن إفلين دحضت كل التقديرات حتى الآن، وهي لا تزال معافاة.

يقول الدكتور ايزادور روزنفلد: "في معظم الحالات، ليس الحكاك الا علة جلدية بسيطة قد يسبّبها أي شيء، من الارهاق الى الحساسية الجلدية الى الحساسية لبعض أنواع الصابون أو مطرّيات البشرة. ولكن حين يستمر الحكاك في غياب أي سبب مرئي، مثل الطفح الجلدي، فعلينا التيقظ وأخذ الحيطة."

والى الدلالة على داء هودجكنز، قد يكون الحكاك المستمر مؤشراً لداء السكري أو اضطرابات في الدم أو أمراض الكبد. كما قد يكون عَرَضاً جانبياً لبعض الأدوية التي تشمل المضادات الحيوية.

رضوض مجهولة الأسباب.

لاحظ بيل ك.، وهو أعزب في العشرينات، رضوضاً على ساقيه لم يعرف سببها. واذ بقيت الرضوض بضعة أسابيع، قصد بيل الطبيب. فأظهرت الفحوص أن معدل صفائح الدم، أي الخلايا التي تسبّب التخثّر كان ٥٠٠٠ فيما المعدل الطبيعي هو ١٥٠ ألفاً.

يقول الدكتور جوزف بايلز الاختصاصي بأمراض الدم والاورام: "إن الرضوض المتكررة المجهولة الاسباب قد تعني وجود مشكلة في آليَّة تخثّر الدم. وقد تكون علامة لوكيميا (ابيضاض الدم) أو مرض كبدي مستتر مثل التهاب الكبد أو ITP[٥] وهو اضطراب يهاجم فيه نظام المناعة في الجسم صفائحه.

في نهاية المطاف، أبان التشخيص أن مرض بيل هو ITP. وحين أخفقت المعالجة بالستيرويد استُؤصل طحاله، وهو العضو الذي يصفّي الدم.

وقد عاد معدل الصفائح لدى بيل الى مستواه الطبيعي.

ألم وغشاوة في العين.

خرج جيم ر. من غرفة خافتة الانارة الى أخرى تشع بالأضواء، فشعر بألم في عينيه وغدت رؤيته ضبابية. وحين حدَّق الى نور ساطع غلَّفت رؤيَته هالةٌ متعددة الألوان. وكان هذا الاحساس الغريب أمراً

(٥) Idiopathic Thrombocytophenic Purpura. وهي، بالعربية، برفرية نقص الخلايا الخثرية المجهولة السبب.

عابراً كل مرة، لذا تجاهله جيم ولم يعره أي اهتمام.

كان جيم يعاني أعراضا مبكرة من الغلوكوما (الزرق) وهو مرض يلقب "مختلِس النظر" ويعتبر أحد الاسباب الرئيسية للعمى، كما أنه يصيب واحداً من كل ١٠٠ شخص في الولايات المتحدة تراوح أعمارهم بين الاربعين والخمسين. وكثير من هؤلاء لا يدرون باصابتهم.

يقول طبيب العيون الدكتور مايكل يابلونسكي: "الغلوكوما خبيثة لأن الرؤية الوسطية تبقى سليمة رائعة فيما تكون الرؤية الجانبية في طريقها الى التلف. كما أن الاعراض تظهر وتزول تكراراً."

في النهاية قصد جيم الدكتور يابلونسكي، إنما بعد اشتداد أوجاعه وفقده بعض بصره. ويذكر الدكتور يابلونسكي: "في تلك المرحلة كان قد لحق بعيني جيم ضرر كبير. أما اذا عولجت الغلوكوما في وقت مبكر ففي الامكان السيطرة عليها في معظم الأحيان."

ولئن خسر جيم جزءاً كبيراً من بصره، الا أن حاله استقرت.

يقول الدكتور روزنفلد: "الاعراض لا تنبئنا دائماً وتحديداً بنوع العلة، لكنها تدل على أن ثمة علّة في مكان ما."

فاذا باتت لكم إحدى تلك المؤشرات التحذيرية المبكرة، واستمرت أو تكرّر حدوثها، فاستشيروا طبيباً للحال. فبذلك قد تنقذون حياتكم.

جون بيكانن ■



تدابير جذرية

بعد فترة طويلة من التقشف استخدمتُ خلالها كل الأساليب الممكنة لضبط مصروفي، سمحت لي مدّخراتي بأن آخذ اجازة صيفية، وحين وصلتُ الى الفندق ناولتُ الموظف بطاقة اعتمادي، فتطلع اليها برهة ثم اعادها اليّ مستهجناً. فنظرتُ الى البطاقة فوجدتني قد كتبتُ عليها من الخلف: "ايّاك ان تلمس هذه البطاقة ما حييت."

ب.ن.

متسول انساني

كنت انظف حديقتي مرتديا ثيابي القديمة الرثة حين تذكرتُ موعداً لي مع صديق، فلم يتسنّ لي الوقت لتغيير ملابسي فهرعتُ الى الموعد ناسياً محفظتي في البيت. واذا بمتسوّل يقترب منّي سائلا الاحسان فبحثت في جيوبي عن المال ولم اجد سوى عشرة قروش، فاخذها منّي مرتبكا، وما لبث ان سألني: "وانت، ماذا سيحل بك؟"

ز.ق.

ببغاء شفى آنسي

ترى، هل يفهم الببغاء ما ينطق؟

باحت بات مايرز لابنتها آني بما اعتمل في نفسها من شجن ووحشة. قالت لها: "الوحدة ستجنني." فقد مضت عليها سنة كاملة وهي أسيرة منزلها بسبب خضوعها لعلاج يتناول شرياناً ملتهباً في صدغها يؤثر في نظرها وهمّتها.

تعيش بات وحيدة بعدما توفي زوجها وتزوج ولداها. وكانت سعيدة في عملها مديرة لمجموعة من متاجر الألبسة. ولما اضطرت الى التخلي عن وظيفتها بفعل المرض شعرت بوطأة الصمت والفراغ تطبق على صدرها، فأفضت الى ابنتها بمكنونات قلبها: "ما رأيك في نشر إعلان عن حاجتي الى مرافقة تسكن معي؟"

فأجابتها آني: "أظن أن ذلك ينطوي على مخاطر. ما رأيكِ في اقتناء حيوان أليف؟"

فقالت بات: "ليست لي القدرة على أخذ كلب في نزهة. ولدي حساسية للهررة. ولا أعتقد أن لدى الأسماك ما تقوله."



PHOTOS: ERNEST COPPOLINO

فاقترحت الابنة: "الطيور لديها ما تقوله، فما رأيك في ببغاء؟"

وهكذا كان.

زارت بات وابنتها متجرا للطيور الافريقية حيث شاهدتا عصفورين صغيرين بلا ريش وقد تلاصقا طلباً للدفء. لم تكن بات مقتنعة بصواب الفكرة، لكن ابنتها شجعتها على دفع ثمن العصفور ذي العينين البراقتين. ولما بلغ شهره الثالث واكتسى جسمه بالريش سُلِّم الى صاحبته الجديدة فسمته كايسي.

بعد بضعة أسابيع قالت بات لابنتها: "لم أكن أعرف أنني أتكلم الى هذا الحد. كايسي يتعلم كل الكلمات."

فابتسمت الابنة اذ لمست المرح في صوت أمها. وكانت أول جملة تعلمها كايسي "أين نظاراتي؟" ثم "أين حقيبتي؟" وكلما راحت بات تنعم النظر الى الطاولة وتفتح الأدراج كان كايسي يبادر الى الترنيم: "أين نظاراتي؟ أين حقيبتي؟"

وصار يرحب بها لدى عودتها من نزهة قصيرة قائلا: "يا له من طقس بارد في الخارج!" مقلّداً صوتها ببراعة مدهشة.

وكان كايسي يكره القفص، لذا سمحت له بات بالتطواف في أنحاء المنزل. وهي قالت لابنتها: "إن حضوره ممتع جداً، وهو يضفي على البيت جواً أفضل."

فلاحظت آني: "أظن أيضاً أنك أنت صرتِ أفضل حالاً."

فاعترفت بات: "انه يضحكني أربع أو خمس مرات في اليوم، ويقال إن الضحك مفيد للصحة."

ذات يوم قدم سمكري الى البيت لاصلاح تسرب تحت مغسلة المطبخ. وكان كايسي في الغرفة المجاورة يكسر البزور في القفص وينظر الى السمكري عبر الباب المفتوح. ثم خرج عن صمته فجأة وراح ينشد أغنية للاطفال: "بطاطا واحدة، بطاطتان، ثلاث بطاطات، أربع..."

فسأل السمكري متعجباً: "ماذا؟"

فتابع كايسي مقلّداً صوت بات: "إياك والبراز على البساط."

فترك السمكري المغسلة ودخل غرفة الجلوس وصاح في بات: "إن كنت تريدين اللهو فابحثي عن سمكري آخر."

فنظرت اليه السيدة وقد تملكتها الدهشة. فارتبك السمكري وسألها: "أنتِ فعلتِ ذلك، أليس كذلك؟"

فابتسمت بات وسألته: "ماذا فعلت؟"

قال: "بطاطا، بطاطتان، إياك والبراز..."

فردت بات ضاحكة: "آه، دعني أعرّفك الى كايسي."

في تلك اللحظة عطست بات، فسارع كايسي الى تقليدها وزاد على ذلك بعضاً من سعالها عندما تكون في أوج حساسيتها، ثم أنهى "وصلته" بتأفف. فهزّ السمكري رأسه وعاد الى موقعه تحت المغسلة.

ذات صباح رنّ جرس الهاتف بينما كانت بات تقرأ الجريدة. فرفعت السماعة،

لكنها لم تسمع سوى صوت خط غير مشغول. وفي صباح اليوم التالي رن جرس الهاتف ثانية، فلم يطالع بات سوى صوت خط غير مشغول. وفي اليوم الثالث أدركت أن كايسي يقلّد رنين جرس الهاتف ببراعة.

ومرة فتحت بات زجاجة مرطبات على طاولة المطبخ، فاقترب منها كايسي متهادياً وقلّبها، فانسكب بعض الكولا على حضن بات وعلى الارض. فانهالت عليه بات باللعنات فيما راح هو يحدق اليها، ثم أمرته: "إنسَ ما سمعت، أنا لم أقل شيئاً. أنا لا أتلفظ أبداً بكلمات كهذه، وما كنت لألفظها الآن لو لم أكن انتهيت لتوي من تنظيف الأرض."

فلزم كايسي الصمت. بعد فترة وصلت وكيلة عقارات الى منزل بات لتداول بعض المسائل. وفيما كانت المرأتان تتناقشان في مواضيع مهمة، علا صراخ كايسي في الغرفة المجاورة وتلا على مسامعهما سيلا من الشتائم. فأكملت السيدتان حديثهما وكأن شيئاً لم يكن. ويبدو أن



كايسي أعجب بهذه النغمات الجديدة فكررها.

شعرت بات بالحرج والمرح في آن، فوضعت يدها على كتف ضيفتها وقالت لها: "لطف منك يا هيلين أن تتظاهري بأنك لم تسمعي شيئاً. لكنني أعلم تماماً أنك لم تطرشي فجأة."

فأغرقت الاثنتان في الضحك.

بعدما انصرفت هيلين راحت بات تؤنّب كايسي قائلة: "يا لك من طائر شقي. ستظن السيدة أنني أتجول في البيت طوال النهار وأنا أردد الشتائم والألفاظ النابية."

فرد كايسي: "يا لهذه الفوضى!"

فقالت بات: "نعم، معك حق، إنها لفوضى حقا."

يحلو لكايسي أن يجثم على حنفية المغسلة في المطبخ ويفتحها. وذات مرة أرادت بات أن تتحرش به وتضايقه، فرشته بالماء، فتوقف كايسي عن مهاجمة الحنفية وأدار رأسه لينظر الى بات بحدة ويسألها: "ماذا جرى لك؟"

إن غادر المطبخ وسمعته بات يقول: "أوه، يا لك من طائر شقي!" فهذه إشارة واضحة لها لكي تلحق به مسرعة، لأنها ستجده ينقر كراسي غرفة المائدة أو ورق جدران الردهة. وقد سألها ابنها بيل وهو ينظر الى الأضرار التي لحقت بالردهة: "هل يستحق عصفورك كل هذا العناء؟"

فردت بات: "إذا ما خيّرتني بين منزل فاخر موحش وآخر مهمل ومرح، فسأختار المهمل بالتأكيد."

قررت بات قصّ مخالب كايسي الحادة. فأخذته الى طبيب بيطري لفّه بمنشفة لكي يسهل عليه تشذيب المخالب من دون أن يتعرض للنقر. ثم مدده على ظهره وسلّمه الى مساعده لكي يمسكه ريثما ينتهي هو من قص المخالب. فنظر كايسي المغلوب على أمره الى بات وقال راثياً لحاله: "أوه، يا له من طفل مسكين!"

لطالما تساءلت بات عما اذا كان كايسي يفهم ما يقول، لأن الجمل التي يلفظها غالباً ما تكون مناسبة الى حد الارباك. فذات مرة، عندما تلكأ أحد ضيوفها عن الرحيل واسترسل في الحديث عند مدخل البيت، ضاق كايسي ذرعاً وصرخ بنفاد صبر: "عمت مساء، عمت مساء."

ومع ذلك، فكلما حاولت بات تلقينه جملة كان يخرجها عن طورها. ذات مرة كانت جالسة في كرسيها المريح وكايسي على ذراعها. فراحت تنفض الغبار عن ريشه الرمادي المخملي وذيله القرمزي، ثم قالت له: "أحبك، هل تستطيع أن تقول: أحبك يا بات مايرز؟"

فنظر اليها كايسي وقال: "أعيش في مالارد فيو."

صاحت به: "أعرف أين تسكن أيها العصفور المضحك. قل لي إنك تحبني."

فردد: "عصفور مضحك."

وحاولت مرة تلقينه ترنيمة للعيد قبل وصول ولديها وأحفادها الى العشاء، فقالت له: "ستكون هذه الأغنية مساهمتك في الاحتفال."

فسألها: "أين نظاراتي؟"

فنهرته: "دعك منها الآن، واستمع إليّ وأنا أغني."

وراحت تنشد وترقص في المطبخ، لكن كايسي اكتفى بالتحديق اليها، فعدلت عن فكرتها.

في اثناء تناول العشاء، لزم كايسي الصمت.

ولما حان وقت التحلية أطفأت بات الأنوار وأشعلت عود كبريت واقتربت من قالب الحلوى. وفيما الشراب يوزّع على الحضور، بدد كايسي الصمت في توقيت مذهل وراح ينشد ترنيمة العيد.

تحسنت صحة بات الى حد سمح لها بالذهاب في عطلة لثلاثة أسابيع، وقالت للببغاء مودّعة: "ستكون بخير مع آني وأولادها."

ويوم رجوعها أعادت آني الببغاء الى البيت لكي يستقبل أمها لدى وصولها من المطار. وعندما فتحت بات الباب صاحت: "مرحباً يا كايسي." لكنها لم تلق أي جواب.

فأضافت: "يا إلهي، الطقس بارد في الخارج." لكن الصمت ظل مطبقاً.

فرمت معطفها وأسرعت الى غرفة الجلوس حيث رأت كايسي جاثماً يحملق فيها. فسألته: "ألست سعيداً بعودتي؟"

فانسحب الببغاء الى أبعد ركن في القفص.

قالت له: "هيا اقترب، لا تغضب مني." وفتحت باب القفص ومدت يدها، فنزل كايسي الى أرض القفص.

في اليوم التالي حاولت بات استمالته مجدداً، لكنه رفض الكلام. ثم وافق خلال النهار على ارتقاء معصمها والذهاب معها الى غرفة الجلوس. ولما جلست في كرسيّها راح يتحرك باضطراب كأنه يريد الفرار. فقالت له بات: "أرجوك يا كايسي، أعرف أنني ابتعدت عنك فترة طويلة، لكن عليك أن تسامحني."

فخطا كايسي بضع خطوات مترددة على ذراعها ثم عاد الى ركبتها.

فقالت له بلطف: "هل خفت ألا أعود ثانية؟ تأكد من أني لن أفعل ذلك أبداً."

رفع كايسي رأسه وتنقل ببطء على ذراعها، ثم استكنَّ اليها. فأخذت تمسّد رأسه وتداعب ريشه. عندئذ قرّر الكلام فقال: "أحبك يا بات مايرز."

جو كودير ■



من يفعل مثلها؟

يتذكر ماثيو باريس مساعد السيدة مارغريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية السابقة، كيف كانت تولي اهتماماً خاصاً الرد على رسائل الجمهور اليها اثناء توليها منصبها: "كنا نحضّر احيانا لائحة بما يقوله لها الناس، فتتناولها بشغف، وبدا اهتمامها برسائل العامة غير عادي. وسعينا الى تجنيبها هذا الميل باستخدام شتى الذرائع والاّ وجدناها تقضي الساعات في محاولة قراءة كل من الرسائل الثلاثة آلاف التي ترد عليها يومياً مثيرة شتى انواع المشاكل كعقوبة الاعدام او الوضع في روديسيا ثم تسطر بالأزرق كل الملاحظات التي توافق عليها."

عن "التايمس" – لندن

القبعة الجميلة

كنتُ اتجوّل داخل مخزن كبير فوصلت الى قسم القبعات النسائية فخطر لي ان اجرّب كل القبعات المعروضة. ورحت اعتمر واحدة وانزع اخرى حتى اعجبتني واحدة فتاملت نفسي في المرآة واذا بسيدة واقفة خلفي تقول لي بتهذيب جم: "انها رائعة وتناسبكِ تماماً." فشكرتها وقلت لها: أأعجبتكِ انتِ ايضاً؟

فاجابت: "نعم سيدتي، فهذه قبعتي!"

ز.غ.

أمي انقذتني من براثن المخدرات

حين شاع تدخين الماريوانا في الولايات المتحدة اعتبرت مظهراً حضارياً و"موضة" للشباب. فانبرت *هذه الأم لحماية ابنتيها من الخطر الداهم، وما لبثت أن أصبحت قائدة للاهالي في حرب شعواء على المخدرات

ما زلت أذكر ذلك اليوم حين اكتشفت أمي أني أدخن الماريوانا.* ففيما كان خادمنا بيل يعلق الستائر عثر على ورق الرز الرقيق الذي كنت أحشو فيه السجائر، فسأل أمي: "من الذي يدخن الماريوانا في هذا البيت؟"

انتحت بي أمي زاوية هادئة وسألتني بصراحة وقلق، فاعترفت لها: "نعم، أنا أدخن الماريوانا."

كنت آنذاك في الخامسة عشرة من عمري. وعلى رغم صغر سني، أصبحت "ريِّسة" وهي الصفة التي تطلق على

(*) الماريوانا هي القنب الهندي او حشيشة الكيف، وتدخَّن كمخدر.

JSTRATION: GEORGE ANGELINI

المدخن المتمرّس. كنت عدوانية أحياناً، إنما كانت تسيطر عليّ في غالب الاحيان حال اكتئاب ووهن. ولم يخطر ببالي مرة أن السبب عائد الى الماريوانا.

وأكدت لأمي: "لا داعي الى القلق يا ماما، فالكل يدخن الماريوانا، ولا يأتي منها أي ضرر."

صُعقت أمي لما سمعته مني. فهي لم تكن تعرف شيئاً عن الماريوانا سوى أنها غير مشروعة. لكنها قالت لي إنها ستبحث عاجلا عما اذا كانت ضارة أم لا.

بدأت أمي الكتابة في السابعة عشرة من عمرها، وألفت في حياتها ٣٥ كتابا ومئات المقالات في المجلات. وكان الدافع الى قسم كبير منها حوادث وقعت في عائلتنا أو في المحلة التي نقطنها. وتميزت أمي كباحثة لا تعرف الكلل، تسعى بعناد في سبيل معرفة الحق، وهي توصلت دائماً الى كشف الحقائق.

في اليومين التاليين انهمكت أمي في إجراء اتصالات هاتفية مع خبراء وسجلت أكداساً من الملاحظات والمعلومات.

"**دنـــغ!**" بـعـد أسبـوعين مـن الاستقصاءات المكثفة قالت لي أمي: "أنا أعرف أنكِ لا تريدين التكلم ساعات على الماريوانا، لذا سأحدثك كل ليلة عشر دقائق عما جمعته من معلومات." ثم ضحكت وشعَّت بسمتها البريئة الرائعة التي تحاكي بسمة الصغار، وتابعت: "وسنتخذ ساعة الموقِّت في المطبخ منبهاً يعلن لنا انتهاء الجلسة."

امتدت جلسات تثقيفي عن الماريوانا عدة أسابيع في فترات من عشر دقائق كانت تنتهي بدقّات "دنغ" من موقِّت الطهو في مطبخنا.

ذات مساء جلستُ وشقيقتي الصغرى بتسي الى طاولة الطعام، فقالت لي أمي: "هل تعرفين أن ضرر تدخين ثلاث سجائر ماريوانا أو أربع يساوي ضرر تدخين ٢٠ سيجارة عادية؟ وهل تعرفين أن إدمان الماريوانا قد يتلف جهاز المناعة في الجسم؟ وهل تعلمين أن المخدر يبقى في الدماغ بعض الوقت وأنه قد يؤثر في قدرة المرأة على انجاب الأولاد؟"

أقبلت ليلة العيد، وامتدت سهرة والديّ لانهماكهما في توضيب هدايانا. لكني لم أشعر بأي خلجة من رغبة أو بهجة. فانطويت على نفسي في غرفتي. ثم خطرت ببالي فكرة روَّعتني. ترى، هل كانت أمي تحاول من خلال الجلسات التثقيفية عن المخدر إعادتي الى حظيرة العائلة السعيدة المُحبّة التي انعزلتُ عنها؟

انتصبتُ جالسة وقد غمرني فيض من الحنان والمحبة تجاه أمي. فركضت الى الردهة وقرعت باب غرفة والديّ. وما إن فتحت أمي الباب حتى تبسمت وقالت: "أهلا." فارتميت باكية على صدرها الدافىء وقلت منتحبة: "سأتوقف عن تعاطي الماريوانا."

وتطلعت الى وجهها فرأيت الدموع تنسكب من عينيها.

ولم ادخن الماريوانا بعد تلك الليلة.

أزمة وطنية. لم يخطر ببالي آنذاك أن أمي، بعدما أنقذتني من براثن الماريوانا، اعتزمت مواصلة الكفاح ضدّها. فكم مرة ردّد والدها على مسمعها أنه لأمر واجب وحيوي أن يكافح المرء الشر بكل ما أوتي من قدرة. لذلك، بعد دفاعها الأول عن ابنتيها ضد الماريوانا، انطلقت في حملة شعواء لانقاذ كل الاولاد الذين تستطيع إنقاذهم.

كان قلقها كبيراً إذ بينت لها أبحاثها أن ألوف الشباب كانوا ماضين في تحطيم حياتهم بتدخين الماريوانا. واتقدت غضباً عندما علمت أن بعض وسائل الاعلام مسؤول الى حد كبير عن هذا الواقع الأليم.

في ذلك الحين كان مروجو الماريوانا يُشاهَدون على التلفزيون وهم يشجعون على تعاطي المخدر. وحفلت الصحف والمجلات بروايات تزعم أن لا ضرر من تدخين الماريوانا. كما أوحت إحدى افتتاحيات صحيفة "نيويورك تايمز" أن ضرر الماريوانا لا يفوق الضرر الناجم عن كأس شراب. وكان من السهل تصديق طمأنات العلماء والمسؤولين الحكوميين الى أن الماريوانا غير مؤذية وأنها مجرد مخدّر ترفيهي.

لكن والدتي الخبيرة في الأبحاث ما لبثت أن اكتشفت الحقيقة الناصعة، وأدركت أن الماريوانا أزمة وطنية طارئة وملحّة، فجمّدت كل مشاريعها وتفرّغت لهدف واحد هو اطلاق ناقوس الخطر في أمريكا للتنبيه الى أن الماريوانا، إضافة الى كونها ضارة أصلاً، هي أيضاً "المدخل" الى تعاطي الهيروين والكوكايين.

وعرفت أمي أن نشاطها لن يكسبها شعبية، فلم يطل الوقت حتى تناولتها الألسن بالسخرية. الا أنها لم تنثنِ بل ضاعفت جهودها.

في الـ"ريدرز دايجست." عام ١٩٧٨ علمت أمي ان مؤتمراً سيعقد في مدينة ريمس الفرنسية حيث سيقدّم ٥٠ باحثاً من ١٤ دولة معلومات عن الماريوانا. فحضرت المؤتمر وفي جعبتها خمسة دفاتر وأشرطة مسجّلة عن المعلومات التي جمعتها.

وإذ امتنع معظم الصحف والمجلات عن الاصغاء الى قناعاتها، كتبت الى مجلة "ريدرز دايجست" بعد سنة عدداً من المقالات عن أخطار الماريوانا. وقد اطّلع على هذه المقالات ملايين الناس الذين كانوا بعيدين تماماً عن حقيقة أخطار المخدر. كان الأهل في كل مكان تواقين الى المساعدة، وللمرة الاولى أتيحت لهم معرفة أخطار الماريوانا. وتلقّت والدتي من الأهلين، كما من مدمنين سابقين، رسائل يروون فيها كيف تغيّرت حياتهم بفضل كشفها الحقيقة.

قالت والدتي إن تلك المقالات التي نُشرت في الـ"ريدرز دايجست" ساعدت في إحداث تحول مثير في موقف الجمهور

الامريكي من الماريوانا. وما لبثت وسائل إعلامية أخرى أن واكبت هذا التغيير. وقد قال مدير إحدى محطات التلفزيون بعد بث رسائل التحذير التي أطلقتها والدتي: "كل ما أرجوه هو ألّا نكون تقاعسنا كثيراً في أداء القليل وإن متأخرين."

كان لكتاباتها وقع مدهش. وقال عنها روبرت دوبون مدير "المعهد الوطني لمكافحة إدمان المخدرات" في الولايات المتحدة: "إن هذه المرأة، ربة المنزل والأم والزوجة والكاتبة، بيغي مان، عملت على إعلام عموم الأمريكيين بأخطار الماريوانا أكثر من دوائر مكافحة المخدرات في البلاد كلها. وفي رأيي أن ما فعلته يفوق كل ما فعلته هذه الدوائر مجتمعة."

ولا اخالني أبالغ اذا قلت إن أمي أصبحت بطلة ورجاء للأهل في امريكا كلها وقائدة وطنية لحركة الأهل ضد المخدرات. وفي العام ١٩٨٥ سُمِّيت "رائدة كتّاب مكافحة المخدرات" واقيمت لها حفلة تكريمية في الكونغرس هي الاولى من نوعها شارك فيها أعضاء من الحزبين الرئيسيين وحضرها أكثر من ٢٥٠ شخصية سياسية.

ولكونها متواضعة أصلا، بدت مرتبكة إذ وجدت نفسها محور تكريم ومحط اهتمام، فقالت: "لا أرى ما الذي يدعو الجميع الى إحاطتي بهذا الاهتمام الزائد." وتابعت بعد نفس قصير: "لكني أظن أن هذا مفيد للقضية."

فضممتها بقوة وقلت لها: "لولاك يا أمي لما كانت هناك قضية."

فقرصت أنفي ممازحة وردّت: "لولاك أنتِ لما كانت هناك قضية."

وقد أعلن تشارلز رانجل عضو الكونغرس ورئيس لجنة مكافحة إدمان المخدرات: "لو أصغت الامة الى بيغي مان عندما كتبت عن هذا الموضوع للمرة الاولى، لما وصلنا الى واقعنا المخيف اليوم."

"آه، لكم أحبكم!" في العام ١٩٩١ نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" مقالا كان من شأنه أن يدهش والدتي ويسرّها، اذ جاء فيه اعتراف بأن تعاطي المخدرات كالماريوانا والكوكايين "انحدر من مرتبة الفخامة الى درك الحقارة في سنوات قليلة." ونقل المقال عن الدكتور ميتشل روزنتال رئيس مركز "فينكس هاوس" للمعالجة من ادمان المخدرات قوله: "قبل عشر سنين، ساد الاعتقاد أن تعاطي المخدر يزيد ذكاء المرء وقدرته الجنسية ونشاطه في عمله. أما الآن فتعي جميع مراتب المجتمع، الفقيرة منها والغنية، أن تعاطي المخدر خطر يحصد الفردُ والمجتمعُ شرَّ عواقبه."

في ربيع ١٩٨٩ أجرت والدتي فحصا بالأشعة كشف بقعة صغيرة جداً في ثديها الأيسر تبيّن أنها سرطانية خبيثة. فخضعت لجراحة استئصال الثدي، لكن السرطان كان امتد الى رئتيها وعظامها ودماغها.

حين أبلغت إلينا النبأ، ذكّرتنا بدرس مهم آخر تعلمته من والدها: "كافحوا بكل قواكم، واذا لم يعد في امكانكم عمل المزيد فتقبّلوا قدركم بشجاعة." وكانت آنذاك عاكفة على تدبيج مقال يندّد بخطة ترمي الى تشريع تعاطي المخدرات.

أمضت والدتي معظم سنواتها الأخيرة في مستشفى بمدينة نيويورك حيث أقنعت المسؤولين بالسماح لها باحضار ستة صناديق ملأى بملفات أبحاثها، مؤكدة لهم أنها لا تنوي التخلي عن حربها على المخدرات. كانت ترى أن أفضل الاطباء والممرضات في المستشفى هم أولئك الذين أبدوا رغبة في مساعدتها على تنظيم ملفاتها وأظهروا مهارة في العثور في صناديقها على شيء تحتاج اليه.

عملت أنا وأبي وشقيقتي بتسي في تنظيم كتابات أمي وترتيبها في ملفات مبوّبة. وكانت مكافأتها إيانا أنها ظلت تلك الزوجة والام المُحبة الرائعة التي عهدناها دائماً.

قبل مرض والدتي كنا نرسم خططاً لزواجي. وبعد مرضها تابعنا درس التفاصيل. فوصفتُ لها ثوب عرسي والمكان الرائع الذي انتقيناه أنا وخطيبي لاقامة حفلة الاستقبال. وذات يوم بادرتني بابتهاج زائد: "يقول الاطباء إن في وسعي حضور حفلة زفافك."

وثابَرَتْ على العمل بكل ما لديها من قوة. فكانت تتصل بمراجعها وهي جالسة مسندة الظهر في سريرها. ووردت عليها من المؤتمر السنوي لمعهد "موارد الأهل للتوعية الى أخطار المخدرات" أشرطة فيديو سُجلت فيها كلمات المندوبين الذين حضروا المؤتمر وهم يحيّون أمي ويشجعونها. وكان كثيرون منهم يذرفون الدمع ويتمنّون لها الشفاء العاجل.

ولكن، واأسفاه، لم يتحقّق ذلك.

سئلت أمي في أواخر أيامها عما كان في اعتقادها أهم إنجازاتها. فعلت شفتيها ومضة ابتسامة ظلت، وإن خبا بريقها، رائعة لا تُنسى، ثم أجابت بافتخار: "ابنتاي، وكتاباتي عن المخدرات."

حين زرت أمي للمرة الأخيرة اندسستُ في السرير الى جانبها وغنّيت لها أنشودة شجية عذبة، فأصغت وتطلّعت إليّ بعينين زرقاوين صافيتين كأنها تقول وداعاً.

بعد قليل انحنى والدي وضمّ رأسه الى رأسها. وفجأة، هتفت بصوت قوي: "آه، لكم أحبّكم!"

كانت تلك كلماتها الأخيرة، وماتت بين ذراعي والدي يوم ١٧ يوليو (تموز) ١٩٩٠ قبل عشرة أيام من موعد زفافي.

صباح يوم العرس وضعت أمامي على طاولة تبرّجي صورة أمي حين كانت في روعة صباها. وغمرني شعور بأنها حاضرة الى جانبي.

وعدتُ بذاكرتي الى أيام "دنغ"، والى ليلة العيد البعيدة تلك حين حضنتني في غرفتها، والى قوتها وروحها والسعادة التي غمرت بها عائلتنا، والى همّتها التي لم تعرف الكلل في خدمة جيل الشباب.

جنيفر مان ■

الرياضة تنشط الحياة الجنسية

التمارين المعتدلة تستحثّ رغباتكم الجنسية وتجعل منكم عشاقاً رائعين

يحبان تبادل الغزل في الحفلات. يداهما متشابكتان. لغة الجسدين تعلن: "علاقة عاطفية محمومة" لا "متزوجان ولهما أولاد."

من يرَ طوم وسو أندرسون لا يخمن أنهما في أوائل الاربعينات وأنهما متزوجان منذ ١٧ سنة!

قبل نحو عشر سنين كان زواجهما متيناً، لكنه كان بارداً. وكانت علاقتهما الجنسية ممتعة ولكن روتينية الى حد ما... الى أن بدأت سو برنامج تمارين رياضية بعد ولادة طفلهما الثاني. ومع تحسّن شكلها شعرت بفورة من النشاط وبأنها صارت أكثر جاذبية. أعجب طوم بما رأى، فبدأ يمارس رياضة الهرولة ورياضات أخرى منقصاً وزنه ٢٧ كيلوغراماً.

أصبحت التمارين في النادي الرياضي المحلي سلوى للزوجين. وفيما كانا يتخلصان من سنتيمترات زائدة هنا وهناك في جسميهما، كان العشق يتسارع في مخدعهما. وتقول سو: "عاد الجنس جديداً."

نحن ندرك بالفطرة أن العلاقات الحميمة تصبح أكثر استثارة اذا أحس المرء لياقة جسدية وجاذبية. لكن الخبراء يشيرون الى جمهرة من التغيرات الفيزيولوجية (في وظائف الجسم) قد تفسر عودة النشاط الجنسي التي ترافق جهداً جسمانياً معتدلاً.

تقول لورين كورداين أستاذة الفيزيولوجيا الرياضية في جامعة كولورادو: "تعمل كل أنظمة الجسم على نحو أفضل عندما يتمتع المرء بلياقة جسدية."

وتدعم أعداد متنامية من الدراسات والابحاث الميدانية نظرية ارتباط النشاط الجنسي بالرياضة. فقد اكتشفت عالمة النفس ليندا دي فيلرز من تحليل ٢٠٠٠ إجابة عن استبيان في مجلة تعنى بلياقة المرأة، أن ٨٣ في المئة من النساء اللواتي اشتركن في الاستبيان يمارسن رياضة الايروبيك ثلاث مرات في الاسبوع على الاقل. وقد أكد ٤٠ في المئة منهن أنهن أصبحن أسهل استثارة بالمقارنة مع مشاعرهن قبل بدء برنامج التمرين، فيما أعلن ٣١ في المئة أنهن يمارسن الجنس مرات أكثر، وأفاد ٢٥ في المئة أن بلوغ النشوة صار أسهل.

يمكن أي تمرين ايروبيك تقريباً أن يفيد العلاقات الجنسية. وفي استقصاء للرأي أجري عام ١٩٨٨ ادّعى ٦٦ في المئة من الرجال والنساء الذين يمارسون رياضة الهرولة أن الجري يجعل منهم عشاقاً أفضل. كذلك الامر بالنسبة الى ثلثي الاشخاص الذين شاركوا في دراسة ميدانية استهدفت هواة ركوب الدراجات الهوائية.

وأهم من ذلك أن الفائدة لا تقتصر على مرحلة عمر معينة. ويخلص عالم الانثروبولوجيا* فيليب ويتن من دراسة أجراها في جامعة هارفرد على سباحين في منتصف العمر، الى القول: "اكتشفنا أن الحياة الجنسية للرجال والنساء فوق الاربعين الذين يمارسون الرياضة بانتظام، تماثل حياة كثيرين ممن هم في أواخر العشرينات أو أوائل الثلاثينات من العمر."

لا يزال الخبراء يتساءلون لماذا تستثير التمارين الرياضية مشاعرنا. ويعتقد بعضهم أنها، ببساطة، تزيد من لياقتنا الجسدية. يقول ريتشارد رزنيتشك الاختصاصي بالمسالك البولية والمستشار في شؤون العلاقات الجنسية إن "ممارسي التمارين الرياضية يتمتعون بطاقة أكبر على الاستمرار والاحتمال." وتظهر الدراسات أن التمارين – حتى تلك التي تمارس باعتدال لمدة ساعة ثلاث مرات في الاسبوع – يمكنها مضاعفة قوة الانسان ومرونة جسده وجعله أكثر شاقة ونشاطاً في الفراش.

كما أن التمرين المنتظم قد ينشط الرغبة الجنسية بمحوه حالات الاكتئاب. ويشير بعض العلماء الى أن هرمونات الاندورفين التي تُفرَز أثناء التمارين قد تكون محسِّنة للمزاج. و"هرمونات اللذة" هذه، كما يصفها الدكتور جاي شنفيلد الاختصاصي بالغدد الصمّ، هي مسكِّنات طبيعية موجودة في الجسم، تُفرَز بعد ركض حوالى ثلاثة كيلومترات أو ما يعادل ذلك من نشاطات رياضية، ويُلمَس تأثيرها طوال نحو ثلاث ساعات.

ويلفت باحثون آخرون الى عامل

(*) الانثروبولوجيا علم الانسان.

الكولسترول. فالرجال الذين يزيدون مستوى الكولسترول العالي الكثافة في أجسامهم قد يتوصلون مع الوقت الى فتح شرايينهم المسدودة وزيادة تدفق الدم في أنحاء أجسامهم، بما فيها منطقة الحوض والاعضاء التناسلية. ويقول جايمس وايت وهو اختصاصي بالفيزيولوجيا الرياضية شارك في دراسة تناولت تأثيرات التمارين الرياضية في الرجال العاجزين جنسياً: "إن انخفاض تدفق الدم يضعف قدرة الانتصاب لدى الرجل."

ينمّي كثير من الرجال والنساء الذين يمارسون الرياضة صورة ذاتية أفضل، إضافة الى قلوب أصح. وقد أشارت غالبية النسوة اللواتي شاركن في دراسة ليندا دي فيلرز الى قفزة ملحوظة في ثقتهن الجنسية رافقت التمارين المنتظمة. كما ذكر السباحون الذين شاركوا في دراسة ويتن شعورهم بأنهم باتوا أكثر جاذبية وبأن رغباتهم الجنسية واكتفاءهم الجنسي زادا بعد أشهر قليلة من بداية التمارين.

فما هو المقدار "الكافي" من الرياضة؟

من حسن الحظ أن الفورة الجنسية قد تأتي نتيجة مقدار معتدل من الجهد، في حين قد تسبب التمارين القاسية إنهاكا جسدياً وتطفىء الرغبة الجنسية. وتقترح دي فيلرز، التي صممت برامج تمارين للازواج، الفِكَرَ العملية الآتية لتحقيق "وثبة" جنسية جديدة:

□ اختاروا نشاطاً يمتعكم. السباحة والجري وركوب الدراجات وتمارين الايروبيك هي من بين الافضل.

□ تآلفوا والنواحي الحسية في التمارين. تقول دي فيلرز: "قد تكون التمارين مثيرة للشهوة الجنسية، فهي تحمّي أنحاء من الجسم ربما لم تعيروها اهتماماً من قبل."

□ اذا كانت أوقاتكم معاً محدودة، مارسوا الرياضة معاً. تقول دي فيلرز: "قد تطلق التمارين المشتركة شرارة الرغبة الجسدية، بشرط ألا تدخلوا عنصر المنافسة."

□ لا تتوقعوا نتائج فورية. للحصول على أفضل ما يمكن في حياتكم – بما في ذلك العلاقات الجنسية – يوصي الخبراء بالتزام مبادىء الصحة واللياقة الجسدية.

يقول جايمس وايت: "كل من يمارس الرياضة ويأكل جيداً يشعر بأنه في حال أفضل ويمكنه أن يتمتع بحياة جنسية رائعة."

بيث هاورد ■

كنا في مطعم فشئنا ان نبدأ غداءنا بحساء. فاحضر النادل الصحن وابهامه داخله، فاشمأزت نفس زوجتي واشارت الى اصبعه، فرد عليها: "لا تقلقي يا سيدتي، فالحساء ليس حاراً جداً."

ب.ب.





(فوق) طائرة "سيسنا" التي حصلت عليها المنظمة عام ١٩٨١، خلال مهمة في زائير.
(الى اليمين) متطوعة ترافق طفلين إفريقيين.

قدمت هذه المنظمة خدمات إنسانية جلّى الى ضحايا الكوارث في أنحاء العالم

دخل الدكتور ريكاردو ماركيز أحد الاكواخ في المركز الطبي البرتغالي في بلدة لوغاجول النائية في غينيا – بيساو، ليفحص مريضة افريقية في منتصف العمر متقوقعة على حمّالة وهي تعاني بصمت ألماً مبرحاً. فربت ماركيز بطنها برفق، وشخّص مرضها للحال: "إنها مصابة بالتهاب حاد في الصفاق (غشاء البطن). وإذا لم تُجرَ لها جراحة فورية فسوف تموت."

ثم التفت إلى رجل في الكوخ وقال له: "يا برنار، ليست لدي هنا التجهيزات اللازمة لاجراء الجراحة. يجب نقلها إلى بيساو. الآن!"

فرد برنار شوفرو: "حسناً، نحن جاهزون."

وبرنار طيّار فرنسي في الحادية والستين من العمر وصل إلى لوغاجول قبل يومين في طائرة صغيرة محمّلة بالأدوية.

PHOTOS: ARCHIVES AVIATION SANS FRONTIÈRES

قاد برنار سيارة لمدة تسعين دقيقة وسط الادغال للوصول الى طائرته. وبعد ساعة طيراناً حطّ في العاصمة بيساو. وفي أثناء الرحلة دخلت المريضة شبه غيبوبة. وكان مفترضاً أن تكون سيارة إسعاف منتظرة في المطار، وعندما لم يجدها برنار أقنع سائق صهريج للوقود بنقل المريضة إلى المستشفى. وهناك لم يكن ثمة أطباء. فقالت له إحدى الممرضات: "في استطاعتك أن تنصرف، وسوف نعتني بها."

عندئذ علّق شوفرو بثوب المرأة تقريراً عن حالها الصحية، وغادر المستشفى شاعراً بالأسى لضعف الأمل بنجاتها. ولكن بعد ثلاثة أشهر، خلال مهمة أخرى في غينيا، علم برنار أن تلك المريضة لا تزال على قيد الحياة وفي صحة جيدة، وأنها عادت إلى لوغاجول. فغمرته غبطة عارمة.

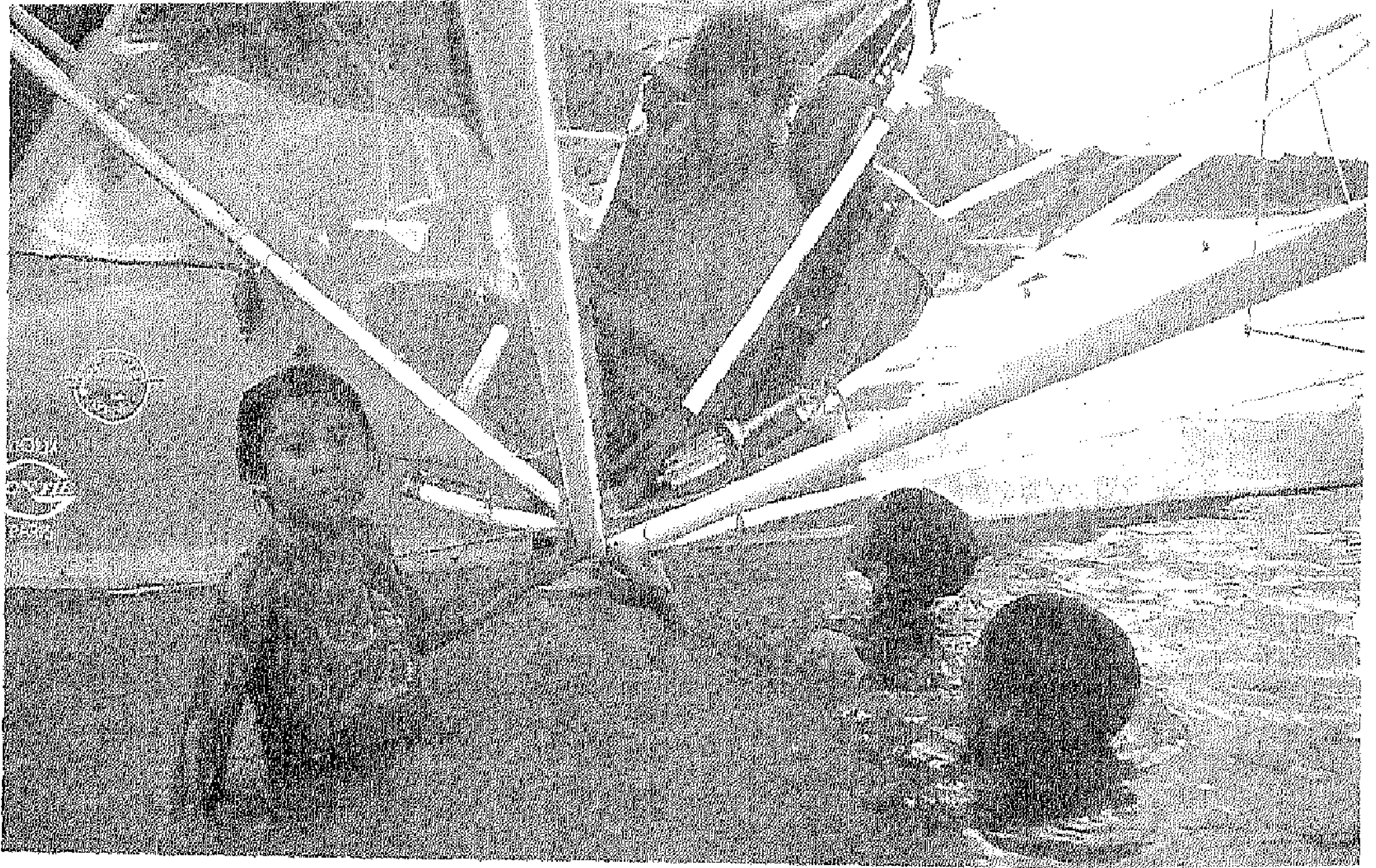
برنار شوفرو عضو في منظمة "طيران بلا حدود"[1] وهي منظمة إنسانية أسسها طيّارون مدنيون فرنسيون. ففي غضون السنين العشر المنصرمة تولى عدد كبير من الطيارين والتقنيين وفنييّ الراديو وغيرهم من المتطوعين تأمين اتصالات جوية لمنظمات إنسانية تعمل في بقاع الأرض الفقيرة والنائية. في الحروب والمجاعات والفيضانات والزلازل يحلّقون بطائراتهم قاطعين مئات ألوف الكيلومترات ناقلين أطناناً من المؤن والأغذية. كما ينقلون فرقاً طبية الى المناطق المنكوبة ويجلون الضحايا، منقذين حياة كثيرين.

يقول روني برومان رئيس منظمة "أطباء بلا حدود":[2] "إن المتطوعين في منظمة طيران بلا حدود يمكّنون المنظمات الانسانية، أينما وجدت، من العمل بفاعلية من غير أن تتعرض للافلاس. إننا نعتمد عليهم كلياً في الدول المتورطة في حروب."

عام ١٩٨٨، مثلاً، أقامت منظمة "أطباء بلا حدود" خمسة مستشفيات ميدانية مجهّزة للجراحة في السودان، حيث كانت الحرب دائرة منذ سنوات. وكان هدف المنظمة مساعدة الألوف من أبناء قبيلة دينكا المحاصرين الذين واجهوا خطر الموت جوعاً. ولما كانت الطرق المؤدية إلى المستشفيات مزروعة بالألغام، فقد اضطر الفريق الطبي الى طلب مساعدة منظمة "طيران بلا حدود."

وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٩ بدأت طائرة المنظمة رحلاتها المكوكية. وخلال الأشهر التسعة الأولى تمكّن خمسة طيارين فرنسيين وعشرة ميكانيكيين من إنقاذ ٤٣٢ شخصاً من قبيلة دينكا ونقل ٢٤ طناً من المواد الغذائية والأدوية إلى المنطقة لمساعدة المحاصرين. واستمرت هذه العملية حتى الثاني عشر من ديسمبر (كانون الاول) عندما أسقطَ صاروخ أُطلق قرب عويل طائرة إيفان فليو فقُتل هو

(١) Aviation Sans Frontières
(٢) Médecins Sans Frontières



يقوم الدكتور جان مارك فيشر بجولاته في الأدغال الكولومبية في طائرة خفيفة أسلمتها له المنظمة.

واثنان من "أطباء بلا حدود" ومسؤول في "برنامج التغذية العالمي." وبعد أيام اضطرت منظمة "أطباء بلا حدود" الى سحب طاقمها الطبي لعدم توافر الدعم اللوجستي اللازم. ويقول باتريك مورو المسؤول عن مهمات الطائرات الخفيفة في منظمة "طيران بلا حدود": "لكننا طوال تسعة أشهر ساعدنا عشرات الألوف على البقاء احياء."

بداية متواضعة. إن الدعم والكرم المتبادلين هما من تقاليد الطيران. ففي العام ١٩٦٨، مثلا، نظم أندريه غريار، وهو قبطان طائرة "بوينغ ٧٠٧"، رحلات جوية لنقل مواد غذائية إلى سكان إقليم بيافرا. وبعد مدة قصيرة نفّذ القبطان جورج كليرك مهمة مماثلة في إقليم الساحل من الصحراء الكبرى. وفي العام ١٩٧٩ استقبل غريار الطيار جيرالد سيميلوفسكي وهو ربان طائرة "إيربوس" في شركة الخطوط الجوية الفرنسية الذي أتاه عارضاً عليه خطته: "تعال نوحّد الجهود الفردية تحت لواء منظمة واحدة، فهذا يزيد فاعليتها. فجميع المنظمات الانسانية تواجه المشكلة إياها. إن نقل المؤن والمعدات يستغرق وقتاً كثيراً، فضلا عن أنه مكلف وخطر. نحن خبراء مواصلات، فلم لا نعمل معا لمساعدة هذه المنظمات؟"

وزع سيميلوفسكي استمارة لمعرفة عدد الطيارين الذين سيتجاوبون مع دعوته. فتلقى أكثر من ألف رد ايجابي من

طيارين فرنسيين. وهكذا تأسست منظمة "طيران بلا حدود" في مارس (آذار) ١٩٨٠ بدعم قوي. وفي مايو (أيار) تلقّت أول نداء للمساعدة. كان المطلوب نقل ٢٢ طناً من المواد الغذائية والأدوية إلى جماعات معزولة في تشاد مرسلة من منظمتي "أطباء بلا حدود" و"الانقاذ الشعبي."

استعار رواد "طيران بلا حدود" طائرتين من وزارة البريد الفرنسية، قادهما متطوعون راحوا ينفّذون مهمتهم خلال عطلات نهاية الاسبوع. ثم تلت مهمات أخرى. وعندما ضربت المجاعة أوغندا قررت المنظمة تأمين طائرة وطيارين لمساعدة الفرق الطبية التابعة لمنظمة "أطباء بلا حدود" والمعزولة في مناطق نائية بسبب الأحوال الجوية والطرق البدائية والأعطال الميكانيكية والمكامن العدائية.

في بادىء الأمر، استأجرت المنظمة طائرة صغيرة بخمسة مقاعد في مقابل رسم رمزي. وفي شهر ابريل (نيسان) تمكنت من شراء طائرة خاصة مستعملة من طراز "سيسنا" فككت في الولايات المتحدة ونقلت على متن طائرة شحن بعدما كانت شركة "بوينغ" تنوي بيعها لشركة طيران فرنسية. ثم أضيفت طائرتان أخريان إلى الاسطول الجوي الصغير. وعملت المنظمة لمدة سنتين في أوغندا حيث ساعدت "أطباء بلا حدود" وأربع عشرة مجموعة إنسانية أخرى.

مبدأ مثالي. عام ١٩٨٢ نظّم سيميلوفسكي وأصدقاؤه نوعاً آخر من المهمات: الحضانات الجوية. ففي كل سنة يفد إلى أوروبا عدد كبير من أطفال العالم الثالث للانضمام إلى عائلات تتبناهم أو لاجراء عمليات جراحية. ونظراً الى صغر سنهم أو حالهم الصحية، لا يمكنهم السفر بمفردهم. لذا يوضعون في عهدة مضيفات أو ممرضات يسافرن جواً بأجر زهيد، أو مجاناً، في إطار رحلات الخطوط الجوية المنتظمة.

يقول سيميلوفسكي: "يذهب متطوعونا لاحضار الأطفال المرضى، ومعظمهم أيتام ولا يتكلمون الفرنسية."

في الثاني عشر من شهر مايو (أيار) عام ١٩٩٠ رن جرس الهاتف في مكتب منظمة "طيران بلا حدود" في مطار أورلي. وسُمع صوت يقول: "هنا شانتال من سلسلة الامل.[٣] إننا ننقل من بوخارست في رومانيا ولدين مصابين بمرض في القلب، وهما في حاجة الى جراحة. فهل يمكنكم تأمين مرافق لهما؟"

استجاب أربعة وعشرون شخصاً للنداء. فاختارت آن ماري باردون، وهي مضيفة سابقة مسؤولة عن مهمات المواكبة الطبية في المنظمة، مضيفاً من شركة الخطوط الجوية الفرنسية يُدعى فرنك إيلينا. وللحال بدأ ايلينا الاعداد للرحلة. فحصل على تأشيرة دخول الى رومانيا، وأجرى حجوز السفر، وحضّر

(٣) Chaîne de l'Espoir

ملفاً للولدين، واتصل بعائلات مستعدة لاضافتهما خلال إقامتهما في فرنسا.

التقى فرنك الولدين وأهلهما في مطار بوخارست نهار الاثنين في ٢٨ مايو (أيار). وحاول أن يجمع ما أمكن من المعلومات عنهما لنقلها الى العائلتين الفرنسيتين اللتين ستستقبلانهما. كان أحدهما يُدعى ماريوس، وهو في السادسة من عمره ذو عينين سوداوين واسعتين ونظرة بائسة، ولم يتمكن فرنك من إقناعه بالتفوّه بكلمة واحدة. أما تيودور فكان في الثالثة عشرة ويعرف بضع كلمات إنكليزية، مما ساعده على الترجمة لصديقه ماريوس.

تلك الليلة، عندما حان الوقت لكي يسلّم فرنك الولدين الى العائلتين المضيفتين في مطار أورلي، تعلّقا به رافضين ترك آخر صلة لهما بالوطن. لكنه وعدهما بالاتصال بهما هاتفياً.

وصل فرنك إلى منزله في الاولى والنصف بعد منتصف الليل، وكان لديه وقت قصير للاستحمام والاستلقاء قليلا قبل الالتحاق بمركز عمله في مطار شارل ديغول في الرابعة صباحاً.

"لسنا أبطالا." يقوم أعضاء "طيران بلا حدود" بنحو ١٥٠ رحلة مماثلة سنوياً لمساعدة منظمات مثل "أطباء بلا حدود" و"أرض البشر"[٤] و"سلسلة الأمل." ويقول ميشال هوفمان رئيس برنامج "أرض البشر" في جينيف: "إن المال الذي نوفره بارسال مرافق من منظمة طيران بلا حدود إلى مدغشقر، مثلا، يمكن صرفه لتغطية تكاليف جراحة قلب مفتوح."

وهناك نوع ثالث من عمليات منظمة "طيران بلا حدود" يتمثل في نقل طرود تحتوي على أقل من عشرة كيلوغرامات من المواد الطبية في طائرات مدنية تجارية.

ويبلغ عدد أعضاء منظمة "طيران بلا حدود" نحو ١٢٠٠، بينهم مئتان مستعدون للقيام بمهمات صعبة. إنهم أناس أمثال داميان شابوي المضيف في شركة الخطوط الجوية الفرنسية الذي يسلّم آن ماري باردون شهرياً لائحة تتضمن التواريخ التي يستطيع فيها مرافقة الأطفال، وأمثال أندريه فورنورا رئيس المنظمة حالياً الذي يقود طائرة "بوينغ ٧٤٧" ويؤدي مهمات كتلك التي نظّمها في ابريل (نيسان) ١٩٩١ حين طار إلى رومانيا لاصطحاب ٢٠٠ ولد أمضوا عطلة في فرنسا، وأمثال الطيّار ميشال بوشارين الذي عمل في أدغال تشاد.

ينضم بعض هؤلاء الناس إلى المنظمة بحثاً عن الحرية، وغيرهم بدافع حبهم لافريقيا، وآخرون للأعراب عن مشاعر الأخوّة لديهم. ويصرّ سيميلوفسكي على القول: "نحن لسنا أبطالا ولا مغامرين. لكننا شجعان، ونُدخل على العمل

(٤) Terre des hommes

الانساني الجدية والانضباط والدقة التي يتطلبها الطيران."

طبيب في الامازون. كانت "مهمة أبابوريس" مثلا واضحا على روح الاحتراف التي يتمتع بها الأعضاء. ففي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧ تلقى باتريك مورو رسالة من الدكتور جان - مارك فيشر وهو طبيب فرنسي أمضى سنوات في تطبيب هنود الماكونا في أدغال الأمازون. جاء في الرسالة: "أنا الآن أقوم بجولاتي في مركب آلي صغير. فهل يمكنني التجول في طائرة خفيفة؟"

وللحال عمد مورو الى استشارة ميشال باري، وهو مهندس وخبير بالطائرات الخفيفة. فأيّد الفكرة. وهكذا وُلِدَ مشروع "أبابوريس" (دُعي باسم النهر الذي يمر في أراضي الماكونا) إذ تمكنت المنظمة من إقناع ثلاثة ممولين برعاية المشروع، أحدهم من صانعي الطائرات الخفيفة وهو قدَّم واحدة. وعمل الميكانيكيون كريستيان هيرفيه ورينه رويه وإيف بيلانجيه على تجهيز الطائرة بجسر مطاطي عائم يمكنها من الهبوط على سطح النهر. وقد تعلّم الان كاستلنو، وهو قبطان متقاعد في السن الثامنة والستين، قيادة الطائرة. ثم ذهب مورو إلى الأمازون من أجل تحضير الهنود لوصول الطائرة وبناء مدرج لهبوطها.

في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٩ فُككت الطائرة وشُحنت إلى كولومبيا، حيث عمل بيلانجيه وكاستلنو على إعادة تركيبها. وفي السابع من شهر ديسمبر (كانون الأول) قادها كاستلنو إلى الأدغال وهبط بها برفق على سطح النهر. أما مهمته التالية فكانت تدريب الدكتور فيشر على قيادة الطائرة. ويقول مورو: "لن نترك فيشر وحده إلّا بعد أن نتأكد من قدرته على قيادة الطائرة بسهولة."

يأتي كثير من الطيارين والمضيفين والتقنيين الى المنظمة للقيام بمهمات محدّدة خلال إجازاتهم، ولكن سرعان ما ينتهي بهم الأمر إلى الانخراط في صفوفها. الميكانيكي هيرفيه، مثلا، الذي ساهم في مشروع "أبابوريس"، عاد ليساعد الدكتور فيشر في بناء مستشفى ميداني. ويقول مورو شارحا الأمر: "إني أرى المتطوعين قبل تأدية مهماتهم وبعدها. فعندما يعودون يكونون أناسا مختلفين. فان ترى طفلا منتفخ البطن يتضور جوعا على شاشة التلفزيون شيء، وأن تحمله بين ذراعيك شيء آخر."

ويضيف جيرالد سيميلوفسكي: "ليس العطاء عملا ماديا فحسب، إنه يتطلب تعاطفا مع معاناة الآخرين. والجهود الانسانية التي تبذلها الحكومات قصيرة الأمد، أما جهودنا نحن فمتواصلة. كما أن تضامننا مع المصابين هو أكثر إنسانية. لقد نظمنا شبكة تزرع الرجاء في قلوب ألوف من ضحايا الكوارث في أرجاء العالم."

كاثرين غاليتزين ■

الاستاذ المثالي

لكل منا كبواته. السؤال المهم هو: ماذا نفعل بها؟

لم تكن لدي أي فكرة عما ينتظرني عندما خطوت للمرة الاولى الى صف ديفيد ماران أستاذ الرياضيات المتقدمة[1] في مدرسة تينافلاي الثانوية في نيوجرزي. كان ذلك أحد أيام سبتمبر (أيلول) من العام ١٩٧٧، وكانت النافذة مفتوحة، لكنني كنت أتصبّب عرقا بارداً، فمادة الرياضيات ترعبني.

في الثامنة تماما دخل شاب غرفة الصف وثباً. كان ناحلا كقضيب، شعره أسود خفيف ينمّ على بداية صلع، يضع نظارتين سوداوين ذات اطار عظمي ويرتدي قميصاً زاهياً، وقد أثبت في حزامه علبة آلة حاسبة من الفينيل الأسود.

كنت سمعت من طلاب آخرين أن الاستاذ ماران أنهى معظم المواد التي تؤهله لنيل درجة دكتوراه في الرياضيات. لم يدهشني ذلك، فهو بدا كأنه يملك ذكاء وثقة بالنفس كافيين ليبقى في الطليعة دونما جهد. وغرقت في لجة اليأس وأنا أراقبه يمازح الطلاب اللامعين.

كانت مدرسة تينافلاي تغص بأبناء أطباء ومحامين أظهروا ذكاء مبكراً. لكنني لم أكن واحدة منهم. لم أكن، وأنا في السادسة عشرة من عمري، أتمتع بأي مواهب خاصة، لكنني كنت أشتعل في داخلي. فقد أخذت عهداً على نفسي أن أصبح روائية وكاتبة أغنيات ورحّالة قبل بلوغي السن الثلاثين. ولم يكن للرياضيات أي دور في خططي المستقبلية، إلا أنني التحقت بصف الاستاذ ماران لسبب آخر. كانت

(١) Advanced mathematics

الرياضيات المتقدمة مادة ضرورية يتعين درسها قبل أخذ مقرَّر حساب التكامل والتفاضل[٢] والتقدم لامتحان يعادل النجاح فيه مجموع أرصدة عام كامل من الرياضيات الجامعية، مما يعني خفضاً كبيراً في كلفة الدراسة. كانت هذه فرصة رائعة بالنسبة الى والديّ، وكنت عازمة على ألّا أخيب آمالهما.

كتب الاستاذ ماران نص نظرية على اللوح الاسود، وطلب منا إثباتها. فرسمتُ على دفتري بعناية خطوط احداثيات السينات والصادات وبعض الأرقام، لكنني توقفت بعد قليل غير قادرة على إكمال الحل. كان الاستاذ ماران في هذا الوقت يذرع الغرفة متابعاً عمل الطلاب، فحاولت اخفاء الصفحة البيضاء أمامي بكُمّ قميصي الريفي الفضفاض، لأنني كنت متأكدة من أنه سيحضّني على الانسحاب من المقرَّر ما إن يدرك أنني لست واحدة من فطاحل الرياضيات.

لمحته بطرف عيني يحوم على مقربة مني، فقلت في نفسي: "إنها النهاية." لكنه انحنى وكتب معادلة على الصفحة قائلا بلطف: "جرّبي هذه!" ففعلت، وإذا بالخطوات تتوالى وبالنظرية تثبت من تلقائها.

"عظيم!" هتف الاستاذ ماران والابتهاج يشع من خلف نظارتيه.

حرتُ في الأمر، فهذا الصف هو للمتفوقين. فلماذا يتحمل الاستاذ هذه المشقة للعناية بطالبة متوسطة الذكاء مثلي؟ غير أنني بدأت في ما بعد أسمع قصصاً عن طرق الاستاذ ماران في مساعدة الطلاب على مواجهة ضغوط شتى. فهو يتدخل دفاعاً عن طالب لم تُرضِ نتائجه الدراسية توقعات الأهل، ويعير آلته الحاسبة للطالب العاجز عن شراء واحدة. (كانت الآلات الحاسبة غالية الثمن في تلك الايام.)

كان الاستاذ ماران ألطف من أي أستاذ عرفته. فهو لم يحقّر طالباً لتخلّفه عن زملائه، ولم يهزأ بأي سؤال بصرف النظر عن سخافته أو عدم تعلقه بموضوع الدرس. على أن الأمر الاكثر إثارة للدهشة هو أن الاستاذ ماران لم يكن يميّز بين الطلاب الفطاحل وأولئك الذين يكادون لا ينجحون. كنا كلنا نتلقى المديح والتشجيع بمقادير متساوية.

ذات مرة، عندما قرع جرس الانصراف، توجهت الى طاولة الاستاذ ماران لأطلب مساعدته. ابتسم مستبشراً وأنا أقترب منه، إلّا أن شيئاً من خيبة الأمل بان على وجهه عندما فتحتُ كتابي، فقال لي: "ظننت أنك آتية لطلب الانضمام الى فريق الرياضيات!"

"أنا؟" سألته مذعورة. فنادي الرياضيات في ثانوية تينافلاي كان بين الخمسة الاوائل في المباريات التي تجرى في أنحاء الولاية، ومؤهلاتي للانضمام اليه تكاد توازي مؤهلاتي للانضمام الى منتخب كرة القدم.

(٢) Calculus

استحثّني متحدّياً: "لمَ لا؟ في إمكانك أن تفعلي ذلك."

نظرتُ اليه غير مصدقة. ولكن كيف له أن يدرك الخوف الخانق الذي أحسه؟ كنت أتصارع ليلياً مع مسائل الرياضيات لأكتشف أن الآخرين انتهوا منها في استراحة الغداء. ولكن اذا كان الاستاذ ماران يعتبرني مؤهلة لعضوية نادي الرياضيات، فهذا يعني أنني لست غبية الى الحد الذي أتصوّره.

"لن تسقطي." كان واضحاً أنني كنت واحدة من أبطأ الطلاب في الصف. فقد نلت في الامتحان الاول علامة على حافة النجاح. فذهبت الى الاستاذ ماران لأقول له وأنا على شفير البكاء: "إنني لست في المكان المناسب بين طلاب هذا الصف."

أملت أن يجد طريقة للتخفيف من أهمية العلامة، لكنه بدل ذلك استدار على مكتبه المعدني الرمادي وحدق إليّ، ثم سألني: "ماذا تريدين من هذا الصف؟"

فغمغمت مجيبة: "لا أريد أن أسقط."

قال واعداً: "إذاً، لن تسقطي. ولن أسمح لك بالانسحاب ما دمتِ على استعداد لبذل أقصى جهدك." ثم اقترح علي الاجتماع به بعد انتهاء الدروس لمراجعة ما شرح في الصف.

للمرة الاولى في حياتي يُطلب مني أن أستكشف أقصى حدود قدراتي. كان الاستاذ ماران يطلب مني الامتياز.

طوال الاشهر التي تلت، اتخذت جلسات المراجعة نظامية التمارين الرياضية. قال لي الاستاذ ماران مرة بعدما رميت الطبشورة قهراً لعجزي عن حل إحدى المسائل: "إنني أدرك أن الرياضيات تحدٍّ لك، لكنَّ تحدي الصعاب يقوينا."

رفضت أذناي سماعه، فكيف له أن يدرك معنى التحدي والإحباط؟

تقدمت بامتحان لدخول الجامعة، فلم أحرز نجاحاً. كنت مقتنعة بأنني لن أستطيع دخول أي جامعة ولا الحصول على عمل جيد.

سألني الاستاذ ماران عندما أنبأته بالنتيجة: "هل تحسّين بارتياح إن أخبرتك أنني أمضيت وقتاً صعباً مع الامتحانات؟ لقد كافحت في كل خطوة من الطريق. كان ذلك فرضاً علي، وسوف تفعلين أنت الامر نفسه."

حصلت بمساعدة الاستاذ ماران على علامة جيدة في الرياضيات المتقدمة، لكنني كنت أدرك أن حساب التكامل والتفاضل في السنة التالية سيكون تحدياً أعظم.

وكانت مخاوفي في محلّها، إذ حصلتُ على المعدل في الفصل الاول. عندئذٍ، قال لي الاستاذ ماران: "لا تيأسي، فالعلامة ليست كل شيء."

أدهشني دائماً أن الاستاذ ماران، وحياته الأرقام، لم يكن يعير الأرقام أهمية مطلقة. ذات مرة حصلت في امتحان على علامة ٨٥ من مئة. لكنني لاحظت أن

الاستاذ ماران لم يمنحني أي نقطة على مسألة كانت إجابتي عنها صحيحة. وعندما اشتكيت اليه أجابني: "لقد حصلت على الجواب الصحيح بفضل الحظ لا بمهارتك، غير أن الحظ يعمل مرة واحدة، ولا أريدك أن تعتمدي على الحظ في حياتك بل على مهاراتك."

فوضعت مهاراتي قيد التجربة صباح يوم سبت من شهر مايو (أيار) ١٩٧٩ عندما تقدمت الى الامتحان الانتقائي في مادة حساب التكامل والتفاضل. وأعلنت النتيجة بعد أسابيع، فكنت من الناجحين في ما يعادل أرصدة سنة كاملة من الرياضيات الجامعية، ووفرت على والديَّ قسطاً كبيراً من الرسوم.

شكرت الاستاذ ماران. ولم أكتفِ بذلك، بل كتبت رسالة عنه الى مجلس التعليم. لكنني كنت أدرك أنني لن أمس كتاب رياضيات بعد ذلك.

قصيدة غنائية. كنت في العشرينات من عمري حين أصبحت محررة في احدى المجلات، وبدت لي الحياة ملأى بفرص لا حدود لها. ثم بلغت الثلاثين، وأدركت فجأة أنني لم أكتب الرواية أو أؤلّف الأغنية التي كنت قطعت عهداً على نفسي أن أحققها. ولم أستطع التخلص من شعور ملحاح بأنني تعثرت في مكان ما على طريق الحياة.

وكان مضى زمن طويل مذ طلب أحدهم أقصى طاقاتي. وأحسست من جديد بتوق الى ذلك، فعدت الى تينافلاي للقاء الاستاذ ماران علّه يساعدني.

عرفته لحظة خروجه وثباً من غرفة المعلمين. كان شعره الخفيف أصبح رمادياً ونظارتاه أنيقتان على أحدث طراز، واختفى القميص المزهر الصارخ الألوان. أما في ما عدا ذلك فقد بدا أستاذي كما كان تماماً.

تحدثنا طويلا عن الأيام الخالية وعن أصدقاء قدامى وعن تحديات الحياة وخيباتها... حياتي وحياته.

قال لي: "لقد مررت بالحالة ذاتها التي تمرين بها أنت الآن."

كان والده صيدلياً خسر صيدليته خلال الانهيار الاقتصادي في الثلاثينات وعانت العائلة الفقر. وكان هو الصبيَّ الصغير السمين المقبول بين الأولاد الآخرين لمجرد أنه يساعدهم على حل فروضهم.

كانت فرصته الوحيدة لدخول الجامعة حصوله على منحة دراسية. ولهذا حضّه والداه على الامتياز. كان يحس أحياناً بالغرق تحت وطأة الضغوط. قال لي: "كان الجميع يفترضون أنني لامع الذكاء، لكنني أحسس في داخلي أنني مزيف. كنت أبدو ذكيا لأنني بذلت جهداً كبيراً ولأن الكثير كان متوقعاً مني."

تخرج في المدرس الثانوية بتفوق جعله خطيب حفلة التخرج. ثم دخل الجامعة بمنحة لدراسة الكيمياء. وعمل صيفا مساعداً في أحد المختبرات، غير

أنه لم يكن يمتلك البراعة اليدوية للعمل بمعدات المختبر الزجاجية الهشة، كما كانت المواد الكيميائية لا تلائم صحته. وهو أسرّ إليّ بأنه أدرك عجزه عن أن يصبح عالم كيمياء مهما بذل من جهد. ثم تعرض لنكسة جديدة، إذ نضبت المنحة واضطر الى قبول وظيفة مدرس.

لم أفهم خلال سني الدراسة سبب هذا التعاطف القوي الذي أبداه الاستاذ ماران للطلاب الأقل قدرة وأهلية. ولطالما تساءلت آنذاك كيف يمكن شخصاً مثله أن يعرف معنى الكفاح لتذليل العقبات. لكنني أدركت الآن أنه كان طوال الوقت يتحدث عن خبرة.

ولكن، بعد كل هذه النكسات والخيبات، ألم يشعر بأنه أخفق؟

أجاب: "أظن أن من الممكن افتراض ذلك. وقد خامرني في فترة ما شعور بالأسف والخيبة. ولكن هل يعني تغيير مسار حياة الانسان إخفاقاً؟"

أحسست أنه يحاول تلطيف وقع خيباتي أنا.

ومن جديد، سألني بلهجة الاستاذ: "ماذا تفعلين اذا واجهت عقبة في حياتك؟"

أجبت: "أحاول تذليلها."

فتابع: "وإن لم تتمكني من ذلك؟ وإن كانت أشبه بمعادلة رياضية لا حلّ لها؟"

حينئذ أدركت أنه يبسط لي سلسلة من الحجج المنطقية كما النظرية الرياضية. ولكن إلامَ كان يهدف؟

أجاب هو عن أسئلته: "إذا لم تتمكّني من تذليلها، فعليك أن تثابري في وجهة جديدة بكل ما لديك من قدرات."

ثم أضاف: "لا يكفي أن تعي أن لكل إنسان خيبات ومواقف يندم عليها، فالسؤال هو كيف نواجهها. إن أحداً لا يمكنه أن يكون الأفضل على الدوام. ولكن اذا عملتِ أفضل ما تستطيعين، وكل ما في وسعك، فإنك بذلك تذلّلين العقبات أو تجدين طريقاً جديداً قد يكون أفضل. من هنا ينبع النجاح في الحياة، من العمل بجهد لحلّ مشكلة ما بكل قلبك وروحك."

ثم نهض وقد أدرك أنه تأخر على اجتماع مقرّر، وصافحني بحرارة قائلا: "لا تتوقفي عن السعي الى ما ترغبين فيه. ودعي الوقت يهتم بالأمور الأخرى."

بعد أيام قليلة، تلقيت ظرفاً داخله قصيدة كان الاستاذ ماران كتبها قبل سنين بعنوان "قصيدة غنائية لصف رياضيات." وتذكرت أنه وزعها علينا في نهاية سنة التخرج، فقرأت سطورها الأخيرة بنظرة تقدير جديدة:

لكن الامتحان الحقيقي
لمعرفة قيمة هذا الجهد
سيأتي بعد عقد أو عقدين
اذا عادت قلّة لتقول:
"إني تعلمت الكثير مذ تركت صفك
لكنني ما زلت أذكرك."

ففكّرت مبتسمة: هوذا امتحان من ديفيد ماران لن أسقط فيه أبداً.

سوزان شازان ■

جزيرة العصافير

أرشدتهم الطيور الى الجزر المقفرة فردّوا لها الجميل

ولّى الصيف وانتهت رحلات السفن السياحية في الجزر العذراء[1] وبدأ الطقس الاعصاري العاصف، فتوجهنا جنوباً نحو الامان في سفينتنا الشراعية "بريث" البالغ طولها ثلاثة عشر متراً.

بدت خيوط الفجر الاولى ضبابية قاتمة صبيحة ذلك اليوم. ورحت أرقب السماء بقلق. ففي منتصف الليل كانت مديرية خفر السواحل أعلنت قرب هبوب عاصفة استوائية. وكنا آنذاك على بعد ١٥٠ كيلومتراً الى الشمال من فنزويلا، مما يعني، نظرياً، أننا خارج حزام الاعصار. ولكن إذا صحّت توقعات النشرة الجوية فهذا يعني أن العاصفة متجهة نحونا مباشرة.

كنا في طريقنا إلى منطقة مقفرة تدعى

(١) Virgin Islands أرخبيل في شمال شرق البحر الكاريبي تتقاسمه الولايات المتحدة وبريطانيا.

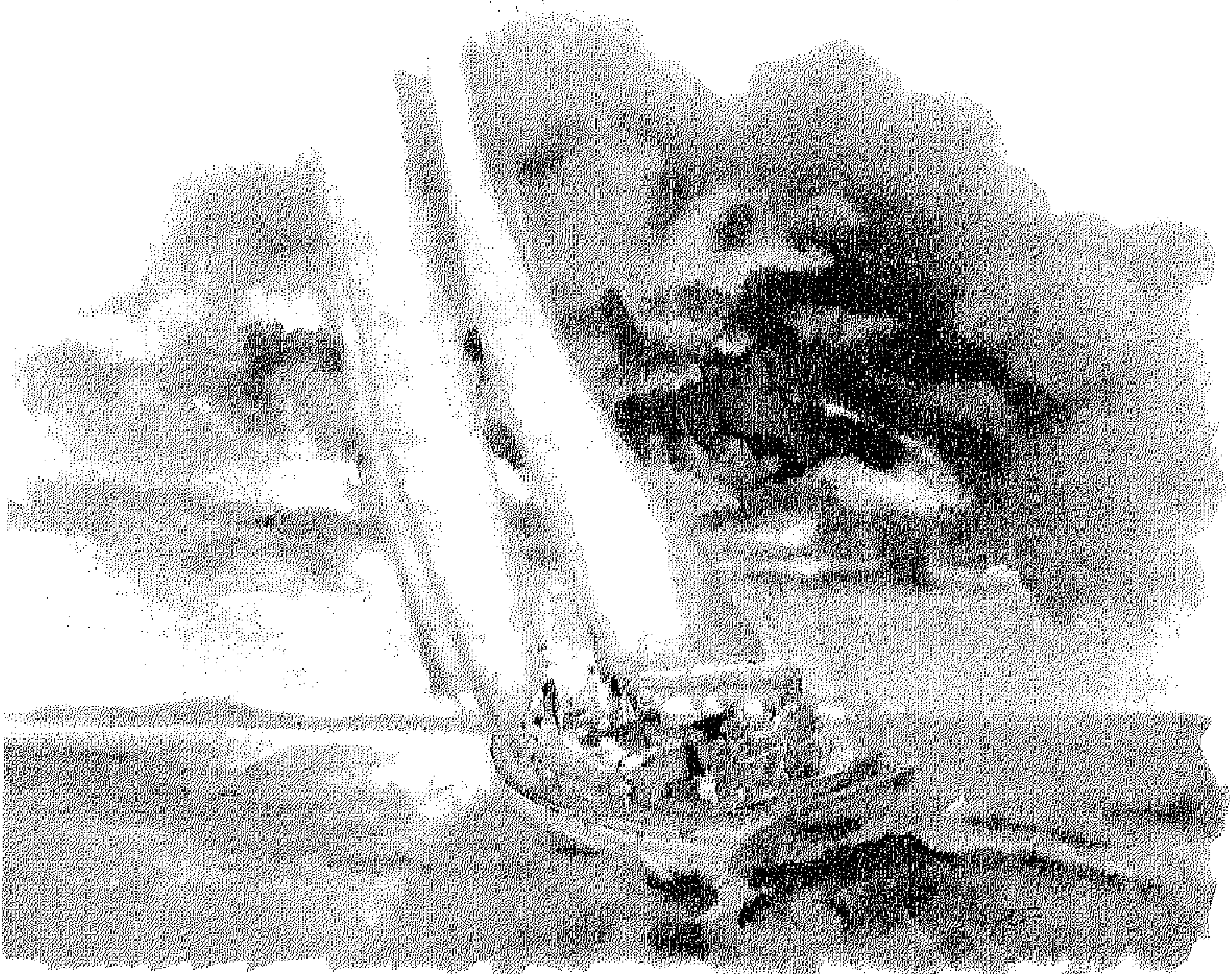


ILLUSTRATION: FRANCIS LIVINGSTON

لاس آفيس دي بارلوفنتو، وهي حيد صخري هلالي الشكل يؤوي بحيرة تضم صخوراً ضحلة وجزراً غير آهلة في محاذاة ساحل فنزويلا الذي يبعد عنها ١٣٠ كيلومتراً. كنا نأمل أن نجد في متاهات غاباتها وحيودها المرجانية ملجأ يقينا غضبة العاصفة.

ولكن كانت هناك مشكلة واحدة: أين تقع هذه الجزر بالتحديد؟ فوفق حساباتي، كانت تبعد ما بين ٢٠ و٢٥ كيلومتراً. ولكن من المحتمل أن تكون التيارات جرفتنا مسافة ٥٠ كيلومتراً. كان متعذراً في تلك الأحوال الجوية الرديئة أن أستخدم آلاتي وأحدد موقعنا الجديد. ثم إن الجزر منخفضة، وقد نجد أنفسنا فوقها قبل أن نعي ذلك. لذا أرسلت ولديّ، دييغو ورافي، الى أعلى سلالم الحبال لالقاء نظرة على ما حولنا. فلم يشاهدا شيئاً سوى سرب من طيور الأطيش البحرية المعروفة بالبلاهة ترفرف بأجنحتها وتتجه نحونا. وعندما اقتربت منا ظهر خلفها سرب آخر، فسرب ثالث. وهكذا تدفقت رفوفها من الجنوب الشرقي.

إيسلاس دي لاس آفيس،[٢] أي جزر العصافير! ليس من الضروري أن يكون المرء نابغة ليلاحظ الصلة.

وجّهنا مقدم السفينة نحو مركز تلك الحلقات الطائرة. وبعد تسعين دقيقة لاحت لنا اليابسة في الأفق. ثم بدأت الرؤية تتضح. فشاهدنا غابات المنغروف[٣] خلف صخور بيضاء، وما هي إلا لحظات حتى رست سفينتنا على شاطىء آمن.

رأينا في اتجاه هبوب الرياح غابة كثيفة من شجر المنغروف ضجت أغصانها بطيور الأطيش. وشاهدنا ألوف الطيور ترفّ مذعورة بعد الرعدة الاولى.

لم يكن أمامنا سوى الانتظار. فقررت أنا ودييغو مراقبة الطيور عن كثب. فتسللنا تحت الأغصان الكثيفة المتدلية محاولين أن نحافظ على توازننا حافيين فوق الجذور. كانت كل شجرة تؤوي عدداً كبيراً من الأعشاش التي بدت في متناول أيدينا.

كنت منذ سنين معجباً بأجنحة تلك الطيور القوية وبريشها الابيض والبني. لكني ما تصورت أبداً أن مناقيرها وعيونها خزامية وفيروزية زاهية. كأنها خصل شعر طارت مع النسيمات ورست في هذه الغابة المسحورة. وشعرنا كمن يهدهَد للنوم أمام تلك الحضانة. ثم تسمّرت أحداقنا أمام مشهد مريع: طائر نافق علق جناحه بغصن وتدلى جناحه الآخر نحو الأرض وخرجت من مقلته قافلة نمل.

وصلنا إلى بقعة خالية من الاشجار، فرأينا طائرين نافقين آخرين بانا كأنهما معلقان في الهواء. فاستعذت بالله بينما تجمّد دييغو في مكانه مندهشاً. ثم هبت ريح فاهتزت الجيفتان المعلقتان، ومع لمعة برق بان لنا فوق الاشجار خيط نايلون خفي كالذي يستعمله صيادو الأسماك.

---

(٢) Islas de las Aves

(٣) المنغروف شجر استوائي تنبت جذور من جذوعه.

تتبعنا ذلك الخيط عبر الاشجار حتى نهايته، فوجدنا صنارة صدئة عالقة في جمجمة طائر فوق جذع شجرة. وعثرنا بعد ذلك على تسع جيف متدلية وأخرى ممددة على الارض.

فجأة اتضح تسلسل الأحداث في ذهني: لقد علقت الضحية الأولى بطعم صنارة صياد. وعندما رأى الصياد أن الطائر يصارع للافلات، أشفق عليه فأطلقه آملا أن يتمكن لاحقاً من التخلص من الصنارة. وهكذا طار العصفور عائداً إلى دياره جارّاً وراءه الخيط الطويل غير المرئي.

وما إن وصل إلى غابات جزر لاس آفيس حتى حلّت اللعنة على أفراد عشيرته. فخلال تحليق الطيور من أعشاشها وإليها، تشابكت أجنحتها بالخيط الخفي فعلقت وأخذت تتعذب. ولو لم نصل إلى تلك الجزر النائية لارتفع عدد ضحايا ذلك الخيط. لكننا قطعناه ودفناه مع الجيف تحت كومة من الأغصان.

أثقلت تلك التجربة نفوسنا، فعدنا إلى سفينتنا. وكان الطقس تحسّن فجأة.

وقف دييغو صامتاً على غير عادته مأخوذاً بمنظر الغيوم الحمراء النارية في الأفق. فسألته فيما ألوف الطيور تحلّق حولنا: "فيمَ تفكر؟"

فأجابني برصانة: "إنها تشكرنا. الطيور تشكرنا. ألا تشعر بذلك؟ أنظر، إنها تحلّق في رقصة ما."

فعلاً. لقد بدا تحليقها منتظماً، وكأنها تشكل دائرتين متّصلتين تهبطان على مهل فوق المياه والسفينة ثم تعلوان وتدوران فوق الغابة.

أضاف ابني: "والعاصفة؟ أنا أتساءل عما إذا كانت هناك قوة أدت إلى هبوبها كي نضطر إلى البحث عن ملجأ لنا. أوتعتقد أنها هدأت لسبب طبيعي ما إن قطعنا ذلك الخيط؟"

ران علينا سكون. وأطرقتُ برهةً لأقول في نفسي: "لعل الطيور هي التي قادتنا إلى هذا المكان."

عندما قادتنا الطيور إلى شاطىء الأمان في جزر لاس آفيس، أنقذتنا من العاصفة. ونحن رددنا لها الجميل. سمّوها مصادفة إن شئتم. ولكن يبقى، كما قال هاملت في مسرحية شكسبير، أن في السماء والأرض أموراً تفوق تصورات فلسفاتنا.

بيتر مويلنبرغ ■

الحرية والآخرون

غالباً ما يعتقد البشر ان الحرية معناها ان يحيوا من دون مضايقات، لذلك يجب التذكير على الدوام بشرعة حقوق الانسان التي تقول: "الحرية هي القيام بما لا يؤذي الغير" لأن التفسير الغالب على ما يبدو هو تفسير الحرية بصراع الفرد ضد الآخرين ارضاء لانانيته.

جان - بول كوفمان - باريس

من يلتفت الى النشر؟

على رغم أن لبنان هو من أصغر البلدان العربية، فقد عُرف عبر التاريخ، بفضل موقعه الاستراتيجي، أنه البلد الأول لنشر الكلمة. واصبح الآن البلد الأول والأكثر نشراً وتوزيعاً للكتب والمجلات والصحف في العالم العربي وبلدان أخرى.

ويمتاز لبنان بدور نشره المنتشرة في كل انحائه. لكن الحرب اللبنانية، ويا للاسف، أفقدت دور النشر الكثير من نشاطاتها، الى فقدان عدد كبير من الصحافيين والأختصاصيين وهجرة عدد كبير منهم إلى بلدان أكثر استقراراً.

فلبنان كان على مر العصور ملتقى حضارات عدة، اذ إن شعبه ينتمي الآن الى اديان مختلفة، كل طائفة لها ثقافتها وفلسفتها وعقائدها. كذلك يمتاز لبنان بوضعه الديموقراطي، فهنالك حرية الرأي والتفكير مما يساعد على تنمية الفكر.

كما أن لبنان له دور كبير في المعارض العربية والأجنبية للكتاب. ولكن ثمة أسباب عدة لتقلص ازدهار ذلك الدور أهمها:

١ – عدم وجود تخطيط حضاري للتشجيع على القراءة.

٢ – تغلب العامل التجاري على العامل الثقافي.

٣ – عدم وجود تشجيع معلن للكتاب.

٤ – القرصنة التي أوجدتها الحرب اللبنانية.

٥ – البرنامج التعليمي الذي يحدد الكتب التي يحتاج اليها الطالب للنجاح. أقول فقط النجاح في الإمتحانات من دون تشجيعه على مطالعة كتب غير محددة في المنهاج المدرسي وذلك لعدم توافرها في المكتبات.

٦ – تغلب وسائل الاعلام الحديثة من راديو وتلفزيون وفيديو على جذب المواطن العربي من دون أي مجهود للإطلاع على كل شيء من دون الرجوع إلى الكتاب.

٧ – فقدان الدعم من الدولة للكتاب.

كل هذه الأسباب جعلت دور النشر تفكر في تقليص نشاطاتها.

رفيق بستاني

متاحف تحت الأرض



هي أطول صالة عرض فنية في العالم، تمتد مسافة ١١٦ كيلومتراً تحت شوارع مدينة استوكهولم وعبر ضواحيها. وهي أيضاً شبكة المترو في العاصمة الاسوجية، عصرية ناشطة تنقل نحو مليون مسافر في يوم عمل عادي. وفي واحد من أضخم المشاريع الفنية في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، عمل أكثر من ١٥٠ فناناً لاكثر من ثلاثة عقود على تحويل ٧٣ محطة، من أصل ٩٩ تضمها الشبكة، متاحف فنية فريدة.

وثمة مظاهر معمارية وتصميمية مشتركة في هذه المحطات، الا أن كلاً منها أعطيت هوية مميزة بالفن الذي

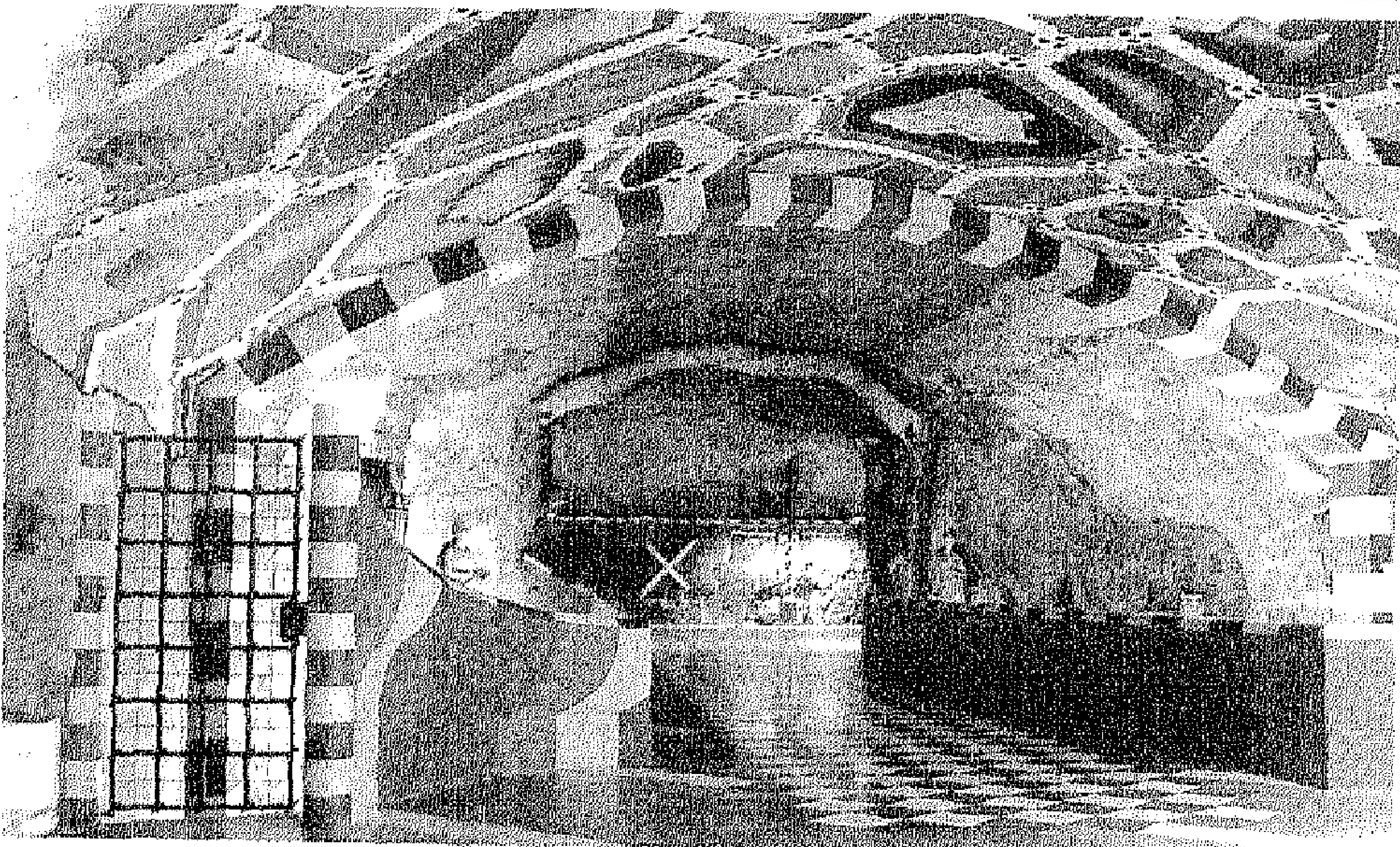
HANS EKESTANG



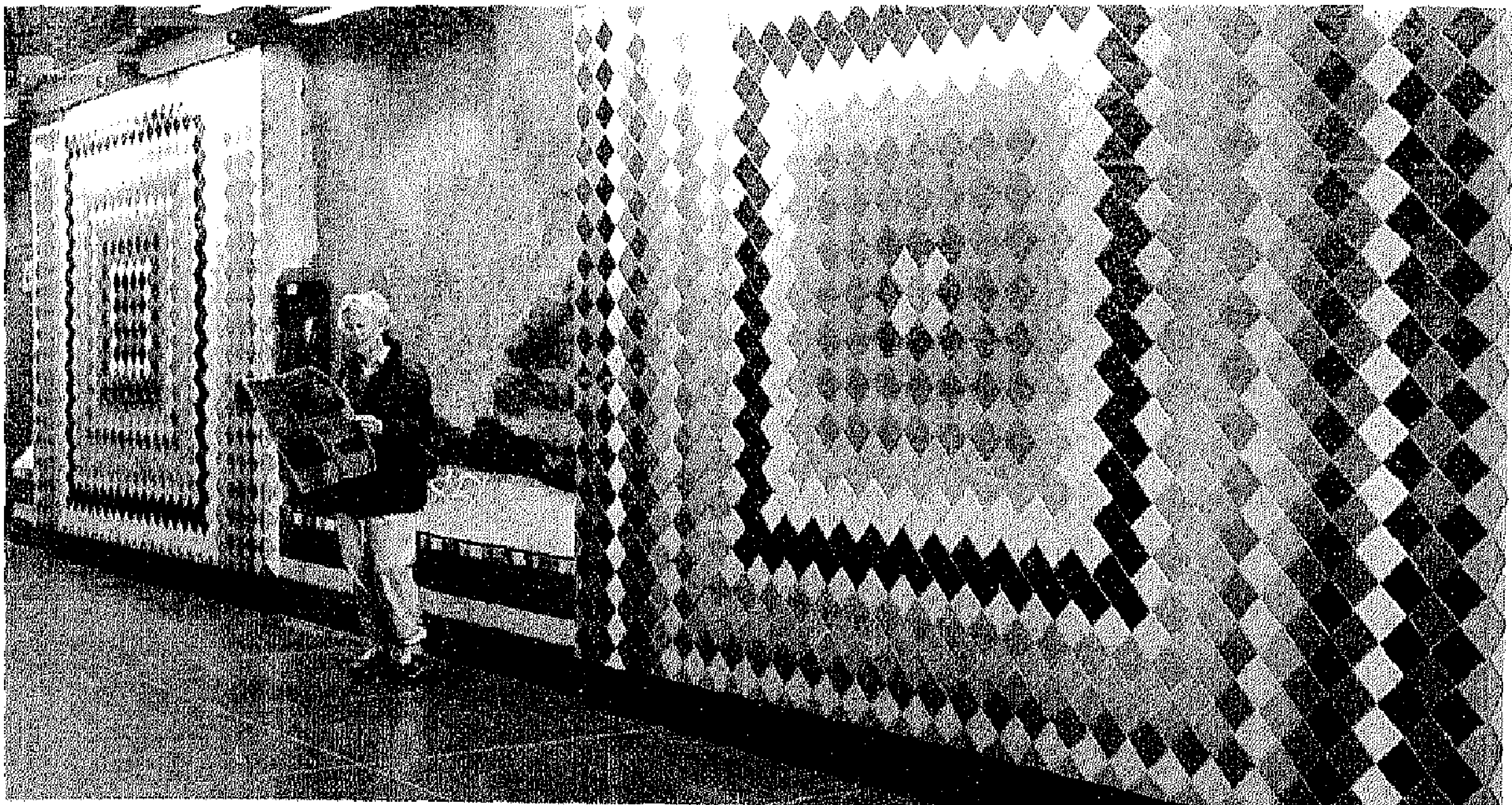
في محطة ت - سنترالين، حيث رصيف خط يارفا، أبدع الفنان بير اولوف اولتفيت مشهداً مشرقاً مورقاً.

(تحت) نقش ملوّن على سقف المخرج الشرقي لمحطة كونغستراد غاردن أبدعه أولريك ساموبلسن على نسق فن الزخرفة العربي (أرابيسك).

HANS EKESTANG







يقول الفنان سيفرت لندبلوم عن زخرفه الخزفي (السيراميك) فوق الخلفية الرمادية في محطة فاسترا سكوغن: "هناك تتابع لوني محدد في كل صورة. فبلاطات السيراميك الصغيرة المتلاصقة تربط صور البلاطات الكبيرة، وكأنها كلها ترقص على حبل مشدود."

STEN VILSON



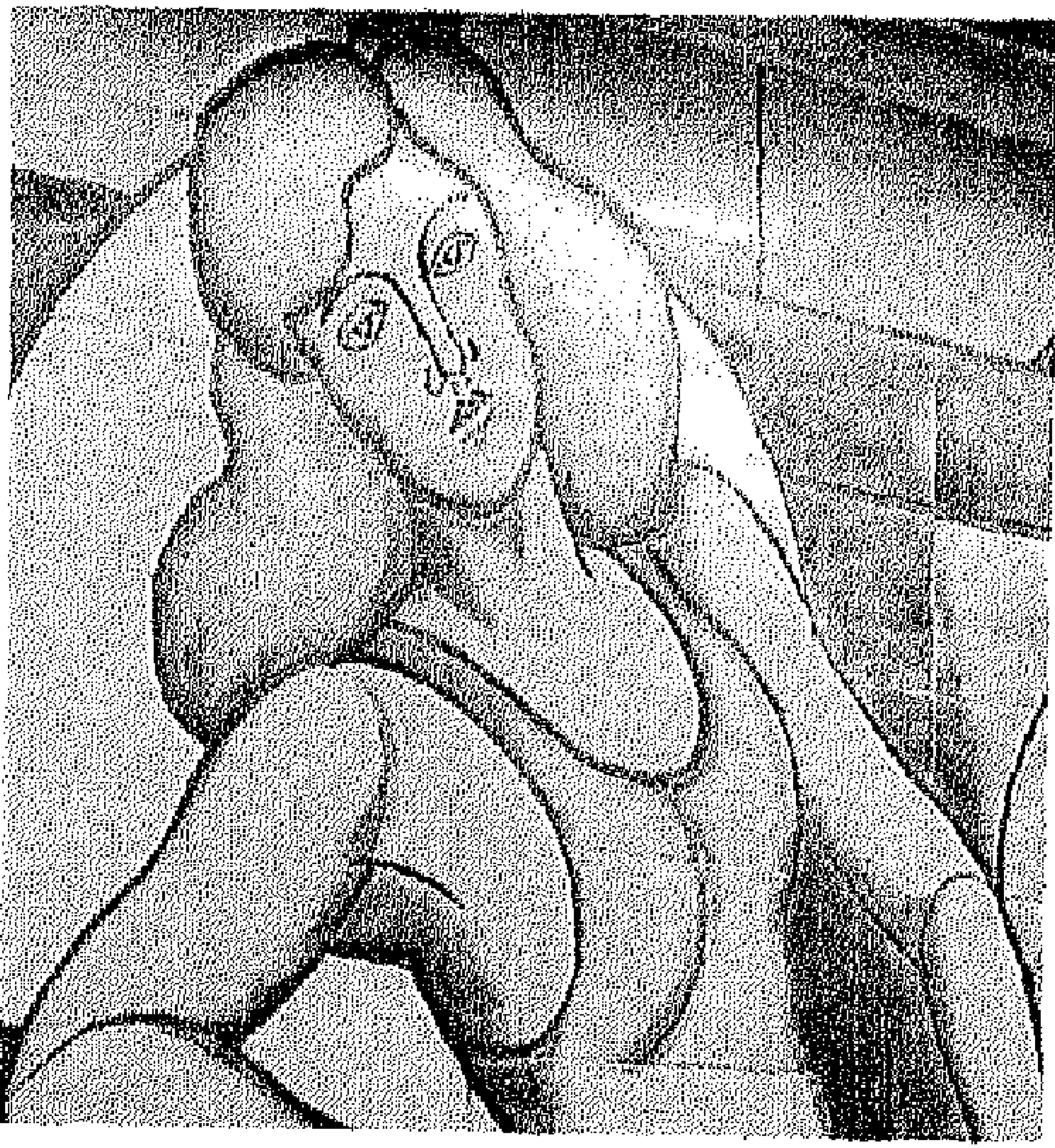
نقش نافر من أعمال الفنانة هيرتا هيلفون، يظهر على جدار محطة دانديريد التي تحمل اسم المستشفى المجاور.

STEN VILSON



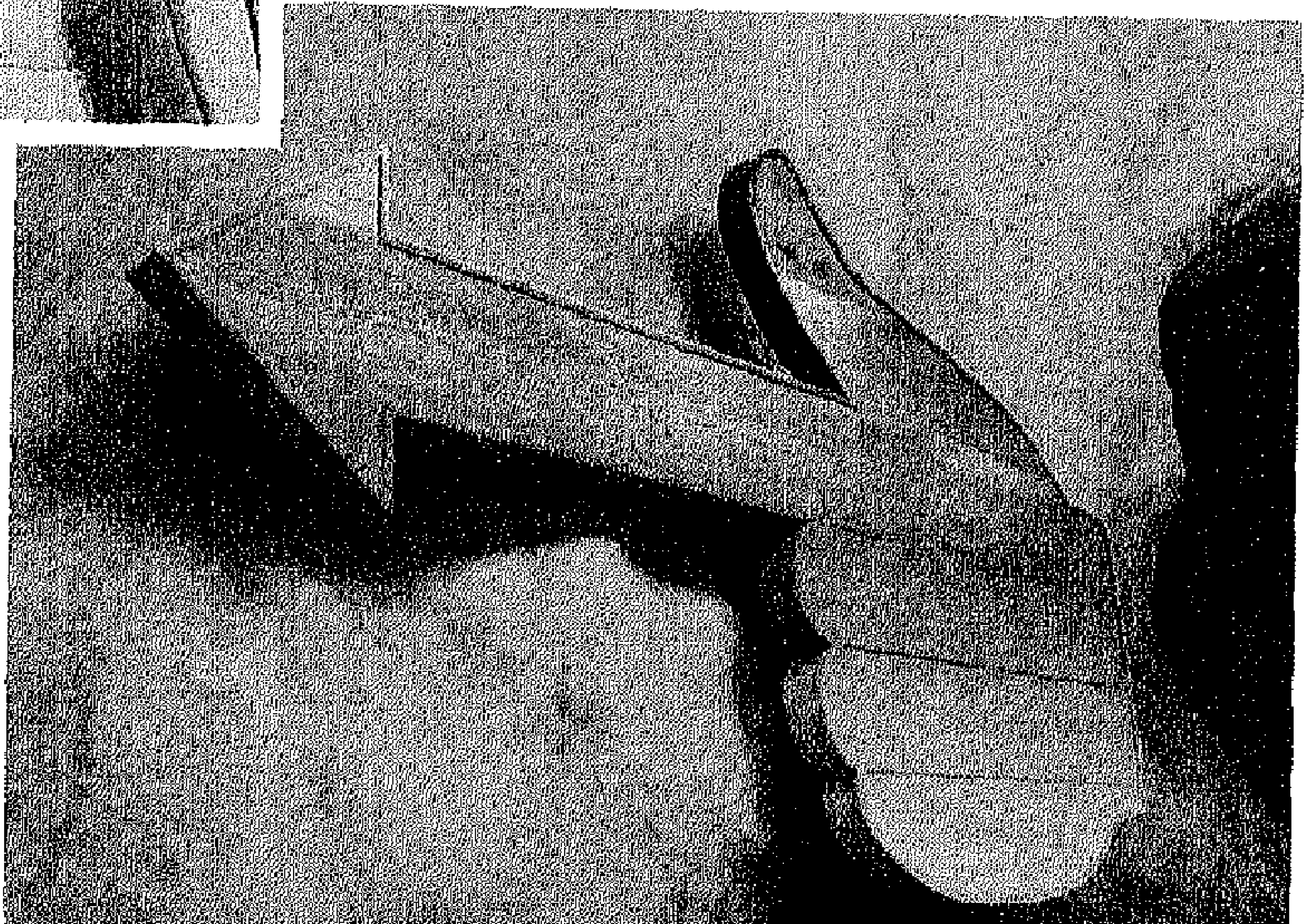
تمثال برونزي لطفلة تحمل دمية يزين رصيف محطة مارياتورغيت، وهو من أعمال النحات أزموند أرل.

HANS EKESTANG

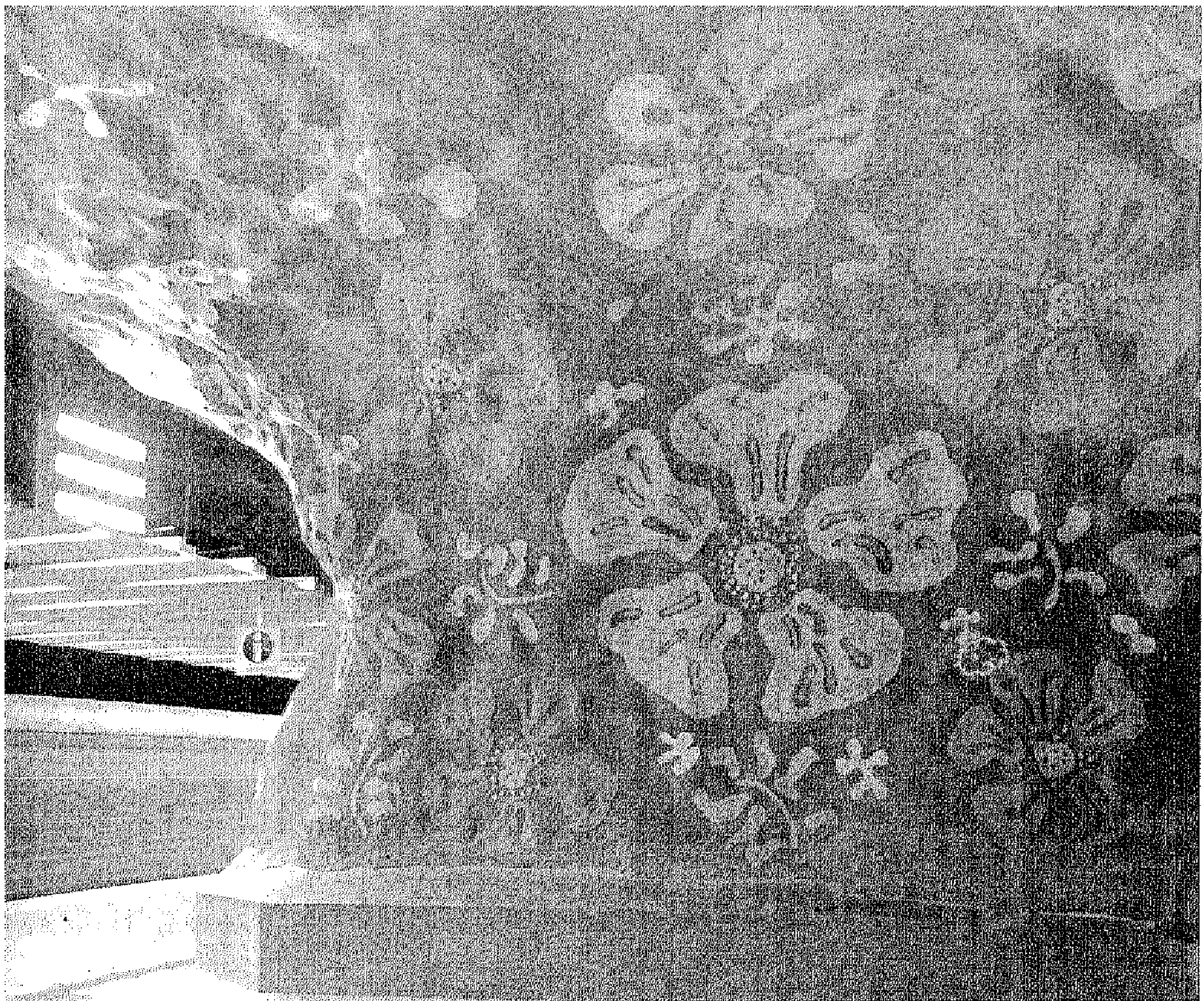


خمسة رسوم نافرة من الصلصال زينت بها الفنانة بيرجيت ستال - نايبرغ جدران موقف محطة أكالا: شبح، لاعب كرة قدم، مدير، عامل بناء، رجل وطفل. يكملها رسم امرأة عصرية (الى اليسار).

PER BERGSTRÖM



لافتة اتجاه صنعها الفنانان آك بالارب واينو هاليك من الخشب. زاهية، فرحة، تضفي لمسة حياة على جدار محطة ستاديون الرخامي.



حوّل الفنان أولي انغفيست محطة البي "كهفاً سرياً" ناشراً بساطاً من الزهر بأسلوب بدائي على جدران القاعة الصخرية الضخمة وسقفها المقنطر.

تحويه، من لوحات جدارية وتماثيل ومنحوتات خزفية (سيراميك).

يقع نحو نصف هذه المحطات تحت الارض، وقد بني معظمها أصلاً بتفجير الصخر الصلب. ويستعين الركاب بالالوان والرسوم المميزة للمحطات لتحديد وجهتهم. وتترك المناظر الفنية المتغايرة في نفوس المسافرين اثارة طالما افتقدوها في رحلاتهم اليومية الطويلة تحت الارض.

وتعكس محطات كثيرة خصائص الحي الذي أقيمت فيه. فتبرز محطة مستشفى دانديريد، مثلاً، صور أعشاب طبية وأفعى من الفسيفساء (الموزاييك) – رمز العلوم الطبية – ملتفّة على أرض الممشى الذي يقود الى المستشفى. أما محطة رادمنسغاتان المجاورة لمنزل الروائي والكاتب المسرحي الاسوجي الراحل أوغست ستريندبرغ، فتبرز صوراً للكاتب مطلية بالميتا، ونماذج من خط يده.

الصور المنشورة في هذه الصفحات عينات مختارة من كتاب "الفن ينزل تحت الارض" وهو دراسة لخمسين سنة من الفن والعمارة الاسوجيين تحت الارض.

غوران سودرستروم ■


اليزابث الثانية
ملكة في عزها
بقلم تيم هيلد
كتاب الشهر



هي لا تنسى أنها الملكة. ومع كل ما تتسم به من دفء وود، تبقى هذه المرأة النحيفة الواقعية صاحبة الجلالة المكرسة.

يقول ادوارد ميرزوف مخرج الفيلم الوثائقي الجديد "إليزابث ر"[1] الذي أبرز الحياة العملية للملكة وعرضته شبكة «BBC» في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩١ في الذكرى الاربعين لاعتلائها العرش: "تجد نفسك على الدوام مدركاً مَنْ هي تماماً. وتلمس فيها نأياً، فهي لا تقبل أبداً اجراء مقابلات معها، ولا تصويرها وهي تأكل أو تشرب. وخلال السنة التي أمضيناها في تصوير الفيلم، رأيت كيف تفرض هيبتها على جميع أنواع الناس."

وقد عانى ميرزوف نفسه هذه التجربة، وهو الذي نال جوائز تلفزيونية عدة وله دراية واسعة بشؤون العالم. فقبل مباشرة تصوير الفيلم استدعي الى قصر باكنغهام[2] حيث لم تنجح الاجتماعات التحضيرية مع اثنين من المسؤولين في تبديد قلقه وتوتره. فأحس، حين اقتيد لملاقاة الملكة للمرة الاولى، كأنه وقع في ورطة، خصوصاً حين قيل للملكة إنه جاء ليعرض تصوراته للفيلم.

يقول ميرزوف: "لم أكن وضعت بعد خطة محددة لتصوير الفيلم. لذا لم أجد ما أقوله. وشعرت كأني أهذر وألغط كلاماً لا طائل تحته. لكنها كانت فاتنة. فأدركتُ اذذاك هول الوزر الذي يفرضه عليها تأثيرها في الناس."

(١) Elizabeth R
(٢) قصر باكنغهام هو مقر الملكة في لندن



لكنها، في الواقع، قادرة على حمل هذا الوزر. فبالنسبة الى إليزابث ألكسندرا ماري، كونها ملكة يعني أكثر من مجرد وظيفة تؤديها. فحسها بالواجب الذي أقسمت له يمين الولاء في مراسم تتويجها عام ١٩٥٣، أمر حاسم يتوجب اكتناهه لفهم إليزابث الثانية التي، على رغم كونها أكثر الناس تواضعاً في بعض النواحي، تحس أنها مستدعاة لانجاز مهمة سامية.

عندما اعتلت إليزابث الثانية العرش، كان مركز بريطانيا في العالم تغير كثيراً. فالمستعمرات السابقة باتت دولاً مستقلة تشارك في عضوية الكومنولث[٣] على قدم المساواة مع بريطانيا، سوى أن الملكة بقيت راسخة كرئيسة لمجموعة هذه الدول المتناثرة من اوستراليا الى زامبيا.

وحس الملكة بالتفاني في سبيل مبادئها بقي قوياً كما كان قبل ٤٥ سنة عندما أعلنت لرعاياها المستقبليين، وهي بعد أميرة في الحادية والعشرين من العمر: "سأكرس حياتي كلها، سواء أقصرت أم طالت، لخدمتكم وخدمة الكومنولث الامبراطوري الذي ننتمي اليه جميعاً."

يوم ملكي

تعيش الملكة حياة تختلف عن حياة سائر الناس. فهي تخرج من جناحها كل صباح على أنغام مزامير القِرَب تبعا لتقليد أدرج في عهد جدة جدتها الملكة فيكتوريا. فلئن تسنى لكم يوماً أن تمشوا نزولاً على تلة "كونستتيوشن هيل" من "هايد بارك كورنر" بين التاسعة والتاسعة والربع صباحاً، فلا بد أن تسمعوا – اذا كانت الملكة في قصر باكنغهام – صدح مزامير القرب منبعثا من خلف الاسوار العالية لحديقة القصر.

وهذا دليل على اسكوتلندية الملكة بمقدار ما هو مقياس لذوقها الموسيقي. فمن ناحية أبيها، كان الانتماء الاسكوتلندي الخيار البديل للملكة فيكتوريا التي وفدت الى اسكوتلندا غريبة فوقعت في حب الارض وغدت أكثر اسكوتلندية من الاسكوتلنديين. أما من ناحية والدتها، فالانتماء حقيقي جداً، لأن الملكة الام تنتمي الى عائلة باوس – ليون من قلعة غلاميس، أي إنها اسكوتلندية أصيلة.

تتناول الملكة طعام الفطور مع زوجها دوق ادنبره كلما سمحت الظروف بذلك. وضمن المجموعة الفنية الخاصة بالدوق لوحة زيتية رائعة رسمها بيده تظهر الملكة جالسة الى طاولة في غرفة طعامهما الخاصة في قلعة وندسور، وأمامها، على غطاء المائدة الابيض، جهاز راديو والى جانبه وعاء مربى.

(٣) الكومنولث مجموعة دول مستقلة كانت مستعمرات بريطانية في الماضي، تؤلف اتحاداً معنوياً برئاسة التاج البريطاني.

نادراً ما تمضي الملكة جلسة فطور صامتة. فعلى رغم أن مكتب الصحافة يحضِّر لها عرضاً يومياً يوجز أخبار الصحف ويتيح لها اطلاعاً سريعاً على ما يجري في العالم، تبقى الصحف اليومية والاخبار الاذاعية جزءاً لا يتجزأ من روتين الفطور. أما الدوق، وهو رجل كثير الكلام متشبث برأيه، فمعتاد قراءة النبذات الاخبارية بصوت عالٍ وإخضاعها لتعليقات بليغة.

بعد ٤٤ عاماً من زواج شهدت سنواته الاولى إشاعات حول "تصدعه"، بقي آل ادنبره – كما سموا يوماً – فريقاً متراصاً. وعلى رغم أنهما كثيراً ما يعيشان متباعدين وينامان في غرفتين منفصلتين، فان كل من يراهما عن كثب يقول إنهما أفضل صديقين، ولا يمكن تصور إقدام أي منهما على أخذ قرار مهم من دون استشارة الآخر. وقد قال لي أحد أفراد الحاشية السابقين: "انها مخلصة له تماماً، وهو مخلص لها."

وهناك كل صباح أوراق ومعاملات تستدعي الانجاز يرسلها مكتب أمانة السر الخاصة الى الملكة ضمن صندوق يحوي وثائق تراوح بين اقتراحات تتناول تعيين أساقفة أو سفراء وأخرى تلتمس زيارات أو خطباً أو تدشين مؤسسات. وتصل هذه الوثائق الى الملكة مصنفة ومدقق فيها مع موجز لها يتضمن ملاحظات وتوصيات. وفي الحادية عشرة صباحاً تقابل الملكة أحد أمناء سرها الخاصّين إن لم تكن مرتبطة بمواعيد رسمية.

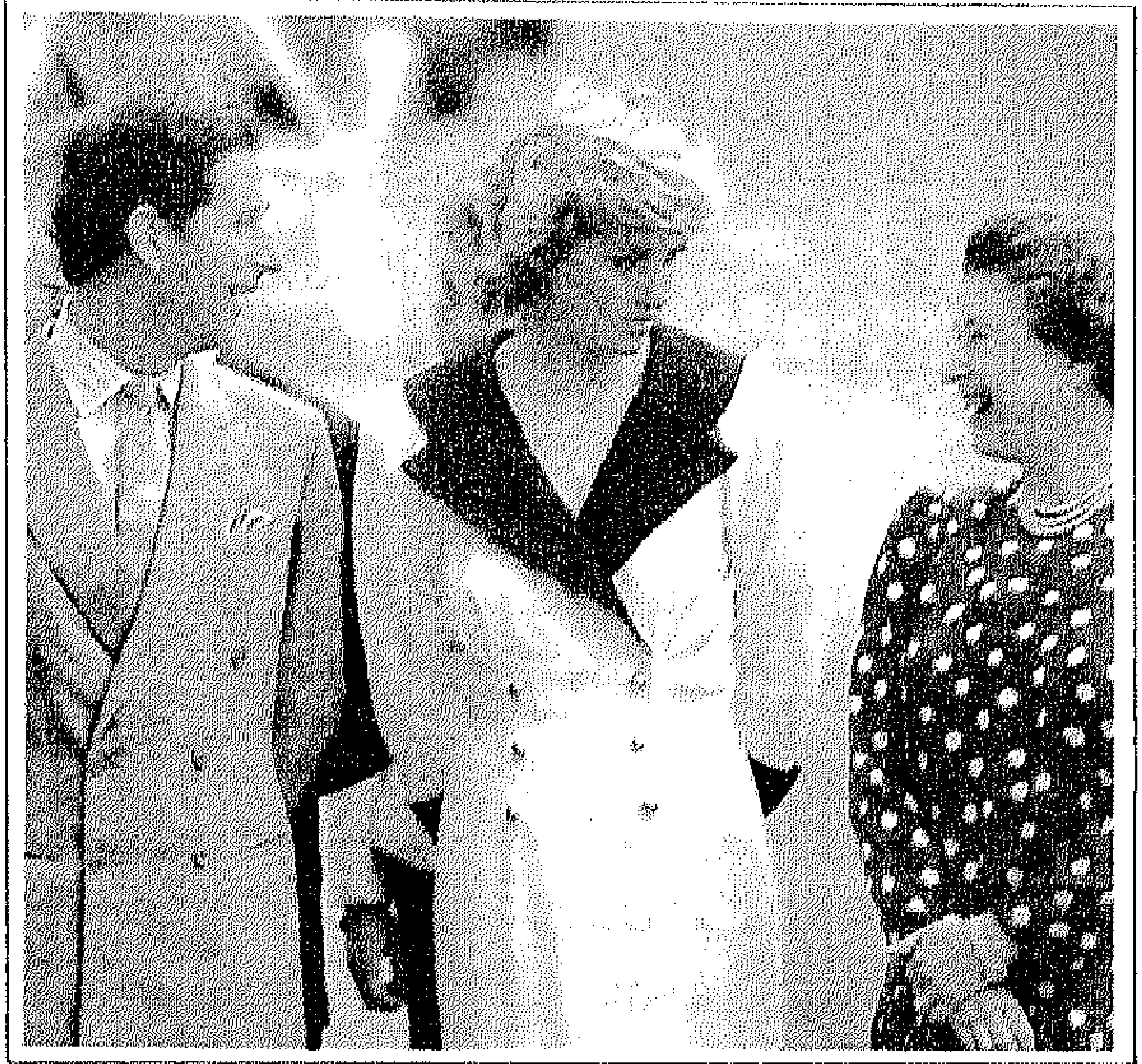
ويعتبر أمناء السر الخاصّون هؤلاء ضرورة حيوية للملكة بحيث يصبح أفضلهم أصدقاء ومستشارين تخصهم بالتقدير والاحترام. وطوال سنوات حكمها، لم توظف الملكة سوى ستة أمناء سر خاصين كان أول أربعة منهم أكبر منها سناً والأخيران أصغر سناً. وهذا ما أبقى الملكة على اتصال بأجيال تكبرها وتصغرها عمراً.

ومنذ العام ١٩٩٠ تولى منصب كبير أمناء السر الخاصين السر روبرت فلوز نجل أحد رجال الحاشية، وهو مصرفي سابق وزوج الليدي جين سبنسر شقيقة ديانا أميرة ويلز. ويعاونه السر كنيث سكوت الذي امتهن العمل الديبلوماسي وخدم سفيراً لبلاده في يوغوسلافيا، وروبن جانفرن نجل نائب الاميرال الذي سبق له أيضاً أن عمل في السلك الخارجي.

ويتسم هؤلاء الثلاثة بصفات ليس أقلها اللطف والكياسة والجاذبية والثقة بالنفس ويُسْر التصرف في الدوائر الملكية. وهم، الى ذلك، مهذبون من دون خنوع، وفاعلون من دون بيروقراطية. انهم بالضبط كما شاءتهم الملكة أن يكونوا. فهي تحب العمل مع رجال يريحونها وتعتمد عليهم في وضع توصيات حازمة. كما أنها تكره اللف والدوران والمواربة وتريد أن تعلم تماماً ما يدور في خلد الآخرين.

ويستعين زوجها وابنها البكر بمجموعة من العقول المفكرة لتلقي المشورة في حقول







البيئة وهندسة العمارة والفروسية والتكنولوجيا وغيرها من المواضيع التي يرغبان في طرقها. والملكة، كما يقول أحد مستشاريها السابقين، "قد تحاول استشارة بعض الاصدقاء والاقارب، ولكن ليس هناك ما يضاهي شبكة المفكرين الصغيرة ألتي يعتمدها الامير فيليب." أما من الناحية الرسمية، ففي وسع الملكة اللجوء الى وزرائها وأساقفتها وجنرالاتها وأي جهة تشاؤها لأخذ الرأي. واللجوء الى أي مفكر خارج نطاق القنوات المألوفة قد يعتبر مخالفا للقواعد والاصول، إن لم يكن للدستور.

ويتضمن يوم نموذجي من عمل الملكة كثيراً من "تقبيل الايدي" الذي يُذكِّر

بالسلوك البلاطي المهيب الذي ساد في الماضي وما زال متبعاً. ومثال على ذلك ما جرى بعيد ظهر ٤ يونيو (حزيران) ١٩٩١ عندما وفد روبرت كوركمان الذي عُيِّن سفيراً فوق العادة لبلاده في استوكهولم، و"مَثُل في حضرة الملكة وقبَّل يديها."

وعندما غادر السفير قصر باكنغهام الساعة ١٢،٤٠ ظهراً، وصل ملك سوازيلاند ومكث الى الاولى بعد الظهر. وبعده مباشرة استقبلت الملكة اللواء السر كريستوفر اري الذي كان في صدد "التخلي عن مركزه سكرتيراً خاصاً وأمين صندوق لدى أمير ويلز." ويتولى أحد أمناء السر الخاصين إطلاع الملكة بدقة على حيثياتِ أي اجتماع قبل انعقاده.

وفي وقت لاحق بعد ظهر ذلك اليوم ذهبت الملكة، يرافقها دوق ادنبره، الى مجلس التخطيط في لندن "هايماركت" للاطلاع على "مئة سنة من الاختراعات البريطانية" في معرض الذكرى المئوية لمعهد وكلاء براءات الاختراع المجازين.

وبحلول السادسة والنصف مساء، عادت الملكة الى القصر لاستقبال رئيس وزرائها جون ميجور.

درجت الملكة طوال عهدها على "الدردشة" أسبوعياً مع رئيس وزرائها، وإن لم يُكشف مرة عما يدور في هذه الاجتماعات. ففي زمنْ رئيس وزرائها الاول ونستون تشرشل، أي حين كان عمر رئيس الوزراء الحالي ثمانية أعوام، كان تشرشل قادراً على تقديم النصح الى الملكة المبتدئة لما كان له من خبرة طويلة. أما اليوم فقد انقلبت الادوار، اذ يصغرها ميجور بنحو ١٧ عاماً، وهو لم يصبح عضواً في البرلمان إلا عام ١٩٧٩.

واجتماعات الملكة برئيس الوزراء سرية لا يحضرها أي من أمناء السر أو العاملين في القصر أو حتى الامير تشارلز الذي يحق له الاطلاع على الاوراق الرسمية ومقابلة الوزراء ورئيسهم متى شاء.

أما علاقات الملكة برؤساء وزرائها التسعة فكانت طيبة جداً على الدوام، على رغم ما قيل من انها وجدت في السر أنطوني إيدي رجلاً صعب المراس. وهي فتنت رئيسي وزرائها العماليين هارولد ويلسون وجايمس كالاهان مما جعل أحد المساعدين في القصر يقول: "لقد وقع هارولد في هواها."

وأما الجليد القائم بينها وبين السيدة مارغريت تاتشر فكان موضوع تعليقات راجت في السر والعلن. ويقول مسؤول حسن الاطلاع: "كان ذاك نموذجاً في اللياقة تضمن من جانب السيدة تاتشر احتراماً لجميع الاعراف والمواثيق مع درجة من المراعاة تكاد تبلغ حد المبالغة، واعترافاً من جانب الملكة بحق الحكومة في الحكم وبدور الملكة القاضي بدعم الحكومة في السراء والضراء."

ولربما أخفى هذا الحرص المفرط على الشكليات بعض نقص متبادل في التعاطف. فالملكة تجد سهولة في التعامل المهني مع الرجال. وليس من باب المصادفة أنها لم تقدم أبداً على تعيين أمينة سر خاصة.

في بعض الامسيات تخرج الملكة والدوق معاً وإن يكن هو يحب السهر أكثر منها. لكنهما ينجزان معظم الواجبات الرسمية منفصلين. فذات يوم نموذجي من العام ١٩٩١ تناول الدوق طعام الغداء في ترينيتي هاوس وتعشى لاحقاً مع أعضاء "مؤسسة القلب البريطانية" في قصر "سانت جايمس". ولم تكن الملكة مرتبطة بأي من هاتين المناسبتين مثلما لم يكن للدوق ارتباط بأي من مقابلاتها الرسمية.

وعندما يخرج الدوق لتناول طعام العشاء، تتناول الملكة طعامها منفردة في جناحها الخاص، وتشاهد أحياناً برامج التلفزيون حتى ساعة متقدمة من الليل. وهي تعتمد نظام حمية معتدلاً ودقيقاً.

والوجبات التي تتناولها الملكة وحيدة في جناحها لا تُخرق حرمتها. فحتى أفراد العائلة يحجمون عن التطفل ما لم يكالموها هاتفياً أولاً. يقول السر وليم هيزلتاين أمين سرها الخاص سابقاً: "يتمتع جميع أفراد العائلة المالكة باستقلالية لافتة." وذلك يربك العاملين في القصر. ولهم، الى ذلك، عادة محرجة قوامها أنهم لا يخبرون بعضهم بعضاً بما يعتزمونه. لذلك يتعين على العاملين في القصر مقارنة ملاحظاتهم على الدوام والا وجدوا أنفسهم وسط "فوضى مروعة."

ويحمل المساء الى الملكة مزيداً من الاعمال المكتبية. فالى الصندوق الذي يأتيها به أمناء سرها الخاصون بعد الظهر، هناك معاملات حكومية أخرى تستدعي الانجاز. فهي تتلقى، أثناء جلسات مجلس العموم، تقريراً يومياً عن أعماله من نائب كبير الامناء. كما تتلقى ألوف الرسائل سنويا (٤٩٠٢٣ رسالة عام ١٩٩٠) من أفراد الشعب، فتتولى الوصيفات وأمناء السر الخاصون الرد على كل منها. والقاعدة المتبعة في القصر هي أن "كل ما هو معنون للملكة يجب ان يصل الى مكتب الملكة."

وعمل الملكة ليس وظيفة تبدأ في التاسعة صباحاً وتنتهي في الخامسة مساء. الا أنها تتمتع بقدرة احتمال غير عادية، ولم يعرف عنها أنها برمت يوماً بالمواكب أو المآدب أو الاحتفالات الرسمية الطويلة المضجرة.

وتتشابك أوقات الراحة والعمل على نحو لا يقبل الانفصام. ففي الستينات مثلاً، عارض أمين السر الخاص آنذاك السر مايكل أدين تقديم مذكرة الى الملكة أعدها لها أحد رجال المجتمع البارزين، بحجة أنها تفتقر الى التفاصيل. وعندما علم كبير الامناء إرل سكاربورو بالامر، وكان أسلس طبعاً، طلب الاطلاع على المذكرة، ثم قال: "إنها لا تشكو من شيء، وسأعرضها بنفسي على صاحبة الجلالة."

وفي اليوم التالي استدعى كاتب المذكرة ليخبره أنه عرضها على الملكة فوافقت عليها. فسأله حائراً: "ولكن كيف استطعت ذلك ومتى؟"
كان الجواب بسيطاً. فذاك كان اليوم الاول من سباق "أسكوت" الملكي. ويقضي التقليد بأن تعبر الملكة مضمار السباق في مركبة رسمية مكشوفة يرافقها كبير الامناء. وكان هذا وضع المذكرة في جيب بذلته الصباحية واخرجها منها لدى انطلاق الموكب. وفيما هو والملكة يلوحان للجمهور مبتسمين، كانا يتناقشان في المذكرة التي أخفياها تحت جانب المركبة.

بلا أبهة وظرف الكلام

تتبع الملكة في حياتها الشخصية والخاصة أسلوباً غير متفاخر يكاد يبلغ درجة التقشف. إلا أنها، على الصعيد العام، تحرص على زخارف الجلالة المهيبة التي باتت في بعض نواحيها أقل شكلية مما كانت في أيامها الاولى.
وما زال الازدهار سائداً قصر باكنغهام وقلعة وندسور وعزبتي بالمورال وساندرنغهام، على رغم اجتزاء نحو ٩٠ غرفة من قصر ساندرنغهام لدى تجديده عام ١٩٧٤. وهناك أيضاً طيران الملكة الذي يشمل طوافات من طراز "وسكس" وطائرة نفاثة من "بريتيش ايروسبايس" وقطارات صممت خصوصاً للرحلات الملكية. وما زالت مجموعة الاصطبلات الملكية تعج بمركبات رسمية وسيارات "رولز رويس" وسيارات أخرى بينها واحدة لا تلوث البيئة تسير بالطاقة الكهربائية وتخص دوق ادنبره الذي أصبح منذ سنوات من المنادين بضرورة صون البيئة.
واهم من ذلك كله اليخت الملكي "بريطانيا" العابر المحيطات والذي تبلغ زنته ٥٧٦٩ طناً. وهو طوى مذ وضع في الخدمة الفعلية عام ١٩٥٤ حوالى مليون ونصف مليون كيلومتر حاملاً العلم البريطاني من أصقاع القطب الشمالي الى أقاصي الاراضي الجنوبية. كأنما هذا اليخت هو قصر باكنغهام عائم، فيه قاعة طعام تتسع لمأدبة كبرى، وعلى متنه فرقة موسيقية ملكية من ٢٦ عازفاً من البحارة مراعاة للمظاهر.
وفي ٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٥٩ افتتح الرئيس الامريكي الاسبق دوايت أيزنهاور والملكة إليزابث الثانية، ومعهما رئيس الوزراء الكندي الاسبق جون ديفنبيكر، طريق سانت لورنس البحرية وهي قناة دولية تربط البحيرات الكبرى بالمحيط الاطلسي. وكان جايمس أور، أمين سر دوق ادنبره آنذاك، مع الوفد الامريكي الذي وقف يراقب "بريطانيا" ماخراً العباب بأبهة ملكية متجهاً من مونريال الى بحيرة أونتاريو. وبعد دقائق التفت أحد الحاضرين الى أور وقال له: "من حسن الحظ أنكم لم تشاهدوا يخت

الرئيس!" فذاك لم يكن سوى زورق متواضع لا يتعدى طوله ٢٠ متراً.

بعد اعادة تجهيز شاملة عام ١٩٨٧ حُوِّل "بريطانيا" مركزاً تجارياً جوالاً استقبل سلسلة "أيام بحرية" حققت صادرات بملايين الجنيهات. وخلال زيارة الملكة للولايات المتحدة عام ١٩٩١ استقبل اليخت أيضاً "ندوات بحرية" لاقطاب صناعة السيارات والصناعة الجوية والفضائية البريطانيين.

وما زال "بريطانيا" سيد الامواج ورمزاً لدور أفراد العائلة المالكة. ويقول السر هيو كاسون الذي ساهم في التصميم الداخلي لليخت وله علاقة طويلة العهد بالعائلة المالكة: "اعتقد أن العائلة تعلمت من تلك المرأة المدهشة، من الملكة الام، أن المرء اذا أقدم على أمر فعليه أن ينجزه بأناقة. فلها كل الفضل في انتهاج العائلة نهجاً ملكياً."

وتبقى نقاط محددة في الروزنامة الملكية مكرَّسة وغير قابلة للتغيير، ومنها: أحد الذكرى في نوفمبر (تشرين الثاني) حين تتقدم الملكة الأمة في تكريم محاربيها القدماء بوضع اكليل من زهر الخشخاش على نصب الجندي المجهول في وايتهول في لندن، وخدمة العهد الملكي في خميس ما قبل الفصح وهي احتفال تقليدي للصدقات تُوزع خلاله أكياس تحوي أوراقاً نقدية طُبعت خصوصاً لهذه المناسبة،[٤] وتقديم العلم في عرض الخيالة لمناسبة عيد ميلاد الملكة في يونيو (حزيران) عندما تتلقى التحية من حرسها الراجل وفرسان قصرها، والافتتاح الرسمي لجلسات البرلمان عندما تتلو الملكة خطاباً على أعضاء مجلسي الأمة مجتمعين يوجز ما اعتزمته حكومتها للدورة الجديدة.

هذه المناسبات الرسمية الكبيرة التي تجسد فيها الملكة روح الأمة كلاً هي فرصة لاظهارها جزءاً حيوياً من البلاد مكرساً لخدمة أتباعها بمقدار ما هو مكرس لحكمهم. وقد بقي هذا النهج على جوهره طوال عهدها. وتعليقاً على ذلك يقول السر وليم هيزلتاين: "إني لمتأكد من أن في ذهن الملكة على الدوام فكرة واضحة عن الاسلوب الملائم لتصرفها كرئيسة دولة. فهذا الدور هو بالنسبة اليها واضح الى حد بعيد."

إلا أن السنوات حملت بضع تغييرات طفيفة، منها أن خدمة العهد التي كانت تقام في وستمنستر باتت اليوم تقام في كاتدرائية مختلفة كل عام، وهذه فكرة اقترحتها الملكة لشعورها منذ البداية بأهمية أن يراها الناس خارج العاصمة وخارج منطقة جنوب شرق انكلترا المحظيَّة.

وكانت الملكة الى وقت قريب تمتطي جواداً خلال عرض عيد ميلادها، على سرج جانبي، مرتدية بزة قرمزية وزرقاء رائعة وقبعة ثلاثية الزوايا. وكانت بزة الفرسان هذه

(٤) Maundy Money

الوحيدة لديها، خلافا لأفراد عائلتها الذكور الذين يحتفظون ببزات مختلفة لكل المناسبات وجميع الافواج التي يتعاملون واياها. فعمدت الملكة، بكتمان، الى اجراء تعديل في البزة كل سنة بحيث تلائم أزرارُ السترة وريشةُ القبعة ألوانَ الفوج الذي يجري عرضه.

وهي لم تتحول الى "الثياب المدنية" والى ركوب عربات الخيل في عروض تحية العلم الا بعدما هرم جوادها المطهَّم "بورميز." ولم يكن لقرارها هذا، ظاهريا، أي علاقة بما حصل يوم ١٣ يونيو (حزيران) ١٩٨١ عندما أقدم شاب في السابعة عشرة من عمره على اطلاق عيارات نارية من بارود فقط على الملكة وهي ممتطية جوادها في موكب عبر متنزه المول.

ومن ضمن روتين الملكية تكريم رؤساء الدول الاجنبية، بمعدل مرتين في السنة. وكانت زيارة الرئيس المصري حسني مبارك لبريطانيا في يوليو (تموز) ١٩٩١ الزيارة الرسمية السادسة والستين في تاريخ العهد.

إلا أن رؤساء الدول يفدون الى بريطانيا ضمن زيارات أقل شكلية شملت عام ١٩٩١ زيارات لرؤساء بلغاريا وتشيلي والمجر (هنغاريا) ومالاوي والاتحاد السوفييتي الذي كان آنذاك في عزه. وتتطلب هذه الزيارات مقداراً أقل من الأبهة والظرف، ولا تستلزم رفع الاعلام في المول أو اقامة مآدب رسمية أو السير في مواكب فروسية، الا أنها تقتضي، بالنسبة الى الملكة، استكمال اجراءات ضرورية لوضعها "في الجو" كيما تتمكن من التحدث الى ضيفها باطِّلاع. أما النقاد الذين يزعمون أن الملكة لا تقرأ أي كتاب ولا تطالع حتى كتب العطلات التي تزودها اياها أمانة الكتب كل صيف، فيقصِّرون في تقدير الكمية الهائلة من الاوراق التي يتعين عليها مراجعتها كيما تترك انطباعاً راسخا بأنها شاملة الاطلاع.

والملكة، الى ذلك، رحالة لا تعرف التعب. فبعد تتويجها عام ١٩٥٣ قامت من فورها بجولة في دول الكومنولث شملت عشر دول من برمودا الى أوغندا. وفي ١٩٧٧، عام يوبيلها الفضي، طوت مع دوق ادنبره نحو ٩٠ ألف كيلومتر. وكانت زيارتها الرسمية الاولى للنروج عام ١٩٥٥، أما الاخيرة فالى زيمبابوي في ١٩٩١.

وهي حرصت دائما على دورها كرئيسة للكومنولث مثلما تحرص على مركزها ملكة لبريطانيا. وإن تكن، هي وزوجها، يعزّان روابطهما مع دول الكومنولث، الا أنهما يريان بوضوح أنهما سيستمران في المحافظة عليها ما دامت شعوبها تريد ذلك.

وقد أبدت مناطق معينة في أوستراليا وكندا سخطاً على النظام الذي يحكمهما من بعيد. وكانت مقاطعة كيبيك الكندية ذات الطابع الفرنكوفوني[٥] المكان الوحيد في

(٥) الفرنكوفوني يعني الناطق الفرنسية.

الكومنولث الذي لم يستقبل الملكة بحماسة شعبية. حتى إنها تلقت تهديدات بالاغتيال خلال زيارتها المنطقة عام ١٩٦٤.

والملكة حسنة الاطلاع على ما يجري في دول الكومنولث بمقدار ما هي مطلعة على أمور بريطانيا. ولا غرو، فمعرفتها بكثير من هذه الدول وثيقة منذ أكثر من ٤٠ سنة. فهي زارت كندا للمرة الاولى عام ١٩٥١، وفهمت فرادة وضعها بحيث قالت ذات مرة: "ان حصول المرء على الجنسية الكندية يتضمن التزاما من الوافد الجديد أن يشارك العائلة الكندية في ما يمتلكه من خصائص شخصية وحضارية." وإذا اعتُبر تواتر زياراتها دليلاً، فلا بد ان كندا هي أحد مقاصدها المفضّلة، اذ زارتها كملكة ١٧ مرة في مقابل ١١ زيارة لاوستراليا.

وخلال كل مؤتمر يعقده رؤساء حكومات الكومنولث، تستقبل الملكة مندوب كل دولة لمدة ٢٠ دقيقة. وهي تستطيب فرصة لقيا الاصدقاء القدامى وإرساء علاقات جديدة برؤساء الحكومات المنتخبين حديثاً. أما هم – كما يقول أحد رجال الحاشية – فيهيمون بها.

الثروة الملكية

إن ادارة مَلَكية أنيقة ليست بالامر الرخيص. فنفقات العام ١٩٩٠ قدرت بنحو ٢١٣٦٥٠ جنيها استرلينيًا (نحو ٤٠٥ آلاف دولار) لحفلات الحدائق، و٣٧٩٥٠ جنيها (نحو ٧٢ ألف دولار) للزهور و١٤٩٠٢٥ جنيهاً (نحو ٢٨٢ ألف دولار) لصيانة العربات والخيول. أما اليخت الملكي فيكلف أكثر من تسعة ملايين جنيه (نحو ١٧ مليون دولار) كما يكلف طيران الملكة نحو سبعة ملايين جنيه (نحو ١٣،٣ مليون دولار) والقطار الملكي نحو مليوني جنيه (نحو ٣،٨ ملايين دولار).

قد يكون ممكناً خفض هذه النفقات، ولكن إن تم ذلك – يقول المدافعون – تصبح تلك ملكية كما في أسوج (السويد) والدانمرك.

وما زال موضوع الموازنة الملكية مبعث إزعاج للملكة طوال عهدها. فالنقاد مستاؤون من كون الملكة، في زعمهم، أغنى امرأة في العالم، وهم يركزون على أنها لا تدفع ضرائب. وتعليقاً على هذا الامر كتب النائب العمالي ويلي هاملتون عام ١٩٦٩: "في خضم الملايين من أبناء شعبنا الذين يعتاشون بمداخيل تقل عن ١٠ جنيهات استرلينية (نحو ١٩ دولاراً) أسبوعياً، ونصف مليون طفل على الاقل يعانون أدقع الفقر، يبدو التاج لكثيرين تبذيراً مبتذلاً."

بعد أربعة عقود من مثل هذه الانتقادات تردّ العائلة المالكة ومستشاروها على ذلك بسأم متنام. فكثير من هذه الثروة المزعومة، بدءاً بالمجموعة الفنية العظيمة وانتهاء

بالقصور ومجوهرات التاج، ليس في متناول العائلة بل محفوظ في عهدة الامة. والحال، كما قالت لي الملكة يوماً: "ليست كأن المرء يستطيع شراء قبعة بقصر هامبتون كورت."

أما بالنسبة الى موضوع الضرائب، فيمكن تحديد ثلاث قضايا منفصلة أولاها أن الملكة، في بداية عهدها، سلمت مجوهرات التاج الى الحكومة في مقابل مخصصات ملكية لتغطية نفقات التاج التي تستنفد الرواتب والاجور نسبة ٧٠ في المئة منها. وقد حدُدت هذه المخصصات عام ١٩٩٠ بمبلغ سنوي مقداره ٧،٩ ملايين جنيه استرليني (نحو ١٥ مليون دولار) قابلة للتعديل وفق معدلات التضخم المالي ولفترة تمتد عشر سنين.

ويخضع الموظفون الملكيون للضرائب كغيرهم من الناس. واستناداً الى ذلك، يتحجج المدافعون بأن إخضاع المخصصات الملكية للضريبة يعني اخضاعها لضريبة مزدوجة تماثل إلزام الوزارات دفع ضرائب على موازناتها. والمخصصات الملكية، للمناسبة، هي أقل مما يخصص سنويا لمكتب رئيس الوزراء.

أما مصدر الدخل الرئيسي الثاني فهو عائدات دوقية لانكستر. وقد بلغ مجمل دخل الدوقية في السنة المالية المنتهية في ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠ ٤٠٨٨٧٦٧ جنيها استرلينياً (نحو ٧،٧٦ ملايين دولار) أودع منها ثلاثة ملايين جنيه (نحو ٥،٧ ملايين دولار) في صندوق نفقات الملكة الخاصة.

وتستعمل هذه الاموال لتغطية "نفقات الملكة الخاصة" التي تشمل صيانة قصري بالمورال وسندرنغهام، وتسديد نفقات صغار أفراد العائلة المالكة لدى قيامهم بأي واجبات ملكية، وتعويض المخصصات الملكية المصروفة للاميرة ألكسندرا ودوق كنت ودوق غلوستر.

قد يكون من الجائز، نظريا، إخضاع هذه الاموال للضريبة، إلا أن نسبة كبيرة – قد تصل سنوياً الى مليون جنيه استرليني (نحو ١،٩ مليون دولار) – تذهب الى صيانة قصر بالمورال الذي قد تحول الضرائب دون بقائه في عهدة العائلة المالكة. وهذا، على ما يُظن، سيكون أمراً غير شعبي في اسكوتلندا.

وهناك، ثالثا، الدخل الشخصي للملكة الذي لا يُعرف مقداره ولا يخضع للضريبة. وقد ذُهل أهل قصر باكنغهام عندما ادَّعت مجلة "هاربرز أند كوين" في مارس (آذار) ١٩٩١ أن ثروة الملكة تبلغ ٦،٦ مليارات جنيه استرليني (نحو ١٢،٥ مليار دولار) بفائدة يومية مقدارها ١،٨ مليون جنيه (نحو ٣،٥ ملايين دولار). وسرعان ما انبرى اللورد ويات للدفاع عن صاحبة الجلالة مستشهداً بتصريح الحاكم السابق لـ"بنك اوف انغلاند" اللورد كوبولد الذي أعلن أمام إحدى لجان مجلس العموم بصفته كبير

الامناء: "إن صاحبة الجلالة قلقة للارقام الخيالية المتداولة... وتودني أن أؤكد للجنة أن هذه الايحاءات مضخمة جداً."

ويرجِّح ويات أن الرقم كان في حدود ٢٠ مليون جنيه استرليني (نحو ٣٨ مليون دولار)، ومهما بلغ حسن استثماره فلا يمكن اليوم أن يكون تعدى ١٢٠ مليون جنيه (نحو ٢٢٨ مليون دولار) لا تزيد فائدتها السنوية على ستة ملايين جنيه (نحو ١١،٤ مليون دولار).

وكانت المجلة ذكرت في المقال اياه أن للملكة عقارات في أوروبا وأمريكا الشمالية تقدر قيمتها بثلاثة مليارات جنيه استرليني (نحو ٥،٧ مليارات دولار). إلا أن مسؤولين في القصر يقولون بصراحة مطلقة إن الملكة لا تملك "سنتيمتراً واحداً" خارج بريطانيا.

ومعظم ثروة الملكة، بحسب مصادر القصر، لا يولِّد أي دخل. وباستثناء "غاليري الملكة" الذي تُحوَّل ايرادأته الى الصيانة، ليست ثمة ايرادات من المجوهرات أو اللوحات.

أخيراً، هناك الثروة التي ورثتها الملكة من والدها الملك جورج السادس الذي – حسبما تحتج ذريته – لم يكن ثرياً كما يُفترض، اذ تعين عليه شراء قصري بالمورال وسندرنغهام من أخيه إدوارد الثامن لحاجة هذا الى أموال نقدية تفي بمتطلبات منفاه المريح جداً بعد تنازله عن العرش. وقد صُرفت ثروة جورج السادس لاعالة أرملته الملكة الام وابنته الصغرى الاميرة مارغريت.

وتتعامل الملكة مصرفياً مع مؤسسة "كوتس." ويقال إنها لا تحمل مالا ابداً، مع أنها بدت في الفيلم الملكي الأخير كأنها تتسوَّق بنثرياتها الخاصة. ولكن في الواقع، اذا صادف ان احتاجت الملكة الى مال، فتتولى وصيفتها الدفع عادة.

وإن يكن ثمة مرتابون في أن الثروة الملكية أضخم مما يلزم، فعليهم أن يأخذوا في الاعتبار كيف تخفض الملكة من نفقات جياد السباق لديها. ففي أوائل ١٩٩١ كان لدى الملكة ٣٥ جواد سباق في التدريب. ومن المحتمل أن ينخفض هذا الرقم الى ٢٥ بحلول السنة ١٩٩٣. وكانت جياد الملكة ربحت عام ١٩٩٠ جوائز مادية بلغت ٢١٢ ألف جنيه استرليني (نحو ٤٠٠ ألف دولار) كما يفيد مدير سباقاتها إرل كارنرفون.

لكن اللورد ويات، وهو حسن الاطلاع بصفته رئيس هيئة رهانات سباق الخيل منذ العام ١٩٧٦، يقول: "مع اعتذاري الى الملكة، يخامرني شعور بأنها تتلقى خسائر جسيمة في السباق."

مع ذلك، من الممكن أن تدفع الملكة ضرائب على دخلها الشخصي. إلا أن ذلك قد يثير مشاكل متنوعة، لانه يعني اخضاع سندات الاستثمار الملكية لتدقيق قاس من

شأنه، اذا كشف مثلا أن للملكة أسهما في شركة أسلحة أو تبغ، أن يمنح مناوئيها نصراً مشهوداً.

وفي حين أن الملكة ليست عرضة للمحاسبة مثل أتباعها، يصر الملكيون على أن جوهر المؤسسة يكمن في الحفاظ على عنصر من الغموض فيها. فلئن بوشر التجريح في ذياك الغموض، فقد يعرِّض الملكية لأضرار لا تُجْبَر.

في البدء

عندما اعتلت إليزابث العرش في فبراير (شباط) ١٩٥٢، كان السفر جواً الى سيدني (أوستراليا) يستغرق ثلاثة أيام ونصف يوم. وكان ثمن سيارة "أوستن A 40 سومرست" ٤٦٧ جنيها استرلينياً اضافة الى ٢٦٠ جنيها ضريبة شراء. وكان "كوفاديس" الفيلم الجديد الرائج آنذاك. وكانت ثمة أعمال شغب مناهضة للانكليز في مصر، وببغاء اسمها "أولد بيل" احتُفل بالذكرى المئوية لميلادها في حديقة الحيوان بلندن، وممثل هزلي اسمه جيمي ادواردز انتُخب رئيساً لجامعة أبردين.

في عالم الامس شبه المنسي هذا، طارت الاميرة الشابة اليزابث يرافقها دوق ادنبره من مطار لندن في ٣١ يناير (كانون الثاني) للقيام بجولة في كينيا وسيلان (سري لانكا حاليا) و"الدومنيون الاوسترالي الكبير." وفي الصور الوداعية التي أُخذت في المطار بدا الملك جورج السادس ناحلا سقيما. وكان، هو المدخن المفرط، خضع لجراحة في شهر سبتمبر (أيلول) العام السابق استؤصلت فيها احدى رئتيه لاصابته بالسرطان. إلا أن مايك باركر، الشاب الاوسترالي الذي كان وصيفاً لاصحاب السمو، يقول إن الملك بدا للحاضرين مرحاً معافى "وإلا لما سافرنا."

وبعد أسبوع توفي الملك. ومضى بعض الوقت قبل التمكن من الاتصال بمقر "ساغانا لودج" النائي في كينيا حيث كانت الملكة الجديدة وزوجها نائمين بعدما أمضيا هزيعاً من الليل في مراقبة الحيوانات البرية من فندق "تريتوبس" القريب. وحين أُبلغ باركر رسميا نبأ وفاة الملك، أيقظ الدوق ناقلا اليه الخبر، وترك له أمر إخبار زوجته. ويذكر باركر أن فيليب أصيب بصدمة بدا معها كأنما العالم هوى على كتفيه.

وبعد انقضاء بضع ساعات من يوم ٦ فبراير (شباط) المصيري ذاك، وبعد لغط حول تدبُّر طائرات مناسبة وسوى ذلك من الامور الطارئة، عادت الجماعة الملكية ميممة شطر لندن. وكانت الملكة شاحبة وهي تهبط سلم الطائرة حزينة العينين لتلاقي رئيس وزرائها ونستون تشرشل وزعيم المعارضة كليمنت آتلي اللذين اعتمرا قبعتين سوداوين عاليتين كما يقتضي العرف.

مات الملك! عاشت الملكة!

في اليوم التالي تلا المنادون في قصر سانت جايمس وفي وايتهول وفي تمبل بار وفي رويال إكستشينج البلاغ الجليل عن اعتلاء الاميرة العرش. وبذلك بدأ العهد الاليزابثي الثاني.

ومرت بضع سنوات كانت بمثابة شهر عسل مع الشعب. وأثارت حفلة التتويج في يونيو (حزيران) ١٩٥٣ مشاعر شعبية قوية. إلا أن السنوات الاولى لم تكن سهلة على الدوام.

فالزوجان الملكيان كانا يافعين وعديمي الخبرة، وهما يقرّان بذلك اليوم. وكانا أمضيا بعض الوقت في مالطا كزوجين شبه عاديين في البحرية الملكية حيث كان الامير فيليب قائداً للفرقاطة "ماغباي" التابعة للاسطول البريطاني في البحر الابيض المتوسط. ولو قيض للملك أن يعيش لكان فيليب، وهو الضابط البارع، استمر في عمله ولوصل الى القمة، كما يقول معاصره أميرال الاسطول اللورد ليوين. وتلك واحدة من الحسرات القليلة التي يعترف بها الامير فيليب اليوم.

ولم تكن الملكة آنذاك تعدت منتصف العشرينات من عمرها. وهي، حتى زواجها عام ١٩٤٧، أمضت كل حياتها مع عائلتها. الا أن المظاهر خدّاعة، اذ إن اليزابث "كانت على الدوام أكبر من عمرها وناضجة جداً وقوية،" كما يقول اللورد تشارتريس أمين سرها الخاص من ١٩٥٠ الى ١٩٧٧.

كما لم يبدُ عليها يوماً أنها ضاعت أو ضعفت أمام الدور الذي ورثته. فهي، كما يقول معجب غيور من رجال الحاشية السابقين، "كانت في البدء فتاة خجولة. إلا أنها سرعان ما نجحت في استخدام فتنتها، وأكاد أجرؤ على القول، جاذبيتها الانثوية، للفوز بقلوب أبغض الناس."

ولا شك في أنها استمدت قوة من والدتها "التي لا تقهر" ومن زوجها الذي يتمتع بشخصية قيادية جذابة وبتصميم ماض.

كان عمر ابنها تشارلز آنذاك ثلاث سنواتٍ ونصف سنة وعمر ابنتها آن ١٨ شهراً. وكانت إليزابث في تلك الآونة جهزت أول بيت حقيقي لها في قصر كليرانس هاوس الذي تشغله الملكة الام اليوم. فتلقت ضربة قاسية لاضطرارها الى ترك ذياك المحيط المريح المؤثث حديثاً والانتقال الى مجمّع المكاتب الكئيب هو قصر باكنغهام.

وبلغ الامر بدوق ادنبره حد تقديم اقتراح الى تشرشل بالبقاء في كليرانس هاوس واستخدام قصر باكنغهام مقراً للعمل، باعتبار أن المسافة الفاصلة بين المبنيين لا تتعدى بضع مئات من الامتار. إلا أن تشرشل رفض البحث في الموضوع.

ويتّفق الباقون من تلك الحقبة على أن تشرشل كان معجباً بالملكة الشابة، إلا أنه كان أقل ثقة بزوجها التقدمي الذي كان مصمماً، كما قال حرفياً، على "التكيف

والمواقف المتغيرة،" اذ كان يتعين على الملكية أن "تتحسس طريقها الى الظروف المناسبة." وليس أدل على ذلك من إبطال حفلات البلاط المخصصة لتقديم الناشئات اللواتي يظهرن في المجتمع للمرة الاولى، والتي كانت تعتبر جزءاً حاسماً من "موسم خروجهن."

وبدلا من ذلك، حولت الملكة وزوجها حفلات حديقة القصر بحيث أصبحت تقام في ثلاث مناسبات سنوية يضيفان فيها نحو ثمانية آلاف شخص يلتقون في المرجات الخلفية لقصر باكنغهام فيتناولون الشاي والقهوة والشطائر ويحظون بفرصة للقاء أحد أفراد العائلة المالكة أو مشاهدته على الاقل. إلا أن امتيازاً واحداً بقي من حفلات التقديم القديمة وهو السماح للمدعويين باصطحاب بناتهن غير المتزوجات اللواتي تجاوزن السن الثامنة عشرة.

ومن الصعب تحديد ما اذا كان تحديث الملكية هو نتيجة مبادرة مستقلة أم استجابة لضغوط خارجية. ففي العام ١٩٥٧، بعد وقت قصير من إبطال حفلات التقديم، توقف "شهر العسل" القائم بين التاج والشعب فجأة بعدما نشرت صحيفة واسعة الانتشار مقالا كتبه النبيل الايتوني اللورد ألترنشام مهاجماً عدة نواح من حياة العائلة المالكة.

وذكر ألترنشام الذي تخلى عن لقبه عام ١٩٦٣ ليصبح مواطناً عاديا اسمه جون غريغ، أن حفلة التتويج أثارت جواً نفسيا سطحيا وموقتاً. ووصف الاحتفال لاحقاً بأنه "كان فصلا آخر من التصنُّع المهيب وطقوس التكلُّف والايهام تحالفت فيه وسائل الاعلام والقوى المحافظة العمياء في مجتمعنا."

أما ما أثار معظم الضجة وحجب نقاطاً أكثر خطورة فكان انتقاده خطب الملكة. وقد شرح ألترنشام لاحقاً أنه حين وصف أسلوب الملكة في الخطابة بأنه "مثير للازعاج" عنى أن عليها أن تجهد لتحقيق درجة أكبر من العفوية. وأضاف أن اشاراته الى "فتاة المدرسة المتزمتة" و"كابتن فريق الهوكي" وغير ذلك لم تعنِ أن جلالتها كانت أيا من تلك الصفات، بل هي بدت هكذا فحسب، لأن "شخصيتها الحقيقية كانت مخبأة وراء قناع من الملكية المصطنعة والابهة الكهنوتية."

وقد نال ألترنشام تقريعاً عنيفاً على أثر تلك التصريحات. وتلقى خلال الاسبوع التالي أكثر من ٢٠٠٠ رسالة احتجاج، كما صفعه أحد أعضاء "رابطة الموالين للامبراطورية" وتحداه أحد الملكيين الايطاليين للمبارزة.

ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى اتضح أن الغضبة لم تكن شاملة، اذ أفادت صحيفة "ديلي ميرور" أنّ بريدها حوى رسائل مؤيدة لانتقادات ألترنشام القاسية بنسبة أربع الى واحدة مناهضة. كما نشرت صحيفة "ديلي ميل" نتائج استطلاع وطني للرأي أظهرت أن ٣٥ في المئة من المستجوَبين كانوا مؤيدين لموقف ألترنشام فيما بلغت

نسبة المعارضين ٥٢ في المئة. ولوحظ أن هذه الارقام جاءت معكوسة في فئة معاصري الملكة والامير فيليب ممن راوحت أعمارهم بين ١٦ و٣٤ عاما، اذ بلغت نسبة المؤيدين لموقف ألترنشام ٤٧ في المئة فيما لم تتعدَّ نسبة معارضيه ٣٩ في المئة. واليوم يرى بعض المقربين من العائلة المالكة أن ألترنشام أدى، في الواقع، خدمة للملكية.

وكان شهر العسل الملكي انصرم على صعيد آخر أيضاً بعدما نُشرت عام ١٩٤٨ مقالة صحافية عن دوق ادنبره والممثلة بات كيركوود، صديقة الفنان بارون مصور المجتمع الراقي في تلك الآونة، على أثر مشاهدتهما معاً في أحد أندية لندن في ساعة متقدمة من الليل. وكان بارون حاضراً في تلك السهرة، كذلك ضابط بحري سويّ هو الكابتن "باشر" واتكن. ولم يحصل أي أمر غير لائق آنئذ، الا أن الرواية أطلقت عنان الألسن اللاذعة.

وفي العام ١٩٥٦ أبحر الدوق على متن اليخت الملكي في جولة مطولة حول العالم حمل خلالها العلم البريطاني الى أبعد أصقاع الكومنولث. وكان ذلك عملاً لائقا جداً، إلا أنه عنى أن الدوق كان بعيداً إبان الافتتاح الرسمي لدورة جلسات البرلمان، وان الزوجين الملكيين أمضيا الميلاد منفصلين. وبذلك تناقلت الصحافة الشعبية همسات عن "الصدع الملكي."

وفي فبراير (شباط) ١٩٥٧ اجتمع شمل الزوجين في لشبونة ضمن زيارة رسمية للبرتغال. وكان الدوق خلال جولته البحرية أرخى لحية بنية كانت محط اهتمام المصورين. وعندما دخل الطائرة التي أقلت زوجته الى لشبونة، فوجيء بجميع ركابها، من الملكة الى أصغر أفراد البيت، وقد ثبتوا على ذقونهم لحى زائفة. هذا الحس الفكاهي لدى الملكة، الذي شحذته سنوات من "التمثيليات" العائلية بعد العشاء، أبرز الزوجين جبهة متراصّة وضاحكة عندما خرجا لمواجهة المصورين، الامر الذي سدد طعنة نجلاء الى الاشاعات السارية آنذاك.

في تلك الآونة كانت "مؤسسة العائلة"، كما درج الملك جورج السادس على تسميتها، وحدة صغيرة جداً. فخلال السنوات الخمس عشرة الأولى من تاريخ العهد، كان الراشدون الوحيدون القادرون على تولي الواجبات الملكية هم الملكة والامير فيليب والملكة الأم والاميرة مارغريت والاميرة ماري ودوقة كنت الاميرة مارينا ودوق غلوستر ودوقة غلوستر. وكان لب العائلة المالكة ما سماه مايكل مان، عميد وندسور سابقاً، "الدائرة الداخلية" المكونة من الملكة الام وبناتها وكلهن قويات الارادة. وكما يقول مراقبو العائلة المالكة: "اذا التقى المرء احداهن فكأنه التقاهن جميعاً."

وهنَّ كنَّ، وما زلن، وثيقات الصلة بعضهن ببعض. وكما يقول أحد معارفهن: "إن

أكثر ما يثير المشاعر هو حرص الملكة الام على العناية بابنتها الملكة وايلائها رعايتها الكاملة حتى في أدق التفاصيل."

إلا أن حال العائلة المالكة تبدلت في أواخر الستينات عندما تفتحت في الملكة براعم أمومة متأخرة بولادة الامير أندرو عام ١٩٦٠ بعد عقد من ولادة أخته آن، والامير ادوارد عام ١٩٦٤. وعلى الطرف الابعد، كان دوق كنت والاميرة الكسندرا كبرا وباتا قادرين على تخفيف بعض الضغط عن كاهل كبارهما.

وأهم من ذلك كله كان بلوغ الامير تشارلز سن الرشد وتنصيبه في قلعة كايرنرفورن في مهرجان ملكي كان الاكثر أبهة وفخامة منذ احتفال التتويج.

ولم يكفِ بحر الصحافيين ووسائل الاعلام لتغطية مهرجان التنصيب، بل صوِّر شريط تلفزيوني خاص للمرة الاولى خلف أسوار قصري باكنغهام وبالمورال لاظهار أفراد العائلة المالكة أناسا عاديين يتمتعون معا بوجبة شواء (يتفاخر الامير فيليب بمهارته في إشعال الفحم) والتسوق في بالاتر ومكافأة الجياد باطعامها السكر والجزر.

كان مجرد التفكير في مثل هذه الايحاءات غير وارد قبل خمس سنوات. وقد رأى جون غريغ، الناقد العنيد والبنّاء في آن، أن تأثير الشريط كان قويا في الملكة نفسها. وهو كتب عام ١٩٧٠: "لا بد أن التقدير العالمي الذي حظيت به شخصية الملكة الطبيعية، كما انقشعت أخيراً، برهن لها أن السحر في منصبها لا يعتمد على الإلغاز والتعمية، بل يبلغ أقصى فاعليته عندما يتضافر مع العفوية والحقيقة. وهناك اليوم دلائل على أنها باتت أكثر ثقة بالنفس... وأكثر قابلية للخروج من اطار أدوارها المنصوصة. فهي بدت في أوستراليا هذا العام (١٩٧٠) مرتاحة وسط الجماهير على نحو لا سابق له، وللمرة الاولى مشت بعفوية بين الناس." ومنذ ذلك الحين بات المشي الملكي وسط الحشود أمراً مألوفاً.

ويعود معظم الفضل في مبادرة اقتراح الفيلم الى السكرتير الصحافي الجديد آنذاك بيل هيزلتاين الاوسترالي المرح وأحد أكثر رجال البلاط نفوذاً. وينسب جون غريغ نجاحه الى أنه كان مختلفاً جداً عن المسؤولين التقليديين في القصر. "ولكن،" يضيف غريغ، "على المرء اعتباره استثنائيا لسوء الحظ، لأن هيئة العاملين في القصر لم تتطوَّر الى حد تمثيل الكومنولث ككل. وتحديداً، ليست هناك الى الآن وجوه سمر أو سود أو صفر بينهم، وهذا بالتأكيد خطأ فادح."

وراء القناع

يقول جايمس أور أمين السر الخاص السابق للامير فيليب: "إن سُئلت عن رأيي في الملكة، فسيكون ردي الفوري إنها امرأة انسانية طبيعية بكل ما في هذه العبارة من

معنى، تضع بلادها وعائلتها والعاملين معها قبل نفسها." ويشهد بيل هيزلتاين الذي تقاعد عام ١٩٩٠ ويعيش اليوم في أوستراليا: "ان رئيستي السابقة هي الشخص الاكثر استقامة بين الناس."

وخلف صورتها الشعبية القاسية وغير الباسمة غالباً، تكمن صورة خاصة مسلية ومرحة وعفوية. وقد أخبرني أحد المقربين من الدائرة الملكية كيف دخل أحد الحجّاب يوماً غرفة الجلوس في قصر وندسور ليقول إن هناك مكالمة هاتفية للملكة. فاستأذنت جلالتها وخرجت من الغرفة لتعود بعد لحظات وتقول مبتسمة: "آسفة، يطلبون ملكة أخرى!"

وهي، الى ذلك، تضحك من نفسها أحياناً، مع أنها لا تعتقد أن ذاك أمر لائق على الدوام بالنسبة الى ملكة. فخلال حفلة غداء أقيمت عام ١٩٧٢ في لندن غيلدهول لمناسبة اليوبيل الفضي لزواجها أضحكت الامة عندما بدأت خطابها بالقول: "أعتقد أن لا أحد سيجد ضيراً اليوم في أن أبدأ خطابي هذا، استثناءً، بعبارة: زوجي وأنا."

ويذكر روبن وودز كيف بدأ الجليد يذوب تدريجا بعد انتقاله عام ١٩٦٢ لتسلم منصب عميد وندسور. وكان لأفراد عائلته الذين قاربوا أولاد الملكة عمراً، الفضل في تحطيم العوائق. لكنه، مع ذلك، بقي طوال ثلاث سنوات يراعي ارتداء زي العميد كلما أذنت الملكة باستقباله. وفيما كان ذات يوم عطلة منهمكا في العناية بحديقته، اتصل به حاجب الملكة ليخبره أن جلالتها تطلب مقابلته في أسرع فرصة ممكنة. فرد العميد أن عليه تبديل ملابسه أولا. فكرر الحاجب الرسالة، لكن العميد أصر على موقفه. وأخيراً، ذهب الحاجب ليستشير سيدته، ثم عاد حاملا أمراً يقضي بحضور العميد من فوره وبأن لا أهمية لما يلبس من ثياب.

ولدى وصول العميد وجد أن الملكة ما زالت مرتدية سروال ركوب الخيل. ومنذ ذاك الحين صرف النظر نهائياً عن ارتداء اللباس الرسمي في مثل هذه اللقاءات. ومع أنهما لم يتداولا هذا الموضوع أبداً، فقد شعر العميد بأن الأمر شكل تحرراً من التحفظ القائم في العلاقة بينهما.

وفي وسع الملكة أن تكون متساهلة جداً في شأن ما ترتديه في مناسبات خاصة أو شبه خاصة. ففي احدى المناسبات، حين كانت تعرض الاسطول البريطاني من على متن اليخت "بريطانيا"، كانت ترتدي سترة احتفالية، الا أنها بقيت، على نحو غير مرئي الا لحاشيتها المباشرة، مرتدية سروالا دافئاً لاتقاء نسمات القناة الانكليزية الباردة.

ولكن نادراً ما يلمح الشعب مليكته عفوية هكذا. وقد عبر أحد خدامها السابقين المخلصين عن هذا الواقع متحسراً: "لقد أمضيت كثيراً من وقتي محاولا أن أدع

الشعب يرى الملكة التي أعرف وأحب. ولا أظنني نجحت في ذلك. إنها في الواقع أكثر طيبة ومرحا مما يُظن غالبا. كما أنها تتصف بنزاهة قل نظيرها."

* ذات يوم كانت الملكة مع شلة من الاصدقاء يتناولون طعام الغداء في الهواء الطلق في بقعة منعزلة من عزبة بالمورال حيث لا اعتبار للملكية الخاصة في العرف الاسكوتلندي. وفيما قبعت الجماعة متخمة متكاسلة بعد وجبة دسمة، مرت بها مجموعة من المتنزهين.

فجأة استدار أشجعهم وبادر جلالتها: "يقولون إنك الملكة."

فأجابت: "نعم، هذا هو الواقع."

فسألها المتنزه: "إذاً، ماذا تفعلين هنا؟"

فأجابت الملكة ببساطة: "اني أسكن هنا."

وفي حين أُخذ صحب الملكة على حين غرة، بقيت هي محافظة على رباطة جأشها. وكان ردها، كما يقول أحد مرافقيها، "مقتضبا لا اصطناع فيه ولا مواربة. وتلك هي إحدى أبرز صفاتها: صدق باهر وتواضع لافت."

وعلى رغم ذلك درج ريتشارد كروسمان، عندما كان رئيسا لمجلس اللوردات، على انتقاد شكليات الحياة الملكية. إلا أنه، ككثيرين غيره، كان متأثرا بالملكة شخصيا. فكتب: "إنها تضحك بملء وجهها، ولا تستطيع تصنُّع ابتسامة لأنها عفوية حقا."

ولسوء الحظ، كما يقول كروسمان، "عندما تستحوذ مشاعر قوية على الملكة فتحاول السيطرة عليها، تبدو مثل سحابة راعدة. لذلك تراها، حين تتأثر بتصفيق الجمهور، عكرة المزاج على نحو مريع."

ويذكر السر ادوارد بريدجز الذي كان سكرتير الخزانة خلال السنوات الاولى من عهد الملكة، ما جرى في أحد اجتماعات مجلس شورى الملكة عندما طغا الارتباك على أربعة من المستشارين فيما كانوا راكعين أمام مليكتهم، فراحوا يعدون على ركبهم هنا وهناك. ثم أوقعوا كتابا عن طاولة، فسارعت الملكة الى التقاطه وقد بدت تتميز غيظا. وبعد الحادث اعتذر السر ادوارد على ما حصل من فوضى. فردت الملكة: "أتعلم؟ كدت أنفجر ضاحكة."

المشكلة هي أن على الملكة أن تكون دائمة الاحتراس للحفاظ على مسافة فاصلة بينها وبين أتباعها مهما تكن علاقتها بهم حميمة. ويذكر هيو كاسون ما حصل في قلعة وندسور عندما استدعي لابداء رأيه في بعض أعمال التجديد. فقد دخلت الملكة مرتدية ثوبا بالغ الاناقة، فسارع هيو الى إطرائها، ثم تقدم منها من غير تفكير وأمسك طرف سترتها متفحصا. وفي اللحظة نفسها أدرك أنه تخطى حدوده. ومع أن الملكة لم تقل شيئا، كما يذكر السر هيو، فقد "شعرتُ برنة صقيع."

فبحسب الاسلوب الانكليزي البحت، لا شكليات تحدد مثل هذه الخطوط الفاصلة. وكما يقول أحد المساعدين القدامى: "لا أحد يخبرك شيئاً،" فعلى المرء أن يستوعب القواعد المتبعة في عملية امتصاص غامضة.

وقد أخبرني ضيف لقصر بالمورال كان هناك أثناء حفلة عائلية صغيرة، عما واجهه لدى فروغ الجمع من تناول الشاي وانتقال الملكة الى طاولة صغيرة للتبصير بالورق (الكوتشينة). فهو حار بين الجلوس بعيداً عنها حيث قد يبدو فاتراً، والجلوس قريبا منها حيث قد يبدو متواقحا.

وبعد لأي، اختار كرسيا بدا له حلا وسَطا. وسرعان ما لاحظ أن الملكة كانت تنظر اليه. ولم تمضِ لحظات حتى دعته الى الاقتراب منها، وراحت تشرح له قواعد اللعبة.

وفي المساء، قبيل العشاء، تحدث أمين السر الخاص الى الضيف قائلا: "ذلك الكرسي الذي جلست فيه بعد الظهر هو كرسي الملكة فيكتوريا الذي لا يجلس فيه أحد سواها."

وأمناء السر الخاصون وغيرهم من الموظفين الملكيين مقربون من الملكة. حتى المربية ماريون كروفورد "كروفي" التي عملت ردحا مع العائلة المالكة وخانت الامانة باعتبارها أول مَنْ درج على نشر القيل والقال، كان لها تأثير في الاميرة الشابة.

وكان ثمة تأثير أعمق عرفت به الممرضة مارغريت "بوبو" ماكدونالد التي التحقت بخدمة العائلة المالكة عندما كانت إليزابث طفلة، ثم أصبحت "مُلبستها"، وما زالت، في سن تقاعدها، تعيش في شقة خاصة داخل قصر باكنغهام. ويدعي دوغلاس كي، أحدث كاتبي سيرة الملكة وأوسعهم اطلاعاً، أن بوبو تتمتع "بصداقة شخصية مع الملكة تعتبر أوثق عرى من سواها. ويتهيبها حتى أرفع الموظفين مقاما في القصر."

واللورد كارنرفون هو أيضا صديق قديم وموضع تقدير. كذلك الليدي سوزان هوسي، زوجة المرمدوق هوسي رئيس حاكمي هيئة الاذاعة البريطانية (BBO) ، التي عملت في القصر منذ ١٩٦٠ بصفة "سيدة غرفة النوم" أي وصيفة للملكة عالية المقام. ولدى ولادة وليم أمير ويلز عام ١٩٨٢ طلب منها أن تكون عرابته، وهذا شرف كبير لوصيفة ملكة.

وكان امين سر دوق ادنبره اللورد روبرت نيفيل، الذي توفي عام ١٩٨٢ وهو في منصبه، صديقاً مقربا من الملكة والدوق معا، وما زالت أرملته صديقة حميمة لهما. وهناك أيضاً شخصيات غامضة لا يعرفها حتى أوثق المراقبين الذين لجأوا في التحدث عنها الى عبارات مثل: "... وكان هناك ذلك الرجل الذي يأتي دائماً الى وندسور في الميلاد."

ويحضر تلك اللقاءات العائلية أحفاد الملكة الستة الذين يراوحون عمراً بين بيتر

فيليبس نجل الاميرة الملكية (١٤ عاما) ويوجيني أميرة يورك (عامين). وتبدو الملكة مولعة بهم جميعاً، إلا أنها لم تُشاهد يوماً وهي تضمهم أو تحتضنهم.

وتحب الملكة الحيوانات، خصوصا الكلاب والجياد. وذات يوم، خلال رحلة جوية عبر الاطلسي، دخل الدوق قمرة القيادة لمشاهدة لوحة المفاتيح. وبعد حين، سأله ربان الطائرة عما اذا كانت جلالتها تود مشاهدة اللوحة، فأجاب الدوق: "لا، أبداً. فاذا كانت لا تسير على أربع قوائم، ولا تأكل العشب، فلن ترغب الملكة في مشاهدتها."

وكانت الملكة طوال عهدها قانية متحمسة لجياد السباق، يثيرها أن تربح الـ"دربي"، الوحيد بين السباقات الانكليزية التقليدية الخمسة الذي ما زال يراوغها. وهي تحب ركوب الخيل – من دون خوذة واقية – الامر الذي يتيح لها أيضا الحفاظ على لياقتها البدنية. كما تعرف سلالات الخيل جيداً. ويقول اللورد كارنرفون: "إنها مطلعة تماماً على ما تنتجه شركة "بدغري بتفودز" من أطعمة للحيوانات، كما أنها صائبة في الحكم على الحيوان. واستطيع القول إن اهتمامها بتربية الجياد يفوق اهتمامها بالسباق. فتلك، بالنسبة اليها، وسيلة رائعة للراحة من الواجبات الرسمية."

وتخص الملكة كلابها، من أنواع الكورجي والدورجي واللابرادور، باهتمام يفوق

اهتمامها بالخيل. وفي مناسبات غير رسمية تتنزه برفقة كلابها الكورجي السبعة: فينيكس وفاروز وفيبل وميث وسبارك ودياموند وكلبي. وهي لا تحبها لولائها المطلق فحسب، بل لأنها وسيلة لكسر جليد التحفظ في بعض المناسبات الاجتماعية، يُلجأ اليها كموضوع للحديث في اللحظات الحرجة.

وفي مناسبة راج الحديث عنها كثيراً، تعرضت الملكة لعضة وهي تحاول تفريق مجموعة متناحرة من كلابها. كما ظهرت في بعض المناسبات ملطخة بالوحل بعد محاولتها تملق كلابها لكي لا تلعب بالتراب في الحدائق. واذا ما غاط كلب على سجادة، فتتولى الملكة تنظيفها بنفسها. فهناك أمور لا يمكن أن يطلبها المرء من الخدم.

نحو المستقبل

السؤال هو: هل الملكية في بريطانيا قادرة على البقاء؟

نورمان ستون، أستاذ التاريخ الحديث في جامعة أوكسفورد، ينحو الى اعتبار الملكية رمزاً للخلل في بريطانيا.

ولكن عندما يُطرح السؤال: ماذا بعد الملكية؟ نجد حتى الاستاذ نورمان ستون مضطراً الى تقطيب جبينه حيرة. فالرئيس المفترض سيكون حتماً شخصية أقل لمعاناً من ملك. كما أن ليس في الرئاسات الاجنبية، في الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا مثلاً، ما يوحي أن الرئيس سيكون أقل كلفة أو سيرئس بلداً أكثر ديموقراطية.

وفي استطلاع للرأي أجرته مؤسسة "غالوب" ونشرته صحيفة "ديلي تلغراف" في يوليو (تموز) ١٩٩١، تبين أن ٧٥ في المئة من جميع المستجوبين و٦٠ في المئة ممن لم يتجاوزوا الخامسة والعشرين من عمرهم يعتقدون أن البلد يحتاج الى عائلة مالكة. ١٢ في المئة فقط أرادوا إلغاء الملكية مع نهاية القرن العشرين.

ليست هذه الارقام مثيرة في تاريخ بريطانيا. وكما ذكر الكاتب والمؤرخ فيليب زيغلر، شهدت السنوات الخمسون الماضية، منذ بدء استطلاعات الرأي حول الملكية، نسبة ثابتة من المعبرين عن اتجاهات جمهورية بلغت نحو ١٠ في المئة. وفي العام ١٩٧١ الذي شهد فورة غضب على الموازنة الملكية، قفز هذا الرقم الى ١٩ في المئة. ومع ذلك، يقول زيغلر، "تلتمع أضواء الخطر."

واذا أخذنا في الاعتبار مزاج الملكة المحافظ، لوجدنا من غير المحتمل أن تتغير المؤسسة كثيراً ما دامت هي على رأس السلطة. فهي لم تكن يوماً عرضة للذعر، كما لم تنفك يوماً عن الأخذ بالمشورة الصالحة.

والملكة، بتعبير صديق قديم لها، "آمنة في حكمها ومنصبها الى حد أنها لا تربأ بالحملات السخيفة التي تشنها وسائل الاعلام."

ومع مرور السنين، وتحول أمير ويلز الى منتصف عمر قلق وغير مشبَع كما يبدو، تتضافر أصوات النقاد الاعلاميين مطالبة الملكة بالتنحي له، تماماً كما تنحت ملكة هولندا جوليانا لابنتها بياتريكس. ولكن، كما يقول اللورد تشارتريس، "التنحي كلمة بذيئة."

فالملكة الام لم تغفر أبداً لشقيق زوجها ادوارد الثامن تخليه عن العرش. وتعتبر الملكة أن تكريسها هو التزام واجب يقضي بعدم التخلي عن لقبها أو دورها أبداً. والتنحي موضوع بحثت فيه الملكة مع مستشاريها على نحو غير رسمي، لكن أي ذكر رسمي للموضوع في القصر يُرد عليه نفياً رسميا مفاده أن الملكة لا تفكر في التنحي.

لقد عاشت الملكة والملكية ٤٠ عاماً من المتغيرات الدائمة في جميع المجالات، واستطاعتا التكيف والبقاء منارتي ثبات في عالم غير ثابت. ويقول اللورد تشارتريس: "لا أدعي أن الملكية حالت دون حدوث ثورة حمراء، لكنها ما انفكت تشكل تأثيراً مهدئاً في الامة. وهي استطاعت، على رغم كل شيء، الحفاظ على مقدار كاف من غموضها وجلالها."

أما العلاقة الخاصة بين الملكة وشعوبها وبقية العالم، فهي بلا ريب غامضة ومتعذرة التفسير جوهريا. لكنها تبقى سليمة على رغم الصعوبات. ولا يمكن إنكار هذه المأثرة.

تيم هيلد ■

ترجمة فريد شديد



الحق على الهاتف

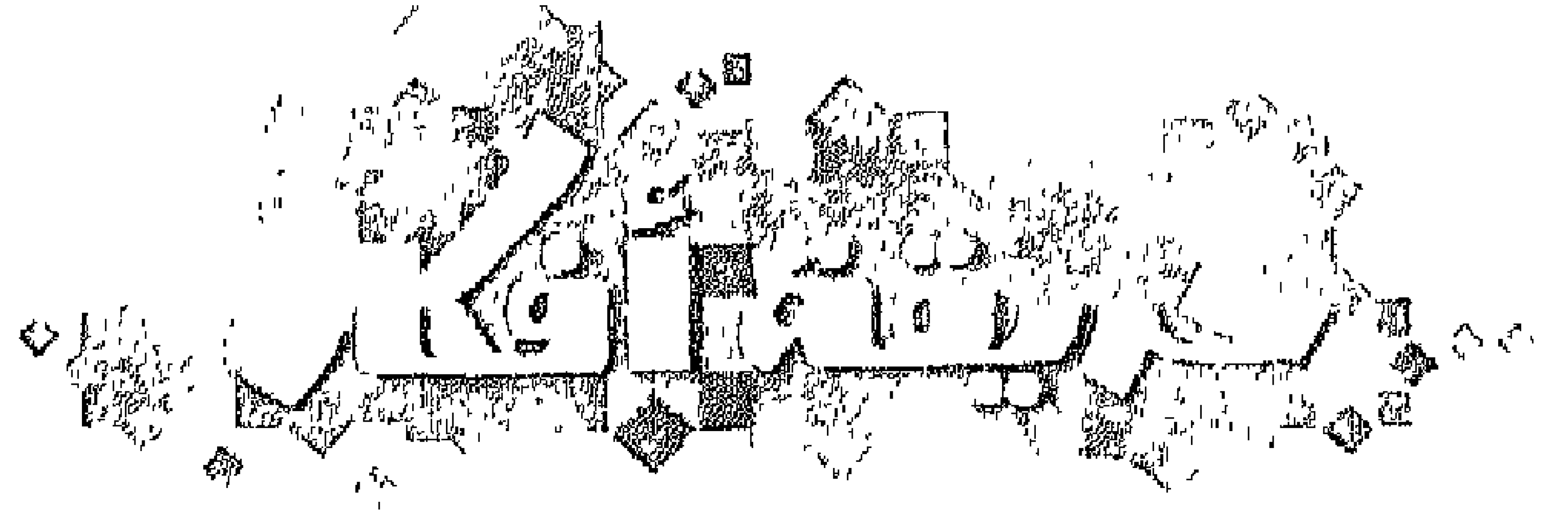
من عادة خالتي الاتصال بنا لتعلمنا بعزمها على زيارتنا، وفوجئنا بها ذات ليلة تصل من دون اتصال. وسرعان ما اكتشفت اننا لم نكن نتوقع زيارتها فسألتنا: "ألم تتلقوا اتصالي، لقد سجلتُ كلمة "سوف آتي الليلة لزيارتكم" على آلة الرد على المخابرات؟" فقالت لها امّي: "لكننا لا نملك آلة لتسجيل المخابرات!"

فاعترى خالتي القلق وقالت: "يا للأسف، كيف الوصول الآن الى من اتصلت به، لا بد انه ينتظرني."

ا.د.

الروح هي مركز الانسان العميق والحميم الذي لا يمكن اختراقه والذي يبقى اي طغيان عاجزاً عن تحطيمه.

جان - بول كوفمان - باريس



- لا وقت مناسبا لثلاثة: الموت والضريبة والولادة.

مارغريت ميتشل، روائية اميركية كاتبة "ذهب مع الريح"

- الآمال الكبيرة مفتاح كل شيء.

س.و.

- الذكرى حلم ياتي امواجا.

هـ.س.

- المدهش في الحمقى الشباب هو ان كثيرين منهم يعيشون ليصبحوا حمقى مسنين.

د.ل.

- اسأل مرتين، فذلك افضل من ان تضيع مرة.

مثل دانمركي

- لم يستاذن احد في سلوك طريق النجاح.

د.د.أ.

- السر العجيب هو اننا كلما تشاركنا ازداد ما لدينا.

ل.ن.

- المال يبدِّل الناس بمقدار ما تتبادله الايدي.

ا.ب.

- افضل تجسيد لفكرة الهدوء قطة جاثمة.

جول رينار، كاتب فرنسي



NANCY HOFFMAN GALLERY, NEW YORK CITY.

"مزهرية الخريف" مائية للامريكي جوزف رافاييل (١٩٩٠)

نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٢ ـ جمادى الاولى ١٤١٣

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest November '92 Nº 168

الحياة بعد نوبة قلبية

(ص ٤٠)

الحوار الزوجي خشبة خلاص!

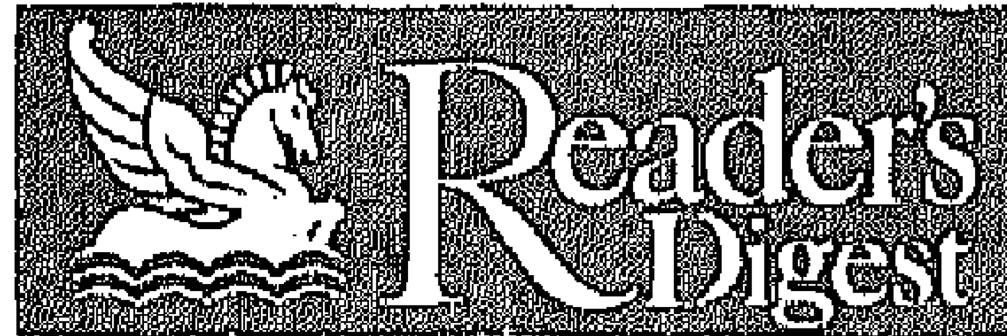
(ص ١١)

ساعدوا أولادكم لينجحوا

(ص ٣٥)

رياضيون أدمنوا وخسروا

(ص ١٥)



المختار
من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد.
امانة التحرير: لورا نفاع، عائدة الموسوي.
الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.
الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
التحرير والادارة: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.
الهاتف: ٣٤١٥٩٧ / ٣٧٠٥٧٥(١).
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ - ٣٢٧٤٨٤(٠١). التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ - ١١ بيروت - لبنان.
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، البوشرية - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.



AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE.
Tel. (1) 341597 / 370575.
Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O. Box 11-688, Beirut, Lebanon. Telex 43283 PRESSE LE.
Fax (1) 864572. Tel. (1) 216058/327484.
Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.



لبنان	٢٥٠٠ ليرة.
سورية	٧٥ ليرة.
الاردن	١ دينار.
الكويت	١ دينار.
الامارات العربية المتحدة	١٠ دراهم.
قطر	١٠ ريالات.
البحرين	١ دينار.
السعودية	١٢ ريالاً.
مصر	٢ جنيه.
السودان	١ جنيه.
ليبيا	٥٠٠ درهم.
الجمهورية اليمنية	٣٠ ريالاً.
مسقط	١ ريال.
قبرص	١،٥ جنيه.
تونس	١ دينار.
المغرب	١٠ دراهم.
الجزائر	٧ دنانير.
انكلترا	١،٥ جنيه.
اليونان	٤٠٠ دراخما.
كندا وامريكا الشمالية	٢،٥ دولار.

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية
رئيس التحرير: كنيث توملنسون.
مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

اعـــلان اسمـــاء الفـــائـزيـــن فـــي مسـابـقـــة

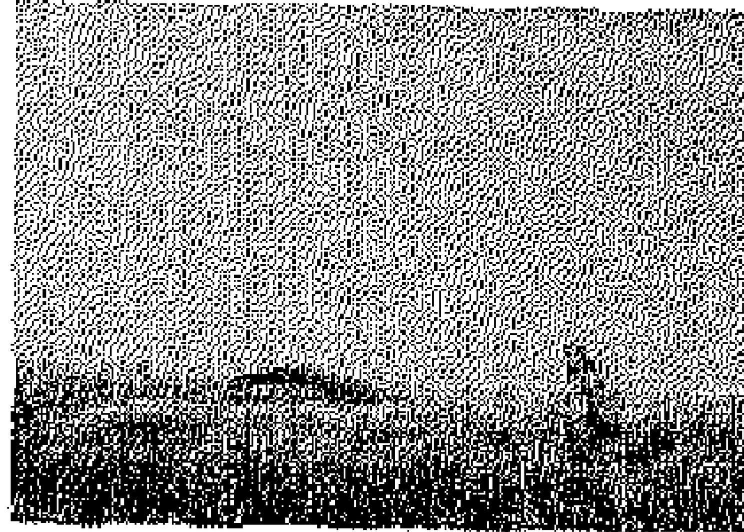


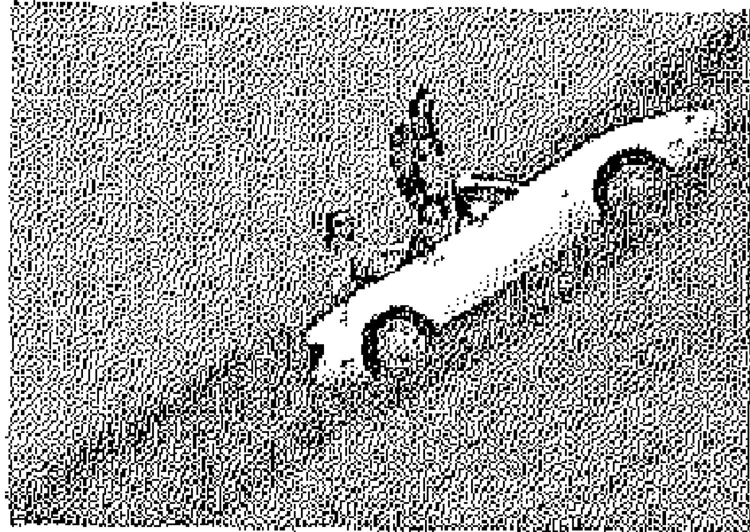
نعــــرض

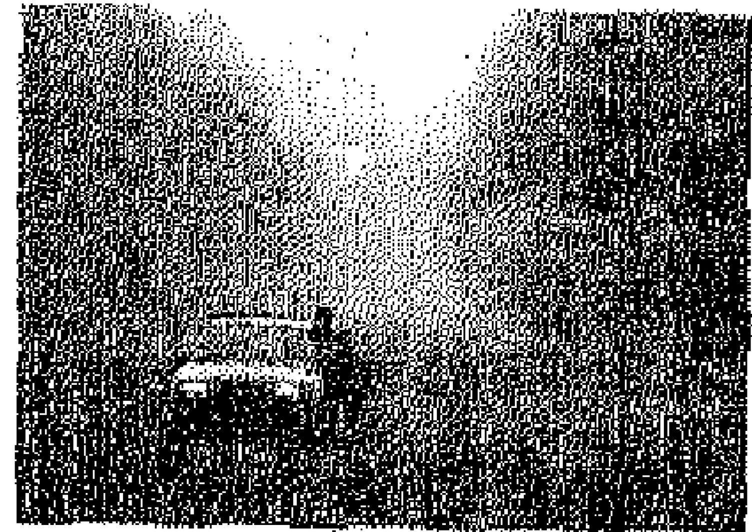
حوار الفوز بين السائقين وأكثر الأشياء حركة
تعابير من "مازدا" التقطها اشخاص يجيدون اكثر

بعد النظر في الصور التي تلقيناها هذه السنة، من الانصاف القول
ان مالكي سيارات "مازدا" يتمتعون ببعض النظرات المميزة.
مانينا للفائزين الخمسة عشر بالجائزة الاولى وللفائزين الخمسة والاربعين بالجائزة الثانية.
وشكراً من القلب للذين شاركونا في صورهم الموحية.

الفائزون بالجائزة الاولى

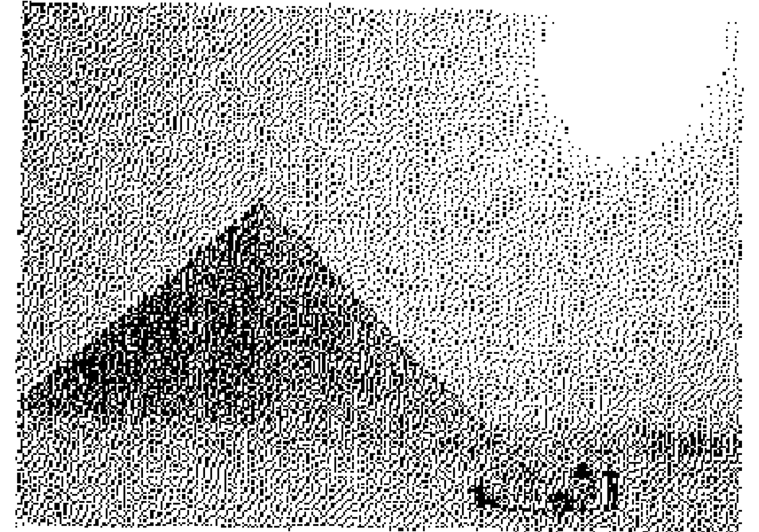

Billaudet Christian *(Austria)*

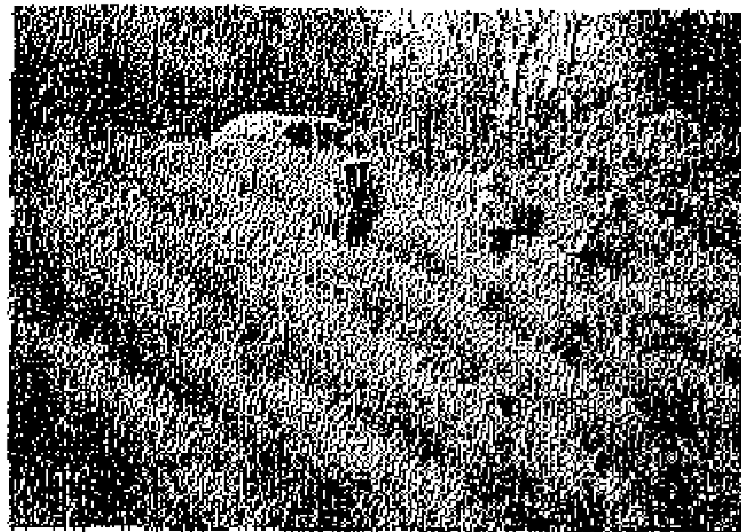

Bolusset *(France)*

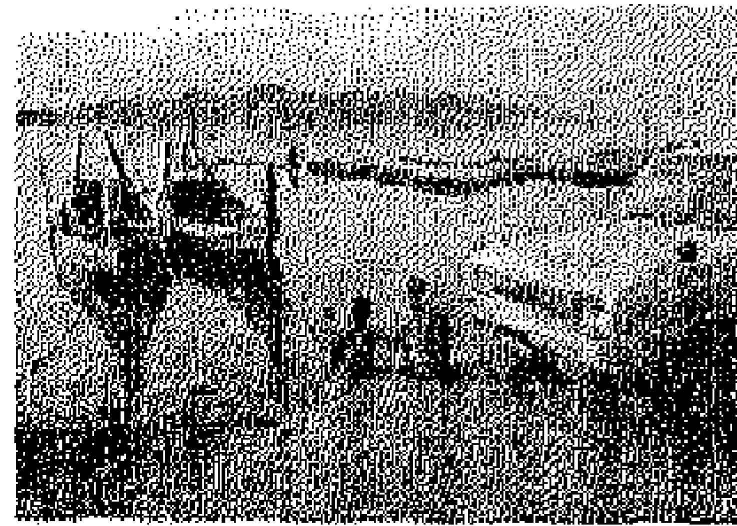

Gertrude Doleschal *(Austria)*


Letang Philippe *(France)*


Akihito Hosoi *(Japan)*


Lai Pui Chun *(Hong Kong)*


Maung Maung Gyi *(Myanmar)*


Frankie Tun Tin *(Myanmar)*

الفائزون بالجائزة الثانية

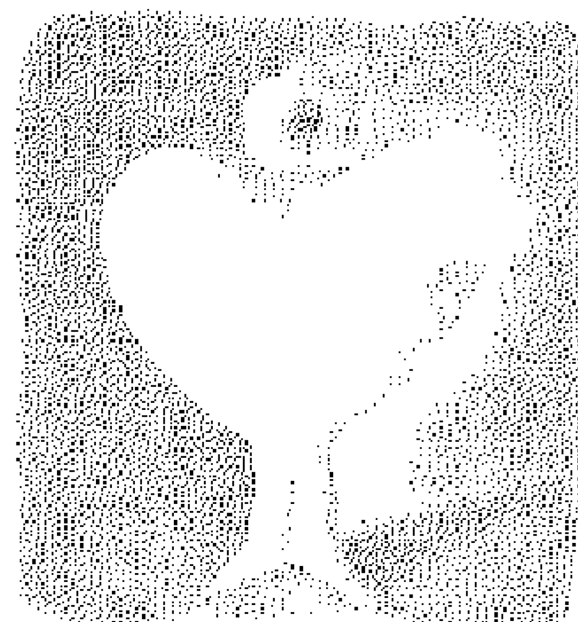
Maxwell Krogh *(Australia)*
Sue Pingel & Pat Belperio *(Australia)*
Defant Hans *(Austria)*
König Jürgen *(Austria)*
Weinert Klaus *(Austria)*
Wolfgang Victor *(Austria)*
Delande Paul *(Belgium)*

Rain Ackerman *(Canada)*
Yip Rafael *(Canada)*
Norberto Pavez J. *(Chile)*
Frankenhauser Walter *(Germany)*
Helmut Behrendt *(Germany)*
Ip Yin Pik *(Hong Kong)*
Kan Keung Pun *(Hong Kong)*

Kitty Yeung *(Hong Kong)*
Mok Chi Keung *(Hong Kong)*
Regis Cheng *(Hong Kong)*
Yogjoy *(India)*
Arie Dinarto *(Indonesia)*
Enda Matthews *(Ireland)*
Toyoji Hori *(Japan)*
Ken Kobayashi *(Japan)*

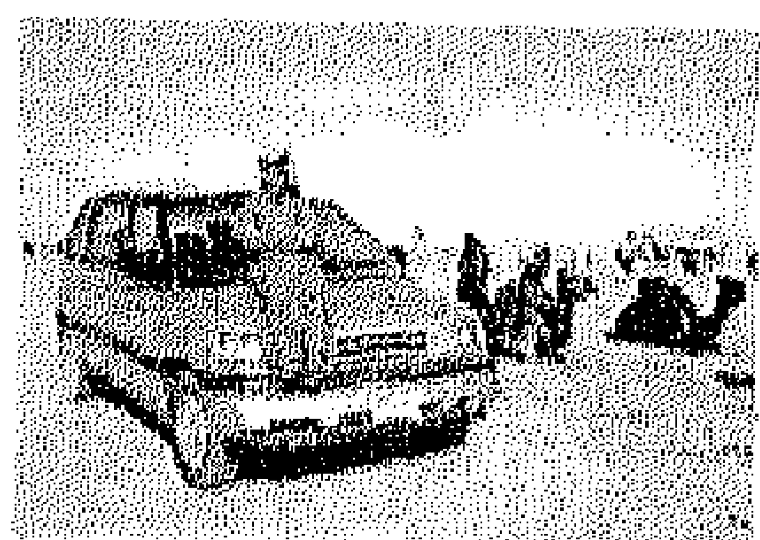
Akira Yasumoto *(Japan)*
Mg Mg Hla Tint *(Myanmar)*
Mg Mg Htay *(Myanmar)*
Moe Zaw Aung *(Myanmar)*
Zaw Win *(Myanmar)*
Grant Sheehan *(New Zealand)*
John King *(New Zealand)*
Rune Olafsen *(Norway)*

مازدا" للتصوير للعام ٩٣

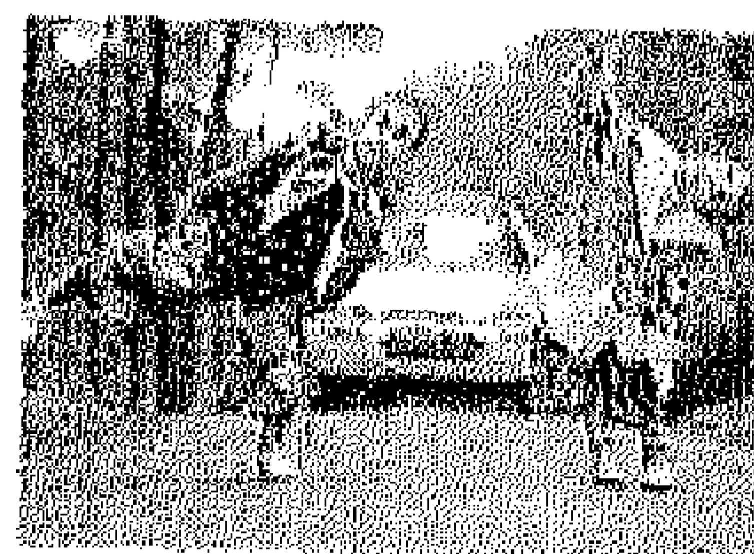




Mg Ba Oo *(Myanmar)*



Glenn G. Peralta *(Philippines)*



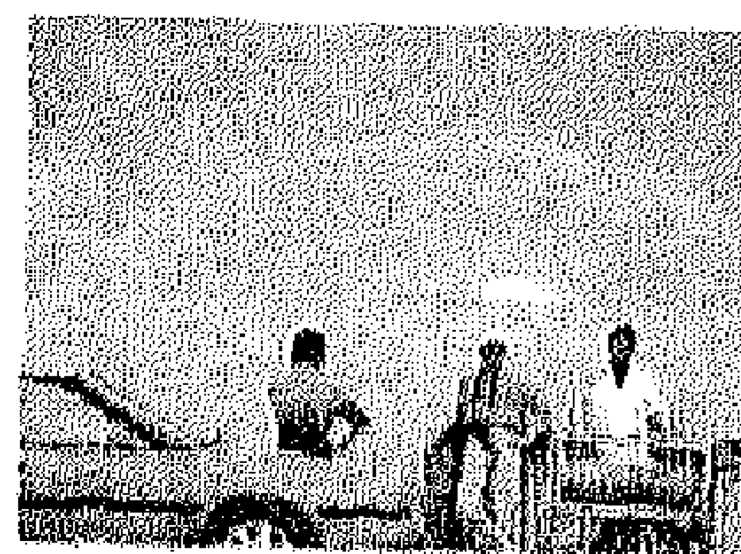
W.F.H. Kooke *(Netherlands)*



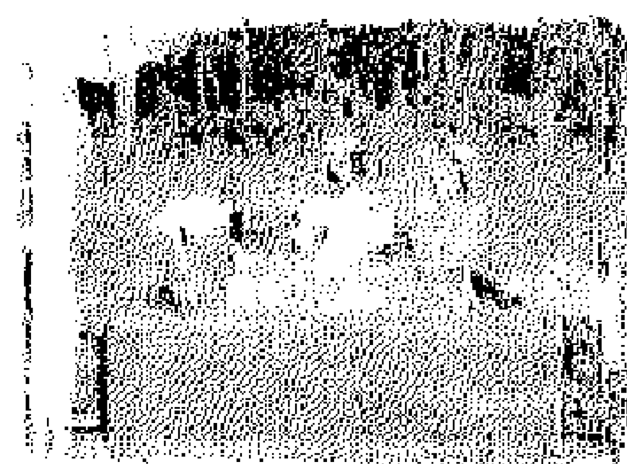
Malee Pitakwon *(Thailand)*



Choompol Khuirukkhit *(Thailand)*



Damrong Juntawonsup *(Thailand)*



Lia Lotz Rothstein *(USA)*

Rungarun Easterbrook *(Thailand)*
Wihan Kwandee *(Thailand)*
Wipaporn Pateetin *(Thailand)*
Andrew Watts *(USA)*
Omar El Dessouky *(USA)*
Sonny Robinson *(USA)*
Nahed Hamdi *(USA/Egypt)*

Jakub Chuta *(Poland)*
Américo Gomes *(Portugal)*
Chebull Clemen *(Slovenia)*
Gilbert M.A. Jenny *(Switzerland)*
Chusak Uthaipanumas *(Thailand)*
Jirawut Preanprem *(Thailand)*
Nipapun Natampai *(Thailand)*
Puangrat Ariyaphan *(Thailand)*

mazda

إربحوا ٧ هدايا قيّمة
من taurus
مسابقة كلمة السر

ف	ا	ل	و	غ	ا	ا	ب	ن	ا	ل	ر	و	م	ي
ا	ي	ن	ا	م	و	ر	ا	غ	ب	ع	ل	ا	م	ة
ت	ل	ك	ن	و	ل	ر	ط	ر	ب	ت	ب	د	و	ب
ن	و	ت	ي	و	ي	ب	ا	ا	ب	ا	ل	ة	س	ر
ح	ل	ي	م	ا	ل	ر	و	م	ي	ك	ا	ي	و	ش
م	ا	ك	س	ي						ر	ن	ن	ع	د
ا	و	ا	ن	ي						ب	ب	و	ة	ي
م	ب	ا	ر	ك						م	ل	ع	ب	ا
ه	ه	م	ا	ل						ح	ج	س	ي	ب
ا	ي	ف	ك	ب						ل	ب	ل	ب	ا
ا	خ	ع	ب	د	ا	ل	ح	ل	ي	م	ح	ا	ف	ظ
ب	ل	ي	غ	ح	م	د	ي	و	ب	ا	ر	ي	س	ة
ر	م	ا	ن	ا	ن	ب	و	ل	د	ن	ي	ا	ض	ن
ا	م	ا	ا	ب	ج	و	ت	ن	ب	ي	ت	م	ر	ي
غ	د	م	ك	ا	ب	و	ل	ي	ن	ا	ر	س	ي	م

فاتن حمامه
عبد الحليم حافظ
رشدي اباظة
ملحم بركات
رومانيا
حليم الرومي
السعودية
ابن الرومي
ابولينارس
بكفيا
زيتون
بيت مري
بليغ حمدي
براغ
راغب علامة
موزاييك
اواني
غرام
مبارك
ملعب
مال
زن
موسوعة

كلمة السر: أمام عينيك

أرسلوا الحل الصحيح الى أي من مراكز البيع التالية:

شركة خريستو وقسطنطين كيومجي	برج حمود	محلات شربل باخوس	جبيل	محلات عمّار إخوان	
شركة فاروج وفارتكس آغا سركيسيان	برج حمود	محلات خليل درويش	البترون	شركة بسام التجارية	
شركة جينارت ش.م.م.	برج حمود	مؤسسة درجاني وعلماوي	زغرتا	محلات جورج الحاج	
محلات بيار نمر خلف	أنطلياس	محلات فوزي المعلوف	كفرحزير	محلات ربيع الدبس	
شركة حكيّم إخوان	الدورة	محلات كابي فريحه	الأشرفية	محلات أنطوان نقولا	عا
شركة عبود التجارية	جونيه	محلات عبد طحان وأولاده	المزرعة	محلات الياس عواد	
محلات نجيب صافي	جونيه	محلات مزهر التجارية	المزرعة	محلات سامي القطب	
محلات حجار سعاده	جونيه	مؤسسة أحمد الشرقاوي	الروشة / عنجر	محلات كامل عطية	
محلات سركيس لطيف وأولاده	العقيبة	محلات عطاركو	المصيطبة		

يجري السحب كل آخر شهر وتنشر النتائج في مجلة المختار

الوكلاء الوحيدون: كبابه إخوان - البيع بالجملة - تلفون: ٣٩٠٤٩٦ - تلكس: LE CAFRES ٤٣ ٩٤٣

حديقة أفكار

- يريد البشر ان يعرفوا مقدار اهتمامك قبل ان يهتموا بمقدار معرفتك.

جيمس هند في "وول ستريت جورنال"

- الخيّرون في كل مكان. اتمنى فقط لو كانت اصواتهم اعلى.

لويس لامور

- لا اؤمن بالتشاؤم، فاذا لم تجر الامور كما تشتهي، شقّ سبيلك الى الامام، فما الضير اذا اعتقدت انها ستمطر وامطرت؟

كلينت ايستوود

- للنجاح معادلة بسيطة: ابذل افضل ما في وسعك، ربما اعجب ذلك الناس.

سام اوينغ

- خيط رهيف يفصل بين صيد السمك والوقوف على الشاطىء كالأغبياء.

ستيفن رايت

- تنقضي حياتنا تماما كما تنقضي ايّامنا.

أني ديلارد

- كلما احسسنا ذواتنا افضل، انتفت الحاجة الى ان نلغي الآخرين من حولنا.

اوديتا هولمس

- حين تغدو الامور اسهل، نكتشف اننا اغفلنا الاصغاء الى شيء ما منذ البداية.

دونالد وستلايك

- علينا ان نقرر كيف نجعل ذواتنا قيّمة وليس كيف نقوّم ذواتنا.

ادغار فريدنبرغ

- الحقيقة سوف تظهر.

ارنولد غلاسكو



قالت لي أمي:
"تعلمي يا ابنتي أن
تبحري في بحر الهدوء وفي محيط العواصف"

عاشِقة الريّح

كل عام، عندما يتحول الهواء بارداً، أفكر في أمي. كانت أول من يشير الى علامات الخريف: نور الصباح الشاحب، والالحاح المفاجىء في نشيد الدوري، وسماء العشية اذ توشحها خطوط الدخان المتصاعد من مصطلى الجيران.

الطبيعة في الخريف حافلة بالعبر. فكانت أمي تختلق أقاصيص تُنطِق فيها الحيوان لتشرح أن التغيير الحاصل ليس مجرد نهاية، بل هو بداية أيضاً.

"يقول الثعلب الحكيم: يجب أن تتذكروا أن الأوراق التي تموت في الخريف تولد ثانية في الربيع."

توازن واختلال، تناغم وتنافر، خسارة وتجدد. تلك كانت الافكار الرئيسية التي تخللت أقاصيص أمي... وحياتها.

من ذكرياتي: عندما كنت في السابعة من عمري اصطحبتني أمي عشية عيد ميلادها الأربعين الى خارج المنزل للوقوف تحت قمر ساطع أضاء نوره كل زاوية من الحديقة. وقالت بعدما ناولتني منظاراً: "أترين تلك البقعة الضاربة الى

الحمرة؟ إنها بحر الهدوء. أترين الظل الأزرق الى جانبها؟ ذاك هو محيط العواصف." ثم قالت شيئا عن حاجة المرء الى تعلم الابحار في كليهما.

لم أرَ البحر ولا المحيط اللذين ذكرتهما أمي. لكني، اذ حدقت الى القمر مأخوذة عبر المنظار، رأيت وجه أمي سابحاً عبر النجوم الشاحبة المترامية في أرجاء السماء الداكنة.

فكرت في ذلك وأنا جالسة في حديقتي أمس أنعم بنسيم المساء المشذّى برائحة أشجار الجوز. ورحت أراقب القمر وهو ينبثق ويتوارى عابراً زخرف الاشجار المترامية في حدود الافق. فجأة، تبسَّمتُ لما قاله الثعلب.

وألفيت نفسي غارقة في ذكرى الأيام السعيدة، والمضحكة أحياناً، التي عشتها مع أمي. ومنها يوم سمحت لي بقيادة سيارة العائلة الى متجر البقال عبر طرق جانبية. كنت آنئذ في الحادية عشرة من عمري، وانتهى بنا المطاف في حقل ذرة.

ضحكتُ عالياً لهذه الذكرى التي استحضرت لي ذكريات أخرى. وانفتحت الأبواب المغلقة على مصاريعها وتذكرت أمي وأقوالها وشعوري لمرآها والاستماع اليها وكأنها ماثلة أمامي.

لقد عشقتْ أمي الريح. ولطالما تلت على مسمعي هذه الابيات:

من منا رأى الريح؟
لا أنا ولا أنت.
ولكن متى حنت الأشجار رؤوسها،
تكون الريح مارة في حناياها.

أخبرتني أمي ذات يوم أنها فيما كانت ذاهبة الى المدرسة وهي بعد فتاة صغيرة، أطاح الهواء قبعتها وحملها الى منحدر عميق. واذ كانت تلك قبعتها الجديدة خشيتْ أن تلام لفقدانها، فانحدرت عبر الدغل واسترجعتها ومعها هر صغير مرميّ أصبح في ما بعد الحيوان المدلل الأحب الى قلبها. فأطلقتْ عليه اسم "زفير" لأنه، كما أخبرتني، كان لطيفاً كنسمة ناعمة.

عثرتُ على صورة قديمة لهما في ألبوم العائلة ظهرت فيها أمي، وكانت آنذاك في العاشرة من عمرها، حاملة الهر الرمادي الصغير وقد عبث النسيم بجدائل شعرها الطويل فأسدل بعضه على عينيها.

لكن عاشقة الريح كانت تبتسم، ربما للنسمة التي كانت تداعب وجهها.

أخبرتني أمي أنها في طفولتها أحبت اقتناء كلب، لكنها مُنعت من ذلك. فما كان منها إلا أن ابتدعت كلبا بوليسيا منقطاً من نسج خيالها أطلقت عليه اسم "مورلي." وكانت قبل أن تخلد الى النوم كل مساء تذهب الى باب المطبخ وتدعوه الى الدخول.

وكانت كلما وصلت في روايتها الى هذا الحد تبدأ تمثيل القصة. وأتخيلها اليوم طفلة في قميص نوم طويل تقف على عتبة الباب في ليلة مثلجة وضفائرها السوداء مسترسلة حتى خصرها وأنفاسها الساخنة تطلق في الهواء غيوما صغيرة، وتنادي: "مورلي، مورلي. تعال يا مورلي."

تبسّمتُ أخيراً للطفلة التي كانتها أمي، ووجدتني قادرة على التفكير فيها من دون أن تتملكني مشاعر الحزن والخسارة. وتلاحقت في مخيلتي صور أخرى. تناهت إلي فجأة أنغام مزامير القرب المتهادية من الميناء، فعبرت مخيلتي صورة خاطفة عن صباها في اسكوتلندا، فرأيتها واقفة تتمرن قبالة المرآة على رقصة النجود. واذ رحت أحرك الشاي بملعقتها، تذكرت يوم كانت تعطيني الآنية الفضية لأعد المائدة. وفكرتُ: نعم، يمكنني أن أعثر على مكان جديد لي في العالم من دون أمي.

وهكذا، جلست ذات مساء على أرض غرفتي ممسكة بحقيبة يدها التي احضرتها من المستشفى يوم وفاتها ولم أقوَ على فتحها قبلا. فوجدت قلم أحمر الشفاه والمحفظة وصور أحفادها و... ورقة مطوية خطّت فيها أسطراً للكاتب وندل بيري جاء فيها:

"عندما تخطو الى مكان جديد في الغابة الكبيرة ينتابك، الى الفضول والاثارة، بعض شعور بالرهبة. انه الخوف القديم من المجهول، والرابط الاول الذي يشدك الى البرية التي تلج."

وهو قول قد يشبه ما ينطق به الثعلب الحكيم الذي ما زال قادراً على أن يعلمني بعد كل هذه السنوات.

نزلت الى الطبقة السفلى وفتحت باب المطبخ. فلفحت وجهي نسمة لطيفة. فقلت في نفسي: "لقد حُرمتِ الريح ست سنوات." ثم وجدتني أردد:

من منا رأى الريح؟
لا أنا ولا أنت.
ولكن متى حنت الأشجار رؤوسها،
تكون الريح مارة في حناياها.

أليس ستاينبك ■

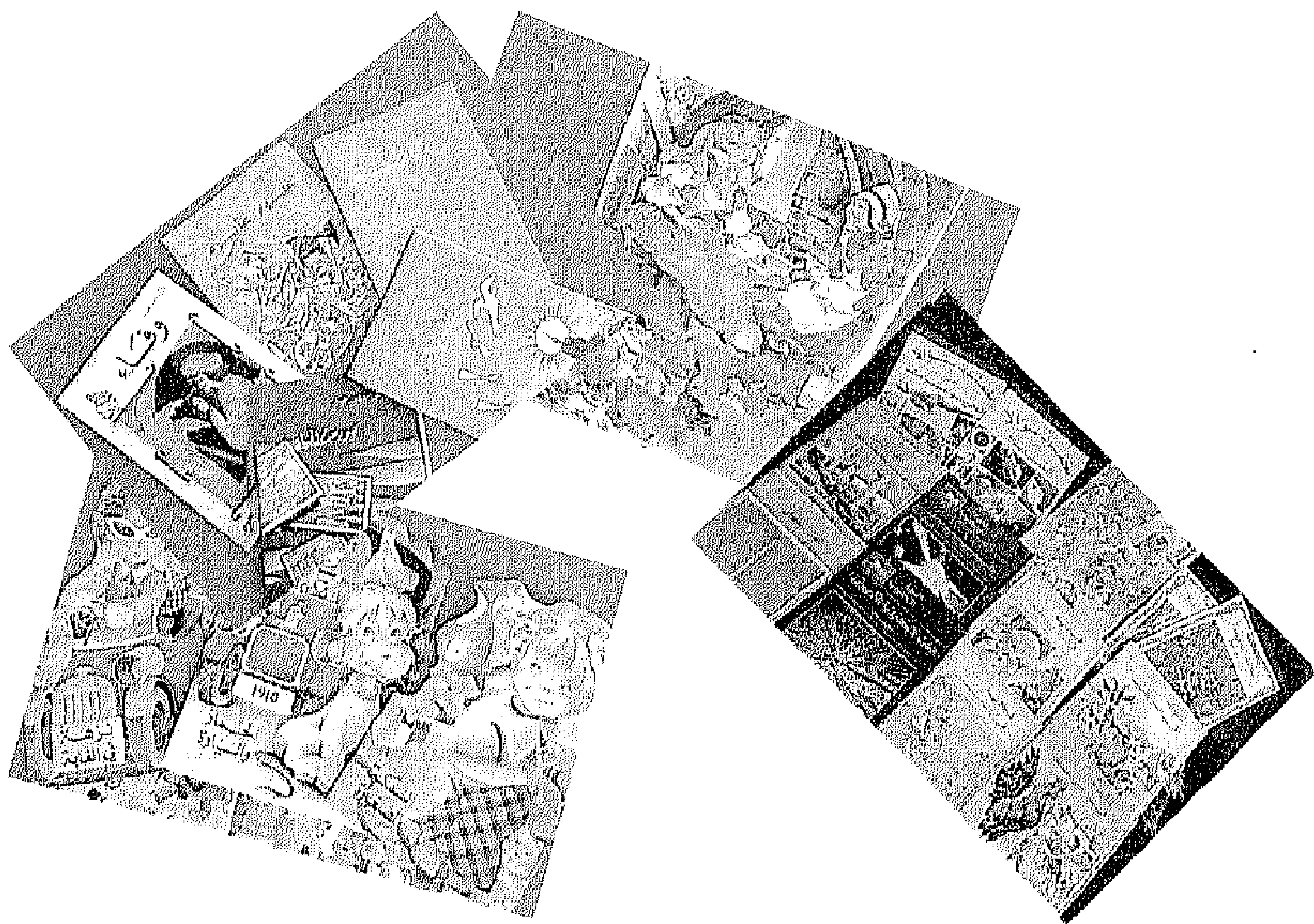
الكاتبة صحافية حازت جائزة "بوليتزر" الادبية عام ١٩٨٥.



صناديق عمتي

عمتي مهووسة بحفظ الامتعة والمقتنيات القديمة. ذات نهار كنت اساعدها في تنظيف غرفة مكدسة الى السقف بصناديق ملأى بصور ورسائل وقصاصات صحف وكتب ومكتنزات شخصية اخرى. فعثرت في أحد الصناديق على قصاصة صحيفة قديمة تتضمن مقالة بعنوان. "كيف تتخلص من أمتعتك الشخصية." ناولت عمتي القصاصة وعلى وجهي ابتسامة ذات معنى. فنظرتْ اليها وقالت. "هذه مقالة رائعة، يجب أن أحتفظ بها!"

ثم القتها في احد الصناديق.



Reader's Digest
المختار
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٢
جمادى الاولى ١٤١٣
السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

الصمت يقتل الزواج

اليك هذه الطرق لكسر جليد الصمت في المنزل

هرعت الزوجة الى منزلها بعد العمل وفي جعبتها خبر مثير. فوجدت زوجها جالساً في الحديقة يقرأ صحيفة. تقول: "كنت حصلت لتوي على ترقية في وظيفتي، وكلي حماسة لابلاغه النبأ. لكنه، كالعادة، لم يكن راغباً في الكلام أو الاستماع. فابتسم وهنأني، ثم دخل المنزل قبل أن أكمل حديثي."

وعندما لحقْتُ به لمتابعة الحديث لم يلقِ لها بالاً.

فتساءلتْ، ربما للمرة الالف: "لماذا يندر الحديث بيني وبين زوجي؟ ولماذا لم يكن راغبا في معرفة المزيد عن الترقية التي نلتها؟ انني أعرف أنه يحبني ويهتم لي، فهو يتباهى بي أمام أصدقائه. وكلما سألته إنْ كان هناك من خطب، يجيب دائما: كلا، كل شيء على ما يرام. لكن ذلك ليس صحيحاً."

والواقع أن صمته اخذ يؤثر سلباً في العلاقة بينهما. وتضيف الزوجة: "عندما يتجاهلني، ثم يأتي الى الفراش، لا أحس رغبة عاطفية نحوه، بل أشعر بالاساءة والغضب والارتباك."

وهي ليست الوحيدة في ذلك. اذ يعتقد

المحللون النفسانيون أن المعاملة الصامتة تؤثر سلباً في معظم الزيجات. وتقول المحللة النفسانية كارلا ويلز براندون: "إن ما أسمعه من الزوجات هو الآتي: "زوجي لا يكلمني ولا يستمع اليَّ. إنه يتحدث الى أصدقائه وزملائه ولكن ليس إليَّ."

وتقول ديبرا تانن أستاذة علوم اللغة ومؤلفة كتاب "أنت فقط لا تفهمني" الذي يتناول أساليب التحادث بين الرجال والنساء: "يستفيض الرجل في الحديث في بداية العلاقة ليكسب ود المرأة، ثم يتناقص حديثه تدريجاً. أما النساء فيزددن كلاماً عندما يشعرن بالارتياح مع الرجل."

إنَّ أحد الاسباب الرئيسية لمشكلة التواصل الكلامي بين الزوج والزوجة هي اختلاف مفاهيمهما لمغزى الحديث. ويظهر هذا جلياً في الشكاوى الثلاث الاكثر ترداداً التي يسمعها المحللون النفسانيون من الزوجات:

"إنه يكظم مشاعره." تقول بعض النسوة إن أزواجهن يرفضون الكلام عندما يكونون متضايقين أو محبطين. وهذا الصمت يعذب زوجاتهم اللواتي يتساءلن إنْ كان ثمة خطب.

يقول العلماء النفسانيون إن ما يحصل هو أمر نموذجي، لأن الصبيان والبنات يُربُّون على التعبير عن مشاعرهم بطرق مختلفة. ويقول المحلل النفساني روبرت ليهي: "تُشجَّع البنات على إظهار مشاعرهن، فيما يُعلَّم الصبيان أن إشراك المشاعر شأن أنثوي وسخيف وغير منتج." وهكذا، ينزع الرجال الى الارتداد الى ذواتهم معتقدين بأن لديهم القدرة على معالجة مشاكلهم بأنفسهم.

"إنه يصمّ أذنيه." غالباً ما يطلق أسلوب التحادث النسائي المنفلت آلية صمم في الرجل. تقول تانن: "تنزع النساء الى الاهتمام بالتفاصيل الشخصية: مَنْ قال ذلك؟ وماذا يعني؟ وكيف بدوا؟ ويتوقعن أن يشارك أزواجهن في هذا النوع من الحديث. لكن غالبية الرجال يجهلون كيف يشاركون."

ويقول ليهي: "بالنسبة الى الرجل، ليست ثمة علاقة بين الاحاديث الحميمة والمشاعر والتفاصيل الشخصية. فالرجال يحبون البحث في القضايا الهادفة، مثل كلفة تعليم الاولاد وزيادات معدلات الضريبة وتحسين أدائهم في لعبة ما، ولا يرون جدوى في مناقشة أمور لا دور لهم فيها."

"انه يتكلم مع الجميع إلاي." تشكو بعض الزوجات من أن أزواجهن يدَّعون أنهم متعبون عندما يعودون من أعمالهم لدرجة أنهم لا يرغبون في الكلام. أما إذا اتصل بهم صديق أو زارهم على حين غرة، فانهم يجدون فجأة ما يتحدثون عنه.

تقول تانن: "المحادثة بالنسبة الى المرأة تعني الارتباط العاطفي والشوق

والاهتمام." أما بالنسبة الى الرجال، فالمحادثة فعل لأنهم يستخدمونها للتأثير في الآخرين ونقل المعلومات الواقعية. وهم يحسون في المنزل أنهم أحرار في الاسترخاء، ولا يريدون الدخول في مناقشات.

يستطيع الازواج والزوجات التغلب على مصاعب التواصل الكلامي على رغم التباين في وجهات النظر.

جربي هذه الاساليب لجعل زوجك يعبر لك عن أفكاره ومشاعره:

١. **اختاري اللحظة المناسبة**. من المهم أن تعرفي متى تبدأين المحادثة. قد تكونين مفعمة بالحماسة لبدء حديث ما بعد العمل. لكن زوجك قد يكون في حاجة الى الاسترخاء في تلك اللحظة والثرثرة في وقت لاحق.

٢. **دعيه يبادر**. يقول ليهي: "الصمت يغضب المرأة أحياناً ويحبطها، فتشرع في تكرار شكواها، فيدعوها الرجل نقاقة."

لتفادي هذا الوضع، لا تملأي الصمت عندما لا يستجيب زوجك. ويقترح روبرت برامسون وهو عالم نفساني ومؤلف كتاب "التعامل مع الاشخاص الصعبين": "انظري اليه بهدوء وعدّي بصمت لكي لا يتنامى قلقك. فاذا لم يستجب، ساعديه على بدء الحديث بقولك مثلاً: هل يمكنك أن تخبرني لماذا تجد صعوبة في قول ما تفكر فيه؟ ولا تعلّقي على صمته إن استمر، بل أخبريه أنك ترغبين في متابعة بحث الموضوع غداً. ودعيه يدرك أنك تتوقعين جواباً."

٣. **اطلبي تفاصيل**. يقول برامسون: "لتكن أسئلتك قابلة للتوسّع. لا تقولي: كيف كان نهارك؟ فهو يستطيع الاجابة بكلمة واحدة مثل جيد أو سيىء. جربي أسئلة مثل: ما البند الذي يرغب المدير في تغييره في الصفقة؟ وكلما كانت الاسئلة أكثر تحديداً ازداد احتمال حصولك على اجابات مفصلة."

٤. **انتبهي لحركاتك**. من السهل على زوجك أن يبقى صامتاً اذا كنت تقلبين صفحات كتاب وأنت تتكلمين. أبقي ذراعيك حرّتين وتعابير وجهك هادئة وجسدك مسترخياً، وتحدثي بصوت لطيف.

٥. **شاركيه في الاهتمامات**. يقول ليهي: "عندما يركز الزوجان كل اهتمامهما على الاطفال أو على العمل، يكتشفان غالباً أنهما لم يعد لديهما ما يتحدثان عنه."

سيكون لديكما الكثير مما تتحدثان عنه اذا اشتركتما في نشاطات جديدة متنوعة، مثل التنزه على الاقدام والسفر والبستنة والعمل التطوعي.

٦. **أصغي بانتباه**. أعيري زوجك اهتمامك عندما يتكلم، ولا تفكري في ردك

ولا تدعي ذهنك يشرد. وينصحك ليهي: "تدربي على الاصغاء الفعلي. أعيدي صوغ عباراته عندما يتكلم، ولا تعارضيه أو تقدمي اليه معلومات." فقد يساعد الاصغاء الفعلي في حل عقدة لسانه.

٧. **شاجري، ولكن بانصاف.** تقول ويلز براندون: "يجهل معظم الازواج أصول المشاجرات الصحية. اذ تقوم المرأة غالباً بمعظم الحديث والشكوى فيما يبتعد الرجل عن الموضوع. فلا يتحقق شيء، ويعود الاثنان الى الشجار حول الموضوع ذاته بعد شهر أو نحوه."

يحاول كثير من الرجال تفادي المشاجرات كليا. تعلّمي النقاش الايجابي لكي تخففي من مخاوف زوجك. يقول ليهي: "تحاشي العبارات السلبية ونبش أخطاء الماضي والجمل التي تبدأ بعبارات مثل: طوال حياتك لم... أو: أنت دائما... وتحدثي عما تشعرين به مشيرة الى دورك في الموضوع. ولا تصبي عليه كامل اللوم وإن كنتِ مقتنعة بأنه المخطىء."

لنقل إن زوجك غضب لأنكما ذهبتما الى حفلة لم يكن راغباً في حضورها. تقبلي مشاعره وقولي له: "أنا أفهم سبب انزعاجك." ثم اشرحي له وجهة نظرك وحاولي الوصول الى حل وسط، مثل: "كانت الحفلة مهمة لي لأنها منحتني فرصة للتعرف الى أشخاص نافذين في عملي. لكننا في المرة المقبلة سنغادر باكراً."

إنَّ مشاجرة كهذه تحتاج الى مقدار هائل من ضبط النفس، لكنها فاعلة.

٨. **اطلبي المساعدة.** إنْ جربت كل هذه الوسائل ولم تنجح، فكري في استشارة اختصاصيين بالمشاكل الزوجية. فقد يساعد العلاج في ايجاد حلول لمعضلات ترفع جدار الصمت.

وليس من مشكلة زوجية الا ولها حل.

راين فوليمر ■

تعليمات...

تلقى موظفون في قوات الامم المتحدة المذكرة الآتية: يلقي الضابط المختص التعليمات الضرورية في الصالة الرئيسية بعد الظهر، قبل يومين من موعد السفر. ويُطلب الى الجميع الحضور ربع ساعة قبل الموعد المحدد الذي سيبلغ اليهم عند وصولهم!

ت.و.

قدّم الفتى البالغ سبعة اعوام صديقه الجديد الى اهله قائلا: "اقدّم اليكم هاني، ابطأ التلاميذ في الصف، وترتيبي لا ياتي بعده بكثير."

ج. موري - جنوب افريقيا



قد يخسر أعظم الرياضيين أمام الكوكايين. ويخامر كثيرين منهم شعور بأنهم لا يقهرون، فيحاولون السيطرة على المخدر، وينقطعون عنه سنوات، لكنهم يعودون الى تعاطيه بعد حين. ومهما حاولوا مقاومته في سبيل خلاص عائلاتهم أو تنفيذ عقودهم الرياضية، فقد يتخاذلون ويلجأون الى المسحوق الغاوي.

هنا قصص تروي تجارب أربعة من لاعبي البيسبول (كرة القاعدة) البارزين في الولايات المتحدة.

رياضيُون أدمَنوا ... وخسِروا

● ستيف هوي ●

توافرت لدى ستيف هوي فرص نجاح لا حصر لها. ففي العام ١٩٧٩، وكان مع فريق "دودجرز"، بهر الهواة برمياته التي بلغ معدل سرعتها ١٤٥ كيلومتراً في الساعة. وفي العام ١٩٨٠ اختير "لاعب السنة" في البلاد. وفي العام التالي، في مباريات بطولة العالم، ربح شوطاً وأنقذ آخر وفاز "دودجرز" على "نيويورك يانكيز" بأربعة أشواط في مقابل شوطين.

ولكن في نهاية العام ١٩٨١ أصبح هوي مدمناً. ففي المدرسة الثانوية، كان يدخن الماريوانا (حشيشة الكيف). وفي جامعة ميشيغن اكتشف الكوكايين، وظل لسنوات يتعاطاه بتقطع، لكن المخدر ما لبث أن استولى عليه.

 PHOTOS, LEFT TO RIGHT: (LAMARR HOYT) © AP / WIDE WORLD PHOTOS; (STEVE HOWE) © JONATHAN DANIEL / ALLSPORT; (ALAN WIGGINS) © JACQUELINE DUVOISIN / SPORTS ILLUSTRATED; FOREGROUND: ERNEST COPPOLINO

أخذ هوي يتناول الكوكايين بانتظام ويختلق أعذاراً واهية، مما حمل الدودجرز على إنذاره بالطرد. فدخل في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢ مركزاً للمعالجة من الادمان، وعاد اليه مرتين في العام ١٩٨٣. أخيراً، في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٣، أعيا أمره مفوض البيسبول فأقصاه عن اللعب سنة واحدة.

ظلت سيندي هوي أمينة على حب زوجها الذي كان يخرج احياناً لشراء علبة حليب فيغيب أياماً. حتى إنه لم يتورع عن قضاء سهرة صاخبة في تعاطي الكوكايين ليلة ولادة ابنتهما.

وفي يوليو (تموز) ١٩٨٥ طرد فريق الدودجرز هوي الذي ما لبث أن عقد اتفاقاً في الشهر التالي مع فريق "مينيسوتا توينز" الذي طرده هو أيضاً بعد مدة وجيزة.

بعد سنتين، في يوليو (تموز) ١٩٨٧، كان فريق "تكساس رنجرز" في حاجة ماسة الى رام، فعقد مديره طوم غريف اتفاقاً مع هوي. فأجاد هذا الاداء حتى نهاية الموسم، ثم عاد الى مخيم التدرّب في منتصف فصل الشتاء. لكنه اختفى ذات يوم ثلثاء من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨، وراح يتناول الأمفيتامين بدلا من الكوكايين.

فتش عنه فريق الرنجرز، وبلغه رسالة بواسطة مسجلة الهاتف تدعوه الى العودة. ويقول غريف متذكراً عودة هوي: "بدا كأنه لم يعرف النوم منذ أيام. وكان مستثاراً وكذب في كل ما قاله."

اتصلت زوجته بمدير الفريق ملتمسة أن يمنحه فرصة أخيرة، فاعتذر غريف قائلا: "لا بد لنا من فصله."

عندئذ هبطت آمال الزوجين الى أدنى الدركات. فبعدما كانا يترقبان كسب ملايين الدولارات، انحصر همهما في الصمود وتأمين لقمة العيش. ولشدة حاجتهما الى المال، عمل ستيف في بناء شرفات خلفية لمنازل الجيران، فيما ظل يكافح للانقطاع عن الادمان.

نجح هوي، وإن ببطء، في تنقية جسمه من المخدر. وفي ربيع ١٩٩٠ عاد الى اللعب مع فريق من الدرجة الاولى في ساليناس في كاليفورنيا.

وعام ١٩٩١ عاد لاعبا متألقاً. وعقد اتفاقاً مع فريق اليانكيز وإن بشروط قاسية. فعانق سيندي واعداً إياها ببداية حياة زوجية جديدة.

لعب هوي ببراعة لافتة، وكان أفضل لاعبي فريقه. وفي نهاية الموسم وقع اتفاقاً بقيمة ٦٠٠ ألف دولار تضمن حوافز مشجعة قد ترفع دخله الى ٢،٣ مليون دولار.

وذات يوم من شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩١ دخل هوي بشاحنته موقفاً للسيارات في كالسبل في مونتانا، حيث اعتُقل بتهمة دفع مئة دولار الى أحد المخبرين لشراء غرام من الكوكايين. وبات ليلته في السجن.

وفي بداية الموسم الكروي الجديد واجه هوي احتمال إقصائه موقتاً أو حتى حرمانه من اللعب مدى الحياة.

في تلك السنة الرائعة، عام ١٩٩١، تكلم هوي كثيراً الى مراسلي الصحف عن سلطان إدمان الكوكايين. قال: "إن المسكرات والمخدرات صبورة طويلة الأناة. فهي تجثم هناك وتنتظر."

● لامار هويت ●

على الحدود المكسيكية الامريكية، بين تيخوانا في المكسيك وسان إيسيدرو في كاليفورنيا، لاحظ ضباط الجمارك ذلك الرجل الضخم الملتحي الذي كان يقترب من نقطة التفتيش. فطلبوا منه أن ينتحي جانباً، وبعد دقائق اعتقلوه، إذ تبين لهم أن الانتفاخ في سرواله يخفي نحو ٥٠٠ حبة غير مرخص بها من الفاليوم ومسكنات الألم.

لم يكن الأمريكي الملتحي إلا لامار هويت، نجم فريق "سان دييغو بادريس." وهو اعتقل في ٢٨ أكتوبر (تشرين الاول) للمرة الثالثة في العام ١٩٨٦.

يُساء استعمال الفاليوم أحيانا، إذ يُرفق بإدمان الكوكايين. إلا أن هويت نفى أن تكون تلك غايته من الحبوب، وألقى اللوم على "الأرق والألم الذي يعانيه في كتفه." لكن ادعاءاته لم تُجدِ، اذ دين بتهمة حيازة مواد تخضع لترخيص قانوني. وفي ١٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦ حكم عليه بدفع غرامة مقدارها عشرة آلاف دولار وبالبقاء خمس سنوات تحت المراقبة وبالسجن ٣٨ يوما. ثم حرمه مفوض البيسبول بيتر أوبروت من اللعب طوال موسم ١٩٨٧.

قبل بضع سنوات، كان لامار هويت مرشحاً ليكون نجماً متفوقاً. فهو لعب عام ١٩٨٢ مع فريق "شيكاغو وايت سوكس." وبفضل رمياته اليمينية القوية أحرز ١٩ انتصاراً. وفي السنة التالية نال ميدالية أفضل لاعب ورفع فريق وايت سوكس الى مرتبة التأهل للاشتراك في مباريات البطولة.

والواقع أن هويت كان غير مهيأ لتفعيل نجاحه، اذ أخفق في تنمية مزيتين حاسمتين في حياة كل رياضي هما الانضباط واحترام متطلبات الجسد. فحين كان طالبا في المدرسة الثانوية بدأ يدخن الماريوانا. وكان آنذاك نجماً في ثلاث رياضات، لكنه اختار البيسبول إذ، كما أوضح، "لم يكن عليّ بذل جهد كبير لأحسن الاداء."

بعد تخرجه عام ١٩٧٣ التحق بفريق نيويورك يانكيز للناشئين. وبعد أربع سنوات "بيع" الى فريق وايت سوكس. وعام ١٩٨٠، حين بلغ السن الخامسة والعشرين، بدأ اللعب مع المحترفين.

عام ١٩٨٥ بيع هويت الى فريق البادريس. وقال رئيس هذا الفريق آنذاك بالارد سميث: "لقد أبدع هويت في اللعب في النصف الأول من السنة، مما حملنا على الاعتقاد أنه سيفوز بميدالية أفضل لاعب للمرة الثانية."

رشح هويت لدخول "فريق النجوم" الوطني، واختير بصفته اللاعب الأغلى ثمنا والأبرز في منتصف الموسم.

وفي احدى المباريات شعر هويت بألم

في كتفه، وكان يجهد نفسه فتتوتر أعصابه لدى تسديده الرميات. وفي أواخر فصل الصيف بدأ يخطىء التسديد. وفي الشتاء ساءت حاله وتعاقبت اعتقالاته.

وطُرد من فريق البادريس. ولكن في أول يوليو (تموز) ١٩٨٧ تذكر جيري رينسدورف صاحب فريق وايت سوكس وما كان يعنيه لامار هويت لفريقه. فعقد معه اتفاقاً للعام ١٩٨٨. وكانت شروطه قاسية إذ فرضت على هُويت الخضوع لفحص دم منتظم وإنقاص وزنه ومباشرة التدرب مع الفريق في ديتونا بيتش في فلوريدا.

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ أظهرت ثلاثة فحوص مخبرية وجود كوكايين في جسمه. واعتبر ذلك انتهاكاً منه للحكم الذي صدر بإدانته في محاولة إدخال المخدر عبر الحدود وإطلاقه مع ابقائه قيد المراقبة. وبعد شهرين اعتقل في كارولينا الجنوبية حيث أقر بأن في حوزته كوكايين وماريوانا. فحكم عليه في يناير (كانون الثاني) بالسجن سنة واحدة لمخالفته شروط المراقبة.

وقضي الأمر، إذ أظهر الفحص الطبي تمزقاً في كتف هويت اليمنى مع فقدان ٢٥ في المئة من عظم المفصل. وتلك كانت نتيجة محتملة لسوء التدرب.

في يونيو (حزيران) ١٩٨٨ نقل هويت من الاصلاحية الى منزل للتأهيل في كارولينا الجنوبية. وأُعتق في ديسمبر (كانون الاول) من تلك السنة.

يقول الاصدقاء إن هويت، الرياضي الذي لمع في الماضي، هو الآن عاطل عن العمل ويشكو من البدانة.

وتثير قصته غضب بالارد سميث الذي يقول: "يتدرب عشرات الالوف من الشباب سنوات في سبيل التأهل ليكونوا لاعبين في فرق الدرجة الاولى. والذين يحققون أمنيتهم متميزون. لذا يغضبني أن أراهم يهدرون ذلك التميُّز."

● ألن ويغنز ●

على ملعب "غرين دياموند" في ضاحية باسادينا في لوس انجلس، حيث اعتاد اللاعبون الصغار أن يتمرّنوا، كان ألن ويغنز أسرع الجميع في العدو وهو حافي القدمين. وفي المساء قبل كل مباراة كان يغتسل ويكوي بذلته استعداداً لليوم التالي. قالت شقيقته جاكلين ماكري: "كان يعرف تماماً أنه سيلعب يوماً في ملعب الدودجرز."

تخرج ويغنز في المدرسة الثانوية عام ١٩٧٦ وأمضى سنة في كلية باسادينا. وكان أول المرشحين للاحتراف. فاختاره فريق الدودجرز عام ١٩٧٩ وأرسله للتدرب في لودي في كاليفورنيا.

وفي العام ١٩٨٠ شاهده جاك ماكيون المدير العام لفريق البادريس فيما كان يلعب.

ويتذكر ماكيون: "كانت سرعته وتسديداته رائعة مدهشة. فأُخذت به وقلت في نفسي: إن لهذا الفتى موهبة فائقة!"

سجّل ويغنز في ذلك الموسم ١٢٠ اصابة، وهو ثاني أعلى رقم في تاريخ البيسبول آنذاك. وفي السنة التالية انتقل الى فريق البادريس فأحرز فوزاً عظيماً.

لكن ويغنز حين كان في المدرسة الثانوية مارس لعبة خطرة، إذ جرب المخدرات وهو لمّا يزل في سن المراهقة. وها هو الآن عاجز عن التوقف.

في ٢١ يوليو (تموز) ١٩٨٢ أوقفه أحد رجال الشرطة في سان دييغو لمخالفته قانون السير، فذعر ويغنز ورمى ورقة خارج السيارة. فالتقطها الشرطي واكتشف أنها تحوي مادة الكوكايين.

أوقف ويغنز عن اللعب وأمضى ٢٦ يوماً في أحد مراكز التأهيل. وقدَّر فريق البادريس أنه شفي إذ بدا في حال أفضل. ففي العام ١٩٨٣ سجل ٦٦ هدفاً وكان ذلك رقماً قياسياً حطمه في السنة التالية.

عام ١٩٨٣ اعتُبر ويغنز اللاعب الأغلى ثمناً لدى البادريس. وعام ١٩٨٤ أطلق عليه مدير الفريق جاك ماكيون لقب "الحفّاز" لدى فوز البادريس ببطولة الاتحاد الوطني للمرة الاولى والوحيدة. وعام ١٩٨٥ وقع عقداً يكسب بموجبه اكثر من ٢،٥ مليون دولار.

وما إن حلّ شهر ابريل (نيسان) حتى توارى ويغنز وتخلّف عن الاشتراك في أي مباراة. فحنق المسؤولون في فريق البادريس وأدخلوه دارا للمعالجة ثم قايضوا به فريق "بلتيمور أوريولز."

واجه ويغنز ضغوطا قاسية في بلتيمور، إذ كانت زوجته انجي حاملا، فعجزت وابنتهما عن الانضمام اليه فوراً. ولشدة شوقه اليهما نشبت مشاحنات بينه وبين زملائه. وقد لعب في الفصل الاول على نحو مرض مع فريق الاوريولز، الاّ أن مستوى لعبه أخذ يتقهقر في منتصف العام ١٩٨٦، وفقد شعبيته لدى هواة اللعبة.

وذات مساء كئيب ارتكب ويغنز ثلاثة أخطاء في مباراة ضد التيغرز، فاهتزت مدرجات الملعب بصيحات الاستهجان والسخرية.

بعد شهر واحد أُنزلت مرتبته وأحيل الى فريق روشستر للمتدربين. وفي نهاية الموسم راح فريق الأوريولز يبحث عن بديل من ويغنز الذي بقي له مليون ونصف مليون دولار بموجب عقد الاتفاق.

وفي نهاية أغسطس (آب) ١٩٨٧، بعد موسم حافل بالمنازعات مع الزملاء، كشف الفحص الطبي وجود مخدر في جسم ويغنز. فأعتقه فريق بلتيمور في ٢٩ سبتمبر (أيلول)، وبذلك انتهت حياته كلاعب بيسبول.

أوائل العام ١٩٩٠ ظهرت على ويغنز أعراض طفح جلدي أثارت مخاوف الاطباء. ثم تأكد تشخيصهم المخيف: ألن ويغنز مصاب بمرض الايدز.* يقول جيم ماكغي العالم النفساني الذي كان يعالج ويغنز: "بعد ذلك الحدث المريع استسلم ويغنز لقدره."

(*) Acquired Immunodeficiency syndrome (Aids).
وهو داء نقص المناعة المكتسب.

أخيراً نال منه داء السلّ في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) وأضعف بنيته. فأدخل مركز "سيدرز سيناي" الطبي في لوس انجلس.

في عيد الميلاد اصطحبت زوجته وشقيقه ولديه الى الغرفة حيث كان راقداً لوداعه. وبعد أسبوعين كان وزنه هبط الى ٣٤ كيلوغراماً. وفارق الحياة في ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٩١ وله من العمر ٣٢ عاماً.

● أوتيس نيكسون ●

لم يتسنَّ للصغير أوتيس نيكسون أن يلمح الكوكايين في مسقط رأسه إفرغرين في ولاية كارولينا الجنوبية. وكان أوتيس في انشغال دائم، اذ كان وأشقاءه الأربعة ينهضون في الخامسة صباحاً لمساعدة والدهم في مزرعة التبغ الصغيرة التي يملكونها، ويعودون اليها بعد انتهاء الدراسة.

وكان طموح أوتيس العمل للانعتاق من المزرعة. ووجد في الرياضة فرصة لتحقيق أمنيته.

نال نيكسون بعد تخرجه في المدرسة الثانوية منحة دراسية رياضية لدخول كلية لويسبرغ في كارولينا الشمالية، وهي مشهورة بفريقها للبيسبول. طُلب منه مرتين أن يوقّع عقداً للعب: مرة مع فريق "سنسيناتي ردز" ومرة مع "كاليفورنيا انجلز"، لكنه رفض العرضين من أجل متابعة دراسته لنيل شهادة جامعية.

عقد فريق نيويورك يانكيز عام ١٩٧٩



اتفاقاً مع نيكسون. وبعد خمس سنوات ارتقى نيكسون السلّم وصار يلعب مع فريق الناشئين. وفي غضون ذلك دخل عالم الكوكايين.

حين عرض عليه زملاؤه المسحوق الابيض للمرة الاولى نفخه بخشونة الى الارض. ومرت خمس سنوات قبل أن يتعرف ثانية الى الكوكايين.

وفي أواسط الثمانينات أصبح نيكسون مدمناً "ترفيهياً" يستمتع بالكوكايين في حفلات منزلية عند أصدقائه للاسترخاء بعد المباريات.

وفي ٣٠ يوليو (تموز) ١٩٨٧ أعطاه أحدهم قليلا من الكوكايين في ناد ليلي. ولدى خروجه من النادي شاهد شرطياً

PHOTO: (OTIS NIXON): © JOHN BIEVER / SPORTS ILLUSTRATED

فحاول ابتلاع المخدر. غير أنه اعتُقل وغرّم وأُرسل الى مركز للتأهيل مدة ٢٨ يوماً.

في مركز التأهيل، لم يفكر نيكسون في ما كان يقصده الطبيب اذ قال له: "ما لم تكافح الكوكايين وتحصّن نفسك ضده فإنه سيهزمك."

قال في نفسه: "أنا لست مدمناً. وفي إمكاني، إن لم أخضع لفحوص طبية خلال اللعب، أن أتعاطى الكوكايين على سبيل الترفيه."

لكنه كان يخضع للفحوص الطبية بانتظام، فأحجم عن الكوكايين بفضل اجتماعات تابع حضورها مع مدمنين آخرين. وفي السنوات الاربع اللاحقة أثبت ٢٥٠ فحصاً خلو جسمه من الكوكايين. لقد كان يكافح قلِقاً، لمعرفته أنه ما زال تواقاً الى المخدر.

عام ١٩٩١ بيع نيكسون الى فريق "أتلنتا بريفز" وصمم على متابعة حضور اجتماعات المدمنين المنقطعين في مدينته الجديدة. واستهل لعبه بأداء مثير، ثم تراخى، وبدأ يتخلّف عن الحضور. وقد عُدّ بين اللاعبين البارزين في البلاد. وفي ١٦ يونيو (حزيران) أحرز نصراً جديداً بتسجيله ستة أهداف في مباراة واحدة. وفي أسابيع قليلة بدأ فريق البريفز الهزيل، الذي كان يثير الشفقة سابقاً والذي احتل المرتبة الاخيرة في ثلاثة مواسم متعاقبة، اندفاعاً نحو القمة نُسب معظم الفضل فيه الى نيكسون.

في يوليو (تموز) أسرّ صديق صيدلي الى نيكسون أن ثمة عشبة اذا مُزجت بالملح والخل فانها تمنع ظهور الكوكايين في فحص البول. لكن فحصاً أُجري له يوم ١٣ يوليو (تموز) أظهر وجود المخدر في جسمه. وكان ذلك الفحص الاول منذ العام ١٩٨٧. عندئذ التمس نيكسون من المفوض المسؤول منحه فرصة ثانية، فحصل عليها، الّا أن الأوان كان قد فات، اذ انه عاود إدمانه الذي بات متحكماً فيه.

خلال شهر أغسطس (آب) أصيب نيكسون بفقر دم حاد. وفي ٧ سبتمبر (ايلول) أثبت فحص مخبري آخر وجود مخدر في جسمه. ولم يكن بقي لانتهاء موسم اللعب الّا ثلاثة أسابيع، فأُعفي نيكسون ٦٠ يوماً فيما كان فريقه يصارع لاحراز البطولة.

شعرت مدينة أتلنتا بأنها خُذلت. فصور نيكسون تصدرت صحف البلاد جمعاء. وأصيب هو بالهلع، فقد عرف أن الشرطة ستقبض عليه وأن حياته ستدمّر. وعلى رغم ذلك عجز عن مقاومة المخدر. وأخيراً أدرك الحقيقة: "إني في حاجة الى مساعدة."

هذه المرة صدق عزم نيكسون على عمل كل ما يقتضيه انقطاعه عن المخدر. ويستغرق معظم برامج معالجة لاعبي الكرة من المخدرات ٢٨ يوماً فقط، لكن نيكسون حمل علاجه على محمل الجد، فبقي ثلاثة أشهر قيد التأهيل.

يقول نيكسون إن الاعتراف بالواقع هو أصعب الامور بالنسبة الى رجل ألف الزهو والتبجح اللذين يترافقان واحتراف

الرياضة. ويضيف: "لقد جُلدت بالسياط. هُزمت. كان الأمر أقوى مني." ولكن، حين جبه الادمان عرف ماذا يتعين عمله.

لقد رأى بوضوح الأمور التي تعيده الى حظيرة الادمان، فنبذها من حياته. وكان يقول: "الاندية الليلية، الحفلات، تلك أمور يستطيع آخرون الاستمتاع بها. أما أنا فلا أقوى على ذلك."

رتب نيكسون مع أطبائه شبكة من الاصدقاء والأهل والمهنيين لمراقبة تقدمه ومساعدته في الابتعاد عن المخدرات.

والآن، حيثما يتوجه، يحرص على حضور اجتماعات المدمنين المنقطعين ويظل على اتصال بأطبائه. كما يستمر اتصاله بعائلته، وهذا هو المنحى الأهم في شبكته الواقية. ويعرف نيكسون أن هذا التيقظ لا بد من أن يدوم لأنه متى توقف عاد وحش الكوكايين ينهش جسده وروحه.

لكن الأمر استحق كل هذا العناء، اذ ان التزام نيكسون الكفاح ضد الادمان شجع فريق البريفز في ١٢ ديسمبر (كانون الاول) على عقد اتفاق معه لمدة سنتين قابلتين للتمديد، في مقابل مبلغ خيالي: ٨،١ ملايين دولار يخصص منها ١٠٠ ألف دولار لانتاج فيلم فيديو يحذر الشباب من مغبة تعاطي المخدرات ويبيّن لهم أن كل امرىء معرض للوقوع في شركها.

والآن يقول نيكسون: "كان ما مررت به قاسياً جداً، ولا أتمنى لأي امرىء أن يعانيه. لكنه أعاد حياتي الى خطها الصحيح. كانت تجربتي نعمة مقنَّعة باليأس والمعاناة."

راشيل فليك فلدافسكي ■

بكل تقدير!

كنا نتمشى في الريف حين صادفنا سيارة معطلة. فعرضنا على سائقتها ان ندفعها. وبعد ساعة من الدفع المضني لمحنا مرأباً فاستبشرنا خيراً. ولكن ما إن رأت السيدة لافتة المرأب حتى صاحت: "هنا لا يقدمون القهوة مجاناً. هيا نبحث عن مرأب آخر."

ب.د.

انصرفوا من فضلكم

وقف الاستاذ ينتظر عبثاً انتهاء ثرثرة التلاميذ حتى يستطيع ان يبدأ الدرس. وفي النهاية ضاق ذرعاً بهم، فصاح باكثر التلاميذ ثرثرة: "عماد، هلّا تفضلت وتوليت مسؤولية الصف عنّي؟" فهبّ الفتى واقفاً وقال لرفاقه بكل رزانة: "انصراف."

ا.ك.

الضحك

حظ.. من السماء

التقى رجلان على الطريق بعد غياب طويل فسأل احدهما:
- كيف حال زوجتك؟
"زوجتي ملاك."
- يا لك من محظوظ، زوجتي لا تزال على قيد الحياة.

ب.و.

كلب في الدار

فتح سليم الباب، فدخل صديقه حبيب يتبعه كلب كبير، وفيما هما يتحدثان، صدم الكلب مصباحاً فكسره ثم وثب على الاريكة بقوائمه المتوحلة. فلم يستطع سليم المحافظة على هدوئه فصاح بصديقه: "الا يمكنك ان تضبط كلبك؟" فأجابه: "ماذا؟ لقد اعتقدتُ انه كلبك!"

عن "روزنامة المزاح"

يتقن سرّ المهنة

تقدّم هاني الى وظيفة "جاسوس صناعي" لدى احدى الشركات الضخمة، فجُمع مع عدد من طالبي الوظيفة وأعطي كل منهم مغلفاً مختوماً وطلب اليهم ان ينقلوه الى الطابق الرابع. فانطلقوا، وما ان وجد هاني نفسه وحيداً في رواق حتى فضّ الختم فوجد داخل المغلف رسالة كُتب عليها: "انت هو الشخص المطلوب للوظيفة. وافِنا الى الطابق الخامس."

ل.ا.

خاطف سياحي

حاول احد الاشقياء خطف حافلة ملأى بالسياح، وكانت النتيجة ان حصلت الشرطة على خمسمئة صورة فوتوغرافية للمتهم.

ب.ك.

رشوة!

قرّر احد الأثرياء أن يهدي الى سياسي سيّارة فخمة، فاحتج هذا قائلا: "لا يمكنني أن أقبل منك سيّارة، فذلك يعدّ رشوة."
فاقترح الثري مخرجاً يقضي بأن يبيعه السيّارة بعشرين دولاراً.
فرد السياسي: "في هذه الحال، سآخذ سيارتين."

ا.ك.

سر العمر الطويل

اورد احد الممثلين الهزليين العجائز هذه النكتة: "سألتني امرأة: هل صحيح انك لا تزال تذهب الى الصيد؟ فاجبتها: نعم. ثم سألتْ: وصحيح انك تدخّن علبتي سجائر في اليوم؟ فاجبتها: نعم. ثم سألت: وصحيح ايضاً انك لا تستعمل المصعد للوصول الى شقتك؟ فاجبتُها: نعم. فسألت اخيراً: وماذا يقول طبيبك؟ فاجبتها: لقد توفّي منذ زمن."

ك.ب.

كيفَ تواجهُون الأزمَات

سبع وسائل مجدية لتجاوز المحن

حدث الامر بغتة. فما كادت طائرة شركة "ألوها" تغادر مطار هيلو في هاواي قاصدة هونولولو وتستقر على علو ٢٤ ألف قدم (٧٣٠٠ متر) حتى انفتح باب ركن الطيار. فالتفت القبطان بوب شورنستايمر الى الخلف ليرى صفوفاً من ركاب تتقاذفهم الريح ويغطّيهم الدم، فيما حلّت السماء الزرقاء محل سقف مقصورة الدرجة الأولى. فقد "طار" ثلث سقف الـ "بوينغ ٧٣٧" الهرمة بسبب اهتراء معدنها.

كان هذا الحادث فريداً من نوعه ولا طريقة معروفة لمعالجته. وسرعان ما تعطّل المحرّك الأيسر وأضيئت اشارات منذرة بالسوء. لكن القبطان ومساعده ميمي تومبكنز حافظا على رباطة جأشهما. وبعدما ارتديا أقنعة الأوكسيجين حوّلا مسار الطائرة في اتجاه جزيرة ماوي حيث أقرب مطار.

هبطت الطائرة وركابها التسعون متشبثون بمقاعدهم، فيما ذنبها الواهن يترجح صعوداً ونزولا مثل ذنب حوت. وبعدما لامست العجلات الأرض شد شورنستايمر الكوابح، ثم ساعد تومبكنز في إطفاء المحركات ورشّها بمادة مؤخّرة للاشتعال. بعدئذٍ أُجلي جميع الركاب في دقائق.

من خلال خبرتي ككاتب غطى أخبار شركات الطيران لسنين طويلة، كثيراً ما أدهشني الهدوء ورباطة الجأش اللذان يظهرهما الملاحون في الحالات الطارئة.

ولكن بعدما قابلت خبراء في حقول أخرى حيث الضغوط قاسية أيضاً، من إخماد الحرائق الى ادارة أزمات الشركات الكبرى، أيقنت أن ثمة أساليب يمكن أياً كان استخدامها في الأوقات العصيبة.

وإليكم سبعاً من هذه الوسائل التي تساعدكم، إن لم يكن على تخطّي المحنة، فعلى تعزيز إمكانات نجاحكم.

١. تفاءلوا بالأفضل، ولكن استعدوا للأسوأ.

يؤكّد الاطفائي فريد كروكر من هارتفورد في كونيتيكت أن "للأشخاص الذين يستعدّون لمواجهة الحريق حظاً أوفر في النجاة من الذين لم يفعلوا."

وفي هذا السياق يتذكر كروكر منزلا أخذت النار تلتهمه فجأة: "عندما نصل الى الموقع تواجهنا الفوضى، فلا أحد يعلم أين هم الآخرون، ويتملّك الأهل خوف من أن يكون أولادهم محتجزين في الداخل. غير أن هذا الحادث بالذات كان مختلفاً. فكل فرد من العائلة كان واقفاً بهدوء على الرصيف."

شرح الوالد للاطفائي كيف أن أحد أولاده سمع في المدرسة محاضرة في السلامة، فاقترح على عائلته أن ترسم خطة لاخلاء المنزل في حال حدوث حريق. وتابع الوالد: "ذات مساء، بدلا من أن نشاهد التلفزيون، أعددنا هذه الخطة."

وهذا ما أنقذ حياتهم بعد أشهر.

يمكنكم أن تخطّطوا للأزمات بسهولة. تخيلوا ما قد تفعلونه لو أن السيارة المنطلقة أمامكم توقفت فجأة. فمجرد التفكير في أسوأ الاحتمالات كفيل بابقائكم في حال تأهب وتيقظ دائمين. وهذا ما يجعلكم تربحون ثلاثة أرباع معركة السيطرة على الأزمة.

٢. أنظروا أولا، ثم اعملوا.

لا بدّ أننا سمعنا أحدهم يقول: "لا تقف مكتوفاً، إفعل شيئاً!" على أن الخبراء يؤكدون أن النصيحة الفضلى في الأزمات هي "لا تفعلوا شيئاً، قفوا مكتوفين."

هذا الدرس تعلّمه بول أبرلاين ومتطوّعون آخرون في مركز التدريب على الاسعافات الأولية في باراموس بولاية نيوجرزي. فخلال أحد التمارين كان على أعضاء فريق أبرلاين أن يمثلوا حادث سيارة سحقها صهريج كبير. ويتذكّر أبرلاين: "عملنا كل شيء على أكمل وجه. فتمكنّا من انتزاع باب السيارة، وثبّتنا أجساد الضحايا بصدرات وأربطة للعنق، ثم مددناهم على نقالات. وما إن انتهينا حتى قال لنا المراقب: يا شباب، لقد قمتم بعمل جيد، لكنكم أصبحتم في عداد الأموات. ثم أخذنا الى الجانب الآخر من الصهريج حيث أرانا خط كهرباء مقطوعا وملقى على مقدَّم الشاحنة. وقال: كان يمكن أن يحمل هذا الخط عشرة آلاف فولط من الكهرباء. وأضاف: ما من كارثة

ملحّة الى حدّ أنها لا تمنحنا الوقت الكافي لننظر ونفكّر قبل أن نقدم على أي عمل."

يسمي رجال القانون التصرف من دون تفكير "استجابة مرتدة." ويقول الملازم بيتر روان من قسم الشرطة في مدينة نيويورك: "يواجه مجنّدونا في صالات التدريب أبواباً تنفتح ونوافذ تشرع فجأة، وتكون خلف بعضها رسوم لمجرمين حاملين أسلحة وخلف البعض الآخر صور مدنيين أبرياء. وعليهم أن يحسنوا توقيت إطلاق النار. أما في الحياة اليومية، فإطلاق النار أسرع مما ينبغي قد يشكل نهاية الحياة المهنية للشرطي."

٣. تصرفوا بقوة.

يؤكد روب فلاهرتي نائب رئيس شركة "كاتشام" للعلاقات العامة في مدينة نيويورك التي تقدّم استشارات للشركات في أزماتها الادارية: "غالبا ما يواجه الناس الازمات بأقل جهد ممكن على أمل أن تُحلّ المشكلة تلقائياً."

إن التصرف بقوة لا يتعارض ومبدأ التروي قبل الاقدام على أي عمل. فمواجهة الأزمة، كما يؤكد الخبراء، تشبه الى حدٍّ ما ولوج طريق رئيسية وسط حركة سير سريعة. فهذا الأمر يتطلب من السائق أن يتوقف وينظر أولا. ولكن متى صمّم على التحرّك فمن الأفضل له أن يضغط دوّاسة الوقود بقوة.

٤. اطلبوا المساعدة.

يُدرَّب رجال الشرطة على طلب الدعم في الحالات الطارئة. كذلك علينا نحن أن نحترس لئلا نفعل شيئاً من دون مساعدة حين تكون المساعدة متوافرة.

عندما بُلِّغ رجال الاطفاء عن حدوث حريق في مبنى للمكاتب في هارتفورد، ضمن منطقة فريد كروكر، دُهشوا لدى وصولهم لسرعة امتداد اللهب. فقد كان عمال البناء القريبون من المبنى المحترق يحاولون إخماد النار بأنفسهم. ويقول فريد كروكر: "عندما صمّموا على طلب قسم الاطفاء كان الدخان وصل الى الطبقة الثالثة. ومن العجب أن الجميع خرجوا أحياء."

كذلك تؤكد نانسي نابير الاختصاصية بمعالجة المشاكل الزوجية والعائلية في مدينة نيويورك: "حتى إن كانت الأزمة نفسية أو عاطفية، فالشفاء لا يبدأ إلّا حين يطلب الانسان المساعدة. فكروا في جمعية المدمنين المجهولين،* فهي تعتمد كلياً على أناس يساعدون أناساً آخرين يعيشون ظروفاً مماثلة. أما الذين يبقون وحدهم ولا يطلبون المساعدة فيعيشون أوقاتا عصيبة جداً."

٥. لا تدعوا التفاصيل تستحوذ على اهتمامكم.

يقول الدكتور نيل فلومنبوم رئيس قسم الطوارىء في مستشفى جامعة لونغ آيلند

(*) جمعية تضم مدمنين سابقين اقلعوا عن إدمانهم فباتوا يجتمعون لتداول امورهم والتشارك في تجاربهم.

في بروكلين، إن قادة الفرق في أقسام الطوارىء يتعلّمون ألّا ينهمكوا أكثر من اللزوم في بعض الاجراءات الطبية، الأمر الذي قد يلهيهم عن مراقبة غيرها.

ويتابع فلومنبوم: "من الضروري جداً أن يقف أحد ويراقب الوضع بكامله، وإلا فمن الممكن أن يفارق المريض الحياة من دون أن يتنبّه أحد الى ذلك."

أخبرني شورنستايمر الطيار في شركة "ألوها" أن أهم الأمور التي فعلها هو وتومبكنز لانزال تلك الطائرة كان إبقاء "الصورة الكبيرة" نصب أعينهما: "كنا نواجه مشاكل كثيرة، منها فقدان سريع في تكيُّف الضغط، وعطل في المحرك، وإشارات هيدروليكية، وإشارات متناقضة في جهاز التحكّم، والى كل ذلك همّ الهبوط. لكننا أدركنا أن أولى أولوياتنا هي الهبوط. وفيما كنا نتمّم الاجراءات الطارئة، لم نسمح لأنفسنا بالانهماك في إحداها أكثر مما ينبغي."

٦. كونوا صادقين بصرف النظر عن سوء الأوضاع.

عندما نتسبّب في أزمة، نكون معرّضين لأن نكذب أو نحاول إخفاء الأمر. "ولكن ليس ذلك عملا غير أخلاقي فحسب، وإنما هو خطأ في التقدير." هذا ما تقوله كورين شاين من شركة "شاين" الاستشارية للشركات التي تواجه أزمات. وهي تضيف: "عندما تقترفون خطأ ما تكون لديكم مشكلة واحدة. أما عندما تعمدون الى إخفاء الأمر فتصبح لديكم مشكلتان."

ولا تنسوا: اذا كشفت الحقيقة فستلازمكم الكذبة أكثر من غلطتكم الأساسية.

يقول بوب فلاهرتي: "أثبتت لنا الفضائح السياسية أنه في الأوقات العصيبة تكون الاستقامة هي السياسة الوحيدة المعقولة والمقبولة. قد تكلّفكم الاجابة الصادقة وظيفتكم أو قضيتكم في المحكمة أو إحدى صداقاتكم. ولكن عليكم أن تحدّدوا أولوياتكم. إن خسارة وظيفة أو دعوى هي بمثابة خسارة معركة اليمة. أما الحرب فهي مهنتكم وسمعتكم وسعادتكم في المدى البعيد."

٧. تطلّعوا الى الجانب المشرق من المحنة.

يشير جيرالد مايرز الاستاذ الجامعي والرئيس السابق لشركة "أميريكان موتورز" الى أن أزمات كثيرة ليست في الواقع سوى حاجة ماسة الى مواجهة مشكلة كانت لفترة طويلة ناراً تحت الرماد.

ويتابع مايرز: "في حقل الأعمال، كل حالة إفلاس أو إخفاق في الانتاج تسبقها أزمة ممهِّدة يهمل المسؤولون تحذيراتها المبكرة. بعدئذٍ تأتي الأزمة التي تجبر المسؤولين على اجراء تغييرات كان عليهم اجراؤها منذ البداية."

وما يصحّ في حقل الأعمال غالبا ما

يصحّ في حياتنا الشخصية، أكان الحدث طلاقاً أو مواجهة مع حبيب أو خسارة وظيفة أو إصابة تقعدنا عن العمل.

فالمغني خوليو ايغليسياس اكتشف موهبته الحقيقية بعدما حطّم حادثُ سير خطير كل آماله بأن يصبح لاعب كرة قدم. فبينما كان جريحاً ممدداً في مستشفى مدريد، تعلّم أن يعزف على الغيتار. وبعد خمس سنوات فاز في مباراة دولية للغناء، واستمر صعود نجمه الى أن أصبحت مبيعات أسطواناته هي الكبرى في العالم. وهو يعزو نجاحه الى الدروس التي تعلّمها حين واجه محنته.

ويؤكّد الدكتور سيمور روزنبلات أستاذ علم النفس في نيويورك: "مهما شعرتم بصعوبة الأزمة وأنتم في وسطها، حاولوا أن تضعوا نصب عيونكم أن الأزمة تقدّم اليكم فرصة. فإن خسرتم تكونون على الأقل اكتسبتم حكمة لأنكم تألّمتم. وإن ربحتم فقد يكون ذلك أعظم انتصار في حياتكم."

رينولدز دودسون ■



حارس...

انتهت نوبة عملي حارساً ليلياً عند السادسة صباحاً، فتناولت سماعة الهاتف وادرت القرص طالباً المنزل لايقاظ زوجتي كالعادة وسألتُها: "هل استيقظتِ؟" فاجابت بصوت يغالبه النعاس: "لا، لقد فعلتَ حسناً باتصالك بي الآن، عليّ ان انهض في ايّة حال."

– الافضل لكِ ان تفعلي، عليكِ ايضاً ان توقظي الاولاد.

"الاولاد؟ اولاد من؟"

– اولادنا.

ثم صمت كلانا لبرهة، سألت بعدها المتكلمة:

"من المتكلم؟"

– من انتِ؟

"لستُ زوجتك."

واقفلت الخط.

المفتاح والباب

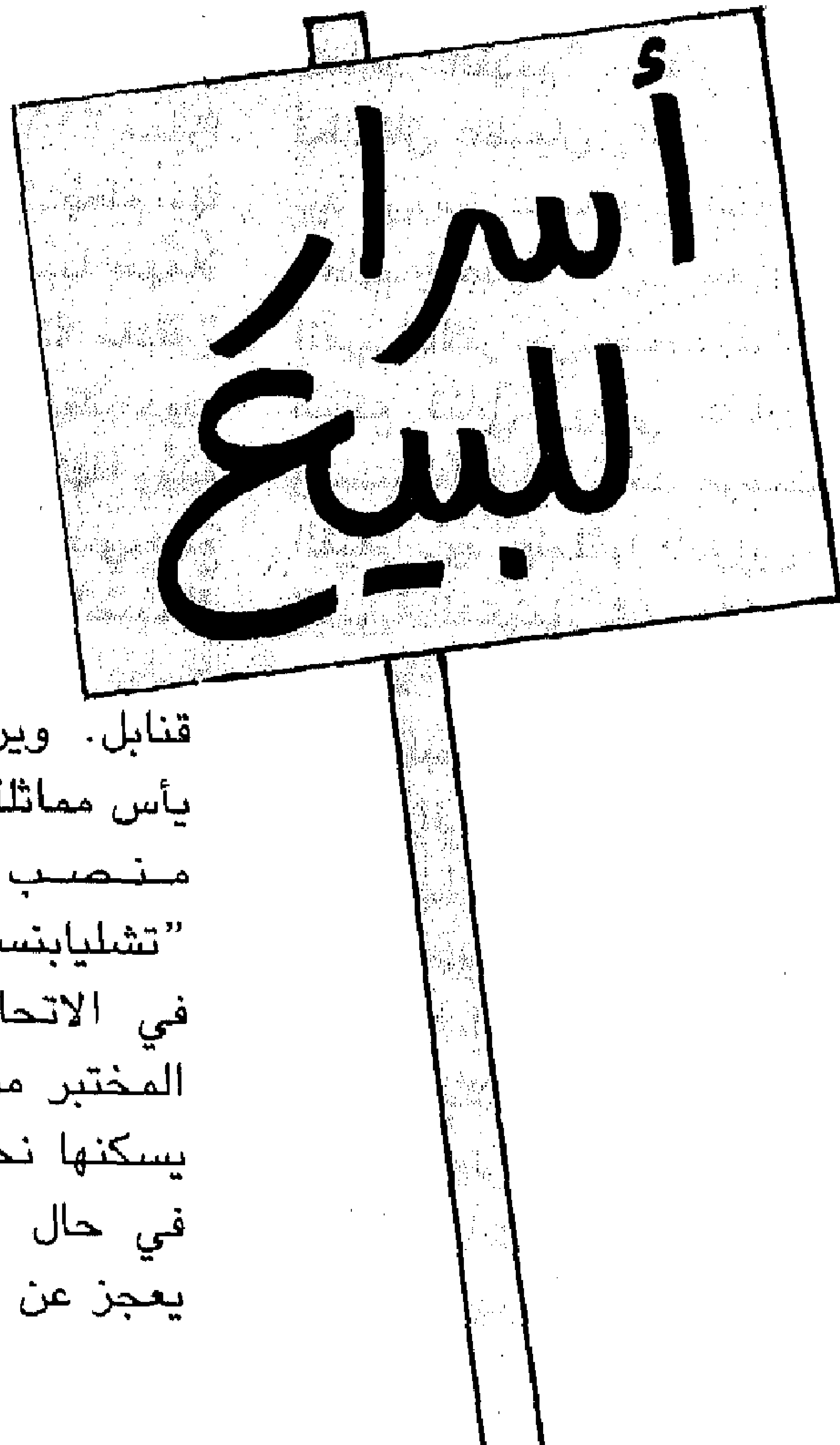
وصلتُ وزوجي الى معرض السيّارات لنتسلم سيّارتنا الجديدة، فقال لنا الموظف انه اقفلها ناسياً المفاتيح في داخلها، ووجدنا احد التقنيين بقربها يحاول جاهداً فتح قفل باب السائق. فتطلّعتُ فاذا الباب الآخر مفتوح، فصحتُ بالتقنيّ: "هذا الباب مفتوح." فرد: "اعلم ذلك، فقد فتحته لتوّي."

د.م.

مَنْ أشد خطراً من صانع قنابل روسي؟ إن نزف الادمغة من الاتحاد السوفييتي السابق يهدد بكوارث نووية لا يحصرها خيال

لطالما راقب ألكسندر تشرنيشيف في صباه غيوماً فطرية الشكل تنبثق من صحارى كزاخستان في الخمسينات. فقد حرص والده الذي كان يعمل في موقع سيميبالاتنسك للاختبارات النووية على اصطحاب العائلة لمشاهدة عظمة الانفجارات الذرية أو "درع الوطن الأم" كما سماها ستالين.

وفيما كان أترابه يحلمون بأن يصبحوا رواد فضاء، تاق ألكسندر النجيب الى أن يصبح صانع قنابل. فغادر كزاخستان لدراسة الفيزياء في لينينغراد. ثم اختفى مثل غيره من كبار العلماء السوفييت. وكان جل ما استطاع قوله لاصدقائه أنه انتقل للعمل في "صندوق البريد" اشارة الى الرمز البريدي للارخبيل النووي السري في الاتحاد السوفييتي. وهكذا بدأ ألكسندر مهنته كصانع قنابل. ويروي ايفجني أفرورين قصة يأس مماثلة. وهو عالم في الستين يشغل منصب كبير العلماء في مختبر "تشليابنسك – ٧٠" للاسلحة النووية في الاتحاد السوفييتي السابق. وهذا المختبر مدينة مغلقة في جبال الاورال يسكنها نحو ٤٥ ألف شخص، وقد بات في حال تقرب من الافلاس، إذ يكاد يعجز عن دفع الرواتب البائسة لموظفيه



وعددهم ١٦ ألفاً، ولا يستطيع حتى تحمل شراء المجلات العلمية الاجنبية. وفي حين كان راتب أفرورين عام ١٩٩٢ ١٥٠٠ روبل (١٥ دولاراً) شهرياً، وهو ربما كان أبرع علماء بلاده في حقل تصميم الرؤوس الحربية، لم يتجاوز ما تقاضاه سواه نصف هذا المبلغ.

واليوم يتولى تشرنيشيف منصب مدير قسم الفيزياء في "أرزاماس – ١٦" وهو مركز للتصميم النووي يبعد ٣٨٠ كيلومتراً الى الشرق من موسكو. إلا أنه بدأ يراجع حساباته، اذ يرى انهيار عالمه وعالم عشرات الألوف من الموظفين في صنع القنابل النووية السوفييتية.

فبعدما كان "أرزاماس – ١٦" مميزاً ومحظياً بأطعمة ومشروبات لا يحلم بها السوفييت العاديون، بات مسيَّباً مهملاً من موسكو. إلا أنه بقي "مدينة مغلقة" يحظر على الدخلاء ولوجها. وقد خوت متاجره الحكومية من محتوياتها ومُنع المزارعون من مقاربته، الامر الذي دفع تشرنيشيف الى القول: "لقد أصبحت أسرارنا مأساتنا."

فبدلاً من وضع مختبرات مثل "أرزاماس – ١٦" و"تشليابنسك – ٧٠" في معزل عن سياسة موسكو الاقتصادية التي اعتمدت "العلاج بالصدمات"، باتت هذه المختبرات في وضع حساس جداً. ونتيجة الخفض الكبير الحاصل في موازنة وزارة الدفاع، وجد أفرورين وزملاؤه أنفسهم مجبرين على البحث عن شركاء تجاريين في الخارج.

ويختصر أفرورين المتغيرات الحاصلة بقوله: "عندما بدأت، كنا جميعاً نؤمن بصحة التهديدات التي يمثلها الغرب، وكنا على استعداد لفعل أي شيء دفاعاً عن بلدنا. أما اليوم فعلى الناس أن يفكروا في أنفسهم."

وكان أفرورين يحب البستنة، فأعطي قبل عشر سنين قطعة أرض مفرزة زرع فيها زهوراً وأشجاراً. لكنه تحول اليوم الى استثمارها لانتاج طعام.

نزف الادمغة. كان أفرورين وتشرنيشيف شخصين ثانويين في "نظام العالم القديم" الذي سادته قوتان قطبيتان عظميان والذي لم يعد موجوداً. بيد أن من المفارقات الكبرى في "نظام العالم الجديد" أنْ ليس ثمة ما يقلق الغرب أكثر من صانع قنابل روسي إلا صانع قنابل روسي عاطل عن العمل. والسبب أنه اذا كانت موسكو لا تستطيع القيام بأود علمائها الذريين، فإن القوى النووية المحتمل نشوؤها في العالم الثالث ستعمد مسرورة الى إنقاذهم من عبء زرع البطاطا في حدائقهم.

والواقع أن مجموع المواهب المتوافرة كبير جداً. فبحسب وزارة الطاقة الذرية الروسية، يتجاوز عدد العاملين في صناعة الاسلحة النووية ١٠٠ ألف، وهو رقم يتضمن ثلاثة آلاف من الخبراء الذين يملكون معلومات فائقة السرية. أما وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية فتقدر المجموع بمليون، إلا أنها توافق على

صحة الرقم المتعلق بمالكي المهارات في مجال تصميم القنابل.

وما زالت القوانين السوفييتية المدرجة توجب على العلماء الضالعين في أعمال عسكرية سرية الانتظار فترة تراوح بين خمس سنوات وعشر سنين قبل إقدامهم على الهجرة. ولكن مع انكماش السلطة المركزية بات للمال ثقل أكبر، وتتوافق وفرة العرض مع شراهة الطلب.

وينزع أفرورين الى الاعتقاد أن زملاءه لن يرحلوا في هذه الآونة على الأقل. ويقول: "علينا ألا ننحو الى المبالغة، اذ لم تطالعنا الى الآن أي حالة هجرة من هذا النوع. إن استنزاف الأدمغة يحتّم اختراق حاجز أخلاقي كبير. ثم إن العلماء يدركون ما يترتب على ذلك من أخطار." إلا أنه يعترف بأن المغريات ستكبر، مضيفاً: "اذا جاع الناس، فقد يحدث أي شيء."

بيد أن نزف الادمغة بدأ فعلاً، وإنْ يكن في مجمله ما زال متجهاً الى الغرب. وقد بلغ عدد العلماء السوفييت الذين هاجروا منذ العام ١٩٩٠ نحو ٧٠ ألفاً. ويقول غليب سكليزكوف وهو أستاذ في أحد معاهد الفيزياء في موسكو، إن عدداً من الباحثين في المعهد غادروا الى ألمانيا وأوستراليا وبريطانيا. ويضيف أن "الوضع بات مأسوياً."

ويسود المزاج إياه معهد كورتشاتوف للطاقة الذرية، وهو أكبر مركز للابحاث النووية في موسكو ويتألف من مُجمَّع ضخم تصل بين مبانيه الخربة ممرات موحلة. كان هذا المجمع في الاربعينات المقر الذي اعتمده ستالين في مسعاه الى امتلاك القنبلة الذرية. أما اليوم، فغالبية أشغاله مدنية. الا أنه أثار قلق الغرب لما له من علاقات وثيقة مع كوبا والجزائر وليبيا التي بنى لها مركزاً للابحاث النووية. وهو، الى ذلك، يسعى الى المال، اذ إن موازنته القديمة، كما يقول فلاديمير شوخوروشكن رئيس مختبر السلامة النووية، "تكاد لا تكفي لتغطية الرواتب بحيث لا يتبقى منها شيء لتسيير الاعمال."

واليوم يفكر كثير من العلماء في خيارين اثنين: الهجرة أو العمل في التجارة. ومن هؤلاء خبير في تصميم المفاعلات النووية اسمه فياشسلاف روزانوف حاول الافادة من الفرص التي يوفرها النظام الاقتصادي الحر الجديد. ومن مكتب وسخ تتكدس فيه أكوام مهملة من الكتب العقائدية، يتاجر روزانوف بأجهزة الكمبيوتر اليابانية وغيرها من البضائع الالكترونية. كما صمم برنامجاً للتكهن بأسعار الاسهم التجارية، استناداً الى معادلات احتساب احتمالات الحوادث النووية.

إلا أن حساباته جاءت في مارس (آذار) ١٩٩٢ مغايرة للواقع بنسبة ٣٠ في المئة. وتفسيراً لذلك يقول: "إننا نحاول تطبيق العقلية العلمية في الشؤون التجارية، لكننا نفتقر الى حس البيع والشراء."

ونظراً الى ضعف الايمان بالقدرة على

جني الارباح، يتحدث روزانوف وأصدقاؤه عن الهجرة: "كثيرون من الناس يودون الرحيل. والخيار الاول هو أمريكا. لكنهم إنْ لم يتمكنوا من الذهاب الى هناك فسيحاولون الحصول على وظائف أخرى. وأي دولة تدفع لهم سيذهبون اليها."

وفي واشنطن خلصت وكالة الاستخبارات المركزية الى استنتاج مماثل قوامه، كما يقول مديرها روبرت غيتس، أن "معظم العلماء السوفييت الراغبين في الهجرة يفضلون أمريكا، لكننا لا نستطيع استيعابهم جميعاً." وقد أعلنت واشنطن في فبراير (شباط) ١٩٩٢ خطة لاقامة مركز عالمي للعلوم والتكنولوجيا في موسكو كجزء من برنامج يكلف ٤٠٠ مليون دولار لنقل الاسلحة النووية وخزنها وتدميرها. وسيوفر هذا المركز وظائف لكبار العلماء أملاً بالحؤول دون بيعهم خدماتهم في الخارج. ويعلّق مسؤول في وزارة الخارجية الامريكية موافقاً على هذه الفكرة: "لن نعالج أزمة نزف الادمغة على نحو يزيدها سوءاً. فما نريده هو إبقاء العلماء داخل الاتحاد السوفييتي السابق."

ويربط مشروع آخر بين معهد كورتشاتوف ووزارة الطاقة في الولايات المتحدة. ففي مقابل ٩٠ ألف دولار، أي ما يعادل راتب أستاذين مساعدين في الولايات المتحدة، ستوظف الحكومة الامريكية أكثر من ١٠٠ خبير نووي لمدة سنة، الامر الذي قد يشكل نموذجا لتعاون مستقبلي. وفي هذا الاطار يقول أحد مستشاري الرئيس الروسي بوريس يلتسين: "لدينا التجهيزات، ولدينا الناس. أما هم فلديهم المال."

إلا أن العقول وحدها لا تصنع القنابل. ودلالة على ذلك يقول ديفيد كاي مدير معهد اليورانيوم في لندن وقائد فريق الامم المتحدة المرسل لمراقبة المنشآت النووية العراقية بعد حرب الخليج: "كانت الصعوبة القصوى التي واجهها العراق هي الحصول على مواد قابلة للانشطار مع مستلزماتها الالكترونية."

وهذا يشير الى الطريق الابسط لبلوغ مرتبة القوى النووية، وفحواه: "لا تصنع قنبلة، بل اشترِ واحدة جاهزة."

مطارق ومسامير. قبل سنة كانت قلة ضئيلة في واشنطن ولندن وباريس قد زارت كزاخستان. أما اليوم فيتدافع السياسيون للتودد الى الجمهورية التي غدت فجأة رابعة القوى النووية الكبرى في العالم. وليس أدلّ على ذلك من زيارات وزراء خارجية الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا للرئيس نور سلطان نزارباييف في عاصمته ألما - آتا التي تبعد ٤٠٠٠ كيلومتر عن موسكو.

ويشير المتحدث الرسمي الرئاسي سيتكازي ماتاييف الى أن "للدولة التي تملك قنابل نووية صوتاً حاسماً في شؤون العالم،" خصوصاً عندما يبرز خطر انطلاق القنابل على غير هدى. وبسبب المركز الذي تتبوأه كزاخستان بصفتها

الدولة الوحيدة في آسيا الوسطى التي تملك أسلحة نووية، فانها تثير أحلك مخاوف الغرب: القنبلة الاسلامية!

ولكن، على رغم استقلال كزاخستان رسميا، فما زالت تلك الاسلحة خاضعة لحراسة موسكو ومراقبتها. وما زالت الرؤوس الحربية في كزاخستان مختزنة تحت الارض في جبال نائية ومناطق صحراوية يصعب الوصول اليها ويكاد يتعذر نقلها. وهي مزودة صمامات أمان تعطلها أو تدمرها فور فصلها عن نظم إطلاقها. أما القنابل التي يسهل اختلاسها، أي الاسلحة التكتيكية الاصغر حجما والرؤوس الحربية القائمة في قاذفات القنابل المركزة في منطقة كزاخ، فقد نقلت الى روسيا. وكانت كزاخستان وافقت في ربيع ١٩٩١ على نزع سلاحها مع نهاية القرن، إلا أن ذلك لن يزيل الشك في منزلتها النووية.

ويؤكد الجنرال سيرغي زلنتسوف من دائرة نقل القنابل الذرية وخزنها في وزارة الدفاع: "إن السلامة مضمونة." إلا أن هذا القول لم يبعث الطمأنينة في نفس وليم بوتر الخبير في انتشار الاسلحة النووية في معهد مونتري للدراسات الاستراتيجية في كاليفورنيا، اذ يقول: "ليس ثمة دليل داحض على اختفاء الرؤوس الحربية. لكن الأسلوب المتبع في مراقبة جردتها يجعلني اتساءل عما اذا كان هناك من يستطيع تأكيد ذلك."

ويبدو في بعض الاوقات أن المسؤولين يدلون بتصريحات متباينة. ففي حين أكد الرئيس الروسي بوريس يلتسين للعالم في أوائل مارس (آذار) ١٩٩٢ أن أوكرانيا ستشحن أسلحتها النووية الى روسيا، أكد الرئيس الاوكراني ليونيد كرافتشوك بعد أيام قليلة أن تلك الأسلحة ستبقى حيث هي. ثم عاد وزير دفاع أوكرانيا ليتوسط قائلاً إن الأسلحة ستُسحب، إلا أن ذلك لن يتم ما لم تشرف أوكرانيا على عملية تدميرها.

والفوضى متجذرة في النظام، يشير اليها غينادي نوفيكوف رئيس جهاز الامن في "تشليابنسك – ٧٠" قائلاً: "الاسلحة النووية هي ملك دوائر مختلفة، إذ تتولى إحدى الوكالات تطوير العبوة النووية، وتتولى الصواريخ وكالة أخرى، والسفن والغواصات وكالة ثالثة. وهذه الاجهزة متباعدة، لذا ننحو الى اخفاء المعلومات."

وقد بدأ ظهور التوتر الناجم عن انسحاب روسيا العَجول من الامبراطورية السوفييتية. فالصحف الروسية تتحدث عن رؤوس حربية تبرز من نوافذ مراكز التخزين، وعن قطارات متداعية محملة بالقنابل تمر عبر الدساكر والبلدات، وعن مراقبة غير وافية لقوائم الجرد، وعن أجزاء نووية مفقودة. ويقول نوفيكوف: "لم يحدث أي تغيير في الامن التقني، إلا أن الامن بمعناه الواسع هبط بحدة."

وبحسب "مركز مراقبة الاسلحة" في موسكو، بات الوضع يهدد بأخطار تعجز الاجهزة العسكرية عن مواجهتها، لأن الرؤوس الحربية أهداف جذابة

للارهابيين والتجار. وقد حذر مدير وكالة الاستخبارات المركزية من أن "الحظر المفروض على الاتجار بمواد الاسلحة الخاصة قد يضعف ويختفي."

وبمقتضى اتفاقات نزع الاسلحة المعقودة بين واشنطن وموسكو، يتعين تعطيل نحو ١٥ ألف رأس حربي، أي نصف ترسانة الاتحاد السوفييتي السابق، الأمر الذي سيخلف ١٠٠ طن من البلوتونيوم و٥٠٠ طن من اليورانيوم المخصَّب الذي تتشوق اليه الدولة الراغبة في أن تصبح صانعة قنابل ذرية والذي سيبقى مشعاً لأكثر من ألف عام. ومن الاهداف المحتملة أيضاً عشرات المفاعلات النووية المعدة للابحاث والمنتشرة في أرجاء الاتحاد السوفييتي السابق من دون حراسة عسكرية وفي مواقع خارج سيطرة موسكو.

ولربما كان الامر الاكثر إقلاقا هو تأثير الاعمال الحرة. ومثال على ذلك ما تقوم به "تشيتيك"، وهي شركة شبه خاصة في موسكو، من ترويج لخبرات "أرزاماس - ١٦" في الاسواق المفتوحة. وقد عمدت الى طبع كراس صقيل روجت فيه لسلسلة مواقع تحت الارض اعتبرتها "آمنة كليا" لتفجير القنابل النووية. وقد قال عالم غربي في تعليق مقتضب على ذلك: "لديهم قنابل، لذا يودون استعمالها. وحالهم كحال مَنْ عنده مطرقة ويرى في كل معضلة مسماراً."

ويحذر وليم بوتر من أن "المسؤولين الروس لا يرون التضارب القائم في المصالح. وهم، في سعيهم الدائب الى أن يصبحوا أصحاب أعمال حرة، باتوا على استعداد لبيع موجوداتهم النووية." وبذلك أصبحت الدولة النووية الخارجة من الحرب الباردة عرضة لخطر التحول سوقا نووية حرة.

في هذه الاثناء وجد المجرمون والمحتالون مجالاً واسعاً لأعمالهم. وقد قبضت الشرطة الايطالية على رجال أعمال سعوا الى بيع "الزئبق الاحمر" وهو مادة يقال إنها تستخدم في المجال العسكري، إلا أنها، بحسب ما يؤكد خبراء مستقلون، لا تساوي شيئاً. كما قبض على ألمانيين من مواليد الاتحاد السوفييتي كانا يحاولان بيع ١٢٠٠ غرام من اليورانيوم بسعر يربو على مليون دولار، أي ١٠٠٠ ضعف سعر السوق لما تبين أنه يورانيوم متدني التخصيب ولا فائدة منه في صنع القنابل.

ومع أن الأفاقين لا يشكلون وسيلة لنشر أسلحة الدمار الشامل، إلا أنهم يلقون الضوء على المشكلة: فهناك سوق جاهزة لتلقي المواد النووية، وهناك سوق لتلقف العلماء النوويين. ومع أن البضائع التي حاول الافّاقون بيعها كانت زائفة، إلا أن الجشع حقيقي بلا ريب.

أندرو هيغنز ■

ترجمة فريد شديد

تبدأ رحلة ٢٠٠٠ كيلومتر بتأخير ساعتين فقط قبل الاقلاع. ب.ل.

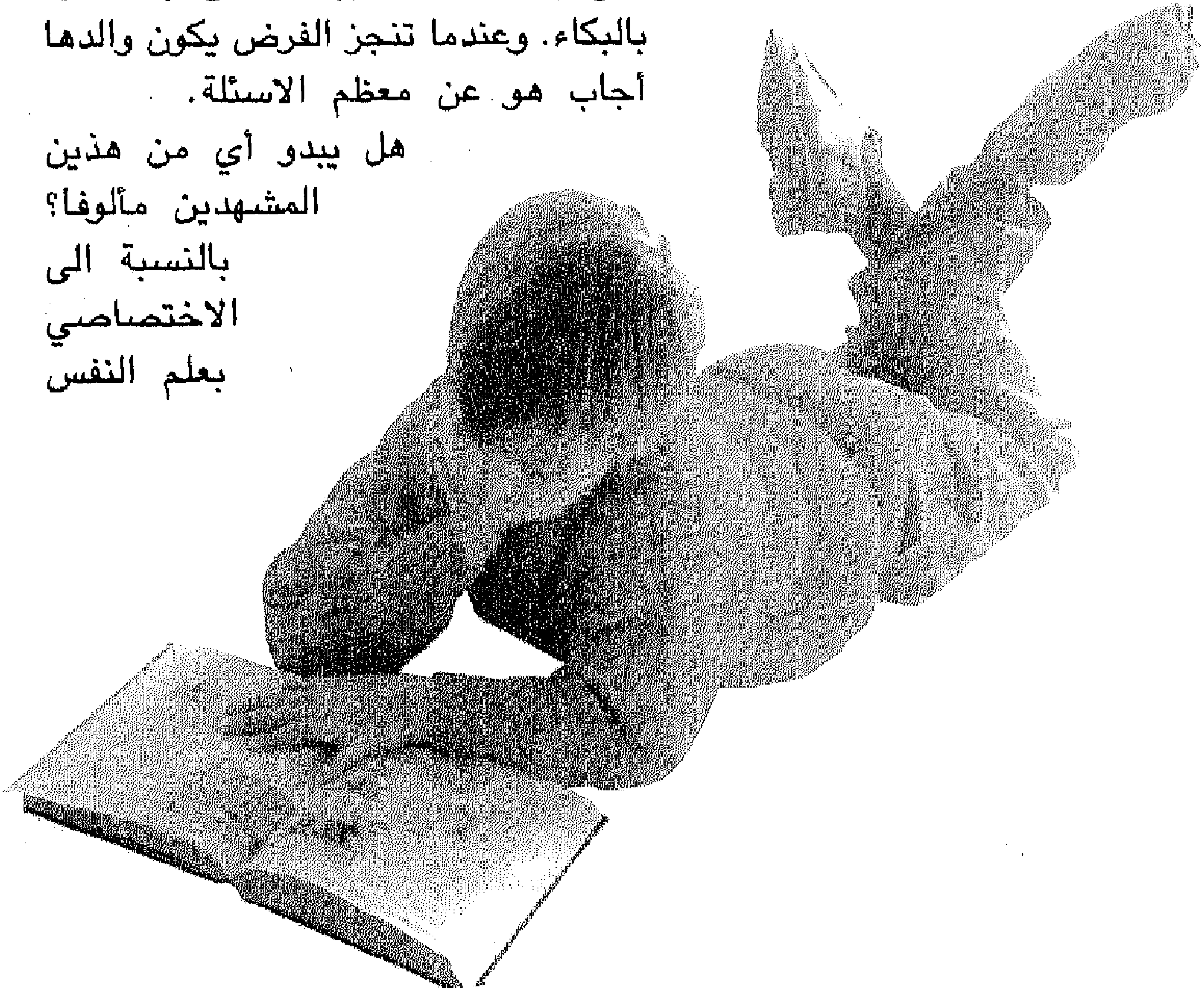
ساعدوا اولادكم في فروضهم المنزلية

البيت مدرسة ثانية والاهل معلمون مساندون

لم يتجاوز وليم التاسعة من عمره، الا أنه بدأ يعاني مشاكل الفروض المدرسية. كل مساء بعد العشاء يلهو بألعاب الفيديو ويدير التلفاز ويضايق أخته الكبرى. ويحاول والداه ممالقته وملاطفته ليجلس الى طاولة الدرس ويركز. وفي النهاية، قرابة العاشرة، يذهب الجميع الى النوم منهكين بعد كثير من البكاء والصياح.

أما في بيت ساره فالمعركة مختلفة. تجلس ساره باحساس بالمسؤولية الى طاولة الدرس مباشرة بعد العشاء. الا أن والدها يقف الى جانبها مراقباً كل جرة قلم ويقاطعها قائلا: "ليس هذا الجواب الصحيح يا ساره. الا يمكنك أن تجيبي على نحو أفضل؟" وبعد دقائق تبدأ ساره بالبكاء. وعندما تنجز الفرض يكون والدها أجاب هو عن معظم الاسئلة.

هل يبدو أي من هذين المشهدين مألوفا؟ بالنسبة الى الاختصاصي بعلم النفس



فريدريك م. ليفاين احد مؤلفي كتاب "كيف تربح حرب الفروض"[١] فإن ٨٠ في المئة من الخلافات العائلية بين زبائنه تتركز على الفروض المنزلية. وهو يقول: "تُحدث الفروض توترا كبيراً في العلاقات العائلية." وهو يعترف بأن الخلافات في عائلته أوحت اليه تأليف كتابه.

وللفروض المنزلية الآن أهمية أكثر من أي يوم مضى في الحياة التربوية لولدكم. وقد أظهرت الدراسات أن للفروض المدروسة والمصححة بدقة تأثيراً في النجاح الاكاديمي أكبر من تأثير أي عامل آخر كالدخل العائلي أو الوضع الاجتماعي أو الخلفية التربوية.

وثمة برنامج تقويمي متبع في ولاية كاليفورنيا يختبر التحصيل العلمي في المرحلتين الابتدائية والثانوية في كل من القراءة واللغة والرياضيات والتاريخ والاجتماع والعلوم. وفي أحدث اختبار اجري في مادة القراءة سئل التلاميذ عن كمية الفروض المنزلية التي كانوا ينجزونها يومياً. فتبين للباحثين ان تلاميذ الصف المتوسط الثالث الذين كانوا يعملون على فروضهم ساعتين كل مساء تقدموا على رفاقهم الذين لم ينجزوا أي فروض بـ٨٤ نقطة من أصل ٤٠٠ تشكل العلامة الكاملة، كما تقدموا بـ١٩ نقطة على أولئك الذين كانوا يعملون على فروضهم بين ساعة وساعتين يومياً. أما طلاب السنة الثانوية الاخيرة الذين عملوا ساعتين يوميا على فروضهم فتقدموا على الذين لم ينجزوا أي فروض بـ٦٣ نقطة وعلى الذين كانوا يعملون لمدة ساعة بـ٣٤ نقطة.

يقول بيل هونيغ مؤلف كتاب "الفرصة الاخيرة لاولادنا"[٢]: "انه لامر منطقي. فكلما صرفت مزيداً من الوقت على أمر ما جاء انجازك أفضل."

لكن الفروض المنزلية قيِّمة لاسباب أخرى أيضاً. فهي تعلِّم التلاميذ الانضباط والتوجيه الذاتيين، وتهذب عادات الدرس الحسنة وتنمي روح المبادرة.

والى ذلك يمكن الفروض ان تكون "الموازن الاكبر." ففي وسع ولدكم أن يلحق برفاقه أو يتفوق عليهم بمزيد من الدرس في البيت. ففي مقاطعة هولمز بولاية مسيسيبي مثلا استطاع أولاد عائلات فقيرة، كان بعض أهاليهم أميين، رفع علاماتهم على نحو مفاجىء عندما أشرف أولياؤهم على فروضهم من خلال برنامج خاص.

أخيراً، العادات الحسنة في انجاز الفروض تعزز نشوء علاقات عائلية أكثر انسجاماً. يقول ليفاين: "يحب الاولاد أن يعرفوا ما هو متوقع منهم. فاذا وضعتم برنامجاً للفروض ومجموعة واضحة من القواعد تتبع يوميـا، انتهت حروب الفروض."

ان دور الاهل في انجاز الفروض المنزلية حاسم في رأي التربويين، إذ ان المنزل هو في صميم نجاح الولد. وفي ما

(١) Winning the Homework War
(٢) Last Chance for Our Children

يأتي اقتراحاتهم لجعل الفروض أقل إتعابا وأكثر فائدة.

١. ابدأوا من اليوم الاول. ينصح ليفاين: "ان أعظم هدية يستطيع الاهل تقديمها الى أولادهم هي أن يبينوا لهم أن العلم مهم وأن هناك قواعد لتحصيله." وحتى ان كان ولدكم في مرحلة الحضانة ولا تتوجب عليه أي فروض منزلية، فخصصوا له بين عشر دقائق وعشرين دقيقة يوميا لتقرأوا له أو تتباحثوا واياه في دروسه اليومية. فذلك يعبر عن اهتمامكم بثقافته ويبين أن العلم يحصَّل في المنزل أيضا.

وتنصح بات غرين وهي مديرة برنامجٍ لاشراك الاهل: "لا تسمّوا ذلك وقتَ الفروض المنزلية، لانه يقود الولد الى التبرّم قائلا: لكنني لم أعطَ أي فروض اليوم! أو: لقد أنجزتها في المدرسة! سمّوه وقتا للدرس أو وقتا هادئا. واحرصوا دائما على أن يكون لدى الاولاد فروض، قراءة أو كتابة رسائل أو ترتيب ملاحظات أو تحضير للغد. بينوا لهم أن ما ينجزونه في المنزل لا يقل أهمية في التعلم عما ينجزونه في المدرسة."

٢. لا تقلقوا لايجاد مكان مثالي للدرس. ان منضدة مضاءة جيداً في غرفة نوم الولد ومجهزة بكل ما يحتاج اليه من أقلام وأوراق ومراجع هي المكان المثالي لبعضهم، وكأنها تناديه "تعال ادرس هنا." لكن أي مكان آخر هادىء خال من الالهاءات – وخصوصاً التلفاز – يفي بالغرض.

بعض الاولاد يكرهون زجهم في غرفة النوم، وبالنسبة اليهم قد تفي طاولة المطبخ بالغرض. السطح المستوي والكرسي الثابت المريح ضروريان للعمل الكتابي، وهما يخففان التعب واجهاد العينين. لكن الولد بعد جلوسه طوال النهار على كرسي الصف قد يفضل سريرا يقرأ عليه. تقول بات غرين: "اثنان من أولادي يدرسان على نحو أفضل وهما على سريريهما. لم أمانع في ذلك، بل اشتريت لهما طاولتين توضعان فوق الحضن."

٣. اتبعوا برنامجاً يومياً. يجب التقيد بمدة الدرس، ولكن ليس ضرورياً التقيد بالموعد ذاته طوال أيام الاسبوع. يمكن تنظيم البرنامج ليتوافق ودروس الموسيقى وتمارين كرة القدم ولقاءات الكشافة وحتى البرامج التلفزيونية المفضلة. الا أن مدة الدرس يجب أن تحافظ على الحد الادنى كل مساء، بصرف النظر عن كمية الفروض المعينة. ويتكفل ذلك بالولد الذي "ينسى" فروضه، كما يتكفل بالمتسرع الذي لا يفتأ يدعي: "أنجزت كل شيء!" سواء أكان انجازه خطأ أم صواباً.

وعندما تبدأ فترة الدرس يجب عدم مقاطعتها: لا طعام لا تلفاز ولا مكالمات هاتفية.

٤. قدموا المشورة ولا تعلّموا. هاريس كوبر أستاذ في علم النفس اختبر قضايا الفروض المنزلية. ويتذكر يوم عادت ابنته ايمي من دار الحضانة واخبرته بفخر أنها تعلمت ربط شريط حذائها. يقول: "راقبتها، فلم أستطع فهم طريقتها، فقاطعتها قائلا: هذه طريقة خاطئة، دعيني أريك الطريقة الصحيحة. ثم أدركت أنني أتصرف خلاف ما أنصح به الاهل. فعلمتها طريقة "أسهل" أربكتها تماماً. فنسيت كيف تربط شريط حذائها على طريقة المدرسة، كما لم تفلح في ربطه على طريقتي. وهكذا تعلمت أن أشجِّع التوصل الى النتائج لا السبل."

احدى اهم الغايات من اعطاء الفروض هي أن يكتشف المعلم مقدار فهم ولدكم شرح الصف. فاذا أنجزتم فروضه عوضاً عنه عرف المعلم مقدار ما تعلمون أنتم. ثم ان "المساعدة" تعطل هدف تشجيع الاستقلالية.

لكن ذلك لا يعني التمنع كلياً عن المساعدة خلال فترة الدرس. يترتب عليكم الجلوس بجانب ولدكم الصغير لترشدوه وتشرحوا له وتتأكدوا من فهمه أمثولته. وفي وسعكم أن تساعدوا أولادكم الاكبر سناً في التمارين والحفظ والتسميع. وفي وسعكم أيضاً أن تدعموا الشرح المدرسي. إذا كان ولدِك يدرس الكسور، ففي امكانك أن تحضري واياه كعكا محلى بالشوكولاته، وأن تضاعفي الكمية فتساعديه على تصور طريقة ضرب ثلاثة أرباع كوب من الطحين في اثنين.

٥. احفظوا سجلا للفروض. دعوا ولدكم يسجل دروسه اليومية في "مفكرة" واحدة ويعرضها عليكم. اطلبوا من معلمه أن يتأكد من أن كل درس مسجل في المفكرة. راجعوا لائحة الدروس مع ولدكم قبل أن تبدأ فترة درسه. ان سجل الفروض اليومية يساعد ليس فقط في توضيح ما يجب انجازه بل أيضاً في الغاء المكالمات الهاتفية المسعورة والمضيعة للوقت مع رفاق الصف حول الدروس اليومية، كما يلغي أعذاراً من قبيل "نسيت ورقة الفرض في المدرسة."

تحققوا من اتمام الفروض. يحبذ بعض المعلمين أن يوقع الاهل على الفرض ويؤرخوه. اذا لم تكن لدى ولدكم فروض ينجزها، اسألوا المعلم عن السبب. واذا كانت كمية الفروض تفوق الحد المعقول (أو كان الولد يدعي أن واجباته تفوق امكاناته) تحدثوا الى معلمه أيضاً. واذا كانت المدرسة لا تتبع سياسة فروض رسمية، اعملوا مع "رابطة الاهل والمعلمين" وادارة المدرسة لوضع سياسة كهذه.

٦. كونوا لولدكم مثالاً صالحاً. إذا كنتم لا تريدون أن يتلهى ولدكم أمام شاشة التلفاز عوضاً عن الدرس، فلا تشغلوا التلفاز. ولكي تثبتوا أن لكل فرد عملا، استغلوا فترة الدرس للقراءة أو لكتابة الرسائل. يمكنكم حتى أن تقولوا: "لننجز فروضنا الآن!"

بيّنوا، من خلال تصرفاتكم، أنكم تحبون القراءة، وسيقبل ولدكم على القراءة. بيّنوا أن عائلتكم تعتبر الرياضيات مادة مهمة، وسيعتبرها ولدكم مهمة أيضاً.

تذكروا أن ليس واجبا عليكم أن تعرفوا كل شيء. بعض الاهل ينفرون من الفروض لأنهم لا يشعرون بأنهم مؤهلون لحل مسائل الجبر أو مناقشة مسرحيات شكسبير. ذلك عمل المعلم. عملكم أنتم توفير الدعم والتشديد على قيمة الفروض. هكذا تساعدون أولادكم في بناء مستقبل يقوم على المسؤولية والاعتماد على الذات.

ادوين كيستر الابن
وسالي فالنتي كيستر ■



فقدان الكرامة

ادرك جدّاي ان العمل جزء اساسي من الحياة، فهما عاشا وعملا في مزرعة وسط بنسلفانيا تملكها العائلة منذ قرن ونصف قرن وقد كفتهما حاجتهما، فربّيا العجول للحصول على اللحم، والدجاج من اجل البيض، واعتنيا بالابقار من اجل حليبها وقشدتها اللذين صنعت جدّتي منهما الزبدة والجبنة.

ولم يُحدث الانهيار الاقتصادي في الثلاثينات تغييرات مأسوية في حياتهما، لكنه حمل اليهما سيلا لا ينضب من الرجال العاطلين عن العمل الذين تنقلوا من وظيفة الى اخرى حتى انتهوا امام بابهما. وصل اوّلهم ووقف امام باب المطبخ، بالغ التهذيب على رغم منظره المزري، فرفع قبعته وشرح لهما بهدوء انّه مضت عليه فترة من دون ان يتناول طعاماً، فحدّق إليه جدّي لبرهة ثم قال: "هنالك كومة من الحطب مرصوفة قرب السياج خلف مخزن الغلّة، اريد نقلها الى الجهة الاخرى. لديك ما يكفي من الوقت لتنهي نقلها قبل ان يحين وقت الغداء." وللحال، مدّ اليه يده الخشنة الملمس مصافحاً.

تقول جدّتي: "حدث عندئذ امر مدهش، فقد التمعت عينا الرجل الغريب وظهرت ابتسامة خلف شعيرات لحيته الناتئة، ثم هرول في اتجاه مخزن الغلّة." واضافت مقعداً الى المائدة وخبزت فطيرة بالتفّاح على عجل. لم يتكلم الغريب كثيراً خلال الغداء، لكنه غادرهما مستقيم الكتفين. قال لي جدّي: "لا شيء يحطّم المرء كفقدانه كرامته."

وبعد مدّة وجيزة، وفيما كان جدّي يصلح محشّة التبن في تخشيبة العدّة، ظهر رجل آخر يرتدي بزّة وفي يده حقيبة مخلّعة وطلب طعاماً. فخرج جدّي يلوّح بيديه نافضاً الغبار من حوله، وتطلّع اليه ثم صافحه وقال: "هناك كومة من الحطب عند السياج اريد نقلها الى خلف مخزن الغلّة، ايمكنك ان تقومَ بذلك؟ يسرّنا طبعاً ان تبقى للغداء." فوضع الرجل حقيبته على الارض ثم القى سترته فوقها بتأنٍّ وانطلق الى العمل.

تقول جدّتي انها لا تتذكّر كم من الغرباء شاركهما في وجباتهما خلال فترة الإنهيار الاقتصادي وكم مرة نُقلت كومة الحطب من مكانها.

س.هـ.

الحياة بعد نوبة قلبيّة

هل ثمة أمل في حياة طبيعية بعد نوبة قلبية؟

بعد انتهاء العرض التجريبي على ظهور الجياد في متنزه هايد بارك في لندن استعداداً لحفلة افتتاح البرلمان، قفلت عائداً الى مكتبي في مقر اسكوتلنديارد.[1] كان ذلك في الخامسة الا ربعا عصر يوم اثنين رمادي ماطر. وكان الرذاذ يتساقط هادئاً، وقد شعت الأنوار من السيارات ونوافذ المكاتب، ومع ذلك كانت ملابسي مبللة بالعرق. وكنت أتوق الى حمام ساخن وفنجان شاي.

لم يكن عليّ الا أن أطالع بعض الاوراق في مكتبي ثم أتوجه الى حفلة استقبال مسائية في السفارة التركية. لن يستغرق ذلك طويلا. كنت مرهقاً طوال ذلك النهار في ٢٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠، كذلك في اليوم الذي سبقه. وكم تمنيت أن أكون في منزلي متنعماً متكوّماً في فراشي.

فجأة انقضّ عليّ الألم. ثقل رصاصيّ

(١) اسكوتلنديارد شرطة لندن وخصوصاً دائرة التحري فيها.



PHOTOS: THE 849 SERVICE LTD.

ضاغط نزل على كتفي وانساب الى ساعديّ، فاستحوذ عليّ احساس حارق في حلقي. ناديت سائق سيارتي: "بوب! أسرع بي الى مستشفى سانت توماس."

من حسن حظي كمفوض شرطة أن صفارة إنذار وضوءاً أزرق وامضاً كانا مخبّأين تحسّباً في مقدم سيارتي الـ"جاغوار" السوداء الرسمية. وكان بوب سمولي شرطياً وسائقاً من الطراز الاول. فشغّل الصفارة والضوء معلناً حالة طوارىء. واجتاز زحمة السيارات بمهارة. وما هي إلّا دقائق حتى كنا في قسم الطوارىء في مستشفى سانت توماس.

قال لي سمولي: "إبق هنا يا سيدي المفوض." وهرع يطلب فريق الاسعاف.

عادت بي الذكرى الى عهد شبابي يوم كنت شرطياً أدعى الى التحقيق في حال انهار أحدهم فجأة ومات في الشارع العام. وكم من مرة كنا نُسرع بالمصاب الى المستشفى لنجده وقد فارق الحياة، فأدوّن في دفتر ملحوظاتي: "توفي فور وصوله."

ارتعبت وصممت على الصمود لئلا يُكتب ذلك عني. ورفعت نفسي عن المقعد الخلفي فخامرني شعور غريزي بدائي حضّني على الاستمرار في التحرك. بذلك قاومتُ تلك القوة الغامضة الضاغطة التي نزلت علي.

غمزة عين. في قسم الطوارىء، ادخلني طبيب شاب مهجعاً في غرفة الانعاش حيث أُجريت لي الاسعافات الفورية، وتمّ فحص ضغط الدم وتخطيط القلب لكشف أي خلل في النبض أو تلف في عضل القلب.

ثم صُورتُ بالأشعة السينية (إكس) لمعرفة ما اذا كانت رئتاي ممتلئتين بالماء كما يحصل عادة في حالات الاصابة بنوبة قلبية، أو للتحقق من احتمال إصابتي بعلة سابقة في القلب. وتلقيت حقنة من المورفين لتخفيف الألم في صدري، وأخرى من الستربتوكيناز لتسهيل تحلّل أي جلطة دموية قد تكون تكتلت في شراييني التاجية. كانت الحقنة قوية، فشعرت بالبرد فجأة وأخذت رجلاي ترتجفان بلا توقف.

وبينما كان الممرّض ينزع عني بزة ركوب الخيل ألمّ بي غثيان حاد فهتفت منتصراً: "هوذا سبب علتي! كانت بي تخمة ولا بدّ أني أشكو من سوء الهضم."

غير أن الطبيب الأنيق المجلّل بالشيب الذي انضم الينا هز رأسه بلطف وقال: "لا يسعني أن أوافق علي ذلك أيها المفوض، وعليّ ابلاغك أنك أصبت بنوبة قلبية." ذلك كان البروفسور رونالد برادلي مستشار وحدة العناية المركزة حيث كنت سأُنقل في كرسي ذي عجلات.

في طريقي الى غرفة العناية المركزة التقيت نائبي في اسكوتلنديارد السر جون ديلو الذي أخبرني أن زوجتي قادمة الى المستشفى. فقلت له: "عليك أن ترئس الاجتماع السياسي غداً اذا أبقوني الليلة هنا. فلا أخال أنهم سيسمحون لي الآن بالعودة الى العمل."

في غرفة العناية المركزة أُجري لي تخطيط ثان للقلب. وأولجت قثطرة في عنقي لتسهل على الممرّضين إمدادي بالحقن، وأخرى في شريان كُعبري في معصمي لتبيّن ضغط دمي على شاشة عارضة.

أخيراً نعمت بالهدوء. ولم يكن مرّ أكثر من ساعة على نزولي عن صهوة جوادي "إنكا" في هايد بارك. فجأة أحسست يداً ناعمة على يدي. تلك كانت يد إريس زوجتي. ثم جاء ابني سيمون وابنتي الكبرى إيلين. وكانت سالي صغرى أولادي الثلاثة طالبة تدرس الفن في برمنغهام، وهي في طريقها الينا.

حاوطتني العائلة، فشعرت في كنفها بسلام وغبطة هما أوفى مما يتاح لمن كان في مثل حالي. ولاحظتُ زوجتي وولديَّ يرمقون شاشة مراقبة جهاز التخطيط حيث يسجّل معدل النبض. فجأة نهضوا مذعورين إذ شاهدوا موجات التخطيط وقد ازدادت تسطّحا وغابت الأرقام عن الشاشة.

أخذ جهاز مراقبة التخطيط يرسل انذارات: "بليت! بليت!" فهرع المسعفون وعاجلني أحدهم بضربة عنيفة على صدري فيما سمعت الطبيب يحضّه: "تابع! تابع!"

إنها نوبة قلبية ثانية!

كان قلبي مصاباً باختلاج عضلي. وهذه حالة اضطراب تنقبض فيها ألياف القلب جميعها في فترات متفاوتة بدلا من أن تعمل متزامنة في عملية ضخ طبيعي.

وفي بعض الاحيان، من شأن ضربة قوية على الصدر أن تعيد القلب الى نبضه المنتظم. إنما ليس الآن!

حُقنتُ أدوية مسكّنة للألم. ثم حمل أحد الاطباء قطبَي الجهاز المانع للاختلاج فوق جانبي قلبي، وأطلق صدمة كهربائية بقوة ٤٠٠٠ فولط فكّت الاستقطاب الكهربائي دفعة واحدة عن كل الالياف، فعاد انقباضها منسجماً وعاد قلبي الى نبضه الطبيعي المنتظم.

استغرق تنفيذ هذا العمل المدروس أقل من دقيقة. وفيما ابتعدت زوجتي نحو الباب شاهدت الخوف متجلياً في عينيها. فأردت طمأنتها الى أن كل شيء سيكون على ما يرام. أردت أن أقول لها إني أحبها. ولما كنت عاجزاً عن الحراك فقد عبّرت لها عن ذلك بغمزة من عيني.

ذلك المساء اتصل البروفسور برادلي من منزله مؤكّداً لي أن كل شيء مضبوط جيداً. لكن إريس بقيت في المستشفى حتى الرابعة صباحاً.

صراع البقاء. في اليوم التالي، بعد البحث في شؤون الشرطة الملحة مع السر جون ديلو وسكرتيري الخاص، كرّست جهدي لأتعافى. أصغيت الى كل ما يجري حولي، مراقباً، وَجِلاً، مركّزاً طاقتي على البقاء حيا في الثواني والدقائق والساعات المتوالية. وبعد أسبوع أُبلغ الي أن في امكاني مغادرة غرفة العناية المركزة.

شعرت بفرح عظيم. لكني في الوقت

ذاته خشيت التخلي عن كل تلك الادوات والآلات التي كانت معي في رفقة دائمة. فطمأنتني احدى الممرضات: "لا تجزع، ولا تخش حصول أي خطأ، فنحن هنا، وستظل عيوننا عليك."

نُقلت الى غرفة في الجانب الآخر من المستشفى حيث نعمت بمنظر رائع لساعة "بيغ بن"[٢] ومبنى اسكوتلنديارد القديم الذي يضم حاليا مكاتب أعضاء البرلمان. وكنت عملت هناك من العام ١٩٥٦ الى العام ١٩٦٧، وعدت عام ١٩٨٥ برتبة نائب مفوض الى المكاتب الجديدة لشرطة العاصمة في شارع فكتوريا. وها قد بلغت الآن منتصف فترة السنوات الخمس المعيّنة لي كمفوض. ترى، هل ستُتاح لي العودة الى ممارسة نشاطي الفعلي في جهاز الشرطة؟ وهل ثمة حياة بعد نوبة قلبية؟

الواقع أني فكّرت في سجل عائلتي فغمرتني الكآبة لأني لم أجد فيه ما يشجعني. فوالدي أصيب بنوبة قلبية وهو في السنّ السابعة والخمسين، أي في سني، وتوفي بعد سبع سنوات. إلّا أنني منذ مدة أحافظ على ضغط دمي مضبوطاً بتناول أقراص دواء خاصة، وأتبع نظام حمية بغية خفض وزني نحو خمسة كيلوغرامات، وأخضع لعناية طبية متقدمة جداً بالمقارنة مع الخدمات الطبية التي كانت متوافرة في عهد والدي.

قال لي البروفسور برادلي: "لا تفرط الآن في رسم الخطط المستقبلية. إستكن، الوقت يساعدك على تحقيقها."

حكم بالجراحة. كان هدفي المباشر بعد ثلاثة أسابيع في المستشفى أن أتعافى تماماً. فمارست رياضة المشي بالقرب من منزلنا. وسار كل شيء على ما يرام، الى أن استيقظت ذات ليلة في الثانية فجراً، فسمعت حشرجة غريبة صادرة عني: "كليك! كليك! كليك!" كانت العلّة في جهاز تنفّسي. فبصقت دماً.

نقلت من جديد في سيارة إسعاف الى مستشفى سانت توماس. فبقيت مضطجعاً لشعوري بأني على وشك الاغماء. وارتعبت اذ أحسست أنني أفقد وعيي. ثم اشتدّ وهني في غرفة الطوارىء حيث راح النور يتلاشى أمام عيني. فهل تأتي ساعة الموت على هذه الصورة؟ الموت ينسلّ وئيداً فيتغلغل في الجسم هادئاً كأنه قوة طاغية تلقى الترحيب.

أفرطت في تخيلاتي. وحين استيقظت في التاسعة صباحا طمأنني البروفسور برادلي: "لا، هذه لم تكن نوبة قلبية أخرى، بل ربما أفرطت في التمرين مما سبب ضغطاً زائداً على القلب والرئتين. ولن تلبث الأدوية والراحة أن تحل المشكلة."

أُجريت لي الفحوص التي كانت مقررة في يناير (كانون الثاني). وعدت الى العالم الرائع، عالم التكنولوجيا الطبية العالية. كان الفحص الأهم، في الواقع، تصوير الأوعية التاجية[٣] الذي أجراه

(٢) Big Ben ساعة شهيرة في برج مبنى البرلمان في لندن، سميت كذلك تيمناً بمفوض الاشغال البريطاني الراحل السر بنجامين هول.
(٣) Coronary anglogram

طبيب القلب الهادىء والمطمئن الدكتور مايكل ويب ببلو المسؤول عن حالتي.

لم يكن الفحص مريحاً ولا سهلا. فقد أُولجت في أحد شرايين أربيتي (أصل الفخذ) قثطرة (ميل) تمّ دفعها وصولا الى الشرايين التاجية. ثم حُقن في القثطرة صبغ خاص أظهر على صور الأشعة السينية أن إحدى شعب الشريان التاجي الأيسر منسدّة كليا تقريبا.

ذلك كان سبب النوبتين اللتين نُكبت بهما. كان الانسداد كثيفاً وقاسيا تتعذر إزالته بواسطة البالون،[٤] وهذه تقنية يُنفخ فيها بالون في طرف القثطرة لتوسيع الشريان في مكان الانسداد. فاقتضى اللجوء الى جراحة مجازية.[٥]

تنبيهات مشجعة. في ٢١ يناير (كانون الثاني) عدت الى مستشفى سانت توماس. وفي الثامنة من صباح اليوم التالي أُدخلت غرفة العمليات حيث بقيت ساعتين ونصف ساعة تحت مبضع الجراح. بادىء الامر، عمد الجراحون، في اشراف جرّاح القلب غراهام فن، الى شق عظم الصدر للوصول الى الغلاف الليفي الذي يحتوي على القلب والى الشريان الثديّ الداخلي الأيسر الذي يمدّ بالدم جزءاً من جدار الصدر.

ثم وصلوا دورتي الدموية بآلة تقوم مقام القلب والرئتين، فتضخ الدم وتمدّه بالاوكسيجين. ووصلوا الشريان الثديّ الداخلي بالشريان المنسدّ في قلبي. وبذلك يتوفر إمداد جديد من الدم للجهة المعطوبة. تمت العملية من غير أن تحصل مشاكل ولا مضاعفات.

وأُعدت الى غرفتي قبل الحادية عشرة صباحاً. وأفقت على صوت إحدى الممرضات تكلم زوجتي. فناديت الممرضة: "قولي لزوجتي إني بخير وإني أحبها." وغمرني شعور رائع بالحيوية... وبألم ممزِّق.

أفقت لاحقاً من نوم عميق، فرأيت إريس وابنتي الكبرى إيلين الى جانب سريري. قلت لهما: "لن يُسمح لكما بالبقاء حتى انتهاء الجراحة." فذكّرتاني بلطف بأن الجراحة تمت.

عندئذ تذكرت جيداً ما حصل، وهممت بالسعال، لكني خشيت تقطع الأسلاك التي تشدّ عظم صدري. ومرّت أسابيع وأنا أحس ألماً عضليا في صدري وعنقي وظهري وساعديّ فيما كان العظم يشفى ببطء.

ساعدتني تنبيهات هيئة الاطباء على تفهم تقلبات المزاج التي ترافق الجراحات الكبرى. فمن شعور بالحيوية والأمل الى إحساس بالخيبة والاحباط. وأرتني إحدى الممرضات صوراً لمرضى مروا قبلي في وحدة العناية المركزة. كان بعضهم يلعب الكريكيت والغولف وبعضهم يشترك في سباق ماراثون. إلّا أن أياً منهم لم يرجع الى وظيفته مفوضاً لشرطة العاصمة. فهل أعود أنا؟

---

(٤) Angioplasty

(٥) Coronary bypass . وهي ما يعرف بجراحة "القلب المفتوح."



السر بيتر إمبرت وزوجته الليدي إريس في صورة حديثة.

كنت أمارس تمرين المشي بانتظام على آلة في المنزل، فأمشي بين خمسة كيلومترات وثمانية من دون انقطاع. وكلما زادت التمارين من قوتي ازدادت رغبتي في تحقيق طموحي. وقيل لي في المستشفى إن القصد من إجراء الجراحة المجازية ليس دفع ستة آلاف جنيه استرليني (نحو ١١ ألف دولار) والتسمّر بقية الحياة في كرسي ذي عجلات، وانما القصد أن يعود المرضى الى أعمالهم التي كانوا يزاولونها قبل الجراحة. وتظهر الدراسات أن ما بين ٧٥ و٨٠ في المئة من المرضى الذين يخضعون لجراحة في القلب يرجعون الى أعمالهم. ولم يعد ثمة سبب يجعل إصابتي بنوبة قلبية ثانية أكثر احتمالا من اصابة أي رجل آخر في مثل عمري. ولكن، ماذا عن الإجهاد؟

أجاب البروفسور برادلي: "في الواقع، بعض الذين يتعاطون أعمالا تتطلب دقة وعناية فائقة يصابون بمرض في القلب. كما يصاب به أشخاص لا يحرّكون ساكنا. وبعض الناس تتحسّن حالهم تحت وطأة الاجهاد."

كنوز حقيقية. بعد فحص طبي نهائي أجري لي بناء على طلب وزير الداخلية، وهو رئيسي المباشر، عدت مبتهجا الى عملي في اسكوتلنديارد. وكانت عودتي في ٢٩ ابريل (نيسان) ١٩٩١ بعد ستة أشهر تماما على إصابتي بالنوبة القلبية.

وما لبثت مشاكل الشرطة أن تراكمت على مكتبي، جرائم وعنف وإرهاب وإنذارات بتفجير قنابل وجرائم احتيال. ولكن، مهما يكن، فان عودتي الى فريق النخبة بعد معاناتي القاسية هي في ذاتها إنجاز رائع.

وعملا بنصيحة الدكتور نورمن جونز، الطبيب المستشار لدى شرطة العاصمة، غيّرت نمط حياتي. فخفضت ساعات عملي بعدما كنت أعمل ست عشرة ساعة يومياً، وفوضت كثيراً من مسؤولياتي الى معاونيّ. وبتّ أعمق ادراكاً لواقع الحياة، فصرت أعرف كم هي عزيزة وكم يتعلّق بقاؤها على ذلك الخيط الرفيع.

والآن، حين أجتمع بأحفادي الثلاثة، أحس أنهم الكنوز الحقيقية في العالم.

وعلاوة على إصغائي الى نصائح زوجتي إريس، عليّ أن أصغي أيضاً الى ابني سيمون الذي يمطرني – الى حد الازعاج – بأسئلته عن ساعات عملي وماهيته، ويحذّرني من مغبة الافراط في الجهد الذي يخشى منه عليّ، ويقول لي بكياسة: "الآباء والأجداد الطيّبون نادرون، وليس في نيّتنا أن نفقد مَن لنا."

فأردّ مؤكداً بثقة: "ليس في نيتي أنا أيضا الارتحال الى أي مكان. على الأقل، ليس في وقت قريب."

السر بيتر إمبرت ■

الكاتب مفوض شرطة لندن.



اقتصاد قروي

دار الحديث خلال احد اللقاءات القرويّة حول اسعار القمح والمواشي، فقال احد المزارعين: "مما لا شكّ فيه ان اسعار الحنطة لم تتغيّر ابداً." فنظر الحضور اليه مدهوشين، فاضاف: "عام ١٩٦٥، بعتُ غلّتي من الحنطة واشتريت بثمنها شاحنة جديدة من طراز العام ١٩٦٥، وهذه السنة، ايضا، بعتُ غلّتي من الحنطة واشتريتُ بثمنها شاحنة من طراز العام ١٩٦٥."

ل.ر.

عرس "البنيّة"

مع اقتراب موعد زفاف ابنتنا ليلى، وجدتُ وزوجي صعوبة في تامين النفقات اللازمة للعرس خصوصا بعدما تلكا زبائن مخزننا في دفع الديون المترتّبة عليهم. وفي النهاية قرّرت ليلى ان تحضّر الفواتير بنفسها وتبعث بها اليهم. فبدات الشيكات تردنا كالسيل وسدّد كل الزبائن فواتيرهم. وحين دقّقنا في احدى هذه الفواتير وجدنا ان ابنتنا قد اضافت في نهاية الصفحة العبارة الآتية:

"الرجاء ان تدفعوا بسرعة حتى يتمكن والداي من دفع مصاريف عرسي.

ليلى."

ب.ب.

تأملات معاصرة

المغامرة

ماذا نطلب من الحياة اكثر من العلم والحرية والجمال والمغامرة؟ الطيران يقرن كل هذه العناصر التي احبّ. فالعلم يتجسّد في كل ثنية معدن، في كل دعامة وكل عجلة، في الهندسة الفنّية وفي لون اللهب الذي ينفثه المحرّك. والحرية هي الآفاق الشاسعة ورحابة السهول حيث نحط. والجمال هو الاطار الأرضي السماوي الذي يحوط الطيار حين يحلّق كالعصافير فوق رؤوس الاشجار ويقفز فوق الوهاد والأنهار ويسبر الوديان الممتلئة غيوماً التي عرفها صغيراً. والمغامرة تحملها الينا كل هبّة ريح.

تشارلز ليندبرغ

الصواب والخطأ

نمضي حيّزاً كبيراً من حياتنا نحاول جاهدين اقناع ذواتنا، فضلا عن الآخرين، بان سعة مداركنا هي اكبر بكثير مما هي حقاً. ويمكننا، متى قبلنا جهلنا واقررنا به، ان نقف في مكتبة وننظر الى رفوف الكتب العظيمة متطاولة حتى السقف، ونحترم اكثر حينئذ الحكمة المجتمعة على مرّ العصور ونفهم في الوقت نفسه ان هذه الكتب عينها هي ايضاً الجنون المجتمع على مرّ العصور. لا احد معصوماً عن الخطأ. ولا غضاضة في ذلك، اذ لا يستطيع احد ان يَخْبر كل شيء. حتى في حقل خبرتكم، فكلما تعمقتم في دراستكم، كلّما ادركتم الأكثر عن القليل القليل، لكنكم في الوقت عينه، تعرفون الاقلّ عن الكثير الكثير.

تشارلز اسغود

الثقة

انظروا الى العلاقات الناجحة، ترون انها مبنيّة بين اصدقاء طيبين يعاملون بعضهم بعضاً باحترام ويتشاركون في القيم ذاتها ويثقون ببعضهم البعض. الثقة هي الاساس ولا احساس بالامان من دونها. والاحساس بالامان يجعل الشخص مرهفاً، حساساً لأدنى جرح وهذا ما يجعل علاقاته حميمة اكثر.

لوني بارباش

الصحافة

لمهنة الصحافة ميزة كبرى، فهي تمنح ممارسيها حسا فائقا يتيح لهم التعرف الى التهريج المبتذل الذي تقوم به السلطة واولئك الذين يسعون اليها او يمارسونها.

مالكولم ماغريدج - صحافي وناقد بريطاني

حيث الناس للناس

اذا لم يدرك احد حقيقة المشاكل التي عانيتَها، فمن الجلي انك لا تعيش في بلدة صغيرة.

جويس ستال

أيها السّائق رفقاً بالهواء!

هل أنت من أصدقاء البيئة أم من أعدائها؟ قيادتك تكشف حقيقتك

السيارات هي ملوِّثات الهواء الرئيسية في عصرنا. ففي كل يوم تنفث السيارات السياحية والشاحنات والحافلات ألوف الاطنان من الملوثات التي تحوي أكثر من نصف كمية أول أوكسيد الكربون ونحو ثلث كمية أوكسيد النيتروجين والهيدروكربون في الهواء الذي نتنشقه.

وكنا حققنا تقدماً في العقدين المنصرمين، إذ أصبح احتراق وقود السيارات أكثر فاعلية، وانخفض نفث الغازات بنسبة كبيرة، وبات الوقود أنظف وأنقى. إلا أن الافادة من هذه التحسينات تظل رهن التزامك أنت العناية بسيارتك.

حين يُطرح موضوع تأثير السيارات في البيئة، يعتقد معظم الناس أن ليس في امكانهم عمل أي شيء، وأن معالجة المشكلة هي مسؤولية الحكومة ومصانع السيارات وشركات النفط والوقود. ولكن ليس ثمة ما هو أكثر خطأ من هذا الموقف. ففي امكان كل واحد منا أن يفعل شيئاً مفيداً لدى قيادته سيارته، اذ يكفي أن نحرص على صيانة سياراتنا وأن نقودها بفاعلية.

تعمل السيارة الجديدة وفق مقاييس مثلى للنفث والضبط. ومسؤولية الحفاظ عليها لتفي بهذه المقاييس تقع أولا على صاحبها. وهنا بعض المعلومات التي تساعدك في المحافظة على "نظافة" سيارتك.

■ إبحث عن التسرّب.

معظم مواقف السيارات بؤر للزيوت المعدنية والسوائل الراشحة، مما يدل على عدم اكتراثنا وعنايتنا بسياراتنا. ونحن غافلون عن ملايين الليترات المهدرة التي ترشح من سياراتنا وتتبخر في الهواء.

إفحص طريق منزلك كل يوم. وإذا

وجدت تسربا، أصلح الثقوب التي تتسرب منها السوائل قبل أن يتفاقم الامر فتصبح العملية مكلفة. وتسربات الوقود هي الاكثر إضراراً بالهواء، لذا تنبغي معالجتها على الفور.

■ تفحص أنبوب العادم.

اذا أردت التأكد من سلامة محرك سيارتك، أدر إصبعك داخل أنبوب العادم. ففي الحالات المثلى، تكسو الاصبع طبقة خفيفة من مسحوق بني ضارب الى الرمادي. واذا تبيّن لك لون آخر، فقد يكون ثمة عطل في المحرك أو ضوابط النفث او المحوّل الحفّاز.[1]

■ أبقِ إطاراتك منفوخة جيداً.

إن نفخ هواء في الاطارات هو خدمة جُلّى للهواء خارجها. فالاطارات المنفوخة بحسب المعايير الصحيحة تخفّف مصروف الوقود وتقلل التلوث. ويجب فحص ضغط الهواء في الاطارات مرة على الاقل كل أسبوعين على أن تكون الاطارات باردة.

■ إعتنِ بمكيف الهواء اذا كانت سيارتك مكيّفة.

مكيفات الهواء في السيارات هي المصدر الرئيسي لتسرب غاز الفريون (كلوروفلوروكربون).

لذا يتعين أن يكون المكيف محكم السد. والوقاية الفضلى من التسرّب هي صيانة المكيف سنويا، أي تفكيكه وإصلاح ما قد يبرز فيه من أعطال. وفي الشتاء، شغّل مكيّف الهواء لأن ذلك يساعد في إبقاء الأختام مزيتة فتحول دون تسرب غاز الفريون.

■ تفحّص شرّاقة الهواء.[2]

ينجم خطر رئيسي من الشراقة (المخنقة) الآلية التي تدفع مزيجا سخيا من الوقود الى المحرك، فتخرج مقادير غير محترقة من الهيدروكربون عبر أنبوب العادم.

اذا أُعدت الشراقة بحيث تدخل مزيجاً ضئيلا، فلن يدخل المحرك البارد مقدار كاف من الوقود، ولن يدور المحرك إلا بصعوبة.

واذا أُعدت الشراقة لمزيج غني، طالت فترة انغلاقها وفاض الوقود في المحرك واستمر دورانه على هذه الحال حتى بعد أن يحمى. إن ضبط الشراقة هو من اختصاص الميكانيكيين.

■ لا تدع الزيت يحترق.

اذا رأيت دخاناً أزرق أو أبيض ضارباً الى الزرقة خارجا من أنبوب العادم، فذلك دليل على أن سيارتك تحرق الزيت وأنك تتسبب في التلوث. فيتعين عليك فحص المحرك.

■ إفحص أنابيب الهواء.

ثمة أجزاء مهملة تحت غطاء المحرك

---

(١) Emissions control; catalytic converter

(٢) الشراقة (choke) صِمام لقطع الهواء عن المكربن.

هي أنابيب الهواء الخاصة بالمكربن (الكربوراتور) والبخاخ.[3]

والأنابيب نوعان: أنابيب الهواء النقي التي تزود المحرك هواء من الخارج حين يكون حامياً، وأنابيب التحمية التي تمدّ المحرك البارد لدى إدارته بهواء مسخّن. وهذان النوعان من الانابيب يشبهان خراطيم ضخمة متغضنة.

تفحص هذه الأنابيب لبضع دقائق وثبّتها اذا وجدتها مرتخية. واذا كانت تالفة فيتعين إبدالها. إنها قليلة الكلفة نسبياً.

▪ إستخدم مصافي نظيفة.

إن مصفاة الهواء الوسخة تجعل المحرك يستهلك مزيداً من الوقود مما يسبّب تلوثاً نحن في غنى عنه. فالمصافي الوسخة أو المنسدّة سبب رئيسي لأداء ضعيف، خصوصاً في السيارات المزودة بخّاخات. أبدل المصافي بعد كل فترة بحسب ارشادات كتيّب الصيانة الخاص بسيارتك.

▪ أبدل الزيت في فترات منتظمة.

إن غيار الزيت أمر ضروري، والافضل أن يكون الزيت المستخدم من النوع الذي يزيد فاعلية الوقود. إتبع في الغيار الجدول الزمني الموصى به في كتيّب الشركة المنتجة، أو اعتمد تغيير الزيت والمصافي مرة على الاقل كلما قطعت مسافة ٥٠٠٠ كيلومتر أو مرة كل ثلاثة أشهر.

تأكد من أن يكون قضيب قياس الزيت ملامساً قعر الخزان (الكارتير).

▪ كن ملماً بأجهزة ضبط الابخرة التي ينفثها العادم.

كل السيارات المصنوعة بعد العام ١٩٧٥ مجهزة بنوع من أنظمة ضبط نفث الغازات. وعليك أن تكون ملماً بالنظام الموجود في سيارتك.

فمن السهل اجراء فحص عياني تتبيَّن فيه الامور الآتية: هل كل الاسلاك مربوطة؟ هل من خراطيم أو أنابيب مرخية؟ هل المصافي وسخة؟ هل الأحزمة متينة وغير تالفة؟ فمهمّ أن تكون ضوابط النفث فاعلة في كل الاوقات. والسيارة يمكن أن تسير وان تعطل اثنان من أجهزة التحسس[4]، إلا أنها تنفث ملوثات تبلغ عنان السماء. أما السيارة المضبوطة والمعيّرة كما يجب فتنفث حداً أدنى من الابخرة.

▪ إحرص على أن يكون محرك سيارتك مضبوطاً دائماً.

إن المكربنات والبخاخات الوسخة ومصافي الهواء المنسدة والبلاتين وشمعات الاشعال التالفة وجهاز الاشعال المهمل لا تتسبب في هدر الوقود وخفض أداء المحرّك فحسب، بل تتعدى ذلك الى زيادة حجم النفث. لذا يتعين إجراء عملية ضبط وتعيير كاملين للمحرك تشمل فحص

(٣) Carburetor and fuel-injection air ducts

(٤) Sensors

أجهزة ضبط التبخر والنفث واصلاحها اذا اقتضى الامر.

■ **ثق بحواسك.**

إن حواس النظر والشمّ والسمع واللمس قد تنبئك بالكثير. فكلما شممت رائحة غير عادية أو رأيت ثقبا أو سمعت صوتا أو شعرت باهتزاز، كان ثمة خطأ في مكان ما من السيارة. فبادر الى فحص سيارتك للحدّ من الضرر قبل استفحاله.

الى طرق الصيانة التي تحفظ سيارتك في أوج أدائها، ثمة أيضا تقنيات قيادة تتيح تخفيف استهلاك الوقود، مما يوفر المال ويخفض الملوثات. هنا بعض من تلك التقنيات:

■ **تجنب ما استطعت ادارة المحرك وهو بارد، وقلل الرحلات القصيرة.**

فالمحركات الباردة نكبة على سيارتك وعلى جيبك وعلى الهواء. لا تحرك السيارة حين يكون المحرك بارداً إلا في حالات الاضطرار.

إن إشعال المحرك وهو بارد للذهاب في رحلات قصيرة من ثلاثة كيلومترات أو أقل، قد يخفض معدل الكيلومترات التي تقطعها السيارة بكمية الوقود الى ١٠ في المئة من طاقة المحرك وهو ساخن. فاشعال المحرك البارد والقيادة مسافات قصيرة يؤديان الى نفث ملوثات تزيد على ما يُنفث في كل القيادات الاخرى.

■ **تجنب ابقاء المحرك دائراً فيما السيارة متوقفة.**

دوران المحرك في اثناء توقف السيارة لا يوصلك الى أي مكان، بل يولّد مقداراً كبيراً من التلوث.

■ **إضغط الدّواسة برفق.**

ان طريقة ضغطك الدواسة تنعكس في مقدار الغازات الخارجة من العادم. وقد دلّت التجارب على أن الانطلاق السريع قد يحرق وقوداً يزيد ٥٠ في المئة على الاستهلاك في الانطلاق الطبيعي، وبذلك يزداد معدل النفث بنسبة ٥٠ في المئة. تخيّل أن هناك بيضة نيئة بين الدواسة وقدمك، ودُس برفق بحيث لا تكسرها.

وتخفيف السرعة فجأة قد يتسبب أيضاً في نفث مقادير كبيرة من الغازات. فاذا رفعت قدمك فجأة عن دواسة الوقود فيما السيارة منطلقة بسرعة ١٠٥ كيلومترات في الساعة، فسوف يحصل خواء (فراغ) كبير في المحرك يشفط فائضاً من الوقود. السيارات القديمة تسبب تلوثاً كبيراً لدى تخفيف السرعة فجائيا. ومع أن السيارات الجديدة مزودة أجهزة تخفض مقادير النفث في حال تخفيف السرعة، ففي إمكانك أنت أيضاً المساعدة في ذلك. إرفع قدمك برفق عن الدواسة فتتيح للمحرك وقتا ليعدّل ذاته.

■ **قُد سيارتك ضمن "السرعة الاقتصادية."**

في المدينة التزم سرعة تراوح بين ٥٠

و٧٠ كيلومتراً في الساعة، فهذه تصرف مقداراً أقل من الوقود وينجم عنها نفث أقل مما لو قُدت بسرعة ٣٠ كيلومتراً في الساعة.

■ إلتزم سرعة ثابتة في قيادتك.

يكون النفث في حده الادنى عندما تسير بسرعة ثابتة هي ١٠٠ كيلومتر في الساعة. أما ترجح السرعة بين ٨٠ كيلومتراً و١٠٥ كيلومترات في الساعة فيولّد مزيداً من الملوثات ويزيد استهلاك الوقود. لا تقترب كثيراً من السيارة التي تتقدمك لأن ذلك يدفعك الى ضغط الكابح والتسريع تكراراً وفقاً لسرعتها.

■ حافظ على زخم السيارة.

إبقاء السيارة متحركة عامل مفيد، لأن استهلاك الوقود في انطلاقة السيارة بعد توقف تام هو أكبر من استهلاكه عندما تنطلق من مسيرة بطيئة. وبتفاديك التوقف التام ما أمكن، تساعد في حفظ الهواء نقياً.

■ أسرع في إقفال فتحة خزان الوقود بعد تعبئته.

تنبعث في الجو مقادير كبيرة من الوقود الذي يتبخر لدى تعبئة خزانات سياراتنا. بعد التعبئة أعد غطاء الخزان سريعا وأقفله باحكام، ففي بضع ثوان تتسرب كميات من بخار البنزين حتى عبر الفتحة الصغيرة.

أبدل حشية غطاء الفتحة اذا وجدتها بالية. ولا تقد سيارتك، وإن لمسافة قصيرة جداً، من دون هذا الغطاء.

■ إملأ الخزان ولكن لا تجعله يفيض.

كلما قللت عدد مرات التعبئة قلّت فرص التبخر. اترك بعض الفراغ في أعلى الخزان تحسباً لتمدد الوقود الى حد الفيض. في كثير من السيارات الجديدة سبل وقاية من فيض الوقود، لكنها غير متوافرة في السيارات القديمة.

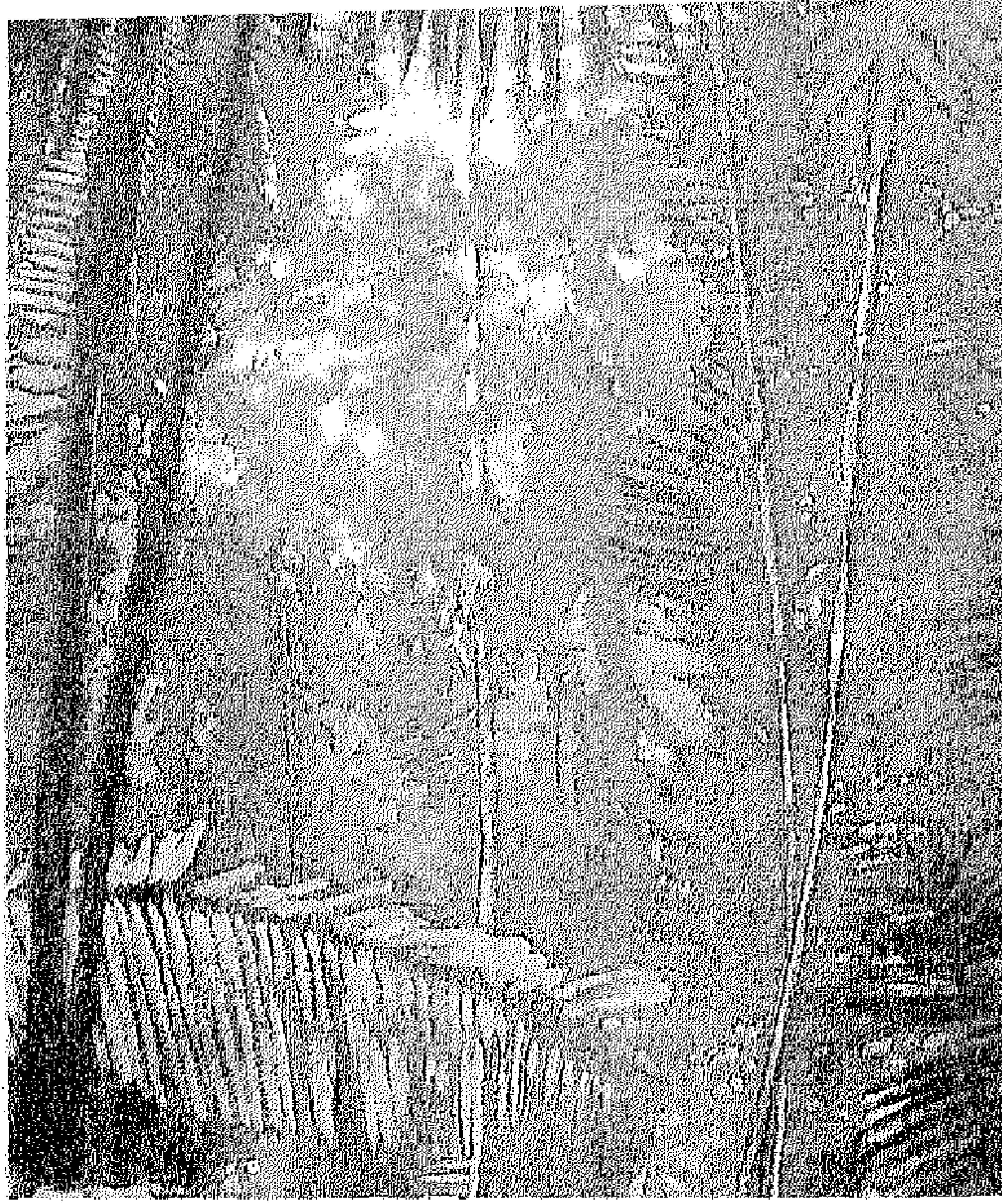
ما إن تتعلم صيانة سيارتك وقيادتها بالسبل الفضلى حتى تصير تلك العادة عندك طبيعة ثانية. إن تنظيف البيئة من القاذورات، والتخلص من النفايات الكيميائية والاشعاعية الخطرة، وغرس الأشجار، هي جميعها اجراءات مفيدة.

إلّا أن أكثر التدابير ايجابية بالنسبة الى البيئة هو اعتناؤك بسيارتك وقيادتك إياها بمسؤولية وانضباط.

روبرت سيكورسكي ■

الرجال رجال قبل أن يكونوا محامين أو أطباء أو تجاراً أو صناعيين. فاذا صنعتم منهم رجالا قادرين وعقلاء، فسيصنعون من أنفسهم محامين أو أطباء أو تجاراً أو صناعيين قادرين وعقلاء.

جون ستيوارت ميل، فيلسوف واقتصادي بريطاني



قصة من واقع الحياة

طبيب في الأدغال

عطلة في افريقيا تحولت صراعاً للبقاء

اشتدت قبضتا الدكتور ليونسيو برافو سلفادور على مقود سيارته إذ انتهت الطريق المعبّدة الى درب وعرة مكسوة بالغبار الأحمر. وبعد اجتياز بضعة كيلومترات اكتنف الطريق غاب استوائي كثيف وظهرت أمامه لافتة كُتب عليها "شلالات بوبارا" وهي الشلالات العظيمة التي كان الدكتور سلفادور وزوجته كلير وولدهما كريستيان (١١ عاما) يقصدون مشاهدتها في نهاية عطلتهم في افريقيا.

كان ذلك يوم الاربعاء في ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١. إنه فصل الخريف في وطنهم فرنسا، أما هنا في هذه الزاوية من جنوب شرق الغابون فها هم يتصبّبون عرقاً بفعل حرارة خانقة بلغت ٥٠ درجة مئوية.

وعلى رغم الحرارة الشديدة غمرتهم النشوة وشعروا بالارتياح إذ شارفت رحلتهم نهايتها بعد مسيرة ٣٥ كيلومتراً من بلدة فرنسفيل.

كان سلفادور رجلا نحيف البنية قصير القامة ودوداً مولعاً بالتصوير ويكنّ حباً عميقاً لافريقيا. هذا الطبيب المولود في اسبانيا رأى في الغابون، التي كانت في الماضي مستعمرة فرنسية، فردوساً أرضياً.

لدى وصولهم الى نهر أوغويه أوقفوا السيارة قرب محطة لتوليد الكهرباء. ثم، بارشاد أحد الصبية من السكان المحليين، قطعوا جسراً مجدولا من نبتات معترشة صعوداً الى الشلالات المتساقطة من علو ١١ متراً والمتدفقة عبر حافة صخرية يزيد طولها على ٢٠٠ متر. وبالقرب من الشلالات تقوم بلدة بوبارا وفيها أكواخ متفرقة وملجأ سياحي.

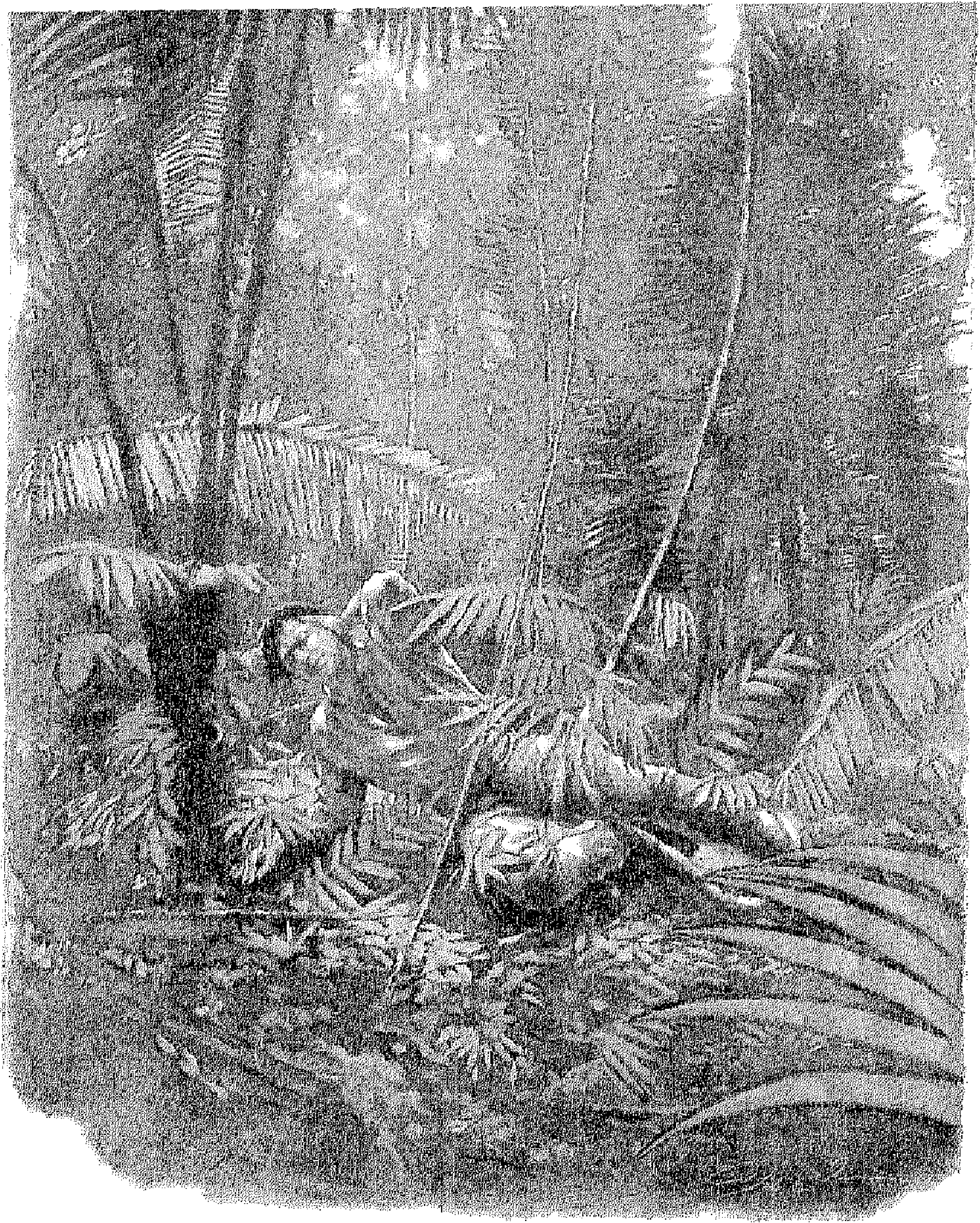
دلّهم الصبي الى الممر الذي يتعيّن عليهم سلوكه عبر الاشجار. وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر، فلاحظ سلفادور أن النور في الغابة ضعيف لا يتيح له التقاط صور. فصمم على الارتقاء الى مكان أعلى وترك عائلته من دون أن يقول لأحد شيئاً. وبينما كان يتلمّس طريقه وسط الدغل الكثيف، شعر فجأة بألم خاطف في رأسه وانهار. لكنه فيما كان يهوي لمح أربعة أقدام سمر وتلقى ضربة ثانية أسقطته مغمى عليه. وتاه في فراغ وظلام.

أين سلفا؟ فكرت كلير، وهي تتبع الصبيين صعوداً في الغابة، أن من عادة زوجها المضي بعيداً في طلب المغامرة، وقدرت أنه سيلاقيهم بعد قليل مختصراً الطريق. لكن سلفادور لم يكن ينتظرهم لدى بلوغهم الشلالات. فارتاعت كلير ونادته، غير أن الشلالات الراعدة طمست كلماتها. وفكرت: أتراه انزلق الى هذه الأعماق؟

على أن ثمة فكرة واحدة شجعت كلير وقوّت عزيمتها النازعة الى الوهن، وهي أنه سبق لزوجها أن جبه الخطر مراراً وتحدى القنابل والرصاص في اقليم بيافرا السوداني حيث كان يعمل جراحاً ميدانياً خلال الحرب الأهلية بين ١٩٦٧ و١٩٧٠، وبقي حياً سالماً. ولدى مجيئه الى الغابون عام ١٩٧٠ كان عليه مكافحة سوء التغذية والامراض الواسعة الانتشار. وفي قرية أوكوندجا شمال فرنسفيل سُلِّم مستوصفاً يفتقر الى الكهرباء والماء والأدوات الصحية، فحوّله وحدة جراحية حسنة التجهيز، ومن خلال عمله تعرّف الى جيروم أوكندا وزير الصحة في الغابون.

نشأت بين سلفادور وأوكندا صداقة متينة في السنوات التي تلت. وكانت تلك أياماً رضية تُوّجت بالحب المشبوب بينه وبين كلير. كانت كلير مهندسة فرنسية أصغر منه بثلاثين عاماً، تعلمت فن التمريض بالممارسة والخبرة رغبة في البقاء الى جانب سلفادور. وعام ١٩٧٧ عادا الى فرنسا حيث تزوجا. وبعد ثلاث سنوات ولد ابنهما كريستيان.

وها هم الآن في الغابون ضيوف على أوكندا الذي كتب الى الزوجين في



عيادتهما الصغيرة في ماندليو جنوب فرنسا رسالة يدعوهما فيها الى قضاء عطلة معه في فرنسفيل، فسارعا الى تلبية دعوته. وكانت الرحلة رائعة كما ترقبا... حتى تلك اللحظة حين وجدت كلير نفسها أمام الشلالات تنادي زوجها هلعة فيضيع صوتها في عباب المياه الهادرة.

أفاق سلفادور فألفى نفسه مبللا. وشعر ببرد وألم في صدره. كانت أذنه اليسرى مشرومة ورأسه متورما. وطغى على مسمعه هدير عال جعله يخشى أن يكون ثمة كسر في جمجمته. كان عاجزاً عن سماع أي صوت آخر. لقد أصيب بالصمم!

غاب سلفادور عن الوعي ثانية، وعندما أفاق اكتشف رهبة واقعه في الضوء الخافت. فالنبتات المعترشة كانت تطوّقه،

واختفت آلة التصوير التي كان يحملها وأفرغت محفظة جيبه من محتوياتها. إلا أن ساعته بقيت مخبأة تحت ثنية كم قميصه. وكانت عقاربها تشير الى الثامنة صباح الجمعة في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني). لكنه حين رأى كلير وكريستيان للمرة الاخيرة كانت الساعة الرابعة بعد ظهر الاربعاء.

لقد مرت عليه ٤٠ ساعة وهو فاقد الوعي!

تمشيط الغابة. تمالكت كلير نفسها حين نادت زوجها فلم يرد. فتوجهت مع كريستيان الى السيارة علها تجده داخلها، فيما هرع الصبي الغابوني ليطلب النجدة. ثم قصدت كلير الملجأ السياحي حيث لم تجد هاتفاً. وأخيراً ذهبت الى محطة توليد الكهرباء حيث أملت الحصول على مساعدة.

سمح لها مدير المحطة جان كلود هوميز بالاتصال بأوكندا لكي يرسل نجدة. وعلى رغم انحسار ضوء النهار وغزارة المطر، أصرّ أوكندا على تفتيش المنطقة للحال. فاصطحب كلير وكريستيان في سيارته المعدة لجميع أنواع الطرق وقطعوا مسافة ٧٠ كيلومتراً ملتفين في اتجاه فرنسفيل، اذ لم تكن ثمة طريق أخرى للعبور فوق نهر أوغويه.

مرت ساعات وهم ماضون في السيارة التي راحت ترتطم هنا وتنزلق هناك على أرض الريف الوعرة، وعيونهم شاخصة في كل اتجاه علّهم يلمحون شيئاً أبيض في ضوء المصابيح الامامية. وكانت كلير تبتهل: "يا رب، دع سلفا يرى هذه الاضواء. المطر ينهمر بغزارة وسيرتجف في البرد الذي يصل الى العظام."

لكن الظلام الدامس لم يكشف لهم شيئاً.

كانت الساعة تجاوزت منتصف الليل حين عادت كلير وكريستيان مع أوكندا الى فرنسفيل. وكان أوكندا أخطر المسؤولين الأمنيين الذين وعدوا بالمساعدة في اليوم التالي. أما كلير فلم يغمض لها جفن تلك الليلة.

صباح اليوم التالي انضم أوكندا وكريستيان وكلير الى رجال الدرك في محيط الشلالات حيث راحوا يمشطون المنطقة. لكن البحث توقف حين رجعت العاصفة لتضرب المنطقة من جديد. وبعد الظهر أعارهم نادي الطيران المحلي طائرة استطلاع صغيرة. ولكن كيف السبيل الى تبيّن أي شيء تحت غطاء الغابة الكثيف؟ ولما جنّحت الطائرة قريباً من النهر وفوق السهول تصوّرت كلير سعير الحرارة اللاهبة على الأرض تحتها. وفكرت: الى متى يستطيع رجل الصمود في ذلك الجحيم؟

غراء في الفم. حدق سلفادور الى الغابة حوله. كان الالم الناجم عن تمزق أضلاعه والضجيج الصاخب في رأسه عذاباً مبرحاً. لكنه كاد لا يرى شيئاً. فالأشجار الظليلة الباسقة حجبت النور. وارتسمت في مخيلته صور الافاعي

الافريقية السامة التي قد تشبّ عليه في أي لحظة وتلدغه بجرعة سم قاتلة في أقل من ١٥ دقيقة. ولم ينسَ ذباب الـ"تسي تسي" مصاص الدماء الذي يحمل مرض النوم والموت.

مرّ يومان وسلفادور لم يذق طعاماً ولا شراباً. فحاول أن يصرف أفكاره عن الجوع والظمأ ويركزهـا على كلير وكريستيان وأوكندا. وسيطر عليه شعور بالذنب لما سبّبه لهم من قلق، وفكّر: "انهم في انتظاري الآن. يجب ألّا استسلم." وصلّى: "يا إلهي، أعطني القوة لكي أجد طريقا للخلاص."

وفيما هو يبحث حوله عن منفذ ما إذا به يحظى بعصا طويلة تركها مهاجموه. ففرح بها وأصبحت له سنداً في صراعه للخلاص من شرك الغاب. وفيما كان يضرب بالعصا ليشق درباً وسط الدغل الكثيف الشائك، تمزق قميصه وسرواله وتجرَّح جسمه. فتذكّر ما يقوله السكان المحليون: "اذا أمسك بك الغاب فلن يرخي قبضته."

عرف سلفادور أن أكل الأوراق أو ثمار العلّيق يعجّل في موته لأنه سيصاب بالديزنطاريا (الزحار) أو بالتهاب غشاء المعدة. وفيما كان يتخبط في مشيته على غير هدى وصل الى فسحة في السهل حيث انكشف له الضوء. وشاهد طائرة فحاول التلويح لها، لكنها انعطفت سريعاً في اتجاه الشمال. كان ذلك في ساعة باكرة من قبل الظهر، وكانت الحرارة خانقة، فأصبح ريقه كالغراء.

كان السبت اليوم الأخير في عطلة آل سلفادور. وقد حُددت تلك الليلة موعداً لعودتهم في الطائرة من ليبرفيل عاصمة الغابون الواقعة على بعد ٤٠٠ كيلومتر. لم يكن سهلا على كلير نسيان العيادة ومدرسة كريستيان. ولكن هل تقوى على مغادرة الغابون ومصير زوجها ما زال غامضاً؟ لذا قررت إلغاء بطاقة السفر والعودة مع أوكندا الى بوبارا حيث انضم ثلاثون عنصراً من رجال الدرك الى فريق البحث.

عيون ضفادع. تطلّع سلفادور الى ساعته، فكانت تشير الى التاسعة صباح السبت في ٩ نوفمبر (تشرين الثاني). ففكّر: "الليلة موعد سفر كلير وكريستيان الى نيس." كان مخزونه من الشجاعة بدأ يتضاءل. ففي الامس أعاده بحث يائس عن الماء الى الغابة متتبعاً آثار أقدام الفيلة التي قادته الى حفرة ماء. فشرب حتى ارتوى وصمّم على قضاء الليلة هناك يعبّ من الماء ما طاب له، ويخرج في النهار الى السهل المكشوف علّ طائرة عابرة تكشفه، ويسير شمالا في الاتجاه الذي انعطفت فيه الطائرة قبلا الى العالم المتمدّن.

وهكذا اتبع سلفادور نمطاً نموذجيا في ملحمة عودته ومعاناته: في المساء كان يحشو داخل قميصه بالأوراق لتشكيل واقٍ عازل من هبوط درجة الحرارة. ومن شأن الحشوة أيضا أن تمتص سمّ أنياب الافاعي. وحنّط جسمه بالطين متمرغاً فيه

كأنه فرس نهر. وكان الاقزام الذين عالجهم سابقا علّموه هذه الحيلة لاتقاء ذباب الـ"تسي تسي" وبعوض الملاريا. أما الخطر الأكبر فتمثل في ذباب صغير أسود يندفع داخل الأنف والفم والأذنين حاملا طفيليات قد تسبب العمى. لذا لجأ سلفادور الى حيلة أخرى تعلّمها من الاقزام حيث يمسك بفمه نبتة سرخس (خنشار) كبيرة يغطي بها وجهه كحجاب، فيما يضع أوراقا أصغر حجما في أذنيه كأنه يحشوهما بالقطن.

وقدر سلفادور أن عليه أن يشرب ثلاثة ليترات من الماء كل ليلة. فحفر الى جانب فراشه الطيني حوضا صغيرا ليمتلىء بماء المطر.

ليلة الجمعة، انحنى ليشرب، فاذا به يرى جدارا من أنوار زرق. كان ذلك سربا من ضفادع الطين الكبيرة وقد انتشرت حول الحوض وهي تحدق اليه بعيون حادة تلتمع في الظلام. لم يكن في امكانه الّا أن يتصوّر نقيقها، لأنه فقد سمعه.

نهار الاحد ضاقت كلير ذرعا بخيبات فرق البحث. ولم تكن راغبة في الاتصال بالعيادة في فرنسا لأن ذلك اعتراف بأن سلفادور قد مات. ولكن كيف السبيل الى الغاء مواعيد المرضى؟ قال لها كريستيان: "لا تبكي يا ماما." لكنها عجزت عن كبت أساها.

آمال زائلة. الخامسة صباح ١٢ نوفمبر (تشرين الثاني) استيقظ سلفادور على دغدغة دافئة ونسيم عليل، فأدرك قبل أن يفتح عينيه أن ثمة فيلا يتفحصه بخرطومه وأن النسيم العليل ليس سوى الهواء الذي تحركه أذنا الفيل الكبيرتان كمروحتين. وما إن همَّ بالنهوض حتى ولى الفيل مذعورا. لقد أسعده الحظ، اذ كان ممكنا أن يدوسه الفيل فيسحقه.

خرج سلفادور من الدغل الى السهل الفسيح ليصحح وجهته ثانية، فوقع نظره على شجرة أكاسيا فقصدها علّه يجد بعض الراحة في ظلها. لكنه عندما بلغها شاهد آثار أقدام اتضح له أنها آثار قدميه هو. فقد كان يسير دائريا في حلقة مقفلة. قال في نفسه: "عليّ ألّا أكون انهزاميا. يجب أن أستمر في الكفاح." فالتقط عكازه ومشى مجهدا في اتجاه الشمال، مدركا في قرارة نفسه أنه لن يستطيع الاستمرار طويلا، لا جسديا ولا عقليا.

بزغ فجر الاربعاء فيما كان سلفادور غارقا في نومه. وشعر بلسان يلحسه، فمدّ يده فلامست خطما مكسوا بالشعر، وسمع شخيرا هائلا، فقفز مرتاعا ليشاهد خنزيرا بريا يعدو هاربا وهو يطلق صراخا طويلا حادا. سمع سلفادور صراخه ففكر: "انني أسمع! الحمد لله. يا رب، لا تدع أوكندا وكلير ييأسان ويوقفان البحث عني."

في ساعة مبكرة من ذلك الصباح تراءى له أنه كشف موقعا جديدا في مكان بعيد وراء الغابة. فهل كانت عيناه تخدعانه؟ أدرك تدريجا ان تلك مزرعة صنوبر يستثمر شجرها في صناعة عيدان

الثقاب. فابتهج وهتف: "المدنية!" لكن الليل أطبق واكتنفته ظلمة الغاب الموحشة قبل بلوغه المزرعة.

في تلك الليلة انحبس المطر واشتد ظمأ سلفادور حتى كاد يُجنّ. وزاد في عذابه إدراكه أن خلاصه، وإن بدا محتملا جداً، ما زال بعيداً.

تلاشى أمل كلير في العثور على زوجها، فطارت الى ليبرفيل لطلب مزيد من المساعدة. وكانت اللامبالاة وبلادة الاجراءات البيروقراطية تزيدان من كربها.

ثم اتصلت بها السلطات الطبية في نيس طالبة منها العودة لتنظيم شؤون العيادة. لذا أقنعها أوكندا بالعودة مع كريستيان واعداً اياها بأن يهتم بالأمر شخصياً الى أن تعود.

كانت الساعة ١١،٣٠ ليل الاربعاء موعد إقلاع الطائرة من ليبرفيل، لكنه أرجىء أربعاً وعشرين ساعة بسبب إضراب طارىء. في تلك الليلة نامت كلير منهكة وعيناها مخضلّتان بالدموع.

"أنا سلفادور!" بزغ فجر اليوم الثامن، الخميس في ١٤ نوفمبر (تشرين الثاني)، واستيقظ سلفادور في الخامسة صباحا فشعر بجفاف شديد في فمه وظمأ قاتل كاد يدفعه الى الهذيان. ثم ألفى نفسه عالقاً في أخدود لا يبعد عن مزرعة الشجر سوى أمتار قليلة. وفي الثامنة صباحا أيقن أنه سمع أصوات سيارات.

فتشجع وحاول تسلّق الأخدود ست مرات فأخفق. أخيراً تمكّن من رفع جسمه نصف المسافة وحشر نفسه بين النبتات المعترشة. الا أنه لما حاول متابعة تسلّقه رأى أن النبتات المتشابكة تسدّ طريقه. فقال في نفسه: "هذه هي النهاية. فهنا سيكون مثواي."

واذا به يسمع أصواتاً، فصاح: "من هناك؟"

ساد سكون في الغابة، ثم صاح ثانية: "هل هناك أحد؟ أنا سلفادور!"

– إنه الدكتور سلفادور! تعال الى هنا. تسلّق.

"لا أستطيع."

– اذاً تابع صياحك وسنتبع صوتك.

أدرك سلفادور أن الرجال يشقون طريقهم اليه بين النباتات الشائكة الضخمة التي كان يسمع هسهسة نصالها وهي تقترب منه، ثم شاهدها تلتمع في نور الشمس. وبرز رجلان غابونيان ضخما البنية من طوق الدغل الذي كان يكبّله. كانا يلهثان ويتصبّبان عرقاً.

قال سلفادور في نفسه: "الحمد لله." وهتف فرحاً.

أما الرجلان فتجمدا منشدهين وهما يحدقان الى الشبح الواقف أمامهما والمغلّف بالطين من رأسه حتى أخمص قدميه.

رفعاه من الأخدود وساعداه في المشي قرابة خمسة كيلومترات الى طريق معبّدة، ثم انطلقوا في سيارة عابرة الى

فرنسفيل الواقعة على بعد ١٥ كيلومتراً. وهناك أعطي بعضا من فاكهة المانغو فأخذ يمتص عصارتها بنهم وهو الذي لم يذق طعاماً منذ ثمانية أيام.

كان سلفادور ابتعد عشرة كيلومترات عن شلالات بوبارا. وهو أدهش الأطباء الـذين عـادوه في المستشفى في فرنسفيل، اذ كان فقد عشرة كيلوغرامات من وزنه وأصيب بضعف في سمع أذنه اليسرى كما كان يعاني كسراً في اثنين من ضلوعه. وغطت الجروح والرضوض وجهه ويديه وساعديه ومقدّم ساقيه. ولكن اتضح أن الطين الذي كسا به جسمه كان فاعلا في تخفيف معاناته والتعجيل في شفائه. وقال الجميع إن بقاءه حياً يشبه معجزة.

الحادية عشرة قبل ظهر الخميس رن جرس الهاتف في منزل أوكندا في ليبرفيل. فصاح هذا منفعلا: "كلير؟ إن سلفا حي."

فكادت كلير تطير فرحاً. وأخذت تمطر أوكندا بالأسئلة، فأجابها: "كل ما أعرفه أنه وُجد. أنا ذاهب الآن الى المستشفى لأراه."

أقفلت كلير الخط وأغرقها جميع من كان عندها بالعناق والتهنئة.

في اليوم التالي، في فرنسفيل، اصطحب أوكندا كلير وكريستيان الى جناح سلفادور. كان هذا جالساً مسنداً في سريره، وفي ذراعه أنبوب مصل. وحين رأى زوجته مدّ يديه وقال لها والدموع تنسكب من عينيه: "كلير، سامحيني. كل ما حدث كان خطأ مني." لكنه شعر في تلك اللحظة بأنه أسعد رجل على وجه الأرض.

طوني روكا ■
ترجمة الياس عقل



مكافأة

بعدما نجحت السيدة في اقناع ولديها الضجوجين بالهدوء اثناء اقلاع الطائرة، تقدمت المضيفة واعطت كلا منهما كاس عصير ثم التفتت الى الام وقالت: "اختاري اي مشروب يا سيدتي، ويسعدنا أن نقدم اليك كاسين بدلا من واحد."

د.ل.س.

ليس المهم ماذا نعرف وانما من نعرف. لكننا مضطرون الى معرفة "ماذا" لكي ننتقي "من." ولذا نذهب الى المدرسة.

ج.ا.

حضور لطيف ومبادرات بسيطة وكلمات مختارة



كلمات عزاء



وقعت ابنتنا كايت (١٨ عاما) قبل ثلاث سنوات ضحية لما تسميه الشرطة "إطلاق نار عشوائيا." فاستدعينا، أنا وأبوها، الى غرفة الطوارىء في منتصف الليل لنجدها غارقة في غيبوبة لم تفق منها. وفي المساء التالي فارقت الحياة.

ما زلت أذكر بوضوح بعض ما جرى خلال الساعات الأربع والعشرين التي حاولتْ فيها كايت التشبث بالحياة. لكن أكثر ما بقي عالقا في ذهني هو أننا لم نكن وحيدين.

جاء أحد الأصدقاء حاملاً كيسا من قطع النقد المعدنية كيما نستطيع إجراء ما نشاء من المكالمات الهاتفية. وانتظر آخرون أولادنا في المطار لاصطحابهم الى المستشفى لدى عودتهم من رحلة. وفي البيت، تولى أحد الجيران الاعتناء بكلب العائلة.

لم أكن أعرف قبل وفاة ابنتي كيف أتصرف اذا ما واجهتني مأساة. وكنت، لخشيتي التصرف على نحو يزيد الامور سوءا، أنأى جسديا وعاطفيا عن أصدقائي في محنهم، وأكتفي بارسال بطاقات وزهور محدثة نفسي بأنهم يعرفون أني لن أتوانى عن مساعدتهم إذا ما احتاجوا الي. لكن أحداً لم يتصل بي ليعلمني بحاجته.

أما اليوم فبتّ أعرف أن الأشخاص الذين يمرون بأزمة يحتاجون الى من يقف بجانبهم. والقيام بعمل أخرق أفضل من التمنّع عن إتيان أي عمل، اذ غالبا ما تكون أبسط الكلمات هي ألطفها.

هنا بعض نصائح أتمنى لو أُسديت إليّ أيام كان الأسى غريباً عني:

لا تخشوا التطفل. لطالما كان الخوف من التدخل في شؤون الآخرين هاجسي الأكبر. ولهذا كنت أتردد في إقحام نفسي حيث قد لا أكون موضع ترحيب، معللة ذلك بقناعة خاطئة هي أن المفجوعين يحتاجون الى العزلة.

وأذكر كيف تخليت يوما عن زميلتي في

التدريس عندما دخلت المستشفى للمعالجة من السرطان. وكنت ذهبت لعيادتها بدافع الواجب، لكن زيارتي كانت متكلفة وخرقاء. فكيف يحادث المرء شخصاً مريضاً هكذا؟ واذ بدا لي أن التحادث في الامور العادية أمر قاس عليها فقد أردت تجنيبها إياه. لكني في الواقع لم أجنب سوى نفسي، اذ عندما عدت لزيارتها بعد أسبوع وجدت غرفتها خالية. وعلمت أنها ماتت.

أخبرتني ضحية أخرى من ضحايا السرطان: "خلال أسوأ مراحل مرضي كان الأشخاص الذين دأبوا على عيادتي هم الخيط الذي شدني الى الحياة. وكنت لا أطلب منهم الحديث أو المكوث طويلا لأن مجرد معرفتي بالاهتمام الذي يدفعهم الى التعريج على غرفتي كان كافيا لانقاذي من الشعور بأني وحيدة منسية."

خذوا زمام المبادرة. قد تبلغ معاناة أصدقائكم درجة ينسون معها حاجاتهم. كانت أولى الواصلين الى دارنا بعد وفاة ابنتنا أرملة فقدت زوجها قبل فترة قصيرة، وكانت ما زالت تلملم جروحها. فألقت نظرة على وجهينا، ثم اصطحبتنا في سيارتها الى مؤسسة دفن الموتى. وتولى أصدقاؤنا الرد على المكالمات الهاتفية واستقبال المعزين. وجز أحد الجيران مرجة العشب أمام دارنا، واستقبل آخر الأقارب الوافدين. لم ينتظر هؤلاء الأشخاص أن نطلب مساعدتهم، بل تحسسوا حاجاتنا وتطوعوا للمساعدة.

لا تقولوا "نعرف حقيقة شعوركم." لكم سمعت هذه العبارة، ولكم كان وقعها ثقيلا إذ وددتُ لو أصرخ في وجه قائليها: "ليس في امكانكم أن تعرفوا حقيقة شعوري، لأن كايت ليست ابنتكم."

لكني أحسست بعض عزاء عندما وصفت لي سيدة ثكلت ابنتها عما عانته خلال عودتها البطيئة والأليمة الى العيش الطبيعي. وقد أسرّت إليَّ: "مرت بي لحظات ظننت خلالها أني فقدت صوابي، اذ كنت أسمع وقع خطاها في البهو وصوتها وهي تغني في الحمام."

مدتني هذه الرواية ببعض الطمأنينة، خصوصاً عندما مررت بأوقات الجنون اياها ورحت أستيقظ ليلة إثر ليلة وفي أذنيّ زعيق هاتف يدعونا الى المستشفى.

لكن والدة الفتاة لم تبدأ سرد قصتها بعبارة "أنا أعرف حقيقة شعورك،" بل اكتفت بسرد ما جرى لها تاركة لي مهمة الربط بين تجربتينا.

لا تبحثوا عن جانب مشرق. إنَّ الجهود المبذولة للتقليل من أهمية المأساة ليست عقيمة فحسب، بل إنها تخلِّف شعوراً هائلا بالذنب يرخي ثقله على الشخص المتألم.

قالت لنا إحدى السيدات: "ما زال لديكم أبناء آخرون. تصوروا كم كان الأمر صعباً لو كانت كايت ابنتكما الوحيدة."

وقال لنا أحد معارفنا وهو – صدقوا أو لا تصدقوا – طبيب نفساني: "يكفيكما

عزاء أن ابنتكما ارتاحت من صراعات الحياة."

إني بالطبع أشكر المولى على عائلتي الباقية، ولكن لا علاقة لذلك بواقع فقداننا كايت. فهل علي أن ابتهج لأن صراعها انتهى وهي بعد في مستهل العمر؟

اكتبوا رسائل عزاء. إنَّ البطاقات المتوافرة في المكتبات لا تحل محل الرسائل الشخصية مهما تكن بليغة، ولا يمكنها أن تكون بديلا من رسائل التعاطف التي وردت علينا ومدت كل فرد منا بالقوة والعزاء.

ولعل أبلغها ما حمل الينا ذكريات سعيدة. فقد كتب الينا جار سابق أنه يذكر ابنتنا يوم كانت في السادسة من عمرها، وكيف "علَّقت سلة توت على مقبض الباب ثم قرعت الجرس واختبأت بين الجنبات مسترسلة في الضحك."

وتذكرت إحدى رفيقات صفها ما كانت كايت تبذله من جهود باسلة لتعلم التزلج على الماء: "كانت تسقط وتنهض تكراراً، إلا أنها رفضت الاستسلام على رغم البرد والتعب."

كما كتبت الينا صديقتها بالمراسلة: "كانت ابنتكما ذكية ومضحكة ولها آراء شائقة. أشعر الآن كأن حياتي أظلمت برحيلها."

لم تنقل الينا تلك الرسائل اهتمام الناس بمصابنا فحسب، بل أظهرت لنا أن حياة كايت، على رغم قصرها، أثرت في حياة الآخرين.

تذكروا أن الشفاء يتطلب وقتاً. بقيتُ أشهراً بعد وفاة كايت استلقي على السرير ساعة بعد ساعة وأنا عاجزة عن التركيز على أي فكرة أو موضوع. وكان مجرد قيامي بالتسوق والأعمال المنزلية كافياً لاستنفاد ما استجمعته من قوة. ولطالما سألني أصدقاء من أصحاب النيات الطيبة: "متى ستعودين الى العمل؟" فكان يصعب عليَّ اقناعهم بأني لا أملك القدرة على الانتاج، وبأني سأعلم في الوقت المناسب متى أعود.

كونوا آذاناً صاغية. إن حضوركم واستعدادكم للاصغاء هما أثمن هدية تقدمونها. لقد كان أفضل معزِّينا أولئك الذين لم يحاولوا إلهاءنا عن مصابنا، بل شجعونا على تكرار وصف تفاصيل كابوسنا المفجع. وساعدنا هذا التكرار على تبديد حدة ألمنا وجعل طريق الشفاء سالكة.

إن مغالبة الحزن والكآبة عملية طويلة وبطيئة قد تستلزم سنوات. ويساعد فيها الانخراط في أمور بسيطة مثل التسوُّق وقبض الشيكات وإعادة الكتب الى المكتبة. وأهم من ذلك كله مساعدة الآخرين على تحمل ما يفوق طاقاتهم.

عدت الى عملي. وبدأنا، أنا وزوجي، إعادة بناء حياتنا. وقد شرعنا في الاعداد لمشاريع مستقبلية.

وبفضل مساعدة الأصدقاء تم لنا اجتياز شوط كبير.

لويس دونكان ■

ثم أقبلت سيارة "نيسان" وتوقفت قربي فجأة. وفتح بابها شاب أشار اليّ بالدخول.

ركبت السيارة وأنا ارتجف غضباً وبرداً.

عرّفني الشاب بنفسه بتواضع ياباني قائلا انه الموظف الذي تكلمت معه ثلاث مرات ذلك الصباح. لقد اضطر الى مغادرة مكتبه والقدوم في سيارته الخاصة لايصالي الى المطار. وهو بالغ في الاعتذار، لكنه لم يوضح لي لماذا لم تحضر سيارة أجرة لأخذي الا بالقول "انهم مشغولون جداً جداً هذا الصباح."

أوصلني مباشرة الى موقف حافلات المطار، وأبى أخذ ٢٠٠٠ ين دسستها في يده، ورجاني، مكرراً اعتذاره، أن أستمر في التعامل مع مكتبه مستقبلا.

بعد ساعات، فيما أنا مسترخٍ في مقعدي أثناء اقلاع الطائرة التي أخّرتها العاصفة، تناولت صحيفة الصباح. فاستوقفني في الصفحة الثانية خبر قصير: "اضراب سائقي الاجرة يبدأ هذا الصباح في كيوتو!"

بول فادن ■



تربية الاولاد

رزقت ابنتي ولدين، ووجدت صعوبة فائقة في الإعتناء بهما فطلبت مساعدتي في رسالة ناعمة وارفقت طلبها بعبارة مجاملة: "لو عرفتُ ما هي عليه تربية الاولاد، لكنتُ فتاة اخرى."

ج.ب.

هاتف يتسوق

شاهدتُ في احد المخازن الكبرى رجلا يتحدث عبر هاتف من دون شريط، فخيّل اليّ انّه متباه يحاول جذب انتباه الآخرين الى وضعه الميسور. واذ كنتُ ادور في الاجنحة صادفته امامي من جديد في قسم الاجبان وامامه عدّة اصناف. وسمعته يقول عبر هاتفه: "يجب ان تقرري يا عزيزتي، هل تفضلين الجبن الكثير الملوحة ام الخالي من الملح؟"

م.ا.

تمارين طقسية

اوصاني الطبيب بأن اقوم لثلاث مرّات في اليوم بتمارين لتقوية ذراعي المكسورة. وتقتضي التمارين بان القي يدي على الحائط واتسلّقه باصابعي الى اقصى ما يمكنني.

وقالت لي يوماً شريكة غرفتي في المستشفى: "هلّا اوضحتِ لي الى اي ديانة تنتمين؟"

ر.ف.

جداريات باريس

في هذه المدينة الفاتنة تقع عيناك على مشاهد تدهشك عند كل منعطف

يطالعك في شارع برسي في الدائرة الثانية عشرة من باريس درج طويل يمتدّ صعوداً فوق أغصان أشجار عمرها مئات السنين. وأبعد منه قليلاً ممرّ ظليل تحفّ به أشجار سرو ضخمة ويفضي الى قلب غابة. غريب أن تكون هذه المناظر الريفية البهيجة الساكنة مجاورة لنهر السين وكاتدرائية نوتردام!

ولكن ما إن تقترب قليلاً حتى يتلاشى الانخداع: إنها صور مرسومة على جدران!

واذا تجوّلت في الدائرة الخامسة

(فوق) لن يعرف المارة أبداً لماذا يتدلّى هذا الرجل بحبل في ١٤ شارع كاستانياري.
(تحت) جدار ملعب مدرسة في ٥٣ شارع بودريكور.

PHOTOS: DAUVP

عشرة على مسافة قريبة من خطوط السكك الحديد التي تلتقي في محطة مونبارناس، تقع على منظر طبيعي آخر. وقد تؤخذ على حين غرة في شارع كاستانياري بمنظر رجل معلّق بحبل يصل الى منتصف علو أحد الأبنية السكنية، وهو يحاول مذعوراً الوصول الى شرفة قريبة. أهو لصّ؟ أم عاشق؟

تطالعك مفاجآت كهذه في كل مكان من باريس فتزيد جمالها جمالاً. وحيث لم يكن هناك سوى فسحات كئيبة مهملة يتقشّر طلاؤها، تنبسط اليوم جداريات موشحة مبهجة تضجّ بالالوان والابداع والظرف.

عام ١٩٨٠ كانت هناك عشر فقط من هذه الجداريات. أما الآن فهناك ما يزيد على السبعين موزعة في ١٧ دائرة من الدوائر الادارية العشرين في المدينة. وتحضّ الكتيبات السياحية على زيارة مناطق مثل الدائرتين الثالثة عشرة والخامسة عشرة حيث ذاع في السنوات القليلة المنصرمة صيت ١٩ من هذه اللوحات الضخمة.

وبانتشار هذه الثورة الفنية في الشوارع، تتحوّل باريس متحفاً للفن في الهواء الطلق.

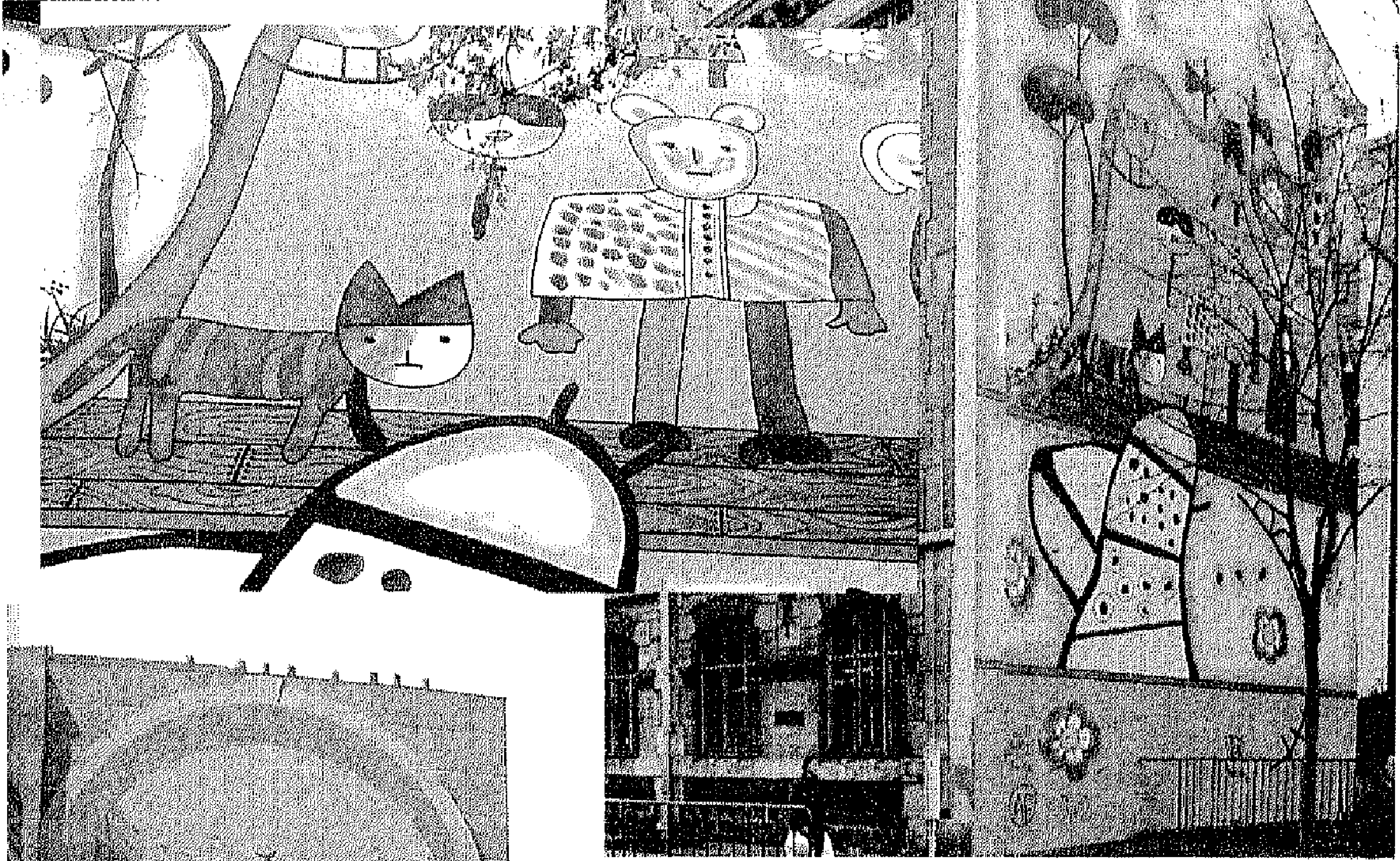
وُلد هذا الفن المدهش نتيجة القانون الصادر عام ١٩٦٢ والقاضي بتنظيف واجهات المباني وطلائها دورياً، مما حمل الباحث الجامعي جان بيانكي على التعليق قائلاً: "إن الشوارع التي لم تكن سوى آليات لتوجيه حركة السير استعادت صفتها الضائعة كخلفيات للبشرية."

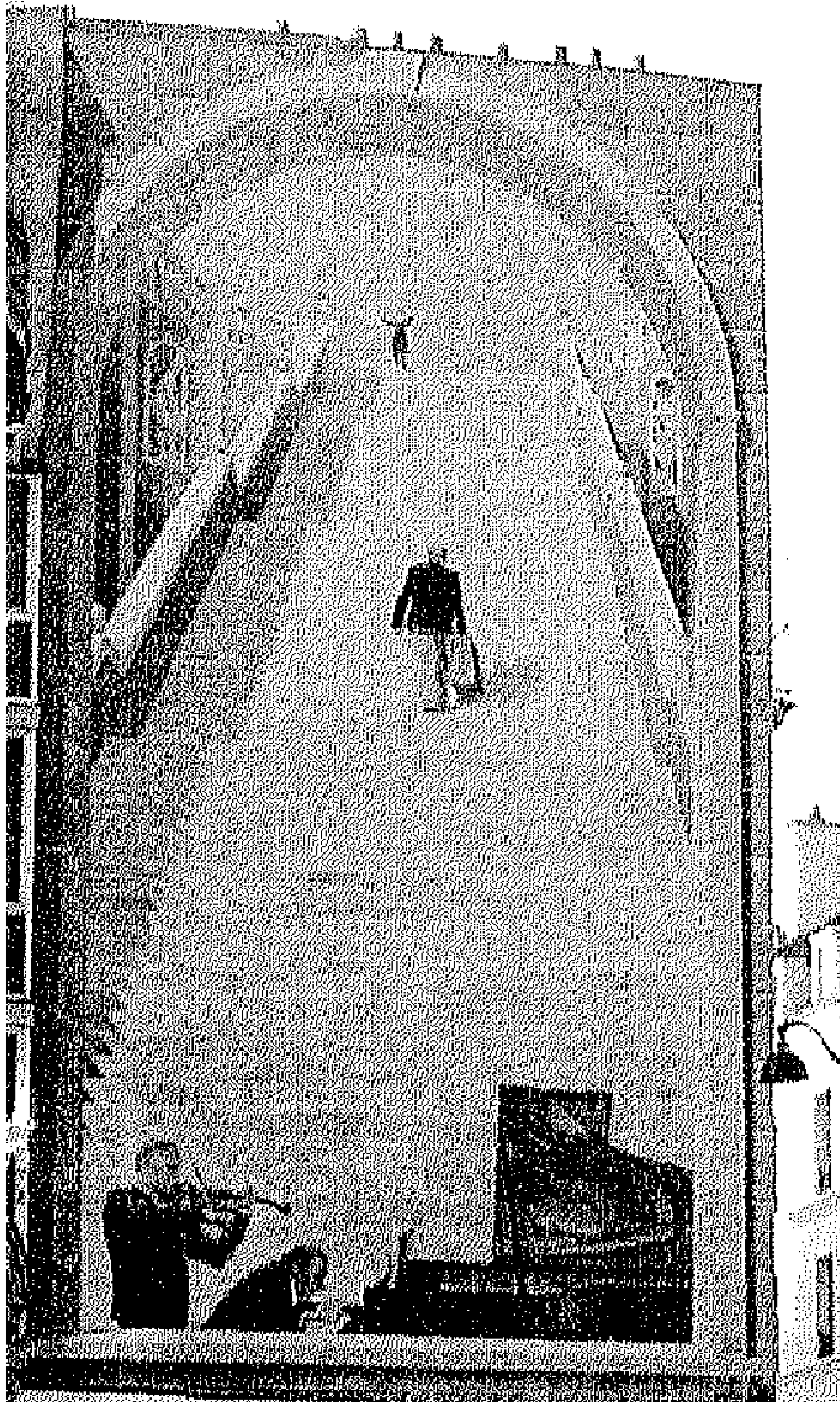
فن وظرف. لم يتصور البارون جورج هوسمان أنه سيكون بعد وفاته رائد هذه المجموعة الفنية الجديدة. ففي القرن التاسع عشر تولى هوسمان توسيع عدة شوارع باريسية، فعزل أبنية لا تحصى خارجة على التصميم العام للشوارع لكونها جديدة وحرام هدمها. وفي السبعينات من هذا القرن تعززت عزلة هذه الابنية بفعل قوانين بلدية جديدة نصّت على توسيع أرصفة المشاة. وتقول سيلفي بويسان المهندسة في "وكالة التنمية المدينية" في باريس والتي رعت برنامج الرسوم الجدارية في السنوات الخمس الماضية: "كان في إمكاننا أن نفرض على أصحاب المشاريع البناء وراء الشوارع. ولكن لم يسعنا أن نهدم الأبنية التي لم تعد متوازية في خط مستقيم."

وهذا هو سبب وجود ١٦٠٠ جدارية في باريس، وهو رقم قياسي في أوروبا لا تبزّه إلّا برلين التي دُمرت على نحو واسع إبان الحرب العالمية الثانية. ولا عجب أن يكون سكان برلين أوائل من تبنّوا فكرة زخرفة الجدران بالرسوم في الستينات. وحتى ذلك الوقت كانت تلك الفسحات الواسعة القاتمة في باريس وبرلين مهملة ومعروضة لملصقات الاعلان.

ظهرت احدى أوائل الجداريات في باريس عام ١٩٧١ في زاوية شارعي كانكمبوا وأوبري – لو – بوشيه. واكتشف الباريسيون ثلاثة جدران مغطاة برسم تجريدي باللونين الأحمر والأزرق من صنع الرسام فرنسوا موريليه. هذا

(الى اليسار) في ساحة تورسي في الدائرة الثامنة عشرة يقف عالما آثار يتحادثان امام رسم دقيق لأحد المنقوشات المصرية.
(الى اليمين) رسم مارتن برادلي في شارع طنجة.
(تحت) سُلّم خادعة في ١٧ شارع إتيين مارسيل في الدائرة الاولى.





التفجر الفني المفاجىء الحافل بالألوان والخيال أضفى على الجوار المتقهقر مسحة من البهجة والضياء. وفي السنة التالية ظهرت لوحة بريشة الفنان تاماس زنكو في بولفار ستراسبور عكست مدى سرور الجمهور بهذا الفن الجديد. وكانت شجرة زيزفون نامية أمام الجدار، فما كان من زنكو إلاّ أن رسم على الجدار ظل الشجرة بأوراقها وأغصانها.

وفي أيام الشتاء القاتمة كان هذا الخداع البصري الرائع يوحي الى المارّة

جداريات باريس

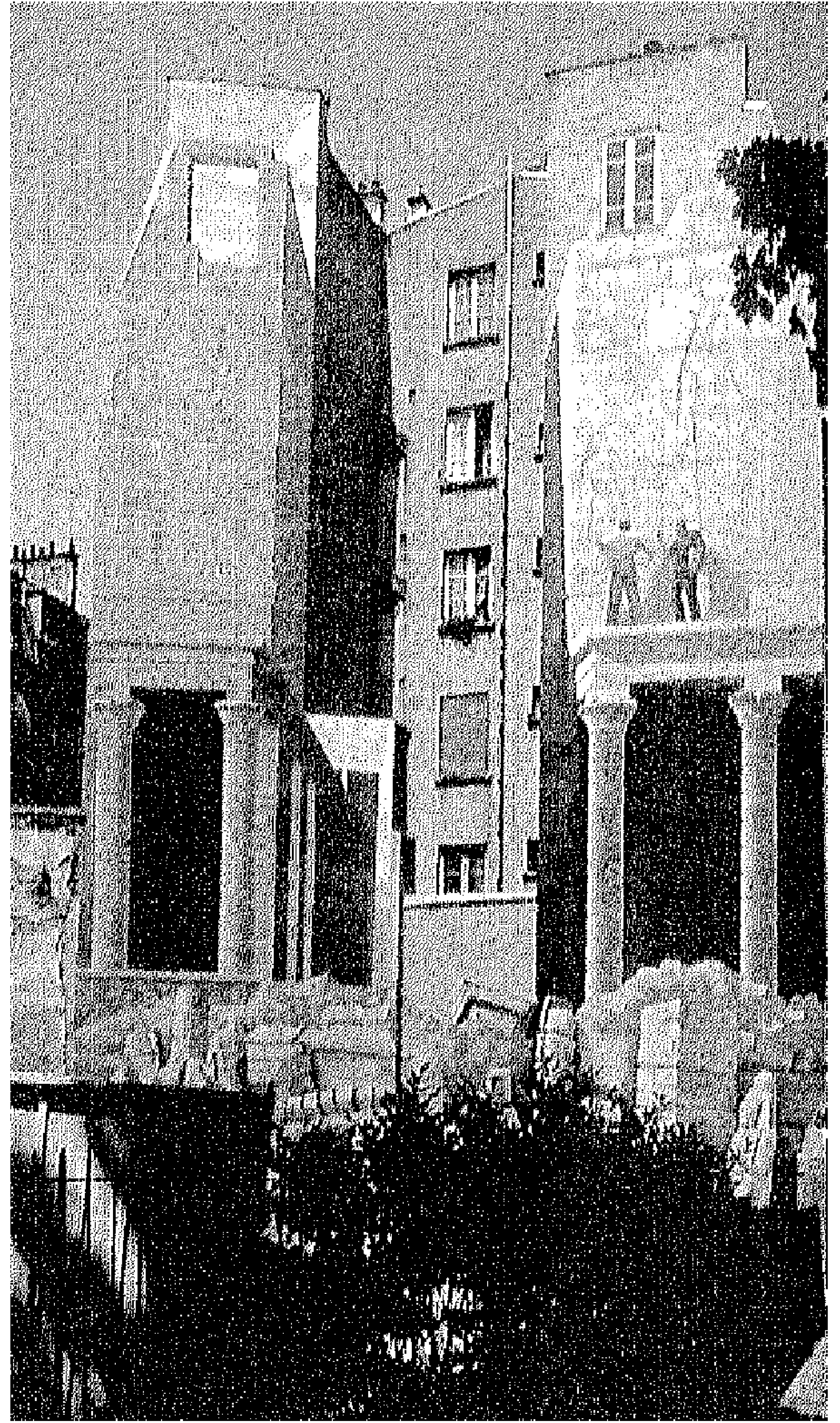
رسم بطاقة مترو، أقامت مديرية النقل في باريس عرضاً دائماً لصور فوتوغرافية حديثة شملت فنانين كباراً أمثال روبير دوانو وجان لو سيف وأندريه كارتيز. وتظهر نسخ من صورهم على قماشة بيضاء بُسطت على الجدار الخالي من أي رسوم. ويجدَّد هذا العرض في فترات منتظمة.

وثمة تضليلات كثيرة أيضاً. فعلى جانب مبنى إحدى المدارس في شارع بودريكور في الدائرة الحادية عشرة، رسم الفنان الشهير فيلغليه أحد ملصقاته الاعلانية. ويضيف بعض الفنانين ومضة بديعة من الظرف والفكاهة. فعلى جدار في ساحة تورسي نقش مصري رُسِم بدقة متناهية، وأمامه عالما آثار منهمكان في الحديث. وفي ساحة سان فارغو رسْم سلّم إطفاء شبه حقيقي ممدود صعوداً لانقاذ قطة مذعورة. إلّا أن ثمة تفصيلاً آخر لهذا الرسم: إنه مرسوم على جدار مركز فرقة الاطفاء.

يؤكّد مارتن برادلي الرسام البريطاني الذي أبدع رسماً جصياً خيالياً في الدائرة التاسعة عشرة بمزيج من السوريالية والكلاسيكيّة، أن "الجداريات هي انعكاسات العالم التي تقدر أن تقرأها كأنك تقرأ إحدى حكايات الجنّ."

هكذا، في الواقع، يراها الأولاد والامهات الذين يؤمّون المتنزه المجاور.

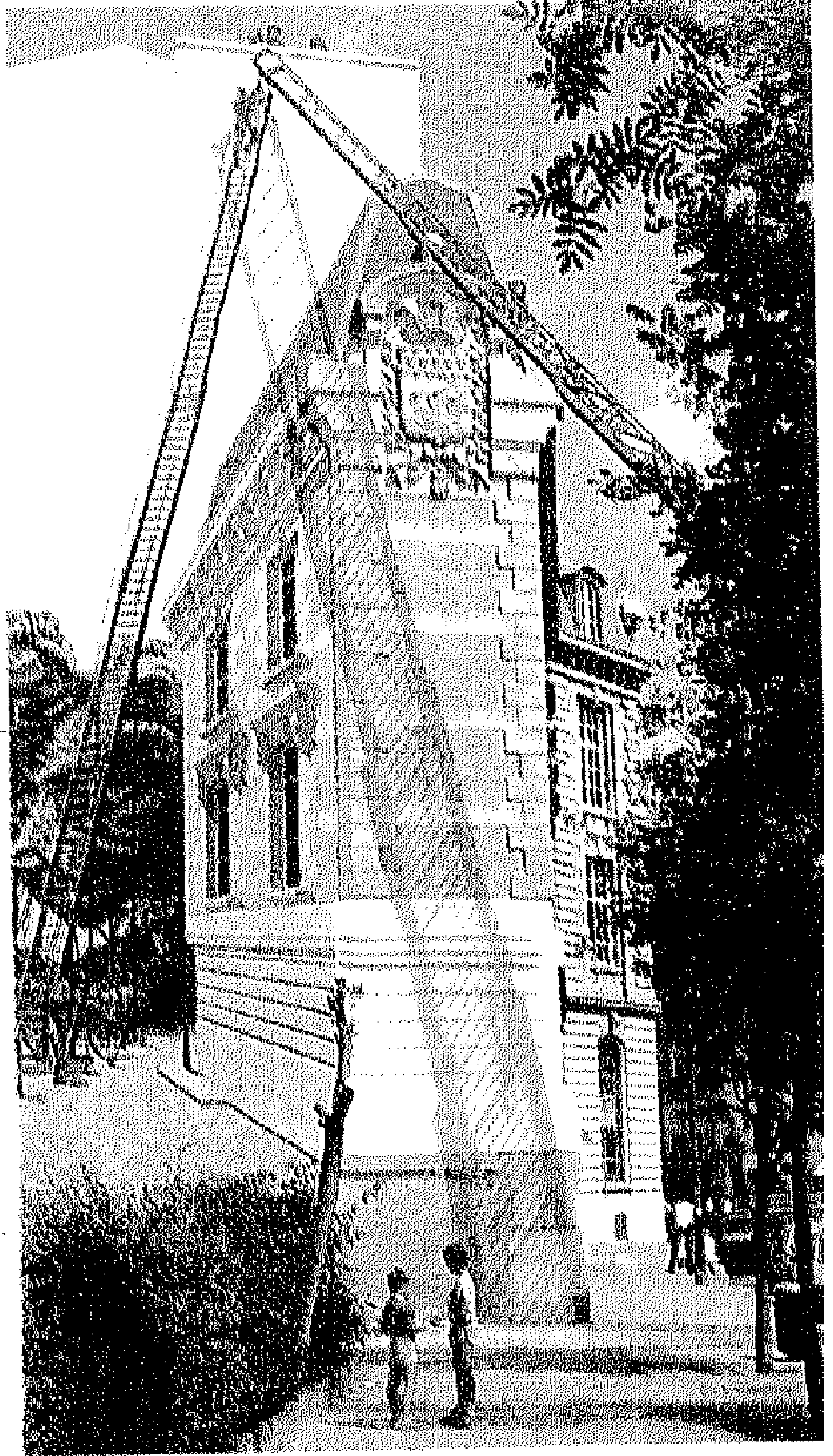
مشاع للنظر. تظل الرسوم مصونة في المتاحف الى ما لا نهاية، أما الرسوم في



من السكان المحليين يوم صيف دافئاً.

بعد العام ١٩٨٣ سمحت مدينة باريس للشركات الكبيرة بأن تستخدم بعض الجدران لاعلاناتها بشرط أن تُظهر هذه الاعلانات نوعاً من الخيال والفن لا أن تكون مجرد كتابات وشعارات. وخُصّصت جدران أخرى للفنانين. وبعدما رسم زنكو شجرته، شملت الرسوم كل أساليب الفن الشائعة. ولكن تتعيّن الموافقة على الرسم، محتوى وتنفيذاً، من المالكين وسلطات المدينة.

وفي الحي اللاتيني، عند ملتقى شارعي كونديه وسان سولبيس، تحت



سلم إطفاء حقيقية يلتقي ظلها ورسمها في أعلى جدار مركز الاطفاء في الدائرة العشرين.

الشوارع فلا تدوم أكثر من سبع سنوات. وبعد ذلك فاما أن يعيد الفنان الأصلي رسمها وإما يُستعان بفنان آخر. "ولكن،" يقول الرسام إرنست بينيون - إرنست، "هذا لا يعني أن الجداريات فن ثانوي. فالفنانون العظام، أمثال بيكاسو، سخّروا مواهبهم لانتاج ملصقات قصيرة الأجل. ويهمّ الفنان أن تكون أعماله معروضة يشاهدها جمهور كبير، لا أن تكون مشاهدتها في المتاحف وقفاً على قلة."

غير أن هذا الحشد الضخم من المشاهدين يفرض التزام أصول فنية. فلا أحد مجبراً على زيارة المتاحف، أما الجدران فمشاع للنظر. لذا ينبغي ألّا تسبّب الجداريات صدمة للمشاهدين. وتحذّر سلطات مدينة باريس من أنها ستمحو أي لوحة تثير حفيظة المارّة. "لكننا،" تقول المهندسة بويسان، "لم نضطر الى هذا الاجراء أبداً، بل نتلقى ردوداً ايجابية من مالكي الأبنية الذين نقدّم اليهم المخطط ومن المسؤولين المحليين الذين هم على اتصال بناخبيهم وبالمارّة. ويبدو أن الجميع يقدرون أي شيء ينسيهم ضغط الحياة في المدينة."

إن للجداريات مستقبلاً زاهياً.

جان ماري جافرون ■

عقاب المتنصتين على الهواء

لجأت الشرطة في بلدة هاردنبرغ الهولندية عام ١٩٩١ الى خدعة للإيقاع بالمتنصتين على موجاتها اللاسلكية، فبثت تقريراً يفيد عن هبوط جسم فضائي غير محدد في احدى المناطق. وهرع ما يقارب المئة وخمسين شخصاً الى المكان المزعوم، لكنهم عوض ان يعثروا على اقزام خضر من المرّيخ، عثروا على ضباط شرطة في انتظارهم.

عن "الانترناشونال هيرالد تريبيون"



تشجير الصحارى اصطناعياً

■ "اذا ما زرعنا غابات اصطناعية، فان الصحارى سوف تصبح قابلة للزراعة في غضون عشر سنين." قد يبدو هذا القول للمخترع الاسباني انطونيو البا حلماً، لكن الفكرة قوبلت بالترحاب في عدّة دول في افريقيا الشمالية. وتقضي الخطـة بجعـل مـلايين الاشجـار البلاستيكية تؤدي الـدور الطبيعي للغابة في اختزان الرطوبة الليلية واطلاقها خلال النهار. نظرياً، تستطيع هذه الاشجار الاصطناعية في عشر سنين ان تحفز هطول ما يكفي من المطر لانبات اشجار طبيعية تقوم عنها بهذا الدور. وتشبه الاشجار المصنوعة من البوليوريتان اشجار النخيل لأن شكلها هو الأمثل لالتقاط الندى وتسهيل عملية التبخّر. امّا محاسنها فهي عدم حاجتها الى الري وعدم اغرائها الباحثين عن حطب للتدفئة.

عن "ديسبرتاي" البرازيلية

طواحين تولد كهرباء

■ وافق البرلمان الهولندي على اكبر مشروع لانشاء طواحين هوائية تعرفه البلاد منذ القرن السابع عشر وذلك بهدف توليد الطاقة الكهربائية من الهواء. ويُنتظر الحصول على اعانات حكومية سخيّة لبناء الفي طاحونة جديدة يكفي نصفها تقريباً لتوليد الف ميغاواط من الطاقة المستمدة من الهواء، ما يؤمّن الكهرباء اللازمة لمدينة بحجم العاصمة امستردام، اي نحو اربعة في المئة من حاجة البلاد. وتشارك الحكومة ايضاً في تطوير طاحونة هوائية تولد طاقة هائلة تصل الى الف كيلوواط، وذلك باستعمال تقنيّات علمية جديدة.

ب.س. في "نيو ساينتست"

قناني البلاستيك المطروحة

■ تحوّل شركة "ريب" في جنوب اوستراليا قوارير الحليب وعصير الفاكهة البلاستيكية المطروحة، انابيب في صلابة الاسمنت من طريق تذويب صمغ البوليتيلين واستخراج السائل المذوّب في شكل شرائط بلاستيكيّة تلفّ على اسطوانات كبيرة ثم تلقّم آلة تتولى شدّها بعضاً الى بعض، ثم تقوّى باحزمة فولاذيّة رفيعة. وهذه الانابيب هي بديل زهيد الثمن من الاسمنت، ويمكن استعمالها لمجاري مياه الفيضانات والعواصف والمجارير وانظمة الري. وبحلول السنة ١٩٩٣، تتوقع الشركة ان تعيد استعمال خمسة وعشرين الف طن من البلاستيك سنوياً، اي نحو ثلاثة في المئة مما يرميه الاوستراليون.

عن "نيو ساينتست"

نفايات لذيذة الطعم!

■ يمكن تفادي هدر ما يقارب العشرين الف طن سنوياً من بقايا الاطعمة في اوروبا وذلك بابتكار غلاف جديد للمأكولات السريعة... يمكن أكله. ويُصنع هذا الغلاف المخروطي الشكل من بودرة البطاطا ودقيق القمح والزيت النباتي والملح. وعند الانتهاء من تناول محتواه، يمكن اكله او رميه في سلّة مهملات بحيث يتحلّل في غضون ايام. وقد بدأت هولندا والمانيا استعماله وتحذو بريطانيا حذوهما.

هـ.ب. في "الغارديان"

جمعية حماية الغابات

■ تعيش في اعماق التشيلي بعض اطول اشجار الكرة الارضية عمراً، ومنها شجرة "الأليرس" وهي ارزة من فصيلة "السيكوا" العملاقة التي تعمّر اكثر من اربعة آلاف سنة. لكن تدنّي اسعار الأراضي في التشيلي، بالمقارنة مع اراضي امريكا الشمالية، جعل شركات قطع الأخشاب تفد اليها بكثرة مهدّدة بتدمير بيئة الاشجار القديمة. الا ان تدني الاسعار هذا يحمل في الوقت عينه حلا للمشكلة. ففي شباط ١٩٨٩، اسّس الامريكي ريك كلاين جمعية "الغابة العالمية عبر العالم" املا في المحافظة على غابات العالم القديمة الآخذة في الانقراض. وتركّز هذه الجمعية جهودها حاليا على الغابات التشيلية وتجمع الاموال لشراء الاراضي التي تغطيها مثل تلك الغابات. وتقول مديرتها آمي غولدبرغ: "نحن نشجع التفكير والعمل على نطاق عالمي."

وجمعت الجمعية اكثر من مئة الف دولار امريكي لشراء غابة من شجر "الاروكاريا"، وهي من الاجناس القديمة، تبلغ مساحتها حوالى اربعمئة هكتار. وتأمل في شراء المزيد من الاراضي والمحافظة عليها بما في ذلك الغابات القريبة من كاهويلمو فيورد وهي منطقة تدعى "جنّة النصف الجنوبي من الكرة الارضية".

وفي سياق اهتمامها بالغابات التشيلية، تقوم الجمعية ايضا بدعوة علماء وصحافيين ومحافظين على البيئة الى القيام برحلات داخل الغابة قد تبلغ مدتها شهراً. ويقول كلاين مؤسس الجمعية: "انها احدى اكبر غابتين في هذا الكوكب وعلينا ان نحافظ على ما تبقّى منها."

عن "أومني"

جهاز انذار للدلافين

■ بات في امكان آلاف الدلافين ان تنجو من الهلاك سنوياً في شباك الصيّادين وذلك بواسطة جهاز انذار اختبره فريق من ثلاث جامعات انكليزية ويدعى "عاكس عين الهر" تستطيع الدلافين التقاط موجاته عبر جهازها السمعي (السونار). وتُثبت العاكسات على حاجز يشبه شبكة صيد الاسماك يمتد مسافة مئتي متر في البحر حيث تعبر الدلافين عادة. وتلتقط الميكروفونات المدلاة تحت الماء ذبذبات جهاز الدلافين السمعي مع اقترابها. ومع تصاعد هذه الذبذبات تكتشف الدلافين وجود العاكس وتغيّر مسارها متحاشية الحاجز. وقد اتت النتائج الأولى مشجعة، ويسعى العلماء الى تطوير نوع جديد من هذه العاكسات يمكن تثبيته مباشرة على شباك الصيادين.

ت.م. في "السكوتسمان"

عندما يحين القطاف تزدان الموائد بطبق شهي يبهج الذواقة من كل الاعمار

"كعكة طازجة بالخوخ."

تتراقص على نوافذ المخابز ألمانيا، ويسرع لشراء كعكات العطرة كل من فاتته أسابيع الفراولة (الفريز) أو قطاف الهليون من أمضى صيفه في مقاطعة الفرنسية أو استمتع بثمار توسكانا الايطالية.

مع فاكهة الخريف

يمكن الحصول على الحلوى والمعجنات الأخرى طوال العام، لكن الاقراص المحشوة بالثمار الزرقاء لا تتوافر الا خلال هذا الموسم. يستمر القطاف حتى أكتوبر (تشرين الاول)، وتكون آخر ثمرات

HOTO: © OKAPIA FRANKFURT



الخوخ التي تتغضن مؤخراتها هي الاكثر حلاوة.

كانت ثمرة الخوخ العادية* هي التي قادتني الى مدينة توبنغن الجامعية في جنوب غرب ألمانيا في زمن كان الطلاب يسكنون منازل تشرف عليها ربات البيوت. وكان والداي يعرفان هناك أستاذاً وباحثاً في التاريخ المحلي درّس والدي اللغة اللاتينية، لكن هذه العلاقة التعليمية لم تكن لتمتد الى نطاق الخصوصيات لو لم تعتبر زوجة الاستاذ خوخات جدتي أفضل ما في ألمانيا.

كان والدي يستيقظ قبل الفجر ويقطف ثمار الخوخ الطازجة من الحديقة بعناية فائقة لئلا يؤذي قشرتها الشاحبة، ثم يذهب بقطافه الى سوق البلدة الاسبوعي ليبيعه قبل التوجه الى المدرسة.

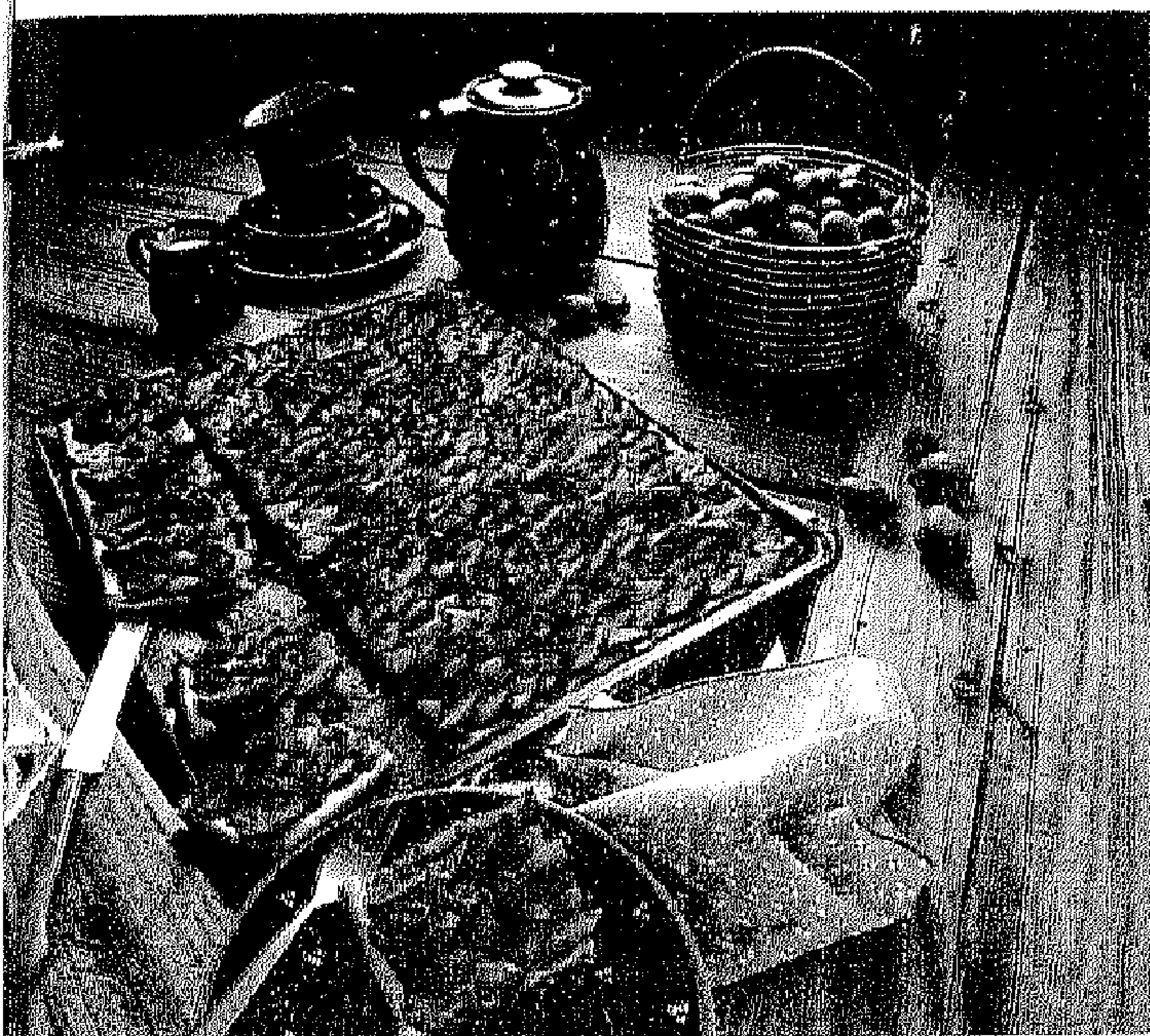
نوعيات الخوخ المختلفة هي بالنسبة إلي كمثل أفراد عائلة مالكة. فهناك الملكة الأم، خوخة يانعة مع زيادة طفيفة في طلاء الوجه، لكنها تزهو عندما يمتدح الناس بشرتها الناعمة. والى جانبها يقف الملك، البرقوق المخلص لنوعه، وزوجته الصغيرة المستديرة الضاربة الى الخضرة. وتشبه ثمرة الخوخ السوري أميرة حسناء.

يقال إن الملكة كلود، الزوجة الاولى للملك الفرنسي فرنسوا الاول، هي التي أعطت اسمها لبرقوق "رينكلود" الضارب الى الخضرة والعسلي الطعم.

أشاد بثمرة الخوخ شعراء ورسامون. فكتب الشاعر الالماني يوهان فلفغانغ فون غوته: "القشرة الرقيقة التي تغطي خوخة يانعة تبدو ضبابية وتشبه المطاط." وتطرقت الكاتبة سارة كيرش الى رائحة مربى الخوخ الحلوة في القرى الناعسة، وجاء في واحدة من قصائدها: "خلاقين مربى الخوخ تعكس وجهك في صورة جميلة."

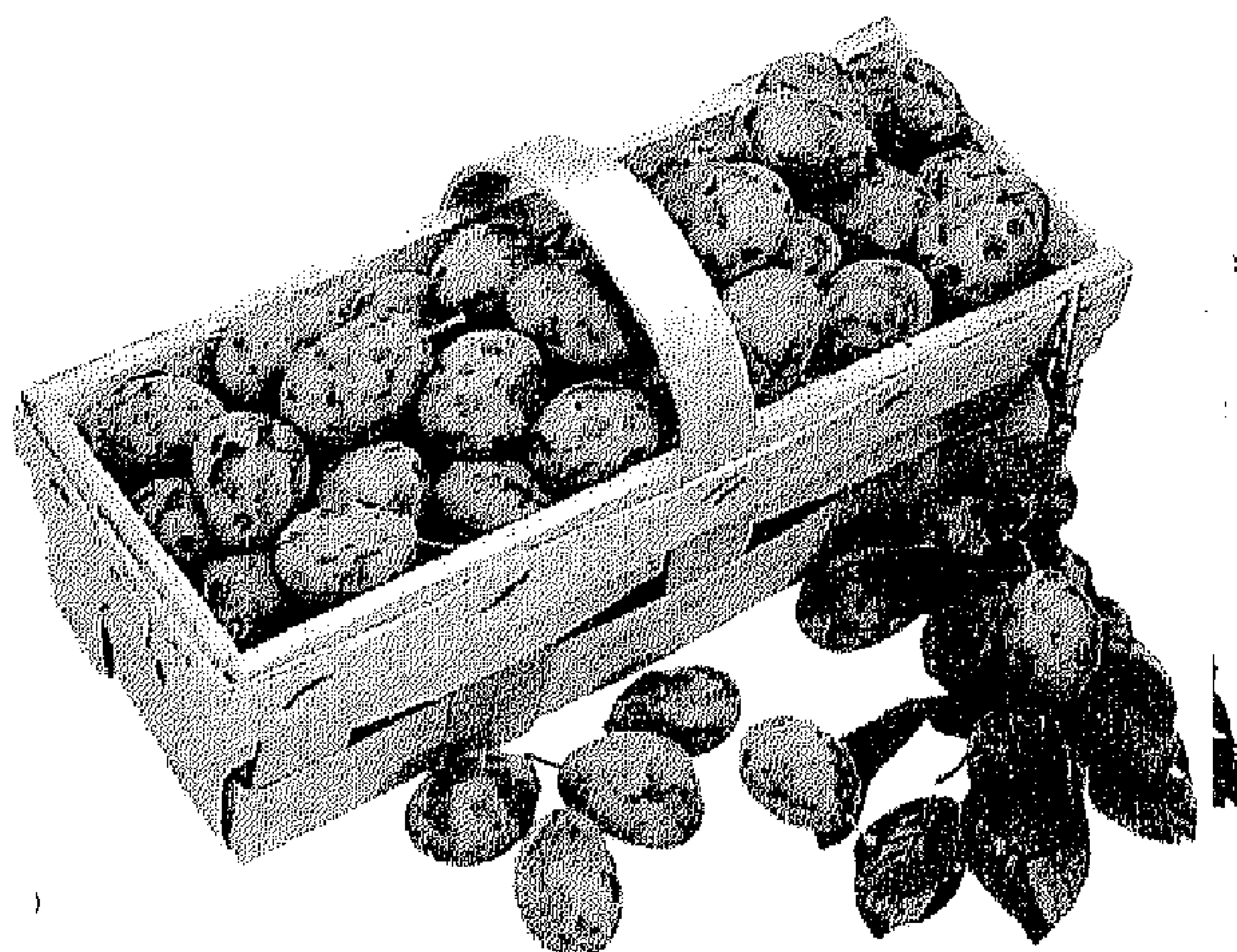
وفي اللوحات الفنية نجد ثمرة الخوخ تتصدر سلال الفواكه في أعمال كبار الرسامين الايطاليين وفي الصور الساكنة من أعمال البلجيكيين والهولنديين والفرنسيين.

Genus Prunus (*)



فطيرة خوخ مخبوزة بعجينة الخميرة وهي أطيب اذا أكلت ساخنة

تمثل ثمرة الخوخ بشكلها البيضوي وأوراقها المتطاولة موضوعاً زخرفياً غنياً. فنراها تطل من المطبوعات والآنية الزجاجية ومن السيراميك الزخرفي. كان اليابانيون القدماء يتغنون بجمال شجرة الخوخ التي تزهر عندهم في أواخر الشتاء. وقرابة العام ١٠٠٠ الميلادي أسرّت ساي شوناغون، وصيفة الامبراطورة، الى دفتر يومياتها بأن شجرة الخوخ المتفتحة هي من أجمل الاشجار المزهرة.



لكن الناس في أوروبا القرون الخوالي كانوا يفضلون الثمرة. وكانت كميات كبيرة من الكعك المحشو بالخوخ تطهى في احتفالات أواخر أكتوبر (تشرين الاول)، كما كانت ثمار الخوخ تحفظ للشتاء مخزونة في أكياس صغيرة أو في جرار من زجاج.

يصف الكسندر دوما في كتابه عن فن الطبخ طريقة إعداد الخوخ للمربى: كانت نساء المزارعين يضعن الثمار صفوفاً خلف المواقد، والخبازون يجففونها على ألواح من صفيح.

ويأتي الميلاد، فتتحول ثمار الخوخ معجنات أو تقولب في تماثيل. وكان الشراب المستقطر من الخوخ يعتبر في سوابيا وبعض المناطق الأخرى شراباً شافياً. وقد اعتادت جدتي أن تسقيني ملء ملعقة صغيرة منه قبل أن ترسلني الى المدرسة في الشتاء.

لا تفقد ثمرة الخوخ كل عطرها عندما تخرج من السلال. وحده فرن الخباز يستطيع أن يحرر أريجها الحلو الشهير. وحين تصل الاقراص الشهية الى المائدة تكون طبقا فاخراً يتلذذ به الذواقة من كل الاعمار.

مارتن كازمير ■

مصادفة

كثيرا ما اتلقّى اتصالات هاتفية من مندوبي شركات مختلفة للتامين يعرضون عليّ خدماتهم، فاحاول ان ابعدهم بلباقة متذرّعة بأن ابني يعمل في مجال التأمينات. لكن هذه الطريقة لم تثبط من عزيمة احدهم الذي عقّب على اعتذاري قائلا: "يا للمصادفة، ابي كذلك يعمل في مجال التامينات."

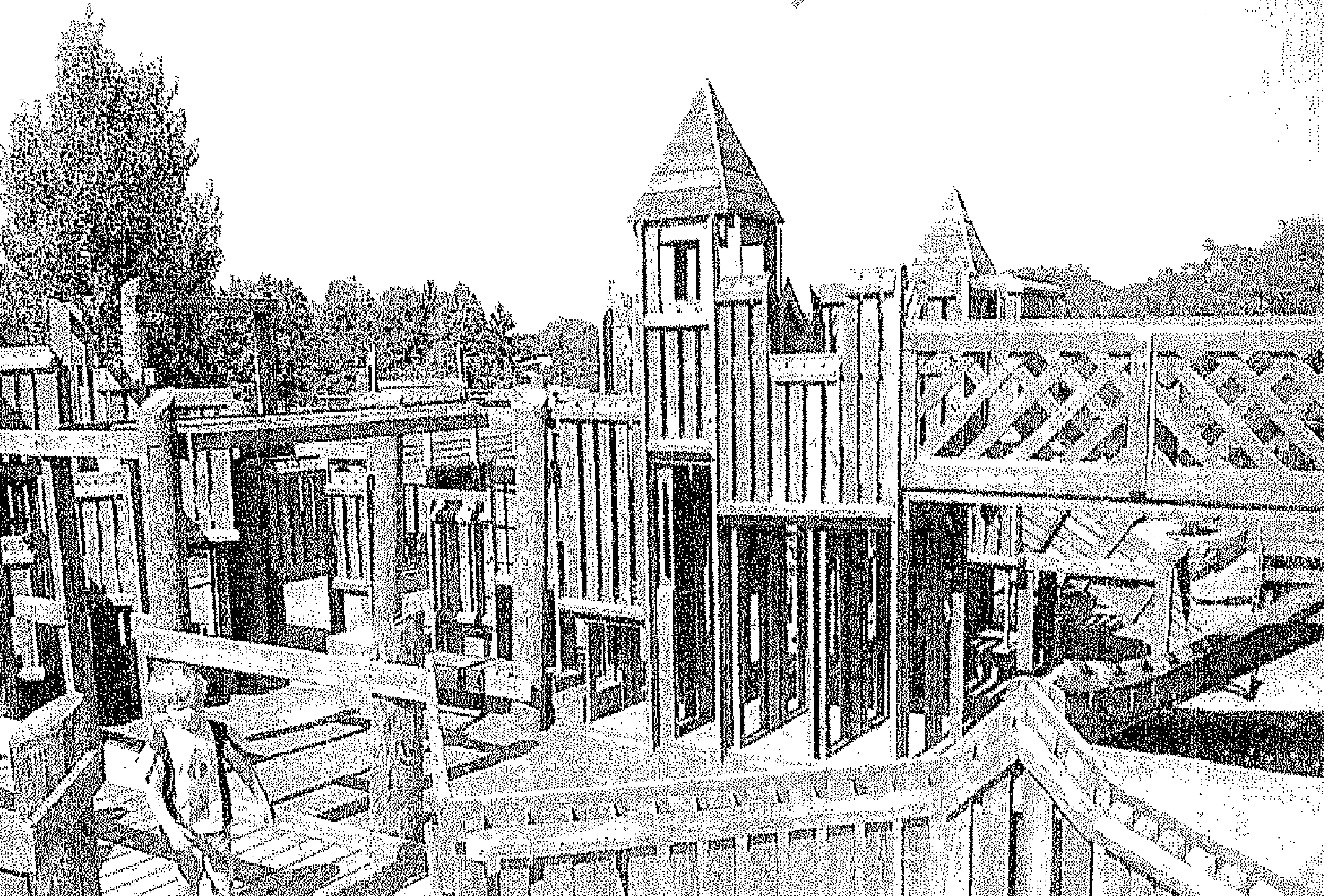
د.ب.غ.

يجلس هذا المهندس الفذ مع أولاد الحي أو المدرسة ويأخذ بأفكارهم في بناء الملعب الذي يريدون

كل صيف يعود بوب ليذرز الى ملاعب طفولته على ضفاف بحيرة هولبروك قرب بانغور في ولاية ماين الامريكية. وذات يوم قبل سنوات اصطحب اولاده الى الغابة ليريهم أين كان يتجول ويمرح ويلعب أيام طفولته.

قال لهم وهم يقتربون من أجمة من شجر الارز: "انظروا الى هذا." فشاهدوا تحت شجرتين ضخمتين بقايا كوخ بناه بوب في صباه وأسنده الى الشجرتين. كان الكوخ متداعيا وقد رقَّ سقفه المكسو بالقار، لكن خشبات الارز كانت لا تزال مثبتة بالمسامير الى غصن شجرة كبير شكَّل الدعامة الرئيسية.

أيقظ منظر الكوخ القديم في بوب



حنيناً الى أيام مضت قبل أربعة عقود حين كان في الثانية عشرة من عمره يغشى الغابة على رأس زمرة من الاولاد المتلهفين الى بناء عرازيل[1] أقنعهم بوب بتشييدها واحداً بعد آخر.

وشبَّ بوب ليصبح أحد أسياد بناة الملاعب في الولايات المتحدة، حريصاً على مساعدة المناطق المختلفة في بناء تجهيزات ترفيهية مميزة لاولادها.

كان بوب في طفولته سقيماً ناحلاً وضحية دائمة للزكام. أصيب بذات الرئة ست مرات، وابتلي بشلل الاطفال وهو في الثالثة عشرة من عمره فظل نحو ستة أشهر ضعيفاً جداً لا يقوى حتى على الكلام.

في تلك الفترة التي لازم بوب خلالها الفراش كرَّس معظم وقته للرسم. وأظهر موهبة كبيرة في رسم مخازن حبوب وحظائر ماشية وعرازيل و"معارك" دارت رحاها على ضفاف البحيرة.

وتغلَّب بوب على داء الشلل. وبعد إكماله دراسته الثانوية قرر أن يصبح مهندساً معمارياً. وحاز شهادته الجامعية عام ١٩٦٥.

وفي العام ١٩٧٠، وكان قد تزوج ورزق ثلاثة أولاد، تسلم وظيفة في شركة هندسة معمارية في إيثاكا بولاية نيويورك.

صبي كبير. في ذلك الخريف حضر بوب اجتماعاً للجنة الاهل والمعلمين في مدرسة ابنته بحثت فيه قضية شراء تجهيزات للملعب. لكن مبلغ الـ ١٢٠٠ دولار الذي تمكنت اللجنة من إرصاده لم يكن كافياً الا لشراء أرجوحة وزحلوقة. فاقترح بوب الآتي: "ربما تمكنا نحن أنفسنا من بناء شيء ما."

عمد أعضاء اللجنة الى جمع ألواح خشب واطارات مطاط قديمة وبدأوا العمل. ووجد بوب نفسه في جوه المفضّل. فكان يصدر تعليمات للمتطوعين ويضع واياهم خططاً مبدعة. وبعد ١٦ أسبوعاً من الطَّرْق والنشر والعمل الجماعي الحميم اكتمل تجهيز الملعب الصغير.

وما لبث بوب أن دعي الى مساعدة مدارس أخرى. وكانت مهارته وسرعته تزدادان مع بناء كل ملعب.

عرف بوب منذ حداثته مقدرة الاولاد على استنباط الأفكار. فقرر، وهو بعد في مستهل مشروعه السادس، استمزاج آراء الأولاد في كل محلّة في ما يريدون أن يكون ملعبهم.

وسنحت له الفرصة في أبريل (نيسان) ١٩٩١ حين وقف تحت المطر في مدرسة كاربنتر الابتدائية في ولفبورو بولاية نيوهامشير ومعه بوب وبيفرلي ديفيس وعدد من أولياء التلاميذ، وسط ملعب موحل ليس فيه الا القليل من التجهيزات القديمة المتهدمة.

وكان بوب ديفيس تقدم بشكوى الى مجلس المدرسة لافتاً الى حال الملعب المزرية. فأبلغ اليه أعضاء المجلس أن الموازنة المتقشفة لا تسمح لهم بتحسين

(١) العرزال كوخ يبنى باغصان الشجر وغالبا في شجرة.



بوب ليذرز ومجموعة من "الخبراء" المتحمسين يخططون لبناء ملعبهم.

الملعب. وكان الأخوان ديفيس شاهدا ابتكارات بوب ليذرز وأقنعا أولياء آخرين بضرورة تنفيذ أحدها في ولفبورو.

بعد معاينة الموقع، دخل بوب غرفة الصف الابتدائي الاول وجلس في كرسي تلميذ وسط مجموعة من الصغار في السن السادسة. قال: "مرحباً، اسمي بوب ليذرز وأنا مهندس معماري. هل بينكم من يعرف ماذا يعمل المهندس؟"

فحدّق اليه الصغار وقد أخذتهم الحيرة. فهو بدا لهم في سرواله الجينز وحذائه الرياضي وقميصه الزاهي كولد كبير. ومع أن شعره غزاه الشيب وتساقط معظمه، أوحت ابتسامته العابثة أنه واحد منهم ومستعد لبدء مغامرة شائقة.

أضاف بوب: "المهندس المعماري يصمم أشياء. واليوم سأصمم ملعباً. لكني في حاجة الى مساعدة عدد من الخبراء. فهل تعرفون من هم هؤلاء؟"

صمت الاولاد برهة ثم هتفوا بنغم واحد: "نحن!"

فمال بوب اليهم وسأل: "وما هي أحلى الالعاب التي تريدونها في ملعبكم؟"

اقترح صبي: "بيت أشباح يسكنه الكونت دراكولا مصاص الدماء."

وقالت فتاة صغيرة: "بيت عنكبوت نتسلق فيه الى العنكبوت."

واستمر طرح الاقتراحات الى أن تدخل بوب أخيراً: "حسناً، قررنا أن يكون في وسط الملعب قصر كبير والى جانبه حصن. وللدخول، عليكم تسلّق متاهة تجدون أنفسكم في نهايتها وجهاً لوجه أمام... دراكولا."

فهتف الأولاد جميعاً: "نعم! نعم!"

وبحلول الظهر كان بوب جالساً الى طاولة في مطعم المدرسة يرسم تصاميم الاولاد على ورقة كبيرة فيما تحلق هؤلاء حوله وهم يلقون عليه أسئلة ويتلمسون الرسم. ولم يحن موعد العشاء حتى كان أنجز رسم منظر عام للملعب لعرضه على لجنة الاهل والمعلمين.

نظر الكبار الى تصميم المهندس

بمزيج من الاعجاب والقلق. فالملعب الذي أراهم اياه دقيق التفاصيل الى حد لا يصدق. فهل يستطيع هواة جمع أجزائه وجعلها آمنة؟

لكن بوب ليذرز لم يكترث لمخاوفهم، وأكد أن المشروع "سينجح، فما علينا سوى احضار ألواح خشبية صغيرة وكبيرة. ندق مسامير صغيرة في الالواح الصغيرة ومسامير كبيرة في الالواح الكبيرة. هذا كل ما يتعين عليكم معرفته."

رفقة لا تُشرى. من السهل للمشاهد من بعد أن يتعرف الى ملاعب بوب. فهي تتميز بكونها غابة من الممرات الخشب والمتاهات والسلالم مسيّجة ومتوّجة بسقوف مستدقّة. لكن نظرة متنعمة تكشف أن لكل ملعب خصائصه التي جاءت تلبية لرغبات أولاد كل محلّة.

ففي ملعب مدرسة "ووندد ني" في المحمية الهندية "باين ريدج" في داكوتا الجنوبية حصان جامح، وفي فورت ماديسن في آيوا مرقاب (تلسكوب) خشبي طوله متران يستطيع الاولاد النظر من خلاله. وفي بانغور بولاية ماين قفير نحل وبيت أشباح ساهم في تمويلهما الكاتب ستيفن كينغ وهو مؤلف قصص رعب ووالد أحد التلاميذ في بانغور. وتباهي مدرسة روكفورد في ايلينوي بكهف من الاسمنت يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار وفيه غرفة تحوي حفرة للتنقيب عن الآثار وأخرى تتدلى من سقفها هوابط جليدية.

لقد أنجز بوب ومعه فريق متفرغ يضم ١٨ شخصاً تجهيز ٦٥٠ ملعباً للاولاد في ٣٨ ولاية، مستعيناً كل مرة بأيد عاملة متطوعة. ويقول جون ستيل وهو والد أحد التلاميذ: "اكتشفنا مقدار ما نستطيع انجازه بأنفسنا حين نعمل معاً. وقد منحنا هذا الامر ما نورثه أولادنا، ولا أعني الملعب فقط وانما هذا الحس بالفخر الذي يتقاسمه أهل المحلة."

ويوافق بوب على هذا الرأي مضيفاً: "بعد انجاز العمل يصبح الملعب رمزاً ثميناً للرفقة التي لا تشرى بالمال."

ومن حين الى آخر يحاول أصحاب المشاريع حمل بوب ليذرز على بناء ملاعب من دون الاستعانة بمتطوعين أو إشراك سكان المحلة. لكنه يرفض مقترحاتهم: "لا، لن أفعل ذلك، ان بناء ملعب تجاري واسع واحد يستغرق وقتاً يمكن فيه بناء ثلاثة من الملاعب المحلية."

وهو لا يسعى الى جمع ثروة، بدليل أن ما يتقاضاه للملعب الواحد يراوح ما بين أربعة آلاف دولار وأربعة عشر ألفا (وفقاً لحجمه والتجهيزات المطلوبة) أي نحو ثلث ما هو متداول في السوق.

في شهر أبريل (نيسان) ١٩٩١ عمد مزارعون هسبان[٢] في بلدة بلاينفيو الريفية بتكساس الى تثبيت ألواح خشبية بمسامير لاقامة ملعب لاولادهم أسوة بسائر الامريكيين، على أن يكون "نجم" الملعب نصب راعي بقر (كاوبوي) شارك الاولاد في تصميمه.

(٢) الهسبان متحدرون من امريكا اللاتينية.

ولدى اكتمال المشروع الذي أطلق عليه اسم "كيدزفيل"[٣] أقيم احتفال أطلق فيه ٢٠٠٠ بالون في الهواء قبل أن يبدأ ١٦٠٠ طفل عداً عكسياً بصوت واحد: "عشرة، تسعة، ثمانية،... ثلاثة، اثنان، واحد،" ويندفعوا الى أرض الملعب.

وعانق الآباء بعضهم بعضاً مزهوين بانجازهم وبفرحة أولادهم. وما ان جلست بربارة دورمان، منظمة المشروع، في أحد المقاعد الجديدة حتى دنت منها طفلة في السادسة من العمر ذات شعر أجعد وعانقتها قائلة: "شكرا لك،" ثم أسرعت عائدة الى الملعب.

فتمتمت بربارة وهي تغالب دموعها: "لقد نجحنا!"

سيبقى ملعب "كيدزفيل" عشرات السنين، لان كل ابتكارات بوب ليذرز، حتى تلك التي استهل بها عمله في الغابة المحيطة ببحيرة هولبروك، ظلت قائمة أطول مما قدِّر هو أن تدوم.

ماري موري ■

(٣) Kidsville اي مدينة الاولاد.



في انتظار الزبون

اتصل أحدهم بمخزن ليسال عن حاجة يريد شراءها، فطلب اليه الموظف ان يتريث قليلا حتى يجيبه. فانتظر الرجل... وانتظر حتى عيل صبره. وفي النهاية غادر المنزل وقاد سيارته ثلاثة عشر كيلومتراً حتى بلغ المخزن. فترجل من السيارة واقترب من طاولة الهاتف مشيراً الى الضوء الأحمر الذي يومض على الجهاز، وصاح بالرجل المسؤول عنه: "اتعرف الشخص الذي ينتظر على الطرف الآخر؟ انه انا."

ك.م.

سيدة مزعجة

اصطحبت المراة طفلها البالغ ثمانية عشر شهراً في رحلة بالطائرة. واذ رأت وجوه الركاب وهم يشاهدون الصغير، فهمت ان عليها ان تبذل جهدها حتى تمنعه من ازعاج الآخرين، فراحت تقرأ له قصصاً وتلاعبه وتلهيه. وقبل نهاية الرحلة بقليل، ضاق بها ذرع احد المسافرين فصاح: "سيدّتي، من يزعجنا هو انت وليس ابنكِ!"

س.ر.

اللوم على النظر

تلقيتُ الكثير من الاتصالات الهاتفية التي تسال عن الدكتور خالد. واكّد جميع المتصلين ان الرقم الذي طلبوه هو عينه المطبوع على بطاقة الطبيب. وفي النهاية بحثت عن رقم الدكتور خالد في الدليل واتصلتُ به مستفسراً فاجاب ضاحكاً: "ليست المشكلة في الرقم المطبوع على البطاقة بل في الزبائن، فانا يا سيدي طبيب عيون."

دائرة المعارف

أبو الحارث كنية الاسد، وأم الطعام كنية الحنطة، وابن الغمد كنية السيف، وابنة الجبل كنية الحية. هنا بعض كنى العرب.

أبو يحيى. يقال لقابض الأرواح: أبو يحيى، كما يقال للحبشيّ: أبو البيضاء، وللأعمى: أبو البصير.

أبو الذّبّان. كُنِي بذلك عبد الملك بن مروان لشدّة بَخَره وموت الذّبّان إذا دنتْ من فمه. ويحكى أنه عضّ يوما تُفّاحة ورمى بها إلى بعض نسائه، فدعت بسكّين فقطعت موضع عَضّته، فقال لها: ما تصنعين؟ قالت: أميط عنها الأذى. فطلّقها من وقته.

أبو البيضاء. كنية الحَبشيّ، كما يكنى المكفوف أبو البَصَر.

أبو طريف. كنية الفَرّج، وأنشدَ لابن أحمر.

قالت فأهدِ لنا إزاراً مُعلما
فأبو طريف ما عليه إزارُ

ويكنى أيضاً بأبيَ الجنيد، وأبى الزّردان، كما يكنى الذّكَر بأبي جُمَيح، وأبي رُميح، وأبي عَوْف.

أبو ليلى. كنية لمن يحمّق، وكذلك أبو اَدْراص، وقالوا: أبو دَفار.

أبو أيوب. كنية الجمل، وكذلك أبو صفوان.

أبو الأخطل. كنية البغل، وكذلك أبو قمُوص.

أبو بَراقِش. طائر منقش بألوان النّقوش يتلوّن في اليوم ألواناً، ويُضْرَب به المثل للمتلوّن.

أبو قلَمون. هو في الثياب كأبي بَراقش في الطير، فإن أبا قَلَمون يتلوّن وأبا براقش يتخيّل، وأبو قلَمون: كنية لثياب إبرَيْسَم وكتّان تنسج بالروم ومصر، يضرب بها المثل، يقال: أكثر تلونا من أبي قَلَمون، كما قال الشاعر.

أنـا أبـو قَـلَمُـون
فـي كلّ لـون أكـونْ

أبو مُرّة. هو إبليس، وإنما يُكنَى بهذه الكنية، لأنّ الشيخ النجديّ الذي ظهر إبليسُ في صورته فأشار على قريش بأن يكونوا سيفاً واحدا على النبي صلّى اللّه عليه وسلّم كان يكنى أبا مُرّة.

أبو عَمْرة. كُنية الإفلاس، وكُنية الجوع. قال أبو فرعون الشاشيّ:

إنّ أبا عَمْرةَ حلّ حُجْرتي
وحَلّ نسجُ العنكبوت بُرْمتي

أبو مالك. كنية الجوع، وكنية الكبَر.

أبو عُذْرة. يقال: فلان أبو عُذْرة هذا الكلام، أي هو الذي اخترعه ولم يسبقه إليه أحد. وهو مستعار من قولهم: هو أبو عُذْرتها، أي هو الذي افتضّها، ويقال: إنّ المرأة لا تنسى أبا عُذْرَتها.

أبو جَعْدة. كُنية الذئب.

أبو المَضاء وأبو طالب. الفَرَس.

أبو الحجّاج. الفيل، وبه يكنى في بلاد الهند.

أبو الحارث. الاسد.

أبو الحصين. الثعلب.

أبو زَنّة وأبو قيس. القرد.

أبو الوثّاب. الفهد.

أبو نبهان. الارنب.

أبو خداش. السنور.

أبو يقْظان. الديك.
أبو الاخطل. البغل.
أبو جعدة. الذئب.
أبو غياث. الماء.
أبو جامع وأبو الخير. الخوان.
أبو جميل. البقل.
أبو نافع. الخل.
أبو مُسافر. الجبن.
أبو الخصيب. اللحم.
أبو عون. التمر.

أمّ المؤمنين. هي عائشة رضي الله عنها، وكلّ واحدة من أزواج النبيّ صلّى الله عليه وسلم أمّ المؤمنين، لقول الله عز اسمه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.

أم الرأس. هي أعلى الهامة وموضع الدّماغ من الرأس وما أحاط به، قال أبو الطيب المتنبي يصف القلَم:

نحيف الشّوى يعدو على أم رأسه
ويَخفَى فيقوى عَدْوُه حين يقطَع

أمّ الطّعام. هي الحِنطة، لأنّ لها فضلا على سائر الحبوب.

أم عوْف. هي الجرادة.
أم طلحة. هي القَمْلة.

أمّ مِلدم. هي الحمى، وفي رقْيَتها: الى أم مِلدم، التي تأكل اللحم وتشرب الدم.

أمّ قشعم. هي المنيّة والحرب والداهية الكبيرة.

أمّ طبَق. هي الداهية الكبيرة.

ومن كُنى الدّواهي أمّ حَبَوْكَر، ومَنْ كناها أم الرُّبيق.

ومن كنى الدّواهي أمّ خَنْشَفِير، وأمّ أدْراص، يقال: وقعوا في أم أدراص، أي في موضع استحكام أمّ البلايا، لأن أم أدراص جحَرة للفأر لا يتخلّص منها اذا ارتطم فيها إلا بعد جهد، فأمّا أمّ الدُّهَيم وأمّ اللهيم فكنيتان من كُنى المنية.

ابن ذُكاء. هو الصّبح، وأبو ذُكاء: هو الشمس، قال الرّاجز:

فوردتْ قبل انبلاج الفجر
وابنُ ذُكاءٍ كامِنٌ في كَفْرِ

ابن الغمام. هو البَرَد، وقد أحسن ابنُ الرومي في قوله:

يُدْوي الرجال ويَشفيهم بمبتسم
كابن الغَمام وريق كابنَة العنب

ابنُ جَلا. هو الذي أمره منجلٍ منكشف، قال الشاعر:

أنا ابن جلا وطلّاع الثّنايا
متى أضعِ العمامةَ تعرفوني

ابن حبة. هو الخُبز، يقال له جابرُ بنُ حبة.

ابن الخَصِيّ. يُضرَب مثلا لما لا يجوز أن يكون، كما قال أبو تمام:

وذاك له إذا العَنْقاء صارت
مربيةً وشبَّ ابنُ الخصِيّ

ابن الغِمد. هو السيْف لطول ملازمته إياه وقراره فيه.

ابنا سمير. العَرَب تقول: لا أفعل ذلك ما سمر ابنا سمير، وهما الليل والنهار. وقيل: الغداة والعشِيّ.

بنو غَبْرَاء. هم اللصوص والصعاليك المُهتدون في مجاهل الأرض، والعالِمون بطرقها. وقيل: بل هم الفُقراء اللاصقون بالغبْراء من سوء الحال، على غير غِطاء ولا وِطاء.

ابنة الجبل. هي الحية الصماء التي لا يقرُب أحد جبلها من خوفها.

بنت المنية. هي الحمى.

بنت الفكر. هي الرأي والشعر. قال بعض العصريين:

ودونك البكر بنت الفِكر قد برزت
من خِدرها تخدُم الأستاذَ سيِّدنا

بنات الدهر. حوادثُه ومصائبه.

بنات المنايا. هي السِّهام.

بنات الصّدر. هي ما يُضمره الانسانُ من الخير والشر.

بنات الخُدور. هي العذارى، ويقال لهنّ أيضاً بناتُ الحِجال.



الدماغ الشافي: تقدم طبي يحقق عجائب

بينما كانت تامي دوميكل في نزهة مع خطيبها على طريق رئيسية، أغفى هذا وراء مقود السيارة فاصطدمت بحاجز على جانب الطريق. وأصيبت تامي بكسر بالغ في رقبتها وانسحق حبلها الشوكي.

وبعد سنة من العلاج الطبي بقيت تامي فاقدة الحس في ذراعيها وساقيها. وأفادها الاطباء أنها ستبقى مشلولة الاطراف الاربعة مدى الحياة، وأن الحركة الوحيدة التي ستستطيعها هي من الرقبة صعوداً.

اذذاك قصدت تامي العالم النفساني برنار براكر في مركز جاكسون ميموريال الطبي في جامعة ميامي.

وكان براكر يعمل على المرضى الذين يعانون تلفاً في الدماغ والحبل الشوكي، مطوراً علاجات ثورية مبنية على مبادىء التغذية الاسترجاعية الحيوية،[1] وهي طريقة لضبط الانظمة اللاإرادية في الجسم. وكان العلماء النفسانيون بدأوا في الستينات وصل الناس الى أجهزة

(1) Biofeedback

لمراقبة نبض القلب وموجات الدماغ، تبث اشارات مرئية أو سمعية تعكس ما يعتمل داخل الجسم. وقد تعلّم الخاضعون لهذه التجارب كيف يمكنهم، بالتركيز البحت، استخدام نبضات قلوبهم وغير ذلك من ردود الفعل الفيزيولوجية في تحريك قرص هاتف أو تغيير طبقة نغم ما.

لم يحظَ هذا العمل الرائد الا بقليل من الاهتمام الجدي اذ اعتبره خبراء الصحة من الأحابيل، كما اعتبروا أن من خضعوا له كانوا مجرد حقول تجارب تسعى الى الاثارة. وقد شرح براكر الامر بالآتي: "لقد اعتُبرت التغذية الاسترجاعية الحيوية وسيلة لايقاظ الوعي. وكان هذا كل نطاق استخدامها."

ولكن، مع التطور الذي نشهده اليوم في عالم الالكترونيات، استعادت التغذية الاسترجاعية الحيوية مكانتها اذ بات في وسع الكمبيوتر اختزان معطيات عن أي وظيفة في الجسم يمكن قياسها، كما بات في وسع الاجهزة التمييز بين الاشياء على نحو أدق يتيح للمرضى أن يشاهدوا على الفور كل المؤثرات البالغة الصغر التي تنجم عن جهودهم. وأهم هذه الاجهزة اثنان: الالكتروميوغراف[٢] الذي يُظهر النشاط الكهربائي لنوع معين من العضلات، والالكتروانسفالوغراف[٣] الذي يبين النشاط الكهربائي في الدماغ.

يقول براكر: "عندما يتعلم المرء ركوب دراجة هوائية ويرتكب أخطاء فانه يقع تكراراً. وهذا من باب التغذية الاسترجاعية الحيوية التي تتيح للدماغ، من خلال عملية التعلم، اجراء تعديلات الى أن يكتشف تركيبة الخلايا الصالحة لأداء مثل هذا العمل. وبفضل التغذية الاسترجاعية الحيوية يصبح المرء واعيا ما قام به الدماغ من تعديلات، فيستطيع التمييز بين الخطأ والصواب. وينطبع التصرف الصحيح في خلايا الدماغ المناسبة."

مجهر داخل الجسم. إن بعض النجاح الواضح الذي حققته التغذية الاسترجاعية الحيوية في بداية عهدها، كان في مضمار العلل المرتبطة بالاجهاد الذي ما إن يحدق بعقولنا حتى يولد توتراً عضلياً مفرطاً ويرفع ضغط الدم. يقول ستيفن واكر مدير معهد روكي مونتنز للصحة والاداء في بولدر بولاية كولورادو، إن التنفس العميق وأساليب الاسترخاء، المترافقة والتغذية الاسترجاعية، تعلمنا السيطرة على الاجهاد بفاعلية وأمان.

في العام ١٩٩١ عالج واكر مديرة شركة كانت تعاني نوبات ربو حادة يزيدها الاجهاد سوءاً، فتضطر الى التغيب عن عملها أحياناً. وهي صرفت معظم حياتها تتناول أدوية لعلاج الربو كانت توهن قواها وتصيبها بالغثيان.

فعلمها واكر طريقة "إرخاء العضل تدريجاً"[٤] وهي تقنية علمية مهدئة تعتمد شدّ كل العضلات وإرخاءها على نحو

(٢) Electromyograph (EMG)

(٣) Electroencephalograph (EEG)

(٤) Progressive muscle relaxation

تدريجي. وما إن أتقنت المرأة هذه التقنية حتى ربط واكر الى أصبعها مجسًّا[٥] لحرارة الجلد، والى جبينها وأعلى كتفها (حيث مواقع توتر العضل الرئيسية) إلكترودات[٦] جهاز إلكتروميوغراف. وعندما تم له ذلك، طلب منها أن تغمض عينيها وتتصور نفسها في وضع معاناة إجهادية.

تخيلت المرأة نفسها منخرطة في جدل حاد، فسجل كمبيوتر الالكتروميوغراف أصواتا سريعة عالية تشير الى حصول توتر عضلي، كما أصدر مجس حرارة الجلد أصواتاً عالية مماثلة تشير الى حصول برودة في اليدين. وعندما شرعت المرأة في الاسترخاء وفق تقنية إرخاء العضل التدريجي، أصبحت الاصوات المنبعثة من كلا جهازي المراقبة أبطأ وأعمق، دلالة على انخفاض التوتر العضلي وارتفاع حرارة الجلد. وبتحويل المرأة تركيزها من الاجهاد الى الاسترخاء، بدأت تتغلب على ردود الفعل الناجمة عن الاجهاد.

وبعد جلسات دامت الواحدة منها ست ساعات، شعرت المديرة بانخفاض بارز في حدة نوبات الربو التي تنتابها، كما قل تغيبها عن العمل بنسبة ٧٥ في المئة.

يقول واكر: "أحست تلك المرأة للمرة الاولى أنها باتت قادرة على القيام بأمر ما من دون الاعتماد كليا على الدواء. فالتغذية الاسترجاعية الحيوية تسجل العلامات الدالة على الاداء لحظة فلحظة وكأنها مجهر قائم داخل الجسم."

عون للاولاد. ثمة نجاحات مماثلة تحققت لدى مرضى آخرين من طريق اعادة تدريب الموجات الدماغية لديهم. ففي جامعة تنيسي في نوكسفيل، يتولى العالم النفساني جويل ف. لوبار معالجة تدني الانتباه والحركة المفرطة[٧] لدى الاولاد، ليس بالادوية فقط، وانما بتعليمهم، ضبط ايقاعاتهم الدماغية من طريق التغذية الاسترجاعية الحيوية بواسطة جهاز الالكتروانسفالوغراف.

جيء الى لوبار مرة بتلميذ في العاشرة من عمره اشتهر في الصف بعدم الانتباه وبالحركة المفرطة. وكان معدل ذكائه فوق المتوسط، الا أن علاماته بقيت في مرتبة ما بين المعدَّل والسقوط. فأظهر فحص الالكتروانسفالوغراف أن التلميذ ولّد أثناء القراءة موجات ثيتا[٨] عالية، وهي ايقاعات دماغية بطيئة مترافقة وأحلام اليقظة، بدلا من موجات بيتا[٩] السريعة المترافقة والتفكير المركَّز.

بدأ لوبار تدريب الصبي على التغذية الاسترجاعية الحيوية بوصل مجسَّات الالكتروانسفالوغراف الى جلدة رأسه. فظهرت على شاشة الكمبيوتر دائرة خضراء مجسَّمة أخذت تتسع وتضيق تبعا لنشاط موجات بيتا. وفي الوقت نفسه راحت نغمة ناي تعلو وتنخفض تبعا لهذه الموجات. وكان على الصبي، من خلال

(٥) Sensor . وهو جهاز تحسُّس.
(٦) الالكترود قطب كهربائي.
(٧) Attention deficit hyperactivity disorder
(٨) Theta waves
(٩) Beta waves

التركيز الثابت غير المضطرب، أن يحاول توسيع الدائرة ورفع نغمة الناي.

يقول لوبار: "كنا نعلمه التركيز واليقظة مع الاحتفاظ بهدوئه."

وعندما أنهى الصبي تدريبه بعد ستة أشهر، تحسن أداؤه المدرسي وبدأ ينال علامات ممتازة.

يقول لوبار: "متى استطاع الاولاد المصابون بخلل تدني الانتباه والحركة المفرطة، التحكم بنشاطهم الذهني، يتحسن سلوكهم ويبرز ذكاؤهم الفطري ويزداد احترامهم لذواتهم."

حركت ساعدها! يمثل برنامج العلاج الثوري الذي ابتكره برنار براكر الصورة الاكثر طموحاً للتغذية الاسترجاعية الحيوية في مجالها التطبيقي. فمنذ العام ١٩٨١ تمت معالجة نحو ٢٠٠٠ مصاب بالشلل في مختبراته. وقد أفاد ٩٠ في المئة منهم عن تحسن حالهم، بمن فيهم مشلولو الاطراف الاربعة.

عندما قصدَتْ تامي دوميكل عيادة براكر بعد سنة على حادث الاصطدام، كان الاطباء حكموا بأن معظم أعصاب حبلها الشوكي تالفة. الا أن فحصا بجهاز الالكتروميوغراف أجري على عضلاتها الثلاثية الرؤوس[١٠] في ساعديها كشف بقاء أعصاب غير تالفة، بدليل أن ١٤ في المئة من الرسائل الكهربائية المنبعثة من دماغها كانت تمر عبر الحبل الشوكي.

تقول تامي: "لم يكن ذلك كافياً لبعث الحركة، الا أنه مدَّني بالامل."

اعتقد براكر أن نوى بعض خلايا أعصاب الحركة[١١] كانت لا تزال سليمة، وهذا يعني أن ثمة احتمالا لاستخدام تلك الخلايا بعد اعادة تدريب الدماغ على الوجه الصحيح. وفي أول جلسة تغذية استرجاعية حيوية خضعت لها تامي، وفيما الالكترودات مربوطة الى ساعدها، طلب منها أن تراقب خطاً أفقياً أزرق على شاشة الالكتروميوغراف يمثل تعليمات صادرة من دماغها الى عضلات ساعدها عبر حبلها الشوكي. وكان على تامي محاولة تحريك ساعدها لجعل الخط يرتفع. تقول: "ركزت على الشاشة فقط، وكنت كلما خطر لي رفع ساعدي أرى الخط يرتفع."

بعد ثماني جلسات وصل الخط قريبا من أعلى الشاشة، مما يعني أن ٨٠ في المئة من النشاط الكهربائي عاد الى طبيعته. لكن الحركة بقيت مفقودة. يقول براكر: "أعدنا وصل الدماغ الى العضلات، وبقي علينا تنمية القوة في العضلات الضامرة."

تتابعت الجلسات وواصلت تامي تركيزها لجعل الخط يرتفع. ويوما بعد يوم أخذ اختصاصي بالمعالجة الفيزيائية يمرن عضلات ذراعها وفق عملية تدريجية بطيئة. وفي النهاية حركت تامي ساعدها، فهتف الحاضرون أبتهاجاً.

وتسارعت عملية اعادة التعلم، من ساعديها الى رجليها الى عضلات أخرى

---

(١٠) Triceps

(١١) Motor nerves

في أنحاء جسمها. وشهراً بعد شهر التزمت تامي دوميكل نظام حمية لا هوادة فيه.

واليوم، بعد ست سنوات على زيارة براكر، أصبحت قوة ساعد تامي فوق المتوسط، ولم تعد في حاجة الى كرسي متحرك. تقول: "أستطيع المشي حوالى ١٨ متراً مستعينة بالعصا فقط. وفي وسعي الذهاب الى أيٍ مكان اذا ما استعنت بعكازين. كما بتّ قادرة على رفع ٤٥ كيلوغراماً وركوب دراجة التمرين الثابتة يومياً مسافة تعادل سبعة كيلومترات."

عهد جديد. يقول الاختصاصيون بالتغذية الاسترجاعية الحيوية إن الوعد الذي تبشر به هذه التقنية لم يُسبر بعد. لكن مجال استخدامها علاجياً مذهل حقاً. ففي جامعة أيلينوي بشيكاغو، تستخدم في اعادة تأهيل عضلات الاشخاص المصابين بالسلس (العاجزين عن ضبط البول أو الغائط). وفي دراسات اختبارية أجريت على مدمني كحول وكوكايين، عرض يوجين ج. بنستون العالم النفساني السريري في بونهام بولاية تكساس، وبول ج. كولكوسكي العالم النفساني في جامعة سوذرن كولورادو في بويبلو، أهمية التغذية الاسترجاعية الحيوية في تخفيف الاجهاد الباطني والكآبة المعيقين لشفاء المدمن.

وقد يتنامى مجال استخدام التغذية الاسترجاعية الحيوية، خصوصاً اذا توافرت وحدات الكتروانسفالوغراف والكتروميوغراف نقالة تحرر المرضى من القبوع في المختبرات ساعات طويلة. ويقول العلماء النفسانيون أن لا حدود لامكاناتها.

أما برنار براكر فيقول: "إن التغذية الاسترجاعية الحيوية تقدم دليلا قاطعاً على ما يستطيعه الدماغ. لقد فتحت عهداً جديداً في مجال التعلم البشري."

ج. مورو وريك وولف ■

أهلا بعزيز

وصل النادل الشاب الى الطاولة حيث تجلس العائلة وقال: "مرحى، اسمي عزيز وسوف اكون نادلكم." فحدق اليه الرجل وقال: "مرحى، اسمي يوسف وسأكون زبونكم."

م.ش.

سكرتيرة ذكية

تلقت زوجتي بطاقة من عملها تدعوها الى حضور حفلة في ذكرى تأسيس الشركة، وكان تاريخ الحفلة مصادفا لليوم نفسه الذي ستضع فيه زوجتي طفلنا، فاتصلتُ بربّ عملها لاعتذر بالنيابة عنها، وحين شرحتُ الامر لسكرتيرته قال لي: "يا للأسف، لقد ابلغت الى المدير انه كان علينا ان نبعث بالبطاقات في وقت ابكر."

ب.ك.

الهرب

قررت المرأة مغادرة الجزيرة
فهل يقبل زوجها الطيار بقرارها؟

تسللوا من البيت فرادى في الظلام، وركبوا الحافلة بصمت. لم يظهر أي ضوء من نوافذ المنازل القريبة. لكن نينا كارازانا ارتأت أنه إذا كان ثمة من يراقبهم فسوف يفترض أن مجموعتها المؤلفة من ١٦ شخصا هي في طريقها الى نزهة في العراء. وكانت حددت لكل شخص بالغ حقيبة ظهر واحدة.

شقت الحافلة طريقها بحذر عبر طرق هافانا الكئيبة الخالية نحو الميناء، حيث انتظرتها مجموعة ثانية. وبعدما صعدت هذه المجموعة المؤلفة من ١٥ شخصا الى الحافلة، اتجه السائق نحو منتجع فاراديرو البحري على مسافة ١٥٠ كيلومترا شرقا.

كانت المجموعة تضم ٢٢ بالغا و٩

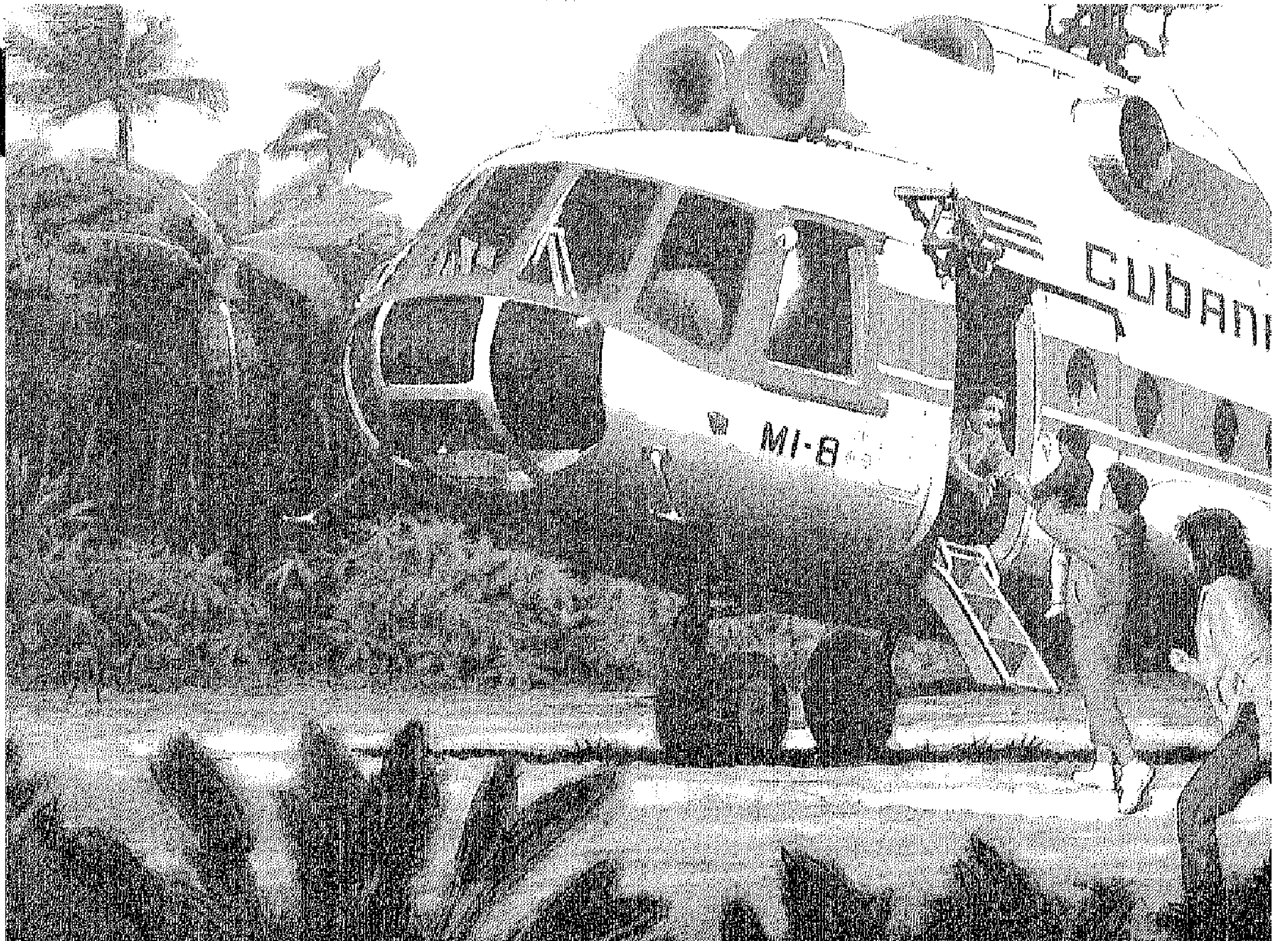


إلى الحريّة

أولاد بينهم طفلان. جلس الرجال والنساء يحدقون الى الحقول التي تمر بهم وقد انحفر القلق في الوجوه، فيما راحت نينا (٤٤ عاما) تراجع الخطة في رأسها مرة تلو أخرى. اذا لم يخذلهم حظهم فسوف يحققون أكبر هروب جوي جماعي في تاريخ عمليات اللجوء الكوبية المشحونة بالعذاب.

توقفت الحافلة في فاراديرو في تمام السابعة صباحا، وكان في انتظارها زوج نينا جيرمان بومبا في زي الطيران الابيض الانيق.

قفز جيرمان الى الحافلة وقبَّل زوجته، ثم تطلع نحو الجماعة مستغربا: "كل هؤلاء؟ كنت أتوقع ٢٤ شخصا فقط!" ثم هز كتفيه ردّاً على نظرة اعتذار من



زوجته. فالحمل كبير على الطوافة، لكن وقت التراجع فات. فأعلن بحزم: "علي أن أختار بقعة لهبوط الطوافة."

ابتعد السائق بالحافلة عن الشاطىء ماراً بمزارع وأجمات من الصنوبر والنخيل. "هناك!" قال جيرمان مشيراً الى مساحة معشوشبة مرتفعة قليلا. وأضاف: "عليكم أن تبقوا مختبئين حتى نحط بالطوافة."

أخلى الركاب الحافلة بسرعة، ثم أقل السائق جيرمان وادواردو ابن نينا البالغ من العمر ثلاثة وعشرين عاماً وصديقه راوول الى مطار فاراديرو وأنزلهم هناك. وكان الشابان يرتديان قميصين أبيضين وقد علقا أشرطة ذهبية على أكتافهما ايهاما بأنهما مساعد الربان ومهندس الطوافة.

حيا الحارس في المطار جيرمان، وهو وجه مألوف لديه، فيما لم يعر الآخرين سوى لمحة عابرة، إذ كان مساعدو الربابنة والمهندسون يتبدلون بكثرة في مطار فارادیرو.

قاد جيرمان رفيقيه مباشرة الى الطوافة السوفييتية الصنع من طراز «Mi-8» التي تتسع لثمانية عشر راكباً وتحمل على جانبها شعار "الخطوط الجوية الكوبية." فتسلقها الثلاثة وشد ادواردو وراوول الأحزمة فيما تفحص جيرمان أجهزة الطيران. أمسك بيده اليسرى عصا القيادة وضغط باليمنى مفتاح الاشعال.

كانت الاستجابة صمتاً مطبقاً. جرب ثانية. لا شيء. عرف في تلك اللحظة أن الطوافة عطلت عن قصد وتساءل في سره: "هل كانوا يشكون في الأمر؟"

أعاد جيرمان مفاتيح الاجهزة الى مواضعها الاساسية بسرعة وأمر الرجلين الآخرين: "أخرجا من هنا بسرعة!"

فقفز الثلاثة الى الأرض وساروا بهدوء ورباطة جأش الى مبنى المطار.

جلست نينا بين الأشجار تغالب الذعر. لقد عاد السائق ولم يشر الى أي عقبة. لكن نصف ساعة مضى، فأين هي الطوافة؟

تطلعت بيأس نحو ابنتها اينوفا (٢٤ عاماً) التي وقفت تحتضن طفلتها انديرا ابنة الخامسة. لقد خططت نينا واينوفا لهذا اليوم، وعانتا من أجله، فماذا حدث؟

"**سوف أهرب.**" كانت اينوفا بكت في أكتوبر (تشرين الاول) السابق وهي تقول لأمها: "ماما، لم أعد أستطيع الاحتمال. فلا طعام لدينا ولا كهرباء ولا أمل. إنني لا أرى مستقبلا لطفلتي هنا."

كانت اينوفا تعمل في منتجع للسياح الذين يحملون العملات الصعبة ويذكّرونها دائما بحياة الحرية والبحبوحة التي يتمتع بها الأجانب. وكانت في المقابل تحس قرفا من حال الحرمان والقهر في كوبا. فأعلنت لأمها: "سوف أهرب في قارب. وسآخذ طفلتي معي."

"لا!" صرخت نينا، "فالتيارات خطرة."

لكن اينوفا أصرت قائلة: "لقد أمنت الوسيط، وهو يعمل للحصول على قارب."

قالت نينا: "أقسمي لي بأنك ستنتظرين. أريد أن أجد طريقة تمكن عائلتنا كلها من الرحيل."

فردت اينوفا أخيرا: "حسناً، سوف أنتظر، ولكن لمدة قصيرة."

علمت نينا بأنباء انهيار الانظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية وبتفكك الاتحاد السوفييتي. أما كوبا فتركت في عزلة سياسية ووضع اقتصادي منهار يزداد سوءاً باستمرار.

كان الكوبيون محظوظين إن حصلوا على جراياتهم المؤلفة من أربع بيضات و٢٢٥ غراماً من الدجاج في الأسبوع ورغيف خبز واحد يومياً. وكانت الانارة مقننة وساعات الكهرباء مراقبة ومن يتخطى حصته يقطع عنه التيار. فكرت نينا بحنق: "كل ما نسمعه أكاذيب. أكاذيب. أكاذيب!" وانضمت الى اينوفا في عزمها على الهرب. إنما كان عليها أن تقنع زوجها أولا.

صوت من الماضي. كان جيرمان بطل حرب وحامل أوسمة كثيرة. وكان طيار استطلاع وإنقاذ سبق أن قاد طوافات «Mi-8» ضد الثوار في أنغولا. أما الآن فقد أُلحق بخطوط الطيران الكوبية. وتساءلت نينا: "ماذا سيكون ردّ فعله؟"

بدأت نينا تختبر ميول زوجها بالشكوى من الأحوال المعيشية. كما كانت تبقي "راديو مارتي" (صوت أمريكا) مفتوحا عندما يعود الى المنزل. وكان الاستماع الى تلك الاذاعة مخالفة للقانون، لكن جيرمان لم يبد احتجاجا.

ذات ليلة سمع جيرمان صوتاً مألوفاً من ماضيه. انه صوت الرائد أوريستس لورنزو قائده السابق الذي هرب الى كي وست في فلوريدا في مارس (آذار) ١٩٩١. تحدث لورنزو عن اضطهاد الشرطة الكوبية لزوجته وطفليه الصغيرين. وكان فرض على أفراد عائلته فقر مدقع، وأخبروا أنهم لن يغادروا كوبا أبداً.

بعد نهاية البث قال جيرمان معلقاً: "لا يجوز تفريق العائلات. يجب أن يسمح لهم بالمغادرة اذا كان هذا ما يريدون."

كان صوت لورنزو يسمع عبر الاذاعة تكرارا وهو يحض مواطنيه على تقصي الحقائق. ولقي كلامه استحساناً في نفس جيرمان.

أحست نينا في أواخر نوفمبر (تشرين الثاني) أن الأوان قد آن، فقالت لجيرمان: "إنني خائفة فعلا. اينوفا تعتزم الهرب الى أمريكا في قارب. فلم لا نذهب كلنا ونأخذ الطوافة؟"

رد جيرمان بصوت مذهول: "لا أمل في ذلك، العملية صعبة جداً."

خفق قلب نينا، فزوجها اعترض على استخدام الطوافة لا على فكرة الرحيل.

فيما كان جيرمان ينقل السياح من

مطار فاراديرو واليه، أخذ يتفحص فكرة نينا ويدرس طريقة تنفيذها ويلاحظ مواقع ممهدة بين الأشجار شمال المطار حيث يمكنه أن يحط بالطوافة الضخمة. وقال في نفسه متأملا: "قد لا تكون العملية بتلك الصعوبة."

ذات يوم من منتصف ديسمبر (كانون الاول) عاد الى المنزل حازما أمره، وقال لزوجته: "نينا، أظن أن هناك طريقة تمكننا من تنفيذ ما تقولين."

فغمرتها السعادة ونقلت الخبر الى أولادها الاربعة وبعض من أصدقائها الذين كانوا يشاطرونها رأيها.

وقبل عيد الميلاد بيومين استدعي جيرمان الى هافانا حيث قلد وساما لخدمته المميزة للثورة. وفكرت نينا: "من الذي سيشك في بطل قومي؟"

حدد يوم ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩١ موعداً للهرب. فبقيت المجموعة الأولى في منزل نينا تنتظر حلول الرابعة صباحا موعد لقاء المجموعة الثانية. وكان الاصدقاء الاساسيون في الخطة استقدموا أفراداً آخرين من عائلاتهم فلم تقدر نينا على رفضهم. حتى السائق الغافي في حافلته وافق على نقلهم شرط أن ينضم اليهم ويحضر معه شقيقه.

الجمعة أو أبداً. في المطار، توقع جيرمان و"مساعداه" رؤية رجال الأمن يهرعون للقبض عليهم. لكن أحداً لم يطلق انذاراً. وبقي جيرمان في المطار فيما غادر رفيقاه للالتحاق بالمجموعة. وصرخت نينا عندما رأتهما: "ماذا حدث؟"

فردّ ادواردو: "لم نستطع تشغيل الطوافة. لا تقلقي، جيرمان بأمان."

ثم حضّ الثلاثة أفراد المجموعة على ألا ييأسوا، وقرروا العودة الى المنزل ريثما يأتيهم خبر من جيرمان.

شدّد جيرمان من عزيمته في انتظار مساعديه الحقيقيين. وبعيد العاشرة صباحا تبع مهندس الطيران الى قمرة القيادة في الطوافة. فمدّ هذا يده الى جيبه وأخرج صماماً كهربائياً لا يتجاوز طوله ٢٥ مليمتراً وغمغم وهو يعيد تركيبه في جهاز الاشعال: "هناك كثير من الغرباء في هذا المكان، وقد يحاول أحدهم سرقة طوافتنا."

غمرت جيرمان موجة ارتياح وقال في نفسه: "اذاً ما زلنا بعيدين عن الشك." وفي آخر النهار طلب صماماً جديداً وبدأ يخطط للمحاولة التالية.

وحين همّ بالمغادرة طلب منه رئيسه أن يطير الى هافانا في اليوم التالي لاجراء عملية صيانة للطوافة. فكاد قلبه يقفز من بين ضلوعه. ترى، هل يشك رئيسه في شيء؟

أكمل الرجل حديثه بعفوية: "لن يستغرق الأمر طويلا. يمكنك إعادة الطوافة يوم الخميس." فقرر جيرمان: "الجمعة أو أبداً!"

نهار الجمعة اختار جيرمان مهبطاً آخر أصغر مساحة تحسباً لتسرب خبر عن المحاولة. وكانت خطوط كهرباء ثخينة

ممدودة في البقعة، لكنه قدر أن شفرات المروحة ستمر على بعد ٩ أمتار منها.

زيادة في الحمولة. في مخبأ بين الأشجار كانت نينا والآخرون ينتظرون سماع هدير الطوافة بتوتر وآذان صاغية. ثم اشتدت حماستهم، إذ كان الصوت يقترب متصاعداً ومعه العصفور الأبيض الضخم بطول ١٨ متراً يطير أفقياً على مستوى رؤوس الأشجار ثم يميل ليحط ويلامس الأرض.

تطلعت نينا الى أعلى وأحست بالاختناق خوفاً. فعاصفة الهواء التي أثارتها الطوافة حركت خطوط الكهرباء في رقصة عنيفة. واذا قطعت شفرات المروحة الخط "الحي" (المشحون) فقد تقتلهم الصدمة جميعاً. للحظة سمر الذعر الجميع، غير أن الطوافة حطت بسلام. وركض الاولاد والنساء في اتجاه بابها المفتوح. وتبعهم الرجال بسرعة وشقيق جيرمان في المؤخر.

انتظر جيرمان أخاه ليرفع السلم ويغلق الباب، ثم دفع المحرك الى أقصى طاقته وقد ارتسم التصميم على وجهه. حرك عصا القيادة برفق الى اليمين، ثم سحب العتلة التي تتحكم بالارتفاع.

ارتفعت الطوافة بتثاقل بضعة سنتيمترات فقط. زيادة في الحمولة! أحس جيرمان بتوتر. وبدا الأمر كأنما الطوافة مشدودة بأغلال. ارتفعي! واستمر قابضاً على العتلة حتى ارتفعت الطوافة فجأة بعيداً عن خطوط الكهرباء. ارتاح جيرمان مستنداً الى مقعده، وحوم فوق الاشجار حتى استقر مؤشر البوصلة على الدرجة ١٥ شمالا. وكان جيرمان رسم خط طيران الى ميامي مستعيناً بخريطة جوية لجنوب فلوريدا. كان هدفه مطار تامياميي الخاص خارج المدينة على مسافة ٢٧٥ كيلومتراً. وكانت ساعته تشير الى الثامنة الا ربعاً صباحاً، فقدر أنهم سيصلون قرابة التاسعة اذ كان يطير بسرعة ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة.

كادت الطوافة تلامس سطوح القرميد في فاراديرو وهي تنطلق عبر الشاطىء، ثم هبط بها جيرمان الى ارتفاع ثلاثة أمتار عن مياه المحيط الذي أضاءته الشمس لتبقى في مجال رصد الرادار



نينا كارازانا وحفيدتها في الولايات المتحدة.

PHOTO: © C.M. GUERRERO / MIAMI HERALD

الكوبي. كان الركاب يشغلون كل مقعد. وكان بعضهم راكعاً في الممر. اما نينا فجثمت خلف زوجها مركّزة عينيها على الأفق مثله. وهي لم تنظر الى الخلف مرة.

ذات الثوب الابيض. "استعدوا! هدف جوي على بعد ٣٠ كيلومتراً جنوباً من ماراثون كي."

لدى سماع هذا الامر هرع رينه موراليس، الطيار التابع لمصلحة الجمارك الامريكية، ومساعداه، الى طائرتهم ذات المحركين النفاثين من طراز "سيتايشن" وانطلقا من قاعدة هومستد الجوية لاعتراض الهدف.

ظهرت النقطة على شاشة الرادار بعد لحظات، فثبت ما كان متوقعا: "طائرة تحلق على علو منخفض. لا اتصال على الراديو، ولا خط طيران معلناً. مهرّبو مخدرات؟"

في هذه الاثناء، بدت للعيان طوافة بيضاء كادت تلامس مياه المحيط. انحدر موراليس بطائرته ليلقي نظرة عن كثب، فرأى شارات الخطوط الجوية الكوبية. ولمح خلف النوافذ وجوه نساء وأطفال يلوّحون له.

قابلهم موراليس، الأمريكي الكوبي الاصل، بابتسامة عريضة وهو يكاد لا يصدق عينيه. إنهم فارّون من كوبا! فاستدار بطائرته فرحاً، ثم تبعهم.

أما داخل الطوافة فكان الرجال يتصافحون والنساء يبكين. وهمست اينوفا وهي تضم طفلتها: "وصلنا يا حبيبتي. وصلنا أخيراً!"

بعد التاسعة بدقائق رأى جيرمان مدرج تامiامي العريض وحط أمام برج المراقبة. كانت يد نينا في يده. وأحسا طوفاناً من السعادة.

ما إن ذاع الخبر حتى تـوافد الامريكيون جماعات: مسؤولون ورجال شرطة وصحافيون ومصورون. وبعد دقائق وطىء الكوبيون أرض مطار تامiامي.

ثم وقف الجمع يراقب امرأة في ثياب بيضاء تنزل من الطوافة والدموع تنهمر على وجهها لتركع وتقبّل الأرض.

بيتر مايكلمور ■

انذار خادع

ركّب والدي في المنزل جهاز انذار شمل صفارة قوية ركزت على السطح. وذات ليلة أفقنا على صفارة انذار مولولة. وبعد تاكدنا من عدم وجود لص في المنزل، هرع والدي الى صندوق التحكم لايقاف الصفارة، ثم قطع كل الاسلاك المتصلة بالصندوق، لكن الصفارة لم تتوقف. فقطع التيار الكهربائي عن المنزل بكامله، وما زالت الصفارة تدوي.

كاد والدي يجنّ من الاحباط. فخرج يستكشف الصفارة على السطح، فاذا بها ساكتة تماماً. لكن صفارة الجيران كانت لا تزال مولولة في ظلام الليل.

س.ا.

احتمال الاصابة بمرض الزهايمر

■ لطالما قلق اقرباء مرضى الزهايمر من احتمال اصابتهم هم بالمرض. وكان المحللون في السابق يقدرون ان اولاد المريض بالزهايمر واحفاده معرضون لان يرثوا قابلية للمرض بنسبة ٥٠ في المئة من الحالات، لكن احد الباحثين عمد اخيراً الى تحليل هذه الاحتمالات في شكل اعمق واكتشف ان الوضع ليس قاتماً الى هذه الدرجة.

يقول الدكتور جون برايتنر من المركز الطبي في جامعة ديول في كارولينا الشمالية ان الاحتمال الاكثر واقعية لاصابة اولاد مرضى الزهايمر واحفادهم لا يتجاوز ١٩ في المئة، والابناء وابناء الاخوة والاخوات بنسبة ١٠ في المئة، اما الذين لا اقرباء لهم مصابين بهذا المرض فلا يتجاوز احتمال اصابتهم نسبة ٥ في المئة.

ويفسر برايتنر استنتاجاته بالقول ان تقدير نسبة الخمسين في المئة النظري، افترض على نحو غير واقعي معدل عمر يمتد من ٩٠ الى ٩٥ سنة، وان هذه النسبة وان تكن تصل بالفعل الى ٥٠ في المئة لدى الاولاد والاحفاد عند بلوغهم سن التسعين، فخطر احتمال تطور المرض لدى هؤلاء قبل السن السبعين قليل جداً. ومع ان قلة ضئيلة من الناس تتعرض للاصابة بالمرض في الاربعينات والخمسينات من عمرها، فان اعراض المرض لا تظهر في شكل نموذجي قبل السن السبعين او الثمانين. ويضيف برايتنر: "من غير المتوقع ان يمتد العمر بالغالبية من اقرباء المصابين بالمرض الى حد يكفي لتطور المرض."

باتريشيا لونغ في "صحة"

قناع للتنفس

■ ابتكرت في المعهد الوطني للصحة والابحاث الطبية في باريس طريقة جديدة تغني عن جراحة تفتح شقا في القصبة الهوائية لادخال الهواء عبر انابيب للمرضى الذين يعانون حالات شديدة من ضيق التنفس. وكان الامر في السابق يتطلب ادخال المصاب في حالة متقدمة من هذا المرض الى مستشفى ووصله بجهاز تنفس اصطناعي. اما طريقة المعالجة الجديدة والتي باشر استخدامها البروفسور الاين هارف وفريقه في جامعة هنري موندور في كريتاي على مقربة من باريس، فتسمح للمريض بالتنفس عبر قناع بسيط. اذ يقيس صندوق تحكم متصل بالقناع عبر انبوب، كمية الهواء التي يتنشقها المريض ويتولى نظام كومبيوتري داخل الصندوق مد رئتي المريض، حسبما تدعو الحاجة، بالهواء من منافث غاز داخل الجهاز.

وفي دراسة اجريت على ٢٦ مريضاً، هبطت نسبة اللجوء الى فتح شق في القصبة الهوائية لادخال انابيب جهاز التنفس الاصطناعي من ٨٥ الى ٨ في المئة، كذلك خفضت مدة بقاء المريض في المستشفى الى النصف.

عن البطاقات العلمية لدى "اينسرن"

خرافات شعبيّة

المعارف الشعبية هي في أحيان كثيرة أحاديث خرافات



قُبلت مئات الامثال السائرة على أنها حكم شعبية، لكن كثيراً منها خاطىء كلياً. الآتي عيّنة من المفاهيم الشعبية. فأي منها صحيح؟

١. تحاشَ السباحة ساعة بعد الأكل.

هذه واحدة من الحكم الشعبية سادت منذ نصف قرن عندما نشرت منظمة الصليب الاحمر الامريكي دليلا للاسعافات الأولية يدعي أن التشنجات المعديَّة والموت المحتمل تنتظر السباح الطائش الذي يتجه من المائدة مباشرة الى حوض السباحة.

ولكن في العام ١٩٦١ كتب الاختصاصي بالفيزيولوجيا الرياضية آرثر شتاينهاوس مقالا في مجلة "الصحة والتربية البدنية والاستجمام" جاء فيه أن فكرة "التشنجات المعدية" في ذاتها أمر مشكوك فيه وأن "رياضيين كثيرين أفادوا أنهم طالما سبحوا مسافات طويلة بعد تناولهم الطعام مباشرة." واستشهد شتاينهاوس بقول لأحد كبار المدربين: "لم أشهد أبداً تشنجات معدية مع أنني راقبت مئات ألوف الاشخاص وهم يسبحون بعد تناولهم الطعام مباشرة."

٢. كلما قُص الشعر نما أسرع.

عندما يبدأ الشعر النمو ثانية، قد يبدو

أقسى لقصره وتساوي طوله. لكن سرعة نموه لا تتغير.

٣. الجزر يقوي النظر.

يحتوي الجزر على مادة البيتا - كاروتين التي يحولها الجسم الى فيتامين "أ." ولما كانت شبكية العين تحتاج الى هذا النوع من الفيتامين، فإن حرمانها الكامل منه يسبب عمىً ليلياً.[١] لكن في الجسم احتياطاً ضخماً من هذه المادة مختزناً في الكبد، ويمكن استمداده من أنواع مختلفة من الطعام. ولا خطر حقيقياً في تناقصه، على الاقل لدى شعوب الدول الصناعية. لذلك فان تناول الجزر لن يفيد النظر عملياً.

٤. القراءة في الظلام تتلف العينين.

قولوا لامهاتكم إنهن مخطئات. فالقراءة في ضوء خافت لا تؤذي العين أكثر مما يؤذي الكاميرا التقاطُ صورة في ضوء خافت.

٥. الطعام الغني بالتوابل مؤذ للمعدة.

رغب ديفيد غراهام، وهو اختصاصي بأمراض المعدة والامعاء، في تسجيل ما يحدث لغشاء المعدة عندما يتناول الناس أطعمة غنية بالتوابل. فقدَّم هو وزملاؤه الى عدد من الاشخاص الاصحاء أطعمة راوحت بين وجبة خفيفة، وأخرى خفيفة مع ستة أقراص أسبيرين، وبيتزا متبَّلة حارَّة، وعشاء مكسيكي غني بالتوابل.

استخدم الباحثون صباح اليوم التالي منظار فيديو،[٢] وهو أنبوب بصري ليفي يبتلعه المرء، لمراقبة غشاء معدة كل من المشاركين في التجربة. فتبين أن الذين تناولوا الاسبيرين أصيبوا بندوب صغيرة في غشاء المعدة الواقي، فيما لم يصب أي من الآخرين بأذى.

لقد درس غراهام حال أشخاص أصحاء. ومن الافضل لمن يعانون قرحة تناول وقعات خفيفة. أليس كذلك؟

لا، ليس بالضرورة. فقد عمد اختصاصيون بأمراض المعدة والأمعاء في الهند عام ١٩٨٦ الى رش ثلاثة غرامات من مسحوق الفلفل الحار يومياً على طعام ٢٥ مريضاً بالقرحة، فيما أعطوا ٢٥ مريضاً آخر الوقعة الهندية اياها خالية من الفلفل. وبعد أربعة أسابيع تبين أن أغشية مِعَد الذين تناولوا الفلفل الحار لم تتأثر، كما شُفيت قرحاتهم بالسرعة إياها التي شفيت بها قرحات مَنْ تناولوا وجبات خفيفة.

٦. قد تصابون بالزكام إنْ تعرضتم للبرد.

يصاب عدد أكبر من الناس بالزكام في الشتاء مما في الصيف، لكن ذلك لا يعني أن البرودة هي المسؤولة. فالطريقة الوحيدة للاصابة بالزكام هي التقاط الفيروس المسبب لأحد أنواعه. وليس

(١) Night blindness
(٢) Video endoscope

للطقس البارد أي تأثير سوى جمع الناس معاً مدداً أطول، الامر الذي يزيد من احتمال انتقال العدوى.

هناك مَنْ يفترض أن التنقل من دون معطف يخفض درجة المقاومة وينقص بالتالي فرص مكافحة الفيروس. لكن الابحاث القليلة المتوافرة حول هذه المسألة تشير الى أنْ ليس لدرجة الحرارة أي تأثير فعلي. في العام ١٩٥٨ عُرِّض أكثر من ٤٠٠ شخص لعدوى الزكام في حرارة بلغت ١٢ درجة مئوية تحت الصفر وهم مرتدون معاطف ثقيلة، ولحرارة راوحت بين ١٥ و٢٧ درجة مئوية وهم في ثيابهم الداخلية. فأصيب الجميع بالزكام بالمعدل ذاته. وبعد عشرة أعوام أظهرت تجربة مماثلة أن التعرض لدرجات حرارة متدنية لم يزد حالات الزكام المتعمَّدة.

٧. النساء عاطفيات أكثر من الرجال.

يتضمن الدور الانثوي النموذجي مسائل "الحضانة" و"العطف" و"الشعور المرهف" و"حدس المرأة." ولكن هل تجسد النساء هذه النواحي أكثر من الرجال؟

تُظهر الأبحاث أن الاجابة عن هذا السؤال معقدة. اذ عندما يُطلب من الاطفال أن يتخيلوا مشاعر شخص آخر، يُظهر الصبيان المهارات ذاتها التي تظهرها البنات. وعلى نحو مماثل، لم يُظهر اختبار أجري على ٢٠٠ بالغ أي فروق في القدرات الحدسية ترتبط بجنس المشترك. ومن ناحية أخرى، تظهر الدراسات أن النساء أقدر قليلاً على تفسير حركات الجسم وتعابير الوجه ونبرة الصوت.

٨. البدر يصيب الناس بالجنون.

حاول كثيرون اتهام القمر بحضّ الناس على ارتكاب جرائم. إلا أن معظم الدراسات، خصوصاً الحديثة، لم تجد أي ترابط يذكر بين الامرين.

وقد اطلع بعض الكتّاب على عدد المصابين الذين يُحضرون الى أقسام الطوارىء في المستشفيات وعلى حوادث الاغتيال وكوارث القطارات. والنتيجة: لا شيء.

وفي مراجعة منهجية لنتائج ٢٧ دراسة، لم يتمكن جايمس روتون (من جامعة فلوريدا الدولية) وايفان كيلي (من جامعة ساسكاتشوان) وهما باحثان مثابران على التحقيق في ادعاءات الجنون القمري، من اكتشاف أي دليل على تأثير خاص للقمر.

يقول كيلي: "ينزع الانسان بطبيعته الى المحاباة. فلئن آمن شخص بأن للبدر تأثيراً في الناس، فسيكون أكثر حذراً وسيراقب ما يحدث. إلا أنه لن يجد من يقول: يا لها من ليلة هادئة، مع أن القمر بدر في تمامه!"

ألفي كون ■

العقل هو الجهاز الذي نعتقد بواسطته اننا نفكّر. امبروز بيرس

خاص - ١

طريق الحرير

على خطى ماركو بولو

بقلم فرغوس م. بوردفيتش

OTO: COMSTOCK

طريق الحرير

رحلة زاخرة بالاثارة والغرابة
على عظمى الطرق التجارية في العالم القديم

بدأت رحلتي على طريق الصين ذات صباح خريفي في مدينة بشاور الباكستانية. كانت الاكشاك (الدكاكين) الركيكة التي أحاطت بي في بازار قيسا خواني[1] مثالاً للتناسق والعنف المتلازمين في هذه المنطقة الحدودية الآسيوية المرتجلة. كان حرفيون بلحى مسترسلة يطرقون ألواحا من الذهب الى زخارف عربية بسماكة الورق، فيما جيرانهم يخيطون أجربة لرشاشات الكلاشنيكوف من الفينيل الاصفر الليموني. وعلى مقربة منهم حلاقون أقاموا حوانيت في الزوايا يقصون فيها شعور مقاتلين أفغان عائدين من الجبهة التي تبعد عشرات الكيلومترات غربا.

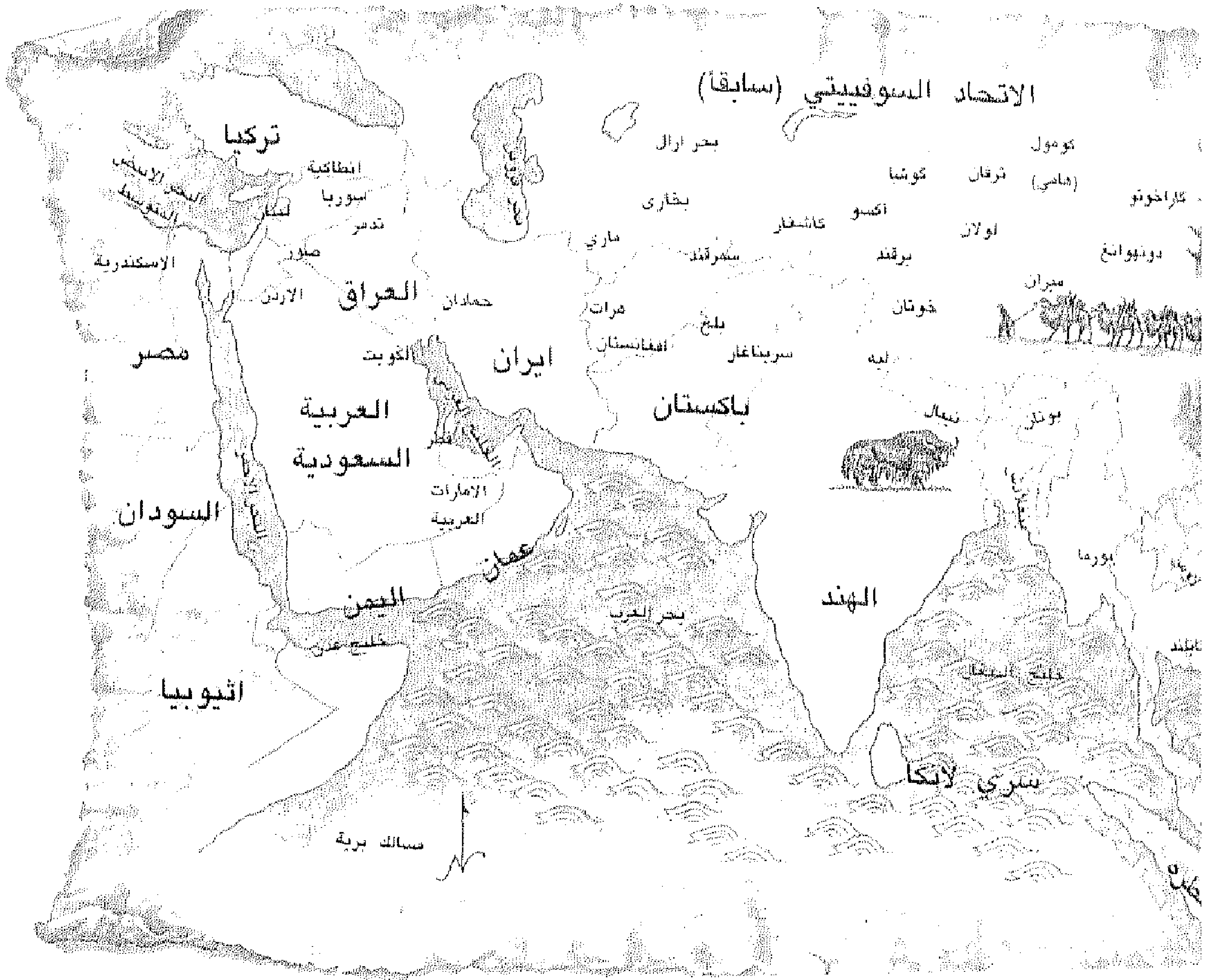
وسط الدكاكين هناك، حيث تباع الاواني النحاسية والعمامات وأحزمة الرصاص والمسابح والصنادل، طالعتني صورة عالم مختلف، وأذهلني أن أرى في متجر يبيع أدوات منزلية لوحة رائعة لقصر الامبراطورة الأم في بكين منسوجة من الحرير، أيقظت فيَّ صورة أرض كعالم أحلام بدت لي بعيدة جدا. تلك الارض كانت مقصدي.

كنت أقف في تلك اللحظات على مفترق أعظم طريق تجارية في العالم القديم. انها "طريق الحرير" التي ربطت الصين وروما على امتداد قرون طويلة ببلاد فارس والسهوب الروسية وشبه القارة الهندية. وحين شقت طريق كاراكورام السريعة في العام ١٩٨٦ وفتحت الصين أبواب مقاطعتها الغربية القصية[2] للاجانب، بات ممكنا عبور الجزء الاكثر صعوبة واثارة للمرة الاولى منذ ٤٠ عاما.

سوف أمضي مسافرا على خطى ماركو بولو[3] أتبع طريق الحرير الممتدة مسافة ٦٥٠٠ كيلومتر على طول الضفة العليا لنهر الهندوس، عبر وادي هونزا الذي كان

---

(١) البازار سوق شرقية.
(٢) كانت تعرف باسم إقليم سينكيانغ - ويغور المتمتع بالحكم الذاتي.
(٣) ماركو بولو ١٢٥٤ - ١٣٢٤ رحّالة فينيسي قام برحلة الى الصين.



اختراقه شبه مستحيل في زمن ما، وذاك الممر في جبال كاراكورام (قره كورام) الذي يعلو ٥٠٠٠ متر، وصولاً الى تركستان الصينية والتفافاً حول أطراف صحراء تكلاماكان الى واحة دونهوانغ المنسية منذ عصور، وأخيراً الى شيان عاصمة سلالة تانغ الصينية (٦١٨ – ٩٠٧ ميلادية) ومنتهى طريق الحرير في زمن مجدها.

حرير روما

شُقّت طريق كاراكورام الحديثة السريعة بفضل جهد مشترك بين الصين وباكستان. واستغرق بناؤها قرابة عشرين عاماً، كانت فرق العمال خلالها تحفر الاسس في الصخر كيلومتراً بعد كيلومتر. وكانت الدولتان خاضتا مناوشات حدودية قصيرة مع الهند في الستينات، وصممتا الطريق كممر استراتيجي يسمح للواحدة منهما بتعزيز حليفتها وتموينها في حال تجدد النزاع.

في القرون الخوالي، كان توق روما الى الحرير الصيني هو الذي أدى الى توسيع

الطريق العظيمة. كانت الثياب الحريرية آنذاك غالية الثمن الى حد أن الامبراطور تيباريوس حاول سنة ١٤ (ميلادية) منع الرجال من ارتدائها، لكن جهوده ضاعت بدليل أن الأديب الروماني بلينيوس الأصغر كتب بعد قرن شاكياً من أن استيراد الحرير ووسائل الترف الأخرى يستنزف ١٠٠ مليون سسترس[٤] من خزينة الدولة سنوياً، كما شاع في وقت لاحق أن الحرير كان يباع في روما في مقابل وزنه ذهباً.



راع وقطيعه على طريق كاراكورام في باكستان.

وتنتج الحرير دودة القز التي تتغذى بورق التوت، فتطرى شرنقتها القاسية بالماء الغالي ثم تحل بجهد كبير الى خيوط يمكن نسجها أثوابا. وكان الحرير منذ أقدم الأزمنة احتكاراً رسمياً في الصين وعنصراً أساسياً في الاقتصاد، الى حد أن الضرائب والرواتب ومعاشات الجنود كانت تدفع أثواباً من الحرير. وقد حمى الصينيون سر انتاج الحرير قروناً، وكان الناس في البلاد الأخرى يظنون أنه ينمو على الاشجار... الى أن تمكن راهبان - كما تقول الأسطورة - من حمل بعض دود القز حيا الى القسطنطينية في عصيهما المجوفة في القرن السادس الميلادي، ومن ثم انتشرت صناعة الحرير في العالم.

ولطالما نقلت منتجات أخرى على طريق الحرير. فقد صدرت الصين (أو آسيا الوسطى) الى الغرب الورق والطباعة والقوس والنشاب والبارود والنباتات المحلية مثل الورود والأقحوان والخوخ والاجاص، فيما حملت القوافل المتجهة الى الصين الذهب وحجر اليشب (الجاد) والصوف والكتان والمرجان والكهرمان والتين والزجاج. وعبرت الطريق ديانات عدة: المسيحية النسطورية من الغرب، والاسلام من الشرق الاوسط، والمانوية من بلاد فارس، والبوذية من الهند، وهذه حولت منحى الفكر الصيني الى الأبد.

استأجرتُ سيارة "فيات" هرمة وانطلقت من بشاور عبر بلدات بيوتها من طين،

(٤) السسترس عملة رومانية قديمة.

حيث تعرض في واجهات الاكشاك بنادق رشاشة للبيع، وحيث تحمي المتاريس منازل أنيقة يسكنها تجار السلاح والمهربون الذين اعتادوا منذ القدم التجول بحرية في مناطق الحدود الشمالية الغربية بعيداً عن رقابة السلطة. وعلى مسافة أقل من ساعة في السيارة الى الشمال من بشاور، طالعتنا الجبال بدءاً من ممر ملقند بتشكيل فوضوي من الحجار والصخور البركانية فرض على البنائين شق الطريق الضيقة عبر منحدرات شبه عمودية وحول منعطفات حادة خطرة وصولا الى معقل شاهق من البيوت ذات الأبراج وحقول صخرية ينمو فيها القمح أخضر ساطعا. فجأة، صار الهواء خفيفاً وشديد البرودة فيما غصت الحقول بالصبايا القرويات.

لمحت على جانب الطريق تمثالا مقطوع الرأس محفوراً في الصخر، فخطرت ببالي قصة هسوان تسانغ، رحالة القرن السابع، الذي شد رحاله من شيان الى الهند سعياً الى النصوص الأصلية للبوذية ليعود بها الى المملكة الوسطى. وفي الطريق نفق حصانه وتخلى عنه أدلاؤه فيما حذره أحد المسافرين من أن الدرب محفوفة بالعفاريت والرياح النارية. لكنه تابع سيره بعزم مدفوعاً بايمانه ووصل الى الهند حيث أمضى عشرة أعوام قبل أن يعود الى الصين بحمل من المخطوطات الثمينة مشدود الى ظهره، عابراً هذه الطريق ومارأ على مقربة من قلب مرتفعات كاراكورام الشاهقة.

جهد سائقي محاولا تجاوز شاحنات ضخمة هي وريثة قوافل الجمال من الأيام الخوالي. كل واحدة منها مزينة بصور انطباعية رسمت على جوانبها، من طيور منقضة ونمور واثبة الى مساجد وقباب ومآذن، وهي تنقل أكداسا من البضائع ورجالا معممين متمسكين بجوانبها أو بسقوفها متحدين قوانين الجاذبية عند كل منعطف. كانت طبيعة الارض تزداد وعورة، وكنا في كثير من الأحيان نضطر الى قيادة السيارة بحذر حول جلاميد ضخمة انهارت على الطريق. وأطلت علينا مجالد[٥] من فوق المنحدرات الصخرية، ورأينا أنهاراً زمردية تشق طريقها في صخور الأعالي لتتساقط عشرات الأمتار قبل أن تصبّ في مياه نهر الهندوس الرمادية.

معمّرون

وصلت الى هونزا في حلكة الظلام لاكتشف فوضى من الاكواخ تبعث على الكآبة بدلا من البلدة التي توقعت رؤيتها. فجأة برز وجه أسمر مرح قرب نافذة السيارة ليعلن بالانكليزية: "لا يمكن السيارة أن تتابع الطريق يا سيدي!" فنزلت متثاقلا واستأجرت سيارة جيب من طراز "ويليس" تصلح لمتحف بناء على اصرار الشاب الذي علمت لاحقاً أنه يدعى أمير خان.

(٥) المجلدة (glacier) نهر جليدي.

انطلقنا في درب محفرة على طرف هوة تكاد لا ترى ذات انحدار سحيق الى درجة أنني وجدتني مستلقياً على ظهري في مؤخر الجيب محدقاً الى النجوم عبر وجه السائق القرصاني المظهر. وتناهى الى مسمعي من الخلف صوت حسبته صوت مذياع، لكن أمير خان تطوع ليقول لي: "ليس هذا صوت راديو، إنه صوت صاحب السيارة!" كان ما سمعته صوت رجل تعلق بمؤخر الجيب على نحو لا يمكن تصوره، متمسكاً بطريقة لا يمكن فهمها. وسرعان ما اتضح سبب اتخاذه هذه الوضعية، اذ عندما واجهت السيارة مقطعاً من الطريق لولبياً وأشد انحداراً من ذي قبل، وثب صاحبنا الى الامام لينبطح على مقدم السيارة محاولا منعها من الانقلاب الى الخلف.

وبعد دقائق خلتها دهراً وصلت الى خان مريح دافيء حيث تناولت العشاء، وكان وليمة جبلية من الملفوف المسلوق ولحم الضأن.

تكشّف ضوء الفجر عن مدرج رحب من الطبقات الصخرية شديد الانحدار مكسو بالثلوج يحيط بواد ملتف كأفعى يحتضن بساتين من الفاكهة غنية بالمشمش والتفاح والدراقن والجوز والعنب الأبيض النضر. وكانت الجداول الجليدية تسيل من القمم البعيدة وتشق طريقها عبر غابات من شجر الحور.

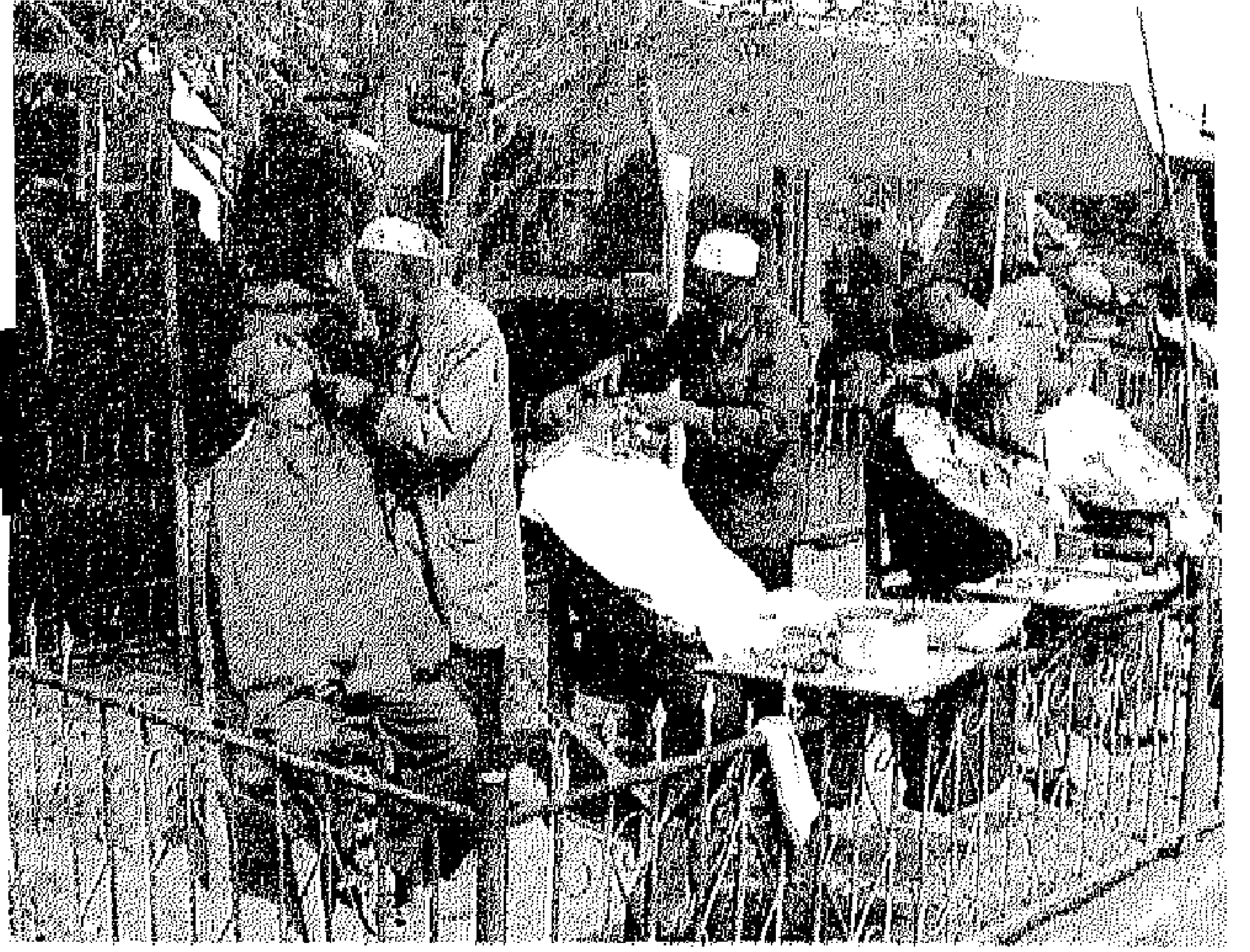
من حصن بالتيت على الحافة فوق الأكواخ الطينية حيث كانت بلدة كريم أباد عاصمة الهونزا، حكم أمراء الهونزا واديهم حتى السبعينات من هذا القرن عندما أحكمت باكستان سلطتها عليهم.

ويحيط الغموض بأصول الهونزوكوت، كما يسمي السكان المحليون أنفسهم. فبعضهم سود الشعر بارزو الحاجبين متحدرون من القبائل التركية التي اكتسحت معظم آسيا الوسطى قبل ألف عام. على أن الغالبية تبدو، في ما عدا ملبسها الذي يشبه البيجاما، أوروبية المظهر الى حد مذهل.

ووادي الهونزا نموذج مثالي لأرض "شانغريلا"(٦) الخيالية التي خلّدها جايمس هيلتون في الثلاثينات في روايته الكلاسيكية "الأفق المفقود" التي تروي قصة غربيين جيء بهم الى واد في التيبت يعمّر حكامه قروناً لأنهم لا يعرفون الطمع ولا الخوف ولا الغضب ولا التنافس. شانغريلا هي طبعاً تصور نقي لفكرة البراءة والخلود، لكن كثيرين من الهونزوكوت يعيشون فعلا الى أعمار غير مألوفة.

أعلن أمير خان ليلة وصولي: "لم تقع هنا جريمة قتل واحدة منذ مئة عام يا سيدي! لا أثر للجريمة اطلاقا، فنحن شعب مسالم يا سيدي!" وأخبرني أن جده بلغ من العمر ١١٥ عاما، "وهو لا يزال يعمل يا سيدي." ثم تبيّن لي أن أمير هذا، الذي لازمني طوال إقامتي في الهونزا، هو شاب طموح في الثانية والعشرين من العمر يدرس الانكليزية

(٦) Shangri — la




منظران في شوارع كاشغار الصينية حيث يتابع الويغوريون طرق حياتهم القديمة في عالم لم يتغير الا قليلا منذ زمن ماركو بولو.

ويكتب مقالات لصحف باكستانية حول شؤون "الاقتصاد والتجارة والانفتاح على العالم عبر طريقنا السريعة الحديثة يا سيدي!"

أخذني أمير ذات صباح لرؤية جده شايتام خان. وأخبرني، حين جمعنا مع جمهرة من الاقرباء في يكة صفصاف ممتدة من منزل شايتام الحجري حتى الشارع، أن جده "يحب الجلوس في العراء."

كان شايتام، الذي ما زال يفلح مصاطب حقوله يدوياً، ذا وجه لوحت الشمس والريح ملامحه القاسية، تعلو رأسه كتلة من الشعر الابيض القاسي نفرت خصل منه من تحت قلنسوة صوفية بيضاء كأنها قشرة عرنوس ذرة يابسة. سألت شايتام عن سبب طول أعمار الهونزوكوت، فأجابني من دون تردد: «نحن لا ندخن، ونأكل جيداً، ونحتسي شراب المشمش كل صباح. وهذا الشراب هو السبب الأهم."

سألته: "وما رأيك في الطريق السريعة الجديدة؟" ظاناً أنه سيبدي أسفه لتدنيسها حرمة الوادي وصفاءه. لكنه فاجأني بجوابه: "إننا نحبها! كان الواحد منا يمتطي حصانه لأسابيع اذا رغب في الذهاب الى أي مكان. أما الآن فإنه يركب حافلة ويزور من يشاء في غضون ساعتين. كما صار في امكاننا الآن أن نأتي بالرز والطحين والزبدة من المناطق الواطئة البعيدة، وهي مواد لم نكن نعرفها من قبل. وأفضل ما في الطريق أنها تأتي بالأجانب الذين يصرفون المال هنا ويجعلوننا أغنياء. من الحماقة ألا نحبها!" فوجدت من الصعب مناقشة منطق عنيد كهذا. وتذكرت أن شانغريلا ليست الا جنوح خيال انسان أجنبي.

PHOTOS: FERGUS M. BORDEWICH

عند الفجر، في جو رذاذي حجبت ضوءه السحب، حشرت نفسي في سيارة الجيب التي أقلتني مسافة ١٠٠ كيلومتر شمالا الى مركز الجمارك الباكستانية في سوسته. في الماضي، عندما مر الرحالة هسوان تسانغ بهذا المكان، كتب يصفه: "ليس فيه أثر لنبات، إنه مجرد كتلة صخرية تراكمت عشوائياً فوق صخور، وكيفما اتجهت بدت لك المسلات الحجرية الناحلة كأشجار غابة تعرت من أوراقها."

بدا لي هذا الوصف غريباً، الى أن تباعدت السحب لتكشف امتداداً جبلياً كأنما مزقته مخالب عمالقة. فرأيت حولي في كل الاتجاهات غابات من القمم الصخرية المستدقة كالمسلات، تشبه أرض أحلام من هياكل صينية متعددة الأدوار وكاتدرائيات قوطية وقصور أسطورية ذات أبراج شاهقة تعلقت بينها جليديات بيضاء بعيدة.

واكتشفت أن سوسته ما هي سوى نثار من مواقف للحافلات وثكن للشرطة وسقائف لرجال الجمارك، حيث ينتظر التجار الباكستانيون، مرتجفين من البرد، حافلات تقلهم عبر ممر خونجيراب الى الصين. إن هؤلاء الهونزوكوت الهزيلين الطوال القامة، والبنجابيين البدناء بشواربهم الطويلة المتباهية وسراويلهم الفاتحة اللون، هم الخلف الحقيقي للرحالة ماركو بولو والتجار الذين عبروا هذه الطريق قبل أكثر من ألفي عام. لكنهم يحملون الآن، بدلا من الحجار الكريمة والأفاويه، الملابس القطنية الرخيصة والمعاطف الصوفية والساعات لمقايضتها بالحرير في بازار كاشغار.

بازار فجائي

وقفت في سوسته على ملتقى حضارات ثلاث أضرب رجلي بالأرض اتقاء للبرد. وتصورت الشرق الاوسط الاسلامي الى الغرب، وشبه القارة الهندية جنوباً، والى الشرق صين الأباطرة وكونفوشيوس وماوتسي تونغ. فجأة قطع علي حلمي دوي بوق سيارة، وللحال دبت الحركة في زمر من التجار الباكستانيين راحت تدفعني وتشدني وتستحثني نحو حافلة غاصة بالركاب. ثم وجدت نفسي محشوراً مع ستة مسافرين أخرين على مقعد مصمم لأربعة. كانت ركبنا مشدودة الى صدورنا حين هدرت الحافلة متجهة الى خونجيراب التي أعاد اسمها الرهيب - ممر الدم - الى الذاكرة قصص قطاع الطرق الذين كانوا الى نصف قرن مضى يستوطنون منحدراتها.

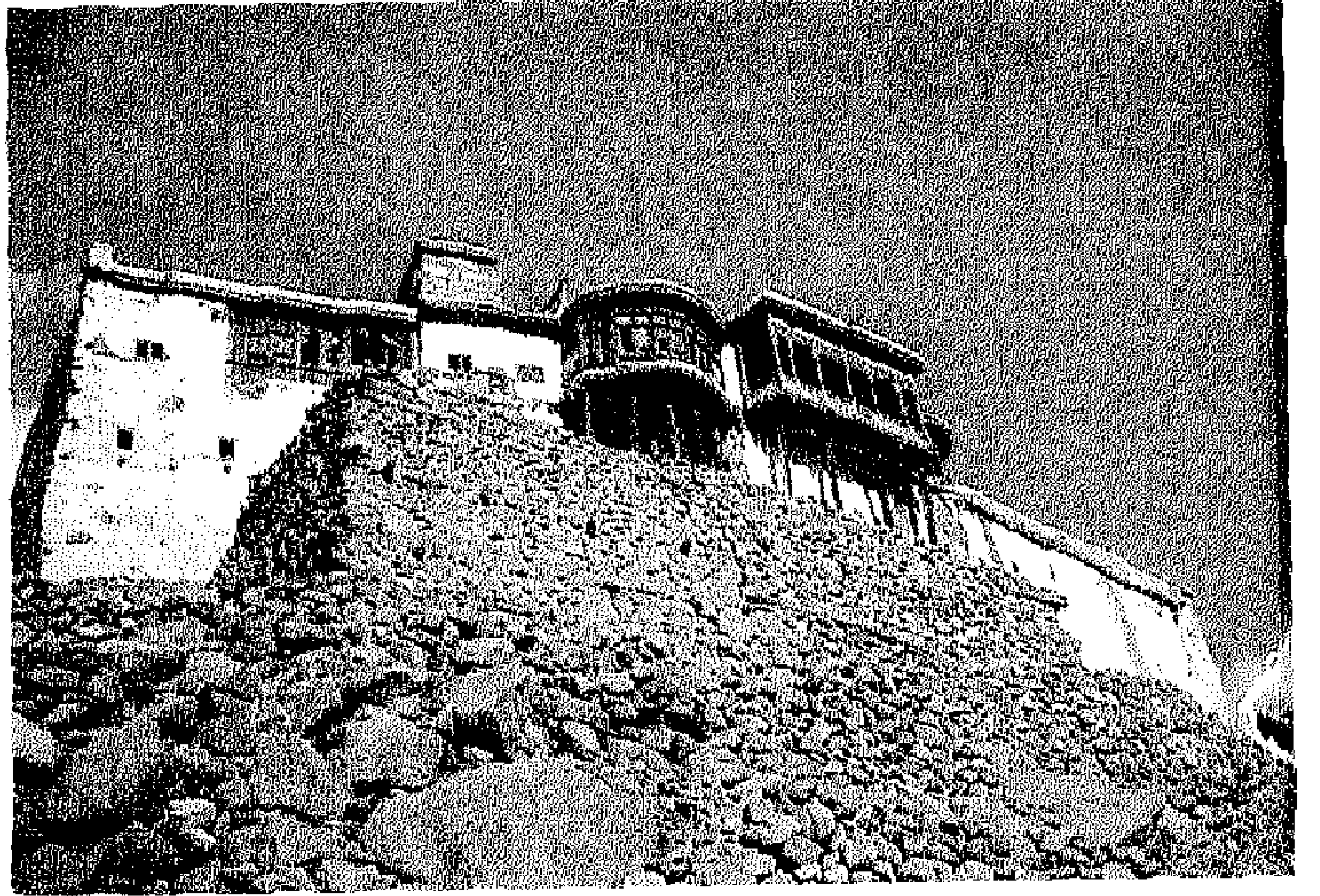
تعرجت بنا الحافلة صعوداً لأكثر من ساعتين متثاقلة وسط قفر من الصخور الحمراء المنهارة من قمم يصل ارتفاعها الى ٧٦٠٠ متر. وفي محاذاة الطريق كانت مياه نهر الهونزا تهدر عبر ممر ضيق مليء بالحجار. ولم يكن يميز الحدود، عندما وصلنا، سوى عمودين بسيطين من الاسمنت على قمة هضبة جرداء ذرتها الريح.

ها انذا، أخيراً، في الصين!

بعد ليلة استراحة في مدينة تكسكورغان انطلقنا مع الفجر في منحدر لولبي، ببطء هذه المرة، عبر مراع جبلية قارسة البرودة حيث كان قطيع من الياك، ثيران التيبت الضخمة، يرعى بين خيام بدو طاجخستان السوداء. ولم يستثر مرورنا لدى جمال باكتريا ذوات السنامين سوى نظرة ازدراء خاطفة.

توقفت الحافلة ظهراً وسط مجموعة متناثرة من الأكواخ المبنية بالطوب، لتتحول الطريق بازاراً مرتجلا، إذ ظهرت من حيث لا أدري جمهرات من الرجال الطاجخستانيين المفلطحي الوجوه الحمر الخدود، بقلنسواتهم الفرائية السوداء، مع زوجاتهم بطماقاتهن القرمزية وقبعاتهن المزينة بالخرز.

أخرج الباكستانيون من حزمهم كدساً من السترات والمعاطف القطنية، فيما راح رجال الهونزوكوت بوجوههم الصقرية الملامح يتراقصون وقد فتحوا معاطفهم وبسطوا أذرعهم لعرض السترات التي كان كل منهم يرتدي نصف دزينة منها لاخفائها عن عيون رجال الجمارك الصينيين. وكانوا يلوحون بتشكيلات من جوارب النيلون وحزم من ساعات اليد. ومع تصاعد حدة المساومات بثلاث لغات – الأوردية والصينية والتوركية المحلية – كان الناس، بائعين وشارين، في حالة هرج ومرج من الرأسمالية البدائية. أخيراً أعلن دوي بوق الحافلة نهاية مفاجئة للبازار، وخلفنا رجال طاجخستان وراءنا في صمت المراعي.



قصر أمراء الهونزا.

أقليات عرقية

"تبدو كاشغار لمعظم الناس مكاناً بربرياً نائياً، فهي على مسيرة خمسة أسابيع أو ستة من أقرب سكة حديد في الهند، عبر ممرات جبلية يزيد علوها على ٤٥٠٠ متر. أما بالنسبة الينا، فقد كان اسمها الهمجي يعني الحضارة. كانت نشوة الوصول لا تضاهى. فقلة من الناس استمتعت بالاستحمام يوما أكثر منا، نحن الذين لم نستحم مرة طوال خمسة أشهر ونصف شهر." هذا ما كتبه الصحافي والمغامر البريطاني بيتر فليمنغ لدى وصوله الى الموقع في العام ١٩٣٥ قادماً من بكين، قاطعاً معظم الطريق على صهوة حصان. أما وصولي

فكان أقل بهرجة وإن تساوينا في الشعور بالارتياح حين بدأت الواحة تتبدى لنا كجزيرة خضراء في الصحراء، ثم ظهرت شجرات الحور الباسقة تحف بالطريق المعبدة في صفوف مهيبة، وامتدت خلفها حقول القطن والذرة. وشاهدنا عربات صغيرة تجرها حمير متبخترة تنقل أحمالا من البصل والخيار والعنب عبر أفنية مزارع مصونة بحيطان من الطين، تطل من خلفها بساتين كثيفة من أشجار التفاح والخوخ.

كاشغار صينية بالاسم فقط. فمقاطعة سينكيانغ فسيفساء من الأقليات العرقية، أكثرها عدداً الويغور، وهم شعب يبلغ تعداده سبعة ملايين أي ٤٥ في المئة من سكان المقاطعة، ويتكلمون التوركية. ويشكل العرق الصيني الآن ٣٨ في المئة. أما البقية فتضم أوزبكيين ناطقين بالتوركية وبدواً من الكازاخ والقرغيز وطاجخستانيين يتكلمون الفارسية ومسلمين صينيين يعرفون باسم "هوي."

حكم الصينيون مقاطعة سينكيانغ فترات متقطعة منذ عهد سلالة هان (٢١٠ ق.م. - ٢٢٠ م.) وأعاد المانشويّون[٧] توطيد سلطة الحكومة المركزية في القرن الثامن عشر، ليعود الصينيون ويخسروها مع انهيار حكم المانشو خلال ثورة ١٩١٢ عندما حاول الروس ملء الفراغ السلطوي. في أثناء ذلك كانت الثورة مستعرة. وفي العام ١٩٣٣ قتل الثوار كثيراً من سكان المدينة من العرق الصيني. وأخيراً تنازل ستالين عن المطالبة السوفييتية بمقاطعة سينكيانغ كمبادرة ديبلوماسية تجاه الحكومة الشيوعية الصينية الجديدة بقيادة ماوتسي تونغ.

ومنذ الخمسينات، عمل الصينيون لدمج هذه المنطقة النائية المتمردة في بقية الاراضي الصينية. وساعد انشاء خط حديد يصل العاصمة الاقليمية أورومتشي بالداخل الصيني في ربط اقتصاد المنطقة بالاقتصاد القومي على نحو أوثق. في أثناء ذلك جُنِّد أبناء الأقليات المحلية في مؤسسات الحزب الشيوعي حيث يشغلون الآن نحو ٤٥ في المئة من المراكز القيادية.

إلا أن ثمة توتراً عميق الجذور ما زال قائماً بين الويغوريين والصينيين. ويبقى الجيش في سينكيانغ بإمرة صينية. وخلال الثورة الثقافية في أواخر الستينات دمر الماويون عدداً كبيراً من الجوامع في المقاطعة ذات الغالبية المسلمة، وأحرقوا الكتب المقدسة ومنعوا إقامة شعائر العبادة واقتادوا الزعماء الدينيين الى معسكرات العمل. وحاولت السلطات الصينية خلال العقد الأخير تعويض المقاطعة بإعادة بناء نحو ٨٠٠٠ جامع وبرفع نظام الملكية الجماعية لقطعان الماشية عن البدو وباعادة فتح الاسواق الشعبية للمبادرات الخاصة. مع ذلك استمرت أعمال الشغب والتمرد ضد

(٧) المانشو شعب متشوريا المنغولي، غزا الصين وانشا فيها سلالة عام ١٦٤٤.

الحكم الصيني في السبعينات وأوائل الثمانينات واستؤنفت في العام ١٩٩٠. وفي العام ١٩٨٨ تظاهر الطلاب الويغوريون في أورومتشي ضد التجارب النووية الصينية في قاع بحيرة لوب نور الجافة في سينكيانغ. وكان وويز كايكسي أبرز زعماء الثورة الطالبية التي عمت بكين في العام ١٩٨٩، وهو شاب ويغوري من سينكيانغ فتن الجماهير ويعيش الآن منفياً في الولايات المتحدة.

الداخل مفقود!

يشكل الويغوريون في كاشغار أكثر من ٨٠ في المئة من السكان. وهم يتجاهلون الصينيين ويتابعون طرق حياتهم القديمة. وعندما خطوت الى بازار المدينة المترامي الأطراف، دخلت عالماً يكاد لا يختلف عما كان في زمن ماركو بولو. كان ثمة حرفيون يمشطون الفرو ويعدون قوالب من اللباد ويقطعون أشرطة من جلد الغنم لصنع القبعات، مستخدمين قداديم قد تكون شهدت زيارة الرحالة الفينيسي. وكان آخرون ينحتون الخشب الطري مغازل وبكرات أو يطرقون حدوات خيل من الفولاذ المحمى أو يشحذون الخناجر أو يصبغون السروج الخشبية بأشكال زاهرة.

أما بازار الملابس فكان نفقاً من الألوان حيث جلس التجار بقبعاتهم المصنوعة من صوف خراف بخارى (القركول) وقد تشرنقوا وسط لفات الأنسجة المتنوعة، من مخمل قرمزي ودانتيلا خضراء وليمونية ولامية ذهبية ومطرزات مقصبة زرقاء، فيما راح عمال من القرغيز ذوي الصدور العارية يجرون عربات مثقلة بأحمال الحرائر المتعددة الألوان وسط بحر من الشاريات. وشقت جمهرة من التجار الباكستانيين الدهاة طريقها وسط الجموع ككاسحات ألغام بحثاً عن فضلى الصفقات. وفي كشك بائع حرير التقيت أحد الهونزوكوت وهو يتفحص لفة حرير أبيض لماع، فقال: "إننا نشتري المتر بمبلغ ١٢ روبية[٨] ونبيعه في منطقتنا بنحو ٣٦." كان الرجل يسافر برفقة ثمانية تجار باكستانيين آخرين يتوقع كل منهم، كما قال، أن يحقق ربحاً مقداره ٦٠ ألف روبية باستثمار مقداره ٨٠ ألفاً. أما نسبة الربح الصافي فتتوقف على ضباط الجمارك في سوسته. قال التاجر: "إذا صادف لدى عبورنا الى باكستان أن كان الضابط المسؤول نسيباً لأحد أعضاء المجموعة، فيكفي أن نمنحه هدية صغيرة من الحرير من دون أن ندفع أي رسوم جمركية على الاطلاق. أما اذا كان غريباً فعلينا أن ندفع بين ١٠ آلاف روبية و٢٠ ألفاً. إنها مصاريف العمل!" ثم تنهد مندفعاً من جديد ليضيع وسط الجمهور. وتصورت للحال أن التجارة كانت دائماً تمارس هكذا على طريق الحرير.

بعد مغادرتي كاشغار التففت حول الطرف الشمالي لصحراء تكلاماكان في سيارة

(٨) الروبية وحدة النقد في الهند وباكستان وسري لانكا. وهي تعادل في باكستان نحو ٥ سنتات.

سياحية قديمة من صنع روسي يقودها صيني قاسي القسمات. عبرنا شريطاً معبداً بالاسفلت مليئاً بالحفر حل مكان السبيل الذي طرقته أجيال من الجمال لا حصر لها. والاسم تكلاماكان يعني "الداخل هذا المكان لا يخرج منه أبداً." لقد وجد هسوان تسانغ طريقه عبر الصحراء مستهديا بعظام رجال القوافل الذين لم تكتب لهم النجاة. وهو كغيره من الرحالة عذبته السرابات والعواصف الرملية المرعبة – أو ما يسمى بوران – التي تصدر أصواتاً مقعقعة وصراخات أشباح لا ترى.

والى يساري كانت جبال تيان شان (سيليستيال) تواكب الطريق لأكثر من ٨٠٠ كيلومتر، فيما امتدت الصحراء عن يميني الى ما لا نهاية، قاحلة لولا واحات نادرة أخصبتها مسيلات المياه الجليدية الذائبة من الجبال جزراً منعشة من الأشجار الظليلة.

أذهلني في هذه المنطقة النائية من الصين انتشار الأعمال الصغيرة التي نتجت من تشجيع الحكومة للملكية الخاصة. ولاحظت، حتى في صغرى الواحات، قرويين أقاموا طاولات مخلعة وبضعة مقاعد يقدمون عليها البطيخ الأحمر اللذيذ والمعكرونة الصينية مع الفلفل الحار والفلفل الأخضر.

عند الغسق قاربنا منخفض ترفان الواطىء ١٥٠ متراً تحت سطح البحر والذي يعتبر أحد أدنى المواقع في العالم. انزلقت سيارتنا كأفعى منحدرة عبر عالم سفلي من الأودية الضيقة المكسوة بالغبار والصخور الشبيهة بوجوه حيوانات ضخمة وطيور متجمدة في الحجر، لتثبت أخيراً وسط متاهة من الهضاب الرملية التي بدت معلقة فاقدة الوزن تحت أشعة الغروب الوردية.

كانت هذه الواحات، خلال ذروة ازدهار طريق الحرير القديمة، السند الاقتصادي لدول مدينية جمعت ثروات أسطورية من تجارة القوافل، لكنها تهاوت كلها مع الزمن إما بسبب جفاف الانهار وإما أمام جحافل الغزاة، فاندثرت واحدة تلو أخرى في رمال الصحراء، ولم تكتشف من جديد الا في التسعينات من القرن الماضي وأوائل القرن العشرين، بمجيء مستكشفين شجعان مثل الاسوجي (السويدي) سفين هيدن والالماني ألبرت فون لوكوك والانكليزي المجري (الهنغاري) المولد أوريل ستاين. استكشف فون لوكوك الطريق الشمالية التي كنت أسافر عبرها، وعثر، برفقة عالم ألماني آخر هو البروفسور ألبرت غرونفيديل، على مئات الكهوف المنسية التي أوت في ما مضى مجموعات من النساك. كما حقق فون لوكوك وزميله تيودور بارتوس اكتشافات مهمة في موقع كاراخوجا في ترفان عاصمة مملكة الويغور الضائعة منذ زمن بعيد والتي كانت تمتد غابراً عبر معظم سينكيانغ الحالية.

كاراخوجا اليوم هي صورة مدينة سوريالية تحوطها أسوار من الطين حفظت شكل

أبراجها التي ذابت كلها كقطعة آيس كريم (جيلاتي) تحت عصف رياح أزلية. سرت بين أبراج تآكلت فغدت مسلات مترنحة، وحجرات محفورة في الصخر كهوفا، وجدران مصقولة كأكمات ناعمة. إنها مدينة أشباح تمتد كيلومترات عبر السهل حتى تختلط تدريجاً بالبيوت الواطئة المبنية بالطوب في الواحة التي نعرفها اليوم.

قائد شباب

كانت وجهتي التالية واحة دونهوانغ على مسافة ٦٥٠ كيلومتراً شرقاً في القطار، حيث كنت أتوقع أن أجد أعظم مجموعة من الفنون القديمة الباقية في الصين. كان القطار الى دونهوانغ يقدم ما يسميه الصينيون بلا مبالغة خدمات "المقاعد القاسية." ولجت مقصورة عابقة بالدخان تغص برجال ويغوريين ملتحين وصينيين وقورين في ثياب العمل الزرقاء وقد انحشروا كل أربعة أو خمسة في مقعد. نمت نوماً متقطعاً محاولا أن أوازن جسمي على طرف مقعد خشبي. لكنني غرقت أخيراً في نوم عميق طوال كيلومترات لا تنتهي من صحراء عديمة الملامح اجتازها القطار متثاقلا بسرعة لم تتجاوز ٢٥ كيلومتراً في الساعة.

أفقت مع الفجر لأجد نفسي جالساً بجوار رجل انفعالي المزاج عرفت أنه في الحادية والثلاثين من عمره وأفادت بطاقته أنه رئيس اتحاد الشبيبة الشيوعية في إحدى مدن جنوب الصين. وكان، كما أخبرني، يقوم بجولة استقصاء خاصة في المناطق الغربية. كان الاتحاد على الدوام حقل اختبار لقادة المستقبل الواعدين، وكانت مهمة الرجل أساساً كسب الدعم لسياسات الحزب. قال لي مفجوعاً: "ان مهمتي شاقة، فالشباب الصغار لا يحبون ما أفعله كثيراً. لا أحد يرغب في الانضمام الى الاتحاد هذه الأيام. الشباب يريدون التحول الى التجارة وتحصيل المال."

ثم راح يخبرني أنه حصل أخيراً على قبول من جامعة أمريكية حيث ينوي أن يدرس ادارة الاعمال. وعندما أشرت الى أن معظم الطلاب الصينيين في الولايات المتحدة يتعلقون بالحياة هناك فلا يعودون أبداً الى الصين، أجابني: "لن أكون مثلهم. إنني أريد العودة الى الصين لأساعد بلادي لتصبح دولة عظمى." كان بحسب تقديري يردد شعاراً رسمياً. وهو بدا مخلصاً، لكنني لم أستطع مغالبة التفكير في ما اذا كان سيثبت، حين يتعرف الى مجتمع أكثر تحرراً، أنه مختلف الى هذا الحد عن كل أولئك الشباب الصينيين الطموحين الذين اختاروا مستقبلهم بعيدا عن الحزب.

من الواضح أن الحزب الشيوعي الصيني يواجه أزمة. فالشعارات والدعوات العقائدية التي حركت الملايين في الخمسينات والستينات من هذا القرن لم تعد تستهوي شعباً خاب أمله في تفوق الاشتراكية خلال الفوضى الاجتماعية التي أسفرت

عنها الثورة الثقافية بين ١٩٦٦ و١٩٧٦، مما اضطر حتى قيادة الحزب العليا الى الانحراف عن الشيوعية الاصولية وإن لم تعلن ذلك صراحة. وأصبحت أفكار، مثل بورصة الأسهم وتوزيع ملكية الشركات الحكومية على القطاع الخاص، وتعابير كالافلاس والبطالة، الشغل الشاغل لكثير من الاقتصاديين الحكوميين. كما أن السياسات التي مكنت الصينيين خلال العقد الماضي من تحقيق أرباح مادية من أعمال خاصة، وسمحت لهم باستئجار الاراضي واستغلالها كما يشاؤون وبالبحث عن مهن من اختيارهم في سوق وظائف أكثر حرية، كانت نقيض ذلك الشكل من الشيوعية الذي تلقنه معظم الصينيين في عهد ماوتسي تونغ.

سوف يرث صينيون شباب، كرئيس اتحاد الشبيبة هذا، مواقع السلطة في الحزب، وسيكون مصير الصين حينئذ متوقفا الى حد كبير على الأفكار التي سيعود بها، هو وآخرون، من دراساتهم في الغرب، وعلى مدى تحليهم بالشجاعة اللازمة لمواجهة الاجابات عن تساؤلاتهم.

سألت جاري: "لماذا لم يعد الناس يرغبون في الانضمام الى اتحاد الشبيبة؟ وكيف تشعر تجاه الحزب؟ وكيف تنجح في تجنيد أعضاء جدد؟" غير أن الشاب كان يجفل كلما أتينا على ذكر الحزب، ويعود الى التقوقع داخل ذلك النوع من الاجابات الجاهزة المتفائلة التي كان المسؤولون يحتفظون بها للأغراب. فأدركت عندئذ أنني تخطيت الحدود، فالسرية ما زالت من طرق العيش المتبعة في هذه الجمهورية الشعبية. وعندما نزلت من القطار في ليويوان، راقبت الشاب يلوح لي بعصبية من نافذة القطار، ثم يختفي معه ببطء في اتجاه الداخل الصيني الى مصير مجهول.

السور العظيم

في اليوم التالي ركبت دراجة هوائية وقطعت مسافة ٢٧ كيلومتراً خارج دونهوانغ لمشاهدة الـ"١٠٠٠ كهف" القائمة في واحة صغيرة محشورة بين قمم سلسلة جبال بيماشان الوعرة الحمراء وبحر متموج من الهضاب الرملية المترامية. كانت هذه البقعة، لأكثر من ألف عام، آخر قفزة للقوافل العازمة على اختراق مجاهل تكلاماكان المهلكة. وتمثل المغاور الخمسمئة التي نجت من صروف الزمان نصبا أزلية للأمل والخوف، قدت من الصخر بأمر تجار إما التماسا للحماية في رحلة الذهاب الى الغرب وإما كفعل امتنان لدى عودتهم سالمين.

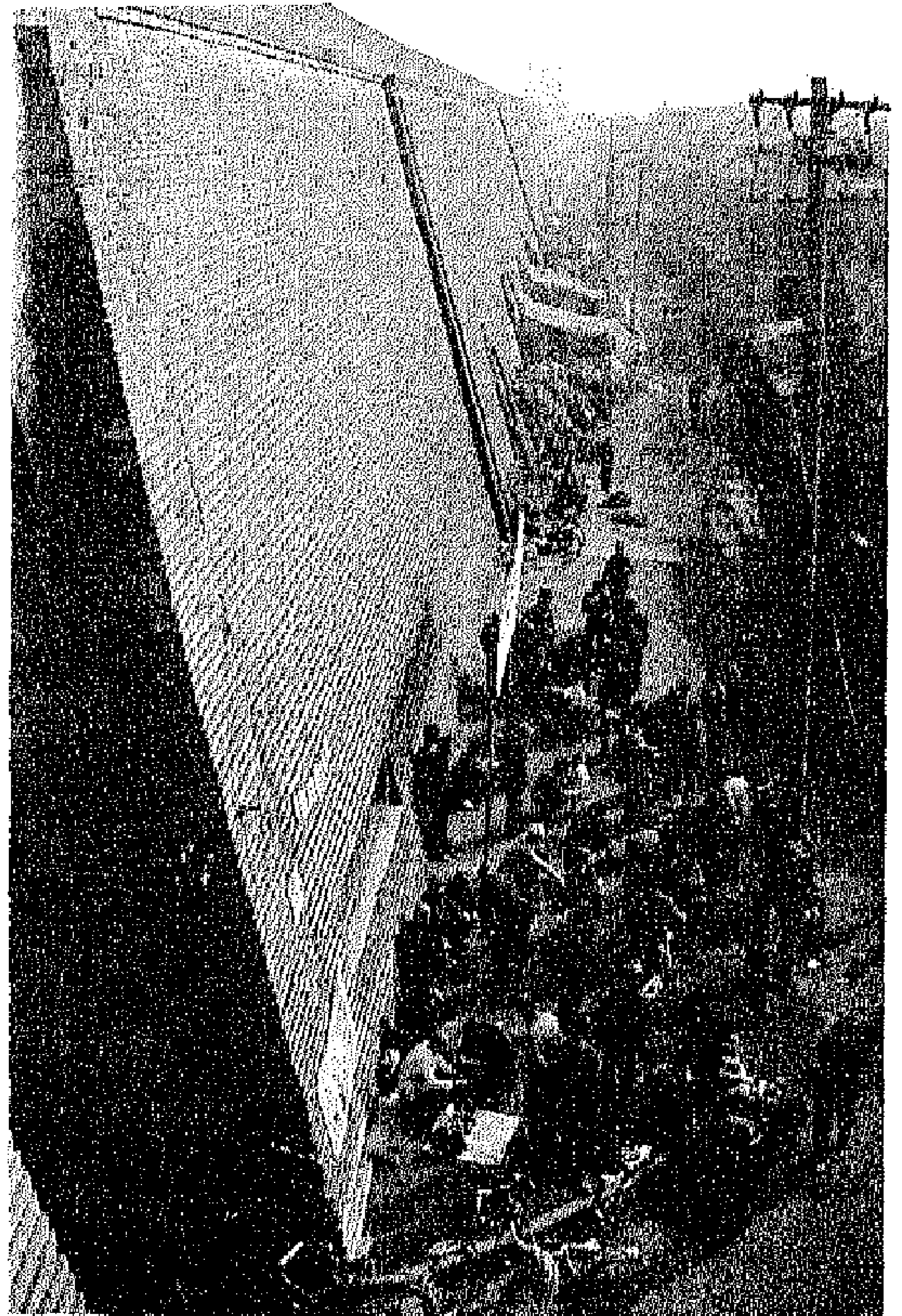
لقد أثبتت الكهوف أنها خدع بصرية فنية مشبعة من الارض الى السقف بلوحات من عالم الخيال. ولا تزال أصباغها مشرقة ربما كما كانت حين وضعت قبل مئات السنين. ألوف من التماثيل المتناهية في الصغر غارت زخرفياً في سقوف الكهوف،

وحولها تماثيل موسيقيين ينقضون هنا ويدورون هناك ثم يندفعون كالسهام وقد أحاطت برؤوسهم هالات خضر وزرق وبيض، ينقرون على القانون أو يعزفون على الناي. وفي فجوات صغيرة تماثيل متأملين يجلسون القرفصاء مبتسمين وعلى وجوههم تعابير منتشية بالرضى والمعرفة.

كانت دونهوانغ مجهولة تماما لدى الغرب حتى منقلب القرن العشرين، عندما تناهت الى عالم الآثار أوريل ستاين إشاعات بأن ثمة ناسكا اكتشف مخطوطات في غرفة سرية مقفلة منذ نحو ألف سنة. وقد سمح الناسك لأوريل، في مقابل ١٣٠ جنيها استرلينيا (تعادل الآن ٩٠٠٠ دولار)، أن يرحل آخذاً معه ألوف المخطوطات واللوحات المرسومة على لفيفات البردي والتي تشكل بمجموعها واحدة من أهم المكتشفات التاريخية. فلقد زودت العلماء الغربيين منذ ذلك الوقت - وهم ما زالوا يواصلون ترجمتها - فهما عميقاً لا يثمن للعقائد والفنون الصينية القديمة.

بعد ذلك قمت برحلة في الحافلة دامت ثماني ساعات ونقلتني شرقاً، على امتداد الطرف الأدنى لصحراء غوبي، الى قلعة جيايوغوان التي حرست مداخل الامبراطورية من جهة الغرب خلال عهد سلالة منغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤ ميلادية). وهناك ركبت قطاراً

أفقت عند الفجر لاكتشف المجرى الجامح الضيق لنهر واي ملتمعاً عبر النافذة. بدت جبال كين لينغ المصطبة بانحدار شديد معلقة في الضباب الصباحي الخفيف كأنها قمم خيالية في لوحة صينية، ثم أخذت تنفتح تدريجاً كبوابات هائلة لتكشف السهول الخصبة حيث مهد الحضارة الصينية. كنا نجتاز بقعا اكثر كثافة بالسكان، وقد مر بنا القطار سريعاً عبر مزارع صغيرة وقرى من بيوت قرميدية وأفنية فحم وأتن فخار ومصانع تطلق مداخنها سحبا سوداء. فجأة برزت من خلال الضباب السديمي شرفات مهيبة للسور العظيم. كانت شيان في ما مضى روما آسيا، وهي


FERGUS M. BORDEWICH

أسوار مدينة شيان نهاية طريق الحرير.

اليوم العاصمة الحديثة لمقاطعة شانسي، وما تبقى فيها من آثار ترقى الى ما قبل الثورة يعود بمعظمه الى سلالة تشينغ (١٦٤٤ – ١٩١١ ميلادية) آخر سلالات الصين.

عرفت شيان باسم تشانغان في عهد سلالة تانغ (٦١٨ – ٩٠٧ ميلادية) حين كانت طريق الحرير عظمى طرق التجارة العالمية وكانت سلطة الصين ممتدة الى منحدرات كاراكورام وما بعدها. وكانت شيان آنذاك حاضرة مدينية تضم أكثر من مليون نسمة وتنبسط على مساحة ٨٠ كيلومتراً مربعاً. تدفقت إليها ثروات العالم المعروف آنذاك. تجار وسفراء من الهند واليابان وفارس وجزر جنوب شرق آسيا، جثوا جميعهم أمام من كان يومذاك أقوى أباطرة العالم سلطاناً في قصور رائعة الجمال كأنها من عالم الاساطير.

في الأيام التالية، تنقلت بحذر وسط بحر من راكبي الدراجات ذهاباً واياباً على امتداد جادات شيان الواسعة، لأكتشف مدينة نابضة بالحياة تفشت فيها المصالح الخاصة: مئات من الأكشاك على جوانب الطرق تباع فيها ملابس براقة زاهية، لم تكن تُرى قبل خمس سنوات عندما كان الزي الماوي الباهت لا يزال اللباس الوطني. وتلعلع أجهزة الستيريو بموسيقى الديسكو التايوانية التي كانت محظورة لسنوات قليلة خلت باعتبارها من علامات "الانحطاط البورجوازي." وتعرض متاجر خاصة أجهزة التلفزيون الملون والفيديو وحتى أجهزة الكمبيوتر الشخصية. وصادفت فرقاً تؤدي عروضاً تمثيلية في الشوارع بملابس حريرية بالية، وتمتع المشاهدين بصيحات الاوبرا الصينية التقليدية العالية النغمات. وفتشت عبثاً عن بقايا عاصمة سلالة تانغ العظيمة التي اجتذبت قوافل الآسيويين الى أسواقها في ما مضى.

ذات مساء تجاوزت السور الى هيكل دايانتا المنتصب على هضبة خضراء في ضاحية المدينة. تراكمت طبقات الهيكل السبع واحدة فوق أخرى كطبقات كعكة عرس مستدقة الى أعلى. والمبنى مثير للاعجاب، أنشىء قبل ١٣٠٠ سنة بأمر من الامبراطور لايواء هسوان تسانغ الشجاع الذي أقام هنا في شيان حتى آخر أيامه عاكفاً على ترجمة المخطوطات التي حملها من الهند. وفي سرادق صغير قريب وجدت طبعة بالحبر من نقش حجري يظهر تسانغ سائراً بخطى ثابتة على طريق الحرير برأس حليق ووجه هو مثال البراءة والبساطة، وقد برزت المخطوطات الشهيرة من جراب على ظهره.

واذ وقفت عاليا أحدق الى البعيد، الى مصانع شيان وجاداتها والى مدى الريف الصيني المترامي خلفها، أحسست أني بلغت أخيراً نهاية طريق الحرير.

فرغوس م. بوردفيتش ■

ترجمة فواز الخوري

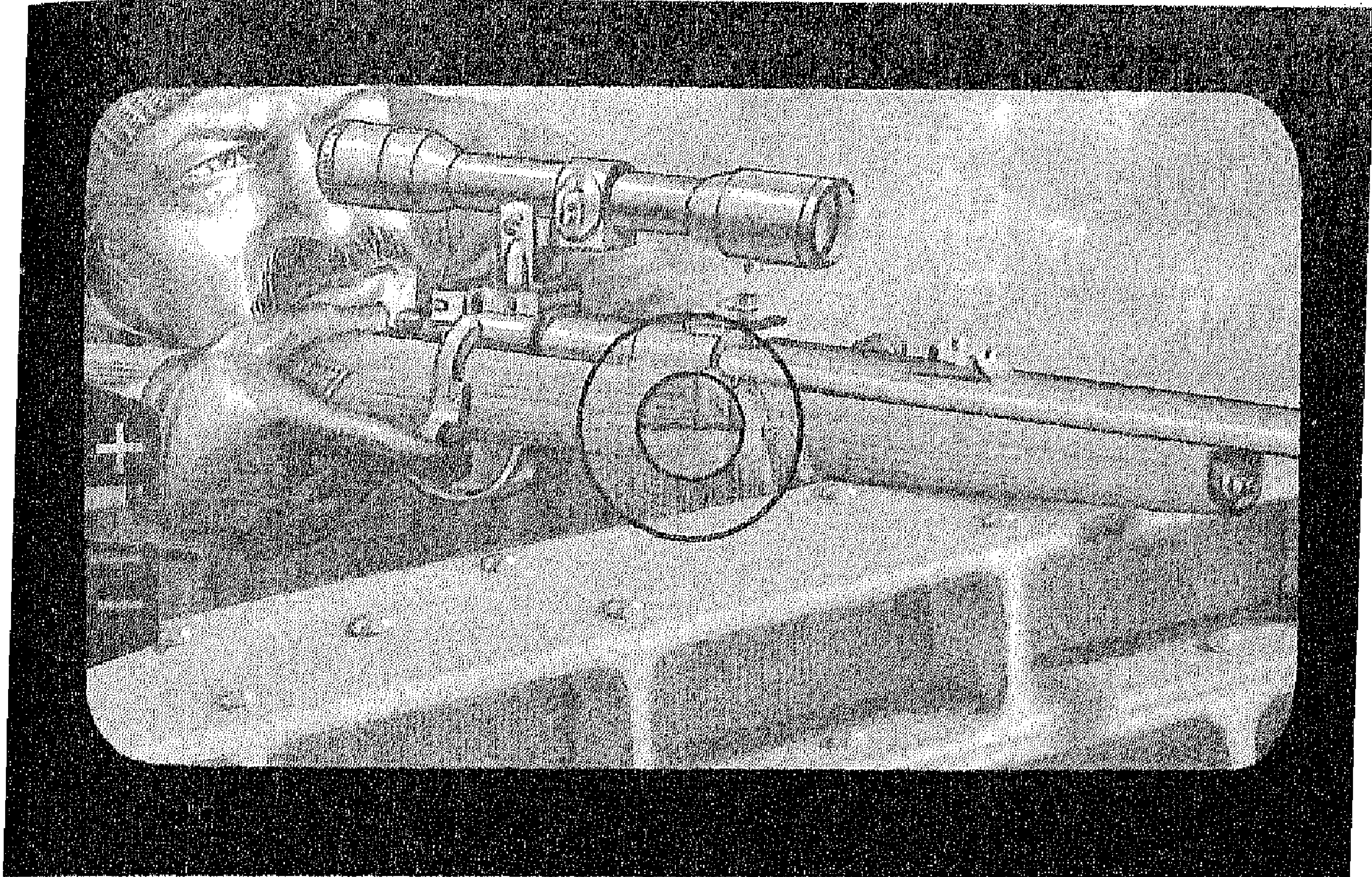
خاص - ٢

"عمليّة" مرسيليا

ملخص من كتاب "الصيني"

بقلم جورج نغوين فان لوك بالاشتراك مع جان - ماكس تيزيه

"عمليّة" مرسيليا



مع مرور الدقائق حاسمة، بات الرجل الذي تطلق عليه أوساط عالم الاجرام في مرسيليا لقب "الصيني" على يقين من أن الهلاك سيكون اما من نصيبه واما من نصيب الشقي الشاب الذي يحتجزه رهينة في مقابل فدية تبلغ ستة ملايين فرنك فرنسي (١،٢ مليون دولار)، ذلك لأن النقيب في الشرطة جورج نغوين فان لوك ترعرع في الأزقة الوضيعة نفسها وأدرك جيداً الدافع الذي كان يحرك خصمه. عرف أن لا خيار في هذه المواجهة سوى الحياة أو الموت.

كانت شانتال كولومبو منشغلة في عد رزمة من الاوراق النقدية. وهي منذ التحاقها بفرع مصرف "كريديه ليونيه" في مدينة نيس عملت أمينة صندوق على شباك العملات الاجنبية واضطلعت جيداً بمسؤوليات هذه الوظيفة الحساسة. ولم يعكر الطقس الممطر ذلك اليوم في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ مزاجها المنشرح.

عند منتصف الصباح، تقدم من شباك منضدتها في المصرف رجل متأنق يضع نظارتين ذهبيتي الاطار، طويل القامة، أسمر البشرة، يرتدي سترة خفيفة وسروالا قاتم اللون. بدا في الثلاثين من عمره ذا وجه حليق لوحته الشمس. كان يحمل حقيبة جلدية بدت ثقيلة. ابتسم لشانتال وبادرها بلهجة جنوبية واضحة: "أود أن أصرف فرنكات سويسرية وأن أفتح حسابا بمبلغ كبير من المال، نحو أربعة ملايين فرنك سويسري (٢،٧ مليون دولار)." أجفلت السيدة كولومبو لدى سماعها هذا الرقم، ولم تكن سلطاتها المحدودة لتخولها بت عملية مالية بهذا الحجم. ابتسم لها الرجل ثانية كما لو انه تفهم ارتباكها، فقالت له: "هلا تفضلت بمرافقتي، لن يستغرق الامر طويلا." هز الرجل برأسه موافقاً وتبعها الى مكتب رئيس القسم المختص حيث عرّفت به. وبينما هي تشرح مطلبه للرئيس قاطعها بفظاظة فجأة: "هذه عملية سلب، لا تأتيا أي حركة ولا تصرخا، وسيسير كل شيء على ما يرام." وصوّب اليهما مسدسه ثم أمر شانتال المشدوهة: "اذهبي وبلّغي أمري الى مدير المصرف، وسأحتفظ بهذا السيد رهينة." امتثلت شانتال للأمر وهي تشعر بأن رجليها لا تقويان على حملها.

عندما وصل مساعد مدير المصرف كلود بريو ومدير شؤون الموظفين فرنسيس دولو الى المكتب، بادرهما المسلّح بأنه يريد فدية مقدارها ستة ملايين فرنك فرنسي. حدق اليه الموظفان مصعوقين وقد تكلم بسرعة وحزم، وأوحت لهجته أنه يدرك تماماً ما يفعله. لكن الاعتراض في تلك اللحظة، وإن تسجيلا لموقف ما، كان ليعتبر تصرفاً أحمق، كما ان أي مقاومة كانت مستحيلة وفوهة المسدس مصوبة نحوهما.

صرخ المسلح: "أريد رهينتين فقط." وأطلق شانتال ورئيس قسمها واحتفظ ببريو ودولو باعتبار أن للمديرين قيمة أعلى في المبادلة.

فجأة لوح بترموس[1] لفه بقطعة قماش، محذراً: "اذا لم تنفذا ما أمليه عليكما فسأفجر المكان كله." وأوضح أن الترموس مليء بالنيتروغليسرين، المادة ذات القوة التفجيرية الهائلة والسريعة التأثر اذ تنفجر لدى أدنى خضة. وتذكرت شانتال أنها شاهدت فيلماً قديما عنوانه "عاقبة الخوف"[2] قاد فيه البطلان شاحنة استحالت قنبلة منطلقة شديدة الانفجار. لكن شانتال تذكرت أنها ليست في صالة سينما، بل تعيش

(١) الترموس (thermos) وعاء يحفظ درجة حرارة السائل الذي يحويه.
(٢) The Wages of Fear

رعباً حقيقياً، فيه مسلح يتهدد حياة رجلين بريئين طمعاً بالمال. ولم يسبق أن انتظرت شانتال في السينما كلمة "النهاية" بمثل القلق الذي تملكها في تلك اللحظات.

● فرقة مرسيليا ●

كنت أوصد الابواب والنوافذ في بيتنا استعداداً للذهاب في اجازة. وما ان أدرت المفتاح في قفل الباب الخارجي حتى رن جرس الهاتف، ففتحت ودخلت ورفعت السماعة: "لقد احتجزت رهينتان في نيس يا سيدي النقيب، وطُلب منا التدخل."

فقلت: "حسناً اجمعوا فرقة الطوارىء وجهزوا السيارات ثم تعالوا لاصطحابي."

بصفتي رئيس "فرقة التدخل في الشرطة الوطنية" في مرسيليا، كنت مسؤولا عن مجموعة صغيرة من ١٥ شرطيا تلقوا تدريباً خاصاً وباتوا متأهبين لمواجهة أي نشاطات اجرامية غير عادية بما فيها عمليات السطو والارهاب. وعلى رغم أنني ترعرعت في أزقة مرسيليا حيث ولدت لأبوين فيتناميين، وألفت عالم الاجرام في المدينة منذ نعومتي، فقد سلكت سبيلا مغايراً. وأتساءل أحياناً ما الذي حولني عن عالم الاجرام ودفعني، عوض ذلك، الى الحصول على اجازة جامعية في المحاماة والتقدم الى امتحان لوظيفة مفوض في الشرطة بعد مشاركتي فترة في حرب الجزائر برتبة ضابط. لعل مرد ذلك الى أبي. أذكره مرة، وكان على فراش الموت، كيف شدني نحوه ممسكاً معصمي باحكام واستجمع قواه الاخيرة ونظر الي بعينين متقدتين وقال: "أبقِ رأسك مرفوعاً دائماً." كان ذلك ما أورثني اياه، وما زلت ضنيناً بإرثي.

بعد قتل ١١ رياضيا إسرائيليا أثناء دورة الالعاب الاولمبية التي أقيمت في ميونيخ عام ١٩٧٢، قررت الحكومة الفرنسية إعداد فريق خاص لمواجهة أوضاع مشابهة. وبدا أن مؤهلاتي، المتمثلة في إجازة الحقوق وخبرتي القيادية في الجيش وتقلبي في مراكز مختلفة في شرطة جزر المارتينيك ومرسيليا وضواحي باريس، جعلتني الشخص المناسب لتشكيل "فرقة مرسيليا."

أرسلت في طلب متطوعين من كل دوائر المدينة، وتلقيت نحو ٦٠ رداً سريعاً. تأنيت في حكمي على المتقدمين محدداً مدى مهاراتهم وقدراتهم على الاحتفاظ برباطة الجأش في المواقف الصعبة. واخترت لفريقي محترفين مدركين طبيعة عملهم تماماً، وليس أفظاظاً أو أفراداً يتصرفون كرعاة بقر غربيين. وأخضع هؤلاء لفترة تدريب شمل الرماية السريعة بالمسدس والبراعة في استخدام البندقية، الى قوة التحمل والقدرة القتالية. وحذرتهم منذ البداية من أن "لا مكان لمحبي الظهور في هذه المجموعة. فنحن لسنا في صدد انتاج أفلام سينمائية، بل سنتعرض فعلا للخطر. لذا أريد رجالا أستطيع الاعتماد عليهم."

فيما كنا نجتاز مسافة المئتي كيلومتر التي تفصل بين مرسيليا ونيس، اطّلعت عبر شبكة لاسلكي الشرطة على الخطوط العريضة لحادث السطو على المصرف.

كان الفاعل شقياً واحداً، ظلت هويته مجهولة، يحتجز رهينتين من موظفي المصرف في مكتب المدير في الطبقة الارضية. وهو مدجج بالسلاح ويعي ما يفعل. وبدا، من خلال حديثه مع شرطة نيس، مصمماً على المضي في مغامرته الى أبعد الحدود، اذ حذر رجال الشرطة قائلا: "اياكم أن تقدموا على أي عمل غبي، فأنا أحمل ترموساً مليئاً بمادة النيترو، ومستعد لتفجير المكان بأسره."

أثارت مادة النيتروغليسرين قلقي، فاستعدت التفاصيل في ذهني تكراراً. وحرص رجالي الذين اعتادوا أسلوبي في العمل، على عدم قطع صمتي مدركين أنني سأنقل اليهم المعلومات المفيدة فور ورودها علي، لأن العمل ميدانياً يقتضي الاهتمام بالامور الاساسية. وكلما قلّ الكلام سارت الامور على نحو أفضل.

واكبتنا الشرطة الدراجة وسط دوي الصفارات الى مكان الحادث. وكان كل شرطي في نيس وضع منذ العاشرة صباحا في حال تأهب. والآن وقد بلغت الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر، بدأ الوقت يدهمنا.

وكان الرقيب رينه برنابو، وهو مغوار سابق في البحرية، أقلّني من منزلي. ثم تولى مساعدي التحري جان بيار غاليه قيادة السيارة فأطلق لها العنان لتجاري الدراجات سرعة. وكنت متأكداً من أنني أستطيع التعويل كلياً على رجالي بول كابارو ورينه برنابو وجان بيار غاليه وبيار رولاندو ودومينيك باتيستي، الذين ألفوا إحدى المجموعات الثلاث الضاربة في "فرقة مرسيليا."

يقع فرع مصرف "كريدي ليونيه" في قلب نيس، ويطل مدخله الرئيسي على جادة جان – ميدسان وتحوطه شوارع الماريشال جوفر وجوزف بري واميل نيغران وطريق غير نافذة تدعى "زقاق لونشان" وهي المكان الحصين حيث احتجزت الرهينتان. ومن سخرية القدر أن يقع "شارع الحرية" على مسافة أمتار من المكان.

كانت الشرطة طوقت المبنى وأحكمت سد المنافذ المؤدية اليه. وأخليت الابنية والمتاجر المجاورة وضرب طوق أمني في المكان للحؤول دون اقتراب المتهورين، خصوصاً أن هناك خطر انفجار النيتروغليسرين في أي لحظة. وسمح لبضعة ضباط بالبقاء في زقاق لونشان.

طالت فترة الحصار وانقضت ثلاث ساعات وبريو ودولو تحت رحمة المسلح. ترى كيف هما يتحملان هذا الضغط؟ وأفاد مراسل صحيفة "نيس ماتان" اليومية الذي تمركز في الجانب الآخر من زقاق لونشان أنه لمحهما عبر النافذة يقرآن صحفاً بهدوء ظاهر. ولم يرصد أي حركة حولهما. ولكن ما من أحد استطاع التكهن بما في ذهنهما،

فربما كان هذا السكون الثقيل الوطأة هو الهدوء الذي يسبق العاصفة.

ساد ردهة المصرف هرج ومرج: رجال شرطة ومراسلون صحافيون وموظفون يروحون ويجيئون، وكل يبدي وجهة نظره في الوقائع ويقترح الخطة التي يجب توسلها.

أذهلت خطورة الوضع المسؤولين في المدينة. وولّد نقص الاوامر الواضحة ارتباكاً مخيفاً. وعنَّ في بال أحدهم أن يوزع رماة الى يمين الردهة ويسارها بحيث تكون الطلقة الاولى كفيلة بأن يحصد بعضهم بعضاً. وعمت الفوضى على نحو جعل العملية كلها معرضة للانهيار في أي لحظة. وكان لا بد لشخص ما من أن يمسك سريعاً بزمام الامور.

● الشرك ●

عرَّفني مارك شيمول وهو مساعد في المقر الرئيسي لشرطة نيس، الى السلطات المحلية. واذ رحت أصافح موظفين حكوميين وقضائيين ومصرفيين، داخلني احساس غريب، ففي حين كنا نحن نتبادل عبارات المجاملة كانت حياة رجلين بريئين، في آخر الرواق، معلقة بخيط رفيع. كان ذلك احساس من هو في حضرة الموت.

صحت آمراً: "ليخرج من الردهة من ليس لديه عمل فيها!"

كان من الضروري توفير منطقة خالية من الناس بيني وبين المسلح. وتحقق رجالي من التدابير الامنية المتخذة في كل الاقسام ثم تمركزوا في غرفة منتظرين أوامري. كان عليهم ألا يطيعوا سواي. وشكلنا وسط هذه الفوضى العارمة القوة الوحيدة المنظمة والمستقلة.

استطلعت أنا وشيمول الوضع بدقة. كانت النافذة مدعمة بقضبان حديد وتعلو عن الارض مترين وتطل على زقاق لونشان. وتولت فرقة الاتصالات مد خط هاتفي على واجهة المبنى أتاح لنا التحدث مباشرة مع المسلح. واتصلنا بباريس حالما حدد هذا شروط الفدية.

أرسل المقر الرئيسي لمصرف "كريدي ليونيه" المبلغ المطلوب في حقيبة كبيرة وضعت في الردهة. ولكن، لسبب ما، رفض المسلح أخذها. لا بد انه شعر بأن ثمة فخاً ينصب له، فأمثاله يتمتعون عادة بحاسة سادسة قوية. كان يعرف ماذا يريد والثمن الذي عليه دفعه. لذلك هو لن يدع أحداً يخدعه.

تبين لنا أنه يستحيل النيل من المسلح من الداخل. فصعد القناصة في فريقي الى الطبقات العليا في المبنى المقابل محاولين احتساب الزاوية المناسبة لاطلاق النار. وسرعان ما عادوا محبطين، اذ تبين لهم أن القضبان الحديد للنافذة تؤمن للمسلح حماية تامة، كما أنهم لم يتمكنوا من رؤية شيء واضح داخل الغرفة، وقد قبع المسلح

على الأرض في زاوية غير مرئية من الخارج.

راجعتُ مراحل خطة التحرك التي وضعتها، ثم قدمتها الى مفوّض الشرطة والمدعي العام ليوافقا عليها. وكان ان انقاذ حياة الرهينتين في رأس الاولويات. وتقرر أن نحل أنا والرقيب برنابو محلهما قبل تسليم الفدية. ومتى تم ذلك يترك الامر لي.

ولتفادي أخطاء غير متوقعة، أخليت المصرف وطلبت من المسؤولين الرسميين أن يقبعا في احدى الغرف فلا يخرجا منها وإن هما سمعا اطلاق نار، لئلا يعوقا تحركنا. ثم وزعت رجالي بحيث لم يعد للمسلح سبيل للخروج من الشرك. وأمرت كابارو وهو أفضل مساعديّ وكان خارج المبنى، باطلاق النار على المسلح في حال نجاحي في حمله على الظهور. وتقرر تنفيذ العملية بعد هبوط الظلام واطفاء الانوار الخارجية لابراز الهدف جلياً عبر النافذة. وسينتظر التحريان باتيستي ورولاندو خلف عمودين في الردهة. وسيكون غاليه في مكتب صغير محاذ لذاك الذي احتجزت فيه الرهينتان، متأهبا للتحرك عند الطلقة الاولى. أما اذا أخطأ كابارو الهدف، لسبب ما، فسنصبح أنا وبرنابو تحت رحمة المسلح، وحيدين أعزلين، وأي عمل نأتي به سيندرج في اطار الدفاع عن النفس. واختصرت المسألة بمعادلة بسيطة: إما أن يقضي علينا المسلح واما أن نقضي نحن عليه.

● مجرم محترف ●

خطر لي أن المسلح قد يرغمنا على ركوب السيارة التي ستسلم اليه مع الفدية. وتحسباً لهذا الاحتمال امرت رجالي بالا تتعدى كمية الوقود في خزان السيارة أربعة ليترات، ما يكفي لاجتياز ٣٠ كيلومتراً فقط. وافترضت أن يجلس المسلح في المقعد الخلفي ويجلسنا نحن في المقعد الامامي ليتمكن من مراقبتنا فيما أتولى أنا أو برنابو القيادة. وكنا كلانا نعرف تماماً ما ينبغي القيام به إذذاك. فما ان نسلك طريقاً مستقيمة حتى يتحين السائق لحظة مناسبة فيضغط الكابح ويفقد المسلح توازنه، فنلوي ذراعه ونطبق على عنقه. عندئذ تكون وحدات من الشرطة أدركتنا فتتولى هي بقية الامر.

واتفقنا على شأن أخير: في اللحظة المناسبة لبدء العملية يتصل بي شيمول هاتفياً ويقول بنبرة طبيعية: "كل شيء جاهز للفدية." وسأفهم انا فحوى الرسالة.

فرغنا من الاستعداد للعملية قرابة السادسة مساء. وتولت شاحنتان قطر السيارات المتوقفة في الشارع لابقائه خالياً. وراح ضوء النهار يخبو بسرعة فيما أحاطت هالات نور بمصابيح الشارع ولمع الرصيف تحت الواجهات الشاحبة للابنية، وبدا زقاق لونشان مسرحاً لاحداث فيلم مثير.

انطفأت الانوار كلها لاحقاً، فأثقلت الظلمة جو التشاؤم الذي لف المكان.

طلب المسلح ابدال شرطيين بالرهينتين. وهو قد يكون تصور أنه سيؤمن بذلك غطاء أفضل لنفسه، لأن رجال الشرطة سيترددون في إطلاق النار اذا كانت حياة اثنين من زملائهم عرضة للخطر. في أي حال، أوحت بادرة حسنة منه أن حساباته انطوت على درجة من المسلك الاخلاقي كنا ننكرها عليه. فهو أطلق شانتال كولومبو ذلك الصباح بلا قيد ولا شرط، وكرر لاحقاً طلبه إخلاء المصرف من النساء. لقد بدا أنه يلعب وفقاً لاصول معينة. إذ أرضاه أن يحتجز اثنين من خيرة رجال الشرطة ويبقيهما تحت رحمته، وأن يتعامل مع رجال تلزمهم مهنتهم القضاء عليه.

تولى شيمول المفاوضات بديبلوماسية ناجحة. ووضع المسلح شرطاً واحداً قبل اتمام عملية ابدال الرهينتين، وهو أن يرتدي كل منا، نحن الاثنين، قميصاً رياضياً وسروالا قصيراً وحذاء خفيفا ليتعذر علينا إخفاء السلاح تحت ثيابنا. لم يدع أي حيلة تفوته. ولم نكن نواجه مجرما عنيفاً فحسب، وانما رجلا ذكيا يقظاً وحازماً.

في أي حال، كسبنا الجولة الاولى تكتيكيا، اذ انحصرت المواجهة بين المسلح وشرطيين. كنا ندرك أننا نقدم على مجازفة كبيرة، لكن انقاذ الرهينتين كان هدفنا الاسمي. وبعد ذلك، لكل حادث حديث.

● ابن حي فقير ●

تطوع برنابو للمشاركة في العملية. كان قويا ومخلصاً وقادراً على الصمود. وقد بدونا كمغفلين في سروالينا القصيرين واقفين وسط ردهة المصرف الفخمة. لكننا لم نشعر برغبة في الضحك. وبعدما تبادلنا نظرتين سريعتين، صحتُ: "هيا بنا."

سرنا في الرواق القصير وقد خيم على المبنى سكون لم يعكره وقع خطواتنا على الارض الرخامية. لم نكن خائفين، لكن تلك كانت مواجهة حاسمة نفوز فيها أو نقضي.

وكان بريو ودولو نهضا عن كرسييهما وأمارات القلق ونفاد الصبر بادية على وجهيهما الشاحبين. لقد احالت ساعات التوتر تلك ملامحهما قناعين مثيرين للشفقة. والآن لم يعد في مقدورهما الانتظار أكثر، والحرية خلف الباب، عند أسفل الرواق حيث وقفنا أنا وبرنابو.

خشي المسؤولان المصرفيان أن يغير المسلح رأيه، لكنه لم يلبث ان أومأ اليهما بالخروج بعدما فتش ثيابنا بعناية، فخرجا من دون أن ينبس أي منهما بكلمة مدركين أن هذه المبادلة وضعت حداً لمحنتهما وفتحت لنا باب الجحيم.

سدل ستار على النافذة الوحيدة التي تطل على الشارع. وبدأت حبال المطر تسوط الالواح الزجاج. وكان جو الغرفة مثقلا بالتوتر.

جلس المسلح في زاوية محجوبة على مقربة من النافذة بحيث استحالت رؤيته من

الخارج. وفصلت بيننا طاولة ضخمة وضعت منحرفة في الغرفة، وكان المسلح أزال عنها اللوازم المكتبية ووضع عليها حقيبته. جلسنا قبالته، قرب الباب، أنا الى اليسار وبرنابو الى يميني. وأبقى المسلح مسدسه ذا الطلقات السبع مصوباً نحونا وأمسك الترموس بيسراه.

ما ان حدقت اليه حتى أدركت أن قهره سيكون صعباً جداً. فهذا الرجل لم يكن يدّعي صفات ليست فيه. انه محترف حقاً.

وهو بادرنا ببعض الرضا، كما لو أن وجودنا، انا وزميلي، أضاف توابل الى حسائه: "لستما شرطيين عاديين." لقد شعر أنه صار أكثر أهمية اذ قيس بمثلنا، ونحن أضفينا على عمله مشروعية.

نظر الي وقال: "أنت. أنت الأخطر. ستبقى هنا. وحين أخرج سآخذ مساعدك معي. وإن هو اتى حركة فسأقضي عليه."

كان ردي فوريا: "إن أنت قتلته فسأبحث عنك أينما كنت وأطلق رصاصة على رأسك. وفي امكانك قتلي أنا أيضاً، لكنك في هذه الحال لن تخرج حياً أبداً."

فقال بصوت بارد: "حاول أي خدعة وسترى انك ستموت."

وددت لو استطعت رؤية عينيه. لكنهما، ويا للأسف، كانتا متواريتين خلف نظارتين سوداوين. فالعينان في مواقف كهذه تفصحان عما يجول في الذهن. لكني تمكنت من احباطه اذ جعلته يدرك أن حياته رهن بحياتنا وبات واضحاً أنه لن يكسب شيئاً بقتلنا. ومع ذلك تحداني رافعاً الترموس: "اذا وقع هذا الوعاء فستتمزقان ارباً."

فصححت عبارته: "مهلا، سنتطاير جميعاً."

وتابعنا محادثتنا الغريبة على هذا المنوال. فقلت له محاولا التقرب منه: "أنت مثلي لهجتك مرسيلية."

– أجل.

"اننا نتكلم اللغة نفسها باللهجة نفسها. لا شك في اننا من منطقة واحدة."

لم ينكر ذلك.

إني أتمتع بشهرة واسعة في مرسيليا تتعدى كوني آسيويا يلقبه عالم الجريمة في المدينة "الصيني." ولا شك في أن هذا الرجل عرف من أنا على رغم أننا لم نلتق قط. كان يلعب أخطر مقامرة، إذ عليه، ليكسب مبلغ ستة ملايين فرنك، أن يراهن بحياتي على حياته.

لو كنت أواجه مجرماً شهيراً معروفاً لسهلت القضية، لأن هذه الجماعة من الاشقياء ما أن تقع في الفخ حتى تستسلم من دون احداث اي اذى. وهي، تاليا، تعرف حدودها وتقف عندها ولها قوانينها الخاصة التي تحترمها. في حين أن القبض على مجرم

مجهول كهذا الرجل مسألة أخطر كثيراً. يريد أن يحقق لنفسه منزلة مهمة في عالمه، ويعدّ تصدر اسمه عناوين الصفحات الاولى للجرائد تأشيرة دخول الى سؤدد الاجرام.

كان المجرم الماثل أمامي ذئباً وحيداً مستعداً للاقدام على أي شيء من أجل تحقيق شهرة يتذكره بها أندأده المجرمون. لكنه لم يكن يائساً يسخر من الموت. لقد اختار فرع المصرف في نيس لانه رجل مجهول في هذه المدينة. وهو خطط لضربته جيداً، وسيمضي فيها حتى النهاية.

أحسست كل ذلك اذ بدا واضحا لي، على رغم السنوات العشرين أو نحوها التي تفصل بيني وبين المجرم، أننا تقاسمنا فتوة متشابهة وفي حي بانييه القذر نفسه، وهو حي سيىء السمعة في مرسيليا لا يتعدى عرض شوارعه المتشابكة عرض عربة اليد ويقطنه عمال فقراء ومجرمون صغار وتتدلى الملابس المغسولة بين أبنيته. لقد عبرت هذه الشوارع المعتمة مراراً، يعتريني شعور هو مزيج من المتعة والارتياب.

وأقام صبية الحي سلطة محلية هناك: يبيتون في الشوارع ويحتكمون الى قوانينهم الخاصة وينتظمون في عصابات متنافسة ويتلقون العلم في مدرسة العنف حيث لا مغفرة للضعيف ولا حماية.

● "لن أدخل السجن!" ●

لم تكن العصابات آنذاك تتورط في عمليات سرقة أو اتجار بالمخدرات، لكنها كانت تحارب من أجل مكانتها ضمن الحي. وكانت لدينا شعيرة نلجأ اليها لتسوية خلافاتنا. فكان الفرد منا الذي يساء اليه يضع قشة على كتفه ويتحدى خصمه: "تقدم وأسقطها اذا كنت رجلا." وكان الخصم ملزماً قبول التحدي والا فقد اعتباره. ومع أن هذه القشة الصغيرة لم تكن تعني الكثير، فان مجرد رؤيتها "متربعة" على كتف فتى أكبر منك وأقوى كان يكسبها معنى أكبر وهي لا تزال تمثل لي رمزاً أتمسك بمعناه. ففي الحياة لا نرى دائماً القشة الصغيرة على كتف عدونا، لكنها هناك، وعلينا التحلي بالقوة والشجاعة لاسقاطها أيا يكن الثمن.

وتتعاقب الوجوه في مخيلتي حين أستعيد ذكريات الايام الغابرة. وأعرف تحديداً مَن مِن هؤلاء الاولاد قضى قتلا ومن منهم أصبح زعيم عصابة أو علق في متاهات حياة كئيبة مجهولة. ومن غير وعي مني، اكسبتني هذه الوجوه وتلك الازقة الوضيعة خبرة واسعة خولتني أن أصبح اليوم شرطياً من القلائل المطلعين على الجذور النفسية والاجتماعية لرجال العصابات ودوافعهم وحلولهم الوبائي في مرسيليا.

كان المسلح يحمل في حقيبته جهاز راديو ويستمع بانتظام الى نشرات الاخبار حول العملية والتي كانت تبثها محطة "فرانس - انتير" المحلية. وهكذا تمكن من معرفة

هويتي. ولم يبدِ أي رد فعل لدى اذاعة نبأ ابدال الرهينتين. وكان بين حين وآخر يسكت المذياع بعد أن يكون سمع ما يريد.

وقال كأنه يفكر بصوت مرتفع: "أريد ستة ملايين، وسأحصل عليها." هذا ما أراده تماما: المال وحياة البذخ والترف اللذين يتمتع بهما أسياد عالم الاجرام... أحلام تتلاشى في السجون أو في القبور.

واستدرجته لمزيد من المعلومات، ولكن تدريجا لئلا أثير شكوكه. فحاولت أولا تكوين فكرة أفضل عن شخصيته ودوافعه النفسية. كان علي التقيد بشروط اللعبة، فعرضت عليه مخرجا: "إسمع يا بني، أنت ربما في الخامسة والعشرين أو في الثلاثين من عمرك. اذا استسلمت سلمت ورحمت والدتك."

فأجفل فجأة. وعرفت أنني أصبت منه موضعا حساسا، فأضفت: "هل تقوم بهذا العمل كرمى لفتاة؟"

فأجفل ثانية واحتقن وجهه وارتجفت شفتاه ثم دمدم بغضب: "كف عن هذا الهراء!"

● رائحة الموت ●

لزم برنابو الصمت وهو جالس في كرسيه يراقب ما يجري بهدوء. وكانت الكرة في ملعبي. ترى هل ظن المجرم أنه سيربح في لعبة الحظ هذه؟ وما الذي جعله يفكر للحظة أنه قادر على الافلات من حصار الشرطة والفرار بغنيمته خارج البلاد ليعيش بهناء بعد ذلك؟

ظل المسلح على إصراره: "لن أذهب الى السجن، وسأتمكن من الخروج بالمال."

كانت هذه الفكرة المهيمنة عليه باعثا على القلق. فرفضه العنيد للسجن يعني أنه ماض في عمليته حتى النهاية.

لم ترقني الفكرة، وحاولت إقناعه بأن لعبته خاسرة فليكف عن الاغراق في الخطأ. وأوضحت له أن السجن ليس أسوأ ما يمكن أن يحصل له، لكن كلامي ذهب هباء. قال، كأنه يخاطب نفسه: "لا. من المستحيل أن أدخل السجن."

توسلت أعذارا مختلفة محاولا الاقتراب من المسلح ما يتيح لي نزع سلاحه، ظنا مني أن تيقظه فتُر. لكنه كان في كل مرة يوقفني حيث أنا ويحذرني: "الزم مكانك، أفهمت؟" لم يكن يمازحني. فيده اليمنى التي أمسك بها المسدس ظلت ثابتة. وكان ليطلق النار لدى أدنى حركة تشعره بالخطر.

قبعنا أنا وبرنابو نراقبه متوقعين أن تصدر عنه أي علامة ضعف. أملت أن يتعب، وعوّلت على انهيار اعصابه. لكنه ظل صامدا، محكما قبضته على المسدس، والترموس

في حضنه. وتأكد لي أخيراً أن هذا لا يحوي مادة النيتروغليسرين والا لكانت الطريقة التي راح صاحبنا ينقله بها تسببت في انفجار رهيب أطاحنا جميعا قبل وقت طويل.

اكتسبت هذه المعلومات عن المتفجرات خلال حرب الجزائر، وكنت أستعيدها وأستعين بها عند الحاجة.

وأدركت أن المسلح حاول منذ البدء زرع الخوف في قلوبنا مستخدما خطرا وهميا. ولكن عليّ الآن ألا أدعه يعرف أنني كشفت خدعته.

خيم صمت ثقيل على الغرفة قرابة ساعتين. وتوقف المطر في الخارج، وهبط الظلام باكرا بسبب كثافة الغيوم التي حجبت سماء المدينة.

كان الطقس حاراً والهواء خانقا، وأثار الجو الثقيل المكهرب أعصاب المسلح، لكنه لم ينل من أعصابنا نحن، لان الوقت كان حليفنا. كنت أتصرف وفق نهج اعتدته تماما، ولم يألفه هو. وجلّ ما استطاعه انه راح يراجع حساباته ويترقب. تفرست في وجهه جيداً بحثا عن تبدل ما، لكنه ظل محتفظا برباطة جأشه.

وكنت ارتأيت الا نعرض أنفسنا للخطر قبل حلول الظلام. وقد خيم هذا الآن. فجأة انطفأ النور. لقد انقطع التيار الكهربائي! فنهضت تلقائيا وسرت نحو النافذة، فأنار الغرفة وميض برق ولمحت اصبع المسلح تلتصق أكثر بزناد المسدس وانطبعت صورته في شبكية عيني. ثم أطبق الظلام ثانية فاغتنمت الفرصة لأفتح ستار النافذة.

وعاد التيار مجدداً بعد انقطاع قصير، فأستراحت اصبعه. وزعق بصوت أجش: "عد الى مكانك واحذر." فعدت الى كرسيّ من دون اعتراض.

لم ينهض ليسدل الستار ثانية، ربما خوفا من إظهار نفسه. لقد سجلت هدفاً آخر وبات عمل القناصة أسهل الآن.

ومض البرق ثانية فلمحت كابارو، وهو رامٍ بارع في فريقي، ينظر من تحت القضبان الحديد التي تسيج النافذة. ولم يكن في وسع المسلح رؤيته من زاويته. كانت الامور تسير وفقا لخطتي.

● نهاية مفاجئة ●

الثامنة مساء شعرنا بالجوع والعطش، فأرسلت في طلب شطائر ومرطبات آملا أن يفطن فريقي الى الصاق مسدس رقيق بأسفل الصينية مما يمكنني لاحقا من نزعه وإطلاق النار من مسافة قريبة.

أُرسلت الصينية، فتحسست أسفلها فلم أجد شيئا. فأكلنا وشربنا بصمت. وقرابة العاشرة ليلا ضاق المسلح ذرعا وزاد صوته حدة وفظاظة. لقد اقتربنا من نقطة اللارجوع.

فجأة انفجر قائلا: "ان رفاقكما يحاولون أن يهزأوا بي. أريد المال بسرعة، أريده الآن والا حولت المكان مقبرة." لقد أصبح اهتياجه عنيفا، وكانت مضت ١٢ ساعة على بدء المواجهة، وهي فترة طويلة جداً يصعب تحملها.

أردت أن أكسب مزيداً من الوقت، فاتصلت هاتفيا بشيمول ثم أبلغت الى المسلح أن الفدية في طريقها من باريس الى نيس على متن طائرة. ترك هذا الامر ارتياحا لديه فعاد يمازحنا، قال: "أراهنك بمئتي فرنك على أنني سأخرج من هنا والملايين الستة في حوزتي." فرفعت حاجبا وأجبته: "حسنا، لكن أرني المبلغ أولا."

تصورت أن تكون حافظة نقوده داخل الجيب الايسر لسترته وسيتعين عليه، لإخراجها، نقل مسدسه من يده اليمنى الى اليسرى مما يتيح لنا فرصة للانقضاض عليه وتجريده من سلاحه. ولكن، لسوء الحظ، كانت حافظته في جيبه الأيمن.

ناولني الحافظة المصنوعة من جلد اصطناعي بني، ففتحتها وتحققت من محتوياتها: لا تكاد تغطي قيمة الرهان. وهو جاهد ليتمالك نفسه، لكني أحسست بمدى اثارته. قال بابتهاج: "عندما يصل المال ستعده."

فأظهرت ممانعة: "آسف، لست خادماً لأحد. أريد مليون فرنك في المقابل."

– ماذا؟ تريد مليون فرنك لتعد المال؟

وبدأ يضحك كأنه سمع طرفة.كنت أغالي حقا. لكن ابتهاجه لم يدم طويلا، فبعد مضي ثلاث ساعات أصبح الجو خانقا واجتاحت رائحة الموت الغرفة كما تنتشر بقعة صباغ ببطء. صحيح أن شيئا لم يتبدل ظاهراً، لكنني كنت أستطيع تحسس "البقعة" كلما اتسعت دائرتها.

أدرك برنابو ذلك أيضا. وعلى رغم أنه لم يأتِ حركة فقد شعرت بأنه توتر فجأة. لكنه تمالك نفسه راصداً الوضع استعداداً للانقضاض.

صرَّ المسلح بأسنانه ودمدم: "قسماً بالله! أحضروا المال بسرعة والا حصلت مجزرة."

وأيقنت من كلامه أن الاحباط بلغ منه أشده وأن من الحكمة العزوف عن محاولات أخرى معه. كان علينا قتله، وليس ثمة مخرج آخر، فاما هو واما نحن.

في العاشرة والدقيقة العاشرة اتصلت بشيمول ثانية فكان جوابه الاشارة التي اتفقنا عليها: "الفدية جاهزة." وتسارعت الاحداث اعتباراً من تلك اللحظة.

نهضنا أنا وبرنابو لانتظار شيمول الآتي بالفدية. وافتتن المسلح بسحر الملايين الستة التي أصبحت على قيد أنملة منه، فوقف مأخوذاً وخرج من زاويته في اتجاه النافذة. فجأة سمع طلق ناري من الخارج. كان كابارو هو الذي اطلق النار. تسمر المسلح أمامي ومسدسه لا يزال مصوباً نحوي، لكنه لم يطلق النار.

في اللحظة ذاتها رمى غاليه مسدساً من خلال الباب المفتوح، فتلقفه برنابو وأطلق النار فأصاب المسلح في رأسه. ثم وثب رولاندو داخل الغرفة وأطلق النار من مسافة قريبة. ودخل غاليه وباتيستي ووقفا خلفي.

لقد انتهت النائبة.

كان المسلح يدعى غي باتريك تشاليان وله من العمر ٢٤ عاماً. عاش في مرسيليا في منطقة المرفأ القديم التي عرفتها جيداً في ما مضى. وعثر في جيوبه على مشطي ذخيرة. كان ممكناً أن أكون أنا وبرنابو مطروحين هناك عوضاً منه وقد مزق الرصاص جسدينا. وتبين لاحقاً أن الرصاصة التي أطلقها كابارو من الخارج اخترقت إطار النافذة. ولو انها مالت سنتيمترا واحداً الى اليمين أو الى اليسار لارتدت وأخطأت هدفها أو أصابت حائط الاسمنت، ولأطلق المسلح النار علي.

كان حدسي مصيبا في شأن النيتروغليسرين، اذ تبين في مختبر شرطة نيس أن السائل اللزج اللبني في الترموس كان شراب لوز.

نقل رجال الاسعاف الجثة الى المشرحة. واستكملت الاجراءات النهائية في اليوم التالي عندما حضر والد تشاليان للتعرف الى جثة ابنه.

شخصت العيون الينا منذ لحظة استدعائنا، وتتبع الرسميون تطور العملية وتحركوا بسرعة عندما انتهت. ففي الليلة ذاتها أرسل وزير الداخلية آنذاك ميشال بونياتوفسكي برقية تهنئة الى قيادة الشرطة بنجاح العملية ورسالة اطراء خاصة الي والى الرقيب برنابو، شاكراً كل عنصر في الشرطة الوطنية شارك في المهمة. وقدم يوم الاثنين التالي الى نيس ليقلدنا ميدالية للشجاعة والتفاني.

ان الرأي العام متعطش لقراءة أخبار الجرائم، لذا انتدبت الصحف الكبرى خيرة مراسليها لتغطية دقائق العملية. فاضطررت الى اجراء بعض المقابلات، لكني أحجمت عن أي تعليق شخصي. وتصدرت قضية تشاليان صحف اليوم التالي.

خالجتني مشاعر متضاربة وأنا أقرأ تلك الروايات. كنت أجدها دقيقة حيناً وبعيدة عن الواقع أحيانا. وأدركت كم تفقد الاحداث صدقيتها عندما تترجم عبارات مكتوبة. فقد أوردت الصحف رواية عادية مبتذلة لأحداث ساعات طوال من التوتر والترقب والخوف واراقة الدم.

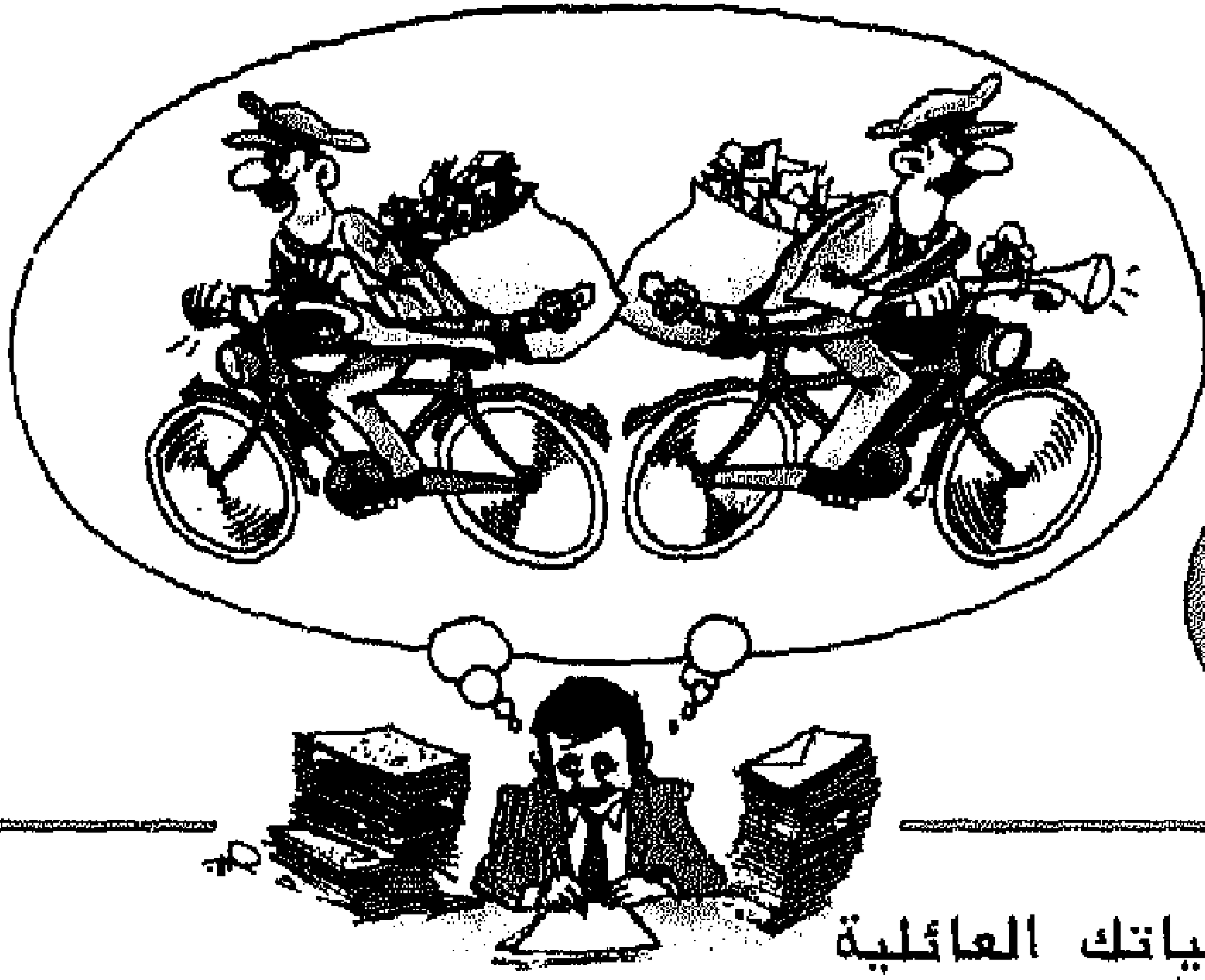
ماذا تبقى من كل ذلك الآن؟ بعض الحبر الجاف على صفحات الجرائد، واتضاع أمام الموت لم يبارحني، وسعادة لأن الميدالية لم تعلّق على نعشي.

جورج نغوين فان لوك

بالاشتراك مع جان - ماكس تيزييه ■

ترجمة مايا باسيل

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



CHARLES COWLES GALLERY, NEW YORK CITY.

"الارجوحة" - زيتية للفنان الامريكي دنكان حنا، ١٩٨٧.

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٢ - جمادى الثانية ١٤١٣

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest December '92 N° 169

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

أمراض جنسية تشغل البال
(ص ٤٣)

النازيّون الجدد
(ص ١٥)

(ص ٩)

العسر شواذ؟
(ص ٣٨)

كيف يتفوق الناس العاديون
(ص ٩١)



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد.
امانة التحرير: لورا نفاع، عائدة الموسوي.
الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس.
الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
التحرير والادارة: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.
الهاتف: ٣٤١٥٩٧ / ٣٧٠٥٧٥(١).
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤(٠١). التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣. فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان.
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، البوشرية – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE.
Tel. (1) 341597 / 370575.
Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O. Box 11-688, Beirut, Lebanon. Telex 43283 PRESSE LE.
Fax (1) 864572. Tel. (1) 216058/327484.



Circulation Audited by G. Bargoud C.P.A.

لبنان	٢٥٠٠ ليرة.
سورية	٧٥ ليرة.
الاردن	١ دينار.
الكويت	١ دينار.
الإمارات العربية المتحدة	١٠ دراهم.
قطر	١٠ ريالات.
البحرين	١ دينار.
السعودية	١٢ ريالاً.
مصر	٢ جنيه.
السودان	١ جنيه.
ليبيا	٥٠٠ درهم.
الجمهورية اليمنية	٣٠ ريالاً.
مسقط	١ ريال.
قبرص	١,٥ جنيه.
تونس	١ دينار.
المغرب	١٠ دراهم.
الجزائر	٧ دنانير.
انكلترا	١,٥ جنيه.
اليونان	٤٠٠ دراخما
كندا واميركا الشمالية	٢,٥ دولار

ريدرز دايجست

حديقة أفكار

- يبدأ تاريخ كل بلد في قلب رجل او امرأة.

ويلا كاثر، روائية امريكية

- من لم يلقَ خصومة لا يدرك حقيقة قوّته.

بن جونسون، شاعر وكاتب مسرحي بريطاني

- الحبّ أعظم مستحضر تجميل.

لويزا ماي الكوت، كاتبة وشخصية تلفزيونية

- إن لم تطرق الفرصة حياتك، ابنِ لها باباً.

ملتون برل، كوميدي أمريكي

- اللامبالاة كفّ يولج فيها الشيطان يده.

ب.ث.

- المال يتكلم، لكن للدَّيْن صدى.

بوب ثيفز

- الصمت كذبة خلال الاحداث المهمة.

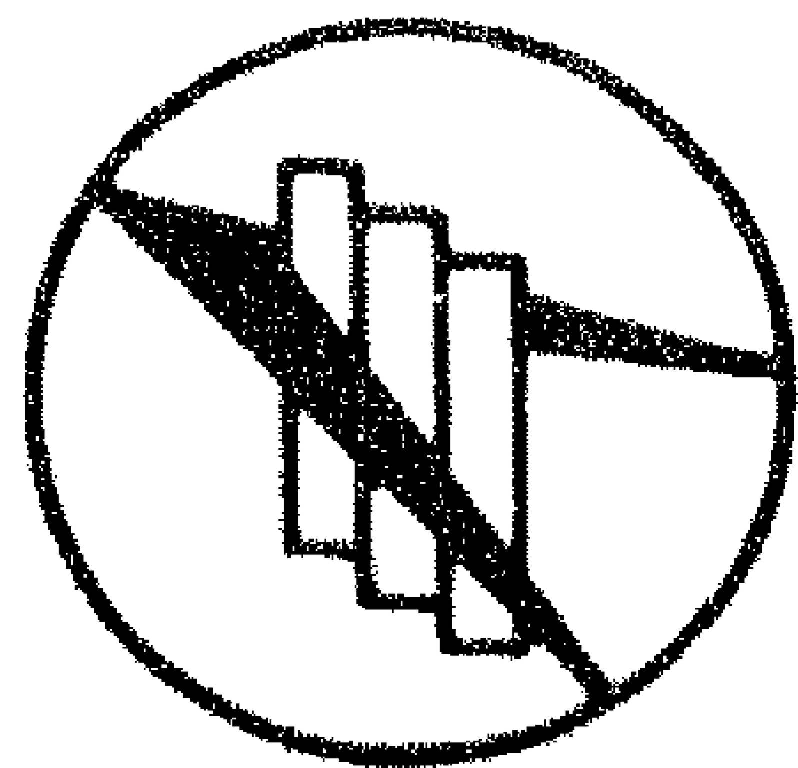
أ.م. روزنثال، صحافي امريكي

- الاحلام والتفاني تركيبة عظيمة.

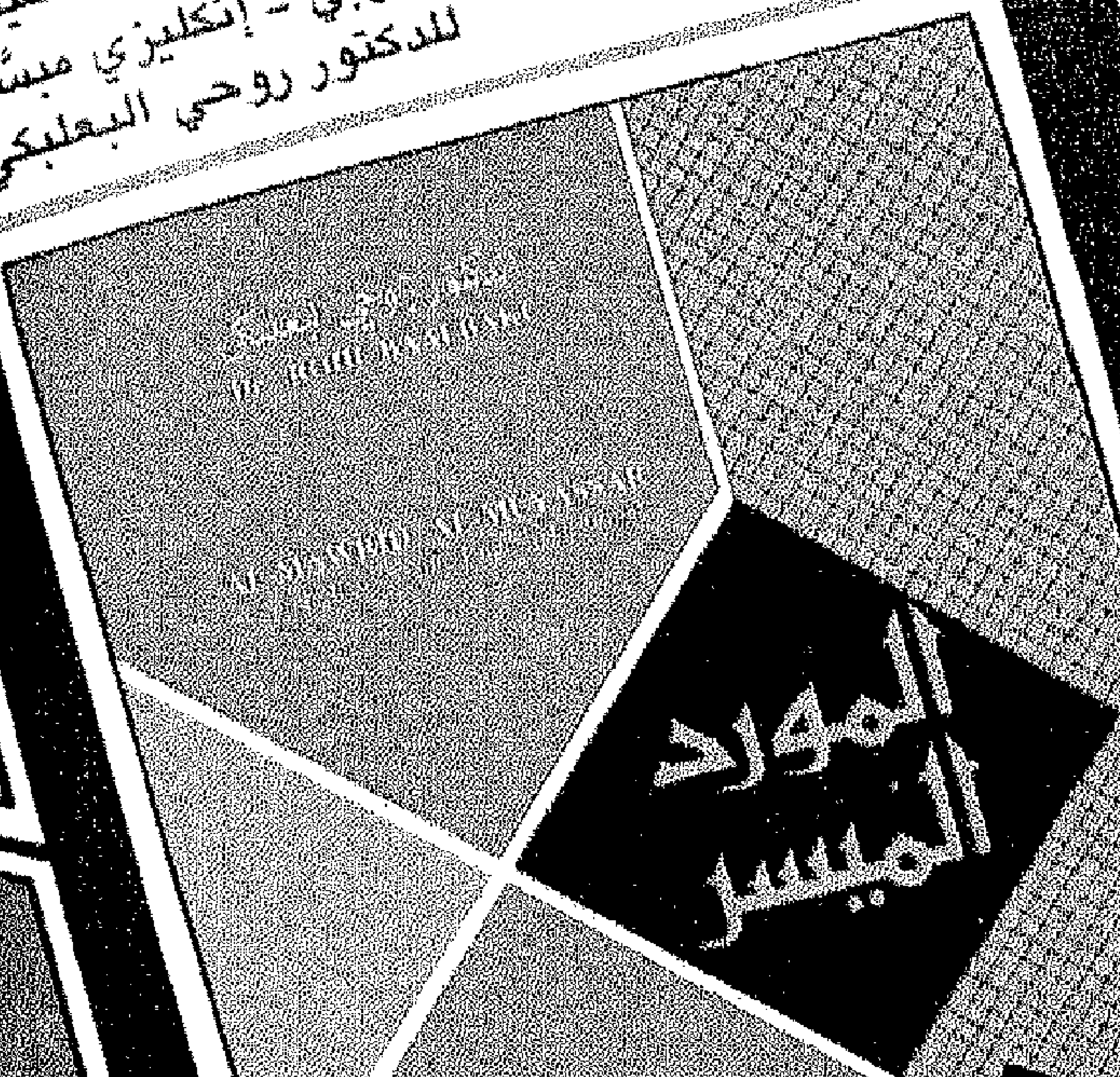
و.ل.

- الوحدة مزار جميل لكنها مقام فقير.

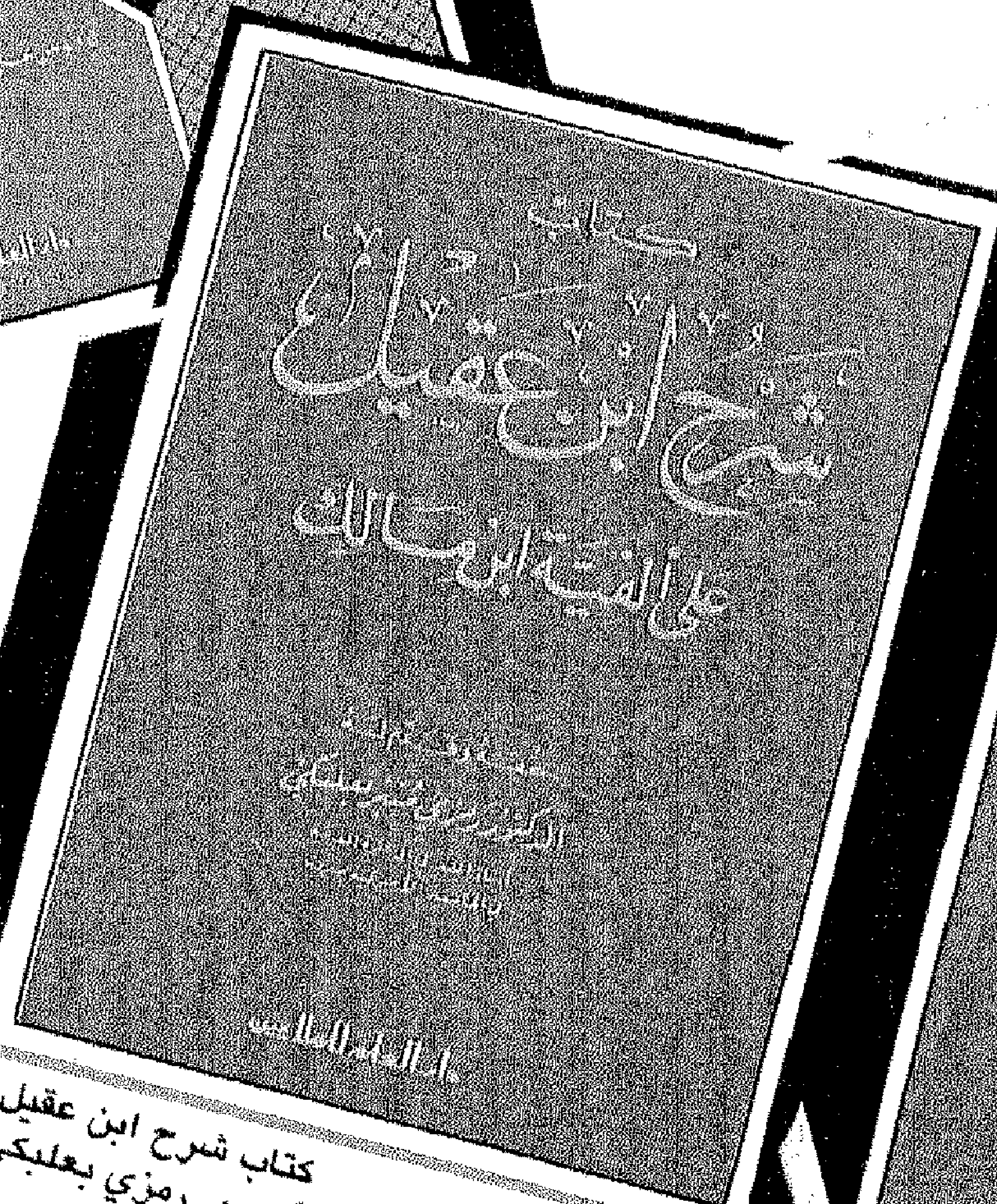
جوش بيلنغز، روائي بريطاني



المورد الميسّر
قاموس عربي - إنكليزي مبسّط
للدكتور روحي البعلبكي







كتاب شرح ابن عقيل
حققه: د. رمزي بعلبكي

اريج الذكريات

شذا يفوح فيبعث ذكريات ماض سعيد

لطالما ركبنا دراجاتنا في عتمة ليالي اغسطس (آب) من دون انوار ونحن بعد مراهقون. وعلى الدرب الريفية الطويلة الضيقة لم نكن نخشى الاصطدام بسيارات او بمشاة بل بجذوع اشجار الصنوبر. غير أن ما كان في البدء حماقة محفوفة بالمخاطر اصبح بعد اسابيع مجازفة شائقة سهلة. وتعلّمنا اجتياز درب القطران والتراب عائدين الى منازلنا سالمين.

في الامسيات الصافية تسهل الاستعانة بالنجوم لاستكشاف الدرب، إلا ان التعويل على الأنف كان أسهل كثيرا. فإن أخذت نفسا عميقا، استطعت معرفة موقع أشجار التنوب من شذا إبرها والقار الناضح من جذوعها. ومع هبوب اريج

الخنشار (السرخس) المسحون الممزوج برائحة القش والعشب المجزوز، يمكنك تحسّس أطراف الحقول.

كان طبيعياً أن نعمى عن رؤية الممرات الخاصة، لكن المنازل كانت بارزة بوضوح. ففي هذه المنطقة وسط الغابات الشمالية، يتصاعد الدخان من كل مصطلى حتى في أغسطس (آب).

انه عالم عابق بالشذا الغني والمتنوع كما المناظر والأصوات. ولكن عندما تعبّ الهواء عبّاً فلن تنعم بوقت كافٍ لتذوقه. فالحياة السريعة تعني الافتقار الدائم الى الوقت والنفَس. انها تشبه الاستماع الى الموسيقى من خلال سدّادتي أذن والتطلع الى روائع الفنون من خلال نظارات سوداء.

قف هنيهة وابقِ أنفك مرفوعاً، فالريح المتمايلة تأتيك بروائح المستنقعات المالحة ودخان المداقيء والمزارع والغابات والبحر، فضلا عن عبير أوراق الصنوبر والنعناع والعنب والتوت والسفرجل اليانع. وتأتيك الريح أيضاً بروائح لا مفرّ منها، كرائحة الظربان*، فيما تروح تبحث بنفسك عن روائح أخرى كالرائحة الجلدية التي يخلّفها القندس فوق أكوام الطين التي يكدسها لرسم حدود منطقته. وإن شممت يدك حيث لسعتك النحلة فستتنشق رائحة زيت الموز.

كل رائحة تبدو جديدة للوهلة الأولى، لكنها سرعان ما تعيد إلينا ذكرى سالفة، لأن الرائحة هي في الواقع محرّر قوي للذاكرة. وغالباً ما يكفي أريج واحد أو نسمة خفيفة لاعادة المرء الى مرحلة كاملة من ماضيه. ويكفيني أنا أن أسحق بعض إبر الصنوبر وأتنشّق شذاها الشمالي حتى أعود مراهقاً يتملكني شعور عارم بالثقة أضحك في الظلام وأتمايل سعيداً عائداً الى بيتي.

روجر ب. سوين ■

(*) الظربان الامريكي «skunk» حيوان ثديي صغير نتن الرائحة.

مدير ديموقراطي

قال المدير لموظفيه: "لنصوّت بطريقة ديموقراطية، من يوافق على اقتراحي، فليرفع يده. ومن لا يوافق عليه، فليقدّم استقالته."

ل.ك.ر.

فيزيائي

قال الفتى بعد درس الفيزياء الأول: "عرفتُ الآن لماذا ايام الصيف اطول، فالحرارة تمدّد الاشياء والبرودة تقلّصها."

ل.ب.

فاجعلوا من تحبون
بهدية لا تنسى

تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار) كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد وذكرى الزواج وعيد الحب...

فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟

فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٩٢/١/١ و١٩٩٢/١٢/٣١ فما عليكم الا ملء القسيمة بخط واضح باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العناوين الآتية:

لا تنسوا أن ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165 Beirut-Lebanon
(Telex 43321 ALBANK)

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب ٧١٦٥-١١٣ بيروت - لبنان

AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex International Courier
P.O.Box 3841,
Deira-United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar, B.P. 819
94549 Orly Aerogare-France

اسم المهدى اليه ______

______

عنوانه ______

______

المناسبة وتاريخها ______

توقيع المهدي ______

مع اخلص تمنياتنا

Reader's Digest
المختار

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٢
جمادى الثانية ١٤١٣

السنة الخامسة عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

هل صحيح أن الفيتامينات تحمينا من السرطان والامراض القلبية ووهن الشيخوخة؟

الأعمال مزدهرة في متجر السيدة غوش للأطعمة الطبيعية في غرب لوس أنجلس حيث يتردّد أنصار الفيتامينات فيقلّبون بطاقات التعريف ويقارنون بين الجرعات ويتبادلون العظات الصحية وأسرار التغذية الصحيحة. ومن أولئك الزبائن المخلصين امرأة في خريف العمر تعاني أعراض تعب مزمن وتعترف بأنها تتناول "الكثير من الفيتامينين ج (C) و هـ (E) إضافة الى الكالسيوم وجرعة يومية مركبة من الفيتامينات الاخرى والعناصر المعدنية." وتضيف: "إني أبحث عن أيّ شيء يشعرني بتحسّن."

ولكن في مقابل كل "نصير" حقيقي هناك مُشكّك يصرّ على أن تناول فيتامينات إضافية لا ينفع. ويقول الدكتور فكتور هربرت: "إنّنا، باستثناء بعض



الحالات كالحمل وفترة الطفولة، نتلقى كل ما نحتاج اليه من الفيتامينات عبر غذائنا. وما نتناوله من فيتامينات إضافية يخرج من جسمنا في بول غالي الثمن."

تحار الاكثرية الساحقة من الناس في مَنْ تصدق. لكن الابحاث الجديدة تدفع مزيداً من العلماء الى الاعتقاد أنّ الآراء الطبية التقليدية محدودة جداً وأن للفيتامينات والمعادن دوراً أهمّ في تثبيت دعائم الصحة.

وقد تمكن العلماء الى الآن من تحديد ١٣ فيتاميناً تؤدي أدواراً أساسية في تنظيم التفاعلات الكيميائية التي تتولى حماية الخلايا وتحويل الطعام طاقة وأنسجة حية. بعض هذه الفيتامينات يُنتج داخل الجسم، كالفيتامين د (D) الذي يتكوّن في الجلد لدى التعرض لأشعة الشمس والفيتامين ك (K) والبيوتين[١] وحمض البنتوثنيك[٢] التي تصنعها جراثيم (بكتيريا) مقيمة داخل الامعاء.

أما مُعظم الفيتامينات فيدخل الجسم مع الطعام.

شعوذات؟ أحاطت بهذه المركّبات هالة من الغموض. فمنذ ٢٠ سنة والناس يزدردون الفيتامين ج لاعتقادهم الجازم بقدرته على شفاء الزكام على رغم انتفاء الدليل الى ذلك. كما شاع اعتقاد طوال أربعة عقود أنّ للفيتامين هـ قدرة على تقوية الأداء الجنسي. (والواقع أن الدراسات تشير إلى أنّه ضروري فقط للخصْب الطبيعي لدى الحيوانات المخبرية.) وفي عهد أقرب، شهد الفيتامين ب – ٦ (B-6) إقبالا باعتبار أنه يريح من التوتّر السابق للحيض. ويُوصَف الفيتامين أ (A) بأنه مجدد للشباب وبأنه، مثل نظيره الاصطناعيّ الراتين أ[٣]، قد يخفف من التجاعيد.

إنَّ مثل هذه الشعوذات هو في الواقع ما أدى الى ركود حركة أبحاث الفيتامينات لسنوات طويلة. ولكن منذ السبعينات شرعت الفحوص في كشف الصلة الوثيقة بين الغذاء والصحة. وفي أواخر الثمانينات بدأ احترام الأبحاث التي تتناول قدرة الفيتامينات على الحماية من الامراض.

ومع أن الدليل ما زال مبدئيا، فهناك بضعة مغذيات أثارت اهتمام العلماء، ومنها الحمض الورقي[٤] (الفولي) الذي استُخلص في بداية الأمر من السبانخ. ويظهر أن الفيتامين ب هذا يؤمن الحماية من خللين عصبيّين مدّمرين. يصيبان المواليد الجدد هما الشرم الفقريّ[٥] وهو انغلاق ناقص في العمود الفقري، والضمور الرأسي[٦] وهو نقص في اكتمال نموّ الدماغ. وقد اكتشف الباحثون البريطانيون أن النساء اللواتي ولدن أطفالا يشكون من أحد هذين الخللين، اذا أعطين جرعات من الحمض الورقي في

(١) Biotin
(٢) Pantothenic acid
(٣) Retin — A
(٤) Folic acid
(٥) Spina bifida
(٦) Anencephaly

أثناء حمل لاحق، فإنّ نسبة ولادتهن أطفالا مصابين تنخفض على نحو ملحوظ.

أعمار أطول! ربط اكتشاف آخر بين الحمض الورقي والوقاية من سرطان عنق الرحم. فبحسب دراسة أجريت في كلية الطب بجامعة ألاباما في برمنغهام، تبين أن النساء المعرضات للاصابة بفيروس يسبب هذا السرطان يزداد احتمال اصابتهن بآفات قد تصبح سرطانية، بنسبة خمسة أضعاف، اذا كانت مستويات الحمض الورقي في الدم منخفضة. وقد يساعد هذا الاكتشاف في تبيان السبب الذي يجعل سرطان عنق الرحم أكثر شيوعاً بين النساء الفقيرات اللواتي يتناولن عادة كميات قليلة من الخضر والفاكهة التي تعتبر مصدراً رئيسياً للحمض الورقي.

ويقول الدكتور س. بتروورث جونيور رئيس فريق الباحثين: "يبدو أن من الممكن منع كثير من حالات النمو غير الطبيعي في عنق الرحم[٧] (وهي حالات قد تتحول سرطانا) بتناول غذاء صحي."

أما الفيتامين ك الذي عُرف عنه طويلا أنه يقوي تخثّر الدم فيبدو أنه يساعد العظام على الاحتفاظ بالكالسيوم. ويُعتبر الضمور السريع للعظام بين النساء اللواتي تجاوزن سن اليأس[٨] آفة رئيسية تؤدي الى الاصابة بداء ترقّق العظام[٩] (تخلخلها). وقد توصّلت أبحاث أجريت في هولندا حديثا وشملت ١٥٠٠ امرأة، الى أن في الامكان الحدّ من نقص الكالسيوم بنسبة ٣٠ في المئة بتناول جرعاتٍ يومية من الفيتامين ك.

وليس ثمة ما يبعث على الاثارة أكثر من مجموعة الفيتامينات المقاومة للتأكسد[١٠] وهي ج وهـ و"بيتا كاروتين"[١١] المصدر النباتي للفيتامين أ، إذ يبدو أن لهذه المغذيات قدرة على تبديد "الشظايا" الجزيئية السامة المعروفة بالجذور الخالية من الأوكسيجين[١٢] وهي نتاج جانبي للأيض[١٣] الخَلَويّ الطبيعي. وتتكون هذه "الخوارج" الخلوية في الجسم أيضاً نتيجة التعرض لأشعة الشمس والأشعة السينيّة (إكس) والأوزون ودخان التبغ وأبخرة السيّارات وغير ذلك من المُلوِّثات البيئية.

وتُحدث الخوارج الخالية من الاوكسيجين دماراً فوضويا ينجم عن إتلاف الحمض النوويّ الريبي المنقوص الاوكسيجين[١٤] وتغيير المركّبات البيوكيميائية وإفساد الأغشية الخلويّة وقتل الخلايا للحال. ويؤدي هذا التشويه المستديم دوراً أساسياً في تطوّر السرطان وأمراض القلب والرئة واعتام عدسة العين[١٥] (السُّدّ). ويعتقد كثير من

(٧) Cervical dysplasia

(٨) Menopause . وهي فترة انقطاع الطمث.

(٩) Osteoporosis

(١٠) Antioxidants

(١١) Beta carotene

(١٢) Oxygen — free radicals

(١٣) Metabolism

(١٤) Deoxyribonucleic acid «DNA» . وهو حامل الخصائص الوراثية.

(١٥) Cataracts

الباحثين أن المفاعيل المتراكمة لهذه الخوارج الطليقة تشكل أيضاً الأساس لتلف الشيخوخة التدريجي.

ويتوقع البيوكيميائي وليم بريور أن يُصار بعد حين الى الكشف على الناس بواسطة فحوص بسيطة للبول أو الدم أو النَفَس لتقدير مدى ما أصاب الانسجة من ضرر بسبب الخوارج الطليقة، ومعالجتهم بواسطة مقاومات التأكسد. وفي نهاية المطاف، يضيف البيوكيميائي بروس ايمس: "سيعيش الناس أعماراً أطول كثيراً."

تعزيز المناعة. قد ينزع الناس في ذلك العالم الجديد المقدام الى تناول الفيتامين هـ والفيتامين ج (الذي يتركز في العين) لردع السُدّ. وقد بينت إحدى الدراسات أن المرضى الذين يتناولون كلا هذين الفيتامينين يخففون من خطر الاصابة بالسُدّ بنسبة تجاوز الخمسين في المئة.

وقد يكون الفيتامين هـ عاملا مساعداً في منع الخوارج الطليقة من إيذاء القلب. إذ استنتجت دراسة أجريت على ٨٧ ألف امرأة في مؤسسة الدراسات الصحية للممرضات في بريغام ومستشفى النساء في بوسطن، أن النساء اللواتي يتناولن الفيتامين هـ بكثرة هنّ أقل عرضة للنوبات القلبية من النساء اللواتي يقلّ تناولهن لهذا الفيتامين ٣٦ في المئة عن المعدل الموصى به وهو ٣٠ مليغراماً يومياً.

الى ذلك، يبدو أن للفيتامين هـ قدرة على تعزيز المناعة لدى الأصحّاء من المتقدمين في السن، الأمر الذي يعزز فكرة أن جرعات الفيتامين قد تساعد في مقاومة الأمراض المهددة للحياة. ومن الجائز أيضاً أن يكون الفيتامين هـ مفيداً في رفع الأذى الناجم عن تنشق دخان السجائر وأبخرة السيّارات وغيرها من الملوثات. يقول دانيال منزل الخبير في الطب البيئي: "أطعمنا حيوانات مخبرية مقادير من الفيتامين هـ، فاكتشفنا أن اصاباتها بالآفات الرئوية قلّت وأن عمرها طال على رغم تعريضها لهواء ملوث." ويرتئي منزل أن الاكثار من إطعام الاطفال مواد مضادة للتأكسد قد يقيهم الأمراض الرئوية عندما يكبرون.

أما بالنسبة الى المصابين بداء باركنسون[16] فيحمل اليهم الفيتامين هـ وعداً خاصاً. فلقد خلصت دراسات أولية صغيرة الى أن تناول الفيتامين هـ، أو الفيتامينين هـ وج معاً، قد يؤخّر ظهور الرجفان والتصلب وفقدان التوازن، فيؤجل الحاجة الى العلاج بالحمض الاميني "ليفودوبا."[17] (يأمل الباحثون أن توفر الأبحاث الموسعة الجارية حاليّاً دليلاً أكثر حسماً.) ويبدو أن الفيتامين هـ نجح في بعض الحالات في تخفيف ارتعاش اليدين وغير ذلك من التأثيرات الجانبية التي تُسبّبها العقاقير المضادّة للذُهان (الاضطراب العقلي).

(١٦) Parkinson's disease

(١٧) Levodopa

خضر وفاكهة. ما يلفت النظر فعلا هو البيتا كاروتين، وهو مركب معقد ذو لون برتقالي داكن يتوافر طبيعياً في البطاطا الحلوة والجزر والبطيخ الأصفر ويحوّله الجسم الى الفيتامين أ بحسب حاجته. لذلك يتعذر الافراط في تناول البيتا كاروتين، وإن يكن الافراط في تناول الفيتامين أ قد يؤدي الى تلف في الكبد والى مفاعيل أخرى.

وقد توصّل الاطباء في كلية هارفرد الطبية في بوسطن وفي مستشفى النساء في بريغام الى اكتشاف مثير بالنسبة الى البيتا كاروتين، إذ تبين لهم، نتيجة متابعتهم أحوال ٢٢ ألف طبيب كجزء من دراسة صحيّة مدّتها عشر سنين، أنه من بين ٣٣٣ شخصاً يعانون أمراض القلب كان الذين أعطوا جرعات مِن البيتا كاروتين بمعدّل ٥٠ مليغراماً كل يومين أقلّ تعرُّضاً بنسبة النصف للنوبات القلبية والسكتات والوفيات الناجمة عن الأوعية القلبية، ممَّن كانوا يتناولون الأدوية المهدّئة. كما توصلوا الى اكتشاف آخر، أنّ مَنْ تناولوا الأسبيرين مع حبوب البيتا كاروتين لم يتعرضوا لنوبات قلبية. ويعتقد العلماء أن مقاومات التأكسد تساعد في منع الجذور الخَالية من الأوكسيجين من تحويل الدهون المتدنية الكثافة،[١٨] وهي نوع ضارّ من الكولسترول، الى نوع أسوأ يسبب انسداد الشرايين. وقد بدأ الباحثون اختباراً على ٤٠ ألف ممرضة ممن تجاوزن سن اليأس ليروا إن كانت هذه المفاعيل تنطبق على النسّاء أيضاً.

ولكن، كم يحتاج المرء من هذه المغذيات؟ وما الطريقة الفضلى للحصول عليها، الغذاء أم الجرعات المكمّلة؟

يتفق خبراء التغذية والأطباء على أن المرء يستطيع الحصول على حاجته الأساسية من هذه المغذيات بتناول طعام غنيّ بالخضر والفاكهة. لكن المشكلة هي أن معظم الناس لا يتوصلون الى المستويات الموصى بها وهي: بين ثلاث وخمس حصص من الخضر يومياً، وبين حصتين وأربع حصص من الفاكهة، وبين ٦ حصص و١١ حصة من الخبز والرز والمعجنات والحبوب، وحصتان أو ثلاث حصص من الحليب واللبن والجبن، وحصتان أو ثلاث حصص من اللحم والبيض والدجاج والسمك والجوز والفاصولياء أو البازيلاء المجففة.

أما اذا كان الغذاء لا يحوي فاكهة وخضراً بانتظام وعلى مدى طويل، فيصبح تناول جرعات الفيتامين تأميناً لا بأس فيه، على رغم أن تحسين نوعية الغذاء هو الخيار الصحي الأفضل. وتعتبر جرعات الفيتامين نافعة أيضاً للاشخاص ذوي الحالات الخاصة كمدمني الكحول والمنزوين في منازلهم والخاضعين لنظم غذائية صارمة والمتقدمين في السنّ. وقد أظهرت دراسة أجريت في مركز الأبحاث الغذائية الخاصة بالشيخوخة في جامعة تفتس الأمريكية أن مَنْ تجاوزوا الستين قد

(١٨) Low — density lipids «LDL»

يحتاجون الى الفيتامين ب – ٦ أكثر من الشباب بنسبة الثلث من أجل الحفاظ على مستوى غذائي جيد. ويبدو كذلك أن استهلاك الفيتامين د يجب أن يُزاد تباعاً مع التقدّم في السنّ.

إفادة أم خطر؟ تنقسم الآراء حول تناول جرعات كبيرة من الفيتامينات للوقاية من الامراض المزمنة وتأخير الشيخوخة، إذ يرى بعض الخبراء أنّ هناك أدلّة كافية تبرّر وجوب تناول كميات مرتفعة قليلا من مُقاومات التأكسد. ويعتقد آخرون أن من المبكر اصدار توصيات للناس، إذ إن المفاعيل البعيدة المدى للجرعات الكبيرة ما زالت غير معروفة، والاطباء يحذرون من أخطار تناولها وإن لمدة قصيرة. ويقول الدكتور والتر ويليت رئيس دائرة التغذية في كلية الصحة العامة بجامعة هارفرد: "لا أنصح في هذه المرحلة بتناول جرعات كبيرة، لكني لا أستبعد أن نغير رأينا بعد سنتين."

قد تكون الاستراتيجية الأكثر حكمة في هذه الآونة تناول مزيد من القنبيط والجزر والسبانخ والقرع، واتّباع النصيحة التقليدية التي تحض على الحركة والاقلال من الدهن والاقلاع عن التدخين. إذ مهما بلغت المنفعة المرجوة من مضادات التأكسد وغيرها من المغذيات، فلن تكون أبدأ بديلا من العادات الصحية.

ولكن تابعوا نتائج الأبحاث، فالفيتامينات تَعِد بكشف إحدى أروع قصص الصحة في عصرنا.

أناستازيا توفكسيس ■



الصين والشعر المستعار

قد يصاب التطوّر السياسي بالركود في بكين عاصمة الصين، لكن الموضة تتقدم فيها بسرعة. وموضة الشعر المستعار هي التي تجتاحها حالياً. وتتزاحم مخازن الشعر المستعار في ارضاء الاذواق المختلفة للزبائن الذين يبحثون فيها عما يناسب ما يرتدونه من الجلد او الفرو.

وامتلأت الشوارع بمخازن الجلديات والفرو، ولا يتردد المشترون وغالبيتهم من الشباب في انفاق ما معدّله ثلاثة اضعاف الدخل الشهري للفرد في شراء الأثواب المناسبة. واذا شاء احدهم ان يناغم تصرفه مع اناقته "العصرية" فما عليه الا ان ينتسب الى احدى مدارس السلوك (الاتيكيت) في بكين حيث يتعلّم الرقص على طريقة الغرب الامريكي او يُلقَّن المشي واضعاً كتاباً فوق راسه.

وبعد اتقان الاهتمام بالشعر والثياب، كان على الصينيين الاهتمام بالوجه. ويقدم الكثير من صالونات التجميل خدمات متنوعة كعمليّات التجميل العاديّة وتغيير شكل الجفون او وشم العينين كي تبدوا كعيني كليوباترا، وعمليّات كهذه قد تترك النساء متورّمات العيون لعدّة ايّام.

ك س.

النازيون الجدد

تزداد حوادث العنف ضد الاجانب في ألمانيا، ينفذها فتيان حليقو الرؤوس يصيحون: "سيغ هيل!"



□ ذات ليلة من العام ١٩٩١ هاجم ستة شبان حليقو الرؤوس حافلة تراموای في مدينة درسدن وأنزلوا منها شابا في الثامنة والعشرين من عمره يدعى جورجي جواو غوموندای، وهو من الموزامبيق. ضربوه بوحشية ثم رموه خارج الحافلة وهي سائرة. وتوفي الشاب الافريقي متأثرا بجروح كثيرة في رأسه. وفي أثناء جنازته وصل الى المكان ثمانون شابا من النازيين الجدد[١] وراحوا يصيحون: "سيغ هيل!"[٢] و"عودوا إلى دياركم أيها الغرباء." وصادرت منهم الشرطة سكاكين وعصيا خشبية وبنادق لاطلاق قذائف الغاز المسيل للدموع.

(١) Neo-Nazis

(٢) «Sieg Heil» أي "النصر!"

□ في التاسع عشر من ابريل (نيسان) ١٩٩١ أحيا فريق من الموسيقيين الشباب[٣] حفلة صاخبة في بلدة هويرسفردا في مقاطعة ساكس. وبعد انتهاء الحفلة استدرجت جماعة مسلحة من النازيين الجدد عازفي الفرقة إلى مكمن حيث انهالت عليهم ضرباً بالهراوات ثم أطلقت عليهم قذائف مسيلة للدموع.

□ في أوائل الشهر ذاته سمحت السلطات الألمانية بدخول السياح البولونيين من دون تأشيرة. وأثار هذا التدبير شباناً متطرفين في مدينة فرنكفورت فهاجموا السيّاح البولونيين وأمطروهم بوابل من شتائم الكراهية وقذفوهم بالحجار. وفي بلدة غورليتز الحدودية هاجم خمسة عشر فتى قصّوا شعورهم قصات قصيرة، زوجين بولونيين في سيارتهما وألحقوا بهما أذى شديداً استدعى إدخالهما المستشفى.

شعارات مغرية. في الولايات الاتحادية الخمس الجديدة في ألمانيا تتفاقم أعمال العنف التي ينفذها النازيّون الجدد ضد الأجانب. وينضم إلى الجماعات والأحزاب اليمينية المتطرفة عدد كبير من المواطنين. يقول برند فاغنر رئيس "دائرة الحماية" في "إتحاد مكاتب التحقيق" السابق في برلين: "إننا نقدّر عدد المسلّحين المتطرفين هنا بنحو خمسة عشر ألفاً." وتعرف الشرطة أسماء ألفين منهم. ففي مديرية درسدن وحدها قُدم نحو ١٥٠ دعوى قضائية.

وفي حين يلاحظ انخفاض في عضوية المنظمات اليمينية المتطرفة التسع والستين في ألمانيا الغربية حيث تراجعت بنسبة ١٠ في المئة عما كانت عام ١٩٨٩، فان عدد الاعضاء يزداد باطراد في الولايات الشرقية. وبات هذا الخطر الكامن الذي أُغفل خلال أشهر التوحيد الصعبة يرعب السياسيين كثيراً. ففي شهر أغسطس (آب) ١٩٩١ عرض وزير الداخلية فلفغانغ شوبل أحدث النتائج التي تضمنها تقرير "المكتب الاتحادي لحماية الدستور." فأعرب عن قلق عميق لازدياد أعمال العنف المتطرفة في الولايات الجديدة.

وتلقى شعارات النازية الجديدة استحساناً لدى الشباب خصوصاً. ويقدّر عالِم الاجتماع المختصّ بالقانون والجريمة فلفغانغ بروك أن ثمة خمسين ألف شاب في ألمانيا الشرقية قابلين للتأثر السريع بالمعتقدات القومية الجديدة. وقد ساهم ارتفاع أسعار السلع والايجارات ونسبة البطالة في تفاقم الوضع الاجتماعي خلال الأشهر القليلة المنصرمة. ويحذر ينس رايش، وهو عضو في حزب "بوندنيس ٩٠" وداعية الى الدفاع عن الحقوق المدنية، من أن "الشعور السائد في ألمانيا اليوم شبيه بذاك الذي كان سائداً خلال الأزمة الاقتصادية عام ١٩٢٩." آنذاك لاقى حزب هتلر "العمّالي الوطني الاشتراكي"

(٣) The Golden Lemons

وقوات "العاصفة" النازية شعبية كبيرة.

ويقع عدد كبير من الشبان الألمان الشرقيين تحت رحمة مجنِّدين حاذقين يقنعونهم بالتطوع في صفوف المتطرفين. فقد نجح لوتز كرونزبرغر، وهو أمين سر في احدى الشركات التابعة للدولة وعضو سابق في منظمة "الشباب الالماني الحر"، في جمع مئتي شاب في غوربيتز وهو مجمع سكني مهجور في ضواحي درسدن. ويعقد هؤلاء "الرفقاء" اجتماعات مسائية أسبوعية في نادي "إسبي" يتلقنون خلالها مبادىء يمينية متطرفة ويتدربون على السير في الغابات وعلى تمارين عسكرية.

كذلك نجد في بلدات إبرسفالد وآرنشتاد وغوبن مجموعات نازية جديدة مستقلة ولكل منها عشرات الأتباع. ويرتدي أعضاء هذه المجموعات بزات قتال وأحذية عسكرية، ويبتاعون الأسلحة من جنود "الجيش الأحمر" الذين ما زال نحو ٢٧٠ ألفاً منهم مرابطين في جمهورية ألمانيا الديموقراطية السابقة. يقول فاغنر: "هذا مصدر قلق كبير لنا، إذ إن المسلحين هنا سريعون الى شن الاعتداءات أكثر من مسلحي الغرب." كما أن أعمال العنف التي يرتكبها هؤلاء هي أكثر وحشية مما ينفذه رفقاؤهم في القطاع الغربي.

تهديدات واعتداءات. في شهر مايو (أيار) ١٩٩١ اقتحم نحو ثلاثين شاباً من النازيين الجدد الحليقي الرؤوس مركزاً سكنياً لرعايا ناميبيّين في فيتنبرج في مقاطعة براندنبورغ، ورموا شابين من نافذة، فأصيبا بجروح خطرة. وتقول ماريتا شيفرديكر – أدولف الممثلة الرسمية للجاليات الاجنبية في مدينة درسدن: "يتعرض العمال الأجانب واللاجئون السياسيون يومياً للاهانة والتهديد والاعتداء." ويطاول هذا الشعور بالكراهية جنوداً في الجيش "السوفييتي." وقد ورد في تقرير صادر عن "المكتب الاتحادي لحماية الدستور" أن مسؤولية كثير من أعمال العنف ضد الجنود وانتهاك حرمات المدافن تقع على هؤلاء المتطرفين.

بيد أن عدداً قليلا نسبيا من الأجانب يعيش في الولايات الالمانية الجديدة، اذ ليس هناك سوى ١٢٠ ألفا، باستثناء الجنود السوفييت، في حين يزيد عدد الأجانب على خمسة ملايين في الولايات الغربية. ويقول البحّاثة في شؤون التطرّف نوربرت مادلوك: "من أسباب نشوء هذه العدوانية تجاه الأجانب أن شعب جمهورية ألمانيا الديموقراطية السابقة كان في معظمه منعزلاً عن الشعوب الأخرى وثقافاتها وطرق حياتها."

أما الشرطة، التي ما زالت غير منظمة في ألمانيا الشرقية، فتقف عاجزة عن مواجهة أعمال العنف والشغب. وأحياناً كثيرة تطلب الدعم من الولايات الغربية.

لكن النازية الجديدة ليست حديثة العهد في ألمانيا الشرقية. فقد أثبتت



[illegible] محتفلين
بالنازية والقومية الالمانية. وقد تزامنت الاحتفالات واعتداءاتٍ على المهاجرين الأجانب والمتطرفين اليمينيين في أرجاء البلاد.

تحقيقات سرية أجراها "معهد ليبزيغ المركزي لأبحاث الشبيبة" أن اثنين في المئة من الشبان كانوا أعلنوا تأييدهم أفكارها قبل سقوط جدار برلين. وكان كثير من هؤلاء من العمال الحرفيين ويشكلون طبقة اجتماعية كان نظام الحكم السابق يحاول استمالتها من دون جدوى. لكن الرأي العام لم يكن يعي وجود هذه التيارات المتطرفة قبل أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٧، عندما هاجم عدد من الشبان الحليقي الرؤوس زوّار معبد "صهيون" في برلين الشرقية. واستنكرت الحكومة آنذاك أعمال العنف هذه، واعتبرتها متسللة من الغرب. لكن وزارة الداخلية في جمهورية ألمانيا الديموقراطية آنذاك كانت أنشأت جهازاً لمتابعة نشاطات "الحليقي الرؤوس" كما بيَّنت وثائق كُشفت حديثاً.

البديل الالماني. كثير من هؤلاء الشباب المتطرفين هم من عائلات كانت تنتمي الى الحزب الشيوعي والى جهاز أمن الدولة في جمهورية ألمانيا الديموقراطية السابقة. ففي شهر أغسطس (آب) ١٩٩٠ اكتشف الصحافي تورستن هارمسن من جريدة «برلينر زيتونغ" أن أبناء مسؤول سابق في الحزب الشيوعي الالماني وصحافي في وكالة أنباء المانية شرقية، يجتمعون في منزل تحتله جماعة من النازيين الجدد في

برلين – ليشتنبرغ. ويقول بروك: "إن العدائية التي طال كبتها لدى هؤلاء الشباب، وخوفهم من العجز عن اللحاق بركب التقدم الاجتماعي في بلدهم، ولّدا لديهم شعوراً بفقدان الجذور."

غير أن المنظمات الوطنية الحديثة في ألمانيا الغربية وعت بسرعة الوضع القائم في الولايات الجديدة. وبعد شهر واحد على هدم جدار برلين عام ١٩٨٩، أسس أتباع النازي الجديد مايكل كونن فرقة من عشرين عضواً في كوتباس، وقد ارتفع عدد الاعضاء اليوم إلى نحو مئتين.

كان كونن سُرِّح من الجيش الالماني عام ١٩٧٧ بسبب نشاطاته النازية. ولما كان يرئس "جمعية الجبهة الجديدة" التي ضمت مئتي عضو من ألمانيا الغربية، فقد كان يقوم برحلات دورية إلى الولايات الالمانية الجديدة. وكان في يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ أعد "خطة العمليات الشرقية." وفي بيانه السري أمر جميع أتباعه في جمهورية ألمانيا الديموقراطية بتأسيس حزب مشروع ذي برنامج معتدل. فتأسس للحال حزب "البديل الالماني" في كوتباس ودرسدن وبرلين وروستوك، وأطلق قائمة مطالب بدت غير مؤذية، ودعا الى الوحدة الألمانية و"تعزيز الطبقات الوسطى الكادحة."

لم يكن ذلك البرنامج سوى مناورة حاذقة. فقد طالب كونن "بضرورة تشكيل كوادر صلبة كالفولاذ وذات رؤى ايديولوجية ثابتة تكون وراء جميع النشاطات العامة والقانونية." وسرعان ما بدأ أتباعه يطلقون على أنفسهم اسم "قوات العاصفة الجديدة" في نشرتهم الاخبارية "الجبهة الجديدة." أما شعارهم فهو "إلى الأمام على خطى إرنست روهم،" وهذا رئيس أركان حزب هتلر الذي أعدم بأمر من الفوهرر عام ١٩٣٤.

تحالف كونن مع غاري لوك، الامريكي الالماني الأصل ورئيس "منظمة الخارجية والتنمية" النازية التي كانت تعمل سراً في ألمانيا الغربية منذ العام ١٩٧٤. وفي يوليو (تموز) ١٩٩٠ أصدرا بياناً مشتركاً دعا إلى "النضال لاسترجاع الرايخ الألماني" و"إعادة الوحدة مع الأراضي الألمانية الشرقية السابقة" وقيام حزب نازي جديد مرخَّص.

توفي كونن في ابريل (نيسان) ١٩٩١ وهو في الخامسة والثلاثين من عمره نتيجة إصابته بالايدز.[٤] لكنه كان قبل وفاته رشح النمسوي غوتفريد كوسل خليفة له. وكان النازيون الجدد في شمال ألمانيا نشطوا أيضاً في الولايات الاتحادية الجديدة بقيادة كريستيان فورش نائب كونن. وهناك منظمات كثيرة تنافسهم، منها "حزب العمل الليبرالي الألماني" بقيادة فريدلم بوس من ميونيخ وفيه مئات من الأتباع المسلّحين الذين يؤيدون مبادىء هاينريش هملر رئيس الغستابو في أيام هتلر.

(٤) Acquired immunodeficiency syndrome (AIDS).
وهو داء نقص المناعة المكتسب.

انتشار واسع. ينشأ حالياً عدد من المنظمات النازية الجديدة المستقلة في كثير من بلدات الولايات الجديدة. وهي ترمي الى تنمية الشعور بالوطنية الأقليمية في ألمانيا الشرقية والابتعاد عن الأنظمة الحزبية الصارمة وعن وصاية النازية الجديدة في ألمانيا الغربية.

ويبرر كرونبرغر نشاطاته في درسدن غوربيتز بأن ليست لدى اليمينيين في غرب البلاد فكرة عن واقع الحياة في ألمانيا الشرقية.

ومهما يكن، فان الأحزاب في الغرب تُغري الشباب بشعاراتها. وقد ثبت ذلك من خلال تأييد الجمهوريين للمرشح فرانز شونهوبر في ميونيخ. ففي الانتخابات العامة نال الجمهوريون سبعة في المئة من أصوات الناخبين الذكور في ألمانيا الشرقية الذين راوحت أعمارهم بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين. وفي أثناء ذلك تمكن الحزب من كسب أربعة آلاف عضو في الولايات الجديدة. وهناك ألوف من طلبات الانتساب مكدسة في مكاتبه الاقليمية.

وتؤخذ حالياً اجراءات لوضع حد لتفاقم أعمال العنف التي يقوم بها النازيّون الجدد. ومن المتوقع أن تشهد السنة ١٩٩٢ تأسيس خمسة مكاتب إدارية لحماية الدستور في ألمانيا الشرقية، مما سيفسح مجالاً لتطبيق تدابير أجهزة الاستخبارات ضد النازيين الجدد. وإلى ذلك، أنشئت في ربيع ١٩٩١ هيئات وزارية مشتركة في مكلنبرغ - بومرانيا وفي براندنبورغ بهدف توعية المواطنين ولاسيما الشباب. وفي يوليو (تموز) ١٩٩١ أنشأت سلطات ولاية ساكس وحدة خاصة من رجال الشرطة لمراقبة المخالفات التي يرتكبها المتطرفون اليمينيون.

ويقول ألفرد غومولكا رئيس وزراء ولاية مكلنبرغ – بومرانيا: "إن مكافحة المتطرفين اليمينيين ليست مهمة مقتصرة على رجال الشرطة، بل تعني مجتمعنا برمته. وحين يعمل السياسيون والمواطنون معاً من أجل الديموقراطية، عندئذ فقط، يمكن وضع حد لثورة النازيين الجدد."

صحيفة "در شبيغل" ■

ترجمة د. نجوى نصر

كاذب واحد، كاذبان...

طلب احد الموظفين اجازة يوم من مديره ليحضر عرس شقيقته. فطلب منه المدير المكوث خارجاً لبعض الوقت ثم استدعاه وقال له: "انت كاذب، فقد اتصلتُ لتوي بشقيقتك وافادتني انه مضى على عرسها اكثر من عام".

فرد الموظف: "في الحقيقة يا سيّدي، لست انا الكاذب الوحيد هنا، اذ لا اخت لديّ على الاطلاق."

ا.ف.

ابقيا عاشقين في سعد زواجكما

السر هو في التركيز على ما تستطيعان لا على ما لا تستطيعان

أخبرني الزوجان الجالسان في مكتبي، وهما في منتصف العمر، أنهما اعتادا المجامعة أربع مرات أو خمساً أسبوعيا خلال السنوات الأولى من زواجهما، أما الآن، بعد ١٥ سنة، فهما نادراً ما يفعلان أكثر من مرة كل شهرين.

قالت لي الزوجة: "إن علاقتنا رائعة في أوجه كثيرة، إلاّ أن رغبته الجنسية تبدو كأنها خفت." وأضافت أنها عندما حاولت التحدث الى زوجها عن الامر أحس بحرج ورفض البحث في الموضوع. وكان موقفه هذا وشعورها بالحرمان يفسدان علاقتهما على نحو خطير.

"ماذا يفترض بي أن أفعل؟" سألتني بيأس بعد شجار مع زوجها.

إن الشكوى الاكثر شيوعاً بين الازواج الساعين الى معالجة مشاكلهم الجنسية هذه الايام هي التضارب في رغباتهم الجسدية، وهذه مشكلة مشتركة لملايين النساء والرجال. ففي دراسة أجراها "المركز الوطني لاستقصاءات الرأي" أفاد أزواج تحت السن الاربعين أنهم يجامعون أقل من ٩ مرات في الشهر كمعدل وسط. وفي دراسة أخرى نشرتها مجلة "نيو انغلند الطبية" تبين أن نحو ثلث الازواج الذين شاركوا في الاستقصاء يجامعون ثلاث مرات في الشهر أو أقل من ذلك. وبحسب دراسة نُشرت في "المجلة الامريكية للطب النفساني" أعلن ثلث الرجال والنساء المتزوجين الذين شاركوا في الدراسة

أنهم أمضوا فترات طويلة من دون ممارسة الجنس، وكان المعدل الوسط ثمانية أسابيع. وجدير بالذكر أن ٧٦ في المئة من المستجوبين كانوا تحت السن الأربعين.

ليس من الضرورة أن تعني قلّةُ الاهتمام بالجنس نهايةَ العلاقة بين زوجين، وما يسمّى "تضارباً في الرغبة" قد لا يكون سوى إشارة للزوجين الى أن الوقت حان لاحياء شراكة بدأت تفتر.

هنا طرق لمعالجة بعض الاسباب الشائعة لفتور العلاقة الجنسية بين الازواج.

لتكن تطلعاتكما واقعية. تمطرنا وسائل الاعلام يومياً بوابل من الاعلانات المثيرة والمشاهد السينمائية الفاجرة عن نجوم وسيمين ذوي عواطف ملتهبة. لكن الحقيقة هي، على الأرجح، كما قالت الممثلة كارول لومبارد في زوجها العاشق الفاتن كلارك غيبل: "غيبل ليس غيبل."* فالعشق الدائم الشديد الاتّقاد هو، في الواقع، مثل تسلّق قمة إفرست: ممكن، إنما صعب جداً.

وعندما يقصر الواقع عن ارضاء التطلعات، ونشرع في لوم أنفسنا أو شركائنا، تسود حياتنا تكهّنات تحقق ذاتها لاحقاً. أي اذا ظنّ رجل أن سبع سنوات من الزواج تجعله عاجزاً عن قضاء أوقات مثيرة في المنزل، فقد يحدث ذلك فعلاً. واذا افترضت امرأة انها لم تعد جذابة بسبب تجعدات بشرتها، فقد يصبح من الصعب استثارتها. تذكروا العناصر الثلاثة التي تحدد حظ الزوجين في تحسين حياتهما الجنسية: ميل نفسي ايجابي نحو الشريك، وعدم القلق مما يُروى عن القدرة الجنسية لشخص ما، وبعض استعداد للاختبار والمرونة.

اكتشف الباحثان جانيت وروبرت لوير في تحقيق تناول ثلاثمئة رجل وامرأة يعيشون حياة زوجية سعيدة منذ خمسة عشر عاماً أو أكثر، أن كثيراً منهم لا يمارسون الجنس بالمقدار الذي يرغبون فيه، ولكن عندما يفعلون تصبح العملية كما وصفها أحدهم "فعل عطاء ومشاركة جميلا، عمقه العاطفي يوازي عمقه الجسدي." المهم أن تبقيا نشطين، فالمثل القديم "إستخدمه أو تضيّعه" يصحّ هنا كما يقول الباحث الشهير وليم ماسترز.

إستمعا الى الجسد. نعرف كلنا أن "من المفترض" أن يفقد الرجال حيويتهم الجنسية بعد السن الثلاثين وأن "من المفترض" أن تتباطأ المعاشرة الجنسية بين زوجين بعد سنة أو سنتين. أفلا يجدر بنا أن نقبل بالأمر الواقع؟

إن فقدان الاهتمام بالجنس مع السنين هو عادة أمر نفسي وليس فيزيولوجياً، أي لا علاقة له بالهرمونات. يكتشف الرجال في الاربعينات، مثلا، تحولاً في مركز لذتهم الجنسية. ففي سني المراهقة وفي العشرينات يكون

(*) «Gable's no Gable»

المركز بلوغ هزة الجماع، فاذا نقلوا تركيزهم الى التجربة الحسية الكلية، بما في ذلك الاستثارة الجسدية، فيستطيعون في غالب الأحيان أن يبقوا نشطين جنسياً كما كانوا في سني الشباب.

تقول المعالِجة الجنسية الطبية هيلين سنجر كابلان: "الرجل الصحيح السليم قادر على الاستمتاع بالجنس طوال حياته. فالرجل الناضج، الذي تحرر من أوهام صباه ومن الحاجة الى بلوغ النشوة بسرعة، يستمتع بلعبة حب أكثر ارضاء وخيالا. والمرأة الصحيحة السليمة، هي أيضاً أقدر على التمتع بالجنس طوال حياتها."

يمكنكما أن تتعلما تقبل التغيرات الجسدية بتركيزكما على ما يمكن منحه للشريك بدلا من القلق على ما لا تستطيعان.

ابتعدا عن الرتابة. يعتقد كثيرون أن اتّباع الاسلوب نفسه مع الشريك نفسه مئات المرات يفقد العملية الجنسية إثارتها.

بعد ثلاث سنوات من الزواج تباطأت وتيرة العلاقة الجنسية بين رجل أعمال شاب وزوجته من مرة يومياً الى مرة كل أسبوعين. ومع ازدياد ضغوط العمل على الزوج وإجهاد المرأة نتيجة متطلبات مركز أعلى رُقِّيت اليه، بدا أن الحماسة التي كان كل منهما يبديها نحو المعاشرة الجنسية قد تحوّلت الى وجوه أخرى من حياتهما.

فتنامى قلق الاثنين على مرّ أشهر في شأن ما ظنّاه نهاية حبهما. واتضح أن بحث الموضوع لم يزد المشكلة الاّ سوءاً. لكنهما في النهاية تعاونا على التخلص من مشاعر القلق وانتظار ثورة الرغبة، واكتشفا أن الأمور عادت تجري حسناً مع قليل من اللهو.

أبقيا النزاعات خارج غرفة النوم. قد يكون الغضب عنصراً فاعلا في إخماد الشهوة الجنسية. فبسببه يمكن أن يمتنع أحد الزوجين عن المعاشرة أو يحس أنه مرفوض جنسياً من شريكه.

ان الطريقة السليمة لتنفيس الغضب هي محاكاة ما يفعله الأزواج الموفقون. فالزوجان السعيدان لا يتبادلان الكلمات المسيئة عندما يتشاجران. وبدلاً من دخول دوامة الجدل ("إنك تصرخ!" "لا، أنت تصرخين!") يحددان المسألة بوضوح ويتفقان على أنهما كليهما يواجهان مشكلة، فيبقيان التركيز على موضوع النزاع كما يحاول كل منهما تفهم موقف الآخر. انهما يريان النزاعات كتحديات قد يكون فيها شيء يتوخاه كلاهما، بدلا من أن يرياها معارك يربحها واحد ويخسرها الآخر.

قالت المرأة لزوجها بناء على نصيحتي: "أتمنى ألا تكون تتحاشاني أو تتفادى أي بحث في علاقتنا. إنني أشعر بالحزن والاحباط، وأتمنى لو نعمل معاً لايجاد حل."

وعندما سألتها عما حدث بعد ذلك قالت لي: "عانقني في الصباح التالي كما لم يفعل منذ زمن طويل، وأخبرني أنه يحبني."

من الواضح أنهما عادا الى المسار الصحيح.

وفرا وقتاً للحب. مع كثرة مشاغل الحياة التي تثقل كاهلي الزوجين، من مرض أطفال ورحلات عمل وتمارين رياضية، تصبح العلاقة الجنسية غالبا هي الضحية الأولى. فالزوجان قد يضربان موعداً مع طبيب الاسنان، لكنهما لا يوفران وقتا للالفة بينهما.

إجعلا من أولوياتكما أن تقتطعا لحيظات حميمة تكونان فيها معاً. أخبرني زوجان من أكثر الأزواج الذين أعرفهم انشغالا إنما أيضاً من أكثرهم تحابّاً: "نحن نؤجل غسل الملابس أو نلغي زيارة أو موعداً للعبة كرة المضرب أو نستدعي حاضنة أطفال عند الحاجة. قبل سنوات قليلة، حين كنا ننهار في فراشنا عياء كل ليلة، كنا على قابي قوس أو أدنى من دعوى طلاق. لكننا الآن في أحسن حال، مع أن المنزل لم يعد مرتّباً كما كان."

علّم هذان الزوجان أولادهما ألا يدخلا عليهما وهما في غرفة النوم. وكانا يقفلان الباب زيادة في الاطمئنان. ولم تحل هذه الترتيبات دون المعاشرة الجنسية العفوية، وهما قالا لي: "ما زلنا نقتنص هذه اللحظات متى استطعنا."

قد تخضع علاقتكما الجنسية ونواحٍ مهمة أخرى في حياتكما للتغيير، لكنّ التغيير لا يصبح أزمة الّا اذا سمحتما أنتما بذلك. لذا تشجعا اذا كنتما تعانيان تضاربا في الرغبات الجنسية، فأنتما لستما وحدكما. إن فرص تجديد العاطفة في حياتكما ممتازة بقليل من الجهد والارادة الحسنة.

جانيت ولف ■

أوصاف مثالية

عام ١٤٩٢ لم يكن كريستوفر كولومبوس يدرك الى اين يتجه، وكان يرافقه طاقم متمرّد، وهو اعتمد كلياً على الديون. لو عاش اليوم لكان مرشحا سياسياً.

أ.ك.ك.

ما الذي يذهب ولا يعود؟

قال امين الصندوق في المصرف، مخففاً عن احد الزبائن الذي يتذمّر من ارتفاع اسعار الحاجيات: "لا يذهب المال بعيداً في هذه الايام، اليس كذلك؟"

فرد الزبون على الفور: "بلى، انه يذهب، لكنه لا يعود ابداً."

ر ع. - جنوب افريقيا

من اخترع المظلة الفراعنة أم الصّينيُون؟

خير رفيق في الحر وفي القر

عندما يجلس الطيار الكندي متأهباً في مقاتلة "هاريير"[1] منتظراً الأوامر، سواء أكان ذلك في نهار مشمس أم ماطر، فإنه يفتح الكوّة ويتنشق الهواء النقي من غير أن يخشى بللا أو ضربة شمس، تحت مظلة مركّزة في مقصورته.

جاء هذا الدرع الدفاعي الاخير نتيجة اتفاق عُقد مع شركة سول شافريان وأبنائه صانعي المظلات المشهورين في لندن الذين يُعتبرون طليعيي تكنولوجيا المظلات. واليوم يعمل الجيل الرابع من هذه العائلة في صناعة المظلات الشمسية والمطرية.

ولكن، مَن اخترع المظلة؟ ثمة غموض تام يكتنف الاجابة عن هذا السؤال الذي كان هاجس المؤرخين لعصور.

في العام ١٢٠٠ قبل الميلاد كان النبلاء المصريون يخرجون للنزهة برفقة عبيد يحملون لهم مظلات تقيهم الشمس الحارقة. وورد في الأساطير الصينية أن المظلة اخترعت قرابة العام ١٠٠٠ قبل



(١) Harrier

الميلاد وهي بنت أفكار زوجة النجار لو بان التي كانت تتباهى بصنع سقوف نقّالة. وكانت لامبراطور الصين مظلة من أربع طبقات تشبه هيكل باغودة.[٢] أما ملك سيام (تايلاند حالياً) فكرّم نفسه بمظلّة من سبع طبقات.

واستخدم الرومان الجدّيون المظلّة في واحد من أدوارها ألا وهو الاحتماء من شمس البحر الابيض المتوسط.

أما في الهند فكانت المظلّة تقترن دائماً بأرباب الخصب والحصاد والموت والحياة. وكانت المظلات تُدفن مع الأمراء عند وفاتهم، لأن الأحوال الجوية حيث هم ذاهبون، في اعتقادهم، متقلّبة جداً.

وكان ملك فرنسا لويس الثالث عشر يملك ما لا يقلّ عن إحدى عشرة شمسية من حرير التفتة ومن جميع الألوان، إضافة الى ثلاث مظلّات مزخرفة بالذهب والفضة. وفي القرن الثامن عشر احتكرت إحدى الشركات حقوق تأجير شمسيات على مدخلي الجسر الجديد (بون نوف) في باريس. ففي مقابل بضعة سنتيمات كان كل غندور حريص على بشرته يستأجر مظلّة على الضفة اليمنى ويسير مختالا على الجسر الى الضفة اليسرى حيث يعيدها.

في تلك الأيام كانت المظلّات العصرية تتميّز بألوان زاهية وشعارات رومنطيقية أو غزلية فاضحة.

رمز برودة. حققت المظلة انتشاراً عالمياً واسعاً ولاقت رواجاً في حضارات وتقاليد مختلفة. ولكن ليس هناك سوى مكان واحد في العالم وُصف في النشرات السياحية بأنه "منطقة المظلات"، وهو قرية غينيازي الواقعة على سفح إحدى التلال في إيطاليا. فقد كان صانعو المظلات في القرية يغادرونها في فصل الربيع حاملين بضاعتهم من دار الى دار ويعودون في الخريف.

وفيما كانت تُعدّ العدّة للحرب العالمية الثانية، بدأت قرية غينيازي تعدّ مجموعة لافتتاح "متحف المظلات."



ففي العام ١٩٣٨ كتب القيّمون على المتحف الى رئيس وزراء بريطانيا آنذاك نيفيل تشامبرلين يسألونه الموافقة على وهبهم أشهر مظلّة في العالم، وهي تلك التي عاد بها من ميونيخ ليعلن "السلام لعصرنا" فكانت بداية بدعة عمت أوروبا هي إطلاق اسم تشامبرلين على أي مظلة. وما زال بيان الرفض الذي صدر عن ١٠ داوننغ ستريت (مقرّ رئاسة الوزراء البريطانية) معروضاً في متحف غينيازي.

(٢) الباغودة هيكل صيني او ياباني او هندي من طبقات عدة.

وفي العام ١٩٦٩ بدأ العمل لتشييد بناء جديد للمتحف. وكان يوم وضع الحجر الاساس مشهوداً خلّدت ذكراه صورة رائعة للمناسبة يظهر فيها المدعوون وهم يحملون مظلّاتهم تحت المطر.

تعود اللفظة الانكليزية umbrella الى الجذر الايطالي ombrello المشتق من اللفظة اللاتينية umbra أي الظلّ. ومن الظل اشتُق الاسم العربي أيضاً.

ويعود الفضل في إدخال المظلة بريطانيا بهدف الاستعمال اليومي والشخصي إلى جوناس هانواي (١٧١٢ - ١٧٨٦).

كان هانواي أول من حمل مظلة في بلده. وكان المارّة في الشوارع يهزأون منه والأولاد يرشقونه بالحجار وسائقو العربات يرمقونه بنظرات لاعنة لأنه بشرهم بقطع أرزاقهم. وقد تأخر الأسياد الانكليز في حمل المظلّات لأنها دليل على أنهم لا يملكون عربات. ثم إن الصبية كانوا يسخرون ممّن يحمل "عصا في ثياب داخلية."

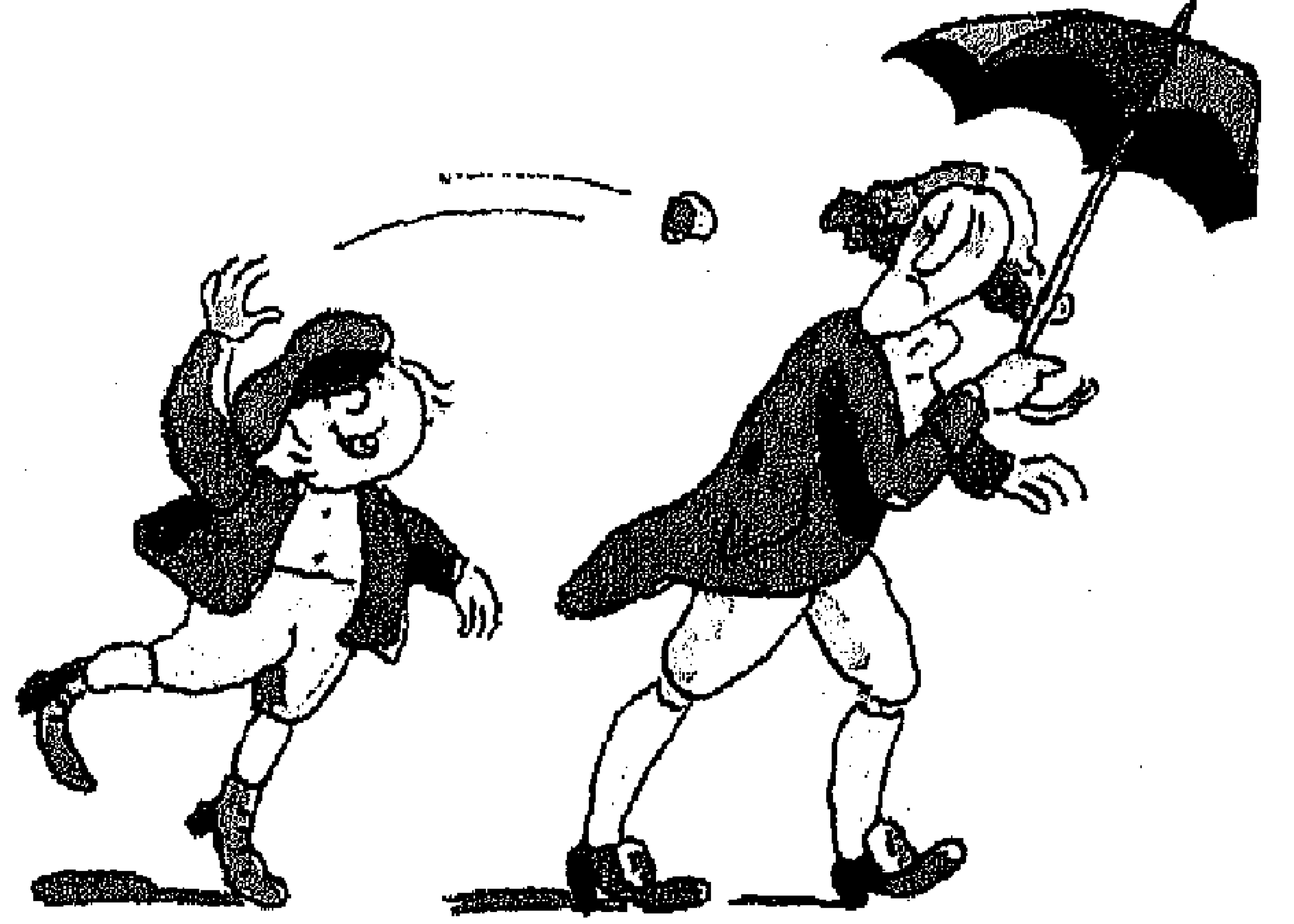
ولكن في نهاية القرن الثامن عشر ظهرت الاختراعات الجديدة شاملة كل شيء، من ركائز مظلات للعربات والسروج الى مظلات تفتح آليا أو تحتوي على تلسكوب (مرقاب). ودفع الطموح أحدهم الى اختراع مظلّة تحتوي على واق من الصواعق.

وسرعان ما أصبحت المظلّة رمزاً للبرودة الانكليزية، أو فقدانها. فكان الضباط يحملونها الى المعركة. واستمرّ هذا التقليد على رغم معارضة دوق ويلنغتون (الذي كان يملك هو نفسه مظلّة من القطن المغلّف بطبقة زيتية تخفي في طياتها سيفاً).

وفي معركة واترلو دوّن ماريشال فرنسي الملاحظة الآتية: "كان الطقس ممطراً، وكان كل ضابط انكليزي منتصباً على صهوة جواده ممسكاً مظلّته بيده. كان المنظر مضحكاً طبعاً. وفي لمحة بصر أقفل الانكليز مظلّاتهم وعلّقوها في سروج خيلهم ثم استلّوا سيوفهم وانقضّوا على قنّاصتنا."

"المحارب الذي يحمل مظلّة يبقى على قيد الحياة." هذا مثل قديم. في العام ١٩٧٨ كان أحد المنفيّين من بلغاريا يقطع جسر واترلو، فقُتل بالسمّ الذي كان موضوعاً في رأس مظلّة قاتل.





مظلّة لكل شيء. تمكنت بريطانيا من إنتاج مظلّات بكلفة زهيدة (أقل من بنس) لحصولها على مواد أولية معفاة من الرسوم الجمركية كانت تأتيها من مستعمراتها. وجاء في رواية تشارلز ديكنز "أوراق بيكويك" افادة عن رشوة المقترعين في ايتانسفيل بهدايا ثمينة لزوجاتهم هي "خمس وأربعون مظلة خضراء سعر الواحدة منها سبعة شلنات وستة بنسات."

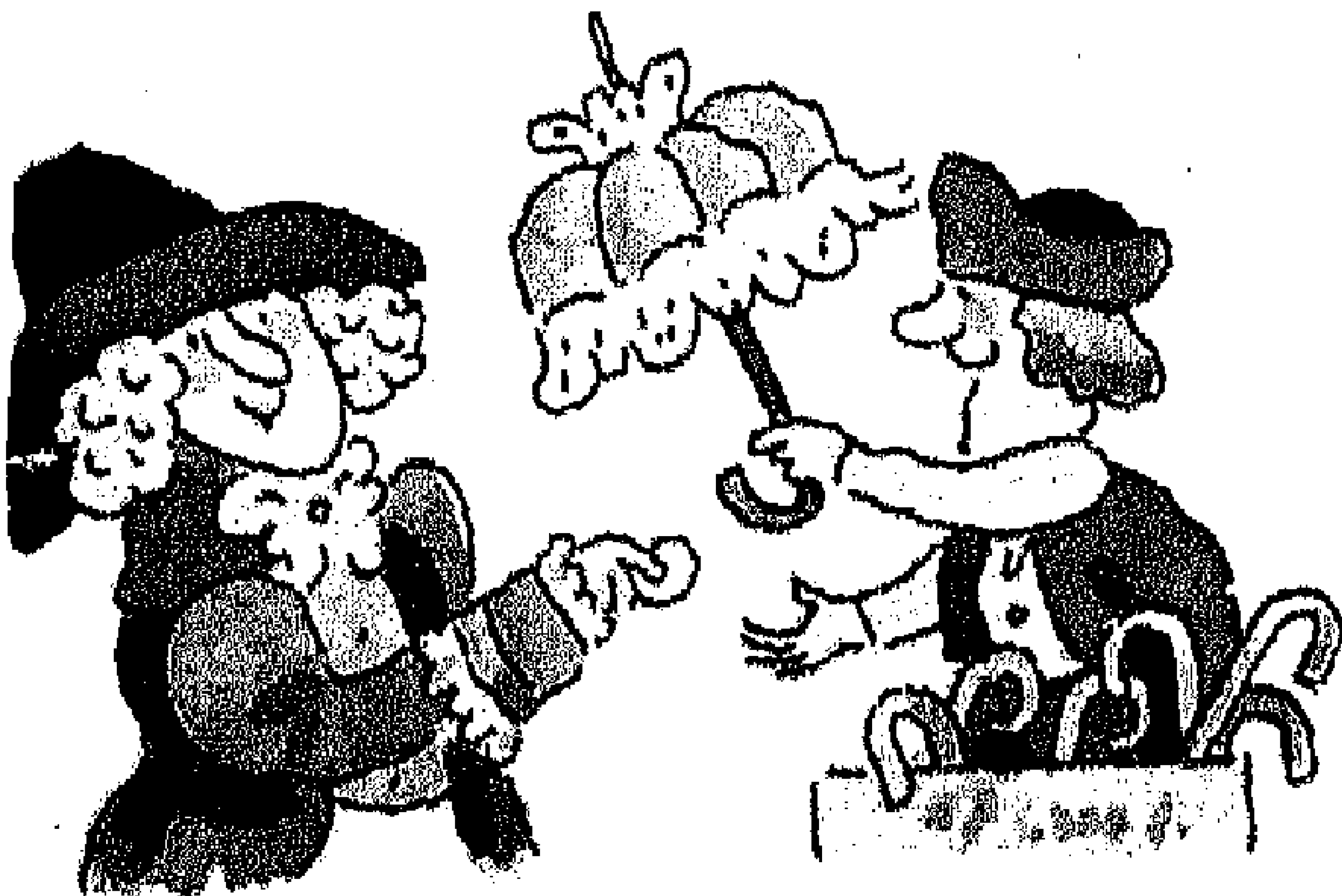
وفي "مغامرات مارتين شوزلفيت" يصف ديكنز الممرضة السيدة غامب التي كانت تحتفظ بمظلّتها الأنيقة قرب المدفأة. وهكذا أصبحت لفظة «gamp» تختصر المظلّة الكبيرة غير المرتّبة.

إن المظلّة الجاهزة دوماً لاتقاء المطر وحرارة الشمس (en-tout-cas) هي اختراع انكليزي على رغم اسمها الفرنسي. وهي أداة وسطى بين الشمسية والمطريَّة، أبسط من الأولى وأصغر من الثانية. وفي منتصف القرن التاسع عشر راج السوط – المظلة لفترة قصيرة وهو سوط لقيادة عربات الجياد ثُبّتت في مقبضه مظلّة. في تلك الحقبة أيضاً صنع الألمان مظلّة مديدة الجناح لوقاية أرداف السيدات، كما صنعوا نموذجاً آخر يصفر أثناء فتحه.

وبعد تعرّض الملكة فيكتوريا لمحاولة اغتيال صُنعت لها مظلة مدرَّعة أخفي زردها الفولاذي بين طيَّتي قماش.

أما مقابض المظلات فعالم من الفن والابتكار قائم بذاته. منها ما هو بسيط غير مزخرف، ومنها ما هو مصنوع من الفضة أو العاج أو مطليّ بالذهب. ومنها ما يمثّل رؤوس حشرات وعجول بحر وأرانب وبوماً وأفاعيَ وأطفالاً. وقد تكون القبضة ساعة أو كلباً صغيراً يمدّ لسانه كلما ضُغطت.

هناك أيضاً القبضة التي ينبعث منها فلفل وقد ثبتت فاعليتها في وقف قتال الكلاب، وتلك التي تحوي مصباحاً يهدي من ضلّ طريقه في الظلام. وبعض المقابض سهل الفك وتوضع داخله علبة سجائر أو علبة ذرور (بودرة) أو حافظة نقود أو نظارات للاوبرا، وأحياناً خنجر صغير. أما النموذج الذي يحمل في



السباقات فيحوي قلماً لتدوين الرهانات.

في وقت مضى كان حملة المظلّات المتزمتون، بعد أنْ يضطروا الى فتحها لدى هطول المطر، يعرّجون على مؤسسة "توماس بريغ" في لندن (التي تأسست عام ١٨٣٦) حيث تكوى وتلفّ من جديد. ولا تزال خليفة هذه المؤسسة "سواين وأدني" تقدّم الى زبائنها دليلاً مطبوعاً على طريقة توضيب مظلّة "بريغ."

أما اذا أوقعتَ مظلّة فنذير شؤم أن تلتقطها بنفسك. وإذا فتحتَ واحدة في يوم مشمس فقد يؤدي عملك الى هطول المطر. ويجب ألا توضع المظلّة على السرير أو تُفتح داخل المنزل. وهي الاداة الآلية الوحيدة التي تملك ارادة ذاتية فتقرّر أن تبقى حين يغادر صاحبها.

ان مخترع المظلة، أيا يكن، هو المفْضِل الاكبر على بني جنسه. بذلك يشهد كل بريطاني.

اسرل شنكر ■



نكتة ايرلندية

كان أحد أصدقائنا سائحاً في ايرلندا ذات صيف، فوصل الى فندق صغير على شاطىء البحر واعتزم قضاء ليلته فيه. وكانت الساعة العاشرة ليلا، فحجز غرفة ثم توجه الى مقهى الفندق ليشرب. وسأل الساقي: "متى تقفلون؟"

فاجاب هذا: "في نهاية شهر أكتوبر (تشرين الاول)."

ا.ل.

اخلاق في الريف

استأجر عمي الذي انتقل للسكن في الريف، آلة لجزّ العشب. وافاده صاحب المخزن انه لا يتقاضى أجراً عن الوقت الذي تبقى خلاله الآلة مع الزبون بل عن الوقت الذي يستعملها خلاله فعلا. وبحث عمي عن جهاز قياس الوقت في الآلة فلم يجده فسأل صاحب المخزن: "ولكن كيف ستعرف مقدار الوقت الذي استعملت فيه الآلة؟" فاجاب الرجل ببساطة: "انت ستخبرني."

ل.م.

تعليمات مفيدة!

تضمن كتاب التعليمات في احدى السيارات الفقرة الآتية: "اذا تعطّلت الفرامل، توقف بسرعة وتوجه الى اقرب مرآب."

ب.ن.





يد في الظلام



الثغرة السوداء

عندما ولج الغطاس النفق المؤدي الى المغارة البحرية لم يكن يتوقع الروائع المذهلة التي كانت في انتظاره

على عمق ٣٦ مترا تحت سطح البحر الابيض المتوسط، ولج غطاس قوي البنية الثغرة السوداء المحفوفة بالمرجان والاعشاب البحرية. كان يتلمس طريقه بصعوبة داخل ممر ضيق محاذرا قوارير الهواء على ظهره، تحميه من الصخور الخشنة بزة من المطاط. ثم بلغ مكانا مظلما لم يقو مصباح الغطس على خرق عتمته.

أحصنة سوداء في قاع البحر!

هنري كوسكر غطاس محترف في الخامسة والثلاثين من عمره، وهو يدرِّس فن الغطس في كاسيس قرب مرسيليا في جنوب فرنسا. وكان عثر على مدخل النفق مصادفة قبل أسابيع في أسفل منحدر صخري في خليج مورجيو. حينئذ، لم يكن المصباح الخاص في حوزته ولا المعدات اللازمة، فولج مسافة ١٠ امتار فقط ظل خلالها ينظر الى مدخل النفق كي لا يضيعه. وفي الغطسة الثانية توغل مسافة ٤٠ متراً، فلاحظ أن قطر النفق يراوح بين مترين وثلاثة أمتار لكن الطمي الناعم الذي يغطي أرض النفق ارتفع أمامه مكونا غيمة عازلة حجبت عنه الرؤية مما اضطره الى العودة.

أما الآن، في صبيحة هذا اليوم من شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٥، فقد واصل كوسكر استكشاف النفق مسافة ١٤٨ متراً متوغلا داخل الشقوق الصخرية. فجأة، بعد مضي ثلاثين دقيقة، رفع رأسه فوق سطح الماء. حدق الى الظلام الدامس المحيط به فوجد نفسه واقفاً على ضفة بحيرة صغيرة وقد بلغ ارتفاع المياه خصره، ورأى مشهداً خلابا ارتعش له بدنه. فقد انقشعت أمامه مغارة مقوّسة بلغ اتساعها حوالى ٦٠ متراً وراوح ارتفاعها بين مترين وخمسة أمتار. وقد تلوَّن سقف الحجرة وجدرانها بأصباغ بيضاء وزرقاء وصفراء. كما سكنتها غابة من الصواعد والهوابط[1] والاعمدة الكلسية.

أغرت هذه المشاهد كوسكر بمتابعة استكشاف المغارة، لكنه كان عاجزاً عن ذلك لأن مدة الغطس محدودة بصرامة. ثم إنه لم يكن يعلم ما إذا كان الهواء داخل المغارة صالحاً للاستنشاق، فهو يدرك تماما أن من أخطر الامور تنشق مزيج من الغازات المتولدة من الاحتراق.

وكانت له تجارب سابقة مع هذه الأبخرة في أثناء استكشافه حطام السفن. ولكن لم يسبق أن وطأت قدم أحدهم هذا المكان من قبل، ومن غير المحتمل أن تكون نباتات مهترئة سممت هواء المغارة. لذلك نزع كوسكر قناع التنفس بيد ثابتة وتنشّق هواء المغارة وابقاه في فمه لفترة تمكّنه من تذوقه. فبدا له جيداً. ثم أخذ نفساً عميقاً، فلم يشعر بوخز في صدره ولا بألم في رأسه. فقرر أن في امكانه العودة الى هذا المكان بعدما تأكد من سلامة الهواء فيه.

لكن كوسكر أمضى السنوات الثلاث التالية يوصل يخوتاً الى جزر الانتيل ويدير مدرسته لتعليم الغطس. وفي شهر يوليو (تموز) من العام ١٩٩٠ خطط لرحلة الى المغارة لصديقيه الغطاسين البلجيكيين مارك وبرنار فان إسبن. فقال برنار: "سوف نحتاج الى حبل أمان[2] نجره معنا فيكون ضماناً لنا للعودة الى المخرج."

"انظروا! ما هذا؟" في اليوم المحدد انطلق الغطاسان داخل النفق المؤدي الى

---

(١) Stalactites and stalagmites
(٢) Ariadne's thread

المغارة. فبدت لهما الحجرة الواسعة أجمل كثيراً مما وصفها كوسكر. وقف برنار فان اسبن مأخوذاً بالمشهد، وأخيراً هتف: "يا إلهي! هذا لا يصدّق!"

زحف الاثنان بحذر على أرض المغارة الزلقة وهما يحملان مصباحين يدويين. وكانت أرض المغارة مغطاة برواسب كلسية.

قال مارك: "انظر، هناك فتحة في الصخر."

وشاهدا من خلال الفتحة حجرة أخرى يعلو سقفها ٣٠ متراً فوق بحيرة صغيرة أخرى.

ولكن، لسوء الحظ، اضطر الرجلان الى العودة لأن مدة الغطس أوشكت على الانتهاء. قال مارك خائبا: "خسارة! لم أكن أدرك أن المغارة كبيرة الى هذا الحد. كنا كمن يحاول زيارة قصر مجهول في ليلة ظلماء وليس معه سوى مصباح جيب صغير."

أخيراً، في التاسع من يوليو (تموز) ١٩٩١، دخل كوسكر النفق من جديد يتبعه ثلاثة غطاسين مدرَّبين من أعضاء ناديه، وهم ابنة أخيه ساندرين كوسكر (٢٣ عاما) ويان غوغان (٢٥ عاماً) وباسكال أوريول (٢٩ عاماً). وعندما خرجوا الى سطح الماء أذهلهم جمال المغارة. وبدأوا يلتقطون صوراً فوتوغرافية بآلات تصوير مقاومة للماء. ثم دخلوا المغارة الثانية ووقفوا الى جانب بركتها حيث قال كوسكر: "سأغطس لأرى ما إذا كانت هناك حجرة أخرى." وبعدما استكشف كل شقوق الصخر أدرك أن ليس هناك مخرج آخر. فصعد الى سطح الماء ووضع مصباحه فوق صخرة. فجأة صرخ: "أنظروا! يا إلهي، ما هذا؟"

كان الشعاع المنبعث من مصباح كوسكر مسلطاً على جدار صخري بدا عليه رسم يد اخترقت الظلام. فاعترت كوسكر قشعريرة ولم يصدق ما رأى.

قالت ساندرين: "يجب أن نصور هذا الرسم، فربما يعود الى حقبة ما قبل التاريخ!"

بعد مضي يومين ذهب كوسكر لاحضار الشرائح المصورة (سلايد) من استوديو لتظهير الأفلام. فاكتشف أن في الصورة رسوماً لثلاث أيد لا لواحدة. أتراه عثر على شيء مدهش؟ شرع يطالع كتب علم الآثار التي وقعت عليها يداه.

وبعد أربعة أيام عاد الفريق ذاته الى المغارة حاملا مصابيح كاشفة وآلات تصوير فوتوغرافي وآلة تصوير فيديو، مخصصة جميعها بالاستعمال في الماء. وفاق ما عثروا عليه حدود تصورهم. صاح يان بأعلى صوته: "أسرعوا، تعالوا الى هنا! أنظروا!" فعلى الجانب الغربي من المغارة الرئيسية، فوق الحد المائي تماماً، امتدت رسوم لأحصنة سوداء صغيرة. وصاح يان ثانية: "هناك أيضاً، وراءكم!" ظهر على الحائط المقابل رسم مستطيل لحصان أسود. وكانت الاشكال مرسومة بلون أسود، كأنما بالفحم، ومغطّاة بطبقة من الكلسيت[٣] الشفاف.

(٣) الكلسيت (calcite) كربونات الكلسيوم المتبلرة.

قال كوسكر: "لنمشط المغارة بدقة. أريد تصوير كل شيء."

التمعت أنوار آلات التصوير في أرجاء المغارة الفسيحة. فوجد أعضاء الفريق في السقف عنزة سوداء وأيلا مغطى برواسب كلسيت وحصانا آخر. وعلى الجدار الشرقي وجدوا ثورين كبيرين ومزيداً من الأيدي التي فقد بعضها عدداً من أصابعه. كما عثروا على رأس قطة وثلاثة من طيور البطريق. فوضعوا لائحة بجميع الرسوم وعشرات النقوش المتقاطعة، وهم لاحظوا بين رسوم الاحصنة والثيران بضعة أيائل وفقمة ورموزاً هندسية غريبة. فرأى كوسكر أن من المستحسن تصوير هذه الرموز وإلا فلن يصدّقهم أحد.

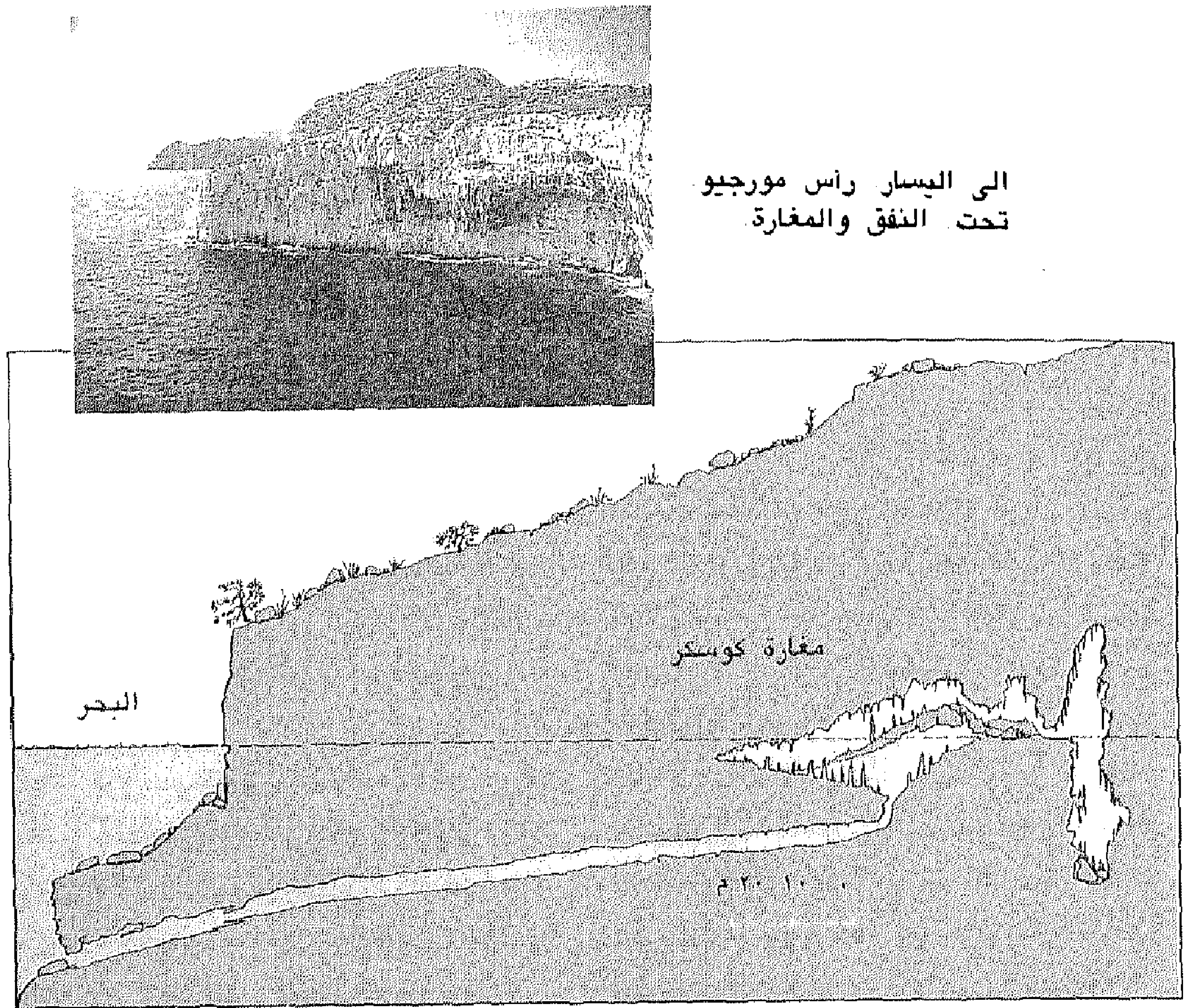
مع ذك اتفق الرفقاء على التكتّم حول الأمر بحيث يجمعون ما أمكنهم من الوثائق قبل عرضها على المكتب البحري. كما ساور هنري كوسكر شيء من القلق، إذ قد يحاول بعض السياح الوصول الى المغارة، خصوصاً لأن غطس الفريق في ذلك المكان لم يحصل سرّاً.

ضرب من المستحيلات. في اليوم الاول من شهر سبتمبر (ايلول)، وقعت الكارثة. وشعر كوسكر بحدس داخلي رهيب عندما استُدعي للمساعدة. فقد علم أن خفر السواحل عادوا من رأس مورجيو بغطاس غريق، وقدّر أن يكون هناك ضحايا آخرون. وفي الواقع، كان ثلاثة غطاسين حاولوا الوصول الى نهاية النفق وهم غير مزودين المعدات اللازمة. فعُثر على الجثة الاولى على بعد بضعة أمتار من المدخل، وعثر كوسكر ويان على الجثة الثانية على مسافة ٣٠ متراً داخل النفق، وعلى الثالثة بعد ٩ أمتار. لم يدر هؤلاء الرجال أنهم سيحركون طبقة الطمَي التي ارتفعت لتكوّن غمامة حجبت طريقهم، فأُصيبوا بالهلع واصطدمت رؤوسهم بعنف بجوانب النفق. فقال كوسكر لخفير السواحل: "لقد قتلهم رعبهم، فقواريرهم ما زالت تحتوي على كمية كافية من الهواء."

قرر هنري أن الوقت حان لاطلاع العالم على ما وجد. فذهب في اليوم التالي الى المكتب البحري في مرسيليا وأطلع المسؤولين على الأمر. فسأله أحدهم متعجباً: "مغارة رسوم؟ ما هذه؟"

كانت لدى المكتب نماذج استمارات لجميع أنواع الاكتشافات البحرية كحطام السفن والألغام وأسراب السمك والجرار الرومانية والكنوز الاغريقية، ولكن لم يكن بينها ما يتعلق بشواهد تعود الى ما قبل التاريخ.

بعد مناقشات كثيرة بدأ المسؤولون يأخذون أقوال كوسكر على محمل الجد، وأُبلغت "دائرة الأبحاث الأثرية تحت البحار" بالواقعة. وكان على كوسكر أن يثبت صحة ادعاءاته. ففي بادىء الأمر شكك بعض الخبراء في أقواله، إذ لم يكن لديهم دليل سوى الصور الفوتوغرافية. ولم يسبق أن اكتُشفت رسوم كهفية في المنطقة الجنوبية الشرقية من فرنسا.



غضب كوسكر من هذا الموقف وقال بحدة: "ما هذه السخافة؟ ما الذي يدعوني الى الغوص الى عمق ٣٦ متراً حاملا بيدي دلو طلاء؟"

ولحسن الحظ، دافع عن القضية رجلان. الأول جان كلوت العضو في وحدة التحقيق التابعة لدائرة الابحاث الأثرية تحت البحار. أما الثاني فكان جان كورتان وهو أيضاً مرجع ثقة في حقبة ما قبل التاريخ ومدير أبحاث في "الوكالة الوطنية للابحاث العلمية" ومن قدامى الغطاسين، وقد سبق أن عثر في خليج كاسيس على عظام وأدوات من الصوان والفحم تعود الى العصر الحجري القديم[٤]، وهو يعلم أن المغاور الجوفية تحت الماء كانت مأهولة قبل عشرات آلاف السنين حين كان ساحل البحر الابيض المتوسط يمتد حوالى ٩٠ متراً أبعد من الشاطىء الحالي. لكن البحر طمر هذه المغاور قبل فترة بعيدة، بحيث اعتبر العثور على آثار للانسان الكرومانيوني[٥] في تلك المنطقة ضرباً من المستحيلات.

(٤) Paleolithic period

(٥) Cro — Manion . وهو انسان من مرحلة ما قبل التاريخ، وجدت بقاياه في كهف كرومانيون في فرنسا.

لذلك كان لاكتشاف كوسكر وقع السحر، كما كانت الأدلة التي جمعها مؤثّرة جداً. فان يكن كوسكر مخادعاً، فلا بدّ أنه مخادع حاذق جداً ليرسم أشكالا تبدو أصيلة ويغلفها بالكلسيت. لكن وزارة الثقافة الفرنسية قررت إرسال خبير الى المكان حرصاً على عدم التسرّع في إصدار أحكامها.

اكتشاف خارق. في التاسع عشر من سبتمبر (أيلول) ١٩٩١ أبحرت سفينة الابحاث الاثرية "أرشيونوت" التابعة لوزارة الثقافة وألقت مرساتها قرب الموقع. كان على متنها فريق من ثمانية رجال على مستوى عال من التدريب وأحد عشر عنصراً من الرجال "الضفادع." وكان مقرراً أن يرافق كوسكر وكورتان أربعة اختصاصيين بالغوص وسبعة خبراء في تفكيك الألغام. وتم نقل كمية هائلة من المعدات وسط إجراءات أمنية قصوى. وبعد إرساء السفينة فوق مدخل النفق، أنزلت الى الموقع حاوية محكمة الاغلاق وضعت فيها آلات لتحليل تركيبة الهواء وحرارته ودرجة رطوبته، ومصابيح كاشفة متّصلة بالسفينة بواسطة أسلاك، ومعدات معقّمة لأخذ نماذج من جدران الكهف.

ثم غطس كوسكر وخبير مائي لمدّ حبل أمان متطور عُلّقت به أضواء. وعندما أُنيرت هذه خاطب كوسكر كورتان: "إستعد، ففي المرة المقبلة سنذهب حتى نهاية النفق."

حين طفا الرجلان على سطح الماء داخل المغارة، سلّطا أضواء مصابيحهما على جدرانها. ونزع كوسكر القناع عن وجهه وسأل مرافقه: "ما رأيك؟"

فأجابه كورتان مذهولا: "لم أرَ قط شيئاً بهذا الجمال. هذا اليوم هو من أروع أيام حياتي."

كان كل شيء كما وصفه كوسكر تماماً. غير أن الأنوار الساطعة المنبعثة من المصابيح التي وضعها فريق السفينة في المغارة أظهرت نقوشاً لم تكن واضحة قبلا. وخمّن كورتان أن تكون الأحصنة الصغيرة الكثيفة الفراء من نوع "إكووس هيدرونتينوس"[٦] إذ سبق أن عُثر على عظام لهذه الفصيلة في إقليم بروفانس جنوب فرنسا حيث اكتُشفت آثار تعود الى العصر الحجري القديم. كما عثر كورتان على موقدين صغيرين في حال ممتازة. وتوقف طويلا أمام رسوم الايدي.

احمرّت وجنتا كوسكر عندما تلقى تهنئة كورتان الذي قال له: "إن اكتشافك خارق. ستصبح شهيراً يا صديقي."

فأل حسن؟ استمرت عمليات التحقق من أصالة الرسوم والنقوش أربعة أيام، وبانتهاء العمليات تبددت جميع الشكوك. وكان كلوت مقتنعاً تماماً بالأدلة التي حملها اليه كورتان الذي جاء في تقريره: "إن الرسوم والنقوش — الأحصنة، والثيران والماعز – كلها تحمل خصائص العصر الحجري القديم. وقد رُسمت وفقاً

(٦) Equus hydruntinus

لتقاليد فن ما قبل التاريخ. مثلاً، تبدو قرون الثيران والماعز منحرفة أو نصف منحرفة. ولم تُرسم الحوافر أبداً. والأرجل تنتهي بعكازات. كل ذلك دليل على أن هذه الرسوم هي أقدم من تلك التي وُجدت في مغارة لاسكو الشهيرة. وقد عُثر على عظام لطيور البطريق في منطقة أبوليا في إيطاليا."

ثم حدث ما يثبت صحة انطباعات كلوت. فقد أظهرت فحوص الكربون التي أجراها جاك إفان، المهندس في مختبر الوكالة الوطنية للأبحاث العلمية في ليون، أن الرسوم تعود الى ١٨٤٤٠ سنة خلت. وعزّزت عوامل أخرى صحة اعتقاده، اذ ثبت أن الأخشاب التي جاء منها الفحم الذي عثر عليه في الموقدين هي من الصنوبر النروجي والصنوبر الأسود، وهما فصيلتان اضمحلّتا قبل قرون وحل مكانهما الصنوبر الحلبي. كما أظهرت الفحوص المجهرية أن الطين الذي أُحضر من المغارة يحتوي على لقاحات نباتية متحجرة كانت منتشرة في تلك الحقبة.

من الواضح أن المكان كان حرماً، مثل لاسكو وغيرها من المغاور المرسومة. وكانت المغاور السكنية دائماً أقرب الى الخارج، لا في نهاية نفق ضيق. ولم يُعثر في هذه المغارة على أدوات أو حراب أو عظام، مما يعني أن "أجدادنا" ربما كانوا يأتون اليها لأداء طقوس فحسب. وقال كلوت: "ربما كانت الأيدي لغة إشارة."

إن لاكتشاف هنري كوسكر أهمية مزدوجة. "فهو أثبت وجود فنانين من العصر الحجري القديم في جنوب شرق فرنسا. ويقول كورتان: "كما أصبح لدينا دليل أثري جديد سيوسّع معلوماتنا حول تاريخ تلك الحقبة."

وتدفّقت الأسئلة من أنحاء العالم طالبة مزيداً من المعلومات.

ولكن على العلماء انتظار الاجابات لاحقاً، لأن المغارة أُقفلت بانتظار الرحلة الاستكشافية المقبلة التي تقرر أجراؤها سنة ١٩٩٢.

في الرابع والعشرين من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩١ وقف هنري كوسكر قرب نافذة في منزله شاعراً بالفخر والاعتزاز لأنه كشف النقاب عن كنز أثري ذي أهمية عالمية. كان يحمل قنينة لرش الغبار الفضي لزينة العيد، ويتساءل كيف تمكن الأقدمون من رسم تلك الأيدي في المغارة التي باتت تحمل اسمه. وضع يده على زجاج نافذة، وثنى بعض أصابعه مقلّداً الرسوم الغريبة المبتورة الاصابع التي رآها في المغارة. لكن النتيجة لم تُرضه. فكرر تجربته واضعاً باطن كفه على الزجاج تارة وظاهرها تارة أخرى. ثم انتقل الى نافذة ثانية. ومع انتهاء يومه كان "زيَّن" جميع نوافذ المنزل.

فجأة تذكّر اسم المركب الذي أقلّه الى ذلك المكان للمرة الاولى: كرومانيون. كان هذا اسمه عندما ابتاعه قبل عقد مضى.

فهل كان فألا حسناً؟ مَن يدري؟

باتريس بورنا ■

لماذا نرفع يُمننا لدى أداء قسم؟ وهل صحيح أن العُسر يموتون قبل الاوان؟

نحن أشرار وحمقى. كان اليابانيون في الماضي يتحاشوننا. الكتب المقدسة صنفت غير النافعين وغير المرغوب فيهم في الجهة اليسرى. نحن فاسدون: ميكالانجيلو وليوناردو دافينشي ونابوليون ويوليوس قيصر ومارلين مونرو ونورمان شوارتزكوف وجورج بوش وبيل كلينتون وروس بيرو وأنا. كلنا أشرار، لأننا، ببساطة، نستخدم اليد اليسرى.

يستخدم واحد من كل عشرة آدميين تقريباً يده اليسرى، لكن هذه النسبة هي أقل فعلياً اذا احتُسب عدد الذين "تحوّلوا" الى استخدام اليمنى.

و"تحوّلوا" تعبير ملطّف طبعاً للذين تعرضوا للمهانة والسخرية. يعترف بن فرنكلين الأعسر العتيق: "لقد تعرضتُ للضرب في أكثر من مناسبة لكوني أخرق تعوزني الرشاقة."

كان الأهلون والأساتذة في ماضي الايام يربطون يدنا اليسرى خلف ظهرنا، أما الآن فيكتفي اليُمن بملء مجاري حياتنا بعوائق مقلوبة، توقّتها ساعات تدور من اليمين الى اليسار. نفيق في الصباح لنصارع ثياباً تزرَّر خطأ، ونجازف بحرق أجسامنا بالماء الساخن ونحن نستخدم حنفيات تعمل في اتجاه عقارب الساعة. إننا نعيش في عالم صُمِّم كل شيء فيه تقريباً للذين يستخدمون أيديهم اليمنى، من فتاحات علب وبرادات ومقالٍ وسوى ذلك.

هل تظنون أن تشارلي شابلن كان راغباً في أن يكون مهرجاً سينمائياً؟ كان



العسر شواذ؟

CONDENSED FROM BOSTON GLOBE MAGAZINE (FEBRUARY 23, '92), © 1992 BY GLOBE NEWSPAPER CO., BOSTON, MASS.
ILLUSTRATION: S.B. WHITEHEAD

عازف كمان واعداً، لكن أحداً لم يسمح له بالانضمام الى فرقة موسيقية لأنه كان سيخز جاره في ذقنه.

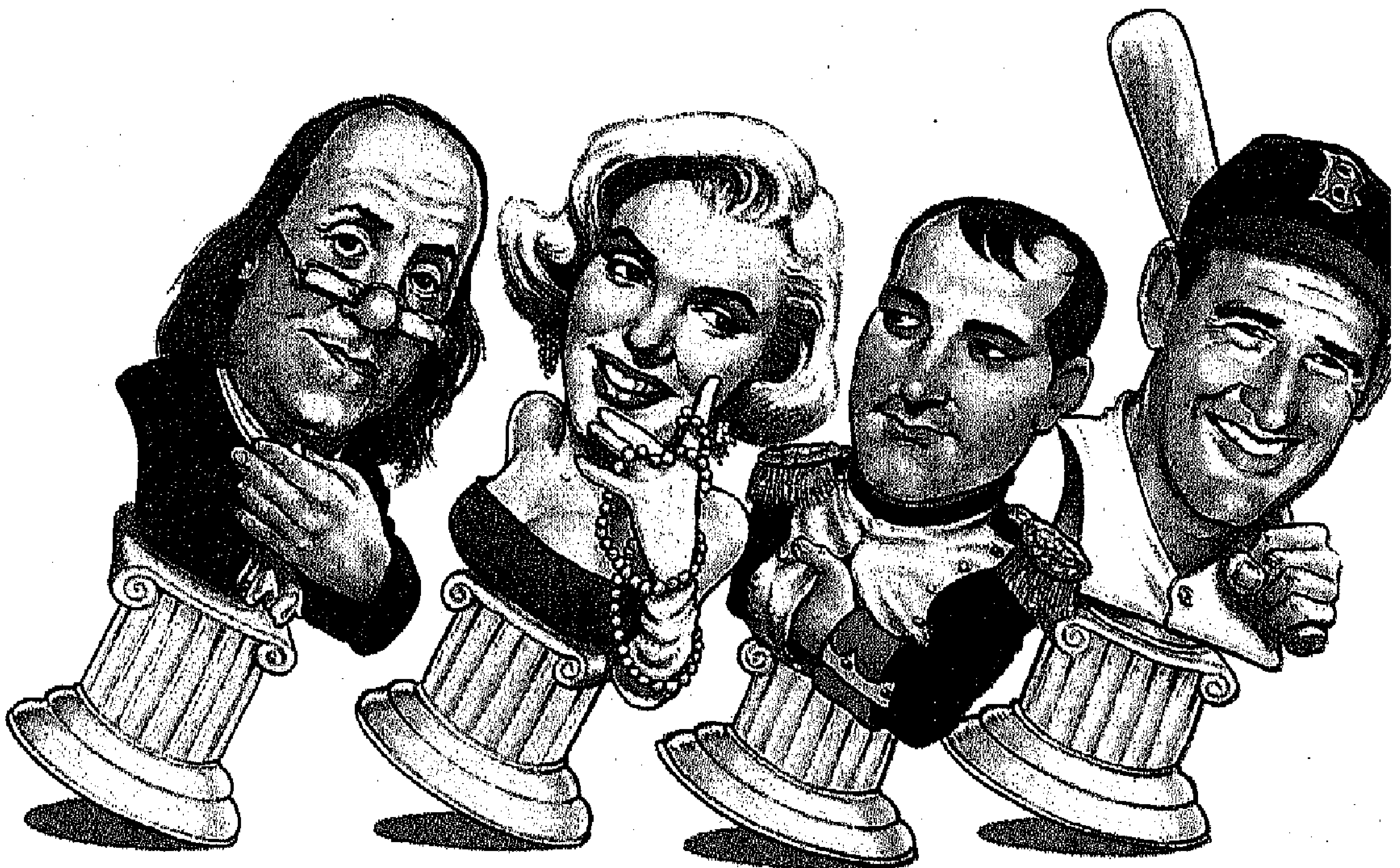
لكن العسر نعمة في كرة المضرب مثلا.

عام ١٩٩١ كتب عالمان الى مجلة "نيو انغلند الطبية" رسالة ادعيا فيها أن اليمن يعيشون تسع سنوات أطول من العُسر. ويظن كثير من زملائهما أنهما على خطأ. أما أنا فأظن أن هذين العالمين هما على أبواب اكتشاف مهم.

ان قيادة سيارة غير أوتوماتيكية، حيث ناقل السرعة يدوي، هي بالنسبة الى الاعسر أشبه بانتظار حكم بالاعدام. وكل أداة منزلية قد تؤذي مستخدمها الاعسر، من سكاكين فتح المحار الى المثاقب الكهربائية، فهي مصمَّمة لليُمن من الناس. فاذا كان العسر يموتون قبل أوانهم بتسع سنوات، فلأنهم ينجرون أجسادهم بالمناشير الآلية.

وليست اللغات أكثر رأفة بنا. ففي العربية "الاعسر" هو الشديد والمشؤوم. وفي الفرنسية، الكلمة هي «gauche» وتعني البشع الفظّ الحييّ. وفي الالمانية، الكلمة هي «link» أي الأخرق الذي تعوزه الرشاقة والبراعة. وفي الاسبانية، كلمة «izquierdo» لا تعني اليسار فقط بل أيضاً الملتوي غير المستقيم، والفعل منها يعني فقدان البصيرة والقدرة على الحكم على الاشياء. واذا عملت «nalyevo» (الى اليسار) في موسكو فأنت من المتعاملين في السوق السوداء. أما في روما، فعبارة «zona sinistrata» تعني منطقة منكوبة.

في الولايات المتحدة أنشأ رجل أعسر



من توبيكا في كانساس "جمعية العُسر العالمية." وترعى هذه الجمعية "يوم العسر العالمي" (في ١٣ أغسطس/آب) وتصدر دليلاً يعرض ١٣٠ سلعة تعمل في الاتجاه "الصحيح"، من مقصات الى نازعات سدادات. كما تناضل الجمعية من أجل حقوق المضطهدين اتجاهاً.

إننا في حاجة الى أشخاص كهؤلاء لشرح موقفنا، اذ تكثر في مجتمعاتنا أشباه حقائق عسراء. فالقلب في يسار الجسم. والعرب يكتبون من اليمين الى اليسار. والكشافة، هؤلاء الطيبون المخلصون النظيفون المحترمون الشجعان، يصافحون باليد اليسرى. وهناك باريس طبعاً، حيث يعيش كل الاشخاص الجديرين بأن نعرفهم على الضفة اليسرى من نهر السين.

نحن العسر في حاجة الى تحدي بعض المعتقدات البشرية الأساسية. فلماذا لا يجوز أن تعرف اليد اليسرى ما تفعله اليد اليمنى؟ ولماذا نرفع يُمنانا لدى أداء قسم؟

هناك بلدة واحدة على الأقل حيث يمكننا أن نحس أننا بين أهلنا: لِفْت هاند* (اليد اليسرى) في فيرجينيا الغربية. فهناك متسع لمزيد من الناس في لفت هاند، كما قيل لي، ويمكنهم الافادة من قادمين جدد. ويبلغ عدد سكان البلدة نحو ٦٠٠، وهم يدّعون أن الازمة الاقتصادية أهلكت بعض أبناء البلدة المهاجرين. لكننا نعرف الحقيقة المرة: إنها السكاكين الكهربائية اليمينية...

جون باورز

(*) Left Hand



سر السرعة

اعتدنا تسمية اكاكبو، وهو متدرب نيجيري في الاكاديمية العسكرية الهندية، باسم "حصان السباق" تحببا لانه كان يسبق كل الطلاب الآخرين بسهولة.

ومرة كنت امتدح من قدرته على الصمود بعد يوم سباق منهك، فسألته ما الذي يجعله سريعاً الى هذا الحد، فاجابني: "اسمع يا صديقي، أن الجري متعب جدا ولذلك احاول ان انتهي منه باسرع ما استطيع."

ر.ك.

آلة على القياس

كنت ابحث وزوجي عن جهاز للرد على المكالمات الهاتفية، ورحنا نعرض الاصناف الموجودة وحرنا في الامر، هل نبتاع آلة بشريط تسجيل واحد او واحدة بشريطين، وحاول الموظف مساعدتنا فسألنا: "كم اتصالا تتلقيان اثناء غيابكما؟"

د.د.

تأملات معاصرة

دفتر الثلج

■ كل شيء يترك آثاراً في الثلج. أما في الايّام الاخرى من السنة فتبقى خطرات الحيوانات البريّة ورَوْحاتها أموراً طيّ الكتمان، تكاد لا تُلحظ. ولكن ما ان تكتسي الأرض ثلجاً حتى يدوّن الرداء الأبيض كل وقع قدم وكل جرّة جناح وكل خبطة ذيل وكل فارق في التصرّف وكل تفاعل وربما كل فكرة.

ت.ف.

حدود الصراحة

■ لا تخطئوا فتعتبروا الصداقة إجازة لقول الحقيقة، لان قول الحقيقة اعتباطاً قد يسبّب ألماً أكثر مما تفعل الاكاذيب. كثيراً ما تؤذي الصراحة وتجرح الآخرين. وما دمتم صريحين مع أنفسكم، فلا ضير في أن تخفوا بعض الامور عن أصدقائكم.

ديفيد براون

لا تيأسوا!

■ نَمُوْتُ مؤمناً بالقيم وبأننا نقصر غالباً عن تحقيقها. لنأخذ الرياضة مثلاً. فالنجوم يخطئون سبعين في المئة من ضرباتهم، لكن ذلك لا يدفع أياً منهم الى اليأس.

ز.م.

الكفاح في الحياة

■ علّمتني الحياة ان اية قضية لا بدّ ان يؤتي الكفاح من اجلها ثماره اذا امتلك المرء دواعي جيّدة لهذا الكفاح. خبرتُ هذه الحقيقة اكثر من مرّة. قد يعترض البعض على تفكيري هذا قائلا انني افرط في التفاؤل. المتشائم هو شخص دائماً على حق، الا انّه لا يجد في ذلك متعة، اما المتفائل فيعتبر ان المستقبل هو امر غير مؤكد. ومن واجب المرء ان يكون متفائلا، لأننا اذا اعتبرنا ان المستقبل امر غير مؤكد، فما علينا الا ان نقوم بشيء ما حيال ذلك.

ادوارد. تلر

الصداقة

■ أصدقائي الذين لم أرهم منذ سنين ما زالوا معي، وإن لم نعد نتلاقى أسبوعياً كما كنا نفعل. والاتصالات والرسائل ليست "تمريرات" ظرفية في انتظار الزيارة المقبلة، بل هي الصداقة عينها أحياناً.

كاثرين بلاك

السهل والصعب

■ لو أتى كل شيء كما أشتهي فلن أختبر جديداً أبداً، وستكون حياتي تكراراً مستديماً لنجاح مبتذل.

هيو براثر

حسد ايجابي

■ احسد الأغراض التي لا تحمل سعراً مطبوعاً عليها. احسد من يستطيع ان يقفز من موقعه فيتشقلب في الهواء. احسد الذين حاربوا واستمروا احياء. احسد الذين يتقنون لغات اجنبية. احسد الممثلين ذوي القدرة على تحريك الجمهور وتسليته حتى يتمنى الا ينتهي الاداء. احسد الذين يسافرون حاملين حقيبة واحدة. احسد الرجال الاصحاء. وفوق كل ذلك، احسد البشر الذين يعون بحق ان الحياة صفقة هشة بين فريقين، يستطيع احدهما ان يلغيها ساعة يشاء، ويعيشون وفقاً لهذا الأساس.

جوزف ابستاين

الحظ والاجتهاد

■ علمتني الخبرة أن ما ينقصني قد يتسنى لي اذا ما سعيت اليه وادخرت من أجله وعملت، لا اذا مكثت أنتظره. للحظ دوره من دون شك، لكنني اكتشفت انني كلما عملت بجد صادفت حظاً أكبر. والى ذلك، فالقسم الأكبر من السعادة يكمن في السعي.
كان عمّي يردد دائماً: "ليس السكّر هو الذي يحلّي الشاي، بل تحريكه."

سام ليفنسون، كاتب امريكي

صانعو التاريخ

■ يعتقد القادة العاديون أن الحكم يعني الاجتماعات والمحاضرات والاتصالات الهاتفيّة والقوانين والقرارات. أما القادة التاريخيون فيدركون أن الحكم يكمن في توجّه أسمى الى البشر. فالافكار هي عدّة السياسيين، وهي أعظم القوى المحرّكة في التاريخ.

كين آدلمان، كاتب وصحافي

الممثل الجيد

■ يصبح التمثيل سيئاً حين ينجرف الممثل في عواطفه وهو يحاول إبكاء الجمهور. فالهدف هو استدرار دموع الجمهور، لا دموع الممثل الذي يجب أن تكون عاطفته داخلية لا خارجية. فاذا ما وقف على الخشبة ينشج وينتحب، فسوف تنصبّ كل عواطفه على قميصه ولن تتجاوز حدود الخشبة الى الجمهور. إن التحكم بعواطف الجمهور يأتي في الواقع من قدرة الممثل على التحكم بعواطفه. والممثل الجيّد هو الذي يبقي دموعه في ماقيه.

ركس هاريسون، ممثل بريطاني

لكل أسى عزاء

■ أنجع دواء للخائفين والتعساء والمستوحدين هو الخروج الى حيث يمكنهم أن يكونوا بمفردهم مع السماء والطبيعة والله. حينئذ فقط يشعر المرء بأن كل شيء هو كما يجب أن يكون، وأن الله يريد البشر سعداء في بساطة جمال الطبيعة. وما دامت الحال هذه، وهي ستبقى من دون شك، أعرف أن لكل أسى عزاء أياً تكن الظروف. وبي ايمان راسخ بأن الطبيعة تحمل السلوان لحلّ كل المشاكل.

أنا فرانك

السلطة

■ ليست السلطة هي التي تفسد، بل الخوف. فالخوف من فقدان السلطة يفسد القابضين على زمامها، والخوف من سوطها المسلّط يفسد الخاضعين لها.

أونغ سان سو كيي، زعيمة المعارضة في ميانمار (بورما) وحائزة جائزة نوبل للسلام عام ١٩٩١

حذار الامراض الجنسية

يحتل الايدز الصدارة الاعلامية بين الامراض المنقولة جنسياً، لكن ثمة أمراضاً أخرى تتفشى من دون وازع

تزوجت زميلها في الجامعة وعاشا معاً مدى ٢٢ سنة الى أن تطلقا عام ١٩٩١، وكانت في الخامسة والاربعين من عمرها. وفي ربيع ١٩٩٢ لاحظت هذه العالمة النفسانية ورماً غريباً على أعضائها التناسلية شخصه طبيبها نوعاً من الثؤلول. وهي تقول: "كنت أظن أنني آخر من قد يصاب بمرض منقول جنسياً. لكن ذلك قد يحدث لأي انسان. أحسست أن حياتي انهارت."

ما زال مرض الايدز[١] يحتل الصدارة بين الامراض المنقولة جنسياً، في الاهتمام الاعلامي، باعتباره، الى الآن، قاتلا أكيداً. لكن هناك أمراضاً موهنة أخرى تنتقل بممارسة الجنس وهي أكثر شيوعاً من الايدز وإن لم تكن قاتلة الا نادراً، ومنها الكونديلوما والسفلس والسيلان والحلاء والكلاميديا. ولما كان بعض الامراض المنقولة جنسياً، مثل الحلاء وثآليل الاعضاء التناسلية، يعاود الظهور بعد سنوات من الاصابة الاولية، فيبقى المرء عرضة للاصابة ما لم يلتزم هو وشريكه "الاخلاص" الجنسي مدى الحياة.

هنا نصائح تشرح طرق الوقاية الواجب اتباعها:

---

(١) Acquired immunodeficiency syndrome «AIDS» اي داء قصور المناعة المكتسب.

ثآليل الاعضاء التناسلية.[٢]

تُرى، كيف أُصيبت العالمة النفسانية بهذا المرض؟ قد لا يتسنى لها أبداً معرفة السبب. إنما بعد بضعة أشهر من الانفصال عادت الى زوجها في محاولة لاصلاح ذات البين. وهي تقول: "أعتقد أن إحداهن نقلت اليه العدوى، فنقلها إليّ بدوره."

تتفشّى ثآليل الاعضاء التناسلية بعد شهرين أو ثلاثة أشهر من التقاط الفيروس الذي يسببها. لكنها قد تبقى سنوات هامدة لا تلفت الانتباه. وربما تنشأ الثآليل لدى النساء داخل المهبل والمستقيم وحولهما، ويرافقها أحيانا احساس حارق. أما لدى الرجال فتنفط الثآليل عادة على العضو التناسلي، لكنها قد تنشأ داخله أو داخل الشرج وحوله.

ويبدو أن الشباب البالغين معرضون على نحو خاص لخطر الاصابة بالثآليل التناسلية. وقد أظهرت دراسة أجريت على ٤٦٧ امرأة في جامعة كاليفورنيا في بركلي أن ٤٦ في المئة منهن – وتلك نسبة مدهشة – مصابات بفيروس الثآليل الذي رُبط أيضا بسرطان عنق الرحم.

أما معالجة الثآليل التناسلية فرهن بحدة الاصابة ومكانها. وفي الامكان ازالة بعض الثآليل بالحمض (الاسيد) فيما يلزم تجميد ثآليل أخرى خلال جراحة تبريدية.[٣] وغالبا ما تدعو الحاجة الى تكرار العلاج. كما قد يلزم استخدام أشعة الليزر في الحالات المستعصية.

وتفادياً لخطر الاصابة بسرطان عنق الرحم، ينبغي أن تلجأ النساء اللواتي أصبن بالثآليل الى اجراء فحوص "پاپ" سنوياً. فسرطان عنق الرحم قابل للشفاء حين يشخص في وقت مبكر.

الحلاء (العقبولة).[٤]

ذات يوم لاحظ مدير شاب عدداً من البثور المؤلمة على عضوه التناسلي فتبادر الى ذهنه أنه قد يكون مصاباً بأحد الامراض المنقولة جنسياً. ومع أن عروسته أخبرته أن بثوراً كانت تظهر من حين الى آخر على أعضائها التناسلية، الا أنها أصرت على أن البثور لا تدعو الى القلق. لكن الطبيب أكد للشاب أنه مصاب بالحلاء.

وإذ ساور القلق الشاب، حضّ عروسته على اجراء فحص، لكنها رفضت. فطلقها لاقتناعه بأنها خدعته.

يتفشى الحلاء من طريق ملامسة الجلد للجلد، وتنفط بثور حمراء مؤلمة على الاعضاء التناسلية أو المستقيم أو الفخذين أو الشفتين. وتقدر "مراكز مراقبة الامراض" في أطلنطا أن نحو ٣١ مليوناً من الامريكيين مصابون بالحلاء.

تمرّ عادة فترة تراوح بين يومين وعشرين يوماً بين التقاط الفيروس وتفشيه. الا أن من الممكن حمل الفيروس سنوات قبل أن يتطور الى بثور. وقد لا تشعر النساء بأي ألم لدى ظهور المرض

---

(٢) Genital warts
(٣) Cryosurgery
(٤) Herpes

في عنق الرحم، ولا يخطر ببالهن أنهن مصابات.

تبقى بثور الحلاء عادة فترة تراوح بين سبعة أيام وعشرة، ثم تختفي تلقائياً. (اذا كانت البثرة الظاهرة على الاعضاء التناسلية غير مؤلمة فقد يكون مردها الى الحلاء، لكن الارجح أن سببها هو السفلس). وقد يسبب ظهور المرض في مرحلته الاولى حمى وانتفاخاً في الغدد وشعوراً عاماً بالاعتلال.

ولا يظهر المرض لدى بعض الناس الا مرة واحدة بسبب قدرة جهاز مناعتهم على احتواء الفيروس. أما أولئك الذين يعاودهم فغالباً ما يكونون في حال إجهاد أو أرهاق أو اعتلال. وقد تنفع عندذاك المعالجة البيتية بحبوب الاسبيرين وكمادات الثلج والمراهم المخدرة. ويعود الى الطبيب وحده وصف عقار "أسيكلوڤير" الذي يساعد في تخفيف الالم وتقصير فترة ظهور المرض.

ومع أن الحلاء لا يشكل خطراً على حياة البالغين، فإن الفيروس قد يقتل المواليد أو يسبب تلفاً في أدمغتهم. لذلك ينبغي على الحوامل ابلاغ طبيبهن المولِّد إن كنّ مصابات. أما النساء اللواتي يلتقطن الحلاء خلال الاشهر الثلاثة الاخيرة من الحمل فيرجح أن ينقلن العدوى الى أجنّتهن.

الكلاميديا (الحراشف البرعمية).[٥]

استشارت امرأة في الرابعة والاربعين من عمرها طبيباً اختصاصياً بأمور الخصب والانجاب، فوجد أن قناتي فالوب[٦] لديها منسدتين بندوب ولا أمل لها في انجاب أولاد.

سألها الطبيب: "هل أُصبت سابقاً بمرض الالتهاب الحوضي؟"[٧]

فنكأ هذا السؤال جروحاً قديمة.

فقبل عشر سنين أصيبت الزوجة بالتهاب حوضي، وهو داء فتاك يسببه مرض منقول جنسياً لم تجر معالجته. وكان الزوجان أجريا فحصاً للامراض الجنسية، فجاءت النتيجة سلبية. الا أنهما لم يجريا فحصاً لمرض الكلاميديا. واذ شعر الزوج بأنه هو المسؤول، اعترف بأنه أقام علاقة مع امرأة أخرى.

حاول الزوجان تناسي الأمر... إلى ان تيقّنا ان المرض الذي ألمّ بالزوجة جعلها عاقراً. وهي تقول: "كان وقع الخبر صعباً جداً على كلينا." وأخيراً، تبنّيا طفلا. وهما اليوم يسعيان الى تبني آخر.

الكلاميديا عدوى ناتجة من جرثومة (بكتيريا) تنتقل من طريق الجنس، ولا يعرف عنها الا قليلون. واذ كان من الصعب اكتشافها قبلا، فقد مضت من دون علاج، خصوصاً لدى النساء اللواتي كنّ لا يظهرن أي أعراض الا متى أصبن بالتهاب حوضي.

تظهر أعراض الكلاميديا عادة خلال فترة تراوح بين سبعة أيام و٢١ يوماً من التعرض للعدوى. وهي تظهر لدى الرجال

(٥) Chlamydia

(٦) هما القناتان اللتان تنتقل البييضات عبرهما من المبيض الى الرحم.

(٧) Pelvic inflammatory disease

على شكل أوجاع ترافق التبوّل، اضافة الى تصريف سائل نقي أو ضارب الى البياض قد يزول تدريجاً. أما التصريف المهبلي، وهو الاكثر شيوعا بين النساء، فقد يُحدث ألماً وقت التبوُّل ونزفاً مهبليا. ولكن هناك ٧٥ في المئة من النساء لا تظهر لديهن أي أعراض ما لم تتطور الاصابة الى التهاب حوضي.

السيلان (التعقيبة).٨

أصيبت امرأة شابة في السادسة عشرة من عمرها بتورّم في إصبعها الوسطى وركبتها رافقه ألم وحمى شديدة. وفي غرفة الطوارىء، علمت أنها مصابة بداء السيلان. وكان الداء أصاب عنق رحمها وحنجرتها من دون ظهور أي أعراض خارجية، ثم امتدّ الى مفاصلها مسببا لها التهابا حادا. فأُدخلت المستشفى حيث أُخضعت لعلاج فوري.

بعد شهر من الولادة، أصيبت امرأة أخرى في الثالثة والعشرين من عمرها بألم حاد في بطنها وارتفعت حرارتها الى ٤٠ درجة مئوية. واذ تبادر لها أن للأعراض صلة بالحمل قصدت طبيبها، فشخص هذا أنها مصابة بالتهاب حوضي سببه السيلان. وكان زوجها، وهو طبيب، نقل اليها العدوى بعد وقت قصير من ولادة طفلها.

ينجم السيلان عن جرثومة (بكتيريا) تُنقل بواسطة الجنس. ويبلغ خطر اصابة المرأة بهذا المرض، من جراء ممارسة الجنس مرة واحدة من دون وقاية مع رجل مصاب، نسبة تراوح بين ٥٠ و٩٠ في المئة، فيما لا يتجاوز خطر اصابة الرجل نسبة ٢٠ في المئة. ويصيب السيلان الاعضاء التناسلية والحنجرة والمعي المستقيم. أما الاعراض لدى الرجال فتظهر بشكل قيح ينزّ من العضو أو احساس حارق وألم يرافق التبوّل، وذلك في غضون أسبوع من التقاط الجرثومة. وفي بعض الحالات يستغرق ظهور المرض ثلاثة أسابيع. أما اللافت فهو أن نحو ٢٠ في المئة من الرجال و٨٠ في المئة من النساء لا تظهر لديهم أي أعراض. ويتطور المرض لدى كثير من النساء الى التهاب حوضي.

السفلس (الزهري).٩

تزوج عامل بناء في الخامسة والخمسين من العمر امرأة في الثامنة والثلاثين تعمل في مركز لرعاية الأولاد. ولم تلبث فحوص الدم أن بينت اصابتهما بالسفلس.

ذُهل الزوجان لهذا الخبر، اذ إنهما لم يلحظا أي بثور غير مؤلمة كالتي يسببها مرض السفلس، كما لم تكن لديهما أي فكرة عن سبب اصابتهما. فداء السفلس مرض مربك يثير المتاعب. ولكن في حال هذين الزوجين لم يكن من داع لأن يعلم أحد بالأمر. وهما لم يلبثا أن شفيا بالعلاج.

قد يؤدي السفلس الى مضاعفات

---

(٨) Gonorrhea

(٩) Syphilis

خطيرة اذا أُهملت معالجته. أما سببه فمتعضٍّ مجهري يشبه البكتيريا[١٠] وينتقل غالباً من طريق الجنس. ويبلغ خطر التقاط المرض نسبة ٣٠ في المئة لدى الرجال والنساء على أثر جماع واحد مع شريك مصاب.

بعد فترة تراوح بين ١٠ أيام وثلاثة أشهر من الاصابة بالسفلس، تظهر بثرة خالية من الالم. وغالباً ما تتكون القروح داخلياً لدى النساء مما يجعل اكتشافها أمراً صعباً.

وبعد فترة تراوح بين أسبوع وخمسة أسابيع من ظهور السفلس، تزول البثرة تلقائياً من دون علاج. ولكن خلال شهرين قد تتنامى بثور، أو طفح، على باطن القدمين أو راحتي اليدين. وقد تنشأ رقع من المخاط في الفم تحوي المتعضيات المجهرية، فينتقل المرض من طريق التقبيل.

من ثمَّ يدخل السفلس غير المعالَج مرحلة خالية من الاعراض قد تدوم سنوات. وفي نهاية المطاف، قد تنشأ مضاعفات مدمّرة تشمل العمى والصمم والجنون وتلف القلب وغيره من الاعضاء الرئيسية. ولحسن الحظ، ثمة حالات قليلة تتطور الى هذا الحد. والبنسيلين هو الدواء المفضّل للمعالجة.

قد تضرب الامراض المنقولة جنسيا أي شخص يمارس الجنس مع أكثر من شريك. فاذا لم تكونوا على علاقة طويلة المدى مع شريك واحد، فعليكم استخدام الاغلفة المطاطية الواقية (الكوندوم) مع أنها لا توفر وقاية تامة. واذا كنتم مرتابين في أنكم مصابون بأحد الامراض المنقولة جنسياً، استشيروا طبيباً اختصاصياً.

واذا كنتم آباء لاولاد مراهقين، فإن للالمام بالامراض المنقولة جنسيا أهمية مضاعفة. واذا وجدتم صعوبة في بحث هذا الموضوع الحساس مع أولادكم، فأعطوهم نسخة من هذا المقال.

مايكل كاسلمان ■

(١٠) Bacteria — like microorganism

السعادة

تأتينا السعادة نثرات خاطفة. انت لا تستطيع القول: "أنا سعيد" مثلما تقول: "انا أشقر."

بريجيت باردو، ممثلة فرنسية

أين لنا؟

حتى ندرك تماماً اين تنتهي ملكيتنا وتبدأ ملكيّة جارنا، ما علينا الا ان نراقبه اين ينتهي من جزّ الاعشاب.

س.ا.

خجل الطفولة لا يمحى!

الخجل آفة قد ترافق أولادكم مدى الحياة إنْ لم تسارعوا الى مساعدتهم

ما زالت ايلين ستاينر ترتجف عندما تذكر الخجل الذي عانته في طفولتها. وفي سن المراهقة، كان لسانها ينعقد حياءً كلما وجدت نفسها بين فتيان. ثم ما لبثت أن تزوجت صديقها الأول والوحيد فور تخرجها في المدرسة الثانوية لكي "لا أضطر الى الخروج ومواجهة العالم." لكنهما سرعان ما تطلقا. وبعد سنوات تزوجت ستاينر ثانية وأخذت تخرج تدريجاً من شرنقتها، وبمساعدة زوجها الجديد تمكنت من أن تصبح اختصاصية بالمعالجة النفسانية. لكنها ما زالت تشعر بالأثر الذي تركه الخجل في نفسها.

بحسب العالم النفساني فيليب زيمباردو، وهو بحاثة رائد في هذا الحقل ومؤلف كتاب "الخجل: ما هو، وما العمل حياله"[1]، فان في وسع كثير من البالغين الذين يصفون أنفسهم بالخجولين أن يتتبعوا خجلهم الى مرحلة الطفولة. واذا لم يساعد الأهل أطفالهم، فإن ميراث الخجل سيرافقهم مدى الحياة.

تبيِّن أبحاث زيمباردو أن الاولاد الخجولين غالباً ما ينالون علامات مدرسية متدنية، كما يغفلون النشاطات اللامنهجية والتفاعل الطبيعي اللازم للنمو. ويمكن أن

(١) Shyness: What It Is, What to Do About It



تتحول سنوات مراهقتهم فترة من العزلة الإجتماعية. كما أن عدداً كبيراً من الأشخاص الخجولين لا يتزوجون، وإن فعلوا ففي سن متقدمة. ولكن، على غرار ايلين ستاينر، هناك من يتزوجون باكراً.

وكثيراً ما يجني الأشخاص الخجولين مالاً أقل من سواهم، كما يشغلون وظائف ذات مسؤولية أدنى. وبسبب استصعابهم التعامل مع الناس، يصطدم ذوو المهارات منهم بمعوقات مهنية. ويؤكد جوناثان تشيك، وهو أستاذ في علم النفس ومؤلف كتاب "التغلب على الخجل"[٢]، أن بعض الأشخاص الخجولين ينزعون إلى ادمان الكحول أو المخدرات كأسلوب دفاعي.

وفي بعض الحالات، يكون الأشخاص الخجولون منطوين على أنفسهم الى حد قد يستدعي علاجاً نفسانياً. ولكن بالنسبة الى غالبيتهم، يكفي أن يهتم بهم ذووهم لكي يتخطوا أوقاتهم العصيبة.

وهنا ما ينصح به الخبراء:

انظروا واصغوا.

فيما كان زيمباردو يزور أحد الصفوف في مدرسة تكميلية، قيل له إن "ثمة ولداً أو ولدين" من الخجولين. لكن العالم النفساني وجد عدداً يفوق ذلك كثيراً.

تؤكد الدراسات أن ولدين من كل خمسة يعانيان الخجل، وتختلف هذه النسبة باختلاف العمر. وتشير أبحاث زيمباردو الى أن نصف الصبيان و٦٠ في المئة من البنات في المرحلة الدراسية المتوسطة هم خجولون.

وكثيراً ما يجهل الأهل والمعلمون هذه الحقيقة. فهؤلاء الأولاد يُقنِّعون خجلهم بالابتعاد عن المناقشات داخل الصف وبالبقاء على هامش الألعاب في الملعب، كما أنهم لا يضحكون قبل أن يضحك الجميع.

وفي بعض الأحيان يظهر الولد الخجول بمظهر مخالف لحقيقته تماماً. والواقع أن عدداً مدهشاً من الاولاد الوقحين، وكثيراً من البالغين الصخّابين والعدوانيين، هم في الحقيقة خجولون كما يؤكد زيمباردو.

درج أحد الاطفال في دار للحضانة على الثرثرة من دون توقف. وكان كلما كف عن الكلام يعمد الى رفس زملائه أو لكمهم. ولم يدرك أهله أنه كان في الواقع خجولاً، وأن عدوانيته لم تكن سوى تغطية لهذا الخجل، إلا بعدما أصبح في سن المراهقة.

لا تصنِّفوا.

إن قولكم "ابني خجول" أو "هذا هو خجول العائلة" يمكن أن يحقق نتيجة غير مرجوة، إذ يحتمل أن يعامله معارفكم على نحو مختلف فيعززوا مخاوفه وقناعته بأنه ليس على ما يرام.

تذكر إحدى تلميذات تشيك قول أمها عنها، وهي بعد في السابعة من العمر، إنها بدينة الى حد أنها لا تستطيع ارتداء أزياء عصرية. وهي ما زالت خجلة من مظهرها مع أنها نحفت منذ زمن بعيد.

(٢) Conquering Shyness

كاد مرلين أولسن، وهو مذيع ولاعب كرة قدم محترف، أن يتخلى عن ممارسة كرة القدم في المدرسة الثانوية لأن زملاءه في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة كانوا ينعتونه بالـ"أخرق." حتى الأولاد الأصغر سناً كانوا يسخرون منه. وكان من الخجل بحيث لم يردّ على أي منهم.

الح أهله عليه بأن يتصدى لتلك النعوت ويدافع عن نفسه. وفي المرحلة الدراسية المتوسطة، بعدما طفح كيله، طارد أحد مضايقيه وأدركه مما أدهش كليهما. ويعترف أولسن قائلاً: "لم أعد أعرف من ثم ماذا يجب عليّ أن أفعل، لذا جلست عليه." ومنذ ذلك الحين لم يعد زملاؤه يضايقونه كثيراً. وقد خففت هذه الحادثة من حيائه.

كونوا متعاطفين لا منتقدين.

يسمع الولد الخجول تقريعا على نحو متواصل، من داخل رأسه إنْ لم يكن من مكان آخر. ويؤكد تشيك أن "الأشخاص الخجولين هم أسوأ النقاد لأنفسهم." وتقول عالمة النفس لين هندرسون إن الاولاد عندما يفشلون في لقاءاتهم الاجتماعية يقنعون أنفسهم بأنهم لم يكونوا على المستوى المطلوب.

وفروا لاطفالكم التشجيع قبل كل شيء. سألتْ والدة ابنتها البالغة من العمر تسع سنوات كيف يشعر المرء عندما يكون خجولاً. فأجابت الفتاة: "تشعرين كأن سحراً جمد أوصالك."

وعندما سألتها أمها كيف يمكنها أن تساعدها أجابت: "مهما يكن الأمر، أكدّي لي أنك واثقة بقدرتي على القيام به." وأضافت الفتاة أنها عندما تسمع تشجيعاً من شخص بالغ تشعر "كأن أميراً جاء ليبطل مفعول السحر، كما يحدث في القصص الخرافية."

كونوا عادلين.

أحياناً يكون أحد الاولاد مقداماً يسيطر على أحاديث العائلة ونشاطاتها، فيما ينزوي أخوه خجلاً. ولتصحيح هذا الخلل، ابتكرت احدى العائلات لعبة تمارس الى مائدة العشاء سمتها "الأخبار الطيبة." وتقضي هذه اللعبة بأن يسرد كل فرد من العائلة حدثاً جيداً حصل معه خلال النهار. ولا يسمح بالشكاوى من الآخرين. وهكذا يحظى كل ولد بفرصة للكلام فيما يصغي الآخرون ويعلّقون. وبهذه الطريقة يتسنى للطفل الخجول أصلاً المشاركة في الحديث.

عززوا "ذات" الطفل.

قد يكوِّن الاطفال الخجولون صورة سيئة عن ذواتهم ويحتاجون إلى مساعدة خاصة للتخلص من الشعور بالرفض. تحدثوا مع أولادكم بحماسة عن النواحي القوية لديهم.

قلقتْ إحدى السيدات على ابنتها الجميلة البالغة من العمر اثني عشر عاماً. وكانت الفتاة تتردد في مخالطة أترابها كما كان أصدقاؤها قليلين. مع ذلك كانت

عطوفة على الاولاد الاصغر سناً، اضافة الى كونها تلميذة ممتازة.

لاحظت الام قدرات ابنتها فدبرت لها أن تدرِّس ابن الجيران. ولم يمضِ وقت طويل حتى أخذت الفتاة تساعد صغاراً آخرين في دروسهم. فساهم نجاحها واحترام تلاميذها اياها في تعزيز كبريائها ودعم ثقتها بنفسها.

اطلبوا العون.

يظهر الخجل غالباً في نطاق المدرسة أولاً، لذا فهي المكان الأنسب لتصحيحه. ولكن قد ينشغل الاساتذة بـالأولاد المشاغبين الى حد أنهم يهملون مساعدة الطفل الذي يحاول البقاء في الظل. لذا عليكم أن تحضّوا المعلم على مساعدتكم في اخراج طفلكم من قوقعته. ولكن عوض تسليط الأضواء في الصف على خجل الطفل، اطلبوا من المعلم أن يسهِّل له المشاركة في المناقشات، وأطلعوه على اهتماماته الخاصة التي يمكن سؤاله عنها داخل الصف. وأخيراً اسألوا المعلم أن يولي اهتماماً خاصاً للأعمال المكتوبة حيث الخجل لا يشكل عقبة.

ما زال العالم النفساني طوم كوين يذكر معلمته التي أدركت، الى خجله، نقاط قوته. في البداية كانت تناديه عندما توقن أنه يعرف الاجابة ويستطيع التكلم أمام الصف براحة. ثم أخذت تشجعه تدريجاً على المخاطرة والاجابة بمزيد من العفوية. وهو يقول الآن: "أشكر الله اذ قيِّض لي معلمة مثل السيدة بروكمان."

أتيحوا لأطفالكم التفاعل في محيط مألوف.

فبدلاً من أن تقولوا للطفل: "اذهب والعب عند وسيم"، في وسعكم أن تدعوا زملاءه ليلعبوا معه في المنزل. كما يمكنكم أن تطلبوا منه الرد على الهاتف وتدوين الرسائل، مما يعطيه خبرة في التعامل مع الناس دونما حاجة الى مقابلتهم وجهاً لوجه.

اختاروا لأولادكم رفقاء أصغر منهم سناً لكي تتيحوا للطفل الخجول أن يغدو قائداً يحتذي به أصحابه.

وتقترح الاختصاصية بمعالجة الخجل لين هندرسون التفتيش عن "دجاجة أم" أي ولد آخر يكون عطوفاً ومسالماً يأخذ الطفل الخجول "تحت جناحه."

دربوا أطفالكم على الكلام.

يشتكي المراهق الخجول من أنه لا يدري ماذا ينبغي أن يقول. ساعدوا أولادكم على "كسر الجليد" بتدريبهم على ما ينبغي أن يقولوه في مناسبات اجتماعية مختلفة. اقترحوا عليهم مجموعة من الجمل تمكنهم من افتتاح الحديث، أو ألِّفوا لهم نصاً مكتوباً يتبعونه. ثم شجعوهم على التدرب أمام المرآة لمواجهة "الشخص الآخر" والنظر في عينيه.

ساعد زيمباردو بعض الطلاب على التخلص من خجلهم بأن أوكل اليهم الاتصال عشوائياً بعدد من الأشخاص واجراء استطلاع هاتفي. وهو يذكر:

"عندما أسندت اليهم دوراً يؤدونه لم يُظهروا أي خجل على الاطلاق."

ألحقوهم بنشاطات مختلفة.

الاندية وغيرها من المؤسسات الملائمة لرغبات الأولاد يمكن أن تخرجهم من خجلهم وتشكل رابطاً يجعل منهم أعضاء في مجموعة. تدارسوا موضوع اشتراك ولدكم في نشاطات رياضية أو فنية أو حرفية. ولكن مهما يكن النشاط الذي تختارونه لولدكم فتأكدوا من أنه يشارك فيه ولا يبقى مهمَلاً.

يذكر مدرب فريق كرة للناشئين ولداً خجولاً في الثامنة من العمر كان ضمن فريقه. كان الصبي أخرق، لكنه دأب كل مرة على لعب بضع جولات في ميمنة الحقل. وفي احدى الجولات النهائية، عندما كان الفريق متقدماً بفارق بسيط، رمى لاعب الفريق المنافس الكرة فجاءت عالية جداً وكادت تنهي المباراة. ويذكر المدرب: "تعثر رولف تحت الكرة ثم التقطها بأعجوبة. عندئذٍ قفز الجميع فوقه كما لو أنهم ربحوا بطولة البلاد للمحترفين. ومنذ ذلك الحين أصبح رولف واحداً من المجموعة."

تحلّوا بالصبر.

للتغلب على خجل أولادكم عليكم أن تتحلوا بالصبر كي تتفهموهم وتدعموهم، وكي لا تطلبوا منهم نتائج مذهلة. لقد نجح الملايين من البالغين في طرح الخجل عنهم. وبمساعدة الاهل المحبين، يمكن الأولاد الحائرين في فخاخ خجلهم أن يتحرروا ليغرفوا من معين الحياة.

إدوين كيستر جونيور
وسالي فالينتي كيستر ■



موظف مبتدىء

امتعض المدير حين ساله طالب الوظيفة معاشاً مرتفعاً فقال له: "لكنك تطلب اجراً كبيراً بالنسبة الى مبتدىء." فاجابه طالب الوظيفة: "طبعاً. فالعمل اصعب حين لا نعرف شيئاً عنه."

ا.ب.ا.

درس في المخيَّم

ذهبتُ الى محطة الاوتوبيس لاستقبال ابني العائد من مخيّم صيفي. وفي طريق العودة سألته عمّا تعلّمه في المخيّم فاجاب: "تعلّمت ان امّي طاهية ماهرة."

ج.ث.

[illegible] ان تعمل طويلا [illegible]
[illegible] واللياقة

اعتقدت بيكا كوفن انها تعرف كيف تخفف فخذيها. فهي ممرضة دأبت على مراقبة اكلها ومارست رياضة المشي بانتظام. ومع ذلك لم توفق في مرامها. وهي تتذكر: "لم احجم عن التلذذ من حين الى اخر بأكل قطعة من الشوكولاتة او حفنة من رقائق البطاطا معتقدة اني كنت اخفض بالرياضة مقدارا كافيا من الوحدات الحرارية (كالوري)".

ثم نبهتها احدى زميلاتها الى ان نسبة الكولسترول لديها مرتفعة جدا. فكان ذلك سببا اخر للسعي بجدية اكبر الى اكتساب النحافة. لذا راحت كوفن تمشي مسافات اطول وبدأت ممارسة تمارين رفع الاثقال ووضعت نصب عينيها تخفيف الدهن في طعامها.

وهي تقول: "في غضون ثلاثة اشهر هبط مستوى الكولسترول لدي من ٢٢٧ الى ١٧٨، ونقص وزني من ٥٨ كيلوغراما الى ٥٠، وضاق قياس ملابسي من ٤٠ الى ٣٨". وذلك ما اتاح لها النحافة التي توختها في فخذيها. وها قد مضت ثلاث سنوات وما زال وزنها ومستوى الكولسترول لديها منخفضين، وازدادت ثقتها بنفسها وطمأنينتها وطاقتها، وما زالت فخذاها على حالهما المنشودة من النحافة واللياقة.

ان الافخاذ المكتنزة هي احد التحديات الكبرى في محاولات إسقاط الوزن. وهي صفة متوارثة. يقول دوغلاس بالور الاختصاصي بالفيزيولوجيا الرياضية في جامعة فيرمونت: "من الصعب ازالة الدهن المختزن في القسم الادنى من الجسم، اي في الردفين والوركين والفخذين. فالدهن هناك

تمارين لتنحيف الفخذين

PHOTO: © CHRIS HARVEY / TSW

يدخل ويخرج من الخلايا الدهنية بالسهولة ذاتها كما في أجزاء أخرى من الجسم."

قد لا يكون اكتساب نحافة الفخذين أمراً سهلاً، لكن الوسيلة بسيطة. وينصح الخبراء باتباع خطة مثلثة الاتجاه:

١. ترَيَّضوا بذكاء.

يعتقد كثيرون من القلقين على أفخاذهم وأردافهم أنهم بتمرينهم هذه الأنحاء بقوة يستطيعون حل المشكلة. تقول الدكتورة ماري بولينغ شاتز التي تعلّم تقنيات التمرين العلاجي في ناشفيل: "تنجم عن هذا الاعتقاد أضرار لعدد كبير من الرجال والنساء."

فحين تخسرون من وزنكم تلحق الخسارة كل أنحاء الجسم. الا أن من الافضل انتقاء تمرين يشغّل الرجلين، فتمرين مجموعات كبيرة من العضلات، كالفخذين والردفين، يحرق عدداً اجمالياً أكبر من الوحدات الحرارية.

ان أفضل التمارين الحيهوائية (الايروبيك) التي تشغّل عضلات الفخذين والردفين هي المشي وركوب الدراجة (الهوائية أو الثابتة) والتزلج وتسلق السلالم.

يقول الدكتور توماس ريزو مدير مركز الطب الرياضي في عيادة مايو في روشستر بولاية مينيسوتا: "الهرولة والركض هما أيضاً مفيدان لحرق إجمالي للدهن، انما قد لا يكونان الخيار الافضل للاشخاص ذوي الافخاذ السمينة جداً. فقد يجد هؤلاء الركض صعباً وقد لا يرغبون فيه."

يقترح الدكتور ريزو برنامجاً ينطوي على المشي والركض: "تمارسون المشي أساساً، ومن حين الى آخر تمارسون الركض لمسافات قصيرة من ١٠٠ أو ٢٠٠ متر. وفيما تزدادون قوة يمكنكم الركض فترات أطول."

السباحة تمرين حيهوائي شائع قد لا يفيد أفخاذكم كثيراً. ويشرح الدكتور ريزو: "إن السباحة لا تتطلب من ارجلكم الا نشاطاً قليلاً. فاذا اصطفيتم بركة للتمرين، حاولوا الركض في الطرف الضحل من البركة أو في الطرف العميق مستعينين بسترة نجاة. فالمقاومة الطبيعية للماء ستشغّل أرجلكم من دون تعريضها للضرب المجهد بالأرض الذي يرهق العدّائين."

ولكن كم مرة يتعين عليكم ممارسة التمارين لكي تخففوا سمنة الفخذين؟

إن عشرين دقيقة من التمرين الحيهوائي مفيدة للياقة قلبية وعائية. انما لحرق مزيد من الدهن والمساعدة في تحسين شكل أفخاذكم، يقترح بعض الخبراء التمرُّن بين ٢٠ و٣٠ دقيقة، ثلاث مرات أسبوعيا على الاقل. أو اعتمدوا نشاطات جسدية يومية مثل المشي أو البستنة.

التزموا تمريناً لا يتطلب الا جهداً قليلا أو معتدلاً، أو ما يعادل ٦٠ في المئة من جهدكم الاقصى. فالتمرين على هذا المستوى يحرق مقداراً أكبر من الدهن.

واذا صعب عليكم التزام هذا المستوى، اخفضوه. فمقدار الجهد الذي تبذلونه في التمرين ليس مهماً مثل فترة التمرين. فمن جهة إنقاص الدهن، تعطي ساعة من المشي الفوائد ذاتها التي يعطيها الركض ٢٠ دقيقة.

استشيروا أطباءكم قبل مباشرة التمارين. ثم ابدأوا على مستوى مريح لا تشعرون معه في اليوم التالي بتعب أو ألم. في البداية، أطيلوا فترة تمارينكم بين ١٠ و٢٠ في المئة كل أسبوع، كما يقترح دنيس همفري أستاذ الطب الحيوي والاختصاصي بعلم التمرين. وهو يضيف: "الجسم قابل جداً للتكيف، لكنه لا يحب المفاجآت. وحين تفاجئونه يعود ذلك عليكم بالأذى." ويؤكد أن المتمرن يجب أن يعود الى حاله السويّة في غضون ساعة بعد التمرين والا يكون بذل جهداً فوق طاقته. ولتحسين فرصكم في ممارسة تمارين غير مؤلمة، ابدأوا بتحمية وجيزة، مثل محرك سيارة، مهرولين بضع دقائق في أماكنكم ثم ممارسين تمارين التمطّي.

حتى التوقيت هو عامل مهم. المشي بعد الاكل يحرق وحدات حرارية. ولكن ينبغي أن يكون نشاطكم الجسدي بعد الاكل لطيفاً لكي لا يتحول مجرى الدم من الجهاز الهضمي الى العضلات.

٢. تقوّوا بذكاء.

لئن تكن التمارين الحيهوائية جوهرية لانقاص الوزن الاجمالي، الا أنها ينبغي أن تُستكمل بتمارين أخرى تقوي الفخذين وتحسِّن شكلهما. فتقوية الفخذين تجعل العضل أكثر صلابة ومتانة وتدمِّج ذلك الجزء من الجسم فيصبح أحسن مظهراً.

ان تمرين رفع الرجلين هو أفضل مقوّ للفخذين. في هذا التمرين: استقرّي على ركبتيكِ ويديكِ على أن يبقى ظهرك مستوياً. ثم مدّي رجلا الى الخلف حتى تصبح مستقيمة مع الارض. أو، بدءاً من نقطة الانطلاق، مدّي الرجل جانبياً في زاوية من ٩٠ درجة مع إبقائها مثنية. كرري الحركة عشر مرات بكل رجل. أعيدي التمرين ثلاث مرات. فاذا تبين لك أنه سهل جداً كرري الحركة أكثر من عشر مرات أو اربطي ثقلا خفيفاً الى رسغ القدم.

في إمكانك ممارسة تمرين رفع الرجلين وأنت مستلقية على جنبك. في هذا الوضع، ارفعي الرجل العليا وهي ممدودة حتى تصبح في زاوية من ٤٥ درجة مع جسمك. وكجزء من هذا التمرين، ارفعي الرجل العليا واسنديها على طاولة أو كرسي في زاوية من ٤٥ درجة ثم ارفعي السفلى لتلاقيها. هذا التمرين يهدف الى تقوية عضلات الفخذ الداخلية بدلا من العضلات الخارجية التي شُغِّلت في التمرين السابق، وذلك يحقق التوازن والانسجام.

بعد أن تكوني تمرست في رفع الرجل، جربي هذا التمرين: مدّي رجلك في خطوة طويلة الى الامام الى أن تصبح الركبة

الخلفية على علو حوالى ١٥ سنتيمتراً من الارض. ثم عودي الى وضعك السابق. لبداية حسنة كرري الحركة عشر مرات بكل ركبة، وأعيدي التمرين مرتين، وكلما سهل عليك كرري الحركة مرات أكثر واحملي أثقالا بيديك. وكما هي الحال في كل تمرين، تمهلي في البداية وكرسي فترات مماثلة لكل من الرجلين.

إن احدى الفوائد الناجمة عن تقوية الفخذين هي اختفاء الاهتزاز والارتخاء السابقين وإن لم ينكمش محيط دائرة الفخذين.

٣. كلوا بذكاء. شارون ماذرز مديرة في أحد المتنزهات. حاولت طويلا تخفيف سمنة فخذيها بالتمرين ومراقبة استهلاك الوحدات الحرارية، الى أن باتت تركض ١٥ كيلومتراً يومياً وتستهلك مقداراً قليلا من الوحدات الحرارية. ورافق ذلك نقص في وزنها شمل ساعديها ووجهها وكل مكان في جسمها... باستثناء فخذيها.

ومع أن ماذرز توصلت الى الوزن المطلوب، لكنها أخفقت في تنحيف فخذيها.

ثم أدركت أن تركيزها كان منصباً على التمرين وليس على الغذاء. كانت تلتهم كثيراً من الاطعمة الغنية بالدهن. وفيما هبط استهلاكها للوحدات الحرارية، بقيت نسبة الدهن في غذائها كما كانت. عندئذ عمدت الى تصحيح هذا الخلل فنحفت فخذاها.

يقول الخبير الصحي بريانت ستامفورد: "إن الخيبات الحقيقية التي رأيتها في تقليص حجم الفخذين ناشئة عادة عن مقادير مفرطة من التمرين. فأولئك الخائبون كانوا بالتأكيد قادرين على خفض استهلاكهم من الوحدات الحرارية بنسبة حادة، ولكن حين يحدث ذلك ينحطّ الجسم فيصبح أكثر حرصاً على حماية مناطق اختزان الدهن. لذا يستحسن دعم التمرين بغذاء قليل الدهن وغني بالوحدات الحرارية المستمدة من الكربوهيدرات."

تقول بيكا كوفن: "أنا آكل مقدار ما كنت آكله سابقاً، لكني أركز على المعكرونة والحبوب والخضر والفاكهة. في الوقت ذاته، اخفضوا استهلاك اللحم الاحمر والوجبات الدهنية. يقول الدكتور بريانت ستامفورد: "التمرين مهم في تقليص حجم الفخذين، ولكن سترون أن نسبة النجاح الحاصل من اعتماد الغذاء الصحيح والتمرين معاً، بالمقارنة مع اعتماد التمرين وحده، هي خمسة الى واحد. أنتم لا تستطيعون الفرار من عواقب غذاء سيىء."

ان نسبة معينة من الدهن المتراكم هي حصيلة الوراثة، لذا يتعذر على أفضل برامج الغذاء والتمرين ضمان نتائج مثالية. فالهدف، ببساطة، هو بلوغ المستوى الافضل والمحافظة عليه. والطريقة بسيطة، والنتيجة ليست فخذين أنحف فحسب، بل صحة إجمالية أفضل.

جين ساندز ■



صديقة لا تُنسى

شكراً لكِ يا شيلا لأنك أنرتِ لنا الطريق

منذ وقعت عيناي على شيلا بيترسن عرفت أننا سنصبح صديقتين. فقد التقينا في دورة تدريبية على الاسعافات الاولية نظمها "فريق الاسعاف التطوعي" في مدينة نورث سالم بولاية نيويورك. وكانت شيلا تشرح تقنية فتح مجرى التنفس. لقد كانت هذه الشقراء المتوسطة القامة تتمتع برشاقة الممرضات ودقة الاساتذة واشراقة البائع البارع. وكنا، أنا وهي، تبنينا أطفالا في أعمار متقاربة، وربطت بين زوجينا معرفة سابقة من أيام الطفولة.

كانت شيلا تحقق الامور بقوة شخصيتها. ذات يوم سقطت سيارتها في حفرة كبيرة في الطريق، وعلى رغم اتصالاتها المتكررة لم تهتم السلطات باصلاح الحفرة. فرسمت شيلا حولها دائرة كبيرة بيضاء ورفعت قربها لافتة عليها كلمة "حفرة" وسهم كبير تحتها. ثم اتصلت بصحيفة محلية مقترحة ارسال مصور لالتقاط "صورة موفقة." وقد تم اصلاح الحفرة يوم ظهرت الصورة في الصحيفة.

ILLUSTRATION: KAZUHIKO SANO

ولما كانت أواصر الصداقة متينة بيننا، فقد أطلعت شيلا على مرض كارين، ابنتنا بالتبني.

صبية محتضرة. ولدت كارين عام ١٩٦١ وكانت طفلة جميلة هانئة. وكبرت في بيتنا حتى بلغت السادسة عشرة من عمرها. وذات صباح بينما كنا نتناول طعام الفطور، أخذت كارين تنتفض على نحو غير ارادي وذراعاها تتخبطان وقد تدلى رأسه على إحدى كتفيها. فسارعنا اليها أنا وزوجي أنغس للحؤول دون وقوعها على الارض. واستمرت نوبتها نصف دقيقة مرعبة.

أُخضعت كارين لفحوص مختلفة في أحد مستشفيات نيويورك. لكن نوباتها عنفت، وتلاشت قدرتها على السير والجلوس والكلام، فلزمت سريرها في المستشفى، ممددة، عاجزة الا عن طرف عينيها وتحريك رأسها بضعة سنتيمترات.

أخيراً أطلعنا طبيب الامراض العصبية على أخبار مروعة، فقد أظهرت عينات الدم ونتائج زرع الانسجة أن كارين تعاني خللا نادراً يدعى "داء لافورا."[١] فجسمها يفتقر الى أنزيم (خميرة) حيوي للتخلص من الكربوهيدرات،[٢] لذا تتراكم هذه المواد وتهاجم جهازها العصبي المركزي. وهذا يعني أنها ستموت بعد وقت وجيز.

سألتني شيلا عندما عرَّجت لزيارتي ذلك اليوم: "ما الامر يا بربارة؟" فهي لاحظت أنني كنت أبكي. ولما أخبرتها بما جدَّ غاصت في كرسيها وبدت محطمة مثلي.

تلك كانت المرة الاولى أرى شيلا محبطة كلياً.

استلزمت حال كارين عناية تمريضية متمرسة ٢٤ ساعة في اليوم. لكننا أدركنا أخيراً أن علينا احضار ابنتنا الى البيت لتمضي فيه أيامها الاخيرة، اذ أردنا أن نعتني بها بأنفسنا مقدار استطاعتنا. فزوجي أنغس مسعف طبي متطوع، وقد وافقت ادارة المستشفى على تدريبنا على العناية بكارين.

كَرَم الناس. عادت كارين الى البيت في ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) قبل ثلاثة أسابيع من عيد مولدها السابع عشر. وقاد أنغس سيارة الاسعاف فيما جلسنا أنا وكين، زوج شيلا، في الخلف الى جانب كارين المثبتة الى محفَّة.

وأدركنا أننا أحسنَّا الاختيار لحظة ابتسمت كارين لاخوتها كايل ولوريل وهولي الذين رفعوا على المدخل لافتة ترحب بعودتها.

بعد الظهر اتصلت شيلا لتسألني عما اذا كنا تدبَّرنا ممرضة لمساعدتنا، فقلت لها: "ستأتي ممرضة للبقاء مع كارين خلال النهار، وسنهتم بها أنا وأنغس في الليل وفي عطلة نهاية الاسبوع."

فسألتني: "أليس ذلك صعباً؟"

فأجبتها اننا سنتغلب على المصاعب.

---

(١) Lafora disease

(٢) الكربوهيدرات هي المركبات السكرية والنشوية.

لكن جوابي لم يبدد القلق الجلي في صوتها.

كانت شيلا تعلم أننا نمر بأوقات عصيبة مادياً. فالجمود في أعمال البناء قلّص دخل أنغس الذي يعمل تقنياً كهربائياً. واستنفد مرض كارين القيمة التي تغطيها "بوليصة" التأمين الطبي. وظلت فواتير الادوية والاستشفاء تنهمر علينا، وتلقينا انذاراً بوقف المساعدات الحكومية بعد ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني). فالنظام يقضي بأن تدفع الحكومة مبلغ ٩٠٠٠ دولار في الشهر ما دامت كارين في المستشفى، لكنه لا يغطي العناية التي تؤمّن لها في المنزل مع أن كلفتها تقلّ عن الثلث.

بعد أيام زارتنا شيلا مع زوجها وقد حملا الينا علبة من الكعك المحلي. وقبل أن نقضم قطعة بدأت شيلا الكلام بسرعة كعادتها: "ان ما تفعلانه رائع، لكنه سيؤدي بكما الى الافلاس. أنتما تحتاجان الى مساعدة، ولدي خطة. لقد قررنا أنا وكين أن نكون من "أصدقاء كارين" وننقل قصتها الى التلفزة والصحف. وأظن أننا سنلقى تجاوباً عندما يعلم الناس أنكما تحاولان ابقاء ابنتكما المحتضرة في المنزل على رغم أن الحكومة قطعت عنكما المساعدة."

وصحَّ كلام شيلا، اذ لقيت حملتها تجاوباً كبيراً، وتشوقت الصحف ووسائل الاعلام الى سرد قصة كارين. وجاء رد الناس على القوانين الحكومية كرماً منقطع النظير. وتجاوب الطلاب والمواطنون في مدينتنا وفي مدن قريبة وبعيدة وأبدوا اهتماماً ملحوظاً. ووردتنا رسائل كثيرة، حتى ان شيلا كانت تأخذ كيساً كبيراً كلما توجهت الى مكتب البريد.

أيام أخيرة. بعد ستة أسابيع بلغ مجموع التبرعات ٣٥ ألف دولار. وكلّفت شيلا محامياً اجراء المعاملات الرسمية اللازمة لاعفاء "جمعية أصدقاء كارين" من الضرائب.

في تلك الاثناء اتفقت شيلا مع مجموعة من الممرضات البارعات على رعاية كارين وفق جدول منظم. وجالت على مخازن الادوية واللوازم الطبية لاختيار تلك التي تبيع بأرخص الاسعار. واشترت تلفازاً ملوناً وضعه أنغس على منضدة أمام سرير كارين. وبذلت شيلا جهدها لتخفيف الاضطراب في نظام حياتنا. فلم يكن جرس الهاتف يرن في منزلنا، بل في منزلها. ولم يكتظ صندوق بريدنا بالرسائل والبطاقات، بل اكتظ بها صندوقها هي. ولم تنقلب حياتنا اليومية رأساً على عقب، بل حياتها هي التي انقلبت.

ذات يوم أحضرت شيلا طفلها البشوش كريغ ووضعته قرب كارين وهي نائمة، ثم انحنت وهمست في أذنها: "استيقظي يا كارين، لقد أحضرت لك مفاجأة خاصة." ففتحت كارين عينيها ببطء ونظرت الى كريغ ثم ابتسمت لشيلا ابتسامة دافئة. فاغرورقت عينا شيلا.

عاشت كارين فترة أطول مما توقع الاطباء. وانقضى الشتاء والربيع. وفي صيفها الاخير تمكنت من الخروج الى فناء المنزل في كرسي متحرك.

وذات عصر اصطحبتها فاليري، ممرضتها المفضلة، للسباحة في بركة قريبة. وتولى صديقان حمل كارين من السيارة، وأنزلتها فاليري الى الماء. ودمعت عينا كارين وهي تراقب غروب الشمس فوق الشاطىء البعيد.

ولما ولى الصيف أصيبت كارين بذات الرئة (نومونيا) وتملكتها حمى غريبة ونوبات تعذر ضبطها. وبدا واضحاً أن وظائفها الحيوية تتعطل. واتصلت بنا شيلا يوم الاحد ٢٨ أكتوبر (تشرين الاول) فأطلعتها على حال كارين، فلم تنبس بكلمة، بل اتصلت بفاليري وطلبت منها المجيء والبقاء الى جانب كارين. لقد أدركت أن النهاية باتت وشيكة.

أمضيا الليل أنا وفاليري جالستين الى جانب كارين نصغي الى تنفسها الواهن. وهي أسلمت الروح بعيد منتصف الليل فيما كنت أمسك لها يداً وتمسك فاليري اليد الاخرى، وأنغس واقف قرب السرير.

رسالة ريغان. ظلت التبرعات السخية تنهمر على "جمعية أصدقاء كارين." وذات يوم قرأ أنغس في الصحيفة خبراً عن أريك، وهو صبي صغير مصاب بالسرطان، فقصّ المقال وأرسله الى شيلا مرفقاً اياه بملاحظة: "اليك قضيتك الثانية."

وبعد ذلك جاء دور الطفلين أليسون وكريستوفر.

وفي السنوات التالية انضم الى شيلا فريق من المتطوعين ساعدوا "جمعية أصدقاء كارين" على الاهتمام بالاطفال المصابين بمرض عضال.

وفي العام ١٩٨٦ تلقت شيلا رسالة شكر من الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغان كتبها بيده وأرفقها بتبرع بقيمة ٥٠٠ دولار. وجاء في الرسالة: "شكراً لك لانك أنرت لنا الطريق."

في تلك الفترة كانت الجمعية تساعد أكثر من ٥٠ عائلة نكبت بأطفالها.

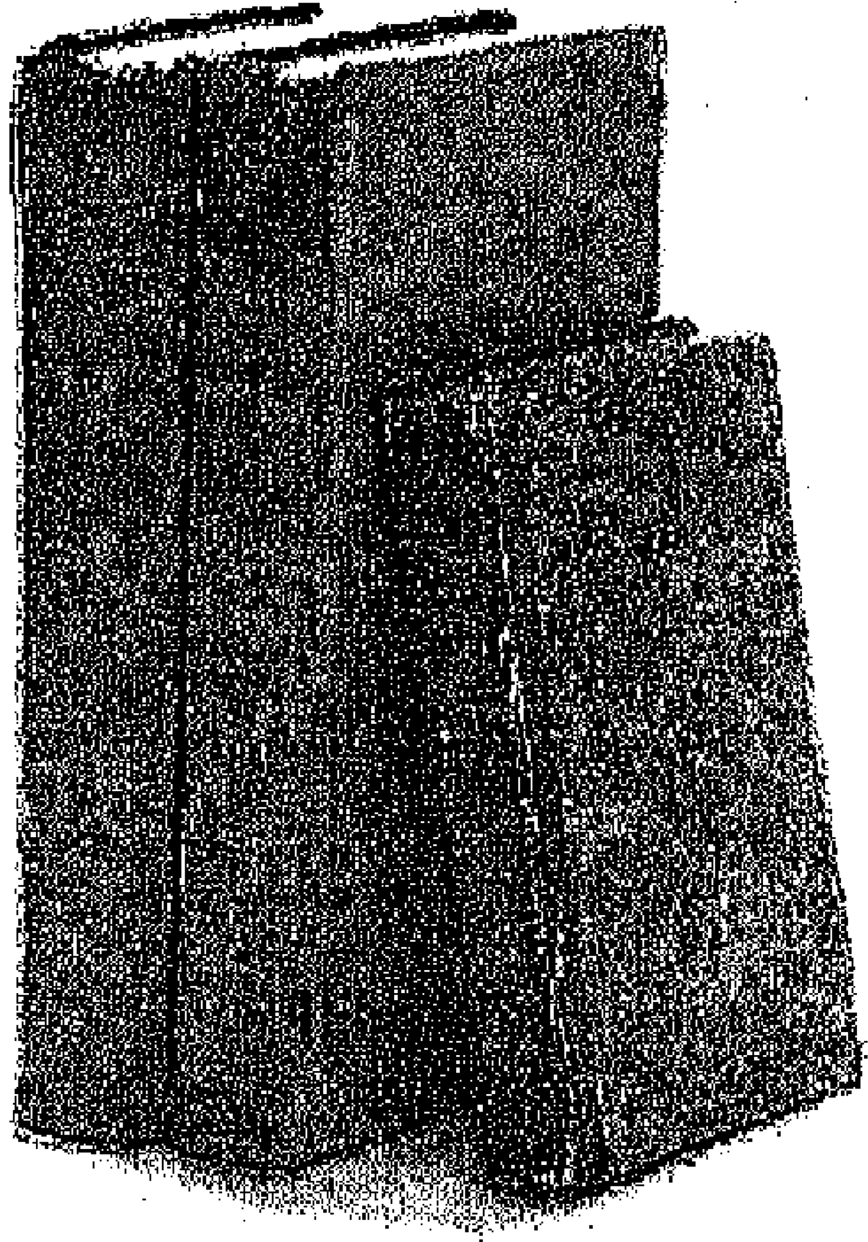
وكانت مآثر شيلا مصدر الهام لي، فانجزت رسالة "ماجستير" في الصحة العامة. وأمضيت سنوات أهتم بالاطفال المرضى وعائلاتهم، ثم بدأت مساعدة ضحايا الايدز.[٣]

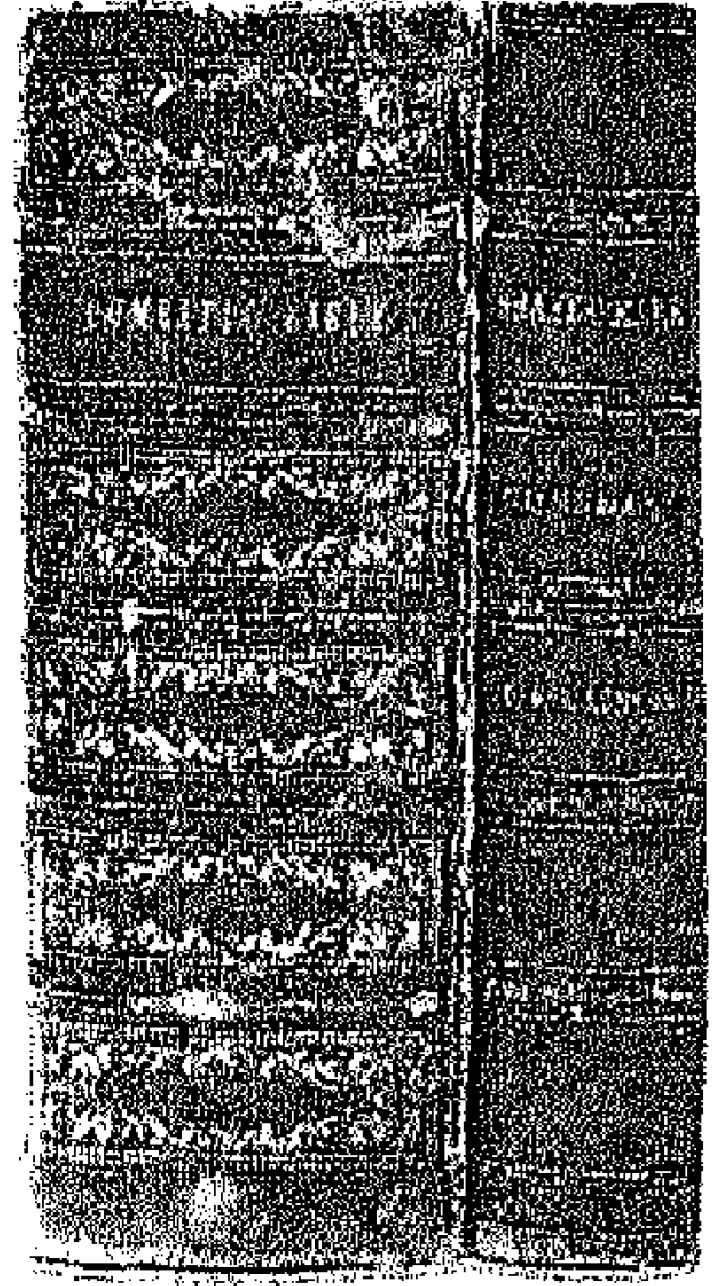
استمرت صداقتي الحميمة وشيلا سنين طويلة. وكنا بدأنا نستمتع بدورنا كجدتين عندما نقل الي زوجي الخبر المفجع: لقد توفيت شيلا بحادث سيارة. فجلست مصعوقة عاجزة عن الكلام.

تستريح كارين وشيلا متقاربتين في مدافن مدينتنا تحت الاشجار القديمة، وتحيي فينا ذكراهما قوة الخير التي تفجرت منهما: ابنة لم يبقَ لها من الحياة سوى أشهر، وصديقة حاضرة ابداً خففت آلامي وآلام كثيرين.

بربارة ماسين ■

(٣) Acquired immunodeficiency syndrome «AIDS»
اي داء قصور المناعة المكتسب.





لاحظ الأمناء أن مجلَّدات قيِّمة ووثائق نادرة تختفي من رفوف مكتباتهم. لكن أحداً لم يضبط اللص متلبِّساً بجرمه

سارق الكتب النادرة

ذات يوم من فبراير (شباط) ١٩٨٨ اتصل مسؤول في مكتبة جامعة واشنطن في مدينة بولمان بشرطة الجامعة للابلاغ عن اختفاء وثائق مكسيكية نادرة تعود الى العهد الاستعماري من محفوظات الجامعة. وتبين أن يداً خفية عبثت بصناديق المحفوظات وسلبت نشرات قيِّمة يرقى بعضها الى القرن الخامس عشر.

تناول جون غيدو، مدير المخطوطات والمحفوظات والمجموعات النادرة في مكتبة هولاند، نموذجاً من الـ"إنكونابولا"[١] وعرضه على المفتش ستيف هانتسبري موضحاً له أن هذه التسمية اللاتينية تشمل الكتب التي نُشرت قبل العام ١٥٠٠ خلال السنوات الأولى للطباعة، وأن هذه الكنوز هي التي تتعرض للسرقة.

مرر هانتسبري أصابعه على غلاف الكتاب الجلدي وجعل يقلّب صفحاته، فانبعثت من أوراقه البالية رائحة عتق خفيفة أثارت الرهبة في نفسه وحملته على التفكير في الايدي التي لامستها. لعل بينها يدي كريستوفر كولومبوس. فعقد العزم على وضع حد لهذه السرقات.

طالت لائحة المفقودات في الأيام القليلة التالية بعدما أجرى مساعدو جون غيدو مسحاً شاملا ومفصلا. وجاءت النتيجة مروعة، إذ تبيّن لهم فقدان ٣٩ إنكونابولا من أصل ستين تملكها الجامعة، فضلا عن مئات الوثائق المكسيكية الاستعمارية وما يزيد على مئة مجلد حول تاريخ المنطقة الشمالية الغربية من أمريكا.

أرسل هانتسبري لائحة بالمسروقات

(١) Incunabula

PHOTOS: ERNEST COPPOLINO

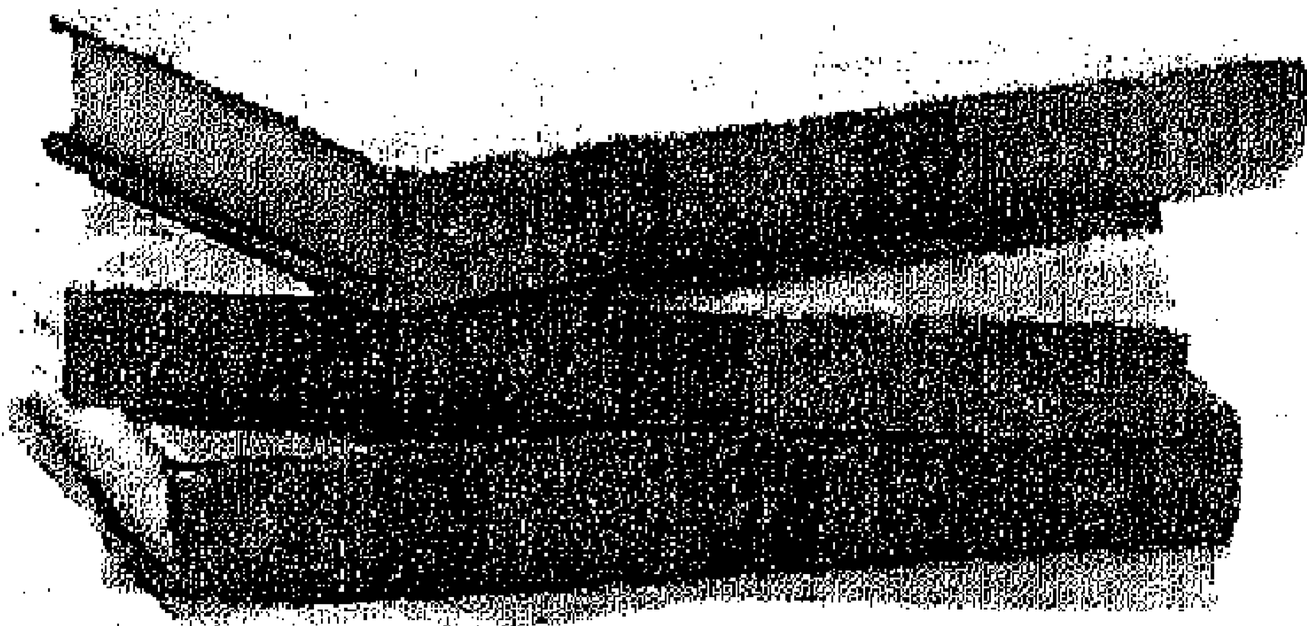
الى العميل مارك ثاندركلاود في مكتب التحقيق الاتحادي «FBI».[٢] وعلم منه بعد أيام أن جامعة أوريغون في يوجين تعرضت في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٧ لسرقة مشابهة تناولت وثائق حول تاريخ المنطقة الشمالية الغربية ومذكرات المستوطنين الرواد.

"شبح" في المكتبات. في الاسابيع التالية كرّس هانتسبري أياماً عمل خلالها ما بين ١٢ و١٤ ساعة يومياً، لاستقصاء الحقائق وتحليل التصاميم والتحقق من أجهزة الأمن في المكتبتين، إذ ما فتىء إفلات اللص بهذه السرقة الكبيرة يثير الحيرة والعجب، خصوصاً أن مسروقات جامعة واشنطن وحدها تملأ صندوق سيارة. وكان كل مساء يحمل ملف القضية الى منزله ويجلس الى طاولة المطبخ فيما زوجته تحضر العشاء، ويروح يعرض لها المعطيات التي توافرت لديه. ففي مكان ما، ثمة شبح ينسلّ خلف حواجز المكتبة ويسرق الكتب النفيسة. لكنه لا يسرقها واحداً واحداً، بل صناديق كاملة.

في أثناء ذلك كانت قائمة المسروقات من جامعة واشنطن تزداد طولاً، فاضطر هانتسبري الى نشر الخبر على رغم تحفظ أمناء المكتبتين عن إعلان خسائرهم. وأمل أن يلقى استجابة فيعثر على خيوط تدلّه الى الجاني. ولهذه الغاية أعدّ في مكتبه داخل الجامعة نشرات وزّعت في أنحاء غرب البلاد عبر شبكة كمبيوتر تربط الجامعات والمتاحف والمكتبات بعضها ببعض. وأعلم تجار الكتب النادرة بالأمر بحيث بات عسيراً على السارق حماية غنيمته.

وبعد أيام اتصل به التحري بيل مارتن من دائرة شرطة لوس انجلس، وأطلعه على اختفاء إنكونابولا وكتب أخرى عن كاليفورنيا وتاريخ الغرب الامريكي من مكتبات جامعات كليرمونت. وعلم مارتن من خلال بعض التحريات الاضافية أن دخيلا باسم "مات ماكيو" تمكن من الوصول الى قسم الكتب النادرة المحظور ارتياده في مكتبة كلارك بجامعة كاليفورنيا في لوس انجلس معطياً الموظف المسؤول عنواناً له في مينيسوتا.

تسارعت دقات قلب هانتسبري، إذ شعر بدنو إمساكه خيطاً يحلّ لغز "الشبح." فاتصل بمكتبة كلارك وحصل على أوصاف الرجل: قصير القامة، ناحل الجسم، يرتدي معطفاً بالياً كبير القياس ذا مربعات وسروالا غير مرتب. فأصدر هانتسبري نشرات جديدة ضمّنها وصفاً للمتهم، وباشر تحريات شملت المكاتب التي تصدر رخص قيادة سيارات. فتبين



(٢) Federal Bureau of Investigation

له أن العنوان المعطى هو عنوان ماثيو ماغيو أحد أساتذة علم النفس في جامعة مينيسوتا، ولم يكن للرجل سجل اجرامي ولا علاقة بالقضية، لكن "الشبح" سرق اسمه وأخطأ في تهجئته.

كشف الملابسات. في ١٩ ابريل (نيسان) تلقى هانتسبري رسالة هاتفية مفادها أن الشرطة في جامعة كاليفورنيا في ريفرسايد، بعد اطلاعها على مسار التحقيقات من خلال نشرات هانتسبري، قبضت على رجل يدعي أنه ماثيو هارولد ماغيو في مكان مغلق من مكتبة الجامعة ومعه مخطوطات ترقى الى القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وعُثر في حقيبته على أدوات يستخدمها اللصوص في فتح الاقفال، وعلى جداول لمكتبة جامعة واشنطن. فوُجهت اليه تهمة التعدي على الممتلكات وحيازة أدوات سرقة واعتُقل في سجن ريفرسايد.

اتصل هانتسبري بكاليفورنيا، فأفيد أن المتهم أُطلق بموجب كفالة. لكنه تلقى بعد أيام مجموعة بصمات أُرسلت اليه من ريفرسايد، وكشف مكتب الاعتقال في مينيسوتا أنها تخص رجلا يدعى ستيفن كاري بلومبرغ، وهو صاحب سجل حافل بالسرقات.

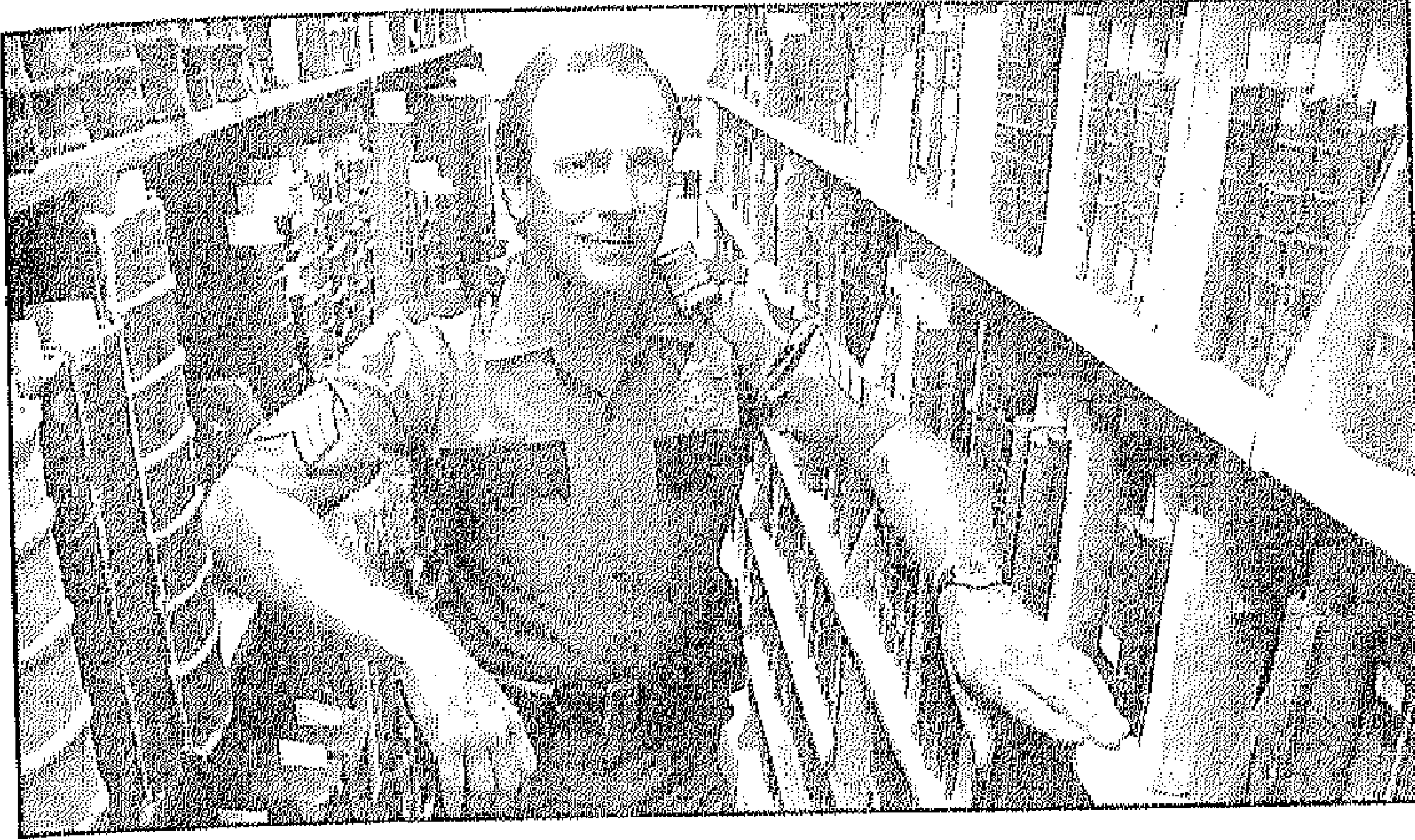
وسَّع هانتسبري دائرة تحرياته لتشمل نشاطات ستيفن بلومبرغ الاجرامية، ووزَّع نشرات عنه في أنحاء البلاد. فتلقى ردوداً من هنا وهناك: ادانة بتهمة سرقة في أيوا، وتوقيعاً بدخول مكتبة كليمانتس في جامعة ميشيغان في ٢٠ مايو (أيار) ١٩٨٥ باسم ماغيو، واعتقالا عام ١٩٧٤ بتهمة حيازة كتب مسروقة في كولورادو (أسقطت التهمة لاحقا). كما ورد عليه تقرير يظهر أن للرجل دخلا سنوياً مقداره ٧٠ ألف دولار من إرث عائلي.

وفي شهر مايو (أيار) نُظّمت عملية مراقبة في ريفرسايد. لكن بلومبرغ تخلَّف عن جلسة محاكمته. وكان الناس في أنحاء البلاد يراقبون ويترقبون. وقد ألصقت منشورات تحمل أوصاف الرجل في كل مكتبة في الغرب.

ولكن لم تسجّل أي عملية سرقة أخرى للمكتبات، فأدرك هانتسبري أن طريدته مختبئة ريثما تهدأ الأمور. غير أن المعطيات كانت تشير الى أنه وُفّق في كشف ملابسات القضية، وما عليه سوى انتظار ظهور المشتبه فيه.

١٩ طناً! أبقى العميل ثاندركلاود مكتب التحقيق الاتحادي مطّلعاً على التقدم الذي أحرزه هانتسبري في تحقيقاته. كما علم المكتب أن بلومبرغ وشريكه كيني رودز يتعاطيان تجارة التحف المسروقة، لكنه لم يرَ ضرورة لتجنيد عناصر إضافية تُسحب من تحقيقات أخرى أكثر الحاحاً، على رغم المعلومات المتوافرة لدى هانتسبري والتي تثبت ارتباط بلومبرغ بسرقات المكتبات.

في أواخر ١٩٨٩ استبدّ القلق برودز لخوفه أن يكون بلومبرغ يخطّط لنقل الكتب خارج البلاد. فبعث برسالة الى



المفتش هانتسبري وسط مجموعة من الانكونابولا.

مكتب التحقيق الاتحادي ضمَّنها أن لديه معلومات عن بيت مليء بالكتب القديمة في أوتوموا بولاية ايوا على مسافة ١٢٠ كيلومتراً من جنوب شرق ديموان، وأنه على أتم الاستعداد لبيع معلوماته.

تولى العميل جون اوليت مفاوضة رودز، وعرف منه أن شريكه صانع أقفال ماهر ويستطيع تسلق جدار بأصابع يديه وقدميه، وأنه قادر أيضاً على تغيير مظهره بحيث تكفيه بضع دقائق ليتحول من رجل شارع الى أستاذ، ناهيك بذكائه الذي ينجّيه كلما تأزمت الأمور.

سلّم رودز مكتب التحقيق مجموعة صور داخلية للمنزل الغامض تُظهر نوافذ في موازاة الشارع مغطاة بألواح خشبية، وطبقة عليا مملوءة حتى السقف بكتب نادرة. واستناداً الى هذه الأدلة، حصل الفريق على مذكرة تفتيش وتوجّه عشية ٢٠ مارس (آذار) ١٩٩٠ لمراقبة المنزل الرقم ١١٦ في شارع جيفرسون.

بعيد منتصف الليل توقفت وراء المنزل سيارة "كاديلاك" من طراز ١٩٦٠ مليئة باشياء مركومة بغير نظام، ونزل منها رجل ناحل يرتدي سروال جينز وينتعل حذاء خفيفاً، ودخل المنزل من باب المطبخ حيث وجد ثلاثة رجال في انتظاره. فبادره العميل أوليت: "نعرف من أنت يا ستيفن، نحن من مكتب التحقيق الاتحادي."

فاكفهر وجه بلومبرغ فيما تُليت عليه حقوقه. وهكذا اعتُقل "شبح" المكتبات ونُقل الى زنزانة في ديموان.

فتش العملاء المنزل، فوجدوه يغص بتحف أثرية ورفوف ملأى بكتب نادرة. كما عثروا على طبعات أولى وخرائط قديمة ورفوف من الايكونابولا قارب عددها ٢٠٠ مجلد. وبلغ وزن المسروقات ١٩ طناً، وتطلب نقلها الى مخزن آمن في أوماها الاستعانة بشاحنتين مقفلتين حُمِّلتا ٨٥٦ علبة كرتون.

كان في المنزل أكثر من ٢٠ ألف مسروقة تزيد قيمتها على خمسة ملايين دولار.

PHOTO: © BARRY KOUGH / LEWISTON TRIBUNE

غريب الاطوار. سمع هانتسبري بعد أيام خبر العثور على كتب جامعة ولاية واشنطن بين المسروقات التي اكتشفت في أوتوموا. وفي منزل بلومبرغ ضُبطت ثلاثة مفاتيح عليها خاتم "جامعة واشنطن" ومفتاح لقاعة التسلم في مكتبة هولاند.

بعد شيوع أخبار عملية الدهم في أوتوموا، استحوذ على مئات المكتبات المسروقة هاجس استرداد ملكياتها. وقد دُهشت هيئة المحكمة والسلطات الاتحادية لما أنجزه متطوعون من مكتبة الكمبيوتر في دبلن بولاية أوهايو، إذ تمكّنوا خلال خمسة أسابيع فقط من فهرسة الكتب والتعرف الى ٣٠ في المئة من مالكيها الشرعيين، على رغم حرص بلومبرغ على محو علامات الملكية عنها.

في ٢٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٩١ بدأت محاكمة بلومبرغ في ديموان. واستجوبت المدعية العامة ليندا ريد رفيقه رودز، فاعترف بأنه عمل معه منذ السبعينات وجالا معاً في أنحاء البلاد في سيارة بلومبرغ الكاديلاك وسرقا الكتب من مكتبات الجامعات.

ناشد محامو بلومبرغ هيئة المحكمة عدم إدانة موكلهم زاعمين أنه مختلّ عقلياً. وصرَّح والده للصحافيين، وهو طبيب متقاعد: "إبني غريب الأطوار." وأفاد طبيب نفساني استقدمه الدفاع أن بلومبرغ أُرسل في حداثته الى مصحات عقلية.

لكن رودز أكد أن بلومبرغ خطط للجوء الى ذريعة الجنون في حال القبض عليه، وقال للمحلفين: "انه حرص على البقاء على اتصال بطبيبه النفساني لكي يستعين به في حال مصادفته متاعب." وأضاف أن بلومبرغ قال له مرة: "هذه الطريقة كفيلة بابقائي خارج السجن."

بعد أسبوع على بدء المحاكمة وُضعت القضية في أيدي المحلفين الذين تشاوروا في ما بينهم لأربع ساعات وتوصلوا الى اعتبار بلومبرغ مذنباً بتهمة حيازة بضاعة مسروقة ونقلها.

عاد هانتسبري الى جامعة واشنطن لمزاولة مهماته العادية. لكن الثناء ظل يتدفق عليه من كل حدب وصوب. وأصدرت جمعية القيمين على المحفوظات واتحاد مكتبات الجامعات بيان إطراء رسمياً نوَّه بتقانيه الرائع.

وكانت لهذه القضية نتائج حسنة، اذ حفزت المسؤولين على اتخاذ تدابير متطورة، كالاستعانة بأدوات لكشف الحركة داخل المكتبات وأجهزة انذار تعمل بالأشعة تحت الحمراء وحواجز الكترونية، وتدقيق أكبر في بطاقات الهوية والتواقيع عند نقاط التفتيش في المكتبات.

يقول هانتسبري: "هذه القضية ردمت الهوة بين الشرطة والمسؤولين عن المكتبات. نحن في حاجة الى العمل جنباً الى جنب للحفاظ على إرثنا التاريخي."

إدوارد زيغلر ■

يحمل الخريف ذهباً في يده أكثر من كل الفصول الاخرى. ج.ب.



تركت أطفالها الثلاثة في السيارة. ولما عادت بعد دقيقة رأت السيارة مندفعة الى مياه النهر الجارفة

كانت رياح فبراير (شباط) تعصف حين حملت جوي وارن سلتها من المغسل الى صندوق السيارة. كانت في السابعة والثلاثين من العمر وأما لسبعة أولاد، وعليها الآن في أقل من ٢٠ دقيقة الوصول الى المدرسة في فورت وورث في تكساس لتقل ولديها الكبيرين الى البيت.

قالت لصغارها: "هيا بنا!" فقفزت فايث (٥ أعوام) الى المقعد الخلفي من سيارة الـ"بويك ستايشن"، وتبعها ستيفن (٣ أعوام). ثم حزمت جوي الطفلة إستر (٤ أشهر) الى الكرسيّ المربوط بجانبها في مواجهة المقعد الخلفي *

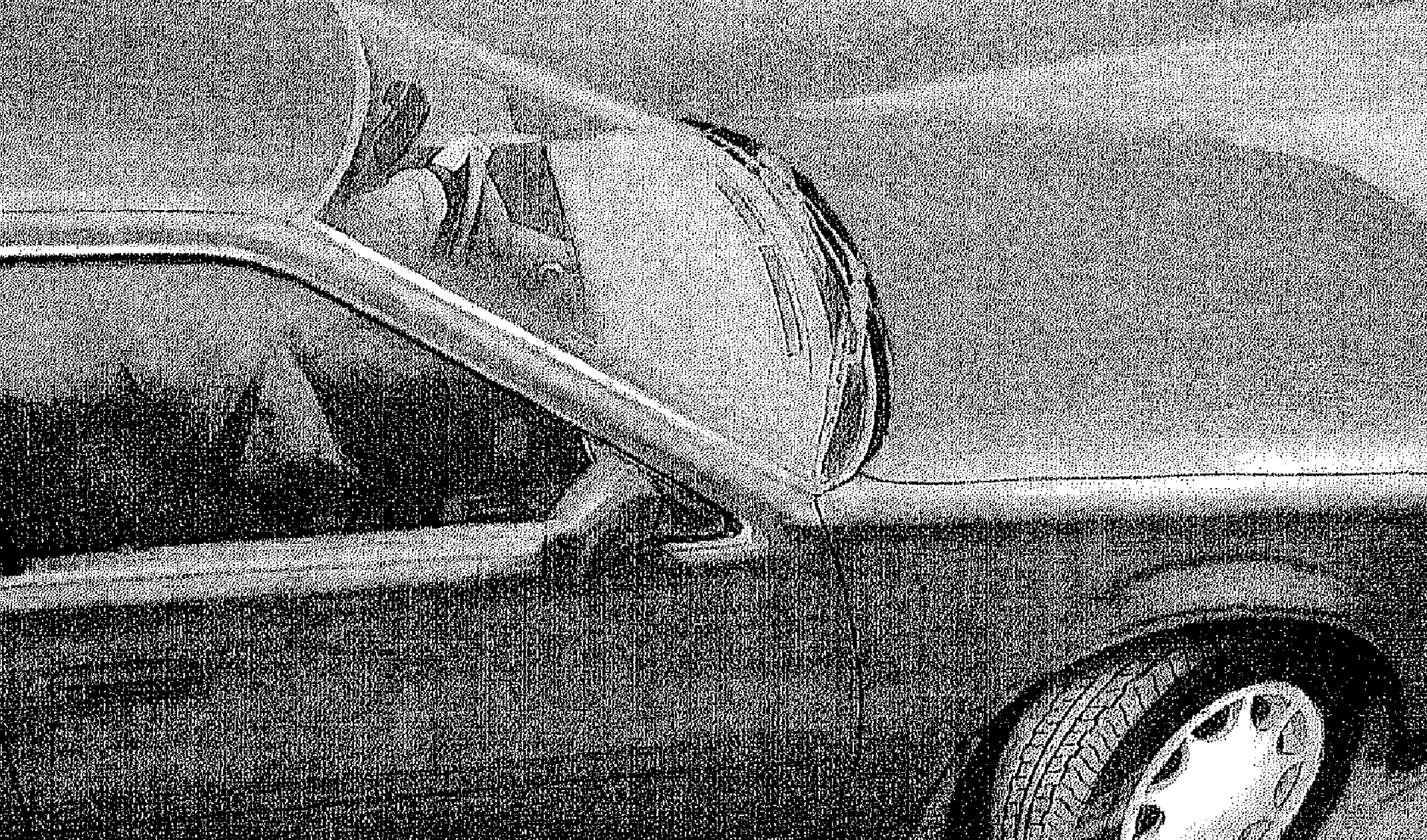
قبل أشهر كان لصوص عبثوا بالسيارة وعطّلوا الآلية التي تمنع ناقل السرعة من الانفلات من تعشيقة الوقوف حين لا يكون المفتاح موضوعا في القفل. وأخل

(*) هذا الكرسي مصنع لسلامة الطفل يثبت على المقعد الامامي في مواجهة مؤخر السيارة.

ILLUSTRATION: RON DEFELICE

قصة من واقع الحياة

النجدة! أطفالي يحرقون!



بيل، زوج جوي، إصلاح العطل لضيق الحال.

قالت جوي للاولاد فيما السيّارة القديمة تمضي متثاقلة في الطريق الصاعدة الى المدرسة: "سنصل متأخّرين."

وعندما أوقفت سيارتها في الطرف الأقصى من موقف السيارات المزدحم رأت جادة نورث فورست بارك الصاخبة تمتّدّ على مرمى ١٥٠ متراً تحتها، ووراءها نهر ترينيتي.

استدارت نحو فايث وستيفن قائلة: "ابقيا في السيارة بلا حراك، سأعود بعد لحظة. وانتبها لاختكما."

لم تكن جوي تحب أن تترك الاولاد وحدهم في السيارة، لكنّ الطفلة كانت نائمة، وما هي الا لحظة وتعود.

قطعت بسرعة مسافة الأربعين متراً التي تفصلها عن باب المدرسة، لكنها اضطرت الى انتظار ولديها آدم ولوري. فقالت في نفسها: "لقد تأخرا طويلا."

ولدى خروجها أخيراً من باب المدرسة مع آدم ولوري شاهدت حاملة الحقائب على ظهر السيارة تتحرك. فهتفت: "يا إلهي! هذا مستحيل!" فقد خرجت السيارة من الموقف واتجهت نزولا الى الحقل المعشب المُحاط بالاشجار.

ارتاعت جوي وراح قلبها ينبض بشدة، وهي تجري وراء السيارة التي أخذت تندفع بسرعة أكبر، فاتسعت المسافة الفاصلة بينها وبين أولادها الثلاثة الصغار. وفيما كانت تركض في المنحدر لمحت ابنتها فايث في المقعد الامامي كأنها تحاول إيقاف السيارة.

استمرّت جوي في جريها اليائس وشاهدت السيارة تتفادى بأعجوبة الاصطدام بالاشجار واحدة تلو أخرى. وما هي الا ثوان حتى اخترقت الموقف السفلي للمدرسة وتفادت الاصطدام بكل أعمدة الانارة، ثم انعطفت وهوت نحو جادة نورث فورست بارك ذات الخطوط الأربعة، مرتفعة كقطار جامح فوق قناة التصريف ومستقرة بصدمة قوية وسط الطريق ساعة الازدحام.

"**صغاري! صغاري!**" كانت الفتاة النحيفة سيري غوميز (١٧ عاماً) وزميلها الرياضيّ دانيال وايتهيد (١٦ عاماً) واقفين الى جانب سيارة دانيال، فشاهدا الستايشن تقعقع على مسافة ٥٠ متراً تحتهما وجوي تعدو لاهثة وراءها. فهتف دانيال: "إنّها تتجه نحو الطريق العامة! هيا بنا يا سيري."

توقّد في صدر دانيال عزم الشباب الرياضي، فهرع الى جوي وأدركها فيما كانت تتهالك في العدو قرب الطريق العامة، فسألها وهو يتجاوزها: "هل من أحد في السيارة؟" وكانت سيري جادة في إثره على بعد خطوات.

ردّت جوي لاهثة: "صغاري! صغاري في تلك السيارة!"

حين اندفعت السيارة الشاردة الى الشارع توقفت حركة السير في الاتجاهين وسط صرير الكوابح وانزلاق

العجلات. تخطّت السيارة الخطّين الأوّلين من الطريق ثم انسابت بين الأشجار في وسط الطريق الى الخطين الآخرين من دون أن تصاب بخدش.

قالت جوي في نفسها: "الحمد لله." ولكن سرعان ما تبدّد ارتياحها، فالسيارة كانت تجنح بسرعة ٥٠ كيلومتراً في الساعة وواجهت خطراً أكبر: كانت تتجه نحو النهر!

نظرت جوي الى السيارة يائسة لانها لم تكن تحسن السباحة، ورأتها تندفع من ارتفاع متر وتحلق ستّة أمتار في الهواء، وعجلاتها مستمرّة في الدوران، قبل أن تسقط وسط رشاش متطاير في مياه النهر الباردة الموحلة.

صرخت جوي في أعماقها: "ساعدهم يا إلهي! فمن سينقذهم الآن؟"

تطلع دانيال يمنة ويسرة قبل أن يقفز عبر الجادة، وكان السير قد توقف. وفيما كان يقترب من ضفة النهر نزع عنه معطفه.

توقّف عند الضفة فشاهد مقدم السيارة مائلا في الماء بزاوية ٤٥ درجة، ولمح داخلها فايث وستيفن وقد اتّسعت أعينهما خوفا وهما يتسلقان الى المقعد الخلفي ليكونا في مكان مرتفع عن الماء.

غطس دانيال في النهر من دون تردد، ومع أنه كان ماهراً في التزلج المائي فقد صدمته البرودة الشديدة وقوة التيّار الجارف. وما هي إلا بضع ضربات بيديه حتى كان الى جانب السيارة الغارقة. فقبض على مسكة الباب الأمامي فلم يفلح في فتحه لأن مستوى الماء كان أدنى من النافذة بعشرة سنتيمترات. وعلى كلّ حال ففي فتح الباب مخاطرة لان السيارة ستمتلىء للحال بالماء وتغرق.

فجأة لفت انتباهه رجل غريب مُلتح الى جانبه يحاول فتح الباب الخلفي للسيارة. وكان ستيفن وفايث يحدّقان الى ذلك الغريب من خلال النوافذ الضبابية.

كانت السيارة تغرق أكثر فأكثر في الماء، فنادى دانيال الرجل قائلا: "ينبغي كسر النافذة."

بطل وبطلة. قبل دقيقتين كان تشارلز واماك (٣٥ عاماً) يقود شاحنته ذات العجلات الثماني عشرة في جادة نورث فورست بارك، فرأى سيارة تمر كالسهم على الطريق أمامه. فأومض مصابيح الطوارىء وأوقف الشاحنة لحظة غطست السيارة في الماء.

قفز تشارلز من حجرة القيادة ليجلو الأمر، فشاهد شاباً يندفع الى الطريق على بعد أمتار الى يساره. فركض في مُحاذاته في اتجاه النهر. وسمع وراءه صراخ امرأة يائسة: "صغاري! أسرِعوا! ليساعد أحدكم صغاري!"

عرف تشارلز أنّ هناك أولاداً في خطر. فقفز الى الماء، وتزامنت قفزته مع غطسة دانيال. فاخترقت المياه الباردة جزمته العالية الى سرواله الجينز الذي شعر بأنه بات ثقيلا كالرصاص. ولكن حين شاهد ولدين مكوّمين في المقعد الخلفي غاب عنه كل شيء واستهان بالخطر مفكراً:

"إذا لم أُنقذهما فسيموتان غرقاً."

لم ينتبه تشارلز الى وجود دانيال قربه. وشد الباب الخلفي فوجده مقفلاً. ثم لاحظ فتحة ضيقة في أعلى زجاج النافذة، فدسَّ فيها أصابعه الثخينة وشدّ الزجاج بعنف فامتنع عليه. فجأة إذا بيد ثانية تظهر على النافذة، فقد سارع دانيال الى مساعدته وأدخل أصابعه الناحلة في الفتحة، وشدّ الرجلان بقوة معاً فتحطم الزجاج.

نادى تشارلز الولدين فيما راحت السيارة تغوص بسرعة في الماء: "تعالا، سنخرجكما من هنا." فهرع الولدان الى النافذة المفتوحة وقد ارتسم الخوف على وجهيهما. فمد دانيال يده ورفع فايث من تحت إبطها خارج السيارة. ورأى أنها مصابة بصدمة، فبذل جهداً كبيراً لابقائها فوق سطح الماء. ثم ابتعد عن السيارة ليفسح في المجال للمنقذ الآخر. وإذا به يلمح صديقته سيري بجانب الباب الأمامي.

كانت سيري ركضت وراء دانيال ثم غطست بعده وكادت تلامس عقب قدمه، وابتلعت كمية كبيرة من المياه الموحلة. وكانت تجول فكرة واحدة في رأسها: "احفظنا جميعاً يا ربّ، شدّدنا، إننا نستطيع القيام بهذا العمل!"

وصلت سيري الى السيارة لحظة كان دانيال وتشارلز يُخرجان فايث. وإذا بها ترى ستيفن في الداخل يحدق إليها بعينين متسعتين. قالت في نفسها: "حسناً، إنه يعرف أني سأنقذه."

حمل دانيال فايث على ظهره ولفّ يديها النحيفتين حول عنقه واتجه بها نحو الضفة. لكن التيار الجارف كان قوياً، وسرعان ما تعب دانيال، فغير اتجاهه وراح يسبح مع التيار حتى وصل الى الضفة وسلم الصغيرة الى والدتها. فلفّت جوي ابنتها بسترتها فيما ساعد آحدهم دانيال للخروج من الماء.

في غضون ذلك كانت سيري اقتربت من السيارة، فثبتت قدمها على بابها وجذبت ذراع ستيفن وانتشلته من النافذة. فحضنته تحت ساعدها وابتعدت عن السيارة على مهل. لكن وزن ستيفن البالغ ١٣ كيلوغراماً كان حملاً أثقل مما توقّعت. وكم كافحت لتبقي وجهها مرفوعاً فوق صفحة الماء. واذا بشخص آخر ينبثق من المجهول.

الى النهر. كان ألن ماك غينيس (٤٣ عاماً) يعمل تقنياً لأجهزة الهاتف، وكان يقود سيارته في نورث فورست بارك فشاهد جمعاً على ضفّة النهر. وحين تمهل رأى سيارة في الماء والى جانبها فتاة مراهقة. فما كان منه إلّا أن قفز من شاحنته الصغيرة وغطس في النهر.

وكم كان ممتناً لتدرّبه على القفز في الماء. وصل بسرعة الى سيري وستيفن. فأخذ الولد من سيري وأمسكه بيده اليمنى فوق الماء، سابحاً بيده اليسرى ورجليه الى أن وصل الى الضفة، فسلّم الصبي الى رجل هناك وتسلق خارجاً من الماء وارتمى على الارض منهكاً.

بقي تشارلز وحده في الماء، فتلا صلاة بصمت: "يا إلهي كُنْ معي." ومن خلال الزجاج الامامي رأى الطفلة مربوطة الى مقود السيارة والماء قد وصل الى ساقيها. فضرب بقبضته زجاج نافذة الباب الأمامي مراراً وتكراراً، فلم يجدِ ذلك. وأيقن أن إنقاذ الطفلة يفرض عليه الوصول اليها عبر النافذة الخلفية.

لذا عليه الزحف الى داخل السيارة الغارقة!

فوق الماء. كان روجر برونلي (٤٦ عاما) يقود شاحنته الصغيرة متجها الى مركز عمله. وبعدما تجاوز أحد المنعطفات في جادة نورث فورست بارك شاهد جمعاً من الناس وسيارة ستايشن في الماء ورجلا ملتحيا يضرب نافذتها بقبضته.

تردد روجر مخاطباً نفسه: "ما لي ولهم. هناك حشد كبير." لكنه أوقف شاحنته جانباً وهرول نحو النهر. في هذا الوقت، كان الرجل الذي رآه يضرب نافذة السيارة قد زحف الى داخلها.

فكر روجر: "إذا غرقت السيارة فسيكون ذلك الرجل في خطر عظيم!" وما هي الّا لحظة حتى نزع جزمته واندفع الى الضفة وقفز في الماء. وصل الى السيارة في لحظات، لكنه لم يجرؤ على الامساك بها لانه خشي أن تؤدي أقل لمسة الى إغراقها، وكان تشارلز وإماك داخل السيارة لا يظهر منه إلا رجلاه وقدماه. فقال روجر في نفسه: "أسرع في ما تفعله في الداخل يا صاحبي!"

في غضون ذلك أفلح تشارلز في حشر ذاته والتسلل الى الداخل عبر النافذة الخلفية. فأمسك سناد الرأس في المقعد الامامي ورفع صدره اليه.

وهناك، في متناول ساعده، جثمت إستر ساكنة لا يسمع لها صوت، وراحت تحدق اليه بعينيها المستديرتين النيّرتين.

شعر تشارلز بأن السيارة تغرق أكثر فأكثر، فصلّى: "أعطني القدرة يا الهي!"

كان قلبه يخفق بشدة وجلا وجزعاً، وسناد الرأس يضغط على صدره فيؤلمه. حاول فك حزام المقعد فأخفق، وحاول كسر قفله فانقطع شيء ما لكنّ الحزام لم يرتخِ. وإذ بان له عقم معالجته شدّ الحزام بعيداً عن كتف إستر ما يكفي لافلات الصغيرة من تحته. فتحررت الطفلة.

أمسك تشارلز ثوب الطفلة الأصفر بيده اليسرى ورفعها فوق المقعد وأخذ يتراجع قليلا قليلا. ولما خرج من السيارة استدار ورفع الطفلة فوق مياه النهر. كان الجهد أنهكه فتمنى لو أن أحداً هناك يستطيع تسلمها منه.

وخارج النافذة تماماً كان رجل أشقر منتظراً وهو يضرب الماء بقدميه. كان ذلك روجر برونلي، فناداه تشارلز: "خُذ الطفلة مني!"

أمسك روجر بثوب إستر وحضنها تحت ساعده اليمنى ووجهها الى فوق وراح يضرب الماء مبتعداً عن السيارة.

حين لامست قدماه قعر النهر كان يلهث لهاثاً شديداً. فالسباحة بيد واحدة

عكس التيار وهو يحمل الطفلة باليد الثانية ويبقي رأسها فوق الماء استنزفت كلّ قواه. وحين ثبت موطىء قدميه سلّم الطفلة الى أحد الواقفين على الضفة، فهرع هذا بها الى أمها.

حين وطئت قدما روجر الضفة استدار فشاهد تشارلز واماك يضرب الماء على بعد بضعة أمتار. فبادر وثلاثة آخرين الى مساعدته وإيصاله الى الضفة.

وبينما كان روجر وتشارلز يلتقطان أنفاسهما تطلعا الى السيارة فرأياها تدور على ذاتها دورة كاملة ثم تغور تحت الماء.

في تلك اللحظة وصلت سيارة إطفاء وتوقفت وراءهما. كانت الساعة ٣،٣٨ بعد الظهر، أي ست دقائق منذ بدأت السيارة هبوطها المميت.

لحظة تأمل. كانت فايث ترتعد إلا أنها لم تُصَب بأذى لا هي ولا أخوها ستيفن. أما إستر التي احتضنتها أمها، فنُقلت في سيارة إسعاف الى مستشفى للأطفال حيث عولج خدش بسيط في جلدة رأسها.

وبعد قليل حضر بيل وارن ليقلّ زوجته وأولاده الى المنزل.

بعد أحاديث وجيزة مع مسؤولين في الشرطة والاطفاء مضى تشارلز وروجر وألن كل في طريقه. وما إن وصل تشارلز الى وسط المدينة حتى أخذ يرتجف بشدة، فأوقف شاحنته الى جانب الطريق، وراح يفكر في زوجته وأولاده الثلاثة، وكيف أوشك على الهلاك والغياب عنهم الى الأبد. وفكّر في المعجزة التي أنقذت ثلاثة صغار أبرياء على أيدي خمسة غرباء صادف أن كانوا في المكان المناسب في الوقت المناسب.

يقول تشارلز اليوم: "الله مدّنا بالقوّة لكي نساعدهم من غير أن نخاف على حياتنا، وإلّا كنا فشلنا."

بعد ثلاثة أشهر في مايو (أيار) ١٩٩٢ نوّهت دائرة إطفاء فورث وورث في جمعية عمومية للمجلس البلدي ببطولة المنقذين الخمسة وتجرّدهم وتضحيتهم.

وليم م. هندريكس ■

ترجمة الياس عقل

العتب على النظر

تجاوز سائق دراجة نارية اشارة الضوء الاحمر فاوقفه الشرطي وسأله: " الم تر الضوء الأحمر؟"

- **بلى.**

" ولمَ لم تتوقف؟"

- **لانني لم ارك.**

ف.س.

احتفظ بربطات عنقك القديمة، وبحقائبك القديمة، فلا بدّ من أن تعود "موضتها" يوما.

ك.ر.

دائرة المعارف

العربية واحدة من أعرق اللغات الحية، وكثير من ألفاظها منقول الى لغات أخرى. تضمّ الدائرة في هذا العدد كلمات أجنبية منقولة عن العربية. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها هو الاصل العربي. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. alchemy: القِمْع – الخيمياء – الشمّ – الكمية.

٢. algebra: الجبار – الجبيرة – الجبروت – الجبر.

٣. almanac: المناخ – المنقل – المنحة – العلمنة.

٤. artichoke: ارتشاء – ارتجاج – خرشوف – ارتعاش.

٥. bedouin: بدر – بدوي – بدين – بدعة.

٦. cable: قبيلة – كَلْب – قابلة – حبل.

٧. camel: كامل – قمل – جميل – جمل.

٨. candy: قَنْديّ – كنز – كِنْديّ – قنديل

٩. cane: كيان – قينة – قناة – كينا.

١٠. carat: كارة – قيراط – قرطاس – قرع.

١١. cinnabar: صنبور – سن الابرة – صنارة – زنجفر.

١٢. coffee: قفل – كوفية – قهوة – كفالة.

١٣. cotton: خاتون – كتان – قطن – قوت.

١٤. gazelle: غزال – غَزَل – غسيل – جزيل.

١٥. giraffe: انجراف – زرافة – قَرَف – قيافة.

١٦. henna: هوان – هناء – حنّاء – إناء.

١٧. jar: جَرّة – جراد – جرأة – جمر.

١٨. lemon: رمان – سليمان – ليمون – لقمان.

١٩. magazine: مخازن – مؤذّن – مجازيّ – مقياس.

٢٠. mosque: مسجد – مسك – موسى – مستنقع.

٢١. mummy: أم – مومياء – أمّي – ممنوع.

٢٢. nuchal: نشّال – نقّال – نخيل – نخاعيّ.

٢٣. orange: نارَنْج – أعرج – عراق – أريج.

٢٤. safari: صفير – زفير – سَفَريّ – صفر.

٢٥. sesame: سوسن – سمسم – أسامة – ياسمين.

٢٦. spinach: سفينة – إسباناخ – سَبْي – سنبلة.

٢٧. sugar: شُكْر – ثَغْر – صَقْر – سُكّر.

٢٨. syrup: شراب – سراب – زريبة – زغرب.

٢٩. tariff: طريف – تَرَف – تعريف – تحريف.

٣٠. typhoon: طيف – طوفان – تحفة – تهافُت.



١. alchemy. الخيمياء، الكيمياء القديمة. مأخوذة عن العربية "الكيمياء".
٢. algebra: الجبر، علم الجبر. مأخوذة عن العربية "الجبر".
٣. almanac: التقويم، الروزنامة. مأخوذة عن العربية "المناخ".
٤. artichoke. خرشف، خرشوف، أرضي شوكي. مأخوذة عن العربية "خرشوف".
٥. bedouin: بدوي. مأخوذة عن العربية "بَدْوي".
٦. cable. حبل غليظ. مأخوذة عن العربية "حبل".
٧. camel: جمل. مأخوذة من أصل ساميّ فينيقي أو عربي "جمل".
٨. candy: سكر نبات، حلوى، "كراميل". مختصرة من sugar candy، عن العربية "قَنْديّ" أي سكّريّ، من "القَنْد" وهو عسل قصب السكر إذا جمد.
٩. cane: قصبة، عصا. مأخوذة من أصل ساميّ لعلّه "قناة" (قصبة) العربية.
١٠. carat: قيراط، وهو وحدة وزن للذهب والحجار الكريمة، أيضا: جزء من ٢٤ جزءاً. مأخوذة عن العربية "قيراط".
١١. cinnabar: زنجفر، كبريتيد الزئبق. مأخوذة عن أصل شرقي يرجح أنه لفظة "زنجفر" العربية.
١٢. coffee: بن، قهوة. مأخوذة عن العربية "قهوة" ومعناها في الاصل "الخمر".
١٣. cotton: قطن. مأخوذة عن العربية "قُطْن".
١٤. gazelle: غزال. مأخوذة عن العربية "غزال".
١٥. giraffe: زرافة. مأخوذة عن العربية "زرافة".
١٦. henna: حناء. مأخوذة عن العربية "حِنّاء".
١٧. jar: جرة، "مرطبان". مأخوذة عن العربية "جَرّة».
١٨. lemon: ليمون. مأخوذة عن العربية "ليمون".
١٩. magazine: مخزن، مجلة. مأخوذة عن العربية "مخازن" وهي جمع "مخزن".
٢٠. mosque: مسجد، جامع. مأخوذة عن العربية "مَسْجِد".
٢١. mummy. مومياء. مأخوذة عن العربية "مومياء".
٢٢. nuchal. نخاعي، ذو علاقة بمؤخر العنق. مأخوذة عن العربية "نخاع".
٢٣. orange: برتقال. مأخوذة عن العربية "نارَنْج"، عن الفارسية "نارنك".
٢٤. safari: رحلة، خصوصا رحلة قنص. مأخوذة عن العربية "سَفَريّ".
٢٥. sesame: سمسم. مأخوذة عن أصل ساميّ قد يكون "سمسم" العربية.
٢٦. spinach: إسفاناخ، إسباناخ، سبانخ. مأخوذة عن العربية "إسفاناخ" أو "إسباناخ"، عن الفارسية "إسفاناخ".
٢٧. sugar: سُكّر. مأخوذة عن العربية "سُكّر"، عن الفارسية "شَكَر".
٢٨. syrup: شراب، عصير فاكهة أو نبات مركّز. مأخوذة عن العربية "شراب".
٢٩. tariff: تعرفة، تعريفة. مأخوذة عن العربية "تعريف".
٣٠. typhoon: إعصار استوائي. مأخوذة عن العربية "طوفان"، وربما عن اليونانية typhon ومعناها الزوبعة أو الريح المدوِّمة.

المستوى

٢٥ - ٣٠ . ممتاز

١٩ - ٢٤ : جيد جداً

١٣ - ١٨ · مقبول

كنوز سِيبَان

تحف ومجوهرات نبشها سارقو القبور في البيرو قبيل الذكرى المئوية الخامسة لرحلة كولومبوس الى العالم الجديد

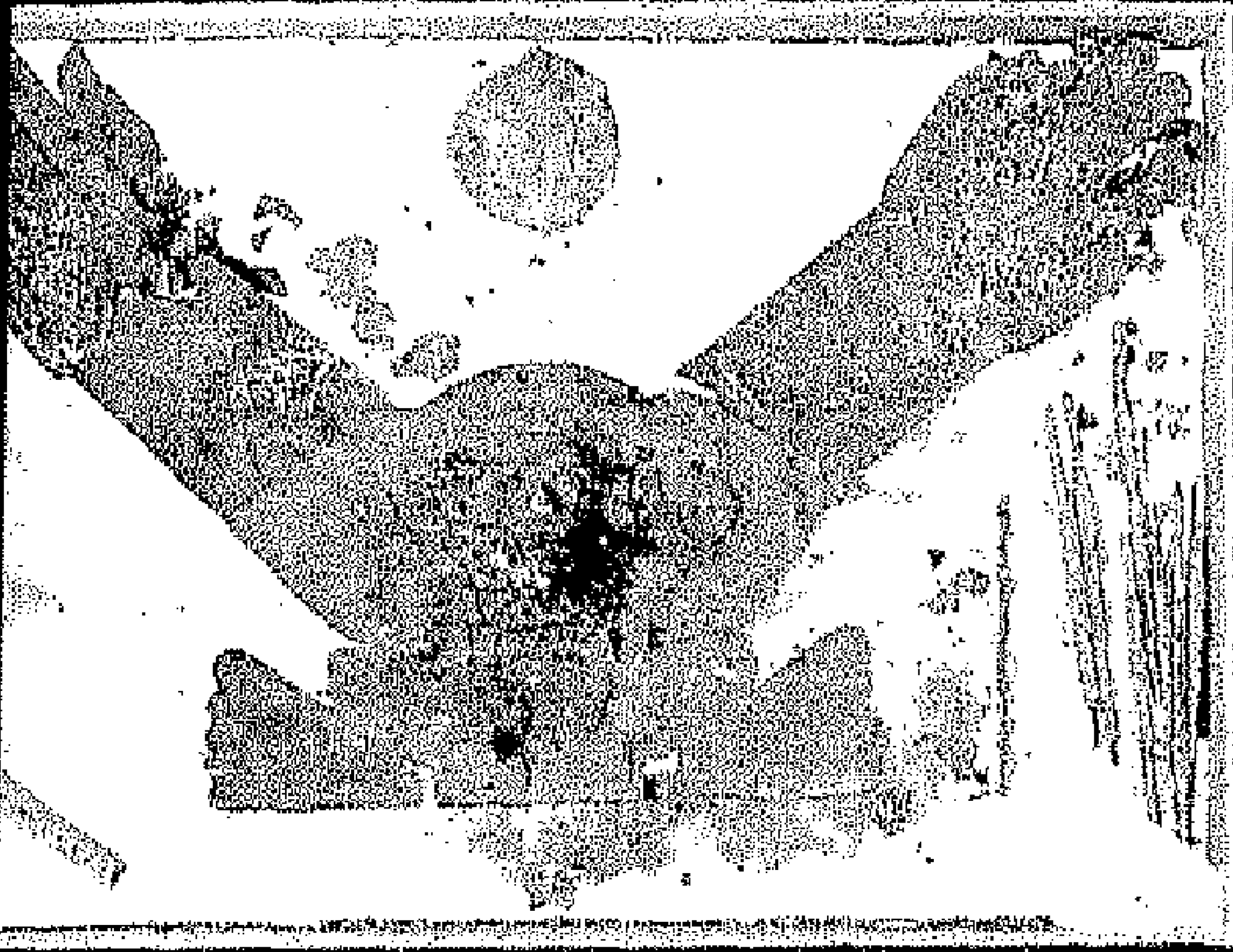
في أصيل يوم دافىء من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧ وقفت الخبيرة الالمانية مايكن فيخت (٤٣ عاماً) في مخزن متحف برونننغ في بلدة لمبايكه شمال البيرو. كان المخزن مليئاً بصفوف من الصناديق الخشبية، فغلبت الاثارة على فيخت وهي تحدق داخل كل منها. كانت تلك أروع مجموعة من الذهب والفضة والجواهر رأتها خلال ربع قرن في ترميم التحف.

هذه الكنوز التي يعتبرها علماء الآثار أغنى ما اكتُشف في نصف الكرة الغربي، كانت اكتُشفت قبل بضعة أشهر في أحد المدافن بالقرب من بلدة سيبان. التقطت فيخت قرطاً مصنوعاً من الذهب والفيروز، وفي وسطه رسم صغير لرجل على رأسه غطاء طقسي وفي يده هراوة، وهو شَبَهٌ مصغّر لزعيم من شعب الموخ وضعت كل هذه التحف في قبره قبل أكثر من ١٧٠٠ سنة.

حلية عقد اكتشف بالقرب من الاهرام.
PHOTO: PERUVIAN TOURIST OFFICE







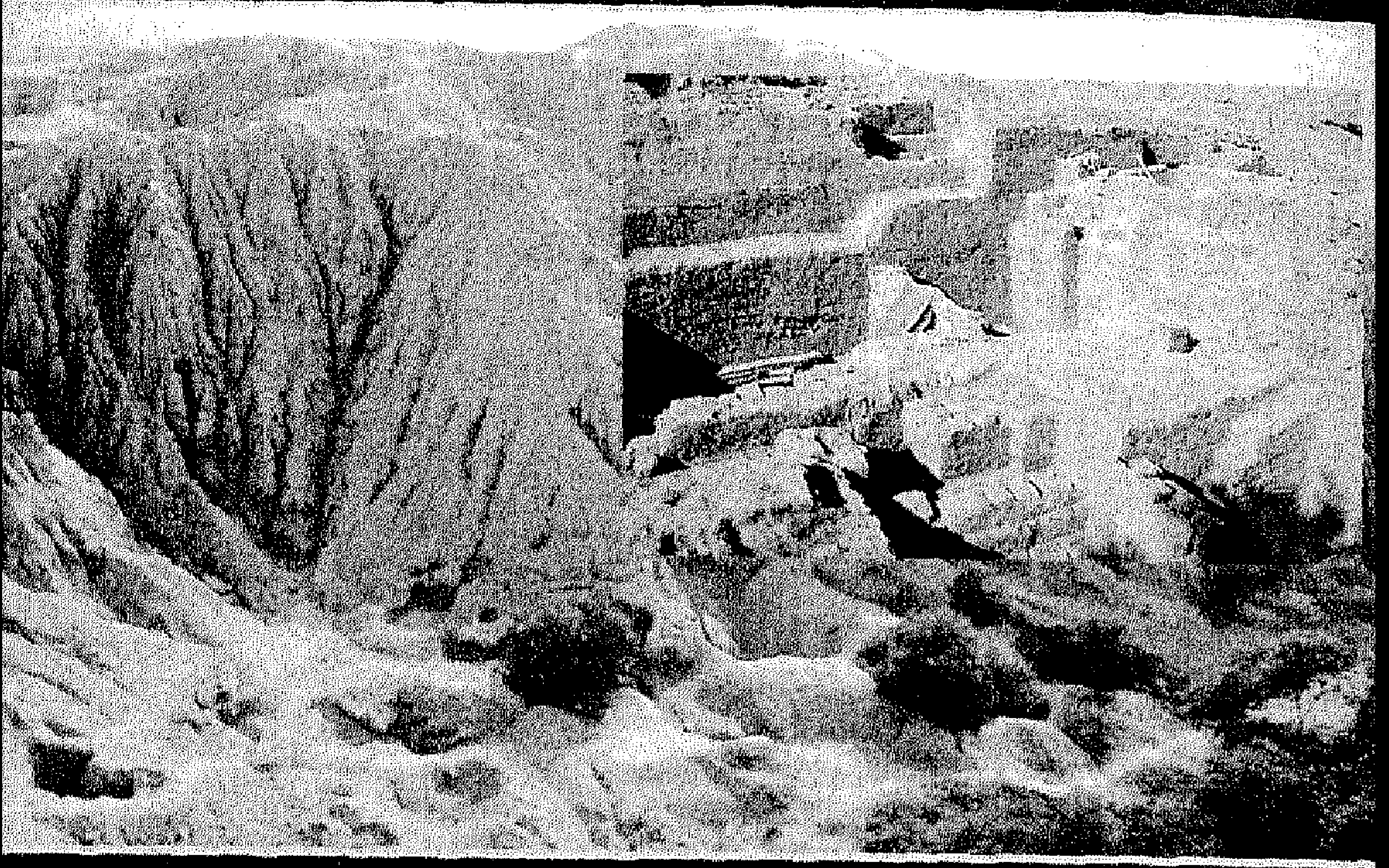
حين اكتشف البيروفيون درع الصدر العائد إلى "سيد سيبان" كان في حال من التلف الشديد. وقد التقطت الصورة (فوق) اثناء ترميمه، وتظهر صفيحة الدرع المصنوعة من النحاس الممزوج بالذهب.

غطّى غشاء سميك أخضر معظم التحف، وكان كثير منها مكسوراً أو عفناً أو محطماً. ولما كانت فيخت صائغة بارعة في "المتحف الروماني الجرماني المركزي" في مدينة ماينس الالمانية، فقد كان عليها أن تقرر مدى إمكان ترميم الكنز وإعادته الى روعته الأصلية.

رأت فيخت أن ذلك يتطلّب سنوات من العمل الدؤوب، لكنها قالت: "انه ممكن." وبعد أيام عادت إلى ألمانيا لتساهم في الترتيبات اللازمة لاستقبال الكنز.

بدأت القصّة ذات ليلة من فبراير (شباط) ١٩٨٧ حين استيقظ ولتر ألفا، عالم الآثار البيروفي ورئيس متحف برونغ، ليرد على مكالمة من دائرة الشرطة تطلب منه أن يحضر ليشاهد بعض التحف التي صودرت من منزل أحد سارقي القبور بالقرب من بلدة سيبان. فهرع ألفا (٣٦ عاماً) الى دائرة الشرطة. وحين تفحّص كنز المجوهرات القديمة أدرك للحال أنّها أروع ما عثر عليه من

PHOTOS: RÖMISCH — GERMANISCHES ZENTRALMUSEUM



اقتضى العمل أشهراً لكشف غرف الدفن (أعلى اليمين) بالقرب من الأهرام.

التحف العائدة إلى حضارة شعب الموخ[1] التي لا يعرف عنها الا القليل.

حكم شعب الموخ السهل الضيق الممتد بين سفوح جبال الانديز وشواطىء المحيط الهادىء قرابة ألف سنة قبل أن ينقرض بحلول العام ٨٠٠ لأسباب غير معروفة. استغلّ الموخ مياه الانهر، فأنشأوا شبكة قنوات للريّ وحولوا الصحراء في الساحل الشمالي من البيرو واحةً من الاراضي الزراعية. وربما كان عدد السكان الذين أقاموا في وادي لمبايكه ٥٠ ألفاً، عاشوا في مجتمعات زراعية تهيمن عليها هياكل لبْن هرمية كانت مراكز دينية وسياسية. ولا يزال هناك هرمان يرتفعان الى علو ٣٥ متراً أمام مصطبة متهدمة في سيبان.

كان شعب الموخ بارعاً في مزج المعادن وطلائها بأغشية رقيقة من الفضة والذهب. وكانت مصنوعاته الفنية مماثلة لمصنوعات شعب المايا الذي عاش آنذاك في المكسيك وأمريكا الوسطى. وتُعتبر صناعاته الخزفية والنسيجية سابقتين ورائدتين للصناعات اليدوية البارعة لقبائل الانكا التي ظهرت بعد نحو ٢٠٠ سنة.

تابوت السيد. في اليوم التالي أرشد رجال الشرطة عالم الآثار ألفا إلى الموقع الذي اكتشفت فيه الآثار، وهو مصطبة ترتفع ٢١ متراً وتبلغ مساحتها ٣٥٠٠ متر مربع. وربما كانت مكاناً لاقامة الشعائر. وكان نابشو القبور دخلوا من أحَد الجوانب ونهبوا غرفة للدفن ولم يخلفوا

(١) Moche

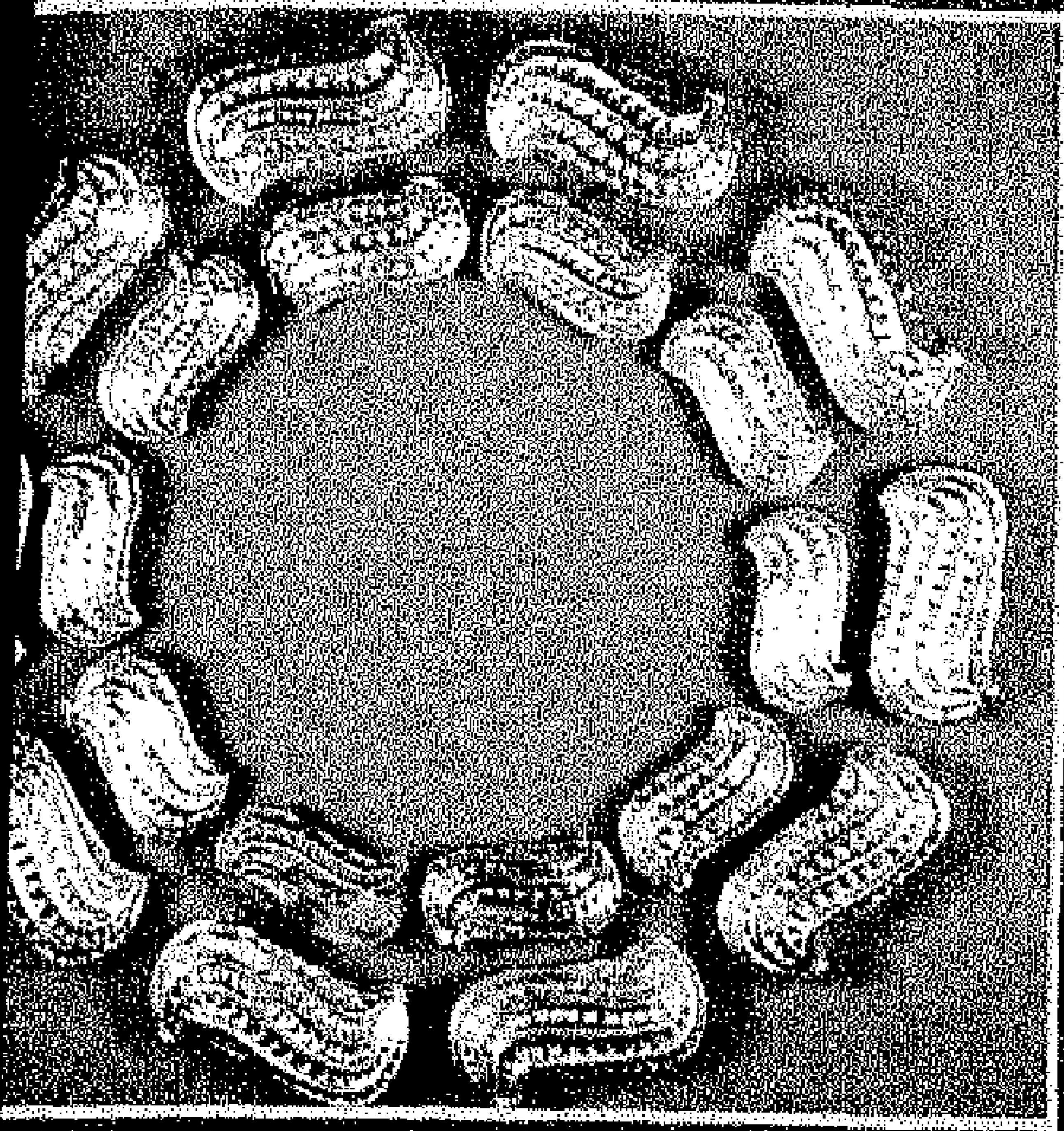
PHOTOS: PERUVIAN TOURIST OFFICE

فيها سوى عظام وأوان فخارية محطمة.

أقام ألفا مخيما هو وزميله لويس شيرو زوريتا. وبعد أربعة أسابيع شرعا في الحفر بمساعدة عدد من العمال المحليين. وفي يوليو (تموز) اكتشف الفريق غرفتين للدفن تحويان جماجم بشرية. وإلى جانب رفات الرجل الدفين في الغرفة السفلى وجدت خوذة ودرع مطليّان بالذهب. وهذان الأثران، إلى كون القدمين قد قطعتا، دليل على أن الرجل كان حارساً. ولكن من كان يحرس؟ أتاهما الجواب على انخفاض نصف متر حيث كشف ألفا وشيرو تابوتا لم يفتح وإن يكن حلّ به الاهتراء بفعل الرطوبة ومرور الزمن.

استخدم العالمان مالجين صغيرين وفراشي رسم ومصابيح خاصة، وراحا يسبران داخل التابوت بحذر. فظهر لهما أثر هيكل عظمي في لباس قتال من الذهب والفضة مزخرف بالحجار الكريمة، وهي رموز السلطة. فاعلن ألفا: "انه كاهن ومحارب من الأشراف." وأطلق عليه لقب "سيّد سيبان."

دلت الفحوص لاحقا على أن الزعيم الكبير مات قرابة العام ٢٩٠ وهو في أوائل الثلاثينات من عمره. وكان طوله ١٦٧ سنتيمتراً وهذا يفوق متوسط طول رجال الموخ. وكان الموخ يدفنون المكرمين الأشراف من موتاهم مزودين كل ما يحتاج إليه الحي. لذا كان لدى "سيد سيبان" نحو ١١ كيلوغراماً من الأشياء الذهبية والفضية. وإلى حارسه، كان هناك ثلاثة رجال وثلاث نساء ربما كانوا زوجاته وخدامه. وعُثر أيضاً على هيكل عظمي لولد وهيكلَيْ لاما[2] وهيكل كلب.



"عقد الفستق" وقد عاد اليه لمعانه.

ترميم الكنز. كانت المكتشفات ملكاً لدولة البيرو وسيعرضها متحف بروننغ للعموم. إنما، كخطوة أولى، تَعيَّن إنقاذها من التآكل وإعادتها إلى لمعانها الاصلي. لكن حكومة البيرو كانت تفتقر إلى المال والأجهزة والخبرة للقيام بهذا العمل الجبار. لذلك توجه ألفا إلى الحكومة الألمانية التي موّلت المتحف البيروفي عام ١٩٦٦، فهل تستجيب مرة ثانية؟

لم يكن من وزارة الخارجية الألمانية الا أن موّلت نفقات نقل الكنز الى المتحف الروماني الجرماني المركزي في ماينس، المشهور عالمياً، حيث تقرر ترميم الكنز. فهذا المتحف الذي انشىء قبل ١٤٠ سنة هو أحد أهم الاماكن في المانيا التي تحوي التحف والمصنوعات الفنية من العصر البرونزيّ إلى أوائل القرون الوسطى. وفي مشاغل الترميم في معهده

(٢) اللاما (Llama) حيوان جنوب - امريكي يشبه الجمل لكنه أصغر منه وليس له حدبة



مايكن فيخت الصائغة البارعة أثناء عملها.

لمخصص لما قبل التاريخ وللتاريخ القديم، يتسلّم ٢٢ موظفاً وعدد مماثل من المُبتدئين المتمرِّنين قطعاً أثرية مكسورة من أنحاء أوروبا، ويعيدونها شبْه جديدة.

قبل مباشرة أي عمل، تسعى مايكن فيخت وزملاؤها ما أمكن الى معرفة تاريخ القطعة وصانعيها. لذلك، رغبة منها في الالمام بكنوز سيبان، سافرت مرتين الى البيرو وزارت مواقع الحفر.

في أواخر العام ١٩٨٨ ساهمت فيخت في توضيب التحف التي شملت ٢١٠ قدور من الخزف و١٨ عقداً مثقلا بالخرز وأعداداً من الحلى المعدنية والتقدمات، ورافقتها الى ماينس. لكنها قلقت لرؤية دلائل على مزيد من الاهتراء، إذ تحوّلت بعض القطع الصغيرة مسحوقاً حين تعرضت للهواء الطلق، فيما بانت شقوق جديدة في قطع أخرى. فقالت فيخت: "إن أهملناها بضع سنوات أخرى فسنخسرها كلها."

بوشر العمل للحال. فصورت كل قطعة بمفردها، وفحصت بالأشعّة السينية (إكس) ثم أودعت وعاء محكم السد من البلاستيك ضُخّ النيتروجين داخله. وهذه الطريقة هي الوسيلة الضرورية في تكنولوجيا الترميم العصرية لايقاف الاهتراء إلى أجل غير محدود.

قبل الترميم توجَّبت مُعالجة الأدوات الفضّية بالبلازما ذات الضغط المنخفض[٣] لازالة غشاء العتّق عنها. فأُرسلت إلى جامعة زوريخ حيث الجهاز الوحيد في العالم الذي ينفذ هذه العملية. غطّست القطع في مزيج من الهيدروجين والميثان في حرارة ناهزت ٣٠٠ درجة مئويّة إلى أن انكمشت قشورها الخارجية ولانت. وبعد إعادة القطع إلى ماينس أصبح في إمكان الاختصاصية فيخت وفريقها تنظيف المعدن الثمين. وبلمسة سحرية عاد اللمعان إلى ظروف الفستق الفضية الصغيرة في قلادة "سيد سيبان" والى عدة أقنعة فضية صغيرة وسكينين مزخرفتين برسوم جميلة.

وبدا ترميم الطبقة الذهبية الكثيفة المطليّة بدقّة على وجه النحاس عملاً أكثر صعوبة، لأن مجرد حكّها بقماشة مبللة كان يمكن أن يمحوها تماماً. لذلك كانت الطريقة الوحيدة الآمنة هي استخدام مبضع الجرّاحين والعمل بتأن فائق. لكنّ المهمة استحقت الجهد الذي بذل.

(٣) Low-pressure plasma

دقة جراحية. كانت الخزفيات في حاجة إلى معالجة خاصّة. فقد كان ألفا ومساعدوه وضّبوا كسراً من نحو ١٠٠ قدر بدقة متناهية في أكياس من البلاستيك. فقام رئيس المشغل لزلي بلونتكي وستة من مساعديه بغسل كل قطعة على حدة، بما فيها تلك الكسر الصغيرة جداً. وقُوِّيَت القطع المسامية بمحلول من الراتينج (الصمغ) جرى لصقه في حجرة مفرغة من الهواء. ثمّ جمعت أجزاء القدور بعضها إلى بعض بغراء عاديّ وحُشي الفراغ مكان الأجزاء المفقودة بالجصّ. وبعد وضع اللمسات الأخيرة طليت القطع بألوان ملائمة فباتت متكاملة مُشرقة كأنّها جديدة.

أمّا التحدّي الأكبر فكان تجديد ثوب "سيد سيبان." كان التراب سحق التابوت الى خُمْس ارتفاعه الأصلي البالغ ٨٥ سنتيمتراً. وأظهر فحص الأشعّة السينيّة طبقات عدّة من الزخارف المعدنيّة والنسجيّة. فبدأت فيخت سلخ تلك الطبقات بعضها عن بعض في مايو (أيار) ١٩٩٠. وكان عملها بطيئاً وشاقاً.

استغرق تجديد الجزء الاعلى من أحد الأغطية التي لُفّ بها الهيكل العظمي أشهراً من العمل المكثف، وهو شمل درعاً للصدر و٣٣٠ من الرقائق الذهبية الدقيقة الواحدة منها بحجم طابع بريدي. وتعين على فيخت تقوية معظم القطع بطبقة خلفية من الراتينج الاصطناعي والزجاج الليفي (فيبرغلاس). وقد أمكن، باستخدام مجهر قوي، جمع الأجزاء الصغيرة جدّاً. واستطاعت فيخت، باستخدام مبضع الجرّاحين، كشط طبقات الأغشية مليمتراً بعد مليمتر، وكانت حريصة على ألا تتلف ما تحتها من الطلاء الذهبيّ الفائق الدقة. وتقول: "كنت أعمل حتى في أيام العطلة الأسبوعية. وكان ذلك عَمَل محبّة." ولم تمر خمسة أشهر حتى بات كل شيء زاهياً لماعاً.

في غضون ذلك كان فريقها أعاد اللمعان إلى أقنعة ساخرة مصغّرة لها أسنان من الصدف، وإلى هلال وجد تحت رأس السيّد كان قلب تاج من الريش، والى الرقائق المذهّبة التي غطّت فكّه وأنفه وعينيه. أما الحذاء (الصندل) الأخضر الذي حسبه ألفا من النحاس المتأكسد فتبيّن أنه من الفضّة.

قبل كولومبوس. كشفت عملية التنظيف دلائل جديدة مثيرة على السلطة عند شعب الموخ. فمن قبضة صولجان فضي، ومن الشعارات والهراوات والأسلحة وأغطية الرأس، تبيَّن لألفا أن "سيّد سيبان" كان أيضاً قائداً عسكرياً. والرسوم السنّورية على غطاء رأس من الذهب هي رموز القوّة في حضارات البيرو، وقد أثبتت أن السيد كان أكثر من قائد، كان من الاجلّاء.

في خريف وشتاء ١٩٩١ وجدت فيخت أنها في سباق مع الوقت. فقد تعين إنجاز العمل أوائل ١٩٩٢ ليكون جاهزاً في مواكبة الاحتفالات بالذكرى المئوية الخامسة لرحلة كريستوفر كولومبوس التاريخيّة إلى "العالم الجديد."

في شهر مارس (آذار) ١٩٩٢ عُرضت مجموعة من أجمل التحف في متحف "رينش ميوزيوم" في بون. واصطحب

ألفا قسماً منها الى إشبيلية في اسبانيا لتزيِّن جناح دولة البيرو في معرض ١٩٩٢ الذي أُقيم في أبريل (نيسان). وستعرض تحف أخرى في نيويورك وواشنطن سنة ١٩٩٣.

تقول مايكن فيخت: "أنا سعيدة لأن هذه التحف ستحظى بدعاية واسعة. انها تذكّر الناس بالحضارات الكبرى التي نشأت في أمريكا اللاتينية قبل قدوم الأوروبيين بأكثر من ألف سنة."

في هذه الأثناء، اكتشف ألفا ثلاثة قبور ملكيّة أخرى في سيبان، وأقيم في لمبايكه مشغل كامل التجهيز ممول بمساعدة متحف ماينس و"مؤسسة التسليف لاعادة التعمير." وسيكون في إمكان فنيَّين من البيرو دربتهما مايكن فيخت على الاعمال التقنية الحديثة، القيام بأعمال الترميم في متحف برونِنغ، المقرّ النهائي لكنوز سيبان.

يقول ألفا: "إن الآثار الفنية لشعب الموخ هي مهمة لتراثنا. ونحن البيروفيين يحقّ لنا أن نفخر بالروائع الفنّية التي أبدعها أسلافنا."

روي فرغسون ■



سائق مجاز

كانت دهشتي كبيرة حين علمتُ ان سائق سيارة الأجرة التي استقلّها حائز اجازة في علم النفس، فسألته هل كانت لشهادته فائدة ترجى في نطاق عمله. فأجاب: "انها تعطيني فكرة واضحة لماذا يسدّ بعضهم عليّ طريقي او لماذا يسرعون حين احاول تجاوزهم."

فسألته، متوقعاً تحليلا علميّاً فذّاً: "ولماذا يفعلون ذلك؟"

اجاب: "لأنهم اغبياء!"

م.ت.

بائع في الشرطة

ملّ احد موظفي المخازن العامة وظيفته والتحق بالشرطة. وبعد فترة ساله صديق هل اعجبه عمله الجديد فاجاب: "طبعاً، فالدوام حسن والراتب جيّد والاهمّ ان الزبون هو دائماً على خطأ."

س.ن.

أحلاهما مُر

قال الجرّاح للمريض: "علينا ان نجعلك تغيب عن الوعي اثناء العملية، اتفضّل ان نحقنك بالمخدّر ام ان تلقي نظرة على فاتورتك في المستشفى؟"

ل س.



انحنيت فوق حاجز الباخرة فسمعت صبياً ينادي رفيقه مشيراً الى الخليج المؤدّي الى لويسبورت: "أنظر يا مايكل، هناك طريق!" والصبي من قرية صغيرة على ساحل لابرادور يعيش سكانها على صيد الاسماك. ومنظر طريق عامة هو بالنسبة اليه أكثر فتنة من منظر حوت أو جبل جليد.

أما أنا فقد سبق أن شاهدت من الطرق العامة ما يكفيني مدى الحياة. ولكن ذكرتني هذه النظرة الخاطفة الى الطريق المؤدية الى لويسبورت بأن رحلتي التي دامت أسبوعين شارفت نهايتها.

كنت على متن "نورثرن رانجر" وهي باخرة ركاب وشحن تابعة لشركة "أتلانتيك" البحرية وتعمل على خط يصل بين لويسبورت ونـاين، المستوطنة القصوى في شمال لابرادور.

سوف أشتاق الى هذه الوقفة على مقدم السفينة، حيث راقبت السلاحف البحرية وهي تتواثب بمرح على جانبي السفينة، والحيتان الملساء السوداء والبيضاء وهي تمخر الأمواج برشاقة. وقد رأيت قرب جزيرة بيل ايل حوتاً أحدب منبثقاً من الامواج بعنف شاقاً المياه كقنبلة. وراقبت طيور النورس بمنظاري.

PHOTOS: © FRASER CLARK / STOCKMARKET; © JOHN EASTCOTT & YVA MOMATIUK / FIRST LIGHT; © ROBERT STEWART

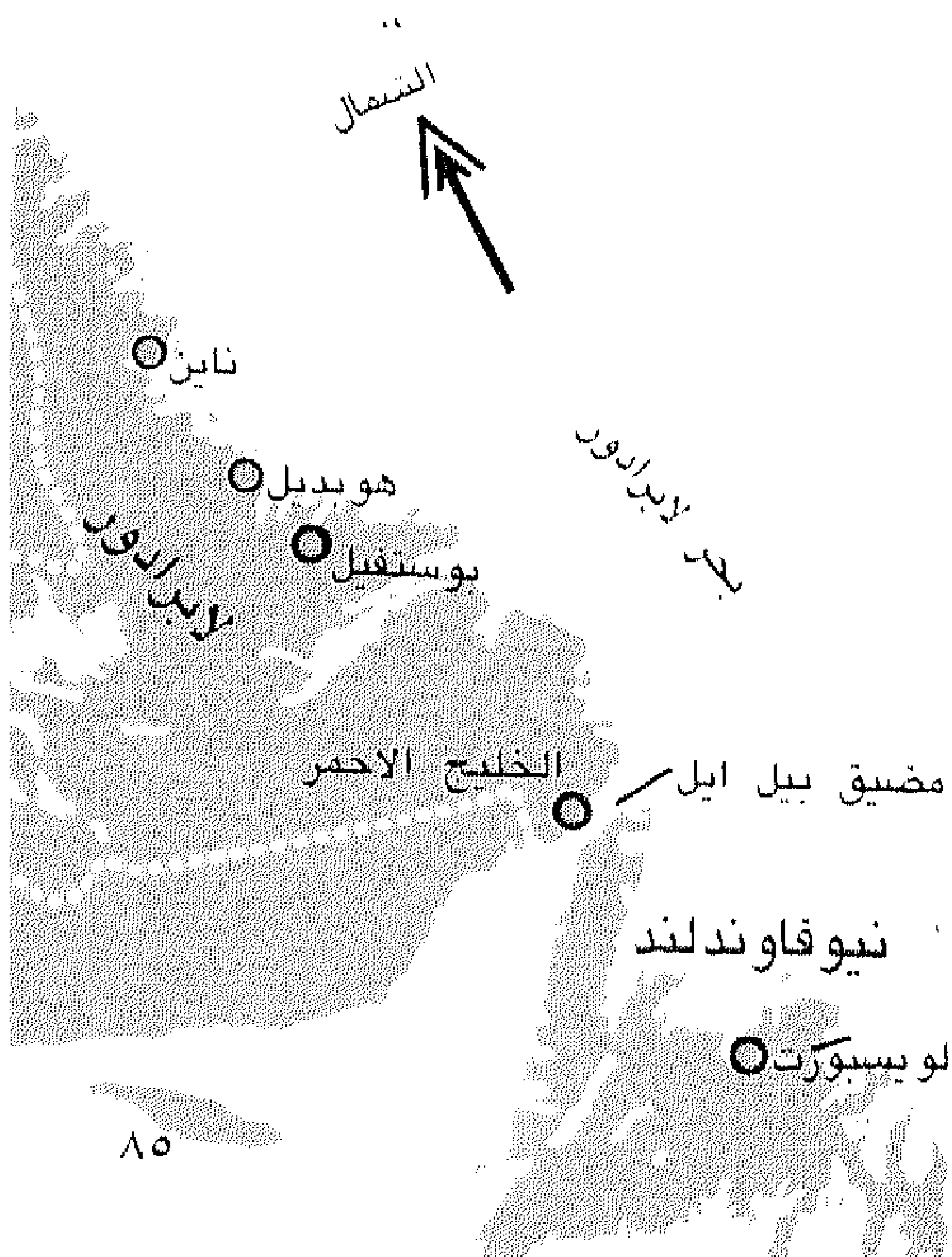
كانت تحلق بأجنحتها الحادة وأذيالها المسنّنة متجهة جنوباً نحو القارة القطبية الجنوبية لتمضية فصل الشتاء. وهي تجتاز ٤٠ ألف كيلومتر في رحلتها السنوية ذهاباً وإياباً.

أصبحت مراقباً شغفاً لجبال الجليد المتبقية من العصر الجليدي الاخير الذي يرقى الى عشرة آلاف سنة. وكنت في ذلك متحمساً مثل قبطان الباخرة رالف مايلز، وهو من إقليم نيوفاوندلند الكندي، في أوائل الاربعينات من عمره، طويل البنية، متورّد الخدّين، وقد أمضى في البحر أكثر من عشرين سنة. وكان يهتف عبر مكبر الصوت: "آه! أنظروا، هذا واحد جميل!" لافتاً أنظار الركاب كلما لاح له جبل جليد.

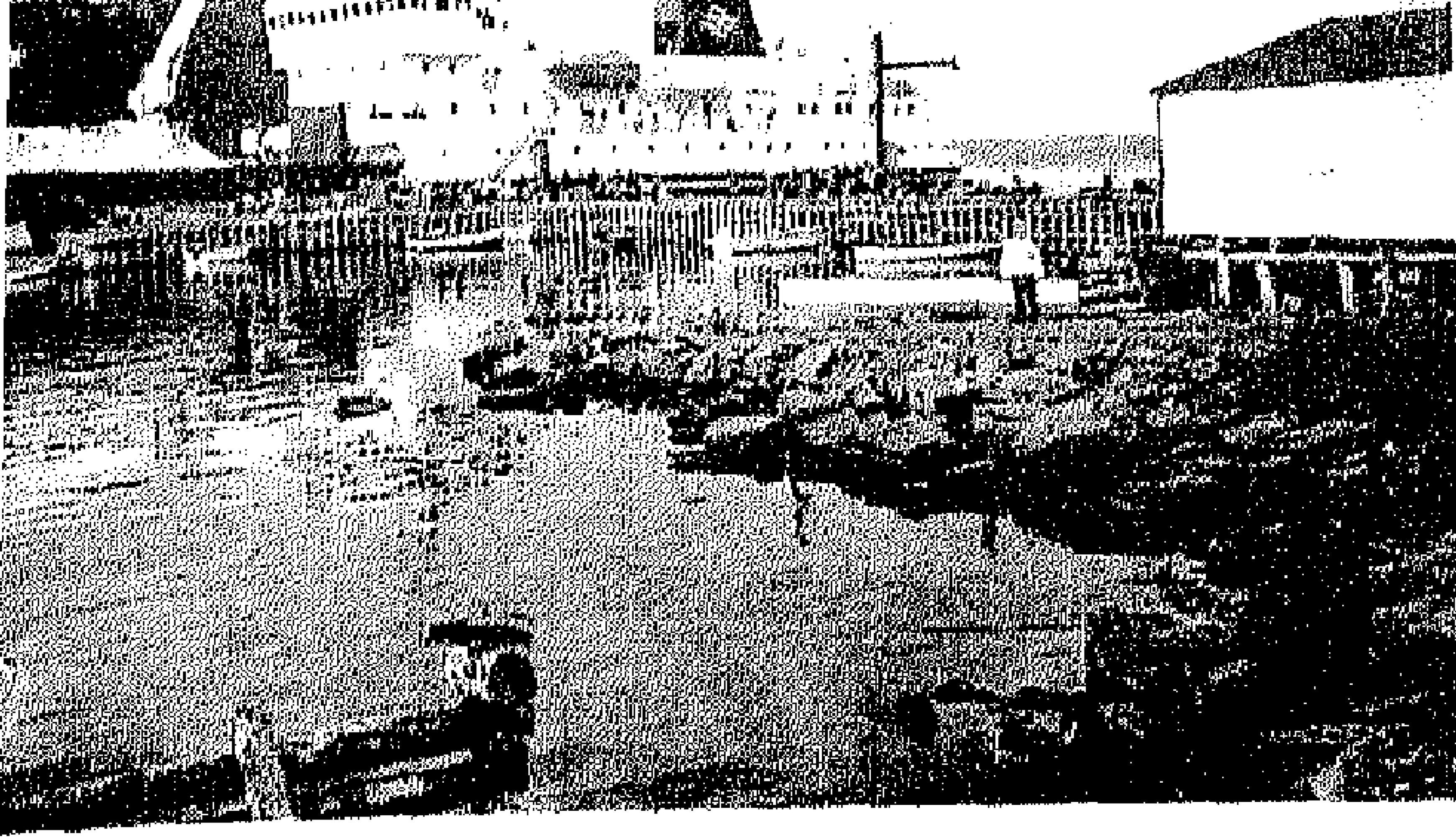
ضباب وسراب. يُطلق بحارة نيوفاوندلند على تيار لابرادور اسم "ممر جبال الجليد" اذ يتدفق من المحيط المتجمد الشمالي ماراً بألوف الجبال الجليدية التي جاءت بها أنهار ذائبة. وهذا ما أعطى الجبال لونها غير المألوف، فهي بيضاء تشوبها مسحة فيروزية وتتلألأ فاتنة مثل درر نفيسة.

حفرت أنهار الجليد شقوقاً طويلة في ساحل لابرادور باتت أزقة بحرية.* ويبلغ طول أحد هذه الازقة خمسين كيلومتراً، ويؤدي الى مستوطنة صغيرة تدعى بوستفيل. عند الغسق، يغمر جدران الزقاق توهج ناري. ومع حلول الظلام تتحول مياهه ومنحدراته الصخرية الى زرقة فضية مشعة. وعندما تُرّجع الجبال صدى صفارة الباخرة، يعتري المرء شعور بالوحشة الساكنة في بوستفيل التي يحاوطها الجليد ستة أشهر في السنة.

تقع بوستفيل في أقصى نقطة داخلية يمكن بلوغها إبحاراً في شمال ساحل لابرادور. ويقطنها مئتا شخص من سكانها الأصليين ومن البيض، يعيشون من صيد الاسماك وتقديدها وصيد الفقمة للحمها وجلدها، كما يصيدون الطيور وينصبون الفخاخ. وتتجمع منازل بوستفيل الزاهية الألوان متقاربة جاثمة فوق مرفئها المنعزل. وهي تبعد ٧٤ كيلومتراً عن أقرب مستوطنة، وعلى رغم ذلك تبدو أنيسة تبعث على الدفء والارتياح. واذ تسير على دربها الترابية، تشم رائحة الخبز منبعثة من المنازل.



(*) Fjords. وهذه ممرات بحرية تكتنفها اجراف صخرية.





الباخرة "نورثرن رانجر" راسية في ماكوفيك إحدى أقدم المستوطنات على طريق الباخرة.
تحت: امرأتان من الشعب الاينوي في ناين.

إلّا أن ثمة شيئاً مخيفاً في هذه الارض البدائية يكتنف ضبابها الغريب ورياحها التي تئن وسرابها. وينشأ هذا السراب عن خدعة بصرية يسبّبها انكسار الضوء في المياه، وقد يمتد فوق سطح البحر المنظور بكامله. وقد شاهدت سراباً كأنّه انعكاس سلسلة جبال جليدية في مرآة، وهو بدا كجسر مقوّس يمتدّ بين لابرادور ونيوفاوندلند. وشكّل سراب آخر ما يشبه ظلال مدينة تلوح في ظلام الافق مرتفعة من قلب البحر.

صفارة الفرح. رست باخرتنا في سبعة وأربعين مرفأ خلال رحلتها التي اجتازت فيها ٤٢٦٠ كيلومتراً ذهاباً واياباً. بعض هذه المرافىء لا يؤوي سوى عائلتين أو ثلاث عائلات، وكثير منها ملاجىء موقتة لصيادي الاسماك الذين يفدون من نيوفاوندلند في الربيع ويرحلون مع حلول الخريف. وتُبنى محطات الصيد هذه في خلجان صغيرة تحميها جزر صخرية. وللوصول اليها، على المرء أن يبحر في قوارب صغيرة عبر ممرات ضيقة جداً



جبال جليد خلابة تتخلل الطريق البحرية.

بحيث يمكنه أن يلمس بيده الصخور القائمة على الجانبين.

وما زال سكان محطات الصيد يعيشون كما عاش أجدادهم، على رغم توافر الزوارق الآلية والمناشير الآلية والمولدات الكهربائية. ويعمل الصيادون من الفجر الى الغسق، يلقون شباكهم في البحر من قواربهم ويعيشون في مجمعات عائلية صغيرة. بيوتهم من خشب، وليس لديهم أجهزة تلفزيون. وفي المناطق النائية لا تعمل أجهزة الراديو العادية.

وخلال الاشهر الخالية من الجليد، أي بين يونيو (حزيران) ونوفمبر (تشرين الثاني) تصبح باخرتنا "رانجر" وشقيقتها "تافرنر" الصلة الوحيدة والمهمة لهذه المنطقة مع العالم الخارجي. معظم القرى هنا يفتقر الى أرصفة لتحميل السفن وتفريغها. والحدث العظيم هو سماع صفارة سفينة متجهة نحو أحد المرافىء حيث تلقي مرساتها. فعلى الأثر يهبّ الناس كلهم للقائها، حتى الأطفال. فيتجهون اليها بقواربهم الصغيرة التي يربطونها بحبال الى السفينة في أثناء تفريغ حمولتها التي تضم كل شيء. وكل شيء يستحق أن يُنقل، مهما يكن صغيراً. وفي أحد مجمعات الاكواخ أنزلت الباخرة رسالة فقط.

معظم ركاب الباخرة يعيشون هنا. وفي الردهة تلتقي مزيجاً متنوعاً من الركاب، بينهم صيادون ومعلمون وملاحون وصانعو فخاخ. وقد تحدثت الى رجل مسنّ يدخن غليوناً ويدعى السيد فلاورز. إنه من قرية ريغولت، وقد أعطاني درساً

مرتجلا عن أسراب السمك والانواء البحرية والأماكن الفضلى لصيد السلمون. وقال لي مشيراً الى إحدى الجزر: "هناك على الشواطىء يكثر سمك السلمون." ومع الوقت، ألفت أذناي اللهجة السائدة في نيوفاوندلند، كذلك الاستعارات اللفظية. لكنني لم أتمكن من اعتياد تعابير محلية مثل "صعوداً الى الجنوب" و"نزولا الى الشمال."

قبل كولومبوس. توجهنا "نزولا" الى ناين حيث يقطن نحو ألف شخص من قبيلة "اينوي" ومن سكان آخرين مختلطي الاعراق. وفي أحد المقاهي كانت تنبعث من الراديو ترنيمة باللغة المحلية "اينوكتيتوك." وفي المدافن وجدتُ آثاراً للرجل الأبيض الذي سكن تلك المناطق النائية قبل تأسيس معظم مدن أمريكا الشمالية بوقت طويل. فقد أسس ألمان من مورافيا أول بعثة لهم بين السكان الأينوي عام ١٧٧١، ولم تزل شاهدات قبورهم في حال جيدة. انحنيت، وقرأت على إحداها ما يأتي: "كريستوف برازن. ولد عام ١٧٣٨ وتوفي عام ١٧٧٤. جرّاح ومراقب أول في بعثة لابرادور."

في كل من ناين وشقيقتها المستوطنة المورافية هوبديل التي تبعد عنها ٢٢٠ كيلومتراً الى الجنوب، متحف صغير يضم أعمالا حرفية للاينوي والمورافيين. ويقع متحف هوبديل في بيت يُعتبر من أقدم البيوت الجاهزة على وجه الأرض. فقد شُحنت أجزاؤه من ألمانيا في أوائل القرن التاسع عشر.

كان المورافيون من أوائل الأوروبيين الذين جاؤوا الى لابرادور. فقبل خمسمئة سنة من وصول كريستوفر كولومبوس الى أمريكا، أبحر الشماليون من ايسلند وغرينلند على طول هذا الساحل. وتوجهوا الى أقصى نقطة شمالا في نيوفاوندلند حيث أقاموا مستوطنة في لانسو ميدوز قرب سانت أنطوني الواقعة على خط سير الباخرة "رانجر."

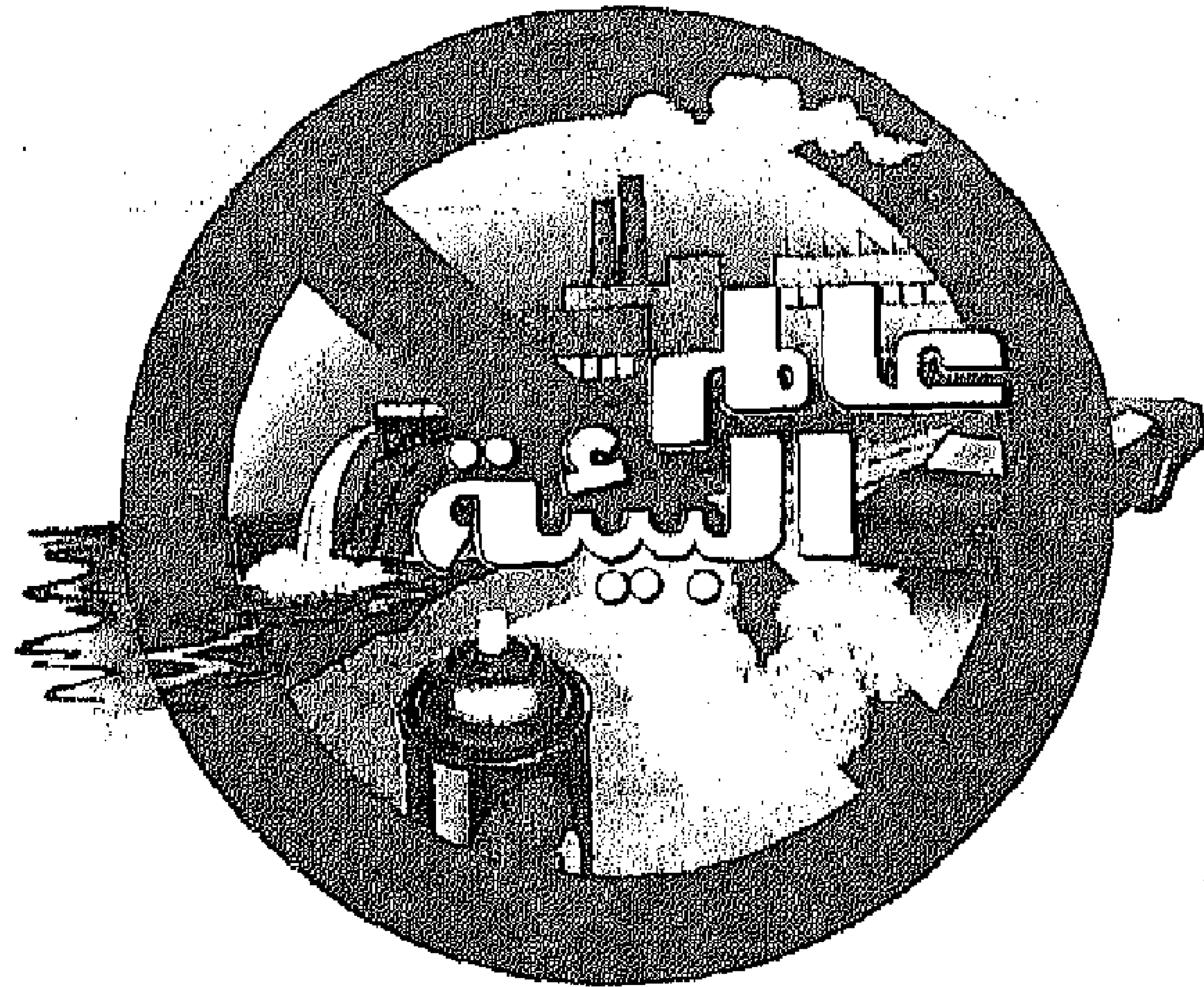
في الخليج الأحمر، المحطة الاخيرة للباخرة قبل عبورها مضيق بيل ايل عائدة الى نيوفاوندلند، آثار متبقية لمصانع حيتان تعود الى القرن السادس عشر. في هذا المكان عثر علماء الآثار والمنقبون على حطام سفينة باسكيَّة لصيد الحيتان تدعى "سان خوان" كانت فُقدت عام ١٥٦٥، وهو أقدم حطام اكتشف في هذه الجهة من ساحل الاطلسي شمال خليج المكسيك. وتمكن مشاهدة هذه الاكتشافات في متحف محلي.

بعد يوم على مغادرتنا الخليج الأحمر لاح لنا مرفأ لويسبورت. وإذ رست الباخرة هناك حملنا أمتعتنا على ظهورنا عبر الممر الخشبي وودعناها بحزن.

لكن سحر لابرادور لن ينفك عنا في وقت قريب.

روبرت ستيوارت ■

في هذا العالم العصري، سرعان ما تصبح الكماليات حاجات أساسيّة. د.ل.



أفران شمسية

■ في كل يوم يحرق ملياران من البشر بعضاً من مخزون أخشاب الأرض الآخذ في التناقص، من أجل طهو غذائهم. ويندثر نصف محصول الخشب العالمي السنوي في نار القدور. ومنذ الخمسينات، تقدّم الى القرويين الفقراء أفران تعمل بالطاقة الشمسية علّها تنقذ مخزونهم الخشبي، لكن ذلك لم يأت بالنتائج المرجوّة.

ويعتقد العالم وليم لانكفورد من جامعة فيرفاكس بولاية فيرجينيا، أنه أدرك لماذا لم يتكيّف البشر مع أجهزة الطاقة الشمسيّة هذه، فالحلقة الناقصة هي المشاركة المحلية.

لقد أخفقت الجهود السابقة، بحسب اعتقاده، لان الأفران كانت معقّدة جداً وآتية من بلدان غريبة من دون أي مشاركة من السكان. وهو يضيف: "ليس الأمر مجرّد مشروع هندسي، فالناس يحتاجون الى المشاركة في استثماراتهم الخاصة."

ومنذ ١٩٨٨ نظّم لانكفورد دورات تدريبية لصنع الأفران في خمسة من بلدان أمريكا الوسطى. وقد أنجز المشاركون صنع ٢٥٠ فرناً بسيطاً تعمل بالطاقة الشمسيّة باستخدام مواد أوّلية محلّية. وبات سكان كثيرون يطهون وجباتهم في هذه الافران.

مجلة "ناشونال جيوغرافيك"

بطاطا تكافح الحشرات

■ طوّر العلماء سلاحاً فتّاكاً في حربهم ضد الحشرات التي تؤذي المحاصيل الزراعية وهو نبتة بطاطا (بطاطس) على اوراقها شعيرات. وتعاون الباحثون في كل من جامعة كورنل في نيويورك ومركز البطاطا العالمي في ليما عاصمة البيرو، لخلق نبتة البطاطا الشعراء وذلك بتهجين جنس من البطاطا "الداجنة" مع جنس آخر من البطاطا البرية غير الصالحة للأكل. وتفرز كل شعيرة سائلا دبقاً يجذب الحشرات الصغيرة قبل ان تهاجم النبتة. اما الحشرات الأكبر القادرة على اكل الوريقات فلا يمكنها هضم هذا السائل الذي يحتقن في داخلها ويمنعها لاحقاً من التوالد. وتنمو الشعيرات على ساق النبتة واوراقها فقط. ويأمل العلماء في ان يؤدي تعميم زراعة هذه البطاطا الشعراء التي تحمل مذاق البطاطا المعروفة، الى التخفيف من استعمال المبيدات الباهظة الكلفة.

س.ك. في "الانديباندنت"

علب فارغة للبيع

■ انها صديقة المستهلك وحامية البيئة، وهي لا تلتهم النقود. انها آلة استرداد العلب والقوارير الفارغة التي تسدد لزبونها مبلغاً من المال كلّما لقمها علبة أو قارورة فارغة. وقد انتشرت الوف منها في أنحاء الولايات المتحدة. ومنها نماذج عدّة تستوعب علب الالومينيوم وقوارير الزجاج والاوعية البلاستيكية. وتدفع الآلة خمسة سنتات عن كل قطعة، ثم تسحقها أو تقطعها بعد أن يسجّل مكشاف ليزر نوعيتها. وقد جمعت الآلات في نيويورك أكثر من مئة مليون قطعة في شهر واحد.

مجلة "ناشونال جيوغرافيك"

جراثيم تأكل سيارات

■ ازدراها المستهلكون وسخر منها الغربيون وهاجمها انصار البيئة. واليوم تواجه سيّارة "ترابانت" الصغيرة تهديداً جديداً هو محاولة العلماء العثور على جرثومة تاكلها.

فقد عمد الوف الألمان "الشرقيين" الى شراء سيارات غربية وأخذوا يبيعون سيّاراتهم الـ"ترابانت" أو يتخلّون عنها. لكن هياكل هذه السيّارات غير قابلة لاعادة التصنيع كغيرها من الهياكل، لان احتراق موادها البلاستيكية يطلق غازات سامّة في الهواء، وطمرها يؤدي الى امتزاج التربة بمواد ضارّة. وتطوّر مجموعة من العلماء تقنية لاستخدام البكتيريا وجراثيم أخرى في التهام المكوّنات الاساسيّة لبدن هذه السيّارة. ويأمل بيتر ليتز رئيس مركز الابحاث الصناعية في شركة "الابحاث البيوتكنولوجية والتنمية" في شرق برلين أن "يحلّ هذا الأسلوب المشكلة الاساسية لسيارات الترابانت، وهي ازالة البقايا البلاستيكية" وقد صمّم علماء المركز فطريّات عفن تستطيع هضم أجزاء السلولوز في بدن السيارة. وهم يحاولون الآن القضاء على العنصر الرئيسي الآخر وهو راتينج (صمغ) "فينولفور مالديهايد."

ويتوقع ليتز في غضون ثلاث سنوات تطوير عملية تمكّن البكتيريا من تقليص السيارة الى بضعة كيلوغرامات من بقايا الراتينج. ويضيف: "يمكن تطبيق هذه العملية على عدة أنواع من النفايات التي تحتوي على الفينولفورمالديهايد والتي يتطلب التخلص منها حالياً تقنيات خاصة ومكلفة."

وكالة "اسوشييتد برس"

تحسن البيئة القطبية

■ اصبح الثلج المتساقط فوق القطب الشمالي انظف بعد البدء باستخدام النفط الخالي من الرصاص في اميركا الشمالية واوروبا. ووفقاً لتحاليل اجراها باحثون فرنسيون على عيّنات من الثلج تساقطت فوق جزيرة غرين لاند في فترات مختلفة، ان نسبة الرصاص فيها عام ١٩٨٩ كانت اقل بسبع مرّات منها عام ١٩٦٩. وقد تضاءلت في الفترة عينها كثافة وجود معدنين يسبّبان التلوّث هما الزنك والكاديوم.

ومع ان الثلج لا يزال يحتوي على رصاص بنسبة خمس وعشرين مرة اكثر مما كان يحتوي عليه قبل خمسة آلاف سنة، فالباحثون يقولون ان هذا الانحدار يدلّ على تراجع نسبة التلوّث الناتج من المعادن الثقيلة في طبقات الجو المنخفضة في النصف الشمالي من الكرة الأرضيّة بعدما جُمّدت الصناعات المؤذية وقلّل من مزج النفط بالرصاص، كذلك اثر شيوع استخدام النفط الخالي من الرصاص.

عن "نيو ساينتست"



PHOTO: © DICK LURIA / STOCK IMAGERY INC.

لماذا يحقق الاشخاص العاديّون أموراً يعجز عنها المتفوّقون؟

بدا واضحاً في الجامعة أن جيم كان من النوع السريع التقدم. فهو نال علامات جيدة بجهد قليل، وتوقع له أبناء صفه النجاح في الحياة.

التحق جيم بعد تخرجه بقسم المبيعات في إحدى شركات التأمين الكبرى، وأبلى حسناً في بداية الأمر. بيد أنه سرعان ما أخذ يراوح مكانه، مما دفعه الى الالتحاق بشركة أصغر حيث ما لبث أن أصيب بالخيبة إياها. وعندما برم بالعمل في المبيعات حاول تجربة حظه في إدارة المبيعات. فتكرر النمط إياه: أحبه الجميع في البداية واعتبروه من النوع السريع التقدم، لكنه سرعان ما تهاوى. وهو اليوم يبيع شهادات تأمين في شركة أخرى متسائلا لماذا لا يتحسن أداؤه.

ثم هناك جوزف داريغو الذي قال لي: "اعتبرت نفسي على الدوام شخصاً عادياً. دخلت ميدان التأمين على الحياة حيث حَقَّقت نجاحاً لا بأس فيه. وبضربة حظ وجدت نفسي عضواً في إحدى اللجان مع أعظم البائعين في هذا المضمار، مما جعلني أشعر برهبة بالغة."

إلا أنه عندما ازداد معرفة بهؤلاء الناجحين أدرك أمراً مهماً: "إنهم ليسوا أكثر عبقرية مني. فهم أناس عاديون وضعوا نصب أعينهم أهدافاً كبيرة ثم وجدوا سبلاً لتحقيقها."

كما أدرك أمراً آخر: "إن يكن العاديون الآخرون يستطيعون أن يحلموا بأشياء كبيرة، فأنا أستطيع ذلك أيضاً."

داريغو اليوم صاحب شركة تأمين تدر ملايين الدولارات.

ترى، لماذا يستطيع أشخاص عاديون مثل داريغو تحقيق أمور تفوق كثيراً ما يستطيعه أناس مثل جيم؟

للاجابة عن هذا السؤال أجريتُ مقابلات مع ١٩٠ رجلاً وامرأة في سياق عملي مستشاراً في شؤون العمل، فأكد لي هذا الاحصاء غير الرسمي ما قاله ثيودور روزفلت[١] ذات يوم: "ليس الرجل العادي الناجح بعبقري. إنّه رجل يتمتع بصفات عادية، لكنه استطاع تطوير تلك الصفات العادية الى درجة أكثر من عادية."

وخلصت الى أن الناس "العاديّين" الذين حققوا تفوقاً في أعمالهم قد راعوا الآتي:

١ تعلّم الانضباط الذاتي. يقول إرفن هانسن المدير العامّ لمستشفى بورتر ميموريال في دنفر بولاية كولورادو، الذي نال شهرة بفضل قدرته على تحسين أداء المستشفيات المتعثرة: "لا يحتاج المرء الى موهبة لينجح. وكل ما يحتاج اليه علبة كبيرة من الغراء يضع بعضه على كرسيه وبعضه الآخر على سرواله ليجلس ملتزماً كل مشروع الى أن يبذل أفضل ما لديه من طاقات."

يلتزم الناجحون "العاديون" البقاء ملتصقين بكراسيهم مؤجلين التلهّي بالملذات لكي يتمكنّوا من جني الأرباح في المستقبل. أمّا المُسارعون الى النجاح فيتوقعون إنجاز الكثير في وقت قصير. وعندما لا يتحقّق لهم ذلك يصابون بالاحباط والتعاسة.

قبل ٥٠ سنة بدأ فريق من الباحثين دراسة طموحة طويلة الأجل شملت ٢٦٨ طالباً جامعياً من الذكور، عملوا فيها على تحليل المناحي التي ستأخذها حياة هؤلاء. فتبيّن لهم أن الأداء الدراسي لأولئك الشبان - وقد باتوا اليوم في أواخر الستينات والسبعينات من العمر - كان قليل الصلة بقدراتهم الوظيفية. كما تبين أن صفات مثل "مثابر وجدير بالثقة" و"عمليّ ومُنظّم" كانت أكثر أهميّة مّن الأداء الدراسي. وبحسب الدكتور جورج فيلانت، وهو محلل نفساني يدير الدراسة اليوم، العادة الفكرية الحاسمة التي اتبعها الناجحون هي "القدرة على تأجيل المسرّات، وليس نسيانها."

وتلاحظ فرانسيس جوهانسن، وهي مخططة مالية، تطبيق هذا المبدأ عملياً في طريقة إدارة الناس لأموالهم وحياتهم المهنية. ومن زبائنها زوجان جامعيّان من

(١) هو الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة.

المسارعين الى النجاح تروي عنهما أنهما "يجنيان ١٤٠ ألف دولار سنوياً ومع ذلك فهما مدينان بمبلغ ٦٠ الف دولار، ولا يبقى لهما من عملهما الشاق سوى رهن كبير وكثير من الفواتير."

وهناك في المقابل زوجان آخران في أواخر الأربعينات من عمرهما "ضَحَّيا في السنوات الأولى فاشتريا منزلا بأسرع ما أمكنهما ثمّ وظّفا بعض المال الى أن استطاعا شراء كمية كبيرة من الأسهم. وهما اليوم يعيشان في منزل جميل ولم يعد عليهما التقيد بموازنة ضيقة. الزوج عامل يدوي لم ينل سوى شهادة ثانويّة، بيد أنه جدَّ وتقدم في حياته المهنية بفضل انضباطه الذاتي وطول أناته."

٢. إظهار أفضل ما في الناس. يعترف فرانكلين مورفي، الرئيس السابق لجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلس ومدير شركة "تايمز ميرور" بأنه بنى نجاحه على مواهب الآخرين. ويضيف: "سعيت على الدوام وراء الناس الموهوبين الذين يتمتعون بالانضباط الذاتيّ. ثم عملت على تطوير محبتهم وإخلاصهم للعمل. وظفتهم وحفزتهم، وعندما كنا نحقّق نجاحاً كنتُ أشاركهم فيه."

كان معظم طالبي النجاح السريع ممن تحدثت اليهم لا يحتملون تلقّي أي مساعدة أو مشاركة من غيرهم في نجاحهم، غالباً بسبب غرورهم المفرط. التعاون هو مفتاح النجاح. وكان أفضل المتعاونين الذين التقيتهم سيدة اسمها مارلين سوربك ترئس عشرة موظفين في جمعية محامي مقاطعة لوس أنجلس. تقول سوربك: "كثيرون منهم أذكى مني، وهذا ما أحبه لأن مهمتي حل نزاعاتهم وتناقضاتهم وحضّهم على القيام بالاعمال التي يتقنون."

ترى، كيف تعلَّمت السيدة هذه المهارات؟

فاجأتني سوربك بالجواب: "يعود الفضل في ذلك الى كوني مطلَّقة وأماً لابنة احتاجت الى علاج طبي كثيف." فابنتها هولي، وعمرها ٢٤ عاماً، تعاني إعاقات جسدية وعقلية استلزمت من أمها اللجوء الى وكالات وأطباء واختصاصيين.

تقول سوربك: "لطالما جلست مع خمسة اختصاصيين أو ستة دفعة واحدة، وكل منهم يحمل رأياً مُختلفاً حول ما هو أفضل لابنتي. وبذلك اكتسبت مهارات التفاوض على عجل، وتعلمت كيف أنحو بالجميع الى مسار واحد. كانوا، ولا ريب، اكثر مني علماً، لكنني عرفت كيف أجعلهم يتّحدون في الرأي. وعندما تبوأت منصباً إدارياً اكتشفت أن تلك المهارات قابلة للتطبيق ومفيدة في مجالات شتى."

٣. بناء قاعدة معرفة. لا يتطلع الناجحون العاديّون الى تبوؤ المركز الاعلى كما يفعل المسارعون الى النجاح، بل يطمحون الى الوظيفة التي تعلوهم مباشرة. وبذلك يتم لهم توسيع قاعدة معرفتهم على نحو لا يتيسر لكثيرين من المسارعين.

التقيت شاباً اسمه لو هولتز لم يستطع البروز في أي مركز في فريق كرة القدم في مدرسته الثانوية، فعمد الى درس كل المراكز وقبع ينتظر فرصته. وبعد تخرجه في النصف الأدنى من صفه التحق بجامعة كنت في ولاية أوهايو حيث لم يلقَ، بصفته مدافعاً خلفياً، سوى بعض الاهتمام. وبعد تخرجه في الجامعة أصبح مساعد مدرب في خمس جامعات.

وحين أصبح هولتز مدرب فريق جامعة نوتردام في إنديانا عام ١٩٨٥، كان بنى قاعدة معرفة واسعة في التدريب مكّنته من إعادة الجامعة الى صدارة فرق كرة القدم الجامعية بحيث فاز فريق نوتردام في ٧٧ في المئة من مبارياته خلال المواسم الستة التي قادها هولتز.

٤ تطوير مهارات خاصة يقول هوارد غاردنر، وهو عالم نفساني في جامعة هارفرد، إن اختبارات حاصل الذكاء[٢] لا تقيس سوى نوعين من القدرات هما الرياضيات والمهارات اللغوية، مضيفاً أن هناك ما لا يقلّ عن سبع مهارات فكرية هي الرياضية المنطقية واللغوية والموسيقية والحيِّزية والحركية ونوعان من الذكاء الشخصيّ يتناولان فهم الآخرين والتعامل مع الأحلام والمخاوف والاحباطات. فإذا لم يكن المرء بارعاً في الرياضيات، مثلاً، فقد يكون قادراً على تصميم أشياء أو على اقناع الناس بحيث يصبح، بالتدريب، محاوراً ممتازاً.

عانى توماس واتسون الابن مشكلة العيش في ظل والده الذي ظل فترة طويلة رئيساً لشركة «IBM» . وكان، الى ذلك، تلميذاً تعوزه النجابة بحيث احتاج الى أستاذ خاص للنجاح في مدرسة المبيعات التابعة للشركة. وهو يذكر في كتابه "الأب والابن والشركة": "لم أكن مميَّزاً في شيء، كما لم أحقق أي نجاح."

إلا أنه عندما بدأ تلقي دروس في الطيران حدث له أمر ذو مغزى. يقول: "يا له من شعور! كنت جيداً في الطيران منذ البداية، فانجرفت بكلّيتي في ذلك المنحى الجنوني واكتسبت كثيراً من الثقة بالنفس."

وقاده هذا النجاح الى نجاحات أكبر. وبفضل خبرته كَطَيّار أصبح ضابطاً في سلاح الجوّ الأمريكيّ خلال الحرب العالمية الثانية. وهو، كما يعترف، لم يكن لامعاً، لكنه اكتشف أن له "عقلا منظماً وقدرة غير عادية على التركيز في ما هو مهم ونقله الى الآخرين."

وقد أصبح واتسون في نهاية المطاف المدير العام لشركة «IBM» فقادها الى عصر الكمبيوتر، وخلال ١٥ عاماً زاد عائداتها عشرة أضعاف.

٥ الوفاء بالوعود أخبرني وندل ويل وهو محامٍ من بلدتي: "أود أن أعتقد أنّ الفضل في نجاحي يعود الى براعتي

(٢) Intelligence quotient (I.Q) . وهو رقم يمثل ذكاء المرء كما تحدده قسمة سنه العقلية على عمره وضرب حاصل القسمة في مئة.

في القانون. لكنّ السبب الحقيقيّ هو اني أفي بوعودي دائماً. فإن وعدت زبوناً بأن مُستنداً ما سيكون جاهزاً في وقت معيّن، فإني أنفذ ذلك. وهذه صفة نادرة اليوم، إذا تمتّعْتَ بها ظنك الناس عبقريّاً."

قبل ١٢ سنة أسَّست ثلاث نساء شركة لتصميم أثاث المنازل لحساب شركات البناء. فاعتمدن الثقة منذ البداية أكثر مما اعتمدن العبقرية. واستطعن في العام الماضي تحقيق مبيعات بمليوني دولار.

تقول كاتي سكروجي وهي إحدى الشريكات: "إن عدم تأخرنا في الوفاء بأي من التزاماتنا مكننا من تجاوز حال الركود الاقتصادي في حين كان منافسونا يعلنون إفلاسهم. وذات مرة تأخرت شاحنة تحمل مفروشاتنا في الوصول الى موقع افتتاح أحد المشاريع الكبرى، فاضطررنا الى شراء النواقص بسعر المفرق (القطاعي) وفضلنا التضحية بربحنا على النكوث بوعدنا."

وتقدر نائبة رئيس المشروع المذكور سمرا كيلر تلك الصدقية فتقول: "إن الجدارة بالثقة هي فضلى القدرات. ولسوف نتعامل مع أولئك النسوة على الدوام لعلمنا أنهن يفعلن المستحيل من أجل الوفاء بالتزاماتهن."

٦. **النهوض من الكبوات**. فُصلت سيلفيا أردمان من عملها نتيجة خفض عدد الموظفين في الشركة. تقول: "نجحت في المدرسة، لكني لم أكن من المتفوقات. ثم عملت في حقل التسويق، فاكتشفت أني أتمتع بذكاء عمليّ مكنني من تحسس حاجات الناس." وعندما بلغت أردمان الثانية والأربعين من عمرها عملت لدى شركة "ريفلون" مديرة تسويق للعطور الاوروبية، لكنها سرعان ما أُوقفت عن العمل نتيجة خفض عدد الموظفين. تقول: "شعرت إذذاك بأنني تلقيت ضربة قاضية."

بعد شهر استشارها صديق يعمل في حقل النشر في شأن الحصول على إعلانات من قطاع مؤسسات التجميل. ولم تمضِ سنتان ونصف سنة حتى أصبحت أردمان مستشارة لعدد من الشركات الكبرى. وهي تعمل في بيتها وتكسب دخلا يضاهي الراتب الذي كانت تتقاضاه من شركة "ريفلون." وهي اليوم سعيدة لكونها سيدة نفسها. وتقول: "إن الفصل من العمل يجبرك على أن تكون مبدعاً ويحضك على المضيّ قُدُماً."

في النهاية، ليس هناك أقوى من أصحاب الذكاء العاديّ الذين يرفعون رؤوسهم عاليا ويطرقون الحياة بحيوية وثقة. كان ابراهام لنكولن[٣] رجلا عادياً جداً. فهو جاء من محيط فقير ولم يكن في شكله ما يثير الاهتمام. لكنه لم يبق مغموراً، بل وصل الى العظمة معطياً معنى وشرفاً جديدين لما يعتبره الناس "عادياً." وقد نُقل عنه يوماً قوله: "لا بد أن الله يحبّ الناس العاديّين، لأنّه خلق منهم كثيرين."

آلن لوي ماغينيس ■

(٣) هو الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة

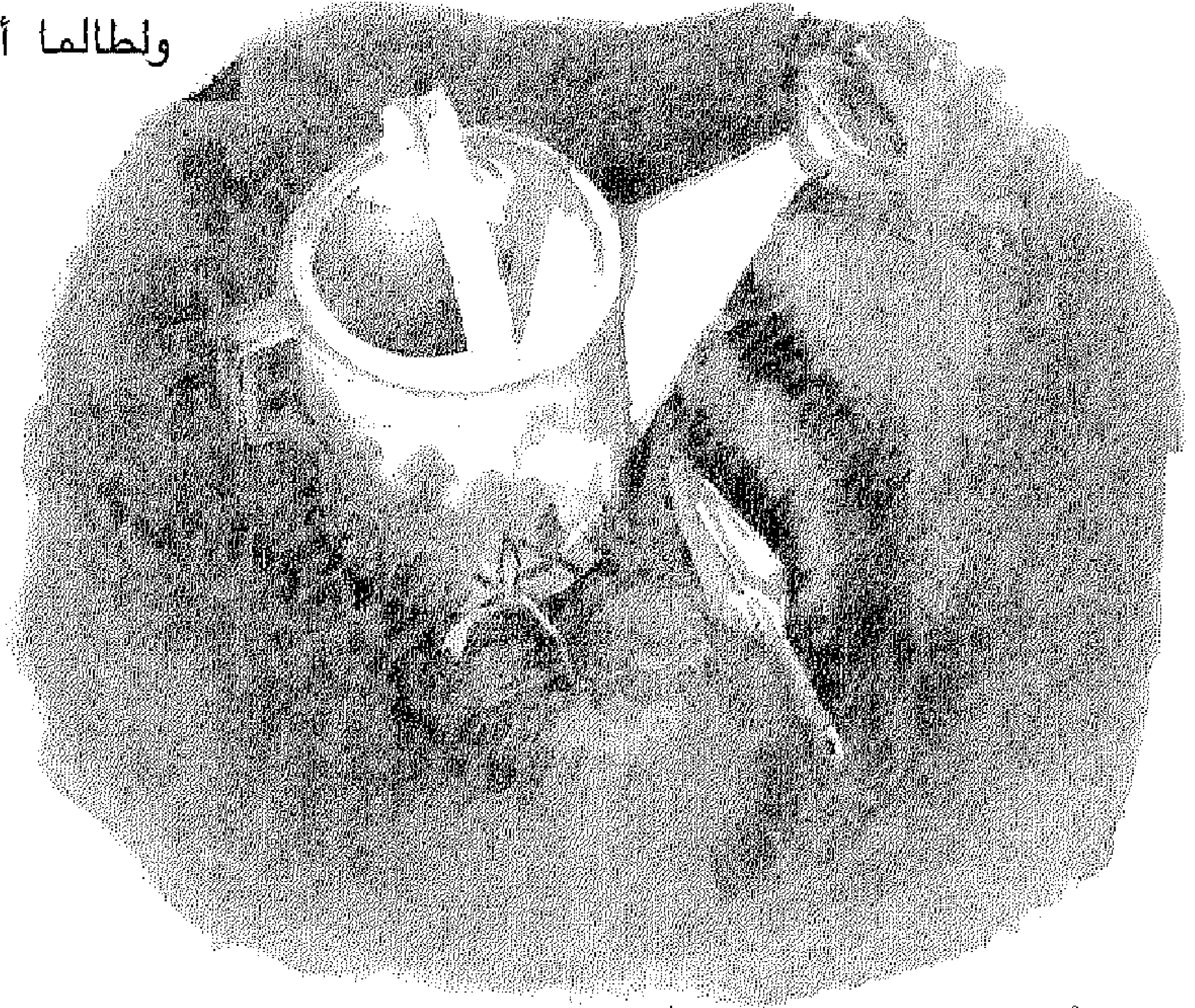
تفاحة في الدار

في أصيل ذلك اليوم من يونيو (حزيران)، وكنت في السن العاشرة، لفتت نظري نبتة غريبة لا يعدو ارتفاعها ١٥ سنتيمتراً، نامية هزيلةً حييَّةً في رواق منزلنا. كانت ضئيلة تكاد لا تميَّز، لكن والدي أعلن أنها شجيرة تفاح. وللحال أخذت بها و"تبنيتها" محلِّقاً مع أحلامي: سأنقلها الى التربة المناسبة وأعتني بها كأنها ملك لي، وستنمو وتزدهر، ومتى أصبحت رجلاً أحرث هذه الارض، ستعطيني ثماراً غنية لذيذة.

انتقى والدي للشجيرة بقعة بين الرواق والحديقة، ونبش لي التربة. وذلك المساء غرست شجرتي الصغيرة هناك. وفي براءة جهلي بأشجار الفاكهة، غاب عني أن شجر التفاح الذي ينمو من البذور هو غير ذلك النوع الأليف الذي ينمو في بستاننا بفعل التطعيم. وهذا النوع البرّي من شجر البذور غالباً ما يكون غير مثمر، واذا أعطى فسيكون ثمره من النوع الرديء.

وربما كان والدي على علم بهذا الأمر، الا أنه فضّل عدم زعزعة تفاؤلي وايماني. ولطالما أهملت شجرتي منصرفاً عنها الى ألعابي الصبيانية، لكنها كانت لا تلبث

نبتت هزيلة ضعيفة ذاوية، لكنها نمت لتحمل ثمراً وفيراً



أن تشدّني فأعود اليها بشغف وأبالغ في العناية بها بمودة وحنان. وكنت أهلل اذ أراها تزدهر وتنمو ببطء في غمار الشوك وفي مواجهة اعتداءات فرسنا التي كانت، كلما سنحت لها فرصة مؤاتية، تتلذذ بقضم أماليد تفاحتي الرخصة.

أتت سنوات ظهرت فيها بضع زهرات تفتحت على شجرتي، لكنها لم تحمل ثماراً. ثم قرأت في أحد الكتب في المدرسة الثانوية ما أثارني وأقلقني: أن شجر التفاح الذي ينبت من غرس البذور ينتج تفاحاً برياً ذابلا. وكم تمنيت لو كانت لي معرفة سابقة بهذا الأمر. لكني عزيت نفسي بأن تفاحتي كانت حسنة المظهر وكنت أحبها.

وثابرت على العناية بها. وكنت أقلّمها بحسب كتاب الارشادات.

ثم التحقتُ بالجامعة ونسيت كل شيء عن شجرتي.

ما كدت أدير ظهري حتى بدأت شجرتي تحمل ثماراً. كان حملها بطيئاً في أول الامر، ثم تعاظم فأصبح نتاجاً غنياً، وازداد فصار غزيراً. وكانت الثمار لذيذة متعددة الاستعمال: فمنها ما كان صالحاً للأكل ومنها لصنع الشراب ومنها للتجفيف. وتميزت بكونها أقل تعرضاً للحشرات والامراض الفتاكة من بقية ثمار بستاننا.

منذ ٣٥ سنة تنتج شجرتي محصولاً وافراً يكاد يكون خالياً من العيب. ومحصول ٤٠٠ كيلوغرام هو حمل عادي جداً قياساً على غزارة انتاجها. وفي كل خريف يفد الجيران والانسباء فيهزونها ويلتقطون فائض الثمار ويذهبون به الى منازلهم.

لقد حلمتُ بكل ذلك. الحصاد الوفير الدائم راود خيالي طوال تلك السنوات حين كنت جاهلاً ما أفعله. ولو كان لي آنذاك أدنى إلمام بهذه الامور لما أزعجت نفسي ونقلت النبتة الصغيرة وتكبدت رعايتها. لكنها تغذّت ونمت استجابةً لايمان عميق ملأ كياني، وأينعت وصارت شجرة معطاء. والحصاد الذي كاد يكون ضرباً من المستحيل بات نتاجاً خيراً غزيراً دائماً.

رونالد ياغر ■

رهاب الطيران

تهدئة لاعصابي اثناء السفر جواً، احاول اقناع نفسي بان ملّاحي الطائرة يدركون وظيفتهم تماماً. وكم كان ارتعابي عظيماً حين مررت مرة بجانب مقصورة القيادة ولمحت القبطان يسترخي ويقرا كتاباً عنوانه "الفزع من الطيران."

ج.ا.

سئل احد العجائز عن سرّ زواجه من امراته الذي صمد خمسة واربعين عاماً فاجاب: "امر بسيط، كان احدنا يتكلّم والآخر لا يسمع."

ك.ح.



كتاب الشهر

أعجوبة الأوقيانوس

بقلم فرانك بايت

تهاوت الانباء السيئة على القبطان كشلّال. فقد كانت سفينته قابعة وسط المياه بلا حراك، ثم أخذت الريح تدفعها جانبياً نحو الامواج المشرئبة الى ارتفاع تسعة أمتار. وما هي الا لحظات حتى أتاه كبير المهندسين مندفعاً من وسط العاصفة الهوجاء مترنحاً ملطخاً بالزيت مبللا بالماء وهول الصدمة بادٍ على محياه. كانت سفينة الركاب آخذة في الانشطار، وقد شرع البحارة في مغادرتها لاقتناعهم بأنها ستغرق في أي لحظة. ولم يبقَ أي فاصل بين مَنْ بقوا والبحر الهادر المدلهمّ.

خلال ليلة الرعب التي تلت تعاضدت مجموعة أبطال وحّدتهم المحنة، فيما الطوافات وسفن الانقاذ تكافح العاصفة لتصل اليهم. بيد أن الوقت لم يكن حليفهم، وكان عليهم أن يخلوا السفينة خلال ساعات أو... ينزلوا معها الى قاع البحر!

أعجوبة "الأوقيانوس"

بدت "الاوقيانوس" مهيبة وهي راسية في ميناء بفالو ريفر في ايست لندن بدولة جنوب أفريقيا. فطولها ١٥٠ متراً ووزنها ١٢ ألف طن وطبقاتها الست متسامقة من بدنها الوامض البياض الى مداخنها الملكية الزرقة. في ذلك السبت العاصف الغائم من ٣ أغسطس (آب) ١٩٩١، وقف البحارة على أهبة لفك الحبال تمهيداً للانطلاق فى رحلة ليلية.

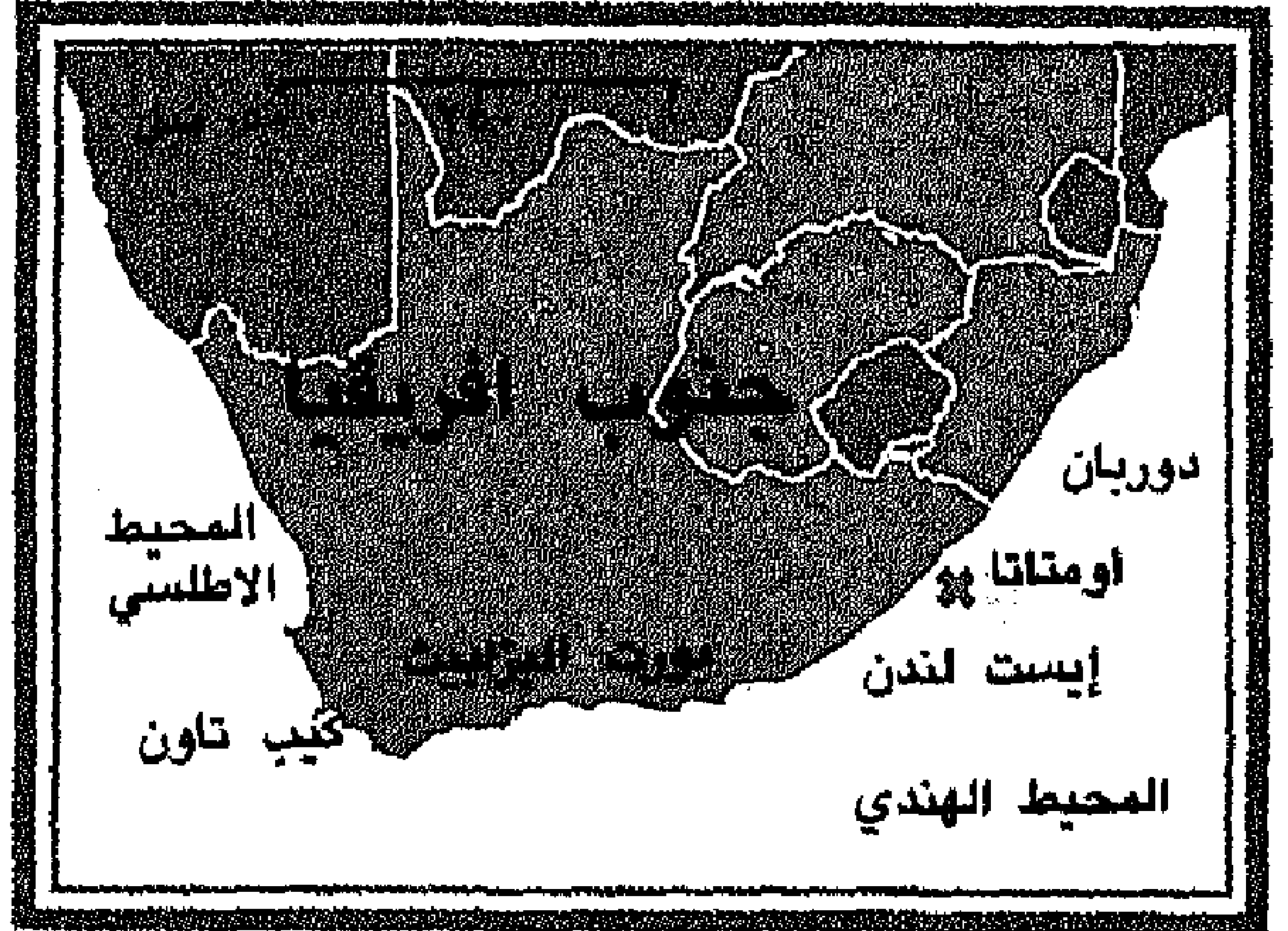
وعلى المنصة العالية فوق متن السفينة وقف القبطان يانيس أفراناس (٥١ عاماً) يراقب الامواج المتلاطمة على الحاجز المتاخم لثغر الميناء. فتناهى اليه هديرها كأنه قصف مدافع بعيدة. كان القبطان اليوناني، في زيه الأبيض الاستوائي، أنيقاً مفعماً بالحياة ورجل ثقة يجيد الامتزاج بالدوامة الاجتماعية في رحلات الاستجمام.

و"الاوقيانوس" باخرة يونانية عابرة للمحيطات استأجرتها شركة "ت. ف. س. تورز"[1] للسياحة في جوهانسبرغ لفترة ثمانية أشهر. وكان برنامجها ضاغطاً. فهي جاءت من كيب تاون قبل يومين وعليها في اليوم التالي بلوغ دوربان البعيدة نحو ٤٣٥ كيلومتراً على الشاطىء الشرقي العاصف لجنوب أفريقيا.

قضى البرنامج بأن تبحر الباخرة في تمام الرابعة بعد الظهر. إلا أن قبطان الميناء جاء قبل ٤٥ دقيقة من الموعد محذراً من عاصفة سوداء تهبّ على الشاطىء.

ومياه الشاطىء الجنوب الافريقي معروفة بعدائيتها، خصوصاً في أغسطس (آب) وهو من أشهر الشتاء في النصف الجنوبي من الكرة الارضية. وكان عمر الباخرة ٣٩ عاماً وكانت في بدايتها سفينة شحن، لكن "سجل لويد"[2] منحها درجة امتياز ولم يضع قيوداً على مواعيد إبحارها أو الامكنة التي تقصدها.

أقلقت حال الطقس القبطان، خصوصاً لأن سرعة الريح راوحت بين ٤٦ و٥٥ كيلومتراً في الساعة. لكنه ما لبث أن قرر الابحار.



كان على متن السفينة ٥٧١ شخصاً بينهم ٣٦١ راكباً وكلهم تقريباً من مواطني جنوب افريقيا. وكان طاقم السفينة، وتعداده ١٨٤ بحاراً، يونانياً بمعظمه. أما الفريق الدولي المؤلف من ممثلي "ت. ف. س. تورز" وشركة "ابيروتيكي" مالكة السفينة، فضم ٢٦ شخصاً من المغنين والموسيقيين والراقصين وبضعة موظفين اداريين.

عندما بلغت الباخرة حاجز الموج ودع قبطانُ الميناء القبطانَ أفراناس، متمنياً له رحلة آمنة، ثم هبط الى زورقه الآلي على سلم مهتزّ وقفل الى الميناء.

كان هذا الشاطىء شهد إرساء احدى قواعد السلوك البحري يوم صدمت حاملة الجند البريطانية "بركنهيد" حيداً بحرياً عام ١٨٥٢، فطلب القبطان من رجاله البقاء

---

(١) TFC Tours of Johannesburg

(٢) "لويد" شركة بريطانية عالمية للتامين البحري.

على متنها والغرق معها مخافة أن يؤدي ركوبهم قوارب النجاة مع النساء والاطفال الى غرق القوارب بمن فيها. وأذعن الرجال للامر وبقوا في السفينة وغرقوا جميعا. وكان عددهم ٤٤٥.

ومنذ ذلك الحين أصبحت "قاعدة بركنهيد" – أي النساء والاطفال أولا – تقليدا بحريا مكرسا وامتحانا لشجاعة الرجال في وجه الموت.

ولكن في رحلة "الاوقيانوس" السيئة الطالع تلك لم يحترم أي من الضباط الكبار هذا التقليد.

حفلة الرحلة السعيدة

انطلقت "الاوقيانوس" جاهدة نحو الشمال، فشعر الميكانيكيون بالامواج تضرب بدنها بلا هوادة كأنها تختبر قدراتها. كانت المحركات والمولدات تطن بنعومة، ولم تبدُ "الغصَّة" الصادرة عن جهاز المجاري مسألة ذات بال.

وكان الماء الآسن تسرب في الاسبوع الفائت عبر المرشّات (الدوش) والمراحيض الى قمرات الطبقتين السفليين. فتتبع المهندسون الانسداد الى أن اكتشفوا صمامات معطلة في خزان مياه المجاري. لكنهم، في سياق اصلاح الخلل، نزعوا أنبوب تهوئة مما ترك ثقبا قطره ١٠ سنتيمترات في الحاجز القائم بين غرفة المحرك وخزان مياه المجاري، وهو حاجز ينبغي أن يكون مانعا لتسرب الماء. فاعتزم كبير المهندسين اصلاح الخلل متى بلغت الباخرة بحرا هادئا، كما أكد لضابط السلامة أن الامر لا يشكل أي خطر.


لورين بتس.

جمعت مديرة الرحلة لورين بتس مساعديها في الطبقة العليا. وكانت، مثل كثيرين من زميلاتها وزملائها في "ت. ف. س. تورز"، لم تذق طعم النوم إلا لماما خلال الساعات الثماني والاربعين الماضية. وكان فريقها شارك في اقامة حفلة زفاف كبرى اليوم الفائت، وها قد صعد ركاب دوربان الى الباخرة وباتت أجواء الصخب على وشك البدء من جديد.

ولدت بتس في كينيا، ودرست في جزر سيشل. وهي اليوم في الخامسة والثلاثين من عمرها وتعيش في الولايات المتحدة، لكنها نادرا ما تبقى في منزلها هناك اذ إنها تمضي معظم أوقاتها على متون السفن في أنحاء العالم. وكانت جدتها بين ركاب هذه الرحلة الليلية وعمرها ٨٧ عاما.

PHOTO: COURTESY SATV

تتمتع بتس بصفات قيادية طبيعية وبحس قوي بالواجب. لذا، حين جمعت مساعديها، خاطبتهم قائلة: "الركاب هنا في اجازة. أما أنتم فهنا للعمل." وكانت وجهت كلاما لاذعا الى كبير المهندسين بسبب تسرب مياه المجاري الى الطبقات السفلى.

عهدت بتس في شؤون التسلية الى "مشَعْوذ" يعمل ضمن فريقها اسمه روبن بولتمان. فذهب هذا للاشراف على "حفلة الابحار" في الردهة الرئيسية لوضع الركاب في مزاج احتفالي. ثم قادهم في غناء جماعي على وقع ألحان قديمة محببة عزفتها فرقة الباخرة.

أما الراكب ديريك غروف (٣٧ عاماً) وزوجته جيني ففضلا دخول المقهى. وكانت تلك رحلتهما الاولى على متن باخرة عابرة للمحيطات، وقد تركا ابنهما وابنتهما في المنزل مع أم جيني.

بلغت سرعة الريح ٧٤ كيلومتراً في الساعة، وكانت تسوط الامواج الهائلة مما جعل السفينة تترجح وتترنح. وفيما الزوجان جالسان في المقهى شعرت جيني بالأرض تتهاوى تحت قدميها. فتشبثت بأحد الاعمدة فيما راحت الصحون تتطاير عن الطاولة. وما هي الا لحظات حتى سمعت راكباً الى الطاولة المجاورة يصرخ محذراً فيما "قفز" بيانو كبير عن المسرح وانقضّ متدحرجا على حلبة الرقص.

أحس ديريك بموجة ذعر تنتابه. فنظر الى ساعته التي أشارت الى الثامنة مساء، وهذا يعني أن أربع ساعات ونصف ساعة مضت على بدء الرحلة. فقال لزوجته: "أرى أوقاتاً عصيبة تنتظرنا."

"ماذا يجري؟"

جلس عازفا الغيتار موس وتريسي هيلز الى طاولة الموظفين في قاعة الطعام وأخذا يراقبان الركاب بابتسامات عطوفة فيما هؤلاء يحاولون تناول عشائهم. فجأة تناهت اليهما صرخة امرأة انزلق عشاؤها الى حضنها، ورأيا أكواب الماء تنقلب على الطاولات. وما لبثت الباخرة أن مالت بعنف فطار باب احدى الخزائن وسقطت كدسة من الاطباق وتحطمت على الارض.

غلب التعب على موس وتريسي إذ لم يتسنَّ لهما النوم إلا لساعات قليلة بعد انتهاء حفلة الزفاف. وما كادا يفرغان من العشاء حتى عادا الى قمرتهما. وعندما بلغاها قال موس لزوجته: "لا تنامي طويلا لأن علينا الظهور على المسرح في الحادية عشرة ليلا. سأذهب الآن الى الردهة لربط مكبرات الصوت لئلا تنفلت وتؤذي الركاب."

شعرت تريسي، وقد باتت وحدها، بقوة البحر الرهيبة. كانت الامواج تتكسر على كوّة القمرة. ثم أخذت المياه تتسرب من خلال السداد الى السرير الفارغ ومنه الى

أرض الغرفة حيث كوَّنت بركة صغيرة. وكانت تريسي أثناء ذلك خالدة الى نوم متقطع.

فجأة استيقظت على وقع صدمة قوية اذ تدحرجت ثلاثة صناديق فولاذ ثقيلة عبر القمرة واصطدمت بالحائط. وكان البحر الزابد يهدر بضراوة عند الكوّة.

رأى موس هيلز وهو عائد الى قمرته ثلاثة من ضباط السلامة يعدون مشدوهين عبر الممر المحاذي لميسرة السفينة. فتبعهم، يحدوه الفضول، عبر السلالم نزولا الى الطبقة حيث قمرته. ولكن سرعان ما أستوقفه هرج بحارة خارجين من غرفة المحرك متعثرين وقد لطخهم الزيت وبللهم الماء، فيما الضباط يصرخون مهتاجين باليونانية.



موس وتريسي هيلز.

فصاح موس سائلا: "ماذا يجري؟" لكن أحداً لم يجبه.

هرع موس الى قمرته حيث كانت تريسي تحاول ترتيب الفوضى التي نجمت عن تدحرج الصناديق. فصاح بها: "البسي ثيابك بسرعة. لا أدري ماذا يحصل، لكن الامر يبدو سيئا." ثم نظر الى ساعته فوجدها تشير الى التاسعة والثلث ليلا.

لم تمضِ لحظات حتى اقتحم جوليان رسل القمرة، وهو عضو في فريق التسلية، وقال: "لقد تطايرت مكبرات الصوت والآلات الموسيقية على المسرح."

فأخبره موس بما شاهده خارج غرفة المحرك، ثم تحول الى تريسي قائلا: "انتظري هنا، سنذهب لنرى ماذا يحصل."

فجأة تناهى من أعماق الباخرة انفجار مكتوم أغرقها في ظلام دامس. ولم تمضِ لحظات حتى دار محرك الطوارىء، فألقى ضوؤه الخافت ظلالا واهية في أرجاء السفينة. وأطلَّت تريسي من باب قمرتها لترى كبير المهندسين ماراً بسرعة خاطفة الى قمرته. فسألته: "هاي! ماذا يحدث؟" لكنها لم تلقَ منه سوى الصمت.

وبعد دقائق مر بها الرجل عائداً مسرعاً. كان وجهه شاحباً وشعره مشعثاً، وكان يرتدي سترة نجاة وفي يده حقيبة. واذ التقت عيونهما بادرته تريسي: "ماذا يحدث؟" لكنه تجاوزها مسرعاً الى أعلى.

تساقطت الانباء السيئة على القبطان كشلال عارم. كانت "الاوقيانوس" قابعة بلا حراك وسط المياه المكفهرة فيما الرياح ترخي ثقلها على طبقاتها السامقة مما جعلها

PHOTOS: © MOSS HILLS

تترنح جانبياً حتى كادت تلامس الامواج التي بلغ ارتفاعها تسعة أمتار. اذذاك أمر القبطان بانزال مرساتي الميمنة والميسرة اللتين توقفان جنوح السفينة نحو الشاطىء وتديران مقدمها في اتجاه الريح مما يخفف من تمايلها العنيف.

وما هي الا لحظات حتى أتاه كبير المهندسين مندفعاً من وسط العاصفة الهوجاء وهول الصدمة باد على محياه. قال لاهثاً: "لقد تمزقت ألواح الميمنة وطافت غرفة المحرك وليس ثمة ما نستطيعه. وعندما تعطلت الكهرباء توقفت المحركات."

فسأله القبطان ذاهلاً: "هل أقفلتم جميع الابواب المانعة لتسرب الماء؟"

فأجاب المهندس: "نعم."

أحس أفراناس ببعض ارتياح، فاذا كان الفريق المعني بالاضرار قد عزل المحرك، فستستقر الباخرة وإن في عمق أكبر، لكنها ستبقى عائمة الى أن تأتي زوارق القطر لسحبها الى الميناء.

تابع المهندس: "لكن الابواب لن توقف تدفق المياه. فهناك ثقب قطره عشرة سنتيمترات في الفاصل بين غرفة المحرك وخزان المياه، نجم عن ازالة أنبوب التهوئة."

فصاح أفراناس: "اذاً، أقفلوا صمامات الخزان."

فرد المهندس: "لن نستطيع ذلك يا سيدي! لقد سبق ونزعناها لاصلاحها."

تراخى أفراناس وكأنما الخوف قلّصه. ثم غمغم: "أواه، يا إلهي." فمن دون صمامات سيتصاعد الماء من الخزان في مد مستديم، طبقة طبقة، عبر شبكة المراحيض ومرشّات الاغتسال (الدوش) وفتحات النفايات الموصولة بأنابيب التصريف الرئيسية. وستفيض المياه في المطبخ وقاعة الطعام والقمرات في مقدم السفينة مما سيؤول حتماً الى غرقها.

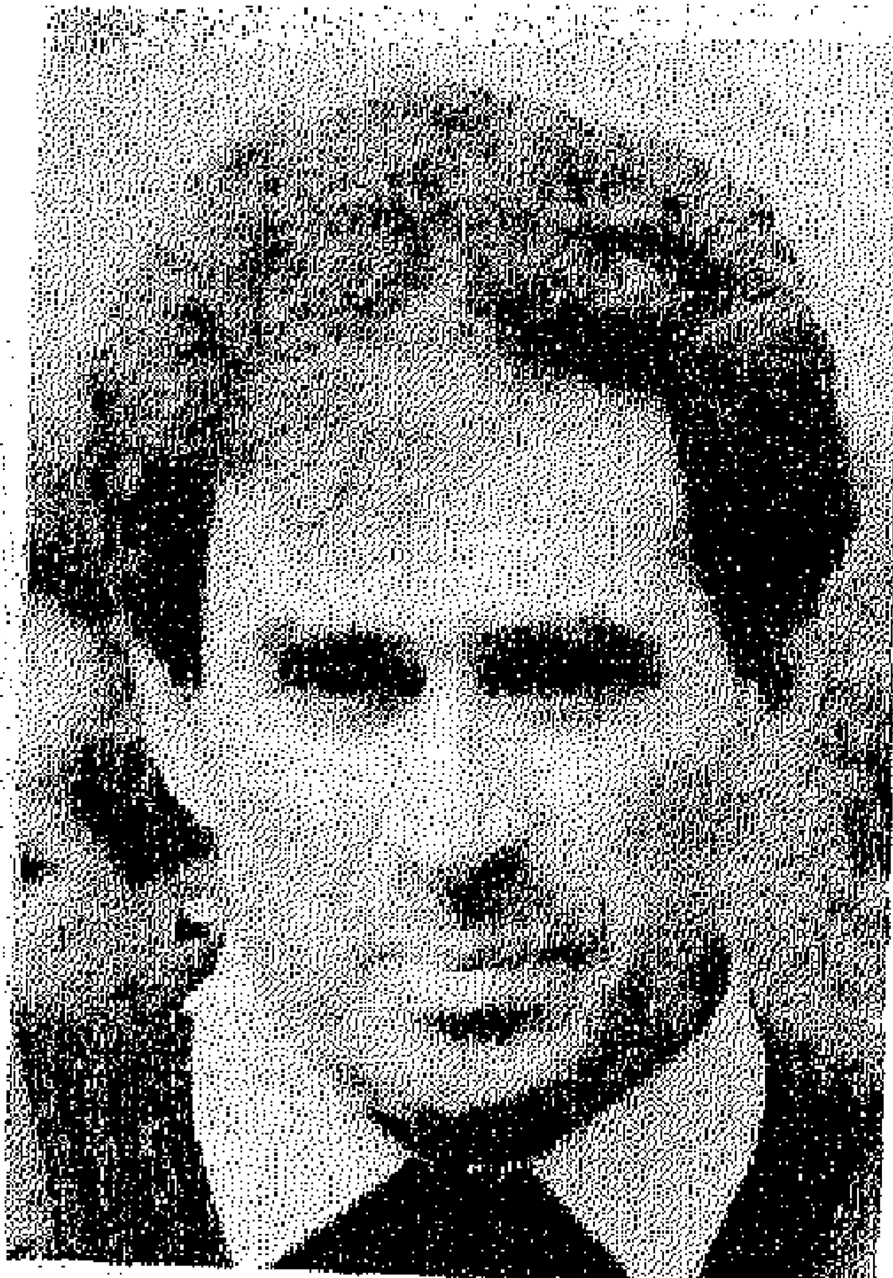
قبعت "الاوقيانوس" في موقعها على بعد حوالى ثلاثة كيلومترات من شاطىء ترانسكاي قرب مستوطنة كوفي باي، تنتظر مصيرها المشؤوم.

سأل القبطان المهندس: "ما سرعة تدفق المياه؟"

فهز هذا كتفيه وقال: "أمامنا بضع ساعات فقط."

فهرع أفراناس الى قمرته حيث زوجته انغريد وابنتهما البالغة من العمر ١١ عاماً وخاطبهما قائلاً: "ارتديا ملابسكما بسرعة ووافياني الى المنصة. نحن في ورطة."

ولدى عودته أفاده أحد الضباط أن الذعر عم الطبقات



القبطان يانيس افراناس.

PHOTO: © GARY HORLOR

السفلي، مضيفا: "يعلم أفراد الطاقم أننا غارقون، ولا يهمهم من أمر الركاب شيئاً. انهم يغادرون السفينة."

تطلّع أفراناس حوله وقد بدا مرهقاً وسط الظلال الغريبة التي ألقتها أضواء الطوارىء في أرجاء المنصة، فأدرك أن الضابط كان على حق، اذ إن جميع الضباط الذين كانوا معه قبل دقائق تسللوا خارجاً بهدوء.

عندما أعتمت الباخرة كانت لورين بتس في مكتبها تراجع برنامج العمل. وكانت الوحيدة بين موظفي "ت.ف.س. تورز" الحاضرين التي تلقت تدريباً على اجراءات السلامة والطوارىء. لذلك، ما إن أضيئت أنوار الطوارىء حتى سارعت الى منصة القبطان عابرة ظهر السفينة بجهد. هناك وجدت الضباط واقفين بصمت متوتر، فيما الضابط الركن يصيح عبر جهاز الراديو اليدوي: "النجدة! النجدة!"

فهرعت بتس الى الردهة الرئيسية حيث كان الركاب جالسين في الظلام ينتظرون عودة التيار الكهربائي. وتناولت مكبراً للصوت وخاطبتهم: "سيداتي، سادتي، لقد حصل انقطاع في التيار الكهربائي. ومن أجل سلامتكم، أرجو أن تمكثوا حيث أنتم ريثما أعود." ثم استدعت بعض موظفي "ت. ف. س. تورز" وقالت لهم: "احرسوا المخارج وأبقوا الجميع هنا."

ولدى عودتها الى منصة القبطان طالبت بمعرفة الوضع. فأخبرها القبطان أفراناس: "لقد تسرب بعض الماء الى غرفة المحرك. يجب أن يتجمع الركاب في الردهة الرئيسية. أطلبي من مساعديك أن يأتوا بسترات النجاة من الاسفل."

فسألته حائرة: "وما مدى خطورة الوضع."

فلم يجب أفراناس، اذ لم يكن قادراً على النظر الى عينيها. وكان القبطان بات كتلة من الاعصاب المتوترة. فتساءلت بتس في قرارتها: "هل سيستطيع أفراناس مواجهة الوضع، أم إنه سيتهاوى تحت وطأة الضغط؟" ثم هرعت لجمع مساعديها.

تحلق المغنون والراقصون والموسيقيون والمضيفات حول بتس في قاعة الرقص المحاذية لميسرة السفينة. فدعتهم الى الصمت ثم أعلنت: "يقول القبطان إن هناك عطلا في المحرك وبعضَ تسرب في الأسفل. الامر ليس خطيراً. اذهبوا الى كل قمرة واطلبوا من الركاب أن يتجمعوا للتدرب على ركوب قوارب النجاة. لا تسمحوا لأي منهم بالبقاء في الاسفل. واجلبوا كل سترات النجاة والملاءات التي تجدونها".

لم تردّ بتس على وابل أسئلتهم، بل قالت لهم بحزم: "افعلوا ما قلته فحسب!"

ثم خاطبت روبن بولتمان على انفراد: "لا أريد أي ذعر. اذهب الى الردهة وأخبر الجميع أن ما يحدث هو مجرد عطل بسيط وليس كارثة. ولكن كن مستعداً لمباشرة وضع الركاب في قوارب النجاة."

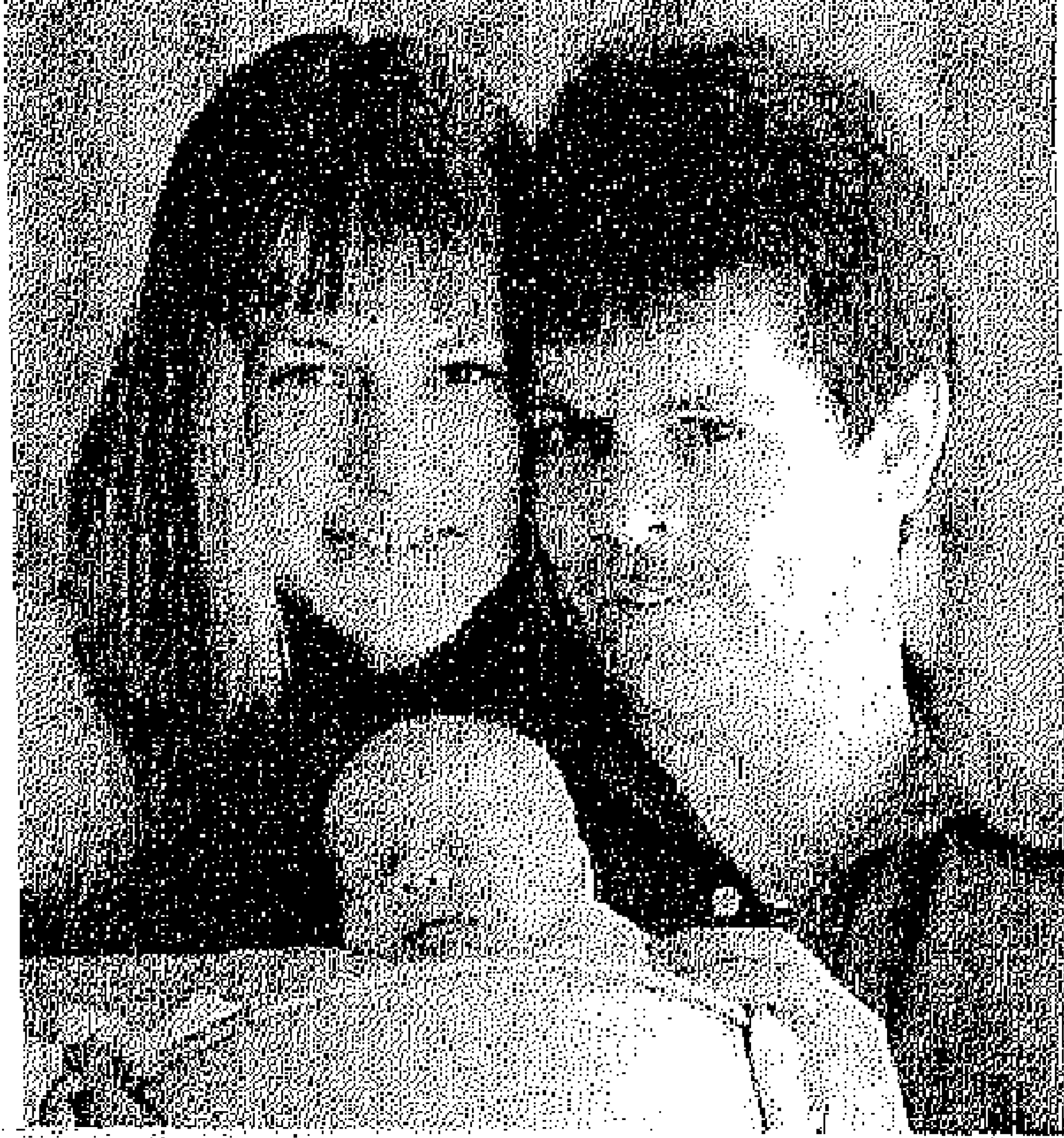
اختار جون أدمسون (٣٥ عاماً) وزوجته غيل الذهاب في رحلة بحرية للاحتفال بذكرى زواجهما الحادية عشرة. وكانت غيل ولدت قبل ١٧ يوماً فقط ابناً سمياه جون جونيور. فاصطحباه هو وشقيقتيه سامنتا (٨ أعوام) وكاري (عامان) في تلك الرحلة المشؤومة.

كان جون آدمسون في الردهة ينتظر بدء الحفلة عندما خيم الظلام فجأة. فأحس جميع الحاضرين بالقلق الى أن ومضت أضواء الاحتياط الظليلة. فهرع آدمسون متعثراً للبحث عن عائلته، فوجد موظفي الباخرة يقرعون أبواب القمرات. وما لبثت احدى المضيفات أن خاطبته: "أرجو أن تذهب الى الردهة الرئيسية للتدرب على ركوب قوارب النجاة."

وكانت غيل أرضعت الطفل وهمَّت بوضع ابنتها الصغرى في السرير عندما دخل زوجها وقال لها: "علينا جميعاً الصعود الى متن السفينة. انهم يتحدثون عن تدريبات على ركوب قوارب النجاة."

مضت العائلة ممسكة بسترات النجاة وانضمت الى الركب الصاعد الى الطبقة العليا. وكان ديريك وجيني غروف ما زالا في الظلام، مع فئات الركاب، ينتظران عودة التيار الكهربائي وبدء العرض الفني.

كانت أجهزة التبريد متوقفة والهواء الفاسد الدَخِن يملأ القاعة. فأحس ديريك بتيار من القلق يتموج عبر الردهة المكتظة بالركاب، وسمع المقاعد تنزلق مع كل ترنح للسفينة.


غيل وجون أدمسون وطفلهما جون جونيور.

وفيما كان روبن بولتمن عائداً الى الردهة الرئيسية، مر به بحارة هلعون وتجاوزوه مهرولين نحو أحد مراكز قوارب النجاة. فتبعهم غير مصدق أن هدفهم هو الاستيلاء على أحد القوارب.

كان قارب النجاة الرقم ١ مجهزاً بغطاء لمواجهة الريح والبحر وبجهاز لاسلكي ومحرك، وهو أحد القاربين الاكثر صلاحية على متن الباخرة. وعند الباب البحري المفتوح كان عدد من الضباط والبحارة متدثرين في ثياب دافئة يتدافعون بالمناكب.

ففكر بولتمن: "انهم جرذان تهجر سفينة غارقة." ثم عاد راكضاً ليخبر رئيسته لورين بتس بالامر.

قالت له بتس بازدراء: "دعهم يذهبون. لا أريد حولي أناسا هلعين لا فائدة منهم."

لكن الامر كان ضربة قاسية. وكانت بتس، الى ذلك، تشك في القبطان بعدما لاحظت فيه قصوراً في العزيمة والتصميم. واذ رأت يديها آخذتين في الارتجاف فكرت: "تمالكي نفسك يا لورين، فالامر منوط بك الآن!" ثم هرعت الى أسفل لارتداء ملابس دافئة وجمع بعض أجهزة الارسال.

في أثناء ذلك عاد بولتمن الى الردهة والتقط أحد مكبرات الصوت واعتلى المسرح شاكراً الله على أن ليس ثمة من يعلم ان البحارة يغادرون السفينة على بعد بضع خطوات. ثم خاطب الركاب ممازحاً: "آسف على الانارة السيئة يا قوم. لقد نسينا تسديد الفاتورة. هل لي بانتباهكم، رجاء؟ ليس من داعٍ الى القلق. أرجو أن ترتدوا سترات النجاة كاجراء روتيني." ثم اختلط وبعض زملائه بالركاب وراحوا يروون النكات محاولين تهدئتهم.

جلست غيل وجون آدمسون على الارض وأخذا يربطان سترات نجاة أولادهما. ونظر آدمسون الى زوجته مفكراً: "انها هادئة، لا أظن الامر شديد السوء، فبواخر الركاب لا تغرق في هذا العصر."

وعلى المسرح، فيما كان جوليان رسل وموس هيلز يفكان جهاز الصوت، سأل جوليان: "ترى، ما مدى خطورة الوضع يا موس؟"

فأجابه موس: "هناك طريقة واحدة لتبين الامر." واقترح أن يذهبا معا لمعاينة الطبقات السفلى.

فرجته تريسي: "الزم الحذر يا موس. تذكر ابنتنا. أحبك."

كان موس وتريسي يعيشان زواجا سعيداً، وقد جمعهما حب السفر والموسيقى. وكانت ابنتهما آمبر (١٥ عاما) أمضت أسبوعين على متن الاوقيانوس وعادت الى مدرستها. إلا أن والديها كانا يعتزمان لقياها في دوربان اليوم التالي.

هبط موس وجوليان السلالم المؤدية الى "أحشاء" السفينة على وميض أنوار الاحتياط. فطالعهما دوي الابواب المنصفقة وأنين المعدن وهو ينسحن. وكادت رائحة المياه النتنة تخنقهما.

تسلق الرفيقان فجوة معزولة حيث تمر أعمدة مراوح ثنائية عبر مؤخر السفينة. ثم وقفا جامدين كمن رأى شبحاً، وراحا يصغيان الى الاصوات المحيقة بهما. سمعا هديراً مكتوماً وراء الابواب المحكمة الاقفال، كأنه فيضان نهر. فهمس جوليان مشيراً الى الابواب الثقيلة: "أتلك مياه تتدفق الى الداخل؟ هل نفتح الابواب لنلقي نظرة؟"

لكن موس هز رأسه ناهياً: "إياك أن تفعل. هلم نخرج من هنا."

تسلق الرجلان السلالم بسرعة لينقلا ما اكتشفاه الى بتس. لكن مديرة الرحلة بقيت حائرة تتساءل: "هل ستغرق الباخرة أم لا؟ وإن كانت ستغرق، فمتى؟" ثم طلبت من

الرجلين أن يبقيا على أهبة قائلة: "لقد بدأنا وضع النساء والأطفال في قوارب النجاة."

نظر موس الى ساعته فوجدها تشير الى العاشرة والنصف ليلا. فأحس كأن عمرا كاملا انقضى في ساعة.

أخلوا السفينة!

بدأ الحشد في الردهة يتناقص تدريجاً من دون أن يلاحظ ذلك أحد. وكانت بتس أمرت مساعديها: "جيئوا بالامهات والاطفال، ولا تعلنوا ذلك، بل اذهبوا اليهم فرداً فرداً."

وعندما طلبت احدى المضيفات من آل آدمسون الانتقال الى البهو، لفَّت غيل صغيرها جون في دثار وضمته بقوة الى صدرها، فيما حمل زوجها ابنتهما كاري التي كانت في ثياب النوم، وانطلق الجميع مترنحين وسامنتا متشبثة بساقي أمها غيل.

تذكر جون آدمسون أنهم لم يأتوا بطعام للطفل، فهرع الى أسفل ليأتي بزجاجة حليب وبعض ملاءات، ولكن عندما عاد كانت العائلة اختفت.

انضمت غيل وأولادها الثلاثة الى الحشد المتدافع. ومضت، تساعدها مضيفة حملت الطفل جون، تكافح هبات الريح على ظهر السفينة المترنحة. ثم لمحت صفاً من الركاب المسنين على الحافة الداخلية للشرفة. والى الامام، عند أحد الابواب المفتوحة على البحر، وقفت لورين بتس وموس هيلز وجوليان رسل يوجهون عدداً من النساء والاطفال الى أحد القوارب المدلاة الى جانب الباخرة.

وكان أفراناس هناك أيضاً ليتيح لزوجته وابنته ركوبا سالما. لكن قبطان "الاوقيانوس" لم يصدر أي أمر، اذ كانت الباخرة كليا في عهدة بتس.

راحت بتس، وشعرها الاسود يتطاير في الريح، تصدر أوامر الى من تبقى من البحارة وتساعد النساء الواقعات على النهوض وتهدّىء من روع الذين كانوا يهمّون بالقفز الى البحر.

وفيما كانت الامواج الهائلة تتكور تحت بدن الباخرة، اصطدم قارب النجاة بجانبها ثم ترجَّح بعنف فاتحا هاوية متثائبة فوق البحر المزبد. فالتفت القبطان الى بتس شاحبا وصاح: "يجب أن أذهب وآتي بمساعدة." ثم دفع بعض النساء جانبا وحاول أن يركب القارب. إلا أن بحارين وموظفاً اداريا أمسكوه من سترة النجاة وجروه الى الوراء.

بلغت غيل آدمسون رأس الصف. فتناول البحارة طفلها أولا، ثم كاري، وأخيرا سامنتا، ووضعوهم في قارب النجاة. فألفت غيل نفسها تعيش كابوسها الاكثر اسوداداً موت أطفالها. فأخذت تصلي: "يا الله، اشملهم بعنايتك."

وعندما اصطدم القارب مجددا بجنب السفينة، قفزت غيل اليه وجمعت اطفالها وضمتهم اليها.

وهنا صاحت بتس آمرة: "أنزلوا القارب!" وكانت جدتها أيضاً على متنه.

وفيما القارب يهبط الى الظلام المدلهم، اصطدم بجنب السفينة. فتعالت الصرخات اذ اقتلعت الصدمة الامهات والاطفال من مقاعدهم. ارتطم القارب بالمياه بعنف. وسرعان ما تلقت لورين صرخة مسعورة عبر جهاز الارسال: "لا أحد يعلم ماذا يفعل. رأس جدتك ينزف، والمياه تتدفق الى القارب. نرجوك أن تعيدينا الى السفينة."

فجأة دوى صوت المحرك، وانطلق قارب النجاة معتلياً موجة سوداء هائلة، ثم انزلق مختفيا في الظلام. كان على متنه نحو ٥٠ امرأة وطفلا، فتملّك لورين بتس قلق شديد، لكنها أقنعت نفسها بأنها بذلت كل ما في وسعها.

وفي القارب عرضت فتاة على غيل آدمسون العناية بابنتها كاري، لكن الطفلة المرهقة ما لبثت أن غرقت في نوم عميق. وكان القارب يترجح مهدهداً مثل نوّاسة، فاندست سامنتا قرب أمها ونامت هي أيضاً. وكانت الامواج تتلاطم راشّة القارب بالماء. لكن الغطاء الواقي وفّر للركاب حماية من سياط الريح.


روبن بولتمن.

وكان في طليعة ما دار في ذهن غيل من أفكار مروعة إمكان انقلاب القارب وغرق جميع الاولاد. فأمسكت بابنتها سامنتا وقالت لها: "اذا سقطنا في الماء فتشبثي بي ولا تتركي يد كاري."

ثم عادت تصلي: "يا الله، اشمل زوجي بعنايتك وابعد الأذى عن أطفالنا."

ومن مكان ما في القارب المكتظ بالنساء والاطفال، سمعت غيل احدى الامهات تهدىء روع طفل نكد قائلة له: "لا تقلق يا حبيبي، فأمك هنا." فجأة انطلق من القارب صاروخ اخترق الليل وعلق في الفضاء ككتلة من الزجاج الذائب. واذ اعتلى القارب احدى الموجات، أزاحت الريح الغطاء الواقي، فرأت غيل كتلا ظليلة وأنوارا متحركة لسفن دانية.

راقب جون آدمسون الصاروخ وهو يتوخّط السواد وينفجر شلالا نارياً متقداً. فطمأنه روبن بولتمن: "هذا يعني أن زوجتك وأطفالك يرسلون إشارات الى السفن لكي تأتي اليهم وتنتشلهم."

وفيما آدمسون واقف في محاذاة ميمنة الباخرة، رأى أنوار السفن التجارية التي استجابت لنداء الاستغاثة. ثم سمع قعقعة قارب نجاة آخر يُدلّى الى البحر.

PHOTO: MOSS HILLS

وفي أرجاء الردهة الرئيسية قبع الاصدقاء والأقارب مجموعات، فيما أخذ بعض الشبان ينشدون ويغنون. وتماسك آخرون بالايدي وتجمعوا للصلاة في حلقات. ثم راحت امرأة تغني ذاهلة: "ابقَ معي"[٣] الى أن ردعها أحدهم قائلا: "لقد أنشدوا هذه الاغنية على متن التيتانيك." فكفت المرأة عن الغناء وراحت تنشج باكية: "إني لا أجيد السباحة."

أحسَّ روبن بولتمن، وهو يتنقل بين مجموعات الركاب، أن الاكتئاب بدأ يتسرب الى نفوسهم. كما شعر بهبوط في المعنويات وبأن الصدمة والخوف أخذا يتملكانهم. وكان ذاك تحدياً لا يقوى المرفهون على مقاومته. فتناول موس وتريسي هيلز غيتاريهما واعتليا المسرح. وسرعان ما انخرط الكل في غناء جماعي.

وكان الارهاق بلغ من جون آدمسون حداً جعله يتقاعس عن الانضمام الى المغنين. فأخذ يردد في قرارته: "ترى، هل سأرى غيل وأطفالي من جديد؟" وفيما هو على هذه الحال ربتت احدى المضيفات كتفه، فحدق اليها ذاهلا ليسمعها تقول: "نريد رجالا أقوياء لتجذيف قارب النجاة."

زحف آدمسون بجهد ممضّ على الشرفة التي مزقتها الرياح. وكان القبطان أفراناس هناك، لكن بتس كانت لا تزال هي الآمرة. صاحت: "تراجعوا الى مؤخر القارب وافسحوا في المجال للآخرين."

قفز آدمسون الى القارب قبل ارتطامه بالسفينة. ثم نظر حوله فلم يجد مجاذيف. وما هي إلا لحظات حتى انضم اليه طبيب الباخرة قائلا إن القبطان أمره بالذهاب. ومرة أخرى، حاول أفراناس اللحاق بالركاب، لكن إداريي الرحلة جروه ثانية الى الوراء.

نداء أحمر

تلقى مركز تنسيق عمليات الانقاذ في كيب تاون نداء الاستغاثة الأول الواهي من بعد حوالى ١٠٠٠ كيلومتر. فأطلق من فوره "نداء أحمر." وسرعان ما هبت فرق الانقاذ الى العمل. وقال النقيب تشاز كوتلي (٣٦ عاما) الذي أوقظ من نوم عميق: "آمل ألا تكون هذه مزحة ثقيلة."

بيد أن تلك لم تكن مزحة اطلاقاً. فهناك، قبالة شاطىء كوفي باي، باخرة تغرق وعلى متنها ٦٠٠ راكب. وكان فريق كوتلي على مسافة ساعتي طيران بالطوافات، وهو الخيار المنطقي لتولي المهمة.

ارتدى كوتلي ثيابه بسرعة وودع زوجته وهرع بسيارته الى المطار مقلبا الخيارات المتوافرة. وعندما وصل كان الطاقم الأرضي ناشطاً في التحضير لعملية الانقاذ.

(٣) Abide With Me وهي اغنية قديمة شائعة.

كان كوتلي أمضى ١٧ عاما في قيادة الطوافات. فأعطى تعليماته الى الطواقم الاربعة في غرفة العمليات. كان الخطر المحيق بذلك العدد الكبير من الركاب يغري باستجابة فورية. لكن كوتلي أدرك استحالة رفع الركاب من متن السفينة المترجحة وسط الرياح العاصفة أو انتشالهم من بين الامواج العاتية. وقد يكون الهبوط بطوافة عملا طائشا، لكن الارتطام بسفينة يؤدي حتما الى كارثة.

الى ذلك، لم يكن أحد على علم بتصميم الباخرة. كما لا بد من وجود عقبات تعوق شفرات مراوح الطوافات. لذلك أمر كوتلي طواقمه: "ستقلع أربع طوافات لتبلغ كوفي باي مع خيوط الفجر الأولى. وسيُرفع الركاب جوا. ومع الفجر ستتبعكم طوافتان أخريان للبحث عن ناجين."


النقيب تشاز كوتلي.

حدقت غيل آدمسون ذاهلة الى السفينة الضخمة السوداء الموشاة بالصدأ التي تعالت أمام ناظريها. وكان قبطان الناقلة البنامية "غريت نانسني"، أولى السفن الخمس التي ظهرت تلك الليلة، استدار بسفينته لاقامة حاجب للريح. فتحرك قارب النجاة في محاذاتها ولامسها، ثم ابتعد ليعود ويلامسها ثانية. لكن موجة جبارة ما لبثت أن انتزعت القارب وهوت به بعنف على جنب السفينة. فأخذ ركاب القارب يصرخون وينتحبون وسط عويل الريح.

رأت غيل حبالا تتدلى من السفينة وبحارة يتجمعون لربط الحبال الى مقدمها ومؤخرها. وما لبث قارب النجاة أن وثب متمايلا وارتطم بالسفينة من جديد. كان القارب الصغير بدأ يتشقق ويمتلىء ماء. وما هي الا لحظات حتى أُدليت من السفينة سلم متلوية. ففكرت غيل: "لا أحد يمكنه أن يتسلق هذه ويبقى حيا."

لكن بحارا يونانيا ما لبث أن أمسك بالسلم المتمايلة وأخذ يتسلقها جاهدا. وحين وصل الى متن السفينة أطلع القبطان على أن ثمة نساء وأطفالا في قارب النجاة وينبغي تدبُّر طريقة أفضل لانقاذهم.

أخيرا، أدلي بدلو مترنح عُلِّق بطرف الحبل. وصاح أحد البحارة: "ارفعوا الاطفال!" إلا أن الامهات تشبثن بأطفالهن وتراجعن خائفات وهن يسألن: "ماذا لو انقلب الدلو ووقع أحد الاطفال في الماء؟"

لكن الرد جاء فظا: "إما أن يُرفع الاطفال الآن وإما أن يموتوا حيث هم."

ففكرت غيل آدمسون: "إنه على حق!" فقارب النجاة لم يعد قادرا على تحمل ضربات الموج العنيفة. ورفعت غيل ابنتها كاري الى الدلو بيدين أثقلهما الارهاق، وبعدما قبلتها استدارت مشيحة بوجهها.

PHOTO: COURTESY SATV

رفع البحارة كاري والدلو يتلوى ويرتطم بجنب السفينة. وعندما نظرت غيل الى تلك الناحية مجدداً كان الدلو عاد الى القارب... فارغاً!

تبع كاري أطفال آخرون. وكان ركوب الدلو بالنسبة الى الشجعان منهم مغامرة كبرى، الى أن جاء دور سامنتا التي كانت أطول من أن تجلس في الدلو.

شاهدت غيل الدلو يترجح مبتعداً عن جنب السفينة ثم يميل نحو البحر فيما خصل شعر أشقر تتطاير مع الريح. فصرخت وقلبها يكاد يتوقف هلعا: "اجلسي يا سامنتا!" فاختفى الشعر الاشقر وواصل الدلو صعوده الى أن بلغ متن السفينة.

وعندما حان دور الطفل صاح أحد البحارة: "هيا، ضعيه في الدلو."

فرجته غيل: "دعني آخذه بنفسي."

فرد البحار بحزم: "لا."

وكمن في حلم مروع، راقبت غيل البحار وهو يضع طفلها في الدلو. ثم سمعت بكاءه فيما الريح تتلاعب بالدلو مرجِّحة الحمولة النفيسة بعنف. وبينما هي على هذه الحال هبط قارب النجاة منخسفاً مع موجة ثم علا مرتطما بالناقلة. فصاحت غيل: "احفظه يا الله!"

وبعد دقائق طويلة عاد الدلو الى قارب النجاة فارغاً.

وعندما رفع جميع الاطفال الى متن الناقلة جاء دور النساء. فتعاقبن صعوداً في محمل من الحبال بعدما ارتاح بالهن الى سلامة الاطفال.

وعلى متن "غريت نانسي" لف أحد البحارة سترته حول كتفي غيل وقادها الى قمرة دافئة حيث كان جون يصرخ ويبكي. وكانت ابنتاها خلدتا الى فراش في الحجرة المجاورة.

في سياق عملية الانقاذ، انكسرت ثلاث من أصابع غيل وراحت تنزف. وكانت يداها خدرتين من البرد بحيث لم تشعر إلا ببعض انزعاج. ولكن ومع تسرب الدفء الى أصابعها بدأ الألم يضيمها. وكانت معظم النساء الاخريات تعرضن لجروح ورضوض، لكن أياً منهن لم تصب بأذى بالغ، حتى جدة بتس.

وبعدما تولى أحد الاطباء العناية بجروحها وكسورها، لمحت غيل البحار الذي تسلق الحبل، فتقدمت منه وشكرته قائلة: "لولا مساعدتك لمتنا جميعاً."

قُدِّم الطعام والمنام الى الجميع، لكن النساء لم يستطعن النوم بفعل التوتر. وكان في طليعة الافكار التي أقضّت مضاجعهن سؤال واحد: ماذا حل بأحبائهن الذين تركنهم على متن "الاوقيانوس"؟

لم تمضِ ساعتان حتى ارتطم قارب النجاة الرقم ١ بجنب السفينة. فهرعت غيل الى الممر مع نساء أخريات آملة أن تجد زوجها في عداد الناجين. لكنها لم ترَ سوى بحارة

توافدوا من القارب تباعاً وكلهم يحملون أمتعة. فصدمتها الحقيقة المرة اذ تبينت أنه لم يكن بينهم راكب واحد.

لم توجِّه أي من النساء كلمة واحدة الى طاقم "الاوقيانوس." وكان صمتهن تعبيراً بيِّناً عن مدى الاحتقار الذي اعتمل في نفوسهن.

وبعد ساعات وصل قارب ثالث وعلى متنه ناجون خرجوا من العاصفة مبللين وهم يرتجفون برداً. وعندما لمحت غيل زوجها في الممر، وقد وقف مبللاً قلقاً، هرعت اليه وأحاطته بذراعيها باكية. ثم قالت له: "الاولاد في أمان."

"أنزلوا القارب"

كان ديريك غروف نائماً على أرض الردهة عندما سمع أحدهم يناديه: "هيا يا ديريك، لقد حان دورنا."

وكان أصدقاؤه بدأوا يزحفون الى البهو لينضموا الى الركاب المصطفين قبالة قارب النجاة. واذ نظر غروف الى ساعته وجدها تشير الى الثانية عشرة الا خمس دقائق ليلاً.

دفع ديريك زوجته بين الركاب المتعثرين الذين هرعوا نحو قارب النجاة يعاون واحدهم الآخر. وما لبث الزوجان أن مرَّا بباب قاعة الطعام التي تحولت خليطاً فوضوياً من الطاولات المحطمة وكِسَر الزجاج المتناثرة. وكانت لورين بتس ما زالت في مركز قوارب النجاة ومعها موس هيلز وجوليان روس، فيما تولى آخرون من إداريي الرحلة تهدئة الركاب الذين همّوا بالقفز الى البحر للنجاة بحياتهم. وعندما بلغ الزوجان القارب أمسك ديريك بذراعي زوجته وقال لها بحزم: "استعدي يا جيني، لقد حان دورك."

كان القارب مدلى على حوالى متر من الحافة، وكان يترجح مرتطماً بجنب السفينة تبعاً لتمايلها. وما إن ارتطم بالسفينة تالياً حتى صاح ديريك بزوجته: "هيا اقفزي!"



جيني وديريك غروف.

فوقفت جيني ممسكة حذاءها العالي بيد وحقيبة يدها بالاخرى، ثم رفعت أردان ثوبها وقفزت الى القارب وقلبها يكاد يثب خوفاً. وتبعها ديريك. ولم يلبث الآخرون، شباناً وشيباً، أن بدأوا يقفزون الى أن امتلأ القارب بنحو ٤٠ راكباً هلعاً.

عندذاك صاحت بتس آمرة: "أنزلوا القارب!" إلا أن القارب، بدلا من الهبوط، أخذ يتمايل مرتطماً بالسفينة تكراراً وسط صرخات الركاب المذعورين. لقد تعطل جهاز الانزال، وقبع القارب معلقاً في الهواء.

وسمع ديريك زوجته تصلي بصوت خافت: "يا الله، ساعدنا."

وما لبث قارب النجاة أن هوى الى الماء. وكانت كتل فولاذية ضخمة بدأت تنفلت من "الاوقيانوس" متحولة كُرات مدمرة ترجَّحت في حركات قوسية قاتلة فوق رؤوس الركاب الباقين الذين جثموا متشبثين بألواح السفينة. وكانت الكرات أيضاً تضرب وقاء قارب النجاة بلا هوادة.

فصاح أحدهم: "أديروا المحرك!"

فسأله ديريك غروف: "ولكن، أين هو المحرك؟"

فصرخ بحار مصعوقا: "لا محرك في هذا القارب!"

اجتذبت قوة "الاوقيانوس" الماصّة القاربَ وجمدته. ثم هوت كتلة فولاذية أصابت رأس إحدى النساء وسببت فيه جرحا نازفاً. وكان غروف والرجال الآخرون يحاولون جاهدين الابتعاد بالقارب، لكن المجاذيف أخذت تنقصم مثل عصيّ هشّة. ثم راح القارب ينجرف ببطء نحو مقدم السفينة حيث كانت الدفة العملاقة والمروحة المزدوجة آخذتين في التهشم مع كل موجة عابرة.

فلم يسع الركاب حيال ذلك سوى الجثوم في القارب الرقم ٥ ريثما تهوي المروحة العملاقة وتقضي عليهم. فجأة قفز القارب بمثل أعجوبة منفلتاً من عقاله كفلّينة، ثم انجرف مبتعداً وعلى متنه ٤٠ راكباً.

وجدت بتس أن الاوان آن لاجراء إحصاء. فخاطبت موظفيها قائلة: "ساعدوني في عدّ ركاب الردهة." وقد تبين أن ثمة ٢٦٠ راكباً ما زالوا على متن "الاوقيانوس."

كانت قوارب النجاة الثمانية كافية لاستيعاب الركاب الـ٥٧١ كلهم، لكن خمسة منها كانت أبحرت بعدد من الركاب أقل من سعتها. وكان قاربان آخران استُبعدا لعطل في المحرك، فيما علق آخر وأُفرغ من الركاب. اذذاك توجهت بتس الى روبن بولتمن قائلة: "عندما تبدأ السفينة الغرق، سنصطف جميعاً عند الحاجز ونقفز الى البحر."

في تمام الثالثة فجراً وجُهت باخرة الشحن الهولندية "ندلويد موريشوس" نداء لاسلكياً على موجة الطوارىء: "أوقيانوس، سنرسل قارب نجاة ونحاول الاقتراب. كم من الوقت تبقى لديكم؟"

فرد موس هيلز الذي تولى الاشراف على منصة القبطان: "ربما ساعتان." ثم أضاف: "لم يتبقَّ لدينا أي قارب نجاة، وما زال هنا أكثر من ٢٠٠ راكب."

في أثناء ذلك كانت "الاوقيانوس" كلما مالت بميمنتها ملامسةَ البحر تبدو كأنها على وشك الانغماس في الماء لأقل وكزة إضافية. فزحف هيلز الى أسفل السفينة مجدداً. وفي قاعة العشاء، حيث كان جالسا قبل ساعات قليلة، وجد المقاعد طافية فوق المد المتعالي، فيما تدافعت أطنان من المياه المالحة مع كل موجة ضاربة. فعاد الى فوق

ليخبر بتس أنه لم يتبقَّ ثمة ما يفصل بين الركاب والمياه الفائضة سوى طبقتين جافتين.

أدركت بتس أنه، اذا ما انحدب سطح السفينة، فسيعلق ركاب الردهة في شرك. فأمرت مساعديها: "انقلوا الركاب الى طبقة بركة السباحة."

في أثناء ذلك، لم يستطع قارب النجاة المرسَل من "ندلويد موريشوس" مقاربة "الاوقيانوس" بسبب تواصل الموج. فمكث في موقع قريب بغية انقاذ الركاب لدى غرق السفينة.

"تشبثوا جيداً!"

اندفع الركاب من الردهة متلاصقين متداعمين، وأخذوا يشقون طريقهم ببطء الى ظهر السفينة وهم يتساقطون ويكدمون أجسادهم بالجدران والحواجز. وكان بينهم بيت نيماند (٤٢ عاما) وخطيبته أنجيلا ستافرو وابنه بيتر.

تعذر الوقوف على ظهر السفينة المائل. وفيما الامواج المتعالية تتكور عاتية تحت بدن السفينة، سألت أنجيلا خطيبها بقلق: "هل تعيش أسماك القرش في هذه المياه؟"

فأجابها بيت والريح تسوط وجهه كالنصال: "لا يا حبيبتي." لكنه كان عالماً أن ذلك الشاطىء هو مرتع لأسماك القرش الابيض وغيرها من آكلات لحوم البشر.


بيت نيماند وانجيلا ستافرو.

راحت الأمواج تنقضّ على الحاجز الجانبي مبتلعة كل ما طاولته. وانزلقت مقاعد الردهة البلاستيكية عبر ظهر السفينة متهاوية الى البحر.

فقالت بتس للركاب: "قد يتعين عليكم القفز الى المياه، ولكن هناك قارب نجاة سينتشلكم."

فتناهى اليها صوت حاد:"لا أجيد السباحة."

فردت بتس: "عندما أقول لكم: اقفزوا! نفذوا الامر من فوركم."

ثم نادت بولتمن وكلمته على حدة: "أريدك على منصة القبطان منذ الآن."

فرد بولتمن: "لكني لا أجيد استعمال الجهاز اللاسلكي."

فقالت له بحزم: "آن لك أن تتعلم."

انجرف قارب النجاة الرقم ٥ جنوبا مترجحا بعنف بين متون الامواج الجبارة ووهادها. لكن المياه التي تجمعت فيه الى مستوى الرُكَب ما لبثت أن شكلت ثقلاً موازناً ساعد في استقراره. كما حالت الريح البحرية دون جنوحه الى الشاطىء الصخري. وكان في مقدمه بحار أخذ يومض نداء استغاثة واهيا بمصباح كهربائي.

ربض الركاب المبللون في الزوايا والثنايا وتحت المقاعد لاتقاء الرياح العاصفة. لكن ديريك غروف فضل البقاء في مقدم القارب لمراقبة الوضع. وكان قلقاً من أن ينقلب القارب المنجرف بلا دفة وهو يهبط من قمة احدى الموجات المتكسرة. ولم تكن جيني عابئة بما يدور حولها. فاندست بين ذراعي امرأة غريبة وكلتاهما متجمدتان ذاهلتان. ومضى ديريك ينقل الى الركاب المتأوهين مشاهداته من دون توقف: "حاذروا الآن! أمامنا موجة كبيرة. تشبثوا جيداً."

وفيما هو على هذه الحال، سمع صوتا غريبا تعالى فوق عويل الريح وارتطام الموج. واذ تطلع الى فوق لمح أنوار طائرة محلقة على ارتفاع منخفض. ففكر: "الحمد لله، لقد أتوا لانقاذنا."

ومن ركن قيادة طوافة الانقاذ ٤٠٦، تطلع النقيب كوتلي من علو ١٠٠ متر مراقباً بعين ثاقبة الزمرة الضاربة على غير هدى بين لجج شاطىء ترانسكاي. وكانت السماء مدلهمّة والقمر والنجوم متوارية خلف الغيوم الداكنة. وفي مؤخر طوافة كوتلي، جلس بين أكوام الاجهزة وخزانات الوقود رجلان قويا البنية في مطلع العشرينات من عمرهما هما الغواصان بول وايلي وغاري سكولار.

نقل جوي

اجتازت طوافتا الانقاذ ٤٠٦ و٤٠٧ مرتفعاً قرب كوفي باي تاركتين أضواء الهبوط منارة لهداية طوافتي الانقاذ ٤١٦ و٤١٤. وكانت الساعة السادسة الا ربعا صباحا.

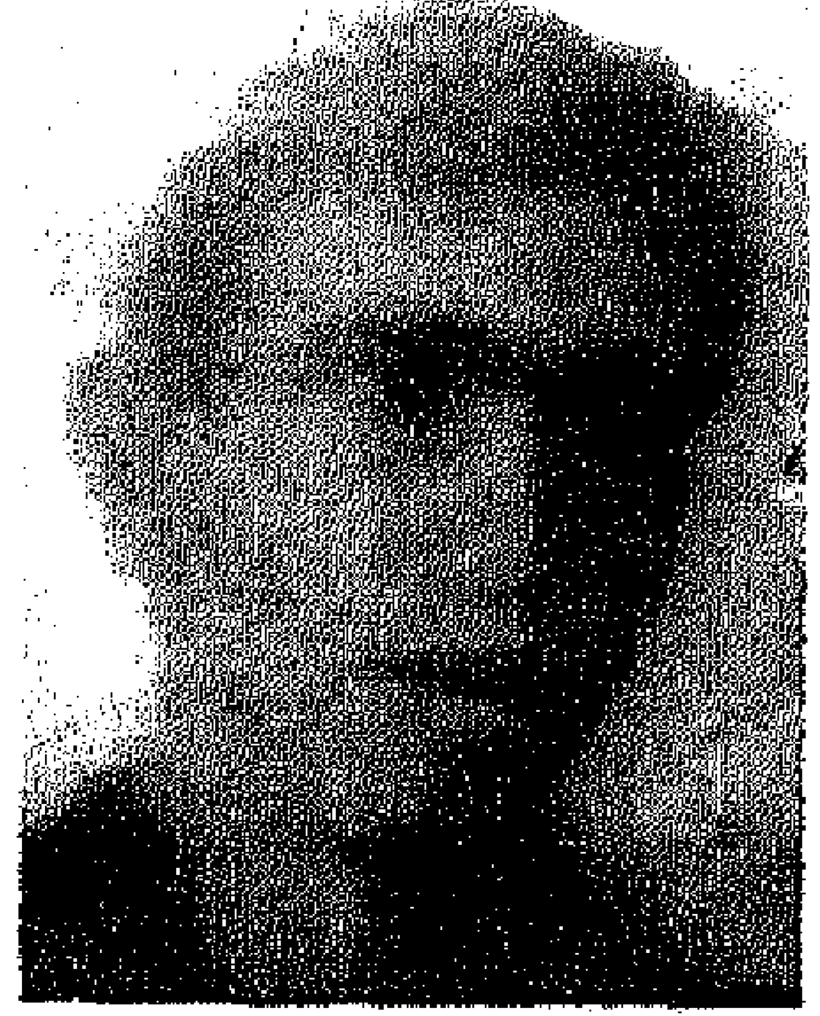
شرح كوتلي الخطة لرجاله: "ستذهب الطوافتان ٤٠٦ و٤١٤ أولا لكشف المعوقات المحتملة على ظهر السفينة ولاستبيان سبل تنفيذ المهمة. في أثناء ذلك، ستعمد الطوافتان الاخريان الى تزود الوقود." ثم أضاف مشيراً الى الغواصين وايلي وسكولار: "وعندما نتحقق من خلو ظهر السفينة من المعوقات، سنذليكما الى متنها لكي تشرحا للركاب إجراءات الاخلاء. ومن ثم ستنضم الينا الطوافتان ٤٠٧ و٤١٣."

وفيما كوتلي محلق في أجواء الفجر الرمادي، لمح بدن "الاوقيانوس" الابيض متمرغاً في أشداق الامواج الهادرة وقد تحطم سياج الميمنة والمقدم وبرزت الدفة والمروحة من الماء. وكانت السفن الاخرى متحلقة حولها كدجاجات راخمة، تحوم فوقها طائرة صغيرة من طراز «C-160».

تجمّع مئات الركاب على ظهر السفينة المتاخم لبركة السباحة لابسين سترات نجاة برتقالية. ولمح كوتلي على مقربة من السفينة الغارقة قارباً مكشوفاً محشواً بالركاب. وكان قارب "ندلويد موريشوس" ما زال قابعاً قبالة السفينة، فيما الحطام المتناثر ينجرف مسوقاً بالريح والتيار.

أجرت طوافة الانقاذ ٤١٤ كشفاً سريعاً على "الاوقيانوس"، فلمح طياروها سلكاً ثقيلاً امتد عبر ظهر السفينة معلقاً بين المداخن والصاري الامامي. فقرر كوتلي اذذاك انزال الغواصين سكولار ووايلي لمعالجة هذا العائق وسواه. وعندما هبط الرجلان بواسطة محمل دلّته رافعة من بطن الطوافة، أخذ الركاب يهتفون فرحاً.

وما إن شرع سكولار في ترتيب الناحية الامامية حتى تقدم منه موس عابرا ظهر السفينة بجهد عارضاً المساعدة. وقال له وهما يتصافحان: "إني عازف الغيتار في الاوقيانوس."



بول وايلي.

فقال له سكولار: "يمكنك مساعدتي في وضع الركاب في المحمل. أين البحارة؟"

فأجاب موس ناثراً يديه: "لقد هربوا في قوارب النجاة."

فهتف سكولار: "هذا جميل!"

تولى وايلي إمرة مؤخر السفينة وأخذ يعدّ موقعاً لنقل الركاب جواً، فيما راحت الطوافات تحوم فوقه. أما بتس فكانت تركض جيئة وذهوباً على متن السفينة المترنحة مطلقة الاوامر عبر مكبر للصوت: "انتظموا في الصف، أرجوكم! وتشبثوا بالسياج." ثم أمسكت بسترة امرأة شابة تجاوزتها منزلقة على ظهر السفينة.

أخذ وايلي يشرح للركاب كيف يشدون محمل الرفع بالابزيم. ثم قال: "سنرفع شخصين كل مرة. ولكي لا تدوّموا في الهواء، أبعدوا أيديكم عن جوانبكم، ولا ترفعوها فوق رؤوسكم وإلا وقعتم من المحمل. حسناً، مَنْ يأتي أولاً؟"

فتقدمت وكيلة سياحية هزّتها المحنة الطويلة. ثم توقفت والدموع تنهمر من مقلتيها، فتناول وايلي يدها وقال لها: "تعالي!"

وفيما وايلي يعدّل ابزيم المرأة، هرع القبطان أفراناس وانزلق في المحمل الآخر. فهز وايلي كتفيه وتركه وشأنه.

وما إن عاد المحمل من الطوافة فارغا حتى اندفع ضابط الاشارة الى الامام وطالب بالصعود. ولما لم يكن لدى وايلي وقت يضيعه في الجدل فقد تركه يصعد. ثم تبعه امين صندوق السفينة وأحد البحارة. فبلغ عدد الذين صعدوا الى الطوافة الاولى سبعة ناجين: القبطان وضابطان وبحار وثلاث نساء.

وعندما أخذت الطوافة التالية موقعها فوق السفينة، كان بيت نيماند وأنجيلا ستافرو التاليين. وكانا، كغيرهما من الركاب، حافظا على هدوئهما طوال الليل وبذلا كل ما في

PHOTO: COURTESY SATV

وسعهما للتخفيف من مشكلة كان حلها فوق طاقتهما. فعانق نيماند خطيبته مودعا، وبعدما اطمأن الى سلامتها تطلع حوله مخاطباً ابنه بيتر: "هناك كثيرون من الخائفين حولنا. هلم بنا لنرى ما نستطيعه لأجلهم."

جرّ نيماند نفسه على ظهر السفينة المترجح، وخاطب وايلي قائلا: "تبدو في حاجة الى مساعدة."

وكانت الطوافات الأربع بدأت تعمل مجتمعة. وأمسك نيماند بذراع وايلي الذي تمطّى ليمسك براكبين منزلقين، ثم سحبهما، كلاً على حدة، الى أعلى المنحدر. بعد ذلك راح نيماند يهدىء من روع الركاب فيما سعى وايلي الى التقاط محمل الرفع المترجِّح فوق ظهر السفينة.

تولى نيماند ووايلي مساعدة الركاب في وضع محمل الرفع تحت إبطهم وعقد الابزيم. وكلما فرغا من ذلك كانا يرفعان ابهاميهما اشارة الى الطوافة بمعنى "هيا!"

وكان طرف السلك اذذاك يهتز جاذباً الركاب بعنف فيما المهندس يسحبهم ببكرة الطوافة كالاسماك. ثم لا يلبث الربان أن ينطلق بهم فوق البحر مفسحاً في المجال للطوافة التالية لكي تأتي وتنتشل آخرين.

تأثر نيماند، المكبّ على العمل، لما أبداه المسنّون من شجاعة ورباطة جأش. فهم، على رغم الصدمة والارهاق اللذين زججا عيونهم ورمّدا وجوههم، وعلى رغم البرد والخوف اللذين أرجفا أجسادهم الواهنة، حافظوا على انضباطهم ووقارهم. وكان لعبارة "شكراً لك أيها الشاب" التي ما انفكت تنطلق من شفاههم المشققة أثرٌ لامس شغاف قلب نيماند وفجر عاطفته.

تأثر نيماند خصوصاً بزوجين عجوزين رفضا الذهاب قبل أن يريا ابنيهما الشابين المتزوجين يغادران السفينة بأمان. وكانت تلك، بالنسبة الى نيماند، أمور تؤكد بقاء الروح الانسانية التي لا تُقهر والخير المتأصل في نفوس الناس في مواجهة الظروف المروعة.

أول الناجين

مع بزوغ الفجر اقتربت سفينة الصيد النروجية "أنيك" من قارب النجاة الرقم ٥ في وقت بدأ ركابه الناعسون الخدرون يستسلمون لانخفاض درجات حرارة أجسادهم بعدما تعرضوا على مدى خمس ساعات لرياح جمدت أوصالهم.

راقب ديريك غروف "أنيك" وهي تدنو من القارب حتى كادت تلامسه. لكن القارب سرعان ما انقذف بفعل موجة جبارة الى علو ظهر السفينة، ثم هوى مرتطماً بها بقوة مروعة.


طوافة ترفع راكبين الى الامان.

رأى غروف رجلا في القارب يلتقط سلّم حبال بكلتا يديه، لكنه سرعان ما اختفى مرتجًا بعنف فيما انزلق القارب هابطاً من ذروة الموجة. ثم راح الرجل يتخبط باحثاً عن موطىء لقدميه وهو معلّق يتلوى ويغزل مرتطماً بجنب السفينة. ولم تمضِ لحظات حتى انتشله الطاقم.

ثم قفز أحد بحارة "الاوقيانوس" ليلتقط حبلا متدليا. لكنه ارتطم بجنب السفينة وسقط في البحر الذي ابتلعه ثم لفظه. فألقى له البحارة حزام نجاة تشبث به بيأس ضار، وما لبثوا أن رفعوه الى متن السفينة.

وما كادوا يفعلون حتى صاحوا بالركاب: "لتصعد النساء!" لكن الجميع تراجعوا خائفين أمام رقصة الموت الماثلة أمامهم.

وكانت دوامة المياه عند مؤخر السفينة أخذت تجذب القارب ببطء نحو نصال المروحة الماخضة. فتعالى الصراخ منبهاً القبطان الذي سارع الى وقف المحرك في الوقت المناسب. وسرعان ما تحرر قارب النجاة الرقم ٥ من عقاله وكأن يداً خفية أطلقته، ومخرت "أنيك" مياه البحر مبتعدة.

مضت ساعتان قبل أن تقترب "ندلويد موريشوس" لمحاولة انقاذ الركاب. لكن المركبين ما لبثا أن اصطدما وسط الامواج الهادرة، فتطايرت قطع خشبية كبيرة من قارب النجاة، وأخذت المياه تتدفق اليه عبر الشقوق. وما هي الا لحظات حتى تدلت من "ندلويد" شبكة تسلق عَرشة. فسمع غروف صوت رجل يناشد زوجته: "أرجوك اذهبي ليبقى للاولاد واحد منّا على الاقل!" ثم حملها وكاد يلقي بها من القارب. فلمست السفينة منشبة أظافيرها في الشبكة الى أن تم سحبها.

ولم يمضِ وقت قصير حتى دنت من القارب سفينة الشحن البولونية "كازوبي ٢." فأشاح بحارتها بوجوههم فزعاً لمشهد قارب النجاة وهو يصطدم بجنب سفينتهم. فأمر القبطان بانزال صادّات لوقاية القارب من الصدمات المتواصلة. وفيما أفراد الطاقم

PHOTO: © MOSS HILLS


عمال إنقاذ يساعدون ناجين وصلوا الى فندق "ذي هايفن."

يحاولون تثبيت القارب بشد الحبال وارخائها، هبط اليه بحاران في شبكة لتحميل البضائع، وأخذا يشرفان على عملية الانقاذ.

تتالت عملية رفع الناجين في دفعات ثلاثية ورباعية صعوداً عبر جدار السفينة الاسود. فقبع ديريك غروف، بعدما رأى زوجته تبلغ متن السفينة بأمان، منتظراً دوره مع رجال آخرين. وعلى ظهر السفينة، وقف الناجون ينتظرون وصول أصدقائهم وأقاربهم، فيما راح البحارة يدثرونهم بحرامات وثياب دافئة. وكان جميع الركاب يعانون آثار التعرض للعوامل الجوية القاسية، غير أن أحداً منهم لم يتأذّ على نحو خطير.

وكانت "كازوبي ٢" انتشلت ٤٥ راكباً و٢٠ بحاراً من قارب نجاة آخر، فانصرف أحد موظفي شركة "ت.ف.س. تورز" الى تسجيل أسماء الناجين وأبلاغها الى الشاطىء لاسلكياً.

وكان عمال الانقاذ في أثناء ذلك اتخذوا مقراً في فندق محلي اسمه "ذي هايفن." وما إن سمعوا هدير طوافة الناجين الاولين فوق الكثبان الرملية حتى هبوا للمساعدة وقدموا القهوة والشاي الى ركابها السبعة، فيما تولى أطباء معاينتهم.

ولدى بلوغ الفندق دخل القبطان أفراناس الردهة والانبهار بادٍ على محيّاه، وجلس

PHOTO: © GARY HORLOR

منفردا في احدى الزوايا من دون أن يقدم الى منقذيه أي معلومات عن حال السفينة أو يبدي أي اهتمام لمصير ٢٥٠ راكبا تركهم على متنها.

ثم أخذت الطوافات تتوافد تباعا بحمولاتها النفيسة جالبة دموع الفرح الى البعض والاسى المتلبث الى البعض الآخر. وبازدياد عدد الناجين ازداد قلق مَنْ تركوا أحباءهم على متن السفينة الغارقة. وراحت الشفاه تتحرك في صلوات صامتة. وجلست فتاة مراهقة تبكي ناشجة. واعتصرت امرأة عينيها ثم عادت الى البكاء بعدما حطت طوافة أخرى ولم يكن زوجها على متنها.

توافدت الطوافات جيئة وذهوبا والمنقذون يطابقون بين أسماء الناجين وجنسياتهم وقائمتي الطاقم والركاب اللتين جرى بثهما لاسلكيا من شركة "ت.ف.س. تورز" ووكلاء السفينة. إلا أن الناجين في فندق "ذي هايفن" لم يستطيعوا الاتصال بمنازلهم لأن العاصفة كانت أطاحت خطوط الهاتف.

اجراءات يائسة

فيما كان غاري سكولار يشد محمل الرفع رأى مهندس الطوافة ٤١٤ يشير بيده الى الركاب، فأدرك أن الوقت آخذ بالنفاد، وفكر في وسيلة أخرى لانقاذ الركاب قبل غرق السفينة.

تطلع حوله، فلمح قارب النجاة الذي أرسلته "ندلويد موريشوس" قابعا على بعد ١٠٠ متر من "الاوقيانوس." وتذكر أنه رأى زوارق صغيرة مكدسة في مقدم الباخرة. فكلّف موس هيلز الاهتمام بمحمل الرفع محذراً: "تأكد من شد المحمل تحت ابط الركاب، ولا تغفل ذلك لأنك اذا شددته في موضع أدنى فقد تتسبب النخعة الرافعة في قصم ظهورهم." ثم هرع زاحفا الى مقدم الباخرة.

حاول سكولار جرّ قارب عبر ظهر الباخرة المترجحة، لكنّ الريحَ قذفته بعيداً. ثم حاول ثانية، فتحطم قارب آخر. وأخيراً، بعد لأي، استطاع وضع قارب ثالث في الماء، وقفز اليه، لكن محركه أبى أن يدور. فجرفته الريح الى الوراء.

وفيما سكولار يحاول جاهداً تشغيل المحرك، تطلع فجأة الى فوق، فلاحت له المروحة الهائلة. وما لبث بدن الباخرة أن هوى منزلقاً فوق موجة جبارة جذبت دوامتها القارب الصغير عميقاً تحت العارضة. فهوى سكولار لافّاً ذراعيه حول المروحة الغائصة من دون أن يجد متسعا من الوقت لتنشق الهواء.

ثم راح يغرق في السواد المزبد والدماء تدوي هادرة في أذنيه والضغط يعتصر صدره كحزام حديد. فتشبث بالمروحة ورئتاه تكادان تنفجران. ثم، ببطء خاله دهراً، انداحت موجة هائلة تحت بدن الباخرة رافعة المروحة فوق الماء.

فهب سكولار يغترف الهواء متلهفاً وقد مزق النصل بزة الغطس التي يرتديها. ثم ارتمى في البحر حيث اختفى قاربه، ووقف في الماء كيما يسترجع قواه ليعود الى مقدم الباخرة. ثم أخذ يسبح مع التيار الى أن لمح حبلاً تسلقه عائداً الى متن "الاوقيانوس."

حاول سكولار اطلاق قارب آخر، لكن قواه كانت خائرة. ومع ذلك تابع كفاحه وحيداً الى أن ظهر أمامه بحار فيلبيني. فتبادل الرجلان الابتسامات، ثم عملا معاً على وضع القارب الأخير في الماء. واذ تم لهما ذلك قفز سكولار من السفينة غائصاً في البحر، ثم تسلق القارب بجهد.

فانطلق المحرك. لكن البحر كان هائجاً مما حال دون الدنو بالقارب مسافة قريبة من السفينة. ومع ذلك أشار سكولار الى لورين بتس الواقفة على منصة الطوافات صائحاً: "إليّ بالركاب!"

فمد جوليان رسل حبلاً عبر ظهر السفينة فيما أخذت بتس تصدر أوامرها الى الشبان والقادرين جسدياً لكي يتبعوها الى مقدم السفينة. لكن شاباً رفض الاذعان للأمر قائلاً وهو يمسِّد يدي سيدة عجوز: "لا أستطيع تركها."

وفيما الامواج تضرب مقدم السفينة وبراميل الوقود تتدحرج على ظهرها، صاح سكولار حاضّاً الركاب: "هيا، اقفزوا الى البحر! فأنا هنا لانتشالكم." فتراجع رجل لا يجيد السباحة خائفاً. لكن رسل أمسكه من سترة النجاة وقفز به الى الماء.

واذ كانت العارضة تحطمت، طلب سكولار من رسل أن يعتلي القارب ويربض فوق مقدمه لتأمين ثقل موازن. ثم جاب الاثنان المسافة الفاصلة بين "الاوقيانوس" وقارب "ندلويد موريشوس" ناقلين نحو ٤٠ شخصاً في ست رحلات.

أخيراً صاح سكولار مخاطباً لورين بتس: "هيا انزلي!" فهرعت بتس الى منصة الربان لعد الركاب. وعندما عادت خاطبت موس: "لم يبقَ الا بضع عشرات على متن السفينة، والوضع الآن تحت سيطرة الطوافات، ولقد أُمرت الآن بالنزول الى القارب."

فتطلع اليها موس مبتسماً بعياء وقال لها: "حسناً يا لورين، لقد أجدتِ، والحق يقال، في ادارة العرض."

فقفزت بتس الى البحر، وتوقفت عقارب ساعتها مشيرة الى العاشرة والثلث صباحاً.

مكث روبن بولتمن على منصة القبطان حافظاً الاتصال لاسلكياً بفندق "ذي هايفن." وعلى رغم أنه كان بمنأى عن لسعات الريح العاصفة، فقد شعر بالبرد يجمد أوصاله. فخلع سترة النجاة وارتدى سترة أفراناس الواقية من الريح. وفيما الركاب يغادرون تباعاً، واصل بولتمن إحصاءهم على ساق سرواله بقلم حبر. ثم رفع ابهامه مشيراً الى موس هيلز بعلامة النصر. فرد هيلز بابتسامة عييَّة.

ألقى بولتمن الى القارب ببضع علب من عصير البرتقال كان أحضرها من مقهى السفينة. ثم شاهد زوجته تريسي تساعد في دفع الركاب على متن السفينة الى منصة الرفع الجوي. وكان هؤلاء يمضون، وشفاههم مشققة نازفة وأيديهم وأرجلهم مثقلة إرهاقا، الى حيث يتم رفعهم الى احدى الطوافات. وكانت مهمة سكولار عند المحمل انتهت بعدما تولاها مناوبةً عدد من الشبان الاقوياء.

أخيرا، تولى بيت نيماند وابنه بيتر الاشراف على المحمل. وعندما لم يتبقَّ في مقدم السفينة سوى بضعة أشخاص، أومأ نيماند الى ابنه الذي كان يساعد الركاب في الصعود الى منصة الرفع الجوي رافضا مغادرة السفينة من دون والده، وطلب منه خدمة لم يستطع رفضها.

كانت بين ذراعي بيتر آنئذٍ عجوز تكاد لا تقوى على الوقوف بفعل الصدمة والارهاق. فقال له نيماند: "خذ يا بنيّ هذه السيدة معك. وعندما تصل الى الشاطىء بلِّغ الى أنجيلا أني بخير."

نظر بيتر مبتسما الى المرأة المرتجفة بين يديه، فقالت له: "أمسك بي بكل قوتك." ثم أحاطت عنقه بذراعيها وتقدما معا الى المنصة.

انتهت عملية الرفع الجوي من مقدم السفينة. فقال بول وايلي مخاطبا نيماند: "هلم بنا يا بيت نتفقّد السفينة." وانطلق الاثنان متشبثين بالاسيجة نحو الردهة الرئيسية. وعندما بلغا الطبقة العليا لمحا روبن بولتمن نازلاً من منصة الربان.

فسأله وايلي: "هل ذهب الجميع؟"

لكن بولتمن هز رأسه قائلا: "بحسب تعدادي، ثمة ١٤ راكبا ما زالوا على متن السفينة." وفيما هما كذلك، مالت السفينة بميمنتها متثاقلة نحو البحر، وبقيت في ذلك الوضع والامواج تتكسر على أسيجتها بضراوة.

فتساءل بولتمن: "ترى، أين ذهبت الطوافات والسفينة توشك على الغرق؟"

فأجابه وايلي: "لربما ذهبت لتزود الوقود."

وكانت الطوافات فرغت من الوقود فعلا وفي وقت واحد، وقفلت لتملأ خزاناتها في بلدة أومتاتا على بعد ٤٠ كيلومترا.

وفيما نيماند ووايلي وموس هيلز متشبثون بسياج مهبط الطوافات، عاد بولتمن الى منصة الربان وبعث الى "ذي هايفن" رسالة لاسلكية أخيرة قال فيها: "الاوقيانوس على وشك الغرق. سأغادر المنصة من فوري."

ثم لوَّح بيديه محييا غاري سكولار وجوليان رسل اللذين وقفا في القارب بعيدا عن السفينة مخافة أن تغرق فجأة. فرد رسل التحية وقد بلله الماء من رأسه حتى أخمص قدميه.

لقد احتوى عمال الانقاذ مخاوفهم ساعة إثر ساعة تحت الحاح العمليات. ولكن ما إن توقف العمل الدؤوب حتى ناء الجميع تحت وطأة التعب والافكار السود.

فكرت تريسي هيلز في ابنتها آمبر مبتهلة الى الله لكي ينجيها هي أو ينجي زوجها كيما يواصل أي منهما تنشئتها. وكانت تريسي المرأة الوحيدة الباقية على متن السفينة. فأحاطها زوجها موس بذراعه مغتبطاً لبقائها معه، وإنْ يكن في الواقع تمنى لو أنها ذهبت مع من ذهب. فقالت له مبتسمة بعياء وكأنها عالمة بما يدور في خلده: "لقد بقيت هنا للعناية بك."

وما لبث نيماند أن صاح: "لقد عادوا." فتطلع الآخرون الى حيث أشار ولمحوا طوافات مقبلة على علو منخفض.

رُفع الركاب الاربعة عشر أولاً. ثم تبعهم موس وتريسي هيلز. وبعدهما صعد بولتمن والبحار الفيليبيني. وما إن استقرت تريسي في الطوافة حتى شعرت بالاطمئنان يتسرب الى كيانها. فقريباً جداً ستنضم هي وزوجها الى ابنتهما آمبر.

لم يبق على متن السفينة سوى وايلي ونيماند. فتفقد الاثنان أرجاء السفينة في كشف أخير، وراح وايلي يصيح في الممرات: "هل من أحد هناك؟" لكنه لم يلقَ سوى صرير الخشب والمعدن جوابا.

وفي الردهة الرئيسية، وسط الحطام المتناثر، تناول الرجلان زجاجتي كولا، فقال نيماند: "لا عليك، إنها على حساب المحل."

وسرعان ما سمعا صوتاً مكتوما نجم عن تحويم شفرات الطوافة فوق ظهر السفينة مؤذنة بانتهاء المهمة ودنو الرحيل.

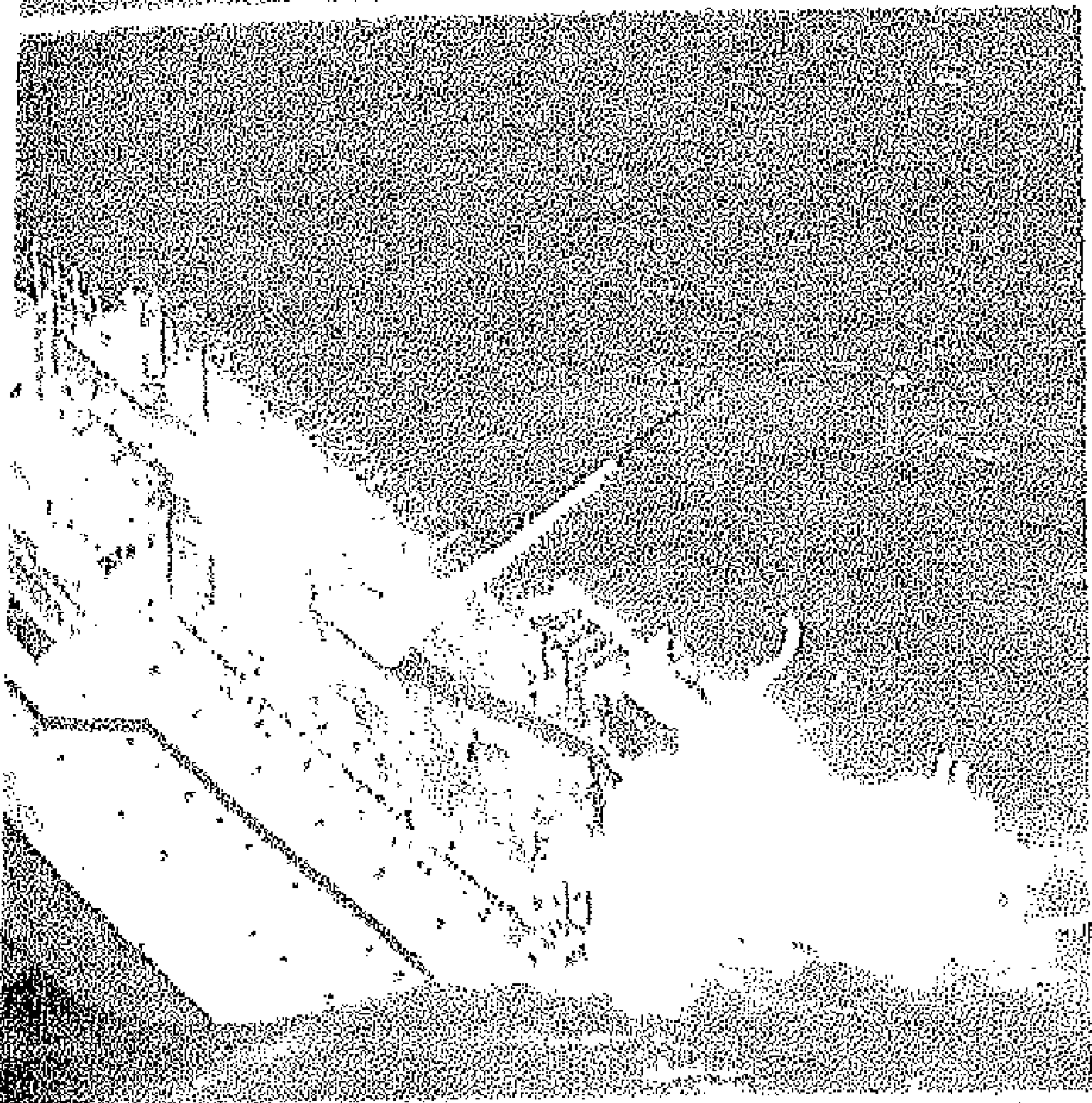
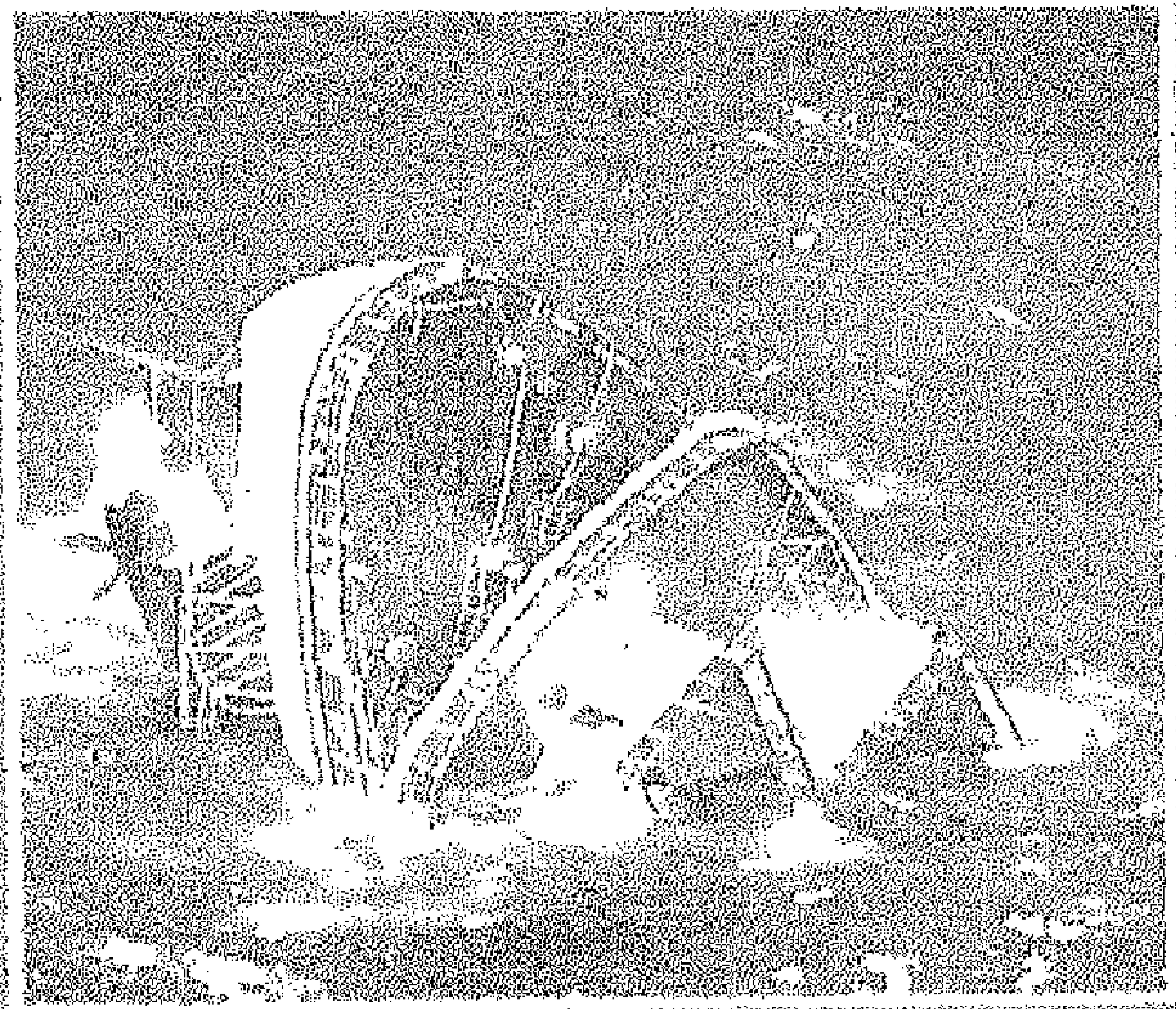
فصاح وايلي: "لنخرج من هنا!"

عودة الابطال

عندما خرج هيلز وبولتمن من طوافتهما الى فندق "ذي هايفن" هرع اليهما الركاب صائحين: "ها هما!" وتحلقوا حولهما ضاحكين مربتين ظهريهما استحسانا. ثم لفّت احدى النساء حراما حول موس هيلز وقالت له: "شكراً لك، لقد أنقذتني أيها الشاب."

فانفجر هيلز باكيا بعدما نال منه التوتر العاطفي والعمل الشاق طوال ١٥ ساعة. ثم هوت ساقاه، فرفعه المساعدون الطبيون على حمالة وهرعوا به الى الداخل. لكن هيلز لم يكن في حاجة الى سوى الهدوء والسكينة. لذا لم تمضِ ساعة حتى عاد الى الوقوف مستمداً الدفء من طاس حساء ساخن.

وفيما بولتمن يشق طريقه عبر الحشد المربِّت لمح أفراناس في طرف الزحمة. فخلع عنه سترة القبطان وأعادها اليه.

ولدى بلوغ الشاطىء تلقى نيماند ووايلي وسكولار ورسل استقبال أبطال آخر. وعانق نيماند خطيبته أنجيلا، ثم خاطبه ابنه بيتر: "إني فخور بك يا أبي."

فرد نيماند: "لقد مدنا الله بعونه."

وقف البحارة على منصات سفن الانقاذ يراقبون "الاوقيانوس" بصمت وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة مصعِّدة الابخرة من متونها كالدخان فيما ثقل الماء يجرها الى الاعماق. واذ تلبَّث مؤخرها متمهلاً فوق الموج، اصطدم مقدمها بالجرف القاري على عمق نحو ١٠٠ متر. توقفت الباخرة للحظة كأنها تتردد في الغوص الى مثواها الاخير، ثم انقلبت منسلَّة على مهل الى الاعماق. كانت الساعة آنئذ الاولى والدقيقة السادسة والاربعين من بعد ظهر ٤ أغسطس (آب) ١٩٩١.

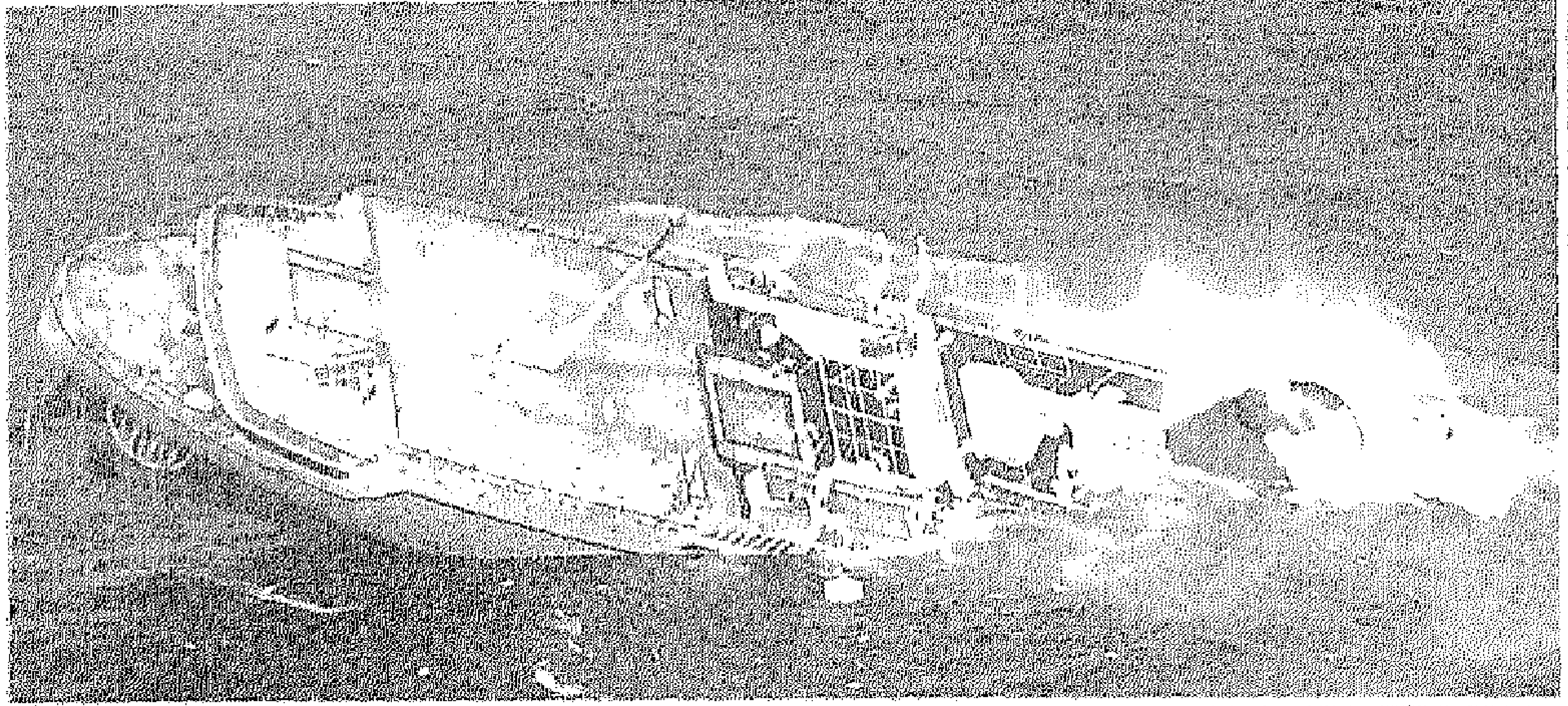
في أثناء ذلك كانت طائرة من طراز «DC-3» تحوم فوق المنطقة منذ ساعات. فأشار قائدها فجأة الى نقطة برتقالية طافية على بعد ١٠ كيلومترات جنوب موقع "الاوقيانوس." وكان البحارة رأوا نقاطا مشابهة تطفو فوق الماء، وهي مقاعد وسترات نجاة وغير ذلك من حطام، لكن تلك النقطة بدت مختلفة. فأمال القائد جناح طائرته ليتفحص ما رآه، ولم تمضِ لحظات حتى أدرك أن ما شاهده هو شخص عائم. فاتصل لاسلكيا باحدى الطوافات لتنتشله.

أمضى أفجرينوس تسيكيس (٤٦ عاما) نحو ١٠ ساعات تحت رحمة الرياح والتيارات قبل انتشاله من بين أشداق الموج. وكان قفز الى البحر مع الفجر محاولاً السباحة الى قارب "ندلويد موريشوس"، لكن تيارا جرفه. وحين انتُشل كان يعاني من الارهاق ومن انخفاض غير طبيعي في درجة حرارته، فنقل جواً الى أقرب مستشفى.

وفي اليوم التالي رست "غريت نانسي" في ميناء دوربان وعلى متنها ١٧٦ ناجياً.

PHOTOS: © LOUISE GUBB / JB PICTURES

JB PICTURES



ثم وصلت "كازوبي ٢" حاملة ١٠٦ ناجين. ولم تلبث "ندلويد موريشوس" أن جاءت حاملة ٥١ ناجياً. وتبعتها "أنيك" وعلى متنها ثلاثة ناجين. وأخيراً رست سفينة أخرى اسمها "ريفر داتشيس" حاملة ثمانية آخرين. فبلغ مجموع الناجين ٣٤٤ راكباً.

ومع بزوغ الفجر، كان مركز الانقاذ أصدر لوائح كمبيوتر حددت أن عدد الركاب الذين أنقذوا بواسطة السفن بلغ ٣٤٤، وأن عدد الناجين المنقولين جواً بلغ ٢٢٦، أي ما مجموعه ٥٧٠ راكباً. وبقي راكب واحد مفقوداً. وبعد مضي ٢٨ ساعة على غرق "الاوقيانوس" توقف البحث عن الراكب الاخير.

وفيما عمال الانقاذ يهمون بالانصراف، رن جرس الهاتف مبشراً بأن الراكب المفقود وُجد في مستشفى أومتاتا.

فتحول عمال الانقاذ والركاب وعائلاتهم الى الاحتفال بانقضاء المحنة.

لقد أحاقت الاخطار المروعة بـ٥٧١ راكبا جمعتهم الاقدار في البحر. فأنقذوا فرداً فرداً.

تلك كانت أعجوبة "الاوقيانوس."

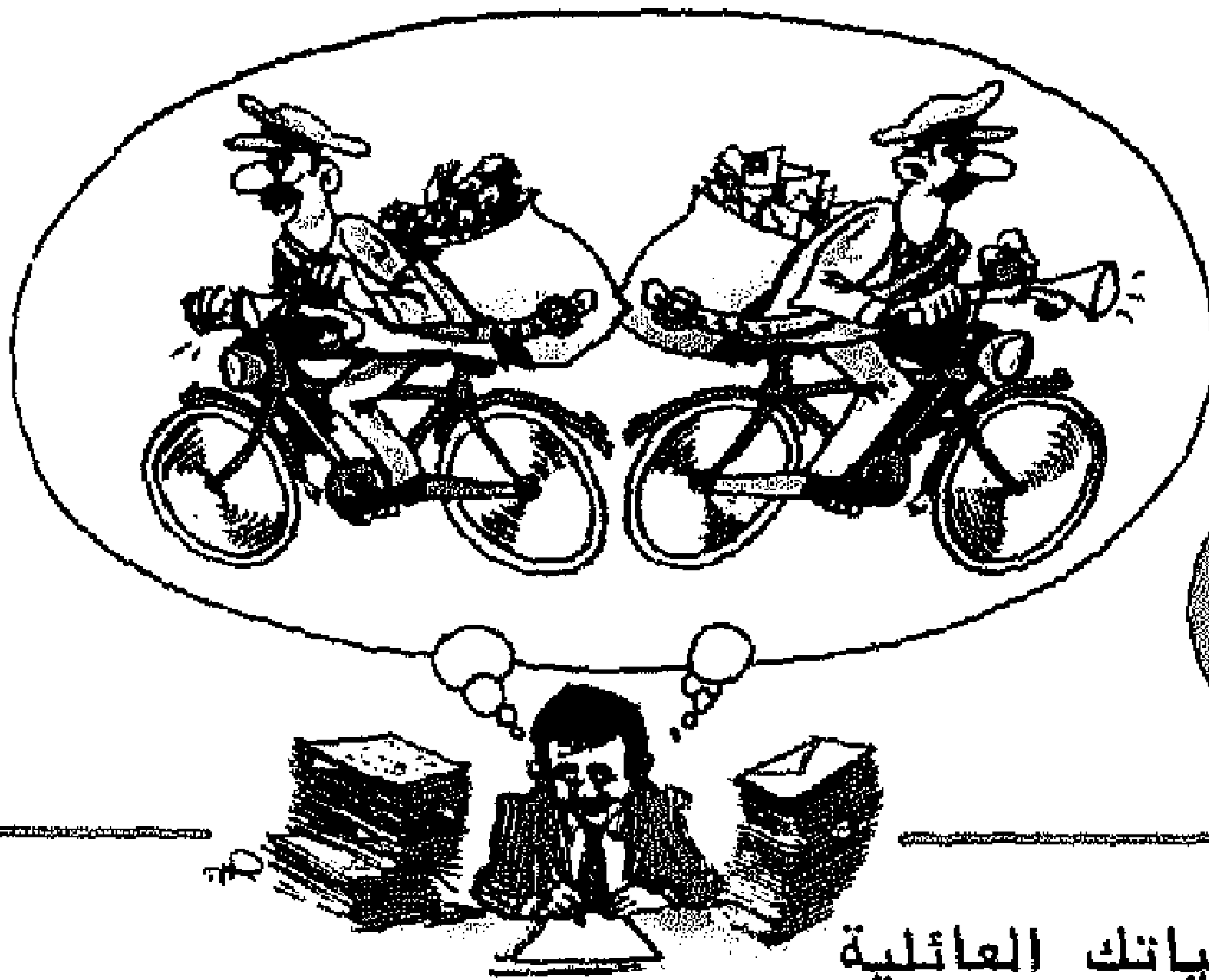
فرانك بايت ■

ترجمة فريد شديد

في مايو (أيار) ١٩٩٢ اعتبرت محكمة بحرية يونانية القبطان افراناس وخمسة من كبار ضباطه مذنبين بتهمة الاهمال.

ومنح سلاح الجو في جنوب افريقيا أوسمة الى تشاز كوتلي وبول وايلي وغاري سكولار لدورهم في عمليات الانقاذ. أما لورين بتس وموس وتريسي هيلز وجوليان رسل وروبن بولتمن فمرشحون لنيل وسام "فولراد فولتميد" وهو أرفع وسام للشجاعة المدنية في جنوب افريقيا.

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست". بيروت.

شارع المقدسي. بناية الشرتوني. ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



"صغيرة الدار" ـ زيتية للفنان الامريكي دنكان حنا، ١٩٨٩.

يناير (كانون الثاني) ١٩٩٣ - رجب ١٤١٣

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest January '93 N° 170

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

(ص ٤٣)

معابر المخدرات

(ص ٧)

العلم يكشف أسرار الدماغ

(ص ١٤)

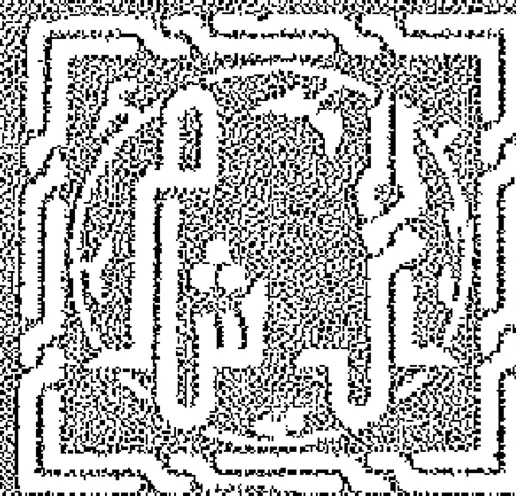
بدأ عصر السيارة الكهربائية

(ص ٢٤)

فندق الشام

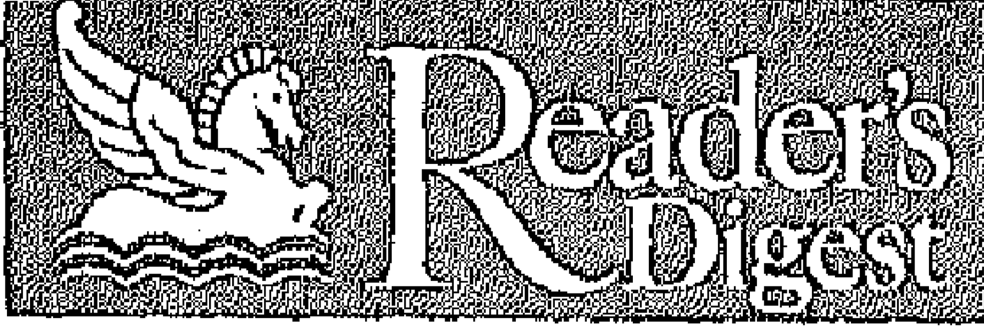
أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز لي يوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .



للحجز : فندق الشام - ص ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٩٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الرياض : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام
عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد.
امانة التحرير: لورا نفاع، عائدة الموسوي.
الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.
الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
التحرير والادارة: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.
الهاتف: ٣٤١٥٩٧ / ٣٧٠٥٧٥(١).
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤(٠١). التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت - لبنان.
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، البوشرية - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE.
Tel. (1) 341597 / 370575.
Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O. Box 11-688, Beirut, Lebanon. Telex 43283 PRESSE LE.
Fax (1) 864572. Tel. (1) 216058/327484.
Circulation Audited by G. Bargoud C.P.A.



لبنان	٢٥٠٠ ليرة.
سورية	٥٠ ليرة.
الاردن	١،٢٥ دينار.
الكويت	١،٢٥ دينار.
الامارات العربية المتحدة	١٢ در هما.
قطر	١٢ ريالا.
البحرين	١،٥ دينار.
السعودية	١٢ ريالا.
مصر	٢،٥ جنيه.
ليبيا	١ دينار.
الجمهورية اليمنية	٣٠ ريالا.
مسقط	١،٢٥ ريال.
قبرص	١،٧٥ جنيه.
تونس	١،٥ دينار.
المغرب	١٥ در هما.
انكلترا	٢ جنيه.
اليونان	٥٠٠ دراخما.
كندا وامريكا الشمالية	٢،٥ دولار.

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث تاملنسون.
مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

قصص لن تقرأوها

كل الناس يحبون القصص الشائقة، خصوصاً محرري الـ"ريدرز دايجست." فنحن أحببنا، مثلا، قصة الفيل الراقص الحزين العينين الذي عولج وعُني به وشفي بعدما كُبِّل بسلاسل في مرمى للنفايات. وتأثرنا أيضاً بقصة الطفل الصغير المصاب بأعراض "داون" (المنغولية أو البلاهة الخلقية) الذي علَّم أترابه معنى العيد. وفُتِنَّا بالمرأة التي وهبت صندوقاً أثرياً نفيساً الى الام الشابة المفجوعة بطفلها فانتشلتها من غيبوبة اليأس.

لكنكم لن تقرأوا في صفحاتنا هذه القصص الملهمة الزاخرة بالشجاعة والطيبة والتعاطف. والسبب هو أن دائرة قسم الابحاث لدينا لم تستطع التأكد من صحة أي منها.

إنَّ الدقة هي أساس مجلتنا الذي تقوم عليه ثقة القارىء. والتزامنا الحقيقة شأن نأخذه بجدية وندعمه بأحدى أقسى دوائر الأبحاث في عالم الصحافة.

فنحن نخضع كل مقالة وكل نبذة نتوخى نشرها لفحص دقيق شامل يتولاه، سطراً سطراً، أحد باحثينا المنتشرين حول العالم، وعُدَّتهم طائفة من المراجع والدراسات العلمية والوثائق الحكومية

وسجلات المحاكم. ولا نسمح أبداً بإيراد تأكيدات في النصوص لمجرد أن كاتباً ادّعى انها حقيقة أو أن منشورة أخرى طبعتها. لذا يطرح محررونا كل شهر بضع عشرة قصة لعدم مطابقتها مقاييس الدقة المعتمدة لدينا.

أوردتْ احدى المنشورات الطبية حديثاً دراسة تدَّعي أن علاجاً جديداً بأشعة الليزر حقق نتائج مذهلة في معالجة التهاب المفاصل. فرفضنا النبذة بعدما اكتشف باحثونا أن الدراسة كانت حافلة بالعيوب، وبعدما اعتبر خبراء بارزون في التهاب المفاصل أن العلاج غير فاعل وقد يكون خطراً.

والى التدقيق في نصوص الوثائق، يُجري باحثونا يومياً اتصالات بنحو ٩٠٠ شخص في أنحاء العالم. وغالباً ما يذهبون الى أقصى الحدود للتأكد من صحة المقتبسات أو تتبع أحد الاحصاءات المحيِّرة.

قبل نشر كتاب الشهر لعدد سبتمبر (أيلول) ١٩٩١ "وداعاً... شارع المخدرات" الذي تحدث عن امرأة اسمها ريتا ويب سميث طهّرت حيها في هارلم بمدينة نيويورك من مدمني المخدرات ومروجيها، زار أحد باحثي الـ"ريدرز دايجست" الحي للتأكد مما اذا كان تحرر فعلا من المخدرات. واذ تحدَّث الى المقيمين عن مدى ما أنجزته ريتا سميث تبين له ان كل ما قيل فيها صحيح.

بيد أن بعض القصص لا يلقى مثل هذا الحظ. ومثال على ذلك قصة رجل تسبب في حادث مميت على رغم أنه دين سابقاً بثلاث تهم تناولت قيادته سيارة وهو ثمل. وقد اختيرت القصة من احدى الصحف الواسعة الانتشار، ووصفت السائق المصاب الذي قُتلت زوجته في الحادث بكلام مثير للعواطف. إلا أن البحث أكد أنه كان، هو أيضاً، ثملاً، الامر الذي لم يأتِ ذكره في المقالة الاصلية.

إن التزام الدقة يقي القراء مغبة النصائح الطبية السيئة والافكار الخائبة والقضايا الزائفة. وما أمانة باحثينا المدقِّقة، الكثيرة الشكوك، سوى بوصلة تسدد خطاهم بثبات عبر أنصاف الحقائق التي تواجهنا كل يوم.

قد تكون القصص مسلِّية، لكن الحقيقة وحدها تُعْلِم. لذا لن تقرأوا أي مقالة مسلية في الـ"ريدرز دايجست" ما لم يكن باحثونا بذلوا قصارى جهدهم لاثبات حقيقتها كاملة.

هيئة التحرير

سجِّلوا إرث عائلتكم لأبنائكم ما دام الوقت يسمح وما دامت هناك ذاكرة

قبل بضع سنوات دعوت والدتي وابنة عمها الى تمضية نهار عطلة في بيتي. وأمام أكواب الشاي وطبق الحلوى راحت العجوزان، وكلتاهما في السبعين، تستعيدان بحماسة ذكريات الصبا الغابر في برلين مدينة الملذات في أوائل القرن العشرين، وتثرثران ببهجة على أفراد العائلة، وتتذكران ما عانتاه من حرمان إبان الحرب العالمية الاولى والانهيار الاقتصادي الذي تبعها.

تدفقت الذكريات فملأت شريط التسجيل الذي أعددته لهذه الغاية بعدما عزمت على تسجيل تاريخ عائلتنا شفهياً. ولكم سُرَّت العزيزتان عندما لمستا اهتمامي بماضيهما المشترك.

كنت سجلت قبلا حديثاً لامي تناولت فيه حياتها اليومية الماضية وأيام الدراسة والاصحاب. وسألتها كيف تعرفت الى أبي. وطلبت منها أن تحدثني عن المصاعب التي واجهتهما كمهاجرين من ألمانيا الهتلرية.

وعنَّت ببالي لاحقاً فكرة تصوير أمي وابنة عمها على شريط فيديو. لكن هذه توفيت فجأة، وبدأت أمي تعاني مشاكل في النطق ايذاناً ببدء رحلة طويلة على درب العذاب مع داء ألزهايمر الذي سلبها

قطافُ الذكريات



عقلها وذاكرتها ونطقها وجردها أخيراً من هويتها. فلم يتحقق فيلم الذكريات.

استمعت الى أشرطة التسجيل بعد وفاة أمي عن ثمانية وثمانين عاماً. وحاولت لدى سماعي صوتها مجدداً أن أكتفي بذكرى حياتها الغنية وأمحو صور أيامها الأخيرة الاليمة التي ظلت تخز ذهني.

نقلتُ هذه التسجيلات الى شريط فيديو ضمنتُه صوراً للعائلة رافقها سرد بصوتي ولحن لبيتهوفن كان مفضلا لدى أمي.

وعندما عرضت شريط الفيديو في ذكرى أسبوع وفاتها أذهلني تأثر أصدقائها وأقاربها ومعارفها. فالعاملون في دار العناية حيث أمضت أيامها الاخيرة ما سمعوها قط تتكلم، وهم تأثروا كثيراً لسماع صوتها الملطف بلكنة رقيقة والنابض بالحياة.

عندما جمعتُ مقتطفات من حياة أمي، أدركت كم من الاقاصيص بقي مجهولا وكم من سؤال لم يحظَ بجواب. فقد كانت أمي الصغرى بين أقرانها في العائلة، والجميع باتوا الآن في دنيا الحق، ودفنت معهم أسرارهم. حتى أمي احتفظت بسرها. فقد علمتُ أخيراً أنه كانت لها أخت مصابة بالصرع توفيت وهي صغيرة. لم تذكر لي أمي شيئاً عنها، وما زلت أجهل السبب. ولو طرحتُ مزيداً من الأسئلة لما انطمس ذكر خالتي المفقودة منذ زمن بعيد.

إن التاريخ الشفهي إرث مهم للاجيال الآتية. واليوم، وقد أصبحت الكاميرا المسجلة جزءاً من المعدات الالكترونية التي تملكها عائلات كثيرة، بات في امكان أي امرىء تصوير تاريخ عائلته على شريط فيديو. وسيتسنى للاجيال الآتية أن ترى الجد وهو يصف حياته في المزرعة ويتذكر الوالد عندما كان صغيراً.

فاليكم بعض الاقتراحات لكي تتقنوا هذا الفن الجديد:

□ لا تجعلوا الأسئلة الاولى مفتوحة غير محددة. فلا تقولوا مثلا: "يا جدي، حدثنا عن طفولتك،" بل قولوا: "يا جدي، صف لنا البيت الذي ترعرعت فيه."

□ التاريخ الشفهي ليس حواراً بينكم وبين من يتذكر. لذا اكتفوا بالحد الادنى من الملاحظات. (في تجربتي، راعني سماع صوتي يقاطع أمي مراراً.)

□ لا تظنوا أنكم مرغمون على ملء فترات الصمت، بل أعطوا الشخص المتذكر وقتاً كافياً ليستجمع أفكاره ويجيب بشمول.

□ يجب أن تكون صور العائلة وبعض إرثها في المتناول للتحدث، مثلا، عن سبب الكسر في إناء الجدة الأثري أو لسماع قصة الجد الذي كان لاعباً في فريق كرة.

ومن المهم جداً ألا تنتظروا طويلا كما فعلت أنا، بل سارعوا الى تسجيل إرث عائلتكم للاجيال الآتية ما دام الوقت يسمح بذلك وما دامت هناك ذاكرة.

ايلين ج. ميلر ■

ترجمة مايا باسيل

Reader's Digest
المختار
يناير (كانون الثاني) ١٩٩٣
رجب ١٤١٣
السنة الخامسة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

معابر المخدرات في أوروبا الشرقية

أحست جوليا كروز أوفيدو بالغثيان في مطار فرصوفيا بعد ظهر ذلك الأحد من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١. فمصفقة الشعر الكولومبية ذات الخمسة والعشرين ربيعاً ابتلعت في اليوم السابق في مدينة بناما ٦٦ كبسولة مغلفة بالشمع تحتوي على ٦٠٠ غرام من الكوكايين النقي. وفيما هي تتبع الصف أمام قسم مراقبة الجوازات، صاح بها ضابط جمارك بولوني: "أين تخبّئين المخدرات؟" فأشارت الى معدتها من دون أن تنبس بكلمة.

وهكذا قُبض على "بغل تهريب" بفضل معلومة وردت من الانتربول.[1]

وكانت السلطات الجمركية التشيكوسلوفاكية في مركز بيلوفيس الحدودي ساورتها الشكوك في الشهر الأسبق حول شحنة من الفاصولياء الكولومبية المجفّفة متوجهة الى براغ، تنقلها شاحنات حُمِّلت في مرفأ غدينيا البولوني. وكشف تدقيق في حشايا الشاحنات أن فجوات حُفرت في أطرها الخشبية ووضعت في كل منها تسع رزم من الكوكايين. وبلغ الوزن الاجمالي للحمولة ٩٨ كيلوغراماً.

(١) الانتربول هو البوليس الدولي.

كانت شحنة الفاصولياء مسجلة باسم شركة تصدير واستيراد يملكها ألونزو مارتينيز دلغادو، وهو كولومبي يقطن في براغ. وأظهرت فاتورة الشحن أن حمولة أخرى من فول الفريول ما زالت في محطة الحاويات في ميناء غدينيا. فأرسل رئيس جمارك الميناء فريقاً للتدقيق في الشحنة الثانية، فاكتشف المفتشون ٥٤٦ رزمة تحتوي على ١٠٩٠٢ كيلوغرامات من الكوكايين. فأوقف مارتينيز دلغادو بتهمة تهريب المخدرات، وهو الآن ينتظر محاكمته.

كانت هاتان العمليتان، وقيمة مضبوطاتهما التجارية نحو ٦٦ مليون دولار، أكبر مصادرة للمخدرات على الاطلاق في أوروبا الشرقية.

وفي مايو (أيار) ١٩٩٢ أوقف مفتشو الجمارك المجريون (الهنغاريون) سيارة تركية في بوكسو قبل لحظات من عبورها الى النمسا، وعثروا على ٢٨ كيلوغراماً من الهيرويين مخبأة في إطارها الاحتياطي. كان السائق، مثل جوليا كروز أوفيدو، "بغلا" دُفع له أجر للمغامرة بتسليم البضاعة.

الممر البلقاني تزدهر تجارة المخدرات داخل الكتلة السوفييتية السابقة حيث تنظر العصابات المحلية الى الديموقراطية الجديدة على أنها طريق "مختصرة" الى الاثراء السريع، فيما تعاني السلطات نقصاً في الرجال والتدريب والتجهيزات، الى تشريعات قاصرة تقيّد حركتها. يقول الآن لابروس مدير "المرصد الجغرافي - السياسي للمخدرات" وهو وكالة مراقبة مقرّها باريس: "لقد فكّكوا النظام القديم. لكنهم لم يتمكنوا بعد من إقامة نظام بديل والوضع هناك خارج عن السيطرة."

ويقف المراقبون مشدوهين أمام اتساع زراعة المخدرات وتجارتها في جمهوريات

تستغلّ عصابات دولية وعناصر اجرامية محلية قصور التشريعات وعجز الشرطة في دول الكتلة السوفييتية السابقة لتحويل الديموقراطيات الناشئة مخزناً للمخدرات يتهدد مجتمعات أوروبا



الاتحاد السوفييتي السابق. فحقول الخشخاش، مصدر الهيروين ومخدرات أخرى، تنتشر بسرعة في طاجكستان وازبكستان وكزاخستان وقيرغيزيا، وحتى في أوكرانيا وداخل روسيا. ويحذر تقرير حديث لـ"برنامج الأمم المتحدة لمكافحة المخدرات" في فيينا من أن في روسيا الآن مئة ألف حقل أفيون على الأقل وأكثر من مليون هكتار مغروسة بالماريوانا. وفي العام الماضي صادرت السلطات ١٦ طناً من المخدرات في أوكرانيا وحدها. فيما يقدِّر لابروس أن مساحة مزارع الأفيون في أزبكستان تضاعفت عام ١٩٩٢ عشر مرات عما كانت في العام ١٩٩١ لتصل الى أكثر من ألف هكتار. ويحذر برنار فراهي رنيس المكتب الاوروبي لبرنامج مكافحة المخدرات: "إننا نواجه موجة كبرى جديدة من الاتجار بالمخدرات". واحد أهدافها أسواق أوروبا الغربية.

كان تهريب المخدرات من الشرق الى الغرب يتم، حتى وقت قريب، على "الممر البلقاني" وهو الطريق الدولية الممتدة من شرق تركيا عبر بلغاريا ويوغوسلافيا الى النمسا وألمانيا ومناطق أبعد. ولكن وسط الحرب الدائرة في الاتحاد اليوغوسلافي السابق وفتح الحدود التي كانت تشكِّل "الستار الحديد" ذات يوم، تشعب الممر الى "دلتا" من المعابر الجديدة: جنوباً الى اليونان. ومن ثم الى ايطاليا بحراً، وشمالاً عبر رومانيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا.

انه نفق موْت ذو اتجاه واحد يضخ نحو ١٠٠ كيلوغرام أو أكثر من الهيروين يومياً الى الغرب. وبحسب جاييمس كوليز رئيس فرع المخدرات في الانتربول، فان ثلاثة أرباع كميات الهيروين في أوروبا الغربية تصل عبر هذا الممر مخبأة في سيارات خاصة وحافلات وشاحنات «TIR» تقوم برحلات بين اسطنبول والغرب.

لقد صودر ٤١٠٠ كيلوغرام في أوروبا عام ١٩٨٨. وبلغت الكمية المصادرة عام ١٩٩١ نحو ٧٢٠٠ كيلوغرام، علماً أنه في مقابل كل كيلوغرام مصادر تعبر ١٠ كيلوغرامات أو أكثر.

على أن الامر الأكثر إثارة للقلق هو تدفق الكوكايين الذي بلغت الكمية المصادرة منه خلال العام ١٩٩١ نحو ١٤٧٤٢ كيلوغراماً. إن بارونات الكوكايين في أمريكا الجنوبية، الذين واجهتهم مشكلة السوق الاميركية المشبعة، يبحثون عن ثغرات في الجدار الامني الاوروبي لمكافحة المخدرات. وقد اكتشفوا أن واحدة من أسلم الطرق هي تلك التي تمر عبر الكتلة الشرقية السابقة.

وتمرير المخدرات الى اوروبا الغربية سهل الى حد مخيف. فالممر البلقاني يعبر الحدود من تركيا الى بلغاريا في مركز كابيتان أندريغو. حيث تتسع الطريق الدولية المعبّدة لتتمكن من استيعاب ١٥ مقطورة مصفوفة جنباً الى جنب. وقد مرّت ١٠٧٧٤٢ شاحنة و٦٤٤٠٥ حافلات ركاب و٢٩١١١٦ سيارة خاصة عبر مركز كابيتان أندريغو في اتجاه الغرب عام ١٩٩١، أي بمعدل ١٢٦٩ مركبة يومياً.

دانوب المخدرات. ذات صباح نموذجي من ربيع ١٩٩٢ لوّح مفتش الجمارك البلغاري ناسكو كوردوف في اتجاه الجانب التركي، فتحركت ١٥ شاحنة متثاقلة نحو عنابر التفتيش. وفيما السائقون يقفزون من حجرات القيادة وأوراقهم في أيديهم، مر كوردوف سريعاً متفحصاً مقطورة "رينو" ذات ١٨ عجلة محمّلة بأغراس وورود تركيـة. كانت تجهيزاته مقتصرة على مصباح كهربائي يدوي ومفكّ براغٍ. وفي غضون دقائق كانت الشاحنات جميعها في طريقها الى بلغاريا، وتحـرك الرتـل التالي من الشاحنات في اتجاه رجال الجمارك.

لا يمكن أن يكون أداء كوردوف وزملائه أفضل من هذا. فتفتيش شاحنة «TIR» بدقة يستغرق سبع ساعات على الأقل. ويعترف نيكولا ساركوليف رئيس كوردوف: "نحن لا نملك أجهزة أشعة إكس ولا أجهزة كمبيوتر، لا نملك حتى مضخات لافراغ خزانات الوقود لنرى ما فيها. ونظام الاتصالات الهاتفية بالغ السوء."

وتتردد أصداء الشكاوى نفسها في دوائر الشرطة والجمارك في أنحاء الاتحاد السوفييتي المنحلّ: ان العثور على المخدرات المخبأة هو مسألة معلومات ولعبة تخمين وحظ. وتقول سفيتلانا تيهوفا المحققة الصحافية في مجلة "ريبورتر ٧" البلغارية: "هناك دانوب من المخدرات يجري في أوروبا، ويحاول هؤلاء الناس غرفه بملاعق!"

على رغم أن المخدرات كانت موجودة في الكتلة السوفييتية السابقة، الا أن النظام القديم تجاهلها. ونتيجة لهذا المـوقف افتقـرت دول الكتلـة الى التشريعات والأجهزة المؤهّلة للتعامل مع مشكلة المخدرات. يقول ستيفن براون الذي يعمل محلّلا لدى "مجلس التعاون الجمركي" في بروكسل: "بما أن الدولة كانت المستورد الوحيد، فقد كان النظام يجهل وسائل ملاحقة شحنات المخدرات وضبطها، وهذه الوسائل هي صلب العمل الجمركي."

تبذل المنظمات الدولية والوكالات المختصة في الغرب وسعها لتقديم المساعدة، لكن المهمة شائكة. وتقول أليس ريغدون رئيسة مديرية التقنيات في "مجلس التعاون الجمركي" متنهّدة: "لا تملك الادارات الجديدة خبرة. فقد اجتمعنـا بمسؤولين جمـركيين من جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، كان أطولهم خدمة أمضى ١٤ يوما في عمله وأقصرهم خدمة ثلاثة أيام ليس إلاّ. لذا فإن الفرص المتاحة للمهربين وسط هذه الفوضى لا تُحدّ."

وثمة قطاع من المهربين مشغول بالمخدرات الصناعية. وينتج كيميائيون أوروبيون شرقيون أمفيتامينات نقية الى درجة مذهلة في مختبرات موقتة معدّة لهذا الغرض. وعندما دهمت الشرطة البولونية في ابريل (نيسان) ١٩٩٢ مختبراً نموذجياً لانتاج الامفيتامينات في بوزنان، تبين أن رئيسي "العصابة"

فنّيان من مختبر الكيمياء في جامعة المدينة. والآن يؤمّن تجار بولونيون ٢٠ في المئة من الامفيتامينات غير المشروعة في أوروبا، فيما يبدو أن جيرانهم التشيكوسلوفاكيين بدأوا يغمسون أيديهم في العملية. وخلال العام ١٩٩١ صودر ٤٠٠ كيلوغرام من الامفيتامينات في أوروبا، في مقابل ١٨٤ كيلوغراماً عام ١٩٨٩.

مافيا ناشطة. أفرزت الحرية المتفلّتة في الاتحاد السوفييتي السابق عصابات مرعبة، فأقامت المافيا الروسية في بطرسبرغ مختبرات سرية لانتاج مخدرات مثل الفنتانيل والميثادون،[٢] ثم عبرت الحدود لتُدخل الهيرويين الى سوق فنلندا التي لم تكن مفسدة بعد، وهي تحاول بنجاح السيطرة على شبكات توزيع المخدرات في العاصمة هلسينكي. ويحذر كاري رانتاما نائب رئيس دائرة التحقيقات الجنائية في شرطة المدينة: "فنلندا مهدّدة بموجة جرائم أخطر كثيراً مما شاهدناه قبلا."

من جهة أخرى، تعمل المافيا الروسية الناشطة شرقاً وغرباً لانشاء خطوط مواصلات بين آسيا الوسطى وأوروبا الغربية. ويتوقع الخبراء أن تعبر كزاخستان خلال السنوات القليلة المقبلة طريق سريعة للمخدرات الى روسيا وروسيا البيضاء وبولونيا ومن ثم الى المانيا، مع طريق متفرعة تتجه شمالا الى دول البلطيق ومن ثم الى اسكندينافيا.

تتمثل هذه العصابات بزعماء المافيا الصقلية. وقد حذرت الشرطة الايطالية قبل سنتين من أن زعماء المافيا الايطالية يفاوضون زملاءهم الروس والبولونيين لتخزين المخدرات في أوروبا الشرقية حيث يعاد توضيبها وشحنها الى الغرب. وتؤمّن بولونيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر مواقع مثالية من حيث الأمان والكلفة لاعادة ادخال المخدرات عبر حدود دول المجموعة الاوروبية المفتوحة حديثاً. وأخبرني مسؤول في الشرطة التشيكوسلوفاكية: "كانت بلادنا المحطة الأخيرة للمهربين قبل دخول ألمانيا، لكنها الآن المحطة الأخيرة قبل دخول كل دول المجموعة الأوروبية."

انفلات مطلق. تظهر قضية مارتينيز دلغادو مدى اتساع هذا التعاون الاجرامي الدولي:

يتولى كارتيل الكوكايين الكولومبي تأمين المخدرات، ويشرف عملاؤه وشركاؤه في براغ على شحنه وتخزينه، وأخيراً – كما يقول جيري ريختر من وحدة استخبارات المخدرات في الشرطة الاتحادية التشيكوسلوفاكية – تسوّقه المافيا الصقلية في الغرب.

ومن أشدّ عوامل الاحباط إعاقة لأنظمة الشرطة في أوروبا الشرقية القطاع المصرفي، لأن الشرطة تواجه هنا أنظمة شرعية. فلما كانت تجارة المخدرات تدرّ أرباحاً كبيرة جداً، فان أموالا نقدية

(٢) Fentanyl and methadone

ضخمة تتجمع في أيدي ممارسيها من غير أن يكون ثمة مكان لحفظها. وهنا تصبح الشرطة التي تحاول مكافحة عمليات تبييض النقود[٣] في مواجهة واقع مؤلم: فدولها في حاجة ماسة الى العملات الصعبة، وبعضها على استعداد لعمل أي شيء للحصول عليها.

يقول إستفان سوس نائب قائد وحدة مكافحة المخدرات في المجر: "ليست لدينا تشريعات تتعلق بالمخدرات أو بتبييض النقود، وفي وسع أي كولومبيّ أن يمرّ عبر المطار حاملا ملايين الدولارات فيودعها حساباً سرّياً من دون أن يستجوبه أحد."

والقصة هي هي في دول أوروبية شرقية أخرى. فها هو جوزف ستيربا قائد وحدة مكافحة المخدرات في براغ يعلن متّهماً: "ليست القوانين المصرفية الليبرالية هي وحدها التي تشجع تدفق أرباح المخدرات الى بلادنا في حسابات سرية، فكثيراً ما تتغاضى الحكومات نفسها عن هذه الممارسات."

ومن القيود الاضافية التي تواجهها قوى مكافحة المخدرات طائفة من التشريعات "المثالية" أُقرّت عشية انهيار الأنظمة الشيوعية في دول أوروبا الشرقية. فبموجب هذه التشريعات تجد الشرطة نفسها عاجزة عن التجسس على عصابات المخدرات، كما أن شراء المخدرات من أحد الموزّعين لإقامة دليل ضده ممنوعة باعتبارها عملا استفزازياً، ولا تشكل حيازة المخدرات بالضرورة عملا جرمياً. يقول مايكل توماس مدير قسم مكافحة المخدرات في دائرة الشرطة الجنائية الألمانية: "في بولونيا يمكنك أن تحتفظ بخمسين كيلوغراماً من الامفيتامينات في غرفتك من دون أن تُعتبر مجرماً. وفي غياب تشريعات ناجعة ومعدات حديثة، فان هذه الشعوب محكوم عليها بالفشل في مواجهة مشاكل المخدرات."

أما أنجيه كويسكو (٣٦ عاما) رئيس فرع الانتربول البولوني، فأخبرنا أن ليس في بولونيا كلها أكثر من ٤٠ شرطياً متخصصاً بمكافحة المخدرات، نصفهم في العاصمة فرصوفيا، وأن معظم كبار مرؤوسيه حديثو العهد في المهنة، ونظام الهاتف ليس فاعلا، وأن لديه جهاز كمبيوتر واحداً. ويقرّ: "إنني عاجز أحياناً عن الحصول على أشرطة جديدة للآلات الكاتبة."

إجراءات مطلوبة. يبدو المستقبل قاتماً في عيني أنتوني لاتكا وهو قائد وحدة جديدة لمكافحة المخدرات في ادارة الجمارك البولونية، وهو يعترف: "إننا نخشى الأسوأ، فالبطالة والجريمة تزدادان على نحو مخيف مع موجة عدم الاستقرار التي ضربت مجتمعات أوروبا الشرقية، وسوف يتمكّن كل أفراد العصابات الاجرامية من امتلاك السلاح

(٣) تبييض النقود (laundering) يعني توظيف أموال من مصادر غير شرعية وتنقيلها بين مؤسسات مالية مختلفة لاخفاء مصادرها.

قريباً، فالجيش السوفييتي السابق على استعداد لبيع كل شيء."

من هنا، يحسن الغرب عملا إن شارك لاتكا مخاوفه، فتهديد المخدرات بالنسبة الى مجتمعات أوروبا هو أخطر كثيراً مما ظنّه المسؤولون قبل سنة فقط، ودول أوروبا الشرقية عاجزة عن التعامل مع هذا الخطر. وإذا كان لأوروبا أن تنجو من عواقب هذا التهديد الجديد، فهناك أربعة اجراءات مطلوبة بإلحاح:

□ على كل دول أوروبا الشرقية أن توقع المعاهدة التي أقرتها الامم المتحدة في العام ١٩٨٨ ضد الاتجار غير المشروع بالمخدرات، والتي تشكّل اطاراً دولياً لمكافحة المخدرات وتبييض النقود، وقد امتنعت بولونيا ورومانيا والمجر وألبانيا عن توقيعها الى الآن.

□ على كل دول الكتلة الشرقية المنحلّة اعتماد تشريعات حديثة في شأن المخدرات والممارسات المصرفية. ويجب أن تتواءم هذه التشريعات مع مثيلاتها في الغرب.

□ يجب تعزيز ادارات الجمارك وشرطة مكافحة المخدرات في دول أوروبا الشرقية وتكثيف تدريبها وتحديث تجهيزاتها، الأمر الذي يتطلّب التزاماً ضخماً من الغرب لمساعدة هذه الدول العاجزة عن تمويل برامجها ذاتياً.

□ يجب إقامة شبكة تبادل معلومات حول المخدرات تغطي أوروبا كلها وتستخدم الكمبيوتر لتعجيل التعاون بين الوكالات المعنية في دول أوروبا الشرقية والغربية على السواء. وقد أقرّت دول المجموعة الاوروبية انشاء هذه الشبكة من حيث المبدأ.

ويعرض جايمس كولير الأمر قائلا: "كأنما دول الكتلة السوفييتية السابقة وُلدت حديثاً، ومن مصلحة الغرب أن يضمن امتلاك هذه الديموقراطيات الناشئة الوسائل الضرورية لمحاربة بلاء المخدرات المتنامي، لكي يتسنى احتواء الانفجار الاجرامي الذي يتهدّد مجتمعاتها ومجتمعاتنا."

رودولف شلمنسكي ■

نهر المودة

اقترب شاب من طالبة جديدة منزوية في مقصف الجامعة، وأمسك بيدها ثم رسم باصبعه خطاً على كفّها وقال: " تخيّلي أن هذا الخط نهر وعلى احدى ضفتيه أسد وعلى الضفّة الاخرى خروف. فماذا يفعل الأسد ليعبر اذا أراد أن يفترس الخروف؟"

فكرت الفتاة لبرهة ثم أجابت: "لا أدري."

فابتسم الشاب وقال لها: "أنا أيضاً لا أدري، ولكن كان من الممتع أن أمسك بيدك طوال هذه المدّة."

ب.س.

العلم يكشف خفايا الدماغ

الاجهزة العلمية الحديثة تفتح نوافذ جديدة على الدماغ البشري

اذا كانت لديك واحدة من ألف نسخة تجريبية من هذه المجلة، فلا بدّ، وأنت تقرأ هذا المقال، من أن تسبّب لك رقاقة مجهرية مدفونة قصداً صدمة خفيفة.

ما إن تعي هذا الانذار حتى يثور في عمق دماغك عضو كالعقدة لا يتجاوز حجم حبة حمص ويسمى اللوزة.[1] حين أعطى علماء الأعصاب بعض المتطوعين نسخة من هذا الانذار، اتقدت الخلايا العصبية داخل لوزات هؤلاء. ولكن كيف عرف العلماء ذلك؟

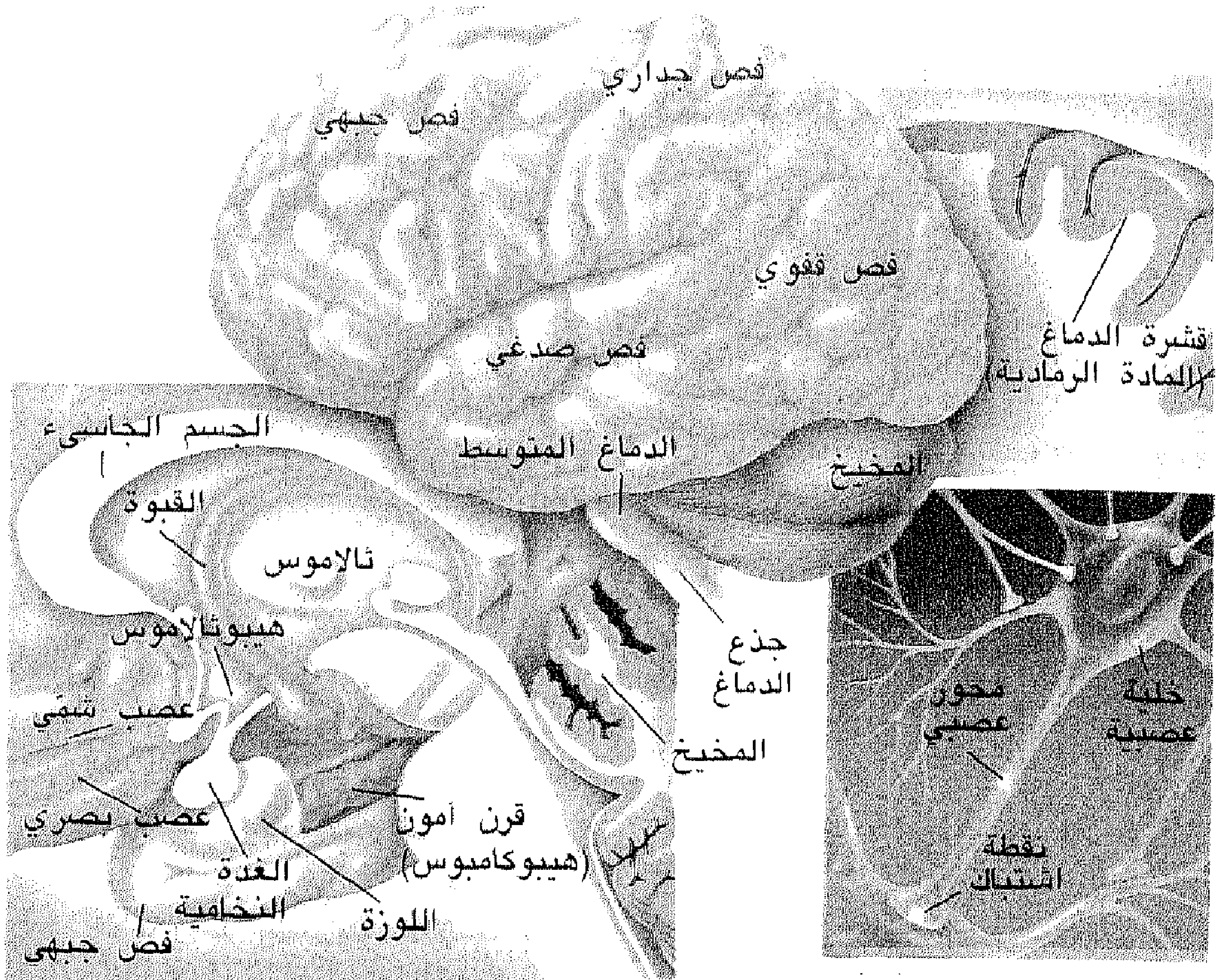
لقد كانوا يقرأون ما يجري داخل عقول أولئك المتطوعين من خلال تخطيط أدمغتهم.

يبدو من الطبيعي أن تثير أجواء ذكرى العام ١٤٩٢، عام اكتشاف "العالم الجديد"، اهتمام رسّامي الخرائط وتلفت انتباههم الى عالَم ما زالت أصقاعه مجهولة المعالم. إنه عالم تلك الكتلة الهلامية التي تزن ١،٤ كيلوغرام وتسمى الدماغ. أما مَسابر رسّامي الخرائط هنا فأدوات دقيقة "تنظر" عبر جدار الجمجمة الأصمّ. وستبيّن الخرائط التي يطابقونها من أين يأتي الادراك والمشاعر واللغة وكل ما يجعلنا بشراً.

يقول جايمس واتسن الاختصاصي بعلم الوراثة والمشارك في اكتشاف اللولب المزدوج في الحمض النووي DNA[2]، إن في الدماغ ١٠٠ مليار خلية عصبية، لكل منها ألف إصبع رفيعة

(١) Amygdala

(٢) Deoxyribonucleic acid



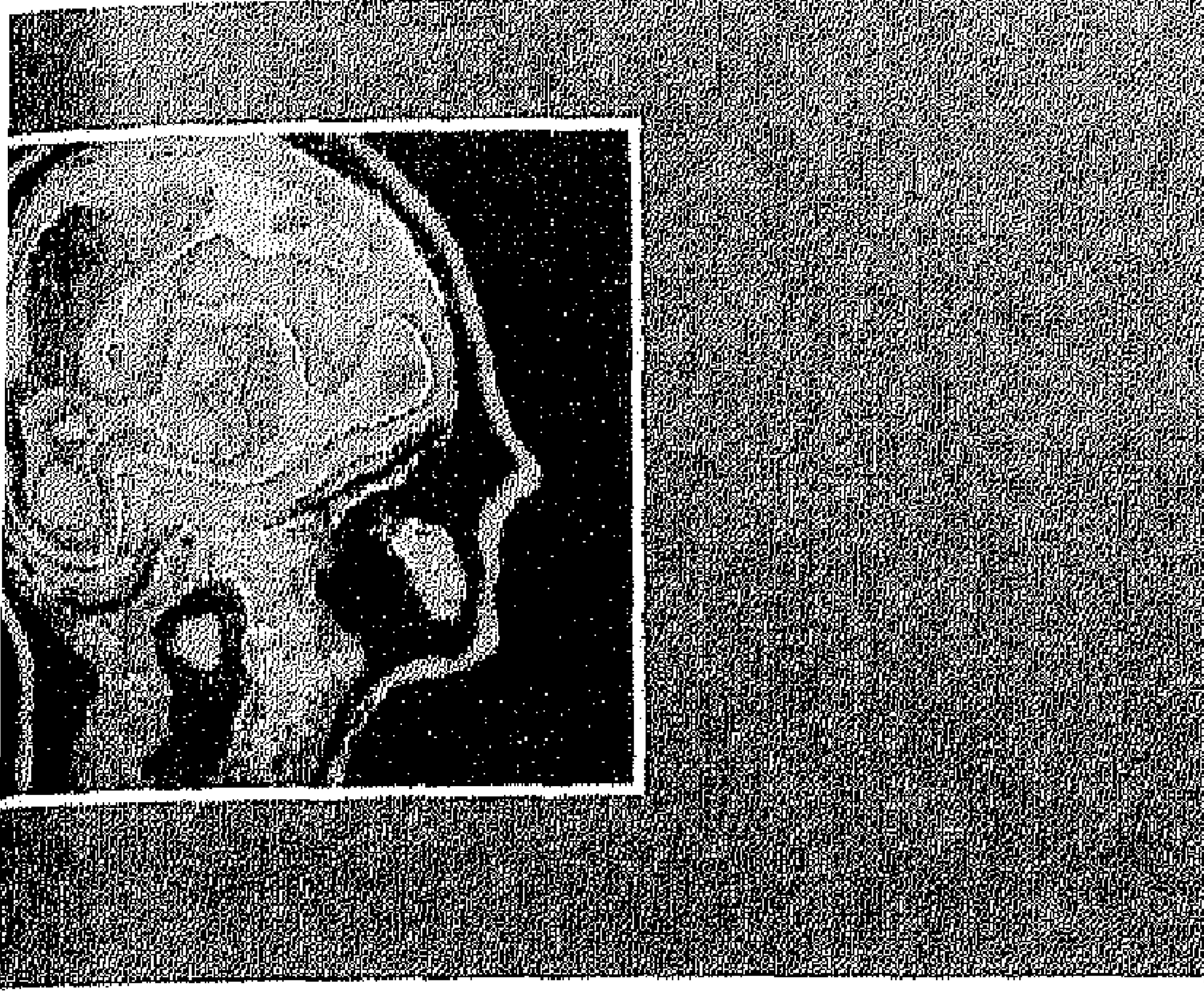
الجهاز الهامشي في الدماغ يضبط العواطف، واستجابات الأحشاء الى تلك العواطف، والحوافز، والمزاج، وأحاسيس الألم واللذة. وعَصَبا الشم هما من مصادر المعلومات الحسية الواردة على الجهاز الهامشي. وتشكل اللوزة وقرن آمون (hippocampus) جزءاً من هذا الجهاز.

كالخيوط تمتد لتمسّ خلية أخرى، مما يجعل الدماغ "آخر الآفاق البيولوجية وأروعها." وفي كتاب جديد بعنوان "اكتشاف الدماغ"[٣] يسمي واتسن هذا العضو "أشدّ مكتشفاتنا تعقيداً في هذا الكون."

ولاضفاء بُعد حسّي على غابات الخلايا العصبية ومستنقعات المادة الرمادية، يتمثل تحدّي تخطيط الدماغ في وضع رسم بياني مفصّل يبين وظيفة كل جزء. ولتحقيق ذلك، يعتمد واضعو الخرائط تكنولوجيات حديثة لكشف النشاط العصبي في ذروة أدائه الكهربائي والمغنطيسي والكيميائي.

غلب لدى علماء الاعصاب اعتقاد مفاده أن المخَيْخ[٤] هو مركز ضبط التوازن والتنسيق وهو الذي يحمي الناس من التعثر. وقد دلّت الدراسات الحديثة على

(٣) Discovering the Brain
(٤) Cerebellum



كل آلة مسحية تبين جزءاً مختلفاً من الاحجية العصبية. من اليسار: جهاز «PET» مثلا يقتفي نشاط الدماغ. اما جهاز MRI فلا يمكنه اقتفاء هذا النشاط، لكنه قادر على تمييز الاشكال التي لا تتباعد الا ٠،٠٢ سنتيمتر. وجهاز SQUID يكشف الحقول المغنطيسية التي تدل على نشاط دماغي. وجهاز SPECT يقتفي جريان الدم، وهذه علامة نشاط أيضاً.

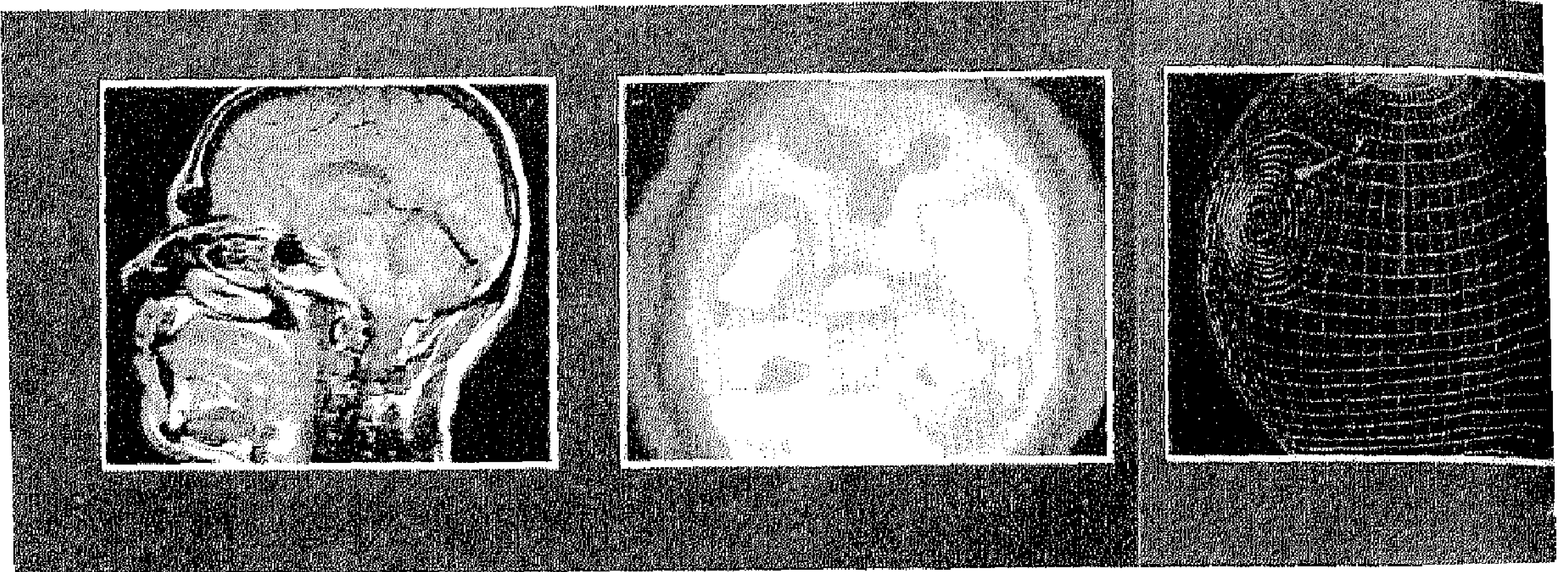
أن المخيخ قد يكون أيضا مقر ذاكرة حركات الاستظهار من غير فهم. فالضرب على الآلة الكاتبة والعزف على الكمان قد يتولدان في المكان ذاته حيث يصدر الأمر بعدم التعثر بالقدمين. ويقدّر جون مازيوتا طبيب الاعصاب في جامعة كاليفورنيا أن "الدماغ قد يستوعب عملا ما بفاعلية فائقة، وقد يخرجه من العالم الواعي (في قشرة الدماغ[٥]) ويؤديه في حال اللاوعي."

ان القدرات "النبيلة" للدماغ تكمن في القشرة، ذلك الغلاف النسيجي المخدَّد الممتد من الحاجبين الى الأذنين والذي تبلغ سماكته ستة مليمترات. وتتألف القشرة من نصفي كرة، نصف الى اليسار ونصف الى اليمين، وكل منهما مؤلّف من أربعة فصوص منفردة متصلة في ما بينها بواسطة "طريق رئيسية" من الأنسجة تدعى الجسم الجاسيء.[٦]

وأظهرت دراسات تناولت مرضى مصابين بتلف في الدماغ، وأخرى تناولت التهييج الكهربائي لمرضى واعين في أثناء جراحات الدماغ، مناطق عدة تبدو متخصصة بأعمال معينة، بعضها يوضح ما تراه العين، وبعضها يميّز الأفعال اللازمة عن الافعال المتعدية. لكن الابحاث التي أُجريت على الأشخاص الذين يعانون عطلاً في الدماغ قد لا تكون نموذجية. وتتمثّل قوة تقنيات التصوير الحديثة في أنها تتسلل داخل عقول الأصحاء.

في إحدى تقنيات التخطيط، يُستخدم ما يسمى "الرسم الطبقي بالابتعاث البوزتروني" أو PET[٧]، اذ يُحقن المتطوعون بالغلوكوز المشعّ، علماً أن سكّر الغلوكوز هو وقود الجسم، فيمتزج بالدم ويسري الى الدماغ. وكلما ازداد نشاط قسم من الدماغ ازداد استهلاكه للغلوكوز. وتعمل لاقطات PET المثبتة حول رأس المتطوع لتحديد مصدر الاشعاع. وبذلك يُعرف مركز النشاط الفائق. وتُرسل

(٥) Cortex . وهي الجزء الخارجي من الدماغ.
(٦) Corpus callosum
(٧) Positron emission tomography



المعلومات الى أجهزة كمبيوتر تنتج رسوماً ذات بعدين[٨] تظهر فيها النقاط العصبية الساخنة.

تصوَّر أربعة مربعات، ورتِّبها على شكل الحرف L . ثم تصور مربعين، وضم القطع لتشكل مستطيلا.

ثمة منطقة قرب الجانب الأيسر من قفا رأسك تتأهب للعمل. إنها أحد مراكز التفكير الفضائي في الدماغ. والمدهش فيها عملها الجادّ المجتهد.

في "مركز تصوُّر الدماغ" في جامعة كاليفورنيا، يشرف إرفين ريتشارد هاير على مجموعة متطوعين منهمكين في لعبة "تتريس"[٩] الكمبيوترية وهم موصولون بجهاز PET، يحركون أشكالا على الشاشة ويديرونها في أوضاع مختلفة بهدف الحصول على كتلة متراصة. وقد وجد هاير أن الناس في سياق تعلمهم لعبة "تتريس" يستهلكون كثيراً من الطاقة العقلية، لكن أدمغتهم، بعد التمرّن أسابيع عدة، تحرق طاقة اقل، وإن تحسّن معدل تسجيل الاهداف ٧٠٠ في المئة. على أن الأمر الاكثر إثارة للحيرة هو أن النتائج تدل على أنه كلما تعاظمت نسبة هبوط الطاقة التي يستهلكها المتطوع، ارتفع حاصل ذكائه.[١٠]

الذكاء اذاً قد يكون عائداً الى فاعلية الخلايا العصبية. فالأدمغة الذكية قد تعمل بجهد أقل لاستخدامها عدداً أقل من الخلايا العصبية أو الدوائر أو كليهما. وبالعكس، حين يفكر دماغ أقل ذكاء، يفرقع عدد كبير من الدوائر العصبية الدخيلة أو غير الفاعلة. ويقول هاير: "قد ينطوي الذكاء على معرفة مناطق الدماغ التي يستحسن عدم استخدامها."

قد يكون "التشذيب" أحد مفاتيح الذكاء. فعند الولادة، يكون دماغ الطفل أشبه بحُجر من الخلايا العصبية

(٨) Two — dimentional

(٩) Tetris

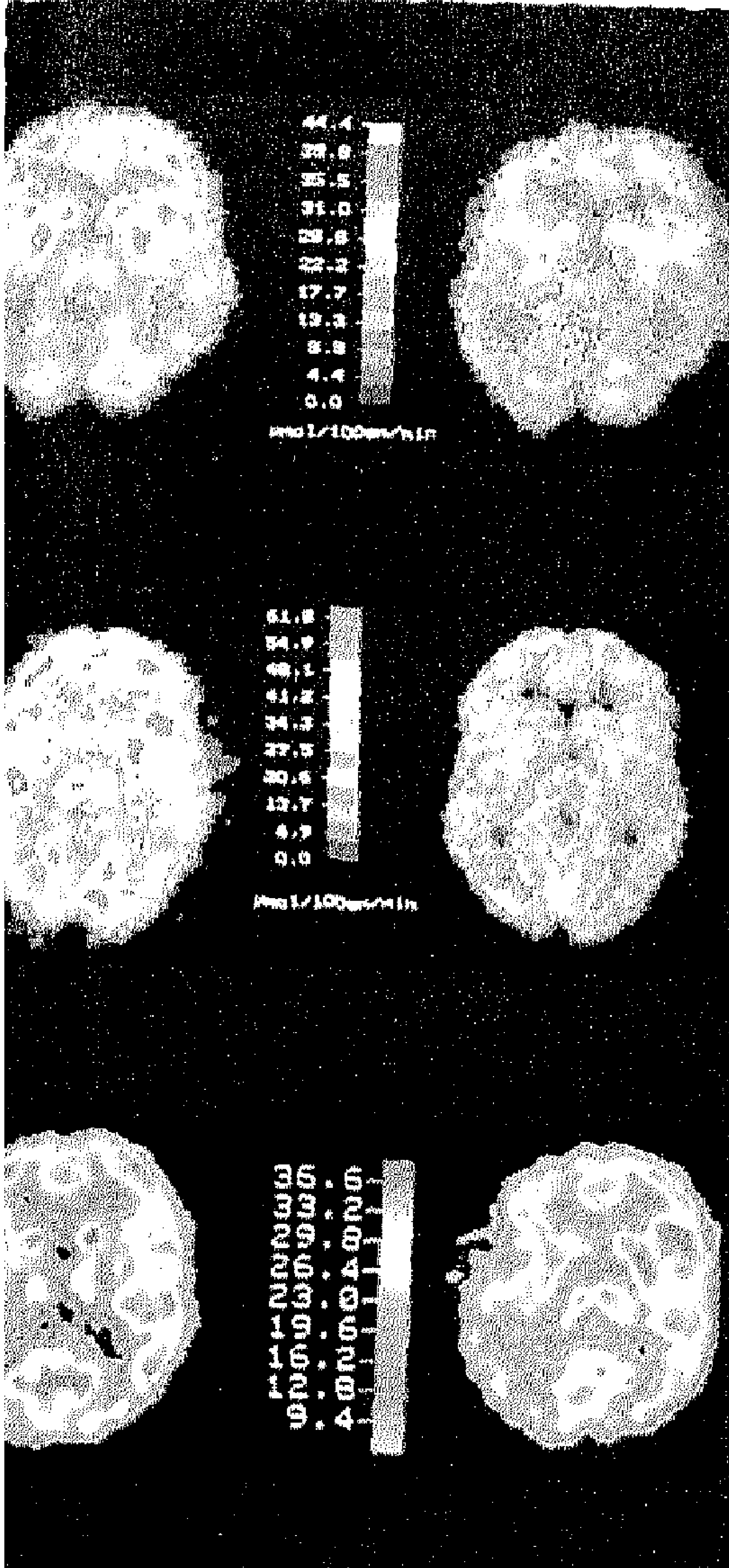
(١٠) Intelligence quotient . وهذا رقم يمثل ذكاء المرء كما تحدده قسمة عمره العقلي على سنه الحقيقية وضرب حاصل القسمة بمئة.

 PHOTOS: (FROM LEFT) © HANK MORGAN / RAINBOW; © PHOTOTAKE; © DAN MCCOY / RAINBOW; © HOWARD SOCHUREK

المتراكمة بغير انتظام، ويستهلك مزيداً من الغلوكوز باطراد حتى بلوغ الولد السن الخامسة، حين يكون دماغه ناشطاً ضعفي نشاط دماغ شخص بالغ. عندئذ يهبط استهلاك الغلوكوز وعدد الدوائر حتى أوائل سنوات المراهقة. وهذا ما يسمى "التشذيب العصبي." ويقدر هاير أنه مفتاح فاعلية الخلايا العصبية. أما الاشخاص الاكثر ذكاء، فيتم لهم ذلك من طريق مزيد من التشذيب. وذلك ما يترك الدوائر الباقية أكثر فاعلية. على أن أحداً لا يعرف لماذا تشذّب بعض الأدمغة دوائرها ويترك البعض الآخر دوائره تتكاثر من دون ضابط.

أعطِ فعلا لكل اسم: قلم، فرن، شمس.

حين تقرأ هذه الجملة تشتعل في قشرة دماغك مجموعات صغيرة من الخلايا العصبية. فحين يعالج الدماغ الواعي معاني كلمات، تعمل مجموعتان من الخلايا: واحدة خلف الفص الجبهي الايسر وأخرى في الفص الصدغي الايسر خلف أذنك اليسرى. لكن الدماغ يتعلم بسرعة. فإذا طُلب منك اعطاء أفعال للأسماء ذاتها مراراً وتكراراً، فإن هاتين المنطقتين لن تحركا أي خلية عصبية، اذ يبدو أنهما لا تمثلان دوراً الا "في اكتساب مهارة جديدة" كما يقول ماركوس ريشل الاختصاصي بالأعصاب والرائد في تقنية PET في جامعة واشنطن في سانت لويس بولاية ميسوري. ويظل



تصوير الدماغ بجهاز PET :
التعلّم: يكون دماغ لاعب جديد بلعبة كمبيوتر (الى اليسار) نشيطاً جداً. ومع التمرين، يستهلك الدماغ طاقة أقل.
التخلف العقلي: يكون دماغ مريض متخلف عقلياً (الى اليسار) أنشط كثيراً من دماغ متطوع سليم.
الكآبة (الانهيار العصبي): يُظهر دماغ مريض الكآبة نشاطاً أقل (الى اليمين) مما يظهره دماغ شخص صحيح.

PHOTOS: (TOP AND MIDDLE) COURTESY HAIER & BUCHSBAUM; (BOTTOM) COURTESY BUCHSBAUM

الدماغ قادراً على إعطاء فعل "كتب" لكلمة "قلم"، ولكن يبدو أنه يفعل ذلك بتوجيه من مرشد آلي مما يزيد فاعليته.

قرر ما اذا كان ثمة تناغم لفظي بين أزواج الكلمات الآتية: جاء، ماتَ؛ عَلِقَ، ضَحّي؛ قَيْدٌ، مَيْلٌ؛ كَلْبٌ، جَرَسٌ.[١١]

إن تكن قرأت هذه الكلمات بدلا من أن تسمعها، فالمناطق المعنية بسماع اللغة أعلمتك أن مجموعتين فقط تناغمتا. وتدلّ دراسات ريشل على أن ليس من الضروري أن تُلْفظ الكلمات في أذن عقلك من أجل أن تتفوه بها أو تفر في معناها. وأنت لا تصغي الى الكلمات بأذن عقلك الا حين تهتم بطريقة لفظها.

مَرْكَب. فَنْتَح. هَعْخَك.[١٢]

ما زالت قشرة دماغك البصرية تتابع مهمتها وتشاهد كلمات، كذلك تفعل مناطق أخرى من دماغك. ولتقصّي ما يتعلّق باللغة، بدأ ريشل وزملاؤه بكلمات مفردة. وفيما ومضت العبارات على شاشة كمبيوتر بمعدل واحدة كل ثانية، اتقدت القشرة البصرية لدى متطوعي PET كما كان مرتقباً. ولكن اتقدت أيضاً مجموعات من الخلايا العصبية خارج مراكز الرؤية، على الجانب الأيسر من الدماغ، ربما كانت لها القدرة على تمييز الكلمات.

تلك المناطق ذاتها اتقدت حين شاهد المتطوعون "لا كلمات" اتبعت القواعد اللفظية، مثل كلمة "فَنْتَح"، كما لو أن الدماغ كان يسعى جاهداً الى تحديدها ككلمة. وقد ظلت هذه المناطق اللفظية معتمة حين شاهد المتطوعون كلمة مثل "هعخك."

يولد الاطفال وهم لا يعرفون أياً من الأحرف تؤلف كلمات وأياً منها لا تؤلّف. فقد تعلّم الدماغ، كما يبدو، ماذا يطابق قواعد التهجئة وماذا لا يطابقها، وحفر مناطق خاصة لتحليل سلاسل الاحرف التي تلتزم القواعد.

أصغِ الى العبارة الآتية: "ماذا قال هذا؟" وارفع إصبعك تسمع كلمة من أربعة أحرف.[١٣]

اذا كنتِ أنثى، اتَّقدت المناطق القائمة على جانبي دماغك. واذا كنتَ ذكراً، اتقد جانب واحد فقط. وهذا ما "شاهدته" سيسيل نايلور من كلية بومن غراي للطب في ونستون – سالم بولاية كارولينا الشمالية، حين أجرت مسحاً تخطيطياً لأدمغة أشخاص "عُلِّموا" بعنصر مشعّ يمكن اقتفاؤه[١٤] يتجه الى المناطق الناشطة في الدماغ. ففي أحد الاختبارات، أصغى المتطوعون ورفعوا اصبعاً لدى سماعهم كلمات من أربعة أحرف. وأظهرت دراسة نايلور أن

(١١) الكلمات الانكليزية في الاختبار الاصلي جاءت بالترتيب الآتي
try, cry; wave, have; weight, trait; dog, cat.

(١٢) الكلمات الانكليزية في الاختبار الاصلي
Board. Tweal. Nlpfz.

(١٣) العبارة الانكليزية في الاختبار الاصلي
«Row, Row, Row Your Boat»

(١٤) Radioactive tracer

(١٥) Ecoplanar MRI (magnetic resonance imaging)

"البهلوانيات العقلية" لدى النساء تحصل في مناطق عدة من الدماغ، لكنها لدى الرجال موزعة على مناطق مستقلة. وتتقد لدى النساء، دون الرجال، مناطق تحلل إشارات مرئية أو سمعية. وتقول نايلور: "تتساءلون إن كانت الاناث يستخدمن استراتيجية بصرية أكثر ما يفعل الذكور." ربما هنّ ينظرن الى الكلمات المتهجّاة بعيون عقولهن، ثم يعددن الأحرف.

ثمة نوافذ جديدة على الدماغ جاهزة للانفتاح. ففي مستشفى مساتشوستس العمومي في بوسطن، يضع الباحثون اللمسات الأخيرة على جهاز "إيكوبلانر MRI" ١٥٠ (للتصوير الترجيعي المغنطيسي) الذي يلتقط صورة للدماغ في ٤٥ جزءاً من ألف من الثانية. ومخططو الدماغ مهيأون لمشاهدة أفكار ومشاعر وذكريات تقفز من مجموعة صغيرة من الخلايا فتُشعل أخريات وتتفتح فكرة أو عاطفة أو قفزة إبداعية أو نظرة في العمق. وحين يتمّ لهم ذلك، قد يكون العلم قرأ حقاً ما يجول في عقولنا.

شارون بيغلي ■

حفلة غالية

قرر زملائي في المكتب أن يقيموا لي حفلة لمناسبة تقاعدي عن العمل. واتفقوا مع زوجتي على ابقاء الأمر طيّ الكتمان. ولارغامي على الحضور، طبعت زوجتي بطاقتي دعوة زائفة الى مأدبة عشاء تقيمها الشركة لاحدى الشخصيات المرموقة. وحين وصلتُ ورأيت الحقيقة كانت المفاجاة عارمة، فقلت للجميع شاكراً: "لا شك في أن حضوركم غالٍ عليَّ كثيراً، لكن ما يدهشني حقاً هو أن زوجتي قبضت منّي ثمن البطاقتين."

د.م

إبادة الحشرات

سألتُ ابنتي الطالبة في كلية العلوم أن تؤمّن لي مبيداً للقضاء على بعض الحشرات التي غزت منزلي. فطلبت مني نموذجاً حياً من هذه الحشرات لمعرفة نوعها. وبعد انتظار دام أسبوعاً أتحفتني بمحاضرة طويلة عن طبيعة الحشرة وجنسها وطريقة تزاوجها.

وحين انتهت سألتها: "حسناً، كيف السبيل الى إبادتها؟"

اجابت: "ما عليك الا أن تسحقيها بقدمك يا أمي."

ل.ر.

نبع السعادة العائلية

متى لعبتم أخيراً مع أولادكم؟

شارفت عطلة نهاية الأسبوع نهايتها، فتذمرت ابنتنا جوليا التي تبلغ الخامسة من عمرها قائلة: "لا يمكنني الذهاب إلى المدرسة غداً، فنحن لم نلهُ بعد!"

صدمني كلامها، فهي لم تكفّ عن اللهو طوال العطلة، اذ حضرت حفلة عيد ميلاد، ولعبت مع صديقتها، وأمضت ليلة السبت مع حاضنتها المفضلة. لكن عائلتنا الثلاثية لم تقم بأي من الأعمال "الخاصة" التي يبهجنا القيام بها معاً، كتناول الغداء في أحد المطاعم، أو تناول الفطور في سريرنا الدافىء، أو الذهاب الى الملعب القريب. وقد لاحظت جوليا هذا النقص.

هناك عائلات كثيرة كعائلتنا تجد صعوبة أحياناً في تخصيص وقت للهو. فعندما سألت بعض صديقاتي متى كانت المرة الأخيرة حين أمضين وقتاً ممتعاً مع عائلاتهن، ذكرت إحداهن أسبوعاً أمضته العائلة على شاطىء البحر خلال الصيف الماضي. وأجابت أخرى أن عيد الميلاد كان حافلاً باللهو، على الأقل قبل أن يتقيَّأ ابنها على سماط جدَّته المخرَّم. وتأوَّهت أم لأربعة أولاد سائلة: "ومن لديه وقت للهو؟"

في الواقع، قليلون منا لديهم هذا الوقت. فاللعب، ببساطة، ليس من الأولويات بالنسبة الى كثير من العائلات. ومع ذلك، فاللهو هو الرباط الذي يمسك العائلات، وهو المادة التي تُصنع منها الذكريات، وهو العنصر السري الذي يحفظنا أصحّاء وعاقلين.

يلاحظ العالِم النفساني رودني شابيرو أن "السعادة جزء مهم من مفهوم الصحة العقلية. وهي تشمل مقدرة المرء على اللعب واللهو. لكن للهو في حضارتنا صورة سيئة. فالتوجيه في مجتمعنا هو

نحو العمل، وإذا لها الناس فهم يشعرون بالذنب."

هذا الشعور ليس في محله، إذ إن لهو الأهل والأولاد معاً يوحِّدهم بطريقة خاصة. وتؤكد مارغريت كيلي مؤلفة كتاب "روزنامة الأم"* أن "اللهو موازن عظيم. فعندما يعصب الأهل عيونهم ويحاولون إمساك الأولاد فيصطدمون بشجرة، يدرك الأولاد أنْ لا بأس في أن يكون المرء أحمق أحياناً. وحين يجرب الاهل لعبة ولا يبرعون فيها، يظهرون لاولادهم أنْ لا حرج في محاولة القيام بأعمال جديدة."

ثم إن الاهل عندما يعرِّفون أولادهم الى ألعاب جديدة فانما يعرِّضونهم لنشاطات قد تكون مصدر فرح لهم طوال العمر.

يبقى الأمر الأهم، وهو تخصيص وقت للهو الصرف. تقول كيلي: "هذا يشبه الادخار. فعليكم أن تدَّخروا وقتاً لكي تحافظوا على روح المرح في عائلتكم."

وإليكم بعض الاقتراحات لاعادة اللهو الى حياتكم العائلية.

تشبثوا بما تحبون.

قوموا بأعمال تتمتعون بها، أكانت صنع طائرات ورقية أم خَبز كعك وحلوى. فكلما تلذَّذتم بما تعملون ازداد لهوكم وازدادت بهجة أطفالكم.

تقول روندا أندرسون وهي سيدة تدير مؤسسة تجارية صغيرة: "ما زلت أذكر الاثارة التي كنت أعيشها خلال رحلات صيد السمك مع والدي وشقيقي. وقد أحببت الصيد طوال حياتي. ونحن الآن نصطحب أولادنا الى صيد السمك، ونأمل أن يصبح الصيد جزءاً من حياتهم أيضاً."

حافظوا على البساطة.

إن حوَّلتم اللهو عملاً، ضعُف احتمال قيامكم به. عودوا بالذاكرة الى الأمور التي أبهجتكم في طفولتكم، وستجدونها بسيطة في غالب الأحيان. لذلك اركبوا دراجة، التقطوا كرة، اذهبوا في نزهة، ارموا أوراق الشجر لتطفو على سطح الماء، ارووا قصصاً، أو طيِّروا طائرة من ورق..

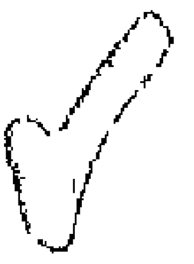
تعترف إحدى الأمهات بأنها حين تعود الى البيت بعد نهار عمل مضنٍ، لا تستطيع المشاركة في ألعاب معقَّدة مع ابنها. وهي تذكر: "ذات يوم، كنت أرتاح في غرفتي عندما أتى ابني وجلس على السرير الى جانبي. وما لبثنا أن أخذنا نحرِّك أيدينا راسمين ظلالاً على الجدار. وعندما ذكَّرته بأن برنامجه التلفزيوني المفضل أوشك أن يبدأ أجابني أنه يفضل البقاء واللعب معي."

كونوا "سخيفين".

يعتقد الأولاد أن أهلهم كلما كانوا سخيفين كانوا أفضل. ذهب زوجان

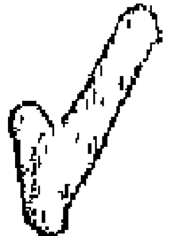
(*) The Mother's Almanac II

رصينان مع ابنتهما البالغة من العمر أربعة أعوام الى حفلة تنكرية في روضة الأطفال، وكانوا متنكِّرين في زي حيوانات. تقول الأم: "أمضينا وقتاً رائعا. وأكثر ما أعجبنا رد فعل ابنتنا عندما كنا نطلق صرخة مدوِّية ونجري خلفها "



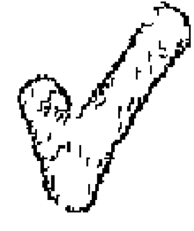
العبوا.

تضفي ألعاب الورق وغيرها جواً من الصداقة الحميمة إضافة الى المنافسة الودِّية. ومعظم الأولاد يتمتعون بهذه الالعاب. أعرف عائلة تمضي أمسيات عطل نهاية الأسبوع في ممارسة ألعاب مثل "مونوبولي" و"سكرابل." وتؤكد الأم أن "هذه الألعاب تشعرنا، نحن الكبار، بالنشاط والحيوية، كما أنها تساعد الأولاد على تنمية مهاراتهم الحسابية واللغويَّة. وأجمل ما فيها أنها تتيح لنا أن نمضي معاً وقتاً طيباً."



حوِّلوا العمل لهواً.

عندما تباشرون مشروعاً مع الأولاد، لا يقلقنَّكم القيام به بالطريقة الصحيحة. فإذا كنتم تطلون جدران البيت، ارتدوا ثياباً قديمة وابسطوا ملاءات وأوراق صحف فوق المفروشات ثم دعوا قطرات الطلاء تتساقط أينما اتفق. فعاجلاً أم آجلاً ستكتسون أنتم والأولاد بالطلاء... وبالابتسامات كذلك.

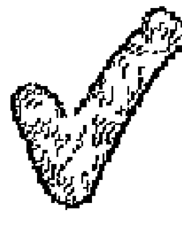


استرخوا.

حين يتوقَّع المرء تمضية وقت طيب خلال رحلة لهو "كبرى" فذلك قد يرخي عليه عبئاً ثقيلاً. فلا تعتقدوا أن "الأكبر" أو "الأغلى" أو "الأبعد" هو بالضرورة الأفضل، إذ قد يكون لنزهات بسيطة فعل كالسحر.

وجدت إحدى السيدات أن المشي مع صغارها الثلاثة في ليلة صيف هو حدث تتمتع به العائلة كلها. تقول: "نحن نحمل مصابيحنا الكهربائية ونطارد زيزان الليل ونغنِّي. أعتقد أن أولادي لن ينسوا نزهاتنا طوال حياتهم."

وتنصح المستشارة التربوية ماريان غاربر بالآتي: "عندما تكونون في عطلة، دعوا الأولاد يأخذون زمام القيادة، وإن كان ذلك يعني اللعب بالرمل بدل الذهاب الى متحف."



تحققوا من مستوى اللهو في عائلتكم.

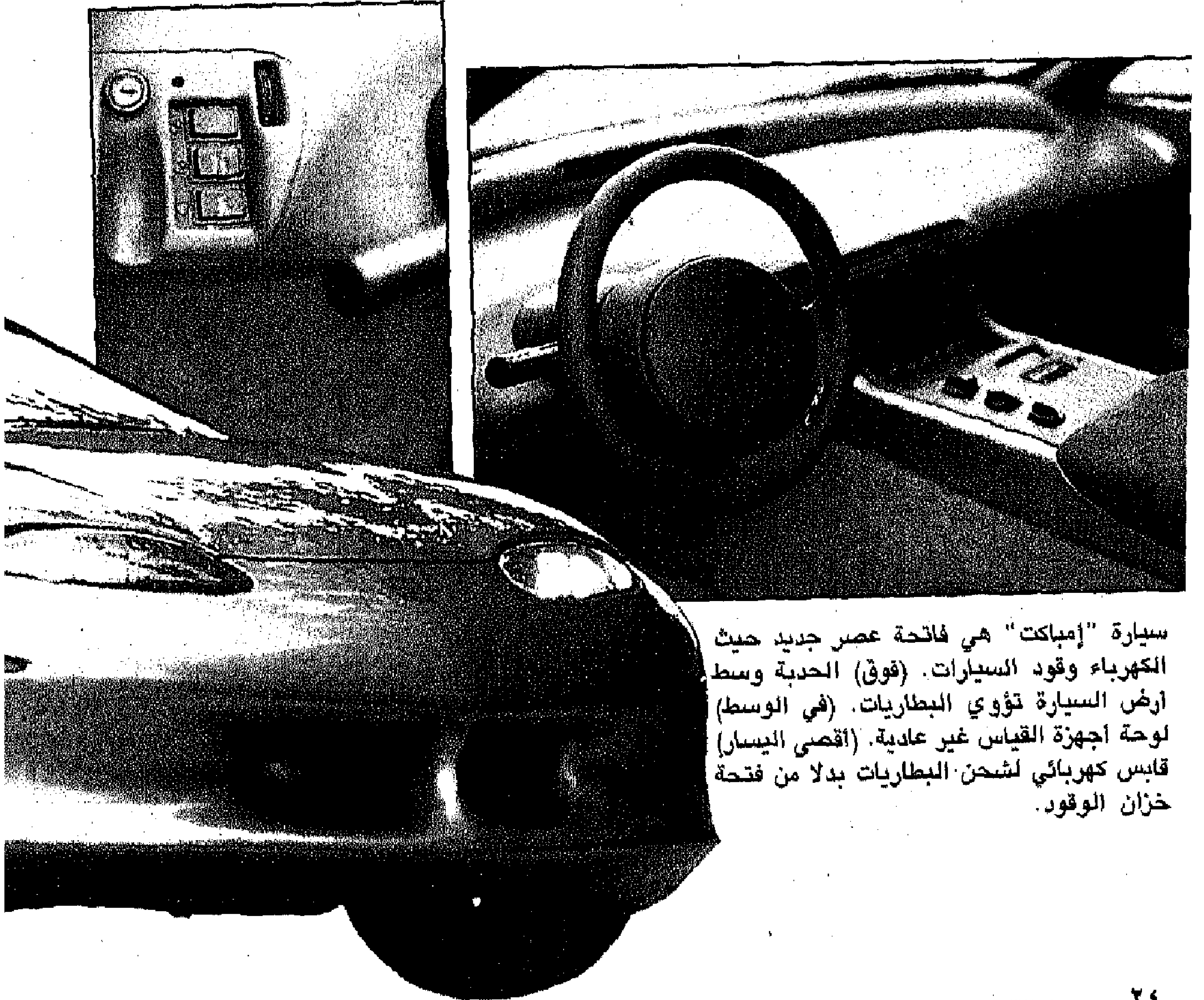
يقول شابيرو: "على العائلات أن تتساءل من وقت الى آخر: هل نحن نلهو معاً بالمقدار الكافي؟ كثيرة هي العائلات التي لا تلهو، على رغم أن اللهو هدية جميلة نقدمها الى أولادنا والى أنفسنا."

وأجمل ما في اللهو أنه يحمل مكافأته ضمناً، وهي الفرح الخالص. فحين تبدأون اللعب لن تعودوا أنتم ولا أولادكم راغبين في التوقف.

ديان هيلز ■

اليوم سيارات ببطاريات وغداً مركبات لعصر الفضاء

هل بدأ عصر السيّارة الكهربائيّة؟



سيارة "إمباكت" هي فاتحة عصر جديد حيث الكهرباء وقود السيارات. (فوق) الحدبة وسط أرض السيارة تؤوي البطاريات. (في الوسط) لوحة أجهزة القياس غير عادية. (أقصى اليسار) قابس كهربائي لشحن البطاريات بدلاً من فتحة خزان الوقود.

PHOTOS: TIM DAMON ORIGINALLY FOR THE NEW YORK TIMES

تبدو مصمَّمة لزمن لم يأتِ بعد! سيارة بلون الفضة ذات انحناءات ايروديناميةحتى ليخيل اليك أنها مجرد فكرة لسيارة سباق جديدة.

... الى أن تجلس خلف المقود.

تمر لحظات تفقد فيها حسّ المكان. فلا ذراع لتحويل السرعات، ولا قابض، ولا جهاز لنقل الحركة. هناك فقط محركان كهربائيان، واحد لكل من العجلتين الاماميتين، وحدبة طويلة في وسط أرض السيارة تذكّرك الى حدّ ما بسيارات السباق القديمة، لكنها تخفي، بدلا من عمود التدوير، ٣٢ بطارية حمضية رصاصية.[1]

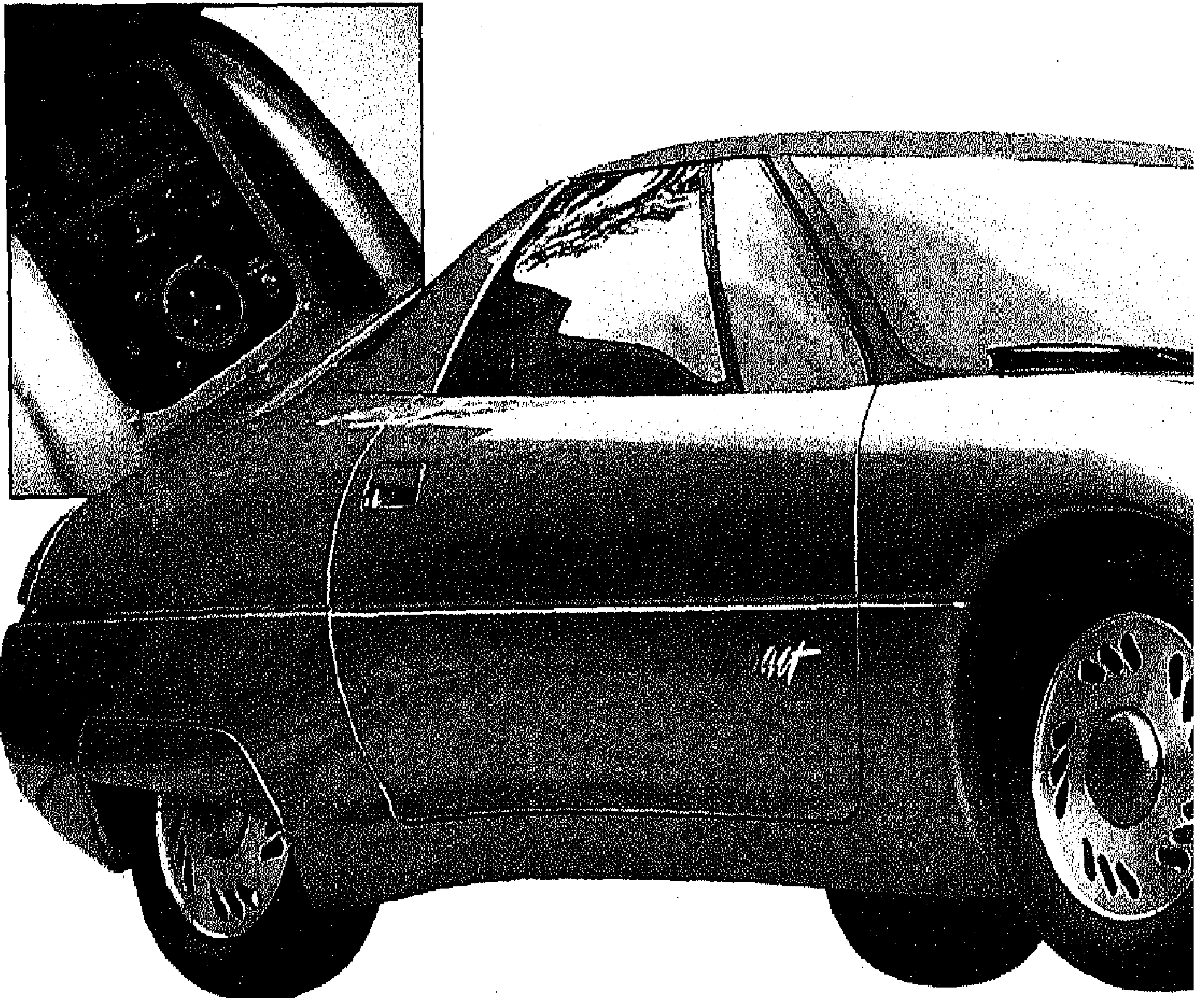
ثم تتنبَّه الى لوحة أجهزة القياس وما تحوي من مؤشرات مدرجة: حرارة المحرك، السرعة، حسناً. ولكن هناك مؤشران لشحنة البطارية! أدر مفتاح التشغيل، لا صوت ولا اهتزازات. إكبس الزرّ المرمَّز بالحرف «F»[2] ودُسْ ما تفترضه حكماً دواسة الوقود، فتدفعك وتيرة التسارع المفاجىء الى الالتصاق بمقعدك.

هــذه السيــارة المــذهلــة هــي الـ"إمباكت"[3]: نموذج تجـريبي من

(١) Lead — acid batteries

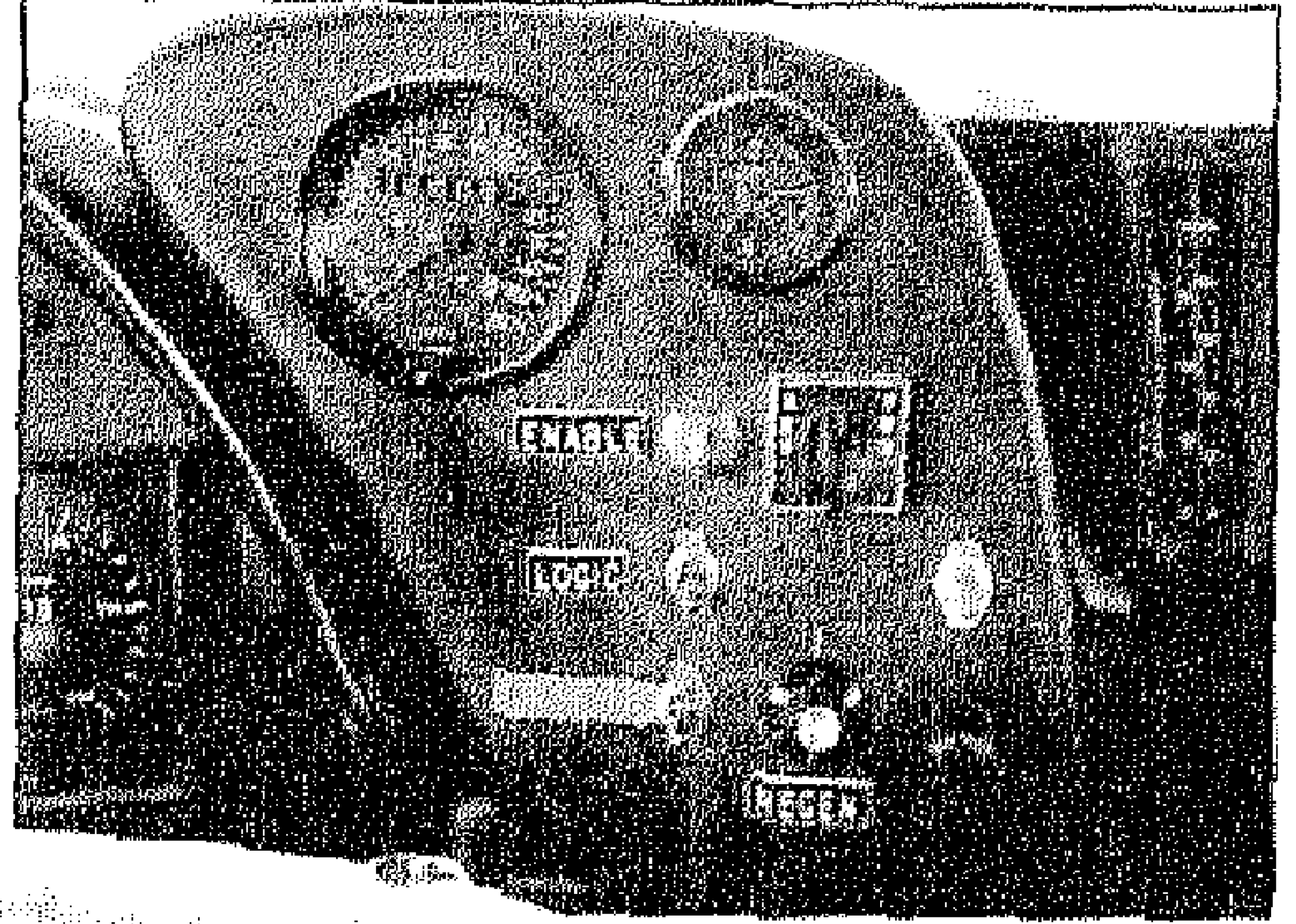
(٢) اختصار «forward» أي "الى الامام".

(٣) Impact



"جنرال موتورز" صُمّم ليمحو من الأذهان فكرة أن المركبات التي تسير بالطاقة الكهربائية لا تصلح إلاّ عربات في ملاعب الغولف. ومع أن الطريق ما زالت طويلة أمام الامباكت قبل أن تصبح جاهزة للتسويق (نظام التعليق المخمّد للارتجاج قاس كالصخر، والمحرك يئنّ كحيوان جريحٍ) فقد حدّدت شركة "جنرال موتورز" منتصف التسعينات موعداً لبدء الانتاج التجاري.

سيارة "إمباكت" هي البشير لعصر جديد لصناعة السيارات: تحوّل جذري عن الوقود الى الطاقة الكهربائية. وقد بدأت تباشير المستقبل، كالعادة، في كاليفورنيا، حيث استهدفت القوانين البيئية التي أُقرّت حديثاً جعل السيارات أقل تلويثاً للأجواء، إذ تنتج عوادمها حالياً ثلثي الضباب الدخاني في المدن. كما فرض البرنامج حدوداً على نسبة



سيارة "إنيرجي بارتنرز" التي ستستمد الطاقة من خليتي وقود هيدروجينيتين.
(فوق) لوحة أجهزة القياس في نموذج المستقبل.

PHOTOS: BRAD MILLER PHOTOGRAPHY, INC.

التلوث المنبعث من عوادم السيارات، تقسو تدريجاً ابتداء من السنة ١٩٩٤.

في بداية الأمر، يمكن صانعي السيارات أن يتقيّدوا بهذه الحدود عبر استخدام بدائل أخرى من الوقود ونُظم احتراق محسّنة توفر استهلاك مصادر الوقود الاحفوري،[٤] غير أن جايمس ماكنزي من "معهد الموارد العالمية" يلاحظ أنه "مع توقع ارتفاع أعداد مالكي السيارات عبر العالم أكثر من ٥٠ في المئة خلال السنوات العشرين المقبلة، لن نستطيع المحافظة على طرق حياتنا بعيداً عن المشاكل." وهكذا تفرض الحدود القصوى للقوانين الجديدة أن تكون نسبة ١٠ في المئة من كل السيارات الجديدة المبيعة في كاليفورنيا بحلول السنة ٢٠٠٣ من فئة تُعرف اختصاراً بـ«ZEV»[٥] يكون التلوث المنبعث منها معدوماً. ويقول ماكنزي: "إن الطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك هي تغيير جذري في صفات السيارة، وبالتحديد في نظام الدفع."[٦] وسوف يكون على التكنولوجيا الباردة للطاقة الكهربائية أن تحلّ محلّ التكنولوجيا الحامية للمحرّك العامل بنظام الاحتراق الداخلي.



ضوء أخضر. يقول بول ماكريدي رئيس شركة "ايروفايرمنت" التي قادت فريق تطوير الامباكت: "سوف يكون هذا العقد هو الأكثر إثارة على الاطلاق في عالم السيارات. وسيشبه الى حدّ ما عقد الثلاثينات بالنسبة الى صناعة الطائرات عندما تمّ الانتقال من الطائرات المصنوعة بالعصي والقماش الى الطائرات العابرة للقارات والى المقاتلات في مدى سنوات قليلة."

وماكريدي مهندس متحفظ في آرائه، عقلاني، شديد الاهتمام بالأمور العملية، نال جوائز تقدير وتنويهات لا تحصى لاختراعاته الكثيرة، ومنها سيارة "صنريسر"[٧] التي مثّلت شركة "جنرال موتورز" عام ١٩٨٧ في أول سباق تحدّ للسيارات التي تسير بالطاقة الشمسية في أوستراليا، فحطمت الرقم القياسي للسرعة. بعد ذلك النجاح اشترت "جنرال موتورز" ١٥ في المئة من أسهم شركة ماكريدي وأعطته الضوء الأخضر لتطوير سيارة تسير بالطاقة الكهربائية. كان في ذهن جماعة "جنرال موتورز" انها ستكون سيارة استعراض، أما ماكريدي فكانت لديه أفكار أخرى. فعمل فريقه في أقل من سنة على تطوير الامباكت لتسير بسرعة قصوى يُتوقع أن تتجاوز ١٦٠ كيلومتراً في الساعة، وبتسارع منتقل من صفر الى ١٠٠ كيلومتر في الساعة في ثماني ثوان.

(٤) الوقود الاحفوري هو الناتج من تحلل مواد عضوية، ومنه النفط والغاز الطبيعي والفحم الحجري.
(٥) zero - emission vehicles أي سيارات لا تنفث دخاناً.
(٦) Propulsion system
(٧) Sunraycer

كانت معظم السيارات الكهربائية التي طُوّرت خلال السنوات العشرين الماضية نسخاً معدّلة عن سيارات عاملة بوقود الغازولين.[8] لكن ماكريدي حوّل السيارة الكهربائية من مسخ تكنولوجي الى نتاج عملي أنيق، بإعادة تصميمها من الصفر. لقد أعاد فريقه اختراع العجلات، إذ صنعت من الالومنيوم مع إطارات مصمّمة لتخفيف قوة الاحتكاك المعاكسة لاتجاه حركة السيارة، مما ساعد في جعل الامباكت ذات فاعلية عالية في استخدام الطاقة، بحيث إنها تستهلك ثلث ما تحتاج اليه سيارة عادية. أما الكوابح فتعمل أيضا كمولدات صغيرة تعيد شحن البطاريات.

يقول ماكريدي: "كان علينا أن نعيد التفكير في جلّ مسألة تصميم المركبات من ناحية الفاعلية. والغريب أن أحداً لم ينظر الى السيارة قبلا من هذه الزاوية، اذ لم تكن ثمة حاجة الى ذلك في السابق." وقد أثبتت الامباكت، كما يقول ماكريدي، "أن الاناقة والفاعلية ليستا بالضرورة نقيضين لا يجتمعان."

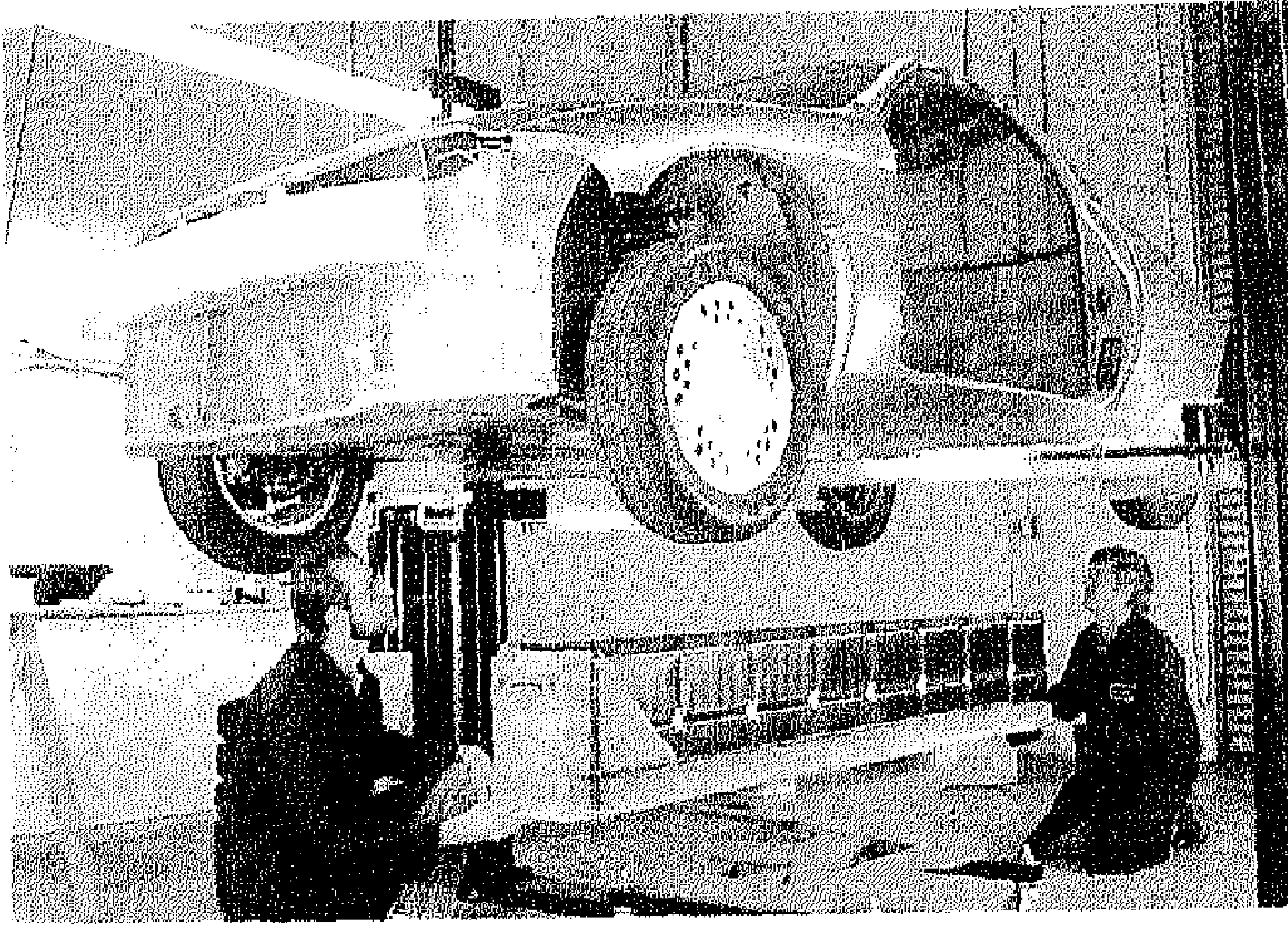
اليابان أيضاً. يبدو أن الدعم الذي يلقاه انتاج سيارات تسير بالطاقة الكهربائية قد اجتاز "النقطة الحرجة" في الولايات المتحدة. إذ قررت ولاية كاليفورنيا المضي في تشريع السيارات الكهربائية بعدما أثبت ماكريدي توافر التكنولوجيا الضرورية لصنعها، فيما تدرس ولايات أخرى إجراءات مماثلة.

ويبدو أن دول المجموعة الاوروبية سوف تعتمد اجراءات مشابهة في السنوات القليلة المقبلة، كذلك اليابان التي تعمل منذ الآن لوضع ٢٠٠ ألف سيارة كهربائية قيد الاستخدام على طرقها بحلول السنة ٢٠٠٠.

وفيما يدّعي بعض النقاد أن الاسراع في إدخال تكنولوجيا جديدة الى السوق قد يعيق الانتاج، فان أحداً لا يستطيع التراجع الآن وقد دخلت اليابان حلبة السباق. ويقول أحد صانعي السيارات: "لقد برزت الى الوجود فجأة صناعة جديدة لانتاج مركبات تعمل بالطاقة الكهربائية." ومع أن القوانين تدعو الى تحوُّل تدريجي نحو المركبات غير الملوِّثة، إلّا أن كبار صانعي السيارات يدركون أن عليهم أن يكونوا جاهزين متى أزفت الساعة. وقد بدأت بعض سياراتهم تستأثر بالاهتمام، سواء من مشترين محتملين أو من شركات أخرى.

حُددت السنة ١٩٩٣ موعداً لبدء انتاج أول سيارة حديثة عاملة بالطاقة الكهربائية وإطلاقها في السوق الامريكية. وهذه السيارة التي تحمل الاسم الرمزي «LA301» والتي يتولى تركيبها اتحاد صناعي بريطاني - أسوجي، هي من السيارات الهجينة التي تدفعها الطاقة الكهربائية وتستخدم فيها بطاريات ومحركات صغيرة تعمل بالغازولين لشحن البطاريات. وهي تتسع لأربعة ركاب، ويبدأ محرّكها الغازوليني

(٨) يُعرف الغازولين عامة بالبنزين



تركيب مجموعة البطاريات في الامباكت.

شحن البطاريات حالما تتجاوز سرعتها ٥٠ كيلومتراً في الساعة أو عند الحاجة الى طاقة قصوى، الأمر الذي يزيد مدى عمل البطاريات من ١٠٠ كيلومتر الى أكثر من ٢٤٠ كيلومتراً.

منافسات. ثمة منافسة هجينة أخرى لمنتصف التسعينات هي سيارة "فولكسفاغن تشيكو" التي تستخدم محرك غازولين ذا أسطوانتين لاعادة شحن بطاريات مصنوعة من هيدريد النيكل[٩] كافية وحدها لقطع مسافة ٢٠ كيلومتراً داخل المدينة، فيما يبلغ مدى المحرك حوالى ٥٠٠ كيلومتر بسرعة قصوى هي ١٣٠ كيلومتراً في الساعة. كما تعمل شركة "فولكسفاغن" في مشروع مشترك مع شركة "سواتش" لانتاج سيارات تعمل بالطاقة الكهربائية، مراهنة على سمعة الشركة السويسرية الصانعة للساعات في تصميم منتجات جيدة النوعية ورخيصة الثمن.

أما في اليابان، فتشير النماذج التجريبية الى اتجاه نحو سيارات مستقبلية أقوى تعمل بالطاقة الكهربائية. وتُستخدم في طراز "فيوتشر إلكتريك فيهيكيل" الذي عرضته شركة "نيسان" عام ١٩٩١ بطاريات من الكادميوم والنيكل يمكن إعادة شحنها كلياً خلال ١٥ دقيقة، بالمقارنة مع ثلاث ساعات على الأقل لاعادة شحن معظم البطاريات الأخرى. إلّا أن الطاقة الكهربائية المطلوبة لاعادة الشحن والتي تبلغ ٤٤٠ فولت ليست متوافرة في التجهيزات الكهربائية المنزلية مما يجعلها غير عملية في الوقت الحاضر.

وتعتزم شركة «BMW» إنتاج سيارتين كهربائيتين عاليتي التقنية مصممتين استناداً الى الطراز «E1» البيضوي الشكل والطراز «E2» الاكبر حجماً الذي

(٩) Nickel hydride

PHOTO: COURTESY OF GENERAL MOTORS

تستخدم فيه بطاريات الصوديوم والكبريت ويعمل بنظام الدفع الخلفي[١٠] ويسير بسرعة قصوى تبلغ ١٢٠ كيلومتراً في الساعة ويقطع مسافة ٤٣٠ كيلومتراً قبل إعادة شحن البطاريات. واللافت أن شحن البطاريات يتمّ بواسطة محركات أمريكية الصنع تنتجها شركة صغيرة تدعى "يونيك موبيليتي."

نقطة الضعف. يبدو راي غيديس، رئيس "يونيك موبيليتي" ذو الشاربين الكبيرين، أبعد ما يكون عن تقني في حقل التكنولوجيا الكهربائية. فهو أمضى ١٢ سنة مديراً لقسم سيارات السباق في شركة "فورد" مشرفاً على انتاج "شيلبي موستانغ" و"كوبرا رودستر" وطرازات أخرى من السيارات القوية. وفي العام ١٩٨١ تلقى راي اتصالا من قريب له قلق على استثمار أمواله في شركة "يونيك موبيليتي." وهو يتذكر: "لقد أرادني أن أنضم اليه لحماية استثماره."

كان راي، ككل مواطني ديترويت الطيبين، يستهجن فكرة سيارة تعمل بالطاقة الكهربائية. وهو يضيف ضاحكاً: "كان على قريبي أن يجرّني جراً."

غير أن ما طالعه في الشركة كان مثيراً للاهتمام الى حدّ أنه، بحلول العام ١٩٨٣، بات يعمل بدوام كامل في المقر الرئيسي للشركة في كولورادو.

قرر غيديس أن يركز جهده على محرك مبتكر يعمل بالتيار الكهربائي المتواصل[١١] كانت الشركة قد صنعته. وكانت المحركات القياسية تصمّم لتتمتع بعزم تدوير[١٢] يمنحها قدرة على التسارع، أو بقوة تسمح بالدوران على وتيرة مستقرة مقرونة بسرعات عالية. بيد أن جمع الميزتين في محرك صغير خفيف الوزن ورخيص الكلفة لانتاج سيارات على نطاق واسع كان شأناً أكثر تعقيداً.

يستخدم المحرك الذي يحمل براءة اختراع باسم "يونيك" أسلاكا من الحديد والنحاس أقل عدداً مما في المحركات الكهربائية العادية، مما يجعله أخف وزناً. والأهم أن التيار المنطلق من المحرك مضبوط إلكترونياً ليزوّد السيارة قدرة على التسارع أو على السرعة المطلوبة دونما حاجة الى آلية لنقل الحركة، كما أنه مكثّف القوة بحيث ينتج، بالمقارنة مع محرك عادي يعمل بالتيار المتواصل، خمسة أضعاف القدرة الحصانية.

على جدران مكتب غيديس رسوم هندسية لسيارة كهربائية مصممة للاشتراك في سباقات الجائزة الكبرى.[١٣] وهو يقول: "إن من شأن السباقات أن تعجّل تطوير هذه التكنولوجيا، تماماً كما حدث لتكنولوجيا السيارات التي تعمل بالغازولين. وفي النهاية، سوف يكون في إمكان السيارات الكهربائية التي تتضمن محركاً في كل عجلة، أن تتخطى أنواع السيارات الأخرى على حلبات السباق."

(١٠) Rear — wheel drive
(١١) Direct current
(١٢) Torque
(١٣) Grand Prix

ولكن هناك بعض المشاكل التي يجب حلّها قبل أن نشهد ذلك. هناك، أولا، نواقص البطاريات نفسها. فهذه البطاريات التي تسمّى "نقطة ضعف السيارات الكهربائية" تؤمّن مدى سير محدوداً جداً وتحتاج الى وقت طويل لاعادة شحنها، وعمرها أقصر من أن يمكّن السيارات الكهربائية من منافسة تلك التي تعمل بالغازولين. وتبلغ كلفة إبدال البطاريات القديمة بأخرى جديدة ١٥٠٠ دولار أمريكي كل سنتين (وهو العمر المقدّر للبطاريات)، وتستغرق اعادة شحن البطاريات الرصاصية الحمضية المستخدمة في الامباكت، مثلا، نحو ثلاث ساعات، أي ما يزيد ساعتين و٥٧ دقيقة على المدة اللازمة لإعادة ملء خزان الوقود في سيارة عادية.

وقود الهيدروجين. من أجل تطوير جيل جديد من البطاريات، اتّحد "الثلاثة الكبار" في ديترويت مع شركات صناعية رئيسية لتأسيس "اتحاد صناعة البطاريات الحديثة." وعلى رغم توظيف المجموعة ٢٦٠ مليون دولار في المشروع، فقد تكون البطاريات مصدراً موقتاً لطاقة السيارات الكهربائية، لأن الكهرباء المطلوبة لشحنها يجب أن تُنتج في مكان ما. وقد يتوافر ذات يوم مصدر بديل لطاقة أنظف كثيراً يحلّ المسألة شمولياً: الهيدروجين.

الهيدروجين هو وقود عصر الفضاء. فالمكوكات الفضائية تستخدم خلايا وقود هيدروجينية لتزويد داخل المركبة الكهرباء والماء. والغريب أن "إنيرجي بارتنرز" وهي واحدة من الشركات الرائدة في حقل تصميم السيارات التي تستخدم الهيدروجين وقوداً، طوّرت تكنولوجيتها تحت الماء لا على ارتفاع مئات الكيلومترات فوق سطح الأرض. لقد بنت الشركة مختبرها "هيدرو - لاب"، الذي يعتمد الطاقة المستخرجة من خلايا وقود هيدروجينية والذي يتدرب فيه رواد الفضاء، تحت سطح الماء. ويقول مؤسس الشركة جون بيري جونيور: "إن خلية الطاقة هي رقاقة السيليكون لعصر الهيدروجين."

كانت خلايا الوقود ضخمة ومكلفة جداً قبل تطوير غشاء تبادل البروتونات[١٤] وهو غشاء رقيق من البلاستيك معالج كيميائياً ليتمكن من نقل البروتونات. وهو يعتمد البلاتين وسيطاً حافزاً[١٥] لتأيين[١٦] الهيدروجين وفصل الكتروناته لانتاج طاقة كهربائية. وتشكّل مجموعة من هذه الأغشية مرصوفة بعضها فوق بعض، كما شرائح اللحم في شطيرة، خلية وقود صغيرة خفيفة وقابلة لأن تكون رخيصة الثمن ما يكفي لاستخدامها في السيارات.

يمكن إحراق الهيدروجين في محرك داخلي الاحتراق (طوّرت شركات «BMW» و"مرسيدس - بنز" و"مازدا" مركبات

(١٤) Proton exchange membrane

(١٥) Catalyst

(١٦) التايين (Ionization) هو تحويل الذرات الى ايونات أي ذرات مشحونة.

للأبحاث). ولكن عندما يُستخدم في خلية وقود لانتاج الطاقة، يمكن أن يسيِّر السيارة نفسها ضعف المسافة. وتخطط شركة "إنيرجي بارتنرز" لصنع سيارة تثبت صحة هذه النظرية وتعمل بخليتي وقود هيدروجينيتين. ويأمل بيري أن تبرهن التجربة أن سيارات كهذه يمكن أن تكون جاهزة للاستخدام على نطاق واسع في نهاية هذا العقد.

ومن ميزات الهيدروجين الكثيرة كناقل للطاقة، إمكان استخراجه من أي شيء تقريباً. إذ يمكن انتاجه داخل السيارة أو في محطات الوقود، وحتى باستخدام الطاقة الشمسية لتحليل الماء.

يبدو الأمر كأنه الخيال في جموحه المطلق: سيارة تسير على الشمس والماء! غير أن محطة تجريبية لتوليد الطاقة في بافاريا بألمانيا بدأت فعلا إنتاج الهيدروجين من الماء بواسطة الطاقة الشمسية. وهكذا أُرسيت أسس تمكين التكنولوجيا الشمسية من إمداد السيارات بالطاقة.

باختصار، إن التكنولوجيا اللازمة لجيل جديد من السيارات هي الآن في متناول أيدينا. وتبقى مشكلة توفير سوق كبيرة لتبرير الانتاج بالجملة الذي يجعل السيارات الكهربائية أكثر اقتصاداً وفي متناول الفرد العادي. ويبدو مؤكداً أن السيارات سوف تودِّع خلال عشر سنين عصر تكنولوجيا الغازولين التي عمَّرت قرناً...

وخلال عشرين عاماً، قد تلحق السيارات عصر الفضاء!

لسلي هازلتن ■

قطة سوداء

في نهاية أحد الأيام المضنية في عيادة الطب البيطري حيث أعمل، حضرت امرأة لاسترداد حيوانها المدلل. فأعطيتها التعليمات الضرورية لجرعات الدواء، ودفعَتْ لي قيمة الفاتورة. فدخلتُ حجرة الاقفاص وعدت بقطة سوداء صغيرة أعطيتها للمرأة. فنظرت الي بعجب وقالت: "إنها قطة رائعة ولا شك، لكنها كانت كلباً هذا الصباح."

ش.و

فضول الصغار

كان من عادة طفلتي كلما رأت قطاراً منطلقاً أن تسألني الى أين يتجه. ولم تكن إجابتي التقليدية "لا أعرف" تروي غليل حشريتها، فتعود الى السؤال: "ولمَ لا تعرفين؟"

قررت ذات يوم أن أتخلّص من سيل أسئلتها فأدّعي معرفة وجهة القطار التالي. وما إن سألتني حتى أجبتها بثقة: "الى العاصمة."

فتطلعت الي سائلة: "وكيف عرفت ذلك؟"

إ. ك.

تطلب المدير فتجيبك السكرتيرة: "أسفة، المدير مشغول، إنه في اجتماع"

حاول الاتصال بشخص ما هذه الأيام، وغالب الظن أنك ستسمع على الطرف الآخر لحناً من مقطوعة "الفصول الأربعة" تعزفه أوركسترا موزاك السيمفونية، تليه كلمات مثقلة بوقع القرار: "انه في اجتماع، ولا أستطيع إزعاجه." أو تتناهى الى مسامعك عبارة طنانة رنانة: "إنه يحضر مؤتمراً."

يبدو أن الاجتماعات تستأثر بأوقات بعض المديرين كلما أردت الاتصال بهم. وهذا قد يعني جملة أمور: فهم إما يثرثرون مع سكرتيرة مدير آخر، وإما يتكلمون مع الرئيس، وإما يتناولون طعام الغداء، وإما انصرفوا باكراً، واما أنهم حقاً منشغلون في حضّ الموظفين على الابداع في ميدان التوفير واستنفاد الطاقات.

إن واحداً من كل خمسة مديرين "مسافرين" هو في طريقه الى حضور مؤتمر ما.

إن حضور الاجتماعات يستلزم مقاربة استراتيجية وتكتيكية تختلف باختلاف

اجتماعات آخر زمان



طبيعة اللقاء، أكان مؤتمراً أم اجتماعاً. فالمؤتمرات تختلف عن الاجتماعات لأنها، في الأساس، مناسبات تُتلى فيها الكلمات على مسامعك، في حين أنك تتبادل الكلمات والآخرين في أثناء الاجتماعات.

وتتخذ المؤتمرات مظاهر مختلفة تراوح بين حلقات تطوير الادارة وترويج السلع الجديدة والاحتفالات الصاخبة. حتى انك قد تحضر مؤتمراً لمنظمي المؤتمرات.

كما تؤمِّن المؤتمرات عذراً وجيهاً لعقد اجتماع مرتجل لمجلس الادارة في غياب زميل لم يتمكن، لسوء حظه، من الحضور. ("يؤسفنا يا فلان أنك لم تتمكن من الانضمام الينا في زغرب.") وهذا مثال فاضح لـ"برنامج العمل الخفي" (وهو شبيه بـ"المنظمة الخفية" ضمن الشركة) حيث المديرون قادرون على الاجتماع والتآمر في جلسات ناشطة تُعقد بعد ساعات العمل بعيداً عن ضغوط المكاتب.

المؤتمرات الناجحة غاية في ذاتها أكثر مما هي وسيلة: "نحن موجودون، إذن نجتمع." أو العكس. وبالنسبة الى مدير نموذجي، قد تبدأ سنة المؤتمرات بـ"التخطيط الاداري العالي" في فندق الريتز في لندن، انتقالا الى الكريون في باريس "لمواجهة التحدي الياباني،" ومنها الى فلورنسا لاحياء "مهرجان المال والبذخ،" وصولا الى دافوس (سويسرا) لاجراء محادثات حول دورة الالعاب الشتائية مع رجال أعمال آخرين.

تشكل المؤتمرات جزءاً من "الادارة غيابيا" في حين تبرز الاجتماعات المعقودة في المكتب كطريقة ممتازة لاضاعة وقت الآخرين ("الادارة وفقاً لحق الأولوية.") وهناك أيضاً "اجتماعات الظلال" (اجتماعات ضمن الاجتماعات) وتتم عندما تعقد لجنة أو مجموعة انفصالية اجتماعها الخاص وتحبط الاجتماع الرسمي ("الادارة بالزعزعة.") وثمة خطة مشابهة تقضي بدعوة أكبر عدد ممكن من الأشخاص الذين لا حول لهم ولا قوة واقصاء أشخاص غير مرغوب فيهم إما بعقد الاجتماع في غيابهم وإما باغفال تزويدهم نسخة عن جدول الاعمال.

والأمر سواء بالنسبة الى المحضر. فخير وقت لكتابة المحضر هو قبل الاجتماع، على أن يوزّع على نخبة مختارة ويعكس ما تقرّره هي لا ما يقترحه المشاركون. وقد يرغب المدير أيضاً في توزيع المحضر على أشخاص أجروا معه "دردشة" بسيطة في مكتبه أو في أثناء رحلة جوية.

إن تسمية "اجتماع" كفيلة بإضفاء صبغة رسمية على أي نوع من المحادثات ("ادخل يا فلان، فنحن نعقد اجتماعاً" أو "هل تذكر يا فلان الاجتماع الذي عقدناه في الطائرة ونحن عائدون من باريس؟")

إن الابقاء على المبادرة هو جوهر الاجتماعات. لذا على المرء أن يفكّر في مكان انعقادها. وقد تبدو المقاربة

عرضية: "أين نعقد الاجتماع، في مكتبك أم في مكتبي؟" أو: "لقد تدبّرت فتح قاعة مجلس الادارة." وقد يكون المرء أكثر حزما: "أخذت قراراً بوجوب الاجتماع خارج المكتب." وعليه أيضاً أن يأخذ قراراً بالمجيء باكراً مما يستلزم تغيير الموعد في اللحظة الأخيرة ("ظننت أننا سنبدأ باكراً يا فلان، سأزودك المعلومات لاحقاً") أو بالتأخر في المجيء ("عذراً على تأخري يا فلان، هلا أعطيتني ملخصاً سريعا لما سبق؟") أو بالتخلف عن الحضور.

إن أي استراتيجية يعتمدها المرء ترتبط أساساً بمن يرئس الجلسة. فبعض الاجتماعات تفتقر في البداية الى من يديرها، ثم يبرز رئيس للجلسة بفضل مركزه أو قوة شخصيته. والدور المفيد الذي يمكن الاضطلاع به هو دور "رئيس الظل" الذي يتحدث كما لو أن الكلمات تنبعث من المقاعد الخلفية. فغالباً ما يشكل ذلك مقدمة لادارة اجتماع ضمن اجتماع.

وقد يضطر المرء الى أخذ قرار في شأن طريقة تقديم العرض، فيختار الشرائح المصورة (سلايد) أو الجداول البيانية أو الكتابة المعروضة على شاشة. والاختيار الأخير مفيد جداً لحفز الحضور على الطلوع بأفكار بارعة حين يضبط الاجتماع بتدوين انتقائي لما يقولون.

إن تدوين ملاحظات – أو عدم تدوينها – قد يرتبط بنوع القرار الذي يُنوى أخذه. وقد يختار المرء تسليم نسخ من عرضه قبل الاجتماع أو خلاله أو بعده، ويحدد الأشخاص الذين يسلمهم اياها.

وقد تملي عليه خطته فض الاجتماع لتناول الغداء، أو مواصلته، أو طلب شطائرٍ الى المكتب. وتتّسم الاجتماعات التي تُعقد صباحاً على الفطور بطابع الحزم والالحاح الطارىء. ولعل الأشخاص الذين يود المرء مقابلتهم مرتبطون لأسابيع مقبلة على الغداء أو العشاء، إلا أنهم قد يتمكنون من إقحام موعد على الفطور ليوم غد. فأنا أعرف أشخاصاً يدوّنون في مفكرتهم اجتماعات فطور كثيرة.

الاجتماعات التي تُعقد على الهاتف – كالمؤتمر الذي يبثّه القمر الاصطناعي من يخت مبحر – تمتاز بطابع وحيد هو طابع الأمر الطارىء والانجاز المزعوم. وهي تغني المرء عن الاستعداد لها وارتداء الثياب الملائمة. ولا بد من أن يعثر على من يدّعي أنه مشغول في مؤتمر ما.

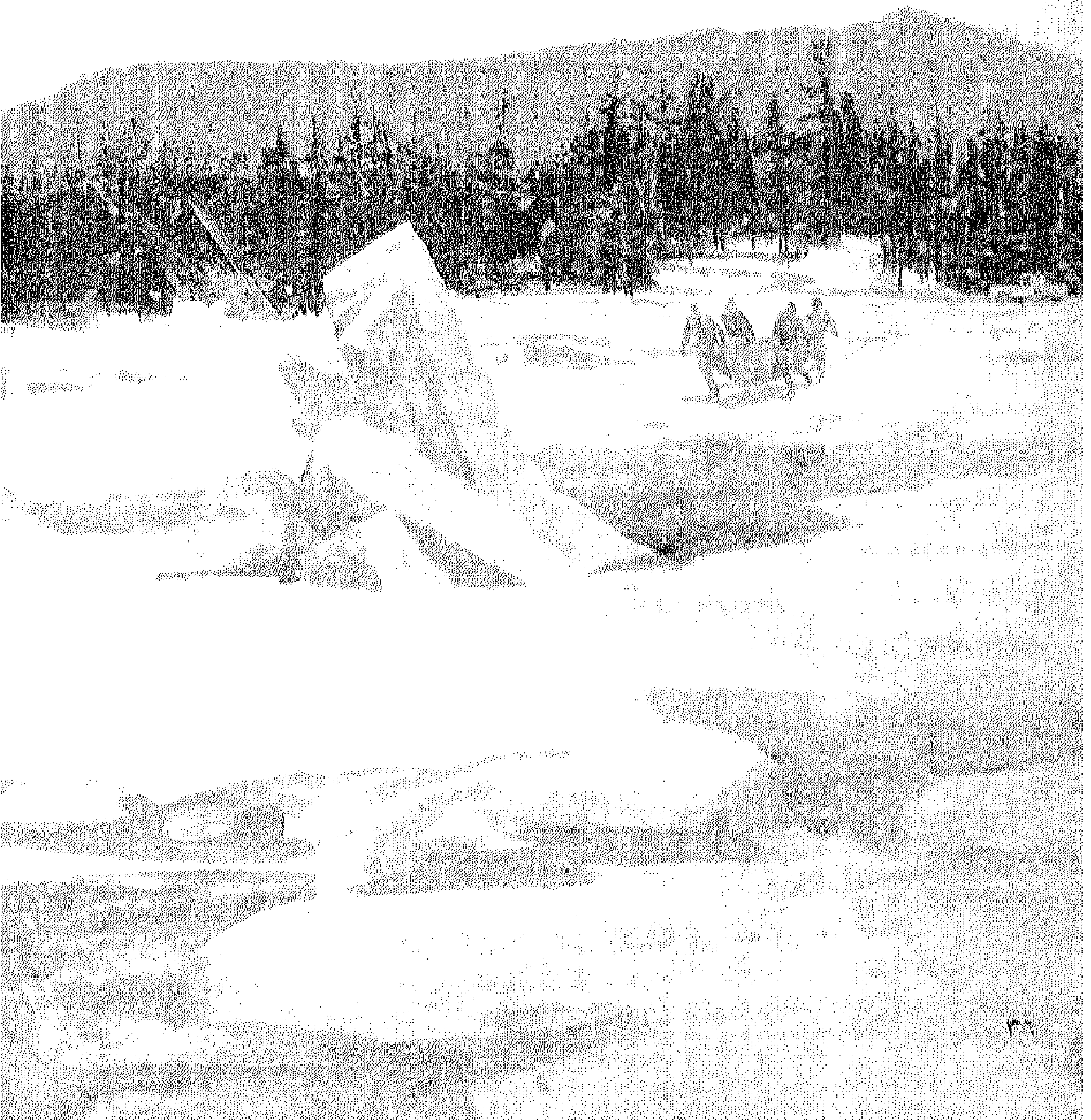
روجر كوليس ■

القوّة التي ترعى الحياة في بذرة الاحلام هي رغبتنا في تصوُّر غد أفضل.

إعلان "توشيبا"

قصة من واقع الحياة

سجين النهر المتجمّد

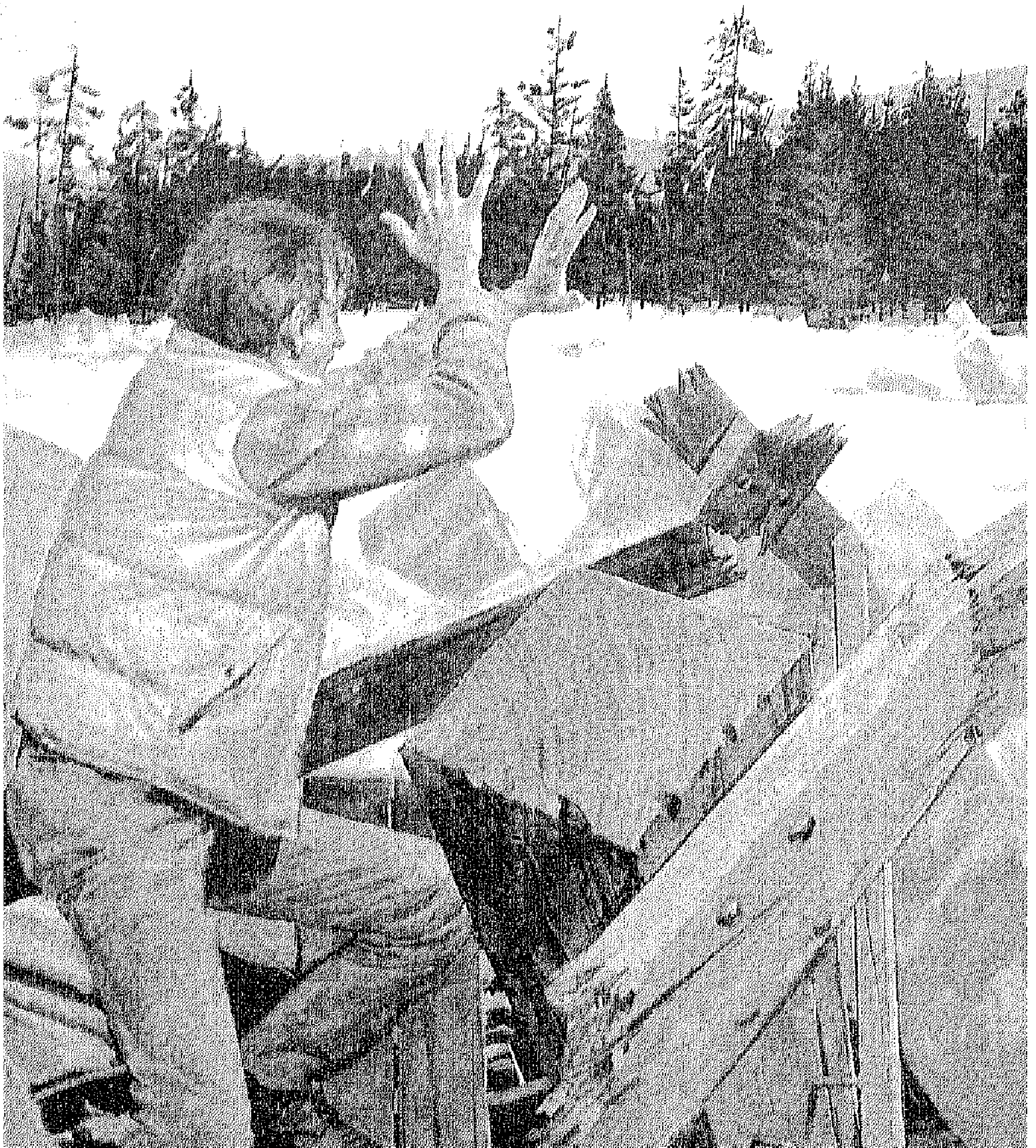


وقف دونا بيلتييه (٤٣ عاماً) على الجسر الخشبي فوق نهر سانت جون المتجمد في شمال ولاية ماين، وهو خشّاب هادئ نحيف البنية كان في تلك الساعة، كما في سنوات فائتة، يساعد على تفكيك الجسر المبني بالصلب والخشب لانقاذه من التحطم بفعل كتل الجليد المتكسّرة.

مع كل ربيع يتولد ضغط هائل في المياه المحصورة تحت شرائح ضخمة من الجليد عائمة على صفحة النهر بسماكة ثلاثة أمتار. ولا بد لهذا الضغط من أن يجد متنفساً. عندئذ تنطلق المياه عبر النقاط الضعيفة في صفحة النهر المتجمدة المثقلة بالجليد، فتنفجر الشرائح فجأة وتندفع كاسحة كل ما يعترض طريقها.

كان ذلك ظهر أحد أيام ابريل (نيسان) اللطيفة، وكان مع بيلتييه خشّابان آخران صديقان له منذ الطفولة من قرية سان

ILLUSTRATION: CHRISTOPHER MAGADINI



بامفيل في مقاطعة كيبيك الكندية، هما ريمون بورغو (٤٩ عاماً) الذي كان يفكك إحدى الركائز الخشبية الضخمة التي تدعم الجسر، وبانفيل لوكلير (٥٨ عاماً) الذي كان يقود شاحنة رافعة ذات شوكتين يزيل بها الالواح والعوارض. وعلى الضفة، وضع المشرف على الورشة إتيان أفوان (٥٨ عاماً) دلواً من المسامير الملولبة وتوجه عائداً الى الجسر.

فجأة أخذت المياه ترتفع تحت الجليد وكأن ثمة حنفية جبارة فُتحت، فراحت ترفع معها القشرة السميكة. أحسّ بيلتييه بارتجاج تلاه صوت تصدّع حاد اخترق السكون وتبعته فرقعة متقطعة. واذا بأطواف جليد ضخمة تبرز فجأة على سطح الماء، وبدعائم الجسر التي تزن كل منها عشرة أطنان تتمايل من جنب الى جنب.

فصرخ بيلتييه: "الجسر ينهار!" وركض الى الضفة. وما هي إلّا لحظات حتى دوّم قرب الركائز طوف ضخم راشّاً الدعائم المائلة بأمواج مزبدة.

"تمسك جيداً!" وقف أفوان وبيلتييه على الضفة يحدقان الى ما يحدث وهما يكادان لا يصدقان ما يشاهدان. فقد كان الجسر البالغ طوله ١٥٠ متراً يترجح بعنف الى الامام والى الخلف. ثم تمزقت أوصاله المعدنية وانقطع الصلب الثخين المتماسك في أرضيته وتطايرت الألواح الخشبية في الهواء، وطارت معها شاحنة لوكلير الرافعة ثم حطّت على أطواف الجليد. فتمزقت ركائز الجسر المستطيلة الفارغة، وانفصلت عن مرتكزات الاسمنت المسلّح التي كانت مثبتة فيها، وهوت، فجرفها التيار المندفع بسرعة ٥٠ كيلومتراً في الساعة. وهكذا غاب الجسر في أقل من دقيقة، وغاب معه لوكلير وبورغو.

غشت الدموع عيني بيلتييه فيما راح يبحث عن علامة حياة في المياه الثائرة. وقد غرقت الرافعة تحت سطح الجليد. أما لوكلير فلم يظهر له أي أثر. وفي النهاية لمح بيلتييه زميله بورغو يبرز من داخل ركيزة مقلوبة حُشرت في زحمة من كتل الجليد على بعد ٦٠ متراً في مجرى التيار. كانت الركيزة الضخمة غارقة جزئياً ومائلة في زاوية من ١٥ درجة، وقد تشبث بورغو بالعمود داخلها. وتحته، على عمق أقل من مترين، كان الجليد يتمخّض ويرغو مهدداً بالهلاك.

وفيما كان أفوان يتصل لاسلكياً طالباً النجدة، راح بيلتييه يخوِّض في الثلج العميق المتراكم على الضفة محاولا الاقتراب من صديقه ما أمكن. وناداه: "هل أنت مصاب؟"

فردّ بورغو: "ساقي."

فصاح بيلتييه: "تمسّك جيداً، سننقذك!"

لكن زحمة كتل الجليد انفرجت، فانجرف بورغو مقلوباً مع الركيزة التي تقاذفتها المياه فعلقت بزحمة ثانية.

في هذه الاثناء تمكن أفوان من الاتصال برئيسه دوني بلانشيه (٤٢

عاماً) في منشرة الخشب في سان بامفيل على بعد ٢٣ كيلومتراً. طلب بلانشيه نجدة طارئة، ثم جمع عمالا خارج مكتبه وأخبرهم بما حدث طالباً من ثلاثة أن يأخذوا زورق الشركة من عنبر مجاور ويلاقوه عند النهر. كان الخطر الداهم يقتضي العمل بسرعة قصوى لأن الركيزة المترجحة قد تنقلب في أي لحظة فيغرق بورغو في المياه الجليدية.

قفز بلانشيه الى شاحنته الصغيرة واندفع في الطريق المخددة الى نهر سان جون. وحين وصل الزورق الآلي المصنوع من الألومنيوم، ربطه الرجال الى جرار وسحبوه في محاذاة الشاطىء الى أقرب نقطة من بورغو.

هناك، حذّر أفوان زميله بلانشيه من عواقب إنزال زورق صغير الى الماء في مثل هذه الأحوال، لأن تفجرات الجليد والحطام المتراكم تحت سطح الماء قد تضربه من دون انذار. واذا زال الانسداد وانطلقت كتل الجليد المحصورة فسيُسحق الزورق كأنه عود ثقاب.

قوة خفية. حدّق الرجال الى بورغو وهو على بعد حوالى ١٠٠ متر منهم، مكبَّل بالجليد في أوسع نقطة من النهر. كان الجميع يشاطرون أفوان تخوفاته، وفي الوقت ذاته يدركون أنه لا يسعهم انتظار وصول فريق الطوارىء الى هذه البقعة البعيدة. كان لا بدّ لهم من القيام فوراً بمحاولة انقاذ.

التفت بلانشيه الى الرجال متجهماً وطلب متطوعين. فتقدّم ريجان ميلفيل (٣٦ عاماً) وهو رياضي فارع القامة ومن هواة الملاكمة. ثم التفت بلانشيه الى غي برنييه (٤١ عاماً) وهو إطفائي متطوع قصير القامة، وسأله: "هل تأتي معنا؟"

فردّ برنييه: "نعم."

وإذ كان بلانشيه يدرك أن ثمة حاجة الى متطوع رابع لقيادة الزورق، طلب من بيلتييه المساعدة، فردَّ هذا بلا تردد: "بكل تأكيد."

كان بيلتييه وعد بورغو بانقاذه، وهو سيحاول الآن الوفاء بوعده. لم يكن يجيد السباحة، لكنه عرف كالآخرين أن المياه الجليدية ستقتلهم في دقائق معدودة إذا سقطوا فيها.

لقد راقب بلانشيه هؤلاء الرجال سنة بعد سنة وهم يعملون بحماسة لا تعرف الكلل، ورآهم يربّون عائلاتهم ويواظبون على الصلاة ويشاركون في الأمور الاجتماعية. وها هم الآن مؤتمنون على حياة أحدهم.

وكان أولئك الرجال اعتادوا مشاهدة "سباق الزوارق" وهو رياضة كندية — فرنسية شتائية حيث يركض المتنافسون أزواجاً على صفحة المياه المتجمدة وهم يدفعون زوارقهم،* وحين تبين في الجليد فتحة وتنكشف المياه، ينزلون الزوارق ويجذفون. ويتطلب هذا السباق مهارة وجرأة ودقة في التوقيت والتوازن والعمل كفريق. ومع أنه لم يسبق لأي من هؤلاء الرجال الأربعة أن اشترك في هذه

(*) Canoes

الرياضة، إلّا أنهم عزموا، في محاولتهم اليائسة لانقاذ رفيقهم، على استخدام التقنية العملية ذاتها. لكن زورقهم كان ثقيلا ضخماً وصعب المأخذ.

أعطى بلانشيه تعليماته: يجلس هو وميلفيل في مقدّم الزورق، ويجلس برنييه وبيلتييه وراءهما.

وفيما كان الرجال يرتدون سترات النجاة، راح أفوان يتنقل بينهم هادئاً يشجعهم ويسدي اليهم النصائح. فشرح لهم أن الانسداد الجليدي الكبير الذي يحتجز بورغو ناشىء من التحام انسدادين صغيرين، وأن كلا من هذين الانسدادين يحتجز الركيزة التي يتشبث بورغو بداخلها، وخلال ٢٠ دقيقة انفصل كلاهما تحت ضغط أمواج قوية نشأت عن تجمع المياه خلفهما. فاذا حدث وتكرّرت هذه الدورة في فترة مماثلة، فسينحلّ الانسداد في غضون ١٥ دقيقة. وقدر المنقذون أن هذه الدقائق الحاسمة هي كل ما بقي لديهم من وقت.

استدار ميلفيل الى أفوان رئيس الفريق وسلّمه محفظته وخاتم زواجه، ثم اتخذ مقعده في مقدم الزورق قائلا: "اذا ساءت الأمور، قل لزوجتي إنني أحببتها."

قبض الرجال الأربعة على جوانب المركب وهم صامتون متجهمون محنيو الرؤوس يتطلعون الى النهر كأنهم في وضعية سباق. وهتف بلانشيه: "لننطلق!"

فجأة شعر بلانشيه بأنه عديم الوزن كأن قوة خفية دفعته في الهواء. التفت الى ميلفيل المنحني في مقدم المركب ورجلاه تنثنيان في دفع منتظم. كانوا جميعاً يجذفون بانسجام فوق صفحة النهر المتهادية. فأدرك بلانشيه أن القوة الجبارة الدافعة كانت قوتهم هم.

صيحات مسعورة. لم يسمع الرجال خلال انطلاقهم إلا صوت تنفسهم المرهق وصوت ارتطام الزورق المعدني بالجليد. لقد اعترضتهم قطع كبيرة من الجليد قذفها التيار فاضطرتهم الى التعرج لتفادي صدمها ولالتزام سرعة الاندفاع.

في نقطة لا تبعد كثيراً عن الشاطىء، شاهد ميلفيل سيلا جارفا عرضه حوالى ثمانية أمتار وهو يندفع مموَّهاً تحت قشرة رقيقة من الجليد. فما كان من الرجال الّا أن اقتحموا الجليد الشفاف بعزم فولاذي سامعين فرقعته وراءهم.

قطعوا ٣٠ متراً متفادين برك الماء القائمة بين قطع متنقلة من الجليد. وبدأ التعب ينال منهم. فأخذ بيلتييه يتنفّس بألم، وشعر برنييه بالتشنج، وكان صدر بلانشيه ينتفض والعرق يكاد يعمي بصره. حتى ميلفيل القوي المعروف عنه أنه يستطيع نشر الخشب بيد واحدة بدأ يشعر بالارهاق.

كانوا يجاهدون للتمسك بجوانب المركب كي يحافظوا على توازنهم، فتابعوا مسيرتهم متعثرين وأرجلهم تتحرك ميكانيكيا. أخيراً، بعدما اقتحموا الجليد مجتازين نصف المسافة في اتجاه بورغو، باتوا جميعهم منهوكين.

وحين وصلوا الى طوف بدا لهم متيناً جامداً وممتداً الى حيث الانسداد، قال بلانشيه: "لنتوقف لحظة." فكفّوا عن التجذيف وأرخوا العنان للمركب كي ينساب حتى توقف تلقائياً. فانحنوا عليه مرهقين وهم يحاولون التقاط أنفاسهم.

عندئذ قال ميلفيل لاهثاً: "لقد اقتربنا، فلا تنقصنا سوى وثبة أخرى لنكون هناك."

في غمرة الهدوء، شعر المنقذون فجأة باهتزازات كالزلزال صادرة من عمق الانسداد، وتناهت الى مسامعهم أصوات كالرعد المكتوم. فقد تحقق أسوأ مخاوفهم: بدأ جليد الانسداد يتفجر.

لم تُتح لهم الراحة إلا لثوان تبادلوا بعدها نظرات القلق وأمسكوا بالزورق من جديد وعادوا الى التجذيف.

واذا بصيحات مسعورة مشوبة بالهلع تترجّع عبر الأثير فوق النهر: "سينهار الجليد!" كانت تلك صيحات بورغو الذي نجح في التسلّق الى أعلى الركيزة وشعر بتحرك الجليد اذ ازداد الثقل على الطوف لدى اقتراب الرجال.

فرد هؤلاء: "إبق صامداً، نحن قادمون!"

غلى الدم في عروق المتطوعين وألهب عزيمتهم فاندفعوا الى الأمام مقتحمين صفحة النهر المغطاة بقشرة شفافة من الجليد، فيما استمرت كتل الجليد تئنّ في قلب الانسداد منذرة بأسوأ مصير.

انتصبت ركيزة الجسر أمامهم في سجنها الجليدي، فحذّر بلانشيه بورغو من القفز، واقترب مع فريقه بحذر الى قاعدة الركيزة. فتطاول بلانشيه وبرنييه وتناولا بورغو وساعداه على النزول الى الزورق.

"الحمد لله! الحمد لله!" ردّد بورغو تكراراً حين ألفى نفسه آمناً في الزورق. وكان لا يزال مذهولا ومصاباً بالدوار.

"هذا ما تعلمناه." كان الوصول الى بورغو منح الرجال المنهكين دفعاً جديداً من القوة. إلاّ أنهم أدركوا أن الأسوأ قد يكون بعد في انتظارهم. كانت أقرب نقطة من اليابسة شبه جزيرة ممتدة من الضفة المقابلة. فاذا استطاعوا الوصول الى خليجها الصغير بلغوا بر الأمان. لذلك ابتعد المنقذون بالمركب عن مكان الانسداد واندفعوا مجذفين في اتجاه الارض الصلبة.

قبل بلوغهم الشاطىء بنحو ثلاثة أمتار تحول الجليد ثلجاً نصف ذائب غمر المركب والرجال. فغرق برنييه وبيلتييه في غماره حتى صدريهما. وبذل الرجال أقصى الجهد ليظلوا متمسكين بالزورق. فجأة انبرى ميلفيل بقامته الجبارة فاخترق حاجز الثلج الذائب وسحب المركب الى الضفة بكل ما تبقى له من قوة.

وما هي الا لحظات حتى دوّى انفجار مروّع. فقد زال الانسداد وتحرّرت كتل الجليد الضخمة. فاستدار ميلفيل ورآها تتدفق متدافعة عبر النهر لتتشظّى ثم تتحول سديماً ضبابياً رقيقاً ارتفع فوق

صفحته. ثم ظهرت ركيزة بورغو مقلوبة وسط النهر الهائج.

أما بورغو فسقط منهاراً على الضفة وهو يرتجف بشدة، وتحلّق منقذوه الأشاوس حوله وجميعهم في حال من الضنك والارهاق.

سألهم بورغو أخيراً: "لماذا فعلتم ذلك؟"

فردّ بلانشيه: "لأن هذا هو ما تعلّمناه."

وتبسَّم الجميع، فلا حاجة الى شرح.

عولج بورغو في مركز طبي مجاور لاصابته بصدمة وباجهاد عضلي حاد. أما جثة لوكلير، سائق الشاحنة الرافعة، فظلت مفقودة مدة شهرين الى أن عثر عليها أخيراً على بعد ٢٠٠ كيلومتر نزولا في النهر.

ومُنح المنقذون ميداليات تقديرية لعملهم البطولي. واليوم، بعد قرابة سبع سنوات، ما زال أفوان وبيلتييه يساعدان في تفكيك الجسر الخشبي قبل تكسّر الجليد في أوائل كل ربيع.

شلدون كيلي ■

ترجمة الياس عقل



متى تخرجت؟

دعيت الى احتفال لخريجي جامعتي. وفي اثناء السهرة رحت أتحدث الى بعض المدعوين، فسألت احدهم وكان كهلا أنيق المنظر: "في أي سنة تخرّجت؟"
أجابني: "أنا لم أتخرّج في هذه الجامعة."
فقلت له ممازحاً: "لا يجدر بك أن تكون هنا اذاً."
فضحك ولم يجب. وما هي الا لحظات حتى دعا عريف الاحتفال رئيس الجامعة الى إلقاء كلمته. فتوجه صاحبنا الى المنبر.

ش.م.

ربة المنزل

كاد التوفيق بين عملي وواجباتي المنزلية يدفعني الى الجنون. فقد كنت أعمل بلا توقف من الصباح الى المساء. وفي النهاية طلبت من زوجي أن يفسّر الوضع للاولاد علّ العائلة تخفف عني قليلا. ففعل.
وبعد عظة طويلة عن ضرورة الوقوف الى جانبي ومساعدتي، سأله ابني الاصغر: "ماذا لدينا للعشاء يا أبي؟"
فاجابه: "لا أدري، اسأل أمك."

هـ. إ.

اضطرابات النوم هل لها علاج؟

قد تكون للأرق أسباب صحية يستطيع الاختصاصيون تحديدها

عمل تيموثي ستو باجتهاد ومارس الرياضة بانتظام واعتقد أنه ينال قسطاً وافراً من النوم. ومع ذلك لم يشعر بالراحة أبداً وكان يغط في النوم خلال الاجتماعات، وتسبب في أربعة حوادث سير بعد اغفائه وراء المقود. أخيراً لم يجد طبيبه بداً من إحالته على "مركز مينيسوتا لاضطرابات النوم" في مينيابوليس.

وُضع ستو في غرفة هادئة، فاستسلم للنوم في الموعد المعتاد بعدما ثبتت مجموعة من الالكترودات[١] في أنحاء مختلفة من جسمه لتتبُّع النشاطات في دماغه وقلبه وعينيه ووجهه وساعديه وساقيه.

وسرعان ما أدرك الأطباء أن ستو كان ضحية لعلّة "الأپنيا" أي انقطاع التنفس في أثناء النوم.[٢] فحين ينام يتثنى النسيج

(١) الالكترود أو اللاحب قطب كهربائي.

(٢) Sleep apnea. راجعوا مقال "الشخير متى يصبح خطراً على الحياة؟" في عدد يونيو (حزيران) ١٩٩٠ من "المختار".



الناعم في مؤخّر حلقه، قرب قاعدة اللسان ساداً مجرى الهواء. وكلما انقطع تنفسه – نحو ١٠٠ مرة في الساعة – ينبهه دماغه ليستيقظ ويعاود التنفس، فلا يعود الى كامل وعيه، ولا يستغرق في نوم عميق مريح.

تصيب الأپنيا ملايين الناس ولاسيما المتوسطي العمر والبدناء. وتبدأ المشكلة تدريجاً بشخير عال متمادٍ. وفي وقت لاحق، يتبع كل فترة شخير توقف عن التنفس لفترة وجيزة. وفي الحالات العسيرة تمضي الضحية معظم وقت نومها من دون تنفس.

أُعطي ستو جهاز «CPAP» [٣] للضغط الايجابي المتواصل عبر مجرى الهواء، وهو كمامة من المطاط موصولة بوحدة صغيرة تمدها بضغط هوائي يكفي لابقاء مجرى التنفس مفتوحاً. وحين يخلد ستو الى النوم يضع الكمامة على أنفه ويشغل الجهاز. وهو يقول: "لا أشعرٍ بأني في حال أفضل فحسب، بل إني بتُ أكثر يقظة وأسرع إدراكاً للأمور."

ويبيّن استطلاع أجرته مؤسسة "غالوب" بتكليف من "المؤسسة الوطنية للنوم" أن أكثر من ثلث الأمريكيين، أي نحو ٩٠ مليون نسمة، يجدون مشقة في النوم. فالافتقار الى النوم، بحسب الدكتور وليم ديمنت مدير "عيادة أبحاث اضطرابات النوم" في بالو ألتو وتوماس روث مدير "مركز اضطرابات النوم" في مستشفى هنري فورد في ديترويت، يكلف مليارات الدولارات سنوياً ويوقع ألوف الضحايا في أماكن العمل وعلى الطرق. وتقدِّر وزارة النقل الامريكية أن ٢٠٠ ألف من حوادث السير التي تقع سنوياً مردّها الى اضطرابات النوم.

وتتباين متطلبات النوم كثيراً، لكن معظم الناس يحتاجون الى ما بين سبع وثماني ساعات من النوم يومياً. والنقص الحاصل في ساعات النوم الضرورية هو تـراكمـيّ. فبحسب تـومـاس روث الاختصاصي باضطرابات النوم، فإن المرء اذا ما خسر ساعة نوم كل ليلة على مدى ثلاث ليال فذلك يعادل خسارة ثلاث ساعات في ليلة واحدة. والأهل الذين يأخذون على أولادهم المراهقين أنهم كسالى ينامون حتى الظهيرة في عطل نهاية الاسبوع هم على خطأ. فغالباً ما يحرم المراهقون أنفسهم ساعات من النوم خلال الاسبوع بحيث تطالب أجسادهم بما لها من دين عليهم في العطل.

وكثيرون من الناس يعانون مشاكل نوم مزمنة. وقد درج الأطباء على اعتبار هذه الاضطرابات حالات نفسانية. لكن الامر ليس كذلك، كما يقول الدكتور مارك مـاهوفلـد الاختصاصي بـالامـراض العصبيـة ومديـر مركـز مينيسـوتـا لاضطرابات النوم. فمعظم المرضى الذين يعانون اضطرابات في النوم يمثلون حالات صحية تمكن معالجتها. فالى الأپنيا، تشمل هذه الاضطرابات الحالات الآتية:

(٣) Continuos Positive Airway Pressure

أعراض الأرجل المتململة.[٤]

عندما بلغت كارول درسل الحادية والثلاثين من عمرها، بدأت تستيقظ كل ليلة بعد ساعة ونصف ساعة من النوم. وكان التململ في رجليها يرغمها على النهوض وذرع الغرفة جيئة وذهوباً.

فوصف لها الطبيب مسكّنات وحبوباً منوّمة وفيتامينات، ولكن من غير ذي جدوى. ومع السنين لجأت الى معالجين بوخز الابر وبتقويم العمود الفقري يدويا، لكنها ظلّت عاجزة عن ملازمة الفراش لأكثر من ١٥ دقيقة متواصلة. وأملت أن يساعدها تغيير موضع النوم، فجربت عدة أماكن في المنزل بحيث كان زوجها يجدها في الصباح مستلقية في حوض الاستحمام أو في خزانة الملابس أو في السيارة ودموع الاحباط منهمرة من عينيها. وبلغ منها الانهاك حداً أعجزها عن أداء أبسط المهمات.

أُحيلت درسل على مركز مينيسوتا لاضطرابات النوم حيث شخّص الاطباء أنها تعاني علّة "الحركة الدورية" أو "أعراض الأرجل المتململة." فخلال محاولة النوم، يعاني المصابون بهذا الاضطراب إحساساً مزعجاً يجعل أرجلهم تنتفض حتى ٩٠ مرة في الساعة.

وليس لهذا الاضطراب علاج معروف، انما تمكن معالجة أعراضه بفاعلية. فقبل وقت النوم ببضع ساعات تتناول درسل الآن أربع حبات تحوي مجموعة أدوية دقيقة الاعداد لا تسبب جرعتها الخفيفة أعراضاً جانبية ولا تؤدي الى الادمان.

ومذ أخذت تتناول الدواء أصبحت تنام ملء عينيها. وهي تقول: "لا أستطيع الكف عن الكلام لشعوري بأني في حال جيدة جداً. فهل تتصورون مدى اغتباطي بعد انقضاء ٢٣ سنة من المعاناة ؟"

الخُدار.[٥] جنيس فورتز (٣٢ عاماً) مترجمة للغة الاشارات لفاقدي السمع، وجدت نفسها فجأة تكافح لطرد نوبات نوم مفاجئة في النهار. وكانت النوبات تدهمها غالباً وهي تقود سيارتها من منزلها الى عملها. وفي محاولات يائسة للبقاء صاحية، كانت تأكل أو تمضغ علكة (لبانا) أو تفتح نوافذ السيارة. ولطالما توقفت محبطة ونزلت من السيارة لخوفها الشديد من إصابتها بنوبة نوم مفاجئة في أثناء القيادة.

أُحيلت جنيس على مركز اضطرابات النوم في مينيسوتا حيث وُجدت تعاني الخُدار، وهو مرض وراثي يظهر عادة في أواخر سني المراهقة أو في أوائل سنوات البلوغ، ويتميز بميل قاهر الى النوم تعقبه نوبات مفاجئة من النوم العميق خلال النهار. ومهما حاول المصاب مقاومة النعاس فقد يجد نفسه شبه عاجز عن البقاء مستيقظاً، كما قد يعاني كآبة وانحطاطاً في القوى وفقداناً للذاكرة وهلوسة حين يكون الدماغ في حال بين النوم واليقظة.

---

(٤) Restless legs syndrome

(٥) Narcolepsy . وهذه حال مرضية تتميز بنوبات نوم عميق قصيرة.

وصف الاطباء لفورتز دواء منشطاً خفيفاً. وهي اليوم لا تجد صعوبة في البقاء مستيقظة، وتقول إنها تعمل على نحو أفضل ولا تخشى قيادة السيارة.

حركة العين السريعة.[٦] كان غوردن ماذر (٦٧ عاماً) رجلا هادئاً لطيفاً، لذا فوجىء ذووه ومعارفه حين بدأ يكيل الشتائم ويرتمي على أثاث المنزل ويركل زوجته كارول، كل ذلك وهو نائم نوماً عميقاً. وكان حين يستيقظ فلا يتذكر شيئاً مما حدث.

أخيراً وُجد ماذر مصاباً باضطراب في السلوك أثناء النوم يدعى "حركة العين السريعة" وهي حال تصيب متوسطي العمر والمسنين.

يقول كارلوس شنك وهو عالم نفساني يعمل في مركز مينيسوتا: "غالبا ما يُشخّص المرضى الذين يعانون اضطرابات في السلوك أثناء النوم بأنهم مصابون باضطرابات نفسانية أو بداء الصّرع. انما في الواقع هناك سبب طبّي مختلف ولدينا له معالجة بسيطة وآمنة."

لجأ شنك الى معالجة ماذر بجرعات خفيفة من دواء مضاد للتشنج ثبتت فاعليته في ٩٠ في المئة من حالات "حركة العين السريعة" التي عولجت في المركز. ومنذ أربع سنوات وماذر ينام بسلام.

أهوال الليل والمشي في النوم. تلك، بحسب "الجمعية الامريكية لاضطرابات النوم"، مشاكل شائعة بين الاولاد الذين تراوح أعمارهم بين الرابعة والثانية عشرة. فالولد المصاب بالرعب ليلا يصرخ ويتلوى كأنه في قبضة كابوس رهيب، وقد يستيقظ مبللا بالعرق ومرتبكاً، لكنه لا يتذكر أي شيء.

يقول ماهوفلد: "نادراً ما تشير هذه الاضطرابات الى مشاكل نفسانية، وعلاجها لا يتطلب عادة سوى طمأنة بسيطة من والد عطوف." وهو ينصح الاهل باللجوء الى اختصاصيين في حال أظهر الطفل سلوكاً عنيفاً أو مؤذياً في أثناء نومه. ويضيف: "اخترق أحد الاولاد باباً زجاجياً وهو يمشي نائماً مما اقتضى تقطيب جروحه بمئات القطب. ومع أن الاولاد يكبرون ويتجاوزون تلك المشكلة، فان المشي في النوم ينطوي على خطر، ونحن نستطيع عمل شيء حياله."

والاطباء يعلّمون مُشاة النوم تقنيات للاسترخاء، ويصفون لهم أدوية خفيفة الجرعات. وللتنبه الى متى يستيقظون، ودرءاً للخطر، يوصى الآباء باقفال نوافذ غرف النوم وربط أجهزة انذار الى أبوابها.

الأرق.[٧] إن عدم القدرة على النوم ليس اختلالا في ذاته بل مؤشر لمشكلة أخرى قد تكون علة جسدية.

في هذه الحال، يُستحسن أن تسجلوا على مدى أسبوع أو أسبوعين مواقيت

(٦) Rapid — eye — movement
(٧) Insomnia

خلودكم الى النوم ونهوضكم في الصباح، فضلا عن مواعيد التمارين وتناول القهوة أو الشاي، وذلك لمعرفة العادات التي قد تؤثر في نومكم. كما ينصحكم الخبراء بالآتي:

□ تجنبوا تناول الكافيين خلال الساعات الست التي تسبق موعد النوم.

□ تجنبوا التدخين وتناول الشراب قبل النوم مباشرة.

□ مارسوا تمارينكم قبل ثلاث ساعات من وقت النوم.

□ لا تأخذوا قيلولة في النهار.

□ راعوا أن تناموا وتفيقوا في مواعيد محددة. واستعينوا بساعة منبهة للنهوض في الموعد المحدد كل صباح سواء أنعمتم بنوم هانىء أم لا.

□ استخدموا غرفة النوم للنوم فقط. واقرأوا وشاهدوا التلفزيون وتناولوا الطعام وتجادلوا ما شئتم في أماكن أخرى.

□ لا يغب عن بالكم أن الحبوب المنومة لا توفر إلا راحة وقتية. ولا تتجاوزوا ارشادات الطبيب في ما خص ذلك، وراعوا ألا تتناولوها لأكثر من ثلاثة أسابيع كل مرة. كما ينبغي مراعاة الحذر في تناول الحبوب التي تباع من دون وصفات طبية.

□ لا تتقلبوا في فرشكم اذا ما فاتكم النوم خلال ١٥ دقيقة، بل انهضوا واقرأوا أو شاهدوا التلفزيون الى أن يغلبكم النعاس.

□ اذا لازمكم الارق، فلا تتوانوا عن استشارة طبيب.

جون ج. هوبل ■



رجاء من القلب

كانت الطائرة عابرة فوق المحيط الاطلسي في رحلتها الليلية الطويلة. فسألت المسافرة زوجها: "هل ستستمر جلبة المحرّكات طوال الليل؟"

فأجابها: "آمل ذلك يا عزيزتي."

ر.ل.

توأمان

كان من عادة الام أن تغسل وجه ابنتيها التوأمين وأيديهما قبل اصطحابهما الى الحديقة العامة. وذات يوم بعدما انتهت من هذه المهمة نظرت الى احداهما وقالت لها: "كيف اتسختِ بسرعة؟ لقد غسلت وجهك ويديك قبل لحظات."

أجابت الفتاة: "لا يا أمي، لقد غسلتِ وجه شقيقتي ويديها مرّتين."

ت.هـ.

قصص أربعة مشاهير يؤكدون
أن المهم ليس ما نكسب بل ما نتعلم

وظيفتي الأولى ١

ماسح الاحذية

أدار والداي مطعماً صغيراً للعائلة في بلدة شارلروا بولاية بنسلفانيا، وكان يفتح ٢٤ ساعة في اليوم سبعة أيام في الاسبوع. وأول عمل زاولته وأنا في السادسة من عمري كان مسح أحذية الرواد. وقد امتهن أبي هذا العمل في صغره، فعلمني كيف أتقنه، طالباً مني أن أتأكد من رضى الزبائن وأعيد مسح أحذيتهم إن لم يعجبهم عملي.

ازدادت مهماتي مع تقدمي في العمر. وعندما بلغت العاشرة بدأت أنظف الطاولات وأمسح الارض. وذات يوم أشرق وجه أبي بابتسامة عريضة عندما أخبرني أني أفضل "ماسح" عمل لديه.

كان العمل في المطعم مبعث فخر كبير لي لأني وجدت نفسي أشارك في تأمين دخل العائلة. لكن والدي أوضح لي أن لا بدّ لي من امتلاك مواصفات معينة قبل أن أصبح جزءاً من "الفريق." كان عليَّ أن أكون دقيقاً في مواعيدي ومجتهداً في عملي ومهذباً مع الزبائن.

وباستثناء ما كنت أناله من الزبائن في مقابل مسح أحذيتهم، لم أكن أتقاضى أي أجر على عملي في المطعم. وذات يوم طالبت والدي بأجر أسبوعي مقداره عشرة دولارات. فقال لي: "حسناً، ولكن عليك أن تدفع لي في المقابل ثمن الوجبات اليومية الثلاث التي تتناولها هنا والمرطبات المجانية التي تقدمها الى أصحابك." ولما احتسب ذلك تبين أني مدين له بمبلغ أربعين دولاراً في الاسبوع.

علّمني ذلك أن على المرء حين يقدم على مفاوضة ما أن يكون عالماً بحجة الآخرين علمه بحجته.

أذكر يوم عُدت الى منزلنا في شارلروا بعد غياب سنتين في الجندية. وكنت رُقّيت لتوي الى رتبة نقيب، فدخلت المطعم وكلي فخر واعتزاز. إلّا أن والدي لم يجد ما يقوله لي سوى: "اليوم عطلة عامل التنظيف، فهلا توليت أنت مسح الأرض الليلة؟"

قلت في نفسي: "لا أصدق ما أسمع! أنا ضابط في الجيش!" لكن الأمر لم يشكّل أي فرق، إذ إني لم أكن بالنسبة الى والدي سوى عضو آخر في الفريق.

فتناولت الممسحة مذعناً.

علّمني العمل لدى والدي أن الولاء للفريق يأتي أولا، أكان الفريق يعمل في مطعم للعائلة أو في مهمة حربية.


© UPI / BETTMANN

رقي وليم باغونيس الى رتبة مقدّم خلال حرب الخليج للبراعة التي اظهرها في ادارة تحركات القوات الامريكية وامداداتها.

مرشدة المخيّم

كان طلاب الصف الثامن في مدرسة ماسابيكا الحكومية في لونغ آيلند بولاية نيويورك يتقدمون كل عام بطلبات للعمل مرشدين في المخيم الصيفي. وكان هذا المخيم يبحث عن أولاد ناضجين وذوي علامات جيدة. فوضعت اسمي بين الاسماء مع أني كنت واثقة من رفضي لأني كنت مهرجة الصف وفاشلة في دروسي. لكن والديّ، اللذين أثقل كاهلهما رهن المنزل وتربية سبعة أولاد، كانا طلبا منا أن نسعى الى العمل وتحصيل المال إن وجدنا الى ذلك سبيلا.

قُبل أقل من نصف الأولاد الذين تقدموا بطلبات، وشعرت بالذهول والفخر معاً حين علمت أني كنت من المقبولين. أما عملي، الذي أمّن لي دخلا بلغ ١٥ دولارا في الاسبوع، فكان الاهتمام بحضانة ٣٠ ولداً تراوح أعمارهم بين ست سنوات وسبع. فتوليت الاشراف على لعبهم وأعمالهم الحرفية وغير ذلك من النشاطات بين التاسعة صباحاً والثانية بعد الظهر. وكان عليّ أيضاً أن أواسي مَنْ جرحوا ركبهم وأمنع الاولاد من التقاتل. فتطلب مني ذلك الكثير من سعة الحيلة. وحمل لي كل يوم دروساً صغيرة في الصبر والتعاون والقيادة والبراعة والديبلوماسية.

بعد تسلمي "الوظيفة" علمت كيف حصلت عليها. فقد أوصى بي معلّم التربية السيد لي لاعتقاده أن العمل سيقوي ثقتي بنفسي وسيحسّن تحصيلي المدرسي.

كان ذاك من أروع ما فعله شخص لأجلي. ومع أني لم أصبح من الأوائل في الصف، فقد انتهى بي الامر الى كسب مزيد من الثقة بالنفس. وعندما التحقت بالجامعة كانت علاماتي تحسّنت كثيراً الى حدّ أني أصبحت محررة المجلة الجامعية.

إن عملي الأول الذي مارسته وأنا في الرابعة عشرة من عمري جعلني أدرك أن في وسعي أن أكون مسؤولة وأكثر من مهرجة. فقد ساعدني السيد لي على أن أقْدِر نفسي حق قدرها، ولذا سأكون له دائمة الامتنان.


© GEORGE LANGE / OUTLINE

بيغي نونان مؤلفة الكتاب الرائج "ماذا رأيتُ في الثورة: حياة سياسية في حقبة ريغن"، ومحررة خطب الرئيسين الامريكيين السابقين رونالد ريغن وجورج بوش.

الحارث

كان والدي ناظراً للعمال في مزرعة لقصب السكر في ريو بييدراس في بورتوريكو. وكان عملي الأول سَوْق الثيران التي تحرث حقول القصب، فأسير خلف الثور وأوجهه بعصا مكنسة. وكان أجري دولاراً واحداً في اليوم، وكنت أعمل ثماني ساعات يومياً من دون أن أتوقف أو استريح للطعام.

كان العمل شاقاً، لكنه حضَّرني للحياة وعلّمني دروساً لا تُنسى. وكان أصحاب المزرعة يراقبوننا دائما، لذا تحتم عليَّ مراعاة المواقيت والعمل بأقصى طاقتي. ومنذ ذلك الحين دأبت على ألا أتأخّر عن أي وظيفة قمت بها لاحقاً. كما تعلمت أن أكنّ الاحترام والولاء لمن أعمل لديهم، وأهمّ من ذلك كله أن أكون مستحقاً للمال الذي أجنيه. لذا لم يخطر ببالي يوماً أن أدّعي المرض لمجرد أني لا أرغب في العمل.

كنت في السادسة من عمري آنذاك، لكني كنت أقوم بعمل رجل. وكانت عائلتي في حاجة الى كل فلس تجنيه، لأن أجر والدي لم يتجاوز ١٨ دولاراً في الاسبوع. وكان منزلنا كوخاً خشبياً من ثلاث غرف، أرضه ترابية ولا مرحاض فيه. لذا لم يكن ثمة ما يشعرني بفخر يفوق ذاك الذي يولّده إتياني بالمال لمساعدة أمي وأبي وشقيقيّ وشقيقاتي الثلاث. لقد منحني ذلك احترام الذات، وهذا من أعظم ما يحظى به المرء.

وعندما بلغت السابعة من عمري عملت في حقل للغولف قرب منزلنا. وكانت مهمتي مراقبة الكرات لكي يتمكن اللاعبون من العثور عليها. وكان فقدان كرة واحدة يعني الطرد من العمل. لذا حرصت على ألا أضيّع أيا منها. وكنت في بعض الليالي استلقي في فراشي وأحلم بجني ألوف الدولارات من لعب الغولف وبشراء دراجة هوائية.

وكلما حلمت بذلك ازددت اقتناعا بأن الأمر ليس مستحيلا. فصنعت أول مضرب لي مستخدماً غصن شجرة وقطعة من غليون. ثم طَرَّقت علبة تنك فارغة الى أن اتخذت شكلا كرويا. وأخيراً حفرت ثقبين صغيرين في الارض ورحت أضرب الكرة جيئة وذهاباً. تمرَّنت باذلا كل ما تعلّمته من مثابرة وتركيز خلال عملي في حقل قصب السكر، غير أني وجدت نفسي هذه المرة أوجِّه كرات غولف بمضرب بدلا من أن أوجِّه ثوراً بعصا مكنسة.



جنى خوان "تشي تشي" رودريغز نحو أربعة ملايين دولار وفاز في ٢٤ دورة خلال ٣١ عاماً من احترافه رياضة الغولف.

مغني الاوبرا

خلال نشأتي في حي بروكلين بمدينة نيويورك كنت خجولا أتأتىء وأخشى التحدث أمام الصف. لذا كنت أتعمّد

التغيّب عن المدرسة أيام كنت أتوقع أن أُدعى الى الكلام. وعندما لم يكن تفادي الأمر ممكناً، كنت أقف وأقرأ مديراً ظهري الى التلامذة، بما جعلني موضع سخريتهم.

ولكَم شعرت بالارتياح عندما بلغت الخامسة عشرة من عمري واضطررت الى ترك المدرسة في فترة الركود الاقتصادي في الثلاثينات لأعمل في تسليم ملابس وأحذية لحساب أبي وعمي في مانهاتن. وعلى رغم أنهما لم يستطيعا دفع أجر لي فقد غيَّرت هذه المهمات البسيطة حياتي.

كانت نقطة الانطلاق حبي المتنامي للأوبرا الذي ورثته عن أمي، وكانت مغنية هاوية وذات صوت جميل. ففي أحد الايام سمعتني أغني في أرجاء المنزل، فأخذتني الى أستاذ للصوت في "متروبوليتان أوبرا هاوس." تملكني الرعب إذ لم يكن وضعنا المالي يسمح لنا بدفع أجره. لكن الاستاذ وافق على تعليمي كمنحة دراسية.

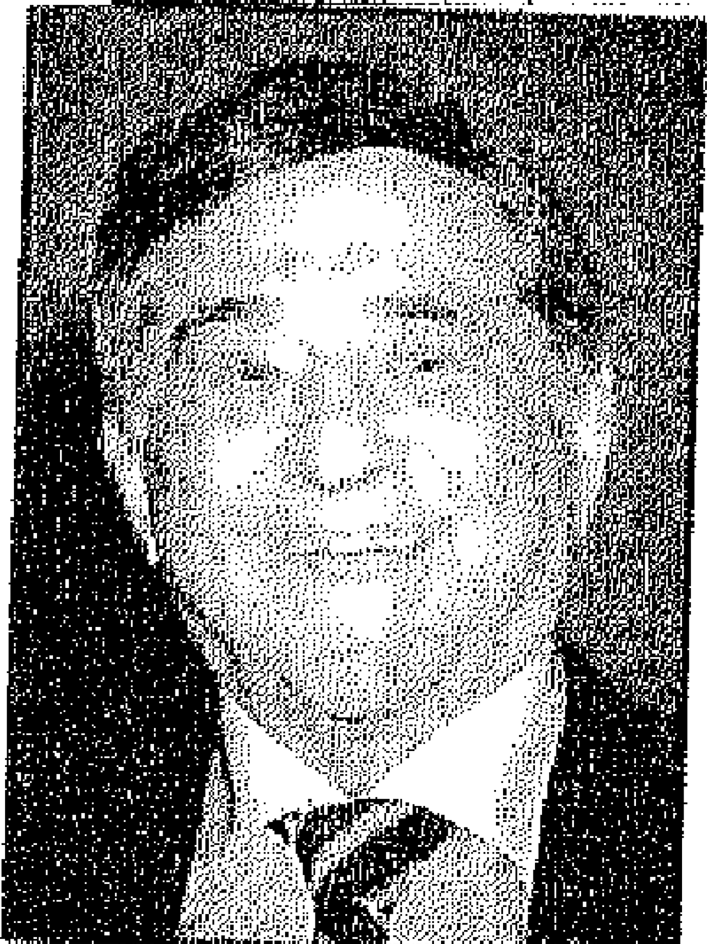
كنت أتلقى دروسي في استراحة الغداء، فأذهب الى الاستاذ حاملا علب الأحذية والملابس، أو أذهب بعد انتهاء الدوام حين يكون الارهاق هدَّ قواي. ولم أجد وأمي بداً من اخفاء أمر الدروس عن أبي لعلمنا أنه لن يتفهم الوضع.

وذات يوم، لدى رجوعي من درس الموسيقى، أصرّ أبي على معرفة سبب عودتي متأخراً. فلم أستطع الاستمرار في اخفاء السر. فأخبرته أني أتلقى دروساً في الصوت. وعلى رغم أنه لم يفهم معنى ذلك، فهو لم يحاول منعي.

وبعد مدة قصيرة كنت أسلّم بضاعة، فشاهدت حشداً من الناس أمام إحدى دور الاوبرا. وتبين لي أنهم يجرون امتحاناً في الأداء للحصول على عمل صيفي في أحد المنتجعات الجبلية. فتقدمت للامتحان.

غنَّيت وفزت بالوظيفة متغلبا على أكثر من ٤٠ منافساً. ولم اكن تجاوزت الثامنة عشرة من عمري، فشعرت بتوتر شديد لأني لم أكن صاحب خبرة حقيقية. بيد أن ذلك لم يَطُل، اذ اقتضت الوظيفة أن أؤدي كل الادوار. فغنّيت أنغاماً استعراضية وأغنيات مع فتيات الكورس، وشاركت في "وصلة" ممثل هزلي. وعندما سمعت تصفيق الجمهور علمت أن تلك هي مهنتي.

كان أكثر ما أدهشني اختفاء التأتأة كلما اعتليت المسرح. وكنت أكتسب ثقة بالنفس كلما واجهت جمهوراً جديداً. كما اختفى خجلي تماماً. وتعلمت درساً حيوياً قوامه أن المرء، اذا شاء، يستطيع التغلب على الاعاقات الموهنة.


ADAM SCULL / GLOBE PHOTOS

روبرت ميريل جهير أول (باريتون) أدى نحو ٨٠٠ عرض في "متروبوليتان أوبرا هاوس" وغنى لتسعة رؤساء دول.

جمعها دانيال ر. ليفين ■

المجنون أبو الاختراع!

حذاء يقيس المسافات، وساعة في خاتم، وتلفزيون في نظارتين. فماذا يخبىء بعد هذا المخترع الخجول؟

سئل ويلي جونسون في احدى الحفلات كيف يكسب رزقه، فأجاب بمسحة من الحياء انه شخص من "النوع المخترع." فسأله أحد الحضور وهو صاحب معمل أحذية: "يبدو أننا لا نأتي بأي جديد الا في عالم الازياء. فهل لك أن تعمل شيئا في نطاق الأحذية؟"

كان هذا السؤال كفيلا باثارة مخيلة المواطن اللندني ويلي جونسون وشحذها لاستحضار طائفة رائعة من الأفكار. فعاد بذاكرته الى أيام الصبا والشباب، والى شكاواه المتكررة من سرعة تلف أحذيته في مسيراته اليومية الى المدرسة على قدميه. آه، لو كان لديه حذاء سحريّ يقيس المسافات! لكان قال لرفقائه: "أنظروا، المسافة من منزلي الى المدرسة هي ٦٠٥ أمتار."

ولكن لماذا التوقف عند هذا الحد؟ فكم تزداد الاثارة لو سجل الحذاء أيضا الوقت والسرعة في اجتياز المسافة! ذلك سيسرّ ممارسي رياضة الهرولة. وقد يفيدهم هذا "الحذاء السحري" عن الوحدات الحرارية (كالوري) التي أحرقوها.

انصرف جونسون الى مراجعة علم الالكترونيات، فتأكد له أنه قادر على تحقيق أمنيته المثيرة. وتبلورت فكرته في جهاز كمبيوتر دقيق يُدسّ تحت رباط الحذاء الرياضي بحيث يعرض الأرقام المسجّلة بكبسة زر.

سجّل جونسون براءة اختراعه الـ"ميكروبيسر."[١] ثم اتصل بشركة "أديداس" الالمانية للالبسة الرياضية. فواجه تشكيكا في الاختراع. وهو يقول: "إن التسويق يحتاج الى جهد كبير في الاقناع، فالناس يريدون مشاهدة ما تتكلّم عنه، لكن صنع نموذج أولي يكلف مالا كثيرا."

---

(١) Micropacer

إلا أن جونسون كان على يقين من أن لاختراعه فرصاً هائلة في أسواق المبيع. فجمع من بعض الاصدقاء وشركات الاستثمار مبلغ ١٥٠ ألف جنيه استرليني (نحو ٢٨٥ ألف دولار) وعاد الى "أديداس."

في مكتب الشركة الفخم، انتعل جونسون حذاءه المبتكر وقفز الى سطح طاولة ضخمة في قاعة مجلس الادارة حيث مشى من أولها الى آخرها ثم عاد وطلب أن يؤخذ قياس الطاولة.

فتبين أن طول الطاولة هو ٤،٥ أمتار. وقد سجل الميكروبيسر الموضوع في حذائه تسعة أمتار تماماً، مجتازة في عشر ثوان بسرعة ثلاثة كيلومترات في الساعة.

ولكي يبرهن متانة الحذاء في مقاومة الصدمات، رمى بفردة منه ضارباً بها الجدار بكل قوته. فبقي الكمبيوتر سليماً.

أُنزل الميكروبيسر الى السوق في العام ١٩٨٤، وحُدّد ثمنه بمئة جنيه استرليني (١٩٠ دولاراً). وفي السنة التالية، حين توقف انتاجه، كان بيع منه في أنحاء العالم نحو ١٠٠ ألف عادت على جونسون بمبالغ كبيرة.

صابونة عائمة. ويلي جونسون الوديع الدمث ذو الوجه المضحك كوجه مهرّج هو أحد المخترعين الأكثر نجاحاً في بريطانيا. انه في الثالثة والخمسين، يعيش في لندن في منزل فخم مؤلف من طبقتين مع زوجته كايلي السنغافورية وابنته ترنكويليتي وعمرها ثلاثة أعوام.

لا يستسيغ جونسون العمل في مشغل تملأه أغراض مركومة بغير نظام. ويعترف بأنه لا يملك مؤهلات علمية أكاديمية بل يعتمد في تطبيق أفكاره على شركات التصميم والخبراء التقنيين. ومع أن أفكاره لا تتبلور عادة وهو جالس حالما في حوض الحمام، فقد أجاب رداً على الاسئلة المتكررة التي تلقى عليه في هذا الشأن، أنه قد يجرّب ذلك يوماً.

جلس يوماً في المغطس وأطلق عنان خياله متلمساً إلهاما. وقع نظره على قطعة صابون للاطفال بين زجاجات الشامبو والاسفنج ودمى البط المطاطية التي تلهو بها ابنته. فبعث ذلك فيه، كما يقول، "الشرارة الأولى من ضياء اختراع."

رأى جونسون في صابون الحمام ازعاجاً لمعظم الاولاد، اذ انه يلج عيونهم فيسبب فيها حريقاً. ولكن، ماذا لو جُعل الصابون جميلا وجذابا، يحبّبهم الى الماء والاستحمام؟

في لقائنا الاول، أراني جونسون مزهواً النموذج الأولي لذلك الصابون، وهو كرة مستديرة غُرست في قلبها كبسولة من البلاستيك تمكنها من العوم ومن امساك لعبة صغيرة. وكان كتب عليها العبارة الآتية: "كلما استخدمت هذه الصابونة اقتربت اكثر من سوبرايز[٢]."

تسع جوائز. يقول صديق جونسون ونصيره بيتر لستر الرئيس السابق لشركة

(٢) Soaprise

"ثورن": "يتميز ويلي بعقل فذّ. فأفكاره تذهب جانبياً أحياناً، وتقفز أحياناً قفزات رائعة، وتدور أحيانا في حلقات. إنه من ذلك الصنف النادر من المخترعين الذين يستوعبون تقدم التكنولوجيا ويحولونه اختراعات رائدة يمكن استخدامها واقعياً من دون أن تكون خطرت ببال سواه من قبل."

هذا التفكير المتحرر من أي قيد أكسب جونسون في السنوات الخمس والعشرين المنصرمة نحو مئة براءة اختراع، إضافة الى ميدالية بارزة في العام ١٩٩٠.

من اختراعات ويلي جونسون المتطورة حذاء "ميكروبيسر" الرياضي الذي يسجل الوقت والسرعة والمسافة، ونظارات "غوغلفوكس" التي تشاهد البرامج التلفزيونية بواسطتها كأنها معروضة على شاشة كبيرة.



كان مشككاً في المباريات ولم يسبق له أن اشترك في أي منها. لكنه أُقنع بأن يأخذ ثمانية من نماذجه الأولية الى "معرض الاختراعات الدولي" الثامن عشر المُقام في جنيف. ولدى انتهاء المعرض بدا جونسون شديد الارتباك محمَّلا بالجوائز.

لم يسبق أن نال مخترع تسع جوائز في هذا المعرض!

ومن الاختراعات التي أكسبته جوائز محفظة "سواليت"، وهي حافظة جيب الكترونية ترسل صوت انذار حين يقطع لص الرباط حول عنق حاملها. وهناك "الضفدع الطائر" وهو مشروع بالمشاركة لانتاج زورق مجهز بمحرك صغير في المؤخّر ويمكن ثنيه وتحميله على ظهر سيارة وتصل سرعته الى ٦٥ كيلومتراً في الساعة. وهناك أيضاً عربة الاطفال الثلاثية الوظائف التي تتحول مقعداً أو كرسياً عالياً أو سريراً للأطفال.

لكن اختراع جونسون المفضل هو ذاك الذي تفتق ذهنه عنه فيما هو يفكر: "لكم يشعر المرء بالرضى حين يرمي جهاز التلفزيون بشيء ما فيغيب البرنامج المنفّر الذي يثير سخطه!" فكان أن ابتدع جهازاً الكترونيا صغيراً يرسل، بكبسة، إشارة في نطاق تسعة أمتار الى وصلة قابس كهربائي تقطع التيار أو تصله.

ومن الواضح أن الجهاز يجب أن يكون في مستوعب ليّن وناعم لئلا يتلف الشاشة.

انساب مجرى أفكار ويلي في خط فرعي. وهو يقول: "اكتشفت سبيلاً رائعاً لاستخدام الجهاز. فلكل ولد كوابيسه وأحلامه المروّعة في الليل، فكم سيطمئن الى إمكان اشعال الضوء برمي لعبة على الجدار!" كان يفكر في ابنته ترنكويليتي حين استحضر في مخيلته طائفة من لعب مضحكة مثيرة أطلق عليها اسم "تانتروم."[٣]

لكنه تخلّى عن تلك الفكرة على مضض ليركّز اهتمامه على لعبة للبالغين تحظى بسوق أكبر كثيراً وتتميز بالقدرة على تغييب أي برنامج تلفزيوني غير مرغوب فيه من دون عناء. ففي جنيف، تطورت تانتروم الى آجرّة كرتونية، لكنها أبدلت لاحقاً بفكرة أوشكت الانتقال الى حيز الانتاج، إلّا أن شكلها ما زال سرّاً.

على أن توق ويلي جونسون الى اختراع اللعب ما زال شديداً لا يعرف الكلل. وهو يقول: "اذا استطعت أن أؤمّن لاحد الصغار شعوراً – وإن بنسبة واحد في المئة – بأنه اكثر أماناً وسعادة واطمئناناً في الليل وأن خوفه من العتمة تبدد بمجرد حيازته لعبة تانتروم، فذلك أمر رائع."

رهان هائل. نشأ جونسون في هضاب كوتسوالد وسط انكلترا. وهو يتذكر: "كنت ولداً شديد الفضول، اذا قال لي أحدهم لا تفعل ذلك فكأنه يدعوني الى فعله."

بعد رسوبه في الدراسة الجامعية عمل في شركة تأمين، ففي معمل، ففي ورشة بناء. وهو طرد من جميع وظائفه.

كتب ويلي جونسون سيرته الذاتية بعنوان "لن أحضر الى المكتب يا سيّدي لتوعك في صحتي." لكن سيرته لم ترَ النور، بل أدت به الى العمل مع أحد الناشرين في إنتاج كتب تطوى صفحاتها فتصبح في شكل منحوتات ورقية. وهو لقي نجاحاً شجّعه على تجربة حظه في حقل الاختراع متحرراً من كل قيد. يقول: "لم أكن يوماً مؤهلا للأعمال المكتبية."

طوال عشرين سنة، وحتى نجاحه الباهر في اختراع الميكروبيبسر، بقي جونسون يعيش على الكفاف مما توافر له من اختراعات شملت أثاثاً من الكرتون ومقطورة تتحول زورقاً. وهو يقول: "أحياناً كنت ألاقي نجاحاً، إلا أن كل فكرة ناجحة كانت تقابلها ثلاث أو أربع فاشلة."

يصف جونسون الاختراع بأنه "رهان هائل." فقبل الحصول على براءة الاختراع، يتعين عليك البحث في الاختراع وتحسينه، وقد يكلفك ذلك نحو ٢٨٠٠ دولار.

"بعد ذلك، تبقى أمامك سنة لتقرر ما إذا كانت الفكرة مهمة وعظيمة الى حدّ اغرائك بدفع عشرة أضعاف الكلفة التي دفعتها أولا لتسجيل الاختراع والحصول على براءة تسويقه في الخارج."

وجميع هذه التكاليف تقع على المخترع، علماً أن واحدة فقط من كل

(٣) Tantrum أي نوبة غضب

PHOTO: ADAM WOOLFITT

ألف فكرة تحظى فعلا بفرص التسويق كسلعة تجارية. لذا، يقول جونسون متأملا، "لا غرو في أن يعتقد الناس أن المخترعين أشخاص مخبولون. فمن يظنّ أنه يملك شيئاً سيتهافت كل سكان العالم على شرائه، لا بدّ أن يكون مصاباً بمسّ من الجنون."

ساعة في خاتم. لما كانت رخصة براءة الاختراع والانتاج باهظة الكلفة، فقد حملت جونسون أحياناً على بيع فكرته من أحد أصحاب المعامل. وهو قبض حديثاً ٢٥٠ ألف جنيه استرليني (٤٧٥ ألف دولار) ثمناً لفكرة وضعها لانتاج لعبة أطفال جديدة. ثم إن حلم كل مخترع هو أن يتوافر له فيض عارم من عائدات حقوق الملكية التي تؤمنها له اختراعاته وبراءاتها في كل البلدان. فحتى فكرة بسيطة قد تتحول منجم ذهب اذا كانت مسلّية وعمّ استخدامها واجتذبت الشباب. ويعلق جونسون آمالا كبيرة على أحد مشاريعه الحالية.

فهو يذرع غرفة الجلوس في منزله الهادىء ذي السقف المقنطر مرتدياً سروال جينز وسترة من الصوف المحبوك. ويمدّ يده الى صندوق من الكرتون فيسحب أربعة خواتم بلاستيكية زاهية الالوان وقد أدرجت ساعة في كل منها.

لم تكن فكرة الخاتم والساعة جديدة، فالصائغان "كارتييه" و"فابرجيه" درجا على وضع ساعات مرصّعة بالجواهر ضمن خواتم، "إلا أن اختراع جونسون هذا يتميّز بامكان انتزاع الساعة بسهولة وابدالها بأخرى ذات ميناء جديدة، أو ابدال الحلقات بأخرى متعددة الألوان. فبذلك يصبح الاختراع أداة زينة رائعة." وفي الامكان أيضا دمج الساعة ذاتها بغلاف التوضيب البلاستيكي فتتحوّل منبّهاً.

يفرش جونسون الخواتم على الطاولة شارحاً: "قاربت كلفة هذه النماذج ٢٥ ألف جنيه استرليني (٤٧ ألف دولار). وسيرتفع هذا المبلغ الى نحو ٥٠ ألفاً بعد إتمام معاملات التسجيل والبراءة. عليّ الآن أن أبيع الفكرة، وريثما يتم البيع، فليس ثمة ما يضمن لي استعادة مصاريفي أو جني أرباح."

وتتحسن التوقعات اذا لقي الاختراع اهتماما من إحدى الشركات الامريكية الكبرى.

يحلم وهو في المطبخ. لا يكفّ جونسون عن التفكير في الاختراع حتى في المطبخ. ويتكلم الاصدقاء والضيوف عن صلصة السمك والاطباق الشهية التي حضّرها لهم.

رفع جونسون بيده مربّعاً صغيراً شفافا وقال: "هذه إحدى أثمن القطع البلاستيكية وأغلاها كلفة في العالم." وهي إنجاز ثوري في تكنولوجيا شاشات التلفزيون بلغت كلفة تطويره في السنوات الأربع الفائتة نحو ٥٠٠ ألف جنيه استرليني (٩٥٠ ألف دولار).

كان الـ"غوغلفوكس"[٤] التطبيق العملي الأول لاختراعه. وظهر النموذج الاولي عام ١٩٩٠ في برنامج "عالم الغد" الذي تعرضه شبكة «BBC.» وهو يشتمل على "نظارات" تثبتان على العينين وتبدوان كنظارات تزلج سوداء، مع سماعتين للأذنين.

توصل النظارات بجهاز تلفزيون أو فيديو فتنعكس الصورة داخلها على شاشة صغيرة من البلور السائل. وتكبَّر بعدسات، فيما تعمل خدعة بصرية بواسطة عدسة جونسون البلاستيكية لانتاج صورة نقية واحدة بقياس "شاشة كبيرة."

وبذلك، يتسنى لك مشاهدة البرنامج الذي تريد خلواً من كل ما يلهيك حولك، وحتى في أثناء مشاهدة أفراد العائلة لبرنامج تلفزيوني. وقد أبدت عدة شركات يابانية اهتماماً كبيراً بهذا الاختراع. ويبدو أن الغوغلفوكس مهيأ لتكرار النجاح العالمي الذي حققه "ووكمان سوني."

أما جونسون، فلا ينام على أمجاده باختراع اللعب التي تؤمّن له أضخم المكافآت في حال نجاحها، بل يعنى بمشروعات جوهرية أكثر جدية تؤمن لاختراعاته مصادر دخل ثابتة. من هذه المشاريع مادة جديدة لصنع أغطية رأس واقية من الدخان لركاب الطائرات، وأداة بلاستيكية صغيرة رخيصة لشدّ الحبال بحيث تنتفي الحاجة الى عُقَد، وهذه الأداة تتحمل ثقلا يبلغ نصف طن. ويجتهد جونسون حالياً في اختراع صندوق الكتروني زاخر بالغرائب والخدع التي أثبتت جدواها في مكافحة الشخير وإسكاته.

لكن فن التسلية يظل بالنسبة الى ويلي جونسون شغفاً حميماً لا يفارقه البتة وتهفّ نفسه اليه في كل سانحة. ففي نهاية حديثنا كان جونسون يفيض حماسة وهو يشرح التحسينات الدقيقة التي يدخلها على "سوبرايز." فقد أصبح اختراعه الآن كرة صغيرة مستديرة من الصابون، في قلبها كبسولة تغلّف حيواناً من جنس مهدّد بالانقراض. قال لي: "تصوّر نفسك ولداً. أفلا يغريك هذا الصابون ويشدّك الى الحمام متسائلا ما اذا كنت ستجد في الداخل نمرا أم دبا؟"

بيتر براون ■

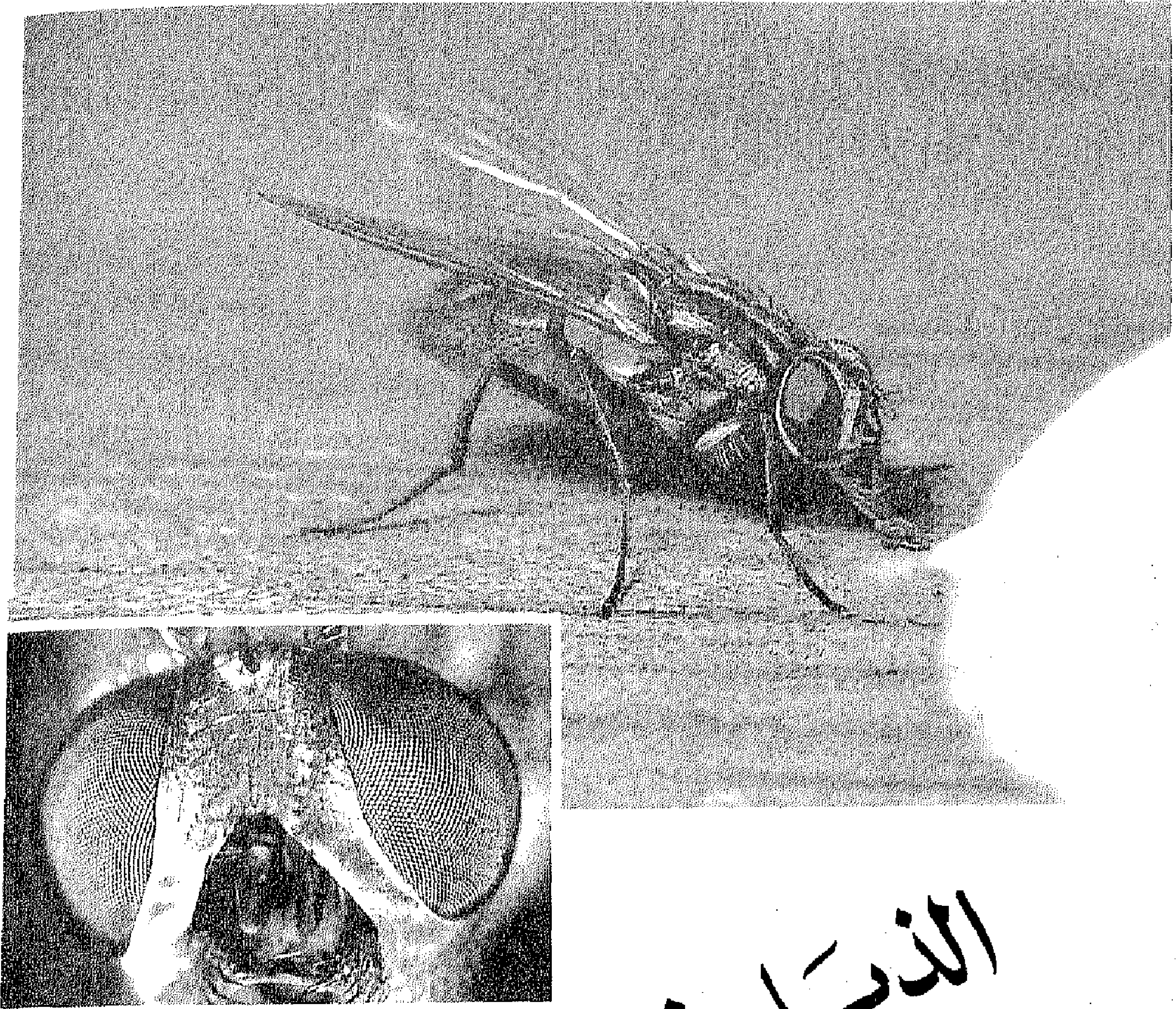
(٤) Gogglevox،

هذا أبي

لقنتني ابنتي الصغرى درساً في الأبوّة لا انساه. فقد كنا نتمشى في احدى الحدائق حين شاهدت الصغيرة امرأة فبادرتها من دون استئذان: "هذا أبي."

فردت المرأة بلطافة: "حقاً؟"

فقالت ابنتي: "نعم، هذا ابي... حين لا يعمل."



الذبابة العجيبة

كيف تحط الذبابة على السقف؟ وماذا تفعل عندما تجوع؟

ما هو الشيء الذي يبلغ طوله ٧،٥ مليمترات ولونه رمادي وعيناه حمراوان جميلتان؟

إنه الذبابة المنزلية[١] التي طالما ازدراها الانسان كحشرة مؤذية وحاول التخلص منها... من دون جدوى. وهي، الى قريبتها[٢] ذات البطن المبقّع بنقط صفر والتي تقصر عنها مليمترين، أكثر الحشرات المقيمة مع الانسان انتشاراً.

نحن نعتقد أننا نعرف الذبابة المنزلية. والواقع أن ليس ثمة مَنْ يعرفها حق المعرفة. هل فكرتم يوماً في أن الذبابة تتذوق بأقدامها وتشتمّ بهوائيَّيها وتتنفّس عبر ثقوب في جانبيها؟

(١) Musca domestica
(٢) Fania canicularis

وللذبابة جناحان فقط، خلافاً لغيرها من الحشرات. وقد كان لها في طورها البدائي جناحان خلفيان ضمرا على مرّ ملايين السنين فتحولا عضوين صغيرين يشبهان هراوتين. انهما "كبّاسان رقّاصان" يتحركان بمثل تواتر الجناحين ولكن في اتجاه معاكس، فيؤمّنان للذبابة توازناً في طيرانها.

وللذبابة هيكل "عظمي" خارجي مكوّن من الكيتين[3] والبروتيين. والعضلات تحته تعصر بانتظام، وفي الوقت نفسه تحرك الجناحين عبر جهاز رائع من المفاصل والدعائم. لكن الهيكل الخارجي فائق المرونة، لذا لا تحتاج العضلات الى الحركة سوى مرة واحدة كلما خفق الجناحان خمس مرات، وفي غضون ذلك يترجح الجهاز تلقائياً جيئة وذهاباً. وهكذا تستطيع الذبابة تحريك جناحيها بسرعة ٢٠٠ ضربة في الثانية، أي ثلاثة أضعاف سرعة العصفور الطنان.[4]

والذبابة، قياساً الى سرعتها التي تبلغ ثمانية كيلومترات في الساعة، ليست سريعة على نحو استثنائي. لكنها رشيقة جداً، اذا حاولنا التقاطها ارتدّت. وسرعة ارتكاسها[5] تفوق سرعة ارتكاس الانسان بمرات عدة. وما دورانها المشدود وانقضاضها الجسور إلّا جزءاً من ذخيرتها.

هل راقبتم ذبابة تحطّ على السقف وتساءلتم كيف تقهر قانون الجاذبية؟ لقد صُوِّرت كل حركة من هذا الانجاز المثير بواسطة عدسات الكترونية، فتبيَّن أن الذبابة تقارب السقف في زاوية مسطحة باسطة قائمتيها الاماميتين صعوداً والى الامام. وما إن تجد ممسكاً حتى تتشبّث به باقدامها المزوَّدة براثن ولبّادات لاصقة، ثم ترفع جسمها، مستديرة بحيث تواجه المسار الذي سلكته.

لا يمكن تحقيق هذا الاداء الرائع لولا أعضاء حسية تضبط عملية الطيران وتوجّهها. فللذبابة، الى "الكبّاسين الرقّاصين" المُوازنين، هوائيان على رأسها يسجلان المتغيرات الحاصلة في التيار الهوائي ويطلقان الانذار لدى تحوُّل ريح الطيران من الأمام الى الجانب مثلاً. ويعتقد الخبراء أن العيون الثلاث الصغيرة القائمة في جبهة الذبابة تؤدي دوراً مساعداً في عملية الطيران.

إلا أن الذبابة تستعمل في "النظر" الى الاشياء عينين مركبتين كبيرتين تغطيان معظم رأسها. وتتضمن كل عين نحو ٤٠٠٠ عدسة منفردة تتجه كل منها الى بقعة مختلفة قليلا ليتم نقل صورة المحيط كاملة الى الدماغ. وسرعة تسجيل العينين للصوَر مذهلة، ففي حين يستطيع الانسان أن يميّز ٢٤ تبدّلا من تبدلات الضوء والظلام في الثانية، تميز الذبابة أكثر من ٢٠٠. لذا فإن الذبابة، اذا ما شاهدت فيلماً سينمائياً، لا ترى عرضاً متواصلا وانما صوراً فردية كثيرة.

يتطلب الطيران كثيراً من الطاقة، وهو

(٣) Chitine . وهي مادة قرنية تشكل جزءاً من الاهاب الخارجي في الحشرات والقشريات.

(٤) Humming bird

(٥) الارتكاسات هي ردود الفعل اللاإرادية

غير ممكن ما لم تتزود العضلات كميات كافية من الاوكسيجين. لذا تتنفس الذبابة عبر فتحات كثيرة في جانبيها تؤدي الى جهازٍ أنبوبي يمتد في كامل بدنها، مما يضخم الدورة الدموية التي تنقل الاوكسيجين من الرئتين الى الاعضاء. وعندما تكون الذبابة طائرة، يتم توزيع الاوكسيجين بواسطة تقلصات الجسم. أما حين تكون رابضة فهي "تضخه" بواسطة بطنها.

تُرى، ماذا يحدث عندما تشعر الذبابة بالجوع؟

لطالما راقبنا ذاهلين ذبابة تطير على نحو سديد من غرفة الجلوس عابرة باب المطبخ نصف المفتوح لتهبط على الطاولة الملطخة بالمربّى. لقد حلل العالم الفيزيولوجي الامريكي فنسنت دثييه هذا السلوك في كتابه "الذبابة الجائعة"[٦] وخلُص الى الاستنتاج الآتي: تستهلك الذبابة الطاقة خلال الليل، فينخفض منسوب السكر في دمها صباحاً. ومع ارتفاع درجة الحرارة ينشط جهازها الحركي، فتتولى تنظيف ذاتها، ثم تطير وتحوم فاحصة الهواء بأعضائها الشمية. وعندما تتنسم رائحة طعام، تتبعها. وبعد أن تهبط، تركض في حلقات غريبة الى أن تطأ شيئا صالحاً للأكل. فتتولى براعم الذوق في أقدامها نقل طبيعة الطعام الى الدماغ، أهو مالح أم سكّري أم دبق؟ عندئذ تمد خرطومها وتشرع في الامتصاص الى أن تشير مجسّات في الامعاء الامامية بامتلائها كلياً.

عاش هذا النوع من الذباب أصلا في المناطق شبه الاستوائية. ولكن عندما أُدخلت الزراعة وتربية المواشي الى المناطق المعتدلة قبل نحو ٩٠٠٠ سنة، انتقلت الذبابة معهما. فهي وجدت في المزارع دفئاً وروثاً وبقايا أطعمة. ومنذ ذلك الحين والذباب آخذ في الازدياد حتى صار جيشاً جراراً نجده في كل مكان.

ان رتبة الحشرات ذوات الجناحين[٧] التي ينتمي اليها الذباب تضم نحو ١٠٠ الف نوع. وهناك، الى الذبابة المنزلية، ما لا يقل عن اثني عشر نوعاً آخر يحوم في غرف جلوسنا، وينتمي أبرزها الى عائلة الذبابة السَرُوء[٨] ومنها ذبابة اللحم الكبيرة[٩] والذبابة الضخمة الزرقاء البطن[١٠] والذبابة الذهبية الخضراء.[١١]

يلاحق ذكر الذباب المنزلي أنثاه ويمسك بها في أثناء الطيران. ثم يطبع برأس خرطومه "قبلة" على مؤخر رأس العروس التي تتولى حينذاك زمام المبادرة مستحثّة الجماع الفعلي.

تضع أنثى الذباب ما يربو على ١٠٠ بيضة، وتُفضّل إلقاءها في روث الحيوان أو بقايا الطعام الفاسد. وخلال يوم واحد، أو أقل، تفقس اليرقات وتشرع فوراً في عمل وحيد هو الاكل والنمو. وفي ظروف مؤاتية، تستكمل اليرقات نموها خلال أقل

(٦) The Hungry Fly
(٧) Diptera
(٨) Calliphoridae
(٩) Sarcophaga
(١٠) Calliphora
(١١) Lucilia

من أسبوعين بعد أن تكون زادت وزنها نحو ٨٠٠ ضعف، وتتحول خادرة طويلة بنية اللون. وبعد أسبوع واحد تخرج من شرنقتها ذبابة منزلية كاملة النمو.

احتسب العالم النمسوي كارل فون فريش أن الذبابة الواحدة، اذا ما تسنّى لها أن تتكاثر من دون عوائق، تخلِّف ذرية يصل عددها الى ١٢،٥ مليوناً بعد أربعة أجيال فقط. لكن اليرقات، لحسن الحظ، تنْفق برداً أو جفافاً أو تقع فرائس للطيور وغيرها من الاعداء، الامر الذي يضبط أعداد الذباب في العالم.

وفي الخريف تنفق أعداد كبيرة من الحشرات، إذ يصاب كثير منها بعفن مميت[١٢] يأكلها من الداخل. لذا كثيراً ما نجد الذباب ملتصقاً بالزجاج أو الجدران وحوله دوائر من البذور الدقيقة. لكنَّ بعض الذباب ينجو دائماً ليقضي الشتاء في أماكن باردة مظلمة. وفي الربيع يعود نسله ليغزو عالمنا من جديد.

فرانز غايسر ■

(١٢) Empusa muscae



امتحانات

أرى من واجبي كطبيب أسنان أن أتحدث مع مرضاي عن الاطعمة التي تفيد الاسنان وتلك التي تضرّها. وذات يوم سألت ولداً في الثامنة من عمره أن يسمي لي أطعمة مغذية، فأجاب: "لو عرفت أنك ستمتحنني لدرست في البيت."

ب.ل.

ممثلة صادقة

قالت احدى الممثلات: "غالباً ما يطلب مني المخرجون أن أكون نفسي، أي أن أكون طبيعية في أثناء أدائي أدواري. لكنهم لا يعرفون أن ما يدفعني الى التمثيل هو رغبتي في ألا أكون نفسي لبعض الوقت."

م. هـ.

طبيعة الحديث

صعق الأب للمفردات المبتذلة التي يستخدمها ابنه الصغير في حديثه، فقال له بحزم: "هنالك نعتان لا أريد أن أسمعهما منك البتة، أحدهما سافل والآخر حقير."

فأجابه الولد: "حسناً يا أبي، وما هما؟"

ر.ب.

كيف تتغلبون على نكسات العمل



إن خسرتم وظيفة فلا تيأسوا

عاد مدير في شركة كبيرة من رحلة عمل استغرقت أسبوعين، فوجد في مكتبه رجلا آخر يصرِّف الأعمال. لقد عصفت ريح التغيير بالشركة في أثناء غيابه وأتت بنائب رئيس جديد ملأ المناصب بموظفين من جماعته.

مُنح المدير المخلوع مهلة ستة أشهر للعثور على وظيفة أخرى ضمن الشركة، فرضخ للواقع الجديد والتحق بأحد الأقسام الصغيرة في الشركة وقنع بما آلت اليه حاله من تدنٍ في مرتبته وتجميد لراتبه.

لما كان الحفاظ على القدرة التنافسية هاجس الشركات فقد أكبَّت بحزم لا يعرف اللين ولا الرحمة على خفض نفقاتها وعدد موظفيها، فبات الاضطراب الذي يتخبط فيه الموظفون يلفّ قطاع الصناعة على جميع المستويات.

يقول جيرالد مايرز الخبير في إدارة الأزمات والرئيس السابق لشركة "أميريكان موتورز": "إن الضمان الوظيفي حقيقة زائفة في وسطنا المهني الحالي."

إن تعلّم معالجة الخيبات المهنية هو جزء لا يتجزأ من الخطوات اللازمة لارتقاء سلم النجاح. فاليكم بعض الأفكار السديدة لبداية جديدة:

ابذلوا قصارى جهدكم.

أكب المدير السابق على عمله الجديد بحماسة امرىء منح فرصة جديدة للعيش. وحصد ثمار جهوده بعد ثمانية عشر شهراً فكوفىء بترقية. ويقول: "تغمرني اليوم سعادة أكبر، وأشعر بأني أكثر فاعلية كمدير لقسم صغير مما لو كنت عضواً في مجلس الادارة. فضغوط العمل هنا أخف وطأة بحيث أستطيع تحقيق مساهمة أكبر."

تحاشوا الرثاء لحالكم.

إن من يتمتع بالمرونة لا يضيع الوقت في الرثاء لحاله، في حين يمضي أسير المرارة وقتاً طويلاً في تحليل أفكاره ودوافعه ومشاعره غافلا عن التخطيط للعودة.

اتفقت صيدلانية شابة في الحادية والثلاثين من عمرها مع رب العمل على شراء الصيدلية منه بعد تقاعده. لكن هذا تلقى عرضاً مغرياً من شركة كبرى فقبل العرض. وكان الحزن والاسى من نصيب الشابة.

لكنها لم تستسلم لليأس والقنوط بل فتحت صيدلية في مركز تجاري قريب. ويعمل لديها اليوم صيدلانيان ومدير للخزن ونحو ثلاثين موظفاً.

ثابروا.

غالباً ما يعني الفوز نهضة إضافية بعد سقطة.

يروي فيكتور كيام صاحب شركة "ريمنغتون" لماكينات الحلاقة حادثاً حصل معه في مستهل حياته المهنية:

"كنت أجول في إحدى المناطق أبيع ألبسة داخلية كمندوب لاحدى الشركات. فوصلت الى متجر صغير وجدت صاحبه منشغلا في تنظيف الأرض. فمددت له يدي وقدمت نفسي وسكتُ. فخيم السكون على المتجر. لم أنثنِ، بل فتحت حقيبة النماذج وبدأت أتلو على مسمع التاجر خطبتي المعهودة. فإذا بموجة غضب عارمة تجتاح الرجل، وانهال علي بمكنسته يطردني خارج متجره. ولما همد الغبار العابق وجدت نفسي مقتعداً الارض.

"وعوض أن أطلق العنان لانفعالي عزمت على كشف سبب عدائية الرجل. فتحدثت الى مندوبين آخرين من زملائي، وتبين لي أن لدى الرجل شكوى منطقية. فقد تكدس في متجره، بفضل سَلَفي، فائض من البضائع جمّد قسماً من رأسماله. فتدبرتُ مع أحد زبائني الكبار شراء مخزونه بسعر الكلفة. وغني عن القول إنني بذلك ربحت صديقاً. ولما زرته في متجره ثانية لقيت منه حفاوة وترحيباً حارّين."

تكيفوا مع التغيير.

إن إعادة تنظيم أي عمل تحدث تغييرا لا رغبة للناس في تقبله. لكن الذين يقبلون تحدي التغيير يسجلون الانطباع الاكثر ايجابية.

لقيت مجموعة الملابس التي تسوِّقها

مديرة مبيعات في الاربعين من العمر نصيباً من النجاح. لكن أساليب الشركة المتبعة في ادارة الأعمال باتت بالية لعدم لحاقها بركاب التطور. ولما تسلمت إدارة جديدة زمام الامور أقرَّت تدابير صارمة تتماشى ومتطلبات العصر. فاشتكى بعض المديرين من كبت قدراتهم الابداعية.

وحدها مديرة المبيعات تلك اعتمدت خطة تحرك مختلفة وحاولت العمل كمديرة نموذجية في شركة تتوخى الابداع. فأكب مساعدوها على وضع برنامج مكثف للتخطيط ورسم الأهداف والحصول على معلومات مفصلة عن المبيعات وابتكار تصاميم جديدة للازياء العصرية.

لقي استعداد مديرة المبيعات للتغيير أصداء طيبة لدى الادارة. وليس من قبيل المصادفة أن يحصد المديرون الثلاثة الذين قاوموا التغيير ثمار سلبيتهم، فقد أحيل أحدهم على التقاعد باكراً وأنزلت مرتبة الثاني وطرد الثالث.

لا تشيحوا عن الامكانات.

لما كانت المهنة تحتل حيزاً كبيراً من تقديرنا لانفسنا، فان أي انتكاسة تلم بها كفيلة بحملنا على إغفال الاحتمالات المتوافرة لدينا.

يحضّ المؤلف والمستشار المهني طوم جاكسون العمالَ المسرَّحين من وظائفهم على تغيير نظرتهم الى أنفسهم. فالعامل الذي أمضى حياته في مصنع فولاذ ووجد نفسه بين ليلة وضحاها عاطلاً عن العمل بعدما اضطر المصنع الى إغلاق أبوابه، سينظر كل صباح الى المرآة ويقول: "أنا عامل فولاذ عاطل عن العمل." وهو بهذه الطريقة يقنع نفسه بفشله. ولكن حريّ به أن يقول: "أنا لست عامل فولاذ عاطلا عن العمل، بل رجل يملك خيارات." وهكذا يعتق نفسه بعزم وقوة.

لا تستسلموا.

أسس متعهد ترميم في الثالثة والثلاثين من عمره مصلحة ناجحة. فهو لاحظ أن تسلُّق الجدران والسطوح يتطلب سرعة وخفة، وحَسِب أنه لن يعجز عنه يوماً، إلى أن تعرض لحادث سيارة تسبب في تحطيم رجله اليمنى واضطره الى ترك العمل. ولم تكن لديه مؤهلات أخرى صالحة للاستثمار الا موهبته في النجارة.

وهو يتذكر محنته السابقة: "كنت مصعوقاً، بقيت لي شاحنتي وعدة النجارة، ولكن ما نفعهما وأنا أستعين بعصا للمشي وأعجز عن تسلق سلم؟"

لكنه أبى الاستسلام. وعندما لاحظ الاهتمام الشائع بترميم البيوت القديمة لمعت في ذهنه فكرة عملية. فهو برع في الاعمال الخشبية ونجارة الاثاث حين كان طالباً في المدرسة المهنية، وإن أفلح في الجمع بين مهارته اليدوية واهتمامه بالترميم، فقد يتسنى له تأمين عيش كريم.

وهكذا عمد صاحبنا إلى سحب نسخة عن شهادته من المدرسة المهنية، وطلب شهادات تقدير من زبائنه السابقين، ثم

طبع بطاقات مهنية جديدة ووزعها على النجارين وتجار الخشب، وأخطر مصلحة الآثار باستعداده لتولي أعمال ترميم. واليوم أصبحت شركته ذائعة الصيت.

التغيير هو الثابت الوحيد في مراكز العمل اليوم. فما من شيء مكفول، لكن الاشخاص المرنين يتعلمون اجتياز النكسات المهنية متحلّين بالتفاؤل وروح الفكاهة أحياناً.

عندما سئل توماس إديسون مرة لماذا لا يكف عن محاولة صنع نوع جديد من البطاريات الكهربائية بعد فشله تكراراً، أجاب: "الفشل؟ أنا لم أفشل، فقد بت أعرف خمسين ألف طريقة غير ناجحة."

أندرو دوبران ■



الناقص الوحيد

لم نملك المال الكافي لتأثيث بيتنا الجديد، فراحت والدتي تمدّنا ببعض الاثاث الفائض عنها. وكان أبي كلما زارنا يجد لدينا قطعة مألوفة فيقول: "لدينا قطعة كهذه في البيت." فأجيبه. "كانت لديك."

وذات يوم أتى لزيارتنا وجلس في كرسي كانت له، ثم هتف: "الناقص الوحيد هنا هو أنا."

م.و.

مزارع سعيد

أمضى العم سعيد حياته عاملا في مزرعة لتربية الابقار، يستيقظ من نومه يومياً في الثالثة فجراً صيفاً وشتاء. سئل مرة عن رأيه في عمله فأجاب: "ليس سيئاً. حين أنتهي من عملي اليومي فهذا يعني أن يومي قد انتهى." ثم نفث دخان غليونه وأضاف: "طبعاً، اليوم التالي يبدأ للحال."

د.و.

للضرورة أحكام

كان مبنى كلية العلوم في الجامعة مقسوماً ردهات واروقة متشابهة حتى خيّل الى الطلاب الجدد في يومهم الاول أنهم في متاهة يعجزون عن النفاذ منها، فامضوا النهار ضائعين بين الممرات يسأل بعضهم بعضاً عن الاتجاهات. وفي اليوم التالي خرجت طالبة من أحد الصفوف ورفعت يدها هاتفة: "المخرج شمالا!" فسألها زملاؤها عن سرّ ثقتها، فرفعت يدها واذا بها تحمل... بوصلة.

ر.س.

يوم احترقت لوس انجلس

اجتاحت العصابات المدينة فعم الشغب كل مكان واندلعت الحرائق وغطت الدماء الشوارع فيما رجال الشرطة يتفرجون. فمن المسؤول عن اندلاع الغضب الاسود في لوس انجلس؟

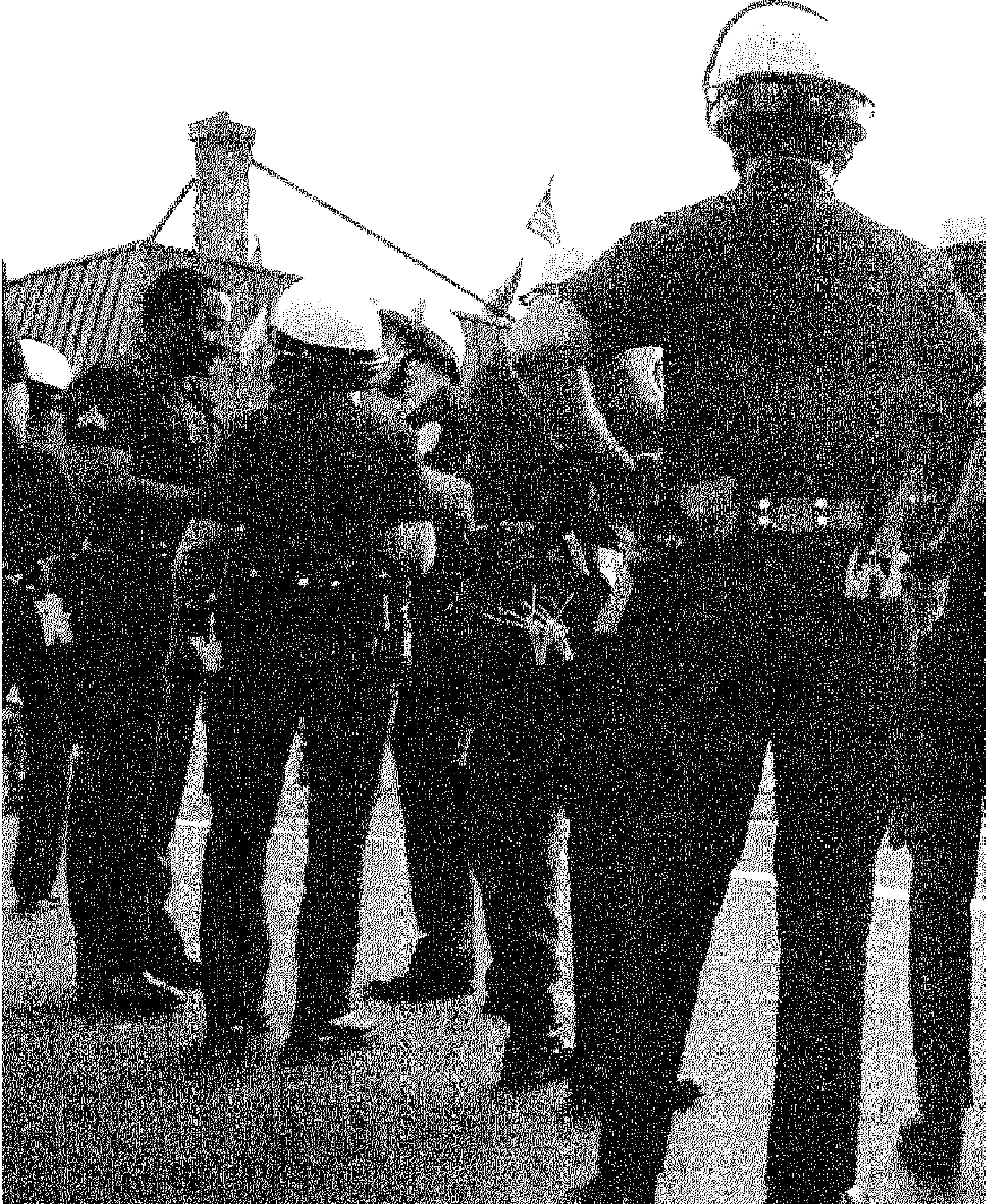




"بريء... بريء... بريء..."

فيما كانت هيئة المحلفين تبرّىء أربعة من رجال شرطة لوس أنجلس من تهمة الاعتداء بالضرب على رودني كينغ[1] في ٢٩ أبريل (نيسان) ١٩٩٢، وقفت الشرطية ليزا فيليبس أمام واجهة محلّ "جيسي" لاصلاح أجهزة التلفزيون في جادة فيرمونت، تتابع صدور الحكم على شاشة جهاز دائر. أحست الشرطية المتمرسة بقسوة نظرات زبائن المحلّ السود، فألقت نظرة خاطفة على زميلها

(١) صوّر أحد المواطنين الحادث على شريط فيديو تم عرضه تلفزيونيا في انحاء العالم وأثار موجة غضب عارمة في الولايات المتحدة على وحشية رجال الشرطة.



دان ني، وأسرع الاثنان نحو سيارة دوريتهما التابعة لقسم الاشرطة في الشارع ٧٧.

وفيما الشرطيان يجوبان الشوارع، خامر ليزا شعور غريب. ومع أن جهاز الاتصال بقي صامتاً معظم الوقت، إلا أن الجو كان مشحوناً بالتوتر.

كان زعماء الاقليات في مجلس المدينة حذروا من أي استعدادات مكشوفة تتخذها دائرة الشرطة لمواجهة اضطرابات محتملة، فيما أعلن مارك ريدلي توماس، عضو مجلس المدينة، أن "أي عرض مكثف للعضلات قد يكون اجراء خاطئاً." لذا عقد مسؤولو الشرطة العزم على مواجهة الامر بروية. وفي الاشهر التي تلت حادث الاعتداء على رودني كينغ، أصبحت دائرة شرطة لوس أنجلس، بتعبير أحد مساعدي النائب العام، "أكثر خشية من أي وقت مضى من استثارة المشاكل وأقل ميلا الى أخذ اجراءات حازمة لمنع المشاكل." وفي ما عدا تدريباً ليوم واحد على ضبط الغوغاء، لم يتلقّ شرطيو القسم ٧٧ أي تدريبات خاصة لمواجهة قلاقل جدية.

وفي المخفر، كان المصور بارت بارثولوميو في مهمة لصحيفة "نيويورك تايمز" باحثاً عن لقطات لردود الفعل على حكم البراءة. واذ قرر متابعة سيارات الدوريات، خرج من المخفر الى سيارته الفولفو الجديدة اللماعة. وفي اللحظة الاخيرة تذكر سترته الواقية من الرصاص تحت سجادة السيارة، فارتداها.

قرار مصيري. راهنت قيادة شرطة لوس انجلس على ردود فعل لا تخرج على الحد الادنى. وكان رئيس الشرطة داريل غايت، الى كونه على وشك التقاعد، في نزاع مرير مع رئيس البلدية طوم برادلي حول السيطرة على الدائرة، ويستعد لحضور حفلة لجمع التبرعات في ضاحية برنتوود الراقية. وكان مساعده روبرت فرنون يمضي أيام اجازته المتراكمة في كولورادو قبل أن يحال على التقاعد، وقد دعا دائرة الشرطة تكراراً الى الاستعداد لمواجهة اضطرابات محتملة، لكن دعوته لم تُستجب. وكان أحد نواب رئيس الشرطة في اجازة هو أيضاً، فيما كان نائب ثان في طريقه للقاء مسؤولين حكوميين وزعماء سود من أجل تهدئة الوضع. وكان ثلثا ضباط الدائرة آنذاك في منتجع فنتورا يشاركون في دورة تدريبية.

بعد نطق الحكم تحرك في الشارع ٧١ المتاخم لشارع نورماندي أعضاء احدى أكثر عصابات المدينة اثارة للشغب، وأخذوا يتجولون غاضبين من منزل الى منزل ويتحدثون عن "نقل القضية الى الشوارع." وفي متجر يملكه مهاجر كوري، خرج أحد أعضاء العصابة من دون أن يدفع حسابه. فأمسك به ابن صاحب المحل، لكن اللص ضربه بزجاجة على رأسه، فأطلق الوالد جرس انذار خفياً. وحين لبَّت الشرطة النداء كان الشاب اختفى. لكن جمهرة من الناس بدأت تتجمع، وأخذ بعضهم يرشق رجال

PHOTOS: (BACKGROUND) © RICK RICKMAN / BLACK STAR; (INSET) © STEVE GRAYSON / GAMMA - LIAISON



الشرطة بالحجار، مما دفعهم الى طلب نجدة فورية. وكان المصور بارثولوميو يتبع مجموعة مسرعة من سيارات الشرطة، فأوقف سيارته والتقط آلتي تصوير وهرول نحو الحشد ليصور شرطياً بادي التوتر وهو يقيّد أربعة رجال. ثم سمع أصواتاً خلفه تقول: "سيموت رجال الشرطة الليلـة" و"لقد حـان وقت السلاح."

لم يرَ بارثولوميو كراهية مثل تلك من قبل. وكانت عصيّ المكانس تنهال على رجال الشرطة، الى الزجاجات الفارغة والحجار. وفيما أخذ الحشد يكبر، كان الشرطيون السود هم أكثر المستهدفين للغضب الصائح: "خـونة!" و"العم طوم!" [٢] وغير ذلك من عبارات السخط.

في تلك اللحظة أخذ الملازم مايك مولان، المسؤول عن فريق الشرطة المتوتر، قراراً مصيريا تردد عبر أجهزة الارسال: "غادروا المكان جميعكم!"

"خذوا الكاميرا!" بدأت سيارات الفريق تتراجع منسحبة، فاهتاج الحشد لمشهد رجال الشرطة الهاربين. فجأة أحس بارثولوميو ضربة على وجهه. كان هو الابيض الوحيد المتبقي في المكان، فاتجهت غضبة الغوغاء اليه. فأسرع نحو سيارته وهو يحس بدوار فيما خففت سترته الواقية من زخم اللكمات التي كان يتلقاها.

صرخ أحدهم: "خذوا الكاميـرا! انزعوا الفيلم!" ففتح بارثولوميو احدى آلتي التصوير وسلّم الفيلم الذي كان بمعظمه غير مصوَّر الى رجل أخذ يلوّح به فوق رأسه وسط تهليل الحشد.

سار بارثولوميو متعثراً الى سيارته حيث رأى أفراداً من العصابة يقفزون فوق سطحها وعلى غطاء محركها بعدما سرقوا حقيبته وأغراضاً أخرى. وما كاد ينطلق بسيارته حتى اخترقت النافذة كتلة من الاسمنت أصابت جانب وجهه.

داس المصور دواسة الوقود حتى لامست الارض، فانعطفت السيارة الى اليسار محدثة صريراً عنيفاً، ثم انطلقت مسرعة عبر تقاطع شارعي فلورنس ونورماندي. كان رأسه ينزف وخده يتورم،

(٢) Uncle Tom لقب يطلقه السود على ابناء جنسهم الخاضعين لارادة البيض المذلّة.

ولم يدر في تلك اللحظة أن الفيلم الذي احتفظ به قد سجّل الشرارة الاولى لاسوأ أعمال الشغب في تاريخ أمريكا.

في وجه الغوغاء. فيما كان رجال مولان ينسحبون، ظهر رئيس البلدية طوم برادلي على شاشات التلفزيون وهو يكاد لا يقوى على احتواء غضبه بسبب الحكم الذي أصدرته هيئة المحلفين. فحضّ الناس على "التعبير عن غضبهم على نحو مشرف،" معلناً: "إننا لن نقبل بالتصرفات المشينة التي تقوم بها قلة من رجال الشرطة."

وفي مقر قيادة شرطة لوس انجلس، تحدث رئيس الدائرة غايتس الى مراسلي الصحف وقال لهم بفتور: "اذا حدثت قلاقل فنحن مستعدون لها، ولن أدخل في التفاصيل." ثم غادر المقر الى حفلته.

كانت تقارير الشرطة عن أعمال العنف بدأت ترد لاسلكياً من أجزاء متفرقة من الشارع ٧٧. لكن رجال الشرطة المتلهفين لاعادة تجميع قواهم واحتواء الاحداث في مهدها، سمعوا صوت الملازم مولان يرعد عبر أجهزة اللاسلكي. "على الجميع مغادرة شارعي فلورنس ونورماندي الآن!"

صدرت الاوامر الى جميع رجال الشرطة بالانسحاب الى مركز عمليات أُقيم في محطة للحافلات على بعد حوالى ثلاثة كيلومترات. وفي غضون ذلك كانت أجهزة اللاسلكي في سيارات الشرطة تضجّ بنداءات تطلب المساعدة.

في السادسة والدقيقة السابعة مساء، سمع الشرطيان ني وفيليبس احدى تلك النداءات: "خمسون من الرجال السود يرمون الحجار على سيارة رمادية في داخلها امرأة. هل هناك أي وحدة من القسم ٧٧؟"

تبادل الشرطيان النظرات. ففي النداء يتمثل كل ما تدربا من أجله. فتوجها الى بؤرة الاضطراب غير عابئين بأوامر مولان. وفي دقائق، فاجأا حشداً يحيط بسيارة صغيرة في داخلها امرأة آسيوية. فقالت فيليبس لزميلها: "حسناً يا دان، أحضر المرأة، وسوف أغطيك من هنا!" ثم قفزت من السيارة شاهرة مسدسها وقلبها يخفق بشدة. فتراجع الحشد اذ لوحت بمسدسها وهي تفكر: "قد أموت في هذه اللحظة."

سحب ني المرأة من السيارة المغطاة بنثار الزجاج، لكنه ما لبث أن سقط أرضا تحت وابل الحجار التي أصابته في ظهره وركبته. فعلا آنذاك ضحك المشاغبين. فصاحت بهم فيليبس: "كفوا أيها الانذال!" وسرعان ما نهض ني حاملا المرأة الى سيارة الدورية. وما إن انطلقت السيارة حتى حطمت قرميدة الزجاج الخلفي. فاتصل ني عبر اللاسلكي مبلغاً أنهما يتجهان بالمرأة الى المستشفى.

في تلك الاثناء، كانت التقارير عن أعمال الشغب تُغرق مراكز الشرطة، وأفيد عن أعمال نهب في الشارع ٨٥ وفي جادة فيرمونت. لكن وحدات القسم ٧٧ أمرت بتجاهل النداءات مما جعل رجال الشرطة

يشعرون بأنهم يتخلون عن قَسَمهم القائل: "ليحموا ويخدموا." وكان عزاؤهم الوحيد امكان اعادة تجميع قواهم ضمن فرق في محطة الحافلات والتحرك بسرعة لتهدئة الشارع.

اعادة تجميع. ما إن انسحب رجال الشرطة حتى تحول تقاطع شارعيّ فلورنس ونورماندي مسرحاً لمشهد وحشي، إذ أقدمت الغوغاء على سحب لاري تارفين من شاحنته وأشبعته ضرباً، فيما صاح أحد المتفرجين: "هذا ما لاقاه رودني كينغ أيها الصبي الابيض!"

وفي السابعة الا ربعاً مساء، وصل ريجينالد دني الى التقاطع في شاحنته المحملة ٢٧ طناً من الرمل. فأحاط به أفراد العصابة واقتلعوه من قمرته وراحوا يركلونه. ثم هشم أحدهم رأسه بمطفأة حريق، فتدفق الدم غزيراً. فصرخ مراسل صحافي من مروحية تابعة لقسم الاخبار في إحدى المحطات كانت تحوّم فوق المكان. "لا شرطة هنا! انها محاولة قتل!"

هرع رجلان وامرأتان من السود لمساعدة دني. ثم قاد أحدهم الشاحنة الى المستشفى حيث تمكن الاطباء من انقاذ حياته في اللحظة الاخيرة.

وفي حفلة جمع التبرعات، أخبرت إحدى المدعوات رئيس دائرة الشرطة غايتس أنها شاهدت على شاشة التلفزيون "ثلاثة أشخاص يُضربون حتى الموت."

فقال لها غايتس ببرودة أعصاب: "اننا نسحب رجالنا لاعادة تجميعهم. ولا شك في أنهم تشكلوا الآن فرقاً وأصبحوا على أهبة."

في غضون ذلك، لم تكن محطة الحافلات الا مسرحاً للاحباط. فليس فيها جهاز تلفزيون، وأجهزة الهاتف فيها صالحة لاستقبال المكالمات فقط. فوقف رجال شرطة القسم ٧٧ قرب سياراتهم منصتين الى أجهزة اللاسلكي فيما مدينتهم تتمزق.

أخذ رجال الشرطة، وقد اعتمروا الخوذ ولبسوا السترات الواقية، يتصببون عرقاً ويكيلون اللعنات وهم قابعون ينتظرون تلقي الاوامر. وتوسل بعضهم الى رؤسائهم المباشرين لكي يسمحوا لهم بتلبية نداءات الاستغاثة، لكن مولان صمّ أذنيه. وأخيراً تمكنت الرقيبة تيريزا تاترو المتولية شؤون الاتصالات في مقر القسم ٧٧ من مكالمة مولان هاتفياً. فقالت له: "مايك، إنهم يقتلون الناس هناك. نحن في حاجة الى رجالك!"

فأخبرها مولان أنه لم يعد آمراً للمجموعة وأن رؤساءه ما زالوا يعملون في "رسم" الخطط.

"**انهم قومي**!" فيما كان الممثل غريغ ألن وليمس يعبر تقاطع شارعي فلورنس ونورماندي عائداً الى منزله من ناد رياضي، روّعه نبأ بثته الاذاعة عن حادث الاعتداء على دني. وكان غريغ عملاقاً أسود خدم في سلاح البحرية. فانطلق

بسيارته لدى سماعه النبأ تحدوه فكرة وحيدة هي: "كيف يمكنني أن أضع حداً لهذا العنف؟"

وبعد عبوره بضعة تقاطعات طالعته سيارة محاصرة من طراز "فورد برونكو" كان أحد المشاغبين حشر نفسه في نافذتها الجانبية المحطمة وأخذ يسدد اللكمات الى سائقها تاكاو هيراتا وساقاه متدليتان خارجاً. وفيما هو على هذه الحال فتح آخرون باب السيارة المقابل وراحوا يضربون هيراتا بالزجاجات الفارغة. فتقدم ألن وليمس متحدياً الغوغاء، وجر هيراتا الى الرصيف، ثم سأله: "هل يمكنك أن تمشي؟"

فهز هيراتا الذاهل المدمّى رأسه نفياً. فقال له وليمس: "خير لك أن تمشي وإلا لقيت حتفك." ثم مشى به عبر الشارع لافاً ذراعه حوله في محاولة لدرء الحجار المنهالة عليهما وهو يفكر: "يا لهم من جبناء. كم أكره أن تهاجم كثرة شخصاً واحداً!"

وبعدما سارا جاهدين مسافة ٣٠٠ متر أجلس وليمس رفيقه في فناء أحد المنازل وحاول ايقاف النزف. وفيما هما على هذه الحال مرت بهما سيارة شرطة كان الجيران استدعوها للمساعدة. إلا أن السيارة مضت في سبيلها متجاهلة توسلات وليمس. فأحس هذا في تلك اللحظة قشعريرة خوف: فلا سيارات اسعاف، ولا شرطة. انه حكم الغوغاء!

في غضون ذلك، كانت الرسالة المخيفة اياها تُبث عبر محطات التلفزيون والاذاعة: الشوارع سائبة والشرطة لا تحرك ساكناً.

أخيراً، تبرع سائق سيارة من الجوار بنقل هيراتا الى المستشفى. فمشى وليمس الى سيارته والدم المتيبس يغطيه واحدى أصابعه مكسورة. وفيما هو متجه الى منزله لملاقاة زوجته وأطفاله الاربعة، كانت السماء فوق لوس أنجلس تحولت حمراء متوهجة.

في شارع برودواي، لاحظ ادوارد كونتريراز عصبة من الغوغاء تتجمّع أمام متجر أجهزة الستيريو الذي يملكه. فتسلق الى السطح مسلحاً بمسدس، ورأى رجالا يخرجون من المتجر حاملين معدات الكترونيـة. "يا الهي، انهم لاتينوس![3] انهم قومي!"

اتقد ادوارد غضباً وأطلق بضع رصاصات في الهواء صارخاً: "اخرجوا من هنا!" وأتبع ذلك بطلقة واحدة نحو الشارع. فردّ أحدهم باطلاق النار. فأحس كونتريراز بحريق في صدره وذراعه اليسرى وبالدم يُغرق قميصه، وأسرع الى منزله خلف المتجر وهتف بزوجته ساندرا: "هاتي النقود، اننا خارجون من هنا!" لكن المتجر كان حلماً عمل ادوارد لتحقيقه منذ أيام المراهقة. فركض عائداً وصرخ باللصوص: "اتركوا ما تحملون واخـرجـوا!" ثم أطلق رصـاصـتين تحذيريتين. ولما رفض أحدهم الامتثال أصابه ادوارد في قدمه، فخرج من الباب يعرج. وأمام واجهة المتجر رأى ادوارد

(٣) مهاجرون من أمريكا اللاتينية

سيارة "بويك" خضراء ملأى باللصوص. فراح يطلق النار عليها الى أن أقلعت.

تساءل كونتريراز: "أين رجال الشرطة؟" وكانت جروحه أعجزته عن إعادة حشو مسدسه. فجثمت ساندرا خلفه تملأ "مشط" الذخيرة. وأخيراً وصل شقيقاه ماركو وروبرت.

قال ماركو: "ليس هنا ما يستحق الموت من أجله." واذ لم يكن تبقى مع ادوارد سوى خمس رصاصات، قبل ركوب سيارة ماركو الى المستشفى.

ولم يمضِ وقت قصير حتى عادت العصابة في سيارة البويك الخضراء وأمطرت المتجر بنيران رشاشة، ثم اقتحمت مدخل المتجر بسيارة أخرى ونهبت كل محتوياته. وفي النهاية، دمّر حريق المبنى بكامله.

وفي الشارع اياه، أشعل أحدهم النار في المكاتب الرئيسية لشركة "برودواي فيدرال" للادخار والقروض. فدمر الحريق مؤسسة يملكها السود ساعدت على مدى عقود عائلات من الاقليات العرقية في شراء منازل.

سقوط مدينة. أصبحت محطة الحافلات في نظر الرقيب تاترو القابع في القسم ٧٧ "ثقباً أسود يمتص رجال الشرطة ولا يعود يلفظهم خارجاً." وفيما الرجال ينتظرون، كان قادتهم يدرسون الخرائط بحيث لم تتحرك الدوريات للرد على قائمة طويلة من نداءات الاستغاثة الا في الثامنة مساء، أي بعد ساعتين ونصف ساعة على بدء الاضطرابات. فاستجابت احدى الدوريات لتبليغ عن عملية نهب، لتجد أن النيران أتت على المتجر منذ مدة طويلة.

وعلى مسافة كيلومترات شمال القسم ٧٧ عمل ريتشارد ري ونحو ثلاثين من موظفيه المسلّحين لتحويل متجره "كاليفورنيا ماركت" قلعة حصينة: استُخدمت السيارات والشاحنات الصغيرة حواجز سدّت مداخل موقف السيارات، وحمت صفوف من عربات التبضع النوافذ الزجاجية، فيما سدَّت أكياس الرز الضخمة مداخل المتجر. وعلى امتداد تلك الليلة، صدَّ ري ورجاله موجات من اللصوص حتى امتلأت أرض موقف السيارات بالخرطوش الفارغ. وفي الجوار، نُهبت متاجر الكوريين ومكاتبهم ثم أحرقت.

بلغت موجة العنف ذروتها في وقت متقدم من ليل الخميس، لكن الاضطرابات لم تهدأ فعلا الا يوم السبت عندما فرض ألوف من رجال الحرس الوطني[٤] منع تجول في المدينة. وكانت الحصيلة مذهلة: ٦٠ قتيلا وأكثر من ألفي جريح وثمانية آلاف حريق وأضراراً قُدِّرت بأكثر من ٧٠٠ مليون دولار، وخسارة أكثر من عشرة آلاف وظيفة.

تابع "جنود" ريتشارد ري رقابتهم الناجحة. لكن ادوارد كونتريراز، الذي لا يملك بوليصة تأمين، وقف وسط ركام

(٤) الحرس الوطني وحدات احتياط تدعى الى الخدمة في حالات الطوارىء المدنية

متجره مفكراً كيف يبدأ من جديد.
وأمضى بارت بارثولوميو، المصاب جسدياً ونفسياً، أيام نقاهة في منزله غرب لوس انجلس مع زوجته وطفلته. وكان ينام والى جانبه بندقية.

بعد الكارثة، فتحت مفوضية شرطة لوس انجلس تحقيقاً رسمياً تناول رد فعل دائرة الشرطة على الشغب. فدافع مايك مولان بقوة عن قراره سحب رجال شرطة القسم ٧٧، لكنه امتنع بعد أسابيع قليلة عن اجراء أي مقابلات، واستخدم وكيلا في هوليوود ليتدبر نشر قصته عبر وسائل أخرى!

وفيما التبريرات تتوالى، كان ثمة احساس جلي بأن السلطات بمجملها، من رئيس البلدية نزولا، كانت تخشى القيام بعمل "استفزازي" مما جعلها لا تتحرك بسرعة وبحزم.

يقول أستاذ القانون جيروم سكولفيك: "خشيت الشرطة أن تُتهم بالمبالغة في ردود فعلها، فجاءت ردود فعلها ناقصة."

لكن دوائر أخرى للشرطة في منطقة لوس انجلس واجهت عصابات النهب بقوى حاشدة وقبضت على كثير من المشاغبين. وبحسب صحيفة "لوس انجلس تايمز": "تعاملت هذه الدوائر مع كل نداء استغاثة كأنه نذير بسقوط المدينة،" فيما بقيت دائرة شرطة لوس انجلس ساكنة من دون عمل.

أما بالنسبة الى الشرطيين أنفسهم، فقد تجلّت لحظة الحقيقة خلال ساعة الفوضى الاولى عندما وقفت ليزا فيليبس شاهرة مسدسها في كلتا يديها في وجه عصبة عنيفة من الغوغاء، فصدتهم فيما تولى زميلها انقاذ ضحية عاجزة. لقد أدت فيليبس واجبها بشجاعة وولاء، الامر الذي كان زملاؤها من رجال الشرطة يرغبون في تأديته.

يقول الرقيب تاترو: "سوف يؤلمني الى الابد ايماني بأننا لم نفعل ما أثبتت ليزا أننا كنا قادرين على فعله."

رالف كيني بنيت ■



الاب الناجح مدير ناجح؟

يسعى ريتشارد برانسون مدير احدى كبرى الشركات العالمية الى الثناء على موظفيه كافة وتشجيعهم. ويركّز على تذكّر اسماء كل عمال مقسمات الهاتف في كل فروع شركته عبر العالم. وكأبٍ شغوف بولدين في العاشرة والسادسة من عمرهما؛ ادرك ان عليه ان يتجنب معاقبة موظفيه على ارتكابهم الاخطاء ويقول. "حين يربي المرء اولاده، عليه ان يسخي الثناء عليهم. وتوقع الأفضل يأتي دائماً بالأفضل. والأمر نفسه ينطبق على موظفي الشركات، اذا ارتكبوا خطأ فهم يدركون ذلك ولا حاجة الى تذكيرهم. امّا ان تقول لاحدهم. "ما فعلته عظيم"، فهذا يحفزه على الوصول الى نتيجة افضل في المرة التي تلي."

"توداي" – لندن

الضحك

ضربة فرشاة

■ كان أستاذ الفنون يشرح لتلاميذه مآثر رسام عظيم، فقال: "كان في استطاعته أن يحول وجهاً باسماً الى وجه عابس بضربة فرشاة واحدة."
فقال تلميذ صغير: "هذا أمر هيّن. فأمي تفعل ذلك أيضاً."

د.إ.

مومياء

■ رأى صبيّان مومياء في متحف وقد كتب على واجهتها "١٢٨٦ ق.م." فسأل أحدهما رفيقه: "ماذا يعني هذا الرقم؟"
فأجاب الآخر: "ربما هو رقم السيارة التي دهسته!"

ك.ش.

فلك نوح

■ بعدما قرأ الصبي في المدرسة عن فلك سيدنا نوح، سأل جدّه المزارع: "قل لي يا جدّي، ألم تكن مع نوح في الفلك؟"
أجاب الجد: "طبعاً لا."
فاستغرب الصغير: "لكنك تتحدث دائماً عن الايام الماضية. ولذلك كل هذه الابقار والحمير والكلاب والهررة في مزرعتك. اعتقدت أنك كنت معه في الفلك."
فكرر العجوز نفيه. فصاح حفيده: "ولمَ لم تغرق إذاً؟"

ج.م.

مخيِّمات

■ كان الاستعداد لرحلة التخييم مشروعاً جبّاراً بالنسبة الى شقيقتي وصديقتيها. ولما حان وقت الانطلاق أخيراً بدا أن كل ما يملكنه من متاع قد كُدّس على جانب الرصيف. ولما وصلت الحافلة التي ستقلهنّ، ترجل سائقها وراح يساعدهن في توضيب الحقائب. وحين انتهى من ذلك تلفّت حوله وسألهن: "أين الباقون؟"

ب.ت.

لا شيء يرضيها

■ في نهاية الفصل الدراسي الأوّل، كتبت المعلّمة على دفتر علامات ابني الملاحظة الآتية: "تلميذ جيّد. تجدر به المشاركة أكثر في محادثات الصف."
وفي الشهر التالي جعلته المعلّمة يكتب خمسين مرة قصاصاً: "عليّ ألا أثرثر في الصف."

ب.ف.

غوانغ دونغ

هل تكون جارة هونغ كونغ نواة صين جديدة؟

يقول مثل صيني: "الجبال عالية، والامبراطور بعيد." وهو ينطبق على الوضع الحالي في مقاطعة غوانغ دونغ.

تبلغ مساحة هذه المقاطعة ١٧٧،٥٠٠ كيلومتر مربع، وعدد سكانها ٦٣ مليوناً، وهي تبعد عن العاصمة بيكين مسافة ١٩٠٠ كيلومتر. وفي حين بقي القادة الصينيون متزمتين في بيكين، نجد مقاطعة غوانغ دونغ عاقدة العزم على السير بثبات في الطريق نحو الازدهار الرأسمالي.

في منتصف السنة ١٩٩٤ ينتهي العمل في إنشاء طريق دولية تبلغ كلفتها مليار دولار وتتسع لستة خطوط، تربط مقاطعة غوانغ دونغ بمستعمرة هونغ كونغ المجاورة التي تتبع سياسة الاقتصاد الحر، مما سيؤدي الى مزيد من التكامل والاندماج بين اقتصاد المنطقتين. وبالتالي، تصبح غوانغ دونغ أقرب عقائدياً وجغرافياً الى هونغ كونغ منها الى بيكين. وتتعهد شق الطريق شركة هندسية في هونغ كونغ تدعى "هوبويل هولدينغز." ويقول مديرها غوردون وو متقفياً الطريق على خريطة عبر دلتا نهر اللؤلؤ: "اني أشهد في غوانغ دونغ اليوم ولادة تايوان جديدة. وسوف يكون لها تأثير كبير في الصين. إنها ثورة اقتصادية."

ينتقل رجال الأعمال ورجال السياسة في غوانغ دونغ من إقتصاد موجه الى اقتصاد يعتمد المبادرة الفردية وحاجة السوق، متجاهلين تسلُّط بيكين. يقول جون كام وهو أمريكي يدير شركة كيميائية عمل في المقاطعة مدة عشرين سنة: "لقد قضت الشيوعية في غوانغ دونغ."

فالاصلاحات الاقتصادية والهجرة الصناعية الكثيفة من هونغ كونغ أدت الى إحداثِ تغيير في اقتصاد غوانغ دونغ. والآن، تحتل المقاطعة المركز الأول في الصين من حيث النمو الصناعي والاستثمار الخارجي والصادرات. وقد ارتفع مجموع صادراتها من ثلاثة مليارات دولار عام ١٩٨٥ الى ١٠،٥ مليارات عام ١٩٩٠.

فورة اقتصادية. غوانغ دونغ هي اليوم من أكبر مصدّري الألعاب والمراوح الكهربائية ومعاطف الريش والاحذية والجوارب وقطع الساعات في العالم. وتغذي هذه الصادرات حركة الازدهار.

تخرج الصين من شرنقتها





(الى اليسار) متسوقون في سوق التجارة الدولية في شن تشن. (تحت) مدينة شن تشن المزدهرة.

لنذهب في زيارة الى دلتا نهر اللؤلؤ، وهي منطقة يقطنها ستة عشر مليون شخص ضمن دائرة شعاعها ١٣٠ كيلومتراً ومركزها هونغ كونغ وماكاو الرأسماليتان. على مدى العقد الماضي، كان اقتصاد هذه المنطقة ينمو باطراد بنسبة ١٢ في المئة سنوياً، وفي منطقة الدلتا تحديداً بنسبة ٢٠ في المئة، وذلك يفوق النسب التي شهدتها المناطق الصناعية الجديدة مثل تايوان وكوريا الجنوبية في أوج ازدهارها الاقتصادي في الستينات والسبعينات من هذا القرن.

مدينة شن تشن مركز اقتصادي مميز في غوانغ دونغ على الحدود مع هونغ كونغ. وهي تشهد فورة اقتصادية. ففي المدينة عدد كبير من الفنادق الأنيقة وأول فرع صيني لسلسلة مطاعم "ماكدونالد" الامريكية حيث يدفع السكان المحليون ثمن شطائر الهمبرغر بدولار هونغ كونغ أو بالعملة المحلية.

وتضاهي سوق البورصة الحديثة في شن تشن سوق هونغ كونغ. وقد ازداد عدد سكان المدينة من ٣٠ ألف نسمة عام ١٩٨٠ الى ١،٩ مليون بسبب تدفق عشرات الالوف من الفقراء من أرجاء الصين بحثاً عن عمل. وارتفع ناتج شن تشن الصناعي بسرعة من ١١ مليون دولار الى أكثر من ثلاثة مليارات، وهي تصدر ثمانين في المئة من منتجاتها الى الخارج. وتشهد المنطقة نمواً بمعدل ٤٠ في المئة سنوياً.

ونشاهد في غوانغ تشو (كانتون) عاصمة غوانغ دونغ لوحات دعائية عملاقة. لكنها لا تحمل شعارات عقائدية، بل إعلانات شامبو وجينز ومرطبات.

ولو تمشيت في جادة التحرير في غوانغ تشو لرأيتها تغص بالحافلات وسيارات الأجرة والدراجات النارية. كما تجد المخازن ملأى بالبضائع الاجنبية: مبيدات "جونسون" وأقلام "باركر" وأجهزة "سوني" الموسيقية. ويمكنك شراؤها بالعملة المحلية أو بالعملات الصعبة. وفي العام ١٩٩٠ بدأت ألوف السيدات العمل في ترويج مستحضرات "آڤون" للتجميل في مقابل عمولة، متنقلات من دار الى دار لعرض المستحضرات على ربات البيوت. وهكذا شهدت المدينة هذا النوع من البيع المباشر للمرة الاولى منذ ثورة ١٩٤٩.

ومن باب المفارقة أن من بدأ هذا التحرك الرأسمالي كان دعاة الشيوعية في بيكين أنفسهم.

تسامح حكومي. عام ١٩٨٧، عندما أطلق دينغ هسياو بينغ سياسة "الباب المفتوح"، وقع الاختيار على غوانغ دونغ لاختبار الاصلاحات الاقتصادية. وتضم غوانغ دونغ ثلاثة من أربعة مراكز اقتصادية أُنشئت لجذب الاستثمارات الاجنبية ودراسة الممارسات الاقتصادية الرأسمالية.

فكان من أهم الاصلاحات منح

المُستثمرين الاجانب حرية استخدام العمال وفصلهم وتدريبهم، وبقي التدخل السياسي في ذلك محدوداً. ومن الامثلة على ذلك أن باتريك وانغ مدير "جونسون إلكتريك" وهي من كبرى الشركات في هونغ كونغ، يرفض استخدام عمال من المؤسسات الحكومية المتخمة بالايدي العاملة لأنهم، كما يقول، معتادون العمل ساعتين فقط في اليوم. وهو يفضّل عليهم المتخرجين حديثاً في المدارس الثانوية، ويضيف: "إننا ندرّب العمال لتأدية عملهم جيداً منذ المرة الاولى."

وقد سُمح للمستثمرين الاجانب بابتكار أنظمة جديدة لحضّ العمال على زيادة إنتاجيتهم. وغالباً ما يدفع مستثمرو هونغ كونغ لعمالهم مكافآت مالية وعلاوات بالدولار على ساعات العمل الاضافية. ففي مصانع الالعاب والالبسة، مثلا، قد تبلغ العلاوات ضعفي الأجر.

وفي حين نجد أجزاء أخرى من الصين لا تشجع الاستثمارات الخارجية في التكنولوجيا البسيطة، ولا الملكية المطلقة للمشاريع الاستهلاكية، نرى غوانغ دونغ ترحّب بالاستثمارات الاجنبية التي تحدث وظائف جديدة وتؤمن دخلا من تبادل العملات. لذا تمركزت فيها شركات مثل "هاينز" التي تنتج مأكولات للاطفال و"جنرال فودز" التي تصنع قهوة "ماكسويل هاوس" و"بروكتر أند غامبل" التي تنتج كريم الجلد "أويل أوف أولان."

المجتمع الكانتوني (سكان غوانغ دونغ) عملاني ومادي ومقاول في العمق. لذا لم ينجح النظام السائد منذ أربعة عقود في استئصال هذه الحوافز العميقة التي ما لبثت أن تفجرت فور رفع القمع عنها. وعلى ذلك يعلّق سيمون تو مدير شركة "هاتشيسون" التجارية قائلا: "إن الحكومة المركزية تعي اليوم استحالة تغيير غوانغ دونغ. فهي لا تريد أن تدور عقارب الساعة الى الوراء."

شراكة ناجحة. كان أقوى حوافز التغيير في غوانغ دونغ هجرة الصناعة من هونغ كونغ عبر الحدود الى منطقة الدلتا في منتصف الثمانينات من هذا القرن. ويجمع هذا "القران" الناجح بين الفطنة العملية والتكنولوجيا ورأس المال في هونغ كونغ من جهة، والأجر المتدني جداً لليد العاملة في الصين من جهة أخرى. لقد أصبحت غوانغ دونغ مصنعاً لهونغ كونغ فيما يتعزز وضع هذه المستعمرة البريطانية مركزاً للخدمات.

يُقدر عدد العاملين في غوانغ دونغ بثلاثة ملايين يتوزعون على ٢٥ ألف شركة يملكها، أو يساهم في ملكيتها، صناعيون من هونغ كونغ. وفي هذه الاثناء تقلصت القوة العاملة في هونغ كونغ الى ٧٠٠ ألف. فثمانون في المئة على الاقل من منتجي الألعاب والساعات والالبسة والالكترونيات في هونغ كونغ نقلوا بعض صناعتهم الى

غـوانغ دونـغ. وحذا حـذوهم بعض الصناعيين من تايوان، ولاسيما أصحاب الصناعات التي تتطلب كثافة عمالية، كالمظلات والأحذية والحقائب اليدوية. وتتميز هذه الشراكة الصناعية بتقديم هـونغ كـونغ التجهيـزات الاساسيـة والمعدات والمواد الخـام وإرسالهـا مديرين ومراقبين الى المصانع. ويُقدّر عدد المديرين الذين يعبرون الحدود بانتظام من هونغ كونغ بنحو ٥٠ ألفاً.

يدفع صناعيو هونغ كونغ بالعملة الاجنبية بدل ايجار الارض واليد العاملة والخدمات، مما نمّى الكتلة النقدية الصعبة في البلاد. وهنا طريقة إبرام الاتفاقات: اذا كان الاتفاق حول شركة مساهمة، تدفع شركة هونغ كونغ للفريق الصيني أجراً للتصنيع يرتكز الى حجم الانتاج. وبعد انتهاء التصنيع تُشحن البضائع الى هونغ كونغ حيث تُصدر الى العالم. وقد قفز حجم التبادل التجاري بين هونغ كونغ والصين من ملياري دولار عام ١٩٧٨ الى خمسين ملياراً عام ١٩٩٠.

والأجور في غوانغ دونغ أعلى كثيراً منها في أنحاء الصين، لكنها أدنى كثيراً من الأجور في هونغ كونغ. مثل على ذلك أن أجر عامل تجميع القطـع في غوانغ دونغ يراوح بين ستين دولاراً ومئة دولار في الشهر، أي أقل ما يتقاضاه عامل مماثل في هونغ كونغ بنسبة ١٠ أو ١٥ في المئة. لكنه يعادل ضعفي أو ثلاثة

MAP: HOWARD S. FRIEDMAN

أضعاف معدل الأجور في الصين. والى ذلك، فان توافر العملة الصعبة في غوانغ دونغ يتيح شراء سلع "حقيقية" بهذه الاجور. يقول باتريك وانغ مدير شركة "جونسون إلكتريك" حيث يعمل أربعة آلاف عامل موزعين على ثلاثة مصانع في منطقة الدلتا: "إنهم يفدون الى المصانع من قرى نائية. وبعد أن يعملوا سنتين أو ثلاث سنوات يعودون الى ديارهم بأشياء لم يكونوا ليحلموا بها، كأجهزة التلفزيون الملوّنة والبرادات الكهربائية وأجهزة الراديو والدراجات."

واللافت أكثر من أي شيء آخر هو فورة المقاولين. فالقطاع الخاص في غوانغ دونغ يتكوّن أساساً من صغار رجال الأعمال الذين يملكون مزارع طيور وأسماك ومطاعم أو يتاجرون بالجملة أو بالتجزئة (القطاعي). كذلك تزداد المشاريع الجماعية التي ينهض بها أفراد كالمزارعين الأثرياء ولكن غالباً ما تؤسسها السلطات المحلية في البلدات والقرى. ومثل الشركات الخاصة الصغيرة، تستجيب هذه لمتطلبات الأسواق من غير أن تتفق والخطط التي وضعتها الدولة.

جرثومة الرأسمالية. إن بيكين على علم بما يجري في غوانغ دونغ. ويرى ميرون موشكات الخبير الاقتصادي الأول في مؤسسة "بارينغ سكيوريتيز" في هونغ كونغ أن "المقاطعة ماهرة في تفادي الصدام مع الحكومة المركزية. فهي تقول نعم لبيكين لكنها تنفذ مخططاتها هي."

أما لماذا تتسامح بيكين مع هذه المقاطعة العاصية، ففي ذلك يقول وو: "تدفع غوانغ دونغ مزيداً من الضرائب في مقابل حصولها على استقلالية ذاتية أكبر. وما دامت غوانغ دونغ مستمرة في دفع الضرائب، فلن تتدخل الحكومة في شؤونها."

فلو اتخذ المتشددون في بيكين إجراءات صارمة في حق غوانغ دونغ لحرموا أنفسهم تبادل عملات أجنبية هم في أمس الحاجة اليها. ففي العام ١٩٩٠ واجهت الصين عجزاً قياسياً في موازنتها بسبب دعمها المادي المتعاظم للشركات الحكومية الخاسرة. فهذه الشركات الصناعية الضخمة تضم عدداً كبيراً من العمال يفوق حاجتها، وتتكدّس فيها كميات هائلة من بضائع غير ضرورية وذات نوعية رديئة. وغوانغ دونغ هي التي تساعد في سد هذا العجز.

والى ذلك، تواجه بيكين في التسعينات تضخماً مخيفاً في القوة العاملة، ويزداد عدد العاطلين عن العمل عشرة ملايين كل سنة. ولا يمكن توفير الوظائف المطلوبة الا في شركات خاصة أو جماعية تلبي حاجات السوق. لذلك ستشهد مناطق أخرى من الصين تفشيا – وإن بطيئاً – لـ"جرثومة الرأسمالية." ويعتقد نيكولاس لاردي الخبير في الاقتصاد

الصيني في جامعة واشنطن، أن خمسين في المئة من الانتاج الصناعي الصيني هو الآن من خارج القطاع الحكومي، في مقابل عشرين في المئة فقط قبل إطلاق الاصلاحات الاقتصادية عام ١٩٧٨.

تخوُّف صيني. منذ وقوع مجزرة تيانتمن في يونيو (حزيران) ١٩٨٩، دأبت وسائل الاعلام في الولايات المتحدة على القول إن المتشددين في بيكين يحاولون سحب الاصلاحات الاقتصادية وإعادة المركزية الى الاقتصاد. لكن الأمور ليست كذلك. يقول أنطوني تشان الخبير في الاقتصاد الصيني لدى "بيزنس انترناشونال آسيا/باسيفيك": "إن بيكين تتكلم على إعادة المركزية، إلاّ أن ما فعلته خلال السنتين الماضيتين هو اللامركزية عينها."

وباقتراب السنة ١٩٩٧، موعد إعادة بريطانيا مستعمرة هونغ كونغ الى السيادة الصينية، تتخوف بيكين من الاندماج الاقتصادي بين هونغ كونغ وغوانغ دونغ. ويقول روبرت برودفوت مدير "مكتب الاستشارات السياسية والاقتصادية" في هونغ كونغ: "إن أي حلف بين هونغ كونغ وغوانغ دونغ قد يؤدي الى إصلاح اقتصادي سريع وزاخم، مما قد يعرض الحزب الحاكم في بيكين للخطر."

ويبدو أن بيكين قلقة حقاً، لذا نراها تدعم منطقة بودونغ الجديدة للاستثمار الخارجي في شانغهاي بهدف إحلال توازن مع غوانغ دونغ. فنمو منطقة شانغهاي قد يُحدث نفوذاً سياسياً مقابلا لنفوذ غوانغ دونغ، لكن ذلك لن يؤخر الزحف الرأسمالي على الصين، بل سيعجله.

"إن كل حاكم مقاطعة وكل مسؤول يود المجيء الى غوانغ دونغ ليرى كيف تسير الأمور." هذا ما يقوله ديفيد لي المدير المسؤول لفرع مصرف شرق آسيا في هونغ كونغ، وهو الذي ساهم في إدخال شركة "آڤون" الى غوانغ تشو وشركة «IBM» الى شن تشن. انه يتوقع أن ينتقل التصنيع المتدني الكلفة من غوانغ دونغ الى مقاطعات أخرى، تماماً كما حصل من هونغ كونغ الى غوانغ دونغ.

زرت مصنعاً للحرائر في شن تشن، وهو مشروع مشترك بين مؤسسة من مقاطعة تشيتشانغ وشريك من هونغ كونغ. وقد رأيت في المصنع نحو ثلاثمئة فتاة بلباس الجينز الأزرق، جميعهن من تشيتشانغ قرب شانغهاي، وهن يخطن القمصان والسراويل لزبائن في الخارج. والمديرون هم أيضاً من تشيتشانغ، وسوف يعودون جميعاً الى ديارهم حاملين المال والخبرة والافكار الجديدة.

يقول ديفيد لي: "غوانغ دونغ نموذج، وسوف تتغير بقية أجزاء الصين تدريجاً. فالكل يريدون مستوى معيشياً عالياً."

أندرو تانزر ■



قاعة سايكي

الفندق الاسطوري

تأسس قبل نحو قرن فبات ملاذ الملوك والأثرياء والمشاهير


سيزار ريتز

إن حجزت غرفة في فندق الريتز ووصلت اليه في سيارة أجرة، راقب الحاجب في سترته الطويلة الزرقاء المزركشة بخيوط ذهبية وهو يفتح لك باب السيارة ثم يدون رقمها بسرعة. أتراه لا يثق بنزلاء الفندق؟ أم بسيارات الأجرة في باريس؟ أم إنه مدسوس من الشرطة؟

أثار تصرف الحاجب فضولي، فسألت مدير الاستقبال جان ماتيو عن معنى هذا الحذر المدروس، فأجابني: "يا سيدي، في باريس أربعة عشر ألفاً وخمسمئة سيارة أجرة، وهذه أفضل طريقة وأسرعها لاستعادة أي غرض يتساه النزيل في السيارة. ونحن ندون عدد الحقائب أيضاً، فإن فُقدت إحداها عرفنا فوراً ما اذا كانت ضاعت هنا أو في المطار."

في الريتز، ليس أهم من التدقيق في التفاصيل: الباب الدوّار المطل على ساحة فاندوم، والدرجات المكسوّة بسجاد أحمر، والسجادة الزرقاء السميكة التي تغطي أرض الردهة، والأثاث القديم، واللوحات التي تزدان بها الجدران، والكريستال المتألق، وباقات الزهر النضرة. عندما تلقي نظرة خاطفة على جملة التفاصيل الفخمة يمكنك أن تفهم سر هذا الفندق الاسطوري الذي كان الملاذ المفضل للملوك والأثرياء والمشاهير ورؤساء الدول طوال السنوات الأربع والتسعين الماضية.

وستلاحظ أيضاً أن الردهة لا تعرف أجواء الزحمة التي تميز غالبية الفنادق

الفخمة. فالصالات أوسع قليلا من صالات البيوت الخاصة.

هكذا تخيّل المؤسس سيزار ريتز فندق أحلامه،[1] ورسخ في ذهنه طوال حياته طموح أوحد هو السهر على أن يرتاح الأثرياء والنافذون في فندقه بمقدار ما يرتاحون في منازلهم، لا بل أكثر. قال مرة شارحا فكرته: "من شأن ردهة كبيرة أن تستقطب أعداداً غفيرة من الناس يؤمونها للتطواف في أرجائها."

على طريقة ريتز. يخيّل اليك في الريتز أن جميع العاملين في الفندق كُلِّفوا الاهتمام بك وحدك. ذات مرة قال المدير المساعد هلموت بروفنسر الذي توفي حديثا: "إن الريتز، بموظفيه الخمسمئة ونزلائه الذين يصل عددهم الى مئة وسبعة وثمانين، هو أحد الفنادق القليلة في العالم التي تستخدم ثلاثة موظفين لخدمة كل زبون. أما في الفنادق الأخرى فيقارب المعدل اثنين لكل خمسة زبائن."

ولكي تطّلع على التفاصيل الخاصة، دعٍ جانباً الأجنحة العشرة الفخمة التي صُنِّف بعضها أثريا نظراً الى الألواح الخشبية التي تكسو جدرانها وترقى الى القرن الثامن عشر، وتجاهَل الأجنحة الخمسة والثلاثين الأصغر حجماً، وتفحّصْ إحدى الغرف العادية البالغ عددها مئة وثلاثا وأربعين فستجد أن الالوان الغالبة هي الأصفر الفاهي والسلموني (السومون) وأزرق الريتز. فهذه، بحسب سيزار ريتز، تبرز جمال المرأة على نحو مثالي. أما البطانيات فمصنوعة من الموهير الذي يقرن الخفة بالدفء، وأما أغطية الأسرة والستائر فمن الحرير الخام.

وفي امكان النزلاء الاختيار بين فراش من القطن أو الكتان. وجميع الملاءات زهرية، لأن هذا اللون مثاليّ انعكاساً على الوجه، في رأي ريتز. واذا كان أحد النزلاء يعاني حساسية لوسادات الوبر أو يفضّل فراشاً أصلب أو أنعم، أُخذت هذه النقاط في الاعتبار. وإن آثر أحدهم إبقاء فراشه له وحده، فلن يشكّ إطلاقاً في أن الادارة ستحفظه له في غيابه. وفي كل غرفة ساعة قديمة دقيقة، فمن غير المعقول، في نظر سيزار، أن يكون في العالم رجل مجرَّب واسع الخبرة بالحياة ولا يكترث للدقة كما يكترث هو.

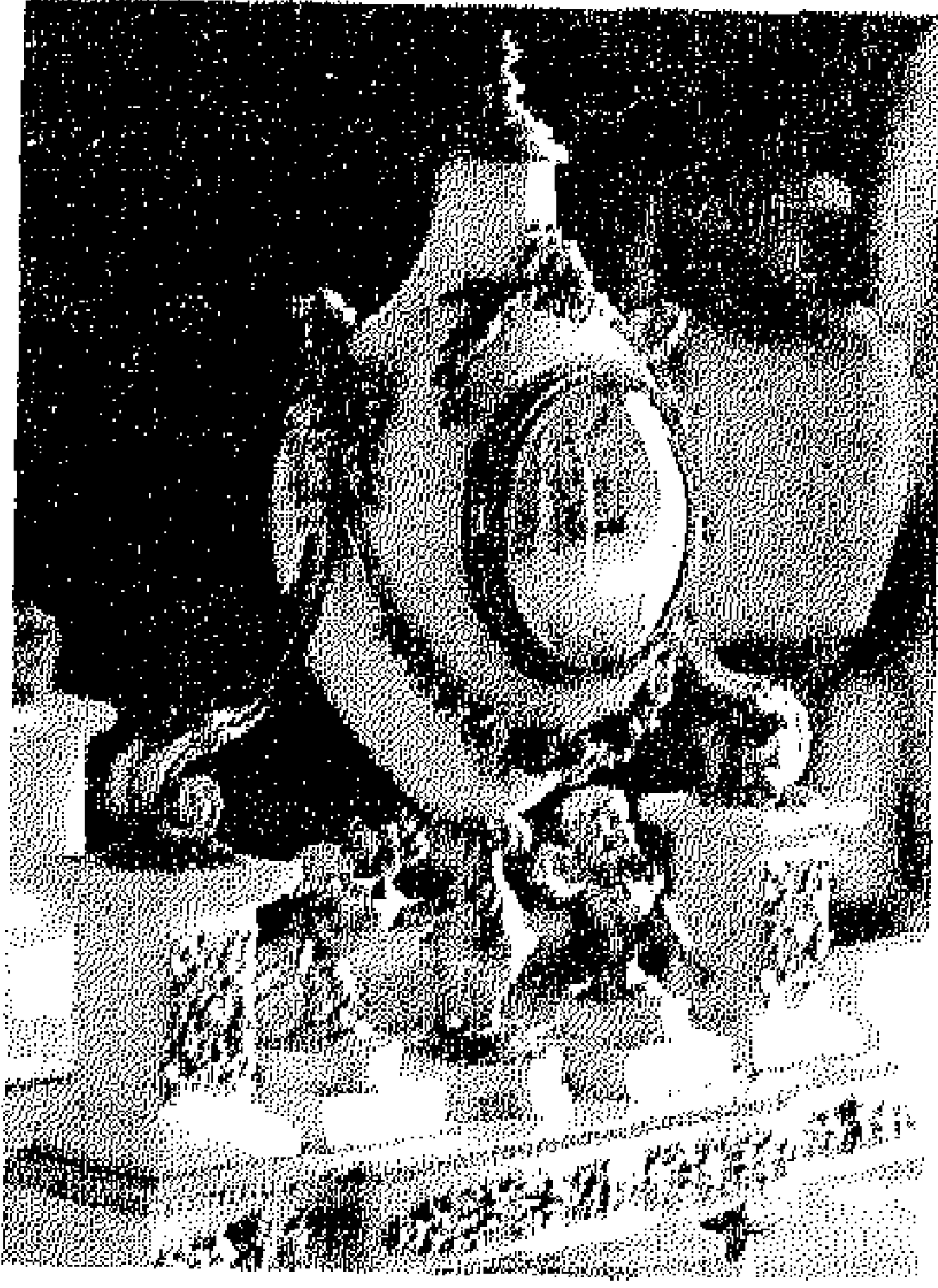
إن هوس الكمال في الريتز مبالغ فيه، فما زلت تجد في كل خزانة درجاً مخصصاً لحفظ الشعر المستعار. والمفاتيح الكهربائية التي تضبط درجة النور مصنوعة من البرونز المنحوت باليد وقد اختارها سيزار بنفسه عام ١٨٩٧. واليوم، بعد ٧٤ سنة على وفاته، لا يجرؤ أحد على تعديل هذه التفاصيل.

إن مؤالفة سيزار ريتز بين الترف والراحة والتقليد جعلت من الريتز أول فندق يدخل اسمه اللغة الانكليزية: فعبارتا "ريتزيّ" و"على طريقة ريتز"[2]

(١) يحمل خمسة عشر فندقاً في انحاء العالم اسم "ريتز" لكن ريتز باريس هو الاصلي. وليست له فروع أما الفنادق الأربعة عشر الاخرى فقد أفادت من نصح سيزار ريتز

(٢) Ritzy; putting on the Ritz

جناح دوق
ودوقة ويندسور
تحت ساعة
من حقبة
لويس السادس عشر





تستحضران في الذاكرة رؤى الثراء والتميّز والابهة.

مأثرة سيزار. لم تكن بداية المشوار سهلة على سيزار ريتز. فهو وُلد عام ١٨٥٠ في نيدرفالد (سويسرا) في كنف عائلة مزارعة. وعمل في شبابه ساقياً في أحد فنادق بريغ، لكنه طُرد بعد مدة وجيزة اذ قال له رب العمل: "ليست لديك أي مؤهلات. فلكي تنجح في عالم الفنادق، يجب أن تتمتع بحاسة متميِّزة تفتقدها أنت."

لكن سيزار انتقل الى العاصمة الفرنسية وثابر لتحقيق هدفه. فشغل بعد مدة وظيفة في مطعم "فوازان" الأنيق، وانتقل منه الى فندق "سبلنديد" الباريسي، ثم الى فيينا حيث خدم قيصر روسيا وملك بلجيكا ليوبولد والمستشار الألماني بسمارك.

في فندق "ريجي - كولم" الفخم في لوسرن استعان سيزار ريتز بدهائه للمرة الاولى. ففي أحد أيام الشتاء القارسة تعطلت أجهزة التدفئة في الفندق، وازداد الامر سوءاً لدى وصول أربعين أمريكياً، فذعر المدير إذ أدرك أنهم سيغادرون الفندق الى مكان آخر حالما يتسلل اليهم البرد المهيمن على قاعة الطعام. فقال له سيزار: "لا تقلق، سأهتم بالأمر."

أسرع الى المطابخ وأمر بتحضير حساء ساخن وكعك محلّي. وأحضر أربعين آجرة وضعها في الفرن ثم غلفها بأغطية. وما إن جلس الامريكيون الى المائدة حتى وضع سيزار الآجر الحار تحت أقدامهم. وملأ أربع قدور نحاسية كبيرة بالكحول وأضرم فيها النار، فأشاعت الدفء في غرفة الطعام وشعر السياح براحة قصوى.

بلغت مأثرة سيزار كل الأوساط في القطاع الفندقي، وسرعان ما راح يعرض مواهبه في وظائف مختلفة في لوسرن وبادن - بادن ومونت كارلو وباليرمو وفيسبادن ومدريد وفرنكفورت. ولما بلغ الثامنة والثلاثين من عمره نال رخصة خطية تخوله إدارة فندق "سافوا" في لندن. وبعد أشهر قليلة اعلن المصرفي أوتو كان: "أخيراً أصبحت لندن مدينة يحلو فيها العيش."

طلبات مستجابة. ما هو سر سيزار؟ انه مجموعة من التجديد. فالخبازون البريطانيون لا يعملون يوم الأحد مثلاً، لكن سيزار لم يرضَ أن يقدم الى زبائنه خبزا غير طازج، لذا استقدم خبازاً من فيينا. وخلال أسابيع قليلة أصبحت الاوساط الانيقة في لندن متعلقة بخبز فيينا. ورأى سيزار أن عادة الانكليز التزام الصمت خلال الأكل ومغادرة الطاولة فور ابتلاع آخر لقمة هي عادة غير حضارية، فقرر إبطالها. واستقدم من النمسا لهذه الغاية قائد أوركسترا شاباً يدعى يوهان شتراوس لعزف الموسيقى في أثناء العشاء. كما استعان في المطبخ بالطاهي جورج أوغست ايسكوفييه الذي أحدث ثورة في مأكولات تلك الحقبة الخالية من أي نكهة.

عام ١٨٩٦ عرض مصرفيان بريطانيان على ريتز مالا ليؤسس فندقه الخاص. فاشترى منزلا من تصميم فرنسوا مانسار يرقى الى القرن السابع عشر ويقع في ساحة فاندوم في باريس. وكان هاجسه إمداد المنزل بالكهرباء وتجهيز كل غرفة بحمام خاص، وهو إنجاز لم يسبق له مثيل في تلك الحقبة. أما عقيدته فكانت تتلخّص بكلمات ثلاث: "نظافة، وفاعلية، وجمال."

منذ الافتتاح في الأول من يونيو (حزيران) ١٨٩٨ وتاريخ الفندق وتاريخ العالم الغربي يتداخلان. ففيه راقب الروائي الفرنسي مارسيل بروست العظماء وغير العظماء من دون أن يخلع معطف الفراء أو ينزع القفاز الأبيض لأنه كان يشعر دائماً بالبرد. وقد طرد الاريستوقراطي بوني دي كاستيان طباخه بعدما تناول العشاء في الريتز حيث قال لسيزار: "من المضحك أن يحاول أحدهم التفوق عليك." واعتاد قيصر روسيا النزول في هذا الفندق، كذلك ملك بريطانيا إدوارد السابع الذي قال ذات مرة: "حيث يذهب ريتز أذهب أنا."

وقبيل الحرب العالمية الاولى ثارت حفيظة الجنرال البروسي ألكسندر فون كلوك عندما لم يحظَ بطاولة في غرفة

الطعام. فأمر طائراته – بعد نشوب الحرب – بأن تثأر له وتقصف الفندق. فحطمت القنابل بعض النوافذ، لكن الاضرار كانت طفيفة إذا ما قورنت بتلك التي ألحقها الريتز بقلب الجنرال.

احتل المشاهير فندق الريتز خلال حقبة الأزمة الاقتصادية في الثلاثينات. فانتقلت اليه مصمّمة الأزياء كوكو شانيل للاقامة مدى الحياة. ويتذكّر مدير الاستقبال ماتيو رائحة عطرها التي كانت تبقى فواحة بعد عشر دقائق على مغادرتها الردهة. وبات الروائي الامريكي إرنست همنغواي مَعْلماً ثابتاً في الفندق حيث كان يتمرن على صيد السمك فوق السلم الكبيرة مع شارل ريتز ابن سيزار وخليفته. أما الروائي الأمريكي ف. سكوت فتزجيرالد فأهدى الى الفندق أحد أروع آثاره: قصة قصيرة بعنوان "الماسة كبيرة بحجم الريتز."[٣]

لا شيء مستحيلا في الريتز اليوم، تماماً كما كانت الحال في أوائل هذا القرن. ففي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩١ اتصل نزيل بمكتب الاستقبال في الحادية عشرة ليلا وطلب إحضار بيانو الى غرفته. فوصلت الآلة بعد أقل من نصف ساعة.

وبعد بضعة أيام تلقى ماتيو شكوى من ثري عربي اشترى مجفف شعر وأراد أخذه معه الى بلاده، لكن تركيبة الآلة وتعليمات الاستعمال كانت مدونة بلغات عدة لم تكن العربية واحدة منها، فطلب أن تُعدّ له الترجمة لليوم التالي.

سألتُ: ماتيو: "وماذا فعلت؟"

فأجابني: "لم يكن الأمر معقداً. فقد أيقظت مترجماً، وفي الثامنة صباحاً كانت الترجمة على طاولتي... ١٥ صفحة مطبوعة."

أثرياء. فور ترجّلك من السيارة أمام الفندق، يناديك ماتيو وفريق من ثلاثة وخمسين موظفاً (حمالين وبوابين وخدم وعمال مصاعد) باسمك الشخصي. ويقول ماتيو: "إنه تقليد مستمر من القرن التاسع عشر حين كان النزلاء يمضون هنا أسابيع عدة على الأقل. أما اليوم فتراهم يمضون بضعة أيام."

ويعمل في إمرة مدبرة الفندق كريستين فيفر عشرة مساعدين وأربعون خادماً وعشرة حمالين وثلاثة زهّارين وخمس عشرة خادمة لترتيب الأسرَّة.

وذات ليلة من شهر مارس (آذار) ١٩٩٢، جمعت كريستين كل خادمات الأسرَّة ليكوين للصباح التالي خمسين بذلة وثمانين قميصاً لاحد النزلاء. فسألتُها: "ألم يتذمَّرن؟"

أجابت: "بالطبع لا، فهذا عملهن."

وذات يوم من العام ١٩٨١ استدعت نزيلة رئيس الندل ظهراً وقالت له: "نريد طبقاً من التوتياء للغداء."

فأجابها: "ولكن، يا سيدتي، نحن في شهر أغسطس (آب)، وهذا ليس موسم التوتياء."

قالت: "إن لم تتمكن من إحضارها، فهذا الفندق لم يعد الريتز."

(٣) A Diamond as Big as the Ritz

يقول كلود روليه المساعد الشخصي للرئيس: "هذه هي التحديات التي يتعين علينا قبولها. اتصلنا بفندق ماجستيك في كان لنسأل رئيس الطهاة هل يعرف صياداً مستعداً لالتقاط بضع عشرات من التوتياء. فوُفِّقنا في مسعانا، وسُلِّمت ثمار البحر الى سائق تاكسي أُرسل الى الشاطىء. وكان ماء البحر يقطر منها عندما نُقلت الى المطار. وفي مطار أورلي في باريس كانت سيارة الريتز تنتظر وصولها. فقدّمت الى النزيلة في الخامسة عصراً."

خدمة مدى الحياة. في الريتز، لحسن الحظ، نزلاء آخرون الى جانب هؤلاء الأثرياء النزويين. وما يثير الدهشة حقاً هو أن كلفة الاقامة فيه معقولة. فإن لم تُصرّ على الجناح الامبراطوري، بغرفه العشر وأثاثه الامبراطوري وحماماته الأربعة وغرفة الالعاب، ففي امكانك أن تمضي ليلة في مقابل ألفي فرنك فرنسي (نحو ٤٠٠ دولار). ويقدّم رئيس الفندق فرانك كلين عرضاً خاصاً خلال عطلة الاسبوع للأزواج الشباب الذين يمضون شهر العسل.

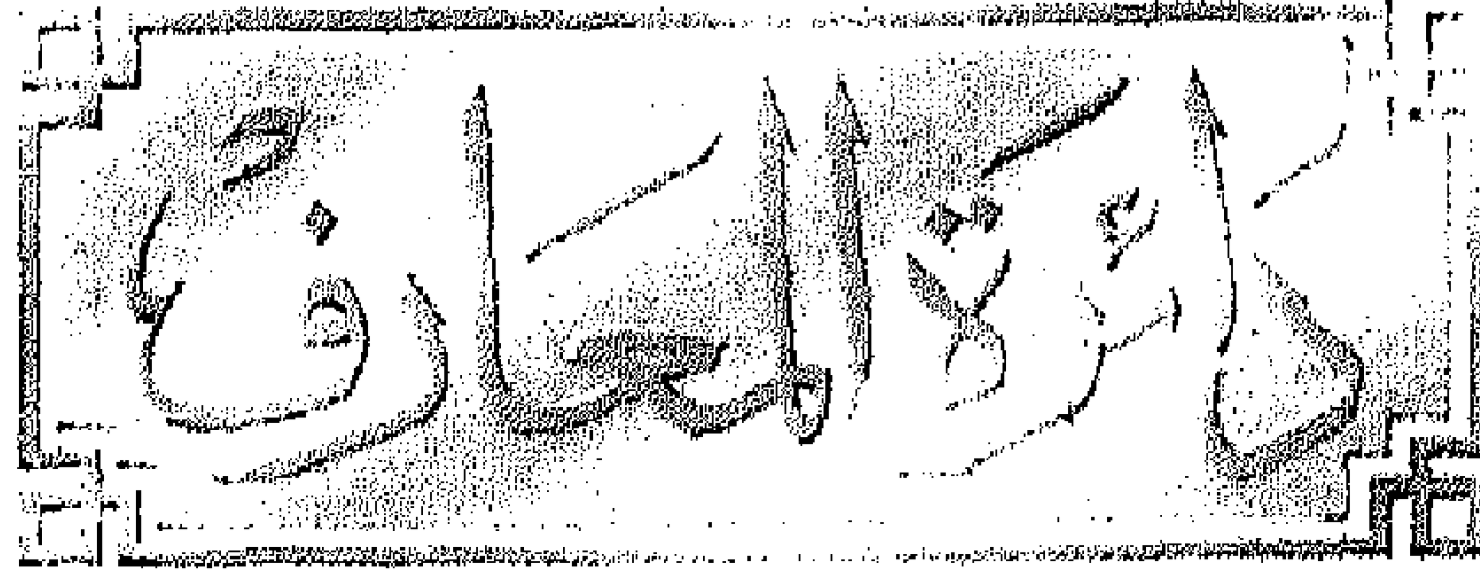
أما رئيس الطهاة غي لوغاي الفائز بجائزة "أفضل عامل في فرنسا" فقد جعل من الريتز واحداً من الفنادق الفرنسية الفخمة النادرة التي انتزعت نجمتين في "دليل ميشلان" للمطاعم والفنادق. لكنه يقول: "إن عدداً كبيراً من الزبائن يكسرون حصّالات نقودهم للمجيء الينا." وأخبرني قصة زوجين متقاعدين من سانت اتيان ادخرا مئة فرنك كل شهر، طوال سنتين، ليتمكنا من تناول العشاء في الريتز.

يقع المطبخ في الطبقة السفلى من الفندق. وهو منظم حول تجهيزات دائرية كبيرة في الوسط تضم مناضد لكل اختصاص: اللحم هنا والسمك هناك والحلوى والمعجنات هنالك. وفوق كل منضدة لوحات ملوّنة ذات نقوش ناتئة ترقى الى القرن الماضي وتشير الى المأكولات التي تحضّر على المنضدة. ويراقب لوغاي بعين ثاقبة العاملين في المطبخ من طهاة (وعددهم مئة) ومعاونين وخبازين. ويقول: "تريد أن تعرف سرّنا؟ إنه بسيط. يجب ألّا تنسى قواعد المطبخ الكلاسيكي، فما لم تبرع فيها فلن تستطيع البدء في التجديد والابتكار."

ولكن ما من قصة أبلغ من قصة ذاك النادل الذي استُخدم عام ١٩٢٥ وعمل في غرفة الطعام وتقاعد بعد ربع قرن من الخدمة النموذجية. كان أطرش! ولما كان عاجزاً عن سماع طلبات الزبائن، فقد حاول طوال هذه الفترة استباق حاجاتهم يقدمها اليهم قبل أن يطلبوها.

لقد جسَّد هذا الرجل التزام سيزار ريتز الخدمة الفندقية مدى الحياة. ولا عجب إن ظن نزيل يجهل تاريخ فرنسا ان النصب الشامخ فوق عمود ساحة فاندوم هو تمثال سيزار ريتز. وقد خاب ظنه عندما عرف أنه لنابوليون.

جان - ماري جافرون ■



إن إغناء المعلومات العامة هو إحدى رسائل المختار. لذا نحرص على ايضاح العبارات العلمية والتاريخية والاجنبية الواردة في مقالات المجلة، إما في هوامش وإما ضمن النصوص.

هنا عبارات وردت لها تفسيرات في أعداد السنة الماضية من "المختار." وقد وُضع أمام كل منها أربعة معانٍ، واحد صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسبا ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **فوهرر**: حرير – فهد زهري – فرو – لقب هتلر.

٢. **فيولونسيل**: كمان كبيرة – كرة طائرة – قوس قزح – خزانة.

٣. **ترموستات**: ساعة – أداة لضبط الحرارة – غدّة – ميزان حرارة.

٤. **ماندرين**: انتداب – من الطيور – لغة صينية – موزة.

٥. **ناسا**: حلف شمال الاطلسي – شرطة سرية – عاصمة آسيوية – وكالة الفضاء الامريكية.

٦. **برايل**: كتابة للمكفوفين – صباغ أصفر – قرميد – رموز.

٧. **كوتا**: حصص نسبية – مقاطعة – قبيلة افريقية – نَقْض.

٨. **خديج**: أعور – أبرص – مولود قبل الاوان – مبتور.

٩. **انتربول**: وكالة استخبارات – مافيا – حرس الحدود – البوليس الدولي.

١٠. **شريف**: مختار – مسؤول أمني – سجّان – نائب.

١١. **أزتيك**: شعب هندي – شعب ايرلندي – شعب مكسيكي – شعب اسكندينافي.

١٢. **عوالق**: كائنات طافية – حلازين – ذباب – أدران.

١٣. **دَيْسَم**: ولد الفيل – ولد الدب – ولد الذئب – ولد الزرافة.

١٤. **أكروبوليس**: مدفن – قلعة أثينا – جبل في روما – أحد الاهرام.

١٥. **مهاتما**: لقب غاندي – لقب نهرو – لقب كونفوشيوس – لقب ماوتسي تونغ.

١٦. **أرشيف**: جهاز بصري – سردين – مجموعة جزر – سجلات ومحفوظات.

١٧. **يناير**: آذار – أيار – كانون الثاني – أيلول.

١٨. **ظربان**: طائر أسود – حيوان نتن الرائحة – حية – خبز سميك.

١٩. **ترموس**: نبات مر – سمك – وعاء يحفظ الحرارة – قطار كهربائي.

٢٠. **عرزال**: خيمة – بيت حجري – قبو – كوخ في شجرة.

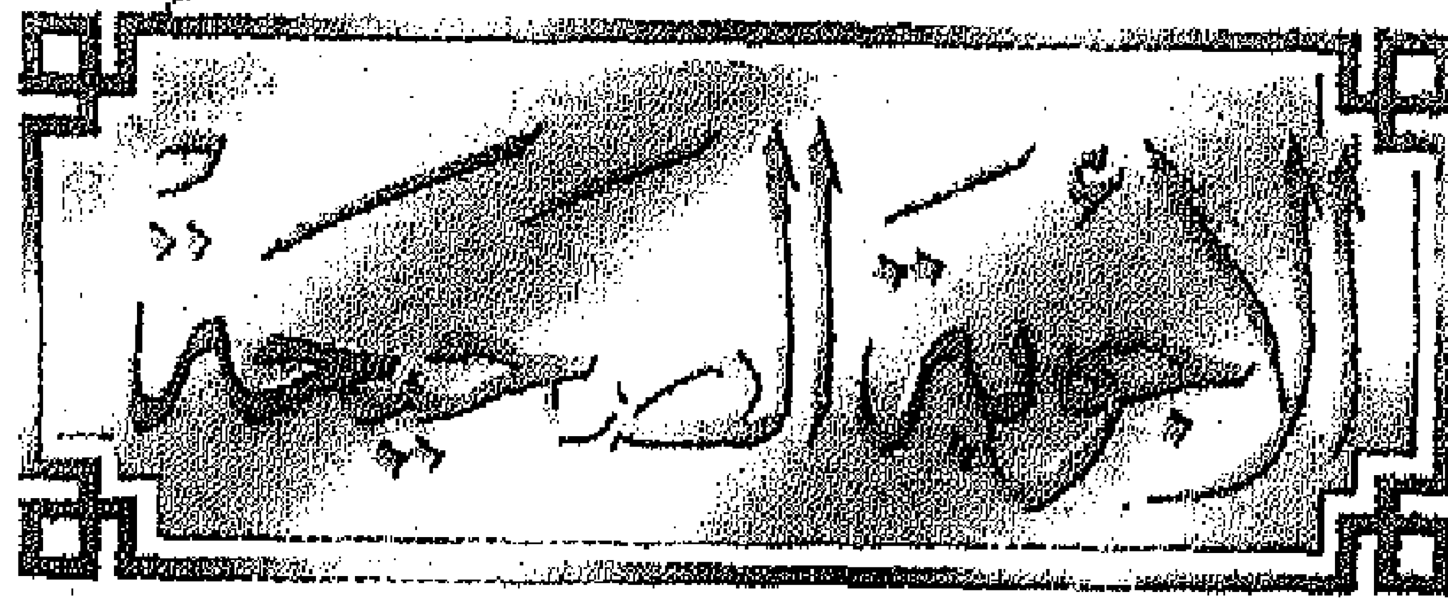
٢١. **مايسترو**: محتال – ميكانيكي – قبعة مكسيكية – قائد فرقة موسيقية.

٢٢. **كومنولث**: رابطة الشعوب البريطانية – السوق الاوروبية المشتركة – الاتحاد السويسري – جامعة الدول العربية.

٢٣. **روديو**: مذياع – مادة مشعة – مباراة في ركوب الخيل – مكشاف.

٢٤. **اسكوتلنديارد**: محطة إذاعية – شرطة لندن – البنك الدولي – وكالة الاستخبارات الامريكية.

٢٥. **بيغ بن**: برج في باريس – جسر في البندقية – تمثال في نيويورك – ساعة في لندن.



١. **الفوهرر (Führer)**: لقب هتلر، وهي كلمة المانية تعني "القائد."

٢. **الفيولونسيل (cello)**: كمان كبيرة يُعزف عليها واقفة.

٣. **الترموستات (thermostat)**: أداة لضبط الحرارة.

٤. **الماندرين (Mandarin)**: اللغة الصينية الرئيسية المنطوقة في نحو أربعة أخماس الصين. وهي أصلاً لغة شمال البلاد.

٥. **ناسا (NASA)**: وكالة الفضاء الامريكية، واسمها الكامل National Aeronautics and Space Administration.

٦. **برايل (Braille)**: كتابة خاصة بالمكفوفين تُستخدم فيها أحرف مؤلفة من نقاط نافرة.

٧. **الكوتا (quota)**: نظام الحصص النسبية.

٨. **الخديج**: المولود قبل الاوان. جمعها خُدَّج.

٩. **الانتربول**: البوليس الدولي.

١٠. **الشريف (sheriff)**: المسؤول الامني في بلدة أمريكية.

١١. **الأزتيك (Aztec)**: شعب متمدِّن حكم المكسيك قبل أن يفتحها الاسبان عام ١٥١٩.

١٢. **العوالق (plankton)**: كائنات حيوانية ونباتية صغيرة طافية أو معلّقة في المياه ويقتات بها معظم السمك.

١٣. **الدَيْسم**: ولد الدب. والدَغْفل ولد الفيل.

١٤. **الاكروبوليس (Acropolis)**: الجزء الاعلى المحصَّن من مدينة إغريقية. وهو أيضا اسم قلعة أثينا.

١٥. **المهاتما (Mahatma)**: كلمة سنسكريتية تعني "ذا الروح الكبيرة"، وهي لقب موهانداس كرمشند غاندي.

١٦. **الارشيف (archives)**: مجموع السجلات والمحفوظات في مؤسسة ما.

١٧. **ينابر**: شهر كانون الثاني.

١٨. **الظربان (skunk)**: حيوان أمريكي ثديي صغير نتن الرائحة.

١٩. **الترموس (thermos)**: وعاء يحفظ حرارة السائل الذي يحويه.

٢٠. **العرزال**: كوخ يبنى بأغصان الشجر، وغالبا في شجرة.

٢١. **المايسترو (maestro)**: ملحِّن مرموق أو قائد فرقة موسيقية.

٢٢. **الكومنولث (commonwealth)**: رابطة الشعوب البريطانية. وهي مجموعة دول مستقلة كانت مستعمرات بريطانية في الماضي، تؤلف اتحاداً معنوياً برئاسة التاج البريطاني.

٢٣. **الروديو (rodeo)**: مباراة لعرض البراعة في ركوب الخيل أو الثيران.

٢٤. **اسكوتلنديارد (Scotland Yard)**: شرطة لندن، خصوصا دائرة التحري فيها.

٢٥. **بيغ بن (Big Ben)**: ساعة شهيرة في برج البرلمان في لندن، سميت كذلك تيمناً بمفوض الاشغال البريطاني الراحل السر بنجامين هول.

المستوى

٢١ - ٢٥ : **ممتاز**
١٤ - ٢٠ : **جيد جداً**
٩ - ١٣ : **مقبول**

طماطم يانعة يسيل لها اللعاب
وفراولة مقاومة للصقيع وبلاستيك من البطاطا وأسمدة من الهواء!

الجينة الخضراء تقلب مفاهيم الزراعة

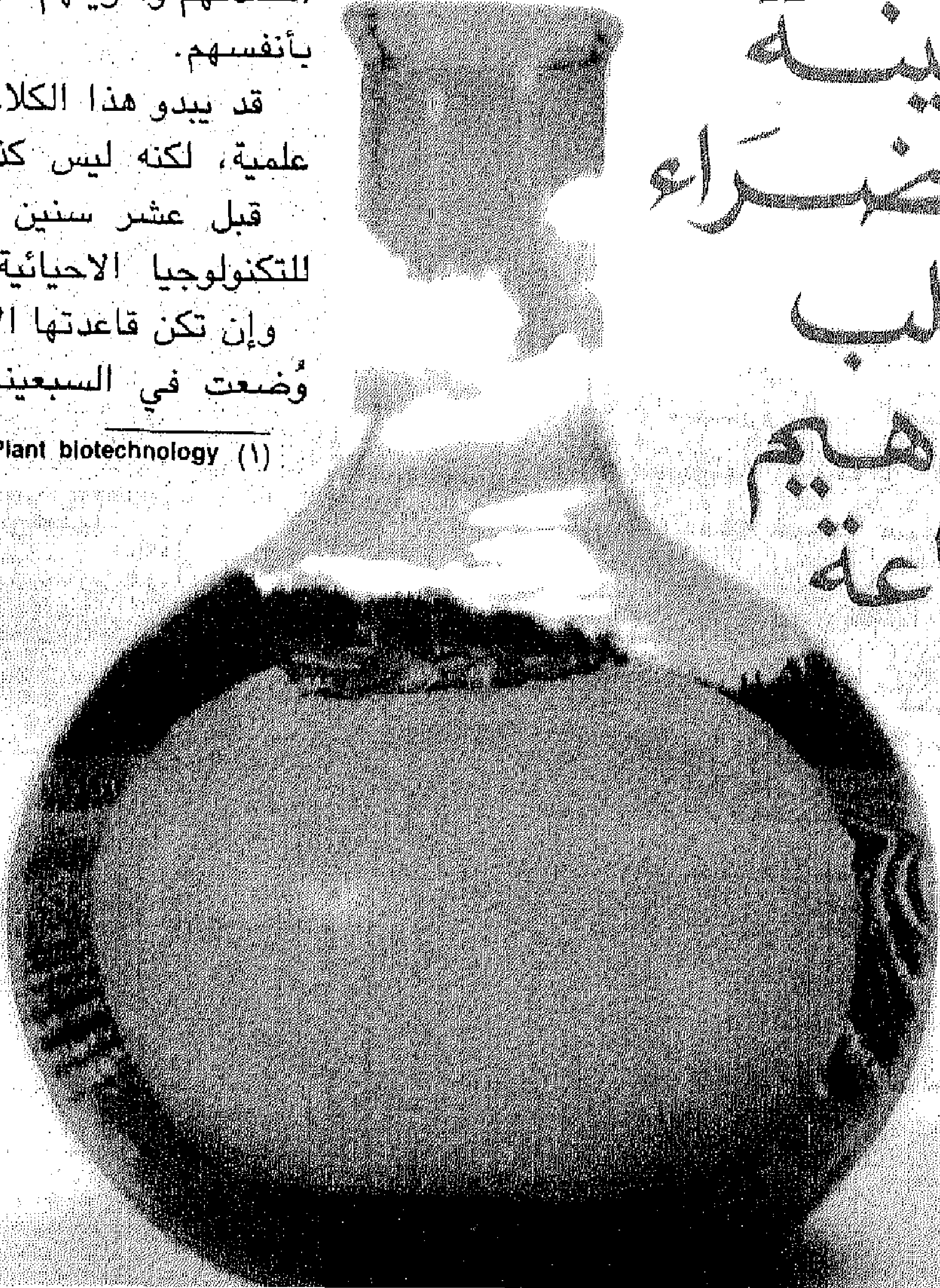
في الشتاء الفائت، حين كنا لا نزال نأكل تلك "الحجار" الزهرية التي تسمى طماطم (بندورة)، ناولني أحد العلماء حبة حمراء، ندية، رخصة، كثيرة العصارة، كأشهى ما تكون الثمار المزروعة في حديقة الدار. فنقلتني قضمة واحدة منها الى نشوة الصيف ولذائذ محاصيله.

هذا الطعام الشهي الذي ستجدونه في محال البقالة الخريف المقبل هو أول نتاج عظيم لعلم "التكنولوجيا الاحيائية النباتية"[1] الذي يُرتقب أن يُحدث ثورة في عالم الزراعة. والى الطماطم الألذ نكهة، في وسع المزارعين انتاج مواسم تتحدى القحط وتنمو على مدار السنة، وصنع أسمدتهم وأدويتهم الزراعية بأنفسهم.

قد يبدو هذا الكلام خرافة علمية، لكنه ليس كذلك.

قبل عشر سنين لم يكن للتكنولوجيا الاحيائية وجود، وإن تكن قاعدتها الأساسية وُضعت في السبعينات حين

(١) Plant biotechnology



PHOTOS: (BACKGROUND) © TSW; (MONTAGE) © JAMES LINCON

توصّل العلماء الى استئصال الجينات[٢] ونقلها من متعضّ (كائن حي) الى آخر. وسرعان ما جعلوا البكتيريا (الجراثيم) تنتج بروتيينات قيّمة، وتعلموا تصحيح العلل الجينية التي تسبّب الامراض البشرية.

واليوم، يتطور علم التكنولوجيا الاحيائية بسرعة أكبر. وبحلول السنة ٢٠٠٠ – وليس قبل ذلك – ستتوصل التكنولوجيا الاحيائية الى انتاج خُمس مجموع المواد الغذائية في العالم. ويقول ريتشارد غوداون رئيس "جمعية التكنولوجيا الاحيائية الصناعية" إن "التكنولوجيا الاحيائية هي أملنا الافضل لاطعام سكان العالم المتكاثرين."

ليس ثمة جديد جوهريا في حقل الهندسة الاحيائية. فكل بيان (كاتالوغ) للبذور يدل على الطريقة التي عالج بها المنتجون القدامى النباتات على مرّ القرون عندما كانوا يهجّنونها[٣] لتحسين نتاجها ونوعيتها.

والجديد حاليا هو السرعة التي يتم بها التهجين. فقد تطلب الانسان قرونا ليطور نبتة الذرة من عشبة برية. أما اليوم ففي الامكان إنبات أنواع جديدة من الذرة ألين وأكثر حلاوة خلال عامين أو ثلاثة أعوام.

إن الطماطم الاطيب مذاقا تبشر ببدء ثورة جينية خضراء هائلة. وما قدراتنا المتنامية على "برمجة" النباتات لكي تفي بأغراض معينة – كإبطاء التعفن – سوى طريق تمهد لفرص تفوق التصديق.

المنطق المعكوس. يُفترض بالطماطم التي تباع في المحال أن تكون قاسية وخالية من النكهة لأن الطبيعة تعمل على اتلافها بسرعة. فالحموضة والحلاوة والنكهة التي تجعل الطماطم لذيذة الطعم هي خصائص تكتسبها الثمار في مرحلة نضجها الكامل، حين تصبح جاهزة للتفتح ونثر بذورها.

ولتفادي حال الرخاوة، يقطف المزارعون الطماطم فجّة. الا أن ثلثها يتعفن، وإن أودعت الثلاجات، اضافة الى أن التبريد يقتل أي نكهة كان يمكن أن تكتسبها.

تحدث الرخاوة، جزئياً، بسبب خميرة (أنزيم) اسمها «PG» تذيب الغراء الذي يحافظ على تماسك خلايا الطماطم، فتنهار الثمار مثل بناء من القرميد اذ يتأكل بلاطه. لذلك فإن وجه التحدي في إعادة النكهة والنضارة الى الطماطم – التي تناهز مبيعاتها السنوية في الولايات المتحدة وحدها خمسة مليارات دولار – ينطوي على تعطيل هذه الخميرة أو إبطائها.

للطماطم، كما للبشر، نحو ١٠٠ ألف جينة، وهذه "أوامر" كيميائية داخل كل خليّة. وكانت المشكلة التي واجهت بيل هيات، وهو عالم بالأحياء المجهرية يعمل في شركة "كالجين" في كاليفورنيا، وقف قدرة الجينة التي تفعّل الخميرة «PG» .

---

(٢) الجينات او المورثات هي حاملات الخصائص الوراثية في نواة الخلية

(٣) التهجين هو المزاوجة بين سلالتين من النوع نفسه

يقول هيات إن المرء لا يستطيع استئصال جينة يود إخمادها، انما يستطيع تعطيل نشاطها بادخال نسخة معكوسة منها. وهو يشرح: "تصوّروا الجينة قطاراً طويلا هائلا، قاطرته مفتاح وصل وحافلته الاخيرة مفتاح قطع، عكسنا فيه ترتيب حافلات الشحن ثم أعدنا ربطها."

من بضع خلايا نامية في طبق تحت أضواء المختبر، جرى تعهد النبتات المحوَّلة وزرعها في دفيئة (بيت زجاجي). وبعد عشرة أشهر قُطفت أولى ثمرات الطماطم الناضجة وأُخضعت للفحص.

يقول هيات: "تم إلغاء الخميرة «PG» بفعل صورتها المعكوسة. وباخمادها، تسنّى لنا إبقاء الطماطم في مشاتلها أسبوعا إضافيا، وانتفت الحاجة الى قطفها فجة قبل أوانها."

ولن يطــول الــوقت حتى ينتــج المهندسون الأحيائيون للسوق أنواعا ألذّ من فواكه أخرى مثل البطيخ والدّراقن والفراولة (الفريز). يقول دونالد هيلنسكي من جامعة كاليفورنيا في سان دييغو: "قريبا لن يكون للفاكهة والخضر طعم ألذ فحسب، بل ستغدو أفضل نموا وأطول عمرا وأكثر احتمالا للسفر."

مقاومة الصقيع. إنَّ اللغة الكيميائية للطبيعة هي ذاتها في كل الكائنات الحية، سواء أكانت نباتات أم حيوانات أم حشرات أم جراثيم أم بشرا. لذا فان كل الجينات، نظريا، قابلة للتبادل. فالطماطم التي تُعطى جينة من جرثومة مضادة للفطر، تستطيع إبعاد العفن الرمادي المسمى "بوتريتس."[٤] والبطاطا التي تُعطى جينة من نبتة البتونيا الكريهة تُنفِّر خنفساء كولورادو.

البطاطا هي المحصول الأكبر في العالم، لكن كميات كبيرة منها تتلف بالتعفّن. وحالياً، يبحث بيل بلكناب، من محطة الأبحاث التابعة لوزارة الزراعة الامريكية في آلبني بولاية كاليفورنيا، عن وسيلة تجعل البطاطا مقاومة للتعفن، مستخدماً جينات مأخوذة من أجنّة الدجاج ومن أجهزة مناعة الحشرات.

ثم هناك الفراولة التي قد "تزاوج" السمك المفلطح لأنها غالباً ما تقضي بفــعــل الصقيــع. والمـهـنـدسـون المتخصصون بعلم الاحياء في شركة "DNA بلانت تكنولوجي" في أوكلاند بكاليفورنيا، يعلمون أن السمك المفلطح يفرز مادة مقاومة للتجمد تدرأ صقيع الشتاء، لذا يخططون لحقن الفراولة جينة مقاومة للتجمد تمكنها من صنع مقاوم للتجمد ذاتيا. وعليه فان الفراولة التي تتخطى الصقيع ولا ترتخي متى أخرجت من الثلاجة قد تصبح حقيقة واقعة ومعروضة للبيع بحلول ١٩٩٦.

الى الآن، لم يعزل سوى قليل من جينات النبات، ولكن ليس ثمة حدود للامكانات المتوافرة. إن ما يقارب خُمس مقادير البن المستهلك في الولايات المتحدة قد نزع منه الكافيين بواسطة

(٤) Botrytis

مواد كيميائية غالبا. ولكن سيتمّ مستقبلا نزع الكافيين من البن لا بالمواد الكيميائية، بل طبيعيا على الشجر. كما سيكون ممكنا تحلية ثمار الغريبفروت (الليمون الهندي) على الأغصان واعطاء الفشار (بوب – كورن) نكهة زبدية في أكواز الذرة مباشرة مما سيتيح الاستمتاع بها خلواً من الوحدات الحرارية الناجمة عن إضافة الزيت أو السكر.

ومع تطوير مزيد من هذه المستحدثات، ستؤمن النباتات ليس فقط فوائد غذائية ونكهات أفضل، بل منتجات مميزة أيضاً. يقول روجر سلكيست من شركة "كالجين": "قد نرى جماعة من المزارعين متخصصة بانتاج قطن أزرق غير قابل للتقلّص لصنع القماش، وأخرى تنتج قطناً مقاوما للحريق لصنع مقاعد الطائرات."

انه حقاً العصر الذهبي للهندسة البيولوجية. ويقول بيل بلكناب العاكف على تطوير البطاطا المقاومة للعفن: "ما عليكم الا التفكير في أمر ما لتجدوا أنكم قادرون على تحقيقه."

بلاستيك من البطاطا. تسنى لزارع القطن سايكس ستورديفنت إلقاء نظرة خاطفة على هذا العالم الجديد. فالمزارعون أمثاله في دلتا الميسيسيبي يرشون مواد كيميائية بمعدل ١٢ مرة في الموسم الواحد لمكافحة الحشرات والاعشاب الضارة التي تتلف أكثر من ربع محاصيلهم. وفي صيف ١٩٩٢ شاهد ستورديفنت في محطة الابحاث في ألاباما مستقبلا مختلفاً.

رأى صفوفاً من نبتة القطن رُشّت مرة واحدة بمبيد للأعشاب الضارّة، فماتت الأعشاب لكن القطن استمر في النموّ. والاروع من ذلك أن صفوفاً أخرى لُوثت عمداً بدودة القطن، عدوّتها الالدّ، فلم تُصب النبتة بأي ضرر.

ومرد ذلك الى أن المجموعة الاولى المطعمة بالجينات بُرمجت لدرء مفعول المبيدات، فيما برمجت المجموعة الثانية لصنع مبيد طبيعي داخل خلايا القطن. وتجرى اليوم هندسة ميزات مماثلة في فول الصويا والبطاطا والذرة. وعندما تصبح بذور هذه النباتات "الزكية" جاهزة للتسويق، ستتحسن المحاصيل الى حد مذهل كما ستقلّ الحاجة الى المبيدات المكلفة والضارّة التي يستخدمها المزارعون كل سنة.

وقد تنجم فوائد بيئية أخرى متى بُرمجت النباتات لانتاج مركبات البوليمر والخمائر والمستحضرات الصيدلانية وغير ذلك من المواد الصناعية الاولية. يقول كريس سومرفيل من جامعة ولاية ميشيغن: "قبل خمسين سنة، أمّنت لنا النباتات كل شيء احتجنا اليه، ثم تولّت المواد البتروكيميائية ذلك. واليوم نعود الى النباتات وفي جعبتنا كثير من المهارات الجديدة."

أنتج سومرفيل مادة بلاستيكية قابلة للتحلل الطبيعي بادخال جينة منتجة

لمركب البوليمر الى جرثومة. والخطوة التالية ستكون نقل الجينة الى البطاطا أو الشمندر السكّري وصنع البلاستيك في النهاية بكلفة ٤٤ سنتاً للكيلوغرام. وهو يعتقد أن ذلك سيتم في عشر سنين.

والبطاطا تُنبت أيضاً بروتيينات مصل لعمليات نقل الدم. ولما كانت المادة الأولية لزلال المصل البشري تستخرج عادة من الدم البشري بكلفة مرتفعة، فقد عكف العلماء في هولندا على تنميتها اختبارياً في دفيئات. وبذلك بات في الامكان انتاجها بكلفة لا تتعدى ٣٥ دولاراً للكيلوغرام الواحد. ويقول بيتر سيمونز مدير المشروع: "لا شيء أرخص من الانتاج بواسطة النباتات، لأنها لا تستهلك إلا ضوء الشمس والماء."

في غضون ذلك، زُرع في نورث كارولينا تبغ ملوّث بفيروس غير مؤذ لموسمين متتاليين. فأنتج محاصيل اختبارية من المركّب «Q» [٥] وهو عقار يجري اختباره حالياً لمعرفة فاعليته ضد فيروس الايدز.[٦]

يقول لاري غريل من "بيوسورس جنتكس" في فاكافيل بكاليفورنيا وهي الشركة التي طورت العملية: "نظرياً، ليس ثمة نوع من البروتيين العلاجي نعجز عن صنعه." وقد يتمّ حصاد النتاج الأول سنة ١٩٩٥.

أسمدة من الهواء! الهندسة الأحيائية قد تغيّر طريقة زراعتنا الى الابد. فالعلماء في "مركز بلانت جين إكسبرشن" في ألبني يسلطون الضوء على دور الجينات في اطار ردود فعل النبات على الضوء. يقول جيرالد ستيل مدير المركز: "تدل الأبحاث على إمكان إنضاج حقول مختلفة من المحصول ذاته بالتعاقب، وقد يستطيع المزارعون تأخير تفتح المحاصيل اذا تبين لهم أن فصل الربيع سيكون بارداً."

يتعين على التكنولوجيا الأحيائية كذلك إنتاج نباتات تحتمل الحرارة والقحط وحتى الملح. ويقول جيري كولدر رئيس شركة "ميكوجين كوربوريشن" في سان دييغو: "قريباً نصمم نباتات تنمو في أي مكان. فبدلا من تغيير الصحراء، سنغيّر النباتات التي تنمو فيها."

ويعزز تطلعاتنا أمل آخر هو أن تستمدّ المحاصيل المهمة السماد من الهواء. فثمة نباتات مثل البازلاء والفاصولياء والفول تستطيع طبيعياً استخلاص النيتروجين من الجو بمساعدة البكتيريا واختزانه في جذورها، لكن معظم المحاصيل يستمد النيتروجين من الارض. ويصرف المزارعون مليارات الدولارات سنوياً ثمن أسمدة، نصفها ينجرف أو يتبخر فيذهب هدراً. لذا يحاول علماء من الولايات المتحدة وأوروبا انتاج محصول من الرز والذرة يقلّد البازلاء والفاصولياء والفول في استمداد السماد من الهواء.

(٥) Compound Q

(٦) الايدز هو داء قصور المناعة المكتسب

يشكل العبث بالجينات قوة هائلة في مجال تركيب الطعام جينياً. لكن ثورة الجينة الخضراء لن تتجاوز نطاق المختبرات ما لم يتقبل المستهلكون النباتات المطعمة جينياً. ونظراً الى مخاوف الناس من إنتاج نباتات "ممسوخة" أو أعشاب برية جامحة يصعب ضبطها، يتشدد العلماء، كما تتشدد الادارات الحكومية، في إطلاق النباتات المطعمة جينياً.

وتعتبر "الاكاديمية الوطنية للعلوم" ومديرية الغذاء والدواء في الولايات المتحدة أن النباتات المطعمة بالجينات لا تشكل أخطاراً معينة. ويقول آل يونغ رئيس قسم التكنولوجيا الاحيائية في وزارة الزراعة الامريكية: "ليس من تكنولوجيا جديدة أُخضعت لمثل هذه المراقبة حتى قبل ظهور النتاج الأول."

وتأمل الشركات الرائدة أن تكون المنافع الناجمة عن منتجات النباتات المطعمة جينياً مغرية الى حد يذيب أي اعتراض عليها. أما النقطة الاساسية الواجب تذكرها فهي أن تكنولوجيا الجينة الخضراء التي أوجدت ثماراً من الطماطم ألذ طعماً، ستفيد البيئة أيضاً وتساعد في اطعام ١٠ مليارات شخص سيسكنون العالم بعد نصف جيل.

يقول جيري كولدر من شركة "ميكوجين": "كان تصور هذه الامور في الماضي يعتبر خرافة علمية. لكنه أصبح اليوم حقيقة قريبة المنال."

جون دايسون ■

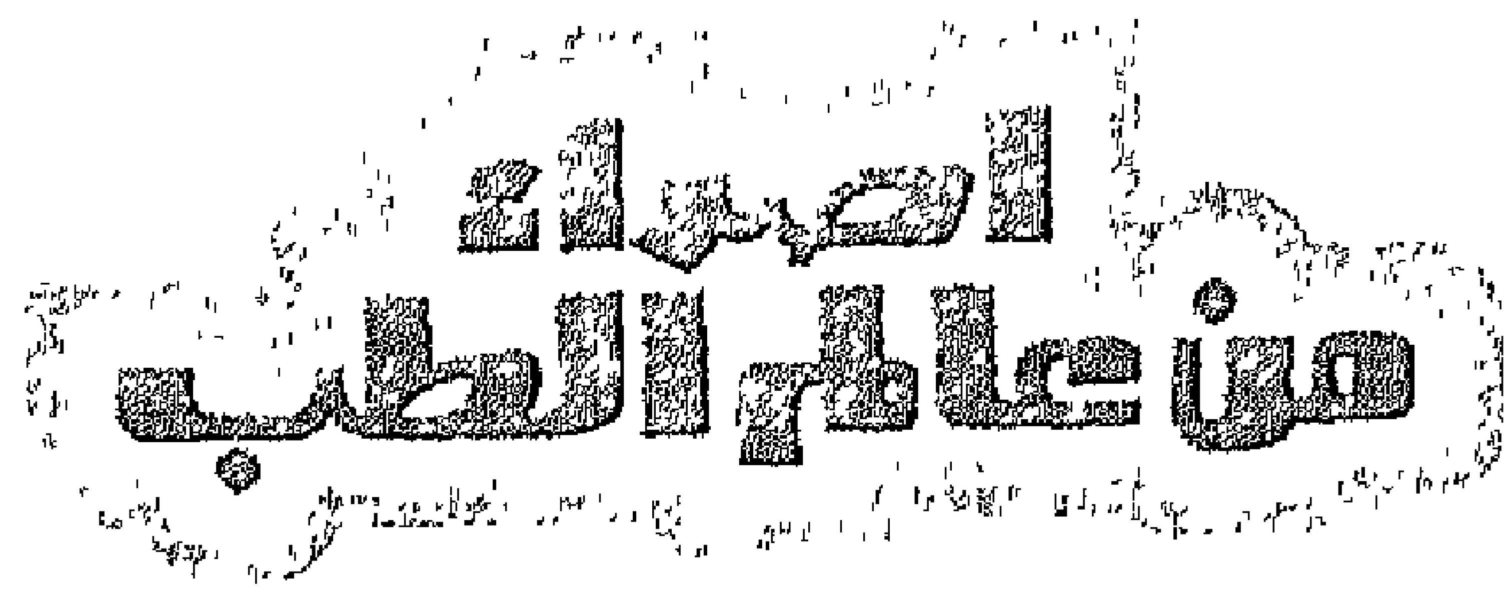
"ليحيَ الاولاد" في البرازيل

منظمة "يونيسف" صنفت عام ١٩٩٠ ولاية سيرايا، وهي من افقر ولايات البرازيل، "مثالا للعالم" لنجاحها في خفض معدّل وفيات الاطفال فيها بنسبة ٣٢٪ خلال السنوات الثلاث الاخيرة.

وقد ثبتت الولاية سياسة تامين المساعدة الطبية والتعليم للاولاد وطبقتها على اكثر من اربعمئة وخمسين الف عائلة مغطية بذلك مليونين وربع مليون من السكان او ما يزيد على ثلث سكانها. وكانت الامّهات الهدف الاساسي لبرنامج "ليحيَ الاولاد" الذي اعتمدته الحكومة قبل اربع سنوات بعد ان حدّدت دراسة مستفيضة اسباب وفيات الاطفال.

وتقول منسقة البرنامج فرنسيسكا اوليفييرا اندراده: "وجدنا أن ٥٨٪ من الاطفال الذين توفوا عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦ لم يتلقوا اي عناية طبية خلال شهرهم الاول و٣٤٪ لم يتلقوا العناية خلال سنتهم الأولى. وبناء على هذه المعلومات، امر حاكم الولاية السابق تاسو جريصاتي (لبناني الاصل؟) بتجهيز ١٣٦ مستشفى ومركزاً صحيا وبناء ٢٤ وحدة اطفال صحية جديدة. وكانت الخطوة التالية تجنيد ٧٠ اختصاصيا لتاهيل الممرّضات والعاملات الاجتماعيات بالاضافة الى ٤٥٠٠ شخص لارشاد العائلات الى طريقة التعرّف الى اعراض المرض لدى الاطفال والى الخطوات الواجب اتخاذها اثر ذلك."

وتضيف: "ان قلة المعرفة هي سبب اساسي للنسبة المرتفعة للوفيات بين الاطفال. وقد ازدادت استشارات الاطباء عام ١٩٩٠ بنسبة ٤٧٪."



تعجيل انتاج الكريات الحمر

■ شاع، على نطاق واسع، اعتماد طريقة التبرع الذاتي بالدم في العمليات الجراحية المحددة سلفاً (غير التي تستلزمها حالات طارئة) باعتبار انها طريقة امينة يحمي بها المرضى انفسهم من اخطار "الايدز" والتهاب الكبد والاخطار الاخرى المتأتية عن عمليات نقل الدم. ولكن بعض المرضى المعدّين لعمليات جراحية سلفاً غير قادرين على التبرع بكمية كافية من الدم.

وقد يساعد هؤلاء الآن عقار كان يستخدم لمعالجة فقر الدم لدى المرضى الذين يعانون امراضاً كلوية. ففي دراسة شاركت فيها معاهد اميركية عدة، تمكن العقار المعروف باسم اريثروبوياتين، وهو نسخة مُهندسة جينيا عن الهورمون البشري، من استحثاث الدم على زيادة انتاج الكريات الحمر على نحو ملحوظ. فازدادت كمية هذه الكريات في المرضى الذين تلقوا العقار بنسبة ٤١ في المئة اكثر من الذين تلقوا جرعات تخلو من اي مواد طبية ومن غير ان يعرفوا ذلك.

وقد تكون المعالجة بالاريثروبوياتين قبل الجراحة المحددة سلفا مناسبة بالتخصيص للاشخاص ذوي الكميات الصغيرة من الدم مثل النساء والاطفال والمصابين بفقر الدم او الذين يمكن ان يحتاجوا الى اكثر من اربع وحدات من الدم تحوي الواحدة منها نصف ليتر، خصوصاً المرضى الذين سيخضعون لجراحات في القلب مثلاً.

مقتبسة من وكالة "اسوشييتد برس"

الطحالب الاوسترالية

■ اكتشف العلماء في المعهد الاوسترالي للعلوم البحرية في تاونزفيل في كوينز لاند حمضا امينياً يمتص الاشعة فوق البنفسجية من الطحالب التي تنمو في الصخور المرجانية في بحر المرجان، الحيد المرجاني العظيم. وهم يقولون انه من دون هذه الحماية فان الشمس كانت حللت التركيب المعقد للمرجان وكانت الشعاب المرجانية اضمحلت.

وتم الآن انتاج عينات صناعية من هذا الحمض الاميني، ومع انها لم تجرب على الانسان فان النتائج المخبرية اظهرت ان هذه المادة فعالة في منع وصول حتى النوع "ب" الخطر من الاشعة ما فوق البنفسجية الذي يسبب لفحة الشمس وسرطان الجلد. يقول المشرفان على مشروع البحث، بروس تشوكر ووالتر دنلوب، ان التركيب الكيميائي للغسول المستخرج من هذه الطحالب بسيط جداً لذلك يقل احتمال تسببه في حساسيات عن المستحضرات التقليدية والتي تمنع الكثيرين من استخدام المواد التي تحمي البشرة من اشعة الشمس.

صحيفة "لونجيفيتي"

موسوعة الدحداح في علم العربية

١ ـ معجم قواعد اللّغة العربيّة في جداول ولوحات

٢ ـ معجم مصطلحات الإعراب والبناء في قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ فرنسيّ) (فرنسيّ ـ عربيّ)

٣ ـ معجم مصطلحات الإعراب والبناء في قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ إنكليزيّ) (إنكليزيّ ـ عربيّ)

٤ ـ معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ عربيّ)

٥ ـ معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ فرنسيّ)

٦ ـ معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ إنكليزيّ)

٧ ـ معجم تصريف الأفعال العربيّة

٨ ـ معجم تصريف الأفعال العربيّة (الوسيط) ـ يصدر قريبًا ـ

٩ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ ـ عربيّ)

١٠ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ ـ إنكليزيّ) ـ يصدر قريبًا ـ

١١ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ ـ فرنسيّ) ـ يصدر قريبًا ـ

١٢ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (الوجيز) ـ يصدر قريبًا ـ

السّفير أنطوان الدّحداح

مكتبة لبنان

تباع في جميع المكتبات

كتاب الشهر

عين الفيل

مُلخّص من كتاب "عين الفيل"
بقلم دليا ومارك أونز



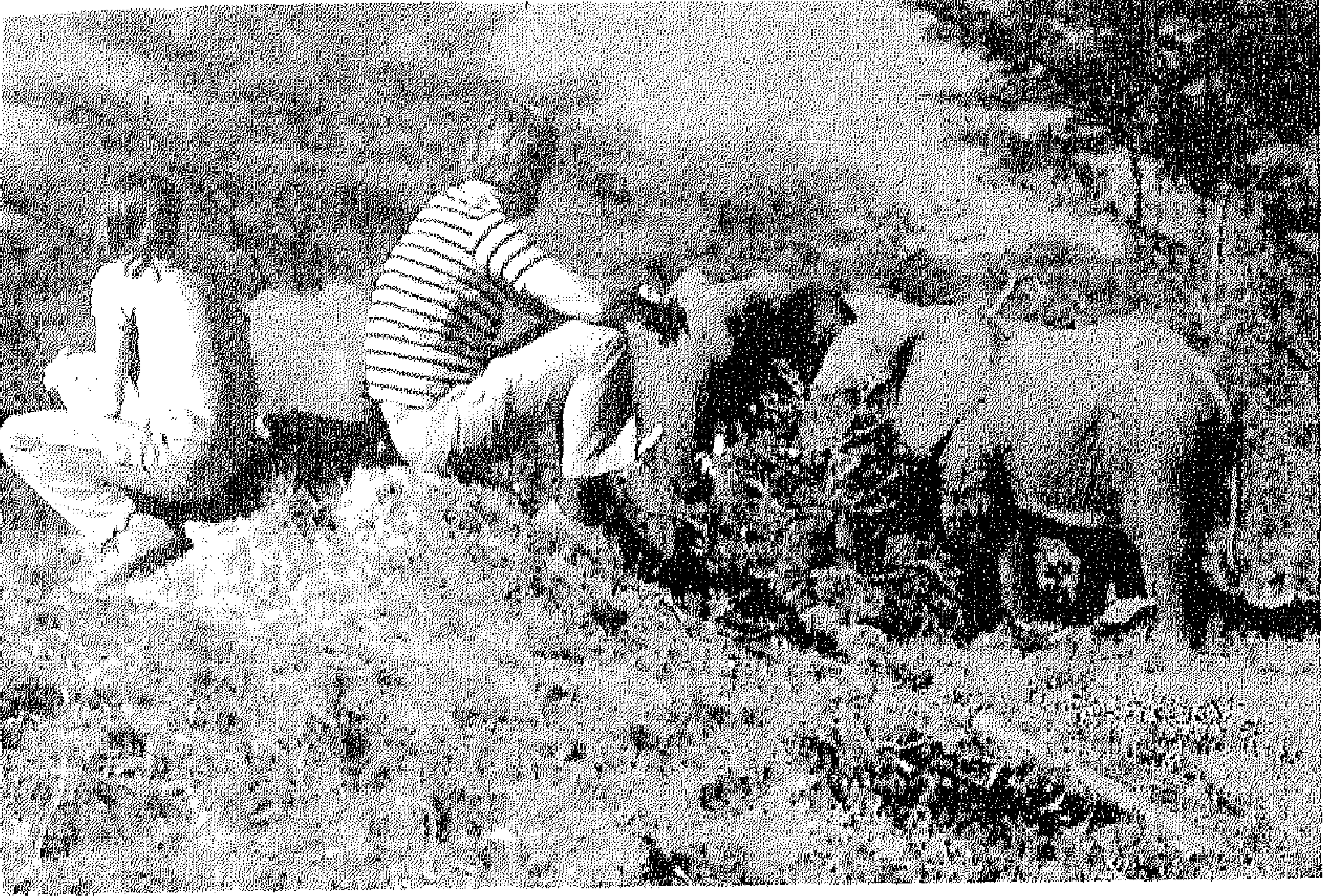


PHOTO: © MARK OWENS

على مقربة من المخيّم النائي الذي أقامه مارك ودليا أونز سرحت خمسة أفيال ترعى. واحد منها له نابان طويلان وثقب صغير في أذنه اليسرى، فيل سماه مارك ودليا "سورفايفر"[1].

جلس الزوجان يراقبان الفيلة وهي تلف خراطيمها حول حزم من العشب وتقتلعها ثم تحشرها في أفواهها. كانت العصافير تتقافز بين أقدامهما، وعائلة من الخنازير الوحشية الافريقية تجول في أعلى النهر بحثاً عن طعام. انه صباح بارد هادىء في افريقيا الجنوبية.

"بم!" طلقة بندقية عبر النهر! تهرع دليا الى زوجها وقد غار اللون من وجهها.

"بم! بم! بم!"

وتصرخ دليا: "يا الهي! مارك، انهم يطلقون النار على سورفايفر!"

(۱) Survivor تعني "الناجي".

CONDENSED FROM «THE EYE OF THE ELEPHANT,» COPYRIGHT © 1992 BY DELIA AND MARK OWENS, PUBLISHED BY HOUGHTON — MIFFLIN, CO., BOSTON, MASS.

مارك:

كنت ودليا متوجهين في سيارتنا عبر درب من الطين الاحمر علّها تقودنا الى متنزه لوانغوا الشمالية. تلوّت بنا الدرب وسط حقول الذرة، ثم درجنا ببطء عبر جسر من جذوع الشجر، وكانت الاغصان تطقطق وتتكسر تحت ثقل السيارة وهي من طراز "تويوتا لاند كروزر."

لم يكن أحد يعرف الى أين نتجه وإلامَ سيطول غيابنا. كانت السيارة في أواخر عمرها، ولم يكن لدينا جهاز راديو للاتصال ولا أسلحة نارية. وفي حال طوارىء، تستغرق الرحلة يومين الى أقرب مستشفى في لوساكا عاصمة زامبيا حيث قدمنا لاجراء أبحاث في الحياة البرية.

مررنا عبر قرية بيوتها من طين، وكانت الاعشاب في المنطقة أعلى من سطح السيارة. وفي وقت لاحق، فيما نحن نلتف حول نتوء صخري، اختفت الدرب فجأة وواجهنا منحدراً مليئاً بالصخور المسنّنة والحفر العميقة. واندفعت السيارة في المنحدر، فحاولت تخفيف السرعة، لكن المقطورة الثقيلة قفزت الى الامام مما رفع العجلات الخلفية للتويوتا عن الارض. وتحركت براميل الوقود لتضرب مقدم المقطورة. فتمايلت السيارة مندفعة أسرع فأسرع فوق الصخور.

دستُ الكابح وصرخت في زوجتي: "استعدي للقفز!" فأمسكت دليا بمقبض الباب فيما السيارة تتواثب نزولا على المنحدر.

وفيما عجلات السيارة ترتطم بالحجار المسنّنة، راحت أطر العجلات تتمزق مصدرة قرقعة عالية. وكلما ضغطت الكابح كانت السيارة والمقطورة تنطويان على شكل ٧.

أخيراً، فيما أنا أحاول تخفيف اندفاع السيارة، استقرت عجلاتها على المنحدر وتوقفت. فأرخت دليا مسكتها عن لوحة أجهزة القياس، وأفلتُ أنا قبضتي المحكمة عن المقود.

كنت ودليا أمضينا أربعة أشهر نعيش كالبدو الرحل مستكشفين مناطق الحياة البرية في جنوب افريقيا. ولاختبار إمكان إجراء بحث على حيوانات متنزه لوانغوا الشمالية، سلكنا الدرب الممتدة على ضفة نهر مواليشي والمؤدية الى نهر لوانغوا على الحدود الشرقية للمتنزه. وكانت رحلة استطلاع قمنا بها سابقاً في طائرتنا من طراز "سيسنا ١٨٠" أظهرت أن السهول المنخفضة على امتداد هذين النهرين قد تكون من أهم مواطن الحياة البرية في المتنزه.

بعد ساعة ونصف ساعة كنا انحدرنا حوالى ١٠٠٠ متر في وادي لوانغوا، وارتفعت الحرارة الى ٣٠ درجة مئوية. وامتلأت السيارة بذباب الـ"تسي تسي" الذي راح يقرص كل مساحة مكشوفة من جسمينا مخترقا قمصاننا وسراولينا القصيرة وجواربنا.

ولما كان الجو حاراً فقد تعذر علينا إقفال النوافذ، فرحنا نطرد الذباب بقبعتينا ونسحقه على الزجاج الامامي. ثم أشعلنا سجائر كنا جلبناها لمقايضتها مع السكان المحليين، وبدأنا ننفث دخانها مسعورين حتى تراجعت أسراب الذباب.

بعد ساعتين من مغادرة الجرف علقنا في متاهة من الشجيرات الشوكية التي ارتفعت كجدران الى علو أربعة أمتار. رحنا نلتف وندور في هذه المتاهة من العلّيق الكثيف لنجد أنفسنا مرة بعد أخرى أمام جدول عميق وعر سدّ علينا طريقنا. كانت الحيوانات قليلة والنباتات كلها بنّية أحرقتها الشمس. أخيراً اخترقنا دغلا كثيفاً من الشجيرات اليابسة فوصلنا الى نهر مواليشي.

بدا القعر الرملي الابيض جلياً من خلال المياه المتلألئة. ورأينا قطيعاً صغيراً من ظباء البوكو الافريقية على مسافة ٤٠ متراً، وهي بدت لنا بقعاً حمراء وبنّية وسط العشب الاخضر الندي. وجثمت نسور على أعالي الاشجار.

سرَّحنا عيوننا لتعبَّ من المنظر بعد كآبة أراضي العليق. وركضنا الى النهر نغرف الماء بأيدينا ونتراشق. ثم قفزنا الى الماء بكامل ثيابنا.

مع غروب الشمس فرشنا حشيتنا على ظهر المقطورة ثم أقمنا طاولتنا وكرسيينا وأشعلنا نار مخيم. سكبتُ بعض الشراب في كأسين من البلاستيك وتبادلنا نخب ليلتنا الاولى في الوادي، فيما قطعان من الظباء والحُمُر الوحشية تعبّ من النهر وطائر قاوند يغطس في الجب عند أقدامنا.

لقد بدأنا نقتنع برغبتنا في العيش والعمل في لوانغوا الشمالية. لكننا فوجئنا بعد بضعة أيام اذ خرجنا من أرض ملتفة الشجر لنجد أنفسنا في بقعة جرداء أحرقت الشمس ترابها فتحول كعكات مشققة مغبرة.

هتفت دليا: "مارك! انظر هناك!"

أوقفت السيارة وسرنا الى أجمة من الاشجار اليابسة. كانت جماجم خمسة أفيال متناثرة هنا وهناك وقد ابيضّ عظمها. ورأينا أيضاً عظام قوائم وأقفاص صدرية. كانت الهياكل العظمية تغطي المكان.

فحصنا الجماجم، فاكتشفنا ثقوبا صغيرة في كل منها. وكانت الوجوه قطعت واجتثت أنيابها. انتبهنا في هذه اللحظة الى أننا لم نرَ فيلا واحداً حيا منذ دخولنا أرض المتنزه، وأدركنا أننا نقف على مسرح مجزرة حيث قتل لصوص الصيد كل حيوان ضخم في الجوار.

رفست الارض بقدمي صارخاً: "أولاد الافاعي!"

اذا كنا سنبقى هنا للعمل فلن يمكننا تجاهل لصوص الصيد أو التهرّب من مواجهتهم. سيكون لزاماً علينا أن نفعل شيئاً لمنعهم.

جئنا الى افريقيا للمرة الاولى في العام ١٩٧٤ وقد مرّت على زواجنا سنة واحدة. كنا تخرجنا حديثاً في جامعة جورجيا في الولايات المتحدة وما زلنا زاخرين بمثالية الشباب. وصلنا وفي نيتنا بدء مشروع أبحاث حول الحياة البرية في صحراء كالاهاري في بوتسوانا. درسنا حياة الأسود والضباع على مدى سبع سنوات، ثم عدنا الى الولايات المتحدة لانهاء دراستنا الجامعية.

عندما رجعنا الى بوتسوانا في العام ١٩٨٥، أمرت حكومتها بترحيلنا من دون أن تعطي سبباً لذلك. لكن مسؤولا أسرّ الينا بأن مجموعة من السياسيين تنوي اقامة مزارع أبقار خاصة في كالاهاري وهي تعرف أننا سوف نعارض ذلك المشروع.

وبعد أربعة عشر شهرا كنا في لوساكا للقاء مسؤول عن الابحاث المتعلقة بمتنزهات زامبيا الطبيعية.

قال لنا المسؤول: "كدنا نيأس من جدوى أي عمل في متنزه لوانغوا الشمالية. انه ناء، والوصول اليه لحمايته شبه مستحيل. لا أحد يذهب الى تلك المنطقة، ولذا ليست لدينا فكرة عما يجري هناك. أنا لم أرَ المتنزه في حياتي، لكنني سمعت أنه جميل جداً."

سألته: "هل من سبب يمنعنا من الذهاب الى المتنزه وإلقاء نظرة؟"

أجابني: "أبداً، وافنا بتقرير عما تجده."

[illegible]

ليس المكان متنزهاً وطنياً بالمفهوم السائد في الغرب. فلا مرافق سياحية ولا طرق ولا أحد يعيش فيه. انه رقعة من البرية البكر تمتد على مساحة ٦٥٠٠ كيلومتر مربع، تجعلها فيضانات الانهار عصية على الوصول في فصل الامطار فيما تجعلها الرمال والوهاد العميقة وعرة في موسم الجفاف. هذا هو المكان المفضل لدينا. فهو ناء، وعر المسالك، والوصول اليه قريب من المستحيل.

يضم المتنزه تنوعا من الحياة البرية غنياً الى حد لا يصدق. ولم يعمد أحد، في علمنا، الى دراسة طبائع الحيوانات وسبل حمايتها في هذا المكان من قبل. لذا بدا لنا موقعا جيداً لاختبار نظريتنا التي تقول بأن القرويين الذين يعيشون على مقربة من المتنزه سوف يتحمسون للمساعدة في حمايته اذا كانت لهم فائدة مباشرة من الحياة البرية فيه، عبر السياحة مثلا.

أقمنا مخيما موقتاً على ضفة نهر مواليشي في الموقع الوحيد حيث تعرجات النهر متباعدة ما يكفي لاقامة مهبط طائرة صغيرة. لكن الشكوك بدأت تساورنا حول جدوى العمل هنا ولمّا تمضِ أيام قليلة. فالمكان وعر جداً، وكنا مضطرين الى خوض ما يشبه

الحرب مع عناصر الطبيعة كلما أردنا التحرك في السيارة وإن لمسافة قصيرة. وقد انقلبت السيارة ذات صباح وانزلقت دليا منها على جدار واد، لكنها لم تصب بسوى كدمات وخدوش في ذراعها اليسرى. كذلك السيارة التي رفعناها بواسطة ونش، فهي سلمت الا من أضرار بسيطة للدعامة الامامية.

كان الحصول على المؤن الاساسية يتطلب رحلة شاقة تستغرق يوماً من المخيم الى مبيكا أقرب بلدة "حقيقية." وكنا نؤمِّن وقود طائرتنا من لوساكا. لكن تجاوز العقبات اللوجستية بدا مستحيلا بموازنتنا المحدودة، فضلا عن أن لصوص الصيد لن يسرّوا كثيراً بما نخطط له. قالت لي دليا: "ربما كان علينا أن نرحل من هنا!"

أفقت صباح اليوم التالي على صوت رشيش ماء في النهر. نهضت لأرى أسدين على مسافة عشرة أمتار ينثران الماء رذاذاً في لهو صاخب. كان جسداهما الذهبيان يعكسان أشعة شمس الصباح. فيا لذلك المشهد الرائع الذي أنسانا متاعب الرحلة!

التفتُ الى دليا مبتسماً وسألتها: "كم مكاناً بقي في افريقيا حيث يمكننا مراقبة أسود ذهبية تلهو صاخبة في النهر على مقربة من خيمتنا؟"

قررنا تمضية ليلة أخرى هناك على رغم نفاد مؤونتنا. وانحسرت الحرارة عصراً فركبنا سيارتنا الـ"لاند كروزر."

"فيلة!" صرخت دليا. وخرجت من الغابة عصبة من ستة أفيال على مسافة حوالى ٤٥٠ متراً منا متجهة نحو الماء. وكان لكبرى الاناث فيها ناب واحد.

توقفت الفيلة ورفعت خراطيمها تشتّمّ الهواء تنسُّماً لرائحة خطر. ثم تقدمت خطوات قبل أن تتوقف ثانية: قائمة واحدة مرفوعة وخرطوم ملتف. وفيما الفيلة تقترب من حافة الماء استدار خرطوم في اتجاهنا فجأة وراح صاحبه يصفق أذنيه بهياج، ثم استدار بكتلته الضخمة وفرَّ عائداً الى الغابة، وتبعه رفقاؤه، وخلال ثوان كانت الفيلة اختفت.

لا بد من أن النهر حمل رائحتنا الى الفيلة التي أصبحت، لكثرة مضايقات لصوص الصيد، تخشى الانسان وتأبى الشرب حتى على تلك المسافة منه.

في تلك اللحظة من أغسطس (آب) ١٩٨٦ قطعنا على أنفسنا عهداً بالبقاء في لوانغوا الشمالية حتى تعود الفيلة تشرب بسلام من ماء النهر.

دليا:

انقضت أشهر قبل أن نحصل على كل الرخص المطلوبة لبدء العمل في لوانغوا الشمالية. وها نحن الآن نقف أخيراً على ضفة مرتفعة لنهر لوبونغا ندرس سهلاً فيضانياً[٢] يمتد نحو ألف متر في محاذاة النهر. وكنا أمضينا عشرة أيام باحثين عن

(٢) هو سهل ناشىء عن الاتربة التي تخلفها مياه الفيضانات كل موسم امطار.

موقع نقيم فيه مخيمنا الرئيسي.

قال مارك: "سوف نبتل عندما تمطر، لكنني مستعد للمغامرة، ماذا تقولين؟"

كانت مياه الشرب متوافرة مع كثير من الظلال. وكانت أشجار المارولا الباسقة تلوّح بأغصانها الضخمة في النسائم اللطيفة كأنها تدعونا الى الاحتماء بها. وعلى مقربة منا قطيع من ظباء البوكو يرعى. أومأت برأسي موافقة وتساءلت عما ترانا نسمي المخيم. فرد مارك: "ما رأيك في اسم مارولا – بوكو؟"

بدأنا اقامة المخيم بمساعدة خمسة عمال محليين من قبيلة بيمبا. نصبنا خيمة وركزنا طاولة الاكل والكراسي وبنينا كوخا من طين ثبتنا على سطحه حزما من العشب. ثم نظفنا، قبل بدء موسم الامطار، بقعة تبعد حوالى خمسة كيلومترات من المخيم، فاقتلعنا الاعشاب الطويلة وأقمنا مهبطاً للطائرة.

أمضينا أشهراً في الطيران والسير والاستكشاف لنكوّن فكرة عن الحياة في لوانغوا الشمالية. لاحظنا أن الفيلة تعبر من الجبال في الغرب الى السهول المعشبة في بطن الوادي مع بداية موسم الامطار في منتصف نوفمبر (تشرين الثاني)، ثم تعود الى الجبال عندما يبدأ موسم الجفاف في ابريل (نيسان). وينشط لصوص الصيد عادة خلال موسم الامطار.

قارنّا تعدادنا الجوي للفيلة بتعداد أجرته الامم المتحدة في العام ١٩٧٣، فتبين لنا أن لصوص الصيد قتلوا ١٢ ألفاً من أصل ١٧ ألف فيل كانت تعيش في المتنزه، وأن ألف فيل يقتل كل عام. وهذا يعني أن معظم الفيلة في لوانغوا الشمالية سينقرض خلال خمس سنوات اذا استمرت عملية القتل هذه.

عدنا ذات أصيل الى مخيم مارولا – بوكو من احدى رحلاتنا الاستكشافية، وجلست أمزج عجيناً من طحين الذرة وأعده للخبز.

"بم! بم!" طلقات نارية عبر النهر! وصرخ سيمباي، أحد عمالنا من قبيلة البيمبا: "لصوص صيد!"

وتتابعت الطلقات، وكنت أحس ترداد أصدائها في صدري.

"اللعنة عليهم!" صرخ مارك، "انها رشيشات كلاشنيكوف!"

لم تكن لدينا سلطة لملاحقة اللصوص، وكان كل ما نستطيعه الذهاب في السيارة الى مخيَّم كشافة الصيد في مانو، وهي محطة صغيرة على مسافة ٣٠ كيلومتراً. كان المخيم هادئاً عندما وصلنا. وكان ثمة خمسة مراكز مثل هذا المخيم على أطراف المتنزه، لكن هذا أكبرها ويضم ستة كشافة. قفز مارك من السيارة وأبلغ الى قائد الكشافة أصوات الطلقات النارية. اتكأ بضعة رجال على السيارة وتثاءب واحد ومشى آخر مبتعداً.


دليا ومارك اونز

قال لنا القائد: "اننا لا نملك ذخائر لبنادقنا."

فسأله مارك: "وماذا حدث لذخائركم؟" فتبادل الرجال النظرات وأجمعوا على أنهم لم يتلقوا حصتهم.

"لدي طلقة واحدة!" أعلن غاستون فيري وهو أحد الكشافة الاكثر حماسة.

فقال له مارك: "سيد فيري، انني على استعداد لدفع ٢٠٠ كواشا (نحو دولارين) لكل رجل يأتي معنا، في مقابل كل لص تقبضون عليه."

وافق الرجال الستة على مرافقتنا، لكنهم أمضوا ساعتين في اعداد حقائبهم. وحل الليل قبل أن نصل الى مخيم مارولا - بوكو.

أفقنا أنا ومارك في الرابعة والنصف صباحا لاعداد النار، وحاولنا إصدار أكبر جلبة ممكنة لايقاظ الكشافة الغاطين في نومهم. وهم انضموا الينا أخيراً في الخامسة والربع وتناولوا طعام الفطور من لحم البقر المعلّب والشاي، ثم انطلقوا الى مهمتهم في السابعة الا ربعا.

رأيت سرباً من الصقور يحوّم جنوباً فوق المكان الذي سمعنا منه اطلاق الرصاص. وفي الحادية عشرة برز الكشافة الستة من بين الاعشاب الطويلة، وقال غاستون فيري بغبطة: "صباح الخير يا سيدتي. لقد عثرنا على فيلين مذبوحين اقتلعت أنيابهما! انهما على بعد كيلومتر واحد من هنا."

سألته: "وماذا عن لصوص الصيد؟"

فأجابني: "افترضنا أنك ترغبين في التقاط صورة لنا مع الفيلين الذبيحين!"

حدقت اليه غير مصدّقة أذنيّ وقلت له: "فيري، ما أرغب فيه هو صورتكم مع اللصوص! كان واجبكم أن تقبضوا عليهم."

تجهمت وجوه الكشافة وأشاحوا بنظرهم بعيداً، وتابع فيري: "لقد عثرنا على آثار اللصوص، ويمكننا أن نطاردهم فنخرجهم من المتنزه. لكننا جياع ونحتاج الى تناول الغداء أولا. هل تعطيننا بعض اللحم المعلّب؟"

PHOTO: © MARK OWENS

– حسناً، ولكن أرجوكم أن تحاولوا القبض على اللصوص.
"شكراً لك. ليتك تلتقطين لنا صورة قبل أن ننطلق في دوريتنا!"
– حسناً، حسناً. كان يجب أن نفعل ذلك في الصباح.
أحضرتُ الكاميرا من الخيمة وتجمهر الرجال أمامي رافعين بنادقهم: أربعة منهم يرتدون الزيَ الرسمي. سراويلهم ممزقة ومرقعة. أربعة ينتعلون أحذية وواحد ينتعل صندلا من مطاط عجلة سيارة وواحد حافي القدمين. انها صورة معبِّرة تنطق باليأس.

مخاطر غريبة

مارك:

نحن في وقت مبكر من موسم الجفاف عام ١٩٨٨. نجلس عاليين في شاحنة متينة أهدتها الينا جمعية فرنكفورت لعلوم الحيوان في ألمانيا. وكنا ندرس وضعية جسر قائم على أعمدة خشبية وقد تدلّى مرتخياً فوق قاع جدول عميق أمامنا.

كانت في صندوق السيارة دراجات وأكياس نوم وناموسيات وحَشيّات تخييم وأحذية وعدة اسعاف أولي وأطعمة ومواد أخرى لكشافة المتنزه. وكنا نأمل أن تستحث الحمولة هممهم.

تزن الشاحنة أكثر من ستة أطنان فارغة، وزادتها الحمولة أكثر من طن ونصف طن.

أرضية الجسر مبنية بجذوع أشجار ممدودة لا يتجاوز قطر الواحدة منها قطر ربلة ساقي، مع عدد قليل من العوارض الخشبية لتوزيع الوزن بين عمود وآخر. وكنت أرى قاع المجرى على عمق مترين ونصف متر تحتنا من خلال أرضية الجسر. وأدركت أننا سنحتاج الى معجزة لاخراج الشاحنة من الجدول اذا ما تكسرت الجذوع تحت ثقلها فسقطت. أما اذا هوت الشاحنة عن جانب الجسر فسوف تستقر في الجدول مقلوبة.

قست المسافة بين عجلتي المركبة الاماميتين وقارنتها بعرض الجسر. كانت المسافتان متساويتين تقريباً، وسوف يرتكز ثقل العجلتين اليمنيين على جذع واحد في جانب من المجرى. ومع ذلك كان علينا أن نحاول العبور اذ لم نعثر على معبر آخر.

ساعدتني دليا بالاشارات في تقويم خط سير الشاحنة، ثم خاضت المجرى لمراقبة جذوع أرضية الجسر.

راحت الجذوع تئن وتفرقع منحنية تحت وطأة الثقل. ضغطت دواسة الكابح ونظرت الى دليا، فأشارت لي بالتقدم وقد تصلب فكّاها.

ما إن بلغت منتصف الجسر حتى دوَّت فرقعة وتطايرت كسر جذع في الهواء. ترنحت الشاحنة يسرة وبدأت تترجح في كل الاتجاهات. فوضعت يدي على مقبض الباب استعداداً للقفز.

زعقت دليا وهي تلوّح بيديها: "توقف! توقف!"

كانت العجلة الامامية اليسرى حطمت جذعاً ودخلت بين اثنين آخرين. وكان الجسر يتمايل كما في المشي على الحبال، فجلست ساكنا حتى هدأ واستقر.

أدرت المقود يساراً ونقلت الحركة الى وضع ارتدادي. تراجعت العجلة ببطء الى الجذع الخلفي، لكن نصف العجلة الامامية اليمنى كان في الهواء خارج الجسر. عدت الى التقدم ببطء شديد كمن يقود سيارة على أرضية من المفرقعات.

أخيراً تمكنت العجلتان الاماميتان من أرض صلبة، فأطلقتُ العنان للمحرك مخلفا الجسر الهش ورائي. سوف يتعين علينا أن نعيد بناءه قبل أن نعبره ثانية.

قوة الجوجو

دليا:

انتهت عملية بناء المخيم. أكواخ من الطين والحجار والقش رتبت على شكل نصف دائرة في محاذاة ضفة النهر: كوخ مكتب، وكوخ مطبخ، وكوخ نوم، و"نساكا" مفتوحة هي الديوان التقليدي لاجتماعات قبيلة البيمبا. واستخدمنا مجموعات من البطاريات الشمسية لتغذية جهازي كمبيوتر وبضعة مصابيح. وفي مؤخر المخيم أقمنا المشغل وملأناه بالادوات وقطع الغيار.

ذات يوم لدى وصولنا الى المخيم هرع الينا سيمباي صارخا: "اتبعاني، يجب أن تريا هذا!" وتعلق بذراع مارك يجره، وقادنا الى رقعة معشوشبة بين كوخي المكتب والنوم.

"هل تريان آثاره؟ لقد كان هناك." وأشار الى الآثار الكبيرة لاقدام فيل على بعد ١٥ متراً من كوخ نومنا، ثم أضاف: "انه يأتي الى هنا كل ليلة ليأكل ثمار المارولا. انه واحد من ثمانية، لكنه الوحيد الذي يأتي الى هذه البقعة، أما الفيلة الاخرى فترعى في التلال."

سألته: "الا يخاف منك؟"

– إنه يأتي في الليل فقط، ويتحرك كشبح فلا أستطيع سماعه. لكنني انتظرت بين الاعشاب أمام كوخي ورأيته يأتي.

"هل أنت متأكد من أن الفيل ذاته يأتي كل ليلة؟"

– أنا أكيد من ذلك. فله نابان بطول ذراعك وثقب صغير في أذنه اليسرى.

بعد عشاء مبكّر من الفاصولياء وخبز الذرة اتخذت ومارك موقعا لنا عند نافذة كوخ النوم، ورحنا نتناوب التحديق في ظلمة الليل. لكن الفيل لم يحضر. أخلدنا أخيراً الى النوم، ولم نعثر صباح اليوم التالي على آثار حديثة. لا بد أن الفيل عرف أننا داخل

الكوخ. ولا غرو، فقد أثبت من الذكاء ما نجّاه من رصاص لصوص الصيد سنوات كثيرة.

كنا ذاك الصباح نعتزم القيام بدورية في الطائرة لملاحقة اللصوص. فقدنا الشاحنة الى المهبط. فجأة أوقف مارك المحرك. كانت ثمانية أفيال واقفة على جانب التلة المشرفة على النهر على مسافة أقل من ٣٠٠ متر منا. وكانت تلف خراطيمها حول الاعشاب الطويلة فتقتلع حزماً كبيرة تلتهمها. وهي تجاهلتنا بدل أن تهرب مذعورة. أمسكت وجهي بين يدي وألقى مارك يده على كتفي.

بدأت الفيلة بعد ذات تظهر بانتظام. وكنا نراها عبر النهر تأكل ثمار الماروﻻ، كما رأيناها أصيل ذات يوم في الوادي خلف مهبط الطائرة.

أقلع مارك بالطائرة بعد أسبوع من رؤيتنا الفيلة للمرة الاولى، ليوصل رسالة الى كشافة الغابة في مانو يطلب فيها تكثيف الدوريات في محيط المخيم لحماية القطيع. لكنه ما إن صار في الجو حتى اخترق سرباً من الصقور، وعندما نظر الى أسفل رأى جيف ثلاثة من ذكور الفيلة مشوهة وغارقة في برك من الدم. حوّم بالطائرة فوق المنطقة بحثاً عن اللصوص، لكنه لم يعثر لهم على أثر. فانطلق ليستدعي الكشافة.

بعد أربع ساعات كنا نقف مع الكشافة حول الافيال النافقة. تخيلتها نصباً تذكارية رمادية هائلة لقارة محتضرة.

راح مارك يذرع المكان، ثم حدق الى فيري وقال له: "انهم يضحكون منا، وأنت تعرف ذلك. يعلمون أنهم يستطيعون ذبح الفيلة هنا والنجاة بفعلتهم."

فأعلن فيري: "اننا نعرف قاتلي هذه الفيلة، فآثار أحذيتهم في الرمل تدل عليهم. انه تشاندا سيفن وآخرون من قرية موامفوشي."

رد مارك: "حسناً، يمكننا اذاً الذهاب الى القرية واعتقالهم."

فقال فيري: "آه، لا، لا نستطيع ذلك. انهم يملكون قوة الجوجو!"

– يملكون ماذا؟

"جوجو! السحر! يمكنهم اخفاء أنفسهم فلا نراهم. يمكنهم الوقوف بيننا من غير أن نستطيع القبض عليهم."

– دعك من هذا الهراء يا فيري! انك لا تصدق ذلك حقاً. من المستحيل أن يخفوا أنفسهم.

ونظر مارك قلقاً الى الكشافة الآخرين آملاً أن ينصروه.

فلاحظ فيري ذلك وقال: "قد يكون الامر هراء بالنسبة اليك، لكنه ليس كذلك بالنسبة الى هؤلاء الرجال."

حاول مارك أن يضبط غضبه حائراً في ما يجب أن يفعل. ومشيت أنا مبتعدة متأملة

التلال الذهبية الوعرة. فجأة لفتت انتباهي خمسة أفيال تسير بصمت عبر الاشجار. لم أظهر اشارة الى أنني رأيتها، ولكن ما إن بلغَتْ قمة التلة حتى ميَّزتُ الفيل ذا النابين الطويلين والثقب الصغير في الاذن اليسرى. لقد نجا مرة أخرى. فتمتمت: "اذهب بأمان يا سورفايفر."

متورطون

مارك:

شارف العام ١٩٨٨ نهايته ولما ننجز شيئاً بعد. وكنت عثرت خلال رحلاتي الجوية في الشهر الفائت على عشرين فيلا مذبوحاً. كنا نخسر المعركة لانقاذ لوانغوا الشمالية. لقد بذلنا قُصارانا لترغيب الكشافة في العمل، لكن مكافآتنا لم تغيّر طبائعهم. كانوا لا يدخلون المتنزه الا عندما نعثر نحن على اللصوص وننقل الكشافة جواً ونحط بهم وسط اللصوص. حتى في تلك الحالات كانوا نادراً ما يقبضون على أحد. وكانوا لا يطيقون فكرة الخروج في دوريات. وارتبنا في أنهم ينتفعون بتعاونهم مع لصوص الصيد أكثر مما ينتفعون منا.

أخبرَنا الاهالي أن جميع السكان الذين يعيشون في محيط المتنزه يأكلون لحوم الحيوانات البرية المذبوحة التي تباع على نحو غير مشروع في الاسواق وعلى امتداد الطريق الرئيسية، وأن كثيراً من الكشافة هم أصدقاء لأعتى لصوص الصيد يبيعونهم الذخائر ويدلونهم الى مواقع الفيلة والجواميس البرية. كما أن رجال شرطة وجنوداً وقضاة ومسؤولين حكوميين هم متورطون كذلك، وكثير منهم يأخذون العاج بدل اللحم.

قال لي أحد المخبرين: "انها عملية أكبر مما تتصور، ولن تستطيع وقفها."

فأصررت: "سوف نفعل، وسوف يتغير العالم بالنسبة الى هؤلاء اللصوص."

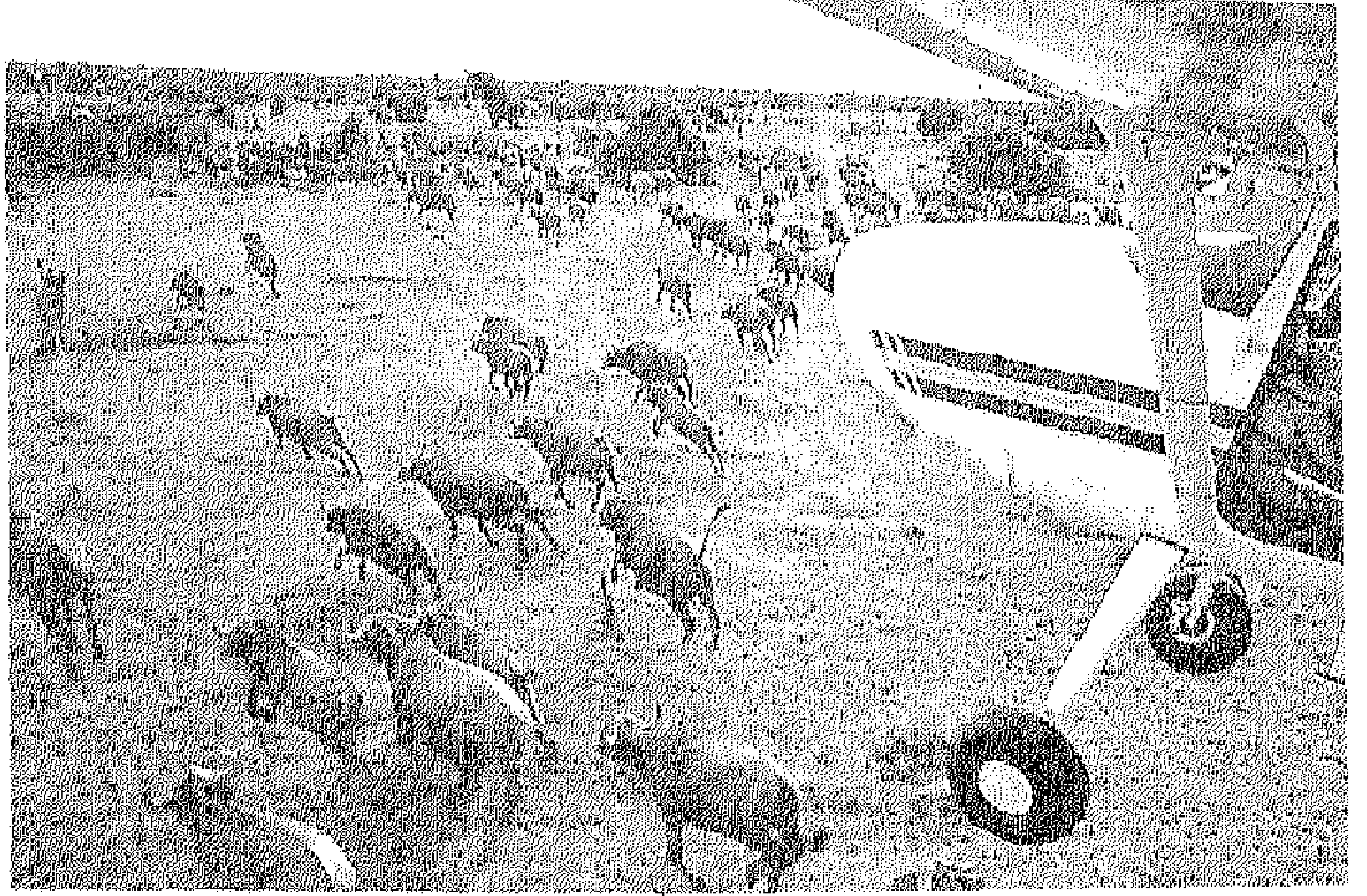
ان تنظيم حملة صيد الى المتنزه مكلفة جداً، فافترضت أنه اذا أصبحت عمليات الصيد في لوانغوا الشمالية غير مربحة فسوف يتخلى لصوص الصيد عنها.

بكلام آخر، اذا لم نستطع ادخال اللصوص السجن فلربما استطعنا إفلاسهم.

حلقتُ بالطائرة على ارتفاع منخفض لكي لا يسمع اللصوص في الوادي هديرها أو يروها. وكنت أميلها يمنة ويسرة باحثاً عن صقور أو دخان أو مناصب لحم. وفيما أنا أقترب من النهر لفت انتباهي شيء على الضفة الرملية العريضة. استويت بالطائرة، فرأيت رجلين يركضان وكل منهما يحمل نابا على كتفه، وآخرين يركضون الى جانبهما حاملين سلال لحم.

صوَّبت مقدم الطائرة نحو الرجلين اللذين يحملان النابين، فوثبا للاحتماء

بالشجيرات الكثيفة قرب الشاطىء. ألقى الـرجلان بـالنابين واستدارا ثم انطلقا نحو بقعة تكسوها الاعشـاب العاليـة. فانحدرت بالطائـرة حتى كادت عجلاتها تلامس الرمل.



مارك يجري تعداداً للحيوانات البرية.

التفت اللصـان الى الطائرة وهما يـركضان والـرمـل يتطاير من بين أقدامهما. وعندما أصبحت عجلة الطائرة اليسرى خلف ظهر أحدهما، نظر هذا الي يائساً لا يدري في أي اتجاه يفر. رفعت ذراع التحكم في اللحظة الاخيرة، فأخطأَتْه عجلات الطائرة بسنتيمترات قليلة. وفيما أنا أحلق محوِّماً رأيت الرجل يرتمي في أجمة من شجيرات شوكية على حافة النهر.

كان رفقاؤه في هذه الاثناء وصلوا الى بقعة تكسوها أعشاب عالية زيَّن لي خيالي أنها تحتاج الى حصاد، فراحت شفرات مروحة الطائرة تقطّع العشب نثرات صغيرة وتنفخها فوق اللصوص المنكبّين على وجوههم وأيديهم فوق رؤوسهم. رحت أطفىء محرك الطائرة وأشعله بسرعة مما سبب اشتعالات متفجرة في طرف أنبوب العادم. وعدت لامر فوق اللصوص وأحدث الانفجار ذاته مرة تلو أخرى.

بعد نصف ساعة على هذا المنوال نفذت ما يشبه مناورة هبوط، فلامست العجلات الشاطىء الرملي لاجعل اللصوص يظنون أنني سأوقف الطائرة وأعتقلهم. لكنني كنت أعرف أنني اذا أبطأت كثيراً في هذه الرمال اللينة فسوف أحط حقاً من دون أن أحظى بفرصة للاقلاع من جديد، وسوف أعلق، أعزل من السلاح، وسط مجموعة من لصوص الصيد الذين يكرهونني. لذا تخليت عن تظاهري باقرار النظام واتجهت عائداً الى المخيم.

تابعت الطيران يومياً لعدة أسابيع. وكنت أنقضّ على اللصوص على امتداد النهر حتى يفروا تاركين العاج واللحم للصقور والضباع.

وكثيراً ما كنت أبقى في الجو الى منتصف الليل، ثم أفيق في الثالثة صباحاً لاطير من جديد، مستعيناً بالقهوة الثقيلة لابقائي يقظاً. كان الكافايين يمنحني النشاط

والشجاعة لافعل ما هو واجب علي، لكن علاقتي بزوجتي ساءت وأصبحت أعصابي سهلة الاستثارة.

قالت لي دليا مرة غاضبة: "اللعنة! اذا أصررت على عنادك في مواجهة هؤلاء اللصوص فلن يمضي وقت طويل حتى يبدأوا اطلاق النار عليك... وعليّ. اننا لا نستطيع محاربة هؤلاء الجزارين وحدنا."

ومرة أخرى، عندما تأخرت ساعتين عن موعد عودتي الى مخيم مارولا – بوكو، لاقتني دليا ووجهها شاحب قلقا: "أين كنت الى الآن؟ أوشكتُ على الاتصال بفريق بحث."

أجبتها: "أين تظنينني كنت؟ كنت أعد الفيلة النافقة."

ثم صفقت باب السيارة وابتعدت غاضباً أبتغي مزيداً من القهوة. وفكرت لبرهة: دليا على حق، لن نستطيع الاستمرار في هذه الحال طويلا.

لا يستحق الموت!

اكتشفت خلال طلعة أخرى فيلين مذبوحين ومجموعة من الرجال مختبئة في دغل ومعها كومة من اللحوم يبلغ ارتفاعها مترين على الاقل.

بدأ بعضهم يركض هاربا عندما رأى الطائرة. فرحت أحوّم فوقهم في دوائر على ارتفاع منخفض وأجبرهم على الالتصاق بالارض. وبعد عدد من الدورات طرت الى حيث يخيم الكشافة وألقيت لهم رسالة تفيد أنني عثرت على مجموعة من اللصوص وسوف أبقيهم مسمّرين في أماكنهم حتى وصول الكشافة.

وفيما أنا أعبر بطائرتي فوق فيل نافق آخر، خرج رجل من خلف شجرة متنكّباً بندقية كلاشنيكوف. رأيت كتفه تنتفض من قوة ارتداد البندقية ونفثة من دخان رمادي تنطلق من الفوهة. كان الرجل يسدد رصاصاته الى طائرتي الخفيفة المصنوعة من الالومنيوم، فسارعت في الابتعاد عن مرماه.

أمّلت الطائرة ثانية في اتجاه مخيم اللصوص ويداي تتصببان عرقاً على المقود. طرت وأنا أكاد ألامس رؤوس الشجر لكي لا يتسنى لمطلق النار سوى ثوان لرؤيتي واطلاق النار علي. ها هو الرجل ثانية يصوب بندقيته نحوي. فارتفعت لولبيا الى علو حوالى ٤٥٠ متراً، ثم تابعت التحليق الدائري في انتظار مجيء الكشافة، الى أن وصلت ابرة عداد الوقود الى نقطة "فارغ" فاتجهت عائداً الى مارولا – بوكو.

ذات يوم قبل بزوغ الفجر قدت الطائرة الى نهاية المهبط استعداداً للاقلاع. كانت عاصفة رعدية تطبق علينا من الغرب، وخشيت أن أقلع ولا أعود أرى الافق بوضوح. كانت المضخة الخوائية في الطائرة مكسورة مما عطل البوصلة الجيروسكوبية

(الدوّارة) والافق الاصطناعي.[٣] كما تعطل مقياس الارتفاع الراداري. كانت الظلمة حالكة، ولكن خيل الي أنني أرى ضوءاً يلتمع في سماء الشرق. فقررت الاقلاع.

ما إن ارتفعت عجلات الطائرة عن الارض حتى أدركت أنني ارتكبت خطأ. أدرت الطائرة معتزما الهبوط بأسرع ما يمكن، لكن الغيوم الداكنة والمطر المنهمر ابتلعت الطرف الغربي من المدرّج وأغرقت ستة من الشعلات التسع التي تضيئه مما ترك الجانب الجنوبي من المدرج في ظلام تام.

"مارك، هل تسمعني؟" جاءني صوت دليا عبر جهاز الراديو. "العاصفة تشتد هنا على الارض، هل تسمعني؟"

– نعم. يبدو الوضع سيئا. انني عائد للحال.

"مارك، انني لا أسمعك. هل أنت بخير؟ أجبني، ارجوك. يا الهي!"

أصطدمت الطائرة كأنما بقبضة عملاقة قلبتها على جنبها. حاولت جاهداً العودة بها الى وضع مستوٍ وأنا مدرك أن دقيقتين أو ثلاث دقائق هي كل ما تبقى لي من الوقت للهبوط قبل أن يُغرق المدرّج كله في الظلمة والمطر. أشعلت أنوار الهبوط، لكن المطر عكس الضوء في وجهي وأعماني. أطفأت الانوار بسرعة وزدت درجة انحداري.

اختفت الشعلات الباقية، ورأيت العاصفة تشق طريقها على المدرّج في اتجاهي. كان المطر والبَرَد يطرقان بدن الطائرة كالرصاص. الزجاج الامامي مظلم. افترضت أنني لا بد قريب من الارض، فأشعلت أنوار الهبوط. شقت اشعتها الظلمة، ورأيت شجرة أمامي مباشرة.

أرخيت كابح السرعة ودفعت الخانق بقوة الى الامام: "هيا يا صغيرتي، لا تخذليني!"

زأر المحرك وارتفعت الطائرة ببطء وهي تواجه العاصفة بشجاعة. خدرت أسناني فيما الطائرة تمزق أغصان الشجرة. وأتاني صوت من داخلي: "تابع الصعود! ابتعد عن الارض!" وأصبح نقر المطر على بدن الطائرة زئيراً رتيبا. لم أكن أرى الا الظلام الدامس. وطرت لدقائق في سواد لم أر مثله في حياتي. وأخيراً خرجت من خضم العاصفة.

حلَّقت دائريا في جو رائق فيما العاصفة تغرق المدرج وتمضي في طريقها. استدرت عائداً وهبطت على المدرج المشبع بالماء، وانزلقت عن مقعدي أتنشق الهواء الحلو الرطب طويلا. لقد نلت كفايتي، ويمكن مطاردة اللصوص أن تنتظر أحوالا جوّية أفضل.

(٣) Artificial horizon . وهو اداة يستعين بها الطيارون لمعرفة زاوية الشمس او زاوية نجم ما حين تتعذر عليهم رؤية الافق الحقيقي.

كانت دليا جالسة على السرير تبكي. ودفعتني بعيداً عندما حاولت ضمّها ثم قالت: "مارك، ظننت أنك مت، ولم يكن في وسعي أن أفعل شيئا. ان هذا يحدث كل ليلة. هل تدرك كيف أشعر؟ ألم تعد تهتم؟"

– انني آسف، لكنني لا أدري ماذا أفعل غير ذلك.

"اعرف ذلك ولكن لا شيء يستحق أن تموت من أجله. انني راغبة في وقف مذبحة الفيلة بمقدار ما أنت راغب. لكنني تخطيت حدود احتمالي، ولم أعد قادرة على الاستمرار على هذه الحال. لا يمكنني أن أجلس هنا يوما بعد يوم أنتظر لأرى ما اذا كنت ستعود سالما، مدركة أنك لن تعود يوما ما."

نظرت الى دليا. كانت عيناها مغمضتين بشدة وخداها متورمين من البكاء. لقد نما جدار بيننا، وأحسست أنها تفلت بعيداً عني.

تابعت دليا: "لذلك سوف أرحل من هنا!"

أحسست فجأة بخوف أشد من خوفي العاصفة.

اضافت دليا: "سوف أذهب الى نهر لوانغوا لابني كوخاً لي. أستطيع هناك دراسة الاسود واجراء أبحاث أخرى."

تطلعت الى وجهها، كان مضنىً ومشدوداً، ولم أستطع أن أذكر متى ضحكنا للمرة الاخيرة. كان علي أن أسمح لها بالذهاب والا خسرتها الى الابد. فقلت لها: "انني أفهم موقفك. افعلي ما ترغبين فيه اذا كان لا بد منه."

طرت صباح اليوم التالي فوق المتنزه. وعندما عدت الى المخيم كانت احدى الشاحنات قد اختفت. وفي تلك الليلة اكتشفت رسالة مثبتة بوسادتي جاء فيها:

"عزيزي مارك،

"أحبك! ربما استطعنا أن نبدأ من جديد اذا ما مرت هذه الازمة بسلام.

مع حبي، دليا."

نقطة اللاعودة

دليا:

تحوّل مخيم مارولا – بوكو مركزاً لقيادة عمليات مكافحة الصيد غير المشروع، عبرته مجموعات كبيرة من الكشافة الى مخيماتها النائية يزودها مارك المؤن جواً. لكنها نادراً ما عادت مصطحبة لصوص صيد.

تابع مارك طلعاته يوما بعد يوم معرضاً نفسه للخطر، ومع ذلك بدا واضحا أن الكشافة لن يؤدوا قسطهم من العمل. لكن مارك كان مقتنعا بأنهم هم سيتولون في النهاية حماية المتنزه، ولذلك وجب علينا أن نبذل جهدنا لجعلهم يفعلون.


دليا تفحص أسداً مخدراً.

عندما كان مارك يطير في مهمات ليلية خطرة بحثاً عن نيران مخيمات لصوص الصيد، كنت أنا مسؤولة عن تنظيم عملية للبحث عنه في حال لم يعد. وكنت اذا سألته متى يتوقع أن يعود يجيبني بنزق إنه لا يدري. وزاد الامر سوءاً أننا لم نكن نعتمد كثيراً على جهاز الراديو، وكثيراً ما انقطع الاتصال وسط مكالمة فلا أدري ما اذا كان مارك هوى متحطماً حتى أسمع هدير الطائرة. وربما تأخر ذلك ساعات.

كان حبنا قوياً، لكنني أعرف أن الحب يخبو ما لم يتسنَّ له أن ينمو. كان علينا تدبر وسيلة لمواجهة هذه الازمة معاً والا خرجنا منها منفصلين، هذا اذا خرجنا أبداً.

أقمت مخيماً جديداً من خيمة وكوخ قش على ضفة نهر لوانغوا. وكنت تواقة للعودة الى دراسة طبائع الحيوانات فأغرق في الطبيعة أتعلم طرقها واستكشف عجائبها... قبل أن تضمحل. في كالاهاري اكتشفت ومارك ثانية أكبر هجرة للحيوانات البرية في افريقيا، لكن ألوف الحيوانات قتلت في السنوات القليلة التالية. فهل يمكن إنقاذ الفيلة من هذا المصير؟

لم يزرني مارك في مخيمي الجديد. وكانت الفرصة الوحيدة لرؤيته عندما أتوجه الى مخيم ماورلا – بوكو لتزوّد المؤن. كان الجو مشحوناً بيننا، وكنا نمارس أعمالنا مستقلّين الى حد ما، كل في حقله، وعلاقتنا الشخصية في حال تعليق.

خلال رحلة الى ماورلا – بوكو، سرت ومارك في محاذاة النهر نتبادل الحكايا. لكنه تخلف عني فجأة، وهذا أمر غير مألوف. كان يمشي ببطء ورأسه في الارض وبندقيته مدلاة من كتفه اليمنى.

سألته: "هل أنت بخير؟"

فأجاب: "انني تعب قليلا." والتمعت على جبهته قطرات عرق، وأضاف: "انني جائع، يجب أن أعود الى المخيم." ثم بدأ يترنح ويتعثّر في مشيته. فركضت اليه قائلة: "يجب أولا أن تجلس."

جلس مارك كأنه يسقط، ثم انهار الى الخلف، يده اليمنى ممدودة ورأسه يترنح. وراح في غيبوبة.

PHOTO: © MARK OWENS

صرخت: "يا الهي، ما بك يا مارك؟" أمسكت معصمه البارد وتحسست نبضه. كانت شفتاه مزرقّتين.

عانى مارك على مدى سنوات ارتفاعا طفيفاً لمستوى السكر في دمه، وكان يتحكم به باتباع نظام حمية ملائم. لكنه أخيراً راح يشرب القهوة مع السكر بكميات كبيرة تساعده على البقاء يقظاً خلال طلعاته الليلية. وكنت رجوته استشارة طبيب لكنه رفض. وها هو الآن ممدد أمامي غائب عن الوعي، والرحلة الى أقرب مستوصف تستغرق ست ساعات في السيارة.

صديق في خطر

ركضت عائدة الى المخيم. كان علي أن أعطي مارك بعض السكر. في المطبخ، مزجت حليبا مجففاً مع ماء وعسل وأسرعت عائدة الى مارك.

كانت عشرون دقيقة مضت على فقدانه الوعي، ولو حاولت اعطاءه مزيج العسل لشرق به. لكنه لم يلبث أن بدأ يرمش جفونه، ثم حرك رأسه وفتح عينيه ونظر الي بخوف: "ماذا حدث؟ هل تحطمت الطائرة بي؟"

– انك فقدت وعيك. وقد حضّرت لك حليبا بالعسل. هل تستطيع شربه؟

لكنه غاب عن الوعي ثانية قبل أن يجرع نقطة. وظل نصف ساعة يراوح بين الغيبوبة واليقظة. وعندما استعاد وعيه كلّمته برقة: "هاك، اشرب هذا."

أخذ مارك خمس جرعات ثم استراح وعيناه مغمضتان وتمتم: "انني أشعر بتحسن." رفعتُ القارورة الى شفتيه برفق فشرب من جديد. واستطاع أن يجلس بعد عشر دقائق وراح يمازح العمال. لكنهم لم يضحكوا، فرؤية رجل قوي في هذه الحال أمر لا يضحك.

حملنا مارك الى فراشه. وعندما انصرف العمال همست له: "مارك، علينا أن نغير أسلوبنا. من الضروري أن نحصل على مساعدة."

– أنتِ على حق، وسوف نفعل ذلك. هذا وعد!

لكنه طار صباح اليوم التالي في طلعة لملاحقة لصوص الصيد ولمّا تمض ١٥ ساعة على تعرضه لاغماء. لم يعد في وسعي عبور الحاجز القائم بيننا. لذلك عدت الى مخيمي.

مارك:

قدمت دليا لتزوُّد المؤن ذات صباح من سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠. سرنا معا في الممر المؤدي الى المطبخ وأشعة الشمس الذهبية تتسلل من خلال أغصان أشجار المارولا.

فجأة أشارت دليا: "مارك! انظر عبر النهر!"

كان قطيع من خمسة أفيال يرعى قرب مخيم العمال من قبيلة البيمبا، وبينها سورفايفر. رحنا نراقبه يقتلع حزماً ضخمة من العشب، فيطرق جذورها على قدمه ليتخلص من الاتربة العالقة قبل أن يحشرها في فمه. وكانت مجموعة من عصافير الدوري الحبّاك تتقافز عند أقدامنا، وعائلة من الخنازير الوحشية ترعى على الضفة بعيداً عنا. انه واحد من تلك الصباحات الباردة الهادئة التي تبدو فيها افريقيا كأنها تقف أمام مرآة وتتأمل جمالها الزائل.

"بم!" طلقة بندقية عبر النهر! استدارت دليا نحوي في نصف انحناءة وقد غار اللون من وجهها: "يا الهي! مارك، انهم يطلقون النار على سورفايفر!"

"بم! بِم! بم!"

صرختُ: "احتمي خلف شجرة!" وقفزت راكضاً الى المكتب حيث تناولت بندقية وقبضة من الخرطوش حشرتها في جيوبي.

"بم! بم! بم! بم! بم!" ست طلقات أخرى. حين وصلتُ الى السيارة لم تعد ركبتاي تحملانني. سألت دليا: "هل مسدسك معك؟"

فردت: "أجل! اذهب أنت!" وألقت الي بعلبتي خرطوش.

أسرعت في شاحنة صغيرة عبر النهر الى مخيم البيمبا، وكانت الاوحال والحجار تتطاير من تحت العجلات. ضغطت بوق السيارة من دون توقف وأنا أصفر منادياً الحراس، فركضوا الى الشاحنة قبل أن تتوقف. نظرت الى هؤلاء الشبان الصغار من قبيلة البيمبا. انهم عمال وليسوا مقاتلين! كان اثنان فقط مسلحين فيما الآخرون يحملون رفوشاً ومجارف.

قلت لهم: "لستم ملزمين بمرافقتي، فهؤلاء اللصوص يحملون بنادق رشاشة، وسوف تتعرضون للخطر. كما أن عملكم لا يشمل ملاحقة اللصوص."

لم يتحرك أحد منهم، فهتفت: "حسناً، هيا بنا!"

اتجهنا الى أعلى النهر نبحث عن آثار أقدام أو دماء. كنت آمل أن أمنع اللصوص من الاحتماء وأجبرهم على الخروج الى العراء على ضفة النهر. لكن الدغل الملتف جعل عملية البحث صعبة وخطرة. سنكون محظوظين إن لم يصب أحدنا في حال تبادل اطلاق النار أو لم نسحق تحت أقدام فيل جريح.

مضى نصف ساعة ولم نعثر على آثار سورفايفر أو اللصوص. فقررت استخدام الطائرة. وما إن صرت في الجو حتى رأيت فيلا نافقاً ملقى في جدول عميق وقد أجتث ناباه وبدأت الصقور تحوّم فوقه. ولكن لا أثر للصوص.

عدت الى المخيم. فأخبرتني دليا أنها رأت سورفايفر يعدو في أثناء إطلاق النار

وأنها تعتقد أن الفيل النافق قد يكون فيلاً آخر. لكن سورفايفر كان محاصراً بنيران اللصوص، ولا بد أنه أصيب، وهو سوف ينفق متأثراً بجروحه إن لم يكن نفق للحال.

مشينا الى الجيفة وكانت بدأت بالانتفاخ وقد غطاها الذباب. كانت مشوّهة الى حد أننا لم نستطع الجزم في ما اذا كانت جيفة سورفايفر. لكنها كانت بالتأكيد لفيل ذكر في حجم سورفايفر.

قالت دليا: "لكننا لا نستطيع رؤية أذنه اليسرى. ولا نعرف بالتأكيد أنه هو!"

لم أستطع خداع نفسي بأن سورفايفر لا يزال حياً. وبدا أن كل آمالنا في انقاذ الوادي وبيئته البرية ماتت معه. لربما كان لنا في هذه الحادثة درس: أن ثمة وقتاً لالقاء السلاح، حين لا يبقى شيء في المستطاع.

لكنني ملزم أولاً بلعب الورقة الاخيرة في يدي!

أقلعت بالطائرة مع غروب شمس ذلك اليوم يرافقني كاسوكولا، أحد عمالنا من قبيلة البيمبا. وطرت منخفضا فوق النهر. كنت اقتلعت باب الطائرة من جهة كاسوكولا حيث جلس هو وفي حضنه بندقية حشيت بخرطوش من نوع المفرقعات النارية تنشر كل واحدة منها، على امتداد ١٠٠ متر، مفرقعات حمراء كروية بطيئة الاشتعال وذات دوي انفجاري هائل. وهي غير مؤذية، لكننا أملنا ألا يدرك اللصوص ذلك.

كان القمر قد بزغ. وما إن بدأنا طيراننا فوق التلال السفحية حتى مال كاسوكولا خارج الباب وهتف: "لصوص! هناك!" وأشار الى دائرة كبيرة من النار قرب النهر.

هبطت بالطائرة في انخفاض متدرج. وأمسك كاسوكولا بمصباح كشاف وجّهه نحو المخيم من خلال فتحة الباب، فرأى مناصب اللحم مما أكد أن ذلك هو مخيم لصوص صيد. خففت القبضة على الخانق مما أبطأ سرعة الطائرة الى حوالى ٩٠ كيلومتراً في الساعة. وعندما صرنا فوق المخيم اهتزت الطائرة بفعل الوهج الحراري المنبعث من النار. فهتفت: "كاسوكولا! الآن!"

ضغط كاسوكولا زر المصباح فأغرق المخيم في ضوء ٤٥٠ ألف شمعة. كانت المناصب عامرة بقطع من اللحم كبيرة جداً ولا شك في أنها من لحم فيل. وكانت نابان مسنودتين الى شجرة على مقربة من النار، نابان في حجم نابي سورفايفر!

التمع شعاع أبيض عبر جناح الطائرة الايمن تبعته فرقعة. انه رصاص خطاط!

صرخت في كاسوكولا: "انهم يطلقون النار علينا! أطلق مفرقعاتك من خلال الاشجار. دمّر خيمهم ولا توفر ذخيرتك!"

ترك كاسوكولا المصباح الكشاف وأمسك بالبندقية. التمعت رصاصة خطاطة مارة بنا كالبرق، ثم أخرى أقرب، ورد كاسوكولا بسيل من الشرر الاحمر والبرتقالي انبعث من كل قنبلة مفرقعات انطلقت من فوهة البندقية.

"بوم! بوم! بوم!" هزّت المخيم ومضات هائلة من الضوء والدوي. وانفجر كاسوكولا ضاحكاً. "بوم!" حطت القنبلة الاخيرة وسط نار المخيم ناشرة الشرر وقطع الخشب المحترق متطايرة نحو الاشجار، وبدأت خيمة تحترق.

طرت صباح اليوم التالي الى موقع المخيم. لم يكن باقياً هناك سوى نتف داخنة من خيمة محترقة وسرب من الصقور.

كشافة متنقلون

دليا:

جلسنا الى طاولة في وزارة السياحة في لوساكا ومعنا تسعة مسؤولين من الحكومة الزامبية، أحدهم السكرتير الدائم للوزارة المسؤول عن كل وحدات الكشافة وعن ادارة المتنزهات الوطنية.

بدأ مارك الكلام، فأخبر المجتمعين أن الكشافة نادراً ما يقومون بدوريات في المتنزهات، وتحدث عن الفساد وعن مسؤولين حكوميين يتاجرون بالعاج والجلود واللحوم، وكيف تعرضنا لاطلاق النار.

وختم حديثه قائلاً: "ان متنزه لوانغوا الشمالية هو واحد من أجمل المتنزهات في افريقيا ويمكن أن يدرّ ملايين الدولارات السياحية، لكننا لا نستطيع الاستمرار في هذه الحال. يجب أن نعرف ما اذا كانت الحكومة تعتزم دعمنا، أو على الاقل أنها لن تقوض جهودنا."

كان كبير الجماعة جالساً طوال الوقت يحدق الى الطاولة ويتلاعب بقلم في يده. وهو أعلن في النهاية أن مشروعنا هو الامل الوحيد للمتنزه وأن الحكومة تعتزم دعم جهودنا الى النهاية.

أبلغنا المسؤولون أن لوانغوا الشمالية سوف توضع في رأس أولويات الحكومة، وسيوفد اليها عشرون كشافاً تلقوا تدريباً عسكرياً خاصاً. لكننا تركنا الاجتماع مفعمين بالترقب أكثر منا بالتفاؤل بعد أربع سنوات من الاحباط.

أوقف ثلاثة من مسؤولي المتنزه عن العمل في انتظار محاكمتهم بتهمة تهريب العاج. وعُيِّن كشافة جدد، وكنا على موعد للقاء قائدهم الجديد ذلك اليوم.

وصلت ومارك في وقت واحد الى مخيم مانو. وما إن ترجلنا من شاحنتينا حتى تقدمت منا سرية من الكشافة في زيها الرسمي الكامل وبخطى سريعة. توقفت السرية أمامنا واستدار أفرادها نحونا بنظامية وأدّوا لنا تحية عسكرية حازمة ثم عادوا الى مواقعهم. ومشى على رأس السرية رجل زامبي طويل ضامر على وجهه ابتسامة فخورة. وهو صرف الكشافة بعد دقائق وعاد الينا بخطى سريعة رشيقة. صافحنا بيد

ثابتة ثم نظر الي مباشرة وقال: "أنا طوم كوتيلا. لقد سمعت الكثير عنكما ولدينا أمور كثيرة للمناقشة."

كان كوتيلا رسم خططاً لبناء مكتب وسجن ومستودع سلاح. وسوف يعمل على تدريب الرجال يومياً واعدادهم للانطلاق في دوريات على مدار الساعة. وهو أذهلنا بكفايته وتصميمه.

مد مارك يده لمصافحة طوم قائلا: "فلنؤدِّ ما علينا!" وابتسم، وكانت تلك أول ابتسامة حقيقية أراها على ثغره منذ زمن طويل.

نظم كوتيلا وحدة الكشافة في سرايا، وحدد جدولا للدوريات، واستأجر وحدة من الحمالين (معظمهم عملوا مع اللصوص سابقا) لحمل المؤن والاعتدة. للمرة الاولى في تاريخه يشهد متنزه لوانغوا الشمالية فرقاً من الكشافة تقوم بمهماتها داخله طوال الوقت.

ذهبت ومارك بعد ظهر ذات يوم الى المخيم في مانو. كان رجال القرية ونساؤها وأطفالها واقفين في ساحة الاجتماعات. لقد عاد الكشافة من مهمتهم الاولى ومعهم ١٤ رجلا من لصوص الصيد وكومة من الاسلحة غير المرخصة.

تابع الكشافة عمليات دهم القرى ليلا على مدى الايام الاربعة التالية. وكانوا يقتحمون أكواخ اللصوص وهؤلاء نيام، ثم يعودون صباحاً الى المخيم وشاحنتهم ملأى بالمشبوهين وبالاسلحة غير المرخصة. ومع عودة النظام وانتظام عمل الدوريات صار الكشافة القدامى يمشون فخورين، ويؤدون التحية باعتزاز، ولم يعودوا يضجون بالتبريرات والشكاوى.

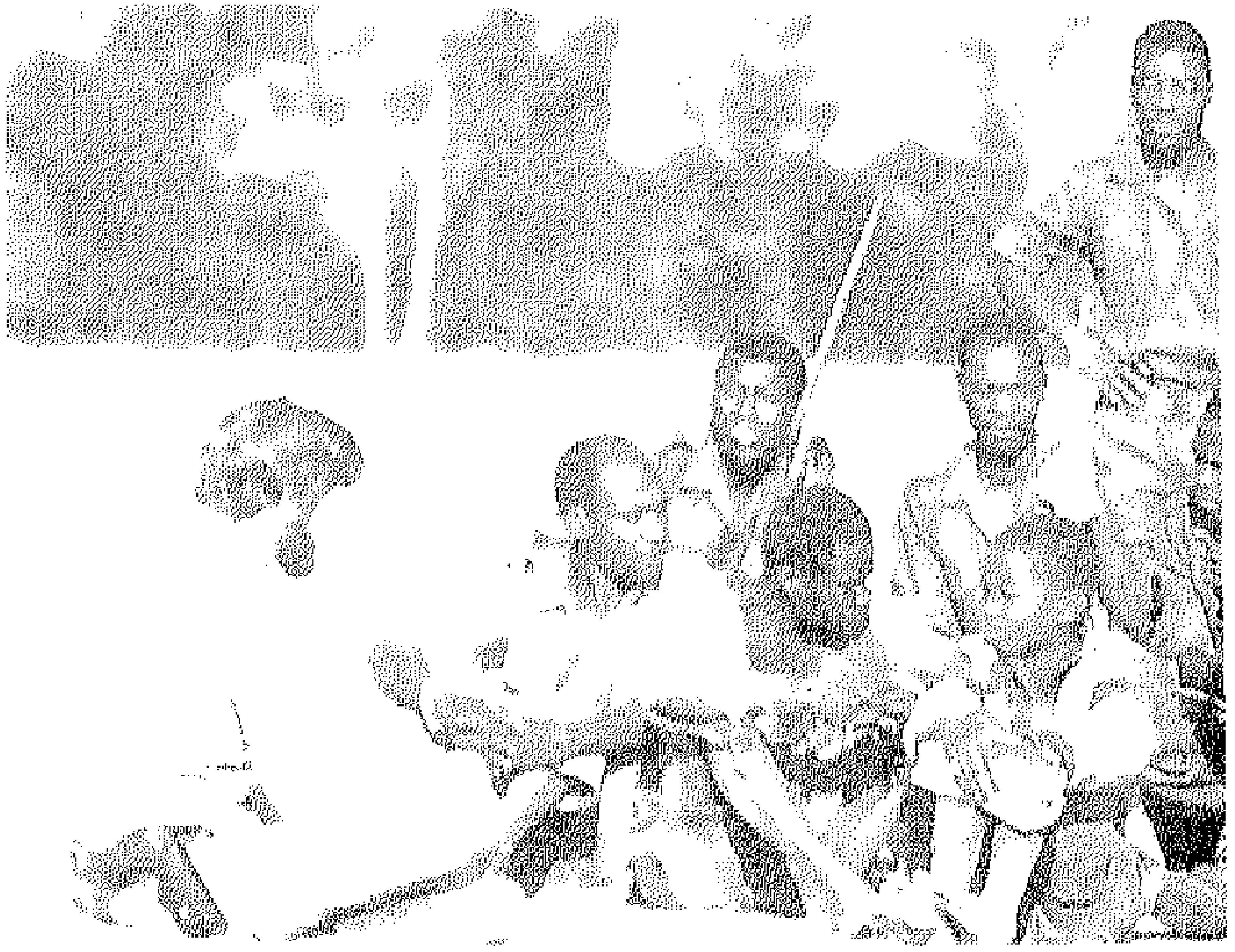
ولكن على رغم النجاح المميز الذي حققته وحدة كوتيلا في إمساك لصوص اللحوم فقد بقي كثير من لصوص العاج طليقين، ومعظمهم من سكان قرية موامفوشي.

كنا تلقينا تحذيرات من دخول موامفوشي. حتى كوتيلا نفسه أخبرنا أن في ذلك خطورة كبيرة. لكننا أدركنا أننا اذا لم نوقف عمل لصوص العاج فلن يكون لنا أمل بانقاذ الفيلة.

فأرسلنا نبأ بأننا نرغب في لقاء القرويين في مبنى مدرسة القرية.

كان في انتظارنا حين دخلنا القاعة نحو ٣٠ شخصاً، أبلغنا اليهم أننا لم نأتِ لنوقف أحداً ولكننا على استعداد لتأمين وظائف للصوص العاج اذا وافقوا على تسليم أسلحتهم، وأننا ندرك أنهم يقتلون الحيوانات لانهم في حاجة الى العمل وتأمين طعام لعائلاتهم، ونحن هنا لايجاد بدائل.

سمعنا همسات موافقة، لكن عدداً من الشباب بدأوا نقاشاً حاداً في ما بينهم. أضاف مارك: "تعرفون أنكم اذا تابعتم قتل الحيوانات فسوف تنقرض في وقت


مارك مع لصوص صيد وافراد من الكشافة.

قريب. ولذا عليكم أن تفكروا في طرق أخرى لكسب المال."

بعد نحو ثلاثة أرباع ساعة من الصراخ والجدل الحاد، وزعتُ على الحاضرين أوراقاً وأقلاماً وطلبت من الراغبين في العمل كتابة أسمائهم. فأعلن سبعة رجال أنهم نجارون، وقال واحد إنه خياط، وأخبرنا بضعة آخرون أنهم يتقنون بناء الطوب. وبدا أن القرية مليئة برجال يستطيعون كسب لقمة عيش شريفة اذا ما توافرت لهم الفرص.

شرحتُ لهم خطتنا: "في البداية، سنقرضكم المال الضروري لشراء المعدات والمواد الاخرى التي تحتاجون اليها. وسوف تسددون هذه القروض مرحلياً لكي نتمكن من مساعدة آخرين. ولكن عليكم أن تتوقفوا عن صيد الحيوانات وتطردوا لصوص الصيد من قريتكم. هل توافقون؟"

أومأ معظمهم موافقين.

فدعوناهم الى التقدم بطلبات قروض. وفي الخارج عقدتُ صفقة مع نساء القرية لانشاء مشغل حياكة.

عدنا الى موامفوشي بعد عدة أسابيع، وكانت قاعة المدرسة تغص بجمهرة من نحو ٨٠ رجلا وامرأة يتحدثون متحمسين. وصفق القرويون وغنوا حين قدمنا اليهم ماكينة حياكة ومعدات أخرى.

وفيما نحن نبحث في مهن أخرى تمكن مزاولتها، سلَّم شاب مارك ورقة قرأها فانفرجت أساريره. ثم أعطاني مارك الورقة فقرأت فيها جملتين مخربشتين بأحرف كبيرة وبلغة مليئة بالإخطاء: "أرغب في الانضمام اليكم. انني أسلّم سلاحي." وكانت الرسالة تحمل توقيع واحد من أكبر لصوص العاج.

تسليم من دون اطلاق رصاصة! اجتمعنا بالرجل خلف المدرسة وأعلنّا هدنة بيننا. وفي وقت لاحق عيّناه مشرفاً على مزرعة حيث يتقاضى راتبا جيداً من دون حاجة الى خرق القوانين وحيث يخدم كمثل مشرق للذين لم يرعووا بعد.

PHOTO: © WILLIAM CAMPBELL

مرت ثمانية أشهر من دون أن نكتشف فيلا مذبوحاً. والفضل في ذلك لطلعات مارك الجوية ودوريات الكشافة على الارض.

ذات صباح، فيما أنا أخطو عبر الشجيرات قرب مخيمي على النهر، لمحتُ ظبي ماء كبيراً يقف وسط الاعشاب الطويلة. وهو أدار رأسه ناحيتي ورمقني برهة ثم تابع التهام العشب. وتابعت أنا سيري الى الضفة حيث استلقى قطيع من أفراس النهر على الرمال الندية.

سمعت فجأة هدير طائرتنا آتياً من جهة الجنوب، وافترضت أن مارك يقوم بدوريته كالعادة. شغَّلت جهاز الراديو علَّه يرغب في الاتصال بي. ولم يكن مارك قد زار مخيمي قط مع أنه كثيراً ما يعبر فوق المنطقة.

علا هدير الطائرة، وانبعث صوت مارك عبر جهاز الراديو: "براون هايينا، هنا ساند بانثر. هل تسمعينني؟"[٤]

رأيت الطائرة تنقضّ فوق الاشجار. "نعم، يا ساند بانثر. هات ما عندك."

– مرحباً! هل ترغبين في رفقة على العشاء الليلة؟

"أجل، هذا رائع. العشاء عندي يقتضي لباساً رسمياً. ولا تنسَ الشوكولاتة!"

ضحك مارك وأجاب: "بالطبع. سأعود عند العصر. لاقيني في مهبط الطائرة."

قلت: "حسناً. أراك لاحقاً."

عدت بسرعة الى المخيم. ماذا أعدّ من طعام؟

فتحت صناديق المؤونة في كوخي أبحث عن شيء خاص. بعثرت المعلبات. ثم قررت. أعددت طاولة الطعام تضيئها شموع ثبتت في أصداف نهرية، ووضعت عليها كؤوساً وصحوناً صفراء جديدة. وزينتها بزهور زرقاء صغيرة في قارورة فارغة.

تسلقت مجموعة من السعادين شجرة الابنوس التي تطل على الكوخ ومالت من الاغصان تراقبني كأنها أحست فرحتي.

طويت ورقة زينتها برسوم تماسيح وأفراس نهر وكتبت عليها قائمة الطعام لذلك المساء:

"المقبلات: محار مدخّن.

"الحساء: بصل من لوانغوا مع خبز محمص مغمس بالثوم.

"الطبق الرئيسي: باستا البحيرة مع الفطر والجبنة، ولوبياء لوبونغا.

"الحلوى: كعك قمريّ."

قررت الظهور جميلة، فارتديت تنورة (جونلة) وقميصاً أبيض وانتعلت صندلا ووضعت في أذنيّ قرطين أفريقيين أحبهما. وفي وقت متقدم من بعد ظهر ذلك اليوم

(٤) هذه أسماء رمزية للمكالمات عبر الراديو. Brown Hyena تعني "الضبع البنية" و Sand Panther تعني "نمر الرمل."

قدت شاحنتي الى مهبط الطائرة مارة في طريقي بقطعان من النو والزراف والجاموس البري. وما إن صرت على مسافة ١٥٠٠ متر من مهبط الطائرة حتى انحدر مارك بطائرته استعداداً للهبوط.

يا لهذا التوقيت الرائع!

توجهت الى المدرج الترابي، وكانت الطائرة توقفت. لكنني لم أستطع رؤية الطيار. وبدا غريباً أن تتوقف الطائرة خالية. أوقفت الشاحنة وتلفتُّ حولي، وفجأة ظهر مارك من خلف الطائرة يتبختر في مشيته. كان، كالعادة، يرتدي سروالا كاكيا قصيراً وجوربين طويلين يصلان الى ركبتيه وجزمة صحراوية. أما من وسطه وما فوق فقد ارتدى سترة زرقاء وقميصاً رسمياً وربطة عنق. وكانت باقة من الزهور البرية الغضة تخفي ضحكته الواسعة.

"مساء الخير سيدتي. ساند بانثر في خدمتك!" قالها بانحناءة مسرحية.

جلسنا على مرتفع يطل على الشاطىء نتناول المحار المدخّن ونحتسي الشراب ونرقب الغروب وأفراس النهر تغطس في النهر العريض. كان كوخي القشي الصغير يتوهج بأضواء الشموع ونحن نتهامس ونضحك بأصوات خافتة ونفتش في السماء عن نيازك.

وعندما خلدنا الى الفراش في وقت لاحق، رفعت وسادتي باحثة عن الشوكولاتة، فهذا هو المخبأ المفضل لمفاجآت مارك الصغيرة. لم أعثر على شيء تحت الوسادة، فأخفيت خيبتي. فجأة لمست قدمي شيئاً، فصحت: "مارك، أي حيلة حضّرت هذه المرة؟"

نزعت الملاءة لاكتشف ٢٥ قطعة شوكولاتة مصفوفة عند أصابع قدمي.

اجتماع مفاجىء

تابع أهالي قرية موامفوشي مراقبة لصوص الصيد وتجار العاج واللحوم، ودأبوا على مضايقتهم حتى أجبروهم على مغادرة القرية. وهكذا انكسرت شوكتهم.

انه موسم الجفاف من جديد. لكن العشب نما طويلا هذا العام، إذ أُوقف نشاط اللصوص قبل أن يبدأوا اشعال حرائقهم في البرية. وجالت في أرض الوادي صفوف متعرجة من الفيلة تقتات من أعشابه ونباتاته.

اعتادت الفيلة في ما مضى أن تفر الى حماية التلال ما إن يحل مارس (آذار) أو أبريل (نيسان)، تاركة وفرة النباتات في الوادي لتأكل لحاء الشجر في الغابات. لكنها أصبحت الآن ترعى في السهول الفيضانية على ضفاف النهر حيث تلعب النسائم بالعشب الطويل.

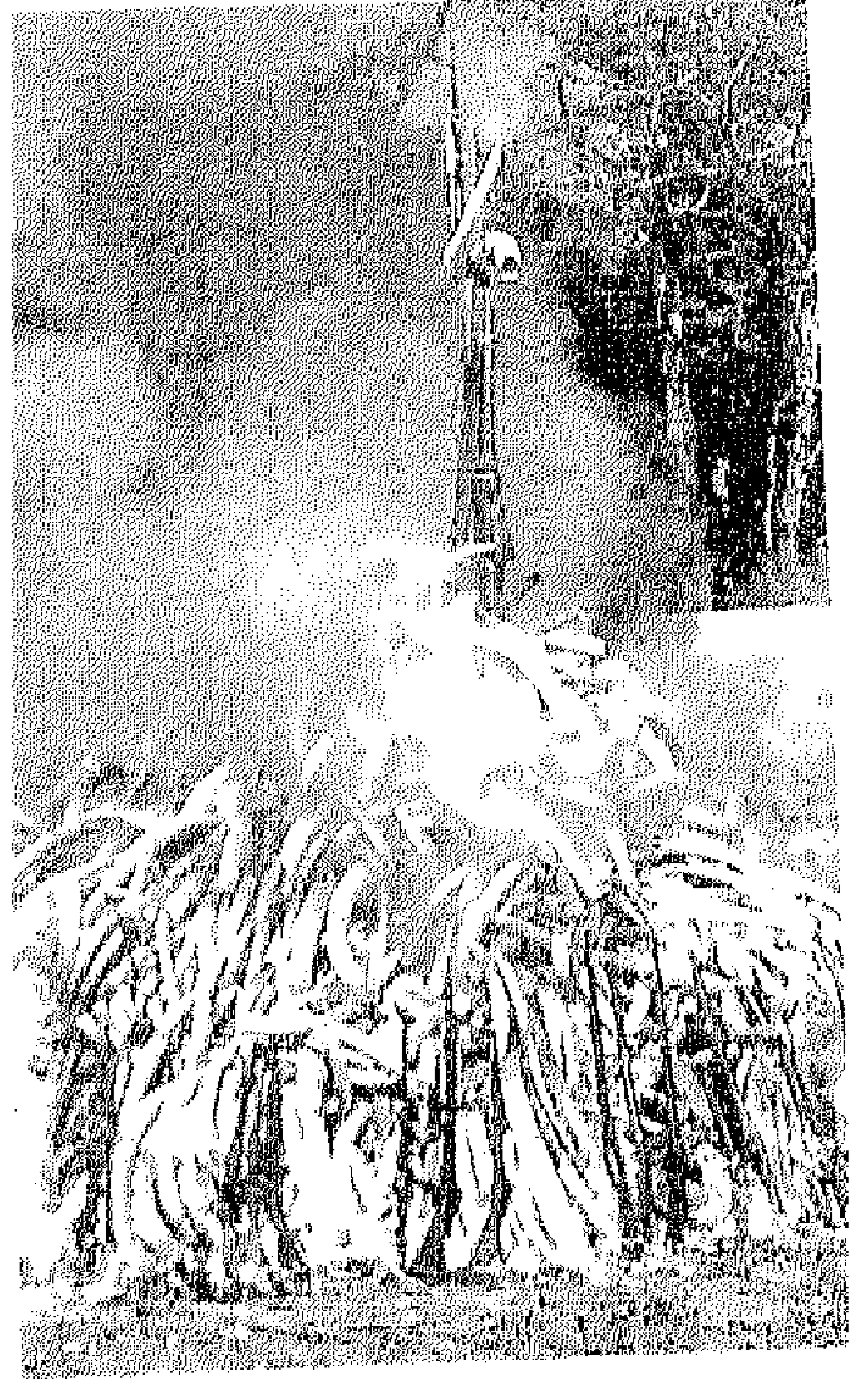
ذات مساء، فيما أنا ومارك نجلس هادئين قرب النهر، سمعنا جلبة على الضفة الاخرى. وخرج فيل متثاقلا من بين القصب وراح ينظر الى أشجار المارولا خلفنا. رفعت يديَّ الى وجهي وجمدت. كان للفيل نابان بطول ذراعي مارك وثقب صغير في أذنه اليسرى. انه سورفايفر! وهو راح يرقبنا بعينين رأتا الكثير، ثم رفع خرطومه عالياً في اتجاهنا. لم تكن هذه تحية لنا، بل لثمار المارولا. لم يكن يشكرنا لحضورنا أو يلومنا لاننا لم نعمل أكثر لحمايته، كان جل ما يريده التهام هذه الثمار والتجوال في هذه التلال والعيش بين عشيرته. أكثير هذا عليه ليطلب أو علينا لنعطي؟

اتجه سورفايفر نحو النهر ومس الماء رقيقا بخرطومه ثم رفعه الى فمه. وبعد وقفة قصيرة نظر الينا وانسلّ بصمت عبر الضفة الرملية.

يقال إن الفيلة لا تنسى. ولكن ربما كان في إمكانها أن تغفر.

همس مارك في أذني: "ماذا نفعل الآن؟"

إحراق اسلحة وانياب مصادرة.



— ماذا تعني؟

"لقد قلتِ دائماً إننا سنعود الى ديارنا عندما تعود الفيلة قادرة على ورود النهر وشرب مائه بأمان."

تطلعت على امتداد النهر الجاري وسط الضفاف العالية والمجازات الصخرية الضحلة، الى حيث ربضت خمسة ظباء افريقية قرب زوجين من الاوز المصري. ثم أجبته: "ولكن هنا ديارنا!"

عندما بدأنا مشروعنا في العام ١٩٨٦ كانت فيلة لوانغوا الشمالية تذبح من أجل العاج واللحم بمعدل ١٠٠٠ فيل في السنة. وانخفض هذا العدد الى ١٢ فقط في العام ١٩٩١. ويدرس ١٢ ألف طالب في ٣٠ مدرسة برنامجا لحماية الحياة البرية. ويرعى برنامجُنا لحماية لوانغوا الشمالية طالبا من كل مدرسة.

كذلك أوجد برنامجنا أكثر من مئتي وظيفة موسمية لرجال ونساء من المنطقة كان كثير منهم متورطاً في عملية ذبح الحيوانات البرية. وفُتحت ملحمة لبيع لحم البقر بأسعار أقل من تلك التي يفرضها تجار "السوق السوداء" للحوم الحيوانات البرية.

PHOTO: © EDWIN MWANALEZA

وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١ تولّت حكومة جديدة السلطة في زامبيا. وهي تعهدت حماية الموارد الطبيعية في البلاد بما فيها الحياة البرية. وأعلنت الحكومة في فبراير (شباط) ١٩٩٢ أنها سوف تنضم الى برنامج الحظر الدولي لتجارة العاج، وطلبت من دول افريقية أخرى لا تزال تتاجر بالعاج ان تحذو حذوها.

وتدعم الحكومة الآن نظام سوق حرّة مفتوحة للزائرين. وقد بدأت شركتان تنظيم رحلات "سافاري" سياحية سيراً على الاقدام الى المتنزه. وكل سائح يدخل مناطق افريقيا "الحقيقية" يساهم في انقاذ فيلتها من الانقراض، لانه يجعل حيواناتها البرية الحية أكثر قيمة بالنسبة الى السكان المحليين.

لا نستطيع الادعاء أن الحياة البرية في لوانغوا الشمالية أصبحت مضمونة الى الابد. فالفساد ما زال قائما، والصيد غير المشروع مستمر وإن بمعدلات أقل كثيراً من ذي قبل، ولا يزال بعض كبار لصوص الصيد قادرين على التملص من قبضة الكشافة بما لهم من قوة "الجوجو." لكن اثنين منهما يعملان الآن معنا في مراكز قيادية. وقد اعتقل الكشافة ثالثاً فأخلت الشرطة سبيله، الا أنه قضى تحت أقدام فيل هائج!

دليا ومارك أونز ■

ترجمة فواز الخوري



سيارة مسروقة

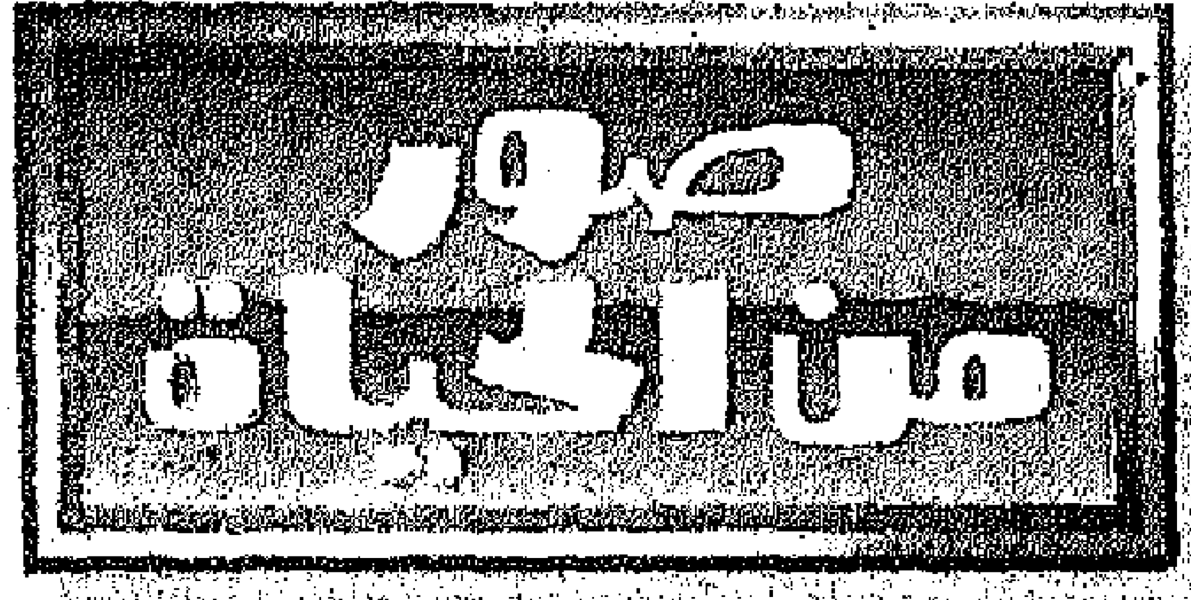
شاهد أحدهم لصاً يسرق سيّارته، فاخذ يجري وراءه صائحاً: "لص! لص! اوقفوه!" واذا برجل في الشارع يقول له مهدئاً: "اطمئن، ليس هناك ما يدعو الى القلق." فصاح به الرجل المنكوب: "كيف ذلك وسيّارتي تُسرق امامي؟" اجابه: "لا تقلق، فقد دوّنت رقمها."

ب.ك.

لقطة تذكارية

شاءت ابنتي أن تلتقط بعض الصور التذكارية لاوراق الخريف لكي ترسلها الى صديقة مسافرة. فطلبت مني أن اجلس على احد المقاعد لتصويري. لكنني بدلا من ذلك رحت التقطُ أكواماً من اوراق الشجر وأرميها في الهواء معتقدة ان في تطايرها موضوعاً شائقاً للتصوير. وكم كانت خيبتي كبيرة حين اكتشفت ان ابنتي لم تصوّر ذلك، بل أخذت تصوّر الناس الذين تحلّقوا يتفرّجون على ما افعل.

أ.ف.



بطة في الريف

■ كنت وحفيدتي في نزهة ريفيّة. فوقفنا قرب بحيرة صغيرة نتأمل بطة تسبح متقدّمة ثماني بطات صغيرة تتبعها في خط مستقيم. فقلت لحفيدتي: "انظري ما اروع هذه الام وصغارها."
فردت حفيدتي بسرعة البرق: "قد لا تكون هذه هي الام يا جدّتي، لعلّها الحاضنة."

ن.ب.

خيار فلسفي

■ تقدّمت شابة للعمل في مؤسستنا، وورد في استمارة الطلب سؤال يتناول النواحي الفلسفية في شخصية طالب الوظيفة وهو: "اذا قُيض لك ان تمضي سهرة تتحادثين فيها مع شخص ما، حيّ او ميت، فأي شخص تفضلين؟"
فجاء الجواب: "الحي."

ك.م.

ادلة قاطعة

■ رفض مدير المصرف ان يصرف شيكا من امرأة قدّمه زوجها نيابة عنها بحجة انها تلد في المستشفى، وطلب منه بطاقة هوية او اي اوراق ثبوتية. فغاب الرجل بعض الوقت ثم عاد ومعه مغلف اصفر، ففتحه المدير فوجد في داخله صورة للزوجة في المستشفى وبجانبها طبيبها مع شهادة ولادة طفل وبصمة اصبع الوليد مع عبارة كتبها الطبيب: "هذه السيدة وهاب وانا طبيبها. رجاء ان تصرف لها الشيك." عندها امر المدير بصرف الشيك.

كانت ايام

■ كانت جدتي تتفرّج على صور حملتُها معي حين ذهبت لزيارتها في الريف. فاسترعت انتباهها صور المدينة وشوارعها المكتظة، فسألتني عنها.
أجبتها: "انها العاصمة."
فهتفت: "لا هذه ليست العاصمة، فقد سبق أن زرتها."
– ومتى زرتها يا جدّتي؟
"عام ١٩٢٧."

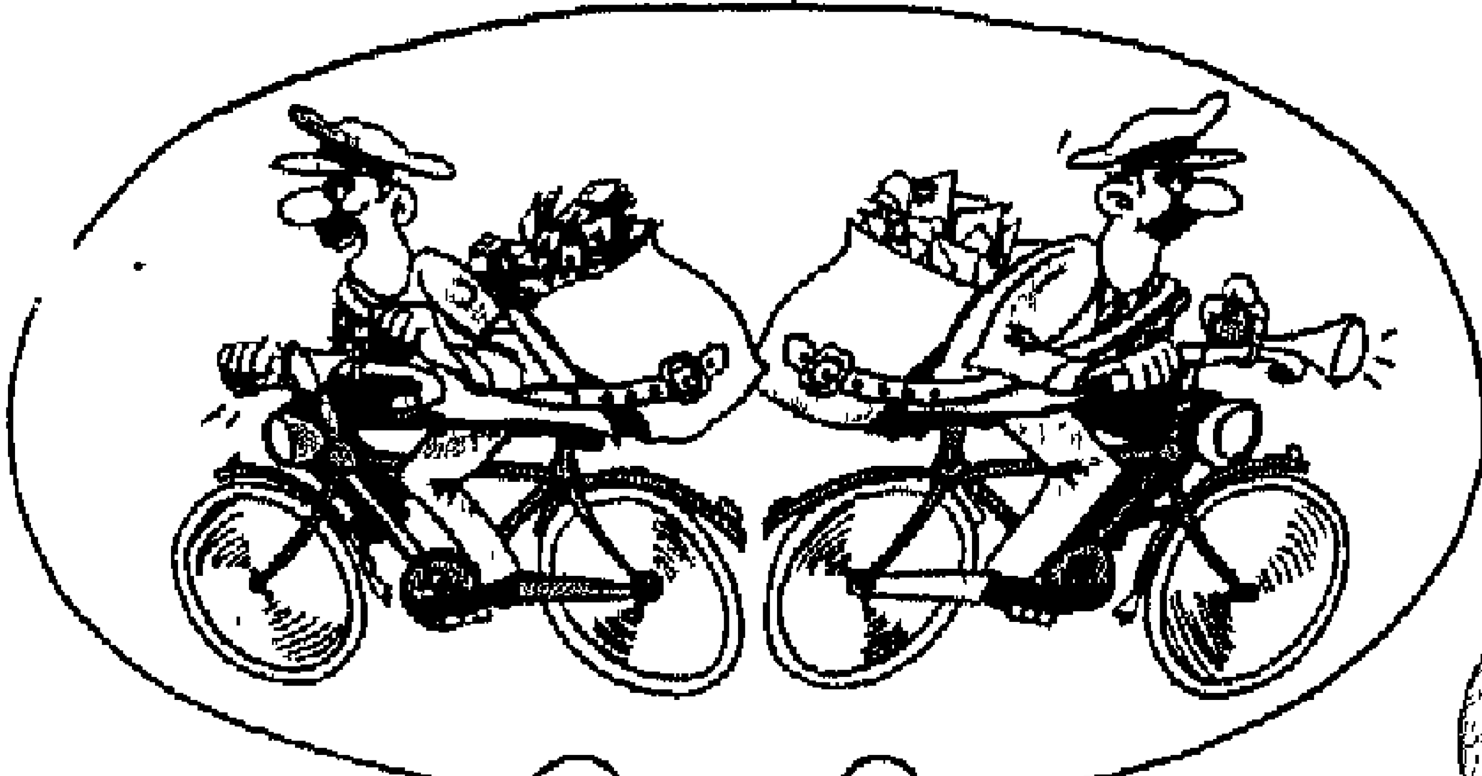
م.ب.

نضوج طفل

■ لم أتمالك دموعي حين رأيت ولديَّ التوأمين يصعدان الى حافلة المدرسة للمرة الاولى. فالتفت اليّ شقيقهما الاصغر الذي رافقني وقال لي مؤاسيا: "لا تبكي يا أماه، فقد يتسنى لك أنتِ أيضاً أن تركبي حافلة مدرسية ذات يوم."

ج.ر.

اكتب واربح





هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار)
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.

